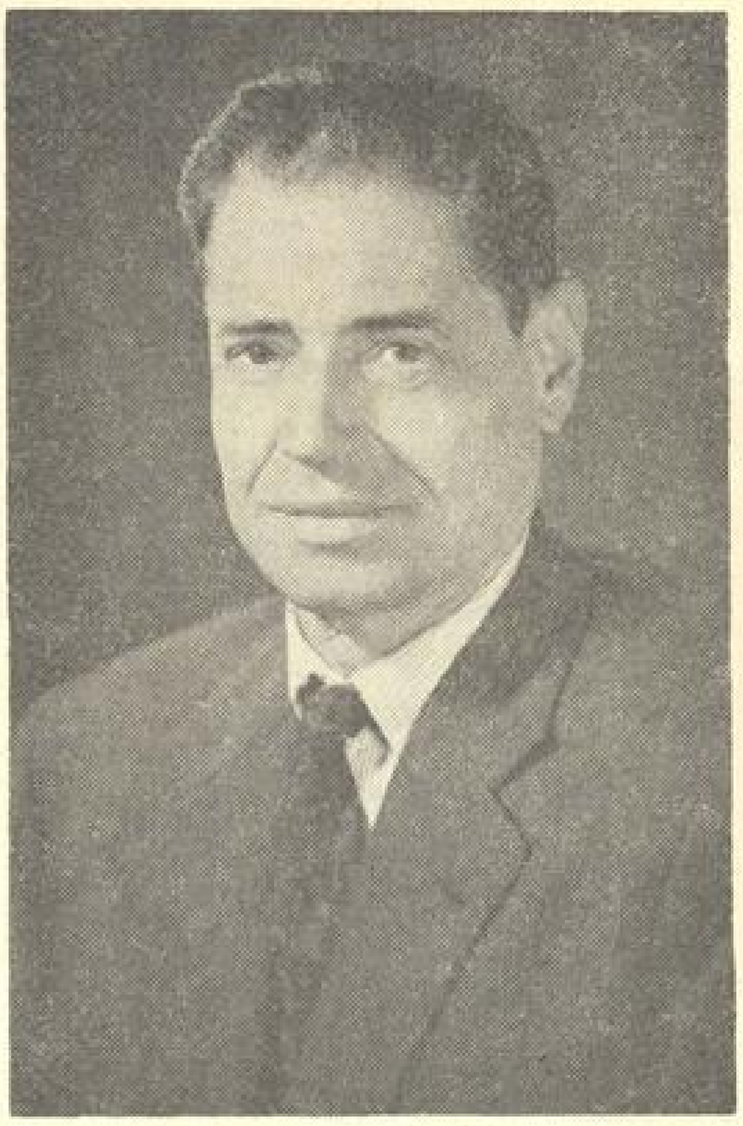


نقولا يوسف

اسكندر شلفون موسيقار وأديب منسي

بقلم نقولا يوسف

* * *

بين اعلام العرب الراحلين الذين اهتم الجيل الجديد اخيرا بتكريم ذكراهم ، وتخليد مآثرهم ، والاشادة بأعمالهم — سواء بكتابة المقالات عنهم ونشر المؤلفات، ام بعرض حياتهم على شاشتي السينما والتلفزيون ، ام بانشاء المتاحف الجامعة لآثارهم ، واقامة التماثيل لاشخاصهم — عدد من كبار الموسيقيين والملحنين المحدثين ، ممن أدوا للموسيقى العربية جليل الخدمات ، وخلفوا روائع الالحان للاغنيات والمسرحيات .. وكان على رأسهم الفنانون : سيد درويش (المتوفي ١٩٢٣) ، وداود حسني (١٩٣٧) وكامل الخلعي (١٩٣٨) ، وزكريا احمد (١٩٦١) وابو بكر خيرت (١٩٦٣) الى جانب مشاهير المطربين ومنهم محمد عثمان ، وعبده الحمولي ، وسلامة حجازي .. واساطين الممثلين مثل : جورج ابيض ، وعزيز عيد ، وروزا اليوسف ، ونجيب الريحاني ..

وذكرت — بتداعي المعاني — زميلا عاملا وفنانا معاصرا لهم ورائدا من رواد الحركة الموسيقية العربية الحديثة ، المرحوم اسكندر شلفون الذي اختطفه الموت عام ١٩٣٤ في حادث أليم ، مختصرا عمره قبل ان يستوفي عمله ، طاويا ذكره في ضباب الزمن فظل في مكمنه تتخطاه الاضواء المسلطة اليوم على رفاقه ومعاصريه .. وقد أتيح لي ان التقي به مرات في القاهرة ، واحادثه واعرفه واستمع الى الحانه ، واطلع على آثاره ، غير ان تقدير مثل هذا الفنان الراحل يجب ان يحدد بمقاييس العصر الذي عاش فيه ، والوسط الذي اكتنفه .. وقد نشأ شلفون في عصر يتوارث فنانوه الموسيقى الشرقية القديمة وبخاصة التركية والفارسية ، وآلاتها وانغامها التركية المسميات ، و « البشروات — البشارف » والادوار و « المرشات » ، ثم الموشحات العربية التي تلقن ألحانها بالسماع ، وقلما تسجل في علامات « نوتة » موسيقية وينشدها المطربون والمطربات على « التخت » التقليدي .. ووسط هذه الموروثات كانت تتسرب الآلات الغربية كالبيانو والقيثارة وغيرهما ، والالحان والاغاني والاوبرات الاجنبية ، فيعمد بعض الملحنين الى التجديد والابتكار ، مستلهمين الروح المتطور والمستحدثات الفنية، وداعين الى تطوير الموسيقى القديمة وتقويمها ..

وولد اسكندر شلفون بالقاهرة في ٤ من اكتوبر ١٨٨١ وقضى بها جل حياته ، وان غاب عنها احيانا في بعض الاقطار العربية او الاوروبية ، ثم قضى نحبه خارجها .. وكان ابوه بطرس شلفون من كبار موظفي وزارة المالية ومن هواة الموسيقى الشرقية ، وكان يحلو له ان يؤلف في بيته تختا من اولاده الثلاثة — فريد واسكندر ونجيب — يعزف كل منهم على آلة معينة .. فنشأ اسكندر في بيت لا تنقطع فيه الالحان — يذكر ببيت «امير الكمان» سامي الشوا بالقاهرة — واخذ منذ طفولته يوقع على مختلف الآلات التي يراها حوله في المنزل ، كما راح والده يعلمه منذ الخامسة من عمره قواعد الموسيقى وانغامها ، والحقه في الوقت نفسه بمدرسة « الفرير » بالخرنفش في القاهرة ، وتخرج فيها مجيدا اللغتين العربية والفرنسية ، مولعا بالادب ونظم الشعر ..

ويروي فناننا بعض ذكريات طفولته وصباه في احد اعداد مجلته عام ١٩٢٢ : (١)

« كان ابى بطرس افندي شلفون رحمه الله من كبار الموسيقيين . وكنت في الخامسة من عمري ، فآنس في المواهب الموسيقية تتلهب . فبادر الى تعليمي . انه لم يعلمني العزف لانه ابصرني اتناول الآلات على اختلاف انواعها ، وكانت متوفرة في بيتنا فأتداولها قليلا فأحسن العزف عليها ، ولكنه علمني القواعد والانغام والبشارف والاغاني والموشحات وغير ذلك من المواد الموسيقية . فلم ابلغ السابعة من العمر حتى كنت موضع اعجاب جميع عشراء ابي ... زار ابي سعادة فريد باشا بابازوغلي — صديق ابي المرحوم — وكنت في الثانية عشرة من عمري ، فأبصرني اعزف على الكمانجة بما ادهش سمعه ، فقدم لي كمانجة هدية لا تزال في حوزتي تذكرني بهذا العهد

القديم ـ وسعادة فريد باشا بابازوغلي اشهر من ان يعرف ، وهو من كبار الموسيقيين الفنيين ..

ثم يقول لمنافسيه ومتنقصيه :

« وليذهب اولئك الى حضرة الاديب الكبير جورج افندي طنوس صاحب المنبر سابقا ومحرر القصص اليوم (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) فيعلمهم عني اخبارا كثيرة منها انني كنت الحن الروايات واعلمها في الجمعية التمثيلية التي انشأها في ١٩٠١ باسم « مجتمع التمثيل العصري » ، وسواها من الجمعيات . ومنها ان الاستاذ الشيخ سلامة حجازي رحمه الله (توفي ١٩١٧) كان يعجب بالحاني ومؤلفاتي الموسيقية التي كنت الحنها ولم اكن ابلغ بعد السابعة عشرة من العمر ، بل يخبرهم ان الشيخ سلامة حجازي اختارني لادون له الحانه بالعلامات الموسيقية بعد ان عانى الامرين مع من يدعون كتابة الموسيقى .. »

ولم يكن احتراف الموسيقى في ذلك العهد وسيلة هينة لكسب الرزق وبخاصة للشباب ، فالتحق فناننا بأحدى وظائف وزارة الاشغال في الحكومة المصرية منذ ١٥ مارس ١٩٠٠ وهو بعد في التاسعة عشرة ، وظل بها الى مايو ١٩١٩ حين ترك الوظيفة ليتفرغ بكليته لفنه الموسيقى وحده ، وان كان لم ينقطع خلال تلك السنوات عن ممارسة الموسيقى والاطلاع والكتابة .. واعانه المامه باللغة الفرنسية على دراسة المؤلفات الاوروبية الفنية والادبية .. والف في تلك الفترة رواية ادبية ، ونشر في الصحف والمجلات فصولا في الموسيقى والادب ، ووضع عددا من الالحان ، وحاول تأليف « الاوبرا » .

ولم يطل جهاده الفني الذي كرس له بقية حياته ، متفرغا للعمل الموسيقي وحده اكثر من خمسة عشر عاما (١٩١٩ ـ ١٩٣٤) فقد قطعه حادث وفاته ببيروت . وكان الطريق وعرا ، والثمرة المادية لرب الاسرة لا تسد الرمق ...

بدأ فناننا بأنشاء معهد بالقاهرة لتعليم الموسيقى سماه : « روضة البلابل » ، افتتحه بشارع الفجالة ثم نقله الى مكان ارحب ، وجعل منه مدرسة باسم « المعهد الموسيقي المصري » يعلم فيها الطلاب الموسيقى العربية والنوتة الموسيقية والعزف على مختلف الآلات ، كما افتتح مكتبة لبيع الآلات والادوات والمطبوعات الموسيقية ، واستورد بعضها من الخارج ..

وفي اول اكتوبر ١٩٢٠ اصدر العدد الاول من مجلته : « روضة البلابل » وكتب تحت عنوانها : « مجلة موسيقية فنية ادبية شهرية ، سنتها عشرة اشهر » .. وثابر على تحريرها ونشرها سبع سنوات ، اذ توقفت بعد عددل اول فبراير ١٩٢٧ .. وكان ينشر في كل عدد منها موشحة قديمة او دور او نشيد حديث ، او اغنية من نظمه . يدون مع كلماتها علاماتها الموسيقية « النوتة » في صفحتين كبيرتين او اكثر لتعزف على البيانو وسائر الآلات .. ومن الموشحات التي سجلها بالنوتة : قف على اكناف رامه ، وليالي الوصل عندي عيد ، وكللي يا سحب تيجان الربى ، وحير الافكار بدري الخ ... كما سجل بها عددا من البشارف منها : بشرف عثمان بك ، وقره بطاق، والنظير ... وغيرها .. وعددا من « المارشات » القديمة مثل الجزائرلي ، وعاصم .. ومن الادوار القديمة انت فريد في الحسن ، ويا ميمتي ، وجددي يا نفس حظك ... وقد هدف من ذلك الى الاحتفاظ بالحان التراث العربي القديم عن طريق « النوتة » العصرية المتداولة في الشرق والغرب ..

وكان انشاؤه لمعهده ولمجلته، معاصرا للحركة الوطنية ـ ثورة ١٩١٩ وما اعقبها ـ فاسهم في هذه الحركة التحريرية بموسيقاه ـ ووضع عددا من الاناشيد الوطنية والاغنيات نظمها ولحنها ونشرها ومن ذلك : أحب بلادي، ومارش الترحيب بسعد زغلول ، ومصر ، وتوت عنخ آمون ، وانا انتهيت ، وقد نظم هذه الانشودة الاخيرة عقب وفاة سعد زغلول واستوحاها من العبارة الاخيرة التي نطق بها على فراش الموت . وجاء النظم في سبع رباعيات من الشعر الزجلي مع علاماتها الموسيقية ، ونشرتها مجلة « مصر الحديثة المصورة » في عددها الاول ، ومطلعها :

انا انتهيت انا انتهيت وبحكم رب السما ارتضيت
قضيت حياتي في خدمة بلادي والرب يعلم باللي نويت
انا انتهيت

والى جانب مقالاته الادبية والتاريخية والفنية الخاصة بالموسيقى والدعوة الى نشرها بين الشعب ، والنهوض بها تحقيقا للشعارين اللذين وضعهما على غلاف مجلته : « اذا شئت ان تعرف مكان أمة من العلم والاخلاق فابحث عن موسيقاها » و « الموسيقى سر من اسرار تقدم الامم » ـ فقد افسح صدر مجلته « روضة البلابل » لمقالات الادباء والفنانين في الموضوعات الموسيقية ، وافرد بابا لنقد المؤلفات في هذا الفن كنقده في مقالات مسلسلة لكتاب « النسب الموسيقية» الذي نشره معاصره الموسيقار منصور عوض .. وبابا لشرح وتعليم النغمات ، وقياس المسافات على الاوتار ، والتدريب على استخدام آلات الموسيقى .. وغيرها من الدروس ..

ونشر في « روضة البلابل » روايته الغنائية « أوبرا » : « السبايا » مسلسلة ابتداء من عدد يناير ١٩٢٣ (ثم اصدرها في طبعة خاصة ، وتعتبر من اروع ما كتب وقد تحدث عنها الشاعر اللبناني سعيد عقل حديثا مطولا في اذاعة بيروت عام ١٩٣٨ « الاديب ») .. وهي من تأليفه ونظمه وتلحينه ، في ثلاثة فصول ، وجعل مسرحها في رومة القديمة واشخاصها من قادة الرومان والشعب والسبايا .. وذكر في هامشها ان « الرواية الغنائية هي الشعر فقط اما النثر فقد اضفناه اليها

للزيادة في الايضاح » .. كما ذكر في مقدمتها انه نظمها ولحنها منذ عام ١٩١١ . وترقب الفرصة لابرازها على المسرح ، ولكن لم يقدر لها الظهور . فقدمها في مجلته (يناير ١٩٢٣) للجمهور : « الذي لا يتردد امام الاشياء ، بل ينطق بحكمه بشرف ونزاهة ، مجردا عن كل غاية وبعيدا عن كل تأثير » . ثم لخص روايته وموضوعها التاريخي الاسطوري في بضع صفحات ، وافتتحها باجتماع شعب رومة في الساحة الكبرى يطلب الحياة الحرة وينشد لها :

املئي الكون جمالا زاهيا	اطلقي شمس النهار
واسكبي للزهر خمرا صافيا	حركي ماء البحار .
وامزجي الاثمار في جناتها	لبنا فيه العسل
وقلوب الناس في هزاتها	قوة تحيي الامل .
ارسلي صبحا على وجه الغدير	نسمات محييه
واملئي الوديان بالخير الوفير	والحقول الناميه .
انت روح لفؤاد الكائنات	في الورى منذ الازل
كل اجزاء البرايا في الحياة	اخذت منك الشعل

وتختم الرواية بانتصار الشعوب التي سبى « روميلوس » صباياها ونساءها بعد حرب طويله ، واستولوا على رومة بقيادة تاتيوس الذي ساعدته حبيبته الرومانية « تاربيا » ...

وألف اسكندر شلفون ثلاث روايات اخرى هي : « صبر العذارى » و « معبد النيران » و « منهل العبرات » ولم يكتبها للمسرح ..

وفي عام ١٩٢٧ نشر اسكندر شلفون كتابا (في ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير) بعنوان : « تاريخ الموسيقى العربية » تأليف جول روانت « الجزء الاول نشر تباعا في مجلة روضة البلابل ـ وهو القسم الاول من دائرة المعارف الموسيقية التي اشترك في وضعها طائفة من اساتذة المعهد الموسيقي الفرنسي .. » واضاف اليه شلفون من الهوامش والتعليقات والنقدات والتصحيحات ـ ما يوازي في الحجم نص الكتاب الفرنسي .. واستعان بكتاب « الاغاني » العربي وبغيره ، في كثير من الاضافات الخاصة بتراجم مشاهير الغناء والموسيقى في العصور العربية القديمة .. كما وصف في هوامشه آلات الموسيقى العربية وتقسيم نغماتها ، وانتقد المؤلف الفرنسي في كثير من الاحكام ..

ثم رأى ان يؤلف قاموسا في فن الموسيقى ولم ينشره اذ توفي قبل اتمامه ..

وكان قد كتب تقريرا قدمه الى « وزارة المعارف » عام ١٩٢٢ عن حال الموسيقى العربية في عصره ، ووسائل النهوض بها ..

ولحن اغنيات لبعض المطربين والمطربات من معاصريه ، مما سجل على اقراص « الجراموفون » ـ ولم تكن دولة الاذاعة والراديو قد ظهرت بمصر بعد ـ كما شارك في العزف بتلك التسجيلات ـ وكان يرعى من تلاميذه وتلميذاته من يكتشف فيهم المواهب الموسيقية او جمال الصوت ، ومن هؤلاء المطربة الناشئة يومذاك : « عين الحياة » ـ وكانت من الاسر الكريمة المحافظة واشتهرت في العشرينات ثم اعتزلت الفن بعد زواجها ـ فقد عاونها على تسجيل اغانيها في اكثر من عشر « اسطوانات » ، ولحن بعض اغنياتها ومنها : « نصال من جفونك ام سهام » ..

وكان في الوقت نفسه يشارك فناني « نادي الموسيقى الشرقي بالقاهرة » ـ صفر علي ومصطفى رضا وغيرهما من عمداء هذا المعهد ـ في العمل على ترقية الموسيقى العربية ..

وطاف ببعض الاقطار في رحلات فنية فزار تونس للبحث عن بعض المخطوطات ، وعن تراث العرب في الموسيقى ، متعاونا مع البارون رودلف درلنجيه احد المستشرقين ، وهناك قابل باي تونس فأهدى اليه وساما .. كما سافر الى فرنسا لزيارة معهد الموسيقى « الكنسرفتوار » والتعرف الى فنانيه .. وقام عام ١٩٣٠ برحلة لاقامة حفلات موسيقية مع تلميذته المطربة « سوسن » (وهي الوحيدة الان التي تحفظ له عدة الحان لم تسجل ، وكان يجدر بالاذاعات العربية تسجيلها حفظا للتراث الفني « الاديب ») وتنقل بين الاسكندرية وفلسطين وسورية ولبنان .. وفي لبنان دعي لالقاء المحاضرات عن الموسيقى في بعض الاندية الفنية .. (٢)

ولم يجمع معظم كتابات وابحاث ونقدات اسكندر شلفون المتفرقة في الصحف والمجلات في مجموعات ومجلدات ، وكذلك أشعاره وازجاله التي كان يفتن في نظمها واوزانها لتطابق الالحان والنغمات ، ثم هذه الالحان المدونة ـ وان كانت مجلدات مجلته : « روضة البلابل » في سنواتها السبع ما زالت تحتفظ بالكثير من آثاره الادبية والفنية لمن شاء البحث والنقد والتقييم لهذا الرائد .. ويلاحظ انه كان يوقع الكثير من مقالاته وأبحاثه « بامضاء مستعار » مثل : بستاني الروضة ، وصاحب الروضتين ، وكردانس ، والبلبل الحزين ..

---

(١) مجلة « روضة البلابل » عدد ١٠ السنة ٢ ـ أول يوليه ١٩٢٢ ـ

(٢) هامش الاهرام ـ للصحافي العجوز « توفيق حبيب » ونشره في كتاب تراجمه « برسوم العربان وآخرون » ـ القاهرة ١٩٣٤ ص ١٥٠ ـ ١٥٤ ـ (٣) محاضرة القاها شلفون قبيل وفاته على أعضاء « جمعية التضامن الادبي » في بيروت بعنوان : « معنويات الموسيقى » ونشرتها « مجلة الناشئة البيروتية » ـ (٤) رسالة خاصة نشرتها « مجلة الفنون الجميلة » ببيروت في ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٣٧ ـ (٥) لقد اختفت جميع مؤلفات اسكندر شلفون وكتاباته المخطوطة بعد وفاته بما في ذلك « القاموس الموسيقي » الذي انتهى من تاليفه . ورثاه كل من الاخطل الصغير وامين نخلة بقصيدة . ولزيادة المعلومات نحيل القارىء الى عدد مجلة « الاديب » الجزء ١٠ السنة ١١ (١٩٥٢) صفحة ٣٤ : « اسكندر شلفون الاديب الشاعر والعالم الموسيقي » بقلم منير الحسامي (الاديب) .

وقضى شلفون سنيه الاخيرة متبرما ، حائرا متشائما فالناس حوله لا يقدرون الموسيقى والادب ، ولا يفهمون الفنان ولا يرعونه .. وقد اغلق مجلته عام ١٩٢٧ ثم معهده ، والتمس الرزق من العزف على « التخت » .. والحق انه لم يتفرد ببؤسه في عصر كان الشرق العربي جميعا لم يزل مخدرا بأفيون الاستعمار التركي ووريثه الاستعمار الاوروبي ، فلم يدع له جهاده المرير في الخلاص من ورطته ، فرصة الاهتمام بالموسيقى وسائر الفنون الرفيعة .. وعاش الفنان يومذاك غريبا ضائعا يبدأ حياته من الحضيض ويقضي زهرة العمر في فقر ، فاذا اسعفه الحظ في أواخر العمر بشيء من المال ، لا يلبث ان يتبدد ولا يبقى بعده شيئا .. هكذا كانت قصة حياة سلامة حجازي ، وسيد درويش ، وكامل الخلعي ، وداود حسني ، وزكريا احمد ، واسكندر شلفون ، والقصبجي .. وغيرهم من اساطين الموسيقى والتلحين ..

غير ان الموسيقار اسكندر شلفون كان في الوقت نفسه كاتبا وشاعرا ، ولهذا عمد الى تصوير آلامه بقلمه ، وترك في مجلته ومحاضراته ورسائله الخاصة ، صفحات قاتمة مليئة بالنقد والشكوى والمرارة ورثاء المثل العليا ـ وهو في الواقع كان يعبر عن حال الفنانين في عصره ، وما يلاقونه من شدائد بسبب انصراف الناس عن الفن واهله .. فنراه في محاضرة القاها ببيروت اواخر ايامه (٣) يصف شعور الموسيقى ودقة حسه ، ويقول : « .. لذلك تجد الموسيقار المطبوع متطرفا في حبه او بغضه ، عنيفا في رضاه وفي غضبه ، شديدا في وفائه وفي انتقامه .. قاسيا في امله وفي يأسه .. ولذلك وجب ان يكون الفنان احق الناس برحمة الناس ، واين الرحمة في قلوب الناس ؟ وجب ان يكون الموسيقار احق الناس بالعدل والانصاف ، والرفق والحنان ، والناس لا يعطونها بل هم يطلبون ذلك عندما تحل بهم النكبة وتصيبهم الهزيمة ، ويهبطون من قمة القوة الى هاوية الضعف .. »

ثم يعرج الى التحدث عن نكبته :

« أوليست هي قسوة الناس التي وقفت بروضتي الموسيقية عن النمو والازدهار ؟ او ليس هو ظلم الناس الذي حطم اليراع بين اصابعي ، وجعلني امزق اوراقي واطوي صحائفي ؟ او ليس هو حسد الناس الذي ابعدني عن وطني ، وشردني في جوانب الارض وبلاقعها ؟.. او ليست هي شراهة الناس وطبائعهم الجامحة هي التي جعلتني اهدم وكري واتمرد على النظم واسير حائرا بلا وكر ؟! ... »

وكذلك يقول في رسالة خاصة أرسلها الى صديقه الموسيقار الكسي اللاذقاني ونشرتها « مجلة الفنون الجميلة ببيروت » عام ١٩٣٧ ـ بعد وفاته : (٤)

« ... ماذا تريد ان أقول لك يا صديقي العزيز ، وماذا تبتغي ان اكتب ؟ لقد كان الادب والفن نكبتين على

ويع السنين

الى الشاعر الكبير الصديق امين نخله

حتى التوافه أمست ، في نذالتها ،
تبدي التحدي .. وما كانت تحداني !
ويح السنين ! وليست ذات معرفة
بما تجاهد في تقويض أركاني ..
أشد ظهري ، وأمشي حاملا ثقلي ،
آبى الخضوع ، وآبى ذل خسراني
أمشي .. فأسمع نعيي أينما اتجهت
أشواق نفسي .. كان الكل ينعاني !

حلب **علي الناصر**

حياتي ... انا أحبك يا الكسي ومع ذلك هل سمعتني شكوت اليك ؟ هل رأيتني مرة افتح لك كتاب الامي وشجوني، واكشف لك الستار عن دنيا مصائبي ولوعاتي ؟ وهل رأيتني مرة الا باسما هازئا مستهترا ؟ هكذا اصبحت وهكذا سادوم حتى أموت ! ولكني اذا تناولت القلم فالمصيبة عظمى ، لان ذلك القلم يحرك الساكن ، ويثور بالكامن ويوقظ الراقد ! دعني في يأسي ـ او عد وضع يأسك الى جانب يأسي . فاذا ما احتدم اليأسان ، قد ينبت منهما ما يسمى برعمة ، وقد تنمو البرعمة فتصبح زهرة ، والزهرة اما أن تكون يوما من الايام حلية لصدر عروس ، او تكون دمعة فوق احد القبور !! .. »

ثم شاء القدر ان تكون خاتمة مطافه وحياته مقرونة بفاجعة !. كان ذلك عند ظهر يوم ١٤ مارس (آذار) ١٩٣٤ احد ايام الربيع الباسمة ، وقد جلس اسكندر شلفون يكمل ترجمة ديوان « الجبل الملهم » للشاعر اللبناني باللغة الفرنسية شارل القرم ، ينقله نظما الى العربية ، في كازينو كوكب الشرق ببيروت فهوت القهوة على من فيها ، واخرج فنانا من تحت الانقاض جسدا هامدا ..

وشاءت الاقدار ايضا ان تلتقي هناك روحه مع روح صديقه القديم ـ الاديب طنيوس عبده ـ وكان قد ارتحل للاستشفاء بلبنان ، ومات عقب وصوله بثلاثة ايام في ٢٢ من ديسمبر ١٩٢٦ ، فكانت الجنة اللبنانية مثواهما .. وفي قمة ذلك البناء القديم الذي قام على اطلال منتدى « كوكب الشرق » فاضت في صومعته منذ ايام روح الشاعر الاخطل الصغير مخلفا برجه العالي نصبا فنيا فوق تلك المقبرة الضائعة (٥) .

الاسكندرية **نقولا يوسف**

قمقم الذهب

الى ابراهيم المصري

في القاهرة

وتلاقينا ، فقلنا : عجبا ... من ترى يعرف منا السببا
ان يكن شوقا فقد مات الهوى ... أو يكن لهوا فقد ولى الصبى

.. فتح الباب ومدت يدها ... (مرحبا) واطيبها من (مرحبا)
خلت ان البيت ، بيتي ، كله ... ما جفا الجفن والا القلب نبا
مطمئنا ، سرت في فسحته ... أرفع الصوت ، واعلي القببا
وأعد اللون في ألواحه ... والمصابيح ، وتلك الكتبا
والمحاريب على جدرانه ... والصدى ، والمغلق المرتقبا
غرفة ناءت عليها غرفة ... وستار خفت ان ينسحبا .

وأهاديها ، فتصحو ريبة ... وتهادني فأنسى الريبا
عاتب لمحا ، فان أعيابها ... عتبي ، ملت اليها طربا
ألثم العين التي ترمقني ... واليد النشوى ، وتلك الهدبا
وشموخا كان عندي المشتهى ... وحنينا كان ، عندي ، المأربا

هذه ((اللوحة)) في هالاتها ... قصة ، أختاه ، تروي العجبا
يوم اعطيتك أجفاني وما ... خبأ السفح وهاتيك الربي

وبلادي :
قبلة طيبة
وشبابي :
قبلات أطيبا

يوم علمتك ان المجتنى ... قمقم نسكب فيه الذهبا
لؤلؤ ، من حبة في حبة ... حبس الضوء وسد المهربا

يوم كنا نسمة هائمة ... نقطع السهل ونطوي الهضبا
ونرود الامل الصعب ، كما ... رادت الرؤيا المدى المحتجبا
نبدع الحرف على تكوينه ... عصبا ، ننسج منه العصبا
وابتهالات كلألاء الندى ... وأحاديث كأنفاس الصبا
عازف ، يعزف من الحانه ... واهب ، يرشف مما وهبا
... ثم غابت في الحواشي لمحة
... ثم عادت خبرا مقتضبا
... ثم ودعت على سلمها ... ، في المقادير، الضحى والمغربا
كل عمري قبلة هاربة ... كل كاسي شربة لن تشربا
تعبت نفسي من نفسي كما ... يتعب الغاصب مما اغتصبا

الياس خليل زخريا



ابراهيم المصري

رابندرانات طاغور

بقلم ابراهيم المصري

* * *

لفن طاغور المسرحي طابع خاص . فهو فن لا يعنى بذلك التقسيم الآلي او تلك الحبكة الروائية المنطقية الملحوظة في معظم آثار المسرح الاوروبي .

وانه ليخيل الي ان مسرحيات طاغور قد كتبت لتمثل في الهواء الطلق ، وتختلط بعناصر الطبيعة ، وتندمج في القوة الابدية الخالقة . فمسرحياته لا تصور الواقع تصويرا مباشرا ، بل ترف عليه ، وتلمسه لمسا رقيقا . ومن خلال استعارتها ومجازاتها ورموزها تميط لنا اللثام شيئا فشيئا عن اعمق الحقائق البشرية .

فمسرحية « شيترا » مثلا تعتبر قصيدة من الشعر الخالص ، قصيدة في قالب حكاية ، قصيدة تأملية عن المراة ومعنى الحب ، يحاول الشاعر ان يرسم لنا فيها كيف ان الاجسام مهما تحابت فهي عاجزة عن الاتصال بالارواح ، وكيف ان الطبيعة تخدع الناس بوهم اللذة الحيوانية ووهم القوة البدنية . فتظن المراة انها محبوبة لنفسها بينما هي اللذة التي ينشدها الرجل فيها . ويظن الرجل انه محبوب لشخصه بينما هي القوة التي تنشدها المراة فيه . وكل هذه الاعراض المادية ليست في عرف طاغور الا مظهر عبودية الجسد للطبيعة .

فالطبيعة تحكمنا بوساطة الجسد ، والجسد تكبله الفريزة ، والفريزة تنزع الى كل ما هو مادي ومحدود .

فالشاعر وهو يصور لنا سلطان الجسد والفريزة ، ويبين لنا كيف ان هذا السلطان القاسي ينحدر بالحب عند الرجل الى طلب اللذة وعند المراة الى الولع بالقوة ، انما يريد ان يحررنا من طغيان الفريزة والجسد ، ويدفع بنا الى مكافحته والتفوق عليه ، بحيث يمكننا ونحن نحب ان نضع تفاهم الفكر وتوافق القلب وتآلف العاطفة والوجدان فوق مشتهيات الجسد الفاني ، فنستطيع ان نلهب فينا شعلة الروح الخالدة ، وان نتواصل في جوها الرائع غير المحدود ، حتى ولو تجردنا كل التجرد من نوازع الجسد ، واصبحنا في الحب اشباه ملائكة .

فحب الروح هو الذي يخنق الرذائل التي يولدها حب الجسد ، كالانانية والغيرة والحيازة والحقد عند القطيعة والرغبة في الانتقام . وهو الذي يرتفع بنا ، ويسمو باهوائنا وميولنا ، ويحقق اندماجنا الكامل في الشخص الذي نحب ، ويجعل من الحب سبيلا لابداع انسان متفوق اعلى .

هذا هو جوهر مسرحية « شيترا » .

اما في المسرحية الثانية « مكتب البريد » فيصور لنا طاغور شخصية « آمال » ذلك الفتى الحدث المريض الذي ارغمه الطبيب على الراحة ، وحذره من حرارة الجو وبرودته ، وحبسه بين جدران اربعة . فأخذ الفتى يتأمل الحياة الفسيحة من خلال قضبان نافذته ، ويتطلع الى السماء الصافية تارة ، والى الارض المكفهرة المائجة تارة اخرى ، ثم يستوقف المارة ، ويحادثهم ، عساهم ان يرفهوا عنه بأن يقصوا عليه اغرب النوادر واحسن القصص . ويظل « آمال » يجيل الطرف حوله فلا يرى غير عمدة القرية الغليظ ، واللبان الساذج ، والفتاة « سودها » بائعة الزهر الحسناء التي تلوح له بازهارها الناضرة الندية وتبتسم . فيفكر الفتى « آمال » في الحياة البعيدة الغامضة التي يجهلها ، ويتمنى لو استطاع ان يخرج من سجنه ، ويذهب فيقطف الازهار ، مع الحسناء سودها ، ويرحل في صحبة اللبان حيث الماعز والبقر ، ويقفز بغتة فيضم اليه صدر الطبيعة العريض ، ويمرغ عليه وجهه الشاحب المحموم .

فشخصية « آمال » هذه تمثل طور الحداثة الذي يمر به كل فتى وفتاة . وما سجن مرضه الا رمز لسجن الحداثة الذي طالما شقينا ونعمنا فيه . فارواحنا في تلك السن تهفو الى معرفة الحياة ، وتتوق لاعتناقها والفناء فيها ، وتحس انها عاجزة مكبلة فتنفق الساعات الطويلة في التحرق والتأمل والحلم .

ولكن ابدع ما في هذه المسرحية هو ان « آمال »

جعل يحدق في اعمدة مكتب البريد واسلاكه ، ويتصور ان اميرا عظيما يهيمن على شؤون القرية ، وان هذا العمود المرتفع هو رايته ...

ثم تروق الفكرة للفتى فيندفع ويسائل نفسه ما اذا كان يمكن لامير عظيم ان يكتب خطابات كجميع الناس ، وما اذا كان يمكن لـ « آمال » ان يكتب الى الامير العظيم خطابا ، وما اذا كان يوجد في مكتب البريد خطاب من ذلك الامير العظيم اليه ...

فهو ينتظر ... ينتظر رسالة الامير العظيم ، والمرض يعصف به ويكاد يجهز عليه . وما رسالة الامير هنا الا رمز لقوة الامل في الحياة ، وقوة الشوق الى المعرفة والعمل ، وقوة الغيب المنقذة التي تعلل بها الحداثة نفسها فرارا من سجنها الضيق وتطلعا الى دنيا الرجولة والحرية .

ففي هذه المسرحية شعور عميق بعظم الفارق بين الحلم والحقيقة ... ولكنه شعور لا يولد في النفس عوامل الخيبة والحسرة واليأس بل يضاعف فيها حب الجمال والمعرفة ، ويجدد في اطوائها قوى الامل والطموح والجهاد .

ومع تفوق طاغور في هذا النوع من التمثيليات ذات الطابع الشعري ، فانت لا يمكنك ان تعرفه وتتذوقه تماما الا في شعره الخالص الذي يلتقط حقائق الحياة الباطنية وهو يسبح في جو من التصوف الفاتن والغزل الرقيق .

واليك هذه الامثلة من شعره :

الحبيب الاعظم

الشتاء الليلة يحمل نسمات الربيع ، والهواء يرف حولي كأنه يتماوج على شراع من حرير ، والاغصان تتهامس ، والريح تغمغم ، والصمت يشبه آنية كبيرة يتساقط فيها الحلم كالرحيق ...

ما اسعدني بهذا الحلم وان كان مبهم الصورة في خاطري ...

في اي شيء احلم ، وفي اي شيء افكر ، لا ادري ...

انا سابح في فتور حواسي ، ممعن في تنشق النسمات جهدي ، مستغرق في السهوم والشرود كأني روح حائر تطوف به اشباح ...

نعم . ادركت . فهمت السر ... لقد تخلصت من عقلي ، وتحررت من بدني ، وتجردت من ماديتي ، وانطلقت على اجنحة هذا الحلم المبهم الغامض ابحث بالرغم مني ، وفي نشوة شرودي وسهومي وخلاء نفسي، عن ذلك الحبيب الابدي المطلق العظيم الذي هو انت يا ربي ! ...

نور الله

هوذا الحائط الكبير ينشق ، ونورك الساطع يا الهي ، نورك الشبيه بضحكة ناضرة وخاطفة ومجلجلة ، يندفق من الحائط فجأة ويفمر الدنيا !...

ان قلب الليل نفسه قد اخترقه نورك العظيم . وانت بسيف نورك الباتر تمزق حجب الشكوك وتقطع عقد المخاوف والاوهام ! ...

اسرع ... اسرع الي ايها الرائع المروع في بياضك الناصع الذي لم يَشُبْه اي دنس ! ...

ان طبول نورك تدق اغنية من لهب ، وشعلة نورك ترتفع في الفضاء كراية تهتف بفرح الحياة ، والموت تجاه نورك ينهار ويحتضر في تفجر يملأ دويه قلب العالم !...

الا ان هذا النور لهو انتصار الفرح ... فرح الانسان بخلاصه من ذله ، وخلاصه من رجسه، وخلاصه من نفسه ، وعودته طاهرا نقيا اليك ! ...

عند قدومك يا محبوبي

حين تأمرني بالانشاد يخيل الي ان قلبي يجب ان يتفطر كبرياء وعزة . فانظر الى محياك ويتوارد الدمع الى عيني .

كل ما في حياتي من نغم ابح غير متناسب يذوب في انشودة فردة منسجمة صافية ، وتنشر عبادتي اجنحتها كطائر في فراره على عرض اليم .

اني عالم بانك تجد لذة في نشيدي .

اني عالم باني لن احظى بالمثول في حضرتك الا كمنشد فقط .

ان نشيدي المبسوط عن آخره يلمس بطرف جناحه قدميك التي كنت قد يئست من الوصول اليها .

وهانذا في نشوة الفرح بالانشاد انسى نفسي وادعوك بيا حبيبي انت الذي هو ربي !...

الخطايا الاربع

لماذا انطفأ المصباح ؟... لقد احطته بردائي لاجعله في مأمن من الريح . لهذا انطفأ المصباح ...

هذا هو الخوف ...

لماذا ذبلت الوردة ؟... لقد ضممتها الى صدري في لهفة وقلق . لهذا ذبلت الوردة ...

هذا هو خداع الحب ...

لماذا جف النهر ؟.. لقد اقمت حياله سدا ليخدمني انا وحدي ... لهذا جف النهر ...

هذه هي الانانية ...

لماذا انكسر وتر العود ؟ ... لاني اردت ارغامه على اعطاء نبرة عالية ... لهذا انكسر وتر العود ...

هذه هي الكبرياء !

بين الشاعر وحبيبته

قالت المراة للشاعر :

ـ اني لاحس اني ممتزجة بالتراب الـــذي تمشي عليه يا حبيبي ، واني انا نفسي ماء البحيرة الذي تستحم انت فيه ، وان وجهي هو المرآة التي تطالع فيها وجهك ، وان انفاسي هي الهواء الذي منه ترتوي ومنه تعيش .. فنظر اليها الشاعر وقال :

ـ وانت فوق كل هذا خاتم الذهب الذي يلمع فـي اصبعي ... وغاية ما اتمنى ان ابذل المستحيل كي اكون الحجر الكريم الذي يزين خاتم الحسن والولاء الذي هـو انت يا حبيبتي ! ...

حـوار ...

قال في غمغمة : ارفعي عينيك يا غرامي
فعنفته وقلت : اذهب !
ولكنه لم يتحرك !

ظل تجاهي ، وابقى يدي الاثنتين في يديه فقلت : دعني !
ولكنه لم يذهب !

قرب وجهه من وجهي . فنظرت اليه وقلت : يـــا للعـــار !
ولكنه لم يأت بحركة !

لمست شفتاه خدي فارتعشت وقلت : انـت تجسر على الكثير .
ولكنه لم يخجل !

وضع زهرة في شعري . فقلت : عبثا تحاول !
ولكنه لـم يضطرب !

اخذ عقد الزهر من عنقي وذهب .
اني ابكي واسأل قلبي :
لمـاذا لا يعود ؟! ..

فردوس الحرية

هنا حيث العقل لا يعرف الخوف ، والراس شامخ.
هنا حيث المعرفة تصطخب كأمواج البحر .
هنا حيث العالم لم يجزأ بين جدران ضيقة منفصلة.
هنا حيث تتصاعد الالفاظ من اعماق الصدق .
هنا حيث المجهود المطرد يمد ذراعيه نحو الكمال .
هنا حيث مجرى العقل الصافي لم يسر ضالا الـى الفناء في صحراء العرف والتقاليد القاحلة .
هنا حيث يتقدم الذهن تحت قيادتك نحو التوسع الدائم في الفكر والعمل ،
اذنك يا الهي ان تدع وطني يستيقظ فـي فردوس الحريـة هـذا ! ...

الشاعر والعصفور

برغم المساء الذي يدنو وئيـــد الخطى مسكتا كـل الاناشيد ،
وبرغم رحيل رفيقاتك وتعبك ،
وبرغم الخوف الذي يسري في الظلمات ،
وبرغم السماء المقنعة ،
استمع الي ايها العصفور ، يا عصفوري الصغيـر :
اياك ان تطوي جناحيك !...

ان الظلمة التي تكتنفك ليست ظلمة اوراق الغابة ، انها البحر الذي ينتفخ كثعبان هائل .
ان ازهار الياسمين التي ترقص امامك ، انما هـي زبد الامواج الذي يبرق تجاه عينيك .
انت بعيد ... بعيد جدا ... ايـن هـي ضفتك الخضراء المشمسة ؟
اين هي حياتك ، اين هو عشك ؟ ...
اما زلت تأمل في العودة اليه ؟ ...
استمع الي ايها العصفور ، يـا عصفوري الصغير :
اياك ان تطوي جناحيك !

الليل يتمدد على الطريق ...
والسحر يغفو خلف الجبيلات المظلمة .
والنجوم البكماء تعد الساعات .
والقمر الشاحب يسبح في الظلام العميق .
كل ما في الكون يخيفك !... كل مـــا في الكون يطردك ويدفعك مكرها الى عشك !...
ومع ذلك فاستمع الي ايها العصفور ، يا عصفوري الصغير : اياك ان تطوي جناحيك ! ..

لقد تضاربت الظلمات، واختلطت الاجواء، وعصفت بالسماء ريح عاتية ...
انتهى كل شيء !... لم يعد لك اي امل ! ..
لم يعد في وسعك ان ترســـل لا غمغمـــات ولا صرخات ! ...
لم يعد لك عش ولا فراش للراحة ! ...
ليس لك غير جناحيك والسماء اللانهائية ! ...
فعلام الخوف وعلام الحزن ؟...
حلق في الجو جاهدا . اضرب فـــي الفضاء مـا استطعت . عش طليقا حرا برغم الظلام والريح والموت .
واياك ، اياك يا عصفوري الصغير ان تطوي جناحيك !..

ايهـا المـوت

ايها الموت ، يا موتي ، قل لي لماذا تهمس في اذنـي بمثل هذا الخفوت ؟ ...
لقد تسللت الي في هدأة المساء والزهر يذبـــل ، والماشية تعود الى المذود ، ثـــم جلست خفية بجواري ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطفقت تنطق بكلام لا افهمه ...

اتعتقد اني اخافك ؟ ... أتأمل بكلامك ان تداهنني فتاسرني . ثم ترقدني في غمغمة خاطفة تحت افيون قبلاتك الباردة ، ايها الموت ، يا موتي ؟!..

اريد ان يقام لعرسنا قداس رائع !... اريد ان ابصر اكليلا من الياسمين منعقدا حول جدائل شعرك الوحشي !...

اريد ان ترسل الي من يتقدمك حاملا علمك !...

اريد ان تلتهب الظلمة كلها من نار مشاعلك الحمراء، ايها الموت ، يا موتي !...

فتعال اذن ... تعال على نغم اصطفاق صنوجك الصدفية ، تعال في ليلة فارقها النعاس . البسني الرداء القرمزي وضم يدي الي يدك وخذني . لتكن عربتك ببابي على استعداد . ولتصهل خيولك من عدم اصطبارها .

امط اللثام ، وانظر الي مواجهة وفي انفة وانقذني . انقذني من غدر الحب وغدر الامل وغدر الحياة ، ايها الموت ، يا موتي ! ...

هذا هو طاغور الكاتب المسرحي والشاعر . ولكن الرجل الى ذلك مفكر كبير وصاحب رسالة اجتماعية وانسانية ، اهتم بها ، ورصد عليها الكثير من جهوده ؛ وطاف بمختلف عواصم العالم مبشرا بها .

ولقد لخص المفكر الشاعر رسالته في كلمة جامعة عنوانها « غاية التطور » القاها في حفل كبير اقيم له في لندن !

غاية التطور

« ما الغرض من كل هذا الصراع في سبيل التطور . أهو توكيد القيمة المعنوية ام القيمة المادية . اهو البحث عن الفضيلة ام عن المال ؟ ...

كان المثل الاعلى عند الاغارقة ان يستطيع كل فرد بحسب قدرته وكفايته ان يحقق في نفسه اكبر القيم الفنية والدينية . ان يبلغ اقصى حد ممكن من الكمال الروحي عن طريق الفن والدين .

اما اليوم فالغاية الرئيسية للحضارة ان ينصرف الفرد الى تربية كفاءته العلمية وتنمية قدرته المادية كأنما هذه القدرة وتلك الكفاءة هما في ذاتهما المثل الاعلى .

وانها في الواقع لغاية جميلة حافلة بالمغريات تلك التي تلوح بها الحضارة العلمية الحديثة . فهي تقول لنا ، تفوقوا على انفسكم وعلى الطبيعة ، اعملوا وانتجوا وتنعموا ، فليست الحياة الا متعة رائعة يقدمها اليكم العمل الذي هو رسالتكم والمجد الخليق بكم .

هذا ما تقوله حضارتنا . ولكي تساعدنا على تحقيقه نستخدم العلم ، وتجري مختلف الاصلاحات بوساطة العلم ، وتضع الانظمة الاجتماعية والاقتصادية مهتدية بالعقل اي بالعلم ايضا .

ولكن هل يكفل العلم وحده سعادتنا . وهل لا تبقى مختلف مظاهر التحضر ـ مهما تعددت ـ فراغا في نفوسنا نود لو استطعنا ملأه بشيء آخر يسمو بنا الى افق ارحب من افق هذه الدنيا ، افق تتلاقى فيه ارواحنا وتتفاهم وتتعاون وتتحاب ؟ ...

يلوح لي ان جميع الاصلاحات التي في وسعنا ان ندخلها على انظمتنا الاجتماعية والاقتصادية بوساطة العلم لن تجعل من الانسان الا انسانا طبيعيا اي انها لن تنفعه الا في تنظيم علاقاته بالطبيعة وبالناس على اعتبار انهم اجزاء او ظواهر موزعة من تلك الطبيعة لا بد ان تسري عليهم برغم ذلك احكامها الشديدة من تنافس وتباغض وتحاسد وشقاء .

فالاصلاح العلمي والاجتماعي والاقتصادي ، قد يهذب من احكام الطبيعة وقد يلطفها ويصقلها . ولكنه لن يجعل من الانسان الا حيوانا ممتازا ولن يرسم للفرد ، كوحدة مستقلة ، سبيلا واضحا الى الكمال الروحي المنشود . اذ الكمال الروحي لا يتقيد في عرفي بالتقدم المادي وانما هو جوهر ابدي كامن في نفوسنا سواء اكنا متأخرين في الرقي المادي ام متقدمين .

والواجب ان نبحث في ارواحنا ما استطعنا عن هذا الجوهر الابدي ، ان نبحث عن مظاهره فينا ، وعن قواه المشتركة بيننا وبين الآخرين .

وعلى قدر احساسنا بهذه القوى يكون اتجاهنا نحو الكمال .

ولقد ادرك الكثيرون من قبلنا هذه الحقيقة فكانوا امثلة حية من الكمال الروحي دون ان تكون لهم حضارة كحضارتنا وعلوم كعلومنا ورقي مادي كرقينا .

لقد تعهدوا بالملاحظة والتربية قواهم الابدية فازدهرت وآتت ابرك الثمرات .

ولكن ما تلك القوى الابدية ؟ ...

هي الطيبة والرحمة والمحبة والايثار والتضحية وكل ما يجعلنا نحس اننا في غير حاجة الى الانظمة والقوانين كي نقر السلام في قلوبنا والعدل والاخاء بيننا وبين الناس .

واعجب ما اعجب له ان حضارتنا تعتمد على اصلاح الانظمة والقوانين لترقيتنا ثم لا تقرن هذا الاصلاح بالدعوة الحارة ، البعيدة عن التعصب لمذهب او عقيدة ، الى تلك القوى الروحية كمجموعة عناصر مشتركة ابدية يجب ان ننتفع بالفحم والحديد والبخار والكهرباء .

ولعمري ان كتيبا سهلا بسيطا في هذا الموضوع يضعه اديب عبقري وتجمع عليه الحكومات وتقرره وتطبع منه ملايين النسخ ويلقن للصبيان والبنات في مختلف

حلم

أحلم أن ألقاك

يا طفلي الحبيب

يا نغما لونه المحال

من صفرة الوداع والغروب

يحملني شوقي الى معارج الغيوب

فألتقيك في ذرى (آلاسكا) البيضاء

والشمس في عزتها أوهى من الشموع

ونحن في زحافة تنهل في الجليد

يشدني ساعدك الودود

خائفة : برود

مسندة : رأسي الى صدرك ، يا سماء

فلتمطري ثلجا

علـى ثلـج

علـى جليد .

أحلـم أن اراك

يا طفلي العزيز في مضارب الفجر

وحيث لا سلطان للنفاق

لا يخجل الانسان أنه من البشر

هناك ألقاك على وفاق

أرق من نسائم السحر

لا هـرة وحشية

لا زهرة الصحراء

ساقطها الندى

فلمت دونه الاوراق .

أحلم أن اراك

ولا مكان ، لا زمان ، لا خطى تريب

أنيم عيني بعينيك كما تنام

اشعة النجوم في بحيرة زرقاء

وتنقضي الايام والايام

وينطوي المساء والمساء .

بغداد — لميعة عباس عمارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدارس العالم ، لما يساعد عـلى تحقيق ذلـك الكمال الفردي وتلك الرابطة الانسانية اكثر الف مرة مما تساعد عليها هيئة سياسية مؤلفة من رجال ما يزال العقل فـي نظرهم اصل كل شيء والمصلحة الخاصة غاية كل شيء .

وعندي انه يجب ان تدرس للصبيان فوائد المحبـة بجوار فوائد الكهرباء . ومنافع الطيبة والرحمـة بجانب منافع الفحم والحديد ، اي يجب ان نقرن فـي نفوسهم العواطف الابدية بالمعارف وتطبيقاتها العملية . والا جاءت هذه المعارف وتطبيقاتها بعكس الغرض المنشود منهـا . فاكتسحت العواطف وردت الانسان الى وحشيته الاولى.

والحق ان العالم اليوم احوج ما يكون الـى الابديات تقرر ويعترف بها وتنظم في شكل معتقد مشترك انساني يفهمه الجميع ويشعر به الجميع .

فبالعقل والروح ، اي بالعلم واصلاحاته المبتكـرة ، وبالنفس وفضائلها الابدية يستطيع الانسان الجديـد ان يبني في فرح واطمئنان حضارة المستقبل .

هذه هي وصيتي اعلنها في العالم وانا علـى ابواب الموت ، كما الهمتها من الله الذي حاولت ان ارتبط فيـه بشعري ، فعلمني ان الارتباط الاعظم يجب ان يتم قبـل كل شيء بين الانسان واخيه في ظـل الحـق والرحمة والمحبة والحرية . »

القاهـرة — ابراهيم المصري

رسالة غير ودية

بقلم فاضل السباعي

دلفت « علياء » الى مدخل المدرسة . وأحست ، وهي ترتقي الدرجات العشر الرخامية ، بقلق صغير ينبثق في صدرها . وضغطت على المحفظة تحت ساعدها الايمن، محدثة نفسها : « انها هنا ، قد دسستها بين أوراق كتاب ! » . أجل ، فقد ضمتها في مظروف ابيض ، ثم دستها بعناية بين اوراق كتاب القراءة . واعلنت ، بينها وبين نفسها في غل ، بينا هي تجتاز الباب العلوي الى الصالة : سانتقم منها ... لسوف ابلغها رأيي فيها ، هذه المعلمة التي لا تعدل !

دخلت قاعة الدرس . رفيقاتها متوزعات بين المقاعد . وتوجهت نحو مقعدها ، الاقرب الى الباب والملاصق للجدار ، وهي تفكر بالم : حتى مقعدي ابعد ، هذا العام ، عن منضدة المعلمة : حين منحت « سعاد » ، بنت المعلمة ، المقعد الاول المواجه للمنضدة! لماذا ؟ حطت محفظتها على المقعد . حتى تكون في وجه أمها ، في عينها : « قومي ، يا سعاد ، الى اللوح وحلي هذه المسألة !»، « كيف نكتب كلمة : ما فتىء ، يا سعاد ؟ هيا الى اللوح فاكتبيها ! » ، « عوفيت يا سعاد . أخذت في الاستظهار عشرا على عشر؟» ... سعاد ، سعاد ، سعاد ! كله سعاد !!

اتخذت مجلسها . القلق الصغير ، تحسه الان أكبر . الوجيب في صدرها يتعاظم . لكن غلها سيشفى بعد قليل ، في الدرس الاول الآتي ، في الدقائق الاولى من الدرس ! لسعاد العشرات ، ولي انا : « عليا ، انتبهي الي ، يا عليا ! » ، « عليا ! اصمتي ، يا ثرثارة ! » ، « عليا ! قللي من حركاتك ، وكوني معي ، يا عليا ! » ، « عليا ! هل تنوين ان تكوني ، السنة ، آخر البنات ؟ » .. هذه « النية » ، التي ليست عندي ، بدأت تثمر : غدوت ، بقدرة قادر ، متأخرة في « الاملاء » ، التي ما أعرف اني نزلت فيها عن العشر ! تعطيني في امتحان أمس ، ثماني ، وتعطي ـ الظالمة ـ بنتها عشرا !؟

وتأوهت ، متمنية : آه ، يا ربي ، لم لم تجعل من امي ، والدة التسعة ، معلمة مدرسة ؟ كانت رفعت الغبن عني ! انا لا أطلب منك ، يا ربي ، ان تجعل امي معلمة كي تمنحني درجات فوق ما أستحق ، كما نفعل المعلمة مع بنتها ، ولكن لتمنع عني الظلم ، فقط ! فانا مجدة ، اعرف نفسي ، كما تعرفني انت ، يا ربي ! كسرت لي المعلمة ، أمس درجتين في امتحان الاملاء ، على غلطتين ما عودتنا ان تعتبرهما غلطا : « انا » بدون همزة ! « اتمنى » بدون همزة ! رفعت أصبعي ، حالما تسلمت ورقتي منها :

ـ آنسة ، هذه ليست غلطا !

وهي لا تلتفت الي .

ـ آنسة خانم .. آنسة خانم ...

وهي تتابع توزيع الاوراق على البنات . ودق جرس الانصراف ولم تفرغ من التوزيع. لحقتها ، وهي في الصالة تسير مسرعة ، وصوتي الشاكي يرتعش :

ـ آنسة خانم .. انا .. أخذت ثماني .. انظري ورقتي !

فردت علي في ضيق :

ـ اوه ، عليا ! دعيني الان .. في همي ! همها ، ابنها الذي طال مرضه !! وهمي انا ، من يسأل عنه ؟ والتفتت ، هنا ، ابنتها الي . أفلتت يدها من يد امها ، وكرت نحوي :

ـ انظري ، يا عليا ، ورقتي ... أخذت عشرا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ آريني ، سعاد .. آريني .

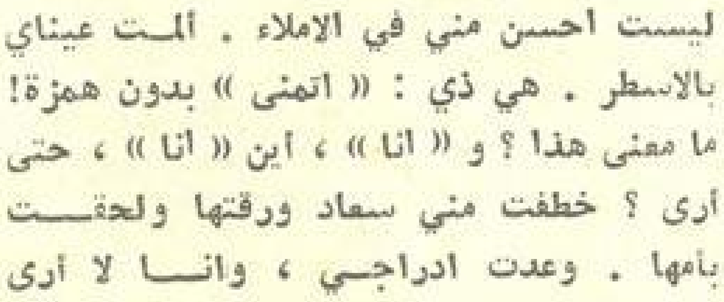
عشر ! يا الله ، هي ذي ، عشر ، نعم ! وأحست الغيرة نارا تحرقها . عشر ! سعاد ليست احسن مني في الاملاء . ألمت عيناي بالاسطر . هي ذي : « اتمنى » بدون همزة! ما معنى هذا ؟ و « انا » ، اين « انا » ، حتى أرى ؟ خطفت مني سعاد ورقتها ولحقت بأمها . وعدت ادراجي ، وانا لا أرى طريقي !

فكرت علياء في حقد : خطأ مظنون تكسر لي فيه درجتان ! وخطأ مماثل ، عند بنت المعلمة ، لا ينال من درجاتها العشر شيئا !!!

ثم تلمست كتاب القراءة في محفظتها ، بحثا عن ....

★

ودعت « الفت » طفلها بنظرة حزينة .



وأكدت ، قبل ان تغادر البيت :

ـ الحبوب ، كل ساعتين حبة . لا تنس . والحقنة ، « أم سعيد » تأتيك في العاشرة . هل أطمئن ، أبا الوليد ؟

أجاب زوجها بصوت يبعث على الاطمئنان الذي تنشد ، لولا شائبة تشوبه :

ـ يا ستي ، أعرف مهمتي . « واجباتي المنزلية » صرت أتقنها : الحبوب ، الحقن ! الشراب ! واشياء اخرى .. شفا الله صغيرنا « وليد » ، يا « أم الوليد » ! .

ثم رأته ينعطف على الطفل في سريره ، هاتفا في حنان كبير :

ـ كيف حالك ، الان ، يا حبيبنا وليد ؟ (لم يجبه الوجه الشاحب بشيء) حمدا لله اني بدون عمل ، كي ابقى الى جوارك اعنى بك ، يا صغيري !

ودفعت بنتها أمامها في رفق ، محاذرة ان يلمح زوجها الدمعة التي طفرت من عينها :

ـ هيا ، يا سعاد . الوقت يوشك يدركنا.

وطفى عليها ، اللحظة ، حب لزوجها كبير ، حب هائل تحسه يبتلعها في اعماقه فتنعم به ، حب عظيم لا يضارعه سوى عطفها على وحيدها العليل .

وفكرت : من تراه كان حقيقا بان يعنى بابني في غيبتي عن البيت ، لو لم يكن زوجي فاقدا عمله ؟ ونزلت الدرج . أمي ؟ اين أمي ، واحسرتي ؟ وأمه ، حماتي ، عجوز غير قادرة وغير صابرة . لم يكن بد ، اذ ذاك ، من ممرضة .

ـ هاتي يدك ، يا سعاد .

وأخذت تقرع الرصيف بقدميها . ما بالها تغذ السير معجلة ؟ ان فاتها الوقت ، دقائق من الوقت ، فان المديرة والبنات اعلم بحالها . والمعلمات ، زميلاتها ، ما فتئن يسألنها عن صحة وليد ؟ تجيبهن : «بخير» ، « ان شاء الله احسن » ! ولكنه لا يكاد يتقدم . تتحسن حاله ، ثم تتردى . سألتها معلمة الصف السادس ، التي التحقت بالمدرسة حديثا ، اذ علمت :

ـ ومن يظل في البيت يرعاه ؟

أسرعت المديرة تجيب نيابة عنها :

ـ زوجها « موظف متقاعد » .

وألطت من عيني المعلمة الجديدة نظرة ذات معنى . حسبت ، لا بد ، ان ابا الوليد متجاوز سن الستين ! فمالت المديرة الى أذنها تهمس . فزايل العجب الوجه الجديد :

ـ هكذا . وانا قلت في نفسي انها شابة لا تتجاوز الثلاثين . هو متقاعد شاب ، اذن.

بلغت ، في مسيرها ، الساحة . تشبثت بيد ابنتها ، وتلفتت يمنة ثم يسرة ، قبل ان تجتاز الشارع الوسيع . كم ضاق «الشاب» ذرعا بحياته في البيت ! كم تشكى ، وتذمر ،

وجعل منها مستنزفا لنزقه !

ـ هكذا الدنيا تسير ! (يقول في مرارة) رجل كالحصان يقضي ساعات نهاره في البيت ! وزوجة شابة تسعى وتعمل في مدرسة ! (ثم يعلن في انكسار) طق عقلي ضمن اربعة جدران ، يا الفت ! تأخذين انت سعاد ووليد في الثامنة صباحا وأظل وحدي ! (ويهيب بها مترفقا) اعطيني كتبا، يا أم الوليد ، هاتي . نزلي كل ما في « السقيفة » من كتب قديمة ومجلات ، فقد أتيت على ما في الخزانة هنا . حسن ، ساصعد الى السقيفة غدا .. (ويتجه الى أعلى) سبحانك ربي ، لو تمنحني أربعة أمثال راتبي التقاعدي الذي أتقاضاه وتقول لي : « اجلس في بيتك بلا عمل » ، لرفضت النعمة ، وفضلت الربع الضئيل مع العمل خارج البيت ! (ثم ينكفيء اليها مداعبا في مرح) أم الوليد ، أم الوليد ، ايه ، ولا يهمك ، ما دامت الصحة في اهابنا فأجدر بنا ان نكون سعداء رغم كل شيء .. سعداء .. سعداء .. (ويصفق كالسعيد ، مطلقا ضحكة عالية ، ويقوم اليها يحملها على زنديه على مشهد من سعاد ووليد !) .

كآبة وفرح ! غضب ورضى ! عبوس مقطب وضحك مجلجل أحيانا !.. أحوال متناقضة تنتابه في اللحظة الواحدة ! باتت تخشى عليه ان يجن ، ان « يطق عقله » كما يعلن على الدوام . ثم وفد مرض وليد ، فتغيرت أحواله تغيرا واضحا . وجه امامه قضية كبرى يعيش لها وقته كله : العناية بصبينا الاوحد . آه ، يا وليد ، من أين جاءتك هذه العلة ، يا حبيبي ؟ تعرضك لما يؤلم ، وتمتحن جلدنا وقوة احتمالنا . انا من جهتي ، لا أعصاب عندي . أنا مرهقة حتى العظم . أنا انسانة فقدت اتزانها . هم وغم ، وعمل في المدرسة يومي لا يفتر ، وعمل في البيت : خدمة منزلية ، ثم تصحيح أوراق التلميذات ، وظائف ومذاكرات وامتحان .. أحرى بي أن أكون « آلة » ! واستدركت : ولكنه يعمل . ولكنه يساعدني. أقول الحق : انه يساعدني . وتبسمت : ألم يعمد ، أخيرا ، الى غسل الصحون في المطبخ ؟

لقد أقلع ، هذه الايام ، عن مطالعة الكتب، فقد وجد في البيت سلسلة من «الوجبات» يقضيها . ما تبقى له من الوقت يمضيه بصحبة البنات : بصحبة اوراقهن . شغلة يسيرة ، الا انها مملة في رتابتها . ولكنها ـ واعجباه ! ـ لا تبعث عنده مللا . بل انه ليهيب بها : « ام الوليد ، هاتي الاوراق أصححها . دعيني أعطي الدرجات لبنياتك . وجدت في عملك هذا سلوى ! » .

ويستضحك ، ثم يشترط عليها شرطا : « أنا، في الليل ، لا أصحح ! » ، فان السهر عنده أمام « التلفزيون » أمر يسلي ، تزجية طيبة لساعات سأم . « تتركين لي الاوراق على المنضدة هنا ، أصححها نهار غد » . لا بأس . وتبسمت في قرارة نفسها ، وهي تصعد هذا الشارع الفرعي . انه يمر على أوراق تلميذاتها الاثنتين والاربعين في « سويعة صباح » ، كما يقول .. لتستردها منه ظهرا فتحملها سعاد معها الى المدرسة .

ـ ماما . اشتري لي كعكة من هذه الكعكات الساخنة ، يا ماما !

دنت واياها من البائع الصغير :

ـ خذي لك واحدة ، يا حبيبتي .

★

أرسلت علياء ، وهي في مجلسها ، الى



فاضل السباعي

●

منضدة المعلمة نظرا خاطفا : هي ذي ، هناك ، رمتها بجوار سجل الدوام ، دون ان يدري بها احد !

وفكرت والصمت مطبق على قاعة الدرس : سيشفي غلها ! ولكن .. واعتصر الحزن فؤادها : الدرجتان فقدتهما على كل حال ، خسرتهما في أول جولات هذا الامتحان ، ولسوف تخسر درجات أخرى عداهما ، فتتفوق عليها في الامتحان الاول سعاد بنت المعلمة ! و « اسامة » في البيت ، أخوها أسامة الشيطان ، لن يكف عن معاكستها كلما نالت درجة أدنى ! كانت ، مساء امس، في غم واحد ، حتى بلغت البيت . لقد حكت لاخوتها ما نالها من المعلمة من سوء . فوجدت عندهم تعاطفا طيبا . ان « منيرة » لتتذمر :

ـ يا لطيف معلمتكم ما أظلمها !

فكررت شكواها من خلال دموعها :

ـ انها لا تعدل ، لا تعدل ! ترى الكلمة في ورقتي خطأ ، وتراها في ورقة بنتها صحيحة !

وقرر « ودود » الصغير بادي الحزن :

ـ معلمتك ، يا دادا .. لن تدخل الجنة !

وهتفت « سميرة » في ارتياح :

ـ الحمد لله ان بنت معلمتي كبيرة ، في الصف السادس !

ولكن اسامة الشيطان ينصرف ، في اثناء ذلك ، الى محفظته ينقب فيها . قرأت ، في بادىء الامر ، في عينيه شماتة صامتة لم يعلنها لسانه ، وقد كان خليقا به ان يطلقها عاليا وهو « أشطن » شياطين البيت ! تحب اخوتها الثمانية ، عداه ، هذا القوي السفيه الذي يشتمها ويعبث بها ويسومها العذاب . انها تحدث رفيقاتها عنه ، فترثي رفيقاتها لحالها . بتن ، في المدرسة ، يعرفن أخباره وحكاياه . تود لو تشكوه الى أبيها ، ولكن أباها قلما يكون في البيت حين يوقع أسامة عليها الاذى . تشكوه الى أمها ، ولكن أمها مشغولة باخوتها الصغار ، وانها لترد عليها في ضيق : « اتركيني ، يا عليا ، اما ترين شغلي ؟ تسعة اولاد في رقبتي ! » . فاذا أقبلت عليها ، مرة ، باكية من صنيع الشيطان بها ، اكتفت بان ترفع عقيرتها : « أسامة ، يا شيطان ! يا عفريت ! دع عليا وشانها ! » ، فلا يزيد هذا « التقريع » الشيطان الا تماديا ، انه يقول في همس : « أوم ! ماما ما قالت لي أي شيء ! أوخ » . تتمنى لو انها « صبي » ، اذن لكان في وسعها ان تقدر عليه ، على الرغم من انه يكبرها بعام . تكرهه . تحب سائر أخوتها ، وتكرهه . يسميها « الخنفسة » ! لا يناديها الا بالخنفسة ! ان شاء الله يموت ، لن تحزن عليه مقدار ذرة !

وأدارت في وجوه البنات نظرا .

أسامة أخرج من محفظته ورقة ، هي ورقة امتحان الاملاء الذي أجري في يومه الماضي . قال لها :

ـ لتنظر عيناك ، اذن ، يا خنفسة خانم ، الى ما حصلت عليه من الـ ...

قرأت . انها عشر !

أعلنت في حزن :

ـ وأنا .. لو كانت المعلمة انصفتني ، لكنت أخذت عشرا .

فتصدى لها بوقاحته التي تعرف :

ـ انصفتك ما انصفتك .. انت ثماني وانا عشر .. انت ثماني وانا عشر .. انت ثما ...

اخذ يكررها .. فاذا هي ذات « نفم » ! واذا النفم ينقلب بين شدقيه الى « اغنية » واذا الاغنية تصاحب بتصفيق من يديه يصم الاذن ! ثم اخذ يرقص ، أمام عينيها ، رقص وحوش الغابة !! وتكاد هي تنشق من الغيظ ، وقد تمثلته شيطانا حقيقيا هذه المرة ، وتمنت لو تنشب اظافرها في قلب عينيه !

قامت باكية الى أمها .. فوجدت على ثديها خلدون الصغير يرضع ، مطبقا جفنيه. وبدلا من ان تاخذ امها بناصرها ، صرخت بها :

ـ ايقظت الصبي ، الله يهدك ، أيقظته وانا طلعت روحي في تنويمه ! (ثم نادت) اسامة ، دع اختك ، وانصرف الى دروسك ، يا رذيل ! الله يغضب عليك ، آلهي وسيدي! والله لاشكونك الى أبيك ، انتظر !

والى متى الانتظار ؟ وماذا في وسع أبيها ان يفعل ؟ يضربه ، ان فعل . ولكن من ذا الذي يسعه ان يرفع عنها حيفا وضعته على كتفيها معلمتها : أم سعاد ؟!

بكت طويلا ...

وعاودها البكاء ساعة أوت الى فراشها . غم ، ثم غم آخر : المعلمة في المدرسة ، واخوها في البيت ! لم يكف الشيطان عن تعذيبها طوال السهرة . حتى اذا كف ، لم يكن لذلك « النفم » الكريه ان يزايل خاطرها ! نفم أخذ يضرب في راسها ، يضرب وسط عالم مشوش يتراءى لها .. انقلب النفم الى ضرب متواتر على طبل كبير .. وجدت نفسها في غابة .. ورأت متوحشين يدقون الطبول ، يقرعونها بجنون ، فيتردد في أرجاء الغابة ذلك النفم! ورأت وحشا ، في صورة اسد ، يرقص على قرع الطبول ... كانت تعتلي شجرة تطل منها على الوحش في رقصه .. لم تحس في صدرها خوفا اي خوف، ما أحسته كان حقدا، حقدا كبيرا ، أخذ ينمو في داخلها وينمو ، والوحش يتابع الرقص على قرع الطبول ... انتزعت من الشجرة التي تعتليها غصنا ... استلته ... نزلت به الى حيث الوحش يرقص ، فاقفى امامها راكعا .. همت بضربه بما في يدها ، فازداد الوحش خنوعا : « انا عبدك الطيع » ! ... ولكنها أهوت عليه بالغصن .. فاذا الغصن في يدها يستحيل الى سيف يقطع رأس الوحش فيتدحرج بين قدميها ! واذا هو رأس ... اسامة اخيها !! يقول معاتبا : «هكذا ، يا عليا ، تقتلينني؟!»

وتنهار فوقه تنتحب بصوت قد انطفأ في حلقها ، فهي ـ حتى هي ـ لا تسمعه ..

وتفيق من نومها مذعورة :

وجافاها ، من ساعتها ، النوم . ظلت في فراشها ترتعد من الخوف ، وقد تراءى لها انها اذنبت تجاه أخيها اذ انهالت عليه بالغصن ، بالسيف ! واستدركت : ولكن الذنب ، آه ، يا ربي ! انه ذنب المعلمة التي لا تعدل . قتلت أخي في المنام ! ليت المقتول .. ابنها العليل ! فأخي لم يظلمني في المدرسة ، وان سامني العذاب في البيت . وخطر لها ، مع أطلالة الشمس من شباك غرفتها : ماذا لو كتبت الى المعلمة رسالة ؟ رسالة تعبر عن رأيي فيها ، أضعها في صندوق البريد ؟ أقول في مستهلها : «انا لا احبك يا آنسة . انا (تكتبها بدون همزة !) انا اكرهك كثيرا » .

راقت لها الفكرة . نعم ، ماذا لو كتبت الى معلمتها رسالة ؟ تقول فيها : « بنات الصف يكرهنك . كلهن يكرهنك مثلي » ، بل انهن يكرهنها أكثر منها ! « قتلت اخي من اجلك .. انت بتحبي بنتك سعاد وما بتحبينا » ...

هي ذي الجمل تتوارد على لسانها . هرعت الى ورقة تدون فيها الكلمات قبل ان تضيع. « تعطي بنتك العشرات في الاملاء ، وتعطينا تسعات وثمانيات وخمسات و ... » ... « قتلت اخي اسامة من اجلك » ! وعاودها الاحساس بالندم ، فخطت يدها : « ابنك انشاء الله ما يشفى ، انشاء الله ما يطيب » ! لقد انتقمت . وثنت الورقة . ثم تلبثت لحظة : لم يشف غلها . اختتمت الرسالة : « ابنك المريض انشاء الله يموت » ... أحست راحة اكبر . وضمتها في مظروف ابيض .

صحت علياء من خواطرها . وارسلت ، من جديد ، نظرة خاطفة الى منضدة المعلمة . الرسالة هناك . ستقرؤها المعلمة فور دخولها . لم ترسلها اليها بالبريد . ذلك طريق طويل . ولكن .. واستشعرت في داخلها خوفا : الم تكن الرسالة قاسية ؟ تبا لها ! انها لقاسية . لم أضافت العبارة الاخيرة ؟ وتعاظم الوجيب في صدرها .

أطلت المديرة من باب الصف :

ـ الم تات الفت خانم ؟

ابتهلت ، وهي في مكمنها : يا ربي ، ليت المديرة لا تلتفت الى المنضدة !

أجابت العريفة :

ـ كلا ، آنسة .

عادت تتساءل ، في ندم عظيم : لم كتبت الرسالة ؟ حين كانت المديرة تغيب وراء الباب . هل تكره البنات المعلمة ، حقا ؟ هل أكرهها انا ؟ انني احبها .. والله احبها . فهي احلى معلمات المدرسة . ليتني استطيع استرداد رسالتي اللعينة . تعذيب اسامة هو الذي ساقني الى كتابتها ، والمنام الاسود ! المعلمة تحب ابنتها ، وما في ذلك ؟ لو ان امي معلمة الصف لاحبتني دون البنات . وما في ذلك ؟ ولكن امي ، واحسرتاه ، تهملني ! والمعلمة تظلمني : همزتان بدرجتين ! وبنتها تاخذ العشرة كاملة . لماذا ؟ لماذا ؟

★

رنت الفت ، من بعيد ، الى باب المدرسة الحديدي الكبير : هوذا يفغر فاه لابتلاعها طوال ساعات اربع صباحية ! وفكرت : ما أقسى بعد الام عن بنتها عندما يكون طفلها ، وحيدها ، طريح الفراش ؟ يعنى به . أبوه يعنى به . كل ساعتين حبة . وأم سعيد ، الممرضة ، تعطيه الحقنة في الساعة العاشرة » . « مهمتي في البيت صرت أتقنها » . يا له من زوج عطوف ! تحبه . يهتم بها وبولديه . يحرص على ان يأخذ نصيبه من المسئولية كاملا . ويأخذ ، منذ أمسى بلا عمل ، اكثر من نصيبه ، طائما مختارا . هو الان ، او بعد قليل ... وتبسمت بسعادة ، مكب على اوراق الحساب يصححها . انه ليقرأ : باع فلاح ٩٧ بيضة ، سعر البيضة .... هذه المسالة عليها اربع درجات . تستحق منها ، هذه الورقة ثلاثا ، او درجتين ونصف فقط . دقيق في تقديره . بل ان يده اميل الى الشدة ! هل تراه يظلم لها ، في هذا العام ، تلميذاتها ؟ لا باس ، ما دام يزن امورهن جميعا في ميزان واحد . المساواة في الظلم عدل . دقيق ونشيط . اوراق الامس تتسلمها منه في ظهيرة اليوم ، مع جداول الدرجات ، معدة للتوزيع ... لا تحتاج الى غير قلمها الاحمر ، تمر به عليها ورقة ورقة ، لتمهرها بتوقيعها !

وابتلعها الباب الكبير . انها لتشفق عليه من التعب . ولكنه ، العزيز ، ما يفتأ يعلن : « يا ستي ، اقول لك هذا عمل يسليني ، ما دمت أؤديه في النهار ... انه لعمل يسليني ! » .

وصعدت الدرج ، والى جوارها بنتها . يسليه ، هكذا يقول . ولكنها تجد نفسها ، رغم كل شيء ، مندفعة الى مشاركته التصحيح . اوراق الاملاء ، التي وزعتها يوم امس ، لم تدعه يصححها وحده . لقد حرصت على ان تصحح نصفها في تلك الليلة ، واكمل هو النصف الاخر في ضحى اليوم التالي . وكان من حظها ان مرت بها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورقة ... سعاد . وفكرت : لا بد ان شدته قد نالت من « حقوق » نصف البنات ، واستنقذت هي كامل حقوق النصف الاخر ! بعضهن شكون اليها ، امس ، اجحافا في تقدير درجات الاملاء ! ثلاث تلميذات او اربع . أوه ، حقهن عليها . كان الاولى ان تصحح هي الاوراق كلها ، او تدعه هو يصححها كلها . من الخير ان توزن امورهن بيد واحدة .

واجهتها ، في الصالة ، ساعة الجدار الكبيرة : لقد تأخرت دقائق سبعا . وأعجلت خطاها عبر الصالة نحو صفها . لا جلبة تصدر عن تلميذاتها . عاقلات ، يقدرن دواعي تأخرها .

ولامس سمعها نداء ترسله المديرة خلفها :

ـ سعاد ، سعاد !

لحظة كانت تجتاز ، هي ، الباب في دخولها قاعة الدرس .

ارتفع صوت العريفة :

ـ قيام .

وأشارت لهن بالجلوس .

★

سألت المديرة :

ـ كيف حال اخيك وليد ، اليوم ؟

أجابت سعاد :

ـ أحسن قليلا .

ـ عليه العافية .

ـ الله يعافيك ، آنسة .

وتراجعت سعاد الى الوراء خطوتين . ثم استدارت ، وهرعت الى قاعة الدرس .

نظرت علياء الى بنت المعلمة في دخولها القاعة بعد امها . كان الترقب قد ملأ فؤادها خوفا . وفكرت : سعاد أخت وليد . وهي ، في الصباح تمنت الموت لوليد ! آه ، كم كانت قاسية ! ان سعاد بنت صالحة . وأمها معلمة طيبة . آه ، يا ربي ، ماذا جنيت ؟ المعلمة تخلع معطفها ، هي ذي ، لم يئن لها ان تقع عينها على الرسالة اللعينة . اخوها هو السبب . عذبها ليلة الامس ، فاندفعت تخط هذه الرسالة الحمقاء . ليت الارض تنشق .. ليت المنضدة تنشق وتبتلع الرسالة . يا ربي ، ماذا فعلت يدي ؟ ان المعلمة تقلب الرسالة في يدها ! وامتلأ قلبها ، من جديد رعبا اسود .

عجبت المعلمة من أمر المظروف الملقى على المنضدة . وجدته مغلقا ، وغفلا من العنوان . ففضته بفضول .

علياء ترقب صنيع المعلمة . سلت المعلمة من داخل المظروف ورقة . التلميذات معلقات الابصار في المعلمة ، وهي تقرأ شيئا ما في يدها . علياء تحس هوة في داخلها تنفتح . محيا المعلمة الجميل يعبس . الهوة في داخل علياء تتسع . والعبوس ينتشر في المحيا الجميل .

رمت المعلمة الرسالة في غضب . وخبطت بقبضتها المنضدة ، صائحة بصوت لم تألفه هي نفسها من قبل :

ـ من منكن كتبت هذا الكلام !؟

لا جواب . صمت غائر ابتلع قاعة الدرس ومن فيها .

ـ اية لعينة فعلت هذا ؟!

سعاد ، بنت المعلمة، رأت الغضب يشتعل في وجه امها ، فخشيت عليها من فرط الغضب ، واوشكت ان تبكي خوفا عليها . وعلياء ، هي أيضا ، خشيت على المعلمة ، ولكنها خافت على نفسها كذلك . لقد أوشكت ان تعلن ..

المعلمة تصيح في هياج :

ـ من القبيحة التي كتبت هذا الكلام القبيح ؟ لتعترف من تلقاء نفسها ، والا عاقبتها اشنع عقاب !

أوشكت علياء ان تعلن : انا .. انا .. يا آنسة .. أنا أخطات .. اغفري لي ..

المعلمة تتابع صياحها :

ـ أقول : لتعترف ، ذلك خير لها ، والا اخرجتها من مقعدها جرا .. وشددتها من شعرها ، كالكلبة الجرباء ، الى غرفة المديرة ! يمكنني أن اعرفها من نظرة واحدة !

خاطبت علياء نفسها في فرق عظيم :

يا ربي ! لماذا فعلت ذلك ؟ آه ، انها ستعرفني ؟ هل أعترف ؟ والهوة في داخلها امست ، الان ، هاوية !

أخذت المعلمة الرسالة بعصبية ، تمر عليها شواظ عينيها . وتوقفت :

ـ من منكن لها اخ اسمه .. أسامة ؟

وأيقنت علياء انها ساقطة في الهاوية ، لا محالة .

ارتفع ، من وراء ، صوتان او اكثر :

ـ آنسة ، لعليا اخ ... لعليا اخ اسمه أسامة .. عليا .. عليا .. عليا ..

سقطت علياء في الهاوية .

اتجهت اليها المعلمة :

ـ اذن ، فانت ؟!!

ـ ... ...

ـ أنت ! أنت ! وجهك اللئيم يدل !

فتحت علياء فمها :

ـ انه أخي .. هو الـ ..

المعلمة خرجت عن طورها :

ـ ابني ... ان شاء الله ما يشفى ؟؟

ـ اسامة .. هو الـ ..

ـ ان شاء الله ما يطيب ؟؟

ـ ... ...

ـ وحيدي وليد ان شاء الله يه ... ؟؟

ـ ... ...

ـ تموتين أنت ، يا لئيمة !

أطل ، هنا ، على القاعة ، وجه المديرة . تلفتت البنات اليه ، وراء الزجاج ، في ذعر . وعلياء لمحته ايضا ، ولكنها لم تتبينه تماما . لقد غامت الدنيا في عينيها ، وثقل رأسها ثم .. سقط الى الخلف !

المديرة تسأل بصوت اجتهدت ان تجعله خفيضا :

ـ ما الخبر ، يا الفت خانم ؟

اتجهت المعلمة بنظرها اليها :

ـ آه ! (وارتجف صوتها) أعلمهن وأشقى ، لتكتب الي احداهن .. (وأحست في جسمها اعياء) رسالة تلقيها على المنضدة هنا .. تتمنى فيها الموت .. لطفلي العليل !

قالت المديرة :

ـ هدئي اعصابك ، يا الفت خانم . من التي فعلت ؟

لم تجب المعلمة . كان الاعياء قد سرى في جسمها كله . حين كانت البنات يجبن على سؤال المديرة :

ـ انها عليا ، يا آنسة .. عليا .. عليا ..

ادارت المديرة عينيها صوب علياء ، فوجدتها .. وجدت رأسها ملقى الى خلف ، مستندا الى الجدار ، وقد كسا وجهها شحوب اصفر . فما كان منها الا ان أشارت الى احداهن معجلة :

ـ نادي الآذنة ، هيا ، هيا !

وصدرت عن تلميذات الصف همسات ، تعالت ، ثم انقلبت الى صرخات خوف صغيرة :

ـ أغمي عليها .. عليا .. أغمي عليها ..

والمعلمة ، هناك ... تهالكت على الكرسي ، وقد غسل وجهها فيض من دمع . انها تشهق وتقول :

ـ ليتني أموت .. ليتني أموت واستريح !

ثم سقط رأسها ، هي الاخرى ، على المنضدة ، وقد غامت الدنيا في عينيها .

دمشق — فاضل السباعي

صدر حديثا

الملكة زنوبيا

مسرحية شعرية

من اربعة فصول

عدنان مردم بك

منشورات عويدات ببيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـدار داري

الدار في «صفد» تشكو أذى النوب ... وأنت صب تقاسي البعد في حلب
مـــاذا عليك اذا مازرتها سحـــرا ... ونجمة الصبح عنها بعد لـــم تغب
يا هاتف الشوق قد ناديت مستمعا ... أصغي اليـــك بقلب واجف تعـب
ها قد غدوت لاوطاني علـــى قدمي ... والوجد قرح أجفاني وبـرح بـــي
حتى تسنمت مـن « كنعان » قمته ... ولاح من « صفد » وجـــه لمرتقب
سلكت فيها دروبا ما عهدت لهـــا ... من قبل رسما بيفع كـان أو صبب
وشمت فيها وجوها مـا رأيت بهـا ... وجها لاهـل وجيـران وذي نسب
فخلت أنـــي غريب فـي مسالكها ... وبت حيران في أمري علـــى عجب
فجئت عجلان بـــاب الدار أطرقـه ... طرق الذي آب مـن منأى ومغترب
اذا بعلج قبيح جـــاء يفتح لـــي ... كأنه مـــن بني الشيطان في سبب
أكث ذو لحيـــة شمطاء تحسبهـا ... من ثعلب نزعت لكـن مـــن الذنب
وسالفاه ذنـا بـــى عقـرب فهمـا ... رمزان للغـــدر والتزييف والكذب
ترى بعينيه عينـــي ماكـــر جشع ... لص خبيـر بسلب المـــال والذهب
وأنفه الضخم يبدو وهـــو منتفـخ ... كأنه اشتم ريح الكسب عـــن كثب
فقال : من أنت يا هذا ؟ فقلت لـه ... من ذا يخاطبني ؟ ما أنت مـن نسبي
الدار داري لمـــاذا أنـت تسكنها ؟ ... من أنت؟ قل لي فقد اكثرت من عجبي
فقال لي باسما مـــا أنت صاحبها ... لكن صاحبها مـــن فـــاز بالغلب
أدخل وزرها وعد من حيث جئت ولا ... تطلب محالا اذا الحفت فـي الطلب
دخلتها فـاذا بـــي فـي حديقتهـا ... قد خلت أني عنها قط لـــم أغب
فتلـك داليتي تزهـــو بنضرتهـا ... قـد أثقلتها عناقيـــد مـن العنب
وتلك تفاحتي يـــا حسن منظرها ... تميس بالحمل مـن تيه ومن عجب
أقدمت أقطف عنقـودا فعارضنـي ... فقلت : تفاحة قال : اقتصر وخـب
رجعت عنها كئيب النفس منكسرا ... والغرس غرسي يا ويلي وغرس أبي

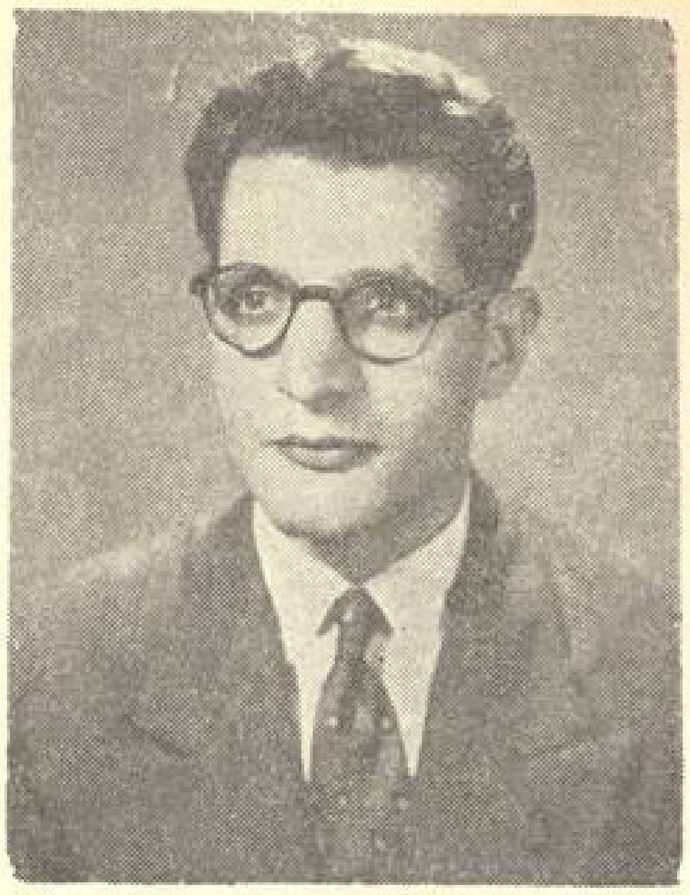
ولست أنسى بوسط الدار «فستقة» ... حييتها ويكـاد الدمع يشرق بـي
بقـــرب زيتونـة كانت تظللنـــي ... قبل النزوح وحر الشمس في لهب
من عهد جدي في داري لقد شمخت ... فروعها وغدت تسمو الـى الشهب
وقرب رمانـــة اغصانها ازدهـرت ... بالجلنار كأقـداح مـــن الذهـب
والنحل يجني جناه مـــن أزاهرها ... وينثني للخلايـــا بالـــغ الارب
حتى أتيت الـــى بيتي أطوف بـه ... يا هول مـا أبصرت عيناي من عجب
فهذه حجراتي قـــد غدت سكنـا ... للطامعين بفعـــل المكـــر والكذب
أسرتـي ومتـــاع البيت أجمعـــه ... وما ورثت عـــن الآباء مـن نشب
أضحى كأن لم يكن ملكي حظيت بـه ... يوما وملك أبـي فـي سالف الحقب

وقـــال غاصب داري اذ يودعنـي ... عد كل عـــام وزرها غيـر مكتئب
لا تبتئـــس أن اسرائيل باقيـــة ... فـي هذه الارض مـن كنعان للنقب
وسوف تملك من نهر الفرات الـى ... قناة مصر بحـــق القهـــر والغلب
فقلت والغيظ تغلي بـــي مراجلـه ... خسئت من غاصب في ظل مغتصب
لـن يستقر بأرض العرب ذو طمـع ... وفـي دمـاء بنيهـا نخـوة العـرب
فانظر لنفسك جحرا أنت تسكنـــه ... فقد دنا الصبح يجلـو ظلمة الريب
اللـــه اكبـــر فارتجت مفاصلـه ... وكاد يسقط من خور ومـــن رعب
وراح يغلـــق دوني الباب مرتعـدا ... ورحت انهض مـن نومي على غضب

حلب

محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

الفجر شعب المرح والموسيقى والسحر

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

تفد على القرى في فترات متباعدة قوافل متنقلة . تطلق ماشيتها ودوابها . وتنصب خيامها الساذجة ، وتهيء طعامها على الطريقة البدائية ثم تطلق عقائرها بالغناء . وتجعل من الرقص والتصفيق ملهاة دائمة لا تكاد تنقطع ، وكثيرا ما يلجأ رجالها الى الحقول فيختلطون بالفلاحين ثم يرجعون بما يثقل اكفهم وظهورهم من الخير والاحسان بعد سمر طائب ، وتفكه جميل ! اما النساء فيتسللن متفرقات الى الاكواخ المتواضعة والمنازل الصغيرة ، « فيضربن » الرمل ، « ويقرأن » الفنجان ، وقد يقمن بختان الفتيات ودق الوشم على الاذرع والسيقان ، ولهن لهجة غريبة تميل اليها الآذان ، لا لرخامة صوت او نعامة جرس ، بل لما توحي به من غموض في الفاظها المبهمة ، ومعانيها المحيرة . وسرعتها المتدفقة كأنها شلال يهدر . ثم لما تنطق به ملامح القائلة من ثقة جازمة ، وايمان عمق ... هؤلاء هم الفجر الذين لا يخلو منهم قطر في الشرق والغرب على السواء .

والفجر في أوروبا وآسيا وافريقيا ليسوا على نظام واحد في العادات واللغة والدين والتقاليد . فمنهم المتحضر الذي جذبته مدينة القرن العشرين ، فنقلته من بداوته الساذجة الى مستوى مشرف مقبول ومنهم البدائي الذي لا يزال يتخبط في نزواته وجمحاته . دون ان يعصمه عقل راجح . لذلك نجد اختلافا كبيرا فيما يكتبه الاوروبيون عن هؤلاء . فقد نجد كاتبا يسرد من مشاهداته وتجاربه ما يناقض حديث كاتب آخر شاهد وجرب وعلل ، والسبب في ذلك واضح اذ ان كليهما يروي ما شاهد ولابس . فمن رأى الفجر في اسبانيا مثلا دون مشاهدات مشرفة . ومن رآهم في المجر تحدث عن اكثرهم حديث المستهزىء الساخر ، الا ان الذي لا شك فيه انهم صائرون لا محالة الى الرقي والتحضر في وقت قد يقصر او يطول ، والراجح ان الفجر — ويقال لهم النور أيضا — قدموا الى اوروبا من اواسط آسيا . ومن الهند بالتحديد ، وقد روى ابن الاثير خبرا يستفاد منه انهم (الزط) الذين اوقدوا نار الفتنة في البصرة على عهد المعتصم العباسي فحاربهم وتتبعهم ، ونفى منهم نحو ثلاثين الفا بين رجل وامراة وصبي الى قرية من قرى الثغور المتاخمة للعدو ليكونوا في الخطوط الاولى للدفاع، وقد اغار الروم عليهم واسروهم جميعا ، فتفرقوا في اوروبا .

هذه الرواية الشرقية ، تجد ما يظاهرها في الروايات الغربية . ولا يهمنا ان نتتبع التطور التاريخي لهؤلاء القوم ، بل نسجل ظواهر ملموسة لديهم في كل زمان ومكان . فهم — شرقيون وغربيون — لا يعترفون بالحدود الجغرافية . ويموجون في كل رقعة تنبسط امامهم ولا يهمهم ان تختلف عليهم مناطق الحرارة والبرودة ، والخصب والجدب ، او تباعدهم عن جيرانهم فوارق التقاليد والمثل . ما داموا طوائف يأنس بعضهم الى بعض ، ويتسلمون الرزية والفرحة معا ، وقد تعرضوا في تاريخهم الاليم الى اضطهادات متتابعة . فقررت فرنسا وبعض دول اوروبا نفيهم وتشريدهم مع التنكيل بمن يتخلف حرقا وغرقا وذبحا . ونحن نعذرهم الآن اذا اتخذوا لانفسهم الحيطة فتربصوا الشر من الناس ، فدماؤهم المتوارثة . تحمل في عناصرها ما كابده الاسلاف من ظلم واضطهاد ، اضف الى ذلك انهم كانوا حربا على انفسهم في بعض الاحايين ، فكانوا اذا نزلوا بلدة — ولا يزالون كذلك — يخطفون ما تقع أيديهم عليه من دجاج وطير ونبات وسبب ذلك اختلاف وجهات النظر بينهم وبين الناس ، فأكثر طوائف الفجر لا تعترف بالملكية الفردية، وترى الخير في الوجود نهبا مشتركا بين الافراد، فاذا مد أحدهم يده الى ممتلكات غيره فلا يرى في اعتقاده حرجا يكفه عن السطو والاستلاب! ولقد بدد تطور الزمن هذه المعتقدات من نفوسهم فأصبحوا يؤثرون الحيطة ، ولا يسطون على شيء مجاهرة ، بل ينتهزون الغفلة السانحة ، فاذا لم تتهيأ الفرصة للسرقة آثروا القناعة بالكفاف ، وروح السلب والنهب هذه هي التي جعلت الناس يضربون بهم المثل فيقولون لسيىء المعاملة « نوري » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد لجأوا الى الحرف المتواضعة فهم يحذقون صنع السلال والقلل والسكاكين والاجراس ، وكثيرا ما تكون المواد الاولية لصنع الخيام والاواني البدائية وتجارة الماشية ابوابا مشروعة للرزق ، الا انهم ـ رجالا ونساء ـ يحترفون التنجيم والعرافة احترافا عجيبا ، فالفجرية التي تقرأ الكف لم تنل حظا قليلا او كثيرا من المعرفة ، ولكنها ذات فراسة فطرية تتغلغل بها الى الاعماق ، فهي تتقدم الى زائرها في شجاعة ويقين ، ثم تندمج معه في حديث متشعب ، توقظ له منافذ تفكيرها . فتفهم من دخائله واسراره ما يمدها بنصيب وافر من التخرصات المعشوقة ، فتظل تنسج له آمالا عذبة ، وتخدره من همومه تخديرا لذيذا يفقد به حرصه فيناولها الاجر السخي ، ويحرص على التردد عليها كلما حز به امر ، او تطلع الى مستقبل مجهول ، وعلماء النفس في اوروبا الذين شاهدوا هؤلاء المنجمات ودرسوا اتجاهاتهن في التأويل والتحليل يبدون دهشة فائقة لما يلمسونه لديهم من براعة وزكانة ، ويعجبون للفطرة الساذجة كيف تمنح اصحابها هذا النظر الصائب دون دراسة وتثقيف .

وبعض الكتاب يجمعون نوادر النور الشاذة ثم يصدر حكمه على الجميع وفق ما جمع وتتبع ، ونحن نرى في تسجيل ذلك شططا بالغا ، اذ ان النور يدينون بدين جيرانهم في الاعم الاغلب فلا بد ان يعصمهم الدين من الحيوانية الساقطة او لعل ذلك كان منذ قرون متباعدة لدى فريق منحرف يمثل الاستثناء النادر ، ولا يمثل القاعدة الكلية لدى هؤلاء ، وفوق ذلك فللقوم عادات متوارثة لدى الزواج والطلاق ، وتأصل هذه العادات المتوارثة يعصم من الشذوذ الرهيب !

وبمقارنة هذه العادات بغيرها ، يتضح لنا شبه كبير بين مسلك هؤلاء ومسلك الزنوج وبعض قبائل الهنود الحمر ايضا ، ففي انجلترا تتقدم الفتاة النورية الى الفتى الذي تختاره زوجا لها ، وتقدم له خيطا احمر ، او تدفع نحوه كعكة لذيذة ، او تقدم اليه حلية ذهبية ، ولا تفعل ذلك الا اذا ذهبت الى كاهنة محترفة فكشفت عن طالعها ، واكدت لها صحة الزواج ورفاهيته ، وللفتى ايضا ان يبدأ بخطبة الفتاة ، فيعلن اليها رغبته بأن يضع في سترته منديلين احمرين ، ويتقدم نحوها ، فاذا اخذت احدهما ، فقد اختارته ، واذا فرت من وجهه وارسلت شعرها المسترسل على وجهها فقد رفضته ، وانت تلحظ من ذلك ما تتمتع به المرأة من حرية وانطلاق ، فهي في اكثر الحالات تختار من تريد كما تريد ، فاذا وقع عليها الاختيار دون ان تتقدم به ، فهي صاحبة الامر المطلق في الرفض والقبول ، ومن الطريف أن الخطيبة تشك اصبعها بابرة ليتساقط دمها على الارض ثم تجمع التراب الممتزج به ، وتقذفه الى النهر ، فيكون كفيلا بدوام السعادة ويمنع ما قد تجيء به الايام للزوجين السعيدين من شرور وأهوال ، واذا نسيت احداهن ان تفعل ذلك ، فهي تترقب الشر في كل يوم وليلة ، فاذا حدث ـ ولا بد ان يتكدر الصفو يوما ما ـ فاللعنة كل اللعنة لهذه اللحظة المنكودة التي نسيت فيها ان تشك اصبعها بالابرة ! لحظة الخطبة في أسعد الاوقات .

اما ما يحدث لدى الوفاة فهو أعجب وامتع ، فاذا مات انسان ما في خيمته فلا بد ان يشق جانب منها لتخرج منه الجثة دون غيره ، فلا تعود روحه فزعة مرة اخرى كما لو خرجت الجثة من الباب المعهود ، واذا تعجل أحدهم الامر ، ومر بالجثة دون شق جديد فان القلق النفسي يزلزل الاعصاب زلزلة اليمة ، فيتصور أصحاب الخيمة أشباحا تتحرك ، وطيوفا تروح وتجيء ، ثم تفمرهم الاحلام بأهاويل مفزعة فيذهبون الى المقبرة ثانية ، وينتزعون الجثة لتخرج من شق جديد !.

وقد كان حرق الجثة عملا شائعا يوم ان قدم هؤلاء من الهند ونقلوه في اوساط مختلفة تأثر بها اكثر المدنيين الا انهم الآن يدفنون موتاهم في قبور محترمة تكلل بالزهور والورود . ويتناوب القوم حراستها في ايامها الاولى لتأتنس الروح في المثوى الجديد ، والغريب حقا ان أهل الميت يجمعون بعد وفاته كل ما خلفه من اموال ومتاع ويقومون بحرقه واتلافه ليسبقه الى الدار الآخرة فيتمتع به هناك ، وهنا تطفح الخسائر الباهظة الى حد مستفرب ، اذ ان بعض هؤلاء وبخاصة تجار الخيول والعربات اثرياء موسرون ، فاذا قام أقرباؤهم باتلاف ما يملكون فلا تسل عن الثروات الضائعة ، والكنوز المبددة أدراج الرياح ، واذا كان الفجري في المجر او انجلترا او النمسا متوسط الحال او رقيقة فالخسارة بعده محتملة، ولكن ما ظنك بالفجري الاسباني المتحضر وهو يمتلك الضياع والقصور ، وقد نشرت بعض الصحف الاجنبية صورا مؤسفة لعربات فاخرة تحترق او تهشم قبل الاحراق كما تهشم قلة من الخزف او قدر من النحاس ، وقد لا يكون الامر في ذلك شائعا لدى الجميع ، ولكنه ظاهرة غريبة تتطلب التسجيل .

وللنور فنونهم الجميلة ، تتضح فيما يصنعونه من الاواني الخزفية ، والاجراس الحديدية ، والصور الدينية للعذراء والمسيح ، اما الرقص والموسيقى والغناء فقد أصبح كل اولئك مجال دراسة فنية لكثيرين من عشاق الالحان ، بل ان موسيقيي المجر يحرصون على استلهام الموسيقى النورية ، واتخاذها مصدرا للابتكار والمحاكاة ، ولولا ما يبديه الفجري من الصخب والضجيج ـ كالزنجي ـ لاستطاع ان يمتع الاسماع بألحان مشجية ذات تأثير وتعبير .

على ان الذكاء الخارق الذي يتميز به المنجمون والعرافون من هؤلاء قد فاق كل اعتبار ، ولهم حيلهم الباهرة في التخفي والتستر عند اجتياز الحدود بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخيلة مجنحة

يناجيني ليلا خيال التي اهوى ... فما اطيب اللقيا وما أعذب النجوى
وما اجمل الاطياف في حلك الدجى ... تزحزحن عن روح مجرحة رضوى
أعيدي ايا اخت الثريا زيارتي ... ففيها كما تدرين يا ((منيتي)) سلوى
عديني ـ فبعد الدرب ليس بمانع ... ففي ملتقى الروحين ما خفف البلوى
اهف الى رؤيا خيالك انه ... منى مهجتي الاولى وغايتها القصوى
خلا البيت من أنس يرف جناحه ... شكوت وما في الحيمن يسمع الشكوى
أنادي ـ انادي والصدى يقرع الصدى ... وصمت كأن البعث يعقبه ـ دوا
يقولون صبرا يا فتى بلغ الزبى ... مسيل قريح الجفن قلت لهم عفوا
أاسلو التي شقت لروحي خلودها ... وللحقبة الخمسين قارورة السلوى
وحق السما ان الوفاء فضيلة ... تخلد ما بين الضلوع لها مثوى
أحن الى يوم يلملم عقدنا ... فينتظم المنثور في سلك من اهوى

واها لايامها ما كان اطيبها ... ضما وشما وتقبيلا وانفاسا
كانها العرف في وسنى بنفسجة ... بالطيب عبقت النسرين والآسا
فزهزه الروض وامتدت ارائكه ... والطير يرقص جذلانا واياسا
يا نعمة الله ـ ما قولي مبالغة ـ ... محياك فجر الهاما واقداسا
اسطورة المثل العليا لقاصدها ... اقنوم من غاث ملهوفا ومن آسا
تظل آثارها انجيل قافيتي ... وذكرها لسراة الليل نبراسا

هذي منازل من احببت مذ صغري ... يا ليتها لم تزل فيهن في كبري
نمشي سواسية والكف مشتبك ... بكفها في ظلال البان والحور
نحدو فتانس في روض حمائمه ... وتتلع العنق تستجلي عن الخبر
حيث الاماني والاحلام تغمرنا ... في مطلع الشمس أو في مطلع القمر
نروي احاديث ماض بعضه غصص ... وجله يرتوي بالخير العطر
وفي الليالي ((ثريانا)) تنورني ... كأنها شمعة في بؤبؤ النظر
كالعاشقين نطوف الارض في مرح ... لا هم لا غم في حل وفي سفر
سقيا لهاتيكم الايام كيف مضت ... لهفي بدت حين ولت لمحة البصر

هوستن ـ امريكا — سليمان داود

دولة ودولة ، ومن اذكيائهم المهرة من يتخلصون من الجمارك المالية تخلصا يدفع الى العجب والاعجاب ، واطرف ما قرأت في ذلك أن غجريا ماهرا اراد ان يسافر بخنزيرين مذبوحين دون ان يدفع رسومهما الجمركية فأجلسهما في المقعد الخلفي لسيارته والبس كلا منهما قبعة بالية وقميصا رثا ، ووضع برقبتهما رباطين للعنق! وحين تعرض له احد رجال البوليس الاسباني أفهمه أنهما غجريان اكثرا من الشراب حتى فقدا الاحساس ! وقد نظر اليهما الشرطي متأففا ! وقال : غجر كالخنازير ! والفكاهة الجميلة في هذه النادرة ان الشرطي يشبههما بالخنازير فقط دون ان يفطن الى اتحاد المشبه والمشبه به ، لما يعلمه سلفا من قذارة الغجري ودمامته ! وفي ذلك من البلاهة والتغفل ما لا يجوز على غجري خنزير ! فكيف يجوز على شرطي مدرب نشيط ! .

ان الفجر مظلومون من الناس جميعا ، وقد قرأنا ولمسنا لكثير منهم بعض المحامد في دنيا الاخلاق كالشجاعة والرجولة والكرم والسخاء اذ ان بعضهم يعتبر الضيافة واجبا يوميا فلا يكاد ينقطع عنه الناس ! فلماذا لا نعترف لهم بالحسنات المجيدة كما نتندر عليهم بالهنات المحرجة ! أليسوا بشرا ينجذبون ساعة الى الارض ويرتفعون ساعة أخرى الى السماء ؟.

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

أصـــداء

بقلم اديل الخشن

*

الدنيا صيف ...
لكني سأبقي نوافذي مغلقة
سأوصد بابي ،
أضم همساتك
واغرق في دفء العتمة ،

جوك العبق سأختزنه في قلبي
صدى قبلاتك سأنعم به وحدي
رماد سجائرك سأعطر به ثوبي
وذلك الغطاء المفروش على سريرك
والذي قصفته في نومك ،
سوف اتركه كما هو
لالمح في كل طية
خيـــالا منك .

زهـــرة الياسمين
ستظل يانعة في صدري
تمدني باريجها المسكر ،
سلسلة المفاتيح ،
سأضعها في جيبي ...
فتحمل الي لمساتك الدافئة .

ايتها الريح توقفي خارجا
لا تجتاحي غرفتي
وتجرفي انفاس حبيبي
وانت ايها الضوء
دعني في ظلامي
ولا تبعثر اللوحة الغالية
انه هنا معي ...
احمله في صمت اهدابي
صوته يمتد في غرفتي
ولي فـــي عينيه

آفاق ومنارات ! ...

وترتمي عيناي اثر خطواتك
ايها الغائب البعيد ...
شرفتنا تناديك
في صباحها الهادىء .
البحر امامها يشرئب باصطخاب
ويسأل عنـــك .
امواجـــه شفـــاه
يدفعها الشوق فتنفجر متلهفة

نجوى وسمر تطوفان في البيت
ليل نهار تبحثان وتسألان
عيونهما مزروعة عند الباب
وهما تتسابقان لملاقاتك ،
واخفف من حيرتهما :
ـ « اللعبتان لم تصنعا بعد »
وتعلو البسمة
الشفاه الطريئة
ويعـــرد الامـــل
مشعا في العيون !

ترى اين وصلت الآن ؟
وفي اي افق تتهادى ؟
عبق قهوتنا يشتاقك
فمنذ غيابك
لم تتضوع به شرفتنا

في تغريدة كنارينا الحان جديدة ،
تحلق في الفضاء
وتهبط سحبا في عيني .
واختلج وسط دموعي
فانا ما ضيعتك يوما
ولم افارقك قط

غيابك حلـم ...
تلاشت البرودة
وسرى الدفء في عروقي
انفلتت يداي تحتضنان الرسم الهادىء :
« عيناك واحتان »
ويهرب الضباب
وتنسرب في نفسي شموس خضراء

الشويفات ـ لبنان **اديل الخشن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد العزيز جادو

الاحساس بالجمال

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

اختلف الناس في ماهية الجال اختلافهم في الاجناس والمشارب .. واختلفت مقاييس الجمال ومعاييره باختلاف الامم والشعوب .. فمن الشعوب من اعتبر اطفرار اللون وكبر الانف وصغر العيون والقدم وطول القامة كالصينيين . ومنها من اعتبره في بياض اللون واحمراره وصغر الانف والفم وكبر العيون واعتدال القد ، الى غير ذلك من صفات الجمال المعتبرة في ارجاء البسيطة المتمدنة . وكما ان للعين المنحرفة فتنتها عند الصينيين، كذلك فاللمعة السوداء لها عند الزنوج مقامها . وكما ان اليونانيين يفاخرون بالانف الاقنى ، كذلك يفاخر الرومانيون بالانف المعقوف ، والعرب بالانف الاشم . ولا يكاد يكون هناك عضو من الاعضاء الا اودع معنى من معاني الجمال او نسب اليه قوة فائقة .

وقد فرق العرب بين معناه ، فقال قوم ان الحسن يعتبر بلون الوجه ، والجمال يلاحظ بصورة اعضائه ، والملاحة هي التي تجمعهما . فكل مليح يكون حسنا وجميلا معا ، وليس كل حسن بجميل ، ولا كل جميل بحسن ، وان الجميل او الحسن هو الذي يأخذ بالبصر عن البعد ، والمليح هو ما يأخذ القلب عن القرب والبعد . فهو تفاهم كلي بين الرجل والمراة يتم بلحظة ، وبلحظة يولد ذلك الميل المترفع عن جميع الميول ــ ذلك الميل الروحي الذي ندعوه حبا .. وفي هذا المعنى يقول « يلاتينيوس » في تعريفه الجمال بأنه « امر موهوم بالحقيقة موجود بالعرض ، فهو عرض ظاهر تشعر به الحواس او احداها فترتاح اليه ، وتسر به ، وينشرح له الصدر ، ويبتهج به القلب ، فهو مشترك بين الحواس كلها » .

وقال فريق ان الحسن في الوجه صباحة ، وفي البشرة وضاءة ، وفي الانف جمال ، وفي العينين حلاوة ، وفي الفم ملاحة ، وفي اللسان ظرف ، وفي القد رشاقة، وفي الشمائل لباقة ، ثم يتسع في هذه الصفات فيقوم بعضها مقام بعضها الآخر .

ورأى آخرون ان الجمال عند العرب هو اعتدال القد ، وبروز النهد ، وبياض الصدر ، وثقل الردف ، ونحول الخصر ، وطول الجيد . فالعيون النجلاء او الدعجاء بسوادها ، الفتانة والجذابة بمغناطيسها ، والجفون الكحلاء ، الطويلة الاهداب كأسياف حادة فوق العيون ، والثغر الفستقي الخلاب ، الذي كحبة عنب او نقطة دم ، وحين يبتسم يفتر عن عقد من اللؤلؤ . والشعر الحالك المسترسل على الاكتاف الذي يذكرنا بسواد الليل . او الشعر الذهبي الذي يحاكي لونه اشعة الشمس الذهبية. والجبين الوضاء ، الوضاح ، الذي كأنه نظم من اقاح . والخدود الوردية الاسيلة ، اللطيفة ، الناعمة ، والابتسامة العذبة . والجيد الاتلع الاهيف الابيض الناصع الذي يشبه عنق الغزال ، او كأنه البدر في جنح الدجى . والانف الرقيق ، ذو البريق . والحاجب الذي يبدو كأنما حجب الهوى عن النظر . والخصر الدقيق، اللين الرقيق، والزنود الممتلئة او المفتولة البيضاء . والايدي التي كصحائف اللجين . والنهود الرمانية ، البارزة فوق الصدر ، التي تترجرج حينما تختال الحسناء بمشيتها فتترجرج معها اوتار القلوب الخفاقة . كل ذلك جمال ، جمال بأجلى مظاهره ، جمال بمعانيه وصفاته ، جمال وأي جمال !..

ومن النوادر اللطيفة التي تناسب هذا المقام ما رواه احد الظرفاء حيث قال : « استشار رجل عربي صديقا له في امراة يتزوجها فقال : « خذ ملساء القدمين ، لفاء الفخذين ، ضخمة الذراعين ، رخصة الكفين ، ناهدة الثديين، حمراء الخدين ، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين، لمياء الشفتين ، بلجاء الجبين ، شماء العرنين ، لطيفة الثغر ، محلولكة الشعر ، غيداء العنق » .

وروى عن بعضهم انه قال لرجل اراد ان يتزوج : « استوثر فراشك » ، اي تخير السمينة من النساء !..

وروى ان أبا العباس السفاح كان يوما في خلافته فخلا به خالد بن صفوان فقال : « يا امير المؤمنين ، لقد ملكت نفسك امراة واحدة واقتصرت عليها ، فان مرضت مرضت ، وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستظراف الجواري، ومعرفة اخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن . فان منهن يا امير المؤمنين الطويلة الفيداء، وان منهن البضة البيضاء ، والعتيقة الادماء ، والدقيقة السمراء ، والبربرية العجزاء .. ولو رايت يا امير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجزاء ، والمولدات من البصريات والكوفيات ، ذات الالسن العذبة ، والقدود المهفهفة ، والاوساط المخصرة ، والاصداغ المزرفنة ، والعيون المكحلة ، والثدى المحققة ، وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن ، لرايت شيئا حسنا » .

وبعث الحرث بن عمرو ملك كندة احدى الجاريات لتختبر له جمال الخنساء ابنة عوف الشيباني ، فلما رأتها الجارية وسمعت كلامها خرجت من عندها وهي تقول : « ترك الخداع عن كشف القناع » . ولما رآها الحارث قال : « ما وراءك يا أم عصام ؟ » فقالت : « يا أيها الملك .. صرح المخض عن الزبد . رايت جبهة كالمراة المصقولة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة . ان ارسلته خلته السلاسل ، وان مشطته قلت عناقيد حلها الوابل . وحاجبين كأنما خطا بقلم ، او سودا بجمم . نقوسا على مثل عين الظبية العبهرة ، التي لم يذعرها قابض ولا راعتها قسورة . بينهما انف كحد السيف المصقول ، لم يعبه قصر ولا طول . حفت به وجنتان كالارجوان ، في بياض كالجمان . شق فيه فم كالخاتم ، طيب المبتسم ، لذيذ الملتثم . تقلب فيه لسان يبين عن عقل وافر وجواب حاضر . تلتقي دونه شفتان حمراوان تجلبان ريقا كالشهد . ركب ذلك في رقبة بيضاء كالفضة على صدر كتمثال دمية (اله قديم) ، يتصل به ذراعان وعضدان . ليس فيهما عظم يمس ، ولا عرق يجس . ركبت فيهما كفان رقيق قصبهما ، لين عصبهما . تعقد ان شئت منهما الانامل . نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها ويمنعانها ان تنقد لمخبأها . تحت ذلك بطن طوى كطي القباطي المدمجة ، كسى عجنا كالقراطيس المدرجة . تحاط بتلك العجن صرة كالمدهن المجلو . خلف ذلك ظهر فيه كالجدول . ينتهي الى خصر نحيل لولا رحمة الله لانبتر . لها كفل يقعدها اذا نهضت كأنه دعص الرمل لبدة سقوط الطل . تحته فخذان كأنما حشيا ريش نعام . ركبا على ساقين عبلين يرى من صفاتهما مخ عظامهما ، يحمل ذلك كله قدمان لطيفتان كحرف اللسان . فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما ! ... »

هذه كلها صفات لتلك النعمة الساحرة ، القاهرة ، نعمة الجمال التي تتلاشى امامها نعم الوجود جميعها .. يا لها من صفات تأخذ بمجامع القلوب وتستهوي الافئدة .

وكتب المنذر الى كسرى وقد أهداه جارية : « اني قد وجهت الى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء ، وطفاء ، كحلاء ، حوراء ، شماء ، أسيلة الخد ، جثلة الشعر . عظيمة الهامة ، عريضة الصدر ، كاعب الثدى ، حسناء المعصم . رقيقة الانف ، عزيزة النفس . رزينة ، حليمة ، كريمة ، اديبة ، قطيعة اللسان ، زهوتة الصوت ، تبادرك الوثبة اذا قمت ، ولا تجلس الا بأمرك اذا جلست » .

وهذا وصف بليغ آخر لصفات الجمال ، يحوي المحاسن كلها .. فتبارك الله الجميل الذي يحب الجمال.

وقال آخرون ان الجمال سلطان ينبعث من نور الوجه ، فيتسلط على القلوب ويجذبها . ومنهم من يعتبره سرا تفهمه الارواح وتفرح به وتنمو بتأثيراته . اما الافكار فتقف حياله محتارة محاولة تحديده وتجسيده بالالفاظ ولكنها لا تستطيع .

وهناك من يرى الجمال ـ كما كان يراه رجل الفن قبل ٣٠٠ او ٤٠٠ سنة ـ ممثلا في الوداعة والقداسة والسذاجة .

حكى ان عائشة بنت طلحة ـ وامها أم كلثوم بنت ابي بكر الصديق ـ كانت اجمل نساء عصرها . وكانت سافرة لا تستر وجهها ، فعابها احدهم في ذلك فقالت : « ان الله وسمني بميسم جمال احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم » .

كما ان هناك من يرى الجمال في الصمت والتفكير والهدوء ، ويراه في شروق الشمس وغروبها . ويراه في احضان الطبيعة الرحيمة . ويراه في حنو الطفل لامه . وفي لحن الموسيقى ، وفي بيت الشعر ، وفي تفكير الاحبة وقد اجتمعوا حول الامل يتهامسون . ويراه جاثما في صمت التماثيل ، وفي سجود المصلين ، وترتيل العابدين . ويراه في الحنان والرحمة ، ويراه في دفقة الشباب ، وفي وقار المشيب . ويراه في كل شيء ، وفي كل حقيقة ..

والجمال على وجه الاجمال آية تعنو لها الاعناق والرقاب ، وتفتتن بها العقول والالباب ، منذ خلق الله العالم واوجد آدم وحواء ..

ويمكن ان نقول ايضا ان الجمال هو المثل الاعلى لما ابدعته الطبيعة في صفحة الكون . فاذا حدثنا الدين عنه قال ان الجمال رسول الملائكة على الارض ، وهو توقيع الله على خليقته ، بل انه من صفات الالوهية ، فالله ـ كما يقول رسول الله ـ « جميل يحب الجمال » . وان الله مثال واصل كل جمال . وانه لطيف ذو جمال مطلق ابدي علوي لا ينقص ولا يفنى ولا يتغير ولا يزول . واننا لن نصل الى الجمال القدسي في معرفة حقيقة الله الا اذا بدانا بهذا الجمال الارضي الذي يسمو بأرواحنا وقلوبنا فيوصلنا الى عالم الخلود والابدية بجوار عزيز مقتدر .

يقول الفارابي: «المعشوق منا هو الفضيلة والجمال، وليس العاشق منا هو الجمال والفضيلة » .

ويقول هيجو : « من يحب الجمال يرى النور »

ولله در الشاعر الظريف الذي ناجى ربه قائلا :

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت عبادي ألا فاتقون
وانت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

واذا حدثنا الادب عن الجمال جعلنا ننصت الى

تغريد الطيور ، وهديل الحمام ، وسجع البلابل ، وشدو الكروان . ونرى بهجة الرياض المونقة ، الناضرة ، وفيها نضير في كمائمه .. وتبصر الشمس في موكب جلالها مشرقة على الكون تهبه الحياة والنشاط وتستفزه الى طلب المزيد من الحياة .. وجمال منظرها في الشروق والغروب ، وعمق أثرها في النفس الرقيقة الحساسة . ويصور لك الليل بنجومه السافرة المتألقة في كبد السماء تخطف الابصار . وقمره الفضي الهادىء الوديع ينشر في الفضاء غلالة منسوجة من خيوط الماس الدقيق ، يبعث في النفس الرضى والاطمئنان ، ويبعث فيها القوة وحب الحياة والابتسام لكل ما فيها من سمو وكمال ..

والجمال قبل ذلك وبعد ذلك ، حقيقة مطلقة تشترك في تقديرها العاطفة والمزاج والوراثة والبيئة والتعليم . وتقدير الجمال انما هو تقدير نسبي تشترك فيه عناصر كثيرة متباينة . وهو مع ذلك سرمدي، لا متناهي ، ازلي، أبدي ، عالمي ، شامل .. بعيد ، بعيد ، كالنجم حين يخفي نفسه في احضان الليل .. قريب، كعيني طفلك الصافيتين حين تبعثان في قلبك الحنان ، وتضفيان عليه الجمال ، كل الجمال ..

والجمال موجود في كل مكان ، كائن في كل شيء.. فهو احيانا يكون فينا ، في طوايا أنفسنا ، كأنفاس طائر صغير ، يحب كل الاشياء الجميلة ..

وهو في بعض الاحيان ، حين تكون في اسمى حالاتنا ، يجعلنا نشعر كأننا على درجة كبيرة من الحسن والجمال . ونرى انفسنا في كل مكان ، وفي كل شيء : في نهاية الافق البعيد ، على مدى البصر ، حيث تتصل السماء على الارض وكأنما تتعانقان .. وفي السحب التي تخلب اللب وتفتن الفؤاد بروعة الوانها .. وفي امواج البحر وهي تنسج زبدها السحري، وتوقع لحنها الابدي، الازلي ، في سيمفونية رائعة .. وفي اسراب الطيور الرشيقة ، بحركتها الخفيفة ، وتغريدها الشجي .. وفي الحشائش الهاجعة كبساط من سندس .. وفي المراعي الهادئة حيث سنابل القمح الذهبية تلسعها الشمس وتلاعبها النسمات ..وفي وجوه اصدقائنا ولداتنا واحبابنا .. وهكذا ، كلما راينا شيئا من هذا ازددنا جمالا ، وازددنا جلالا ..

والجمال قوام الوجوه ، وجوهر الحياة ، ولب لباب الكون . فاذا نحن شعرنا بجوع او ظمأ فلنبحث عن الجمال يغذينا ويروينا ، ويملأ رئتينا هواء نقيا ، وقلبنا حبا تقيا .. فالجمال للانسان بمثابة الخبز الذي لا غنى له عنه . ومن اطعم بالجمال القلوب الجائعة ، فهو اشبه بقديس يطعم بالخير وبالحب الاجسام الجائعة ..

والجمال ـ ككل شيء في الوجود ـ الى زوال ، يجيء ويذهب . فهو كبسمة تتألق على وجه صبيح ، لطيف . تشف عما وراء الوجه الاليف من فرح وسرور.. او كاشراقة على جبين الزمن .. كذلك خلف اي جمال يمنحنا الغبطة ويهبنا السعادة يوجد نفس الجمال ، القادر على اعطائنا كل الجمال اللانهائي ، الذي يأتي ويروح .. الجمال الذي يلاحق بعضه بعضا ويتعقبه كالطيور الاليفة .. كالسماء الصافية .. كالنجوم اللامعة .. كنسيج الامواج السحري في ملاحقته الدائمة ، ومتابعته اللانهائية السرمدية ، في حركة رتيبة ، وايقاع بديع .. حيث تصب الانهار في المحيطات الى المجهول .. كالوميض الذي ينبعث من عيني عاشقين ..

الا ان هذا الجمال الذي يأتي ويروح ـ اذا راح فانما يترك فينا أثرا .. يترك فينا الجلال والبهاء والعظمة ، حيث تبقى جميعا فينا وتستقر وتضفي علينا الجمال والمهابة .

رأيت غلاما يتأمل الشمس عند الاصيل وفي عينيه سؤال : « والغروب اين يذهب ؟ » وتبدو عليه الحيرة تبحث عن جواب .. واذا به بعد لأي يعرف انه يغيب في غيب ، وينطوي في مجهول : في صمت طفل شاخص ببصره الى السماء في حال من تأمل وابتهال ، وفي بريق صورة لفنان ، وفي لحن اغنية لشاعر، وفي قلب العاشق المتبتل حيث يغدو لهيبا يتأجج في محراب الجمال ..

والجمال يهذب الاخلاق ، فالمحب للجمال لا يمكن ان يكون ابدا فظا او غليظا .. واذا استقر في القلب الجمال فلن يكون فيه مكان او ثغرة في مكان لكره اي شيء ، ولن يكون فيه مثقال خردلة من بغض لاي فرد . ولا يمكن ان تكون في النفس الطيبة الجميلة اية قسوة ، ولا في القلب الجميل اثر من رجس او دنس ..

والجمال يشرف الانسان ، ويرفع قدره ، ويعلي مكانته في العالمين ، ويسمو به الى اعلى عليين ..

والجمال هو الذي يؤلف بين القلوب ، ويوحد حباتها ، ويرقيها ، ويرقيها بالتعاويذ والرقى . وهذه الرقى بدورها تسحر العين وتخلب اللب وتثير الوجدان وتلهب الحس ، وتأخذ بمجامع القلب ، وتهز المشاعر ، وتطرب الاذن ، وتجلب للنفس المتعة ..

واكثر من ذلك فهو السلام العظيم ، الذي يدعو البشر الى السلم والسكينة والى الحب والخير ، والى العيش في استقرار وأمان ، لا يعكر صفوه مثقال ذرة من ضغينة او مقت او كراهية او عداء ..

فما أشد حاجة العالم الانساني حقا الى الجمال ..

وما احرانا ان نرفع اكفنا الى السماء مبتهلين الى الحق المتجلي بالجمال ، ربنا ، رب الجمال وخالقه ، متوسلين اليه بحبيبه لاهوت الجمال ، ناسوت الوصال ان يضع الجمال في انفسنا . وان يجملنا بكل ما هو جميل ، حتى نحب بعضنا بعضا ، وحتى تترابط قلوبنا ببعضها ، وتميل نفوسنا الى بعضها ، وتهيم ارواحنا ببعضها .. وحتى توفق النفس نغماتها الموسيقية مع لحن الحياة ، لتكون اكثر استعدادا لتأدية ما عليها من واجبات .

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـاد الغريب

القيت في حفلة تكريـم اقيمت للشاعر خـــلال زيارته لوطنه

عاد الغريب الـــى ربـوع الضاد ... هل تشتفي بالعـــود غلـة صاد
هذا هـــو اليوم المقدس عنـده ... والاكرم الاغلـى مـــن الاعيـاد
هذا هو الحلم الذي اغفـى علـى ... اهدابه ، وصحا علـــى ميعـاد
وارحمتـــا للغائبـــين تشـردوا ... في الارض بـين حواضر وبـواد
ضاعت وراء الترهـات اصولهـم ... وكبا وراء الرزق كـــل جـواد
نزحوا قوافل فـي ركاب قوافل ... هل عاد للمفني سوى آحـــاد ؟
عشنا على الاوهام يخـدع بعضنا ... بعضا ، ونضرب يقظـــة برقـاد
لليل شكوانا ، وهـل ابقت لنـا ... غصص النـوى الا حطـام فؤاد ؟
ارض الغريب حنت علـى آمالنا ... لكنهـا جـارت علـــى الاكبـاد
شربت مدامعنـــا لقـــاء ثمالـة ... وثـرت عزائمنـــا بلقمـــة زاد
طرنـــا اليهـا جـذوة وهاجـة ... مـــن صبـوة وحميـة وعنـاد
ثـــم انكفأنا حفنـــة مرذولـة ... لا خير فيها مـــن لقـى ورمـاد
احفادنا يبنـــون فيهـــا جنـة ... انهارها مـــن ادمـع الاجـداد
يا ليت لم نرحل ولم يبنوا ولـم ... يضع الجدود بجنـــة الاحفـاد
يـا مهـد احلامـي ودار طفولتي ... (سبحان من القى اليك قيادي (١))
هل تذكرين علـى ربـــاك كتيبة ... تعدو علـى خيـل مـــن الاعواد
يقتادها فـــي النائبات مجرب ... جـــم الفـــرور بسيفه الميـاد
متهلـــل القسمات الا انـه ... متواصل الابتراق والارعـــاد
انـــا ذلك الولد الغرير تجهمت ... آفاقه ، وعدت عليـــه عـــواد
عصف الخريف بـه ولكن لم تزل ... فـــي مقلتيـه بـــراءة الاولاد
الطود مسبح فكـــره لا رجلـه ... والسهل مسرح شوقـه الوقـاد
يحنو عليـك بروحه ويود لـــو ... رقـدت بقايـــاه باطيـــب واد
اعرفتنـــي ام غيرتنـــي غربـــة ... جارت بانياب عـــلي حـــداد ؟

يـــا معقل الاحرار لبيناك مـن ... خلف الشواطىء دون كل منـاد
جئناك يحدونـا الحنين ، وانـه ... لاحب حـاد فـي النفوس وشاد
هذا التراب العبقري يضم فـي ... احشائـه دنيـا مـــن الامجـاد
في كل شبر منـــه يرقد صارم ... للحق يصحب كوكبـــا للضـاد
حمل الحضارة للوجود ولم يزل ... يحدو الشعوب الى الطريق الهادي
ان كنت لا استطيع رد جميلكـم ... فلسوف اشكركم بدمـع فؤادي

(١) الشطر للشاعر القردي

بوانس ايريس ـ الارجنتين

ذكي قنصل

« لا تصدقي ما تقوله هذه او تلك » رفعت يديها المتعبة عن رأس المرأة وهي تمضغ اللبان « تأتي الواحدة منهن لتلقي بثقلها عليك ، هذا ان لم تدع بانها قريبة لك ... عجلي يا غولباز ، ضعي رأس السيدة تحت السشوار » .

وترفع السيدة غولباز اليتها عن الكرسي بمشقة ثم تمتد اصابعها المدببة بحركة لا شعورية الى الخلف لتعدل فستانها المعلوك بفعل التعرق . وتتدحرج كالطاحونة العتيقة الى زاوية الصالون الانيق لتفتح السشوار وتديره في الاتجاه المطلوب .

لم تكن السيدة غولباز عاملة عند جارتها بل كانت تسدي اليها يد العون بين الفينة والاخرى مقابل تصفيف شعرها بلا مقابل . وهذه المقايضة اللطيفة تسبب بعض الضيق للسيدة عنايات والسبب في ذلك يعود الى روح الانتهازية التي تتمتع بها تلك السيدة السمينة الشرهة حتى في وجبات الجمال . فهي تطرق الباب بلا مناسبة وتهجم على الصالون كابي قشطة فاتحة فاها الكبير لتلتهم كل ما حولها من روج وماكياج ورميل. ثم تبعثر الرولو والدبابيس هناوهناك مدعية بانها تبحث عن الحجم المناسب لشعرها وبعينين تقدحان شررا تقف السيدة عنايات مغيظة تضع يديها حول خاصرتها . ومع ذلك فهذه المعارك الاستفزازية التي تقوم بينهما لا تؤثر في قليل او كثير على علاقتهما الفريدة في هذا العمل الثمين . فالسيدة غولباز عاملة نشيطة لا تتقاضى اجرا كما ان عمل الكوافيرة في هذه البلدة الصغيرة يدر ربحا وفيرا بافل تكاليف ممكنة ، وبما ان تقاليد المدينة لا تسمح بفتح صالونات عامة للتزيين لجأت السيدات الى فتحها في المنازل .

ومع ذلك فان فكرة كهذه لم تأت من الرؤوس الناعمة الباحثة ابدا عن الحرير . وقد اصبح البحث عن الاعمال المربحة كالبحث عن البترول ، يسيل له لعاب كل مغامر يعمل زنبرك عقله بسرعة هائلة وباتت حاسة الشم عند هؤلاء كحاسة الشم عند كلاب الصيد يطاردون الفريسة بعنف وشراسة الانسان الاول ، وتظل المطاردة حية ومشوقة حتى يرتمي قطيع الغزلان على الارض صريع التطور وجموح طبيعة العصر الذري .

ومهنة التزيين بحد ذاتها مهنة دقيقة ونظيفة تختص بفبركة الجمال وطبخ الانسجام في لفتة المرأة وبلورته . وحواء عادة تدخل من باب الصالون كئيبة قبيحة معقدة لتخرج منه نشيطة جميلة خفيفة تطير فوق مكنسة الساحرة .

ولصالون الجمال سحر اكيد فهو يسعد كل البيوت ولكن لا شك في انه يحطمها ، يسعدها فينشر البهجة والسرور ويعلم معنى النظافة والهارموني . اما لماذا يحطمها فهذا شيء مضمون لان النساء الفقيرات لا يملكن ثمن التسعيرة المتعارف عليها . فتشتبك الواحدة مع صاحبة العمل في جدال طويل ثم تلجأ الى قص تاريخ حياتها الحافل بالمآسي والدراما العنيفة ، كل هذا مخافة الدفع وبالطبع ذلك يتطلب حنكة ودراية ، ولكن ما بالك اذا كانت صاحبة الصالون قد اصبحت بالسليقة ذات خبرة ومعرفة قويتين في معالجة تلك الالاعيب .

كان لا يغيب عن بال السيدة عنايات ان هؤلاء النسوة يستدررن عطفها فتختصر الثمن او تسامح لكنها اكتشفت مع الزمن بان عملها يتطلب صرامة وشدة كعمل الطبيب .. اجل صرامة لا تخلو من بعض الشغب والمساومة والصراخ تماما كما يحصل في سوق الخضار او السمك .

اما الليلة بالذات فهي شديدة الحرارة ،

الكوافيرة
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الآنسة رجاء ابو غزالة

يتصبب العرق من الوجوه ليسيل على المناشف النظيفة الملفوفة على الرقاب السمراء المتصلبة . اصابع السيدة عنايات تعمل كماكينة الخياطة وصوتها الجهوري يرتفع بين الحين والآخر كصوت قائد فرقة الفرسان .. الى الامام سر ، قف، انحناء .. ستوب ، الى اليمين من فضلك ... وتقوض المرأة عنقها مستسلمة كالديك الرومي فيعمل المقص في تهذيب فروتها .

احيانا تأتي احداهن وقد مسحت شعرها بالزيت البلدي حتى الجذور فتصرخ السيدة عنايات مستجيرة « غولباز اغسلي شعر هذه المرأة بالشامبو » .

« شامبو ايه ده يا اختي لا لا لقد اغتسلت قبل مجيئي الى هنا » .

« لن اتمكن اذن من تصفيف شعرك .. هذا مستحيل لانه مشبع بالزيت » .

« ولكني لن ادفع ثمن الشامبو » .

« غولباز » تشد السيدة عنايات رقبتها وقد نفذ صبرها « اغسلي شعر هذه السيدة » .

وتتحرك الكتلة السمينة الى المغسلة وهي تعدل من فستانها ثم تمسك بحزمة القش المزيت بين يديها وهي تتمتم بصوت خامت :

« ان زجاجة الشامبو لا تكفي لغسل مشحمة ابو سعيد ، انجديني يا عنايات ».

« هيه » تبحلق عنايات فيها وقد حشرت دبابيس الشعر في فمها .

« اني اتساءل فقط هل يوجد لديك زجاجة اخرى من الشامبو ؟ »

« مم ماذا تقولين » بصقت الدبابيس بحنق « هل انتهت الزجاجة الاولى ؟ »

« طبعا يا اختي ، اسرعي ... ان مهنتك شاقة » ثم خفضت من صوتها « ان ظهري يكاد ينكسر » يدق الجرس ..

« غولباز عجلي زبونة في الباب » .

« يا حلاوة ، علها تكون دسمة كديك الحبش » .

تدخل امرأة تجر قدميها ، في الاربعين من عمرها ، سمراء بلون الطين ، تجيل عينيها كالحرباء في كل اتجاه ، قصيرة محدودبة الظهر تبرز عظام وجهها كالمومياء ... وفي حضنها الحاوي على فخذين مجففين وضعت كفيها في استراحة طويلة وجلست .

صوبت عنايات اليها نظرات متفحصة . لقد كانت تبحث عبثا في تلك المتوسطة في العمر عن مسحة جمال تعجنها وتصنع منها فطيرة ساخنة لا تخيب ظنها او ظن من يراها .

لم يكن شعرها حزمة قش بل كومة دقيق رقيق الحاشية يكاد يختفي في الصاج الصغير .

لم تكن تحمل في يدها شنطة او منديل ، اطمأنت عنايات بانها تصر فلوسها في صدرها . لا بأس ستدفع والسلام اطبقت فمها في استدارة مزمومة وانحنت فوق الرأس تمسك به كالجزار العنيد ، وفي شبه هياج مكتوم راحت توسعه تمشيطا وتمسيدا ... عندما فكرت في هذا العمل كان في رأسها نماذج رائعة لصور ووجوه تفوقها روعة ، لقد كانت تؤمن بان عملها هو عبارة عن تنسيق طريف لسلال من الشعر اشبه بالزهور .

لكنه مات . تطلعت في الصورة المعلقة على الجدار « لماذا مت انني اقوم بمسؤولية اربعة اطفال » ارخت شفتها السفلى وبدت



كأنها على وشك البكاء .

« يا ولد » نادت الخادم وهي تمسح انفها بظاهر كفها « خذ الاطفال من هنا ان الارض قذرة » .

ثم التفتت الى السيدة المعروقة « دورك يا ست » .

تتربع السيدة شبه مجفلة على الكرسي المستدير ثم تستدرك فتزيح اصابع الست عنايات عن كتفها فتأمرها تلك بالاسترخاء فتسترخي مادة قدميها الى الامام .

« والان ماذا ستفعل بك » .

وتبحلق المرأة بدهشة « اريد ان اكون جميلة » .

« هكذا اذن ، ودفعة واحدة » .

« لقد هجرني منذ شهور » .

« وماذا فعلت له يا عزيزتي » غمزت عنايات السيدة غولباز التي اخذت لها في تلك اللحظة مكانا في الزاوية ترشف فيه القهوة وتدلك قدميها التعبتين .

« ابدا والله لم افعل به شيئا » اغمضت عينيها وهي مستسلمة « لقد اخذوه مني أولاد الحرام » .

« لماذا جئت الى هنا اذن ما دام روميو قد هرب « قربت وغولباز كرسيها ووضعته امام السيدة » .

« يه يه يا عيب الشوم وهو مين روميو هذا » ضحكت ببله وهي تغطي فمها فبرزت اسنانها الصفراء ككوز ذرة يابس نخره السوس .

« احني راسك من فضلك » .

« ايوه ، حاضر » .

« اذن فانت لا تعرفين من هو روميو » فهقهت غولباز بصوت عال فاهتز جسمها فوق الكرسي ككرة من المطاط .

« لأ يا ستي » زمت السيدة شفتيها بامتعاض « انا لا اعرف سوى زوجي » .

« وماذا يعمل المحروس » .

سائق تاكسي « نفخت السيدة صدرها باعتزاز » .

« يا سلام على سواق الفرام ، معه حق يا اختي » .

« ماذا تقولين » .

« معك حق يا اختي » .

« آه صرخت السيدة مولولة ، لقد وعدني بانه سيأتي » .

« وبعدين يا غولباز نهرتها عنايات وقد نفذ صبرها » اريد ان انهي تسريحة الست ثم خففت من صوتها « الم احذرك بانها ستتمادى » .

« لا بأس ستدفع مهما كلف الامر » .

« مستحيل ما دمت تشجعينها على الحديث » .

« ييوه اننا نمزح فقط ، لماذا الحر شديد » ، تململت ثم مسحت العرق عن جبينها وهي تقول للست :

« لا بأس عليك ، لا تحزني يا .. »

« محروسة الله يحفظك » .

« سيعود يا محروسة ما دمت الليلة ستبدين كالعروسة » .

« من فمك لباب السماء يا رب » .

« آمين قولي معي آمين » .

وتتنهد عنايات وهي تغسل يديها . لقد انتهى عملها في العاشرة مساء ولم يبق في الصالون الا تلك السيدة المعروقة ، تتلوى بين الفينة والاخرى تحت السشوار . ان منظرها يذكرها بالمجاعة والفقر الرذيل ، لقد كانت في صغرها فقيرة ، ولكن لم يصل بها الحال الىدرجة تبدو معها كقفص من العظام. كان زوجها يطري دائما قدها المشوق ، وكان قصر قامته يعذبها فتضطر الى لبس حذاء مسطح يسبب لها ورما في قدميها . وهو اذا ما مشى بجوارها بدا كبرميل نفط يلتهب نشاطا وحيوية . يعمل ليل نهار لكي يهرب من سلاطة لسانها فتضمن بذلك بعدها عن محاولاته الغزلية السمجة . لكنه كان رجلها على اي حال ولا يمكنها التفريط به . وعندما علمت بحقيقة مرضه اصابها ذعر مميت فباتت تبحث معه في كل ليلة مسالة الميراث فطمأنها بان الميراث لا يؤمن لها ولاطفالها حياة رغيدة بعد مماته .

بالطبع لم تحزن ، ولكن عندما توفاه الله اتفقت على مراسيم الجنازة مبلغا محترما لا يستهان به ، واخذت على عاتقها مسؤولية البيت والاطفال فاصبحت بذلك تحترم القرش وتقدره حق قدره فهي لن تدع زبونة واحدة تفلت من براثنها مهما كلف لامر ، ستحافظ على مستواها المعيشي لانه بات بينها وبين الفقر حاجز سميك من الاسلاك الشائكة .

ارتجفت محروسة من الخوف عندما حان موعد الدفع فاخذت تنبش في رأسها بحثا عن طريقة للخلاص فوقفت لها عنايات بالمرصاد وحدجتها بعينين متدليتين كعيني ضفدع خبيث فتكهربت تلك وبدأت تشمشم عبها وثيابها والهواء من حولها علها تعثر على الفلوس .

« لقد صدق حدسي اذن » تقترب عنايات منها على مهل فتتراجع تلك مذعورة .

« لا لا يا ست لن آكل عليك فلسا واحدا ارجوك امهليني للغد » تقهقرت الى الوراء وانهمرت دموعها فوق خديها المعفرين بالمكياج .

« سادفعها في الغد » شهقت بمرارة ثم اخذت تمسح برك الدموع المخضلة بالروج والرميل . الم اشرح لك بؤسي .. سيأتي الليلة « ابتسمت بهستيرية » سآخذ منه الفلوس وادفعها لك سيعرف بانني فعلت كل ذلك من اجله » .

« وان لم تدفعي صباح غد » طحنت عنايات اسنانها في غضب !

« سادفعها حبا بالله ، ساخدم في البيوت ، سادفعها بالقروش ، الا ترين بانه مبلغ كبير ، عشرون روبية ... انها تكفي لاطعامي انا وابني الصغير طوال الشهر ، حرام يا ست والله حرام .

هدأت محروسة بعد ان استبد بها اليأس وفشلت محاولتها الاخيرة في كسب قلب عنايات ثم نظرت في المرآة وقالت ببؤس « هذا جميل ، لقد حلمت به طول حياتي ، عاشت يداك » .

« وكيف أضمنك » انقضت عليها وقد الهبها الخوف .

« هاك اسورتي » .

« ضعيها فوق الطاولة ، مع السلامة ».

انسلت محروسة من الباب وخرجت الى الشارع لا تصدق عينيها ، ان روحها ما زالت تلفق في صدرها الناتيء . همست في عبها وهي تعبر الازقة القذرة المليئة بالشحم ومياه الغسيل « والله يا محروسة عشت وشفت» تحسست شعرها تحت الملاءة السوداء « هذا جميل والله تسريحة العمر » .

في غرفة ضيقة رطبة حشرت جسمها المتعرق واقتربت من الصبي النائم في اسمال بالية تفوح منها رائحة الشارع والبحر والجوع . تمددت قربه وهي تحلم « لا لا لن تنامي الان يا محروسة سيذهب النوم بجمال شعرك » وضعت مسندا وراء ظهرها وجلست تنتظر ، لقد اعدت له كل ما يريحه ويحبه ، صحن المرق الساخن ، برعمان من البصل الاخضر الطري ، صينية فتة الحمص بالفلفل ، لا لم تنس نصيحة جارتها « الراجل يا بنتي عاوز حرمة نظيفة جميلة مثل بنات اليوم » .

تطلعت في المرآة المحطمة امامها « ياه كم انت جميلة يا محروسة » .

على حافة المسند غلبها النوم فتناغم شخيرها مع هرير الصبي ، لكن الزوج لم يات ، طلع الصباح مشحونا بالغبار والذباب الكثير ، مددت ارجلها المتيبسة وهي تتثاءب لقد حلمت بانه عاد وفي يده صرة كبيرة مزخرفة يتماوج في طياتها فستان من الحرير الاصفر ، فهي تحب اللون الاصفر لانه بلون الذهب وتحب الذهب لان قيمته ثابتة . لقد علمتها أمها كيف تصره ليرات براقة تلمع كالشمس في حزام حول خصرها .

باعت الحزام لتشتري به قوت يومها بعد ان هجرها رجلها وتركها فريسة البؤس

القيروان

يروى ان عقبة بن نافع عندما دخل افريقيا وجد مكانا فيه افاعي وعقارب فنادى عليها ان تخرج وامتثلت كلها لامره .. وهناك بنى مدينة القيروان . وعندما زرت المدينة اوحت الي بهذه الابيات ...

سمعنا بسحرك منذ زمان فجئنا نزورك يا قيروان
فنكحل بالترب منا العيون ونخشع في قدس ذاك المكان
وكم لحت في حلمنا جنة وها انت في العين ابهى الجنان
عروس الرمال تحية قلب له في مغانيك اي افتتان
اتيتك فوق متون الرياح اطير بشوقي رخي العنان

اسائل عقبة عبر العصور اما من سبيل لشط الامان
بلادي دهتها الرزايا الكبار وفي ارضها احجر الافعوان
سموم الحتوف بانيابه وغدر الابالس تحت اللسان
ولو زرتها اليوم يا عقبة بكيت عليها الدموع السخان
فارض الجدود ومسرى الرسول ومهد المسيح تراب مهان
هلم مبيد الافاعي الكبار اما منك حرب عليها عوان

نظرت لمحراب عقبة ارجو جوابا يهدىء مني الجنان
سمعت الطبيعة حولي تردد بيتا من الشعر جم المعان
قريضا نما من تراب البلاد وفيه عبير الروابي الحسان
(اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب «الزمان»
ولا بد لليل ان ينجلي) ولا بد للصبح ان يستبان

لندن

فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والوحدة . تذكرت الاسورة ، لم يبق لديها سوى الاسورة ، لكن الاسورة مرهونة. دست يديها تحت المسند وتحسست التعويذة . انه لم يأت ، لم يأت لقد بطل فعل الحجاب .

حدقت في طبق المرق البارد وبكت . انها لم تعمل ابدا في حياتها ، ان كرامتها لا تسمح لها بذلك . لكنها وعدت الست بان تدفع المبلغ بكامله .. « ايه كله » مزقت جلدها باظافرها وقد علا صراخها في بكاء كالعويل .

استيقظ الصبي فحضنته بقوة وهي ترفع خصلات شعره الاسود « الا ترى بان امك جميلة يا ولد » « يا واو » حملق الصبي في شعر امه «لم ار اجمل منك في حياتي».

قهقهت كالدجاجة المريضة ثم بكت،مسحت دموعها بطرف ثوبها ... لملمت اطرافه وانتصبت واقفة « بسرعة يا صبي ، اذهب الى قصر ام الزين واخبرها بان محروسة تود العمل » .

في القاعة الكبيرة المرصوصةبالمرايا ركعت محروسة فوق كومة العظام التي يحويها هيكلها وراحت تدعك بلاط الرخام بكلتي يديها ، وعندما تستريح كانت تسترق النظر وتراقب باسى تفسخ التسريحة الجميلة الذي عمل العرق والجهد والهواء الساخن المتسلل من الباب على اتلافها .

مع غروب الشمس عدت الروبيات بنهم واسرعت ترتقي السلالم الى بيت الست عنايات وعلى باب الشقة تلقفتها الست غولباز « محروسة ماذا جاء بك ، اخبريني هل عاد » .

خفضت محروسة رأسها باسى وهي تكفكف دموعها باطراف اصابعها ، ثم دخلت الصالون لتدفع الدراهم وتستعيد الاسورة. همست غولباز في اذن عنايات « حرام يا شيخة ان مظهرها يفتت القلوب انظري الى يديها ، الى شعرها المبتل بالصابون » .

« امكني لحظة يا محروسة ، ساعدل لك التسريحة » .

« لا يا ست عنايات » .

« كما تريدين » هزت عنايات كتفها « مع السلامة » .

« لا افهم حتى الان كيف تاتي الواحدة قاصدة الكوافيرة ولا تملك فلسا » .

« الجنون فنون » ضحكت غولباز بصوت عال « لكن من اين اتت بالفلوس يا ترى ، مسكينة » اغلقت باب الشقة خلفها وهي تفرقع باللبان .

جدة

رجاء ابو غزالة

نسـيم الخـوري

بقلم شكر الله الجر

* * *

نسيم الخوري شاعر مـن شعراء لبنان المغمورين في البرازيل ينبع شعره مـن قلبه وروحه عاش للموائد الخضراء اكثر مما عاش لسواها من شؤون الحياة والادب.

ولو انه انصرف الى الشعر انصرافه الـى العـاب الميسر لترك لنا في رياضه المورقة باقـة عبيقة الفـوح مخضلة الورق .

لقد انتج قليلا من الشعر بيد انه على قلـة انتاجه كنا نجد في شعره حلاوة البث ولطف الاداء واليك من افلاذه الموزعة في قوافيه هذه اللمحة المشرقة من معانيه.

مشيت وبي مـن لاعج الحب نزوة اضافت الى جسمي النحيل نحولا
كاني طبيب عـاد يوما عليلـه ولم يتق العدوى فعـاد عليـلا

ولد في بلدة « بينو » من شمالي لبنان وهاجر وهو في روعة العشرين الى البرازيل فاستقر فـي عاصمتها القديمة يعالج التجارة فكثرت له عن نابها فتراجع عنها الى غيرها من موارد العيش .. فاتقن العاب الميسر على مختلف انواعها وكان موفق الطالع يجتمع اليه في لياليها شلة من هواتها المدمنين . تغيب الشمس عنهم وتطلع عليهم وهم عكف على موائدها الخضراء . ومن شعره فيها:

قضيت العمـر معظمه وراء الميسـر الجانـي
لعلي مصلحا مـا اختل مـن حالي وميزاني
فما صادفت غيـر الهزء مـن صحبي واخواني
وما صادفت غير الضنك فـي ربـح وخسـران
وحين تضيق بـي الدنيا اعـود لنظم الحاني .

وهكذا كانت حياته التي صورها اصدق التصويـر في ابياته هذه .

لقد احببته لظرفه وخفة روحه ، وللضحكة التي ما كانت لتفارق شفتيه بالرغم من شيبه الباكر . وكثيرا ما كنت اداعبه مسلطا عليه بعضا من وخزاتي القلمية علـى صفحات مجلتي فيتسع لها صدره على كثـرة المتغامزين عليـه .

زار لبنان بعد غيبة طويلة فنعم بطيباته خلال فصل الصيف واتصل ببعض ادبائه وشعرائه بمـا فيهم الاخطل الصغير وامين نخلة وسواهما وانبسطت له الموائد فـي حلقاتهم الانيسة ثم عاد الى مقره فـي عاصمة البرازيل يحمل الي قصيدة من شعره هـي مـن موحيات الجبل المجلل بكرومه ، الباكي مع جداوله ، الضاحك مع ربيعه ، ومما قاله لي :

لقد مضت سنوات على اهدائك الي مجلتك الاندلس الجديدة وحتى الآن لا تعرف لونا (لعملتي) فاليك بهـذه القصيدة كفارة عن قصوري ..

فضحكت وقلت الشعر بالشعر حرام يا نسيم فاجعل بينهما ما يستطاب فهرول المسكين الى داره وعاد لساعته يحمل الي علبة جميلة الصنع تفوح مـن خشبها رائحة الارز فسرني ذوقه وحمدت لـه هـذا التذكار اللطيف ونشرت قصيدته في الصفحات الاولى من المجلة بعـد ان قدمت لها بهذه الكلمات التي ارضته واغضبته معا :

« هذا شاعر جاوز الخمسين ولكنه ما تاب بعـد الى رشده ولا تاب الى ربه .. فهو ما برح يعاقر الخمرة ويغازل المراة كأنه في الربيع الثاني من شبابه . يطل علينا اليوم بعد عودته من لبنان بغزلية تعبق من قوافيها ذكريات غرامه الاولى باحدى فتيات قريته « بينو » ولعلها كانـت من بائعات اللبن فى ذلك العهد .. والى السامع هـذا العتاب توجهه اليه على هجره لها » :

أتته تلـوم علـى هجـره وتعلم مـا كان من امره
وكيف سلا حبهـا بعدما تلظـى زمانـا على جمره
فكـم مـرة جاءها شاكيا **غراما تأجـج فـي صدره**
فكانت تكفكف مـن دمعه وتطبع ثغـرا علـى ثغره

ومنهـا :

اليلاي اضنت سنون البعاد **فتاك واطفان مـن حـره**
غبار السنين علـى شعره **ونـار الفتوة فـي شعره**
فقالت ألست التي الهمتك من الشعر ما ذاع من ذكره
واوحى اليك الهوى لحظها **فجئت بسحرك مـن سحره**
فهيا نعـد للصبا والهوى **فننهل مـا طاب من خمره**

وعندما ازمعت عودة الى لبنان بعـد غربة طويلـة واقامت لي الجالية اللبنانية حفلة وداعية في نادي جبل لبنان وذلك عام ١٩٦٢ اذا بالصديق الحميم نسيم يشق الصفوف الي فيضمني الى صدره ويغص بدمعة ويقـول هنيئا لك يا اخي انك عائد الى لبنان اما انا فقد كتب لـي ان ادفن في تراب البرازيل . وكان صوته مضطربا وقـد قارب الثمانين من اعوامه فعهد الى احد اصدقائه ليلقـي باسمه هذه الابيات التـي نظمها خصيصا لوداعي فاكبرت فيه صفاء ذهنه وهو في الثمانين من اعوامه .

يعز علينا يا اخا الشعر ان نـرى رفيقا لنا عـن ربعنا اليوم نائيا
لقد كنت فينا مـذ عرفناك شاعرا يصوغ اللآلي زاهيـات غواليـا
لئن غبت عنا سوف تبقى قلوبنـا تراك علـى رغـم التنائي باقيا
أتيناك فـي يوم الوداع ودمعنـا على صفحة الخدين ينساب جاريا
فيا راحلا عنا الى موطن العلـى عساك بـه تلقى المنـى والمعاليا
فلا تنس في لبنان اخوان غربـة فمـا فيهـم الا بذكرك شاديـا
واني وقد امسيت شيخا مهدمـا فان عدت يومـا زائـرا لا ترانيـا
فيا ويح نفسي اذ اموت ولم تكن غداة مماتي فـوق قبري رائيـا

ليرحم الله روحك يا نسيم ان فـي ترديد ذكراك اليوم ما هو اخلد من وقفة على ضريحك ، واطيب مـن دمعة تنهل على روحك .

جبيل ـ لبنان **شكر الله الجر**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوراق الخريف

تناثرت منهمره ... على الروابي المقفره
وانكدرت من شاهق ... دون الثرى كنيره
ورفرفت تحسبها ... قادمة من قبره
شاحبة كالميت في ... أكفانه المنتشره
قميئة محتقره ... مقبلة ومدبره
هزيلة ضاوية ... في أمرها محيره
تخالها على الثرى ... قد استحالت حشره
أو مزق الشلو الذي ... عدا عليه قسوره

تكدست أطباقها ... ملء الربى والادوره
وانتشرت على الثرى ... في شاسع كالحبره
من شامها ألفى بها ... حقيقة مسطره
في أمرها لعاقل ... موعظة وتبصره
قد أوجزت ما قدحت ... يد الاسى من شرره
وأعربت عن لاعج ... للعيش نخفي عوره
لواعج نكتمها ... من خشية على تره
وحرقة نحملها ... كالجمرة المسعره

تواكبت أعلامها ... منشورة مظفره
وانتظمت بشاسع ... كالليل أرخى مئزره
عاينتها صامتة ... مطرقة مفكره
تجمعت أطباقها ... على الثرى معسكره
كقطع من غيهب ... تقاطرت منكدره
ساءلتها فأعربت ... عن حالها مثرثره
وأفصحت بشاهد ... موعدة ومنزره
شواهد على المدى ... لا تنثني مذكره

أليس من مزدجر ... بهالعين مبصره
هل نحن الا ورق ... أيامها مسيره
تقاذفتها للردى ... رياحها المزمجره
نجري وما من هدف ... نجنيه او من ثمره
وكل سعي قدر ... ولم يكن بمأثره
والعمر أضغاث رؤى ... وقصة مكرره
قد طفحت بزائف ... أحواضها وبالشره
حقيقة من دوننا ... كالشمس راحت مسفره

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو سلمى - خليل بيدس
انيس القاسم

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ « أبـــو سلمـــى »

الشعار الذي يحمله « ابو سلمى » شاعر الامة المشردة ، منـــذ هتف بالشعر وعرف السبيل الى « عبقر » واتخـذ مـن القافية المجنحة اداة للنضال الحر ووسيلة لدفع الاذى بالصارم البتار قوله فـــي ديوانـه « المشرد » :

نحن ان لـــم نحترق كيف السنى يملأ الدنيا ويهدي كـــل ركب ؟!

ولد « عبد الكريم الكرمي » في « طولكرم » الرابضة فـي السهل الفلسطيني المحزون عام ١٩٠٩ ، وتوزعت مراحل دراسته بـين مسقط راسه وبين « السلط » بالاردن و « دمشق » بسورية . وبعد ان احرز شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٢٧ قصد بيت المقدس وعين معلما في المدرسة « العمرية » والمدرسة « الرشيدية » وفي هـذا العهد التقى بصديق صباه ابراهيم طوقان شاعر فلسطين ، وعكف ليلا علـى درس الحقوق في « معهد الحقوق الفلسطيني » بالقدس ، وهنا برز عامـل هام في حياته افضى الى افالته من عمله الرسمي ، ذلك انه نظم قصيدة نشرتها مجلة « الرسالة » القاهرية بعنوان « جبـل المكبر » ، هاجم فيها السلطات البريطانية في فلسطين لعزمها علـى انشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على « جبل المكبر » الذي زاره الخليفة العربي العادل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما هبط بيـت المقدس وصلى فيه مع جماهير المصلين مكبرين ، ومما قال «ابو سلمى» في قصيدته :

«جبل المكبر» ! طال نومك فانتبـه قم واسمـع التكبيـر والتهليلا !
«جبل المكبر» ! لـــن تلين قناتنا حتى نهدم فوقك « الباستيلا » !

وبعد ان اطلع المسؤولون على هذه القصيدة اقالوا « ابا سلمى » من سلك التعليم ، لكن صديقه ابراهيم طوقان ضمه الى القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية ، وبعد فترة استقال « أبو سلمى » مـن عمله الاذاعي وقصد حيفا ليزاول المحاماة فيها ، وبحلول الكارثة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح الى دمشق وزاول المحاماة فيها والتدريس فـي تجهيزيتها والتوجيه والتوعية في وزارة الاعلام السورية ، واسهم في كافة المؤتمرات العربية والاسيوية الافريقية .

أبو سلمى : من حق القارىء أن يتساءل : لـم اختار « عبـد الكريم » كنية « ابو سلمى » توقيعا لمقالاته وقصائده ... حتى غلبت هذه الكنية اسمه الاول ، وآثر اخوانه ومحبوه مناداته بهذه الكنية ؟

والجواب عن هذا التساؤل هو : يوم كان « عبد الكريم » طالبـا في الصف الثامن بمدرسة عنبر بدمشق عام ١٩٢٤ هفا قلبه الى حسناء دمشقية اسمها « سلمى » فراح يتغزل بها شعرا ، ولما تناهى الامر الى اساتذته وفي طليعتهم سليم الجندي وعبـد القادر المبارك ومحمـد الداودي ، وسمعوا اول غزل نظمه بالحسناء الدمشقية وكان مطلعه :

«سلمى» ! انظري نحوي فقلبي يخفق لمـا يشير الـــي طرفك أطـرق

شجعوه على المضي في مغازلة «سلمى»! وكلما اقبل «عبد الكريم» على ساحة مدرسة عنبر قابله زملاؤه محيين ... هاتفين : «حبيب سلمى» و « أبو سلمى » و « يا أبا سلمى » فلصقت هذه الكنية به ، ودحرت اسمه الاول !

من آثاره القلمية : وبالرغم من هول الكارثة الفلسطينية بشطريها الاول (١٩٤٨) والثاني (١٩٦٧) جزع « أبو سلمى » علـى وطنـه المغصوب ، فصور الاهوال التي بلتها أرض الآلام بشعـر يفيض حسرة على الوطن السليب ، وحضا على الثأر له ، ونشر الدواوين والكتب التاليـة :

١ ـ اغنيات بلادي (شعر) طبع عام ١٩٥٩
٢ ـ المشرد (شعر) طبع عام ١٩٦٣
٣ ـ اغاني الاطفال (شعر) طبع عام ١٩٦٤
٤ ـ كفاح عرب فلسطين (نثر) طبع عام ١٩٦٤
٥ ـ احمد شاكر الكرمي (نثر) طبع عام ١٩٦٤
٦ ـ ثورة فلسطين (مخطوط)

نماذج من شعره : بعد الاضراب الشامل الذي دعـا اليه عـرب فلسطين (١٩٣٧) احتجاجا على الهجرة اليهوديـة المشروعة وغيـر المشروعة ، وجه ملوك ورؤساء العرب نداء الى عرب فلسطين اكدوا فيه ان قضية فلسطين ستحلها بريطانيا ، وقالوا « ... ونحن اعتمادا على حسن نوايا الحليفة ندعوكم الى القاء السلاح » .

وفي اليوم التالي لهذا النداء استيقظ عرب فلسطين والمسؤولون عن الامن على قصيدة موزعة على الجدران وفـي الشوارع بتوقيـع « أبو سلمى » جاءت بمثابة رد على نداء الملوك والرؤساء العـرب ، ولاقت الاستحسان من سائر الاوساط الوطنية ، فاقبل الواعون مـن العرب على اقتنائها واستظهار ابياتها وكان مطلعها :

انشـر عـلى لهب القصيـد شكوى العبيـد الـى العبيـد

ومنهـا :

شكـوى يرددهـا الزمـا ن غـدا الـى الابـد الابيـد

ويؤمن «أبو سلمى» بان « فاروقا » ملك مصر السابق ما كان الا دمية في يد المستعمر البريطاني ، فيحرض مصر على هذه الدمية :

يـا مصـر ضيعـت المنـى بيـن الفريـدة والفريـد

ثم يتلفت الى « فاروق » ويقول له صراحة وجهرا :

أحسبـت ان الملـك بالتهـ ويـل يؤخـذ والـوعيـد
مـا أنـت الا دميـة يلهى بهـا فـي يوم عيـد !

كان « أبو سلمى » رفيق ثلاثة من الشعراء العرب الذين عاشوا في صميم المحنة الفلسطينية وهم خير الدين الزركلي وجلال زريـق وابراهيم طوقان . اما الاول فقـد انضم الـى السلك السياسي السعودي ، واما الثاني فمتقاعد يقيم حاليا في بيروت وامـا الثالث فقد لحق بربه بعد عراك دام بينه وبين الداء ، وعراك سياسي قام بينه وبين المستعمر ، وظل « أبو سلمى » وحيدا فـي الميدان السياسي ، يصاول الخصم ويجادله بشعر قومي لاهب دعا فيه الى مناجزة المستعمر البريطاني والدفاع عـن الوطن المغصوب ، والحفاظ على كينونة شعب مغلوب على أمره أراد الحرية والاستقلال ، لكن المستعمر الغشوم أبـى الا تصفيده بالقيود والاغلال ، واراد له الفناء والاضمحلال .

وعاشت فلسطين في اتون من الثورات ، كما عاش « ابو سلمى » يؤجج النفوس بشعر حماسي ويدعو الى السلاح وتخضيب الثـرى الطهور بالنجيع القاني !

واخيرا عرف المستعمر ، بعد حكم جائر استطال ثلاثين عاما ، كيف يجتث الاصول ، ويقتلع الجذور من التربة العربية ، فاستباح الحمى، وشرد الاهل وغرس « اسرائيل » في قلب العالم العربي ، رغم الانوف ، وصليل السيوف !

وزادت الكارثة المزدوجة « أبا سلمى » مضاء وتصميما على شجب العدوان ، والتشهير بالطغيان ، وشرح قضية عادلة كانت وما برحت اظلم قضية عرفها التاريخ ! فاقبل على الشعر يصور فيه مأساة الامة العربية ، ويروي للعالم الحر ما صب الظالم الغشوم من صنوف الترويع والتفجيع ، وفي طليعتها قنابل « النابالم » المحرقة ... وفاضت شاعريته حمما ، وغلى مرجل حقده بقصائد حزمها في ديوان نفيس أسماه « المشرد » قال في مطلعه بلسان (المشرد) الفلسطيني :

يا أخي ! انت معي في كل درب ... فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب
قد مشيناها خطى دامية ... أنبتت فوق الثرى أنضر عشب
نحن ان لم نحترق كيف السنى ... يملأ الدنيا ويهدي كل ركب
والدم الحر الذي وحدنا ... خلد التاريخ في أروع كتب

سر معي في طرق العمر وقل ... أين من يحمي الحمى أو من يلبي؟
فهنا الايتام في أدمعهم ... وهنا .. تهوي العذارى مثل شهب
الوشاحات تعرى زهرها ... بعدما كانت موشاة بسحب
وشيوخ حملوا أعوامهم ... مثقلات بشظايا كل خطب
هم ضحايا الظلم هل تعرفهم ؟ ... انهم أهلي ـ على الدهر ـ وصحبي

وبشعر لاهب متوقد اللظى صور « ابو سلمى » المأساة الفلسطينية في (لوحات) شعرية تمثل هول الكارثة التي حلت بعرب فلسطين فشردتهم من ديارهم أيدي سباء .. ليحتلها « اليهودي التائه » ويزدردها .

ولو استعرضنا شعراء العربية تالدا وطريفا وصنفنا من هام منهم بوطنه ، وعلقوا بحبه ، وقارنا ما انشدوه بما انشد « ابو سلمى » لوجدناه قد بز أقرانه بلون فريد من شعر الحنين الى الوطن ، ووصف مصائبه واحنه ، وتصوير كوارثه ومحنه :

خلقت على ملاعبها شبابي ... واحلامي على خضر الروابي
درجت على ثراك وملء نفسي ... عبير الخالدين من التراب
فلسطين الحبيبة كيف أغفو ؟ ... وفي عيني أطياف العذاب
تمر قوافل الايام تروي ... مؤامرة الاعادي والصحاب
فلسطين الحبيبة كيف أحيا ؟ ... بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات ... وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطىء باكيات ... وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني مدائنك اليتامى ... تناديني قراك مع القباب
ويسألني الصحاب الالقاء ؟ ... وهل من عودة بعد الغياب ؟
أجل ستعود آلاف الضحايا ... ضحايا الظلم تفتح كل باب
غدا ستعود والاجيال تصغي ... الى وقع الخطى عند الاياب
ونحن الثائرين بكل أرض ... سنصهر باللظى نير الرقاب

واي شاعر يلثم ثرى وطنه ، وينشق عطره ، كما يفعل « ابو سلمى » الشاعر المتيم الولهان بحب وطنه :

زحفت ألثم أرضي وهي باكية ... والقلب باك وراحت تنتشي القبل
وعدت أنشق من عطر التراب هوى ... في ظله التقت الاجداد والرسل
أهلي على الدهر.. تدميني جراحهم ... في حبهم يتساوى العذر والعذل
خيامهم في مهب الريح معولة ... ودورهم من وراء الدمع تبتهل
تقاذفتهم دروب العمر دامية ... وانكرتهم ربوع الاهل والملل
في كل أرض شظاياهم مشردة ... وتحت كل سماء معشر ذلل
أطوف احمل انى سرت نكبتهم ... كأنني طيف ثار والحمى طلل

ويشجي (الكرمي) ما أصاب فلسطين الباكية على بنيها المشردين، المتطلعة الى فجر يوم جديد ، المتلهفة لفارس مغوار يحمي ذمارها ، ويغسل عارها ، ويعيد اليها العزة والكرامة :

هذي فلسطين هل أشجتك تربتها ... تبكي الاحباء من غابوا ومن رحلوا؟
وهل شجاك الدم المطلول تسفحه ... أيدي الجناة وقد عاهدت من قتلوا؟
تبكي المروّات مرخاة غدائرها ... وما انتخت للجهاد البيض والاسل
تبكي العذارى واذيالا مطهرة ... لم يحم تلك الذيول الفارس البطل!

ويظل « ابو سلمى » يحمل هموم أهله المشردين ، يعيش في صميم بلواهم ويستشير همم فتية الوطن المسلوب ، ليستردوا مرابع الاهل ما دامت في ايديهم المشاعل :

يا فتية الوطن المسلوب هل أمل ... على جباهكم السمراء يكتمل ؟
أنتم بنو الشعب.. لا الطغيان يرهبكم ... ولا زعيم على الشيطان يتكل
تبنون أمجاده والخلد رفرفها ... كأنما هي بالآباد تتصل
أن الطريق الى العلياء مظلمة ... ولن تضل وفي أيديكم الشعل !

واذا تشوقت يا قارئي الكريم الى ملخص الكارثة الفلسطينية فقد كفاك « ابو سلمى » مؤونة ذلك ، فاقتن نسخة من ديوان « المشرد » واقرأ فيه (لوحة) شعرية بعنوان « الدم العربي المطلول » ، تحمل في ظلالها قصة الوطن المغصوب ، والشعب المغلوب ، والشرف المعطوب!

٢ ـ خليل بيدس

في (الناصرة) مدينة (المعلم الصالح) ولد خليل بيدس (١) عام ١٨٧٤ وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الارثوذكسية وأخذ مبادىء القراءة والكتابة العربية عن المعلم يوسف نصر. « ومن اخبار خليل(٢)، وهو في الثامنة من عمره ، انه ضرب بحجر دجاجة لوجيه الطائفة الارثوذكسية عازر حبيب فكسر رجلها ، فقدمت الشكوى عليه الى المعلم يوسف نصر ، فما كان منه الا ان ربط الغلام النحيف الجسم بحبل الفلق وادلاه في بئر الماء في قاعة المدرسة ، ولكن كثرة ضجيجه وبكائه عجلت في اسراع الاسقف فنشل الولد من البئر وهو مرتجف الاعصاب، ولم يعد يجسر ان يرجع الى بيته الملاصق لدار عازر حبيب فعاش في بيت عمه الياس حنا الصباغ في حضن خالته » .

كان « ابراهيم » (٣) والد « خليل » تاجرا يبيع الاقمشة لسكان الخيام الضاربين في الغور على عدوة الاردن ، ولم يكن ذا ثروة ، ومات « ابراهيم » شابا لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان « خليل » حين مات أبوه ، لم يتجاوز بعد الخامسة من عمره . ولم تلبث امه «وردة» ان تزوجت وتركته مع اخته في حضانة جدته « دلة » ثم تولى أمر العناية به « الياس حنا الصباغ » عمه وابن خالته « نجمة » فعاش في بيت عمه ، في حضن خالته » .

وشاء الله ان يفتح الروس مدرسة عالية في الناصرة ويسعد الحظ الفتى « خليلا » ان يكون في عداد المنتخبين للتعلم فيها بمسعى من اعمامه .. واقام « خليل » في المدرسة الداخلية الروسية ست سنوات (١٨٨٦ ـ ١٨٩٢) واستحق بعدها ان يتولى ادارة المدارس الروسية الابتدائية في انحاء من سورية وفلسطين ، فعاش في حمص سنتين أبدى في اثنائهما مهارة وبطولة ثم نقل الى بسكنتا حيث جهز الطالب « مخائيل يوسف نعيمة » ليقبل في كلية الناصرة الروسية .

ومن بسكنتا نقل « خليل » الى سوق الغرب بعد ان اقترن بالسيدة آدال أبي الروس احدى معلمات المدرسة الابتدائية الروسية، وأخيرا نقل الى جديدة مرجعيون .

والحديث عن « كلية الناصرة الروسية » او قل : « السمنار » يقتضينا ايراد لمحة تفصيلية عن المدارس الروسية في الشرق العربي لتكتمل « الصورة » ضمن هذا « الاطار » :

أطل (٤) القرن التاسع عشر ومعه نهضة ادبية كبرى . ففي عام ١٨٧٥ زار الشرق الامير الفراندوق سرجيوس الروسي للاطلاع على حالة الحجاج الروس في طريقهم الى القدس والناصرة وما يليهما من الاماكن المقدسة التي سبق الروس اليها كثير من الارساليات الفرنسية والطليانية والانكليزية والالمانية ، فكانت لهم المدارس والكنائس الفخمة.

وزار هذا الامير زعيم النصارى في الناصرة ، الوجيه المضياف طنوس قعوار ، واطلعه على ما يرغب فيه من تأمين السفر للروس برا ، والمحافظة على راحتهم وسلامتهم في حلهم وتنقلاتهم من ميناء يافا الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سائر الجهات في فلسطين حتى كفرناحوم على شاطىء الحولة عبر الجليل الذي داسته قدما المسيح . أبدى رغبة في تأسيس مدارس وبناء ملاجىء للزوار في كل بلد يهبط فيه الزائرون الروسيون ، فأيد فكرته هذه الوجيه طنوس فعوار والخوري خليل نصر كاهن قرية المجيدل بجوار الناصرة حيث تربى يسوع .

ولبس (طنوس) خاتم الامير عربون ولاء وتألق صليب ذهبي مرصع على صدر الكاهن الورع ، ورجع الامير الى بلده في روسيا وقد شبعت روحه من الآمال الجسام ، واتفق مع رجل روسي تقي همام معطاء اسمه « خترفو » على تأسيس جمعية في روسيا غرضها فتح مدارس ، وبناء كنائس ، وتشييد ملاجىء للحجاج ، وايد السينودس الروسي مشروعها العالي واقر المساعدات المالية بسخاء .

وكان أول فوج من الزائرين الاتقياء يصل الى الاماكن المقدسة في فلسطين في اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار وهو عيد البشارة الحافل ، فتكتظ كنيسة الروم الارثوذكسية في الناصرة بالالوف من النساء والرجال الروسيين يتقدمهم الكهنة واجواق المصلين والمرتلين يخترقون الطرق المتعرجة بين الاودية والجبال القاحلة ويمتزج بهم شباب وفتيان يلوكون كلمات روسية يتصيدونها من افواه الجماعات المتدفقة ، ويبيعونهم الخبز والبصل والتراب المقدس ، زاعمين أنه من بقايا آثار قدمي المسيح واقدام رسله الاطهار . والروس السذج يصدقون ويدفعون الثمن بسخاء .

وينصب الكهنة العرب موائد على أبواب الكنائس يضعون فوقها سجلات ضخمة وصحافا فيها نقود كانها تنطق بوجوب تسجيل اسماء المحسنين ، فاذا بالصحاف تمتلىء بالروبلات واقلام الكهنة تسجل الاسماء بالحرف العربي وصفوف الزوار تتدفق !

وكان أطفال العرب يرتلون ما سمعوا من صلوات لا تنقطع وايديهم مبسوطة للعطاء . وأعجب ما كان يظهر عندما تنغمس ارتال الجموع في كل ماء يعترض طريقهم ولو كان ضحلا متبركين بالماء المقدس الذي اعتمد فيه المسيح .

وفي مطلع اسبوع الآلام تتدفق جماعات الزوار الى القدس ليشهدوا يوم القيامة العظيم ، والشعب الروسي طيب القلب يصدق ما يسمع ، فكانوا يقعون في أحابيل المكر وشباك الحيل ، ويفقدون حتى اكياس ملابسهم وفيها نقودهم .

وكان لا بد من ايجاد رجل عربي يتقن اللغة الروسية ليقوم بمهمة المدارس ، فاذا بشاب دمشقي كان يتعلم في « كيف » اسمه اسكندر جبرائيل كزما وكان قد صرف في المدرسة اللاهوتية مدة سنتين وبقيت من حياته المدرسية سنتان اثنتان ، فوقع الاختيار عليه لكنه رفض الطلب الا ان تمنحه الجامعة الشهادة الكاملة . واستمر يدرس ستة شهور بجد ونشاط فنال الشهادة باستحقاق وحزم ثيابه الى الشام قاصدا انشاء مدرسة لتخريج معلمين قادرين على القيام بامور المدارس الابتدائية ، لكن الجمعية في بطرس برج لم توافق المعتمد كزما على طلبه لان الجمعية كان اسمها « الجمعية الامبراطورية الروسية الفلسطينية » فانتقل الاستاذ كزما الى القدس فلم يلق آذانا مصغية لطلبه ، بل وجد تعنتا ورفضا من اخوية القبر المقدس اليونانيين ، فجاء الى عكا الحافلة باثرياء ووجهاء الطائفة الارثوذكسية ، وهنا واجه العناد من المتروبوليت فيمم الناصرة حيث رحب به الوجيه طنوس فعوار وانزله في جناح من داره الرحبة فاستدعى (كزما) المعلم نقولا أبو طبيخ وباشر الاثنان يعلمان بشغف ونشاط اللغة الروسية (وكانت من نصيب كزما) واللغة العربية (وكانت من نصيب أبي طبيخ) .

وكانت مدرستهما أول مدرسة في الشرق العربي لقنت الطلاب الادب العربي العالي والمعاني والبيان والعروض وقرض الشعر . ومن برامجها العليا الجغرافية والتاريخ وعلم الصحة والرياضة البدنية والموسيقى والرسم وصناعة النجارة والتجليد ، وعنيت بالترجمة عن الروسية وبالقيام برحلات على الدواب وعلى الاقدام الى الاماكن التاريخية لتعزيز المعلومات من الوقوف على الآثار وما كان اكثرها في فلسطين . وكان من طلابها اللامعين جميل بولس فعوار وقسطندي قنازع وجرجس أبو درويش وسليم قبعين وكلهم من ابناء الناصرة . وشاءت الجمعية ان تختار قسطندي قنازع للجامعة في موسكو ، وبدأ سليم قبعين يعلم في قرية المجيدل وأبو درويش في قرية الرامة وذلك سنة ١٨٩٣ .

وتخرج من مدرسة الناصرة سنة ١٨٩٤ ستة شبان يحملون شهادة التعليم الابتدائي والثانوي العالي وانتشروا في سورية ولبنان وقاموا باعمالهم خير قيام في حمص واللاذقية ودمشق وطرابلس واميون وعكار ومرجعيون وصافيتا .

وفي سنة ١٨٩٦ قضى أبو طبيخ نحبه ودفن في الناصرة ، فاستدعى الرئيس كزما الاستاذ خليل الله وردي من دمشق وكان أديبا طويل الباع في اللغة العربية وخطيبا مفوها . وكانت مدارس عدة في قرى الناصرة وعكا ، وكانت مدرسة دار المعلمات في بيت جالا التي انجبت خير المعلمات فيهن الاستاذة كلثوم عودة من الناصرة المعروفة في الاوساط الثقافية الروسية .

وهكذا تفاعلت النهضة الادبية في لبنان وافادت الطائفة الارثوذكسية ودب النشاط في أقاصي البلاد فشرع أهل القرى يشيدون الابنية والجمعية الروسية تهتم بانتخاب المعلمين والمعلمات الذين كانوا يتخرجون كل سنتين بعد دراسة تدوم ست سنوات . وتراكمت الاعمال الشاقة على الاستاذ الرئيس كزما فكان لا بد من انتخاب مساعدين له ، فحضر من روسيا « ماليزين » ثم « نقولا يفسكي» ثم « رياجسكي » ثم « بغدانوكي » ثم « سباسكي » وسواهم بوصفهم نظارا ومعلمين للجمعية الروسية يقيمون في الناصرة ودمشق وطرابلس، وظل الاستاذ كزما في دار المعلمين في الناصرة يؤلف الكتب الدينية التي ملأت مكتبات المدارس ولم يعرف الطلاب غيرها .

وترجم خريجو المدرسة التي عرفت باسم السمينار سنة ١٩٠٣

---

(١) الترابة في الاصل هي اسرة « الصباغ » و « بيدس » لقب اطلق على عمه « يوسف » فغلب هذا اللقب على اسم الاسرة وصارت تعرف به . وتفصيل ذلك فيما ذكره نعمة الصباغ : « كان يوسف عم خليل ـ اذا نشبت معركة بين شباب الحارة الشرقية (وهو منها) والحارة الغربية ، يصد المهاجمين مهما كثر عددهم بعصاه ، ولا يبالي بالضربات تنهال عليه . وحدث مرة انه لم يتمكن من الوصول الى بيته فانتزع باب دكانه وهاجم الشباب الغربي وانهال عليهم بالباب ضربا حتى بدد شملهم والدماء تنزف من رؤوسهم وردهم على اعقابهم مهزومين . وكان في عهده رجل متين العضل عامل في البناء ، غريب الدار ، اسمه « بيدس » لا يقوى احد على ان يقوم برفع الاثقال مثله، فلقب « يوسف الصباغ » بـ « يوسف بيدس » وكانت له أخت اسمها (مريم) زعيمة النساء في الافراح والاتراح ، فاذا أطلت قال المجتمعون : « جاءت مريم أخت بيدس » فغلب هذا اللقب على تسمية العائلة بـ « الصباغ » . (٢) خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ص ٢١ بقلم الدكتور ناصرالدين الاسد.(٣) المصدر السابق ص ٢٠ . (٤) مجلة (الورود) عدد كانون الاول ١٩٦٤ وكانون الثاني ١٩٦٥ بقلم : نعمة الصباغ . (٥) صدرت في نيويورك لصاحبها يعقوب مخائيل وصدر العدد الاول منها في ١ كانون الثاني ١٩٢٠ . (٦) خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ص ٣٤ بقلم الدكتور ناصر الدين الاسد . (٧) النفائس العصرية : الجزء ٣ من السنة الرابعة ـ اذار ١٩١٢ ص ١١٠ ـ ١١٧ . (٨) اعتمدنا في سرد اسمائها « خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين » ص ٣٤ بقلم الدكتور ناصر الدين الاسد .

كتاب الحساب « السلسلة الذهبية في المسائل الحسابية » واشتهر هذا الكتاب وافاد المشتغلين به .

ومات الاستاذ خليل وردي سنة ١٨٩٨ فوقع الاختيار على الاستاذ جبران ميخائيل فوتيه البيروتي ودام في منصبه ست سنوات فاستقال ورجع الى ادارة مدرسة الثلاثة الاقمار الارثوذكسية في بيروت ، فحل محله في الناصرة الاستاذ جورج شاهين عطية ، بينما كان أبوه في بيت جالا في سمينار البنات يساعده الاستاذ الناشىء خليل السكاكيني المقدسي ، ويرجع الاستاذ فوتيه الى منصبه في الناصرة بعد غياب سنتين .

ويضع الاستاذ فوتيه « كتاب السائغ الصرف في علمي النحو والصرف » للصفوف الابتدائية ، بينما يستسيغ الفية ابن مالك ويغدق شروحاته عليها للمنتهين ، باسلوب سهل المأخذ فيحل السائغ الصرف محل كتاب القواعد الجلية والاجرومية ، ويلقي بين أيدي الطلاب المنتهين كتابه في العروض ، وهو كتاب جامع مفيد سهل المأخذ حل محل كتاب العروض للشيخ ناصيف اليازجي وسماه « البسط الشافي في علمي العروض والقوافي » .

ويتوالى التخريج والتدريس حتى عام ١٩١٤ اذ وقعت الحرب الكونية الكبرى ، فاقفلت المدارس الروسية في فلسطين وسورية ولبنان ورجع الاساتذة الى مدنهم وقراهم ، واحرق الاتراك ما في المكتبات من كتب كانت توزع على الطلاب مجانا ، واتلفوا معالمها .

وتناول الاساتذة المنقطعون عن العمل اعترافا رسميا من وكلاء الجمعية بدفع مرتباتهم طول الاقفال ، ولكن هذا لم ينفذ لان الجمعية فقدت صندوقها وزال بزوال الامبراطورية الروسية .

وانتشر المتخرجون في سائر الاقطار يتولون ادارات المدارس الابتدائية والثانوية على اكمل وجه ومارسوا التعليم في فلسطين وسورية ولبنان والعراق فكانوا خير مدرسين وافضل معلمين في المدارس وكان لهم مقام في عالم الادب ، منهم اصحاب القلم والتاليف والشعراء المجيدون نظير : ميخائيل نعيمة وايليا ابو ماضي ونسيب عريضة وناصر عيسى واسكندر الخوري البيتجالي ونعمة الصباغ .

واشتهر من ارباب القلم : خليل بيدس وسليم قبعين وايليا الحاماتي وشبلي رزق ، ونبغ معلمون ماهرون منهم : أديب سعادة وانطون بلان وقسطندي قنازع ونعمة الصباغ وغيرهم . ولم يكن يدخل دار المعلمين السمينار الرئيسي في الناصرة الا من كان متفوقا في مدرسة قريته ، ولذلك لم تكن الصفوف تضم الا النبغاء ولهذا لم تخرج مدرسة الناصرة الا ارباب الادب العالي جملة وافرادا .

ومما يجب الاشارة اليه ان المدارس الروسية الابتدائية في المدن الفلسطينية والسورية واللبنانية كانت تقدم لجميع الطلاب الفقراء كانوا ام اغنياء ، الكتب والدفاتر والاقلام والريش والحبر وورق النشاف وبعض الادوية والشاش المعقم مجانا .

وفي عام ١٩١٤ كان عدد المدارس الابتدائية يربو على مئة وعشرين مدرسة لا تزال الاوساط الادبية تتحدث عنها وعن فضلها ولا سيما صفوف الحضانة فيها ، ولقد سافر الى روسية ، على نفقة الجمعية ، نخبة من المتفوقين منهم : ابراهيم دروز ونايف وهبه وقسطندي قنازع (من الناصرة) وميخائيل نعيمة (من بسكنتا) ونسيب عريضة وميخائيل اسكندر وعبده سليمان (من حمص) وسواهم ممن اتموا دروس اللاهوت ، ورجع منهم الى الناصرة عدد انضموا الى اساتذة السمنار الروسي باشراف الرئيس كزما وبمساعدة اربعة معلمين من اكاديمية (كيف) فبرع الطلاب في اللغة الروسية والعربية واقتبسوا اللغة التركية وكان لا بد من تعلمها .

الى فلسطين : وفي عام ١٩٠٨ نقل خليل بيدس الى حيفا وشجعه اعلان الدستور العثماني على اصدار مجلة باسم « النفائس » فذاع صيتها في الاوساط العلمية والثقافية بالبلاد العربية ، وقد توفر (بيدس) على اخراجها أحسن اخراج فني وجعلها مسرحا للاقلام الخصبة في فلسطين وسورية ولبنان والمهجر ، وكان لها صدى بعيد في عالم الادب العربي المعاصر قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها .

الى المجلس المختلط : وفي عام ١٩٠٨ (عام اعلان الدستور العثماني) قررت الحكومة العثمانية انشاء « مجلس مختلط » نصفه من العلمانيين الارثوذكس في فلسطين والاردن ونصفه الآخر من الاكليروس اليوناني الفلسطيني ، لادارة شؤون الطائفة العربية الارثوذكسية والاشراف على الاوقاف الارثوذكسية في فلسطين والاردن بعد ان كان يتولى ادارتها ويستأثر بريعها الاكليروس اليوناني مستقلا وسلاحه في هذه الاثرة ارشاء رجال الباب العالي بسخاء ليكموا افواه المصلحين العرب المطالبين بالحق العربي .

ونظرا لما كان يتمتع به صاحب « النفائس » من كفاية علمية وجرأة أدبية اختاره العرب الارثوذكس في شمالي فلسطين بالتزكية ليمثلهم في « المجلس المختلط » فاستقال من ادارة المدرسة الارثوذكسية في حيفا وجاء القدس واستقر فيها .

واثناء عمله في « المجلس المختلط » انصرف الى الكتابة فاسس مجلة باسم « النفائس العصرية » وهي أول مجلة علمية عربية لاقت رواجا عظيما ، وكانت رابعة اخواتها فـ « النفائس » في فلسطين و « الاخلاق (٥) » في الولايات المتحدة و « المقتطف » و « الهلال » في مصر . ومن قبل هذه المجلات الاربع حملت مجلة « الضياء » للمرحوم الشيخ اليازجي لواء العلم والادب .

« قد (٦) دل اسعاف النشاشيبي على منزلة « النفائس » وانتشارها بما ذكره في مقدمته لسلسلة مقالاته عن « امثال أبي تمام الطائي » التي نشرها في « النفائس » (٧) فقال : « وقد آثرت نشرها في هذه المجلة البليغة النابهة لانتشارها الباهر في القطرين الفلسطيني والسوري ولميل ادبائهما اليها جد الميل ! » .

وفي بيت المقدس اسس « خليل » مكتبة فريدة حوت مخطوطات قديمة العهد وكتبا ثمينة لكنه ارغم على تركها في منزله بالقدس لتاخذها العصابات الصهيونية غنيمة باردة عندما اغتصبت فلسطين العربية في أيار ١٩٤٨ .

وخلال اقامته الطويلة في بيت المقدس شارك في الحركات القومية وطالب الاتراك بانصاف العرب وكتب مقالات نشرتها « الاهرام » و « المقطم » . وعند قيام الثورة العربية الكبرى (العاشر من حزيران ١٩١٦) ضد الحكم التركي حكم عليه بالاعدام لكنه لجأ الى البطريركية الارثوذكسية في القدس في عهد البطريرك ذميانوس الاول فحماه هذا وانقذه من المشنقة ، فلاذ بالصمت الى ان دخل البريطانيون فلسطين غزاة مستعمرين .

وبعد ان وضحت النيات وبانت الاهداف الصهيونية انخرط « بيدس » في الحقل السياسي العربي ودعا العرب الى العصيان على الحكومة المنتدبة وعدم التعاون معها لعملها المكشوف على تهويد فلسطين .

وفي عام ١٩٢٠ قاد أول مظاهرة عربية قامت في بيت المقدس بمناسبة عيد النبي موسى وخطب في الجماهير حاضا على ثورة عارمة ضارية للاجهاز على وعد بلفور ، وكانت آخر عبارة قالها للمتظاهرين وهو يبرح مكانه في باب الخليل بالقدس : « لقد بح صوتي ... لكن قلبي لن يبح ! » .

وسرعان ما اخمدت السلطات البريطانية نارها فحكمت على « بيدس » بالاعدام وبعثت بكوكبة من الجند البريطاني الى منزله والقت القبض عليه وهو بلباس النوم وحملته الى دار الحكومة ، وبعد اسبوع من الاقامة الجبرية اودع سجن عكا لتنفيذ حكم الاعدام لكن المظاهرات التي قامت في المدن الفلسطينية ادت الى تبديل حكم الاعدام بالسجن عليه مدة خمسة عشر عاما .

وفي سجن عكا الف « بيدس » كتابا اسماه « حديث السجون » وفيه وصف سجن المستعمر والاساليب الوحشية التي يعامل بها ذوي العقول النيرة من رجالات البلاد ومساواتهم باللصوص وقطاع الطرق ، لكن هذا الكتاب فقد مع ما فقد من الآثار القلمية التي خلفها الفقيد .

ولما جاء فلسطين السر هربرت صموئيل كاول مندوب سام عفا عن المحكومين السياسيين وأمر باطلاق سراح المعتقلين وكان موسى كاظم باشا الحسيني وخليل بيدس في عدادهم ، وعاد سماحة الحاج امين الحسيني من دمشق والاستاذ عارف العارف من السلط ، وهنا عرض المسؤولون على « بيدس » العمل في مديرية المعارف العامة لكنه استنكف عن التعاون مع المستعمر وكان جوابه « انا لا أباع .. كما لا تباع نفسي وقلبي ! » وأخذ يصدر « النفائس العصرية » ويعلم اللغة العربية وآدابها في « مدرسة المطران » بالقدس الى ان تقاعد عن العمل سنة ١٩٤٥ .

بعد النكبة : ولما اقترب يوم ١٥ ايار ١٩٤٨ ، وهو اليوم المحدد لدخول الجيوش العربية ارض فلسطين بغية تحريرها ...! رأى « بيدس » وقد أصبح شيخا ان يبقى في داره بـ « البقعة الفوقا » وحده ، وظل هذا الشيخ العربي المؤمن في بيته الواقع في طرف ذلك الحي العربي وهو واثق ان اليهود اذا دخلوا الاحياء العربية فلن يكونوا وحوشا ... لكنهم ، بعد ان دخلوا هذا الحي العربي ، وقد خلا من الحامية والمدافعين ، اخذوا يرتكبون افظع الجرائم .. فتناهى هذا الى « بيدس » وهم يقتربون من بيته ، ولما رآهم يتعمدون القتل والسلب والنهب بارح منزله طلبا للنجاة ، واخذ طريق البر والوادي الى « سلوان » سيرا على قدميه ، وبعد ان قطع ارضا غليظة شائكة اغمي عليه ، لكن سرعان ما اكتشف اهل القرية هوية هذا الشيخ المؤمن فاعتنوا به بعد ان عاد اليه وعيه ودبروا انتقاله الى عمان فبلغهامنهوك القوى ، خائر العزم ، وبعد أيام يمم بيروت لحاقا باولاده وفي التاسع من شهر شباط ١٩٤٩ توفي فيها ، وهكذا مات خليل بيدس مؤمنا بحق بلاده شهيدا في سبيلها .

من آثاره القلمية : في عام ١٨٩٨ بدأ « بيدس » الترجمة عن الروسية ونشر مترجماته ، وكانت بواكيره ثلاث قصص مطولة جزمها في كتب ثلاثة هي : « ابنة القبطان » و « القوزاقي الولهان » و «العقد الثمين في تربية البنين (تأليف) .

وندرج فيما يلي (٨) اسماء ما اتيح لنا مطالعته، في سن الشباب، من آثار قلمه ، واسماء ما لم يتح لنا الوقوف عليه لقدم طباعته ونفاد نسخه :

(١) ابنة القبطان : لبوشكين ـ طبعت في جريدة المنار ـ بيروت سنة ١٨٩٨ .

(٢) القوزاقي الولهان : رواية مترجمة ـ نشرت في جريدة « لبنان » لصاحبها ابراهيم الاسود في سنتها السابعة ، بيروت سنة ١٨٩٨ ، ثم طبعت مستقلة سنة ١٨٩٩ .

(٣) الطبيب الحاذق : رواية طبعت في بيروت سنة ١٨٩٨ .

(٤) العقد الثمين ، في تربية البنين: تاليف ـ المطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ .

(٥) تاريخ روسيا القديم : بيروت ١٨٩٨ . (٦) حفلات التتويج : بيروت ١٨٩٨ . (٧) الكسور الدارجة : بيروت ١٨٩٨ . (٩) مرآة المعلمين : لبنان ١٨٩٨ .

(١٠) شقاء الملوك : رواية للكاتبة الانكليزية ماري كورلي ، ونقلتها ز. جورا فسكايا الى اللغة الروسية بعنوان « شقاء الملوك » ، نشرها مسلسلة في اعداد المجلد الاول من مجلته « النفائس » ابتداء من العدد الثاني (٧ تشرين الثاني ١٩٠٨) وصدرت الطبعة الثانية مستقلة سنة ١٩٢٢ بمطبعة دير الروم الارثوذكس بالقدس .

(١١) أهوال الاستبداد : لتولستوي ، طبعت بالمطبعة الوطنية بحيفا سنة ١٩٠٩ في ٣٣٨ صفحة ثم بالقاهرة سنة ١٩٢٧ .

(١٢) الحسناء المتنكرة : للكاتب الايطالي اميل سلفاري ـ صدرت ملحقة بالمجلد الثالث من « النفائس العصرية » سنة ١٩١١ ثم طبعت ثانية سنة ١٩٢٥ .

(١٣) الدول الاسلامية : القدس ١٩١٢ . (١٤) تاريخ الطيران : القاهرة ١٩١٢ . (١٥) رحلة الى سيناء : بيروت ١٩١٢ .

(١٦) ملوك الروس : القدس ١٩١٣ . (١٧) درجات الحساب (جزءان) : القدس ١٩١٣ .

(١٨) درجات القراءة (ستة اجزاء) : القدس من سنة ١٩١٣ حتى سنة ١٩٢١ .

(١٩) أمم البلقان : القدس ١٩١٤ .

(٢٠) هنري الثامن وزوجته السادسة : (تاليف الكاتبة الالمانية ف. ملباخ) طبعت هذه الرواية في القدس سنة ١٩٢١ .

(٢١) العرش والحب : (رواية تاريخية غرامية مترجمة) طبعت في القدس سنة ١٩٢١ .

(٢٢) تسريح الابصار فيما تحتويه بلادنا من الآثار : القدس ١٩٢٠ .

(٢٣) الوارث : (رواية اجتماعية غرامية) : القدس سنة ١٩٢٠ .

(٢٤) الروضة المؤنسة ، في وصف الارض المقدسة .

(٢٥) تاريخ القدس : القدس ١٩٢٢ .

(٢٦) ديوان الفكاهة : القدس ١٩٢٤ .

(٢٧) مختار البيان والتبيين (مع شريف النشاشيبي) القدس ١٩٢٤ .

(٢٨) مسارح الاذهان (مجموعة اقاصيص) القاهرة سنة ١٩٢٤ .

(٢٩) الكافي في الصرف : القدس ١٩٢٥ .

(٣٠) العرب ابطالهم واشهر حوادثهم : القدس سنة ١٩٤٢ .

(٣١) نحن واللغة : أحاديث لغوية اذاعها من الاذاعة الفلسطينية

(٣٢) أحلام الحياة . (٣٣) اسرار الحياة . (٣٤) صور الحياة ـ اقاصيص .

(٣٥) حنة كارنين : لتولستوي .

نموذج من نثره : « ايتها الشمس ! لله أنت أيتها الشمس ! ما اجملك وما ابهاك ! انظر اليك ، وانت تحملين الى لجج البحار سيول التبر الذائب ، وتنثرين الزمرد واللؤلؤ !

في طرفة عين ، وانت تسبحين في البحر ، تبنين من الامواج الفيروزية قصورا عجيبة غريبة ، ولكنك لا تلبثين ان تهدميها لتبني غيرها أغرب وأعجب وأجمل ، اذ لا حد لتفننك وابداعك !

أنظر اليك ، والنفس تواقة الى الخروج ، الى حيث ترقص أشعتك الذهبية ، لامرح معها وارقص واعدو من جهة الى اخرى ، ومن قصر زاه باهر الى آخر خالب ساحر !

وما أجمل الغابة وقد كسوتها حلة ارجوانية فاصبحت كالحكايات الغريبة بحوادثها ، المدهشة بعجائبها !

ايتها الشمس المشرقة ! انني احبك واهواك لانك احسنت الي وأحييت قلبي ، وملأت نفسي أملا يوم كنت شابا ، ويوم كان قلبي منجذبا الى السماء !

فقد أحببت وقتئذ فتاة جميلة كانها احد أشعتك ، ورشيقة ولطيفة كالزهرة الغضة ، وكنت حين اسمع صوتها كاني اسمع نغمات الملائكة !

كنا كلانا نستقبلك كل يوم صباحا وانت مطلة من وراء الجبال ، ترسلين شعاع ابتسامك الى وجه الحبيبة ، فتصبح كلها شفافة وخفيفة كاشعتك ، ونقية كالماسك ولآلئك !

وكنت ـ اذ ذاك ـ ادنو الى وجه الحبيبة فاقرأ في عينيها تلك الحكايات الحلوة التي كانت والدتي تقصها علي لانام وأرى فيها الاحلام التي كنت أراها وانا طفل !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي احد الايام ـ قد أصبحت رجلا ـ كنت واقفا على شاطىء البحر والى جانبي امرأة بارعة الحسن والجمال ، وقد ذهبنا الى ذلك الشاطىء لنستقبلك ايتها الشمس ، وننظم لك آيات التسبيح ، وكأنك اوحيت الى تلك المرأة الجميلة فمدت يدها البضة الى كتفي ، وشعرت بانفاسها المنعشة تهب على وجهي . وقمنا بعد ذلك نعيد لشروقك وقد اشرق في نفسي الحب كما اشرق في نفس المرأة التي كانت الى جانبي ، واشفقت وقتئذ ان تغيبي فتغيب شمس حبي ! وخفت ان تطمو عليك امواج البحر فتغرقك !

ومرضت بعد ذلك واحسست في احد الايام بثقل في رأسي كأنه محشو بالرصاص حشوا ، وكان المطر يتساقط على نافذة غرفتي فيروعني ، ويرتد نظري عنها اذ لم تكوني فيها ايتها الشمس ، ولقد خيل الي ان غولا هائلا قد ابتلع العالم بجملته !

وخيل الي ايضا اني لن اسمع بعد اغاريد الفتاة الحسناء في المرج وعلى ضفاف النهر ، ولن أرى اشرعة المركب وهو يسبح على مرآة الامواج الزمردية مسرعا بمن على ظهره من الركاب الى حيث تتدفق اشعتك العجيبة ايتها الشمس !

ونمت وأنا حليف الهم وقد ملأ اليأس قلبي لانني خشيت الا ارى تلك العيون التي فيها سعادتي ، وخفت ان اموت فلا يسمع احد نشيد حبي !

ولبثت على فراش المرض مدة ، وقد ودعت الحياة واخذ شبح الموت يدنو مني .. ثم فتحت عيني فجاة ... فشعرت بدبيب الحياة في جسمي ، وشعرت بان الرصاص الثقيل قد بارح راسي !

هذه أنت ايتها الشمس الجميلة قد زرتني ثانية فكبحت جماح الموت وأبعدت شبحه عني ، وقد دخلت اشعتك الى غرفتي وسطعت على الجدار وفي المرآة ، واشرقت على صورة محبوبتي ، وكانت على منضدة بازاء سريري ، فرايتها كأنها تبتسم لي وتناديني !

وكنت مرة في الغابة ، فرأيت صيادا يحمل طائرا لا يزال حيا ، وهو ينتفض بين يدي قانصه ، والدم يسيل منه . وكان الصياد قد اخذه الى النهر فغمسه في الماء ثم وضعه في جرابه ، وعاد فغسل يديه من آثار دماء الفريسة ... وكنت أيتها الشمس طالعة وقد رأيت ذلك الصياد وشهدت فعله ... ولكنك أشرقت على يديه الملطختين بالدم!

ورأيت في احد الاكواخ الحقيرة عجوزا طريحة الفراش ، وقد اشتدت عليها وطأة المرض ولم يعد لها رجاء في الحياة الا اذا ارسلت اليها ايتها الشمس بعض أشعتك المحيية ، ولكنك لم تسمعي نداء هذه المسكينة ، بل اعرضت عنها ، ورحت تسطعين على قصور القتلة والسفاحين !

رأيت كل ذلك منك أيتها الشمس ، وقد هالني ما رأيت ، وصرت أخشاك وأرهبك ! فاذا مت غدا وطويت في حفرتي واجتمع اهلي واصدقائي يبكونني ويندبونني ... فانك ستشرقين أيضا فوق قبري ضاحكة مسرورة ، كما كنت تفعلين يوم كنت أسبح لك ... وسترسلين اشعتك ، تلك الاشعة التي سطعت على يدي الصياد الملطختين بالدم ، والتي كانت العجوز الميتة في أشد الحاجة اليها لحياتها ... ولا فرق عندك بين الجريء والمجرم !

كنت اود أيتها الشمس ان تضحكي لمن يكون أهلا لضحكتك ، وتبسمي في وجه من يستحقون عبوسك !

ان من البشر أبالسة لا يستحقون ان تشرقي عليهم أيتها الشمس ... وكأنما أنت تزيدينهم ضلالا واسترسالا في الجرائم والموبقات ! ».

٣ ـ الدكتور أنيس القاسم

الشعار الذي حمله « انيس » وظل يتغنى به ويرفع رايته قول « ابي بكر » الصديق : « القوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف قوي عندي حتى آخذ الحق له ! » .

ولد « انيس » في قرية حارس (بلواء نابلس) عام ١٩٢٥ وتحدر من اسرة القاسم الشهيرة في تاريخ فلسطين ، وتلقى دراسته الابتدائية في المدرسة البكرية ببيت المقدس ومن اساتذته فيها الشاعر الفلسطيني الكبير « ابو سلمى » . وبعد ان اكمل الدراسة فيها انتقل الى المدرسة الرشيدية ثم الكلية العربية ونال شهادته عام ١٩٤٥ ، وخلال سني دراسته دلل على ذكاء متوقد وظل (الاول) في كافة صفوفه واشترك في المباريات الرياضية وهو طالب في الكلية العربية وفاز ببطولة الميل ركضا لمدارس لواء القدس عام ١٩٤٤ وببطولة مدارس فلسطين للمسافة ذاتها عام ١٩٤٥ واسهم كغيره من الطلبة الفلسطينيين في الاضرابات والمظاهرات التي شهدتها فلسطين ابان حكم الحديد والنار ... استنكارا لتهويد الارض المقدسة !

وفي عام ١٩٤٥ اختارته حكومة فلسطين مبعوثا الى بريطانيا لدراسة الحقوق بجامعة لندن فحصل على ليسانس في الحقوق بامتياز عام ١٩٤٨ وماجستير في الحقوق وبارستر في الحقوق عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٥٧ سافر الى الولايات المتحدة للتخصص في دراسة قانون البترول والغاز ونال دبلوما في هذا الفرع .

وخلال دراسته في بريطانيا شارك في القاء المحاضرات وفي المناظرات حول القضية الفلسطينية ، وكان احد مؤسسي « جامعة الطلاب العرب » في بريطانيا عام ١٩٥٤ وانتخب اول امين عام لها .

لم ينتم « انيس » في يوم من الايام لاي حزب سياسي ايمانا منه بان تحرير فلسطين في حاجة الى جميع الطاقات ، وتحقيقا لهذا الهدف حذر من هدر هذه الطاقات والامكانات ما دام المسعى هو تحرير الوطن المغصوب ، وصارح برأيه هذا في كتابه « الاعداد الثوري لمعركة فلسطين » وهو يؤمن ايمانا عميقا بالقومية العربية ، وفي رأيه ورأي كل قومي عربي ، ان النضال في سبيل تحرير فلسطين هو نضال من اجل انتصار القومية العربية ... والوحدة العربية ...

وفي صيف عام ١٩٦٤ دعي « انيس » للاشتراك في المؤتمر الفلسطيني الاول المنعقد في بيت المقدس .

وقعت الاحداث المروعة في فلسطين عام ١٩٤٨ و « انيس » بعيد عن بريطانيا وفي عام ١٩٥٢ قصد ليبيا ليعمل في هذه الحكومة العربية الفتية وعين مستشارا قانونيا في وزارة العدل . وعلى أثر سن قانون البترول الجديد عام ١٩٥٥ عين « انيس » رئيسا للجنة البترول التي عهد اليها بتنفيذ هذا القانون ، كما كان لبعض الوقت ، وهو في اللجنة المذكورة ، مستشارا لشؤون البترول في وزارة الاقتصاد الوطني وممثلا للحكومة الليبية في عدة اجتماعات عقدها خبراء البترول العرب ، وانتخب رئيسا للجنة العامة لمؤتمر البترول العربي الاول المنعقد في القاهرة عام ١٩٥٩ .

وبعد استقالته من العمل في الحكومة الليبية عام ١٩٦٠ اشترك مع الدكتور انطون صفير في وضع قانون البترول لدولة الكويت بناء على طلب منها ، واخيرا زاول مهنة المحاماة في مدينة طرابلس الغرب حيث يمارسها الآن .

نموذج من شعره : خلال دراسة « انيس » في الكلية الرشيدية بالقدس شجعه الشاعر المعروف الاستاذ محمد العدناني على نظم الشعر لما لمس فيه من حب للادب ، وقد نشرت له مجلة « المنتدى » التي كانت تصدر في القدس طائفة من القصائد ، ومن شعره هذان البيتان وفيهما يخاطب فتاة احلامه :

قد كنت أبلغ من يقول ... وأنت حلم في وجودي
حتى ظهرت فصرت أبـ ... ـلغ في السكوت من النشيد

يحتفظ « انيس » بين اوراقه بمادة من الشعر الوجداني تكفي لديوان أو اكثر ، ومعظم هذا الشعر وجداني اوحت به قرينته ... لذا يؤثر شاعرنا ان يظل هذا اللون في طي الكتمان ... غير انه نظم نشيدين لـ « صوت فلسطين » وقد لحنا واذيعا من هذه المحطة ، ومن

الرمح.. وصمت اليتامى

بكـــم تطـاول رمـــح ... زهوا .. واومض صبح
ومـــن صبيب دمـــاء ... علـــى النحـور تسـح
نمـــا ببطن الصحاري ... ورد ، وأورق ملـــح !
يـــا فتح ، ان فؤادي ... لـــولاك اعيـــاه بـرح
يـــا حقل نـور تهاوى ... بـــه الظـــلام الاسح
يـــا شهقة البرق يغفو ... مـوت عليهـــا ويصحو
يـــا حربـــة ينتضيها ... بعـد التشرد جـــرح !
لئـــن أنـــاخ رعيـل ... ضعفا .. وارهق جنـح
واغتال زهـــو الاقاحي ... غـــب المتاهـة لفـــح
فقـد افـــاق لهيـب ... صـــاد وصوت ملـــح
يصيـح بـــين الروابي ... « لبيك ، لبيك فتـح »

بغداد — سفيان الخزرجي

قوله في مطلع احد النشيدين مخاطبا زوجة الفدائي الـــذي تترقب عودته من الارض المحتلة :

لا تقلقـــي ... سيعـــود ... فـــي قلـــب العواصف
بطـــلا يدمـــر والـــردى ... مـــن عزمه العربـي واجف
واذا المنـــون تخطفتـــه ... فانـــه فـــي الارض وافف
علما يـــدل علـى الطريق ... وموكـــب التحريـــر زاحف

ومن شعره الوجداني قوله :

عزيزتي مـــا أعمـــق النـــداء ... يأتيك مـــن نفس رضي الفنـــاء
فانتـــي اودعتـــه مهجتـــي ... وفيـــه اطلقت المنـــى والرجـــاء

عزيزتي ! قد طال هـــذا الفراق ... واستبسل الصبر وعـــز التلاق
وفورة الاشواق فـــي خاطـــري ... تحمل القلب بمـــا لا يطـــاق !

عزيزتـي مـــا اكثـــر الامنيـات ... تطوف بـــي في يقظتي والسبات
تنقذنـي مـــن عالـــم عاجـــز ... لعالـم ناموســـه المعجـــزات !

نموذج من نثره : « ان (١) اعمق ازمة يمر بها هذا الجيل مـــن ابناء الامة العربية هي ازمة المسؤولية التي تجاوز فـــي مداها وآثارها حدود ما تعارف عليه الناس من مسؤولية القائمين على الحكم ، وتمتد لتشمل مسؤولية كل فرد عن نفسه واسرته ومجتمعه ووطنه .

والواقع ان المقياس الحقيقي الدقيق للوعي هو مقدار ما يشعـر به المواطن من مسؤولية، ومدى استعداده لتحمل هذه المسؤولية بصورة ايجابية ، والقيام بما تفرضه عليه من واجبات وتضحيات ، وكذلـــك فان الشعور الحقيقي بالمسؤولية هو ذلك الشعور الذي يرافق المـــرء في جميع تصرفاته ، الخاصة والعامة فاذا توفر هذا الشرط اعتبر المرء عندئذ وعندئذ فقط ، واعيا وعيا أصيلا عميقا .

وهذا الجيل من الشباب العربي الذي شاءت له الايام ان يكـون على موعد مع القدر لا يواجه فقط عبء تحمل المسؤولية واداء الرسالة، وانما يواجه ايضا عبء بث روح تحمل المسؤولية وتعميق ذلـــك فـي النفس ، بحيث لا يستطيع المواطن العربي ان يفكر الا تفكيرا مسؤولا ، ولا يمارس حقا من حقوقه ، او ينهض بواجب من واجباته ، الا وهو مقدر لما عليه من مسؤولية في الحالتين . ومن الواضح اننا ، ونحـن نسابق الزمن ، لنتقلب على قرون من التخلف ، وطبقات كثيفة مـــن الرواسب الاجتماعية ، لا نستطيع ان نترك الامور تأخذ مجراها لينمـو الشعور بالمسؤولية نموا بطيئا ، وقد يخطىء وقد يصيب ، وقد يسرع وقد يتعثر . وانما يجب ان تقوم توعية الشعور بالمسؤولية على اسس علمية مضبوطة ، ترسم لها سبلها الايجابية ، وتوجهها التوجيه السليم الذي ينمي ويغذي شخصية المواطن الصالح المنتج .

ولكي نتعرف على الوسائل التي يجب اتباعها لا بد لنا من وقفة قصيرة نستظهر فيها اهم اسباب ما يعانيه الفرد العربي مـــن تخلف حقيقي في تقدير المسؤولية . ولا يفيدنا في مرحلة البناء ان نجامل او نتجاهل ما في انفسنا من عيوب ، لان طريـــق الاصلاح لا يستطيع ان يبدأ الا اذا عرفت العيوب على حقيقتها . لا شك في ان الوعي فـــي الاوساط العربية قد بدأ يشق طريقه بقوة وتصميم ومع ذلك فهو مـــا زال في حاجة الى التغذية والتنمية بحيث يكون وعيـــا مستمرا ، لا آنيا ، خلاقا ، لا هواما ، وعيا يعمل دون حاجة الى تحريك » .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور القاسم عشرات المقالات القانونية والابحاث البترولية في مجلة Modern Law Review الانجليزية و Canadian Bar Review الكندية و World Petroleum الامريكية كما نشر عددا من المقالات الفكريـــة والقوميـــة والدراسات البترولية في الصحف والمجلات العربية ومنها مجلة « فلسطين » التي تصدر في بيروت ومجلتا « الرائد » و « العربي » اللتان تصدران في الكويت وجريدتا « الرائد » و « طرابلس الغرب » اللتان تصدران في ليبيا وجريدة « اخبار فلسطين » التي كانت تصدر في غزة حتى اوقفها العدوان الاخير واعني به عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

وزود الدكتور « انيس » الخزانة العربية بطائفة من الكتب التـــي صدرت وفي مقدمتها :

١ ـ معنى الحرية في العالم العربي ـ صدر في عام ١٩٥٤
٢ ـ من التيه الى القدس ـ صدر في عام ١٩٦٥
٣ ـ نحن والفاتيكان واسرائيل ـ صدر في عام ١٩٦٦
٤ ـ الاعداد الثوري لمعركة التحرير ـ صدر في عام ١٩٦٧

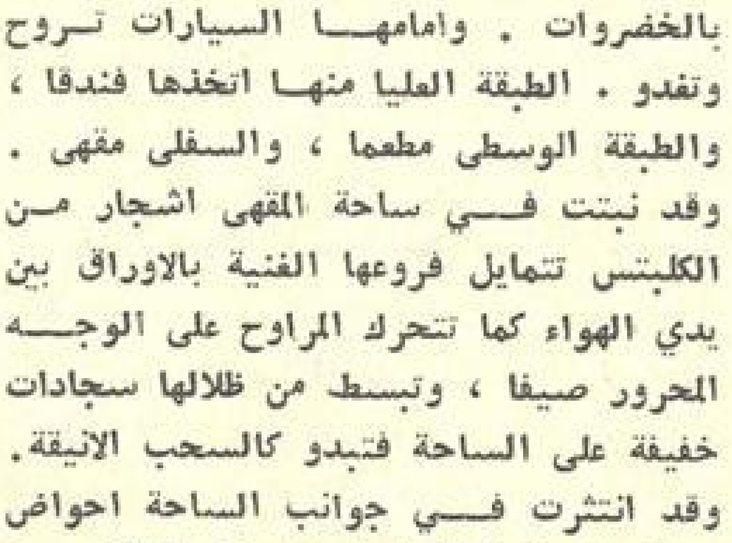
عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

(١) من مقال نشرته مجلة (العربي) الكويتية في العدد (٦١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فندق مطعم ومقهى

بقلم عبد الحميد الانشاصي



كان رؤوف يسير في بطء متاملا العمارات والحوانيت ومتلفتا حواليه وهو يسرح نظرات مستطلعة هنا وهناك كالابله . لم يلفت اليه نظر احد من المارة ، ولم يكترث له احد منهم . خطاه ضالة لا تعرف اتجاها معينا . وكذلك عيناه الحركتان . لباسه وهيئته لا يدلان على حقيقته . لباسه عادي وهيئته عادية . انهما لا يدلان على ان صاحبهما غني او موظف كبير او فقير يبحث عن عمل .

(انه رجل غريب قدم المدينة منذ شهر . انه ذكي يحمل مخا مشبعا بطاقة كبيرة من التفكير . لا يدل مظهره على مخبره . بسيط في ثيابه ، عظيم في نفسه ، قانع في هدوئه، طموح في تفكيره. حينما كان يقلب عينيه في العمارات والحوانيت كان يقلب ذهنه في الاعمال والتجارة) .

تجول في ارجاء المدينة جميعها : في الشوارع الواسعة المنظمة ، والازقة الضيقة المتعرجة . في الاحياء الحديثة الشارحة للصدر، وفي الاحياء القديمة الرادة للبصر. اطلع على الحركة التجارية في الاسواق ، ودس نظراته المستطلعة في كثير من الحوانيت الكبيرة والمقاهي البارزة والمطاعم الشعبية منها والراقية . كان ينظر الى كل شيء دون ان ينظر اليه احد . ولم يتساءل احد: من هذا الرجل ؟ وماذا يريد ؟ والى اين هو ذاهب ؟ كان نكرة بين معارف ، لا يلقى التحية ولا يصافح ولا يتحدث ولا يعبس ولا يبتسم كانه ليس من اولئك الناس الذين يروحون ويغدون من حوله ويحيون ويتصافحون ويتحدثون ويضحكون في الطرق والاسواق . ان اولئك الناس لا يعنونه ولا يلفتون نظره . همه ان يطلع على الحوانيت والمقاهي والفنادق والكراجات والمصانع والمطاعم والمكاتب ، كأن المدينة خالية من السكان ، او كأن سكانها لا قيمة لهم في نظره . وهو يسير في نشاط غريب لا يمل المشي ولا الاستطلاع . واذا احس في بعض الاحيان بتعب في رجليه عرج على مقهى وجلس فيه . ولكنه لا يكتفي بالاستراحة على كرسيه بل يجيل بصره في انحاء المقهى مستطلعا دارسا . واذا اراد ان يتناول طعامه في الصباح او الظهر او المساء انتقل من مطعم نظيف بعض الشيء الى مطعم قذر، ومن مطعم راق بعض الشيء الى مطعم شعبي . ومتى اراد ان ينام تنقل من فندق الى اخر مقارنا مختبرا .

زوجته يسرى وابنته عديلة تقيمان في مدينة اخرى . وهو يتردد الى منزل الاسرة من حين الى آخر . لم يستقر في حياته العائلية بعد . ما زال قلقا باحثا . زار من قبل عدة مدن واطلع على محالها التجارية كما يطالع المثقف كتبا مختلفة لمؤلفين متباينين المواهب . وهو لم يفعل ذلك حبا للاستطلاع بل سعيا لتحقيق هدف له . وهو الآن يريد ان يقوم بعمل ، ولكنه يجهل ذلك العمل . يريد ان يغامر ، ولكنه يأبى ان ينفق ماله في سبيل شيء لا يقوم على اساس من امعان الفكر .

مضى شهر آخر وهو يدرس المدينة واحوالها . واخيرا استقر رأيه على فكرة واحدة أبى ان يتحول عنها الى غيرها : ان يستأجر عمارة ضخمة يفتح فيها فندقا ومطعما ومقهى ، فقد تبين له ان المدينة بحاجة شديدة الى هذه المحال . لم يجد في المدينة فندقا راقيا ولا مطعما فاخرا ولا مقهى ممتازا . فرأى ان يجمع بين هذه المحال الثلاثة .

استأجر عمارة ضخمة انيقة تقع على الطريق العام في موقع جميل يمر به كثيرون من الناس . انها مشرفة على حدائق زمردية الخضرة ، وعلى سهول واسعة مزروعة بالخضروات . وامامها السيارات تروح وتغدو . الطبقة العليا منها اتخذها فندقا ، والطبقة الوسطى مطعما ، والسفلى مقهى . وقد نبتت في ساحة المقهى اشجار من الكلبتس تتمايل فروعها الفنية بالاوراق بين يدي الهواء كما تتحرك المراوح على الوجه المحرور صيفا ، وتبسط من ظلالها سجادات خفيفة على الساحة فتبدو كالسحب الانيقة. وقد انتشرت في جوانب الساحة احواض حدقت ازهارها المتفتحة الى السماء كما تحدق النجوم ليلا الى الارض .

كل ما في العمارة مرتب ونظيف وانيق : السرر والكراسي والطاولات والصحون والكؤوس والملاعق والشوكات . الطعام شهي لذيذ ، وكذلك مختلف المشروبات . ومع ذلك فان الناس لا يترددون الى هذه العمارة . مضت بضعة اسابيع وهي خالية من حركات الناس مع انهم في حاجة شديدة اليها . غير ان رؤوفا لم ييأس . انه مؤمن بنفسه واثق بصحة رأيه مؤكد انه لا بد ان يصل الى هدفه ويحقق امانيه . وهو على يقين بأنه لم يخطىء في اقدامه على تنفيذ ذلك المشروع الهام . لذا لم يتردد في نقل زوجته وابنته الى جانب من تلك العمارة .

بعد مضي شهرين بدأ الناس يترددون الى العمارة . اخذ الموظفون يجلسون عند العصر في المقهى ترويحا عن نفوسهم المكدودة واعصابهم المرهقة ، وراح ذوو المصالح من التجار الغرباء يبيتون في فندق العمارة بعد ان كانوا يقضون لياليهم في منازل اقربائهم او اصدقائهم من اهل المدينة ، ويتناولون طعامهم في مطعم العمارة الفخم بعد ان كانوا لا يأكلون الا كبابا وهو خير ما يعرض من الاطعمة في سوق المدينة .

وجعل ركاب السيارات المارة في المدينة يعرجون على العمارة ويتناولون فناجين من القهوة او الشاي او كؤوسا منعشة لنفوسهم بعد سفرهم الطويل .

وهكذا دبت الحياة في العمارة ـ في فندقها ومطعمها ومقهاها . وانشرح صدر رؤوف بعد انقباضه شهرين ، وايقن انه سيجمع من مشروعه ثروة ضخمة تجعله يعيش في رفاهية ونعيم .

★

ولما لاحظ أنيس وفريد صاحبا العمارة ما اصاب رؤوفا من التوفيق راحا يزورانه من حين الى آخر معربين له عن غبطتهما بنجاحه وبازدهار مشروعه ، وتمنيا له مزيدا من التوفيق والنجاح .

(انهما يحسدانه على ما أسبغ الله عليه من نعمة، ويتمنيان لو انهما في مكانه يديران الفندق والمقهى والمطعم . فهما يعتقدان انهما اولى منه باستثمار هذا المشروع الكبير لكونهما صاحبي العمارة) .

ـ يا أنيس كيف لم يخطر في بالنا هذا المشروع من قبل ؟ لقد كانت العمارة بين ايدينا ، وكان في امكاننا ان نديرها فيها فندقا ومطعما ومقهى . هل كنا اعميين في ذلك الحين ؟

(ان رؤوفا ليس اذكى منا ولا اكبر عقلا. لقد الهتنا تجارة البقالة عما هو اكثر ادرارا للمال منها) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ يا اخي ان التوفيق من الله . هذا ما كتب على ذلك الرجل . هذا نصيبه .

(لا شك انه عميق التفكير صائب الرأي دقيق الملاحظة . لقد عرف ما تحتاج اليه مدينتنا وهو فندق فخم ومطعم فاخر ومقهى مريح . وقد جمع بين هذه المحال في مكان واحد) .

ـ لقد خطرت في بالي فكرة .

(لا تكن غبيا قانعا . كيف نترك ذلك الرجل الغريب يستعمل عمارتنا ونحن نحدق اليه في بله وعجز ؟)

ـ ما هي ؟

ـ ان نخرج رؤوفا من عمارتنا ، ونقوم نحن بادارة الفندق والمطعم والمقهى .

(يجب ان نفعل ذلك والا كنا اضحوكة الناس وموضع احتقارهم) .

ـ نخرج رؤوفا من العمارة ! كيف ؟ ليس في امكاننا ان نفعل ذلك يا فريد . كيف نخرجه وهو مستاجر قديم والقانون يحميه ؟

(ولم نتعدى على غيرنا من الناس بلا سبب ؟)

ـ لا تكن ضعيفا يا انيس . ينبغي لنا ان نسعى ونتآزر حتى نتغلب على المستأجر .

(ان القوة هي القانون في هذا العصر . فلا تخش القانون يا غبي) .

ـ لا يا فريد . ان اعتدينا على المستأجر انهال الناس علينا انتقادا وذما .

(ما لنا ولرؤوف ؟ نحن في نعمة والحمد لله) .

كاد فريد ينفجر غيظا من اخيه . حرق الارم ، وانبعث بريق صاعق من عينيه الساخطتين المندلقتين . وانطبقت شفتاه في عزم وحزم واصرار . واشتدت اعصابه في شجاعة وقوة . ولبس وجهه قناع الجد فبدا لانيس وجها اخر لرجل غريب وليس لاخيه ، وشعر ان اخاه سيطر عليه بارادته ووجهه الوجهة التي ارادها .

(اصوات من الداخل : اصغ الي يا انيس . اترك ذلك الامر لي . انا الذي اعرف كيف اتصرف . اما انت فطفل . انك عالة علي في كل شيء . افاهم انت ؟ انا أعرف كيف اتغلب على المستاجر . ان رؤوفا رجل غريب لا سند له ولا أسرة تحميه . اما نحن فاسرتنا كبيرة ومعروفة . لا بد ان نسحقه ونخرجه من عمارتنا) .

(منظر في الداخل : يمسك فريد اذن اخيه ، ويجره اليه في قوة وهو يحدق الى عينيه تحديقا مخيفا . فينقاد انيس له ويرضخ لامره) .

★

فاتح انيس وفريد رؤوفا بامر اخلاء العمارة لهما بحجة السكن فيها . وكانا في اثناء حديثهما يرسمان على وجهيهما ابتسامات لامعة لمعان الشريط القاتل للحشرات . وكانت نغمة حديثهما مسمولة هادئة هدوء موج البحر العميق ، ولطيفة رخوة كالهواء الذي يسبق العاصفة. ولكن رؤوفا رفض ذلك في جد وحزم ملأ قلبه الكبير واسارير جبهته وتقاطيع وجهه التي نقشتها يد الزمان ويد التفكير العميق . وكان من وقت الى اخر يقول لهما في صراحة وجراة :

ـ لا ، لا . هذا محال .

(قوما ! انصرفا ! انني لست غبيا حتى اتخلى عن العمارة لكما بعد ان بذلت فيها دم قلبي وعرق جبيني مدة طويلة . انا مبتكر هذا المشروع . لماذا لم تبتكراه قبلي ؟ ان كنتما ذكيين فابتكرا مشروعا اخر مثله) .



عبد الحميد الانشاصي

●

وكانا يقولان له بنظراتهما الساخطة المنذرة :

(نحن صاحبا العمارة . نحن اولى بها منك . وسناتي المستحيل لاخراجك منها سواء ارضيت ام لم ترض) .

وبعد مضي بضعة اسابيع على هذه المحادثة اتفق ان كان رؤوف جالسا مع زمرة من اصدقائه في مقهاه . وقد جلس بين اصدقائه فريد وانيس . وكان موضوع حديثهم البيع بالجملة. وكان رؤوف يرى ان باعة البضائع بالجملة هم الذين يستغلون ضعف البقالين العاديين ويربحون منهم مالا جزيلا. وبما ان فريدا يبيع في بعض الاحيان بضائع بالجملة بالاضافة الى بيعها في بعض الاوقات بالمفرق ـ اخذ يسخف رأي رؤوف ويصيح قائلا بنغمة حادة مهاجمة :

ـ من انت حتى ترى هذا الرأي ؟ لقد كنت في الامس رجلا مهملا لا شأن له . واصبحت اليوم تدعي المعرفة بشؤون التجارة كانك خبير بها .

(اسكت والا حطمت رأسك وكسرت عظامك !)

(منظر في الداخل : يهوي فريد بهراوة على رأس رؤوف فيفقده وعيه ويقع على الارض) .

وعاونه اخوه انيس بقوله لرؤوف :

ـ اترك امر البيع بالجملة لاهله فهم ادرى به منك . وانت غريب لا تعرف طباع اهل هذه المدينة .

(انصحك ان تستسلم والا تكون عنيدا).

ولكن رؤوفا ما زال عنيدا ومعتدا برأيه دون ان يحسب حسابا لثورة الاخوين وقال معتزا :

ـ ان لي خبرة بكثير من الاعمال فقد تقلبت في الوان كثيرة من التجارة ، ورأيي صائب بلا ريب .

(انني افهم ما تعنيان ، ولكنكما لن تتغلبا علي وان كنتما اثنين وانا واحدا) .

(منظر في الداخل : يلكم رؤوف صاحبي العمارة فيقعان ميتين) .

وفي ذات يوم كان رؤوف قادما من مدينة كبيرة بعد ان اشترى منها حاجاته التي لا توجد في المدينة التي يقيم فيها . وكان راكبا باصا . وسائق الباص معروف بشراسة الخلق وغلظ الطباع . وهو ابن عم فريد وانيس . وقبل ان يصل الباص الى كراج المدينة ضغط رؤوف الجرس ليترجل . فتوقف الباص ، وهم رؤوف بالنزول ، فوضع قدما على الارض ، وقبل ان يرفع القدم الاخرى عن قاعدة الباص قاده السائق متعمدا . فوقع رؤوف على الارض واصيب بجروح ، وادرك ان السائق تعمد ان يوقعه على الارض فهو يعلم انه ابن عم صاحبي العمارة . ولكنه ما زال مصمما على مقاومة انيس وفريد على الرغم من مؤامرتهما .

وفي احدى الليالي الحالكة كان رؤوف عائدا من السوق الى منزله . وفي اثناء الطريق ظهر له عند مفترق زقاق ضيق وشارع عام رجل غريب لم يتبين ملامح وجهه جيدا . وصاح الرجل في وجهه قائلا بصوت أجش قوي :

ـ لماذا ضربت ابني يا حيوان ؟ هه !

وهوى عليه بهراوة ثقيلة بضربات حطمته واسالت الدم من رأسه وذراعيه وظهره . فارتمى على الارض فاقد الوعي . ومر به رجال ، فلما وقعت انظارهم عليه عطفوا عليه

وحملوه الى سيارة كانت مارة في الطريق العام . وهذه أقلته الى مستشفى المدينة .

ولما استرد رؤوف وعيه فكر في الاعتداء الذي جرى له في الزقاق ، وهداه تفكيره الى الحقيقة وهي ان فريدا وانيسا هما اللذان اوعزا الى ذلك الرجل الغريب بمهاجمته والاعتداء عليه . غير انه لم يتزحزح قيد انملة عن اعتزامه المضي في مقاومة خصميه حتى يخضعهما لارادته .

وحينما عادته زوجته وابنته في المستشفى اضطر الى مكاشفتهما بأمر الاعتداء عليه ، واطلعهما على المؤامرات التي دبرها صاحبا العمارة ضده بعد ان كتم امرها في صدره اشهرا دون ان يلمح بشيء اليها امامهما ، واعلمهما انه مصمم على احباط اية مؤامرة يدبرها خصماه بما أوتي من قوة الارادة وصلابة العزيمة .

ولكن زوجته وابنته فكرتا في الامر كثيرا بغية الاهتداء الى حل لهذه المشكلة لكي تنقذا رب الاسرة ، فانهما تحبانه وتخشيان ان تقضي مؤامرات صاحبي العمارة عليه .

★

خرجت عديلة لزيارة عبير أخت صاحبي العمارة . وهي احدى صديقاتها اللواتي كثيرا ما اجتمعت بهن في منازل صاحباتها . وعديلة ذات حركات زائدة على حركات اية فتاة في سنها ـ حركات نشيطة فاتنة مغرية . وقد سرى النشاط لا في حركات جسمها فحسب بل في لسانها ايضا ، اذ كثيرا ما ينطلق باحاديث وان كانت في بعض الاحيان غير هامة ولا شائقة الا ان نغمة النطق بها تكسبها حلاوة وطلاوة تذهلان سامعها . وحينما اطلعت صديقتها على كيد اخويها والحاحهما على ابيها في اخلاء العمارة استمعت عبير اليها في اهتمام واقتناع .

ـ حبيبتي عبير ! انني ما كنت اتوقع ان تنشأ خصومة بين اخويك وابي ، فانت صديقة عزيزة علي ، واسرتك صديقة لاسرتي .

(اخواك جريئان لا يفكران في العواقب . فاقنعيهما بضرورة العودة الى الصداقة) .

ـ لا تخشي شيئا يا عديلة . ان اخي فريدا عصبي المزاج ، ولكنه سرعان ما يعود الى الرزانة والهدوء . وانا كفيلة برده عن طيشه .

فابتسمت عديلة ، وتمايلت في دلال قائلة بنغمتها الحلوة التي كسبت صديقاتها:

ـ عهدي بفريد انه شاب رزين . انه شهم وحسن السيرة وحميد الاخلاق . فكيف لجأ الى العنف واغضب أبي ! انني على يقين بانه لا بد عائد الى ما كان عليه من الصداقة والمحبة .

(انني احبه . وقد لاحظت انه يكتم لي حبا وان لم يتظاهر بذلك . هل نسي ان الذي عاداه هو أبي ؟)

ثم اطلقت تنهدة حارة طويلة ، ورقص حاجباها الدقيقان مع بريق اعجاب انبعث من عينيها اللتين ازدادتا جمالا بالابتسامة الفاتنة التي امتلأتا بها ، وقالت بنغمة مهموسة :

ـ انه شيطان ! خبيث ! الى اي شيء يرمي من وراء هذا العنف الذي عامل به أبي ؟

(ما اجمله ! انه يتدفق شبابا وحيوية . اني احبه . أليس زواجه بي خيرا من هذا العنف ؟ مرارا أملت ان يخطبني الى أبي).

ثم هزت رأسها في دلال والابتسامة ما تزال ترتعش بين حاجبيها . وقالت عبير وعيناها عالقتان بتلك الابتسامة ، وقد انعكست ابتسامة صديقتها على عينيها هي :

ـ سانبئه بكل شيء . ساطلع فريدا على حقيقة الامر . لا شك انه نازل على رغبتك يا حبيبتي . انه طيب القلب ، ويمكن التفاهم معه في سهولة .

(انه لما يسرني ان يتزوجك أخي فريد . ان فتاة مثلك في امكانها ان تسعده وتهديه الى الصواب) .

والقت يدها في لطف على فخذ صديقتها. تركتها هناك مدة طويلة حتى شعرت عديلة بدفئها ونبضها .

ـ لا يا يسرى . محال ان ازوج فريدا بابنتي . انه خصمنا فكيف يناسبنا ؟

(أنا لا اخضع لارادته . لقد صممت على مقاومته والتغلب عليه) .

ـ حبيبي رؤوف ! ان عديلة تحبه وهو يبادلها الحب .

(لا تقف حجر عثرة في سبيلهما) .

ـ ماذا تقولين ؟ عديلة تحبه ! تحب من اتتمر بي ؟

(لا بد من صفعها لكي يعود اليها صوابها)

ـ لقد مضت المؤامرة وتغير كل شيء ، وعادت اسرة صاحبي العمارة الى ما كانت عليه من الصداقة معنا .

(لا تكن عنيدا . ان في ذلك نفعا لنا . اخشى ان تقتل) .

فكر رؤوف مليا ، ثم التفت الى زوجته قائلا :

ـ هل انت التي دبرت هذه الخطة ـ خطة الزواج لكي تردي شر صاحبي العمارة عني ؟

(لا ، لا . لن اخضع لهما . انني لست ضعيفا مذعنا) .

والقت يسرى رأسها على صدر زوجها ، وقالت بنغمة استعطاف :

اريد موافقتك على الزواج عطفا على ابنتنا فهي تحب فريدا .

وبعد برهة انبسطت اسارير رؤوف ولم يتكلم .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

واحة الظمآن

★

أي اللحون ترنحت سكرى على شفة الهزار
فأهاجت الشوق الدفين بقلب صب مستطار
يا نشوة الاعراق هلا عودة تطفي أواري
اني هنا اقتات من سأمي المرير ووهم ثاري
واهم في ذكرى صباباتي واحلام انتصاري
عل الذي قد مر يرجعه حنيني واصطباري
يا واحة الظمآن من بعد التشرد في البراري
هلي علي وجددي أيام حبي وأدكاري

بغداد — عبد الخالق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مي الجديدة

الى الزميلة الشاعرة الاستاذة روحية القليني .. بمناسبة انتخابها عضوا في لجنة الشعر، بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والا داب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة

★

أنـــدوة الفـــن أم روح وريحـان ... للشعر فيها وحسن القـول ميزان ؟
يهفـــو اليهـا فؤادي كلما سنحت ... لـه الـى الفكـر اشواق وأشجـان
ألحانهـا الشعـر والآداب راقيـــة ... فمـــا سواها لهـــذا القلب ألحان
هناك أسمع مـن روح .. قصائدها ... غراء ، كم ضمها كالروض ديـوان
أبيت أصغي الـى (الانغام حالمـة) ... فيها من العطر تطريب ، وتحنان (١)
وحين يسري (عبير القلب) يشملني ... من الشذا، وجمال الورد .. بستان(٢)
أما الجديد فقلبـي بـــات يرقبـه ... وكم يجـــود بـــه طبـع ووجدان
على هدى الصدق في الاحساس ترسله ... مبـرأ النظـم لـم تخطئـــه أوزان
فيه العروبة والاعراب قـــد جمعا ... فتـــم بعدهمـا حســن واحســان
ثـوب من الحـق تكسوه خلائقهـا ... فالنسج ذو روعة ، والسحر فتـان

مـي الجديدة .. تدعوني لندوتهـا ... صالونها مـن بديـع الفـن ألـوان
في مجلس بجـلال الفكـــر متسم ... لـــه الفضائـل والآداب أركـــان
وكل مـن أمـه مثلـــي يصافحـه ... فضل وعلـــم واخـــلاق وايمـان
مـن كل شاعرة تزهو الحياة بهـــا ... او شاعر ذكره فـي الدهر رنـــان
تدير فيهـــم حديثـا تنتقيه لهـم ... حرا ، كمـــا ينتقـى در ومرجان !

يا روح .. هذا قصيدي كلـه ادب ... وفـــي ثنايـــاه تقدير وشكران
فأكمليها الـــى محمـــود غايتهـا ... رسالـــة زانهـــا حسن واتقـان
كم ذات فضل علـى التاريخ تذكرها ... بهـــا تعـــز رسالات ، واوطـــان
بلغت ما بلغت ، بـــل فقت منزلهـا ... ان النجـوم تسامي وهـي جيـران
وصرت نابغة في الشعر مـــا كتبت ... الا وفـــي شعرها بالسبق برهـان
ولجنة الشعر .. صح اليوم مجلسها ... لمـــا غدت بحديث منـــك تـزدان

ان قصر اليـوم تبياني فـــلا عجب ... فلـــن يوفي هـــذا الفضل تبيان
رسالة بعد شوقي بـــات يحملهـا ... فـــي دولة الشعر ابطـال وفرسان
ان الامانـة ثقـــل ليس يحملـــه ... الا وفـــي ، كبيـر القلب ، انسان !

---

(١) انغام حالمة : ديوانها الثاني . (٢) عبير قلب : ديوانها الثالث

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



فتح الله الصقال الرائد الانساني الكبير

تاليف البدوي الملثم ـ (؟) صفحة ـ منشورات مجلة « الضاد »
بحلب ـ مطبعة « الضاد » بحلب

أهداني صديقي الاديب الناقد الاستاذ البدوي الملثم « يعقوب العودات» كتابه القيم « فتح الله الصقال الرائد الانساني الكبير » ، فلم يفاجئني افتقاد الصديق اياي بهديته الممتعة ، لانني عرفته قمة من قمم الوفاء .

وقد سرني الهدف النبيل الذي رمى اليه المؤلف من تدبيج صفحات كتابه ، ليحمل الناس ، الذين اغدق الله تعالى عليهم نعمة الثراء ، على الاقتداء بالمحسن الكبير الاستاذ الصقال . وتلك لعمري بادرة حسنة ، بادرة الثناء على الاحياء ، وتمجيد اعمالهم ليروا الوفاء الذي يكنه لهم ابناء قومهم ، والاعتراف بالجميل الذي أسدوه الى وطنهم سياسيا ، وفقرائه اجتماعيا، مع اننا اعتدنا ان لا نكرم رجالاتنا العظام الا بعد ان يقضوا نحبهم .

لقد كنا في سالف الازمان سادة العالم في الجود ، وايثار الآخرين على انفسنا ، ثم تقلص ظل هذه الميزة في عصور الانحطاط والاستعمار ، حتى بلغنا عصرنا المادي هذا ، الذي غبر على جميع العصور العالمية السالفة ، من حيث الشح ، والانانية ، والشره المادي . وعندما نرى محسنا مخلصا كالاستاذ فتح الله ، فان الوفاء يدعونا الى الاطناب في ذكر مبراته ، لانه قطع نادر في احسانه ، ودرة يتيمة في اخلاصه لضميره الحي اولا ، ولاصدقائه والمعوزين من بني قومه ثانيا ، ولكل انسان معذب في هذه الدنيا الغدارة ثالثا .

ويبدو لي ان الاستاذ يعقوب العودات رأى الحقد الاسود المتمكن من نفوس جل المعاصرين ، ورأى عيونهم التي تنظر الى العيوب الصغيرة بمجهر فتضخمها ، وتغمض الجفون حتى لا ترى الحسنات الكبيرة ، فآلى على نفسه السمحة الكريمة ليضخمن جميع الحسنات كبيرها وصغيرها حتى جنينها ، وليغضن النظر عن جميع السيئات ، نكاية بالحساد اللئام ، وارضاء لنفسه الكريمة الخيرة ، مثبتا قول الشاعر : وكل اناء بالذي فيه ينضح

وانا اخالفه في ذلك التطرف في الاطراء كما اخالف المسرفين في الذم ، وقد فرض علينا النقد الادبي ، الذي اصبح علما قائما بذاته ، ان نذكر الحسنات والسيئات كما يراها العقل النير ، والضمير الحي دون ما زيادة او نقصان ، شأننا في ذلك شأن القاضي العادل الذي يزن الاحداث بقسطاس دونه ميزان الصيدلي الحساس .

والاستاذ البدوي الملثم يستوحي قلبه الكبير الضخم في كل ما يكتب اكثر جدا مما يستوحي لبه ، مع انني لا اشك ابدا في انه يعرف كثيرا من الهنات في كثير ممن ترجم لهم في مؤلفاته او مقالاته المتسلسلة في مجلة الاديب الغراء ، ولكنه يتظاهر بانه لا يرى . واذا قبلنا هذا من اصحاب النفوس الكريمة في حياتهم الاجتماعية ، فاننا لا نقبله منهم في نقدهم الادبي ، وتاريخهم للادب . كما اننا لا نقبل النقد الجارح المر الذي يتفاضى صاحبه عن جميع الحسنات كما فعل الاستاذ عباس محمود العقاد مع شوقي ومصطفى صادق الرافعي ، وكما فعل ابراهيم عبد القادر المازني مع مصطفى لطفي المنفلوطي .

ان التناهي غلط خير الامور الوسط

وللكتاب ثلاث مقدمات : الاولى «تصدير» بقلم صديقي الاديب الشاعر الاستاذ عبد الله يوركي حلاق ، صاحب مجلة « الضاد » الحلبية ، واحد قليلين من الادباء الذين قضوا حياتهم يتغنون بالعرب والعروبة باخلاص عجيب ، ووفاء نادر. والثانية « المقدمة » الرئيسية بقلم شاعر الاهرام الاديب الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي كانت اجادته فيها دليلا على قدرته ، ولباقته، وبراعته في اقناع القارىء بما يراه من آراء ، ومع ذلك ، فانا لا أرى رأي المؤلف في جعل غيره ـ من أصدقائه طبعا ـ يكتبون المقدمات لكتبه ، اذ من المستحيل أن يعرف اذكى الناس حسنات أي كتاب وسيئاته كما يعرفها مؤلفه ، وهل يعرف الصلصال الذي صنعت منه تماثيل الفخار اكثر من الفنان الذي جبلها بعرق جبينه ، وواصل من اجل اتمامها عمل ليله بنهاره .

ثم لماذا نفرض على القارىء حكمنا على كتاب ما ، ولا ندعه يكتشف بنفسه حسناته وسيئاته ؟ فاذا اردنا ان ندل القراء على حسنات مؤلفاتنا ، علينا ان نكتب مقدماتها بانفسنا ، ونشير الى الحسنات ، تلميحا لا توضيحا ، والا كنا ممن يسيئون الظن في ثقافة القارىء وذكائه . لذلك درجت على كتابة مقدمات دواويني وكتبي جميعها بنفسي حتى لا تضل أذهان القراء سواء السبيل ، وحتى اطلعهم على الجهد الذي بذلت ملمحا الى الحسنات ، تاركا المساوىء ـ اذا وجدت ـ الى ذكاء القارىء ، وفطنته ، وذوقه الادبي الرفيع .

ومن ناحية اخرى ، يتطلب الذوق من كاتب المقدمة ان يثني الثناء المستطاب على مؤلف الكتاب ، سواء أكان الكتاب قيما ، او كان غثا هزيلا كعشرات الكتب التي تتقيؤها مطابعنا شهريا في هذه الشنوات العجاف . والمقدمة نوع من انواع الدعاية ، وكلمة « دعاية» أصبحت تحمل معاني كثيرة الآن ، منها، الغش ، والخداع ، والتمويه. وهذا ما جعلني أشفق على صديقي الاستاذ البدوي الملثم ، لان الناس قد يظنون ان كتابه القيم مثل بعض الكتب الهزيلة الاخرى ، مع انه لو ازال لثامه ، وسفر عن وجهه الصادق الامين ، وكتب مقدمات كتبه كلها بنفسه لخرج رافع الرأس ، ناصع الجبين . هذا رغم ان مقدمة كتابه « فتح الله الصقال » ، قد دبجتها يراعة الاديب العربي الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام وعضو لجنتي الشعر والنثر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة .

ولئن شذ الشاعر عزيز اباظة عندما قدم كتاب « الشعر العربي في المهجر » للاستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه ، وخالف رأي المؤلف في شعراء المهجر ، واظهر ضعف السبك والبلاغة عندهم ، فان هذا شيء نادر ، والنادر لا يقاس عليه .

ثم تأتي المقدمة الثالثة للكتاب بقلم مؤلفه الاستاذ العودات ، وكان في الوسع الاكتفاء بمقدمة واحدة مركزة ، ومختصرة في بضع صفحات بدلا من تسع عشرة صفحة .

ثم تأتي مادة الكتاب الذي اجادت مطبعة الضاد اخراجه اجادة تامة ، وقل التطبيع فيه قلة تلفت النظر بين الكتب العربية الحديثة.

ثم يشرع المؤلف الذي مرن على كتابة التراجم في سرد تاريخ حياة الاستاذ الصقال بلغة أنيقة ، وعبارة منمقة ، واسلوب رقيق هو السهل الممتنع الذي يخيل الى المرء انه يستطيع الاتيان بمثله لسهولته، وعند التجربة يكون نصيبه الاخفاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما تبويب الكتاب فقد كان رائعا يزاحم بـــه مؤلفه أمهات كتب التراجم التي بين أيدينا ، ويضع كل جملة في الباب الذي خصصت له ، دون ان تتطفل على باب آخر ، او تعتدي عليـــه اعتداء شذاذ الآفاق على فلسطين الحبيبة .

وفي فصل « الصحافي القانوني » والصواب « الصحفي » لاننـا ننسب الى المفرد ، في هذا الفصل أحسن المؤلف كثيرا في ذكر تاريخ المحاكم المختلطة في مصر ، واقتصر على ذكر محاسنها جريا على عادته من الاكتفاء بذكر الحسنات ، وكنت انتظر منـه سرد بعض مساوئها ، لانها اكثر من ان تحصى ، ليعرف الناس اية مصيبة دهياء كانت تحل بمصر في ذلك الحين ، وليطلعوا على احدى جرائيم الاستعمار الفتاكة التي تلقيها لتقيم بين ظهراني الشعوب لتفتك بها فتكا ذريعا ، مع انها انتدبت لاقالة عثرة الشعوب ، والاخذ بناصرها ، والسير بها قدمـــا نحو الاستقلال والحرية والمجد .

أما فصل « فتح الله الصقال في ميدان العمل الوطني » ، فقد وفاه المؤلف الدقيق حقه بشكل رائع ، واستنفد كل جهده في ابراز جميع نواحي وطنية الصقال ، كما كـان الشاعر ابـن الرومي يستنفد المعنى الذي كان خياله المجنح يصطاده مـــن جميع الجهات ، بحيث لا يدع زيادة لمستزيد . واعجبني من هذا الفصل سرد محاكمة المجاهد العربي الخالد الذكر ابراهيم هنانو ، كما رواها الصقال ، بدقة تامة وامانة تاريخية . وهي ـ لعمري ـ محاكمة رائعة تبرز بطولـــة ثائرنا العظيم ، وتحمل كل مخلص لعروبته ووطنه على ان يحذو حذو هنانـو العملاق ، تلك المحاكمة التي يجب ان يطالعها كل مثقف لما فيها مـــن دروس قيمة في القانون، والوطنية ، والجراة في قول الحق والدعابة.

وكنت أود لو لم يذكر المؤلف جزءا من مرافعة الصقال في الدفاع عن هنانو باللغة الفرنسية ، وما دام قـد اختار ذكرها ، كان عليه ان ينقلها مترجمة الى العربية ، ليطلع القارىء الذي يجهل الفرنسية ، على بلاغة المحامي ، وذكائه ، وتضلعه من القانون ، هذا مع العلم بان اللغة الفرنسية بدأ ظلها ينحسر قليلا قليلا عن العالم العربي ، لتحل اللغة الانكليزية ، لغة الدولار والاسترليني ، محلها .

وقد فاز باعجابي الفصل الذي يسرد فيه المؤلف بر الاستاذ فتح الله الصقال واحسانه ، وكيف نجحت مساعيه فـــي تشييد مأوى العجزة ذي الطبقتين ، ودير كرمل عذراء سيدة سورية ، ومستشفى الكلمة ذي الطبقات الخمس في بلده الشهباء ، بل بلدي وبلد العرب جميعا ، لخدمة المحتاجين من ابناء قومه ، دون ما نظر الى طائفة ، او حزب ، او ملة . ولو وجد في كل بلد عربي اثنان مثل فتح اللـــه الصقال نشاطا واخلاصا وكرما ، لمـــا وجد في البلاد العربية كافة محتاج واحد لا يجد المعونة تسعى اليه سعي ديمة القطر الـــى المهمه القفر ، ولا مريض لا يجد العلاج ، ولا بائس يبحث عمن يخفف احزانه ويؤسه ، ويكفكف دموعه ، ويزيل يأسه .

وفي فصل « الصقال المصلح الاجتماعي » ، أورد المؤلف القدير أقوالا للمحامي الفذ فتح الله الصقال تدل على بعد نظره ، ومحاربتـه التفريق بين الاديان ، وحملاته الشعواء لازالة الفروق بين الطبقات . فمن أقوال الاستاذ الصقال الخالدة قوله :

« ان الشقاء لا دين له .

ما ذنب الفقير اذا ابصر النور بين أحضان دين من الاديان !

نحن لا نعبأ بالطائفية والحزبية والجنسية .

على الانسان ان يساعد أخاه الانسان مهما كان بينهما مـن تباين في العقائد والجنسيات .

الا تلتقي جميع الاديان في منعطف واحد، وتسير الى هدف واحد؟

نحن نعطف على العاجزات والعاجزين كل العطف ، ونرغب فـي أن يضمن لهم المستقبل ، ليس باسم الشفقة والرحمة فحسب ، بـل باسم الحق والواجب أيضا » .



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
Tel : المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي نهاية هذا الفصل الانساني القيم ، ينزلق المؤلف الى هـوة المبالغة المتطرفة المتشائمة ، فيقول :

« ان فتح الله الصقال هبة من هبات الله للوطن العربي الكبير، وأغلب الظن أن الزمان بمثله لبخيل على العالم العربي ، واذا سخـا عليهم بمثله ، كان ذلك مرة كل الف سنة » .

ان بعض الظن اثم يأيها الصديق المتشائم . انا لا أشك فـي أن الرجل عظيم ، ولكني أعرف مئات مثله بين العدد القليل الذي اعرفـه من مائة المليون عربي . ثم ما رأي العربي الملثم فـي الفدائيين الذين يقدمون أرواحهم بكل رضى وطيبة خاطر في فلسطين الحبيبة المحتلة ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ان التغني بالمآثر مفيد لتشجيع الآخرين ، وحملهم على الاقتداء بالممدوح ، ولكن الاسراف في مدح انسان ، ووصفه بالكمال ـ والكمال من صفات الله عز وجل وحده ـ ، وقصره على شخص واحد كـل الف عام ، أمر يسيء الى الممدوح اكثر مما يحسن اليـه ، لان الناس سيفتقدون أن الشخص الذي أطرينا خلاله الحميدة ، متطرفين فـي الاسراف ، ليس انسانا لان الناس لا يخلون مـن العيوب . وسوف يرون أننا أخطأنا في حكمنا لاننا استلهمنا القلب في اصداره لا العقل، والعقل وحده هو القاضي العادل الذي يصدر أحكامه بانصاف علـى الناس جميعا .

واذا بالغنا في مدح الناس كافـة حـين نزنهم بميـزان الادب والاجتماع ، وساوينا بينهم ، نكون قد ظلمنا الرجل العظيم الفذ عندما نساويه بالرجل الذي يتحلى باحدى الصفات المستحبة ، ويتعرى مـن جميع الصفات الرائعة الاخرى . والناس بطبيعتهم ميالون الى البحث عن العيوب وتضخيمها اكثر من ميلهم الى البحث عن الحسنات . فلـو ذكرنا باطناب تسعة وتسعين حسنة لشخص ما ، أمام نفر من اناسي العصر الحاضر ، وذكرنا له عيبا واحـدا ، لرأيناهم يضخمون ذلـك العيب ، ولا ينقلون الى الناس سواه ، ولو كان عيبا بسيطا . فعدلا في أحكامكم أيها النقاد ، عدلا ، عدلا .

ولا بد لي في الختام من شكر المؤلف على ذلك الكتاب القيم الذي كان التطبيع فيه نادراً ، والاخطاء اللغوية نادرة جدا بالنسبة الى كثير من الكتب الهزيلة التي تقذفها افواه المطابع يوميا . ومـع ذلك فقـد سجلت عليه قليلا من الاخطاء ، ربما كانت العجلة ، وبعد الدار عـن المطبعة سببا فيها :

ففي الصفحة ٢٣ جاء قوله : مضمخة بمـودة وولاء أخيه فـي الانسانية . والصواب : بمودة أخيه في الانسانية وولائه ، لاننا لا يحق لنا ان نضع مضافين الى مضاف اليه واحد .

ووقع في الخطأ نفسه في صفحة ٣١ حيث يقول : يكـون مطلعا على أسرار وغوامض القوانين المعمول بهـا . والصواب طبعا : .... أسرار القوانين المعمول بها وغوامضها .

وفي الصفحة ٣٩ نونت الفاء في (فوالسفا) ، والف الندبـة لا ينون الحرف الذي قبلها ، وليست هنالك ضرورة من ضرائر الشعـر أو مما يتطلبه الوزن توجب تنوينها . هذا اذا غضضنا النظر عن ركالة البيت المستشهد به .

وجاء في الصفحة ١٦٢ قوله : « غفلوا عـن نـواح عديدة » . والصواب : عن نواحي عديدة . لانها علـى صيغة منتهى الجموع ، فتمنع من الصرف ، وتجر بالفتحة .

وفي الصفحة ١٦٦ جاء قولـه : « روحك كانت شغوفة » . والصواب : مشغوفة ، وقد وقع الشاعر حافظ ابراهيم فـي الخطأ نفسه ، فصحح له .

وورد في الصفحة ١٩٥ قوله : « عريس الخلود » . والصواب: « عروس الخلود » . لان كلمة عروس تطلق على المذكر والمؤنث علـى السواء . أما كلمة « عريس » فعامية .

هذا هو الاسلوب الذي اراه صالحا لنقد الكتب بنزاهة تامة ، فلا هو بجحيم كنقد أبي طالب زيان الذي لا يعرف فـي نقده العنيـد القاسي سوى الكر المتواصل الذي لا يدع مجالا للخصم للـرد عليـه ، لانه لم يكن مستعدا لتلك المباغتة العنيفة ، ولا هو بنعيم كنقد البدوي الملثم الذي لا يكتفي بالاقتصار على ذكر الحسنات ، بل يسرف فـي تضخيمها اسرافا شديدا يكسبه صداقة الادباء وعداوة تاريـخ الادب الذي يأبى الامعان في اللين مثل ابائه الامعان في العنف ، وفوق كل ذي علم عليم .

المدينة المنورة — **محمد العدناني**

●

عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع

تأليف انور الجندي ـ سلسلة اعلام العرب ـ ٢٣٠ صفحة ـ الناشر مكتبة مصر بالفجالة القاهرة

ان تاريخ مصر الحديث حافل وعريض ، ويحتاج الى دراسات دائمـة وعميقة تجلو لنا ملامحه وتوضح خصائصه ، وتبرز ما فيه مـن صور وعبر ، وتحدد طرقه ومساراته .. من أين تبدأ والى أيـن تنتهي .. ذلك ان جيلنا المعاصر يجب عليه ان يعرف هذا التاريخ معرفة سليمة وعلى ضوء هذه المعرفة يمكنه ان يحدد خطواته الراهنة والقادمة علـى هدى منها ومستفيدا بما فيها من دروس وخبرات .

وفي ثنايا هذا التاريخ كثير من الشخصيات المصرية التي لعبت دورا هاما ، اثر في تطور الاحداث سلبا وايجابا ، تراجعا وتقدمـا . ولكن الكثيرين من جيلنا ـ للاسف ـ لا يعرفون عن هذه الشخصيات شيئا ، والذين يعرفون قلة لا تدخل في الحساب !!

ومن بين هذه الشخصيات التي لعبت دورها على مسرح الاحداث في مصر الحديثة الشيخ « عبد العزيز جاويش » ذلك العالم العامل ، والعلامة المناضل ، والمسلم الواعي المستنير .

ويقدم الينا هذه الشخصية الاستاذ « انور الجندي » في واحد من كتبه القيمة التي يخرجها للناس في صمت ووقار هما طابع الباحث الجاد الدءوب ، الذي لا يرتاح الى الضجيج ولا يغريه الزعيق !

ويوضح لنا الاستاذ الجندي انه ما زال يتطلع الى تقديم نماذج حية نحن في اشد الحاجة اليها في سبيل نهضتنا الجديدة ، ومـن أجل الاحتذاء بالاعلام الذين اثروا في فكرنا المعاصر والانتفاع بآرائهم وافكارهم التي ما تزال تنبض بالحياة .

ولقد وفق المؤلف الى تقديم واحد من هذه النماذج الحية فعـلا في كتابه الذي بين ايدينا . فان صورة هذا الرجل كما يرسمها تبدو لنا صورة مضيئة الملامح مشرقة البسمة سخية العطاء فـي مجـالات متعددة اهمها المجال السياسي او الوطني ومجال الاسلام او الدعـوة الاسلامية .

ويبدأ المؤلف بعد المقدمة في اعطاء صورة العصر الـذي عايشه الشيخ « جاويش » من حيث الصورة العامة للدولة والاحزاب وعلاقة الدولة العثمانية بكل منهما مع بيان صورة مصر السياسية والفكريـة في هذه المرحلة . وينتهي الى انه في « ظل هذا الجـو المضطرب ، وفي هذا المناخ الفكري الحاد ، ظهر « عبد العزيز جاويش » الـذي كان في سن السابعة عشرة وقد سمع صوتين كان لهما وقعهما في نفسه، فعاش معهما مدى حياته هما : صوت « محمد عبده ، وصوت مصطفى كامل » . بيد ان المؤلف في خلال عرضه لصورة العصر يعطينا تفسيره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخاص لما سمي بالدعوه الى الجامعة الاسلامية آنئذ فيقول « وعندي ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية ـ مثلهـا كالتيار الوطني القومي وكالدعوة الى القومية العربية ، وسائل واسلحة اتخذتها هذه المنطقة لمقاومة النفوذ الاجنبي والحد من سلطانه » ص ١٥ وفي راينا ان هذا التفسير قد يكون صحيحا الى حد ما ولعل « جمال الدين الافغاني » كان يهدف ايضا الى اقامة دولة اسلامية تملكمن وسائل العلم الحديث والوحدة الجغرافية والدينية ما يمكنها من امتلاكناصية القوة الحضارية وتجديد عهد ذهبي مضى وقيام أمة ذات سيادة كاملة في العالم .

ويقسم المؤلف معالم حياة الشيخ « جاويش » الى ثلاث مراحل: الاولى مرحلة الاستطلاع والتكوين ، والثانية مرحلة التالق ، والثالثة مرحلة الهجرة والاغتراب . ولكل مرحلة من هذه المراحل فصل او اكثر، اوضح فيها المؤلف علامات كل ايضاحا جيدا ، ولعل مرحلة الهجـرة والاغتراب من أحسن فصول الكتاب واكثرها امتاعا ، وقـد استطاع المؤلف ان يبرز لنا بصورة قوية صورة ذلك الشيخ الابي المكافح وهو يتنقل بين مصر وتركيا والمانيا ، وغيرها من دول اوربة وتحمله المشاق والمصاعب في سبيل الوطن وكرامته . وما اصدق قول جاويش « ان لله رجالا تخلد حياتهم اذا ماتوا ، ويزيدون ظهورا اذا قبروا ، كما ان للنار اناسا يموتون وهم أحياء ، ويقبرون في ظلمـات اعمالهم وهـم على الارض يعيشون » انه من اولئك الابرار الذين يتمثلون بذلـك القول « غربتي سياحة ، وسجني خلوة ، وقتلي شهادة » . والكتاب مليء بالمواقف النادرة والبطولة الفريدة التي تميز بها وانفرد « عبـد العزيز جاويش » في الوطنية والسياسة .

ويفرد المؤلف فصولا يوضح فيها شخصية الشيـخ « جاويش » كمعلم ومصلح اجتماعي ومجدد اسلامي يخلص بعدها الى ابراز الملامح الشخصية ابرازا تاما ، وفي موضوعية يحكم على الشيخ من خلالها دون انقياد الى رأي من سموا به الى اعلى عليين او من سفلوا بـه الـى اسفل سافلين .. فيضع امامنا صورة رجل من رجالات مصر كان مـن اخلصهم لها وابرهم بها واوفاهم . دفع بكل امكانياته في غير خوف ولا وجل الا من العلي الاعلى الذي كـان يؤمن به وينصر عقيدتـه الاسلامية الخالدة .

ولقد كان حريا بالاستاذ الجندي ان يضع عنوان الكتاب هكـذا « عبد العزيز جاويش من رواد الوطنية والاسلام » وقد كان الشيـخ وطنيا في صحافته وتربيته وسياسته ، وكان مسلما في تصرفه وسلوكه وكتابته . واخيرا نوجه كلمة شكر الى الاستاذ انور الجندي على مـا يبذله من جهد مضن صامت في سبيل تقديم تاريخنا الحديث سهلا ميسورا .

القاهرة — حلمي محمد القاعود

•

الملكـــة زنـوبيـــا

مسرحية شعرية ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويـدات ببيروت

الحديث في مسرح الشاعر العربي الكبير عدنان مردم بك، هو الحديث في أدب الارادة الخيرة ، الفاضلة ، والصراع النفسي من أجل الحق، والعدل ، انه مسرح الانسان المناضل مـن أجل الانسان .. موضوعاته من تاريخنا ، واساطيرنا ، وابطاله اناسي من تراثنا ، ومنا ، ولعـل بعضهم يمثل وحده بطولاتنا ، ولكنهم كلهم بشر مثلنا ، مـن بداعة الشاعر عدنان مردم بك انه يحركهم على خشبة المسرح ، وكانهم فـي الحياة الواقعية نفسها ، فيصور صراعاتهم وتجاربهم ، وطموحـات ارادتهم بدقة ونزاهة وفن ..

ان ابطال مسرح عدنان مردم بك مكافحون اراديون صابرون ، وهم مع الفضيلة والحق والخير .. وليس فيهم شاذون او مرضيون ، ولا فيهم مظللون او مظلمو النفوس ، ان مسرح عدنان مردم بـك مسرح الفضيلة ، وهو مسرح ملتزم ، مسرح قضايانـا التاريخية والقومية ، وانساننا القومي والحضاري ..

ذلك ان اصالة الشاعر العربي الكبير عدنان مردم بك وشمائلـه جعلته قلما شاعريا نظيفا مبدعا محبا للخير والتعاون والشورى ، ينفر من الشر والظلم ، ويابى التعسف في حقوق الانسان ، وعلى الخصوص حرياته وكرامته .. ومن هذا هـو يختار موضوعاته ، موضوعـات صراعات كبرى لنفوس كبيرة من تاريخنا ، فيعرضها العرض الحـي ، ويحللها التحليل الدقيق ..

انها في الحقيقة الميزات التي تتكامل في مسرح عدنان مردم بك: الموضوع القوي القائم على ارادة الحق والخير والعرض الشيق القائم على وحدة العمل المسرحي في المسرحية ، والتحليل الدقيق في تصوير خلجات النفوس وصراعاتها النفسية المختلفة .. يضاف الـى ذلـك الابداع ، أي الخلق ، من عنديات الشاعر نفسه ، والتصرف في بعض الاحيان بمعطيات الوقائع التاريخية ، او الموضوعية للضرورة المسرحية في ذلك ، والسبك المتين والجزل ، والبليغ العبارة ..

وقد اجاز النقاد التصرف بالمعطى التاريخي فـي حدود الامكان الانساني في المسرحيات المستمدة موضوعاتها من التاريخ ، أي فـي حدود ما يمكن ان يكون ، وليس فقط ما هو كائـن ، دون اغراب او تفريط .. وعدنان مردم بك شانه شـان شعرائنا المسرحيين يستجيز التصرف بالمعطى التاريخي في مسرحياته لصالـح العمـل المسرحي ، خاصة ، انه مولع لحد التضحية بالجزئيات من اجـل وحدة العمل المسرحي ..

ان مسرح عدنان مردم بك ، من حيث وحـدة العمل المسرحي مدرسة قائمة بذاتها في المسرح الشعري العربي الحديث ، تتحاشى الاستطرادات الجانبية ، واللوحات الاستعراضية التـي نعهدها فـي مسرح احمد شوقي بك ، وعزيز اباظة .. مـن اجل تقنين العمـل المسرحي في عقدة تتازم نحو الحل .

ومسرحية « الملكة زنوبيا » التي ظهرت مؤخرا للشاعر عدنـان مردم بك ، مسرحية تاريخية قومية من التاريخ العربي السوري ، وهي بالفعل تعكس الميزة الفنية التي اثرت عن مسرح عدنان مردم بـك ، وهي وحدة العمل المسرحي ، اذ لم يعد العمل المسرحي فيهـا عروضا لوقائع من تاريخ هذه الملكة المكافحة ، ولا سردا لاعمالها ومآثرهـا ، انما هو تصوير لموقف ، بل لمأساة تنتهي اليها المسرحية ، عند انكسار الملكة امام الغزو الروماني ثم أسرها .. وقد جعله الشاعر عدنان مردم بك استسلاما اراديا لها ، تقدم فيه نفسها فداء لشعبها ، وسنناقش المؤلف رأيه ، وانجازه المسرحي في ذلـك ، ولنعرض الآن العمـل المسرحي كما ورد في فصول المسرحية ..

المسرحية مؤلفة من اربعة فصول ، كل فصل منها يحوي مشاهد خمسة او ستة ، او اكثر ، الفصلان الاخيران مقسمان ، كـل منهما الى قسمين ، يحوي كل قسم منهما عدة مشاهد ..

الفصل الاول ، في رواق قصر زنوبيا ، وهب اللات بن زنوبيا ، وابنة عمه خولة يتساران في الحب والود ، ان خولة تغار على مصلحة وهب اللات ، وتريده مثل ابيه اذينة ، ولذلك في تحرضه علـى ان يشارك أمه زنوبيا في الحكم ، فيجيبها بأن بره بوالدته يفل يـده ، وان والدته أمينة على الملك تحافظ عليه .. تظهر زنوبيا ، ولونجين ، وكليكرتاس ، فتحيي زنوبيا صغارها ، وتستطلع الى رغائبهم ، ويدور

الحديث حول الامومة ، ثم الحكم والحضارة ، ثم الحروب التي تخوضها مع الرومان على حدود فارس ، وتنسحب مشغولة البال ..

يتابع لونجين وزيرها ، وكليكرتاس الكلام في الفتوحات والحروب ، ثم يعودان من جديد الى حديث الحضارة وانها ثورة خلاقة ، وثمرة القرائح ، وهناك يدخل جندي يحمل بشرى بانتصار التدمريين على العدو في وقعة « زبدة » الشهيرة ، وفيها قتل التدمريون هرقليان قائد الامبراطور غاليان في اراضي المدائن ، ولكن لونجين يظل سادراً لا يفريه النصر ، ويتابع تأمله في الفتوحات والحرب والقوة .. ويدخل وهب اللات فيجده على تلك الحال ، فيناقشه موقفه المتحفظ ، بل المتشائم ، وانه لم ينصف فيه الابطال .. فيجيب لونجين بان البطولة ليست بالطعن والقتل ، ولكنها ابداع وسلام ..

الفصل الثاني ، في قاعة قصر زنوبيا ، فيروز رسول كسرى يثني على بطولة الملكة السورية الصديقة في قراع الاعداء ، ويعلمها ان كسرى سيظل الى جانبها يعمل معها ، ولذلك ارسل لها هدية للود الدائم ، فيتطرقون الى حديث الشرق والغرب ، وان الشرق يجب ان يكون صفا واحدا ضد الغرب الغازي المعتدي .. يدخل جندي يخبر الملكة بان روما تعبىء جيشها سرا ، وانها زاحفة من الحدود المصرية.. فتهتم زنوبيا للامر ، وتبدي رغبتها في اخذ رأي البلاط في الخبر ، رغم تصميمها على مواجهة العدو ، وعلى الخصوص اذا ضمنت عون كسرى ، ثم تخرج ..

همام ، ابو خولة ، والحارث من اقرباء الملك اذينة يتحاورون في شيء من الحذر ، وشيء من الحقد عن الحال المتردية ، وان الملكة ربما حصلت على مساعدة كسرى ، وربما لم تحصل لانها بالاحرى تعاديه ، وكان زوجها اذينة حاربه وغزا بلاده وخربها .. يدخل وهب اللات، فيسأل عمه عن خولة بعد ان يقص عليه قصة حذرها وتحريضها، فينصحه بالهرولة اليها ، فيخرج .. ويستمر الحديث في تشاؤم ظاهر ، وحملة ظاهرة على حكم زنوبيا ، تسمع خولة طرفا من هذا الحديث فترد عليه وتدافع عن زنوبيا ، ثم تخرج وراء ابن عمها وهب اللات ، بينما يستمر الحارث في تشاؤمه ، يقول كانما يقرأ في الغيب بأن الرواية قاربت النهاية ..

الفصل الثالث ، وهو قسمان ، القسم الاول في بيت همام والد خولة ، همام والحارث يتحدثان في الفتوحات والحروب وما جرته وتجره على البلاد من نكبات ومصائب ، ثم يلحوان في شيء من الحقد الظاهر على حكم زنوبيا ، وحكم النساء على العموم ، وينوهان بأن نشوة الانتصارات تفقر الشعب ، وتجوعه .. تدخل خولة ، فتدافع من جديد عن الملكة الحكيمة ، وان موقفها في هذه الحروب سليم ، لان الاعداء يقرعون الابواب ، ولا بد من المبادرة الى قراعهم ، يدخل رسول من عند الملكة يخبر همام بأن الملكة تدعوه في المساء الى مجلسها، فيتساءل عن السبب ، ويستفسر عن وصول القائد زبدة من زيارة التخوم ، فيخبره الجندي بأنه عاد ، وانه رأى استعداد العدو ، وتربصه الغدر والكيد ..

القسم الثاني في قاعة الملك في قصر زنوبيا ، والحديث شورى تعرض زنوبيا على بلاطها خطورة الحالة ، وان ليس في الامر خفاء ، فقد اتضحت اطماع روما ، وان البلاد مهددة بالشرور ، ولا بد من عمل شيء لدفع الشر المنتظر .. فيشير زبدة بأن الحل السليم هو الحرب والقتال ، لان الاعداء تزحف غازية تضمر الشر ، فيوافقه همام على كلامه .. وبعد تداول تقرر زنوبيا خوض الحرب مع الرومان الزاحفين ، وانها ستقود الجيش ، فيطلب اليها ولدها وهب اللات المسير مع الجيش الزاحف ، ولكنها تنصحه بأن يظل في القصر خشية الفتن ، او خيشة كيد الاقرباء فيجيبها الى طلبها ، ويظل الحارث على تشاؤمه ..

الفصل الرابع ، في شوارع تدمر ، والجيش مدحور ، الصبية تصرخ من الجوع تطلب كسرة خبز ، والشعب هائج يتشكى ، والجند يفرقون الناس .. يبدو همام والحارث يتحاوران في الحالة، والهزيمة التي مني بها الجيش ، وان الشعب ذاق بالفعل نتائج حروبه ، وفشله ، وتبدو خولة خائفة وخاصة من المصير ، وانه لا بد من الصمود .. ويتعالى صوت الشعب من جديد بالتشكي ، وصوت الصبية بطلب الخبز ، وذلك هو القسم الاول ..

القسم الثاني ، في قصر زنوبيا ، الملكة زنوبيا وحاشيتها يتبادلون الرأي في الموقف بعد الهزيمة التي منوا بها ، ويبحثون عن سبيل الى الخلاص .. ورغم ان زنوبيا تحاول التجلد ، وتعرض كيف حاولت تحطيم خرافة سيف روما الذي لا يقهر ، ورغم امتداح لونجين لمآثرها وبطولاتها ، واعمالها ، الا انها تظل ساهمة كانما هي قررت امراً بعد هزيمة كالعلقم ..

يدخل زبدة ، ويسر اليها بان كسرى على استعداد لايوائها اذا هربت اليه ، ولكنها لا تصغي الى هذا القول ، بل تثور ولا تقبل بالهرب .. وهنا يدخل رسول قيصر الرومان الامبراطور اورليان يسألها عن ردها على طلب القيصر الاستسلام .. فتعجب كيف يصر اورليان على ابعادها عن بلادها ، واقتيادها الى روما ، ولكنها تؤثر ان تكون هي الفداء لشعبها ، تصون كرامته وتجنبه الويلات .. ووسط حاشيتها تعلن بانها تقدم نفسها فداء لشعبها ، وتنصح وهب اللات بان يعمل بأمانة وضمير ، وتمشي مع الرسول حيث رقها ، بينما يمجد لونجين بذلها نفسها عن رضا فداء للشعب ..

خاتمة مأساوية ، مؤلمة حقا ، ربطها الشاعر الكبير عدنان مردم بك بفكرة (الفداء) ، وهي فكرة سورية قديمة ، نجدها في اساطير عشتار ، وعليان ، والنذور ، والاضاحي القديمة .. ولكن هل هي مطابقة لواقع التاريخ هنا ، او على الاقل لواقع النفوس ، وامكانها؟!.

ربما العين البصيرة للشاعر عدنان مردم بك في هذه التحليلات، وهذا الحل المسرحي لتدهور الحال صادقة الرؤية .. اذ ربما كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

في كل المناسبات السعيدة اجمل هدية

الحرب العالمية الثانية

لريمون كارتييه

ثمن الجزءين ١٠٠ ليرة لبنانية

هناك عروض مغرية من قبل قيصر الرومان اورليان باسترقاق زنوبيا، وعرضها في السلاسل الذهبية حقنا للدماء .. ولكن التاريخ يروي أن اورليان دمر تدمر عام ٢٦٢ ، وان زنوبيا هربت منه الى فارس ، الا ان الجيش الروماني استطاع القاء القبض عليها وهي تعبر الفرات !!.

الشاعر عدنان مردم بك اغفل قصة هذا الهرب مطلقا ، والذي هو واقعة تاريخية ، واستبدله كخاتمة لمسرحيته بتقديم النفس كبش فداء .. وذلك كي لا تهتز الشخصية الفاضلة والمكافحة التي يرسمها للملكة زنوبيا ، على ما يبدو ..

الملكة زنوبيا في المسرحية أم حنون ، وحاكمة حكيمة ، وبانية حضارة ، ومحبة للشورى ، وهي الى جانب ذلك محاربة وفاتحة حاربت عدة مرات في جبهات مختلفة .. ولكنها ايضا ، والى جانب هذا كله ، في التاريخ ، قد هربت الى فارس ، لتفادي خطر الرق ، وكيد المنتصر في عدوه المهزوم ..

وبالفعل ان رسم عدنان مردم بك للامح شخصية زنوبيا في المسرحية موفق ، وصادق .. ولكنه لماذا اغفل حادث هربها الى فارس ، وضبطها على الفرات ، واستبدلهما بفكرة الفداء ، وتقديم زنوبيا نفسها كبش فداء لشعبها ؟! .

ذلك على الارجح ، للضرورة المسرحية في البناء المسرحي ، والعمل المسرحي على السواء ، لان البناء المسرحي ، والعمل المسرحي بأدخال عناصر جديدة عليهما سيهتزان ، رغم ان المؤلف اورد في مسرحيته حديث قبول كسرى ايواء زنوبيا اذا هي هربت اليه ..

ولذلك اطمئن الشاعر الكبير عدنان مردم بك بانه اذا اصطنع في المستقبل حادث هربها الى فارس ، وضبطها على الفرات لما اهتزت شخصية الملكة زنوبيا ، بل لكان ذلك أقوى مسرحيا لها ، وللملامح الحكيمة الفاضلة التي لها ..

من اوصاف الامومة عند زنوبيا هذه الاشعار ، على لسان زنوبيا:

اولادنا متع الحياة ... ونشوة تتجدد
تهفو الجوانح صبوة ... من دونهم وتعربد
والليل يشرق عن ضحى ... فيهم ويسطع فرقد
ما مثلهم في الكون من ... نعمى تسر وسؤدد
يحلو بهم شظف الحياة ... وجنحه المتلبد
اولادنا كانوا الربيع ... لنا ، ونعم المسعد
حتى أخال القلب يطفر ... اثرهم ، ويزغرد
لا يستطاب بدونهم ... عيش ويعذب مورد

ومن اوصاف حفظ الوفاء للزوج ، هذه الاشعار على لسان زنوبيا ايضا :

زوجي الذي رفع البناء ... الى السماك وشيدا
ما مثله شاد الرجال ... وكان فذا سيدا
تبنى الملوك لشهوة ... جمحت وتنشد سؤددا
وبنى (أذينة) حضارة ... سمقت وشاد مخلدا
ما كنت ناكرة له ، ... عمري ، وجاحدة يدا
أسعى لحفظ تراثه ... واصون مجدا يفتدى

ومن اوصاف حب الشورى عندها ، قولها ايضا لحاشيتها :

ما كنت ابرم دونكم ... حكما ولا اقضي بامر
الملك كان امانة ... ترعى بجانحه وصدر
في حملها شقي الكريم ... ونماء من جهد وعسر
عبء الامانة دونه ... الاعناق ترزح تحت وقر

تتوقف قليلا ثم تتابع :

ما ملك قومي بالقليل ... ولم يكن يوما ينزر
من دونه التاريخ قام ... محلقا بجناح نسر
والمجد من خلل السطور ... يشع مؤتلقا كفجر
أألام ان كنت الحريصة ... دون تاريخي ومصري
والحر من صان الامانة ... مشفقا بذمام حر

ثم تقول :

أعملت رأيي علني ... أحظى على حل مسر
لم الق غير الحرب ... من حل لادفع ثوب شر
الحرب وقر دونه ... الاكتاف ترزح تحت وقر
وحصيلة النصر المؤزر ... فيض أكباد ، ونحر
لكنما المضطر يمضي ... للوغى عدوا ، ويجري
ما كان لي من حيلة ... غير النضال لكشف ضر
لا يدفع الشر الجليل ... اذا تفاقم غير شر

وغير ذلك من امثلة بليغة العبارة ، متينة السبك ، قوية الدلالة على شخصية زنوبيا ، وعلى العمل المسرحي نفسه ، ومرتبطة بهذه الشخصية ، وبالعمل المسرحي برباطات الحيوية والشاعرية والصدق والفن ..

بالفعل العمل المسرحي في المسرحية موحد .. ان مسرحية الملكة زنوبيا ليست من نوع السرد الاستعراضي للتاريخ الشخصي ، او للمآثر الشخصية لزنوبيا .. انها من نوع الفاجعة المأساوية التي يتغلب فيها المبدأ الاخلاقي على الظروف ، ويحتم الحل .. والمبدأ الاخلاقي هنا هو الفداء ، الذي كان من قبل مبدأ دينيا . .

واذن المسرحية مسرحية ذهنية .. في مأساة فداء ، تفتدي فيه زنوبيا شعبها بأن تقدم نفسها للرق ، وهكذا اراد الشاعر عدنان مردم بك ، رغم اننا طمأناه بأن تضمين هرب زنوبيا ، وضبطها على الفرات ربما افاد الشخصية التي يرسم ، والبناء المسرحي الذي يسوي ، ولم يضر بهما ..

هناك بعض الملاحظات ، على لمحات حضارية ، وردت في المسرحية كنت أحب لو استغلها المؤلف اكثر في عمله المسرحي ، وبنائه المسرحي وتحليلاته ، مثل التكهن والعرافة والغيب ، والتي نرى وجها جانبيا لها ، هو بالاحرى وجه نفسي ، في تشاؤم همام ، والحارث ..

في حين المعروف ان المعبد التدمري معبد تكهن وعرافة وسحر ، وهو وريث المعبد البابلي ، والآشوري في تمجيد الكواكب ، والسحر نفسه .. وحبذا لو ان المؤلف مردم بك استغل ذلك ، واظهره الى جانب ما اظهره من خدمة الحضارة ، والسلام في تدمر وقتها ..

ومثال ذلك ، الدخلاء في مملكة زنوبيا ، فقد اشار المؤلف مردم بك اليهم دون توسع في القول او تنويه بهم واذاهم .. مع انه بمكنته التوسع في حديثهم ، واستغلاله ايضا في التحليلات نفسها ، من أجل رسم صورة المجتمع السوري ، والتدمري وقتها ، وحالة الفتوحات بين النفوذ الفارسي والغزو الروماني ..

السبك حقا متين جزل ، وسوف يصمد هذا المسرح الشعري الحديث ، ان شاء الله للزمن نموذجا على ابداع الشاعر العربي الكبير عدنان مردم بك ، وشاعريته الاصيلة الخلاقة .. والحوارات في المسرحية كلها الحيوية ، يحملها الشاعر عدنان مردم بك كل ما يريد من لواعج وخلجات وهواجس ، وايضا من عمل مسرحي ..

ولست اريد ان اكرر ما سبق ان قررته في نقدي مسرحيات المؤلف السابقة ، من التزامها المجزوء من البحور ، او موسيقى النظم ، والعبارة فيها .. ولكني اذكر هنا ان هذا الايثار للمجزوء ، والذي نلاحظه في هذه المسرحية ايضا هو ايضا صورة من صور الابداع المسرحي ، خاصة الحرص على توفير الحيوية للغة المسرح الشعري ، ولغة الحوارات المسرحية الشعرية .. والى اللقاء في نتاج مقبل ..

دمشق

عدنان بن ذريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

اثر المقدمة في اسلوبنا الكتابي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

اذا قرات كتابا اندلسيا وجدته يتحدث عن ابن خلدون علما من اعلام الفكر الاندلسي ، واذا قرات تاريخ الادب المصري في عصر المماليك وجدت الحديث عن ابن خلدون قطبا من الاقطاب بوادي النيل ، واذا المممت بالحركةالفكرية في المغرب شاهدت ابن خلدون قائدا من كبار قادتها في تونس ، وذلك يؤكد منزلة هذا العملاق في الفكر العربي ، وحرص كل قطر من الاقطار على فخر انتمائه ، ونحن هنا نتابع الاستاذ احمد امين في عده اندلسيا ، لانه كما قال في ظهر الاسلام جـ ٣ ص ٢٢٥ من اصل اندلسي بأشبيلية وهو وان ولد في تونس فقد درس على علماء اندلسيين ، واقام بالاندلس زمنا من احفل حياته ، فالاندلس به اولى وقد عاش بمصر غريبا في زيه وطباعه ولهجته ، حتى اذا وفد مع علمائها على « تيمورلنك » قارن بينه وبينهم في المظهر واللهجة ، ولولا مخالفته اياهم في مراى العين ما لفت نظر الطاغية التتري لان الحديث كان جماعيا عن طريق الترجمان ، وهو مما يؤكد ان الرجل لم يتمصر فيكسبه المشرق !

على اننا نتحدث عنه الان لنبرز اثره القوي في نهضة مصر الادبية في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ! ولك ان تعجب معي كيف عاش ابن خلدون في القاهرة ، وشرح العلم بالازهر وتولى قضاء المالكية عدة مرات وتنقل في شتى مدنها ليرعى شئون منصبه ، ويجني حصاد اوقافه ثم لا يؤثر ذلك في حياته تأثيرا ذا بال حتى اذا مضت القرون ، واقبل عصر البعث كانت مقدمة ابن خلدون صاحبة التأثير الرنان فتضع للكتاب اسلوبا جديدا وللكتابة منهجا واضح الاغراض .

لقد مكث الاستاذ الكبير المغفور له الشيخ احمد الاسكندري استاذا للادب العربي ثلاثين عاما بدار العلوم ، وهو في كل عام من اعوامه الثلاثين يملي على طلابه هذه الفقرات من مذكرته الشهيرة عن الادب العباسي .

« كان ابن خلدون احد نوابغ العالم الذين عاشوا افذاذا في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل ، او تعرف قدرهم أمتهم ، فكانت حياتهم بين الامة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد اداه نفوذ خاطره وصدق نظره الى الاهتداء الى كثير من علل الحوادث التي تنتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه ، حتى وقرت في نفسه بصور قوانين عامة واقيسة مطردة ، سال بها قلمه دون ان يفطن لها اهل قرنه ، ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع الا بعد انقضاء عدة قرون .

ولم يكن الانتفاع بمقدمته واسلوب كتابته فيها في وقت اظهر منه في العصر الحاضر فقد كان اسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البديع والمحسنات اللفظية في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين للنهضة الادبية والعربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من ألف منهم في مثل موضوعاته او كتب في الجرائد والمجلات لقلة المطبوع من الكتب ولانه ارحب اسلوب ادبي علمي للنقلة والمترجمين عن اللغات الاجنبية المحافظين على اصل المعنى، فهو كالاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة » .

هذا ما قاله استاذنا السكندري ينقله عنه تلميذه الباحث المفضال الاستاذ محمود رزق سليم في المجلد السادس من موسوعته عن عصر المماليك ثم يقول تعقيبا عليه ص ٢٣٥ .

« ولا ريب في ان ادباء النهضة تأثروا ـ الى جانب ما تأثروا به ـ بآراء ابن خلدون ومنها آراؤه في نثر معاصريه فكان لذلك اثر مضاعف جعلهم يتجهمون لاسلافهم وينظرون اليهم نظرة عابسة ، ويرمون ادبهم بالضعف والانحطاط ويتأبون على دراسته واذا اخذوا في دراسته اخذوا وآراء ابن خلدون مسلطة على عقولهم فيدرسونها وبأقلامهم لوثة من هذه الاراء وبدهي ان تأتي النتيجة وفق مقدماتها ، والاحكام رهن مقوماتها ، وللدكتور علي عبد الواحد وافي ملاحظة طريفة في هذا المجال فقد راى ان اخطاء ابن خلدون الاسلوبية في المقدمة قد انتقلت ايضا

الى اقلام كتابنا وكأنها صواب لا يقبل التصحيح مما يدل على الثقة المفرطة في مقدرته والولوع الهائم باحتذائه والدكتور يبسط بعض هذه الاخطاء حين يقول ص ٢٤٨ من كتابه عن ابن خلدون .

« ويلاحظ ان اسلوب ابن خلدون قد انتقل الى كتابنا بجميع ما فيه حتى بأخطائه نفسها ، فمن ذلك مثلا التراكيب المخطئة الاتية : « لا بد وان » ، « لا يترك شيئا الا واحصاه » ، « لم يقتصر على هذا بل واخذ يعمل كيت وكيت » ، وهذه الشروط تتوفر في ، « يوقفنا على كذا » « وهذا الامر وان كان كذا الا انه كيت وكيت » ، وان كاتبا يقبل منه الخطأ ويحتذي دون مناقشة لذو سيطرة بعيدة النفوذ ! واذا كان من المعقول ان نجعل صوابه دليل سبقه فان من الطريف هنا ان يكون خطئوه كذلك يتضمن هذا الدليل » .

ولايضاح تأثير المقدمة في النهضة الادبية المعاصرة ، نذكر انها طبعت لاول مرة بمصر سنة ١٨٥٧ م. وكانت الاذهان اذ ذاك متطلعة الى عهد جديد تلوح تباشيره فيما اعقب احتكاك مصر بالحضارة الاوروبية في عصر اسماعيل ، ثم جاء جمال الدين الافغاني لينشر افكاره عن الاستقلال والحرية والكرامة ومحاربة الاستعمار والتجبر وحكم الفرد مما يؤدي الى فساد العمران كما يقول ابن خلدون : وقد وجه الثائر الافغاني تلاميذه الى الكتابة السياسية في محاربة الاستبداد والتجبر ، والنعي على الطغاة من المحتلين وصنائعهم من الحاكمين . فاتجه الادب العربي من ناحية المضمون وجهة جديدة بعد ان كان مقصورا على المراسلات الاخوانية والاوصاف الانشائية التي تقف عند الظواهر التافهة دون ان تعمد الى الدقة والتحليل ، وبدأ الادب الاجتماعي المصلح والتفكير السياسي الثائر يأخذ طريقه الى الاسماع مقلدا اسلوب ابن خلدون في ترتيب المقدمات واستخلاص النتائج ورصد الظواهر وتعليلها ؟

واذا كان ابن خلدون قد تحدث في مقدمته عن السياسة والملك وعاقبة الترف واثر الظلم والاضطهاد وحكم الفرد وعمر الدولة واسباب فنائها وتدميرها ، وبغي السلطان ورياء الحاشية فانه بذلك قد امد تلاميذ جمال الدين بأكثر ما يبتغون ، واضاف افكارا صائبة في الحرية تسيل بها الاقلام في انهار الصحف موقظة داعية ، فوجد دعاة الثورة سبيلا مقيدا للقول فافرغوا حماستهم في اتجاهه ، اما من ناحية الشكل فقد انطلق اسلوب ابن خلدون مسترسلا سمحا دون قيد بديعي او حلية لفظية ، فقدم بذلك الانموذج المختار لما يريده جمال الدين ، ومضى تلاميذه يحاكونه عذوبة واسترسالا ؟ فتحرروا من ارهاق السجع والازدواج وكسوا قيود الجناس والطباق ، وساعدهم على هذا النهج المتحرر ما يذكو في صدورهم من لهيب الحرية والعزة اذ ان الجذوة الملتهبة التي اذكاها جمال الدين في نفوس تلاميذه وهم صفوة الادباء لعهده كانت اعظم من ان يخمد شرارها تحت رماد التكلف اللفظي والعبث البديعي ! وما بقي لدينا من اثار جمال الدين على عجمته قريب من منهج ابن خلدون على عربيته ـ في السرد والاسترسال !! .

واذا كان الاستاذ محمد عبده انبه تلاميذ الافغاني ذكرا واصحهم فكرة ، واقومهم طريقة ، فسنتخذ من اسلوبه دليلا على تأثير ابن خلدون في الحركة الادبية لعهده اذ ننقل هنا اثرين موجزين من آثاره : احدهما قد خطه الامام في مطلع شبابه قبل ان يقع على اسلوب المقدمة ، وثانيهما مما كتبه الاستاذ بعد ان نضج فكره واستوى على سوقه . ونفحت عليه المقدمة الخلدونية من سدادها الصائب ما احكم نسجه واوثق عراه .

كان الشيخ محمد عبده ـ لاول عهده بالكتابة ينشر مقالاته بجريدة الاهرام ، فيهتم بالمقدمات الطويلة ويتناول الاغراض الثانوية ، ويحرص على الصبغ البديعي لا يشذ عن طريقة معاصريه متأثرا بمشاهيرهم في التنميق والتلفيق كان يقول في موضوع عن الكتابة والقلم سنة ١٨٧٦ « ولما انتشر نوع الانسان في اقطار الارض ، وبعد ما بينهم في الطول والعرض ، مع ما بينهم من المعاملات ، ومواثيق المعاقدات ، احتاجوا الى التخاطب في شئونهم مع تنائي امكنتهم ، وتباعد اوطانهم فكان لسان المرسل اذ ذاك لسان البريد ، وما يدريك هل حفظ ما يبديء المرسل وما يعيد ، وان حفظ هل يقدر على تأدية ما يريد ، بدون ان ينقص او يزيد ، او يبعد القريب او يقرب البعيد ، فكم من رسول ، اعقبه سيف مسلول ، او عنق مفلول ، او حرب تخمد الانفاس ، وتعمر الارماس ومع ذلك كان خلاف المرام ، ورمية من غير رام ، فالتجئوا الى استعمال رقم القلم ، ووكلوا الامر اليه فيما به تتكلم » .

فما ترى في اسلوب الشيخ غير انه يعترك في غير ميدان فيتحدث عن فضيلة الكتابة بالقلم كأنها من الخفاء بحيث ينبه عنها في مقال سيار ، يتخذ له من الاسجاع حلى موشاة يظنها تحدث اقوى الرنين في الاسماع . واعمق التأثير في النفوس ... لقد كان من حظ الادب دون نزاع ان يعدل عن اسلوبه هذا عرضا وتعبيرا الى اسلوب اصلاحي حي ـ يتحدث عن ظلم الرعاة وبغي الحاكمين ـ قريب من نهج ابن خلدون اذ يقول في العدد الرابع عشر من مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها بباريس مع استاذه جمال الدين : « ان الامة ليس لها في شئونها حل ولا عقد ، وانما هي خاضعة لحاكم واحد ، ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، فتلك امة لا تثبت على حال واحد ، ولا ينضبط لها سير فتعتورها السعادة والشقاء ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم ،

فان كان حاكمها اصيل الراي على الهمة رفيع المقصد ، قويم الطبع ، ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها شأن العلم . ومهد لها طريق اليسار والثورة ، وفتح لها ابوابا للتفنن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة ، وبعث في افرادها المحكومين روح الشرف والنخوة ، وحملهم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشهامة والشجاعة واباء الضيم ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ، ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهية وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير . وان كان حاكمها جاهلا سيء الطبع سافل الهمة ، جبانا ضعيف الراي احمق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة اسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران ، وضرب على نواظرها غشاوات الجهل ، وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر ، وجار في سلطته عن جادة العدل ، وفتح ابوابا للعدوان فيتغلب القوي على حقوق الضعيف ، ويختل النظام ، وتفسد الاخلاق ، وتخفض الكلمة ويغلب اليأس فتمد اليها انظار الطامعين، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في احشاء الامة . عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها واراد الله بها خيرا اجتمع اهل الراي وارباب الهمة من افرادها ، وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها ، قبل ان تنشر الرياح بذورها واجزاءها السامة القاتلة بيد جموع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج » .

هذا الاسلوب وما جرى مجراه في الدفاع عن الحرية من اقلام مجاهدة تحمل روح ابن خلدون وطابعه ، ولا اعني بذلك ان ينهج نهجه في التحليل والاستدلال ولكنه يعيش في جوه ويستلهمه ، وينطق بأثره الواضح احيانا ، والخفي حينا ، وانا اذ اقرر ذلك اوجه النظر الى ناحية هامة من نواحي التأثير الخلدوني اذ ان بعض الباحثين يقف بتأثير المقدمة عند الصياغة والتركيب فقط ويرى اثرها لا يتعدى التحرر من القالب البديعي وهذا غير الواقع لان الاقلام التي اتجهت وجهة الاصلاح السياسي والاجتماعي ، قد وجدت معينها الدافق في افكار ابن خلدون ، واذا كان قد اشتهر عنه تفوقه في ادراك حقائق الاجتماع مما يسعف الكاتبين في اصلاح المجتمع المصري فان آراءه السياسية لا تقل خطورة عن ارائه الاجتماعية .

وبعبارة اخرى فان الاصلاح السياسي في منطق ابن خلدون نتيجة من نتائج الاصلاح الاجتماعي ، فكلا الاصلاحين قضية واحدة ذات مقدمة ونتيجة ومن الذائع المشتهر ان اراء المفكر العربي في حقل السياسة والاجتماع قد وجدت من يتحمس لها تحمسا يصل بصاحبها الى ذروة العبقرية والابداع حتى اعترف به واضعا اول لعلم الاجتماع واقيمت الموازنات الطويلة بينه وبين فلاسفة هذا العلم في اوربا ، اذ قرنه الباحثون بأرسطو وأفلاطون وقال عنه (غوميلوفتس) احد زعماء علم الاجتماع بألمانيا : « ان ابن خلدون يعتبر مفكرا عصريا بكل معنى الكلمة . انه درس الحوادث الاجتماعية بعقل هادىء رزين ، وابدى آراء عميقة جدا لا اقول قبل (كانت) فحسب بل قبل (فيكو) ايضا ، والحقيقة ان ما كتبه ابن خلدون هو ما نسميه اليوم بعلم الاجتماع » .

وقال (فارد) كبير علماء الاجتماع الامريكان « كانوا يظنون ان اول من قال بمبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية هو (مونتسكيو) او (فيكو) في حين ان ابن خلدون قال بذلك واظهر تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بقرون ، حينما كان الغرب مستسلما للفلسفة الدرسانية والكلمانية استسلاما تاما » .

وليس لي ان املأ الصفحات بمثل هذه الاعترافات المنصفة التي سجلها مفكرو الغرب من امثال استفانو كولوزيو الايطالي ، وناتانيل شميث الامريكي وتوينبي الانجليزي لعبقرية ابن خلدون ، ولا ان اشير الى المقارنات التي عقدها كبارهم بين ميكافيللي وارسطو ومونتسكيو وبين صاحب المقدمة فقد شاعت وذاعت حتى اصبح ترددها المتكرر لا يأتي بجديد ، وانما اريد ان اقول : ان صاحب هذه العقلية الفذة قد انقذ الاسلوب الادبي انقاذا ناجحا حين جعل الفكرة عنصرا عاما من عناصره او حين جعل صاحب القلم مفكرا ذا رسالة ، وليس صاحب السجاع ومترادفات وقد ظل اثره الاسلوبي في قومه ضئيلا لا يكاد يحس حتى استيقظت العربية من اغفاءتها الطويلة في نهضتها المعاصرة وقدر لها ان تحتذي مقدمة ابن خلدون فتنتقل من دور الى دور .

وطبيعي ان جميع الرواد في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لم يكونوا من محتذي اسلوب المقدمة ، بل ان فيهم من لم تظهر على اسلوبه سمة واحدة من سماتها كعبد الله فكري وابراهيم المويلحي وحمزة فتح الله والنديم ، ولكن صفوة الكتاب اذ ذاك كجمال الدين ومحمد عبده واديب اسحق وعبدالرحمن الكواكبي قد نشروا اسلوب المقدمة كل جهد طاقته !! وكان من حسن الحظ ان يتتلمذ على جمال الدين ومحمد عبده بصفة خاصة اكثر كتاب الجيل اللاحق فيردوا موردهما ، وينهجوا منهجهما ، واذ ذاك يقفز الادب قفزته الطافرة ، ويتحرر الاسلوب نهائيا من اوهامه ، وتصدق كلمة استاذنا السكندري حين قال « لم يكن الانتفاع بمقدمته واسلوب كتابته في وقت اظهر منه في العصر الحاضر فقد كان اسلوب ابن خلدون هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين فهو الاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة » .

ويعن لنا ان نسأل في هذا المجال ؟ لماذا لم يؤثر اسلوب ابن خلدون في معاصريه ، كما اثر في اسلوب الادب المعاصر ، والرجل لم يكن خامل المكانة مجهول المنزلة بين قرنائه حتى يفقد تأثيره النفاذ بل كان كما قال عنه منافسه الخطير الوزير الاديب لسان الدين بن الخطيب

في كتابه الاحاطة في تاريخ غرناطة « باهر الخصال رفيع القدر اصيل المجد ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، عزوفا عن الضيم صعب المقادة ، قوي الجأش طامحا لفن الرياسة خاطبا للحظ ، متقدما في فنون عقلية ونقلية ، سديد البحث كثير الحفظ ، صحيح التصور ، مفري بالتجلة ، فأما نثره فخلج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن ابداع يفرغ عنها يراعه الجريء ، شبهة البداءات بالخواتيم ، في نداوة الحروف ، وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع ، واما نظمه فقد نهض لهذا العهد قدما في ميدان الشعر ، ونقده باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأتى منه بكل غريبة » .

ولعل السبب في فقد تأثيره اذ ذاك انه دعا الى منهج جديد في التحرر ، وصاحب الجديد مقصي السبيل نائي الاجابة ، اذ ان معاصريه قد درجوا على حب الصنعة والزخرف ، واصبح الاعتكاف في البديع لديهم ايمانا لا يتزلزل ، فهم عن غيره منصرفون ، ولو نادى به عملاق خطير كابن خلدون ، لا نقول ذلك في الاسلوب الادبي وحده ، بل في كل منهج جديد في مختلف العلوم والفنون والاداب يفتح العيون على آفاق لم تكتشف بعد . وللتدليل على ذلك نذكر في تاريخ النحو الاندلسي رجلين كبيرين ، احدهما مجدد خطير وهو (ابن مضاء) القرطبي ، الذي نادى بابطال نظرية العامل وذهب الى ان الذي يسبب الظواهر النحوية من رفع ونصب وجر وجزم انما هو المتكلم نفسه لا ما يزعمه النحاة من الافعال واشباهها ، وبين ما جرت اليه نظرية العامل من التعسف في التأويل والشطط في العلل والاقيسة ، واكثرها مرفوض ان استقام من جهة تطرق اليه الخلل من جهة ثانية !!

وقد الف في مذهبه ثلاثة كتب ، منها كتابان كبيران مفصلان طواهما الزمن ، وكتيب صغير ظل مجفو المنزلة حتى عثر على جزء منه في المكتبة التيمورية ، ونشره الدكتور شوقي ضيف منذ سنوات !! هذا البحاثة المجدد لم يجد من يستمع الى دعوته الاصلاحية او من ينسخ كتبه فقط للاجيال اللاحقة ، فضاعت صفحاتها بددا في خضم الزمن لانه صاحب مذهب طريف ! اما الرجل الثاني فهو ابن مالك الاندلسي صاحب الالفية الشهيرة ! فقد كان جماعا لاراء النحاة حسن الترتيب لما يتناول من القواعد المقررة، لم يأت بجديد في تحرير مذهب او تأصيل بحث ، ولكنه قرأ فوعى ثم جمع فأوعى ، فسارت مؤلفاته النحوية مسيرة الشمس ، وظلت تجتاب القرون منذ القرن السابع الهجري الى الان ، وقد كان الازهر لا يزال يدرس اثاره في الاقسام الابتدائيةوالثانويةوالعالية محاطة بالشروع والتقريرات حتى هذه الساعة !! فاذا فقد ابن مضاء تأثيره في معاصريه ، فقد التقى مع ابن خلدون في العمل والنتيجة ، ومثلهما الكثرة الكاثرة من المجددين الذين دفنتهم ايامهم الجائرة في حفائر الاهمال ، حتى هبت الريح العاصفة فكشفت التراب عن الذخائر المطموسة واقبل عليها الراغبون مقدرين ! .

ويخيل الي ان تردد ابن خلدون قبل تأليف المقدمة بين الترسل والسجع قد ضاءل من تأثيره في معشره اذ رويت عنه مراسلات بديعية نحا فيها منحى معاصريه ، وقد حفظت عنه وتعورفت بين الناس بل في تاريخه الكبير كان يميل الى السجع في بعض الفقرات على قلة . واختار لتاريخه اطول عنوان مسجوع لكتاب عرفه القراء ونذكر هنا نموذجا من كتابته المسجوعة في رسالة بعثها الى لسان الدين ابن الخطيب بدأها بقوله :

« سيدي مجدا وعلوا ، وواحدي ذخرا ومرجوا ، ومحل والدي برا وحنوا ما زال الشوق منذ نأت بي وبك الدار ، واستحكم بنا البعاد ، يرعى سمعي انباءك ويخيل لي من ايدي الرياح تناول رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع ، وود ذي اجناس وانواع » .... الخ .

ونحن في ميزان النقد المخلص لا نؤاخذ الكاتب على التزامه قيود البديع في مراحله الاولى قبل ان يكون صاحب مذهب يؤثره لان ابعد المتطرفين في الدعوة الى الجديد ، كان يتلقى دراسته الاولى على النهج الذي نادى بالتخلص منه ، بعد ان فتقت الايام ذهنه بالتأمل والتمحيص ! فكل ما صدر عنه قبل ان يهتدي الى منهجه الخاص لا يزحزح من دعوته التجديدية في عيون الناقدين ونحن حين نطالع اراء ابن خلدون بالمقدمة في الاسلوب الادبي المختار نلمس من ثباته واصالته وتمكنه ما نعتبره به قائد دعوة وحامل راية يحاول ان ينقل الكاتبين من مجال الى مجال فهو يقول :

« واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون يعني فنون الشعر والنثر اساليب تختص به عند اهله ولا تصلح للفن الاخر ولا تستعمل فيه ، وقد استعمل المتاخرون اساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع ، والتزام التقفية ، وتقديم النسيب بين مدى الاغراض والمحمود في المخاطبات السلطانية والترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال ، فان المقامات مختلفة ، ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب او ايجاز او حذف او اثبات او تصريح او اشارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم ، وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على السنتهم ، وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال ، فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد امده في البلاغة ، وانفساح خطوه فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزين بالاسجاع والالقاب البديعية ، ويغفلون عما سوى ذلك ! واكثر من اخذ بهذا

رائـف

مهداة الى بنتي الغالية ذكاء المحاسني ولصديقي القديم الاستاذ البير أديب الذي صار جـدا

★

ابن بنتي ((ذكاء)) يدعى (برائف) وهو في العـين والجوانـح واقـف
صاح (جـدو) فطـار لبي وأيقنت بـأني جـد اذن غـير زائـف
وتمنيـت أن قلبـي لـه درع وأنـي حصنتـه بالمصـاحف
أتـرانـي أعيش حتـى أراه في رعيـل الفتيان شهما يساعـف
قيـل حـب الحفيـد أغلى وأحلـى ومزيـج الحنـان فيـه محـالف
من ثلاثين في السـنين تعلقـت (بهوغو) وهـو البديـع الواصـف
وبديـوانـه عن الجـد شـعر لا يدانيـه ذو تليـد وطـارف
يتمنى كـل امـرىء انـه الجـد ومنـه القبيـل نسـل مضـاعف
في بكـور الصبـاح ينهض محبوبي ومن وجهـه ابتسـام مشـارف
فينادى (ماما) و (ته ته) بلحـن ما أحيلـى صباحـه في المعـازف
لـي منه تقبيلـة قبـل ان تغـدو بـه حاضنـات بيـت ملاطـف
و (الندى والهدى) بأختيـه زهر (عطـر) العمر بالنسـيم الـوارف

أنـا فلسفت حبنـا لحفيـد أنـه رجعـة لعمـر والـف
نحـن نحيـا فيـه بعهـد جـديد في مسـاء لنـا لصبـح خاسـف

يا حبيبـي الصغـير نحـن الاحبـا فترأف بنـا فـانـك (رائـف)

دمشق

زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفن وبالغ فيه في سائر انحاء الكلام كتـاب المشـرق وشعراؤه لهذا العهد ، حتى انهم ليخلون بالاعراب فـي الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معها ، فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصـادف التجنيس » .

والكاتب الذي يحمل هذه الحملة على البديع ! يفرق فرقا واضحا بين البديع المتكلف المستكـره ، والبديـع الفطري المطبوع فيرى في الاول ركاكة واسفافا وفي الثاني جمالا وابداعا وانه ليفصح عن ذلك حين يقـول ـ ببعض التصرف :

« ويتبع تراكيب الكلام في هذه السجية ضروب من التزين والتحسين فيحصل للكلام لذة ، وجمال زائد على الافادة وهذه الصفة موجودة في الكلام المعجز ، وفي كلام الجاهلين بعد كمال الافادة لكن عفوا وبغير تعمد ، وفـي كلام الاسلاميين عفوا وقصدا ، والمنثور في الجاهليـة والاسلام كان مرسلا معتبر الموازنة بين جمله وتراكيبـه حتى نبغ ابراهيم بن هلال الصابي فتعاطـى الصنعـة والتقفية ، ثم انتشرت الصناعة بعده والكـلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن المطبوع لقلة الاكتراث بأصـل البلاغة والحكم في ذلك الذوق » .

لقد كان ابن خلدون نابغة عصره دون نزاع ثم قـدر له ان يقود النهضة الادبية في عصرنا الحديث ليصبح في رحاب التاريخ الادبي نابغة العصور !! طيب الله ثراه .

الفيوم ـ ج٠ع٠م٠

محمد رجب البيومي



وديع فلسطين

نهايات ثلاث

بقلم وديع فلسطين

* * *

ثلاث نهايات غريبة ختمت حياة ثلاثة من كبار المفكرين المعاصرين . واغرب ما فيها ان هذه النهايات الثلاث قد قررها اصحابها لانفسهم وارتضوها وسعوا اليها ولم يحاولوا الانثناء عنها . وهي ان اومأت الي بشيء ، فانما توميء الى جانب من جوانب الشقاء التي يعاني منها « ذوو العقول » ، وذو العقل يشقى كما قال الشاعر !

ففي العقد الثالث من هذا القرن ، عرفت المجتمعات الادبية باحثا عميقا كان يمثل بمفرده ظاهرة فذة في الفكر المعاصر ، هو الاديب التركي المستعرب الدكتور اسماعيل احمد ادهم ، الذي كان يجيد طائفة غير قليلة من اللغات ، وكان على اطلاع واسع على الآداب الغربية ، وكان فلسفي التفكير جريء الراي ، وكانت له دراسات نقدية جادة بهرت مطالعيها في ذلك الحين ، منها دراساته عن خليل مطران وتوفيق الحكيم (بالاشتراك مع الدكتور ابراهيم ناجي) وعن الدكتور احمد زكي ابي شادي (باللغة الانكليزية) ، وغيرها من البحوث الاخرى التي قابلها القوم التقليديون بجهامة واستنكار .

وذات صباح قرأ الناس في الصحف ان شاطىء البحر قد استقبل جثة غريق القتها عليه الامواج ، وتبين فيما بعد ان هذا الغريق هو الدكتور اسماعيل احمد ادهم الذي اقتضب عمره اقتضابا .

واذكر انني كنت ازور صديقي الشاعر خليل مطران بك لاهديه عشر نسخ من كتاب اسماعيل احمد ادهم عنه ، وهي نسخ استنقذناها من اسنان الجرذان في مخازن مطبعة المقتطف بعد ما اتت على جميع النسخ المطبوعة من هذا الكتاب الذي نسي بوفاة صاحبه . ولم يكد مطران يرى الكتاب لاول مرة (وكانت فصوله قد نشرت متتابعة في المقتطف في عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٠) حتى عبرت وجهه سحابة حزن ، وقال : مسكين اسماعيل ادهم . لقد عمل بي عملا عظيما ولم استطع ان انفعه الا بقصيدة رثاء ! ليته بث الي شكواه في اللقاء الوحيد الذي تم بيننا ، فلعلي كنت اعينه على تذليل صعاب الحياة التي جابهها .

وقد سألت غير واحد من اصدقاء ادهم عن سر انتحاره ، ولم آثر هذه النهاية الاسيفة وهو هو المرجو المستقبل في دنيا الادب والفكر ؟ فلم يسعفني واحد منهم بجواب الا تلميحهم الى انه قد كان يحس في قرارة نفسه غربة عن المجتمع ، وكانت عبقريته محسوبة عليه لا له . فالمتزمتون كارهون لآرائه المتحررة . والمجتمع الادبي لا يصدق ان ادهم هو صاحب هذه المؤلفات ، بل لقد كان فيهم من يشكك في معرفته اللغة العربية نفسها ، ودع عنك اللغات الاخرى التي كانت له فيها كتابات ! ناهيك بانه متحدر من اصلاب تركية ، تزيد من غربته في اوساط المستغلين بالضاد . وقد ظلت هذه الغربة النفسية تستبد بتفكيره وتملأ عليه حياته وتتعاظم وطأتها حتى ادنى الاخلاص منها الا في احضان البحر .

وجاءت نهايته الاسيفة فاجعة من فواجع الادب . فكيف يحس اديب بالغربة وهو كادهم علما واطلاعا وتفكيرا ؟ وكيف تأذن الجماعة لمثل هذا الاحساس بالغربة بان ينمو وتشتد وطأته حتى لا يرتجى له علاج الا في قصف العمر قصفا ؟

واديب ثان اختار لحياته نهاية من صنع يديه ، هو الشاعر المفكر الكبير عبد الرحمن شكري ، الذي كان في مطلع هذا القرن من اساتذة التجديد ورواده الاوائل في الادب والفكر ، وكان على راس ثلاثة من كبار المجددين هم شكري والعقاد والمازني . وقد احدث ثلاثتهم حركة ادبية حية ، وكانت لهم اسبقية في تبني مذاهب الادب الغربية وتطبيقها على الادب والشعر المعاصرين كما كانت لهم اولوية في التعريف بالشعراء الغربيين الاماجد العظام في القرن الماضي .

ولكن الالفة التي كانت سائدة بين ثالوث التجديد سرعان ما انفصمت عراها ، لان العقاد والمازني تالبا على شكري واخذا يوسعانه نقدا ويصفانه بانه « صنم الالاعيب » فما لبث شكري ان غامت الدنيا في وجهه ، فانسحب من الحياة مستقيلا من وظيفة التدريس التي

كان يزاولها ، قانعا بمعاش تقاعد هزيل ، واعتكف في عزلة كاملة عن الدنيا ، اولا في بور سعيد ، ثم في الاسكندرية ، ودفن ماضيه ، وانكر ادبه ، وصار يغسل يديه من كل مشغلة ادبية ويوصد بابه في وجه كل قاصد باستثناء بعض الصفوة الاثيرة من خلص اصدقائه الاوفياء القدامى كنقولا يوسف . ولم يعاوده الحنين الى قلمه الا بعد نحو ثلاثين سنة حين شرع ينشر في « المقتطف » سلسلة من المقالات عنوانها « نظرات في النفس والحياة» مكتفيا بامضاء « ع.ش » . وقد ظهر من هذه الحلقات اكثر من ثلاثين مقالة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥١ ، فيها مقارنات ومقابلات بين التفكير العربي والتفكير الغربي .

واتى النسيان على عبد الرحمن شكري تماما ، ساحبا عليه كل ذيوله . فالزميلان القديمان العقاد والمازني لا يذكرانه في اي مناسبة ، ولهما من صلاتهما بالصحف ما يحول دون ورود اي خبر فيها عن شكري وكتبه ودواوينه نفدت ، ولم يحفل احد باعادة طبعها او بجمع ما لم يكن قد طبع منها . وانزواؤه في مدينة ساحلية قد فصم ما كان بينه وبين الهيئات الادبية فضلا عن انه كان يرجو اصدقاءه الباقين ويلح عليهم في الرجاء في الا يذكروا اسمه بخير او بشر ، والا يتحدثوا عنه في اي مناسبة لايثاره الانقراض والاندثار !

وعلت سنه حتى تجاوزت السبعين . وتحالفت عليه امراض الشيخوخة ، وكف عن الحركة بسبب الفالج وظل حبيس داره في الاسكندرية . الى ان تسامع بعض الصحفيين اخبار شكري ، فاحدثوا جلبة في الصحف اهتم لها اولو الامر فقرروا علاجه في المستشفيات الرسمية . وقبل انجاز الاوراق الدواوينية ، كان الموت اسبق الى احترام حياة عبد الرحمن شكري ، فتكاثف على حياته صمت كئيب هو في حد ذاته احتجاج صامت على ما لقيه في عمره الضائع من جحود وكنود .

ولولا ان قيض الله لعبد الرحمن شكري تلميذا وفيا هو صديقه نقولا يوسف ، وسريا اريحيا هو عبد العزيز مخيون ، اشرف اولهما على طبع ديوانه وثانيهما على الانفاق عليه ، لما تجدد القول في عبد الرحمن شكري، الذي مات فعلا وحقا من اربعين عاما ، بيده لا بيد عمرو !

واديب ثالث اختار لنفسه نهاية اسيفة ، هو الدكتور احمد زكي ابو شادي . فهو قد كان من اسرة مرفهة الحال ، وكان بيت ابيه مقصد الزعماء والكبراء ، وكان يشغل وظائف علمية مرموقة اخرها منصب وكيل كلية الطب بالجامعة ، وكان من كبار الباثولوجيين ، وكان بشعره وكتاباته المنوعة يحتل منزلة عالية في الحياة الادبية ، وكان استاذا لمدرسة شعرية جديدة ، وكان قد تجاوز الخمسين من عمره ، وهي سن لا تغري بتبديل منهاج الحياة ولا بالانتقال من دار اقامة الى دار غربة .

ومع ذلك فقد قرر ابو شادي حال انتهاء الحرب العالمية الثانية ان يهاجر الى الولايات المتحدة ليبدا الحياة هناك من اول السلم ، ويكافح في اوساط ليس يسيرا على الشباب الغض نفسه ان يكافح فيها ويزاحم بالمناكب . وذهب بأبناء قطعوا نصف مرحلة التعليم ، وبات عليه ان يطوح بنفسه هو وابنه وابنتيه في لجج الحياة الطامية في العالم الجديد .

وقد سألت ابا شادي غير مرة : لم آثرت الهجرة وتركت الاستقرار الى الاضطراب ، وتخليت عن المنصب المرموق « وهو قد كان في وقت ما استاذا للامير ولي العهد » لكي تزاحم من هم بمقام ابنائك من السائرين في اول الدرب ؟ وكان ابو شادي يرد علينا بقصائده التي تتغنى بالحرية وبالمنبر العالي وبالدمقراطية . وكان في احيان اخرى يلمح الى النكايات والاساليب غير الاخلاقية التي عومل بها من اناس علمهم الرماية وعلمهم قول القوافي ، فلما اشتدت سواعدهم رموه ، ولما قالوا قافية هجوه . حتى قال في البيئة التي اضطر الى هجرها :

وطاردتني الى منفاي جانية وعددت صفو آثاري كآثامي

وان كانت البيئة الجديدة التي انتقل اليها قد استقبلته بكلمة نشرها ايليا ابو ماضي في « السمير » عنوانها « ليس منا » !!

وقد ظل ابو شادي في منفاه الاختياري يكافح في سبيل الرزق : يترجم اعلانات ويسجل احاديث على اقراص (اسطوانات) ويعد برامج للاذاعة ، ويحاضر في الجامعات والمعاهد ، ويراجع كتبا لغيره ، ويعمل في وفود الصومال وارتيرية وغيرهما في الامم المتحدة ، ويحرر في الصحف وما الى هذا من الاعمال . وكان ذلك يقتضيه التحامل على صحته واجهاد بدنه ، لانه كان مضطرا الى القراءة والكتابة بغير توقف ساعات تصل الى ثماني عشرة كل يوم ، متجاوزا عن عطلته الاسبوعية ، ولم تلبث صحته ان تهاوت وتهالكت ، ولم يصمد لاول لطمة اصابت قلبه فمات في حديقة داره .

هذه نهايات اسيفة لثلاثة من كبار المفكرين ، وان تكن غير فريدة في حد ذاتها لان همنجواي مات منتحرا والشاعر صالح شرنوبي مات تحت عجلات قطار والشاعر عزيز فهمي انقلبت به سيارة في « مسبح الحيتان » فمات كما تكهن في قصيدته حيث قال :

ام ان في مسبح الحيتان منقلبي يوم الرحيل اذا ناداني القدر !

ولكن وجه الاسف في هذه النهايات ان اصحابها كانوا اشقياء بفكرهم ، فآثر اولهم الانتحار فرارا من غربة الحياة ، وآثر الثاني العزلة القاتلة تخلصا من الجحود والكنود ، واختار الثالث المنفى بعدما استحال عليه ان يعيش كانسان . وقد مات ثلاثتهم قبل ان يستكملوا رسالة الادب التي كانوا خليقين بادائها .

وواأسفاه .

طرابلس الغرب ـ ليبيا **وديع فلسطين**

الحب ...

الى كل ممتهن لقدسية الحب عابث بحرمة الحسن .. يتوهم محاريب الحب مخادع يشبع بها نهم الحس أو سوقا تباع بها سلع الحسن ...

★

قلبك قد غاضت ينابيعه ... وحيل بين الورد والوارد
والحب في روحك أطلاله ... توحي بأن الخالد للخالد
وبين عينيك ظلال بها ... كم قال (١) من مضنى ومن واجد
وفي الشفاه الخرس كم قصة ... من طارف للحب او تالد
وفي ذراعيك كلال وقد ... يثار للصيد من الصائد
كم بينها بالامس من طفلة ... عصرت من ريقها البارد ..
وغرة بالحب أغويتها ... وأخريات كدن للكائد

يا تاجرا قد كسدت سوقه ... فما بها من راغب واحد
كم قد شريت الحب في عملة ... زيفتها من قلبك الجامد
والنار كم أوريت مشبوبة ... توقدها من روحك الخامد
وكم عذارى رعتها غيلة ... بنزوة من حسك الفاسد
وكم قلوب دست حباتها ... بركلة من طبعك الجاهد
يا صنما للمكر .. يا ثعلبا .. سخرت بالمعبود والعابد
الحب نبع مُلْهَمٌ مُلْهِمٌ ... يا طهر ذاك الورد والوارد
الحب محراب وباب عصت ... الا على المنقطع الزاهد
نور ونار .. جنة في لظى ... قد جمعا في عالم واحد
الحب سحر قدست روحه ... وسره استعصى على الناشد
أهو من الحسن .. ام الحسن من ... أجزائه .. والكل من واحد
ما الحب يا رباه .. ؟ يا بارئي ... أنفحة من روحك الخالد
سبحانك اللهم .. كيف الهوى ... فجرته في الحي والجامد
كيف جلت الكون من طينة ... والخلق من تياره الصاعد

يا رب .. أنت الكون انت الورى ... والحب .. أنت الكل في واحد

---

(١) بمعنى استراح .

جامعة بغداد

عاتكة الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ انا خائن .. اقتلوني .. اريحوني. ان استطعتم ...

بهذه الكلمات صرخ « عبده البواني » . وكان يبدو عليه التهدم رغم توسط عمره . رجل نحيل معروق الجسم ، طويل القامة وله عينان غائرتان احتلتا موقعين جانبيين من راسه المستطيل . جعل يغدو ويروح في ساحة القرية ببنطلونه الرمادي وقميصه الابيض غير اللافت للنظر . لم يكن هناك احد مقصود بكلماته الصارخة .. الا انه امسك بيده قصاصة صغيرة وجعل يطويها ويضغطها بين سبابته وابهامه كأنما بنفس بذلك عن غيظه . وعاد يفردها من جديد ويتطلع الى كلماتها القليلة بياس ممزوج بالسخرية والقلق ... « حكمت عليك الثورة بالاعدام جزاء خيانتك للوطن » .

خائن .. خائن !

الحت عليه هذه الكلمة الثقيلة .. اناخت على صدره كجبل . وفي الليل كانت احلامه دوامات رهيبة وصرخات عالية توقظه في النهاية .. خائن . خائن . خائن . فيفزع الى صدر عشيقته « ساراي » ويفرق يديه في شعرها الذهبي . ولكنها دائما في سبات عميق . دائما محايدة لا تستيقظ على صراخه المرتفع . حتى الحب لا يخلصه من مخالب هذه الكلمة ولا ينجيه من نهشها .

وعاد الى قصاصة الورق فكورها من جديد ثم قذف بها بعيدا . وبصق . كأنما اراد ان يلقي بكل همومه ومتاعبه مرة واحدة . وشرع يخطو على مهل ، ككلب صيد مدرب، وهو يتشمم ويسترق السمع هنا وهناك . وتزاحمت الذكريات والافكار في راسه الذي كان يصلى نيران شمس الظهيرة .

ما الذي دفعه الى ذلك المصير ؟ .. الجوع .. الكسل .. لا بل لعلها الاقدار . وعاد بذاكرته الى الايام العصيبة التي تلت حرب حزيران . ايام منع التجول في قرية « بيتا » . جاع الناس ، وجاع هو . بعضهم اكل اوراق الشجر ، وبعضهم لم يأكل شيئا على الاطلاق . اما هو فلم يقاس طويلا .

ـ مرحبا يا حبيبي .. قف .. اوه لا تخف !

خاطبه احد افراد دورية معادية ، بعد الاحتلال بثلاثة ايام . توقف وانصت للجندي . جائع طبعا سأله الجندي ببشاشة . تفضل يا حبيبي لن تجوع بعد اليوم .. ولقد تردد في قبول الطعام وان كان لم يرفع بصره عنه . الجوع اللعين . لا ليس الجوع والا فلماذا عاد الى نفس الطريق في اليوم التالي لماذا لم يأكل اوراق الشجر .. لم يمت احد جوعا في القرية .

ـ لقد اصبحنا اصدقاء .. ردد الجندي بعينه وهو يلمحه في اليوم اللاحق . واضاف : « بيتا » جميلة جدا يا حبيبي . اجمل من باريس نفسها . كم عدد سكانها ؟

ـ خمسة الاف .. اجاب « عبده البواني » وكان يشعر بالاثم لنقله هذه المعلومات شعور داخلي كان يحذره بعدم التحدث مع العدو المحتل . غير انه اقنع نفسه بسخافة ذلك الشعور ..

وحمله الجنود معهم الى مقر قيادتهم . طعام فاخر وجو بديع حقا واسئلة متعددة عن القرية وسكانها واعمالهم وهل ثمة جنود سابقون ؟ ومتعلمون ؟ كم وكم واين وكيف واجاب عبده . فقد كل احساس بالتمييز بين المهم وغير المهم .. ما يفيد العدو وما لا يفيده . وكيف لا ينسى العالم بأسره والى جانبه ، الى جانبه هو جلست « ساراي » بشعرها الاشقر المنسدل وبشرتها البيضاء والمايوه القصير الذي يبرز فتنة الساقين وجزءا كبيرا من الفخذين . وغلت عروقه بدماء متفجرة اطلقها من عقالها الطعام الدسم الذي تناوله .

ـ صديقنا انت .. همست ساراي وهي تميل عليه بدلال .. ثم اقتربت اكثر حتى لقد ترددت انفاسها الحارة في وجهه وهي تقول بصوت خفيض :

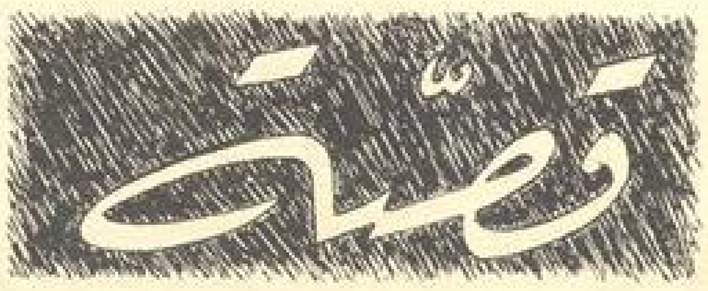
ـ بل صديقي انا .. فقط !

وعاد « عبده البواني » الى القرية شخصا اخر . الشبعان الوحيد في قرية جائعة خالجه احساس بالندم ، وصمم على الابتعاد عن الاعداء . وردد في قلبه الف مرة انه لن يغدو خائنا . ولكن ما هي الخيانة ؟ سأل نفسه صبيحة اليوم التالي . واسترجع حديثا سمعه من « حماد سالم » احد الجامعيين في القرية ابدى فيه تقديسه للتراب .. اجل للتراب . ولم يتورع ذلك الاحمق عن تقبيل التراب .. ضج « عبده البواني » بالضحك ولكنه اصطدم بنظرات التوبيخ الرصينة من الحاضرين . هذه هي الوطنية اذن . اما هو فسيسافر قريبا الى الولايات المتحدة حيث يقيم والده واخوته . ولن يعود ..

توالت الذكريات عليه وهو يسير ويسير دونما هدف معين . وفي ظهره تسمرت نظرات تنضح بالاحتقار والحقد .. خيل اليه انه يحس لسع هذه النظرات .. وخزها كالابر . غير انه لم يعبأ بها . جبناء ! صرخ

نقد فات الاوان
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم محمد شاكر احمد



في اعماقه . ليجرؤوا على مواجهته بهذه النظرات بدلا من غرزها في ظهره كالخناجر . ووضع يديه خلفه كانه يتقي خطرا حقيقيا . مرة واحدة فقط تجرأ « جودة الصادق » على شتمه .

ماذا قال له .. آه انه يتذكر .. لقد تحداه صائحا جاسوس .. خائن .

ثم .. بصق في وجهه !!

لم يكن بينه وبين «جودة الصادق» اي عداوة . فلماذا هذا الاعتداء المنكر . وتلك النظرة المتقززة التي رماه بها كم اثارته. تشبه النظرة الى ثعبان سام ويمتزج فيها الخوف بالاحتقار والتقزز . ليلتها لم ينم .. وعلى فراشه بمقر القيادة اليهودية اخذ يتقلب منذ اكتشف اهل القرية تواطئه مع الاعداء ، ألح على اصدقائه ان يقضي ليله عندهم وتجهم قائد الموقع ، وساءه ان يفتضح امر «عبده البواني » . ولكنه رضخ اخيرا لهذا الطلب .

ـ وستشارك « ساراي » الفراش .. همس له .

ـ لعلك تزداد نشاطا . هذه نعمة لا ينالها كل انسان ، اؤكد لك .

ـ اننا معجبون بذكائك ، وخدماتك اضحت مهمة لنا .

ـ سنجعلك ترتدي الزي العسكري الاسرائيلي ..

هكذا مضوا يتحدثون . وبدا له ان ارتداءه للزي العسكري خطر للغاية .. ولهذا سارع الى الرد ضاحكا :

ـ سيظنني اللفتانت « باروخ » احد المخربين ...

وضجوا بالضحك . لم يتصوره احد قط وطنيا . امر « جودة الصادق » يعذبه . والاهانة .. كلا ! يجب ان يؤدبه . ولساراي همس بأمر مخرب خطير . اصغت ساراي باهتمام بالغ .. دائما هي تصغي الى معلوماته ، حتى في غمرة الحب تسيطر الفاجرة على نفسها . انها لا تستسلم كليا له .. كأنما تضن على خائن مثله بالتسليم الكامل . ومضى يصف لها كيف رأى « جودة الصادق » وسط ترسانة من الاسلحة . تسألين ما هي هذه الاسلحة .. كثيرة جدا يا حبيبتي . رشاشات . بنادق . ذخيرة ..

ـ انتظر لحظة . لحظة واحدة ..

هرعت شبه‌عارية ودون مبالاة الى « باروخ » . نظر اليها وهي تغادر الغرفة متعجبا من تصرفاتها . كم هي شاذة ! هكذا وضعها في دخيلة نفسه . لكنه اطمأن الى ان مصير جودة الصادق قد تقرر الى الابد .

في اليوم التالي اختفى « جودة الصادق » ولم يظهر له اثر في القرية بعدها . اشيع انه في سجن صرفند واشاع البعض انه مات تحت التعذيب . لكن احدا لم ينس تحديه لعبده البواني . وتحاشى الجميع التعرض المباشر للبواني . وان كانوا يرمقونه شزرا حين يدير ظهره لهم . ويتهامسون ويغمزون عندما يقبل حتى اذا اقترب غمره معهم صمت مصمم حاقد كصمت القبور .

شهور عديدة مرت . فكر « عبده البواني » وهو ما يزال يسير . شهور عديدة وخدمات كثيرة انتزع معظمها اعجاب « باروخ » وحب « ساراي » . حين كان يقبل عليها صفر اليدين كانت تتجهم له وتأبى الاقتراب منه . جسدها اضحى باهظ التكاليف .. غير انه كان يدفع الثمن .. وشايات معظمها كاذب ، وبعضها صادق ، ومعلومات وتفاصيل .. كان يقدم ذلك دون كلل ، وفي المقابل غدا نضوا هزيلا غائر العينين .. وهجره الجميع ككلب اجرب ، حتى اخته المتزوجة تبرات منه على رؤوس الاشهاد .

نال منه التعب ولمح شجرة باسقة فاتجه صوبها .. ومسح بكمه فيضا من العرق تصبب عن جبهته . في المدة الاخيرة كثرت تقاريره وازدادت « ساراي » التصاقا به .. كان يحتضنها كقطة اليفة ويغمر يديه في شعرها الذهبي . في سبيل شفتيها الممتلئتين داس باحتقار على الوطن والاصدقاء والتراب الذي يقدسه « حماد سالم » وبين احضان « ساراي » حاول ان ينسى كل متاعبه ، كل الاهمال والاحتقار الذي يحيط به ... لكنها كانت محايدة ولا تكترث لمتاعبه وهمومه . اكثر من مرة شعر بالغربة وهو يضمها بين ذراعيه كقطعة من الجليد .. كان يضغطها بعنف ويحاول ان يتعلق بها كقشة .. بيد انه يصحو على واقعه المرير ليجد انه يقبض على جسم كالزئبق يتسرب من بين اصابعه رغم الجهد الذي يبذله للاحتفاظ به .. ثمة شيء مفتقد في « ساراي » الاخلاص ؟ الحب ؟ الاحترام ؟ انه لا يدري بالضبط !

بلغ الشجرة فتهاوى جالسا عند اصلها . نفس الشجرة التي ارتبطت بحادث جلب له المزيد من رضاه « ساراي » . واخذت ذاكرته التي ارهقها توالي الصور تستعيد التفاصيل المهوشة لما وقع ..

كان الوقت ليلا .. وسار في طريقه الى قيادة الموقع . خطواته حذرة بطيئة كشأنه دائما بعد ان افتضح امره .. وعندما بلغ الشجرة طرق سمعه المرهف اصوات تتحاور . واخذت اذنه تلتقط محادثة بين خمسة رجال .. كانوا يتحدثون عن عملية فدائية ضد قيادة الموقع . المجانين ! كل تفاصيل العملية سمعها « عبده البواني » وقعقعة السلاح ، لقد طرب كثيرا لقعقعة السلاح :

ـ اؤكد لك يا حبيبتي «ساراي» .. ان لديهم اسلحة تكفي لكتيبة كاملة !

ـ كم عددهم ؟ هل قلت خمسة . باروخ ! . اين انت ؟ يا « باروخ » .

لم تهرع الى « باروخ » لانه كان عند الباب . وسرعان ما اتصل باروخ بقيادة المنطقة . كتيبة يهودية بأكملها .. لا تنسوا طائرات الهليوكبتر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللقاء اليتيم

لمـــاذا التغنـي بـذاك اللقـــاء ... ومـا نفعـه كـل هـذا الهـراء
فموعدنـا كـان وعـــدا يتيمـا ... وان نحـن كنـــا لـه أوفيـــاء
وعشـــــنا نرجـع أصـــداءه ... ونشدو بوهم الشـذى والـرواء
فما البحـر والصخـر والمنحنى ... وموقفنـا اذ طوانـــا المســـاء
ورحـت تهيـل علـى أضلعـي ... سـنا نشـوة عز فيهـا الرجاء
واصغي اليـك بقلبـي اللهيـف ... فيغمرني منـك اشـهى عطـــاء
ويسكرني فيـك ذاك الرحيـق ... ويهتف بـين ضلوعـي النـداء
سوى شعلة من سراج الطريـق ... ستذوي وتخبـو وتمضـي هباء
فنحـن غريبـــان فـي قفـرة ... وموعدنـا ذاك ... كان الحذاء
وكنـا عطاشـــا فأغـرى بنـا ... سراب تـراءى بوهـج الضيـاء
سنحيـا على الحلـم يا ملهمـي ... نعب مـن الذكريـات العـــزاء

دمشق — سلافة العامري

طبعا فالمشاعل الضوئية مهمة للغاية .. اصغى اليه « البواني » وهـــو لا ينفك يطلب ويطلب . وانتزعـــوه انتزاعا من بين شفتي « ساراي » . لا ! بل هي التي قذفت به بعيدا . كانت تعرف بالضبط متى تلقيه ومتى تستعيده . عاملته كآلة مفيدة تدربت جيد اعلى استعمال مثيلاتها .

وحملوه معهم ليدلهم على المكان .. قبالة الرجال الخمسة بالضبط وعلى بعد كاف توقفت الاليات . ثم ابتدأت معركة رهيبة ..

كـان يرتجف ذعـــرا وهو يقول لباروخ :

ـ ارجعونـي ... ارجعوني الـى « ساراي » !

ـ ايها الاحمـق .. ولكن اتـرى « ساراي » .. انهـــا معنا لقتـال المخربين .

ـ اهي تطلق النار ... ؟ سالـه وشعور بالضجة والصفار يثقل على قلبه .

ـ طبعا يا عزيزي . انها من سلاح الدبابات ... والمعركة مستمرة . الليل غـــدا نهـــارا متالقـا .. لم يستســـلم الفدائيـــون . قتل منهم اربعـة اما الخامس فقد اختفى بطريقة غامضة . لا بد انه يعرف مسالك القريـــة . وارتجف فؤادي هلعا حين ادرك ان له في القرية عدوا خفيـــا يجهلـه ويتربص به الدوائـــر . الفدائـي الخامس من القرية كذلك وقـر فـي نفسه .

النوم طاغية يقهر اقوى الارادات . وبدأ النعاس يغالب « عبده البواني » وهو يتذكر كيف وجـد القصاصـــة مثبتة بدبوس على عامود خشـــبي بتوسط ساحة القرية . ولقد حمل القصاصة حانقا و ...

استغرق في النوم .

ـ انهض . انهض ايها الكلب !

صحا من نومه فزعا على رفسة في بطنه وضوء باهر يغشي عينيه وظلام دامس يلف القرية الوادعة . ومحدثه عملاق يتأبط رشاشا ويغطي وجهـه بلثام كثيف . اما الصوت فهو يعرفه جيدا . ولكن ما الفائدة .. لقد فات الاوان !

ـ حكمت عليك الثورة بالاعـــدام جزاء خيانتك للوطن !

نفس كلمات القصاصة ..

النهاية ! فكر « البواني » لا منقذ له . وقيادة الموقع بعيدة جـدا .. هل من سبيل الى النجاة ..

ـ لست خائنا .. لا لست خائنا !

ـ لقد نقلت معلومات الى العدو . كل القرية تعرف بأمرك .. خائن !

من قلبه آمن بأنه خائن فعـلا . لكن الموت ؟! وطافت بخاطره اشباح ماضيه فتضايق بغتة ، وثقلت عليـه وطأة خطاياه .

ـ انا خـائن . ولكن اليس ثمـة فرصة اخرى ؟

وقال العملاق وهو يضغط علـى الزناد وكأنما يحدث نفسه :

ـ لقد فات الاوان ... لقد فات الاوان ...

عمان — **محمد شاكر احمد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظـافر القاسمي

انـا والمطـبعـة

بقلم ظافر القاسمي

استاذ اللغة العربية في الجامعة اللبنانية

* * *

كنت في الحادية عشرة من عمري يوم عرفت المطبعه للمره الاولى في حياتي . كان ذلك في عام ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م . حينما قام اهلي بطبع كتاب من كتب ابـي التي خلفهـا مخطوطة . وقد كانت مشاركتي في اخراج الكتاب محدودة بادىء الامر ، لا تعدو اعادة الملزمة التـي صححت الى المطبعة . ثم ارتقيت ذات يوم لم يكن فيه في بيتنا الا واحد من اخوتي الذين سبقوني الى الدار الاخرة ، رحمهم الله. فاضطر لان يعطيني الاصل ، ولان يصحح هذه الملزمة التي بين يديه ، وارشدني الى الدقة في تتبع النص ، والاهتمام بالانتباه الكلي لما يقرأ . واذكر انني حينما حملت اول ملزمة مصححة الى المطبعة عجبت من هذا المكان الـذي تخرش فيه رائحة الحبر الآناف ، ومن هذا الورق الممزق الملقى في الارض ، ومن هذا الحديد العجيـب التركيب ، الذي يدار بعضه باليد ، وبعضه بالرجل ، وجزء كبير منه يديره الكهرباء ، حيث يلقـى بطبـق الـورق من احـد جانبيه فاذا هو يخرج مكتوبا من الجانب الاخر . وكـان صاحب المطبعة نصف امي ، فهـو معلـم وعـامل في آن معا . ولما لقيته للمرة الاولى اخذ مني الملزمة ولم يـأبه لي ، فطفقت اصوب بصري في انحاء هذا المكان العجيب الذي لم يكن لي بمثله عهد . واخذت زوراتي تتكرر الى المطبعة ، كلما صححت ملزمة او اعيد تصحيحها ، فنشأت بيني وبين هذا المكان الفة ما زلت أحن اليها حتى اليوم ، كما ان رائحة الحبر ما زالت عالقة في خياشيمي ، امـا تقديري لهذه الايدي الملوثة بالسواد ، والذي عرفت في زورة من زوراتي انه حبر المطبعة ، فانه قد نبت فجـأة حينما خرج الكتاب من المطبعة ، مجلدا ، بغلاف حسن ، وعليه أسم ابي الذي ازهو به بين الاقران . لـولا هـذه الايدي المتسخة بالسواد لما خرج كتاب ابي ، فهـم اذن أصحاب الفضل في اخراجه ، فقدرتهم وقدرت ايديهم ، ثم اصبح لتقدير العمل في نفسي معان أخر ، ليس هنـا مجـال بحثها .

بقيت أحن الى المطبعة طوال دراستي الثانويـة ، وكنت كلماارتقيت سنة، كلما ازددتعلما ببعض تفاصيلها: بأحرفها وانواعهـا واشكالها ومقاييسـها ومسـابكهـا . واصبحت افرق بين الحرف الحلبـي ، وسركيس ، والالماني (برتهولد) ، والمصري ، وكان اكثر مايروقنـي اشراق حرف المطبعة الاميرية في القاهرة ، التي اصبحت فيما بعد مطبعة دار الكتب المصرية ، وكنت حريصا ـ على الاعم الاغلب ـ على اقتنـاء مطبوعاتها لجمـال حرفهـا واشراقه .

لم تتح لي العودة الى المطبعة خلال دراستي الثانوية، ولم انعم بجو صناديقها الخشبية المتعددة البيوت ، ولا برائحة حبرها ، ولا بالنظر الى الايادي التي اتسخت بالحبر ، هذه الايادي التي تقدم الى الناس الوان المعرفة، وفنون العلم . لذلك لم اكد انهي دراستي الثانوية حتـى الفت مع صديقين عتيقين ، هما الاستاذان داود التكريتي وعطلم الانكليزي ، من اصدقاء الدراسة ، ما سميناه يومئذ « مكتب النشر العربي » تقليدا لمؤسسـة كـبرى أسهمت اكبر اسهام في خدمة الكتاب العربي ، ونشـر الثقافة العربية ، اعني بها « لجنة التأليف والترجمـة والنشر » القاهرية نضر الله ايامها وجزى اصحابها كفاء ما قدموا للعرب من خدمات .

كان أول ما عنينا بنشره كتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي ، و « حي بن يقظان » لابن طفيل الاندلسي ، وكانا كتابين مقررين في منهاج صف الفلسفة ، فأخرجناهما اخراجا خيل الينا انه حسن . ثم اعقبناهما بكتـاب « البخلاء » للجاحظ ، الذي حشدنا له أكبر جهد علمي ممكن في ذلك الزمان . اما كيف تداركنا نفقات الطبـع ، وقيمة الورق والغلاف ، واجرة الكليشهات ، فذلك أمـر يبدو غريبا لابنائنا اليوم : لقد ادخرنا من خرجياتنا التي كانت تعطى الينا من اهلينا قيمة الورق ، أمـا اجـرة الطبع ، فقد أعاننا صاحب المطبعة ، الاستاذ العصامـي وجيه بيضون ، بتأجيلها الى ما بعد بيع الكتاب . وهـذه حسنة اذكرها له بكثير من التقدير والاعجاب .

أما كتابا أستاذنا العلامة فارس الخوري ، رحمـه الله ، علم المالية واصول المحاكمات الحقوقية ، فقـد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت الجامعة طبعتهما في مطبعتها مجانا ، وادى هو ثمن الورق . وقد صدرا باسم (مكتب النشر العربي) تسامحا منه ، ومكافاة لنا على اشرافنا على تصحيح تجارب الكتابين .

وعلى الرغم من توالي الخسائر ، وعدم تغطية النفقات ، فقد صممت على نشر كتاب أبي « قواعد التجديث » ، كان الفضل الاكبر في نشر هذا الكتاب ، للاستاذ الثقة عز الدين علم الدين ، نضر الله عظامه في قبره . اذ اقترح ذات يوم في حلقة الشيوخ التي كانت تعقد في دارنا قراءة الكتاب وهو مخطوط . وكان من حضور حلقة الشيوخ : عبد الله العلمي ، وجميل الشطي وحامد التقي واحمد الجبان رحمهم الله ، ومحمد بهجة البيطار مد الله في عمره المبارك ، ليزيد الناس نفعا من هديه وعلمه . واخذ عز الدين يقرأ في كل جلسة فصلا ، ويبدأ الجلسة كما ينهيها بضرورة نشر الكتاب . ولم يكن لدي المال الكافي لطبعه ، الى ان اتفق أن توفي زوج **لاخت لي ، كان من ابر الرجال واكرمهم اسمه عثمان** الفبرا (١) . وقدوزعتتركته فنالتاختي منها خمسعشرة **ليرة ذهبية عثمانية** ، فأغرت عليها ، وسارعت الى نشر الكتاب ، وحبست شيخي واستاذي البيطار في بيتي شهورا طويلة لتحقيقه وتخريج احاديثه ، فقبل الحبس راضيا مرضيا ، لانه كان يرى انه يؤدي خدمة لشيخه من ناحية ، وخدمة اكبر للشريعة الاسلامية من ناحية اخرى .

واراني قد اطلت الحديث عن نفسي ، وما ادري كيف ورطني قلمي في هذا الحديث ، وما كنت اريد الا ان أتحدث عمن لقيت في المطبعة ، وعن اثرهم في تكوين ثقافتي ، وعقلي ، وروحي جميعا .

اظن انه لا جناح علي فيما اسلفت من الحديث عن نفسي . واذا كان القارىء قد استثقله فليغفر لي هذه « الانية » التي قلما خلا منها بشر . ولاعد الى ما كنت قد عقدت النية عليه :

لقد سكنت المطبعة سنين ، وانا اشرف مع صديقي على طبع هذه الكتب . وكانت كلها في مطبعة ابن زيدون ، لصاحبها العصامي الحر الاستاذ وجيه بيضون . وكان طبيعيا ان القى في هذه المطبعة غيري ممن يسعون لنشر كتبهم او مجلاتهم . وكانت ميزة هذه المطبعة أن صاحبها قد أدركته حرفة الادب ، فيمكن الاعتماد عليه في التصحيح الاولي . لذلك كنت ترى فيها طوائف من العلماء الاجلاء .

ان صورة وجه العلامة الجليل ، المجتهد الاكبر ، السيد محسن الامين ، أخلد الصور في نفسي وابقاها على الدهر . كان ، اعلى الله غرفته في الجنة ، يطبع احد أجزاء موسوعته الكبرى « اعيان الشيعة » التي تجاوزت اربعين مجلدا عدا . ولن انسى لحيته البيضاء المسترسلة على صدره ، ولا عمامته المهيبة الجميلة التي كانت تعمر راسه ، ولا لباسه الزاهد النظيف ، ولا بشاشته وطلاقته وعذوبة حديثه ، ولاسيما ساعة عرف انني ولد صديقه جمال الدين القاسمي . لقد كرمني حتى اشعرني بأنني ولده ، ثم شجعني حتى خيل الي غروري انني نده ، وطاف معي في أحاديث ، كنت احسب انني كنت مشارطا فيها ، ثم عرفت بعد قليل انني لم اكن فيها الا تلميذا . ذلك اسلوب الجلة من العلماء الذين آتاهم الله رجاحة العقل ، وحسن المآتي ، ورقة القلب ،والقدرة على اكتساب النفوس . وقد استعان بي ذات يوم ، فكلفني ان اقرأ ، ولم اكن ادري انه اراد ان يمتحنني ، فلما راى اعراب قراءتي ونبرة صوتي وقلة لحني ازداد لي تشجيعا . واثنى علي ثناء ما اظن انني سمعت مثله في حياتي . وحمد الله على ان خلف جمال الدين ولدا مثلي . ولك ان تكره مرة ثانية هذا التحدث عن النفس ، ولكني مضطر اليه لانني اردت ان اصور لك المدى الذي دفعني اليه المجتهد الاكبر في هذا الثناء ، اذ دفعني بشكل لا شعوري الى الاستزادة من المطالعة والدرس ، وان كنت لا اخفي انه قد خلف في نفسي شيئا من الغرور ، أنا وحدي مسؤول عنه ، او ان شئت قلت ان سني كانت مسؤولة عنه فلم أكن يومئذ قد جاوزت الثانية والعشرين .

وتأتي بعد صورة المجتهد الاكبر صورة اخرى لا تقل عنها اشراقا ، ولا في نفسي أثرا ، هي صورة الشيخ حبيب العبيدي (ومن من شبابنا اليوم يعرف حبيب العبيدي ؟) احد أعلام العراق ، ومفتي موصله ، وأديب من الطراز الاول . كان رحمه الله يطبع كتابه « النواة في حقول الحياة » . وكان يرتاد المطبعة في الصيف ، ويجلس غالبا على الطاولة المتواضعة التي تلي الباب ، ويأخذ في تصحيح ملازم الكتاب ، فاذا نهض رأيت قامة اقرب الى الطول في غير سوء ، ولحية خفيفة وخطها الشيب ، وعمامة حلوة زينت راسه ، ولغة قرشية معربة صحيحة فصيحة تتدفق على لسانه . حتى كأنه كان يقرأ في كتاب ، أو يغرف من بحر . وما اسرع استشهاده بالآية الكريمة او الحديث الشريف او المثل او البيت من الشعر . كانت لي مجالس مع الحبيب العبيدي اعدها دروسا نافعة اثرت في ثقافتي وتكويني ، وعلمتني كيف يكون رجل الدين ، المفتي ، حرا ، مستقلا ، يحترم عقله ، ولا يغض من عقل غيره . وما زلت اذكر انني شاركته في تصحيح بعض « الحقول » التي كان يطبعها ، ومن بينها حقل عن زينة المساجد ، قال فيه : « زينة المساجد تقوى الله » ، ثم ألقى من يده القلم والملزمة ، ورفع نظارتيه ، واتجه الي يقول : ما نفع هذه الابنية الضخمة

---

(١) في كتابنا : فصول في اللغة والادب فصل من مكرماته في الصفحة ١٨٨ ، فارجع اليه اذا شئت .

آن الاوان

آن الاوان فهللـي يـا داري ... واستبشري فالفوز للصبـار
وثبت كواسر يعرب نحو الوغى ... والغـاب حن لنغمـة التزآر
فترقبي يا قدس منا موكبـا ... يرجو الشهادة عن رضىوخيار
ودعي البكاء (خليلنا) وترفقي ... في مقلـة ضاقت بالاستعبار
انـا عقدنـا العزم الا نصطفي ... غير السلاح لصون كل ذمـار
نحنالصواعق جردت منمزنها ... نحن العواصف أنذرت بدمار
عجزتسوافي الريح عنادراكنا ... حين اقتحمنا لجـة الاخطـار
حمم سيقذفنا الزمان عداتنا ... أسد أبـاة خصمنا متـواري
يا درة الاوطان مرحى للردى ... ان كان موتي في سبيل دياري

عمـان — ابراهيم خليل العجلوني

التي ندعي انها مساجد اذا لم تزينها تقوى الله ؟ وافاض المزقة وما زال حبل الود متصلا حتى اليوم . ولقـد افدت من معرفته العميقة باللغة الفرنسية وآدابهـا ، في الحديث عن التقوى ، مما لا يزال يرن فـي اذنـي ، وسيعمر نفسي ابد الدهر .

وصورة اخرى لا ادري كيف اصفها . انها صورة الشيخ سعيد العرفي ، مفتي دير الزور يومئذ كان الشيخ العرفي يطبع كتابه « سر انحلال الامم الاسلامية » . كان ربعة بين الناس ، مضطرب الهندام ، فاقد الترتيـب ، ليس له أي اهتمام بلباسه ولا بنظافته . وكانت تغلـب عليه ، كمعظم اخواني الديريني الذيـن عرفتهم ، طبيعـة الصحراء ، وصفاؤها ، وطهارتها ، وبراءتها ، وقربها من الفطرة ، الا ان علمه كان مشوبا بشيء من الجفوة والقسوة والشدة التي تلازم ايضا طبيعة الصحراء . ولكن كانت له الى جانب ذلك حسنات ، افدت منها كثيرا ، فهـو دؤوب نشيط ، لا يكل ولا يمل ، وهو كثير التالم لتخلف المسلمين ، وهو كثير التحدث عن هذا الالم . صحيـح انني كنت قد قرات في هذا الموضوع كثيرا من الدراسات، ولكن حرارة حديث العرفي تركت فينفسي آثارا لا تمحى.

وممن جمعتني بهم المطبعة ، وكان لهم علي فضل ، الاستاذ الصديق كاظم الداغستاني . كـان حديث العودة من باريس ، ممتلئا حماسة واندفاعا في سبيل خدمـة الثقافة العربية ، فأنشأ مع الاساتذة خليل مردم وجميل صليبا وكامل عياد مجلة « الثقافة » التي لم تعش الا سنة واحـدة ، وبشق الانفس . وكانت المجلة تطبع في مطبعة ابن زيدون . لقد نعمت بصداقة الاديـب الاجتماعـي الدكتور الداغستاني بين صناديق الحـروف والاوراق ومواضع استعمال مفرداتها ، ما اذكره دومـا بعرفـان الجميل . اضف الى ذلك ما كان يتخلل اجتماعاتنا مـن مذاكرات كلها تتعلق بمشاكل العصر ، او بوسائل نهوض الثقافة ، او في موضوع ادبي او علمي . كان كاظـم الداغستاني اكبر مني سنا ، واكثر اطلاعا واوسع علما واحسن اتقانا للغة الفرنسية . وما خرجت يوما من المطبعة بعد اجتماعي اليه الا وعلى كتفي فائدة من الفوائد ، نفعتني فـي حياتي الفكرية .

ولا يمكن ان انسى لداتي واقراني ، ورفاقي فـي الدراسة بمكتب عنبر ، الذين اختاروا التعليم ، فكانوا اساتذة في التعليم الابتدائي . كانوا يرتادون المطبعة في موسم معلوم ، هو موسم طبع الكتب المدرسية التي كانوا يؤلفونها لصغار التلاميذ . لقد كان لقائي الروحي بهؤلاء الاقران يجدد عهدي بطفولتي ، وبأيام الدراسة الحلـوة التي يفوح عبيرها في النفس ما طالت بالانسان الحياة .

وبعد ، فاذا كنت قد جعلت عنوان هذا المقـال « انا والمطبعة » ، فالفضل في ذلك يعود كرة اخرى الى الاستاذ شفيق جبري ، الذي سن هذه السنة الحسنـة في كتابيه « انا والشعر » و « انا والنثر » ، ففتح امام المعجبين بأدبه وفضله باب « الانية » التي لا تنتهي .

ذلك بعض فضل المطبعة علي ، كتبته من الذاكـرة وحدها ، ولعل ما انسيته خير مما كتبت .

ظافر القاسمي

صرخة الثأر

القيت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد

حسن عبدالله القرشي

* * *

هتف النذير فلا تغيبي وترصدي لجج الخطوب
وتقحمي الغمرات وحد ك رغم يأس المستريب
وتوهجي كالجمر وانـ ـطلقي كطوفان غضوب
الخطب خطبك انت لا خطب الصديق او الغريب
والجرح جرحك فالنزيـ ـف الحر من وطني السليب
لا في ديار (الغرب) او في (الشرق) برء للندوب
والثار ثارك ضجت الا كفان للضيم المعيب
ظمىء الثرى لدم من الا بطال هدار سكيب
واهتزت الصحراء رغـ ـما عن مدنسها الطروب
وتمردت شم المعا قل من شمال او جنوب
توري على القيد المهيـ ـن وزلزلي حصن المريب
يا امتي يا مصنع الا مجاد يا فجر الغيوب

(عامان) والداء العضا ل يؤج أوردة القلوب
(عامان) والداء العيا ء يفح كالصل الرهيب
يسري كسم ، ناقع ويغل اوتار الوجيب
(صهيون) فوق (القدس) ير قص ؟ فوق (جولان) المهيب
يحتل (سينا) عابثا بترابها العبق الخضيب
فوق (القناة) الهر يز أر راصداً كل الدروب
(عامان) والسهم المرا ش ، يحز في كل الجنوب
(عامان) والعشرون قبـ ـل وفي النفوس صدى الشحوب
لا حاضري بهج ولا دنياي ذات جنى وطيب
اغدو ، اروح كأنني شبح على ظل المغيب
وتصيح آلامي ويصـ ـخ في دمي صوت النعيب
أأنا هنا آبن الشمس اي ـن الشمس من حقلي الجديب
أأنا حفيد النابهيـ ـن ؟ أنا المرزأ بالذنوب
اني غبار الامس انـ ـي منه كالرهج الخلوب
اني هباء ضائع أنا للشباب صدى مشيب

ومضيت ارفض حيرتي الـ ـصماء أعصف بالهروب
أعلو على وخز الجرا ح تشب من حمل وذيب
في كل يوم قصة للعار تنكأ من ندوبي

حتى استفقت على النفيـ ـر يضج في الوطن الحريب
ويمـزق المأساة كالـ أعصار في الليل الرهيب

حييت يا رمز الفدا ء وابت بالمجد الخصيب
سيري ولا تعني لخصـ ـم لا تليني أو تؤوبي
ول (تعصفي) ول (تصعقي) متفطرسا جهم النيوب
قد جاز من خلل الخلا ف فبددي خلف القريب
ضحك الصباح اليك مر حى للصباح المستجيب
وتمزقت حجب الظلا م وبش منسدل القطوب
وصحوت يأبى الله ان تهني لمجترم كذوب
لن يترك الفادون وحـ ـدهم على الدرب الرغيب
فوراء جحفلهم ليو ث العرب تهفو للوثوب
لن تثنني حتى ترى اعداءها صرعى شعوب
يا أمة الاسلام دو ي صوت (احمدك) الحبيب
ينساب حي على الكفا ح مجلجلا فاليه ثوبي
لا تحفلي السلم الخنو ع واججي نار الحروب
فالحرب ان تلقح يفح للسلم أي شذى عجيب
والحرب موريـة الشكا ئم ان وهى زند الشعوب
ما للعدو سوى السلا ح اذا انتضته يد اللبيب

(بغداد) يا غاب الاسو د ويا شرارات اللهيب
(بغداد) يا ساح الابا ء نكل فداء غلوب
يحمي الذمار بروحه بنجيعه الزاكي الصبيب
ما هنت يوما الدخيـ ـل ولا استكنت الى الخطوب
علم الشموخ على مدى الـ ـتاريخ مصباح الاديب
من عهد (هرون الرشيـ ـد) وعهد (معتصم) المجيب
(بغداد) زهر الخلد تصـ ـرخ في حمى (القدس) الحريب
يدعون (معتصما) يشل اليوم طارقة الكروب
ويحطم الاغلال تفـ ـرز في المعاصم والقلوب
فتقدمي فالنصر مر تهن لدى العزم الصليب
تلك الطلائع من بنيـ ـك نفرن كالقدر المصيب
تصلي العدو جحيمها وتهش لليوم العصيب

يا امة العرب اسلمي وثبي الى العليا وأوبي
نحن الألى عركوا الشدا ئد دون يأس او لغوب
نسجت عزائمنا الملا حم وانتشت بدم الحروب
(صهيون) لن تحيا وفي الـ اجمات زمجرة الشعوب
وغدا فلولك سوف تو فض للجور وللثقوب
ويعود موطننا الأبي مطهرا خضل الطيوب

الرياض — حسن عبدالله القرشي



الدكتور احمد الشرباصي

مع الشاعر ابن سناء الملك

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

عصر الشاعر

ما اكثر النكبات التي أصابت الشرق العربي الاسلامي في تاريخه الطويل • لكأن الايام اتخذت من نفسها نافخ كير يظل يلهب نار الاختبار والابتلاء على كيان هذا الجزء الجليل من ارجاء هذا الكوكب الذي نعيش عليه . ومن النكبات الكبار الجسام في تاريخ العرب والاسلام نكبة الحروب الصليبية التي اصيب بها الشرق العربي الاسلامي في وقت كان فيه ممزقا مفرقا ، فسهل على جبابرة هذه الحروب ان يبتلعوا دويلاته واحدة بعد اخرى ، مستغلين في ذلك اسم الدين ، والدين السمح من هذا الطغيان براء .

ولكن الله هيأ للمجتمع العربي البطل الاسلامي صلاح الدين الايوبي الذي حقق وحدة مصر اولا ، ثم وحدة مصر والشام ثانيا ، ثم وقف في وجه الصليبيين فدحرهم في معركة « حطين » من ارض فلسطين ، ردها الله على العرب والمسلمين ، وبعد ذلك بقليل تسلم صلاح الدين مدينة « القدس » في اليوم السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ ، اي في يوم الاسراء والمعراج ، وكان ذلك فالا حسنا وبشرى طيبة .

وظل صلاح الدين رابضا ساهرا يذود عن الحمى ويحرس الحرمات حتى لحق بربه في ليلة الاربعاء من شهر صفر سنة ٥٨٩ هـ عليه رضوان الله تعالى .

وهذا العصر الذي عاش فيه صلاح الدين خلال تلك الاحداث كان يحتاج الى السنة من الشعراء والخطباء ، يحرضون على الجهاد ، ويحثون على البطولة ، وكان صلاح الدين يقدر الادباء ويقرب الشعراء ، وكأنه كان يريدهم مناضلين بالكلمة المنثورة او المنظومة ، ليؤكدوا ما ظهر في هذا العصر من ملامح الاعتزاز بالروح الاسلامية التي عاون على تجليها الحروب الصليبية من جهة ، وجهود بعض السلاطين المتدينين من جهة أخرى ، ولكن هذا الاتجاه لم يمنع وجود افراد من الشعراء في هذا العصر يميلون الى الفحش والمجون ، او يقولون ما نسميه « الادب المكشوف » . ولعل كثيرا منهم كانوا يأتون هذا القول ترويحا وتمليحا ، وان كان بعضهم يأتيه انحرافا واعتسافا .

وكان ابن سناء الملك من شعراء هذا العصر ، ومن الذين ساروا في ركاب صلاح الدين الايوبي ، والعجيب ان ابن سناء الملك يعطينا في شعره صورتين متباعدتين او متناقضتين ، ففي الصورة الاولى نراه المتحدث عن المعالي الهائم بالمفاخر الطموح الى الجلائل ، وفي الصورة الثانية نراه الفاحش القول المكشوف الادب . وسواء أكان هذا التناقض قد نشأ عن تفن الشاعر في القول يأتي به مرة كريما قويما ، ويأتي به مرة فاحشا ماجنا ، أم كان ناشئا عن منافقة للمجتمع ، فهو يلقى الناس بوجه ، ويخلو الى نفسه بوجه ، أم كان ناشئا عما يسمونه « ازدواج الشخصية » ، فالذي لا شك فيه ان ابن سناء الملك قد اعطى بمجموع شعره صورة لمجتمعه بطرفيه المتناقضين ! .

ابن سناء الملك

هو أحد شعراء العصر العباسي الثاني ، وأول من اجاد صناعة « الموشحات » من اهل المشرق الذين سبقهم اهل المغرب الى هذا الفن الشعري ، وهو صاحب كتاب « دار الطراز » في الموشحات ، وهو كتاب فريد وحيد في فنه وبابه ، ضمنه صاحبه كثيرا من الموشحات التي ظهرت في المغرب والمشرق .

وهو الشاعر المحظوظ في دنياه ، حتى كانت حياته ـ كما يقول ابن خلكان ـ مملوءة بالهناء ، يتفيأ فيها ظلال النعيم والرخاء ، وهو صاحب المكانة الملحوظة في الشعر ، فيقول عنه ياقوت في معجم الادباء انه « أحد أدباء العصر ، وشعرائه المجيدين ، ذاع صيته ، وسار ذكره » ، ويقول عنه عماد الدين الاصفهاني في كتابه : « خريدة القصر وجريدة العصر » هذه العبارة : « وجدته في الذكاء آية ، احرز في صناعة النثر والنظم غاية » .

وهو : القاضي السعيد عز الدين ابو القاسم هبة الله ، ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر ، ابن المعتمد سناء الملك ابو عبد الله محمد، بن هبة الله بن محمد السعدي المصري ، المعروف بابن سناء الملك .

وهو من اسرة غنية ذات مجد وفضل ، وكان أبوه يشغل وظيفة سامية في مجتمعه ، وله ميل الى الادب وعناية بالمعرفة ، وكان لهذا الوالد صداقة مع الكاتب الاشهر في ذلك العصر ، وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، وكان هذه الصداقة كانت من اقوى الاسباب التي جعلت الكاتب العلم يعنى بتوجيه ابن سناء الملك الكاتب الشاعر ، وتخريجه في الشعر والكتابة ، والتنويه به بين الناس ، حتى اصبحت لشاعرنا مكانة ، ولشعره بين الناس منزلة .

وقد ولد ابن سناء الملك في القاهرة ـ او في ضاحية من ضواحيها ـ وتعددت الروايات في تحديد السنة التي ولد فيها ، فقيل انها سنة ٥٤٥ هـ • وقيل سنة ٥٥٠ وقيل سنة ٥٥١ هـ ، والقول الاخير ارجح.

وحفظ القرآن الكريم على يد القارىء المقرىء « الشريف الخطيب» المتوفي سنة ٥٦٣ هـ ، وتعلم اللغة والنحو على يد عبد الله بن بري المتوفي سنة ٥٨٢ هـ ، وفي سنة ٥٧٠ هـ سافر ابن سناء الملك الى الاسكندرية فتلقى الحديث على يد المحدث الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي ، وتخرج في مجال الشعر والنثر ـ كما عرفنا ـ على يد القاضي الفاضل الذي جعل لتلميذه مكانة مرموقة ، وكان التلميذ في خدمة استاذه بدمشق سنة ٥١٧ هـ ، ولما عاد ابن سناء الملك الى القاهرة كانت بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات لها قيمتها الادبية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكبيرة بالنسبة الى عصرها ، ومدح الشاعر أستاذه بقصائد كثيرة .
وتعلم ابن سناء الملك اللغة الفارسية .

تقلبه في حياته

في سنة ٥٧١ هـ انتقل القاضي الفاضل من القاهرة الى دمشق ليكون في خدمة البطل المجاهد صلاح الدين الايوبي ، ومن دمشق راسل القاضي الفاضل تلميذه ابن سناء الملك المقيم بالقاهرة ، وبعد حين أرسل القاضي الى الشاعر يستقدمه الى دمشق ، ليكون كاتم السر في ديوان الانشاء الذي يتولاه القاضي الفاضل ، وقضى ابن سناء الملك مدة في الشام ، ثم غلبه حنينه الى مصر ، فعاد اليها سنة ٥٧٢هـ في ركاب صلاح الدين الذي عاد مع رجاله الى مصر .

ثم عين القاضي شاعرنا وكيلا عنه في مصر ، يدير له شؤونه بعد أن عاد القاضي الفاضل الى الشام مرة اخرى ، وظل ابن سناء في هذه الوظيفة حتى مات القاضي سنة ٥٩٦ هـ .

وفي سنة ٦٠٦ هـ أسند الملك الكامل ابن الملك العادل الى ابن سناء الملك وظيفة الاشراف على ديوان الجيش ، ولكن هذه الوظيفة لم تعجب ابن سناء ، ولم تناسب طبيعته ، فاعتذر عنها بتلطف ، وصنع في ذلك قصيدة قال فيها للملك العادل :

قد عجز المملوك عن خدمة ... ثباته في مثلها طيش
للجيش ديوان ، ومالي به ... انس ، ولا عندي له عيش
وصرت مهزوما ، فلا تعجبوا ... من واحد يهزمه الجيش

ولست ادري ـ ولعلك لست تدري معي ايضا ـ لماذا يدعو ابن سناء الملك الناس في البيت الثالث الى ترك العجب من واحد يهزمه الجيش ، ومن ذا الذي يعجب اذا انهزم واحد امام جيش وهذا أمر طبيعي ؟ . انها الصنعة البيانية هي التي دفعت الشاعر الى الاتيان بهذا التعبير المخادع .

واما عن شخصية ابن سناء الملك واخلاقه فهو كما اشرت لا يمضي على خطة سواء ، بل يكاد يكون من أصحاب « الشخصية المزدوجة » ، فهو في ظاهره وسلوكه رجل يحرص على التقوى والاتزان والاعتدال ، ولكنه في بعض احواله يخرج طائعا او مكرها عن هذه الاستقامة قليلا او كثيرا ، وهو يستجيب لموحيات عصره المليء بالاحداث والملاحم ، فيتحدث عن الجهاد والنضال والاقدام ، وعن الشجاعة والجرأةوالثبات ، ولكنه في بعض أحواله يتنكر لهذا الذي يقول ، او لا يفي له على ما يجب ان يكون الوفاء .

وتبدو من ابن سناء الملك ـ مثلا ـ الثقة بالنفس والاعتزاز بالذات ، ويفسح المدى لنفسه في ذلك ، حتى يقول وهو يمدح السلطان صلاح الدين من قصيدة :

لك المدح متي ينتشي السامعون به ... كان مديحي في معاليك اكؤس

كلانا بديع الصنع : مدحي مطبق ... وجاشك في قهر الملوك مجنس (١)

ثم هو يصل الى حد الغرور الذي لا يصدقه واقع ، فذلك حيث يسرف مثلا فيقول :

وفرط احتقاري للانام لانني ... ارى كل عار من حلى سؤددي سدى
وانك عبدي يا زمان واثني ... على الكره مني أن أرى لك سيدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي ... لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
أرى الخلق دوني اذ أراني فوقهم ... ذكاء وعلما واعتلاء وسؤددا

وهو هنا يستخدم خياله اكثر من استمداده من واقعه ، وتشغله الصنعة البديعية كالجناس الذي حاوله في كلمتي « سؤدد » و «سدى» والمقابلة او المطابقة بين كلمتي « عبدي » و «سيدا » وبين كلمتي « دوني » و « فوقهم » ... الخ

ولابن سناء الملك مبالغات في المدح تدل على أنه كان يتزلف الى ممدوحيه ، ولا يتورع في امداحه عن الاتيان بأوصاف للممدوحين لا يقرها الدين ، وهو ايضا ينافق احيانا في مديحه ، ويجرؤ فيعترف بهذا ، حيث يقول مثلا :

وانفقت عمري في مدائح معشر ... كموتي ، ولو انصفت كن مراث

ويقول أيضا :

كآبة الكذب في مديحي ... ورونق الصدق في هجائي

ويقول في شخص خاصمه ثم اضطر الى مصالحته :

أقبل كفا ليتني لو قطعتها ... والثم ثغرا ليتني لو فضضته

ومما يؤخذ على ابن سناء الملك من الناحية الاخلاقية انه قد جعل من نفسه تلميذا وتابعا للقاضي الفاضل طيلة حياته ، ونفعه القاضي بالكثير ، فلما مات القاضي انتقل الشاعر الى مدح الوزير «ابن شكر»، مع ان هذا الوزير كان عدوا لدودا للقاضي الفاضل .

وفي سنة ٥٩٢ توفي والد ابن سناء الملك ، فتعرض الشاعر عقب ذلك لمتاعب كثيرة ، واصابه الحزن والفقر والاحتياج ، ووافته منيته يوم الاربعاء الرابع من شهر رمضان سنة ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) بالقاهرة، عليه رحمة الله تعالى .

مكانته الادبية

تعادلت قوة الشعر وقوة النثر عند ابن سناء الملك ، ولشعره مكانته ، ولنثره منزلته ، وان كان شعره قد حظي بالتفات وعناية لم يحظ بها نثره ، وهذه هي العادة مع اكثر الشاعرين الناثرين .

وحين نرجع الى كتاب « خزانة الادب وغاية الارب » لتقي الدين ابي بكر بن حجة الحموي نجده قد جعل ابن سناء الملك احد مجموعة الشعراء الذي يستشهد بشعرهم ويثني عليهم ، ويكرر العودة اليهم ، فهو قد ذكر ابن سناء الملك في طائفة من المواضع مثنيا مقدرا ، ومن قبيل ذلك انه خلال حديثه عن الاستعارة قال (٢) :

« وما احلى قول القاضي السعيد ابن سناء الملك هنا :

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم ... فبها تغطى ضوء وجه نهارهم

وأحلى منه قوله :

سرى طيفه ، لا بل سرى لي سرابه ... وقد طار من وكر الظلام غرابه
أتت مع نفس الليل صفحة خده ... فقلت : حبيب قد أتا بي كتابه

وقال من غيرها :

بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما أحلى تكميله بقوله :

ولا بد دون الشهد من ابر النحل

ومثله قوله :

ألقى حبائل صيد من ذوائبه ... فصاد قلبي بأشراك من الشعر

وأحلى منه قوله :

خصر أدير عليه معصم قبلة ... فكأن تقبيلي له تعنيق

وغاية الغايات قوله :

بعثت لي على فم الطيف قبله ... فأتاني بعض المسرة جمله »

وينبغي ان نلاحظ ان ابن حجة ممن يهيمون بالصبغة البديعية والصنعة البيانية في الكتابة ، وكتابه « خزانة الادب » يدور حول فنون البديع في الشعر والنثر ، كما انه يحكم هنا على اثبات لا على مجموع ما قاله ابن سناء الملك من الشعر .

ويقول ياقوت عن ابن سناء الملك : « وشعره كثير، واكثره جيد»، ولو كان لي حق الاعتراض على ياقوت لاستاذنته في أن اقول عن شاعرنا:

---

١ ـ مطبق : ذائع قد طبقت شهرته الآفاق . والجأش : القلب والجنان . ومجنس : عريق .

٢ ـ خزانة الادب ، ص ٦٢ طبعة سنة ١٢٩١هـ . مطبعة قمر ، بالقاهرة .

شعره كثير ، وقليله جيد ، لان الصنعة استبدت بابن سناء الملك في كثير من الاحيان .

نعم ان ابن سناء الملك يميل الى اختيار الالفاظ الجزلة ، ولكنه يعتمد في الغالب على الثروة اللفظية ، ويغلو في هذا الاعتماد احيانا .

وهو شاعر مداح ، صاغ اكثر من نصف شعره في المدح ، وكانه في ذلك يمشي على آثار ابي الطيب المتنبي ، وهو شاعر يفنى بالغزل والمجون ، وقال في الهجاء والرثاء والوصف والفخر والاعتذار والشكوى والحكمة والزهد .

وقد مدح اكثر من ممدوح : مدح صلاح الدين ، والملك المظفر تقي الدين ، والملك الظاهر غازي ، والوزير صفي الدين بن شكر ، ووالده القاضي الرشيد ، واستاذه القاضي الفاضل ، والقاضي الاشرف بن القاضي الفاضل ، والطبيب الرئيس موسى ، والملك العادل اخا صلاح الدين ، والعزيز والافضل ابني صلاح الدين ، وغير هؤلاء .

وهو يقلد في امداحه القاضي الفاضل ويتابعه ، وتكرر منه الاسراف في المدح وان حاول تلطيفه بقيد او تعليق ، كقوله في القاضي الفاضل :

لولا اعتقادي للشريعة مخلصا ما قلت ان كلامه مخلوق !

وقد ينقلب اسرافه الى سخف ، كان يقول :

تلقى تراب مواطيه باعيننا وتحسد الرجل فيه قمة الراس

ولم يكن ابن سناء الملك في هذا الغلو نسيج وحده ، فقد شهد العصر العباسي الثاني شعراء آخرين يسرفون في امداحهم ، ويدعون لممدوحيهم القابا لا يرتضيها الدين ، ولا يقبلها العقل .

وقال ابن سناء الملك شعرا في الرثاء ، لانه رثى والديه وجده وأمه وأقاربه واصدقاء له ، ولكنا نعجب حين لا نجد بين ايدينا شيئا من الرثاء قاله في استاذه القاضي الفاضل ، ولا شيئا قاله في رثاء زعيمه صلاح الدين الايوبي ، فما سبب ذلك يا ترى ، وكل منهما صاحب فضل كبير على الشاعر ؟.

أيكون التفريط قد بلغ به مبلغ الاهمال ، ام انه قال فيها رثاء لم يقع في أيدينا ؟.

ورثاؤه تقترن فيه القدرة الذهنيةبالقوة الوصفية باللفتة الوعظية، وقد تتحرك في بعض مراثيه مشاعر تكسب رثاءه صبغة من عمق اللوعة مع صدق الحكمة ، كان يقول في رثاء امه :

اذكريني يوم القيامة يا ام لئلا أعد في الاشقياء
واشفعي لي ، فخبني تحت اقدا مك من غير شبهة وامتراء
فقريب لا شك يأتيك عني بقدومي عليك وفد الهناء
عجل الله راحتي من حياتي أنها في الزمان أعظم دائي
واذا ما الحياة كانت كمثل الدا ء كان الممات مثل الدواء

ويقول فيها أيضا :

انت عندي أجل من كل تأبي ن ، ولو صبغت بالثريا رثائي
في ضميري ما ليس يبرز شعري لا ، ولو كنت أشعر الشعراء

ومع تقديرنا للوعة الشاعر يمكننا ان نلاحظ ما صاحب هذا الرثاء من صنعة وحشو ، كما في قوله : « من غير شبهة وامتراء » في البيت الاول من أبيات الاستشهاد السابقة ، وكقوله في البيت الثاني منها : « لا شك » ومن الصعب ان نعرف كيف يصاغ الرثاء بالثريا ...

وفي شعر الرثاء عند ابن سناء نجد بعض الابيات يثقل لكثرة تكرار الشاعر في البيت حرفا ، كقوله في رثاء صديق له :

لقد عفت عيشي بعد العفيف على العيش بعد العفيف العفاء

فقد كرر حرف « العين » في هذا البيت تسع مرات !.

وبعد هذا البيت يقول :

والا الصديق ، والا الصدوق والا الصفى ، والا الصفاء

حيث كرر حرف « الصاد » في البيت أربع مرات .

وكان ابن سناء الملك مولع بتكرار الحروف ، فنحن نراه في مقام الفخر يقول من قصيدته المشهورة :

ولو علمت زهر النجوم مكانتي لخرت جميعا دون وجهي سجدا

فقد كرر حرف « الجيم » في هذا البيت اربع مرات ..

واذا كان ابن سناء الملك قد مدح ورثى فانه قد هجا وذم ، وافحش في بعض اهاجيه افحاشا مرذولا ، ولكنا نراه احيانا يستر هذا الفحش في الهجاء بستار تدق رؤية ما خلفه الا على اصحاب النظر الثاقب ، وقد عد ابن حجة الحموي من ملح هذا الباب قول ابن سناء الملك في هجاء رجل يجمع بين الرجال والنساء، وقد اتى به على طريقة الهجو يبدو في صورة المدح :

لي صاحب أفديه من صاحب حلو الثاني ، حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه الف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما قاد الى المهجور طيف الخيال

ويروي ابن حجة عن الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع انه قال : « لقد تشبثت باذيال القاضي السعيد بن سناء الملك في هذا النوع ، بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم » ، ثم ذكر ابياتا لا يسهل ايرادها .

وقال ابن سناء الملك في « الغزل » ، وهو يستغل قصائده في المدح ليزيد قوله في الغزل ، ولعل هذا يوحي الينا بادىء ذي بدء ان غزله هنا مصنوع غير مطبوع ، وقد تطول المقدمة الغزلية في صدر قصيدة المدح ، حتى يبلغ هذه المقدمة عشرات من الابيات . ومن الممكن ان نقول ان هذا الطول يدل على قصر الباع في باب المدح ، كما انه من الممكن ان نقول ان هذا الطول يدل على مهارة في اصطناع الغزل وادعاء الهوى .

ولشاعرنا عشرات من القصائد في الغزل ، وقد تغزل فيمن يكون التغزل فيه مقبولا ، كما تغزل فيمن يعد التغزل فيه مرذولا ، وبعض غزله جيد ، يدل على براعة في الوصف الذي تسنده الصنعة اللفظية، ويسيء اليه ضعف الروح العاطفية . وهو في كثير من الاحيان يقول في الغزل متابعة وتقليدا ، ومن هذا القبيل تلك « المقدمات » التي أشرنا اليها آنفا .

ومن غزله الرقيق المقبول قوله ، وان لم يخل من اثر الصنعة :

فاقطع من حد الحسام اذا مضى حسام لها بين المحاجر والهدب
تطلع من بدر السماء الى أخ وتنظر من ريم الفلاة الى ترب
أحن لشعب نازل فيه قومها وما قومها قومي، ولا شعبها شعبي
ويلحون نفسي في هواها ، وانها شقيقة تلك النفس ريحانة القلب
وقد نقلتني عن طباع كثيرة وقد قلبت قلبي، وقد خلبتخلبي
تغير فتسبي باللحاظ عقولنا وكم من شجاع قد اغار ولم يسب

ويعد ابن سناء الملك من الناحية الاخلاقية والدينية منحرفا حين تغزل بالمذكر فأفحش ومجن ، ولا يقيه صفة الانحراف في هذا المجال ان يوجد في عصره كثيرون مالوا الى هذا الانحراف ، فلن ينقلب الباطل حقا مهما كثر مشايعوه ، كما ان الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه.

واذا صدقنا ابن سناء الملك استطعنا ان نقول ان هذا النوع الماجن من الشعر لم يرد به صاحبه سوى ترويج شعره من ناحية ، والمطارحة به في المجالس الاضوائية الخافتة من ناحية أخرى ، وذلك دأب فريق من الشعراء في كل العصور ، ولو رجعنا الى فريق من شعراء عصرنا كالاساتذة : محمود غنيم والعوضي الوكيل واحمد مخيمر ، لوجدنا لديهم اخبارا وآثارا كثيرة تدور حول هذا الموضوع .

وابن سناء الملك يريد منا ان نصدقه حين يقول انه اراد بالغزل في المذكر ان يروج شعره ، ومن تعبيراته هنا : « قصدي به ترويج شعري » ، « وهو لا ينفق عندي » ، « حاشا تقاي وحلمي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابن سناء الملك يعد من مجموعة الشعراء الذين عنوا عناية واضحة بالوان البديع في شعرهم ، ولذلك اعتمد عليهم ابن حجة الحموي في الاستشهاد والاستمداد من شعرهم ، وهو يفصل الالوان البديعية في كتابه « خزانة الادب وغاية الارب » .

ها هو ذا الحموي يورد لابن سناء الملك ابياتا في التورية ، وهي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان ، او حقيقة ومجاز ، أحدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب ، فيتوهم السامع أول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ، ولاجل هذا سمى هذا النوع ايهاما (٣) .

والابيات التي اوردها لابن سناء الملك في التورية هي قوله :

اما والله لولا خوف سخطك ... لهان علي ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا ... وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقوله ايضا :

وفي الحي من صيرتها نصب ناظري ... فما آذنت في نازل الشوق بالرفع
تليه بفرع منه أصل بليتي ... ولم أر اصلا قط سعى الى فرع

وقوله :

ليس الا دمعي الذي من رأى ... جفني رآه كان دمعي هدبي
أنجم الدمع لا تغيب شروقا ... مع أني رأيتها في الغرب

وقوله :

صفاتك في كل الوجوه صحيحة ... فانحطك نصبي، وهوان صحفوا يصبي
حرست الحشا من لاحظيك بصارم ... فكسرة ذا الجفن من ذلك الغرب

وقوله ـ وهو مما سبق اليه الناس في هذا الباب ـ :

وفي القلب تصديع، وفي الوصل جبره ... وفي الخد دينار، وفي الجفن كسره

وبعد ان يشير ابن حجة الى ان ابن نباتة وغيره قد قلدوا ابن سناء الملك في ذلك ، يقول : « ولم يزل ابن سناء الملك يتلاعب في التورية باختراعاته ، ويسكنها في عامر ابياته ، الى ان ظهر بعده السراج ، فجلا غياهبها بنور مشكاته ، وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامي ، وتطارحوا كثيرا ، وساعدتهم صنائعهم والقابهم في نظم التورية ، حتى انه قيل للسراج الوراق : لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك » (٤) .

ثم يشير الى تخرج ابن سناء الملك في التورية على يدي القاضي الفاضل ، فيقول : « وقيل ان الفاضل هو الذي عصر سلافة التورية لاهل عصره ، وتقدم على المتقدمين بما أودع منها في نظمه ونثره ، فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها ، وانزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها ، وممن شرب من سلافة عصره ، واخذ عنه وانتظم في سلكه بفرائد دره ، القاضي السعيد ابن سناء الملك ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كاسها ، ومتمسكين بطيب انفاسها ، الى ان جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها ، والواسطة في عقد جمانها ، كالسراج الوراق ، وابي الحسين الجزار ، والنصير الحمامي ، وناصر الدين حسن بن النقيب ، والحكيم شمس الدين بن دانيال ، والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر » (٥) .

وبعد ان يورد امثلة للتورية تستغرق اكثر من ثلاثين صفحة كبيرة يقول : « انتهى ما تخيرته ووعدت بايراده في باب التورية من كلام هذه العصابة التي مشت تحت العصائب الفاضلية ، وصار لها من بعده في نظم التورية اعظم روية ، وقدمت امامهم الذي صلت الجماعة خلفه ، وهو القاضي الفاضل ، وبعده القاضي السعيد بن سناء الملك ... » ثم ذكر بقية الاسماء كما وردت في النص السابق هنا (٦) .

ولا يكتفي صاحب الخزانة بهذا القدر من الاستشهاد المصحوب بالاعجاب من شعر ابن سناء الملك ، بل يعود بعد مرحلة صورة من حديثه ، فيتكلم عن اقسام التورية ، ومنها نوع يسمى « التورية المبنية » وهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية او بعده ، ويورد من امثلتها بيتين سبقا لابن سناء الملك ، وهما :

اما والله لولا خوف سخطك ... لهان علي ما القي برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا ... وليس هما سوى قلبي وقرطك

والشاهد هنا في كلمة « الخافقين » فانه يحمل ان يراد بهما قلبه وقرط محبوبه ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ، وهو مراد الناظم ، وقد بينه بالنص عليه ، فقد صرح بعد كلمة « الخافقين » بذكر القلب والقرط ، ويحتمل ان يراد من « الخافقين » المشرق والمغرب ، فاللغة تقول ان الخافقين هما المشرق والمغرب ، او هما طرفا السماء والارض ، وخوافق السماء الجهات التي تخرج منها الرياح الاربع (٧) .

وتفسير الخافقين بالمشرق والمغرب هو المعنى القريب المورى عنه في بيتي الشاعر (٨) .

ثم يعود صاحب الخزانة فيجعل من انواع التورية نوعا رابعا هو « التورية المهياة » وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ الا باللفظ الذي قبلها ، او باللفظ بعدها ، او تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر ، والمهياة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : والقسم الاول منها هو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل .

واستشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة :

وسيرك فينا سيرة عمرية ... فروحت عن قلب ، وافرجت عن كرب
واظهرت فينا من سميك سنة ... فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

ويذكر ابن حجة ان الشاهد هنا في كلمتي « الفرض والندب » وهما يحتملان ان يكونا من الاحكام الشرعية ، وهذا هو المعنى القريب المورى به ، ويحتمل ان يكون « الفرض » بمعنى العطاء ، و « الندب » صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه .

ولولا ذكر كلمة « السنة » قبل ذلك لما تهيأت التورية في كلمتي « الفرض والندب » ، ولا فهم منهما الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية (٩) .

وكما اكثر ابن سناء الملك من « التورية » اتى في شعره بمحسن بديعي آخر يسمى « الاكتفاء » ، وهو ان يأتي الشاعر بيت من الشعر، وقافيته متعلقة بمحذوف ، فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن ، فيما يقتضي تمام المعنى .

ويستشهد صاحب الخزانة على ذلك بقول ابن سناء الملك :

رأيت طرفك يوم البين حين همى ... والدمع ثغر ، وتكحيل الجفون كما
فاكفف ملامك عني حين الثمه ... فما شككت باني قد لثمت فما
لو كان يعلم ـ مع علمي بقسوته ... تألم القلب من وخز الملام لما

والشاهد في لفظة « لما » في البيت الاخير ، لان التقدير : « لما لامني » اي لامتنع عن لومي ، ودل على ذلك لفظ « الملام » المذكور في البيت .

ثم يورد شاهدا ثانيا على نوع ثان من « الاكتفاء » يكون المحذوف

---

٣ ـ خزانة الادب ، ص ٢٩٥ .
٤ ـ المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .
٥ ـ الحلبة ـ بفتح فسكون ـ الدفعة من الخيل في الرهان ، وخيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة ، وجمعها حلائب .
٦ ـ المرجع السابق ، ص ٢٩٨ وص ٣٣٧ .
٧ ـ النهاية لابن الاثير ، ج٢ ص ٥٦ طبعة الحلبي .
٨ ـ خزانة الادب لابن حجة ، ص ٤٣٢ . ٩ ـ المرجع السابق، ص ٤٣٣ .

فيه بعض كلمة ، وذلك قول ابن سناء الملك :

أهوى الغزالة والغزال ، وانما نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا حتى اذا أعييت أطلقت العنا

والشاهد في لفظة « العنا » لان أصلها « العنان » فحذف منها النون لدلالة كلمة « عنان » الاولى عليها . (١٠)

وكذلك برع ابن سناء الملك في « حسن التخلص » ، وهو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه ، بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع في الثاني ، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما ، حتى كأنهما افرغا في قالب واحد.

وبعد ان يشرح ابن حجة معنى حسن التخلص بما مضى ، ويورد عليه جانبا من الشواهد يقول :

« ويعجبني من مخالص القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل ، اتى فيها بحسن التخلص، ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة اسلوبها :

ضنت بطرف ظل بعدي سقمه أرأيتم من ضن حتى بالضنى ؟
يا عاذلين جهلتم فضل الهوى وعذلتم فيه ، ولكني أنا
اني رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا علي اذا هويت الاحسنا ؟
وسألت من أي المعادن ثغرها فوجدتمن عبد الرحيمالمعدنا (١١)

وما أحلى ما قال بعد المخلص :

أبصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقا ان هذا من هنا

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم ، مطلعها :

تعنفت لكن بالحبيب المعمم وفارقت ، لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قاله بعده :

وباتت يديفي طاعة الحب والهوى وشاحا لخصر ، أو وسادا لمعصم

وما أبدع ما قال منها :

سعدت ببدر خده برج عقرب فكذب عندي قول كل منجم
واقسم ما وجه الصباح اذا بدا باوضح مني حجة عند لومي
ولا سيما لما مررت بمنزل كفضلة صبر في فؤاد متيم
وما بان لي الا بعود اراكة تعلق في أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح (١٢) ، والله لقد احرز القاضي السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ ، وغرابة هذه المعاني ، ولقد خلب القلوب ، وجلا ظلمة الافهام بقوله :

وما بان لي الا بعود اراكة تعلق في اطرافه ضوء مبسم

واظنه من المخترعات والله أعلم . وما أحلى ما قال بعده :

وقفت به اعتاض عن لثم مبسم شهي لقلبي لثم آثار منسم
ولم يسر طرفي قط شملا مبددا يقابله الا بدمع منظم
ولم يسل قلبي او فمي عن غزالة وعن غزل الا بمدح المعظم » (١٣)

وكذلك اتى ابن سناء الملك في شعره بلون بديعي آخر يقال له « الانسجام » ، وهو ان يأتي الكلام لخلوه من التعقيد كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة ، وقد ذكر ابن حجة ان اهل الادب عدوا من الانسجام المرقص قول ابن سناء الملك :

لا تخش مني ، فاني كالنسيم ضنى وما النسيم بمخشى على الغصن

ابن سناء والموشحات

الموشحات جمع موشحة ، او موشح ، والموشحة منظومة مستحدثة انتشرت عندما ازدهر الغناء ، وبخاصة عند الاندلسيين ، فقيل هم مبتكروها ، وقيل ان مبتكرها هو ابن المعتز من شعراء المشرق ، وتصرف أصحابها في الاوزان والقوافي مع المحافظة عليها ، فتمسك بعضهم بالشطرين المتساويين ، واطال بعضهم شطرا وقصر آخر ، بحيث يؤلف الشطران بيتا على التفعيلات القديمة ، واتى بعضهم بتفعيلات جديدة .

ومن أصحاب الموشحات المشهورين في المغرب عبادة القزاز ، وابن عبد ربه ، والاعمى التطيلي ، وابن سهل الاسرائيلي ، ولسان الدين بن الخطيب ، واشتهر بالموشحات في المشرق ابن سناء الملك ، وهو صاحب كتاب « دار الطراز » ، وهو أهم كتاب في موضوع الموشحات تركه السلف . (١٤)

ولقد روى الصفدي أن ابن سناء الملك اتصل برجل مغربي له خبرة بالموشحات والازجال ، فأخذ عنه ابن سناء خبرة بالموشحات ، وبرع فيها وزاد عليها ، ومع هذا نجد ابن سناء في بعض رسائله ينفي انه استعان بأحد في هذا المجال ، ولكن هناك من يؤكد ان ابن سناء قد تأثر في الموشحات بالوشاحين من اهل المغرب كالاعمى التطيلي ، وعبادة بن ماء السماء ، وعبادة القزاز ، وابن بقى والحصري وغيرهم ، ومهما تكن حقيقة الامر فابن سناء الملك هو اول من برع في الموشحات من أهل المشرق .

الاستعانة بالجملة القرآنية

استعان ابن سناء الملك في شعره بالجملة القرآنية ، وهذه الاستعانة هي ما يسميه علماء البديع « الاقتباس » . وقد تحدثت عن هذه الاستعانة في دراستي عن شكيب ارسلان ، ودراستي عن رشيد رضا ، وهذا موضوع يحتاج الى المتابعة والتوسع .

يقول ابن سناء الملك :

قميصك المورود عن يوسف ما جاء الا صادقا في الدم

وهو هنا يستعين بقول الله تعالى : « وجاءوا على قميصه بدم كذب » .

ويقول :

يدافعني عن وصله بتجهم فياليته لو كان يدفع بالتي

وهو يشير الى قول الله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » .

ويقول :

رجما لهم من مغازيهم اذا قفلوا حمالة السبى ، لا حمالة الحطب

وهو بهذا ينظر الى قول الله تعالى : « وامرأته حمالة الحطب » .

ويقول :

تطوي البلاد وأهليها كتائبه طيا كما طوت الكتاب للكتب

وهو يستعين في هذا بقوله عز وجل : « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب » .

ويقول :

وقالوا لقد آنست نارا بخده فقلت: واني قد وجدت بها هدى

استعان في هذا بقول الله سبحانه : « أو أجد على النار هدى ».

وفي بعض الاحيان تظهر في شعره روح فقهية ، كقوله :

كيف خلدت في جهنم ، ذا الصد وديني في حبك التوحيد ؟

وكأنه يريد ان يقول : يا صاحب الصد عني ، والبعد مني ، كيف تكتب علي خلودي في نار الحب ولهب الحرمان ، مع أنني موحد في حبك ، اذ لم أحب سواك ، وأهل التوحيد لهم الجنة ، لا جهنم .

كتب ابن سناء الملك

لابن سناء الملك طائفة من الكتب هي :

---

١٠ ــ المرجع السابق ، ص ١٥٨ و ١٦٢ .
١١ ــ عبد الرحيم: هو عبد الرحيم البيساني وهو القاضي الفاضل
١٢ ــ ما زال هذا كلام ابن حجة .
١٣ ــ المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
١٤ ــ انظر الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٨٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الماضي يخرج عاشقاً من البحر

كان البحر يستيقظ من نومه في عينيك
ويداك تسافران بعيدا عن يدي
حين كان لابتسامتـك
تلك الاوراق المتساقطة
من ملوحة الافكار الحزينة
على شاطىء . كيف نقول انه هنا
وقد اخذته اشياء ذكرياته الرملية
ذات النمش القوقازي الى هناك
تحت ضوء قمر معتم
فقد حبه في قعر موجة
لم تجد مكانا لحنينها سوى السفر

من كـان يصـدق
ان البحر يفعل ذلـك
وعلى مهل تهاجر فينـا
ذكرياته ذات النمش القوقازي
ورغبة الاخرين البدائيـة
تسبح كأسماك كونية في بعادنا
مع ان الجزر يتشبث بأجساد السفن
الهاربة من حديدها الى الحب
انها لهفة مجانية للهروب
وقد ألقت علينـا
كل ما في ضلوعها من عطور زهور البحر
المتآخيـة مع شموس اشعار الاشجار
وافواه الاسماك الذهبية
تلقي حنـين المسافرين
طعاما للهـواء
ليقرأه الحزن المطوي اجنحته البيضاء
علـى المحبـين

معي ساعات من تعب الامواج
تسرف برغبتها الحـائرة
عندما تلتقي السفن بأشـواق السفن
والبحر يستيقظ من نومه
في عينيك المسافرتين
منفصلا عن ماضي الزاوية
الذي كان عـذابـك
يشد قماش لوحته
ويتلوى في روحـك
حينما تغتسل واجهة المساء بالحنين

الواجهة التي كنت تودين ان تسافري منها
وتطيري من فوق الشتاء الى الحلم
ان اللامكان وجواهـري
شيئان يتحـدان بـك
ويخلان في اغتصابك القوقازي للاشياء
التي أضاءت مصابيحـي
حيث الماضي يخرج من البحر
عاشقا مبللا بالعتـاب
« وبيروت » تتعرف عليك في اشعاري
ولكل منا زوارق حنينه في قلب الاخر

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

١ ـ ديوان شـعره .
٢ ـ دار الطراز في الموشـحات .
٣ ـ فصوص الفصول وعقود العقول ، وهو مراسلات بينه وبـين القاضـي الفاضـل .
٤ ـ روح الحيوان ، وهو تلخيص لكتاب الحيوان للجاحظ .
٥ ـ مختارات من شعر ابن رشيق القيرواني ، جمـع فيه مـا استحسنه من شعر ابن رشيق .
٦ ـ منظومة في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، يوجـد الجزء الثاني منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ويقال انها لابـن سـناء الملـك .
٧ ـ مساعد الشوارد : لم يعثر عليه .

ومن الواضح أن أهم هذه الكتب ثلاثة ، هي ديوان شعره ، وكتاب فصوص الفصول الذي يعطي صورة كافية عن نثره ، ودار الطراز الذي يعطينا فكرة واسعة عن فن الموشحات .

القاهرة — أحمد الشرباصي

دواليب الهواء

بقلم رياض نصود

عند منعطف الزقاق الضيق . وعلى حجرة سوداء ربضت بصمت . كان يجلس بهدوء . يحمل فوق ظهره اثقال الثمانين ، ويمد يده المعروقة مقتطعا اعشابا يابسة حشرت نفسها بين مقعده الحجري والحائط اللبني المتآكل . كان يرمي الاعشاب بعيدا ويرفع يده الى وجهه الجعد ،ليطرد ذبابة متطفلة . وبالقرب منه سلة صغيرة متآكلة تحتوي على قضبان صغيرة تعلوها اوراق ملونة ،صنعت على شكل نجمة مربوطة بشريط رفيع . كان يتناول احداها يديرها بيده ، ثم ينفخ عليها بأنفاسه اللاهثة ، فتدور قليلا لتقف مجددا فينظر اليها بحسرة والدمعة في عينه .. ويغفو قليلا ، ثم يستيقظ فجأة من هذه الاغفاءة العابرة ليشاهد اطفالا صغارا يحاولون قطع الزقاق ، فينادي بصوت ضعيف يحاول ان يجعله عاليا .

دواليب الهواء يا اولاد .. دواليب الهواء يا اولاد .

ويمسح السائل اللزج من فوق شاربه الصغير بطرف يده . وينظر بعينيه الزرقاوين المتعبتين الى البعيد ، حيث اختفى الاطفال في عطفة الشارع ، فيتأوه بصمت وغضون الثمانين الشاحبة تزداد بروزا وانحناء مشكلة اخاديد عميقة .

وتعود يده تداعب ما بقي من اعشاب مخبوءة في ركنها المهجور . ويغفو والاحلام السوداء تخيم عليه ... ثم يعود فيستيقظ من احلامه على صوت الباب الخشبي يفتح ، وصوت زوجته ينطلق كمواء القطة ضعيفا ، رتيبا ، موصولا ..

ـ اما زلت عندك ايها الكسول ؟ الم تترك هذا الحي القذر اللعين ؟ .. حي اجدادك .. حي القطط والشحاذين ؟ .. انسيت انه يوم العيد ؟ .. الم اسهر البارحة الليل بطوله لاؤمن لك دواليب الهواء ، لتبيعها ... لتعود وجيوبك مملوءة بالقروش . ؟؟؟ ادخل المدينة .. امض في شوارعها المكتظة بالمارة حيث الغنى والجاه والمال . اذهب ايها الخامل . انا عملت الدواليب ، وانت تبيعها لا تعد الى البيت ان لم تبعها كلها . اسمعت ؟ كلها ... اما ان رجعت فارغ اليدين ، فلا تنسى ان (بدرية) بانتظارك ؟؟ .

ـ دواليبك لا تمشي يا امراة . لا تباع . انظري ..

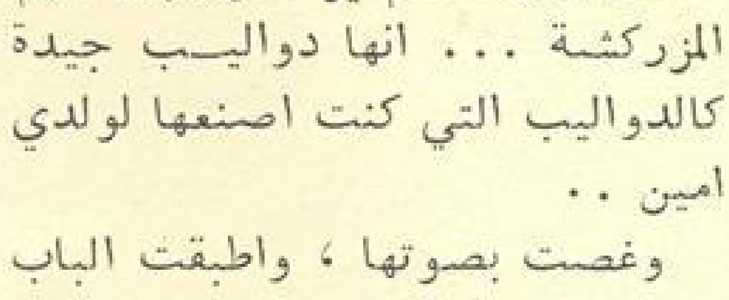
ورفع واحدا منها وعرضه للهواء ، وهو يقف بجسده المحني المتآكل . كان القضيب رفيعا ضعيفا عتيقا كصاحبه ... ووصله صوت زوجته صارخا منددا من جديد :

ـ عندما يهب الهواء ستعمل دواليبي . ستدور بيد الاطفال الصغار وهم يركضون بثيابهم المزركشة ... انها دواليب جيدة كالدواليب التي كنت اصنعها لولدي امين ..

وغصت بصوتها ، واطبقت الباب الخشبي بشدة وهي تنشج ... وتضرب الباب وتصرخ ...

ومرت يد الشيخ لتمسح اللزوجة العالقة بطرف شاربه مرددا ـ امين . ولدي امين ..

مضى في طريق المدينة. حاول ان ينادي على دواليبه غير انه لم يقو .



فيد حديدية تشد على عنقه ويحس انه يكاد يختنق ، والاصابع الفولاذية تضغط وتضغط بقساوة ..

اين امين ؟ ولده الوحيد ، بهجة ايامه وسلوته وسروره . امين ابنه الذي حمله صغيرا على كتفه . كان بالنسبة له دنياه وما بها من مباهج وسعادة وحياة ..

بعد ثلاث بنات رزق بامين ففرح وابتهج ورقصت له ولزوجته الدنيا. غير انها عادت وعبست من جديد . رزق بثلاث فتيات اخريات . اصيب اثنتان منهن بشلل الاطفال واما الثالثة فكانت ضعيفة البنية ، كثيرة المرض ، شديدة الصراخ .. ومن جراء المرض المتواصل ، اصبحت عصبية المزاج ، عنيفة مستميتة في الدفاع عن حقها المسروق في الحياة .كانت تضرب وتكسر،وعندما لا تجد من تضرب وما تكسر ، تلطم وجهها ، وتشد شعرها ، وتصرخ حتى تتعب ، وتتلاشى : فتهوي حيث تكون كجيفة ميتة لا حس لها ولا حياة .

بين ست من البنات . يصرخن ويتشاتمن ، ويتشاجرن باستمرار ، عاش امين حياته الاولى . عاشها كوردة جميلة تفتحت ، واينعت في مقبرة تملؤها الغربان السود ، وتنعق في ارجائها البوم . في هذا الجو العبوس الكئيب ، كان يعود الى البيت باشا ، هازجا ، طروبا ، يقبل يدي والده ووجنات امه .ويحدثهما عن النجاح المستمر الذي يلقاه في مدرسته .

لا شيء يقف حائلا في وجه نشاط امين وشجاعته . كان مبرزا في كل الحقول الدراسية . ومثالا يحتذى في النباهة والفطنة والذكاء .

ويذكر العجوز ايضا .. عندماكان يعود من المنشرة متعبا في المساء ويدخل منزل الغربان والعنكبوت ، ليجد ولده الحبيب جالسا متألقا بين كتبه ، كالشمس تشرق بهجة على الكون فتمحو كآبته . ويمضي الرجل

الى ولده ويضمه الى صدره مرددا . انت كل ما املك يا بني . انت الدنيا .. وانت هبة الحياة الكبرى . ولا شيء لي الا انت ..

ويمضي ولده من نجاح الى نجاح، ويدخل المدرسة الحربية ، ويتخرج منها برتبة ملازم .

ويقف العجوز عند زاوية الشارع الكبير ويتكيء بذراعه الضعيف على عمود الكهرباء . ويمضي باحلامه من جديد .

عندما رآه لاول مرة ، يدخل الزقاق بثوبه الكاكي وطلعته البهية . يعتمر قبعته ، ويمضي بخطو رتيب جميلا فتيا ... يضمه الى صدره ويبكي مقبلا وجنته متحسسا النجوم المتألقة على كتفيه . وتزغرد زوجته، ويلتف حوله اخواته متعلقات به ... بسترته ... بيديه ، واهل الحي كلهم يتناقلون خبر تخرج امين ، ومدى نجاحه .. ويصحو العجوز على صوت بائع ينادي :

ـ دواليب الهواء يا اولاد ... دواليب الهواء يا اولاد .

انه شاب مفتول العضلات ، يحمل دواليب جيدة الصنع تدور لاقل نسمة هواء .. دواليب مصقولة لامعة .. وتحلق حوله الاطفال يشترون بدراهمهم . بينما كانوا يمرون به ويتحسسون دواليبه ولا يشترون ..

ماذا يفعل ؟ مضى في طريقه من جديد . واحس بيد طفل صغير ترتفع باتجاهه ، وسمعه يترغل بكلمات غير مفهومة ، وحاولت اخته اخذه غير انه كان يتعلق به ويبكي ، وامتدت يده الى دواليبه ، واخذ منها واحدا اعطاه للطفل الصغير فأفتر ثغره عن ابتسامة ملائكية طافحة ، ومضى يركض في طريقه

لم ابع شيئا . ليس لي الا احلامي . ليس لي الا ذكرى امين .. امين ولدي .

ـ دواليب الهواء يا اولاد .. دواليب الهواء يا اولاد ..

وغص بدمعة من جديد . ومرت يده لتمسح السائل اللزج عن شاربيه .. ووقف امامه بضعة اطفال صغار وصرخ احدهم بوجه رفيقه : اسرع يا امين . وتضاحك الاطفال والصغير الاشقر الحلو ينتقي دولابا بورقة حمراء ، ويدفع بقروشه الخمسة الى يد العجوز .

ـ لا لا خذه يا بني . يا حبيبي ، يا بني .

وتمضي يد العجوز تمسح رأس الطفل بهدوء .. ويأخذ الطفل قروشه الخمسة ، ويمضي حاملا



رياض نصور

●

دولابه ضاحكا .

اما الشيخ فيجلس على حافة مخزن مغلق .. ويروح باغفاءة حالمة .. وتمضي الاحلام تراود خياله من جديد . وجاء شهر حزيران المشؤوم من عام ١٩٦٧ . وهاجم الصهيونيون فجأة مطاراتنا وحدودنا وجيوشنا . وكان ابنه امين احد الجنود الاشاوس الذين استحكموا مكامنهم . كانوا ستة جنود مع الملازم امين ، يتسلحون برشاشات ومدافع في مرتفع يطل على الطريق المؤدي الى احدى القرى . وكان هذا هو الممر الوحيد لقوات العدو وبعد عدة غارات قامت بها طائراته . اتصل امين بالقيادة وتحدث الى احد الضباط ، فعلم ان الجيوش العربية تراجعت ، فالقى الهاتف جانبا وهو يبكي ويضحك . ضرب بقبضته على الحائط امامه وصرخ باعلى صوته . الجيوش العربية لا تتراجع . وسنبقى هنا ، سنبقى في مواقعنا حتى النصر .. لن ننهزم .. سنقاوم .. لا الا .. انهم لن يتراجعوا .. سنبقى .. سنموت .. الموت ولا الهزيمة . كان يرفع يده في وجه الطائرات التي كانت تلقي بحمولتها من المتفجرات وقنابل النابالم وتمضي. كان يصرخ ، وقد كفت المدافع المضادة للطائرات عن القصف . ولم يبق مقاومة اية مقاومة .. او تدخل الجيوش العدوة ارضنا ، وتحتل حياتنا وتدمر منشآتنا . لا . .. ومضى في اتجاه التل ونادى جنوده الستة ، ووقفوا في مرابضهم كالاسود .

وتوقفت الطائرات المعادية عن القصف . وهدأت . ظل امين وبالقرب منه رشاشه وقنابله ومعداته . كان وجنوده كتلة اعصاب متوقزة . وكان الليل المجنون يستعر في كل مكان .. قال له احد الجنود :

ـ سيدي الملازم .. كل الفرق المتمركزة تراجعت . هكذا جاءت الاوامر . المقاومة مستحيلة .

فصرخ به امين قائلا :

ـ هنا ستموت ايها الجبان . هنا قبرك وقبري وقبرنا جميعا . لن نتخلى عن هذه الارض انها لنا ملكنا نحن . سنسقي هذه الارض بدمائنا وستزهر الرياحين . وستمحي الصخور .. وتزهر الارض كل الارض ، انها ملكنا نحن . بدمائنا تسقى وبدمائنا تعيش وتزدهر .

واضاءت السماء انوار كاشفة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهم في مربضهم ينتظرون . وحلقت عدة طائرات على علـــو منخفض ، وحومت طائرة هيلكوبتر استطلاعيـة اكثر من مرة . ولم يمض زمن طويل الا وكانت دبابات العدو وخلفهـــا سيـاراته محملة بالجنود تظهر عند اول الممر . فتفرق جنوده فـــي اتجاهات ثلاثة وامرهم باطلاق النار وتفجير القنابل والصواريخ المدمـرة .. احترقت دبابة وثانية ، وتساقط جنود الاعداء تحت وابل من نيـران رشاشاتهم وقنابلهم ومدافعهم استمرت المعركة اكثر من ساعة ، استأسـد بها امين وجنوده الستة .. وفجأة ويا للهول انقضت الطائرات كالصواعق مشتركة في المعركة وتهاوى امين الشجاع البطل .. ورفاقه الستـة وصمتت المنطقة وعم سكون مخيف .

كانت الدماء الذكية قـد طهـرت الارض الموات . ارض المعركة . ارضنا نحن . دماء تفجرت من اوردة تؤمن بالصمود والحق والحياة .

ما احلى الموت ؟ ما انبل التضحية .. تأدية الرسالة .. الاستشهاد ولا الهزيمة تلك هي القضية . ومـــن يتراجع عن تأدية الواجب يسهم في خسارة القضية وضياع الهدف .

ضاع ولدي ؟ مات وحيدي ، انتهى كل شيء .. لم تنبت شجرة . لـم تنتصر قضية ؟ لـم تزهـــر وردة الاشواك في كل مكان النباتـــات الطفيلية تعشعش في الجدران ... الافاعي السامة تتغلغل فـي قلـب الارض ، لا شيء يقف في وجه سمها المدمر .. العالم يفنى ، ويـــذوب ويتلاشى .. لا شيء . ماذا بقي له ؟ للشيخ المتآكل الفاني ؟ ماذا بقي له ؟ لا ارض ولا وطن ولا كرامة . كم ود ان يلقي بنفسه تحت عجلات سيارة راكضة ؟ كم ود ان يكون لقمة في فم الامواج المتلاطمة تكسره تذيبه تفتته على الشاطىء . تجعله ذرات ذرات .. لاشيء . حفنة غبار في فم الزمن لا ماضي ، ولا حاضر ، ولا مستقبل! من يطعم بناته ؟ .. اثره .. حثالة نفسه المتألمة في الحياة ومن الحياة .

ـ دواليب الهواء يـا اولاد .. دواليب الهواء يا اولاد ..

هذا هو واقعه .. عجوز تجـاوز الثمانين يحمل عصيه الجافة ويمضي في شوارع المدينة بأنفاسه المتقطعـة مناديا على بضاعة رديئة ، تافهـــة كتفاهـة الحيـاة نفسها ، كحقارة انسانيته كانسان . لئيمة كلؤم كيانه الاجتماعي .

وتساءل من انا ؟ حشرة تافهـة ككل الحشرات الدابة على الارض . ككل من يأخذ صورة الانسان وليس الا انموذجا اوجده مثال مجنون .. ليس هو من تصوير الاله الحقيقي الذي اوجد الانسان .. انه مجـرد صورة مهزوزة في مجتمع مهزوز .. انه لا شيء .. والتفاهة تحيط بـه ويحتويه الضياع ، ويحلق فوقـــه الفراغ من كل جانب .

ـ دواليب الهواء يا اولاد ... دواليب الهواء يا اولاد .

اية دواليب واي هواء ؟ دواليب لا تدور ؟ وهواء جامد ، محـرق ، بغيض تحمله له المرتفعات التي كانت مرتع اسود ، فاصبحت دنيـــا خفافيش ومرتع غربان .. لقد ماتت الاسود واضمحلت المبادىء والاعراف ، وخيم العلم الاسود فوق جبال النار .. النار التي تحرق كل شيء .. النار التي لا تنطفىء ..

ايتها النار .. لقد كنت حياتي ، ولكـن .. ؟ ..

ويركع العجوز وهو يبكي مرددا : ... امين زهرة واحدة تفتحـــت واينعت وماتت في صحراء .. من يدري ؟ ربما ستزهر هذه الصحراء ؟ ربما ستعود روحه الينا مع الفجـر الجديد حاملة النور والصمـــود والكرامة .

ويستيقظ العجوز على صـوت يدعوه (ابو امين) .

نعم من انت ؟ ماذا تريد ؟ اتركني في غيبوبتي ، في جنوني ، في ضياعي الحزين ؟

ـ انت لا تعرفني اما انا فاعرفك .. اعرف احزانك .. كان الله في عونـك .

ـ شكرا لك .. ولكن لا شيء يبعد الصخور التي تربض على صدري . لا شيء يجعلني استبشر للحياة ، والظلام يخيم في كل آن .

ـ استبشر خيرا يا ابا امين ؟ فعين الحق ترعانا . وقضيتنـــا اصبحت قضية الامم وشاغل الناس . وتربة امين ستزهر فـلا واقحوانا ونسرينا .. وستنضد مفرق الزمن باكليل من غار .. استبشر يـا ابـا امين واضحك .. البارحة التحق احد ابنائي بالجيش وقال لي :

ـ سأمضي يا ابي لتحرير الارض بعزم وصدق وايمان ، لاخدم قضيتي ووطني . لم تعد الارض مهزلـــة اصبحت حقيقة واقعة . لن تبقى ما لم ترو بالدماء .. امين كان قبسا ، كان نبراسا ، ونحن الان كلنا امين .

وينظر اليه الشيخ بصمت سائلا : من انـت ؟

ـ يكفي انني اعرفك يا ابا امـين ... وينظر اليه ابو امين وعلامـات الاستبشار تبدو على وجهه المغضـن بشبه ابتسامة .. كالشمس تبـدو من غلال غمامات سود . لا شيء .. ســوى الامل .

تابع الرجل قائلا : ولدي ورفاقه كتلة اعصاب متحفزة تنتظر سـاعة الصفر . تنتظر بدء المعركة . لا شيء يبقى سوى المجد ، سوى الكـرامـة وسوى المستقبل . سوى الارض . هذه الارض ارضنا ، وهي لنـــا وسنسترجعها حتما من الباغي يـا ابا امين . انها كل ما نملك وهـل يبذل رخيصا انسان ما يملك . ؟؟ ويردد العجوز : وهل يبذل رخيصا انسان ما يملك ... ؟ امين ولدي .

وتمتد يد الرجل الى الدواليب . دواليب الهواء فترفعها من ضريحها .. خذ ، ويلقي بيده قطعة مـــن النقود الكبيرة . ويستيقظ العجوز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاطئ الاحلام

★

رعاك الله ، عودي للشمال ، لشاطئك الملفع بالجمال
وأصغي للموجات العذارى ، لعل بها بقايا من سؤالي
لقد حملتها سري ، فراحت تبوح به لحبات الرمال
فرفقا بالرمال ، لان منها يصوغ البحر وهاج اللآلي !

أحب اليم مثلك ان يناجي اذا خطرت مناجاة ببالي
وان عز الوصال ، جعلت دربي مويجات الاثير الى الوصال
لعلك ، ان سمعت ، سمعت قلبا يتمتم في خشوع وابتهال
أنوفا ، لا يرى الا أبيا ويقطع وحده عتم الليالي
ويبسم ان رآك ، وحين ينأى يعيش على مواعيد الزوال

لأنت صفاء عمري ، لا أداجي وانت حنان قلبي ، لا اغالي
ضفرت لك الاماني الشاوى سطور هوى منمنمة الدلال
وذرذرت الحنين بكل حرف وقافية مجنحة الخيال
وكنت مجرحا ، فسلوت جرحي ، ولكن النجارب لا توالي
وعدت ، بمهجتي جرح جديد ، ويا سلمت حياتك ، لا تبالي
فداك العمر ، لا تشقي لصب شقي ، هام بالطهر الحلال
وعودي للشمال ، رعاك قلب مشوق ، من شمالي للشمال

وان ذكرى محبتنا تهادت ببالك ، مثلما تحيا ببالي
فقولي : انه ما زال يحيا على احلامه الزهر الغوالي

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الورقة النقدية في يده . يستيقظ بعد عذاب مرير . يستيقظ والدمعة في عينه والحرقة في صدره . يستيقظ والوف من المطارق تضرب راسه بعنف وشراسة ويمضي في طريق العودة الى الكهف . .

ولكن الشمس قد تشرق على حيه من جديد ، ويعود النور ، وتعم الفرحة ، ويزدهي الكون باشراقة صباح سعيد جديد . وتتحرر الارض . ويجلو الظلام ويتفتح اكثر من زهرة لاكثر من مليون شهيد .

اللاذقية **رياض نصور**

منبر المسجد الاقصى المبارك ومحرابه

بقلم الشيخ طه الولي

* * *

ان الحريق الذي اقتعله اليهود في المسجد الاقصى المبارك يوم الخميس الواقع في ٨ جمادى الاخرة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق في ٢١ اب سنة ١٩٦٩ م. التهم المنبر الذي اعده السلطان الملك نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) واتمه ابنه الملك الصالح السلطان اسماعيل سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) ووضعه في مكانه الحالي في المسجد الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

وقد رأينا ، في هذه المناسبة ان نذكر نبذة عن تاريخ هذا المنبر الاثري الرائع والمراحل التي مرت عليه مع الكتابات التي رقمت فيه ، لعل اهل الضمائر الحية من المسلمين وغيرهم يدركون بشاعة الجريمة النكراء التي ارتكبها اليهود بحق هذه التمفة المقدسة والاثر الفني الجميل ويعملون ، قبل فوات الاوان ، على تدارك بقية المقدسات الدينية في بيت المقدس قبل ان تصل اليها يد اليهود ، اعداء الحضارة والانسانية ، بالتدمير والخراب .

لماذا وكيف صنع نور الدين هذا المنبر

ان وراء حرص السلطان الملك نور الدين الشهيد المعروف بلقب : « ذو اليد » على صنع هذا المنبر قصة رائعة من قصص الايمان الراسخ والاخلاص العميق ، لا بأس من عرضها على ابناء جيلنا لما فيها من عظة بالغة وعبرة مفيدة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ..

فقد ذكر صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية المعروف باسم ابي شامة ، انه جاء الى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء ، فلما انتهوا اليه وجلسوا بين يديه قال قائلهم :

« ايها السلطان نطلب اليك ان تبتسم . »

فسألهم السلطان وعلام الابتسام ؟ فقال الرجل : جئنا اليك ايها السلطان نروي عليك بسندنا المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مسلسلا قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم ، ومن شروط الحديث المسلسل ان يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحدث به .

فالتفت اليهم السلطان نور الدين والاسى يكاد يفطر فؤاده وقال :

« ... كيف ابتسم ايها القوم ، والمسجد الاقصى المبارك في بيت المقدس راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الاعداء .. »

وكان الصليبيون ، يومئذ ، يحتلون المدينة المقدسة ويتخذون من المسجد الاقصى المبارك معبدا دينيا لهم .

ومن ذلك اليوم ، صمم هذا السلطان المجاهد ، أن يصرف كل همه في اعداد العدة العسكرية لمناجزة الصليبيين القتال وانقاذ المقدسات الاسلامية من تحت وطأتهم ليعود المسجد الاقصى المبارك الى سابق عهده تحت راية التوحيد الاسلامية ، وبادر من فوره الى اصدار امره بأن يصنع للمسجد الاقصى المبارك منبر يليق بمكانته الدينية لكي يكون هدية منه خالصة لوجه الله تعالى ويبقى خالدا في مكانه الى ابد الابدين .

وبالفعل ، فان عددا من امهر النجارين في مدينة حلب بدأوا باعداد المنبر واستمروا في صنعه عدة سنين حتى جاء قطعة فريدة من نوعها من حيث الدقة والجمال والزخرفة ويقال بأن هؤلاء الصناع حرصوا على اتمام هذا المنبر من اوله الى اخره دون ان يدخلوا فيه اي مادة من غير الخشب .

الا ان الاقدار الالهية ، شاءت ان تختار السلطان نور الدين الى جوارها في عليائها قبل ان يحقق امله المنشود فمات رحمه الله والمنبر ما يزال في طور الاعداد . فلما تولى ابنه السلطان الملك الصالح اسماعيل تابع ما كان ابوه قد بدأ به حتى اتمه نهائيا في ايامه اي حوالي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) .

ولم يتمكن المسلمون من تحقيق رغبة ملكهم في وضع المنبر حيث اريد له ان يكون من المسجدالاقصى المبارك، لان بيت المقدس كانت حتى ذلك الحين ما تزال في ايدي الغاصبين من الصليبيين .

صلاح الدين يحقق امنية نور الدين

مات الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين وهو ما يزال بعد غلاما لم يبلغ الحلم ، فالتف المسلمون تحت راية صلاح الدين ابن اخت السلطان نورالدين ونادوا به قائدا وزعيما ، فنهض صلاح الدين بالامر كأحسن ما ينهض البطل اذا دوت بمسمعيه نداءات البطولة والفداء واصغى الى قول الشاعر الذي خاطب خاله نور الدين في قصيدة جاء فيها :

فانهض الى المسجدالاقصى بذي لجب ... يوليك اقصى المنى فالقدس مرتقب
واذن لموجك في تطهير ساحله ... فانما انت بحر لجه لجب

فرأى ان هذا الشاعر حينما خاطب خاله نور الدين انما كان يعنيه هو كذلك بهذا الخطاب . فتجهز لاتمام رسالة سلفه وتحقيق ما حالت المنية بين نور الدين وبين هدفه ، ولما ان كان اليوم السابع والعشرين من رجب الفرد سنة ٥٨٣ ، اذا ببيت المقدس تنفض عنها اعباء الاحتلال الصليبي وترفع رأسها للمنقذ العظيم لكي يكلله بالوية الظفر المؤزر على انغام اناشيد المهللين والمكبرين من الابطال المسلمين والجحاجح الموحدين.

وهنا نترك لابن الاثير ان يحدثنا عن يوم بيت المقدس الاغر المحجل بقوله :

« في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ كبر المسلمون فرحا واعتزازا بنصر الله وتأييده ، اما الفرنج ، فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت الارض تميد منها لعظمها وشدتها .. فلما ملك صلاح الدين بيت المقدس واستقر بها ، اقام في الرابع من شعبان صلاة الجمعة في المسجد الاقصى تحت قبة الصخرة المشرفة ومن حولها ، وكان الخطيب والامام محي الدين ابن الزكي قاضي دمشق ..

ثم تابع ابن الاثير قوله « ثم رتب فيه (أي في المسجد الاقصى المبارك) خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس ، وامر بان يعمل له منبر ، فقيل له ان نورالدين محمودا ، كان قد عمل بحلب منبرا ، أمر الصناع بالمبالغة في تحسينه واتقانه وقال : « هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس » .. فأمر صلاح الدين باحضاره ، فحمل من حلب ونصب بالقدس ، وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة ... وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله .. »

وهكذا ، اخذ المنبر الشريف مكانه الذي اراده له نور الدين ولكن على يد ابن اخته وخليفته في زعامة العالم الاسلامي الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين بطل ملوك الاسلام والمسلمين السلطان العظيم صلاح الدين.

وان جميع الذين تعاقبوا على حكم بيت المقدس من ملوك المسلمين وامرائهم ، من ايام الايوبيين حتى اخر عهد العثمانيين حافظوا على هذا الاثر الرائع والتحفة النادرة الفريدة والمقدسة ، حافظوا عليها بالمهج والدماء وارخصوا في سبيل كرامتها النفس والنفيس وبذلوا في جوارها اغلى الوان الفداء ... حتى كانت ارادة الله فوقعت الطامة الكبرى وسقطت بيت المقدس يوم ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ ميلادية صريعة الذل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والهوان بيد القوات اليهودية اهل البغي والعدوان .. وما لبثت هذه القوات ان دست في المسجدالاقصى الذي باركالله حوله ، علجا اجنبيا في اليوم الثامن من شهر جمادى الاخرة سنة ١٣٨٩ (٢١ اب سنة ١٩٦٩ م) فرماه هذا العلج بشواظ من لهب النفط احرق منه المنبر الذي تركه السلف امانة غالية بيد الخلف فاصبح التراث الذي وقفه نور الدين ومن بعده صلاح الدين رمادا تذروه ريح الاحتلال اليهودي في مطاوي النسيان .. فوا اسفاه على مقدسات الاسلام والمسلمين وهي تتهاوى انقاضا تحت نيران اليهود الغاصبين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون .

والفاجعة بالمنبر الشريف لم تنته بها المأساة ، ذلك ان الحريق الفشوم تطاول بالسنته الملتهبة الى المحراب الذي طهره صلاح الدين من الصليبيين وجدد بناءه بما يتفق وروعة المنبر الذي في جواره .. فما كان حظ المحراب من النار المحرقة خيرا من حظ جاره ، اذ تهاوت منه الحجارة التي حملتها كواهل المجاهدين وعطرتها انفاس المصلين من الابطال المرابطين واصبح ما فوقها من نقوش الايات الكريمة كالح الوجه حطيم الكتابة تحيط به اقسى انواع الكآبة ..

بذلك خسر المسلمون منبر نور الدين ومحراب صلاح الدين في ساعات معدودة في يوم بكت من شؤمه ملائكة السماء حزنا على محارم الله لدى اهل الارض . فهل ينتفض في المسلمين ميراثهم من عزائم اسلافهم الاولين فيثاروا لكرامة امتهم وعزة دينهم ويعيدوا الى رحاب الاقصى المبارك البهجة التي غابت عنه يوم اناخ عليه الاحتلال اليهودي بكلكله البغيض ؟ ...

ان ارواح الشهداء التي بذلها اهل الفداء من اجل الاقصى المبارك في مختلف عهود التاريخ الاسلامي تضج اليوم بنداء الثار فلعل المسلمين اليوم يصيخون لهذا النداء ويقيلون حرمات الله في بيت المقدس مما اصابها بالاحتلال اليهودي وينقذونها قبل ان تتطاول اليها ايدي الاعداء بالتدمير والتخريب فحينئذ لات ساعة مندم اذ لا ينفع يومئذ اي ندم.

فالبدار ايها المسلمون البدار ، واني لاكاد اسمع ابا المظفر الابيوردي وهو يرفع عقيرته من وراء الحجب والسنين بقصيدته التي قالها بين يدي ملك دمشق حينما تم للفرنج اخذ بيت المقدس ، اجل اني لاكاد اسمعه يقول وكانه يعنينا اليوم :

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... ولم يبق منا عرضة للمراحم
وشر ملاح المرء دمع يفيضه ... اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم ... وقائع يلحقن الذرا بالمناسم
اتهويمة في ظل امن وغبطة ... وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم (بالقدس) يضحى مقبلهم ... ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم (الهود) الهوان وانتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى ... تواري حياء حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدانشيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها ... ليسلم يقرع بعدها سن نادم
يكاد لها المستجن بطيبة ... ينادى باعلى صوته يا لهاشم
ارى امتي لا يشرعون الى العدا ... رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى ... ولا يحسبون العار ضربة لازم
اترضى صناديد الاعارب بالاذى ... ويقضي على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذا لم يذودوا حمية ... عن الدين ، ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا فيالاجر اذ حمي الوغى ... فهلا اتوه رغبة في المغانم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى ... فلا عطسوا الا باجدع راغم
دعوناكم والحرب ترنو ملحة ... الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية ... تطيل عليها (الهود) عض الابامهم
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... رمينا الى اعدائنا بالجرائم ...

او اكاد اسمع قول الاخر وهو ينادي باعلى صوته :

احل الكفر بالاسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم حبيب
وكم من مسلم امسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليب
امور تأملهن طفل ... لطفل في عوارضه المشيب
اتسبى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلمين اذن يطيب
اما لله والاسلام حق ... يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا ... اجيبوا الله ، ويحكم ، اجيبوا ..

فهل من سامع او مجيب ؟ ...

يمتشق الحسام انقاذا للاقصى المبارك بدلا من استدرار الدموع واطالة البكاء والنحيب ؟ ..

الكتابات الاثرية في المنبر

حفرت على جوانب المنبر الكتابات الاتية ، وهي مما امر بكتابته نور الدين محمود بن زنكي .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لاعداء دينه الملك العادل نورالدين ، ذكر الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ، ناصر امير المؤمنين اعز الله انصاره وادام اقتداره واعلا مناره ونشر في الخافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولته واذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه واقره بالنصر ، وارحمنا برحمتك يا رب العالمين سنة اربع وستين وخمسماية » .

وكتب على يمين الخطيب من ناحية المحراب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة » .

وكتب على يسار الخطيب من الجهة الغربية للمنبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله . فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » .

وكتب على رقبة المنبر ، وهو من كتابة اسماعيل ابن نورالدين :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، عمل في ايام مولانا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود زنكي » .

وكتب على الدفة اليمنى من المنبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، عمل في ايام مولانا الملك العالم ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ، ان تكون امة هي اربى ، انما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة » .

الصناع الذين عملوا المنبر وكتاباتهم عليه :

ان الذين قاموا بصنع هذا المنبر الاثري كانوا من اهل حلب وقد تركوا فيه اسماءهم في الكتابة التالية ، وذلك في ستة سطور بعضها فوق بعض :

١ ـ صنعه سلمان بن معالي رحمه الله
٢ ـ عمل حميد بن ظافر رحمه الله .
٣ ـ عمل ابي الحسن بن يحيى رحمه الله .
٤ ـ صنعه حميد بن ظافر رحمه الله .
٥ ـ صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله .
٦ ـ صنعه فضائل وابو الحسن ولدي يحيى الحلبي رحمه الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احزان في الغربة

★

ماذا انا ؟ لا شيء في عرف الزمان .. كانني موج من النسيان
ماضي اصداء ، وفيض خواطري تجري به المأساة في وجداني
ففدي ، واحلامي ، وعطر عوالمي ، دوح من الاوهام ضم كياني
هذا الضباب، الخانق، المُوار في دربي الكئيب، يشف عن اشجاني
أأنا الغريب عن الحياة ؟ ام الحياة غريبة في عالمي الحيران ؟
يخطو معي هذا الغموض ، كأنه عبث الوجود بكل شيء فان

ادري، ولا ادري .. فكيف مسيرتي، والنور يغفو في دجى الكتمان
واطل من صمتي ، كدمع غمامة ، ارنو الى ما ثار من اضغاني
فأظل ابكي ، والخواطر تزدهي ، وتصيغ لي من نسجها اكفاني
اواه ، ما اشقى الحياة بليلها ، ان طال ليلي في الاسى اليقظان
فكآبتي .. همس الرباب اذا جرى في ظله المجروح صوت حنان
كم ذا اواري لوعتي ، فيهزني ان الحياة مليئة ... الاحزان
كل الزهور تفتحت لربيعها .. وانا وحيد ، قد ذوت افناني

غرناطة ـ اسبانيا — منذر عطا العياشي

سنة تمام صنع المنبر

توفي السلطان الملك نور الدين قبل ان يتم صنع المنبر فتولى السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمود اتمام عمل ابيه وكتب على « زنار » المنبر الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، تمامه في ايام ولده الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود بن زنكي بن آق سنقر » وكان ذلك في سنة ٥٧٠ هجرية .

الكتابة على محراب صلاح الدين

ذكر المؤرخون ان الملك الناصر ، بطل الاسلام والمسلمين ، السلطان صلاح الدين الايوبي ، بعد ان ازال المعالم الاجنبية عن المسجد الاقصى المبارك ، امر رحمه الله ان يجدد فيه محرابه الذي غيره الفرنج وطمسوا هيئته الاسلامية .

فقام امهر البنائين بتجديد هذا المحراب وترميمه وكتبوا عليه الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس . عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين . عندما فتحه الله على يديه في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزل حظه من المغفرة والرحمة » .

اما بعد ، فاننا نسأل الله عز وجل ان يديل للاسلام والمسلمين من اعدائهم اليهود واحلافهم من المستعمرين اهل البغي والظلم ، وان يمد عباده من أوليائه المؤمنين برجال بررة مخلصين ، يعودون بالمسجد الاقصى المبارك الى سيرته الاولى كما كان على عهد صلاح الدين من البهجة والرفعة والخلود والمنعة .. وما ذلك على الله بعزيز ..

طه الولي

عبدالحميد السائح - هنري كتن

الدكتور عبدالرحيم بدر

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ عبد الحميد السائح

من الصفوة المختارة في العالم العربي بوعيه وسعة افقه وتقبله كل جديد نافع ، ومن الفئة التي تأثرت بتعاليم السيد جمال الدين الافغاني ، المصلح الاسلامي الشهير ، وبالامام الشيخ محمد عبده .

ولد الشيخ السائح في نابلس عام ١٩٠٧ وبعد ان أتم دراسته بمم القاهرة وانتسب للازهر الشريف وحصل على شهادة العالمية ثم شهادة التخصص من مدرسة القضاء الشرعي ، وعاد الى فلسطين ليؤدي رسالة الاصلاح اجتماعيا ، وليعالج امراضنا خلقيا ودينيا ، فنشر معالجات قيمة في الصحف والمجلات الفلسطينية واسهم في الحركة الوطنية وتوجيهها توجيها سليما ، ولو اخذ بآراء هذا الوطني المؤمن لما تردت الاوضاع في الوطن المغصوب ، ولما هام اهله في القفار والدروب !

وفي عهد الانتداب تولى في فلسطين المناصب التالية :

١ ـ استاذ العربية والدين في القسم الثانوي بكلية النجاح الوطنية في نابلس ،

٢ ـ قاض شرعي في نابلس ثم في القدس الشريف ،

٣ ـ سكرتير عام المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ،

٤ ـ عضو محكمة الاستئناف الشرعية في فلسطين ،

وبعد وحدة ضفتي الاردن (١٩٥٠) عين رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية وعضوا في مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية الاعلى ، وعضوا في مجلس كلية الشريعة بعمان وعضوا في مجلس اعمار المسجد الاقصى .

من آثاره القلمية :

١ ـ التضامن الاجتماعي في الاسلام (١٩٤١)

٢ ـ واجبنا نحو ناشئتنا (١٩٤٢)

٣ ـ مبادىء في الدين الاسلامي (٦ اجزاء) بالمشاركة مع لفيف من الاساتذة (١٩٤٥) .

٤ ـ نهج الاسلام (٤ اجزاء) بالمشاركة مع لفيف من الاساتذة (١٩٤٧) .

نموذج من نثره :

« ذكرى ١٧ رمضان هي ذكرى الروح المتأججة في العودة للاوطان ، بعد الهجرة والحرمان ، والحرص على متانة العقيدة وسلامة البنيان ، وحماية الحدود ، واقامة السدود ، في وجه الظلم والطغيان ، ومقاومة التشريد والتشتيت ، وصيانة الحريات من التلاعب والعبث بها ، وهي الاسلوب الذي اجدى قبل قرابة أربعة عشر قرنا ، وهو الاسلوب الذي لا يجدي غيره في القرن العشرين !

لقد انتهكت الحرمات ، ووقعت التعديات ، وصودرت الحريات في مكة ، وحال صناديد الظلم والطغيان واركان الشرك والاوثان دون اطلاق العقول من قيودها ، وترك النفوس على سجيتها ، تعتقد ما تراه حقا ، وتدعو الى عقيدتها ومبادئها ، فهال ذلك عظماء قريش ، لانه يعني الحد من سلطانهم والقضاء على نفيهم وجبروتهم ، فقاوموا بشتى الوسائل وامعنوا في المقاومة ، من تعذيب الى تشريد ، ومن تقتيل الى تنكيل، حتى حملوا الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه المؤمنين على الهجرة من اوطانهم ، واللجوء الى المدينة ، ومع هذا فلم يتركوا تحرشهم ، ولم يدعوا عدوانهم ومقاومتهم للمؤمنين ، قصد القضاء على روح العزة ، وحملهم على الشعور بالتسليم لقوات البطش والجبروت ، ولكن الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ردد قول الله سبحانه « ولله العزة ورسوله وللمؤمنين » قضى على احلامهم ، ووضع الخطة المحكمة للتخلص من شرهم ، فتمت غزوة بدر الكبرى ، التي انتصر فيها الحق على الباطل ، وكانت معجزة التاريخ العربي الاسلامي ، والتي خاطب فيها محمد ربه : « اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم في الارض ، وسنة الله سبحانه أن ينصر المؤمنين ، ويؤيد المخلصين اذا سلكوا طريق النجاة واخذوا بأسلوب القوة والعدة ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

ما اشبه الليلة بالبارحة ، وما اشبه العدوان والتحرش المباشر من الصهيونيين وغير المباشر ، ممن يؤيدون الصهيونيين ، من المستعمرين والظالمين ، في حدود فلسطين، ما اشبه هذا بذاك ، وما اشبه هذه الاحتجاجات المتعددة من قبل العرب على عدوان تكرر باساليب اللين والموعظة التي كان يسلكها الرسول في مكة مع تحمل الاذى ، ولكن بعدما طفح كيل (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وحينما شعر ان السكوت ليس الا استخذاء لقوات الظلم والباطل ، وليس الا قضاء أبديا على دعوته ، ولا يعني الا نحر العزة والكرامة له ولقومه ولدعوة الحق ، لم يجد الا سلوك السبيل المجدي ، وهو سبيل القوة التي تحمي الذمار ، وتدفع العار ، وتصون العقيدة، وتضمد الجرح، وتحفظ الحريات وتعيد الاوطان ، وتصد العدوان ، ولم

يمنعه من ذلك زيادة عددية في خصمه ، ولا قوة مادية في اعدائه ، لان الايمان اذا تمكن من صاحبه فعل اعاجيب ، وذلل الصعاب وكان له منطق لا يدركه الا المؤمنون ، سلك سبيل القوة فحطمت قوات المؤمنين المحقين ، قوات الظالمين والطاغين ، على وفرتها ورجحانها ، وقضت على غطرستهم ، وكانت هذه نقطة الانطلاق ، ومحور الاشراق ، وسبب القضاء النهائي على اساليب التلصص والاستهتار ، والعامل الاقوى في الفتح الاكبر والنصر المبين ! .

وما ادري هل تبعث هذه الذكرى في نفوسنا ان نسلك ذلك السبيل ، ونشعر نفس الشعور ، فنستعيد عزة مسلوبة ، ونضمد شرفا مكلوما ، ونحتل مكانا مرموقا ، ونرفع معنويات مهدمة ، ونخلق املا مشرقا ، بعدما ساء كيلنا ، وطفحت كأسنا ، وفسدت تقديراتنا ، واصبحنا بعيدين عن التصديق والايمان والاذعان ، الا اذا انتقلنا الى مرحلة عين اليقين ، وشاهدنا البرهان بالعين المجردة ، فحينئذ فقط نكون قد صدقنا وآمنا ، وانتعشت أرواحنا وآمالنا في اننا من نسل اولئك الغر الميامين ، نسير سيرهم ونقتدي بهم في بطولاتهم ، ونستفيد من ذكراهم ونعتبر من حوادثهم ، ولا تيأسوا من روح الله ، فانه لا ييأس من روحه الا القوم الكافرون ، فمن يكون (محمدي) هذا العصر في روحه وايمانه ؟ ومن يكون (بدري) هذا الزمان في بطولته وافعاله ؟! » .

٢ ـ هنري كتن

الشعار الذي آمن به هنري كتن منذ صدر شبابه ، وراح يجاهر به قول ارسطو : « اذا اختلف الحق والحي ... فأنا اكون الى جانب الحق ! » .

في بيت المقدس مدينة الطهر والقداسة ولد هنري كتن في ٢٦ شباط ١٩٠٦ وبعد ان أتم دراسته الثانوية في كلية الفرير نال دبلوما في الصحافة من جامعة لندن سنة ١٩٢٦ ثم شهادة ليسانس الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٢٩ وفي سنة ١٩٣٢ اجتاز امتحان الماجستير في الحقوق من جامعة لندن فأذن له بالانضمام الى عضوية نقابة المحامين البريطانية والمرافعة امام المحاكم البريطانية، ولما عاد الى القدس سنة ١٩٣٢ انضم الى عضوية نقابة المحامين الفلسطينية وعين استاذا محاضرا في قانون العقوبات بمعهد الحقوق الفلسطيني وبين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٨ انتخب عضوا في مجلس الحقوق الفلسطيني واشتهر كنابغة من نوابغ رجال الفقه والقانون الذين انجبتهم فلسطين .

وبعد تأزم قضية فلسطين ، وعرفت طريقها الى محافل الامم المتحدة ، اختار الشعب الفلسطيني هنري كتن لكي يترافع عن قضية بلاده في دورة عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ نظرا لسعة استيعابه للقضية وبلاغته في اللغتين الافرنسية والانكليزية فضلا عن العربية ، واعتياده مواقف الدفاع كمحام نابه بليغ .

وبحلول كارثة فلسطين في سنة ١٩٤٨ انتقل الى دمشق ، حيث اذن له بالانضمام الى عضوية نقابة المحامين السورية في سنة ١٩٤٩ وبمزاولة المحاماة هناك ، وهي المهنة التي مارسها منذ سنة ١٩٣٢ وما زال يمارسها حتى بعد ان استقر به المطاف في بيروت.

وبفضل تضلعه من فقه القانون ، فانه كثيرا ما يستعان به في القضايا المعروضة على التحكيم الدولي والقضايا المختلف عليها بين الشركات الكبرى والحكومات حول الامتيازات والتعاقدات . وقد اقتضاه هذا ان يكون دائم السفر حتى طاف بمعظم بلاد العالم، وكان حيثما حل، نموذجا مشرفا للمواطن الفلسطيني علما وذكاء وخلقا وتوقد خاطر ، هذا بالاضافة الى تواضعه وامانته التي ينزلها من نفسه منزلة القداسة .

وعندما زار الكاتب الفرنسي جان بول سارتر مصر قبل نكبة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، نظمت له برامج ورحلات لكي يطلع بنفسه على الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية ، فوقع اختيار المسؤولين على هنري كتن ليكون من الفاقهين الذين يبسطون لسارتر ابعاد القضية وجوانبها القانونية والسياسية والانسانية ، وقد صحبه الى غزة طوال زيارته لما تبقى من اشلاء فلسطين .

من آثاره القلمية ـ وقف الاستاذ كتن مؤلفاته على ميداني تخصصه وهما : القضية الفلسطينية والقانون ، وفي قضية العروبة الاولى اصدر طائفة من الكتب باللغتين الانكليزية والفرنسية وعرض فيها القضية الفلسطينية عرضا منطقيا يتسم بالعمق واصالة الراي وقد عرفنا منها :

١ ـ PALESTINE PROBLEM

٢ ـ TO Whome Palestine Belongs ?

٣ ـ ابعاد القضية الفلسطينية (بالانكليزية والفرنسية) ١٩٦٧ .

٤ ـ The Evolution of Oil Concessions in the Middle East and North Africa.

« تطور امتيازات الزيت في الشرق الاوسط وشمال افريقية » ـ صدر عن دار « اوشيانا » في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٧ .

٥ ـ The Law of Oil Concessions in the Middle East and North Africa.

« قانون امتيازات الزيت في الشرق الاوسط وشمال افريقية » ـ صدر عن دار « اوشيانا » في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٧ .

٦ ـ Palestine, the Arabs and Israel

صدر هذا الكتاب عن دار لونجمانز في لندن ويعتبره الساسة ورجال الفكر من انفس الكتب التي عالجت القضية الفلسطينية . وفي سنة ١٩٦٩ نقل هذا الكتاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضخم الى العربية الكاتب العربي الكبير الاستاذ وديع فلسطين وخرج من المطبعة العربية تحت عنوان « قضية فلسطين في ضوء الحق والعدل » .

وانه لمما يدعو الى اعتزاز ابناء فلسطين مواطنا مثاليا كبيرا كهنري كتن جوابا بين حلبات المحاماة الدولية الكبرى في قضايا يشارك فيها دهاقنة القانون الدولي كاللورد مكنير والعلامة آجو والعلامة بوركان والدكتور جورج راي والدكتور لويل وادموند وغيرهم من شوامخ فقه القانون العرب كالدكتور سابا حبشي والدكتور حامد سلطان والدكتور حلمي بهجت بدوي ومحمود حسن باشا واخوان هذا الطراز الرفيع . كما ان من المألوف ان يشارك هنري كتن في مؤتمرات القانون الدولي كالمؤتمر الذي عقد في دالاس بولاية تكساس الاميركية في شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٩ .

واذا كان جورج انطونيوس بكتابه النفيس « يقظة العرب » قد خدم العروبة خدمة على نطاق عالمي المنتمى ، واذا كان الدكتور فيليب حتي بكتبه العظيمة عن تاريخ العرب وتاريخ لبنان وسورية والتاريخ الاسلامي قد اسدى أيادي عظمى للامة العربية قاطبة بين شعوب العالم الاعجمية فان « هنري كتن » بكتابه الاخير عن « قضية فلسطين » قد انتمى الى هذا الطراز العالي من عترة المؤلفين الاعاظم الذين خاطبوا الشعوب الانكليزية والاميركية والفرنسية بلغاتهم واحسنوا الخطاب . وحبذا لو ان جامعة الدول العربية ، بمكاتبها في روما والولايات المتحدة والبرازيل والارجنتين تترجم هذا الكتاب القيم الى الايطالية والاسبانية والبرتغالية ، فيغني عن كثير من الثرثرات والنشرات الدعائية .

٣ ـ الدكتور عبدالرحيم بدر

الحكمة التي اعتنقها « عبد الرحيم » منذ كان يافعا ، واتخذها شعارا ، وظل ينادي بها سرا وعلنا : « ان العلم للنفس الانسانية كمال تتحلى بفضائله ، وهو نور العقل وسراج القلب ! » .

ولد « عبد الرحيم » في مدينة الخليل بفلسطين عام ١٩٢٠ وانهى دراسته الابتدائية في بئر السبع وغزه حيث كان والده موظفا في حكومة الانتداب ، والتحق بالكلية العربية في بيت المقدس وحصل على شهادة « المترك » الفلسطيني عام ١٩٣٧ ونشر مقالات في جريدة « المنار » المقدسية على شكل يوميات كانت تنشر يوم الاثنين من كل اسبوع ، وكانت هذه الخواطر مزيجا من العلم والادب . كما نشر مقالات علمية وادبية في مجلات « الافق الجديد » و « رسالة المعلم » و « رسالة الاردن » و « العلوم » و « المجلة » و «العربي» و « حماة الوطن » و «البيان » .

وبعد التحاقه بكلية الطب في جامعة القاهرة تخرج طبيبا عام ١٩٤٥ وعاد الى فلسطين وعمل طبيبا في حكومة الانتداب . وفي عام ١٩٤٨ ، عام النكبة الاولى ، لجأ الى مدينة اريحا وزاول الطب في عيادة خاصة .

وفي عام ١٩٥١ بدا الدكتور «بدر» خطا جديدا في حياته السياسية اذ ظل يتنقل بين المعتقلات والسجون مدة ٥٥ شهرا ، وفي هذه الاثناء عكف على درس الفلك والعلوم الفيزيائية ، واتاح له وجوده في معتقل الجفر ترجمة وتصنيف بعض الكتب العلمية والروايات الاجتماعية .

وفي عام ١٩٦٠ نحت الدكتور عبدالرحيم بيده (تلسكوبا) من قياس ٦ بوصات ، وبواسطته انشأ مرصدا فلكيا وراسل بعض الجمعيات الاوروبية حول انجازاته العلمية ، ونشرت تقاريره الفلكية في المجلات التي تصدرها تلك الجمعيات الفلكية الاوروبية .

والدكتور « بدر » يتمم بعلمه سلسلة علمائنا الافذاذ امثال شبلي الشميل ويعقوب صروف وفارس نمر واحمد زكي واسماعيل مظهر ، وفي الموضوعات التي يعالجها بقلمه تلحظ طريقة التبسيط والشرح .

وفي عام ١٩٦٧ قرر وزير التربية والتعليم الاردني تعيينه عضوا في اللجنة الاردنية للتعريب والنشر ، لكن انتقاله للكويت وعمله طبيبا في وزارة الصحة حرم اللجنة جهد عالم موهوب عشق العلم فسلك دروبه ، ونقل للقارىء العربي اخر ما ابدعه العقل الاوروبي من اكتشافات علمية ونظريات فلكية .

من آثاره القلمية : بالرغم من جنوح الدكتور بدر للادب فهو مفكر موهوب يميل الى العلم ونظرياته ويقبل في مطالعاته على الكتب الاوروبية ذات الطابع العلمي ، ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثار قلمه :

١ ـ الكون الاحدب ـ طبع عام ١٩٦٢ وتناول الكاتب فيه النظرية النسبية .

٢ ـ بدائع السماء ـ (مترجم) طبع عام ١٩٦٦ .

٣ ـ النفوس الميتة ـ رواية ترجمها عن الانكليزية ، وهي في الاصل للكاتب الروسي نيكولاي جوجول الذي جعل من روايته هذه سياطا تدبغ النفوس المريضة .

نموذج من نثره : وكما عالج الدكتور بدر الموضوعات العلمية والادبية بريشة فنه ، عالج القصة كذلك وبرهن على ان في وسعه ان يكون عالما وطبيبا ، وقاصا واديبا ، ودونك قطعة من قصة بقلمه عنوانها « الجذور » :

كان للباب صرير مزعج كعادة الابواب التي صنعت من صفائح مختلفة في الشكل واللون ، ومقدار ما علاها من صدأ ، وعدد ما فيها من ثقوب ، ولهذا كانت تغلقه بتؤدة وبطء ، وتسير في الطريق الذي اعتادت السير فيه منذ امد بعيد بعيد جدا ، كل يوم مع مطلع الشمس . وما تكاد تقفل الباب حتى ترى انها قد انتهت من تلاوة الدعاء الذي كانت تتمتم به منذ ان فرغت من الصلاة . فتجد عندئذ فراغا فكريا فتنصرف الى خيالاتها وتأخذ تعيش في الماضي . ولم يكن في الطريق شيء يصرفها عن ذلك ، فهي تعرفه خطوة خطوة ، وتكاد تفتقد الحجر اذا تحرك من موضعه . والمارة من الناس في هذه الساعة من الصباح قليلون . ولكنها اخذت في الاسابيع الثلاثة الاخيرة تحس بأن الابريق الفخاري المملوء بالماء الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحمله في يدها اليمنى ، ثقيل . وكان نقله الى اليد اليسرى اول الامر يستحوذ على قسم كبير من تفكيرها ، فيصرفها بعض الصرف عن خيالاتها الواسعة ، غير انها فيما بعد اخذت تنقله دون تفكير ، اكثر من مرة . كانت تدرك ان هذا دليل الهرم واذان الشيخوخة ، ولكنها سرعان ما تهرب من هذه الفكرة البغيضة لتعيش في عالم شبابها وعزها وعنفوانها .

لم تكن المقبرة بعيدة عن المخيم ، ولكنها في طرفه على اية حال ، وقطع هذه المسافة لامرأة عجوز يستغرق وقتا غير قصير ، وقتا كافيا لاستعادة غير قليل من الماضي السعيد .

فأبو الحارث رجل جدير بأن تزور قبره كل يوم . لم يكن شيئا كثيرا بالنسبة للقرية كلها . انها لا تذكر شخصا مثله يحترمه الناس ويستمعون الى رايه ويسعون الى مشورته . وكان المترددون على البيت لا يكادون يتركونه ليلة واحدة يجلس معها ومع الاولاد . كانوا يزعجونها اذا ما جاءوا يطلبونه الى المضافة لحل المشاكل . وعندما يعود كانت البهجة تبدو على محياه ، فيخبرها بأن الخصام بين فلان وفلان قد انفض والحمد لله . وعندما سافر الى بيت الله الحرام وادى فريضة الحج وغاب شهرين طويلين عنها وعن القرية كلها ، حدثت حادثة قتل ، وقالت لها ام احمد ان الحادثة ما كانت لتقع لولا غياب « ابو الحارث » !

كان يملأعليها البيت بهيبته ورجولته وجلال قدره . لم يكونوا في تلك الايام بحاجة الى (بطاقة) المؤن او الى اي انسان . بل ان الله سبحانه وتعالى كان رؤوفا بعبده فاختاره الى جواره قبل ان يعرف هذه اللعنة التي يسمونها (بطاقة) المؤن . فبستان البرتقال كاف يعيشون من ريعه في عيش رغيد . كانت تنهض في الصباح الباكر مع الفجر فتعد الفطور وتوقظ الاولاد الاربعة واباهم ، فيتناولون كأس الشاي مع قطعة الخبز الذي كان آنذاك من القمح الخالص ، ويحمل الرجال منهم ـ الاب وحارث وراوي ـ الفؤوس والمجارف . اما البنات ـ زهرة وغصون ـ فتحملان السلال وينطلق الجميع الى العمل في اشجار البرتقال ، اما هي فكانت تمكث في البيت لاعداد الطعام للوجبة التالية . وكان يظهر لها من العطف ما لا تستطيع ان تنساه . فقد حاولت ذات يوم ان تساعد ابنتيها في نقل السماد ، ولكن ابا الحارث اقسم بالله ان لا تفعل ذلك ، لا في ذلك اليوم ولا فيما يلي من الايام . كانت تشعر انه ليس زوجا وحسب ، بل الاب الحنون والام الرؤوم والمعلم المخلص المتفاني . كان اذا جلس اليهم في المساء ـ وقل ان تطول جلسته ـ يحدثهم باحاديثه الشهية ، ويناديهم « يا اولاد » وهي تعرف انه يشملها بهذا النداء . وكان صوته الجهوري الرصين اجمل واعذب ما يطرق السمع ، فهو على خشونته يفيض بالحنان .

كانت غصون في العاشرة من عمرها عندما كانوا يجلسون كلهم تحت شجرة برتقال فمدت انامليها الطرية اللينة وقطعت زهرة من زهوره المتفتحة آنذاك . واذا بالرجل ينطلق بحديث طويل عن قيمة البرتقال وزهر البرتقال ، وعرف من لم يكن يعرف انهم مرتبطون بهذه الشجرة وزهرها وثمرها ، وان الزهرة ثمرة في اول الطريق ، وانهم يأكلون ويشربون بفضل هذه الزهرة او هذه الثمرة ، وان الواجب عليهم هو الحرص والعناية بكل ورقة وكل ثمرة . وفي تلك الاونة ، انما في مناسبة اخرى ، عرفت انه تزوجها لان اسمها « خضرة » بلون الشجر ، وسمى ابنهما الكبير « الحارث » وهو يقصد حراثة الارض ، وكانت تظن قبل ذلك انه « حارس » ، وسمى ابنهما الثاني « راوي » لكي لا ينسى ري البستان وسقياه ، اما البنتان فسمى احداهما « غصون » والاخرى « زهرة » . كان يدخل في اذهانهم انهم من الاشجار وان علاقتهم بها اكثر مما يظنون . وكان يندفع في شتى المناسبات في احاديث طويلة مختلفة عن هذا الموضوع باسلوب منسجم لا تستطيع استعادته الان . ولكنهم جميعا كانوا يفهمون ما يريد ان يقول . لم يكن يكتفي بهذه التشبيهات بينهم وبين الاشجار ، بل كان يقول لهم ان لهم جذورا كالاشجار ، لا تمتد الى باطن الارض فقط بل تمتد الى الاباء والاجداد والى اهل القرية والمعارف والاصدقاء . وكان يقول ايضا ان الانسان اذا اقتلع من جذوره يذوي ويموت كالشجرة تماما .

وبعد ان قتل اليهود ابنيه الحارث وراويا هناك ، في المعركة التي نشبت عند مفترق الطرق ، غير بعيد عن المستعمرة وغير بعيد عن القرية ايضا ، وبعد ان قتلت غصون في المعركة الاخرى التي هاجم فيها اليهود القرية ، وكانت تحمل الماء للمناضلين ، بعد هذا كله اضطر ابو الحارث ان يترك السلاح ، لا لان عزيمته قد خارت ، فهذا امر لا يرد لمخلوق في حسبان ، وانما لان الجسم الذي يحمل تلك العزيمة خار وتهاوى .

احساس غريب كان يطبق على صدره ، ويسري الى لوحة الكتف الايسر ثم يشده مما تحت الترقوة فيحسب ان عذاب الدنيا والاخرة قد تجمع مرة واحدة ليسكن بين اضلاعه ويحط في صدره عصا الترحال . كان يحاول ان ينهض من فراشه لمتابعة الجهاد الذي اقعد عنه ، ولكن عذاب السعير يلتهم ما تبقى له من عزم . وعندما رحلت القرية ، وحمله النازحون فيما حملوا من متاع ، وارادوا ان يضعوه في سيارة الشحن ، على الرغم من عناده الهش الكسير الجناح ، كان يصيح بصوت لا يزال فيه بعض الوضوح ، وينادي نداء غريبا ويقول « جذوري جذوري ! » .

عمان ـ الاردن **البدوي الملثم**



ميشال الجاهل

الشاعر ميشال الجاهل الذي فقدناه

بقلم جوزيف نعمة

* * *

في ٢٦ آب المنقضي مات الشاعر ميشال الجاهل في دير القمر . والفقيد من مواليد ١٨٩٥ وتؤلف اسرته مع آل الخازن والعازار (الكوره) عشيرة واحدة تنتسب كما اكد بعض المؤرخين ، الى بني حسان في نواحي الحجاز .

بدأ ميشال حياته شاعرا رقيقا طالما سمعنا قصائده في الافراح ، والاتراح والمناسبات الاجتماعية والوطنية ، وحفظنا الكثير من اشعاره عن ظهر القلب لعذوبتها وطلاوتها . كان العندليب الشادي على الاغصان ولم يقل انشاده الا يوم دخل الوظيفة واضطلع باعبائها فاصبح على التمادي مديرا للقضايا الادارية في وزارة العدل ، وانتهى من الخدمة محافظا لمنطقة جنوب لبنان .

من النادر ان تتفق الوظيفة والشعر . فهي تتطلب الكبت والانقباض ، وحد المشاعر ، والتقيد بالقوالب الرسمية والانصهار في بوتقة السياسة ، والشعر يأبى ذلك ، وينشد الانطلاق ، والخيال ، والانفلات من الحدود والوقوف وراء الاسوار . ولهذا صمت العندليب كما قلنا ولم يعد يسمع ابناء الجيل اناشيده وقصائده الا لماما . فنساه الناس شاعرا او كادوا وعرفوه موظفا ومتقاعدا .

تحديد ميشال الجاهل : اديب وشاعر وموظف امين . و اذا كان لكل امرىء من اسمه نصيب فميشال لا يمت بشيء الى اسمه بل ينتسب الى صفاته الطيبة ودماثة اخلاقه وصفاء سريرته كما عرفه كل من قربه وخبره عن كثب .

تتلمذ اول ما تتلمذ باللغة العربية على يد المعلم نعوم افرام البستاني صاحب جريدة دير القمر المحتجبة ، والمربي الكبير الذي يحصي بين تلاميذه القدماء جمهرة من اعلام الادب كفؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ، وكرم ملحم كرم ، صاحب الف ليلة وليلة وغيرها من المؤلفات العديدة ، وسواهما من الرجال الذين لمعوا في دنيا الادب وكانوا من مشاهير حملة الاقلام .

ففي اثناء الحرب العالمية الاولى كانت في دير القمر مدرسة رسمية اعتاد المشرفون عليها ان يقيموا من وقت الى آخر على مسرحها محافل ادبية يتبارى فيها شعراء الدير وادباؤها في شتى المواضيع . ولا يزال عالقا في الذاكرة من مساجلات بعض الادباء مثل حنين متى ، وجوزيف ابو خير ، ونعوم افرام البستاني وميشال الجاهل مقاطع تلاعبوا فيها بالالفاظ ، والالغاز والاحاجي .

قال حنين متى مخاطبا الجاهل ملمحا الى اسمه :

يا خليلي قالوا عنك جاهلا ... قلت هذا محض كذب وافتراء
كيف يدعى جاهلا من قد غدا ... بحر علم ، وهو خير الشعراء

اجاب الجاهل :

حن الفؤاد الى (الحنين) حنينا ... مذ قام ينظم شعره المكنونا
متلاعبا باسمي كلعب فريضه ... بالعقل لما قد غدا مفتونا

وتدخل نعوم البستاني في نهاية الحلقة فقال :

محفل العلم وقسطاس الادب ... قد اعدت اليوم امجاد العرب
امة قد طبعت اثارها ... في جبين الدهر سطرا من ذهب
لا تقولوا انها خاملة ... فهي منذ البدء في اعلى الرتب
واعادوا مجدها في مسرح ... خطب العالم فيها ما خطب

وللجاهل من بواكير شعره قصائد نشرت له في بعض الجرائد ومنها جريدة (المعرض) في اولى سنواتها وهي تنبض بالحب والغزل والوصف الرقيق . غير ان هذا الشاعر كبا في حبه لفتاة احلامه التي خفرت ذمامه وتبعت سواه من ذوي الثراء فانبرى معاتبا ولائما وناصحا بقصيدة رقيقة اشتهرت به واشتهر بها . وهذه بعض ابياتها :

انكرت عهدي وما حفظت ذمامي ... لك غير قلبي فاذهبي بسلام
اني غفرت لك الذنوب جميعها ... هلا غفرت صبابتي وغرامي ؟

الى ان يقول :

فرايت هذا الناس بين تحاسد ... وتباغض وتقاتل وصدام
حكم القوي على الضعيف مقدس ... ولو استبد وجار بالاحكام
وكم امتطى ظهر الشعوب مسلط ... فمشى بها للذبح كالاغنام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تذكار «يستا»

يمر بي وجه « يستا »
أشرعة في الزمان
اراه مذ صورا
وأتعب المصدرا
من كل شيء كان

أعيش في حروف يستا
يغيب عن مقلتي كل شاطيء
تكاد اغنية المرافيء
تحرق شوق انتظاري
على مرايا غباري
يطير بي هدب ((يستا))
في بحر جمر بلا عنان

أشم في عطره الوجودا
أسبح في مقلتي وأذني
حتى اذا غيب الحدودا
عانقت منه الصدى ومني

علي شلق

قصيدة حافظ ابراهيم يوم زار لبنان مستجما وقد القاها في ندوة الجامعة الاميركية ببيروت . وهذه بعض ابياتها :

حيا بكور الحيا ارباع لبنان — وطالع اليمن من بالشام حياني
اهل الشام لقد طوقتم عنقي — بمنة خرجت عن طوق تبياني
يا وفقة في جبال الارز انشدها — بين الصنوبر والشربين والبان
تستهبط الوحي نفسي من سماوتها — وينثني ملكا في الشعر شيطاني
علي اجاودكم في القول مقتديا — بشاعر الارز في صنع واتقان
لي موطن في ربوع النيل اعظمه — ولي هنا في حماكم موطن ثاني
حسبت نفسي نزيلا بينكم فاذا — أهلي وصحبي واحبابي واخواني

فكان جواب الجاهل :

ردي التحية يا ارباع لبنان — ورجعي من ذرى صنين تحناني
ردي التحية من نبع الصفا شبما — بين الرياحين يجري جرى ثعبان
ردي التحية من عالي الذرى ارجا — من الصنوبر والشربين والبان
ردي السلام من الشالوط(١)منفجرا — بين الجلاميد يروى كل ظمآن
ردي السلام هواء منعشا صردا — يدب بين ضلوع المدنف العاني
لهي على الارز كم مدت اليه يد — امضى واصلب من ايدي سليمان
قد هدم الارز حتى شاد هيكله — في القدس يا ويح ذاك الهادم الباني
كم من سليمان جاء الارز مقتطفا — كأنما الارز شلو بين ذؤبان

الى ان يقول :

في الشوف في المتن اني سرت متنقلا — تلق منازه انهار وغدران
والطرق في الارز بالاسفلت قد فرشت — تحنو عليها من الادواح صفان
والحور والدلب والصفصاف منحنيا — عند الغدير انحناء العاشق العاني
تخال جنات عدن في جنائنه — وشهر تموز فيه شهر نيسان
لبنان للنيل جار صان جيرته — وحبذا النيل من جار للبنان
فانزل بلبنان مصطافا على سعة — فمن احق بداري غير جيراني ؟

والجاهل محبوب في بلدته ، قريب الى قلب كل مواطن من مواطنيه . ولهذا اقاموه رئيسا لجمعيتهم الخيرية (سيدة التلة) ومركزها بيروت ، فما زال في مركزه هذا منذ ربع قرن تقريبا . ولطالما تغنى بامجاد مسقط رأسه ، وفاخر به شعرا في المناسبات المختلفة . وهذه بعض ابيات من قصيدة القاها في المهرجان الادبي الذي اقيم في سراي الشهابيين بدير القمر يوم الاحد ٧ آب سنة ١٩٤٩ لمناسبة عيد شفيعة البلدة :

احدوثة التاريخ ملء سطوره — آيات مجد كلما وصفوك
لبنان بين قديمه وحديثه — متجمع فخرا ومجدا فيك
ماذا اقول ومن رجالك ثلة — كالعقد نظم لآلى وسلوك
حملوا لواء المجد في ايامهم — ومشوا على الايام ذات حلوك
نحتوا من الصخر الاصم ربوعهم — الله يلطف بالالى نحتوك
ومن الشباب اهلة وضاة — ترجى ليوم خير مبروك
ومن الشباب مثقف ومدرب — صلب العقيدة في سمات ملوك
ومن الشيوخ اماجد عركوا النهى — وتشبثوا بلوائك المسموك
ومن الاساتذة الجهابذ انجم — لماعة بضيائها تهديك
ومن الاطباء النوابغ معشر — ملء الزمان بطبهم آسوك
ومن الجنود سواعد مفتولة — خلقت ليوم وقيعة وفتوك
في الشرع في التاريخ اعلام على — هام المجرة عنوة رفعوك

هذا وقد اقيم للفقيد مأتم حافل في مسقط راسه ومنحته الحكومة وسام الارز الوطني من رتبة كومندور اكراما لذكراه بعد الوفاة . رحمه الله .

جوزيف نعمة

الصائدون الغيد في اخدارها — مثل الذئاب فتكن بالاغنام
والداخلون الخدر في شهواتهم — كالدائسين الزهر بالاقدام
يا هند علمني الهوى امثولة — شتى الغموض كثيرة الابهام
فبسطتها لك بالحديث صريحة — وانرت عقلك فاذهبي بسلام

الى الشيخ بشاره : وكما كان الجاهل يتغنى بالحسان ويخصهن بالقصائد اللطيفة ، فانه كان وطنيا غيورا وله في المواقف الوطنية قصائد عصماء . قال في بداية الاستقلال (١٩٤٣) مخاطبا الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية الاسبق :

لبنان بين يديك في استقلاله — يزهو على التاريخ في اجياله
والعهد في يمناك اصدق ما حوى — لبنان في ماضيه واستقباله
عهد تميز بالصراع ودونه — هول الجهاد اشد من اهواله
شعب تسلح بالحقوق واخر — متسلح بحديده ونصاله
قل للألى عرفوا الطغاة ونيرهم — وقساوة الغازي ووطء نعاله
لا تبخسوا الامم الصغيرة حقها — « فالحق منصور على خذاله »

الجاهل وحافظ ابراهيم : وللجاهل عدة قصائد غرامية وادبية ووطنية واجتماعية لم تجمع بعد في كتاب واحد ، وبعضها يعرفه اصدقاؤه عن ظهر قلوبهم لطلاوته. وقد صار له اسم كبير في عالم الشعر عندما نظم

(١) نبع في دير القمر .

قصة

عـــزة

بقلم حسني سيد لبيب

أعد كل شـــيء لحفـل الزفاف . لم يتبق سوى اسبوع واحد وانتهي من الرحلـة العريضة . كم كانت شاقة ومضنية ! . لقد كلفتني الكثير من المـــال والجهـد ، لكني وطدت العزم على ان افعل كل شـيء من اجلها . منذ عامين كان اول لقاء بيننا ، حيث قطنت اسرتها وقتذاك في الطابق العلـوي من منزلنـــا . طالعني وجهها النوراني ، وخلبتنـي بحيويتها وانوثتها الفاتنة . وطدت صلتي بأبيها واخيها ، وتعمـدت ان اختلي بها واتجـاذب معها اطـراف الحديث . في كل لقاء يجيء أحس بأني قد احببتها اكثر ، واجد نفسي مدفوعا اليها ، حتى باتت عواطفـي شيئا لا يمكن اخفاؤه او صونه فـي طوايا النفس . بحت لها بمـا يكنـه فؤادي ، لكنها لم تعرني أذنا صاغية ، فعزوت ذلك الى طبيعة المراة التـي تجتذب الرجال لكنها لا تصدهم ولا تبوح لهم بأحاسيسها . بعد تفكـير قاس وقلـق حائر ، تحدثت مـــع أبيها واعلنت له رغبتي في الـزواج منها ، وخطت الامور خطوات متثاقلة نحو الغاية التي تشبثت بها كطفـل بصر على شيء يمتلكـــه ، ويثـــير المنازعات من اجل الاحتفاظ به .

استغرقت الرحلة عامين كاملين ، دار فيها الحديث حول المهر والاثاث والبحث عن شقة ، وقد اعتبرت كل هذا امورا طبيعية يجب ان اجتازها. ذللت كل عقبة يختلقها ابوها ، كمـا اقنعت اسرتي بضرورة زواجي منها . وافقت امي على الزواج وباركتـه ، بينما وقف ابي موقفا متحفظا واخذ ينصحني بألا انساق وراء عواطفي ، فهي وحدها لا تكفي لبنـــاء حيـاة زوجية مستقرة .

ان الحياة بلا امل تعني المـوت او ما هو اقسى منه . لا ادري ايـن طالعت هذه الكلمات ، لكني اعيهـــا الان . ففي خـــلال رحلة العامـين الطويلين احسـست بأني احيا حقا من أجل هدف ما ؛ واحسست بطعم حلو للحياة . ان زواجي من عزة هو الامر الحيوي الذي يجب ان اوليه كـــل اهتمامي. ان الحياة تغيرت في ناظري وبت أرى الامور رؤيـــة جديـــدة واحسست بأن الحيـــاة تفتح لـي نافذتها المشرقة . حقا ان الحياة بـلا امل هي اقرب الى الموت ان لم تكـن أقسى منه .

وكم فرحت لنجاحي في ارضـاء نوازعها . شاركتها آمالها واهتممت بها اهتماما لاحظته ونوهت به :

ـ لا املك الا ان احبك ، فانـت مهتم بي لدرجة لا اتصورها . تنسى نفسك وتنظر لي نظـــرة لا افهمهـا وادرى معناها . احسست يا عادل انك مهتم بي بأنـي نفســـك . واذا احسـست امرأة باحساس كهذا نحو رجل ، فلا تملك الا ان تحبه .

خفق قلبـي لكلماتهـا الحلـوة . اقترب يوم الزفاف ، ذلـك اليـوم الذي ترقبته طويلا ، الا ان الايـــام القليلة الباقية تتثاقل وكأنها تتدال وتستثير شوقنا وتزيد من خفقـات قلبينـا .

مرض ابوها فجأة . دعوت اللـه الا يتثاقل عليه المرض ، فيوم زفافي يقترب .. الا ان ما ترغبه النفس لم يتحقق ، فالمرض تزيد وطأته والرجل يقترب من نهايته . اكـثرت مـن زيارته . وكان يتصادف ان اقضـي معه النهار كله . اخذت ادعو اللـه دعوات صادقة ليمن عليه بالشفاء ، لكن مضاعفات المرض جعلت امـل الشفاء معجزة لن تتحقق .

ان الاستعداد للزفـاف صـار استعدادا للموت ! .. هذا الزائـر الثقيل لا يأتي في الوقت المناسب ، يضجر اهل البيت ويكلفهم اعبـاء نفسية ليسـوا متأهبين لهـا . يا للحياة ! .. او يا للموت ! .. لقد تحولت الصورة المشرقة السـعيدة فجأة الى اخرى قاتمة حزينـة .. ولك ان تعجب للحياة او للموت فـلا فرق بينهما ، فللحياة مفارقاتهـا ، وللموت مفارقاته .. وكم هي قريبة تلك المسافة بين الحياة والموت ، او هي مسافة وهمية لا وجود لهـا . احساس بفيض يـأكل مشـاعري ويلهب اعصابي ، احسست الان فقط بأن الحياة والموت توأمان .

لا حديث للاسرة الا عـن الموت ، زائر يترقبونه ويتأكدون من قدومه . الموت يفرش ظلـه الكئيب في كـل ركن ، ويلون المرئيات بالسـواد . ملامح وجه عزة اظلتها ظلال كئيبة ، وباتت تفوه بكلمات متقطعة لا يربطها رابط ، وكأنها تعبـير عن تمـزق داخلي تعاني منه وتتوجع .

الزائر الثقيل لم يجعلنـا ننتظـر طويلا ، فذات صباح تمزق البيـت بالصراخ والعويل . نهضت مذعـورا من نومي فأحسـست بانقباض هائل في صدري . ان نذر الشؤم تتبدى لي وانا استقبل حيـاتي الجديدة . صراخ عزة يمزق اعصابي ويحطمني. لكم انت رهيب ايها المـوت ! .. لست اخافك ، ولا يمكن ان اخاف ، لكن فراق الانسان للانسان صعـب ومرير . علينا اذن ان نخطو خطواتنا في الحياة بحذر ، والا تخفق افئدتنا حبا للحياة وعشقا لمغرياتها ، فأنـت قريب منا دائما تعلن عن نفســك وتؤكد لنا انك الحقيقة الازلية التـي

لا يمكن لاحد ان ينكرها .

مشيت في الجنازة بخطوات بطيئة ، حزين النفس مكتئب الصدر . الكل يترحم على الفقيد . تذكرت عزة وزفافي الذي لم يتم . يا لها من قصة ! .. لا بد ان يتأخر حفل الزفاف اربعين يوما على الاقل ، لن يقام بالطبع حفل وانما سيتم كل شيء في هدوء ، فهذا هو الواجب وهذه هي التقاليد .

اليوم هو الخميس ، اليوم المحدد لحفل زفافي ، شاءت الاقدار ان نجعله يوم تشييع جنازة الفقيد .. تبا للاقدار العمياء ! .. وتبا لحفلي العاثر ! .

مدحت يبكي اباه ، اقتربت منه وواسيته ، الكلمات كانت فاترة ولم احس بصدقها . واصلت سيري البطيء ، وكأنه يوم ليس له اخر . كان القيظ شديدا ، والعرق يتصبب من جلدي كثيفا ، وحارا .

واجهت الموقف بشجاعة ، حاولت ترويض النفس لتقبل الوضع الجديد ، أديت واجباتي نحو الاسرة ، ولم ابح باكتئابي او احاسيسي القلقة . كتمت انفعالاتي وحرصت على رعاية عزة والاهتمام بأمرها . حاولت ان اشغلها عن الفجيعة التي تحس لوعتها كلما خلت لنفسها ، كنت الازمها اطول فترة ممكنة . لقد احبت اباها وتعلقت به ، كانت تركن اليه ملتمسة منه النصيحة والتوجيه ، وكانت تستسلم لمداعباته وتعتاد عليها ، حتى باتت ضرورة يومية ملحة . لم تكن تطيق تغيبه عن البيت ، واذا ما تأخر في عمله تقلق على غيابه ، وتحسب الدقائق في قلق حتى يعود فيرتاح بالها ويطمئن خاطرها . وكثيرا ما كان يقول لها مازحا :

ـ يبدو اني لم اتزوج احسان امك ، وانما تزوجتك انت .. فاحسان لا تقلق علي مثلك .

ويطبع قبلة حانية على جبينها الوضاء .

لم تكن عزة تحدثني في شيء الا ويتطرق بها القول الى ابيها الذي افتقدته .. لم اعد اسمع منها شيئا سوى حكايات كثيرة عن ابيها ، حبيبها الغائب .. ولم اكن اتضايق من حديثها ، بل انصت اليها واصغي لما تقول . لكن الدموع سرعان ما تسيل على خديها في الم ومرارة ، فتخنقني العبرات ، واحس حقا بأن عزة ليست سوى نفسي التي ارعاها واصونها .

قالت لي امي ذات مرة :

ـ ماذا تنوى ؟ .

ـ انوي ! .. لا شيء .

ـ لا شيء ! .. كيف ؟ .. هل الموت يمنعنا من ان نعيش ؟ .

ـ تقصدين ...

ـ ليس في الامر ما يعيب .. انها مشيئة القدر ، لماذا اذن تحمل نفسك ما لا تطيق ؟ .

ـ هل ترضى بالحياة معي ، وما تزال تجتر صورة ابيها في مخيلتها وتبكي فراقه ؟! .

اسهمت امي قليلا ، ثم قالت :

ـ انك لا تكاد تفارقها .. فما الذي يمنعكما من ان تعيشا في بيت واحد ؟ . لن نقيم حفلا ستصحب عزة ، زوجتك ، الى بيتكما .

ـ حقا ما تقولين .. لكن كيف اواجهها ؟ .

ـ سأتكلم انا ..

وتركت لامي حرية التصرف . وبسرعة عجيبة وجدت اخاها مدحت يحادثني في امر زواجي ويردد نفس الكلمات التي قالتها امي .

ـ ان عزة زوجتك منذ اشهر مضت ، وما دام الحفل قد الغي فليس في الامر ما يعيب .

وخفق قلبي .. احسست بأن الحياة التي سلبتني الكثير من سعادتي ، بدأت تشرق ، ولو انها اشراقة باهتة مثل اشراقة شمس الشتاء ، الا انها داعبت احلامي واحيت الامل في اشراقة شمس الربيع الرائعة .

تم كل شيء في صمت وهدوء .

ان عزة التي وجف قلبها حزنا والما على فراقه ، ما تزال تجتر ذكراه ، وتبكيه . مسحة الحزن تغلف وجهها المشرق فيرتسم على ملامحها الانين والاسى ، ويخبو بريق عينيها . حاولت ان اخرجها من عالمها الحزين ، واعوضها عن ابيها ، لكن محاولاتي ضاعت هباء ، ولم تعد تجدي معها حيلي . نقص وزنها ، وتغيرت صورتها المشرقة ، لم يعد يطالعني بريق عينيها وضحكات شفتيها ، صارت امرأة اخرى . لم تعد الايام تحمل لي شيئا حلوا . صحتها تزداد سوءا حتى لزمت الفراش صريعة الحمى . ما تزال عزة شيئا ثمينا احرص عليه واتشبث به .. قدمت طلبا باجازة لمدة اسبوع ، ولازمتها ليل نهار ، اتبعت ارشادات الطبيب حتى شفيت تماما .

احسست تحولا كبيرا في شخصيتها ، بدأت تفيق على صورتي وتهتم بي ، بعد ان اعتكفت الحياة والناس ، قالت لي في حنان جارف :

ـ لقد تحملتني كثيرا ، ولازمتني في محنة الموت ومحنة المرض .

تحولت الى شخصيتها المرحة ، وباتت تحرص على اسعادي ، وتهتم بي . الا انها احيانا تختلي في غرفتها ، وتذهل عما حولها ، ولم اشأ ان اتطفل عليها او اباغتها ، وانما اتركها حتى تفيق وتعود الى طبيعتها . تعودت منها هذا الشرود ، لكني لم احاول منعه ، وان كان يسبب لي ضيقا .

خلعت ثوب الحداد ، وتزينت . حاولت عزة ان تبدد الشبح الكئيب الذي جثم على انفاسها ، وبدأت تقترب من واقع الحياة ، فأحست بنسائم ربيعية رقيقة تهب على بيتنا الصغير وتمنحه انفاس الحياة ، واحسست بتباشير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السعادة تهل علينا . الا انها سحابة صيف سرعان ما تبددت وعادالبيت الى انينه واكتآبه ، فذات مساء افزعني صراخها ، احتضنتني وهي تصرخ في هلع :

ـ عادل .. عادل ..

فأدركت انها حلمت حلما مفزعا. طوقتها بذراعاي ثم اضأت النور .. وبعد برهة ، استردت انفاسها اللاهثة وافاقت من حلمها المزعج ، تنهدت وقالت :

ـ رايته .. رايته .

وضحكت :

ـ رايته يا عادل ...

ـ من ؟ .. رايت من ؟ ..

ـ ابي .. كان يضحك ، كان يرقص في حفل زفافي ، يرقص رقصا طويلا .. كأنها رقصة الحياة ، او هي رقصةالحب .. لا .. انها ، انها رقصة الخلود ، الخلود الذي لا يعرف له انتهاء .. رايته يا عادل .. كان يضحك ، ينظر لي ويضحك .. وظل يضحك ، ويضحك ، ويضحك .. ثم اسرع نحوي واحتضنني ، وحينذاك افقت ، ادركت ان ابي مات .. مات ! .. فصرخت ..

واجهشت بالبكاء ....

ـ مات يا عادل .. مات ابي .. هذه هي الحقيقة الوحيدة التي اعرفها .

أانت صغيرة يا عزة ؟ .. اين ايمانك بالله ؟ . الا تعرفين اننا جميعا سنموت ؟! .

وفي اليومالتالي ، جلسنا جلسة عائلية . فباحت بحلمها للجميع وهي سعيدة بحلمها، فقد رأتاباها مرة وفاته . اكفهر وجه امها وتغيرت ملامحها ، وقالت امي على التو ..

ـ ربنا يستر .. فالحلم ينذر بالشؤم .

تنهدت عزة قائلة :

ـ شؤم ! .. كيف ؟! .

ـ تفسير الحلم هو ان شخصا ما سيموت ! .

شردت عزة طويلا ثم تركتنا واسرعت الى غرفتها في انفعال وعصبية .

عاتبت امي :

ـ ما هذا الكلام ؟ .. الا تعرفين ان عزة حساسة ؟ .

ـاندفعت في الكلام يا بني دون ان ادري أن تفسير الاحلام يستهويني ، هذه طبيعتي كما تعرف .

ـ لكن عزة تأثرت . لا شك انها تنتحب .

ـ لست اقصد . ربنا يطول في عمرك وعمرها . سأذهب لاصالحها .

ونهضت لتصالحها .

اصبحت عزة امراة لا تحتمل ، تختلق مناسبة ما لتحدثني عن الموتوالاموات ، ولا يلتذ لها حديث سواه . باتت تسألني اسئلة غريبة كالاطفال ، اسئلة انسان يتعرف على حقائق الكون لاول مرة ! .. ما الموت ؟! .. وكيف نموت ؟ .. واذا كان الموت حقيقة فهل هناك حقيقةاخرى تكمنوراءه ؟ .. ما السر الاعظم الذي ينطوي عليه الموت ؟ .

الموت هذه الكلمة الغامضة اصبحت تطاردني بها وتتفلسف حولها فكرهت الفلسفة ، وملت حديثها . لاول مرة اشعربالملل واكره الساعات التي اقضيها في البيت .. اختلق مواعيد تافهة واشغل نفسي بارتباطات لا معنى لها حتى اهرب من الجحيم الذي لا يطاق .

شيرين ، زميلتي في العمل ، تهتم بي وتوليني عناية خاصة . شخصيتها قوية ، كلماتها هادئة . اعجبتني طريقة تفكيرها ، فهي فتاة واقعية .. شكوت لها عزة ووصفت لها حالها ، فعللت لي ذلك بأن اباها قد اثر فيها تأثيرا قويا ، حتى بات من الصعب عليها ان تستقل بنفسها وتنسى صورته او حتى تتناساها .

سألتها :

ـ اهي تحب اباها اكثر مني ؟ .

ـ لا ادري ، لكن فراق ابيها لم يكن سهلا او هينا .

ـ عزة انسانة حساسة جدا ، وتنفعل لاتفه الامور .

ـ يجب ان تشملها بعطفك ، ولا تتذمر لتصرفاتها . واصل واجبك كزوج .. عليك ان تحرص عليها وترعاها .

كانت كلماتها حلوة رقيقة ، وكان رايها يعبر عما في نفسي تماما . ان شيرين تحاول ان تكشف لي ما في باطن نفسي ، علىعكس ما كنت اتصوره ، فقدظننت انها ستجذبني اليها وتقربني منها ، وتصرف انتباهي عن عزة ، لكنحدث العكس تماما . فكان سلوكها هذا دافعا لي للتشبث بها اكثر ، فلا شك انها فتاة نبيلة ، تتصرف بما يمليه عليها الضمير . بدأت اوليها اهتمامي ، واتعمد الحديث معها . صارت حال زوجتي مثار حديثنا دائما ، لكني كنت اختلق الحديث اختلاقا حتى اتقرب منها واكسب ودها ، وكم كان خجلي حين تورطت في اقوال مبالغ فيها . وقد دفعني الى هذا حرصي على التقرب من شيرين ، لكني تمزقت، واحسست بأني انسان غريب . احسست بأن ابتسامتها الهادئة تسخر مني ، وكلماتهاالرقيقة تتحداني ، وآراءها الرزينة تصفعني . صرت انسانا غريبا حتى عن نفسي . كانت تصرفاتي غير متزنة ، وكنت كمن يبحث عن شيء يبتغيه دون ان يتعرف على كنهه . احسست اني انحت الصخور بأظافري . حاولت البوح لها بعاطفتي ، لكني جبنت وخفت من نفسي برغم ثورتي عليها .

أعلن لي الطبيب فجأة :

ـ استعد لاستقبال مولود جديد .. عزة حامل .

أفقت حينذاك ، وادركت اني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زوج، وسأصبح ابا . يجب ان اقبر احاسيسي المتمردة . شيرين صورة مشرقة اضاءت سماء حياتي الحالكة السوداء فجأة ثم اختفت .. أوه .. يجب ان تختفي .

حين سمعت شيرين مني النبأ الجديد ، انبسطت اريحيتها ، وداعبتني بكلمات رقيقة عن الاطفال وشغل البيت، ومسئولياتي الجديدة .. ثم قالت :

ـ سأزورك لاتعرف على زوجتك، واراعيها في ايام الولادة .

ـ اشكرك يا شيرين .

كانت تزورنا كثيرا ، وكنت احيانا ادعوها الى الغداء ، فأصحبها بعد خروجنا من المكتب الى البيت. اهتمت بزوجتي اهتماما زائدا ، فاعتبرت ذلك اهتماما بي . اكثرت أمي من زيارتها . وامها تلازمها طول النهار والجزء الاكبر من الليل واحيانا تبيت معها . الجميع يولونها اهتماما كبيرا . ترى .. هل أثرت فيهم كل هذا التأثير ؟ .. ام ان شخصيتها تستميل الجميع وتستهويهم ؟ .. ام هي الشفقة والعطف ؟ .. لا ادري بالضبط ، لكني الفيت نفسي ايضا اوليها اهتمامي بعد طول جفاء واحاول التقرب منها . ان الذي كان يدهشني هو انها لا تعاتبني على جفائي ، لا شك انها تختزن في اعماقها كل الاحزان والهموم . يا لها من امرأة ! .. انها لا تشكو ، فقط تصف لي احساسها .

قالت لي ذات يوم :

ان الوليد سيشبه ابي ..

ـ كيف عرفت ؟ .

ـ فراستي .. انا سعيدة يا عادل . لقد تغيرت .. اعرف انك تضايقت مني ، لكن الجنين الذي في احشائي يشغل بالي واحس .. احس انه بديل لابي .. ان روح ابي ستحل في جسده !!

ـ مرة اخرى تتفلسفين .. انك تبدين لي كشخصية اغريقية لا سلطان على تفكيرها الا سلطان الاساطير .

ـ تفضب كثيرا ..

ـ لست غاضبا ..

وتركتها وهرعت الى غرفتي ، أحرق انفاس الليل بسجائري .

اشرف الدكتور عصمت على صحتها ، وتكفل برعايتها . همس في اذني ذات مرة :

ـ اقول لك الحق ، انا قلق على صحتها . أرجو ان تكون الولادة طبيعية .

ـ ماذا تعني يا دكتور ؟ .

اجابني بنظرة عميقة جسدتها عوينات نظارته تجسيدا مخيفا . زم شفتيه ، واطرق برهة ثم قال :

ـ لا ادري .. انه حدس الطبيب . عزة مريضة بالحساسية وقد تؤثر على صحتها اثناء الرضع. حقا هي مريضة ، وانا اول من شخص لها هذا المرض . لقد تسببت عقدة نفسية في زرع المرض في دمائها ، لكن ما العمل ؟ .

اتصلت هاتفيا بالدكتور عصمت حين بدات تعاني الام الوضع . كان موقفا عصيبا بالنسبة لي ، تصبب العرق بغزارة من جبهتي واحسست بأني على وشك الهذيان . قد اكون مصابا بالحمى ، لا ادري .. صوت الطبيب يهمس في أذني :

ـ سأنقلها الى المستشفى ، الولادة عسيرة .

يا الهي ! .. كيف تتحمل عزة هذه الالام المبرحة ؟ . خشيت ان يتطلب الامر معجزة من السماء .

امام باب غرفة العمليات المغلق، وقفت مضطربا ، احرق السجائر بعصبية ، واخشى ان .. ان تموت .. يا الهي .. اني احس بطعم الموت ، لكم هو مرير وقاس . لكنه قضاء الله ، ويجب ان نسلم به . واذا ماتت ، فتستريح من الامها المبرحة . تذكرت الان حلمها البغيض ، وتفسير امي للحلم . احقا يتحقق الحلم ؟! . في غضون الايام الاخيرة ، كانت تكثر الحديث عن الموت وتسألني اسئلتها المبهمة، وكأنها مدركة دنو اجلها . ليكن قضاء الله ، او حظي العاثر ، فأنا راض به . لكن .. لا بد ان يعيش الجنين ، لن يموت . انه ابني ، وابنها . سيكون الوليد ذكرى عزيزة لامه . سأحسن تربيته ، وارعاه . لكن ! .. اني في حاجة الى المراة التي ترعاه . اوه ! .. انها شيرين ، الفتاة الرقيقة المهذبة . انها انسانة نبيلة ، وقفت بجانبي حتى هذه اللحظات دون اي غرض او مصلحة .. انها تستهويني، وتناسبني كزوجة ترعى الوليد الجديد . سيمر اربعون يوما قبل ان اشرع في مثل هذا الزواج ، أمي قد تعجل بي ، وقد أطيعها .

تخرج احدى الممرضات من غرفة العمليات ، تمليت في وجهها الصامت ثم استفسرت :

ـ ماتت ! .

ـ لم تمت . تشجع يا استاذ عادل . ان الاطباء يحاولون انقاذها لكن يبدو ان لا امل .

ـ والمولود ! .

ـ بالطبع سيعيش .

يا للاطباء ! .. اناس متفائلون حتى اللحظات الاخيرة . يدعون انهم سينقذون المرء من الموت ، بينما هم موقنون بأنه سيموت في النهاية . انا الوحيد الذي اعرف النهاية المحتومة واروض نفسي على قبولها . ان الحلم البغيض ما يزال يرن صداه في اعماقي ، انه يتحقق في هذه اللحظات العصيبة. شيرين خير امرأة تصلح لي وللمولود الجديد . سأهتم به واجعله شغلي الشاغل . سأشترط على شيرين ان تربي المولود وترعاه كأنه ابنها تماما ، ستكون امه عوضا عن عزة التي ماتت .. ماتت ! .. أوه .. ماذا اقول ؟ .. أماتت حقا ؟! .. يا للافكار السوداء ! .

وعد الى مدينة مرصية

رأيتك في سرير الشـــوك
يا رملية العينين ، مرميه
تنقر لحمك الغربان ،
فتملؤني جراح البعـد ،
يا مكسورة الاغصان
أغمض جفنـي التعبـان
في لقيا ـ لنا ـ وراء التلة الخضراء
في الجـــولان ،
في جفنيك محميه

رأيتك يـا قنيطرتي ،
كقبرة بقلب الصبـح
تشكو فرقة الخلان من دارك ..
وتومي للشذى والريح ،
في أرتال زوارك .. ؟!
تبشرني ، بأن القمح والرمان ،
مضفور لاطيـــارك ..
ولكن ، كف سجانك ،
مكبلة ، بحقد الاعور الدجال ،
يقفو روعة الازهار ، يذبلها ،
لان اظافر القرصـان ،
تخفي الخبـث ، بالغـــدر ،
شلت اذرع السجان
أيا مسلوبة الاردان

لن تنسى روابيـك ! .
لان بنادق الفرسان
آتيـــــة ،
على وعد مع الجولان ،
في الفجر ، تحييك ...

جبتك يا هضاب الانس
يا مخضرة الاعطاف ، والقمه
لثمت ترابك المحزون ، في بانياس ، والحمه
فلا تأسي ، لان الشمس في حرمون ،
لن تطفـأ .. ولن تطفـأ !! ..
فيا مرهقة الازهـار
عمري ، ليته ما كـان
ان مـــت ،
ولـم أثـار .. !
وهذا ((نذري)) المحتوم
ـ أن أثـار ـ
لعينيك الزنود السمر
آتيـــة ،
مع الفجر ، مع الفجر
لتحييـك ..
فلا تأسي ، قنيطرتي ...

دمشق — اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبيب يخرج من غرفة العمليات ، مهرولا نحوي . يبدو عليه الاعيـاء والاجهاد ، يقول لي :

ـ انها ارادة الله .

ـ ماتت ! .

ـ اواسيك .

انهمرت الدموع من عيناي .

ـ اضطررنا الـــى الاجهـاض لننقذ الام . يجب ان يحدث شـيء كهذا . كان الجنين مؤنثا مثلمـــا انت تتوقع ، لكن مشيئة الله ارادت ذلك . اعتقد ان نجاة الام تعـادل التضحية بالجنين .

ـ عزة لم تمـت ؟ .

لست ادري لماذا لم اصدق مـا قاله الطبيب ؟ . هرعت اليها لاتأكد بنفسي . الفيتها ترنو الي بعينيهـا الوادعتين ، وانفاسها اللاهثة كأنها تعتب على جحودي .

ـ عزة ...

ثم اختنقت الكلمات في حلقـي فأسعفتني الدموع .

صوت الممرضـــة يتناهى الى اذناي :

ـ حقا هي دموع الفرح . مبروك يا استاذ عادل ، فالزوجة لا تعوض ابدا .

قبلت جبينها الوضاء . ان حبـا رائعا ولد الان ، واحسست به قويا وعظيما . احسست بقوى خفيـة تشدني اليها . حقا مات الجنين ، لكن حبا عظيما ولد الان في قلبـي ، واضاء جوانب نفسي الحائـرة . احسست بأن نفسي قد تطهرت من دناياها ، وهواجسها . لم تفق عزة من المخدر بعد ، الا ان عينيها تعلقتا بي ، كانتا رائعتين حقا .

القاهرة — حسني سيد لبيب

مكتبة الاديب



مع الريح

مجموعة شعرية ـ للشاعر الفقيد عبد السلام عيون السود ـ ١١٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بسورية.

ديوان صغير من الشعر ، باقة منضرة من الالحان ، ابيات معدودة تجهش بالعواطف ، حياة قصيرة كالومضة الزائلة ثم موت وانتهاء وتراب، وبعد خمسة عشر عاما من النسيان والصمت تصدر مجموعة شاعرنا الفقيد عبد السلام عيون السود « مع الريح » فتستقبلها الاوساط الادبية هنا استقبالا حارا ، من عاصروا الشاعر في حياته يمجدون مرحلته وطريقته ، ويدعون الشعراء الجدد للعودة الى نبع الشعر المهموس ، المقفى الغنائي الهادىء ، والشعراء الجدد يجدون في شعر عبد السلام عيون السود ومدرسته الفنية مرحلة يرتبط تقييمها النقدي بتاريخ ولادتها وامتدادها ، ويطالبون بتجاوزها لاختلاف ظروف وطبيعة وتركيب وهموم المجتمع في اوائل الخمسينات عنه في اواخر الستينات.

وقبل ان نصاحب الشاعر في رحلته « مع الريح » ينبغي أن يعرف القارىء لمحة عن حياته وشاعريته حتى يربط بينهما وبين قصائد الديوان فتخرج الصورة عندئذ شبه متكاملة ويتاح لمن يريد ان يكون فكرة عن الشاعر ان يلتقطها من خلال هذه السطور والآراء والمعلومات التي سترد في هذه الكلمة النقدية السريعة ، اذ مما يؤسف له ان الذين كتبوا عن عبد السلام ودرسوه وقيموا شعره قلة ولي الفخر ان أكون في مقدمتهم فقد نشرت عنه دراسات وتعليقات ولقطات في الصحف الحمصية خاصة منذ عشر سنوات وما أزال كلما اكتشفت جديدا في شخصيته الشعرية ، أعرضه واوضحه رغم قلة القصائد التي خلفها الشاعر بعد موته ، وضآلة الاخبار والمصادر التي تحكي عن حياته .

ولد عبد السلام عيون السود في حمص عام ١٩٢٢ وبعد دراسته الابتدائية التحق طالبا في الكلية الشرعية بحلب حيث توثقت لغته ونضج فهمه ، وتعمقت قراءاته في الشعر العربي القديم وخاصة البحتري والنواسي والشريف الرضي ، ثم ترك الدراسة مبكرا تحت ضغط الحاجة والفقر ، فعمل موظفا بسيطا في الانتاج الزراعي ثم في وزارة المالية ثم ملاحظا في مطار .

وفي العشرين من عمره بدأ كتابة الشعر بشكل مغرق في تقليدية مسطحة ، ثم بعد ان اطلع على نتائج شعراء المدرسة الرومانتيكية والرمزية في الادبين العربي والفرنسي وهضم مطعيات بعض روادهما ، اصبح ذا اتجاه متميز في الشعر ، وكعادة الاهل المحافظين ، تزوج عبد السلام في بدء شبابه ، بعد أن أخفق في حبه ، ومات عن ثلاثة اولاد وزوجة غمرته بحنان عجيب في حياته ، واستمرت بعد مماته دون زواج تعكف على تربية ابنائه الذين اصبحوا الان شبابا وصبايا .

أصيب عبد السلام بمرض التوسع الاكليلي في القلب واكتشفه في مراحله الاخيرة ، قبل وفاته بثلاث سنوات مما جعل شفاءه مستحيلا ، وكان لا يستجيب لنصائح الاطباء في الاقلاع عن التدخين والسهر والتعب والانفعالات ، وتعاطي المشروبات الروحية ، مما عجل في وفاته بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٥٤ وكان في الثانية والثلاثين من عمره .

يبدو عبد السلام عيون السود في شعره شاعرا مضنى وانسانا معذبا وفكرا يائسا ، يستقطب موضوعاته الشعرية من نقطة واحدة، ومنطلق أثير هو الحزن ويجمع احاسيسه العاطفية في هذا الملتقى ويسربلها بشهقة من الالم والصمت . الا ان حزنه حزن بلوري شفيف ليس فيه طبيعة الثورة أو صفة الانعتاق كحزن أستاذه وصفي القرنفلي، انه حزن الانسان الذي حدس قدره وأدرك مصيره فلا واحة لديه يستروح فيها عبق الامل ولا اشراقة روحية تعصف بكيانه فترده الى التعلق بأهداب الحياة . لقد كانت خطا المأساة تنتحب في كل سطر من شعره والغرابة كل الغرابة ان هذه المأساة لم تثر يوما ولم تعربد ، بل طأطأت للمصير طأطأة الشراع ، اسلم للموج .. دغدغه الموج ولواه ، ثم احتضنه وقبله وطواه .

وقد كانت آثار هذا الحزن ومردوداته النفسية تبدو في موضوعين متلاحمين من شعر عبد السلام هما المرض والحب ، وما اكثر ما يبتلى الشعراء بهذين الداءين ، وما اقسى ما يلاقون منهما فاذا بهما يتداخلان تداخلا عجيبا حتى ليحار المرء في التفريق بينهما أيهما السبب وايهما النتيجة ، فيجمعهما بعد طول حيرة في قرن واحد . أولم يكن أبو القاسم الشابي يعاني مأساة عبد السلام نفسها : مرض القلب والحب ؟ .. اولم يعبر عن هذه المأساة في شعره الحزين اليائس ؟ .. كذا فعل عبد السلام ، عبر عن تجربته حيال مرضه اولا وحيال حبه ثانيا وجمع بينهما في اكثر الاحيان وها هوذا في قصيدته « متعب » يرسم ظلال مأساته ، مرض في القلب وتعب ينعكس على الروح قبل ان ينعكس على الجسد ، وكانه بذلك يعيد صرخة مالارميه المتهالكة : « ان الجسد لحزين » .

انا يا اخت متعب ، وسلي الريح ، سليها تجبك عن اعبائي
وانا أنت في انفلات الاعاصير بدنياي ، وامتداد شتائي
شفني الدرب فارتميت على الدرب ، مصيرا معصبا بدمائي
كيف أحيا يا اخت ، ادركني الليل ودب الصقيع في اعضائي
وتهاويت مثقلا ناء بالعبء فالقى يديه : خيطي عناء

والشاعر في قصائده عامة يحكي حكاية تعبه في تنسيق شعري فائق للعادة ، تنسيق في الالفاظ بهمسها الرقيق ، وظلها الوريف ودلالاتها الشعورية الخصبة وتنسيق في الصور بأبعادها الرمادية وملمسها الرومانتيكي وقدرتها على الايحاء . ومن هنا فالقصيدة عند عبد السلام ، معاناة يعبر عنها باخلاص فني مرهف ، فنحن لا نلمح في شعره زيفا او تصنعا في تحويل التجربة الواقعية الى صنيع جمالي ، بل نقع على عفوية مسيجة بالحدود الفنية ، ولا شك ان ترسخ المرض في قلب شاعرنا هو الذي اسبغ على شعره هذه القشعريرة الرومانتيكية الاسيانة اذ لعبت في قصائده ، كانسان ممزق وضائع وقلق ، دورا كبيرا فاغنته بفيض من المشاعر الكئيبة والاحاسيس المتعبة والالوان القاتمة ، وقل ان نجد شاعرا معاصرا تمثل تجربته المأساوية وعبر عنها تعبيرا فنيا صادقا كما تمثل عبد السلام تجربته وعبر عنها ، وها هوذا امام الموت وجها لوجه يخاطب زوجته :

أنا يا صديقة مرهق حتى العياء ، فكيف أنت ؟
وحدي أمام الموت ، لا احد سوى قلقي وصمتي
والليل اعمق ما يكون ، سرى .. واسفرار بعيده
وهناك في الاعماق آهات وأشواق جديده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهفـــو فتلتفـت الطريـق .. وتسأل النسمات عني
ويرود وجهـك فـي الذهـــول ، فيطمئن اليـه ظني

وكان عبد السلام تلميذا مخلصا لوصفي قرنفلي يسير على مذهبه، ويقتفي خطاه ولا يتعجل في نشر قصائده وانما يعمل فيها جـــده وأعصابه ويحرقها في المقطوعة الصغيرة حرقا ، ولكنه تفرد بالاسترسال الشعري وعفوية النظم ، وابتكار الموضوع ، انه يقول الشعر قولا فنيا ولا يصنعه صناعة مفضوحة ، وهو يعتمد في قصائده على رقة اللفظة وموسيقيتها ، وصفائها أكثر من اعتماده على تفجر الصور في خياله . وهكذا أبدع عبد السلام من القصيدة غمغمة طفولية حلوة سخية البوح وهتافا قلبيا صافيا ، وهو نسيج وحده في انتقاء الكلمة حتى ليخيل اليك انه يصوغها من المحال ، ففيها دفء حروف ، ونبع تـلاويـن وظلال ، الا ان معجمه ، احيانا يتقلص عن استيعاب الرؤى والملمـة الحس ، لذا يبدو في قصائده شاعرا مجفلا ، يريد ان يطوي درب الابداع الى النهاية غير ان ضآلة المفردات في ذهنه ، وقصور ثقافته اللغوية تعيقانه وتقطعان عليه المشوار وقد تكونان سببا في قلـة انتاجه ودورانه في حلقة ضيقة تستهدف ذاته فقط . لكن تكرار الالفـاظ ذاتها على لهاته لا يعيبه كشاعر لم يتعمق في موروثنا الشعري وينهل من عطاءاته الثرة ، انما قد يكسبه احيانا صفة البساطة المحببـــة والهمس الشعري الناعم :

بعيـدا ذهبت ولـم اذهـــب وغافلـــت في الافـق الارحب
بعيـدا على هدهـدات النـداء وخفق الريـاح وحدو «الاب»
بعيدا الى حيث تفنى الحدود وتنهـد اجنحـة الموكـب
بعيـدا وخلفتنـي في الدروب بقـايـا تمـوت مـع المغـرب

وكان عبد السلام ماخوذا في شعره الحزين بمذهب (البرناسيين) وخصوصا (مالارميه) لهذا انكب على ما ترجم له لانه لا يعـــرف الفرنسية هذا المذهب الذي تسقط فيه الدلالة المنطقيـة ، واللهجـة البيانية الخطابية ، ويناى عن استعمال اي تعبير مبتذل رخيـص «الكليشه» ويسعى الى تحقيق شعر صاف مثالي ، يميل الى التانـق والفواء ويرتفع الى مرتبة الارستقراطية الشعورية فهو لا يعبر عـن الاشياء بل عما توحيه الاشياء او تذكر به .

وبتاثير هذا التيار الشعري الفرنسي حاول عبد السلام ان يتجه نحو (الشعر الصافي) في نتاجه وقد نجح في ذلك نجاحا فائقـا ، فلو التفتنا الى الخفق الموسيقي في شعره لوجدناه وليد تآزر منسجم بين رنين اللفظة الشعرية النشوى وانسياب البحر العروضي ، واذا كانت موسيقى الشعر نصفه فان عبد السلام قد جبل انسراح موسيقاه مع دفق عواطفه ، فكان شاعرا يتطلع دوما الى العلاء وفـي جبينـه رفيف الجناح اليافع ، وعذرية الكلمة البكر ، وانثيال العواطـف الجاهشة . وهو اضافة الى ما ذكرناه صاحب موهبة غنية فـي مطلع قصيدته وختامها ... انه يعرف كيف تكون البداءة ـ لثغة مفزولة من أشعـة القمر ـ وكيف تكون نهايتها الحلوة على حلم ماتع ، وهكـذا فقصيدة عبد السلام اطراقة رأس ، قبل جفون . وذهول خـاطر .. وهو لا يلبث أن يفتتح حتى ينتهي وكانه يقول لك : انا متعب ، ونفسي الشعري يتحشرج :

يـا دفء .. مـاذا جنيـت طويتنـي ، فـانطـويـت
مـا ترتئـن ارتـايـت وتشتهيـن اشتهيـت
اردتنـي لـك ظـلا .. فكنتـه ، واكتفيـت
وانـت ، انـت جـراح علـى شـذاهـا ارتميـت

جنيـت ، مـاذا جنيـت مضيـت بـي فمضيـت

كتب عبد السلام من مقالة له بعنوان « صحو بليد » يقول ـ وبالمناسبة فان نثره كشعره حلاوة وموسيقى وصورا ـ : « اغفر للشاعر في مرحلته الاولى ان يلتزم طرائق تقليدية جاهزة في شعره ، اما ان



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل٠ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
Tel : المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحرق فيها كل مراحله التطويرية ، فموتا يموت » وما يصدق هـذا الكلام على شيء قدر صدقه على عبد السلام وفنه فقد بدأ متعثـرا بأحابيل الكلاسيكيين في مثل قوله :

تسائلنـي بالله : كيف جفوتها وكيف أمر اليوم مر المجانب
وتقسم أنـي قـد سلوت وأنهـا تخاف من التغرير بعد التجارب

واستوى في النهاية مع المجددين طبقا لزمنه .

وكان عبد السلام يصر على الموهبة الاصيلـة عند الشـاعـر ، ويعتبرها في شتى مناخاتها اقوى من الموت ، كما كان يشكو من بلادة الحياة ورتابتها في مدينة كحمص لا تستطيع ان تزود الفنان بالتجارب الخلاقة وتسخو على طبقة معينة من الجوف والبله والحمقى والغريبين عنها ، بالنسق الاعلى ، وتبخل على ابنائها المزودين بالحاسة الفنيـة والقادرين على تسجيل انعكاساتها بصدق ، بالضئيل الضئيل مـن الانفتاح والتنفس والوجود ، واذا كان عبد السلام لم يحرم من الموهبة الاصيلة التي اعتبرها شرط الشاعر الفنان ، بل زود بفيض دافـق منها ، فانه بالمقابل حرم من تنوع التجربة ، ومن لذة المعاناة ، ومـن جمـال الرحيل ، وفي هذا المعنى يقول : « لسنا اقل موهبة وحمـى من بودلير وفيرلين ورامبو ، ولكننا مع الاسف لم نتعرض لما تعرضوا له من تجارب ولم نسعد بما سعدوا به من حضارة تتجاوب اصداؤها ثرة ملهمة حتى في اضيق الغرف » .

وللشاعر الفرنسي « رامبو » قولة مشهورة : « لقد عيبت » اطلقها بعد ان حاول ان يصل في القصيدة الى النظريات الفنية التي تطلبها في الشعر مثل « كيمياء اللفظة » ولكنه لم يستطع ان يحققهـا بعـد اربع او خمس سنوات من بداءته لنظم الشعر فصمت وتحـول من شاعر الى تاجر عاج وتوابل وذهب وعبيد في افريقيا . وفي عبـد السـلام مشابه من هذا الموقف ، لقد كثر شعره نسبيا ـ فهو بوجه عـام شاعر مقل ـ منذ سنة ١٩٤٧ ، وحتى سنة ١٩٥١ ، ثم انطفـا بعـدها انطفاء كليا ، والفارق بين رامبو وعبد السلام أن الاول سكت لانـه طالب أن يحقق الفن الشعري شيئا لم يتمكن هـو من تحقيقه ، فاعتزل كقائد شريف يخسر معركة ويحترم نفسه ، اما الثاني فقـد الجمه الفقر والمرض والتناقضات الاجتماعية الحادة في سورية عشية الاستقلال ، فابتعد عن الشعر لانه ادرك نهايته اولا ، وكان يبحـث باستمرار عن ثمن الرغيف والدواء ثانيا ، فما دور الشعر في احباط كهـذا ؟ ..

اينعت موهبة عبد السلام عيون السود وأعطت ثمارها في مجلـة « الاديب » فاعدادها منذ اواخر الاربعينات ، وحتى اوائل الخمسينات مرصعـة بقصائده ، ولولا وجود هذه القصائد منشورة في « الاديب» لما اتيح لهذه المجموعة ان ترى النور فالمرجع الاول والاساسي في جمعها كانت أجزاء « الاديب » في تلك الفترة ، اذ ان الشاعر اسلم اوراقه واشعاره ورسائله للنيران ، قبل ان يلفظ آخر انفاسه .

حمص **ممدوح السكاف**

•

فـي الادب العربي الحديث

بحـوث ومقـالات ـ للدكتور يوسـف عـز الدين ـ ٣٥٨ صفحـة ـ حجم كبير ـ مطبعـة ؟

لا اظـن ، اليـوم ، اديبـا يجهـل مـا اسـدت ايـادي الاسـتاذ الكبـير الدكتور يوسـف عز الديـن في الادب العربـي الحديـث ، ولعل من كان يقرأ مؤلفاته القيمة يقر ـ معي ـ بانها من خيرة الاسفار التي تضمها المكتبة العربية والتي تتسم بالاصالة والموضوعية الجادة .

واليوم يطلع علينا كتابه « في الادب العربي الحديث » وهو زاخـر بالبحوث الادبية الدسمة ، التي لا يستغنى عنها اديب ، سـيما وقد حفلت هذه البحوث بالنصوص التاريخية من شعر ونثر فهو بحق ـ كما ارى ـ مصدر مهم من مصادر الدراسات الادبية .

يقع هذا الكتاب في ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير وقد بوب تبويبا حسنا ، وضع له مقدمة وافية في الادب ودوره المهم كأساس من اسس النهضة الفكرية ودعامة لبناء حضارة الامة ورقيها ، موضحا صلة الشاعر ببيئته ومجتمعه ، ورسالة الشعر في الحياة ومقوماته التـي يسـتند عليهـا .

ثم يأتي بعد هذا التمهيد الجميل بذكر التيـارات الادبيـة فـي العراق وجذورها العريقة التي تمتد الى التراث الاسلامي والعربـي ، وروافده التي يستمد منها الفزارةوالحيوية ومن اهمها الدين الذييلعب دوره الاكبر في الادب حتى كان للشعر نصيبه الاوفر منه ، فقد اتسم الشعر بروح دينية منذ زمن صدر الاسلام وحتى وقتنـا الحـاضر ، تدعو الى الاخذ بتعاليم الاسلام والسير على نهجه والوقوف بوجه الظلم والكفر ، و (شعر الحسين) كما يذكره المؤلف الفاضل خير نمـوذج يستشهد فيه ويستدل به على دور الدين ، فان في شخصية الحسين عليه السلام المثل الحي الذي تجمعت فيه المثل الاسلامية .. اسـتمد منه الشعراء وجعلوا منه مكتسبا لحياتهم .. ويأتي بعد ذلـك بذكـر الرافد الثالث الذي كان لا بد لمعظم الشعراء ان يستمدوا منه وينهلوا منهله ، وهو رافد المناسبات التي تهب الشاعر بعطائها اكثر ما شـاء من التعبير في رحابهـا ..

ويجدر بي ان اشير الى ان شيئا قد يلفت النظر في هذا البحث وهو ان الاستاذ عزالدين ذكر في بدايته بأن التيار الادبي كانت تمـده اربعة روافد (ص ١١) غير انه عندما يفصل في الحديث يذكر ثلاثـة منها ، على وجه التحديد ، ويردفها بمواضيع اخرى ، كالصوفيـة والمرأة ، والفقر ، الخ .. ولم يشر بوضوح الى أي من هذه المواضيع هو رابـع الروافـد ؟ !

وبعد ان يقف على خاتمة المطاف في هذا البحث يقول : (هـذه هي الملامح العامة للشعر العربي في العراق وقد اتخذته قاعدة للبحث عن الادب كله ، لان النثر في العراق لم يستكمل نضجه ولم يصل الـى ما وصل اليه الشعر .. ص ٢٤) .

لذلك ارى لو كان الاستاذ الفاضل لم يحدد في بداية الحديـث روافد الادب ، مقتصرا على القول بأن هناك عدة روافد ويستطرد فـي مقـالاتـه ! ..

وتأتي بعد هذا البحث دراسة عن « اثر الفكر في الادب الحديث » وهو موضوع شيق لا يكاد يدعك تشعر بملل لما فيه من جزالـة فـي الاسلوب وبساطة في التعبير متسلسلا فـي الافكـار والنزعـات ، وموضحا دورها الذي لعبته مع ذكر النماذج والنصوص الادبية في هـذا الصـدد ، وما استمده الادب الحديث منها ..

وتتلو هذه الدراسة دراسات قيمة اخرى عن الشعراء المبرزيـن من امثال معروف الرصافي وتجديده وثورته الفكرية ، وجميل صدقي الزهاوي ونزعاته واتجاهات شعره ، وابي القاسم الشابي الشاعر الذي اودى به القدر وهو في عنفوان الشباب مبينا الظروف التي اكتنفتـه واثرها في شعره . فدراسة عن المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي والمرحوم الشيخ اليعقوبي ومحمد الهاشمي وخيري الهنداوي وشـاعر الارتجال الشيخ عبد المحسن الكاظمي مستشهدا لكل من المتقدمـين بنماذج من شعره ومحللا الاغراض التي طرقها كل شاعر منهم مشفوعة بذكر النصوص الادبية في حقهم . ويأتي الاستاذ عزالدين بعد هذا كله بعرض سريع للقصة العراقية ونشأتها وما ظهر في الفترة الاخيرة مـن شباب كتبوا في القصة وتأثرهم بما ترسمه الحياة المعاصرة .. ويشفع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا البحث بنشأة الشعر الحر في العراق وعرض موجز لبعض من كتب في الشعر الحر مستشهدا بنماذج متعددة منه ..

ويختتم الاستاذ عزالدين كتابه بدراسة في ادب المرأة متحدثا عن مكانتها الاجتماعية فدراسة عن الشاعرة فدوى طوقان مع نماذج من شعرها وما لابسته من ظروف عصيبة اثرت فيه ودور وعد بلفور المشؤوم وغير ذلك مما جعل شعرها جياشا بكل ما كانت تعانيه فدى طوقان .

وذيل الاستاذ الفاضل كتابه بفهارس الاعلام والامكنة ومحتويات الكتاب ..

هذه لمحة سريعة موجزة في الادب العربي الحديث للدكتور يوسف عز الدين وهو غني عن التحدث عنه ، شاعرا وناثرا وحسبنا شاهدا مجاميعه الشعرية « في ضمير الزمن » و « الحان » و «الهات الحياة» وكتبه القيمة التي لا يسعنا الا ان نتحدث عنها ..

وختاما نشكر الاستاذ عزالدين صنيعه ونرجو للشباب ان يحتذوا حذوه ويقتدوا به وشكرا على هديته القيمة لنا ..

النجف الاشرف **محمد رضا آل صادق**

•

مـــا علينـــا

ديـوان لعلـي عبد الرحمـن ـ ١٠٤ صفحـات من الحجم الكبـير ـ مطبعة شبـير ببيروت .

كنت اذا التقيت ببيروت بعلي عبدالرحمن وهو من الموظفين المرموقين في كليه التربية بالجامعة اللبنانية ، لم اجده الا متحليا بالصمت معنيا بعمله اليومي حتى بدءت منه بوادر كلام تكشفت عن قدره وادبه وشعره وكان صاحبنا ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يقول ومعه احسن الكلام فليقل وان للسكوت موضعا ، وللكلام موضع وكان مما ند من قول الشاعر الاديب علي عبد الرحمن ان له ديوانا قيد الطبع وقلت له ما سميته فاجاب :

ـ مـا علينـــا ...

فرحت استشف من هذه الكلمة عالما من المعاني قد القي تبعاته على غيره وراحت تحميه هذه العبارة التي تنفي ما سمونه بالتعبير المعاصر « المسؤوليـة » .

ومرت شهور فاذا البريد يحمل الي الى دمشق ديوان « ما علينا » موسوما باسم الشاعر علي عبد الرحمن الذي احب أن يدخل عالمنا الادبي بجواز كريم .

وقد استفتح الشاعر ديوانه باهداء اثر في تاثيرا بعيدا ذلك انه اهداه الى معلم هذب نفسه ونقى شعوره فانتقلت خيالاتي الى اناس علمتهم وحصلوا على درجات الدكتوراه وكانت أثارهم ورسائلهم تدلف الي بأيديهم مهداة الي حتى ان استاذا في كلية الحقوق بدمشق جاءني برسالة للدكتوراه مطبوعة وقد كتب في اهدائه .

ـ الى من علمني في التجهيز في الجامعة اهدي اول نسخة من رسالتي .

ولن يعجب قرائي الاعزة في « الاديب » الاغر انني حصلت على النقيض فثمة من علمتهم ولما اشتدت سواعدهم رموني .

وكيف دار الامر فانني اهتززت لذلك الاهداء ، وزاد اهتزازي حين عاينت مقدمته المختصرة التي كان فيها سديد الراي حين لم يشأ ان يكتب له احد مقدمة على شعره وقد اخذ بحلبة من كلام الشاعر الكبير الياس ابو شبكة في ديوانه « الافاعي » عرف بها الشعر ومن تعريفه اياه القى المؤلف بين ايدي القراء ديوانه « ما علينـا » وهو اول منتوجـه .

وشاقه الناي والنغم في شعر الفريد دوموسيه بقصيدته المشهورة « اذكريني » فكانت اول قصائد في ديوانه مقطوعات متوالية بانشودة اذكريني .

وأخذ مقطوعات شعره وقصائده تتسر ومثل افواف بستان في مهب نسيم عليل بمطلع من مطالع الربيع فراح يغني حبه وآلامه وينشد اشواقه وتأملاته .

وقد تأنى في تشويق قرائه وكنت منهم ابحث عن قصيدة تحمل اسم الديوان فاذا بها تطالعني من اخر الديوان بقوله :

ما علينا لو حملنا
فوق كف النسمات
وتسلقنا خيوط
النور حتى النيرات

وحين ألقى الشاعر علي عبد الرحمن سأقول لـه :

ـ اين كان شعرك هذا مستسرا فلم تعلن نفسك فيه للملأ قبل طبعه بديوان بانك شاعر .

وسأروي له سيرة الشاعر الكبير والكاتب الناثر صديقي الاستاذ محمد سعيد العامودي أديب الحجاز كيف كنت القاه بمكة ويزورني فلا يشعرني بانه أديب او شاعر حتى حصلت على مجموع لآثاره كان قد قام بطبعه زعيم النهضة الفكرية الاستاذ الجليل محمد سرور الصبان ، فأن له كتابا في ادباء الحجاز وشعرائه ومنهم العامودي دعاهم الى ان يكونوا شعراء حقا وادباء مرموقين .

ولما عرفت ذلك قلت لصديقي الاستاذ العامودي (١) :

ـ يا لك متواضعـا .

وكذلك سأقول لصديقي الشاعر الموهوب علي عبد الرحمن :

ـ من تواضع لله رفعه .

(١) للدكتور زكي المحاسني مقال ضاف عن الاديب الشاعر الاستاذ محمد سعيد العامودي تحليلا وعرضا لكتابه « من تاريخنا » تنشره زميلتنا مجلة « الرحمة » ببيروت . (الاديب) .

دمشق **زكي المحاسني**

•

هـل للانسـان مستقبل ؟

تأليف برتراند رسل ـ تصدير ارنولد توينبي ـ ترجمة سمير عبده ـ ١٥٥ صفحـة ـ نشر دار دمشـق .

لا ريب في ان اهم مشكلة تهدد حياة الانسان هي خطر الحرب النووية، ذلك الخطر المتسلط على رقاب البشر ، وهم لا يملكون الوسائل الكافية لتبديده ، او هم لا يفكرون في ذلك تفكيرا جديا ، فمينا بأن يزيح هذا الكابوس عن صدر الانسانية المهددة .

وبرتراند رسل هو اقدر من تصدى لهذا الخطر الماحق بالتحليل الوافي ، محاولا اعطاء الحلول الواقعية لدرئه او ابعاد شبحه ما أمكن . وما حداه الى تأليف مثل هذا الكتاب ، على حد تعبير توينبي ، الا « ذلك الاهتمام المخلص النابض بالمحافظة على الجنس البشري . وضمن هذه الفكرة الاساسية يمثل الكتاب نقدا بناء ، هو عنيف شديد الوطأة حينا لشرور الانسان وغبائه ، وللجرائم والحماقات التي ارتكبها . ولكن ذلك لا ينسيه المكاسب الروحية والفكرية التي حققهـا افضل من يفضلون النوع البشري » .

مخاطر الحرب النووية : يسهب رسل في وصف وتحليل الاخطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي تهدد البشرية فيما اذا استمرت في طرق سيرها الراهنة . ويشير بصورة خاصة الى خطر القنبلة الهدروجينية وقنبلة الكوبالت والى قوتهما التدميرية ، كما يشير الى الخطر الناجم عن تعدد الدول المالكة للقنبلة النووية ، في حالة هي اقرب دوما الى حافة الحرب ، ولا سيما ان هنالك دوما حروب محلية يدعمها كل من المعسكرين المتخاصمين ، قد تنقلب فجاة الى حرب نووية عالمية تدمر الارض ومن عليها في غضون ساعات معدودة .

وغير خفي على احد ما صرح به العسكريون الاميركيون مرارا من ان كافة البشر مهددون الم يكن بالفناء السريع الماحق ، فبالموت البطيء بالامراض التي تسببها الاشعاعات النووية التي تحدث سرطان العظام وتخريب الخلايا وتشوه الجسم واضعاف النسل .

ويركز على عامل الخوف نفسه في خلق توتر حاد يدفع خطر الحرب الى اقصى سرعة ومفاجاة ، وهو يورد ما يقوله مؤلف اخر سيمور ملمان في كتابه « التفتيش على نزع السلاح » : ما دام التكتيك العسكري واساليب التقنية قد اصبحت قائمة على فكرة الرد السريع ، فان سوء تقدير واحد فقط قد يؤدي الى حرب نووية هائلة . وقد حدثت اخطاء بشأن هجوم روسي مزعوم ، حيث اعطيت عدة تحذيرات من اقتراب قاذفات قنابل سوفييتية ، وبدأت قاذفات القنابل الاميركية رحلة تدمير ردا على الهجوم المزعوم ، وتبين قبل فوات الاوان بأن الرادار كان يسجل طيران سرب من الاوز فوق غرونلند .

ان احتمالات حدوث كارثة عالمية بسبب خطأ بشري او تكنيكي لا يمكن تجاهلها .

فمن المحتمل ان يتسبب رجل معتوه او مصاب بامراض عصبية، فقد السيطرة على زمام نفسه ، ان يتسبب في انفجار اسلحة نووية في أي مكان من الارض .

ويهمنا في هذا المجال ان نعرف ما قاله رسل بالحرف الواحد :

« هنالك ما يدعو الى الاعتقاد بان اسرائيل ستمتلك القنبلة الذرية قبل مضي وقت طويل ، ومن المؤكد ان تحذو الجمهورية العربية المتحدة حذوها » .

الحلول المقترحة : لهذا الوضع الخطر يقدم لنا رسل اربعة حلول اساسية يمكننا ارجاعها الى ثلاثة اذا نحن اعتبرنا «تخفيف حدة التوتر» حلا تمهيديا ، من شانه ان يهيء الجو لخلق الظروف النفسية والسياسية للحلول الباقية .

وهنالك شرط اساسي لنجاح هذا الحل ، هو الاخلاص من قبل الطرفين في الجلوس على طاولة المفاوضات ، ليس بهدف تفوق وذكاء احدهما على الاخر ، لاطالة امد الامر الواقع ، والسير على حافة الحرب بغية اجبار الخصم على اعظم قدر ممكن من التنازلات وانما بوجود تصميم على التوصل الى اتفاقية عامة تحافظ على توازن سليم ، وتقضي على خطر الحرب النووية . ويعتاض عن الحرب بالتنافس على المشاريع الانمائية ، لرفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لدى الدول المتخلفة ، واحترام حياد الدول غير المنحازة ، وتقوية نفوذ هيئة الامم المتحدة ، لاعطائها صفة الحكم القدير والنزيه في المفاوضات المقبلة ، واحترام مبدأ تقرير المصير .

الحكومة العالمية : يعتبر هذا الاقتراح اجرأ حل يقترحه رسل للخلاص من الوضع الخطر الذي تتخبط فيه الانسانية ، ولئلا يتهم باضافة يوتوبية جديدة الى اليوتوبيات السالفة ، يقترح عددا من الاجراءات التمهيدية والمرافقة ، التي من شانها ان تجعل هذا الحل واقعيا ومقبولا .

فلا بد اذن من تنازل القوميات عن جزء من سيادتها للحكومة العالمية التي عليها ان تتسلم زمام الامور فيما يخص العلاقات الخارجية ومنها علاقات الحرب والسلم . كما يقترح انشاء اتحادات ثانوية كبرى تكون بمثابة مرحلة عابرة الى الحكومة الجديدة .

ويقترح ايضا مجلسا تشريعيا ومجلسا تنفيذيا وقوة عسكرية تأتمر بامرها لتتمكن من فرض السلام بين الدول المتخاصمة . كما يطلب من الدول الحالية ان تنزع سلاحها الذري لتتسلمها السلطة الموحدة ، فيسهل عليها تلافي اخطار الحرب او اطفائها قبل امتدادها .

ويوكل اليها مهام تنسيق الاقتصاد العالمي ، وتخفيض الهوة الفاصلة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، كما يقترح ايضا ان يكون لها دستور فدرالي وقوانين عالمية تخضع لها حتى الاتحادات الثانية والدول الحالية ، وذلك لتفادي اخطار الدكتاتوريات العسكرية، او الجموح الى طرق في الحكم تهدد السلام العالمي ومصير البشرية .

نزع السلاح : يقول رسل : « ان الخطوة الاولى يجب ان تكون ايقاف التجارب النووية . والثانية منع انتشار الاسلحة النووية الى دول جديدة . والثالثة هي عقد اتفاقية عامة للكف عن صنع الاسلحة النووية ، هذه الاتفاقية تتطلب نظاما دقيقا للتفتيش . ويأسف رسل لما ابداه الغرب من سلبية ازاء اقتراح خروشوف بنزع السلاح الشامل ، رغم جديته ، كما يطعن بكافة مؤتمرات نزع السلاح ، ويصفها بانها عقدت بشكل يدعو الى السأم . ويضيف : « فلا الشرق ولا الغرب يرغب بصدق في نزع السلاح ، انما يهتم بايجاد طرق للاعلان عن رغبته في نزع السلاح دون محاولة للتطبيق » .

المشكلات الاقليمية : وهو برأيي اضعف الحلول المقترحة من حيث ضعف المعالجة . فهو يسهب في تحليل قضية برلين ، في حين لا يتعرض بما فيه الكفاية لقضية كوبا والكونغو وفييتنام او لما اصطلح على تسميته بقضية الشرق الاوسط .

وكان لا بد له كفيلسوف عالمي ان يعالج قضية القومية بعمقها وشمولها ويعطيها كافة ابعادها الانسانية والحضارية التاريخية والاجتماعية المتطورة ، لكي يميز بين القوميات الاصيلة التي اعطت الانسانية حضارات متتابعة ومتكاملة ، والقوميات المصطنعة التي زرعها الاستعمار الحديث قلاعا عسكرية ومستعمرات استيطانية ، في قلب القوميات الاصيلة ، فكانت اشبه شيء بالسرطان منها بأي جسم اخر . وطبيعي ان يؤدي ذلك الى اختلال توازن السلام في بقاع عديدة

بمناسبة افتتاح المدارس تقدم

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

جميع الكتب المدرسية

عربي فرنسي انكليزي

من العالم ، وهذا من صلب موضوع هذا الكتاب .

كذلك فان مفهوم الحرية والديموقراطية لم يعالجها بعمق فلسفي من شأنه ان يؤدي الى تطوير العالم نحو سلم حقيقي وعادل وثابت الركائز .

ورغم كل ذلك فالكتاب قيم وهام ، لما ينبه اليه من اخطار داهمة، ولما يعطيه من حلول واقعية للخروج من هذه الاوضاع القلقة . وبوسعنا ان نهنىء المترجم الاستاذ سمير عبده ليس للجهد المبذول في ترجمة هذا الكتاب القيم ، بل ولحسن اختياره امثال هذه الكتب التي يهم كل انسان واع اقتناؤها ومطالعتها لئلا يبقى في جهل فاضح للمصير القاتم الذي يتهدده .

ولا بد لنا ان نشير اخيرا الى فسحة الامل والتفاؤل التي اختتم بها رسل كتابه هذا :

« ان تحرير الروح الانسانية يمكن ان يؤدي الى مجالات ورؤى جديدة ، من المستحيل ان تتحقق في عالم الماضي الشرس . وانني لأرى بعين خيالي عالما من المجد والسرور ، عالما يسرح فيه العقل ، عالما يظل فيه الامل زاهرا[1] . كل ذلك يمكن ان يتحقق ، وعلى جيلنا تقع مسؤولية القرار في الاختيار بين هذه الرؤيا او بين نهاية يجرها على نفسه بحماقته » .

دمشق — داود درويش

•

اليهـود في القرآن الكريم

تأليف : عفيف عبد الفتاح طبارة ـ ٢٤٠ صفحة ـ مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦

ربما كان الاحتلال الصهيوني لاجزاء من الوطن العربي هو الموضوع الذي يشغل كل ذهن ويحتل ساحة التفكير والانتباه عند كل انسان منا في هذه الظروف . فليس عجيبا اذا ان يسترعي انتباهي سريعا كتاب بعنوان « اليهود في القرآن الكريم » فاعمد الى شرائه وقراءته لاستكنه محتواه واعرف ما قاله القرآن الكريم عن اليهود . واذا كنت قد قرأت القرآن بمجموعه فان قراءتي له ، فيما يتصل بالاطلاع على ما ورد فيه بشأن اليهود ، لا تماثل قراءة هذا الكتاب ، ذلك لان المفترض في مؤلفه ان يكون قد جمع الايات التي لها علاقة بذكر اليهود جميعها ، وبوبها وناقشها بطريقة خاصة وتفكير خاص . واذا فبالاضافة الى محتويات الكتاب من آيات مبوبة مرتبة ، يتوقع القارىء ان يطلع على وجهة نظر انسان مثقف في مثل هذا الموضوع الهام ، بينما يرد ذكر اليهود في القرآن بشكل موجز متفرق حسب مناسبات القول .

والكتاب تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة ويقع في ٢٤٠ صفحة من القطع العادي وقد قسمه مؤلفه الى أربعة ابواب خصص الباب الاول ليعرض من خلاله اليهود في نظر القرآن . والباب الثاني تناول فيه قصة احد انبياء اليهود البارزين يوسف كما وردت في القرآن . وانتقل في الباب الثالث ليحكي لنا قصة موسى كما رواها القرآن الكريم . واختتم كتابه في الباب الرابع بالقاء اضواء على القصة في القرآن .

وقارىء الكتاب يجد على مغلفه بخط كبير عبارة « اليهود في القرآن الكريم » وتحتها بخط عادي : « تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الاحداث الحاضرة مع دراسة وتفسير قصتي يوسف وموسى وما فيهما من عبر » . واريد الان ان القي ضوءا على مدى تقيد الكاتب بهذا العنوان في كتابه .

فنحن نجد في الباب الاول حديثا عن أسماء اليهود واصلهم واول هجرة لهم الى الجزيرة العربية وموقفهم من الاسلام حين ظهوره ولقائهم مع الرسول في يثرب ، ثم النزاع الذي كان بينه وبينهم وتآمرهم على الاسلام ، ثم نطلع على مناقشة اسباب حبهم للمال ، والمادية المسيطرة عليهم ، ونعرف شيئا من غرورهم وجبنهم وغدرهم واجرامهم وافسادهم في الارض واثارتهم للحروب وممارستهم للسحر . ويتحدث الكتاب في فصل من فصول هذا الباب عن سبب هجاء القرآن لهم ، ووصاياه التي ألقاها عليهم ويسرد لنا بعدئذ حديثا عن الحروب التي دارت بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفي نهايته ينقل لنا اخبارا مختلفة عما لاقاه اليهود من اضطهاد في مختلف بقاع العالم ، وعلى مر العصور ، ثم يعلل لنا اسباب هذا الاضطهاد .

ونستطيع ان نقول بأن هذا الباب مكرس كليا للحديث عن اليهود ، وان لم يقتصر على ذكر القرآن لهم ، او على علاقتهم بالعرب والمسلمين الا انه يتصل اتصالا مباشرا او غير مباشر بالعنوان الاساسي للكتاب. هذا اذا استثنينا بعض المواعظ والارشادات وبعض العبارات التي أريد منها اثبات ان القرآن وحي منزل من الله ، والتي يخرج فيها المؤلف عن طور الكاتب الموضوعي في بحث من الابحاث الى طور الخطيب والمرشد . وانا لا أعترض على طبيعة هذه الارشادات والعبارات لانها قيمة دون ريب ، ولكن اعتراضي على مكانها المقلقل بين اسطر الكتاب حيث تكاد تخرج بنا عن موضوعنا الاساسي الذي نحن بصدده ، اذ ان الغاية الرئيسية من الكتاب هي أن يعرض علينا اليهود كما ورد ذكرهم في القرآن لا ان يرشدنا ويعظنا ويثبت لنا وحدانية الله وصحة وحيه الى رسوله فذلك له مجاله الخاص .

وينتقل المؤلف في الباب الثاني ليروي لنا قصة يوسف النبي اليهودي كما جاءت في السورة المسماة باسمه . ولقد وفق غاية التوفيق في تحليلها وعرضها وتوضيح الجوانب الموجزة منها ، فكان يعمد الى كل فقرة فيحلل معانيها ثم يعرض علينا الايات التي تحكيها بعد أن تكون قد استوعبنا جميع ابعادها . ولكنه يسبق كل مجموعة من الايات بعبارة : « واقرأوا هذه الايات » وارى ان تكرار تلك الجملة الطلبية بهذه الكثرة لا مبرر له ، فيكفي ان يورد لنا الايات لنقرأها ولن نمتنع عن القراءة اذا ما حذف عبارته هذه .

ويصل بنا في الباب الثالث الى سرد قصة موسى عليه السلام مع فرعون فيعرضها بالطريقة البارعة الشيقة التي عرض بها القصة السابقة . وينهي كلا من البابين الثاني والثالث بحديث عن الدروس والعبر المأخوذة من كل قصة . وهذه العبر رغم جمالها الذاتي فانها تبتعد دون ريب عن العنوان الذي لفت انتباهنا حول اليهود في القرآن ، اذ يتخيل القارىء في بادىء الامر انها عبر تتصل بشيء من المقارنة بين ما ورد في القصتين عن اليهود وبين ما نراهم عليه الان في عالمنا المعاصر . ولكن هذه المقارنة لم نر منها الا النزر اليسير ، وانصرف هدف الكاتب الى التحليل الفكري الاسلوبي للقصتين واهمل هذا الجانب المتصل بموضوعنا الاساسي .

ثم القى المؤلف في الباب الرابع بعض الاضواء على القصة في القرآن الكريم ، وأظن أن القارىء يوافقني هنا اذا اشرت الى مدى التباعد الفكري بين هذا الباب وبين الباب الاول ، لا سيما حين نصل آخر فصل من الباب الرابع حيث نجد حديثا عن منهج القرآن في الدلالة على وجود الله ووحدانيته .

ورغم انني قرأت الكتاب في يومين متواليين قراءة متصلة الا اني أحسست بالتباعد الكبير في الموضوع بين بدايته ونهايته . فبينما كنت أشعر في البداية انني بصدد حديث عن اليهود في القرآن اذ بي اخرج من الكتاب بحجج قرآنية تدل على وجود الله ووحدانيته . وكأنني بالمؤلف اخذ يتفلت من اسار موضوعه شيئا فشيئا حتى تركه نهائيا موليا وجهه الى غيره . فبماذا نعلل هذا التصرف ؟ او لم يكن بالامكان تأليف كتابين صغيرين احدهما عن اليهود في القرآن ، والثاني عن حجج

القرآن العقلية في اثبات وجود الله ووحدانيته . يضاف الى ذلك الانقسام بعض الاشارات المعترضة الخاطفة التي أراد منها الكاتب تبيان بلاغة القرآن وفصاحته . وكأني بهذه الافكار المختلفة المتداخلة بين جوانب حديثه قد ابعدته في نهاية كتابه عن هذا الحديث كليا .

وقبل ان اختم هذا المقال أود الاشارة الى ناحية بسيطة استلفتتني في الحديث عن تعليل حب المال عند اليهود ، اذ ارجع المؤلف هذا الحب الى عاملين : الاول عقيدتهم التي تصفهم بانهم شعب الله المختار ، وهذه الصفة تدفعهم الى السيطرة على الرباط المالي الذي يستطيعون به التفوق على الناس جميعا والثبات بصفتهم هذه امام الشعوب . والعامل الثاني يرجعه الى عقيدتهم المادية التي لا تؤمن بحياة اخرى . وهنا يكمن الاعتراض .

وأبادر الى الاعتراف قبل ذلك بانني لا ازعم لنفسي تضلعا في الامور الدينية ، ولا سيما اليهودية منها ، ولكني اعتقد انه ليس هنالك دين سماوي لا يدفع اتباعه الى الايمان باليوم الاخر . والاديان السماوية متشابهة في هذا المضمار . واذا فربما امكن القول بأن مادية اليهود كادت تنسيهم التفكير في اليوم الاخر . وربما لا يكفينا في هذا الصدد العودة الى الكتب التي تحدثت عن التوراة وحدها كما فعل المؤلف ، وانما يتوجب ان نعود الى التوراة نفسها ، واذا لم نجد فيها ما يتصل باليوم الاخر فلا بد ان يكون قد حذف منه شيء او ناله تغيير ، اذ يستبعد ان ينزل الله ديانة الى فئة من عباده ولا يذكرهم فيها باليوم الاخر الذي هو محور كل دين سماوي .

ثم أن المؤلف يورد في هذا المجال الآية القرآنية التي تخاطب اليهود : « قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين » ويعقب عليها بقولها : « علل القرآن المانع لهم من تمنى الموت بانهم يعرفون انفسهم انهم عاصون مقترفون للذنوب التي يستحقون عليها العقوبة ، فتمني الموت هو الميزان الذي يعطينا الحكم الصحيح عن ايمان الشخص . فالمؤمن المحسن يتمنى الموت لان وراءه حياة افضل من هذه الحياة » ص ٣٦ .

وهذه الايات وما تلاها من تعقيب تكاد تنقض الرأي الاول بان شريعة اليهود لم تتضمن ذكرا لليوم الاخر ، ذلك لانهم يعتقدون كما يظهر من خلالها انهم سيستأثرون بالدار الاخرة خالصة لهم عند الله ، فكيف يكون هذا اعتقادهم اذا كانوا لا يؤمنون بيوم آخر .

ونخلص في الختام الى ان الكاتب قد بذل جهدا قيما ومشكورا دون ريب في كتابه ، ولكنه لم ينسق موضوعه التنسيق المطلوب بل تداخلت عنده الافكار حتى نقلنا في النهاية هذه النقلة المفاجئة الى مجال جديد من القول لا يكاد يتصل بشيء من الصلة مع الموضوع الاساسي الذي كان عنوان الكتاب تلخيصا له وتعبيرا عنه .

دمشق — لطفية الشهابي

●

الادب العربي

باللغة الاسبانية ـ تأليف المستشرق الاسباني الدكتور خوان فرنيه

ان للحضارة العربية في اسبانيا جذورا عميقة تمتد الى شتى جوانب الحياة الاسبانية سواء أفي الاخلاق او العادات أم في الفكر والادب والفن . فاهتمام الاسبان عظم بكل ما يتعلق بالتراث الثقافي العربي وهم في طليعة الشعوب التي تبعث هذا التراث وتنقده وتحلله وتستخرج منه اروع الطرائف الدالة ابلغ الدلالة على ما كان عليه الفكر العربي في الماضي من خصب وما حققه اليوم أيضا من وثبة أدبية تتمثل في أعمال كتاب العرب المعاصرين البارزين .

ومن دلائل اهتمام الاسبانيين بالشرق العربي وتطوره ، ان المستشرق الاسباني الكبير الدكتور « خوان فرنيه » قد وضع باللغة الاسبانية كتابا اسماه « الادب العربي » وصلتنا نسخة منه فاستعنا على مطالعتها بصديق يحسن الاسبانية . وقبل ان نتحدث عن هذا الكتاب نرى لزاما علينا ان نقدم شخصية مؤلفه . فنقول .. ان الدكتور « خوان فرنيه » هو اديب كبير ، ومستشرق فذ . ولد في برشلونة في ٣١ يوليو ١٩٢٣ . وقد اهتم منذ نشأته بدراسة علوم الفلك والرياضيات ثم اهتم بتاريخ الشعوب الشرقية ، ثم تلقى في كلية الفلسفة والاداب في جامعة برشلونة دراسات في اللغات السامية ، وحذق العربية والعبرية والارامية . وفي عام ١٩٤٦ أسندت اليه وظيفة مدرس في الجغرافيا والتاريخ . ومن عام ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٣ عين استاذا مساعدا للتاريخ الاسلامي والعلم العربي في جامعة برشلونة ثم عين استاذا للغة العربية في هذه الجامعة نفسها عام ١٩٥٤ .

ومن اهم اعمال الدكتور «خوان فرنيه» ترجمة كاملة للقرآن الكريم وترجمة ثلاثة مجلدات من كتاب الف ليلة وليلة . كما وضع طائفة من الدراسات اهمها : « تأثير الثقافة الشرقية في البلاد الغربية منذ القرن الثامن الى القرن العاشر » و « علاقات الاسلام بالمسيحية » و « الاسلام في مراكش » و « المسلمون الاسبانيون » . وهو الان يساهم في تحرير عدة مجلات اسبانية اهمها مجلة « الاندلس » والمجلة الدولية للتاريخ ، ودائرة المعارف الاسبانية . كما انه عضو في المجمع الادبي الملكي في برشلونه. هذا هو الرجل . اما كتابه عن الادب العربي، فقد راعتنا منه دقته واحاطته الشاملة بكل ما يتعلق بالادب العربي قديمه وحديثه .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عدة فصول ، تناول فيها الادب العربي في العصر الجاهلي ، وكيف تأثر الادب بعد ذلك بلغة القرآن الكريم ، وكيف كان الادب في عهد بني امية ، والشعر والنثر في العصر العباسي. وظل المؤلف يتدرج هكذا في الدراسة والبحث حتى انتهى الى النهضة الادبية الحديثة في مصر وفي مختلف الاقطار العربية .

وقد افرد في كتابه فصلا مستفيضا عن النهضة الادبية المصرية ، ثم تناول في نظرة ثاقبة اعمال البارزين من ادبائنا ، فتحدث عن طه حسين وصدق اعترافاته في كتاب « الايام » ، وعن قصة « زينب » التي وضعها الدكتور محمد حسين هيكل ، وعن سلامة موسى ودراساته الاجتماعية ودوره في حركة التجديد في مصر ، وعن المازني واسلوبه الساخر الفكه ، والعقاد وعبقرياته الاسلامية . ثم اسهب في التحدث عن مسرحيات توفيق الحكيم معجبا بها ، وعن شخصية ابراهيم المصري كروائي نفساني عميق ورائد كبير من رواد نهضتنا . ثم اشاد بالجهود الادبية المرموقة التي قام بها طاهر لاشين ومحمود تيمور ونجيب محفوظ ويحيى حقي ويوسف السباعي واضرابهم . كما لم يغفل الشعر في الصور الدقيقة التي رسمها لشوقي وحافظ ومطران وعبد الرحمن شكري وابو الوفا وعلي محمود طه وغيرهم .

واما الاقطار العربية فقد استوفى ادباءها بحثا وتحليلا مميزا منهم شخصيات شكيب ارسلان ومحمد كرد علي وابراهيم اليازجي ونصيف اليازجي ونسيب عريضه ونازك الملائكة . كما تحدث ايضا عن الكاتب الكبير البير اديب صاحب هذه المجلة وعن جهوده الرائعة المتصلة في خدمة الفكر والادب العربي طوال اكثر من ربع قرن من الزمن .

وصفوة القول ان هذا الكتاب القيم الذي وضعه الدكتور « خوان فرنيه » هو اعتراف صريح بالجهود التي بذلها ويبذلها ادباء العربية وتقدير صادق ومنصف لهذه الجهود التي تساهم في التراث الفكري العالمي ، وتماشي ركب الحضارة وتدل دلالة بالغة على اهتمام شعوب الغرب بنهضتنا الثقافية التي ما تفتأ تزدهر وتتالق وتؤتي ابرك الثمار.

القاهرة — كرم عطا الطويل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

انطون عطاالله - عبد القادر الحسيني

بقلم البدوي الملثم

١ ـ انطـون عطا الله

الحكمة التي آمن بها الاستاذ عطاالله واتخذها دستورا وشعارا قول وليم غاريسون : « اعلموا ايها الناس ان الكلمة التي أقولها أعنيها بالذات ... لا أحاول ولا اراوغ ولا اجامل في قولي احدا ، لا ولا أسحب كلامي .. ولا اعتذر عن شيء انشره ... أجاهد واثبت واجد ... وسيكون صوتي مسموعا بينكم ! » .

ولد الاستاذ انطون عطاالله في القدس ، زهرة المدائن ، سنة ١٨٩٧ ودرس في مدرسة الاتحاد اللوثري المعروفة بـ « مدرسة الدباغة » بين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ وفي خريف سنة ١٩٠٨ التحق بـ «مدرسة الاتحاد المسيحي الامريكي » كطالب داخلي وتخرج منها سنة ١٩١٢ والتحق بالقسم العلمي في الجامعة الاميركية ببيروت وكان في طليعة المبرزين بالرياضيات ، وبقي في الجامعة الى ان دعي للخدمة العسكرية . وفي اوائل ١٩١٦ نقلته السلطات العثمانية مع فريق كبير من الطلاب الجامعيين من سكان فلسطين وسوريا ولبنان الى مدرسة التدريب العسكرية في طوزله ، على الجانب الاسيوي من البوسفور ، وهناك أتم تدريبه العسكري وخرج برتبة ملازم ثان ولكنه لاذ بالفرار من الجيش العثماني بعد اعلان الثورة العربية .

وبعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ عاد الاستاذ عطا الله الى فلسطين وحاول الحصول على اذن بالسفر الى الخارج ليدرس الهندسة ، ولكن السلطات البريطانية حالت دون سفر سكان المناطق المحتلة الى الخارج ، فبقي في القدس وعين سنة ١٩١٨ موظفا في مكتب المستشار القضائي وفي سنة ١٩١٩ مديرا للمكتب المذكور .

وفي سنة ١٩٢٠ التحق بـ « معهد الحقوق الفلسطيني » وتخرج منه سنة ١٩٢٤ بشهادة دبلوم وهي اعلى من شهادة الليسانس وتعادل الماجستير في الحقوق .

وفي شهر كانون الاول من سنة ١٩٢٤ عين مدعيا عاما لقضاء يافا ، وكان هذا القضاء يشمل كامل المنطقة الساحلية من قضاء طولكرم حتى الحدود المصرية . وفي سنة ١٩٢٦ تولى وظيفة مدعي عام قضائي القدس ويافا ، وفي سنة ١٩٢٧ عهد اليه بوظيفة مدير النيابات العامة بالوكالة .

وفي سنة ١٩٢٨ نقل من النيابات العامة الى المحاكم وشغل اولا وظيفة قاضي صلح ثم مراقب المحاكم ثم كبير قضاة الصلح . وفي سنة ١٩٣٢ عين قاضيا في محكمة مركزية القدس ونقل سنة ١٩٣٩ ، أي بعد اعلان نشوب الحرب العالمية الثانية ، عضوا الى محكمة مركزية حيفا وبقي هناك حتى استقال في خريف ١٩٤٣ ، وخلال هذه الحقبة انتدب مرات ليعمل قاضيا في المحكمة العليا بالقدس .

وبين سني ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ زاول المحاماة وبرز في ميدانها وترافع في العديد من القضايا الهامة في هذه الفترة ، وخاصة في القضايا التي كانت تقام على المجاهدين العرب او التي كانت تتسم بطابع سياسي .

وفي سنة ١٩٤٤ عين الاستاذ عطاالله نائبا لرئيس بلدية القدس ، وكان عدد الاعضاء العرب واليهود في المجلس البلدي متساويا ، أي ستة لكل منهم ، وبعد وفاة رئيس البلدية المرحوم مصطفى الخالدي سنة ١٩٤٦ طالب العرب بتعيين عربي اخر كرئيس للمجلس البلدي مكانه غير ان اليهود أثاروا حملة في القدس ولندن لتعيين يهودي رئيسا لبلدية القدس بداعي انهم اصبحوا الاكثرية في القدس ، فتلكأت حكومة الانتداب باتخاذ قرار حاسم بهذا الشأن وعمدت الى تعيين عضو المجلس البلدي المحامي اوستر رئيسا للبلدية بالوكالة وبذلك نقص عدد الاعضاء العرب واصبح اليهود ، بصوت رئيس البلدية بالوكالة ، الاكثرية المطلقة في المجلس البلدي ، وازاء هذه اللعبة .. لم ير الاستاذ عطاالله بدا من تقديم استقالته ، بوصفه نائبا لرئيس البلدية ، مع باقي الاعضاء العرب احتجاجا على اجراءات حكومة الانتداب ، وبذلك فقد المجلس البلدي النصاب القانوني ، فاضطرت الحكومة بسبب ذلك الى حله وتعيين موظف انكليزي هو المستر كريفس لادارة شؤون البلدية حتى نهاية الانتداب ! واثر ذلك قامت حكومة الانتداب بتعيين قاضي قضاة فلسطين السير وليام فيتزجرالد للتحقيق في الخلاف القائم حول رئاسة بلدية القدس وتقديم توصيه بصددها .

وكان الاستاذ عطاالله في عداد الشخصيات التي مثلت عرب القدس أمام هذه اللجنة وكانت حجته التي أدلى بها ان مدينة القدس كانت عربية الصبغة عند الاحتلال البريطاني ، وعند صدور صك الانتداب كان يديرها مجلس مؤلف من اكثرية عربية ساحقة ، وان واجب حكومة الانتداب ، طبقا لاحكام صك الانتداب ، ان لا تفعل شيئا يجحف بحقوق السكان العرب المدنية في المدينة المقدسة ، ولكنها خالفت ذلك بضمها عددا من المستعمرات اليهودية التي انشئت بعد الاحتلال البريطاني مع سكانها الى بلدية القدس ، مستهدفة بذلك تغيير صبغة المدينة العربية ، بحيث يصبح اليهود اكثرية .

وانعكست وجهة نظر الاستاذ عطا الله في التقرير الذي قدمه قاضي القضاة البريطاني للحكومة وأوصى فيه بتقسيم بلدية القدس الى قسمين : عربي يضم كامل المدينة القديمة وضواحيها العربية ، ويهودي يضم الاحياء اليهودية فقط . ولقد اثار هذا التقرير حفيظة اليهود على الاستاذ عطا الله فهاجموه بصحفهم بضراوة ، وحملوا عليه حملات منكرة . وكانت حكومة الانتداب تنوي تنفيذ التوصيات التي قدمها قاضي القضاة لولا ان هيئة الامم أصدرت قرارها المشهور في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وتدويل مدينة القدس والمنطقة المحيطة بها .

وفي سنة ١٩٤٧ وجهت الحكومة البريطانية دعوة الى الاستاذ عطا الله لحضور مؤتمر لندن ، لكنه اعتذر عن الحضور بسبب الخلافات القائمة من وجهة النظر بين الفئات العربية الفلسطينية حول هذا المؤتمر .

وفي حزيران ١٩٤٨ عين الاستاذ عطاالله مديرا عاما للبنك العقاري العربي مكان السيد توفيق ابو الهدى الذي استقال عهد ذاك ليرأس الوزارة الاردنية .

والبنك العقاري العربي هو البنك الذي قامت بتأسيسه دول الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ لتقديم القروض للملاكين والمزارعين العرب ولانقاذ الاراضي التي كانت مهددة بالاستيلاء عليها من قبل المؤسسات الصهيونية في فلسطين . وكان الاستاذ عطاالله ، بوصفه المستشار القانوني للبنك سنة ١٩٤٧ قد تمكن من الحصول على اذن من المندوب السامي البريطاني للسماح للبنك بمزاولة أعماله في فلسطين وكان ذلك في شهر ايلول ١٩٤٧ .

وبعد حدوث النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) حاولت بعض الاوساط تصفية البنك العقاري العربي بداعي انه اصبح بعد تقسيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسطين غير ذي موضوع ولكن الاستاذ عطا الله بذل الكثير من المساعي مع صفوة خيرة من الفيارى على رأسها الاستاذ احمد عبد الغفار أحد المستشارين الماليين للجامعة العربية في ذلك الحين والمدير العام لبنك الاسكندرية الان ، للحيلولة دون ذلك ونجحت هذه النخبة في مسعاها اذ تقرر استئناف أعمال البنك ، وكان عرب فلسطين بعد الكوارث التي نزلت بهم وما فقدوه من اراض وبيوت خلال سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ في أشد الحاجة الى الاموال لاستصلاح الاراضي وزراعتها وتعمير ما هدم من بيوت في القتال ولانشاء المباني والعمارات الضرورية ، فقام الاستاذ عطاالله بافتتاح فروع للبنك في الضفة الغربية اولا ثم في الضفة الشرقية من الاردن واخذ يمنح المزارعين والملاكين واصحاب الفنادق قروضا طويلة الاجل ، الامر الذي افضى الى انعاش الحالة كثيرا اذ تمكن المزارعون في منطقة طولكرم وقلقيلية والاغوار من انشاء عدد كبير من بيارات البرتقال وغرس ما يزيد على مليوني غرسة زيتون بين ١٩٤٩ – ١٩٥٣ بالاموال والقروض التي قدمها البنك العقاري العربي ، وخاصة انه حتى ذلك الحين كان المؤسسة الوحيدة التي تعمل في هذا الحقل في الاردن ، وقام البنك باشراف وتوجيه الاستاذ عطاالله بتقديم قروض طويلة الاجل لاصحاب الفنادق وخاصة في القدس ورام‌الله ، الامر الذي أسهم كثيرا في تنشيط حركة السياحة وزيادة الدخل من العملات الاجنبية ، كما ساهم البنك المذكور في الخمسينات بتوجيه الاستاذ عطاالله ، في تقديم القروض لانشاء المساكن والمباني في عمان وسائر مدن الضفة الشرقية . ولقد دل الاحصاء الذي اجراه البنك سنة ١٩٥٧ على انه ساهم في بناء ٧٠ ٪ من جميع المساكن والمباني التي انشئت في مدن الضفتين في تلك السنة . وخلاصة القول لقد ساهم الاستاذ عطا الله ، عن طريق البنك العقاري في الانتعاش الاقتصادي الذي كان يتمتع به الاردن حتى ما قبل سنة ١٩٦٧ ، وما زال يعمل على رأس البنك العقاري العربي في الاردن حتى الان .

وفي سنة ١٩٥٤ رشح الاستاذ عطا الله نفسه للانتخابات النيابية فانتخب نائبا عن مدينة القدس وشغل النيابة حتى اواسط ١٩٥٦ ، وبعدها حل المجلس ، واعترافا بخدماته في القطاع العام عين عضوا في مجلس الاعيان الاردني في اول تشرين الثاني ١٩٦٢ وما زال عينا . وبالاضافة الى ما ذكر فقد دعي الاستاذ عطا الله مرات لتولي المناصب الوزارية لكنه كان دائم الاعتذار لاعتقاده انه يقوم بالخدمات المفيدة للبلاد وهو على رأس البنك العقاري العربي . وفي سنة ١٩٦١ وافق على تمثيل الاردن كممثل خاص في الامم المتحدة كما وافق على قبول منصب وزير الخارجية في تشرين الثاني ١٩٦٣ وبقي في هذا المنصب حتى شهر تموز ١٩٦٤ عندما قدمت الوزارة استقالتها فعاد الى عمله كرئيس للبنك العقاري العربي .

وامتاز عهده الوزاري بأحداث بارزة اهمها مؤتمر القمة العربي الاول الذي دعا اليه الرئيس عبد الناصر وعقد في القاهرة في ١٣ – ١ – ١٩٦٤ وقد اسهم الاستاذ عطا الله بتهيئة الجو الملائم بين الاردن ومصر تمهيدا لاجتماع الملك حسين بالرئيس ناصر قبيل انعقاد المؤتمر ، كما اشترك في المناقشات والمداولات الهامة التي جرت أثناء انعقاد المؤتمر وخاصة في موضوع الكيان الفلسطيني وانشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

وبناء على قرار اتخذه هذا المؤتمر قام الاستاذ عطا الله في ربيع ١٩٦٤ بزيارة معظم بلدان اميركا اللاتينية واليابان والصين الوطنية ممثلا لدول الجامعة العربية لشرح جوانب وابعاد القضية الفلسطينية لرؤساء تلك الدول وحكوماتها وشعوبها ، واستغرقت زيارته هذه حوالي ثمانين يوما كان لها صدى واثر كبيران في تلك البلاد وصحافتها وفي تفهم القضية الفلسطينية على حقيقتها .

وخلال توليه وزارة الخارجية قام البابا بولس السادس في كانون الثاني ١٩٦٤ بزيارة الاردن ، تلك الزيارة التاريخية التي جنى الاردن منها الكثير من الفوائد السياسية والادبية والمادية .

وفي نيسان ١٩٦٤ صحب الاستاذ عطاالله ، بوصفه وزيرا للخارجية ، الملك حسين بن طلال في زيارته لواشنطن بدعوة من الرئيس الاميركي لندون جونسون واشترك في المحادثات التي جرت بين العاهل الاردني والرئيس الاميركي كما تحدث للجنة مشتركة من اعضاء لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب الاميركيين بحضور الملك حسين وشرح لها المنجزات التي حققها الاردن في الحقل الاقتصادي وحاجاته الانمائية للسير قدما في النجاح الذي حققه حتى ذلك الحين ، وذلك بمناسبة بحث المساعدات الفنية والاقتصادية للاردن في المجلسين المذكورين .

ومن الامور الجديرة بالذكر الدور الذي لعبه في خريف ١٩٦٣ عندما قدم الوفد الاميركي مشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة للامم المتحدة حول اللاجئين الفلسطينيين كان الغرض منه تصفية قضية فلسطين . وعندما رفض الوفد المذكور التراجع عنه بالرغم من الجهود التي بذلها الممثلون العرب في تلك الدورة فقد رأى الاستاذ عطا الله التدخل مع مستر دين راسك وزير الخارجية الاميركية وطلب بالحاح مقابلة عاجلة في واشنطن ، وتمت المقابلة عشية التاريخ المقرر للتصويت في اللجنة السياسية الخاصة ، واستمرت المقابلة ساعة وربع الساعة وافق وزير الخارجية الاميركية على اثرها سحب المشروع الاميركي والموافقة على المشروع المعدل والمقدم من ممثلي بعض الدول الصديقة .

وفي أذار ١٩٦٧ كان الاستاذ عطا الله في عداد اعضاء الوفد الاردني الى اجتماع الاتحاد البرلماني المنعقد في مدينة « بالما » بجزيرة « مايوركا » الاسبانية وكان للخطبة التي القاها امام اعضاء المؤتمر ، ردا على التهجم الاسرائيلي على الدول العربية امام المؤتمر المذكور ، صداها البعيد بين اعضاء الوفود المختلفة مما اثار حفيظة الوفد الاسرائيلي وخاصة رئيسه دافيد هاكوهن الذي أخذ يزرع القاعة بانفعال وينتف شعره ويلاحق الاعضاء ... عضوا عضوا ... للتدخل في منع الاستاذ عطا الله من اتمام حديثه ، ولعل هذه الخطبة كانت من الاسباب التي دعت السلطات الاسرائيلية المحتلة فيما بعد ، لابعاد الاستاذ عطا الله من القدس مسقط رأسه الى عمان في اواخر سنة ١٩٦٧ .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية سنة ١٩٦٧ كان الاستاذ عطا الله مقيما في بيته بالقدس لكن الجنرال دايان اصر على ابعاده الى الضفة الشرقية من الاردن ، واتخذ يمين الولاء للملك والوطن الذي اقسمه الاستاذ عطا الله في مجلس الاعيان الاردني ذريعة لذلك الابعاد ، ولكن السبب الحقيقي لابعاده كانت الاقوال التي صرح بها وهو ما يزال في القدس تحت الحكم العسكري الاسرائيلي لمندوبي هيئات الاذاعة والتلفزيون الاجانب ، والتي أذيعت يومذاك في تلك البلاد ، والتصريحات التي أدلى بها لمراسلي الصحف الاجنبية والعبرية والى ممثل يوثانت الشخصي مستر ثالمان ، وقد اعتبرتها السلطات الاسرائيلية موجهة ضدها .

ومن المهام العامة الاخرى التي قام بها الاستاذ عطا الله خير قيام زيارته للندن في شهر حزيران ١٩٦٨ على رأس وفد من النازحين الفلسطينيين للاشتراك في « اسبوع فلسطين » هناك ومقابلته وزير الدولة البريطاني مستر جرونوي دوبرتز وشرح القضية الفلسطينية وملابساتها ، ومن ثم حضور الاجتماع الذي عقد في مجلس العموم البريطاني والاشتراك في المناقشة التي جرت فيه ، وكذلك زيارته لمدينة (بون) بطلب من الجامعة العربية لالقاء خطاب في المهرجان الكبير الذي دعا اليه مكتب الجامعة العربية هناك . وقد كان لهاتين الزيارتين رد فعل ملموس في لندن وبون . وعلى أثر رجوع الاستاذ

عطا الله للاردن تلقى خطابا من مستر ويلسون رئيس الوزارة البريطانية يذكر فيه ان حكومة جلالة الملكة البريطانية ستبذل كل جهد ممكن في سبيل الوصول الى حل سلمي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، يستند الى الحق والعدل .

وكان الاستاذ عطا الله كذلك احد اعضاء اللجنة الثلاثية الذين قاموا بتحضير الشهادات والبينات على أعمال النسف والتنكيل والتعذيب والقتل الجماعي التي ارتكبتها السلطات والقوات العسكرية الاسرائيلية ضد السكان المدنيين في المناطق العربية المحتلة وتقديمها الى فريق الخبراء الذين انتدبتهم لجنة حقوق الانسان للتحقيق في المخالفات والانتهاكات الاسرائيلية لاتفاقية جنيف المؤرخة في ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٤٩ وقد كانت جهود اللجنة الثلاثية المذكورة موضع تقدير وثناء عام اذ قدمت لفريق الخبراء المذكورين صورة كاملة عن تصرفات السلطات الاسرائيلية غير الانسانية والمشينة .

ولعب الاستاذ عطا الله دورا هاما بالقضية الارثوذكسية العربية التي ورث الاهتمام بها عن جده لامه المرحوم حنا زخريا الذي كان اول من رفع علم تلك القضية وسافر سنة ١٨٧٢ الى الاستانة وعرض مطالب الطائفة الارثوذكسية العربية على الباب العالي . وكان الاستاذ عطا الله عضوا فرئيسا في اللجنة الارثوذكسية العربية ، كما ترأس جميع المؤتمرات الارثوذكسية التي عقدت في العهد الاردني . وكان للاستاذ عطا الله نشاطات عديدة في الحقل الاجتماعي والخيري اذ كان وما زال رئيسا لجمعية الشبان المسيحية في الاردن ورئيسا للجنة العالمية المسيحية ، وهي جمعية خيرية ادت خدمات طائلة للقرى الامامية في فلسطين ورئيسا للمجلس الملي الارثوذكسي في القدس كما كان رئيسا لنادي الروتاري في القدس لسنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ومحافظا اقليميا لمنطقة الروتاري ١٩٥ (الاردن ، لبنان ، مصر ، السودان ، قبرص) لسنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .

نموذج من نثره : « في البيان (١) الذي القيته امام هذه اللجنة في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٦١ اتهمت لجنة التوفيق بالتحيز والتقرض والتواطؤ مع اسرائيل لتحول دون تنفيذ الفقرة (١١) كما اتهمت لجنة التوفيق بانها لم تكن في يوم ما مستعدة او راغبة في القيام بالواجبات المترتبة عليها ضمن نطاق او حدود التفويض المرسوم لها ، وفقا لنص الفقرة (١١) في حرفيته وروحه . والسؤال الاول الذي يتبادر الى أذهاننا هو :

هل لجنة التوفيق هذه هي الهيئة الصالحة المؤهلة للقيام بتنفيذ قرارات الجمعية العامة ؟ انها بتصرفاتها خلال الثلاث عشرة سنة الماضية اظهرت بوضوح انها لا تعتبر نفسها تابعة لهيئة الامم المتحدة او مرتبطة بقرارات الجمعية العامة التي انشأتها ، بل على العكس لقد عملت كأنها هيئة مستقلة حرة في ان تفعل ما تختار او لجنة تتلقى أوامرها من حكومات اعضائها متسترة بقناع هيئة الامم المتحدة . هذه قضية تثير القلق للدول العربية وقد توصل الوفد الاردني الى نتيجة مؤداها ان استمرار لجنة التوفيق في عملها لا يخدم أي غرض يفيد على الاقل بشكلها وتأليفها الحالي .

ولا تزال وجهة النظر هذه صحيحة اليوم كما كانت منذ سنتين خلتا وبناء على ذلك فان وفدي الان يفكر تفكيرا جديا فيما اذا كان ثمة أي فائدة من استمرار تعامله مع لجنة التوفيق او فيما اذا كان الواجب عليه بأن يوصيكم بانهاء صلاحية اعضاء اللجنة الحاليين وتعيين اعضاء جدد بدلا منهم ، اعضاء ممن كرسوا انفسهم لخدمة الاهداف التي قامت من أجلها هيئة الامم وممن يؤمنون بقدسية قراراتها وبالحاجة الملحة لتنفيذها لصالح السلام في العالم والانسانية جمعاء ، ولا شك في ان لجنة تتسم بهذه الصفاة تكون اكثر فعالية في تطبيق الفقرة (١١) وفي تنفيذ ارادة هيئة الامم المتحدة الامر الذي يؤدي الى صيانة كرامتها وهيبتها وعلى العكس فان الاحتفاظ باعضاء مثل هؤلاء في مناصبهم وهم لا يؤمنون بتطبيق الفقرة (١١) ويتبنون حلولا مختلفة ويسلكون مسالك اخرى هو عمل شاذ من شأنه زيادة المصاعب التي تواجه لجنتكم وتواجه هيئة الامم المتحدة بصدد قضية اللاجئين الفلسطينيين وتؤثر عليهما تأثيرا سيئا . وكذلك الحال مع اسرائيل فقد تحدت هي ايضا حسب عادتها الامم المتحدة ورفضت تطبيق الفقرة (١١) من قرار هيئة الامم المتحدة رقم ١٩٤ .

وتجد اسرائيل لسوء الحظ بين اعضاء هيئة الامم بعض الدول التي تساندها في تحديها وتنكرها وهذه الدول الاعضاء ، مدفوعة بعوامل خفية خاصة بها وحدها تود ان تذيب وتصفي ما نصت عليه الفقرة (١١) محاولة بذلك منح لجنة التوفيق صلاحية جديدة للبحث عن حل لقضية اللاجئين يخالف نص الفقرة (١١) وعلى وجه التحديد عن طريق اسكان اللاجئين الفلسطينيين العرب في الدول العربية وفقا لرغبات اسرائيل والصهيونية العالمية بل اوامرهما ، والواقع ان هذه هي الغاية من مشروع القرار الذي تقدمت به الولايات المتحدة وهي غاية تهدف الى الغاء الفقرة (١١) بطرق بطيئة ملتوية واذا ما قدر للولايات المتحدة الاميركية ان تنجح في الحصول على اصوات كافية لتنفيذ مشروع هذا القرار في يوم من الايام فسوف يكون ذلك يوما حالكا اسود في تاريخ البشر وتاريخ هذه المؤسسة العظيمة ويضعها موضع السخرية ، كما ان من شان ذلك ان يزعزع ثقة وايمان الامم والشعوب الذين آمنوا بقيمة هذه المنظمة وجدواها في أهدافها النبيلة وفي توطيد وصيانة المثل العليا للسلم والعدالة .

ان الذين يعتقدون بأن السلام سيسود منطقة الشرق الاوسط دون احترام لحقوق اللاجئين الشرعية ومصالحهم الحقة وفقا لنواميس العدالة ، ونص القانون الدولي وحقوق الانسان ليخدعون انفسهم ويغررون بها . انهم ليضيعون اوقاتهم واوقات هذه المنظمة سدى ، ان مساعيهم لحل مشكلة اللاجئين بالمسكنات ، مثل مشروع القرار الذي قدمه مندوب الولايات المتحدة الاميركية ، ستذهب ادراج الرياح ، وانها ستؤدي الى نهاية التوتر ومخاطر النزاع .

انكم تواجهون احد بديلين ، اولهما ان تخضعوا لضغط اسرائيل والدول الاعضاء الذين يدعمونها ، وان تتقهقروا بصورة غير مباشرة وتنقضوا قراراتكم المتكررة حول عودة اللاجئين ، وبذلك تعرضون هذه المنظمة العظيمة للمذلة والصغار . وثانيهما ان تمضوا هذه القرارات القائمة على المباديء السامية النبيلة لميثاق حقوق الانسان ، تلك المباديء المستمدة اسسها وجوهرها من مبادىء العدالة والقانون الدولي ، وان تصروا على موقفكم لرفع شأن هذه المنظمة وكرامتها وفائدتها لبني البشر ! » .

٢ ـ عبد القادر الحسيني

كان الشعار الذي حمله « عبد القادر » وراح ينشده امته المشردة قول اليازجي :

ألستم من سطوا في الارض واقتحموا شرقا وغربا وعزوا اينما ذهبوا
فما لكم ويحكم اصبحتم همـلا ووجه عزكم بالهون منقلب ؟

ولد « عبد القادر » في بيت المقدس سنة ١٩٠٨ ، وهو نجل المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية بفلسطين وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة «روضة المعارف» بالقدس والتحق بالجامعة الاميركية في القاهرة وفي سنة ١٩٣٢ نال بكلوريوس في العلوم وعاد الى فلسطين وعمل موظفا في دائرة تسوية الاراضي بتشجيع من المسؤولين البريطانيين الذين درجوا على اغراء حملة الشهادات العليا من ابناء العائلات بتعيينهم في وظائف عالية

(١) من البيان الذي ألقاه الاستاذ انطون عطاالله امام اللجنة السياسية الخاصة للامم المتحدة في ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٦٣ .

لابعادهم عن العمل في الحقل الوطني .

وفي سنة ١٩٣٦ ، والثورة العارمة تعم انحاء فلسطين ، استقال عبد القادر من عمله الحكومي وحمل السلاح واشترك في معارك القتال ضد الانكليز واليهود ، بعد ان تجسم الخطر على عروبة فلسطين عندما تدفق سيل عرم من المهاجرين اليهود على ارض فلسطين ، فأخذت سلطات الانتداب البريطانية تنتزع الاراضي العربية من ايدي اصحابها الفلسطينيين بشتى القوانين والانظمة ، فهب الغيارى من المناضلين العرب لمناجزة الاستعمار البريطاني وزبانيته ، وكان في طليعتهم البطل الحلاحل عبد القادر الحسيني ، فابلى البلاء الحسن .

وحينما استشهد القائد المؤمن سعيد العاص بالقرب من قرية الخضر كان عبد القادر الى جانبه فاصيب بجراح بالغة ، بعد ان كبد الانكليز خسائر فادحة اصابت جيشهم البالغ عدة الاف بينما المناضلون مع عبد القادر لا يتجاوز عددهم مئتي مناضل .

ولما استانف عرب فلسطين ثورتهم في سنة ١٩٣٧ ، بعد ان فشلت مساعي ملوك وامراء العرب ، عاد عبد القادر الى حلبات الجهاد وقاد المناضلين حتى اصيب بجراح بليغة في معركة بني نعيم بالقرب من الخليل على أثر معركة حامية الوطيس قام بها المناضلون ضد القوات البريطانية المسلحة بالدبابات والطائرات ، وقد نقل عبد القادر من ميدان المعركة الى الخليل حيث ضمدت جراحه . ولما اشتد عليه الخطر، أثر اصابته هذه ، نقله رفاق السلاح الى دمشق حيث ادخل المستشفى وتم له الشفاء .

ولما اصطدم الجيش العراقي بالجيش البريطاني في سنة ١٩٤١ ناضل عبد القادر الانكليزعلى رأس عدد من المجاهدين الفلسطينيين نضال الابطال ، وسجلوا بذلك صفحات من الفخار والمجد في سبيل نصرة الحق الهضيم . ولما انتهى الامر باخماد ثورة رشيد عالي الكيلاني سجن عبد القادر في سجن بلدة العمارة بالعراق ومكث فيه عدة شهور ثم أخلي سبيله في سنة ١٩٤٢ وسرعان ما اعتقلته السلطات العراقية الموالية للانجليز وقدمته للمحاكمة ثم غادر العراق الى الحجاز حيث أمضى هناك مدة من سنة ١٩٤٤ الى نهاية سنة ١٩٤٥ حيث تمكن من الوصول الى مصر .

وبعد ان جاء مصر وقضى فيها فترة من الايام وصل اليها من فرنسا سماحة الحاج السيد محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين واخذ عبد القادر يعمل مع سماحته على التأهب لمعركة فلسطين ولمقاومة الاستعمار البريطاني والصهيوني . ولما اعلنت هيئة الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين واعلن العرب رفضه دخل عبد القادر فلسطين سرا سنة ١٩٤٧ لتنظيم حركة الجهاد الشعبي ، ثم عينته الهيئة العربية العليا قائدا لجيش الجهاد المقدس ، وقد قام هذا الجيش الباسل وعلى رأسه عبد القادر وزملاؤه ومساعدوه من رجال الجهاد المقدس والمتطوعين من عرب فلسطين بأعمال حربية باهرة سجلوا فيها انتصارات جليلة القدر ولا سيما في معارك الطرق بين القدس ـ يافا وبين القدس ـ الخليل وحاصروا يهود القدس البالغ عددهم وقتئذ (١١٥) الفا وضيقوا الخناق عليهم حتى طلبوا الاستسلام ووسطوا في ذلك بعض قناصل الدول العربية .

ولما شرع اليهود يرتكبون جرائم نسف بعض الاماكن العربية وتدميرها بالمتفجرات كما فعلوا في تدمير السراي القديمة بيافا حيث نسفوها وقتلوا فيها عددا كبيرا من الابرياء العرب ، كما فجروا براميل مملوءة بالمواد المتفجرة في حيفا ويافا والقدس ، وقتلوا بذلك عددا كبيرا من العرب وفي عدادهم طائفة من النساء والاطفال ، كما ارسل اليهود الى نابلس سيارة مشحونة بالمتفجرات ستروها بكمية من ثمار البرتقال بغية تفجيرها في سوق المدينة حيث يتجمع جمهور كبير من افراد الشعب ، وكان اليهود يقصدون من قيامهم بحوادث التدمير اشاعة الرعب في نفوس العرب .

وردا على تلك الاعمال البربرية قام جيش الجهاد المقدس ، وعلى رأسه عبد القادر ، باعمال حاسمة، فنسف ودمر حي ابن يهودا والوكالة اليهودية بفعل المناضل الشجاع انطون داود سائق القنصلية الاميركية في القدس وعمارة جريدة « بالستين بوست » ، كما خاض معركة شعفاط وغيرها من اعمال البطولة التي فاز بها عبد القادر ورجاله الاشاوس قبل دخول القوات النظامية الى فلسطين .

ويوم الاربعاء الواقع في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نشبت معركة ضارية بين عبد القادر ومعه مناضلون من عرب فلسطين وبين اليهود في جبل القسطل وانتصر عبد القادر وجيشه على العدو واسترد منهم ذلك الجبل الحصين والقرية المعروفة باسمه بعد ان كبدهم خسائر فادحة في الارواح والذخائر ، وهنا نفد العتاد من أيدي المناضلين فأشار عليه اركان حربه بالاكتفاء بما حدث لكنه أبى الا الامعان في تقتيل الغزاة ، فأخذ يهاجمهم في معاقلهم ، يرميهم بالقنابل اليدوية ، فمني اليهود بالخسران لكن شظية من قنبلة طائشة أصابته من مدافع العدو فنقله رفاق الجهاد الى منزله في بيت المقدس .

وفي يوم الجمعة المصادف ٩ نيسان ١٩٤٨ صلي عليه في المسجد الاقصى المبارك ودفن الى جوار المرحوم والده بجانب المسجد المبارك باحتفال مهيب اطلقت فيه المدافع تحية للبطل الشهيد ، ونعاه المؤذنون على المآذن وقرعت اجراس المعابد حزنا عليه واقيمت صلاة الغائب في الجامع الازهر وفي جوامع المدن العربية ، وجعل خطباء صلاة الجمعة استشهاده الشريف موضوع خطبة الجمعة ، وأبنه النواب والعاملون في الحقل الوطني في المجالس النيابية بمصر وسورية ولبنان والعراق وفي جامعة الدول العربية .

وقبل ان يلحق هذا الشهيد الخالد بربه هرع الى دمشق ، مقر اللجنة العسكرية للجامعة العربية ، يصور لها خطورة الموقف ويطالبها بالسلاح ، وكان مكدسا في عنابرها ، لكنه وجد الابواب كلها موصدة في وجهه والآذان صماء عن الاستماع الى مطالبه وتوسلاته فعاد البطل الى القدس ليموت ميتة الابطال ، ولو أجيب الى مطالبه لما نزلت الفاجعة باستشهاده ، ولما حلت الواقعة باهل قرية دير ياسين حيث ذبح اليهود أطفالها وشيوخها وعجائزها .

وما ذكرت مرة الشهيد عبد القادر الحسيني الا وذكرت شهيد الاسلام مصعب بن عمير الذي عندما هم المسلمون بدفنه نزلت الآية الكريمة التي تلاها رسول الله على جموع المسلمين : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

نموذج من نثره : « هذه الرسالة وجهها الشهيد عبد القادر من دمشق بتاريخ ١٤ ربيع الاول ١٣٦٥ الى سماحة الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا ابان وجوده في مصر » : « اكتب اليك من دمشق ولا أدري كيف اصف شعوري وما يجول في نفسي ، وما يخفق في فؤادي . وهذه فترة قصيرة أنا بعيد فيها عن مشاغل القتال، وما ذلك رغبة مني ولكن الظروف هي التي اوجدتني في دمشق ، بعيدا عن رائحة البارود وعبير الجنة وخوض المعارك الى جانب اخواني الابطال الذين يقومون بتحرير وطنهم ، نصرهم الله وايدهم بقوة من عنده .

لقد كانت الفترة الماضية مليئة بالانتصارات الباهرة والاعمال المجيدة التي بهرت العالم وحطمت العدو . لقد سطرنا صفحات مجد لا تنسى في التاريخ، ولكن هذا لم يأت عفوا ولا سهلا وانما بالتضحيات العظيمة والجهود المتواصلة ليلا ونهارا ، وهو عمل نسي كل منا نفسه واهله واولاده وطعامه ونومه وكل ما في الدنيا خلا الرغبة في النصر وسحق العدو الكبير في عدده ، القوي في عدده ، بما لدينا من السلاح القليل ! لقد قدرنا الله على ذلك وكافئناه على جدنا بالنصر المبين ، لكننا ما زلنا في اول الطريق وعلينا ان نضاعف الجهود ونصل الليل بالنهار حتى نصل الى النصر النهائي ، واني ابشرك من الان بأننا سنصل اليه ان شاء الله » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سلمى لاغيرلوف

أديبة السويد الخالدة

تحيـة لمرور ثلاثـين عاما على وفاتهـا

مهداة الى الصديق الدكتور آندير وايسترلنغ

الدكتور زكي المحاسني

دمشق

★ ★ ★

قل (لسلمى من آل لاغرلـوف) شـغل الحب خـاطري وطيوفي
بعد كـر السنين ناديت روحـا سبحت في الفضا بجنـح هفوف
فتنة الشرق باسمها ، فهي منـا غنيت في الهـدى عن التعريـف
أنـت فـي الخـالدات ما لغنـاء من سبيل اليـك أو مـن مطـيف
خلقت نسـوة كفـاء رجـال عبقريـاتهـن غـير زيـوف
فاستهانوا بهن في مطلـع الدهـ ـر وقالوا لبنـت حـواء عيفـي
للرجال النصيب في الكـد والكد ح وللـدار أنـت والتنظيـف
واستحر الزمـان بالقيـد والعسـ ـف فمنذا بغيث ذات الشـفوف
معول لسـحر في يديك أيا سـلـ ـمى لقد هـد كل سـد عنيـف
أنت حررت بالعقـول ذوات الخد ر مـن سـوء مـنزل وسـدوف
قلـم الحـق فـي أنامـل طهـر زينـة فيـك بالاعـز المنيف
كان من حـرر العبيـد غنيـا بالمـروءات قبـل والمعـروف
وأتـاك الحجـى بحريـة الفكـر ومجـد البيـان والتوصيـف
من ديـار الشـآم ناجـاك خـل حـامـد فيـك تالـدا بطريـف
ولذكراك فـي هـواه وجـود دون هز القنـا وقـرع السيوف
ملحمـات من جلـق عـبر دنيـا هي للعـرب شـاديـات عزيـف
تنثر الزهر فوق مرقد (سـلمى) بسـلامي ولهفتـي ورفيفـي

الثلاثون في السـنين تقضـت ولك العمـر خـالـد التاليـف
كتبـك اليـوم ملء عين البرايـا قصص في وفـاء ذكـر عطـوف
عـالـم للحيـاة بعـدك يبقـى انت ابدعتـه بزيـن الحـروف

تلـك ذكـرى أثـيرها لعزيـز عاش رمزا للكاتب الفيلسـوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتيمة ، صغيرة كانت ...
زيتونية اللون ، ملساء الشعر ، محززة الجلد ، خضراء العينين .

حين اشفق عليها حامل المصعد ، واواها الى كوخه ...

تقف بين رجليه ، ذليلة ، ضارعة ، والشقاء يخلق الشفقة .

كنت اراها حوله ، وهي تلعق اللبن بلسانها الاحمر الصغير من صحن عتيق ، او تمضغ اللقمة اللينة بأسنانها القصيرة .

حتى اذا دخل الليل هبط الى قبو عميق ، مظلم ، تنام فيه .

واحيانا ، كانت تصعد الى الطابق الثاني ، حيث تداعبها فتاة صغيرة شقراء ، ويجود عليها اهلها بزاد ، والبهيمة كالانسان أسيرة الاحسان .

لكن موقفها في الدرج كان يحدث المشاكل عند الصغار الذين كانوا يخافون وقفتها ومنظرها . ولا سيما حين يرونها منتصبة على قدميها ، وفي يديها حركة الوثوب ، وفي عينيها لمعان غريب .

وفي كل مرة ، كانت ابنتي « شروق » كلما همت بالخروج ، ووقع بصرها عليها امتلأت منها رعبا ، وارتدت الى الباب ، ترتجف من الخوف ، وتريد من يمسك عنها هذه القطة الشريرة .

كنت اقول لها :

ـ لماذا يا ابنتي تخافينها ؟ انها لانيسة ، لا تؤذي من لا يؤذيها ، ولا تقدم على شر . اقتربي منها بوداعة . وامسحي راسها بكف لينة . انها ستبادلك عطفا بعطف ، ورقة برقة .

ويبدو ان هذه الكلمات ، على تكرارها ، أثرت في نفس ابنتي ، وما هي الا ايام معدودات ، حتى القى الله الرافة والسكينة في قلبها ، فصارت الهرة تتمسح بباب بيتنا ، واخيرا دخلت علينا زائرة .

انها زائرة جديدة دخلت البيت ، أكرمنا هذه الزائرة ، وأطعمناها ، وآويناها ، واطلقنا عليها اسم « بسباسة » .

ولكنها ـ بالرغم من ذلك ، لا تزال تستوحش منا ... اذا اقترب احدنا منها اجفلت وتوارت ، واذا هبط الليل آثرت ان تعود الى قبوها ، كأنها لا تثق بأنها صارت من اهلنا .

وبعد ايام استأنست ، وصار البيت كله مجالا تسرح وتلعب وترتع فيه ، لها المكان ولها الزمان .

اصبحت القطة في البيت لعبة الصغار ومتعة الكبار ... لقد كان البيت هادئا ، فخلقت الحياة والحركة فيه ، بما تأتي به من حركات ، وقفزات ، من مكان الى مكان ، ومن مقعد الي مقعد ، لا تترك شيئا الا دحرجته ، ولا خيطا الا تعلقت به ، واحيانا ، تهاجم ذيلها اذا لم تجد شيئا . وبذلك اعطت ابنتي فرصة لتلهو بها قليلا عن الدراسة المتواصلة التي كانت ترهقها .

لم تقف قصتها عند البيت ، بل انتقلت الى المدرسة ، حيث كانت تحدث شروق اترابها عن قطتها ، واترابها يتحدثن عن قططهن ، فيكون نزاع على من الاجمل ؟ البيضاء ، أم السوداء ، أم الزيتونية الاكثر حركة ونشاطا .

ومن العجب أن « شروق » التي كانت تخشى مرآها ، اصبحت ، اذا دخلت البيت كان اول سؤال عنها ... عن أكلها ، عن شربها ، عن حركاتها ، عن زياراتها ، عن عبثها .

حقا ، ان قلب الانسان حين يكون صافيا ، يكون منبعاللحب والاحسان .

واحيانا كان لا يخلو البيت من خصومة بين شروق واخيها ، لان كليهما كان يريد ان يستأثر برضا القطة ، ومحبتها ، ولمس جلدها . والويل من الواحد للاخر اذا أزعجها او اوجعها .

ولم تكن « بسباسة » بضعيفة ، فلها من مخالبها ما تخدش به من يجرؤ على وخزها ، ولكنها اذا وخزت لم توجع ، واذا عضت لم تشد ، كأنها تدري بغريزتها ان ما يقع بينها وبينهما لا يتعدى المزاح .

وكم من مرة كانت تحملها شروق الى ذقنها ، فتلعقها بلسانها الخشن الصغير ، كأنها تتلو عليها صلاة الشكر .

البرد لاذع في الخارج ، لكن هدير المدفأة لا ينقطع ، وعلى الاريكة الملاصقة للمدفأة كانت « بسباسة » تتخذ مقعدها ، تتمدد ، وتتمطى ، وتبسط قوائمها ، وتحني عنقها للدفء ، وتتراخى ... وهي لا تدري ان ماء النهر اغرق ، مرة ، قبوها ، وطاف على ما فيه .

وحين تتبدد غيوم الشتاء ، وتطلع الشمس ، وترسل اشعتها ، خلسة ، على الشرفات الخارجية ، كانت « بسباسة » تتسلل لتنعم بحرارة الشمس ، وتتقلب تحتها عابثة لاعبة ، وهي تنتظر يوما ان يكون ، هنا ، ملعبها حين تدفأ الشمس .

ولا انسى « شروق » وهي توصي امها :

ـ افتحي لها الباب الى الشمس كلما طلعت الشمس .. انها تشم فيها رائحة الربيع .

وحين شعرت الام ، مرة ، بأن المقاعد كانت تتمزق تحت مخالبها غضبت ، وهمت بطردها من البيت ، لكن « شروق » صاحت :

ـ دعيها تفعل ما تشاء . ولتذهب

بسباسة

قصة ذاتية

بقلم خليل الهنداوي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقاعد الى الفناء .

وكان لا بد لنا ، اذا ، ان نستسلم الى كل ما تحدثه « بسباسة » من تلف في البيت ، لان صاحبتها عزيزة علينا ، وبذلك اصبحت مثلها عزيزة على قلوبنا .

وذات مساء شعرنابأن «بسباسة» تتقيأ ، وتتهوع ، وبأن صوتا خفيفا أبح ، مصحوبا بالانين يخرج منها .. فاعتقدنا بأن هذه الحالة قد تأتي ، ولا تلبث ان تزول .

وفجأة ، رايناها تنكمش على نفسها ، وتتبدل ملامح وجهها ، وتخف حركتها .

تكرر ذلك منها ، ودخل الخوف الى قلوبنا ...

قد يمرض الانسان ، ويعرب بلسانه عما يشكو ، لكن العجماء تمرض ولا تشكو ، وتموت ولا نعرف بماذا ماتت ؟

لقد كانت « شروق » أعمقنا حزنا، واشدنا قلقا على مصير « بسباسة »

ـ اريد طبيبا يفحصها ويداويها .

ولكن ، أي طبيب نستشيره في أمرها ؟ وماذا يقول عنا الناس اذا فعلناذلك ، ومن ذا يحمل قطةمريضة الى طبيب ، بينما الناس يموتون ، والاطفال يرحلون قبل ان يدركهم الطب والاطباء ؟

ليست « بسباسة » الان وحدها بمريضة ، ولكن ابنتي في الحقيقة هي المريضة .

اذا ، كان لا مفر من استشارة طبيب .

وليظن الطبيب ما شاء في أمرنا ، وفي جنوننا .

ان حياة ـ بين ايدينا ـ تتعذب .. حقا ، انها ليست بحياة انسان . ولكن من تهون عليه حياة حيوان صغير مهما كان ، تهون عليه حياة انسان .

واخيرا اذعنت . لان ضميري يجب ان يستريح ... ولن يستريح حتى أؤدي واجبي كاملا .

استشرت طبيبامختصا ، ووصفت له الاعراض ، فأبدى شكه في سلامتها ، لان القطة قلما تمرض ، واذا مرضت كان مرضها ـ غالبا ـ مرض الموت .. ولكنه سيجرب ..

ووصف لها العلاج .

ـ العلاج . كلنا يطلب العلاج .

وخلال ذلك ، كانت تزداد حالتها سوءا .

ـ رباه . ما اسرع ما يتغير المريض .

لم يبق للعينين وميض .. ولم يبق للوجه نضارة . ولم يبق للجلد بريق ، ولم يبق للقوائم عزيمة على الحركة .

ندعوها الى الدفء ، فتهرب الى البلاط البارد .

نحملها الى النور ، فتفر الى الظلام .

نعرض عليها الحليب والماء ، فتهز رأسها بايماء العازف عن كل شيء .

نريد ان نحيط بها لنؤنسها ، فتنفر منا الى العزلة .

وتناديها شروق بالصوت الحنون الذي تعودت ان تناديها به ، فتجيبها بأنين ، ملؤه الحنين ، وترنو اليها بعينين شاخصتين ، باهتتين ، خبا منهما الضياء .

امام هذه الحالة ، كان يجب ان اهرع في العلاج ، فخرج الصغير في الليل يتحسس صيدلية ما ، ولكنه لم يجد العلاج .

وفي الصباح تحاملت « بسباسة » على نفسها ، وقبعت على عتبة الباب ... لعلها تريد ان تتروح قليلا خارج البيت . وما ان فتحت الباب حتى انسلت ، وهبطت الدرج متحاملة على نفسها ، تقصد القبو الذي كان بيتها الاول .

كانت ارض القبو لا تزال ملموءة بالطين الرطب ، ومن جدرانه تتصاعد رائحة العفن .

وحين نزل الصغير ، ليتفقد امرها وجدها قابعة في الزاوية التي طالما قضت لياليها فيها ، وهي تقلب عينيها الباهتتين ، هنا وهنا ، في أطراف القبو .

وماذا تريد من القبو الان ؟ وماذا تتفقد ؟ الحياة التي تنسل منها شيئا فشيئا ؟ ام الذكريات التي تناديها اليها ؟ أم تراها تنتعش لمجرد ان ترى المكان الذي كانت تحيافيه ؟ أم كانت تؤثر ان تجود بروحها فيه ، بعيدة عن الاشخاص الذين احبوها واحبتهم ، حتى تبعدهم عن الالم ؟

حملها الصغير الى البيت ، وكان العلاج ، هذهالمرة ، جاهزا ، فسقاها ملعقة صغيرة بالرغم عنها . وشروق تولت فتح فمها ، فكان اخر ما تركته خدش خفيف في اصبع الصغير ، حين كان يفتح فمها ، وهي تطبقه .

وفي هذه الاثناء قرع جرس الهاتف من رفيقة لشروق ، تسألها عن حالة « بسباسة » وهما في الحديث ... كانت « بسباسة » تخبط ، وتلبط تحت المقعد الذي طالما رآها تتمدد عليه في عنفوان صحتها وقوتها .

ـ وفجأة سكنت .. وعلى فمها خطان قرمزيان رسمهما لون الدواء .

ـ انها النهاية .

أوحيت الى الصغير بأن يلفها ، ويحملهاسريعا قبل ان تعود «شروق» من المكالمة .

لبثت في مكاني جامدا .. ماذا اقول لها ؟ وبماذا اعلل اختفاءها ؟

هل اقول لها ؟

ـ انها نزلت الى القبو ..

اجل ... الى القبو العميق السحيق الذي تتجرد فيه الاحياء من لحومها ، لتغدو هياكل عظمية ، وجماجم فاغرة افواهها .

ان مشهد الموتمرعب في الحيوان والانسان ، ويزيده رعبا ان نرى احبابنا الذين كانوا يتحركون ، قبل لحظات ، قد سكنوا الى الابد .

عادت شروق، ونظرت الي، وكأنها شعرت بأن نبأ خطيرا يرتسم على وجهي .

ـ اين بسباسة ؟

البيت البحري المهجور

تشدني البيوت المنهارة الى انسها القديم أشم رائحة الانسان البعيد ، يلهث جمر المواقد في جبهتي ولا رماد ، حيث للريح طعم الملح المسافر ، وكل شيء مبحر ...

★

أحجاره مالحة الرؤيا
شباكه من طحلب كلسي

تمر فيه الريح من شاطىء
في الغيب او في النجم، لا ترسي

كم شاله الرخ على ريشه
وحطه في جبهة الشمس

والجن كم لبت مواعيدها
وكم اقامت فيه من عرس

يسأل عنه الصمت غب الضحى
والليل والانجم اذ يمسي

حروفه بقيا عظام رمت
أشلاءها على شفا رمس

فكاه لم يبق سوى لوحة
مدلوقة في سحنة النحس

كأنها طعنة رمح صد
مدقوقة في ترسه المنسي

تخاله منتظرا وافدا
خلاه في الفجر على ان يعود

كأنما الموقد في ضلعه
يلفح خديك بصمت الوقود

تذكره الحيتان في لجة
امواجها الرقطا غرابيب سود

تصفر ما بين أخاديده
سحنة ملاح قضى من عهود

في الشاطىء الغربي منه ارتمت
بقية من فقرة ضائعه

في الشاطىء الشرقي من رجله
عظيمة في الرمل مستودعه

وفي شمال مصحلر موجه
جمجمة منكوبة مشرعه

تلهو تباعا في تجاويفها الا
سماك والافلاك والزوبعه

يا بيت ، يا بحر ، فما انتما
الا جوابين على مساله

فراغك العابس في حيرة
يعرض في صحرائه المعضلة

وموجك الممدود في رحبه
يرسمها موارة مرسلة

وانتما في البدء من مصدر
أبله في غاياته المغفله

نهاية في الصفر تطوافها
والصفر قبر يشرح المشكله

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غلب علي الصمت ، واردت ان اكذب .. ولكني لم استطع ان أتكلم .

ـ انها ماتت .. اليس كذلك ؟ اين هي ؟

وهنا عاد صغيري ، ولا يزال الدمع متحجرا في عينيه ، وهو يقول :

ـ لقد دفنتها قرب النهر .

وصاحت شروق :

ـ اريد ان اراها .. اريد ان اراها . بسباسة ، اين هي ؟ اريد ان اراها .

واسترسلت الى النحيب ..

هربت من البيت ، وفي البيت دموع ، وتدحرجت على الدرج ، امسح من عيني دمعة جامحة ساخنة.

وأنا اسأل نفسي :

ـ كيف كان هذا ؟ والى متى ستبقى هذه الميتة حية بيننا ؟

خليل الهنداوي

عاشقة تتنكر



كانت ليلى الاخيلية تزور قبر حبيبها توبة بن الحمير متنكرة كيلا يراها الناس ، وقد سجلت خواطرها الحبيسة في هذه القصيدة التي أقولها على لسان ليلى .

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أأمنع حتى ان أزورك ثاويا ... كأن لم تزل حيا على الارض باقيا
ضلال لهم ماذا تريب زيارتي ... وهذا الردى قد صاح ألا تلاقيا
أجيء وأمضي في ارتجاف ولم أكن ... لاملك وقتي كي اطيل مقاميا
أأثم وجهي كي أغافل رصدي ... ولو علموا سدوا الطريق اماميا
عيون كما شاءت عداك تحوطني ... كأني اذا آتيك ألبس عاريا
لقد حسبوا صم الحجارة بيننا ... رسول غرام يحمل الشوق حانيا
على أنني ان جئت ألصقت مهجتي ... بقبرك فاستروحت بعض عزائيا
وهب نسيم منك ينعش خاطري ... كأن زلال الماء أسعف صاديا
ورفرفت الاطياف حولي بهيجة ... اكاد بها القى محياك زاهيا
وغبت عن الدنيا وطرت لسامر ... من الخلد صداح المسرة شاديا
تساقى المحبون الرضى في ظلاله ... وقد أقسموا الا يغيبوا التساقيا
وغاب فضول التافهين فلا ترى ... جسوداً ولاتخشى من الناس واشيا
وانت به طير وحيد على الربى ... تشوق ان يلقى الرفيق المصافيا
تقول غدا ليلاي تؤنس وحدتي ... فلبيك لو اني ملكت حماميا !
سئمت نعيم الخلد دوني وما به ... سوى الروض فينان الاماليدحاليا
فكيف اذا ما عشت مثلي مع الورى ... وقد نفثوا السم الزعاف أفاعيا
عجبت لهم شنوا الاراجيف حولنا ... لاصلي لظاها مثلما كنت صاليا
فقائلة خانت وما خنت ، انما ... ترى صفوها ان كدرت لي حياتيا
وشائنة تحكي تخرص شانيء ... وقد كذبا كي يستثيرا الدواهيا
كانهما يستشعران لذاذة ... اذا خفضا بالافك من كان عاليا
وبي مثل ما زان الاماثل عفة ... أحاكيك فيها رقة وتساميا

عشقتك عفا قد سباني حياؤه ... وأفرط حتى قاد مني زماميا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشقتك شهما يرتجى القوم رفده ... وما عاق منه ان يكونوا اعاديا
همام اذا نادى الصريخ لدى الحمى ... مضى عزمه الشاكي يجيب المناديا
وضيء تغادیني صباحة وجهه ... كأن شعاع الشمس يعلو الروابيا
طويل ولا مثل الرماح اذا سمت ... وماست بأيدي الدارعين عواليا
أديب اذا ساق النسيب حسبته ... تهامس أرواح تطيل التشاكيا
أصيخ اليه أستبين عواطفي ... وبي ما به يشكو فألمس دائيا

ضلال لقومينا اقاموا قيامة ... على حبنا السامي تشيب النواصيا
دعانا هوانا لاقتران مطهر ... فساءهمو أن يصبح الحب داعيا
وقلنا زفاف في صفاء فزمجروا ... كأن كتاب الله يأبى التصافيا
أئن هتفت روح بروح ثنتهما ... تقاليد بدو تنبذ الدين قاصيا
أئن همست عينان يوما بصبوة ... تناءى من الاسباب ما كان دانيا
اذا هدم الحب الزواج كما ادعوا ... فلا عجب أن يزعموا البغض بانيا
تزوجت كرها حين أجبرت بامرىء ... اراه بعين البغض كالوحش ضاريا

يلاطفني ما استطاع لكن عقارب ... تنوش جناني حين يدنو جواريا
ودون فؤادينا فلاة سحيقة ... يزمجر فيها مارد الجن طاغيا
له جسدي المهزول لا شيء غيره ... حطام اذا باعوه لم يلف شاريا
له كبدي الحرى تثور ضغينة ... وتوقد مثل الجمر يلهب ذاكيا
درى انني أهوى سواه فما ارعوى ... وآثر في السجن الرهيب بقائيا
سبى والدي بالمال حين استرفني ... فبالرقيق راح يطلب فاديا
أبي ما أبي الا كزوجي ومعشري ... شخوص من الصوان قامت حياليا
يخافون ان آتي الضريح فكلهم ... يراقب يومي ، ضحوتي ومسائيا

أينهض ميت للقاء على هوى ... كما كان قبل الموت يهوى لقائيا
أينشق قبر عن محياه زاهرا ... وضيء الثنايا ساحر الطرف سابيا
أيسرع قلب نحو قلب معانقا ... ويطفى حنين يرسل الدمع هاميا
أتمتد كف نحو كف وتلتقي ... عيون لها همس يجيد التناجيا

يخافونه في القبر ـ لا زال خوفهم ـ ... فهل صدقوه حين انشد باكيا
(ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ... علي ودوني جندل) بات راسيا
(لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... اليها الصدى من جانب القبر) ساعيا
كأني سمعت الصوت يا لتعجبي ... يسلم تسليم البشاشة راضيا
توهمته ان لم أكن قد سمعته ... وأحببت به وهما يبل اواميا

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

دواوين شعر من الارض المحتلة

بقلم الدكتور محمود السمره
عميد كلية الاداب بالجامعة الاردنية

* * *

اذا كان الفدائيون يقاومون الغازي المحتل بالرصاص ، فان في أرض فلسطين شعراء يقاومونه بالشعر ، والكلمة الشريفة الهادفة ، وهكذا نجداليوم الكلمة الى جانب الرصاصة ترد باطلا اقيم على القوة ، وتدافع عن الحق الذي ضيعه التخاذل ، والانهزام . ولم نكن ، قبل حرب حزيران ، نعرف الا النزر اليسير عن هؤلاء الشعراء وشعرهم ، لان عرب الارض المحتلة ظلوا طيلة عشرين عاما معزولين عن اخوانهم العرب ، وكان من نتيجة هذه الحرب الاخيرة ان أتيحت لنا الفرصة لنعرف الكثير عنهم ، فاذا بنا امام شعر رائع ، عاصف ، ملتهب ، ينظمه شعراء يناضلون المحتلين بالقول والعمل ، ويسجنون ، ويضطهدون ، ويعذبون ، من اجل مواقفهم هذه .

وقد شاع هذا الشعر في انحاء العالم العربي ، وانتشر ، لانه يعبر عن عنف المأساة ، وارادة لا تلين في محاربة المحتلين ، وايمان بان الليل لابد ان ينفلق اخيرا عن صباح منير . وعندما انتشر بيننا هذا الشعر ، بعد حرب يونيه (حزيران) ، كان له اثر كبير في بث الثقة بالنفس ، في وقت كنا فيه بحاجة الى ما يرفع معنوياتنا . واستجابتنا السريعة له دليل على وحدة الوجدان ، والشعور ، والفكر ، بين عرب الارض المحتلة ، والعرب في الاقطار العربية الاخرى . ويبدو لي ان استجابتنا وحماستنا ، لهذا الشعر ، مردهما ايضا الى اننا وجدنا فيه صورة للانسان العربي الجديد ، الذي طال انتظارنا ليوم مولده .

من جحيم الظلم ، والاضطهاد ، ومن ذل الاحتلال ، ولد هذا الشعر فطريا ، نقيا ، صافيا ، رغم الحصار الثقافي المفروض على عرب الارض المحتلة : فلا مدارس كافية لهم ، و لتعليم الجامعي يكاد يكون محرما عليهم ، ووسائل النشر محدودة . ونتيجة للظروف التي نشأ في ظلها ، كان هذا الشعر متميز الاتجاه ، فالسلطات الصهيونية لا تسمح للعرب ان يقيموا اي تنظيم ، ولهذا انضموا الى حزب مرخص له ، ليستطيعوا من خلاله ان يدافعوا عن قضيتهم .

ومن ادباء المقاومة في الارض المحتلة : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وسالم جبران وراشد حسين ، وحنا ابو حنا ، وعصام العباسي ، وسليم يوسف جبران ، ونايف صالح سليم ، وميشال حداد ، وعيسى اللوباني ، وفتحي قاسم ، وعمر محمود الزغبي ، وطارق عون الله ، ويعقوب حجازي ، وميل حبيبي ، وهايل عساقلة ، ونبيل عودة ، ومحمد نفاع ، وعفيف صلاح سالم ، ومحمد علي عطية .

وساحاول في هذا المقال ان ارسم الخطوط العريضة لهذا الادب ، من خلال شعر ثلاثة شعراء هم : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد . وقد اخترت هؤلاء الثلاثة ، لان شعرهم يمثل القمة في شعر شعراء الارض المحتلة .

ونجد المعلومات الموثوق بها عن كل من محمود درويش ، وسميح القاسم ، في حديث اجرته معهما مجلة « الطريق » البيروتية ، في عددها الذي خصصته لادب المقاومة في فلسطين (تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٦٨) .

في عام ١٩٤٢ ، وفي قرية البروة الواقعة في الشرق من عكا ، ولد محمود درويش . ولا يذكر من احداث صيف ١٩٤٨ ، سوى ان اليهود هاجموا القرية ، فاخذ يعدو في اتجاه احراش الزيتون السوداء ، فالجبال الوعرة ، مشيا على الاقدام ، وزحفا على البطون ، الى ان وجد نفسه اخيرا ، مع عائلته ، في لبنان . ومنذ صغره ، نقشت في مخيلته كلمات جديدة هي : الحدود ، اللاجئون ، الاحتلال ، وكالة الغوث ، الصليب الاحمر ، العودة ، فلسطين .. وهكذا كانت طفولته نفسها ضحية عدوان . واحس منذ هذه السن المبكرة بالثورة على امرين : على واقعه الجديد كلاجيء ، وعلى اولئك الذين احتلوا وطنه .

وبعد سنتين من اللجوء ، قال عمه له ذات مساء : الليلة نعود الى فلسطين متسللين . وسارا في الليل يقطعان الوديان ، والجبال الوعرة . وفي الصباح وجدا انفسهما في فلسطين ، ولكنهما لم يعودا الى قريتهما ، لان العدو كان قد نسفها ، ودكها دكا . واحس الصبي انه لاجيء ، مرة ثانية ، حتى في وطنه .

وقد تفتحت موهبة محمود درويش الشعرية في سن مبكرة ، حين كان في المدرسة الابتدائية ، وفي هذه السن بدا ينشر شعره في الصحف . وعندما اصبح طالبا في المدرسة الثانوية ، اخذت كتابة الشعر تصبح هي همه الاول . وكان اكثر ما يؤلم الشاعر في دراسته الثانوية ، انهم يعلمونهم عن هيرتسل اكثر مما يعلمونهم عن نبي العرب ، وابطالهم ، ويفرضون عليهم دراسة التوراة ، بينما القرآن الكريم لا وجود له في مناهجهم .

وفي سنة ١٩٦٠ ، وعمره ثماني عشرة سنة ، صدر ديوانه الاول ، وهو « عصافير بلا اجنحة » ، وهو ديوان يدل على ان الشاعر لم يكن قد تمكن من فنه بعد . وفي سنة ١٩٦٤ صدر ديوانه الثاني « اوراق الزيتون » ، وهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اول محاولة جادة للشاعر في الطريق الذي واصل السير فيه ، وفيه ثورة على واقع وطنه ، وتغن بالارض ، والوطن والكفاح . وقد راج هذا الديوان بين عرب الارض المحتلة، بحيث طبع مرتين . وفي سنة ١٩٦٦ صدر ديوانه الثالث « عاشق من فلسطين » ، وقد كتب لشاعر اكثره وهو في السجن . وكان آخر ديوان له هو « آخر الليل » وقد اصدره بعد كارثة حرب يونية (حزيران) ، وقصائد هذا الديوان اكثر ايحاء ، وظلالا ، من دواوينه السابقة .

وقد حاربت السلطات الصهيونية الشاعر دون هوادة ، وفرضت رقابة شديدة على شعره ، وشعر زملائه. وتفاديا لمنع شعره من ان ينشر ، لجأ الى استعمال الرموز. ومع هذا فقد حذفت الرقابة لهؤلاء الشعراء كثيرا من قصائدهم . ولم يستطع محمود درويش ان يحصل على اذن بنشر ديوانه « عاشق من فلسطين » ، الا عن طريق التحايل على الرقابة ، اذ قدم عنوانه بالعبرية للرقابة على انه « عاشق من ارض اسرائيل » .

وفي كثير من الحالات ينشر الشاعر قصائده قبل ان يحصل على اذن من الرقابة ، ويضعها امام الامر الواقع ، ويكون مستعدا لتحمل النتائج . وهؤلاء الشعراء ينشرون شعرهم في جريدة « الاتحاد » غالبا ، وهي جريدة حزبهم . ومحمود درويش وسميح القاسم ، محرران فيها .

وتحاول السلطات الصهيونية ان تغري هؤلاء الشعراء بالوظائف والمرتبات المغرية ، ولكنهم يرفضون ، وبسبب هذا يساقون الى السجون ، وتفرض عليهم الاقامة الجبرية .

اما سميح القاسم فهو من قرية الرامة بالجليل ، وقد ولد سنة ١٩٣٩ في مدينة الزرقاء ، حيث كان والده في قوة الحدود في الجيش العربي الاردني . وقد انهى دراسته الابتدائية في قريته ، وخلال هذه الفترة حدثت مأساة عام ١٩٤٨ . ثم انهى دراسته الثانوية في الناصرة . ومنذ ان شب سميح عن الطوق ، وهو يكافح ضد الطائفية ، فهو درزي ، وقد حاولت السلطات الصهيونية ان تستغل هذا الجانب ، لتمزق صفوف العرب المقيمين في اسرائيل .

وقد صدر لسميح حتى الان الدواوين التالية : مواكب الشمس (١٩٥٨) ، اغاني الدروب (١٩٦٤) ، ارم ، (١٩٦٥) ، دمي على كفي ، (١٩٦٧) ، دخان البراكين (١٩٦٧) ، سقوط الاقنعة (١٩٦٩) . وقد صدر سميح ديوانه « اغاني الدروب » بالآية الكريمة : « ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليوم حديد » . وصدر ديوانه « دخان البراكين » بعبارة (بريخت) القائلة : « حين يفرغ الحاكمون من كلامهم ، فسوف يتكلم المحكومون » .

واما توفيق زياد فهو من الناصرة ، وهو في حدود الخمسين من العمر ، وله بين يدي ديوان شعر بعنوان : « اشد على ايديكم » .

وقد وضع محمود درويش تعريفا لشعر المقاومة ، فقال : « شعر المقاومة ، كما افهمه ، تعبير عن رفض الامر الواقع .. معبأ بأحساس ووعي عميقين بلا معقولية هذا الواقع ، وبضرورة تغييره ، والايمان بامكانية هذا التغيير » . وهذا التعريف يصف بدقة شعر المقاومة في الارض المحتلة .

انهم يرفضون الامر الواقع ، ويردون على المنطق الملتوي الذي يتذرع به الاعداء ، ويكشفون دجلهم ، فيقول محمود درويش في وصف ما فعل الصهاينة بالفلسطينيين :

وضعوا على فمه السلاسل
ربطوا يديه بصخرة الموتى
وقالوا : « انت قاتل » ! !

اخذوا طعامه ، والملابس ، والبيارق
ورموه في زنزانة الموتى ،
وقالوا : « انت سارق » !!
طردوه عن كل المرافيء
اخذوا حبيبته الصغيرة
ثم قالوا : « انت لاجيء » !!

يا دامي العينين ، والكفين
ان الليل زائل
لا غرفة التوقيف باقية
ولا زرد السلاسل !!
نيرون مات ، ولم تمت روما
بعينيها تقاتل ! !
وحبوب سنبلة تجف
ستملأ الوادي سنابل

وهم رغم كل هذا لن يرضوا بالواقع ، وسيستمرون في الكفاح الى اخر قطرة دم ، فيقول سميح القاسم في قصيدة طويلة بعنوان : « خطاب من سوق البطالة » .

ربما تسلبني اخر شبر من ترابي
ربما تطعم للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي
من اثاث ... واوان ... وخواب
ربما تحرق اشعاري وكتبي
ربما تطعم لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رعب
يا عدو الشمس ! .. لكن ، لن اساوم
والى اخر نبض في عروق ، ساقاوم

وشعرهم يدل على ارتباط عميق بالارض السليبة : بترابها ، وحجرها ، وشجرها ، وكل ذرة فيها . انه شعر ملتحم ، كما يقول محمود درويش « بكل ذرة من تراب ارضنا الغالية ، بصخورها ، ووديانها ، وجبالها ، واطلالها .. وانسانها الذي يظل مرفوع الرأس ، رغم ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينوء به كتفاه من اعباء ، وما يشد يديه وارادته من قيود .. انسانها الذي قاوم ولا يزال يقاوم الظلم ، والاضطهاد ومحاولات طمس الكيان والكرامة القومية والانسانية » .

ان هؤلاء الشعراء لا يكتبون عن المقاومة فقط ، بل يقاومون ايضا تحت اشرس الظروف . وانت تجد هذه المعاني كثيرة الترداد في شعرهم ، فيقول توفيق زياد من قصيدة بعنوان « هنا باقون » :

هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفي حلوقكم ،
كقطعة الزجاج ، كالصبار
وفي عيونكم ،
زوبعة من نار
هنا على صدوركم ، باقون كالجدار

ولتوفيق زياد قصيدة رائعة بعنوان « على جذع زيتونة » ، ويبدأها بالاشارة الى مدام لافارج ، التي كانت تحيك بالصوف اسماء أعداء الشعب الفرنسي عام ١٧٨٩ ، لتقتص منهم الثورة بعد انتصارها ، وهذه هي القصيدة :

لاني لا احيك الصوف
لاني كل يوم عرضة لاوامر التوقيف
وبيتي عرضة لزيارة البوليس
للتفتيش ، و « التنظيف »
لاني عاجز ان اشتري ورقا
ساحفر كل ما القى
واحفر كل اسراري
على زيتونة
في ساحة الدار .
ساحفر قصتي ، وفصول ماساتي
وآهاتي
على بيارتي ، وقبور امواتي ،
واحفر كل مر ذقته
يمحوه عشر حلاوة الآتي .
ساحفر رقم كل قسيمة
من ارضنا سلبت
وموقع قريتي ، وحدودها
وبيوت اهليها التي نسفت
واشجاري التي اقتلعت
وكل زهيرة برية سحقت
واسماء الذين تفننوا
في لوك اعصابي ، وانفاسي
واسماء السجون ، ونوع كل كلبشة
شدت على كفي
ودوسيهات حراسي
وكل شتيمة صبت على راسي
واحفر : « كفر قاسم لست انساها »
واحفر : « دير ياسين تشرش في ذكراها »
واحفر : « قد وصلنا قمة المأساة
لاكننا ، ولكناها
ولكنا وصلناها . »
ساحفر كل ما تحكي لي الشمس
ويهمسه لي القمر
وما ترويه قبرة
على البئر التي عشاقها هجروا .
لكي اذكر
سابقى قائما لحفر
جميع فصول ماساتي
وكل مراحل النكبة
من الحبة
الى القبة
على زيتونة في ساحة الدار !!

واكثر ما يزعج شعراء المقاومة في الارض المحتلة ، صنفان من الرجال : اولئك الانهزاميون الذين يودون لو انهم خلقوا في غير فلسطين ، واولئك الذين تركوا وطنهم للغريب المغتصب ، وفروا الى البلاد العربية الاخرى ، ليعودوا الى حياة الترف ، وكأن شيئا لم يحدث . اما الصنف الاول من الرجال فقد اجاد تصويره محمود درويش في قصيدته « عن الامنيات » حيث يعرض اماني الانهزاميين ، ثم ينهيها بقوله :

يا صديقي !
كل نهر وله نبع ، ومجرى ، وحياة
يا صديقي ! ارضنا ليست بعاقر
كل أرض ، ولها ميلاد
كل فجر ، وله موعد ثائر !!

واما الصنف الثاني من الرجال ، فخير تصوير له نجده في قصيدة سميح القاسم « اليك هناك حيث تموت » ، وفيها يصور احد الافراد ، وقد ترك اسرته في الارض المحتلة ، ولجأ الى بيروت ، واثرى ، وعاش حياة مترفة ، ثم رسل الى اخيه رسالة يطلب فيها منه ان يترك وطنه ، ويأتي اليه في بيروت ، فيرد عليه هذا الاخ المتشبث بأرضه ووطنه ، ردا قاسيا . والقصيدة رائعة بحيث تستحق ان نوردها كاملة ، ولكنا سنكتفي هنا بجواب الاخ في الارض المحتلة ، الى من في بيروت ، وهذا هو :

رسالتك التي اجتازت الي الليل والاسلاك
رسالتك التي حطت على بابي جناح ملاك
أتعلم ؟
حين فضتها يداي تنفضت اشواك
على وجهي ، وفي قلبي !!
اخي الغالي !
اليك هناك في بيروت
اليك هناك .. حيث تموت
كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيع المنبع
كاغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عمر
اليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
باكفان حريرية
اليك هناك ، يا جرحي ، ويا عاري
ويا ساكب ماء الوجه في ناري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرآة نفسي

كل شعري قبسته من روحي ... ان روحي كطائر مذبوح
واذا الشعر أثخنته جروح ... كان في النفس وقعه كالجروح
فهو طورا بركان غيظ عنيف ... وهو حينا كهمسة التسبيح
وهو حقا مرآة نفسي تعرت ... فيه نفسي وعبرت في وضوح
من عميق الوجدان او من ضميري ... كل ما قلت من قصيد فصيح
ريشتي صورت حقائق كوني ... وقريضي ما فاه غير الصحيح
ولصدق الاحساس في كنه شعري ... عشت في الناس شاردا كالمسيح
أو كطير أهيم من فرط وجدي ... في أعالي الربى وفوق السفوح
لو بسر الاوضاع صرحت يوما ... لرماني نحو الردى تصريحي
واذا ما انطوت خفايا شعوري ... بات يغني عنها صدى تلميحي

ليس بدعا اذا تمرد فكري ... ضاق صدري بما حوى من طموح
لا ولا من غرابة في انفعالي ... عصفت بالمنى صواعق ريح
وازالت يد القنوط لقلبي ... كل ما شاد من على وصروح
واذا ما ارتديت ثوب الليالي ... بت أشكو من لوعتي ، من جموحي
واذا ما النشيج لون شدوي ... فهو من وحي غربتي ونزوحي
في محيطي ، في عالمي ليس القى ... آدميا يحيا بقلب سموح
مطمحي قد اقمت صرح رؤاه ... لم يسعه مطاف وحيي الفسيح
غير اني لم ارتشف من شذاه ... فكأن الحياة للمستبيح
وكأن الامجاد حصة وغد ... في الزوايا يعيش عيش الكسيح
بيد ان الامجاد تحرز حتما ... بالضحايا ، وبالدم الممنوح
وكأني فلم أعش بؤس شعبي ... وبدنيا الفنون ما ذبت روحي
هكذا تعكس القصائد ظلا ... من هموم بها تغذت قروحي

بغداد

خضر عباس الصالحي

اليك ، اليك ، من قلبي المقاوم جائعا عاري
تحياتي ، واشواقي
ولعنة بيتك الباقي !!

ولشعراء المقاومة في الارض المحتلة شعر رائع في كل ما يمس جوانب القضية الفلسطينية ، والقضايا العربية عامة ، فقد نظموا في حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، ومجدوا نضال شعب الجزائر ، وتغنوا بالوحدة العربية التي هي بالنسبة لهم قضية بقاء امة او فنائها ، فهي المنقذ للعرب مما هم فيه . وفي شعرهم نهر من الحزن ، والحنين لاولئك الاحباب الذين ينتظرون عودتهم الى الوطن ، والذين عرفوا باسم « اللاجئين » .

وفي شعرهم بعد حرب حزيران ، الم لما حدث ، ونقد للذات ، وتحليل لاسباب الهزيمة . وهم يرون في الفدائي الامل والنور الذي اشرق في ظلام الكارثة . ولمحمود درويش قصيدة بعنوان « وعاد في كفن » ، واخرى لسميح القاسم بعنوان « الرجل الذي زار الموت » وهما من خيرة قصائد شعر المقاومة .

ان الحديث عن شعر المقاومة ، وشعرائها لا يكفي فيه مقال واحد ، ولهذا فمن الطبيعي ان تبقى هناك اشياء كثيرة تستحق ان تقال ، ولكنها لم تقل .

« شعراء الارض المحتلة !

لو ان الشعر لدينا ، يقفون امام قصائدكم ، لبدوا اقزاما ... اقزاما !! »

عمان ـ الاردن

محمود السمره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـودة الـروح

الى الذين نعوني وعزوا بوفاتي أقدم هذه الكلمات (الدكتور احمد مطلوب)

في غسق الليل وفي اعصاره الرهيب
والموج مجنون يصارع السحاب والقمر
فـينزل المطـــر
ويملأ القفـار والبحـار والدروب
دمـا يظل ينزف الدمـاء
والناس صرعى ترقب الضيـاء
وتسـأل القمـر
عن كوكب تـاه وراء الافـق الخضيب
ولم يعد ليمـلأ السـماء
نـورا يشق الليل والضياع
ويبعـث الرجـاء
في عـالم يلفـه الظـلام
والحقـد والـدم
طويت احلامي بـلا وداع
وصحت يا موج اقتلعني انا والمجذاف
ومـزق الشـراع
فليس لي في مهبط الاحلام
فجر يعيد العمر السليب

وفجـرت عـيون
تبتلـع المـلاح والسفـين
وغصت في أعماقهـا ابحث عن تنين
يحملني في فكـه لامين
وفتحت ابواب دنيا ما لها حدود
وانتفض الجـلاد
والسـوط فـي قبضتـه
ينساب كالنار على الاجساد
من شهد التعذيب في غياهب اليهود

او سمع الاخبار تروي قصة الجلاء
في القدس ، في حيفا ، وفي الجليل
في كل ارض نبضت عروبة بها
يعرف ما القاه من عذاب

يا بقعة مـن عالم مجهول
لذت بها ألتمس العزاء
والحـب والوفـاء
لأنـت أحنى مـن يد تمتد في الظلام
وتقطـف الـثمر
وتزرع الدمار في الحقول

وذات يوم ضحـك القدر
واندفع الاعصار يطوي الارض والسماء
ويـنزع الشـجر
ويـنزل المطـر
وعـادت الـروح الى القتيـل
تسأل عما قيل في المساء
عن فتنة عميـاء
تطوف في الحي بلا حياء
وتلعـق الدمـاء

لولاك يا أغنية تطل من غدي
وزهرتان رفتـا في برعم ندي
ما عدت للعالم من جديـد
أقتحم الاسوار والحديد
والقيـد في يـدي

بغداد — احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاخطل الصغير بشارة عبد الله الخوري

الاخطـل الصغـير

بقلم نسيب الاختيار

* * *

في زاوية من زوايا البرج . في بيروت . يقع مقهى ، انه ليس بالمقهى الكبير الضخم . الذي يغري الناس بارتياده والجلوس فيه . ولكنه كبير برواده الذين يقبعون في زواياه .

هذا المقهى البيروتي . عرفته وانا في مطلع حياتي . حيث كانت ايامي . تسير امامي . دون ان تلقى نظرة واحدة الى الوراء ، فتزرع في الارض ، في كل خطوة تخطوها ، غرسة ندية طرية . تتعهدها الاسابيع والشهور والاعوام لتصبح فيما بعد ذكريات آوي الى ظلها ، عندما تقف بي الحياة ، حيث انا الان .

وفي هذا المقهى الصغير . المنطوي على نفسه في رفق ، تعرفت على الاخطل الصغير ، وكانت تلك الفترة التي تعرفت عليه اوفر فترات حياته ، خصبا وغنى ، كانت قصائده ، شعر يغنى على كل لسان ، انها تلك الاغرودة الهامسة التي تريق على الشباب ، قطرات ندى ، ترقص لها احلامه وتتهادى آماله فيزهو بها على الزمان وتغدو حكاية من حكاياته . .

كنت اشعر وانا في مجلس الاخطل الصغير ، بأنني اطالع الغزل العربي ، عبر العصور ، صفحة صفحة ، فمن امرىء القيس ، الى عمر بن ابي ربيعة ، الى ابن زيدون ، انه شلال تاريخ ، ينحدر من بعيد ، ليستقر في هذا المقهى ، على تهدج صوت الشاعر الكبير ، وهو يتلو قصيدة من قصائده الجديدة .

ما من انسان ، يستمع او يقرأ شعر الاخطل الصغير ، الا ويقف على باب شعر العرب الغزلي ، ليطرقه ويلجه ، فبين الاخطل الصغير ، وبين تاريخ هذا اللون من الوان الشعر ، صلة قربى وثيقة تابعت مسيرتها ، في ازدهار موصول . . محققة في كل حقبة من حقبها العريقة ، ارثا جديدا يضاف الى الارث القديم ، لينتهي بها المطاف الى هذه الثورة الوطنية الموفورة ، التي حضنها الاخطل الصغير .

لقد اعطى اولئك الشعراء الغزليون ، على مختلف نزعاتهم ، في تصور الاشياء وتصويرها ، الشعر العربي ، قلوبهم ، وما كانت قلوبهم التي تتأثر بالجميل والجمال ، هي وحدها ينبوع وحيهم ، كانت ظروف حياتهم التاريخية ايضا تخلع ذاتها على قلوبهم ، فلم يكونوا غرباء ، وفي عزلة ، عن مشاعر وعواطف تلك الظروف ، كانوا يعطونها ويأخذون منها ، فكسوا دنياهم ، فطالعناهم في شعرهم ، كما طالعنا في هذا الشعر عصرهم .

وكان كل واحد من اولئك الشعراء يضيف شيئا جديدا ، على من سبقه ، ينمي الغزل العربي ويغنيه ، وما كان في مقدور اي منهم ان يسبق عصره ، ذلك لانه كان مرآة عصره ، كان مادته وروحه .

هذا الارث الذي حوى كنوز زمنه ، وما زال بريقه يأخذ بأبصارنا ، هو المنهل الذي عب منه الاخطل الصغير ، وهو على طريق تفتح موهبه . ولكن هذا الارث الفني ، لم يخلع نفسه عليه ليجعله على مثاله كما جعل الكثيرين من الشعراء الذين فتنوا به ، كانت للاخطل الصغير ، شخصيته ، كما كان له عصره ، ومن لقاء هذا العصر وتلك الشخصية ، انبثقت شاعريته .

اتاحت ظروف لبنان التاريخية ، خلال القرن الماضي لهذا البلد العربي ، ما لم يتح لغيره من اقطار الشرق العربي ، فقد حققت على ارضه هذه الظروف ، لقاء بين القديم والجديد معا ، لقاء بين الارث العربي القديم والادب الغربي الحديث ، فقد ايقظ الوعي الوطني ، شعور لبنان بتاريخه ، فارتد بنفسه الى الماضي ليستعين به على تحقيق ذاته ، فالتقى الغابر بالحاضر ، ليحيا في جو عصر احياء يضع بين يديه ، ثروة ادبية ضخمة كانت البداية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بداية تقليد ، لا يعبر عن شخصية لبنـــان التي يـروي حكاياتها ويصور حياتها ، كان عودة الى المـاضي ، فـي محتواه وشكله ، وعودة تأثرت الى حد بعيـد بعصـــور الانحطاط .. وايقظ الوعي الوطني ، شـعور لبنـان ، فأطل على الغرب، يتلقف من ثقافته ، ما يؤهله للنهوض بنفسه الى مستوى العصر ، ولكن ما تلقفه ، كان على الاكثر يمثل عصرا غير عصره ، ومع هذا الفارق ، فقد كان مـا تلقفه ، يمثل اتجاها جديدا ، ساعد هذا الاتجاه ، علـى التحرر الى حد ما ، من نزعة تقليد الارث الادبي القديم .

على ان الانفتاح على الغرب ، كان يسير بخطى حثيثة الى الامام ، فالتحرر من التقليد ، وخاصة آثار الانحطاط، دفع لبنان ، الى تقصي آثار عصر الازدهار ، في تاريـخ الادب العربي ، فقد ادى ذلك الانفتاح الى تنمية لـذوق الادبي واغنائه ، بحيث بات لبنان ، يبصر ويلمس ويحس القيم الادبية الحقة في الارث القديم فلم يعد الى تقليد ما تناهى اليه ، بل الى اتخاذه منطلقا الى الابتكار .

وكما ردد كوته عندما زار روما لاول مرة ، (الان ولدت من جديد) ، ردد كذلك لبنان ، عندمـــا التقـت افكاره ومشاعره ، بأفكار ومشاعر الاقدمين ، ردد لبنـان ذلك على ضوء من ولادته الجديدة ، المتفتحة على ادب الغـرب ..

على ان ادب الغرب الذي تفتح عليه لبنـان . في خطوته الثانية . كان ادب الرومانتيكية الفرنسية التـي يغلب عليها طابع العاطفة . اكثر من طابع الفكـر . انهـا ليست كالرومانتيكية الالمانية التي انجبت « كوتـه » ولا الانكليزية التي انجبت « شيلي » انها رومانتيكية الوجدان التي انجبت « موسيه » واضرابه ، انها اقـرب الـى رومـانتيكيـة الشـــعر العـذري التـــي عرفهـــا العصر الاموي .. ومع افتقار هذه الرومانتيكية الفرنسية الى الفكر ، فقد كانت شيئا جديدا في الادب العربـي . سواء أكان ذلك في الشكل والمحتوى . وكان تقبل لبنان لها . نتيجة طبيعية . لحقبة تاريخية معينة . حقبـــة ظروف موضوعية انعكست على الشعر .

في هذا الجو الرومانتيكي . تفتحـــت شـخصية وشاعرية الاخطل الصغير ، جو التحرر من تقليـد عصر الانحطاط ، والارتداد الى عصر الازدهار ، واطراح الى حد ما ، ادب القرنين السابع عشر والثامن عشر في الغرب .

ولم يكن الاخطل الصغير وحده ، هو الزهرة التـي فتح اكمامها هذا الجو . كان الشعر العربي في سـائـر البلدان العربية ، ينثر عبيره من حديقة الرومانتيكية . لقد كانت الرومانتيكية ، داء العصر في الوطن العربي كله ، الداء الذي يسير في ركاب الالم والتضحية ، موشـحا بمناديل الشكوى والدموع ..

الهوى والشباب والجمال ـ محور شعر الاخطـل الصغير ، ما من شاعر معاصر ، اشاد بهـذا الثالـوث ، اشادة الاخطل الصغير ، فقد عاش بهذا الثالوث وعاش له وصوره وعبر عنه بكل ما ينطوي عليه احساسه المرهف من رقـة وعـذوبـة .

كان الاخطل الصغير فنانا بطبيعته ، يحيا في الفـن في ذاته كما يحيا العطر في الزهر وكان شعره فيض مـا يحور في الذات ، لم يتأثر بفكرة (استتيكية) ولا بنزعة (صوفية) وانما تأثر في شعره ، عما صدر عن قلبـه ، فالاشياء التي تتراءى له يراها بعين ذاته .

على ان الذات عند الاخطل الصغير لـم تكـن ذات افكار ـ بل مشاعر ـ انها فراشة تـرف لا تغوص الـى الاعماق ، انها وهج الق يسكب النور في لمسات خاطفة وهي بسيطة ـ بساطة الجمال ولا تعاني عقدة كتلك العقد التي تطالعها لدى الكثيرين من شعراء الغرب ، ذلك لان الاخطل الصغير لم يعش المرحلة التي عاشها (بودلير) ولا (اليوت) ولا غيرهما من الشعراء الذين انعكست في قصائدهم ، مشاكل الحياة الكبرى ، فطبعت ذاتهم بطابـع القلق والاغتراب والضياع .

كان الاخطل الصغير الذي عاش مشاعره ، يريـق هذه المشاعر في شعره ، كما هـــي نجيش في ذاتـه ، فالعالم الخارجي بالنسبة له ، هو عالمه ، ومعاني الوجود هي معانيه ، ومع هذا الانبجاس الداخلي ، الذي نلاحظه في شعره ، فنحن لا نجد في قصائده ، ذلك الاهتمـــام البالغ بالذات فهو لا يصور اغوارها ولا يعبر عن ابعادها .

ولم يكن الاخطل الصغير ، شاعر تأملات ولا شطحات ، كان شاعر الحياة البكر ، يحسها ويلمسها ويراها بكـل وجوده ، فهي تنبض في عروقه ، عرقا .. عرقا ، يؤججها الهام فني ، ملحمتها الكبرى ، اشواق ودموع وجـوع ، وفرسانها نساك ، يرتلون انشودة الحب ، على مجامره .

وكان شأن الاخطل الصغير ، شأن الاوائـل مـن شعراء العرب ، ينبجس فيه ، الاحساس المجنح ، فيعبر عنه بوضوح وبساطة ، انه بعيد كل البعد عن الاســلوب الرمزي ، ذلك لان الفكرة لباب الرمز ، والفكـرة عنـد الاخطل الصغير خاطرة عـــابرة ، فهو لم يطرق بـاب (مالارمه) ولا انفتح على (فاليري) ولم يجنـح في رد ماتتيكيته الى نزعة ، جنوح (فينـي) الى (الرواقيـة) و (موسيه) الى (الجبرية) .

وكانت صلة الاخطل الصغير ، بالاوائل من شـعراء العرب صلة وثيقة موصولة ، فهم الائمـــة ، والقـدوة والنموذج ، ولكنه لم يكن مقلدا لهم ، ولا رجع صـدى ، كان اصيلا في حلبتهم ، اصالة تميزه عنهم وينفـرد بهـا دونهم .

وقد حيا الاخطل الصغير ، الارث العربي الشعري ، وخاصة في مجال الغزل ، مزيدا من المعـاني الجديدة ، والصور الجديدة ، كان ذلك البرزخ بين القديم والحديث.

وكانت صلة الاخطل الصغير ، بالاوائل من شـعراء

العرب من العمق بحيث انها جنت عليه . فبره بهم ووفاؤه لهم ، جعلاه ينهج نهجهم في استقلال البيت في القصيدة. فالبيت الشعري عنده في كثير من الاحايين ، يؤلف وحدة تامة في مبناه ومعناه .

والكلمة في شعر الاخطل الصغير ، مصطفاة مختارة، ما يزال يستبدلها بأخرى ، حتى تواتيه وهذا الكلف باصطفاء الكلمات بعد نظم القصيدة ، يفقد القصيدة في بعض الموطن عفوية الالهام ، فتبدو الكلمات كما لو انها رقع دخيلة .

وكان شعر الاخطل الصغير ، في مجمله ، شعر الربيع ، فلا اوراق متساقطة ولا غيوم متلبدة ، ولا لفحات محرقة ، وعاش شعره ، حياة الكثيرين من الناس ، وجد فيه الشباب حاضرهم والشيوخ ماضيهم .

هذا الشاعر الذي عاش الهوى والشباب والجمال . وتجلى في شعره ، وجودية ما عاشه ، لم يكن في عزلة عن حياة الناس .

كانت حياة الناس على المدى الاوسع من حياة الشاعر ، تشرئب بعنقها الى الحرية وتهفو الى تلك المعنى الجميل للحياة فمنذ قرون وقرون مديدة والناس في لبنان وغير لبنان ، من ارض العرب يصبون الى هذا المعنى الجميل ويتطلعون اليه .

كانوا يصبون ويتطلعون اليه لان الذين حالوا بينهم وبينه لم يسلبوه منهم فحسب بل حاولوا ايضا الحؤول بينهم وبين تاريخه العريق حاولوا ايضا قطع الطريق على ماضيهم وعزلهم عن هذا الماضي ومن شاركهم فيه . وعاش واياهم في رحابه عبر التاريخ .

لقد حاول الحكم الاجنبي الذي ران على لبنان وغير لبنان من ارض العرب ان يحقق ذاك كله مفيدا من تجاربه العديدة في حكم الشعوب ولكن الناس في لبنان كانوا على درجة من الوعي الوطني لا تجدى معها تلك التجارب ولا تغني الاساليب المستحدثة كانوا على مستوى من الوعي اتاح لهم احباط ما يراد بهم وما يرسم لحاضرهم ومستقبلهم وانعكس هذا الوعي على الشعر فعبر شعراء لبنان في قصائدهم عن العاطفة الوطنية التي تمور في قلوب الناس وتتدفق ، لتغدو لهبا تحت اقدام اولئك الذين حاولوا سلبهم اعز ما لديهم واغلى .

غير ان المحتوى لتلك العاطفة الوطنية التي جاشت في صدور الناس كان محتوى سياسيا وحسب ، والمفهوم التقدمي لذاك المحتوى لم يعد ومضات مقتبسة من الثورة الفرنسية فقد اضاءت هذه الومضات حياة الناس وبثت فيهم اٍمالا جديدة ، وحملتهم الى افاق لم يسبق لهم ان ارتادوها ولكن الزمن في مسيرته التاريخية الكبرى كان قد قطع اشواطا بعيدة ، فانسان القرن العشرين لم يعد انسان القرن الثامن عشر ،ولم تعد افكار (فولتر وروسو ، ومونتسكيو) مؤهلة لاداء رسالة الشاعر ، فقد حدثت تحولات وتطورات في العالم بدلت القيم والمفاهيم والمثل ، وعلاقات الناس ببعضهم بعضا بحيث ان التحرر السياسي من الحكم الاجنبي وحده لم يعد مستوفيا عناصر التجاوب مع روح العصر . بات التحرر السياسي الذي لا يواكبه التحرر لبناء تحررا غير مستكمل لمقومات الوطنية وكان زمن الاخطل الصغير زمنا مفتوحا لا تحجب فيه الافكار الجديدة ولا تسدل دونها السجف ولا تلفع بالطلاسم والاسرار فاذا ساغ في الماضي تبرير عدم توفر النضج التاريخي لدى الشاعر فان هذا التبرير لا يسوغ في الحاضر .

في هذا الجو الذي غلب عليه مفهوم الطابع السياسي لمقومات الوطنية عاش الاخطل الصغير وعلى هدى انواره نظم قصائده الوطنية . كان مثله مثل الكثيرين من شعراء العرب في ذاك الزمن عاش وعاشوا المفهوم الوطني لعقلية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وكان مثل الاخطل الصغير مثل اولئك الشعراء ايضا في التغني بامجاد الماضي وكان هذا التغني طبيعيا ومنطقيا فلم يكن بين ايدي الناس في ظل الحكم الاجنبي الا ذاك الماضي فهم يؤوبون الى رحابه ليجدوا فيه العزاء فتباكى الشعراء عليه كما تباكوا في الغابر على الاطلال .

ولكن اذا وجد الناس في الماضي عزاء فقد وجدوا فيه ايضا حافزا فقد كان هذا الارث الوطني ارثا مشرقا زاهيا اعطى الحضارة الانسانية اشياء كثيرة كما أسهم الى حد بعيد في دفعها الى الامام . والعودة الى مثل هذا الماضي تبعث في النفوس الطموح الى احيائه .

وقد حرك الماضي نفوس الناس ، ودفعهم الى احيائه من جديد . دفعهم ليحيوا ، اليوم امس وليجعلوا من الماضي حاضرا .

وانعكس هذا الطموح في شعر الشعراء ، وكان الاخطل الصغير احد اولئك الشعراء الذين جابوا آفاق الماضي العربي ليتغنوا به ويعزوا انفسهم بأمجاده ، وليجدوا فيه ينبوعا ثرا يلهم الشعب .

وهكذا عاش الاخطل الصغير حياة الناس في شعره ، عاش حياتهم في الهوى والشباب والجمال ، كما عاشها في الوطنية .

نسيب الاختيار

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمعة على القمر

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

كنت سرا مستغلقا كالزمان ... ونشيدا غنت به الشفتان
شغف الناس ما كتمت عن الناس ... قديما بكاذب من أمان
بنت عنهم فكنت في الناس ادعى ... لاحترام ورهبة في الجنان
فتن الناس بالخفي فتاهوا ... في غمار الخفي كالعميان
نظم الوهم عنك كل طريف ... وجليل من مشرق الالحان
وتلاقت على هواك قلوب ... شعبتها لواعج الاشجان
كنت للقلب في الظلام منارا ... ومعينا له على الحدثان
فنضا العلم سابغا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان
كنت دنيا من المنى لمحب ... وسميرا لحائر حيران
ومطافا تهفو اليه الاماني ... بجناح الخيال عن ايمان

كنت ملء الضمير في كل عصر ... ومنارا لخافق ولسان
صغت دنيا من الرؤى لم تطلها ... من قديم لذي الطموح يدان
خلب الناس زيفها فاستطابت ... أنفس الناس زيفها لافتتان
وجرت تقبس الخيال وتبني ... مشمخرا كالدهر ليس بفان
صاغت العرب من بهارجك السحر ... وجاءت بمعجز من بيان
فنضا العلم سابغا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

ليت شعري ولم يعد ثم سر ... كان يخفى او غامض عن عيان
سبر العلم غامضا لك ما كان ... ليرقى بخاطر او جنان
كنت اعجوبة يطيش بها العقل ... ولغزا مستعصيا غير دان
فاذا أنت مسلس بقياد ... كأسير ونهب كل بنان
جعلوا منك سلما واقاموا ... للاذى فيك حلبة الميدان
وطأ القوم بالسنابك غيلا ... واستباحوا ما عز عن عدوان
وجروا يقرعون غيلك من تيه ... بحد الظبا وكل سنان
ونضا العلم سابغا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

يا نجي الزمان ليس على الدهر ... أمان ولات حين أمان
عظة الدهر في شعابك قامت ... كالجواري ودون كل مكان
قمت تسعى على المدى بعناد ... مستطيبا مرارة الحرمان
وألفت السكون في حلك الليل ... وعدو الاشباح في الوديان
في صحاريك مشرع ومقيل ... لسراب ومربع للزمان
وثوى الموت مقعيا يتلوى ... من لغوب بغلة الظمآن
قحم الفيل هازئين أناس ... بغمار المنون كالشيطان
ونضا العلم سابغا من خيال ... كان ملء الابصار والاذهان

دمشق — عدنان مردم بك



نقـولا يوسـف

محمد ناجي الفنان المصور

بقلم نقـولا يوسـف

* * *

كان الفنان المصور ، العربي السكندري ، محمد نـاجي بين الرعيل الاول من رواد الحركة الفنية الحديثة التـي تجلت في مصر منذ اوائل القرن الحالي ، وانفردت بطابعها في التعبير ودعت الى ربط امجاد الماضي بيقظة الحاضر ، وبعث الفن الشعبي الممتد الجذور الى اعماق العصور .. وكرس ناجي حياته لخدمة الفن والنهوض بالمعاهد الفنية في بلاده ، طوال اربعين عاما في جهاد متصل ، وانتـاج فائق ، وتنقل بين البلادوالاقطار ، وبين القديم والحديث .

وولد محمد ناجي يوم ١٧ من يناير ١٨٨٨ في بيـت أبيه موسى ناجي ، على ضفة ترعة المحمودية بحي محرم بك بالاسكندرية .. وشب بـين اسرة تتـذوق الادب والفنون ، فوالده يقرأ الكتب الادبية والعلمية ، وجدتـه تكتب الشعر ، وشقيقته الصغرى الفنانة « عفت ناجي » تتمرس بالرسم والتصوير ، وهو بفطرته مهيأ ليصبـح الفنان الكبير .. والبيت يطل على الترعـة والريـف ، ويتوسط حديقة غنية بالاشجار والازهار .. وفناننـا الصبي يستلهم ما حوله من طبيعة ريفية وبيئة شعبية .. وينفرد على ضفة الترعة تحت الاساطير القديمة ، ويكتب عنها بلغة شعرية ، ويعزف على العود والكمان ، محاولا التعبير بشتى لغات الفن ، عما يجيش في قلبه الفتي مـن احلام وآمال ، راح يجسدها في لوحاته الخالـدة طيلـة العمر ، وظل يصورها بقلمه في رسائله الخاصـة الـى أصدقائه وفي احاديثه وكتاباته ..

وأتم فناننا تعليمه الابتدائي والثانـوي بمدارس الاسكندرية ، ثم سافر عام ١٩٠٦ الى فرنسا للالتحـاق بكلية ليون حيث درس القانون تلبية لرغبة أبيه ، وحصل عام ١٩١٠ على اجازة « ليسانس » القانون ..

غير ان ميله الفطري الى الفن وحده ، دفعه الـى الالتحاق بأكاديمية الفنون الجميلة بفلورنسة في ايطاليا ، حيث ظـل فيما بين ١٩١٠ ـ ١٩١٤ يدرس الرسـم والتصوير ، ويتعمق لوحات الاساتذة في عصر النهضة .. وامضى فترة خلال ١٩١١ في سويسره يعالج من مرض ألم به وقتذاك .. كما كان يقضي في بلاده بعض شهور الشتاء متنقلا بين الاسكندرية والقاهرة والاقصر باحثـا وراء مستلهمات التصوير ، وتعود لوحته الباكرة « قطف البلح » عام ١٩١٢ الى ذلك العهد ..

كذلك عاش سني الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) فيما بين مرسمه بالاقصر ، ومرسمه « بـدرب اللبانة » بحي القلعة بالقاهرة . وفي الاقصر كان يقيـم مرسمه شتاء في قرية « القرنة » . وهناك يقوم بجولاته لدرس الاثار القديمة ويستوحيها صوره .. طائفا بالمعابد والاطلال المنثورة على ضفة النيل وفي الصحراء . وفـي « طيبة » ومدينة « هـابو » ، وبين أبهاء « الكرنـك » ، ووادي المقابر ، ومعبد حتشبسوت .. متأمـلا الصـور والرسوم المنقوشة على الاعمدة والجدران تحكي الاساطير وتروي احداث التاريخ .. وثمت استوحى ذلك العالـم السحري القديم عددا من لوحاته ، ومنها لوحته الكبيرة : « نهضة مصر » او « موكب ايزيس » وقد رمز فيها الى مصر بـ « ايزيس » يتبعها شعبها في موكب حاشـد ، والجموع تتقدم اليها بما لديها من ثمرات الزرع والعلـم والفن ، والامهات يقدمن لها اولادهن .. (وقد زينـت لوحاته ذات الطابع المصري القديم ـ وبينها صور «طيبة» ومعالمها ، الجناح المصري في المعرض الدولي بباريس عام ١٩٣٧) .

وارتحل فناننا الى باريس عام ١٩١٩ وهناك تعرف الى الفنان الفرنسي « التأثيري » كلود مونيه .. وأقـام مرسما في بلدة « جيفرلي » بفرنسا واتجه في فنـه الى « المدرسة التأثيرية » .. وبينما كانت اعماله الاولى تميل غالبا الى الفن « التنقيطي » ، ومع تقبله للفن « التأثيري» كان يفضل احيانا فن « جوجان » لبراعته في التلوين ، واقتبس منه تناسـق الالوان حيث يحتفظ كـل لـون بروعته وجلائه .. كما انه برع في الفن « الكلاسـيكي » .. ومع ذلك فقد أستطاع ناجي ان يحتفظ بشخصيتـه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنية ، ورأى ان انتقاء الالوان وتوزيعها ، واستخدام الخطوط ، واختيار الموضوعات يجب ان تتسم بالطابع الشخصي دون المحاكاة ..

وعندما عاد ناجي الى وطنه عام ١٩١٩ أسهم في الانتفاضة الوطنية المطالبة بالتحرر والاستقلال ، والداعية الى النهضة والتجدد ، يعدد من لوحاته الرامزة الى النهضة ، وفي مقدمتها اللوحة الكبرى السالفة الذكر : « موكب ايزيس » ، والتي نالت المدالية الذهبية في « صالون الفنانين المصريين » بباريس عام ١٩٢٢ .

وفي مدى اربع سنوات ، انخرط فناننا في «السلك الدبلوماسي » بوزارة الخارجية المصرية .. ورحل في يونيه ١٩٢٥ الى البرازيل ملحقا بالسفارة المصرية بريو دي جانيرو .. وهناك كان يمضي فراغه في تصوير معالم البرازيل ومناظر ريفها .. وانتقل منها عام ١٩٢٧ الى السفارة المصرية بباريس ، وتعرف الى الرسام الناقد الفرنسي اندريه لون ، وظل هناك حتى عام ١٩٢٩ .. وفي ذلك العام مثل بلاده في « مؤتمر الفنون الشعبية » في براج ، والقى فيه خطابا بالفرنسية دافع فيه عن فن بلده وبخاصة فنونها الشعبية وواجب تقديرها والنهوض بها ، وختم كلمته بقوله : ـ

« .. واني اود ان اعبر عن املي ورجائي في ان تستعيد فنوننا الشعبية سابق حيويتها ونشاطها ، ولا سيما بعدما لاقته من عنت بسبب ترفع بعض مواطنينا الذين يأنفون من كل ما هو شعبي ، ويفضلون عليه الفن الدخيل ، وان كان الفن الشعبي كما سمحت لنفسي ان أعرفه : هو الصورة التي يتجلى فيها احساس كل شعب وقوة ادراكه الخاصة ، والتي يعبر بها الفرد عن مشاعره المكنونة ، فيخرجها الى حيز الوجود في صورة تشكيلية او موسيقية .. وارجو ان يفسح لهذا الفن مكان في دراسة الفنون الجميلة حتى تكتسب بفضل ما يحدثه في نفوسنا روح الابداع والتجديد ... »

وفي عام ١٩٣٠ استقال ناجي من الوظائف الدبلوماسية ليتفرغ الى رسالته الفنية والانتاج الفني بقية حياته ..

ورحل عام ١٩٣٢ في بعثة فنية رسمية الى اثيوبيا حيث امضى سنة صور خلالها الحياة في البيئة الاثيوبية، ومناظرها وتقاليدها وحفلاتها، ورسم امبرطورها واسقفها في نحو خمسين لوحة زيتية تتجه الى الاسلوب « التأثيري » ، عدا حوالي ثلثمائة من الرسوم ذات الالوان المائيةوالقلمية ، ومن ذلك مناظر «أديس أبابا» وضواحيها ، والنجاشي على جواده ، ووجوه حبشية لرجال ونساء ، وأحد السعف ، والسوق ، ومحكمة في الهواء ، ومسرح حبشي ... وغيرها .

كما قام برحلة فنية الى بلاد اليونان ومقدونية وقبرص ورسم هناك عددا من الصور ..

واسس عام ١٩٣٤ « أتيلييه » الاسكندرية ، وضم جماعة من الفنانين والادباء ، واختير رئيسا له ..

وفي العام نفسه عهدت اليه جمعية المؤاساة بالاسكندرية برسم بعض لوحات لتاريخ الطب ، لوضعها في بهو مستشفى المؤاساة بالثغر ، وقدم لها ناجي اربع لوحات تمثل الطب عند العرب ، والطب في الريف ، والطب عند قدماء المصريين ، ولم تزل هذه اللوحات معروضة هناك ..

واقيم له معرض في لندن عام ١٩٣٥ واقتنى احد النواب لوحته : « احد السعف في الحبشة » واهداها الى متحف « تيت جاليري » بلندن ..

ووضعت لوحته : « عصر احياء الفنون » في احد أبهاء مجلس الامة بالقاهرة .

وعين ناجي عام ١٩٣٧ مديرا لمدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة (كلية الفنون الجميلة) ـ فكان اول عربي يعين مديرا لهذه المدرسة .. وفي عام ١٩٣٩ عين مديرا لمتحف الفن الحديث بالقاهرة ..

وعاد عام ١٩٤٠ الى الاقصر ، وكان اول من عرض انشاء مرسم لطلبة مدرسة الفنون لدراسة الفن المصري القديم .. وفي يناير من هذا العام نشر له حديث يقول فيه « .. لا ريب ان تاريخ مصر العسكري جدير بعناية الفنانين المصريين ، اذ في تسجيل هذا المجد في لوحات الفن احياء له وتبجيل لذكرى رجاله الذين بذلوا من دمائهم وجهودهم ما يشهد لهم بالبطولة والنبوغ » ..

وانتدب عام ١٩٤٦ الى « مؤتمر الادباء والفنانين » بلندن .. ثم سافر الى اسبانيا لتصوير بعض مناظرها .. وعين عام ١٩٤٧ مديرا لاكاديمية الفنون الجميلة برومه ، وظل برومه مستشارا ثقافيا لبلاده حتى عام ١٩٥٠ ثم رجع الى بلاده لينشيء عام ١٩٥١ « جماعة الاتيلييه بالقاهرة » وانتخب رئيسا له ..

واخيرا رأى ان يستقر في وطنه ، فبنى عام ١٩٥٢ مرسما خاصا يتوسط حديقة في بقعة من الصحراء تشرف عليها اهرام الجيزه ـ وسط الهدوء وذكريات التاريخ .. وزين مرسمه هذا بلوحاته ، وذكريات رحلاته ، وببعض اعمال كبار الفنانين . وعاش في هذا المرسم نحو اربع سنوات استكمل خلالها بعض اعماله ، غير أن القدر لم يمهله طويلا ، فودع الحياة في مرسمه يوم ٥ من ابريل ١٩٥٦ ـ في الثامنة والستين من العمر ـ ودفن في الاسكندرية .. وتحول مرسمه هذا الى متحف خاص به تشرف عليه وزارة الثقافة ، ويجتمع فيه الكثير من آثاره وذكرياته ولوحاته ..

وقد عمد مواطنوه عقب وفاته الى تخليد ذكراه

---

(١) كتاب : « الحياة الشعبية في رسوم ناجي » لسعد الخادم (١٩٦٥) ـ ومقالة : « ناجي بين الاسكندرية مسقط رأسه وطيبة وحيه الاصيل» لعفت ناجي .. (المجلة بالقاهرة يناير ١٩٦٩) ـ وفن ناجي لبدر الدين أبو غازي ـ دراسات .

غـدا

الى التي اقفلت عينيها المكدودتين وهي تسألني متى نعود ؟ .. فاقـول غـدا ..
الى الراقدة في تراب غريب تنتظر ان نعود بها الى ترابنا هناك ... الى أمـي

غـدا يا لشوقي ليـوم الغـد
غـدا تبزغ الشمس في الموعد
وبعـد الدجـى
تـلألأ شمس الشريـد

غـدا يزحف الركب من كل حدب
يطهـر اقدس تـرب
ويحمل اجداث امواتنـا
لتدفن تحت الثرى الطيب

غدا يا دمـاء الشـهيد
سـتثأر ممـن تجنـى
يـدوي النفـير
ورايـاتنـا
أمـام المواكب خفاقـة

تزغرد كـل النساء

تهز البطولـة اطفالنـا
ليمسوا بلمحـة عين شـبابـا
وتقـدح من شرر العـزم
في كـل جسـم

غدا يا بلادي مهما تجنوا
ستشـفى الجـراح
وتصبح خيمتنـا ذكريات
وننسـى النـواح

غدا .. وتأجـج يا شوقنـا
ليـوم الغـد
وحث الخطى يا محجـل .. اسرع
فانا مع الموجد في الموعـد

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعث تراثه ، فالى جانب تحويل مرسمه في صـحراء الاهرام الى متحف قومي ، أقام « المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب » معرضا شاملا لاعمال الفنـان الفقيـد بمتحف الفن الحديث بالقاهرة ، وانتج فلما سينمائيا عن حياته واعماله ، ونظمت الفنانة « عفت ناجي » عام ١٩٦١ في الذكرى الخامسة لوفاته معرضا لرسومه ولوحاته مما لم يسبق عرضه .. واخذ النقاد يكتبون عن فنه الابحاث والمؤلفـات .. (١)

وكانت قد اقيمت المعارض لاعمال محمد ناجي في القاهرة والاسكندرية واثيوبيا واوروبا ، ومونتفديو عاصمة اورجواي بأميركا الجنوبية ، وفي رومة عام ١٩٦٣ .

واستأثر مسقط راسه ـ الاسكندرية ـ بعـدد من لوحاته ورسومه . فمن رسوم بالاقلام الملونة لشتى مناظر ترعة المحمودية ، مراكبها الشراعية ، وضفافها الريفية ، ونخيلها وقروياتها .. الى صور لشاطىء الميناء الشرقي ، وبستان بالاسكندرية ، وفتاة من الثغر .. الى لوحـات مستشفى المؤاساة عن الطب القديم .. وتـزدان اليـوم قاعة الاجتماعات بمحافظة الاسكندرية بلوحته الكبيرة : « مدرسة الاسكندرية » التي جمع فيها الفنان أشـهر الشخصيات القديمة والحديثة في العلـوم والفنـون ، وتتوسط اللوحة فتاة ترمز الى مدينة الاسكندرية وحولها الاسكندر مؤسس المدينة ، والفلاسفة والعلماء والشعراء والفنانون ممن يمثلون الحضارات التي مرت بالمدينة ، اغريقية وعربية ، الى يومنا هذا .. كمـا ترى في هـذه اللوحة الكبرى بعض معالم الاسكندرية القديمة والحديثة، المكتبةالقديمة ، والموزيوموالميناء الشرقي ، وقلعة قايتباي، ومسجد ابي العباس المرسي ..

وتابعت شقيقة الفنان وتلميذته ، المصورة الفنـانة « عفت ناجي » رسالته واخذت تصهر احاسيسها الخاصة تجاه التراث العربيوالشعبي في قالب معاصر ، مستخدمة في لوحاتها الالوان الصريحة التي تمتاز بها طبيعة بلادها وتاريخها ومتاحفها .

لقد مضت اليوم ثلاثة عشر عاما على وفـاة الفنـان العربي الكبير محمد ناجي وما زالت لوحاته المنتشرة في الشرق والغرب قيد الدرس والنقد والتقدير .

الاسكندرية — نقولا يوسف

اصـــداء

بقلم اديـل الخشن

★

معك ، وبعيدة عنك يا حبيبي
همومك تقصيني ...
وسماؤنا التي تمطر العتمة
تحجبـك عنـي ...

كيف غدونا نتخبط كالغرقـى
نبحـث في ـلزوايـا المنسـية
عن عكـاز مصلوب
نتيه في دروبنا دون بصيص ضوء ،
نهفـو الى سراج ،
نعلقه في سقف الكوخ ! .

غنني يا حبيبـي ،
أنشد لـي شـعرك
مـد لـي صوتك ،
لاحني راسي تحت قبابه
لاجثو على حنين نغماتـه
ليعبر صوتك الي في دنيا اغترابي
ولترو همساتك جفاف الصحارى ! .

ـوم التقيتـك ،
اسمعتني نشـيد الانشـاد
وغنيت مزامير النجـوى
فاشتعل الخصب يتدفق كالنار
والسنابـل المثقلـة ،
توهـج ذهبهـا تحت مراوح تموز ،
وذاك الوله الفافي
تململ فوق اهدابي الممتدة
يحملك الـي
عبر شلالات الصمت المنهمرة .

مدننا التى تملؤها المآذن والاجراس
تنتصب فيها الاعمدة !

ويرنحها دوار ابكـم .

بعد الخامس من حزيران ،
كنت معكم في حلقة الجباه المحنية ،
رايت كيف تضيع الزفرات ،
وكيف على طاولة عاريـة
اذبتم ضراعة الاجفـان
وبعد مرارة الصلب
طويتم ايديكم الى الوراء
وظلـت المبـاخر تـدار
وظلت المجالس تختنق بدوائر الدخان !

بعد الخامس من حزيران طال بعدك ،
وعيوني مشدودة اليك ،
كم احب ان يطل علي طيفك
ان اشرب كلماتك المهموسة
واسمعك تقرأ قصيدة حب ،
كم اشتاق الى رقصات الفيوم على اهدابك
والى اصداء انغامك في اعماقي ،
انشـــد ،
فيورق اليباس في قلبي
وينبض الحجر لتسابيحك ،
انشد لتتفجر ينابيع الضوء
في نوافـذ الليـل
وتساقط على يديـك
تساقط التائه في واحة الظل .

دم حزيران الاسود يصبغ كل شهورنا
وانـت كالمدخنـة
تعيش في معانقة اللهـب
كـالبركـــان
تقذف احشاءك في معاناة .

تعال ازح ستائـرك
وتسلل الي ايها الغائب ،
خذني الى صـدرك
لاستشرف آفـاق الضوء
ولنهاجـر معـــا
الى تلك الارض الاستوائية
حيث ينهمر المطـر
بعد استعـار اللهـب
في مرايـا الغبـــار .

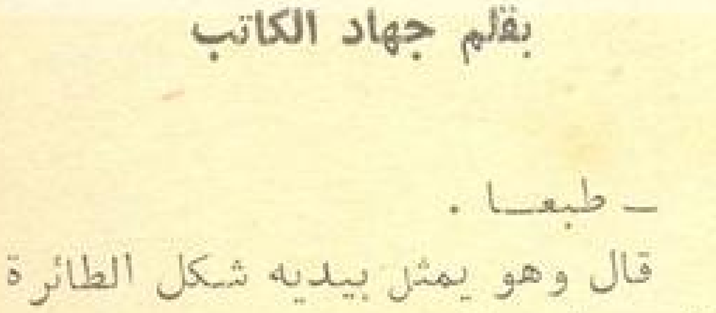
الشويفات ـ لبنان

اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البنادق الطويلة

بقلم جهاد الكاتب



طالت صلاة ابي ، واستمر دعاؤه .. يفتح يديه ويرفع رأسه ، ثم يركع في استغراق . ليلة الامس كانت سهرة وداع .. وضعت امي كل ما عندها للعشاء ، وصنعت كثرة من انواع الطعام ، وتفننت في ترتيبه .

ـ غدا تسافر .. كل .

اكلت .. حدثت اخوتي عن كل شيء .. جعلت نفسي واعظا ، ورحت احكي دون انقطاع ، على الرغم من انني احب الصمت . كانت بي رغبة ان اقول لهم كل ما في صدري . عيونهم تقتل وجهي ، تقتتل في عناقه . امي اوصتني الا اقطع الرسائل .. وبكت . كنا ناكل ببطء .. فامتد العشاء طويلا . لم يحك والدي شيئا كما عهدته ، ظل صامتا يلمس بين حين واخر شاربيه الطويلين ، ويفرك ذقنه ، ويكشف قبعته عن رأسه ليتظاهر بمسحه .. ثم هو يسعل سعالا ناشفا . اخي الصغير جلس طوال السهرة قربي ولم يفارقني . سبقني في الحديث الساذج ، وامطرني اسئلة محرجة .. وقبل ان يتعانق العقربان عند الثانية عشرة اوصيتهم الا يستيقظوا باكرا . ولم يستطع النوم قهر عيني .. لم اترك شيئا تافها في حياتي لم اتذكره .. شريط طويل من الذكريات والاحداث وصور الطفولة الباهتة .. وعند الرابعة صباحا كانت حركة بطيئة تتسلل عبر غرف بيتنا الصغيرة .

لصقت انفي بزجاج النافذة المشرفة على حديقة الحي .. الظلام المذعور يتراجع ، وكل شيء ساكن .. اخرس . ووراء الحديقة لا زالت أشباح البيوت الجميلة الملونة النوافذ ، وذات القرائش الذهبية ، تغط في احلامها . ولم يكن سوى صوت نافورة البركة المرمرية التي أطرب لسماعها لانها تذكرني بصوت البحر فتدخل الراحة الى نفسي ، وصخب عصافير الصباح يدغدغ جنبات الحديقة من فوق اغصان ندية . كل تلك البيوت ساغادرها هذا اليوم .. وهذا الشارع الضيق الذي امضيت طفولتي وانا احلم بان اكون احد قاطنيه سأودعه لاحلم بلقائه .. بلقاء جارنا العجوز ، ناسج الحكايا وقارىء الكف .. ولقاء اطفال حارتي الصغار الذين علمتهم لعبة « اليهودي المرعوب » ليضحكوا . حتى حارس المبنى الاعور اشعر الان بحزن لفراقه ، في حين كنت أتجنب النظر الى سحنته الملوثة بالشعر الغريب والعاهة . قلت لاخي الصغير :

ـ الم أقل لك ان تنام ! ..

سكت .. لعله لم يسمعني ، ولكنه سألني بسرعة واهتمام غريب :

ـ ستركب الطائرة ؟ !

ابتسمت له ..

ـ طبعا .

قال وهو يمثل بيديه شكل الطائرة التي تنقض :

ـ وتقتلهم كلهم ..

ـ كلهم .

سألني باطمئنان والفرح الساذج يلون جبينه وخصلة شعره الفاحمة :

ـ وبعدها ؟!

ـ سأعود ..

أمسك يدي ، ونبهني الى امي التي وقفت في زاوية الغرفة تصلي بتبتل تام .

قال اخي الصغير :

ـ من الغد .. سأصلي مع امي .

ضحكت ، وقلت له :

ـ لماذا لا تصلي من اليوم !

اختفى وهو يكتم فرحا غريبا .. وعاد يحمل حصالته ، افرغها على الطاولة وابتسامة تقطر من شفتيه وعينيه :

ـ ستشتري لي بندقية صغيرة من الشام ..

ـ سآتي لك ببندقية طويلة ..

ـ تقتل !!

وجوههم لا زالت في عيني ، وجوه صارمة .. شوارب سود ، وعيون تقدح رجولة ، رؤوسهم ملفوفة بمناديل عربية منقطة .. طوال القامة ، وعلى خصر كل منهم خنجر ، وعلى كتفه تتدلى بندقية طويلة ، ويوشح صدره شريط من الجيوب الجلدية ذات الاسنان الصفراء . وقفت يومها مع ابناء حينا القديم نتدافع بين سيقانهم المشدودة اليها بناطيل قاتمة تنخرط في احذية غليظة سود . لمست خنجر احد الرجال .. لمست عقب بندقيته الطويلة ، فابتسم لي ، وقال وهو يدفعني بلطف :

اذهب الى البيت .. امك تفتش عنك ..

كنا نلتف حول باب واسع لنرقبهم وهم يدخلون ويخرجون ..

ـ انظروا .. على ايديهم خرق بيض !

ـ الى اين يذهبون .. ؟

ـ الى الحرب .

ـ سيقتلون اليهود !

وتطرب صدورنا .. سيذهبون الى الحرب .. وتتعاظم النشوة فيها ، ويروح كل منا يقلدهم . حمل كل منا قضيبا من الخشب او غصنا بابسا وربط أوله واخره بخيط ثخين ، وتقلده على كتفه .. رسمنا على وجوهنا بالفحم شوارب وعكفناها ، ووضعنا شرائط بيضا فارغة من الكتابات على سواعدنا .. مثلنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرب .. تحاربنا دون ملل . وفي يوم اختفى هؤلاء الرجال وغلق الباب الواسع .

ولحظنا ان الرجال يلتفون حول اجهزة المذياع في السوق :

ـ صارت الحرب ..

وانتظرنا ان يعود الرجال لنلمس بنادقهم ، ونحملق في وجوههم المغبرة القوية ، ولم يفتح الباب العريض لان الرجال لم يعودوا ، وظل البكاء يخرج من بيوت حينا ، فعرفنا ان الحرب انتهت .

في حلقي غصة .. وعلى شفتي ابتسامة مسروقة ، ان لحظات الوداع تقهرني دوما ، فهي اللحظات التي لا يمكن لانسان الا ان يصدق عواطفه معها . كم حاولت أن اثني أهلي عن هذه اللحظة ولكنني اخفقت . حاولت ان اكون محدثا كليلة الامس .. فأخفقت مرة ثانية ..

كان اخي الصغير يلاحقني بفضوله واستفساراته ويسكبها في اذني :

ـ الن تأخذني معك ؟!

ـ سأذهب بعيدا ..

ـ كيف ستقتلهم ؟!

ولم ينتظر جوابا ، اذ تابع :

ـ لماذا يذبحون الاولاد ..

قلت له بهدوء :

ـ وحوش ..

ـ هل لهم قرون واسنان ؟ !

ـ ليس لهم قرون .. ولكنهم وحوش .

ليسوا مثلنا .. عيون صغيرة يأكلها الخوف والحقد ، وانف ناعم وشفتان رقيقتان وشعر باهت واصفرار في الوجنتين .. وذقون دقيقة تنقط لؤما وجبنا .. انهم لا يشبهون الانسان . لقد عرفتهم عن قرب ، لان حيهم كان يلاصق حينا . لم نكرههم ونحن صغار .. ولكننا لم نتجرأ يوما ان ندخل ازقتهم الطويلة الملتوية ، والرجال وحدهم يدخلون الحي نهاراً ، ويتسللون اليه ليلا ليعودوا مع ضوء الصباح . كيف لا نخاف ازقتهم وهم يخطفون الاولاد ... كنا نغمض أعيننا عندما كان اهلونا يهددوننا باليهودي الذي سيخطفنا ! . كم كنت ارغب دوما ان يصطحبني والدي معه عبر الحي الاسطوري ، فأمسك يده .. اتشبث بها وانا استعرض وجوههم المغبرة واتحداهم ان يخطفوني ، واراقبهم وهم يصطفون مساء على كراسيهم امام ابواب قصيرة ، يتهامسون ويراقبون المارة بعيون تسيل خبثا ، وشفاه يضحكها اللؤم والدناءة ، وجباه يرتع عليها العهر ..

المرأة العجوز اليهودية يتراقص شبحها امامي .. صوتها مواء قطة شرسة .. طويلة الساقين ، ذات شاربين ناعمين ، واذنين يتدلى منهما قرطان صفراوان .. وصدر نصف عار .. وثوب كالح وسخ . مررت وحيدا من الحي مسرعا ، بعد ان راهنت رفاقي على عبوره ، وقرروا ان ينتظروني عند مدخله الغربي .. استوقفتني العجوز في الزقاق الضيق ، في عينيها احمرار ، وصفعتني :

ـ لماذا ضربت موسى ؟!

لم استطع الهرب .. أمسكت يدي فصرخت .. صرخت وهي تطبق فمي بكفها المتعرق .. جرتني الى مدخل البيت .. فقاومت ، ونهرها صوت رجل خشن :

ـ اتركي الولد ..

صفعت وجهي ، وصرخت :

ـ سرق الفرنك من موسى ..

حرامي .. كلب ..

بكيت ، وسال دم غزير من أنفي . كرهتهم لانهم يحبون الدم ، وتمنيت أن اقتلهم جميعا . يجب الا يبكي اخي الصغير .. ان يظل فمه نظيفا لا تلوثه كف امراة يهودية .

تشاغلت بتفقد حقيبتي .. افرغت حوائج كثيرة منها ، فلن يلزمني منها سوى بذة واحدة ، سيأكلها العرق والغبار ، وتمتص لونها شمس محرقة ولكنها لن تهتريء . منذ يومين قال لي جارنا العجوز قارىء الكف ، وهو ينقل بصره بين كفي المبسوطة وعيني .

ـ لم أر مثل كفك في حياتي ..

دقق بصره باهتمام .. ودفع نظارته السميكة الى الوراء :

ـ طريقك مسدود !

ـ كيف عرفت ؟

لم يجب ، فضحكت . تلك هي المرة الاولى التي اسمح فيها لنفسي بارتكاب هذه الهفوة المسلية .. ولكنني الان اشعر برغبة ملحة ليقرا كفي بهدوء واسمعه بجد وانتباه :

ـ هل تستطيع ان تتنبأ ؟

ظل صامتا ولم يضف شيئا ، بينما انا اراقب شفتيه الذائبتين ، وطربوشه الاحمر القاتم الذي يثير في نفسي حوادث تاريخية قديمة لا ادرك مبعثها او مدى ارتباطها بهذا الغطاء الغريب .. صورة والدي الكبيرة المعلقة في البيت شاب في العشرين يرتدي ثوبا عسكريا ضيقا ، وجعب منوعة تتدلى حول خصره المعصوب بحزام جلدي عريض .. طربوشه مائل وبندقيته طويلة تصل الركبة .

اذكر حديث والدي عن الحرب .. في عصرنا كنا نهرب من الجندية ، ويختبىء الشبان في القرى ، او يهجرون البلاد . كنا ندرك حين نذهب اننا لن نعود ، وكانت أمهاتنا يلاحقن القطار الراحل بالدموع ، وكن يدركن انهن يودعنا الوداع الاخير . لم نكن ندري لماذا نقاتل ، ومن نقاتل ، ولماذا يجب ان نموت بعيدا عن بلادنا بلا قبور صغيرة تحنو علينا .. كل ما نعرفه انه يجب ان نحارب وان نموت ، لان اناسا لا نعرفهم ارادوا لنا ذلك .

عندما دقت الساعة الخامسة ، وحان موعد قدوم السيارة التي ستقلني الى مكان بعيد ، شعرت بارتياح غريب يتسلل قلبي .. احب كل الناس ، حتى الذين شاجرتهم يوما .. حتى الذين عباوا صدورهم بغضا احببتهم . رددت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امي :

ـ لا تنس الرسائل .

ـ سأكتب كل يوم رسالة ..

قلت هذا ، ويقيني انه لن يتاح لي وقت اكتب فيه سطرا . ابتسمت امي .. قبلت جبيني ، فتصاعد الحب في صدري .. حب يحطم كل شيء ..

ـ خذ .. دعه معك دائما ..

ناولتني مصحفا صغيرا في رداء كتاني انيق ، فاستقبلته بقبلة وغيبته في سترتي مرتاحا . قلت لاخي الصغير اداعبه :

ـ اذا لم تكتب لي رسالة لن احضر لك بندقية طويلة ..

قبل يدي . وقال متسائلا :

ـ لن تنساني .. الا احبك ؟!

من اجلكم انتم ايها الاطفال يجب ان نموت ، من اجل بركة الماء المرمرية والاشجار الدائمة الاخضرار والبيوت الحالمة وعرائش « العسلة » .. لتبقى كلها تضاحك الاطفال .. من أجل ان تظل لهم حدائق يجب ان نموت .. حدائق يلعبون فيها ويمرحون ويتمازحون ، حدائق لا تمزقها كتل الحديد الحاقدة ، من أجل ان ينام هؤلاء ليلة العيد بعيون حالمة ليستفيقوا على قبلات امهاتهم .

خرج والدي عن صمته .. قال بصوت هادىء غارق في الايمان والثقة :

ـ الله يحميكم ..

ورددت امي معه :

ـ الله يحميكم ..

سرق خداي دمعتين من عيني .. ظلت الكلمة تتردد في رأسي وتلفه بوشاح من الخشوع . وقف اخوتي جميعا في صمت وكأنهم في حداد ، ورحت اقبلهم جميعا ، وودت ان اقول كلمة واحدة ولكنني عجزت .. لم تنسب همسة من بين شفتي .

انحنيت وقبلت اخي الصغير ، مصطنعا الابتسام ، فتعلق بعنقي وقبلني بعنف .. قبل وجنتي .. جبيني ، وذقني ذات الشعر الخشن التي كنت اعاقبه بها عندما يرتكب ذنبا .. كيف يقتل الوحوش الاطفال ؟

لم نقتل احدا منهم ، بل اخبأناهم في بيوتنا .. فيوم على الذياع ماساة « دير ياسين » ، وسمعنا ونحن صغار ان اطفالا ذبحوا على صدور أمهاتهم .. وان صغارا ماتوا قبل ان يخرجوا الى الدنيا .. قبل ان يعرفوا معنى الحقد .. ثار الناس ، ثاروا ولم يجدوا ما يعزيهم ، وما يطفيء حزنهم ويبرده ، حزن الاباء والامهات .. وفي قمة الثورة قامت جماعة لتقذف النيران الى بيت يهودي قيل انه من الاثرياء الذين يغذون اعمال القتل .. تجمعنا امام البيت ، في صدورنا نار اشد لهبا من النيران التي تأكل البيت .. واستنكر كثير ان يسيطر الحزن على طبائعنا فيقلبها . عندما عدت الى البيت بعد مشاهدة الحريق وجدت طفلين وامراة عرفت انها الخياطة التي كنت اذهب اليها مع امي . الخوف يقطر من عيونهم .. وامي تهدئهم وتبتسم وتقدم لهم طعاما .. أذكر انها قالت لها :

ـ لن يصيبك شيء وانت بيننا .

ظلت مقيمة عندنا اياما ، وسمعت بعد ان غادرتنا انها هربت بعد ان باعت بيتها .. ولا ادري لماذا خطر لي ان طفليها اصبحا من الشبان الذين يدمرون البيوت ، ويحرقون ويسلبون ، ويقتلون الاطفال .

غادرت البيت ، بعد ان تململت الشمس خلف التل الصغير الذي يشرف على بيتنا . لم أتطلع خلفي ، ولكنني سمعت بكاء أمي ودعاءها المكبوتين يلاحقانني مع همسات أبي .. سمعت قلوب اخوتي تدق .. ارتميت داخل السيارة ، وعيناي ترقبان شجرة المشمش التي لم تنضج ثمارها بعد . وسمعت صوت اخي الصغير يشق هدوء الصباح في الشارع الندي :

ـ لا تنس البندقية الطويلة .

حمص **جهاد الكاتب**

لست انسى

لوعتي أني من الاحباب أقسى ، بعدما جرحت وجدانا ونفسا
وانا أحيا بنار غلفلت في دمي شوقا، وفي الخدين ورسا

كل ايامي مرارات هوى بدلت بي رقتي نارا وبأسا
انه القلب تكوى ، فانثنى يحتسي نار الجوى ، كأسا فكأسا
كلما جفت بعين دمعة توشك الاهات ان تدميه بؤسا

كم نشدت الحقد ، لا الحب ، وما كنت الا حافرا للحقد رمسا

قيل لي : خل العذارى ، وانسها وادر للحلم ، في دنياك ، عرسا
قلت : اني ان تجاهلت الحلا ، او تناسيت الهوى كرها ويأسا
كل حرف ، في فمي ، رجع صدى بذكر الماضي ، فكيف اليوم أنسى

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقيد توفيق الفكيكي

علم الشاعر محمد عبد الغني حسن بوفاة صديقه الاديب الباحث العراقي الكبير المحامي الاستاذ توفيق الفكيكي ، وذلك عن طريق النشرة البغدادية التي أذاعتها لجنة الاحتفال بتأبينه ، فرثاه بالقصيدة التالية :

قم نوف الكرام بعض الحقوق ... نحن فوق التقصير ، فوق العقوق
حسبنا دمعة تعبر عما ... في الحشا من تلهب وحريق
انا أبكي على البعيد فما با ... ل بكائي على القريب الصديق
شهد الله ! لم يطعني اصطبار ... خانني الصبر في أخي ((توفيق))

يا صديقي على انشعاب المناحي ... وحبيبي على اختلاف الطريق
شرعة الحب ألفت هدفينا ... فالتقينا مع احتمال الفروق
كنت ألقاك في بيانك سمحا ... دائم البحث ، دائب التحقيق
كاشفا عن جمال يوم مجيد ... باحثا عن جلال ماض عريق
فاحصا ، غائصا وراء المعاني ... دائبا في التنقير والتدقيق
تهب النور كل نور لعينيك ... وتعطي الغروب معنى الشروق
لم تضق لحظة بدرس عويص ... او تضق ساعة ببحث عميق
ناسكا ، عاكفا على معبد العلـ ... ـم وفي روضة النضير الانيق
لك في كل صفحة من كتاب ... وقفات كأنها ((بالعقيق)) (١)

يا صديقي ! وكم صداقة فكر ... فوق حد التصوير والتصديق
كنت في نقدكم عنيفا .. ولكن (٢) ... كنت في حبكم أرق رقيق
ما التقينا لقاء عين .. ولكن ... التقينا لقاء فكر وثيق
كم وداد بالروح صح فاضحى ... خاليا من شوائب التلفيق
وسع الحب كل شيء ، ويكفي ... انه ثورة على التضييق

لك في منتدى ((سكينة)) (٣) باع ... طيب الدن ، خالص الراووق
كنت فيه محاميا عن فروض ... قائمات ، وذائدا عن حقوق
وعلى ((النخل)) (٤) باسقات لقينا ... ك فعرفتنا جمال البسوق
ادب في القديم يدلى بعرق ... وله في الحديث بعض العروق
ادب النخلة التي قد أدلت ... فوق قاماتها بقد رشيق
قد جمعت الجديد من أدب النخل ، وأوغلت في القديم العتيق

ان منعاك هزني ... فكأني ... من فجاءاته غصصت بريقي
جاءني والهموم تجدب روضي ... والزمان الوريق غير وريق
كيف نرتاع من طروق المنايا ... وهي بالحي دائمات الطروق
قد الفنا صوت النعي .. ولكن ... حسبها ألفة لغير مطيق

(١) العقيق : اسم لبعض الاودية الجميلة في اليمامة والمدينة وغيرها . وقد جاء كثيرا في الشعر العربي (٢) انتقد الشاعر بعض مؤلفات المرثي ، ولكن ذلك لم يؤثر في صداقة الفكر بينهما (٣) للمرثي كتاب جيد عن السيدة سكينة بنت الحسين صاحبة الندوة المشهورة ، والكتاب دفاع صادق عنها (٤) للمرثي كتاب جيد عنوانه ((أدب النخيل)) جمع فيه ما قيل عن النخلة قديما وحديثا .

القاهرة — محمد عبدالغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معارك السكاكيني الادبيـة

بمناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بلقم حمودة زلـوم

* * *

ذكرنا في صفحـات سـابقة ، ان خليـل السكاكيني ، أحد رواد المدرسـة التجديدية الحديثة ، تلك المدرسة التي ثارت على القديم وزعمائه ، فلم يقتصر السكاكيني على الدعوة الى نبذ القديم ، والمناداة بالجديد ، بل تصدى لزعمـاء المدرسة التقليدية ، تماما كما تصدى طه حسين لمصطفى صادق الرافعي ، في نفس المجال والهدف ، فالسكاكيني وطه حسين ـ كما يقول الدكتور سامي الدهان ـ يريدان لكلامهما غير هذا الاسلوب القديم ، لانهما يكتبان في النقد وتاريخ الادب ، فالاسلوب الذي يسـلكانه ، هـو اسلوب العقل والمنطق والحجة ، يدخله التاريخ وعلـم النفس ، وتختلف اليه احكام النظر والروية والمناقشة ، فلا يصلح بحال ، ان يكون في نثر فني ، له سجع القافية ، والتزين والتذويق والزخرفة .

فالسكاكيني الثائر على كل ما هو قديم ، الثائر على كل ما يغاير العصر والذوق ، يكتب بحثا مستفيضا ، في جريدة « السياسة الاسبوعية » يتعرض فيه لنفـر مـن الكتاب الذين وصفهم بقوله « ... بأنهم اولعوا الى يومنا هذا بتكرار الكلام في غير مواطن التكرار ، والاسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة اليها ، ولا فائدة منها » ويعلل السكاكيني ذلك ، اما لقلة البضاعة ونزارة المادية الفكرية ، واما ان يكون متابعة لمـا ورد في بعض اقـوال العرب ، من الترادف او تقليدا ، ويقول السكاكيني بعد ذلك « ... ومهما يكن السبب فان هذا النوع من الكتابة غير طبيعي ، او غير عربي ، وعلى الاقل لا يستمرئه ذوق هذا العصر » ثم ينتقل السكاكيني ليطوف في كلام العرب، واشعارهم ، وخطبهم ، وامثالهم ، ويخرج ، بأنهم يميلون فيها الى الايجاز وكره التطويل ، بل ان عندهم نوعا مـن الحذف يقال له (الاكتفاء) فبدلا من ان يقولوا « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » قالوا « لا حول ولا » ومنهم من يختصر هذا فيقول « لا ولا » ثم يقول « .. فما قولك في عصر ، كادت تتغلب فيه لغة التلغرافات » ثم يسـوق السكاكيني في مقاله ، نصا ، سبقه باستئذان القـارىء « وهنا استأذن القارىء الكريم ، بتقديم مثل على ذلك ، من رسالة امامي لكاتب كبير قال : يا أخواننا في الصارخة القومية ، والنعرة الجنسية ، وقد بدات الاقوام ، ونشات الامم منذ الكيان ، ومنذ وجد الاجتماع البشري ، وتساكن الانسان مع اخيه الانسان . وقال : ومهما انتبذ له مكانـا منزويا وتنحى جانبا منعزلا الخ .. »

وتخرج المقالة هذه فيقراها القراء ، ومنهـم امـير البيان ، شكيب ارسلان ، الذي عد مقالـة السكاكيني ، خنجرا داميا يطعن في ادبه وفي شخصه ، فراح يكيـل لخصمه الصلب ، مقالة قاسية عنيفـة ، يتعرض فيهـا للسكاكيني ، ومما جاء فيها « ... فظاهر ان هذا الكاتب الاديب يقصدني في تعريضه ، لاستشهاده ببعض جمل من نـداء ... » ومقالة امير البيان نهبـت من صفحـة الادب في « السياسة الاسبوعية » اربعة عشر عمـودا ، مليئة بالاستشهادات باقوال العرب ، وخطب الرسـول عليه السلام ، وخطب قادة الفتح المشاهير ، ثم يتعرض لراي السكاكيني القائل (لاقتصاد الاقتصاد !) فيقول الامير « فليعلم ـ السكاكيني ـ أن من يهمل استدعـاء الطبيب وشراء العلاج ، حبا في التوفير ، تطول علتـه ، ويتعطل عمله ، ويخسر اضعاف ما وفر » ويضيف امـير البيان قائلا « وارجو الاستاذ المنتقد الا يؤاخذنـي علـى الاطناب ، لانه ضروري ، لايجاد صورة تامة في الذهن ، ولاقناع من كان مكتفيا برايه ، وان يتفمد قلة بضاعتي ، ونزارة مادتي الفكرية بوفرة بضاعته وغزارة مادته وفوق كل ذي علم عليـم » .

ويـرد السـكاكيني على ضربـات الامـير ، بنفس النمط ، وبنفس الطريقة الواضحة فيقول « .. نعم ان الامير لم يغضب لان انتقادي المذهب القديم جـاء مباينـا لوجه الصواب ، وانما غضب لانني استشهدت بأقواله » ثم يؤكد السكاكيني ان الامير من اصحاب المذهب القديم حتى في رده عليه ، ويأتي بالامثلة على ذلك من كلام الامير « فللاندلس مـنزع ، ولليمن مـذهب ، ولمصر لهجـة ، وللشام اسلوب ، وللعراق نمط » ثم يعلق السكاكيني قائلا « فالمنزع والمذهب واللهجة والاسلوب مترادفات ، ولـو بقيت لديه بقية من المترادفات ولو من الالفاظ الغريبـة المهجورة لقال : ولفلسطين كذا وللسودان كذا ولاهل المدر كذا ولاهل الوبر كذا » ثم يتناول السكاكيني رد الامير من زاوية اخرى فيقول « .. اذا كان لكل مقام مقال فما لـه ـ اعزه الله ـ يجعل المقال الواحد لكل مقام ! » ويتابـع السكاكيني قائلا « أن تعمد الامير لهذا الاسلوب هو الالفة، واتخاذه اياه مذهبا في كل ما يكتب ، وليس هذا اسلوب الامير ، ولكنه اسلوب اكل الدهر عليه وشرب » ثم يتابع السكاكيني في تضنيد رد الامير فيقول « ... ولـم يكن قصدي الانتقاد من اجل الانتقاد ـ كما يقول الامـير ـ ولكن لاقرر مذهبا جديدا ، فاذا لم يقبلوه فهم وشأنهم ، لهم مذهبهم ، ولي مذهبي » .

ويأتي الامير بعد ذلك برد طويـل ، اطول من رده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاول ، متناولا مقالة السكاكيني بالتحليل والنقد والتجريح ، واذا كان الامير قد استشهد في رده الاول بأدب العرب واقوالهم وخطبهم فانه اعتمد هذه المرة ، على ما يكتبه المعاصرون ، مثل طه حسين وعلي ادهم ، والسكاكيني دقيق الملاحظة ، يلاحظ ، ويقارن ، ويربط بين مقالتي الامير الاولى والثانية ، فيرد على الامير رده مبنيا على استنتاجات عدها نصرا له وهي :

اولا : ان الامير اعتمد في رده الاول على قواعد اقتبسها من صبح الاعشى ، وشواهد بعض القدماء على ذمة راويها ، اما في الثاني فقد جعل يستشهد بكتاب العصر ولا شك هذا دليل على انه تجدد .

ثانيا : ان الامير قد قلل من استخدام المترادفات في رده الثاني ، ويضيف السكاكيني قائلا « ولا أخال الامير الا معترفا لي في قلبه انه قد كسبته ـ ولا اقول غلبته ـ وحسبي ذلك فخرا » .

ثالثا : ان الامير كان متأبها شديدا لا يقيم لاحد وزنا ، وقد غضب لان يقوم واحد مثلي فينتقده ، اما اليوم فقد ضاق ذرعا ، وجعل يتظلم ويستجدي القراء ويستنهض هممهم وينشدهم الله ويرجوهم ، ثم يسوق السكاكيني الدليل تلو الدليل من اقوال الامير مثل « والله لقد اعيتني الحيلة ، ماذا اصنع لاقنع مناظري بالعدول عن هذا المراء » « ... وأنا مع عجزي واعترافي بأنني لا اصلح ان اكون من تلاميذهم ـ الزمخشري والفلقشندي ، والجاحظ وغيرهم من ادباء العربية القدامى ـ » وقال « نشدت الله كل قارىء منصف » وقال « استنجد القراء الكرام واستنهض هممهم » . ثم يتناول السكاكيني قسما من رد الامير ليوقع به ويحرجه فيقول « قال الامير : والله ما غضبت لنفسي مثلما غضبت لاساطين اللغة وسلاطين البلاغة ، ان يقوم اليوم واحد مثلي او اعجز مني فيقول « ان بلاغتهم صارت قديمة بالية » . فيعلق السكاكيني على ذلك « لا شك انه يعنيني بقوله (اعجز مني) انه لاعجز كاتب ايها الامير اما وقد تشرفت ان اكون مناظرك ، واذا نسبت الي العجز في معرض لدفاع عن نفسك لا عن اساطين اللغة وسلاطين البلاغة ، فتلك كلمة انت ادرى بما يفهم منها في هذا المقام » ؟

وهكذا تستمر المناظرة ، وتشتد تدريجيا ، فيكون رد الامير الجديد على عادته طويلا ، دامغا اقوله بالشواهد ، وفي هذه المرة ، بشواهد للاقدمين والمحدثين ، مثل : الزمخشري ، وابن الاثير ، وطه حسين ، ويقسم من رد السكاكيني ، وبين الامير ان الزمخشري وطه حسين وحتى السكاكيني نفسه يكثرون من المترادفات والتكرار فيسمي السكاكيني « المعترض على نفسه » ثم يزداد رد الامير عنفا وشدة ، فيقول عن ابن الاثير في معرض تعريضه بالسكاكيني « انه ـ ابن الاثير ـ ليس ممن يعد في طبقة الزمخشري ولكنه من علماء العربية ، وبكل الاحوال اعلى طبقة من السكاكيني ، ولو رأى نفسه ـ السكاكيني ـ غير ما يراه غيره » فيكون تعليق السكاكيني على قول الامير « ترى انه لايزال متألما غاضبا » ويضرب السكاكيني مثلا رائعا واضعا القول الفيصل على ادعاء الامير في ان الزمخشري يحب التكرار ، وابن الاثير كذلك وطه حسين مثلهما ، فيقول « ومن العجب ان تقول للمريض انت مريض فيقول لك : وانت مريض وكل الناس مرضى ، كأن مرض غيره يعزيه ، او ينفي عنه المرض » ويتابع السكاكيني مما يدلنا على طول باع ، وتحمس للمذهب الذي يدعو له فيقول « وانه لا يجوز للامير والزمخشري ، ولا لابن الاثير ولا الجاحظ وابن المقفع والحريري ، ان يكثروا من المترادفات في غير مواطن تكرار الكلام بلفظة او بمرادفة » ويقول ايضا « وغلطي غلط غيري لا يشفع في غلط احد » ثم يقارن السكاكيني بين القديم المتكلف والجديد الطبيعي ، فنراه يأتي بالتعليل البين الواضح ، محيطا بالموضوع ، احاطة فاهم واع يقول « كان الناس يميلون الى التكلف في كل شيء ، فصاروا طبيعيين في كل شيء ، كان القراء قبل اليوم يجودون تجويدا ، او يستعملون لغة الوعظ يقلدون خطباء المساجد ، او رؤساء الكنائس الاجانب ، او يلزمون نقمة واحدة ، سواء كان الموقف ، موقف حب ، ام حماسة ام بكاء ، اما اليوم ، فان لكل موقف نغمة مناسبة ، كان الرقص تفككا ، فكل حركة فيه كانت رقصا ، واما اليوم ، فان الرقص لغة اخرى ، يمثل معاني النفس تمثيلا ، فقد يكون في الرقص خشوع ، وقد يكون فيه حماسة ، وقد يكون فيه حب ، وقد يكون فيه بكاء ، وقد يكون فيه وعظ » ويضيف السكاكيني قائلا « ان الاسلوب الطبيعي للكتابة ، ان يكتب الانسان ، كما يفكر وكما يتحدث ومن عدل عن ذلك فقد تكلف » ويشيد السكاكيني باسلوب طه حسين ومنصور فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق وسلامه موسى فيقول عنهم « فاذا قراهم فكأنه سمعهم يتحدثون »

ثم يتعرض بعد ذلك الى اصحاب المذهب القديم ، فيقول « انهم نزعوا الى الارستقراطية في هذا الزمان ، الذي انتشرت فيه الديموقراطية ، فلا تفهمه العامة ولا الخاصة » ويسوق السكاكيني اثر ذلك قصة طريفة وهي انه « وقف خطيب في حفلة ، اقيمت لتكريم شاعر كبير ، وكان جالسا الى جواره ، وقال له : اظن انه لم يفهم كلامي الا انت وانا . فقال الشاعر : ولا انا يا سيدي » . ثم يقول السكاكيني عن اصحاب المذهب القديم « وتراهم اذا كتبوا اضطروا الى تفسير الفاظهم في ذيل كل صفحة ، وقد يكون التفسير اطول من المتن واغمض » ، فالسكاكيني يريد من الكتاب ان يكتبوا بلغة العصر ولهم الاجر وقد تحدث بوضوح عن الاسلوب الطبيعي للكتابة فقال « الاسلوب الطبيعي للكتابة ، ان يكتب الانسان ، كما يفكر ويتحدث ، فمن حاول ان يكتب ما لا يفكر فيه او يتحدث

عيل اصطباري

بلوت الورى ، حتى نفرت من الورى ... وعشت حياتي منهم متذمرا
أصافيهم ، والود في القلب والنهى ... يظل على رغم العواصف مثمرا
وأغضي على نكث العهود لعلهم ... يبكتهم ثغر الضمير محذرا
وأصبر في الجلى على نكباتهم ... ولو جاءني قلبي من الناس منذرا
وابدي ـ وقدشنوا الهجاء ـ تصاما ... كأني لم اسمع من الهجو منكرا
ويغريهم بي أنني ، متواضعا ، ... نزلت اليهم في السفوح من الذرى
فيطعمهم حلمي ، فيزداد كيدهم ... ولؤم به اشتطوا أذى وتجبرا
فعيل اصطباري بعد ان ضاق صدره ... بمكرهم ذرعا ، فثار وزمجرا
واطبقت مثل الرعب من كل جانب ... عليهم ، فجن اللب منهم وادبرا
وباتوا شتاتا لا يهديء بالهم ... أمان ، ولا يدرون ما سنة الكرى
وينمو الاسى والحقد طي نفوسهم ... فيبلون شرا ، مشرع الناب ، أكدرا
فأشفق قلبي غافرا سيئاتهم ... وقد كنت ارجو ان يلين ويغفرا
فما عبد الحقد المؤجج دربه ... الى خافقي يوما ، ولا باع او شرى
فليس نعيم النفس في غير عفوها ... يبيت به روض الاماني مزهرا
وهيهات ان تلقى سوى الحب خالصا ... يحلك طول العمر أفئدة الورى

صيدا — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه ، وما لا يتلاءم مع الحياة في شيء فقد تكلف » .

ونرجو ان نكون قد وفقنا في عرض ما دار بين الاديبين من مساجلات على صفحات «السياسة الاسبوعية» بدقة ووضوح .

وقد تعرض كثير من النقاد والادباء لتقييم آراء المدرستين ، فالدكتور سامي الدهان يقول « لقد غالت كل منهما كل المغالاة ، في رأيها على عادة الجدل عندنا فأنكرت كل ما للاخرى من حجج وسعت الى الانتصار والظفر » اما الاديب العراقي بهجة الاثري فله رأي اخر في خليل السكاكيني ومساجلاته مع الامير شكيب ارسلان. فيقول في معرض تحدثه عن السكاكيني « ورأيته في مراجعاته للعلامة شكيب ارسلان ، في تطور اللغة العربية ، في الفاظها واساليبها ، ومنازع المذهبين القديم والجديد في الكتابة ، ناقدا يتمتع باصالة الراي ، ويدعو الى الرجوع بالكتابة العربية الى الاساليب الطبيعية والى الاقتصاد في الجمل المترادفة في غير حاجة اليها ، وهو مذهب نتج من ارتقاء الفكر الحديث ، ظهرت طلائعه مع نشوء النهضة ، وما برح يغزو اقلام الكاتبين الذين عظمت حظوظهم من الثقافات العالية » ويضيف الاديب الاثري فيصف رد السكاكيني بأنه « غلب على اوائله الهدوء والسكينة ، في طلب وجه الحق « المسألة » ، ثم طفق يعنف رويدا رويدا ، حتى خرج بالبعد عن الموضوع العام ، من الكليات الى الجزئيات ، واستخدام الاسلوب التهكمي في تجريح آراء معارضة » .

اما الدكتور اسحق موسى الحسيني ، فقد كان رأيه، ان قصد السكاكيني من ذلك هو ان يرد الى الكلمة كامل قيمتها بعد ان ابتذلت ، حتى اصابها ما يصيب النقد من تدن في القيمة ، ودعا الى تعرية الاسلوب من الحلية اللفظية التي أدت الى حيفه واسفافه .

ثبت المراجع :
١ ـ مطالعات في اللغة والادب : خليل السكاكيني .
٢ ـ في ذكرى السكاكيني : اسحق موسى الحسيني ، بهجة الاثري .
٣ ـ شكيب ارسلان (حياته واثاره) : الدكتور سامي الدهان .
٤ ـ اتجاهات ادبية حديثة : الدكتور ناصر الدين الاسد .

الزرقاء ـ الاردن — حمودة زلوم

يوميات حراث... في حقول الحزن

« السقوط » .. خلف شهور البعد ..

بقلم لؤي فؤاد لاسعد

* * *

يفصلني عن الغد هذا الجسر من الساعات ، لو كان لهذا اليوم خطوات اسرع الى اليوم الاتي ، للبست الزمن رداء ومضة خاطفة ودخلت منذ اللحظة مساء الغد اليك ، شاعرا ، وفارسا ، وعاشقا . ولأن حنيني يحرق هذه الشجرة الشعرية التي هي انا وينشر دخانها بخورا هنديا يتنسمه المبعدون عن أحبابهم ، ينسحر الهجر الى عودة ، والكره الى حب ، اصير خط استواء عالم الاشواق وأزهر بالقصائد الملونة .

هذا الفاصل من الزمن بين اليوم والغد يقف حائلا لسماع صوتك ، وينشر جزائر ثوانيه محطات انتظار على قارعة التعذيب . لو كان لي خطوات أسرع تخطف الزمن ، لادخلت هذه اللحظة الى مساء الغد .. اليك .

(نيسان بيروت ١٩٦٩) .

★

فجأة امتلكني شعور موجع بالتعاسة اشعرني انني أخوض بنهر مخيف من الشقاء ، وان مياهه عما قليل ستبتلعني . هذه المشاعر الغريبة ، كانت تتناقض مع فرحي وانا اطلب حلب لالتقي بك على الرقم الذي أردتك أن تنتظري فيه مكالمتي .. حتى هذا اليوم وكان قبلها بضعة أيام لم اسمع صوتك فيها ، والمسافة بين بيروت وحلب أميال من الحزن لا تنتهي بدونك .

واصلت السفر مرغما بشعور التعاسة ، حاولت الهرب من داخلي ، لكن مرساة مثقلة بالهنيهات الصعبة شدتني الى القاع ، اشبه بمصلوب في فراغ البعد ، هذا الشاعر الذي تعرفينه يتشرد بحزنه في شوارع المدينة في الشمال .

وحين اتى الليل بخطاه الخفية اختلطت الظلمة بالبحر فلم اسمع وانا في اقصى بيروت على سفوح الجبال الا بصخب الامواج يعلو ويلتطم بصخور القلق .. داخلي . لو كان لي ان استبدل بكل اجنحة الشعر الفريدة التي لدي بجناح طائر يطوي الابعاد تحت ريش جناحيه ، لكنت ذلك النورس الذي هجر البحر ليحط على نافذة غرفتك العالية المطلة على محطة القطارات والسفر ، آه هذه التعاسة ترافقني على امتداد حدود هذا اليوم وتحتمي بالعتمة وهي تسكن دخيلة الشاعر شاهرة عذابها في وجه الحب . من أين لي صوتك الان .. من أين لي تلك الامطار الخضراء في هذا الليل ، وحدي أنهمر في هذا المكان على الاوراق الزرقاء بالحزن . (نيسان بيروت ١٩٦٩)

★

أعود الى الماضي الجديد ، أتذكرك ببعض التصرفات التي تملأ نفسي بشاعريتك . الماضي القديم .. لا ، لم يعد لي خطوة في أرضه الوعرة الان . فدعينا نمشي في ربيع حاضرنا وندخل معا الى المستقبل بالحب . ان الوجه الرائع لحاضرنا هو هذا الحب الذي ننتمي اليه في تشردنا منذ عامين ونصف ، حيث نعلم نو .. لا . انه يجذبنا لبعضنا ذلك الرباط الخفي ، وقد تداعينا بعد سفر طويل وسقطنا في بعضنا طائرين على شجرة وحيدة في المساء .

فمن كان يستطيع ان يحجب الشمس بأصابعه عن أرض حبنا . ان نبرات صوتك لي ونحن في المكان الذي اخترناه .. أكدت لي ان ما يبحث عنه الواحد منا في الاخر .. هو مكانه في الحب . ومرة واحدة مفاجئة وجدنا نفسينا محاطين بروعة الاشياء في جنة اشواقنا ، فمن اقتنع برفض حب الاخر له وقد حاول البعض كثيرا ان أضعك خارج عاطفتي وان افتح الباب امام عواصف التفكير بك ، لانزعك من نفسي واعيد النظر في حبي لك ، لكي تكوني بعيدة عني . وكانت احاسيسي تدفعني للتشبث بك . وكنت ارفض حتى رفضك ... بان تكف عن ملاحقة بعضنا ايمانا مني ان الحب العظيم لا بد ان يفوز بأشيائه العظيمة .

ففي صباح لقائنا يوم سفري الى بيروت « في الحديقة .. عند الباب » . حين ارتمى نظري عليك وانت تسرعين الخطى نحوي وقد غطت وجهك الطفولي ابتسامة تفتحت لاجلها زهور العالم في الحقول وامتدت الى قلبي . حاولت ان اخفف عني روعة سحرك الصباحي ذلك الوقت ، فتمشيت قليلا الى الامام ولكني عندما رفعت وجهي نحوك عندما اصبحت على مقربة خطوات مني ، كانت ما زالت تلك الابتسامة المتفتحة تمنح الزهور في اطراف الروح ، روعتها .

ولم أخف ولهي بالشيء الذي ما زال يسافر في حبك ، ومضينا في طرقات الحديقة يطير بنا الصباح امام عيون الناس ، فلماذا الخوف يا حبيبتي طالما الحب معنا . وتكلمنا في الاشياء التي تهمنا ، وعندما اقتربنا من المكان الذي سنفترق منه رفعت يدي مشيرا الى اللقاء ، وانت فعلت ذلك . ولم اتمكن من السفر ذلك الصباح ، لكن وجهك اطل علي مرة اخرى تلك الظهيرة من اليوم ، فأحببتك على مهلي وانا اراك ثم سافرت .

كنت معي حتى هذه اللحظة وانت بعيدة ، ففي الليل حين تتهادى الاشياء مع بعضها ، تأخذين مكانك في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسي ، اضمك اليها وننام معا . غدا عندما تحبسنا جدران الصمت ونحن لوحدنا في بيتنا الصغير سنكون اكثر اتحادا من الماء في بعضه البعض حيث وجهك يذهب بعيدا عن الخجل ، وصوتك تتكسر غمغماته بين شفتيك الحلوتين لحنا من « ناي » الحنين وانت بين يدي تطيرين .. تطيرين ، وتذهبين بي ابعد من الحلم .

هذه الافكار حققنا منها بصبرنا جانبا كبيرا حتى انغلقت كل النوافذ التي كان يدخل منها الغبار على مستقبل حبنا. فلماذا الخوف يا حبيبتي طالما الحب معنا . (نيسان بيروت ١٩٦٩) .

★

تراودني تساؤلات عما يمكن ان تقوليه عني في نفسك وانا منقطع بلقاءاتي عنك بالبعد القسري .. حين يطويك مد الحنين وانت في غرفتك العالية لوحدك وعلى حافة النوم في الليل . اعلم انني اسكن في خلاياك كما الدم .. وانني لك كالماء والهواء . وكل هذا لا يضعني على مقاعد الفطرسة والكبرياء تائها بالغرور .. على العكس ، ان كبريائي بك هو اني اعرف لماذا احبك ، فالاطفال والشعراء والمحبون ، طيور لا تعرف الغرور يا حبيبتي ، ويهاجرون في عواطفهم كالريح من مكان الى مكان . وان حبهم لاشيائهم يأتي دونما مقابل ولهذا يسرقهم اواخر النهار الى اعشاشهم . وانا هذا الطائر ، عشه الوحيد حبك ، ولانني احلق في عالمك واوغل ، تراودني تساؤلات عما يمكن ان تسبح روحك فيه وانا بعيد عنك ، بعد ان اعتاد واحدنا ان يلتقي بالاخر اكثر من مرة في اليوم ، حيث مدينتنا عاشقة مثلنا ، وحزينة . (نيسان بيروت ١٩٦٩)

★

تصوري كيف تحول الحب في نظرهم حين ارادوا على زعمهم ان يحموك منه .

وانا اسمع كلماتهم عن حمايتك منه دخلت الى نفوسهم ذات المساحات الصغيرة ، لارى كيف يبدو الحب عندهم . كيف تنعكس عيونهم الى دواخلهم لتنقل لنا صورته المشوهة ، وقد اخترعوا الاساليب لحمايتك منه .

الحب هذا الطفل النبيل ، تصوري كيف يريدون ان يصوروه . ويقدموا حمايتهم لك ضده . وانا اسمع الكلمات في اختراع الحماية وتشويهه . رجعت الى نفسي وبدات اراه كما يعرفه المحبون . كان شاعرا يتجول بين الناس المختارين .. ويطير بهم في الاحلام .

فحينما نظرت اليك ، كان يشع في اعماقك بروحانيته ، ولم يتبدل ما كنت اعرفه منك . حتى امامهم سافر وجهك عنهم في وجهي واستقر ، يستحم تحت شمس نادرة من الحنان ، لا يعرفها الا المحبون. والطيور ، والاطفال وعندما خرجت الى الطريق ، لم يكن القيظ محرقا كما كلامهم ، وخطفتني قدماي الى المكان الذي الهمك الحب .. انني هناك .. واتى صوتك في الهاتف مزيجا من البكاء والفرح ، واحببتك ، احببتك .. احببتك وطرنا مع بعضنا في الحب بعيدا عنهم . (ايار حلب ١٩٦٩) .

★

هذه الشمعة التي اطفأتها قبل قليل ، فتحت عيون الظلام على فرحي بك وانا استلقي على سريري ، وخلف ظهري الحزن . الحزن الذي كان محصنا بالذكريات .

اعوام كئيبة على يميني اعوام قاحلة على شمالي ، ومن حولي كانت احداق البكاء مفتوحة على عالم الشاعر تسقيه للشقاء .

حتى عندما اطل وجهك ظهيرة يوم لم تكن شمسه الشتائية بين طبقات الغيوم الا بدية يوم يطلع نهاره الدافيء صحوا اخر . كان الزمن يفرزني فيه كمحور عقربي الساعة .. دورة طويلة من شهور العامين والنصف كانت الثواني على مسيرها تطوقنا بحنين كنا نهديه لبعضنا كلما التقينا في الشوارع التي كان يسحرها تشرد الشاعر وهو يمضي محاطا بالحب من بعيد ، حتى وصل كل منا الى اللحظة الحارة التي لم تعد تسمح لنفسها الا بالانفجار لتطوينا نارها في زمنها الذي اوصلنا لبعض بعد تعب ، ففي هذه الايام التي اعلنا فيها الى الجميع الحب . وارتضينا ان نمضي الى الامام دون النظر للخلف . نرفع على الصواري في اعماقنا راية من يعيده الى حنينه الى مكانه شاهرا قدرته في وجه الظروف الصعبة ونحن نجتازها بتصميم من يدوس الاشياء ويمضي دون ان يلتفت الى الوراء .

في هذه الايام احبك قبل سفرك الى الخارج ، وفي الاماكن المعتمة ذات الزوايا المضيئة مصابيحها الصغيرة من اشواقنا ، وفي المطار احبك قبل ان تقلع بك الطائرة وانت مفمسة بتناقض مختلف بين الحزن والسعادة ، الحزن لتركك لي ، والسعادة للقائك بشقيقتيك هنالك .

وفي ذلك الوقت المليء بمضاعفات العواطف التي تأخذني الى الوحدة والحزن لن اقول سوى كلمة الى اللقاء ، لتعودي لي كما اعرفك غابة حب تتنقل بروعتها وتمضي بالشاعر الى الفرح . حيث ابتسامتك تنهل على اوراقي ، كلمات تحمل نكهة الخرنوب ، والبخور الغالي . (ايار حلب ١٩٦٩) .

★

سكتت زمنا اوصلها صمتها الى اماكن بعيدة لا ادري بماذا رجعت من هنالك ، لكنها قبل ان تتكلم فرشت ارض نفسي بزهور ابتسامتها التي انتشرت فجأة تحت جفنيها ، وشفتها السفلى وفوق جلد يديها الحلوتين وقالت : ان

المكان الذي سيكون موعدا لتذكري بك هو الغروب والبحر، وتجمعت في أطراف عينيها البنيتين قبيلة صغيرة من كآبة لم تشعر انها اختطفتها اليهـا .

ولئلا تصيب نفسها بالحزن ، قلت لها : يا حبيبتي تذكري في تلك اللحظات من سفر الشمس خلف ابعـاد البحر ، بأن شمسا من الحب تسطع في أعماقنا ابدا ولا تغيب . ويولد منها على امتداد الاماسي في العالم شموسا اخرى للمحبين يفوح ضوؤها بعطر الاشواق .

وحين دخلت بلاد الصمت معها، كانت عيناي تتأملان نورسي يديهـا وهما يقتربان بحنان ليناما بين يـدي . أبتسمنا لبعضنا بعذوبة من يسـافر الى مناطق جميلـة لا يعرفها أحد .. وامتلأنا بالتشرد . (أيار حلب ١٩٦٩)

★

في مثل هذا الوقت قبل أيام .. كنا مع بعض في الزاوية التي اخترت أن نجلس فيها في مقهى (الصن رايز) لنمضي بعض الزمن معا حيث السفر يحملك بعيدا عني . وقد اراد كل منا ذلك البعاد دون أن يصرح للاخر به .

من جانبي .. ان البعد ضرورة للمحبين الذين لـم يقعوا بتجربة البعاد ، لانه اشبه بالمطر الخفي الذي يهطل على الانسان من الداخل ليكشف اعماقه تماما .

لهذا أتذكرك كثيرا حينما أمر من المكان الذي كنت في الماضي أحلم ان نكون فيه معا ، حتى وجدنا نفسينا هنا .. لا ادري كيف .

وهكذا فان الغرابة في حياتينا .. هو ان كل ما كنت اتمنى شيئا يأتي حدوثه فيما بعد . حتى شرفة المصادفة كلا منا الى (الصن رايز) لنتقاسم لحظات الحب والحزن على قارعة السفر ، حيث كان وجهك ذلك الزمن ما يشبه بالابتسامة التي تفتح قلب السماء لتحضن عالم البحر . وتكلمنا عن اشياء مستقبلنا .

لذلك لم يشعرني يوم هذا الاحد بالسعادة التي اشعر بها في الايام التي اكون فيها معك ، وكم تمنيت ان تكون فترة وجودك في بيروت اطول لنختار الاماكن التي ننسى فيها الناس ونلقي بافكارهم بعيدا عنا في فم البحر .

في العام المقبل عندما نكون قد أتممنا التزاماتنا حول تهيئة بيتنا ، سأطير بك الى المطارح البعيدة التي كنـت احلم ان اسمع فيها اصوات الصمت معك ، ونكون معـا لوحدنـا طائرين حبيسين في غرفة حب مطلة نافذتها على عالم من الثلج ، والجبال ، والصنوبر . سنخترع مكانا لنا بعيدا في الجبال غارقا في رائحة الزهور البريـة ذات الحنين العطري الى الفصول الاخرى ، نأكل ببسـاطة الاطفال ، ونحب بعضنا كالطيور الشتائية التي تحتمـي ببعضها على الاغصان من البرد ، وننام ومعنا (سيبيليوس، ومندلسون ، وشوبان وبراهمز) واقرأ لك الشعر .

البعض من هذه الاحلام الجميلة تحقق ، والبعض الاخر في طريقنا اليه . والمهم ان نعرف كيف نفهم مـن اليوم وجه المستقبل .

هذه القوة نستطيع تملكها لو تملكنا من كشف معنى تلك الاشياء المتحشرجة حولنا فالمستقبل يا حبيبتي هـو تخطي الماضي والتصرف بحكمة في فتح بـاب الحـاضر الصديء الى الاتي . وقوتي لا تأتيني عندما اكون لوحدي في اختراق العالم . فعندما تعرفين ما معنـى ان تكوني معي . نعرف حينها ان المستقبل عتبة تطأها اقدامنـا وندخل منها الى السعادة . العالم الذي يحلم بـه كـل الناس ، وتعيقهم بالدخول اليه اذرعة الاشجار الوحشية التي تنمو في أعماقهم .

أحبك في النهار يا حبيبتي . وفي الليل ادخل غابة وجهك واستغرق في الحلم . (حزيران بيروت ١٩٦٩)

★

لا استطيع أصدق أنهم استطاعـوا ان يحـاصروك بخديعتهم يا حبيبتي ، وانهم كبلوا قلبك بأشواك اتهامات دنيئة اخترعوها لاسقاط اوراق حب الشاعر من شـجرة عاطفتك ذات الثمر المضيء .

ففي تلك الليلة التي أنارت حروفك الشاحبة قناديل بكائها أحزان روحي ، كنت لوحدي مع أسـاك البعيـد أستمع الى صوته وهو يأتي من رسالتك الزرقـاء ذات الحروف الصغيرة التي تغير فيها لون حبرك المفضل .. وأمعن من خلالها في وجهك القريب والنائي ، استشف من تلك الكلمات الحزينة المضطربة قصد المجرمين الذيـن ارادوا أن يحبسوك في أقصى المسافات مع اتهاماتهم لـي حتى يقتلعوا شجرة محبتنا الجميلة من جذورها .

رايتك وانا اعيد بعض المقاطع التي هدمت في روحي جسور الفرح من تدفق ذلك الغدر الذي هجم مرة واحدة مـن بعيـد .

وانا في غمرة عذاباتي الكبيرة كنت ادعو للحزن ان يسامحك وان يزيد لك من الغفران .

حاولت ان انام ، لكني لا ادري لماذا تركت البيـت حوالي الصباح لاضيع في الشوارع الساكتة على قارعـة الليل والنهار . اجمع عتابي من المفترقات التي كانـت تشهد عذابي الصامت ، واوصله الى بيتك حيث لا أحـد أبدا ذلك الوقت في الطريق الفرعي المطـل علـى بعض شجيرات السرو وسكك الحديد في المحطة . وقد أثـرت ان يذهب بعض العتاب اليك وانت في الخارج ، والبعض الاخر يبقى فوق في غرفتك ذات النافذة العالية التي مـا زالت مغلقة منذ شهور ، ليترك آثـار احزانـي فيهـا ويستعجلـك .

ومن يومها وانا تأخذني التعاسة الى التشرد العميق الجذور في الحزن .. لا انام الا بعد طلوع الشمس ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوقت قصير .

يا حبيبتي .. هل تصدقين ما نسجوه من شباك خديعتهم القاتلة ليوقعوا حبنا في الموت . انني منذ مساء ذلك اليوم وانا اطير نحوك بالعذاب . (أواخر تموز حلب ١٩٦٩) .

★

عاودني البكاء الصامت للمرة الثانية هذا اليوم .. كانت المرة الاولى في الظهيرة حينما سقطت حولي الاشياء فجأة ، فشعرت انني ادخل قسرا دائرة الحزن . وكمن يمسك طفلا من يده ويقوده .. كانت المتاهة تأخذني عبر الشوارع الى اللامكان . البعض يود ان يعرف لماذا يسقط الشاعر احيانا تحت طائلة الحزن ، والبعض الاخر لا يبالي ، يعجبني الاخير .. لماذا يودون ان يعرفوا .. لماذا يحدث هذا .. لم تفرقني هذه الموجة من هذا الصوت الخفيف الذي اسمه الحزن .

عادت تلك الحالة دونما انذار حينما كنت اقرأ «لكافكا» لم يكن لكافكا اي تأثير علي ذلك الوقت الذي يحيط بي .. وكتبت على الجدار هذه العبارة التي فتحت آذانها على صوت ذلك الاسى المداهم (ايتها الريح .. الاتية من هناك احبيني ولا تخافي) وقرأت واستمعت الى ما يغرق حولي من تناقضات ، وخرجت الى الشوارع احصي ندمي في عيون الناس المصابين بالحزن . (تموز حلب ١٩٦٩)

★

حين نملك القدرة على مجابهة الاخرين ، والشجاعة التي نقول فيها لانفسنا حينما نخطيء اننا اخطأنا . عندئذ نعرف تماما لماذا نحن نعيش . (تموز حلب ١٩٦٩) .

★

وقفت لبرهة معها بعد ان عادت .. وقد أتى البعاد في قلبها الصغير .. على الحب . وقفت استفسر معنى النظرات التي خرجت من عينيها فجأة بعد سفرها شبه الطويل ، ظهيرة البارحة ، وقد أقنعتها امها والاخرين بأن الشاعر منحرف ..

المسكينة سقطت في التفاهة وصدقت خديعة القتلة الذين نصبوا لعقلهاالصغير وحبها هذا الكمين الذي وجدت نفسها فيه دون ان تدري . كلمتها قليلا .. كانت هي داخل « الفخ » وأرادت ان تبقى فيه ، ولم أتصور انها ستحمل معنى تلك التفاهة التي وضعت نفسها فيها مساء يوم كان الشاعر ينثر عليها زهور حبه ويشيع في أسلاك الهاتف حرارة حنينه .

قالت ذلك الوقت : بأنها تافهة ، وان الجميع يقولون عنها ذلك ، ولا ادري كيف اردت ان انقذها ذلك الوقت من هذا الشعور المدمر ، والتي وضعتني امامه صراحة . ولكني قلت لها لا .. لا تقول ذلك . انت رائعة ، وان الغرابة التي تحيط روعتك لا يمكن لاحد ان يدرك سرها الا الشاعر . وكنت لا اعلم بأن محبتي هي التي كانت تصبغها بعالم غرابتها لتسحرها الى فراشة تحمل في ألوانها الى الحب فرح الفصول المجهولة بفتنتها . ولا يدركها الا الخاصة .

واليوم عرفت عندما أوصلني الحزن الى أشد حالاته الصعبة الذي تسببت لي فيه . سر تلك السطحية التي احبها الشاعر دون ان يعلم . وتذكرت وانا اسير في الطريق كيف ان لدى البعض القدرة الفائقة على هضم الخطأ وتصديق الخديعة وتجسيدها في دمهم .

هذا الحزن .. مرة اخرى يعيدنا الى المنفى . (حلب ١٣ ايلول ١٩٦٩) .

★

صمتت الموسيقى .

سكوت الالحان عن الكلام يذكرني بالاشياء التي تودع نفسها وهي على شفا السقوط .

لو كان للعالم وجه اخر لسافرت اليه ، واستحمت أفكاري بحزن جديد . (أيلول حلب ١٩٦٩) .

★

اود ان ارى ما لا يراه الغير . لهذا اسافر الى داخلي ـ طريقتي ليست جديدة ولا قديمة ، وليست طريقة .

طريقتي هي أنا ، لانني هكذا .

كل ثواني حياتي مليئة بشيئين ، الحزن والحب . وسأسافر مرة واحدة .

فما أقسى على المحبين ان يسقط ثورهم خارج الحلبة . (ايلول حلب ١٩٦٩) .

حلب **لؤي فؤاد الاسعد**

صحو

يا قلبي ! .. ما قدت من صوان
فانا ابن امرأة ساذجة ، تقية ، حنون
كافحت في حياتها البائسة بصبر شامخ
لا تكتم تدلهك بعروبتك ووطنك
وكرامة الانسان في هذا الفراغ المخزي
لا تكن جبانا ، رعديدا ..
فقطرة حمراء من دمك النبيل
عنفوان الكفاح ..

حلب **علي الناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر المفمور ميخائيل ديبو المعلوف

* * *

ذكرت هذا الشاعر المعلوفي البارع مع قافلة الشعراء المعالفة الذين بلغ عددهم الثلاثين شاعرا منهم عشرون بالفصحى وعشرة باللغة العامية ودرستهم وانتخبت لهم ارق ما نظموا في كتابي « شعراء المعالفة » الذي نشرته المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٦٣ . وشاعرنا مخائيل ديبو المعلوف هو من مواليد طرابلس (لبنان) سنة ١٨٤٢ وكان شاعرا ، ومحاميا وخطاطا ومصورا ، وعاش اكثر عمره في مدينة الاسكندرية . اما ديوانه فهو موجود في « مكتبة عيسى اسكندر المعلوف وأولاده » بزحلة كتبه الشاعر بخطه الفارسي الجميل : وهو مهدى الى مكتبنا من نجله جرجي في شهر آب سنة ١٩٣١ .

وللمعلوفي هذا عدا عن ديوانه ، عدة روايات هي : العشيقة المجهولة ، شقاء الحب ، غرائب الغرام ، والشيخ الجاهل . وكان يتردد في بيروت على مجالس الشيخ ناصيف اليازجي ويسمعه شعره . أما شعره فكان اكثره غزليا ورثائيا وفي مدح الشخصيات البارزة ، والتواريخ الشعرية كما جرت العادة في ذلك العهد . ومن طريف غزلياته :

أيا لك قلب لم يلن لتلهفي ... فان دام هذا أنت والله متلفي
أأنت حديد والحديد يلينه ... زفير واني ذبت في النار فاكتف
أم الصخر يا قلب الزمان وطالما ... سقى الماء منه كل غصن مهفهف

ثم قال هذا المقطع الرشيق في عيادة محبوبته له :

فيناظري شخصك المحبوب قد وقف ... فاوقف الدمع فيه بعدما وكفا
وقيد القلب في قيد الغرام وقد ... قاد السهاد لعيني والرقاد نفى
تيمتني في هواك يا معذبتي ... فارثي لحالي ورقي وارحمي الدنفا
يا طلعة البدر ما أبقيت لي جلدا ... منك سقامي ومنك للسقام شفا
لو زرتني وانا في النزع عايدة ... وقيل لي ما الذي تبغيه : قلت كفى

وجاء في ديواني في تاريخ بني المعلوف لوالدي رحمه الله ما يلي : درس ميخائيل ديبو المعلوف في مدرسة الاميركان ببلدته طرابلس (لبنان) على يد استاذه الضرير ابي يوسف دياب ، ثم لازم المعلوف في أسكلة البترون خليل فتوح الشاعر فنشأت فيه رغبة للشعر والخط الفارسي ومال الى الرسم وفن الزجل (المعنى) وتعلم الفرنسية والايطالية في مدرسة الاباء الكرمليين في طرابلس سنة ١٨٥٦ وثم سنة ١٨٥٧ ارسله الى رومية الخوري اناطوليوس شاهيات وبعده الى قبرص لبيع المحار المعروف بعرق اللؤلؤ . وسنة ١٨٥٨ سافر الى الاسكندرية وتعاطى التجارة هناك وتركها عائدا الى الوطن سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٢ ذهب الى مرسين (تركية) وعاد الى أسكلة طرابلس (لبنان) سنة ١٨٦٦ حيث تزوج . ثم عاد الى مرسين سنة ١٨٧٢ فالف روايته الهزلية « الشيخ الجاهل » وانشأ محلا تجاريا ، وعين ترجمانا لقنصلية دولة ايران وسنة ١٨٧٦ سمي وكيلا لقنصلية دولة العجم بفرمان «عال» سنة ١٨٧٨ وسافر الى الاستانة وعاد منها قنصلا على طرطوس واطنه ومرسين وتعرف بالشاعر العثماني الشهير ضيا باشا فتمكنت بينهما المودة ثم انقلبت الى عداوة على المركز والوظيفة فذهب المعلوف الى الاستانة وقابل السفير وقدم له رسمه وعليه هذا البيت من الشعر :

تفديك روحي ويبقى الرسم تذكرة ... فالموت من بعد عزي طاب مورده

فتأثر السفير واقره في منصبه . وفي سنة ١٨٨٠ استقال المعلوف من منصبه وارسل اسرته الى طرابلس وسافر الى الاسكندرية ووافق وجوده هناك قدوم البرنس حسام السلطنة عم شاه ايران للاسكندرية لزيارة ضريح الحسن والحسين بعد زيارته لمكة المكرمة فتشرف بمقابلته فانتدبه لمرافقته مع القناصل الذين ساروا بمعيته الى اليخت الخديوي الخاص المرسل ليقله الى مصر فقال الشاعر المعلوف بذلك سنة ١٨٨٠ :

في البر خيل أراها كالسراحين ... والبحر فلك تشق اللج كالنون

ومنها قوله :

من مالكين بأمر الله كم ملأوا ... الدنيا سدادا وساروا من ملايين
يا ذخر سلطنة انت الحسام لها ... دم وابق واسلم بتعزيز وتمكين

وحتى سنة ١٩٠٨ كان للمعلوف اربع مائة قصيدة وعدة دواوين في المديح والرثاء والتشطير والتخميس والموشحات مما بلغ خمسة الاف بيت من الشعر .

ومما قاله مهنئا نسيبه جدي ابراهيم باشا المعلوف برتبة أمير الامراء وذلك في اواخر سنة ١٩٠٦ :

من حمى زحلة برق قد سرى ... فارانا الليل صبحا انورا
حاملا بشرى جليلا قدرها ... فاحت الفيحاء منها عنبرا
فاضت النعمى على نعمائكم ... من مليك العصر سلطان الورى
خص عليا باسمى لقب ... لم يزد عنه كبار الوزرا
لقب الباشا الذي ما ناله ... من بنيه غير محمود السرى
عج ويمم نار ابراهيم باشا ... وعرج انها نار القرى
تلق نعمانا وعيشا ناعما ... وربيعا كل يوم أخضرا
فابق يا شمس المعالي سالما ... لا ترى ما دمت حيا كدرا
ولكم نهدي تواريخ الهنا ... بافتخار يا امير الامرا

ومن تشطيره لبيتين من الشعر لاديب اسحق سنة ١٩٠٦ :

« ان انكر الصب الهوى فدموعه » ... فيه عدول ما شهدن الزورا
اولم تر بها ومعي اصدق كاتب ... « في وجنتيه تخط عنه سطورا »
« لا تستري وجه الغرام ببرقع » ... فالحب يابى ان يرى مستورا
لا تحسبي ثوب الهوا يخفي الهوى ... « ان الزجاجة ليس تخفي النورا »

ومن غزلياته المستلطفة سنة ١٨٩٧ :

عداك السقم سلمى لا تميسي ... فعيني لم تطق وهج الشموس
ولا ترمي بسهم اللحظ قلبي ... كفاه منه فعل الخندريس
ولا تدمي اذ كلمت دمعا ... أنوح به على حظي التعيس
ولا تبغي بسيف الصد قتلي ... وقاك الله من قتل النفوس
أنا الخل الذي قد كان خلوا ... قبيل الحب من شجن وبؤس
أنا الالف الذي ألفت منه ... فؤادا قد حكى بيض الطروس
فخطت فوقه عيناك اني ... أسرتك بالغرام فكن حبيسي

وقال مقرظا رواية ـ انجاز الميثاق في فدية اسحق ـ من تاليف نسيبه عيسى اسكندر المعلوف احد اساتذة كفتين سنة ١٨٩٧ :

اعجاز عيسى وما قولي باغراق ... لج اذا خفته يقضي باغراقي
الهى واشهى وابهى من بلاغتها ... في كل دور تعالى خير خلاق
من كل معنى بديع قال قائله ... الحسن حسني وكل الناس عشاقي
حييت يا نجل معلوف الاديب ومن ... أصلا وفصلا زكا من خير اعراق

هذا شاعر لبق من شعراء القرن التاسع عشر ، لطيف العبارة ، سهل اللغة ، متقن السبك ، لم يتكلف النظم بل راح على سجيته يتفنن ويتلاعب بالالفاظ والمعاني . وشعره من طبقة ذلك العهد في المدح والرثاء والغزل مما الفه الناس في شعراء ذلك الزمن .

وأحببت في الكتابة عنه نفض غبار النسيان عنه وعرض قوافيه ليتمتع بقراءتها القاصي والداني وبذلك خدمة للشعراء والقراء .

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

حريق المسجد الاقصى

أين الصريخ ؟ واين النار والفزغ ؟ أم أين ذاك العويل المر يرتفع
في القدس ؟ في المسجدالاقصى ؟ فواحزني عليه وهو بنار الحقد ينصدع
ماذا يريد عدو الله ؟ قد عظمت منه الجرائم واستشرى به الجشع
بالامس قد سلب (العذراء) حليتها مستهترا ما له من وازع يزع
وداس من حرمات الله أقدسها في القدس وهو بطبع الشر مندفع
واليوم تستهدف الاقصى أذيته يا غيرة الله تفشاه فلا تدع

البيت بيتك يا ربي فقد عبثت به ذئاب على الافساد قد طبعوا
عاثوا فساد بما باركت من بلد ما راقهم فيه آحاد ولا جمع
يبغونه بقعة للسبت خالصة ليست بحال لغير السبت تتسع
تلك الاماني قد خطوا لها خططا فخيب الله ما خطوا وما وضعوا

طارت بفعلهم الانباء ناقلة ما أحدث الحقد والكفران والطمع
فاذهل الناس في الافاق صنعهم يا هول ما احدثوا يا شر ما صنعوا
أتى الحريق على ما شاده سلف غر كرام وأملاك بهم ورع
من آل مروان حيا الله تربتهم لله ما شيدوا للحق ما رفعوا
تدمر الجانب الشرقي وأحترقت آثار فن عليها قد غدا الجزع
فن تسامى على الابداع متسما بطابع الشرق ما حاكاه مبتدع
من زخرف بوشاح الحسن متشح ومن نقوش عليها التبر منطبع
ومن عجائب اقواس على عمد تهدمت او تغشى حسنها الصدع
والمنبر الفذ قد زالت معالمه وقبة النور بالنيران تلتفع
والناس في القدس مذعورون قد هرعوا الى الحريق الذي يذكو ويرتفع
مد اليهود خراطيما مزيفة لا ماء فيها وقالوا : الماء منقطع
واظهروا اسفا والبشر مرتسم على وجوههم واللؤم والخدع
ما يفعل الناس ؟ والاقصى تدمره عصابة بثياب المكر تدرع
تناقلوا الماء من آبار ساحته ودمعهم فوق ذاك الماء ينهمع
يبكون بيتا لذكر الله شيد وما يبكون يوما اذا الابطال تصطرع
كأنهم حوله والنار تأكله ام قد انقض يردي طفلها السبع
حتى اتت نجدات ثار ثائرها من كل فج وشر النار يتسع
فاطفؤوها وكان الغدر يأمل ان تأتي على البيت لا تبقي ولا تدع
يا موقد النار لم تحسب عواقبها مهلا ، لديك ، ففي أخدودها تقع
الدين لله من يحرق معابده يلق الجزاء وسخطا ليس يندفع

يا من حملتم لهذا الدين رايته خفاقة للهدى والخير ترتفع
مسرى رسول الهدى اضحى يقوضه أشرار خلق من الافاق قد جمعوا
عصائب اقلقوا الدنيا بفتنتهم ومن خبيث الربا والسحت ما شبعوا
فاستأصلوا شرهم فالله ناصركم وغمة الكرب عنكم سوف تنقشع

حلب

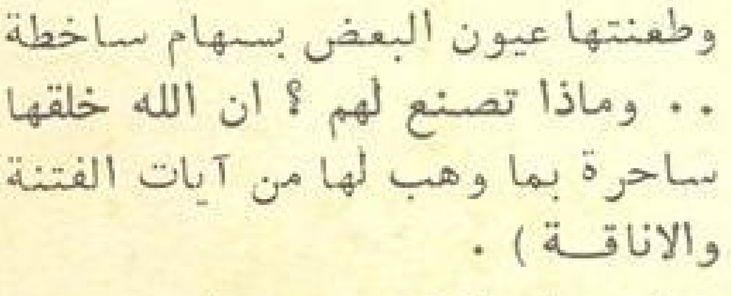
محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التفاحة المغبرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي



ـ ما أدق خصرها وانهد صدرها !

(ليتك تصبحين زوجة لي !)

ـ ان هذه الجاذبية الناطقة التي جبل بها وجهها لم أجد لها مثيلا في وجوه غيرها من الفتيات .

(لماذا لم تتزوجي حتى الان ؟ انني على استعداد للتزوج بك يا فاتنتي)

ـ هناك فتيات كثيرات يفقنها حسنا وجمالا ، ولكنها تفوقهن بتلك الطيبة والفتنة المكتوفين في أعضاء وجهها . ان الناظر الى وجهها يشعر براحة نفسية دون ان يدري لذلك سببا . ليس في كلامها ما يسحر ، وليس في مشيتها ما يأسر . ليس هناك سوى الطيبة والفتنة المكتومتين في وجهها . انني اشعر بأنهما مدخرتان في عينيها وانفها وثغرها وتقاطيع وجهها . ان هاتين الميزتين الانسانيتين تدعوان الرجل المعجب بها وتقول له همسا : « تعال الي ! انني على استعداد لان اكون لك زوجة مخلصة تريحك في حياتك الزوجية وتضمن لك ساعات حافلة بالمتعة والهناء والسلام » .

(ولكن هناك ما يحول بين نفسي والتفكير في التزوج بتلك الفتاة الحلوة . حديث الناس . الاشاعات . لعن الله الاشاعات ! ما اكثر كلام الناس وكذبهم !)

ان اخلاص تمر في السوق في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين من صباح كل يوم متجهة الى مكتب الشركة الذي تعمل فيه ، وتعود منه الى منزلها في الساعة الواحدة مساء . ثم تعود الى المكتب ثانية في الساعة الثالثة مساء ، وتخرج منه في الساعة السادسة مساء ، ما عدا يوم الجمعة . انها لا تسير في السوق وحدها بل تسير وراءها عشرات من العيون ، وتستقبلها عشرات منها . ومع ذلك فان العيون الجادة لا وجود لها بين تلك العيون المعجبة . شباب وجمال وثقافة ، ونفور وخوف وبغض .

اخلاص في الخامسة والعشرين من عمرها . اكثر اعضائها مكتنز او ممتلىء : الصدر والشفتان والراس والعينان والدماغ والقلب ـ الشفتان بمخدة مخملية أنيقة من اللحم الاحمر ، والراس بكوخ صغير من الشعر الخفيف ، والعينان بفيض ثر من الطيبة والحنان والجاذبية . والدماغ بالثقافة والذكاء ، والقلب بالحب والاخلاص . نشيطة في عملها ، ومرضية في تصرفاتها وسلوكها . جريئة صريحة قوية .

(اخلاص بحزنها في الخمسين من عمرها . انهالت عليها السنة النساء الحاسدات باشاعات سامة ، وطعنتها عيونهن الفيارى بسهام الحقد والغدر والظلم . وماذا تصنع لهن ؟ ان الله خلقها حسناء جذابة . وانهالت عليها السنة الرجال باشاعات قاتلة ، وطعنتها عيون البعض بسهام ساخطة .. وماذا تصنع لهم ؟ ان الله خلقها ساحرة بما وهب لها من آيات الفتنة والاناقة) .

ان جارها غازي يريدها ـ يريدها حبيبة ثم زوجة . لقد تدله في حبها .. تلك هي الفتاة التي كان يبحث عنها فيما مضى من سني شبابه .

غازي شاب انيق اللباس مهذب الخلق والطباع رقيق القلب هادىء الحديث حلو المعشر ، يحبه اصدقاؤه ويثني عليه معارفه ، موفق في عمله معلما في مدرسة ثانوية ، ويحمل شهادة جامعية .

(غازي شاب كثير المسايرة ، يصغي الى اقوال اصدقائه ومعارفه اكثر مما يفكر فيما يسمع ، مندمج في الجماعة فهي تسيطر عليه بعاداتها .. قلبه فياض بالخير والحب ، ولكن عقله مسور بالعادات وان غص بالعلوم التي تعود عليه بالفائدة المادية فقط) .

« ـ اريد اخلاص يا امي . اخطبيها لي . ـ أهذه هي الفتاة التي وقع عليها اختيارك ؟ اخلاص فاسدة الخلق لا تصلح لك زوجة . سابحث لك عن فتاة خير منها . انا ادرى منك بالنساء . ـ ولكنني احبها يا امي . وانا ادرى منك بالنساء الفاتنات .

ـ أتتزوجها وهناك حياة الحلواني وهي اجمل فتاة في الحي ، وهند الاغواني وهي شبيهة ببرعم من الورد؟

ـ لا ، لا . ارجوك ! انني لا اميل الى هاتين الفتاتين . لا اشعر بحب نحوهما . ان اخلاص هي التي استأثرت بقلبي . من المحال ان أعيش سعيدا في حياتي الزوجية اذا لم اتزوجها . ـ أوف ! الى هذه الدرجة انت تحبها ؟ ـ واكثر من ذلك يا امي . انك لا تدرين مبلغ سعادتي حينما تقع عليها عيناي . فكيف لو اصبحت خطيبتي ثم زوجتي ؟ ـ حسن يا بني . سأخطبها لك » .

خطبت اخلاص لغازي . شعر هذا بأن حياته تغيرت بل انه هو نفسه تغير . انشرح صدره وطار في جو من السعادة والهناء فان له خطيبة . وخطيبته هي اخلاص التي يحوم حولها الشبان وتفار منها الحسان . وكان كثيرا ما يقضي في منزلها ليالي ساهرة يمتع نظره بفتنة وجهها ، ويملأ اذنيه بحلاوة صوتها ، ويؤنس نفسه بالجلوس اليها .

وفي ذات ليلة كان القمر مطلا عليهما من السماء وهما جالسان

وحدهما في الشرفة . وقد استمد وجه اخلاص الجذاب بحلاوته جاذبية اخرى من نور القمر الصافي حينما وقع عليه ، وجاذبية ثالثة من نظرات الاعجاب المنبعثة من عيني غازي المدله في حبها . كان الليل ساكنا يستمع ، والهواء لطيفا يفري . وقد طاب الجلوس بحديث مهموس :

ـ لقد خطبتك بقلبي منذ سنين . الم تشعري بذلك قبل خطبتنا الرسمية ؟

(لقد كنت اشعر انك تشعرين بذلك ، فلا تكذبي شعوري) .

اشرق وجه اخلاص بالابتسام والفخر والغبطة ، واجابت بنغمة زاحفة ارتعشت بشبه ضحكة :

ـ ان المثل يقول : « قلب المحب دليله » .

فرقصت نظرات غازي ، ثم قال :

ـ هل تعنين انك شعرت بمثل ما شعرت أنا به ؟

(قولي لي ذلك في صراحة فانني أهوى الصراحة خصوصا من الفتاة التي احبها) .

فغاص وجهها ابتساما دون ان تفوه بكلمة . فقال في رقة وهو يدني وجهه من وجهها :

ـ قولي يا حبيبتي .

(قولي : « نعم » . كلمة واحدة . هذه الكلمة فقط) .

ولكنها لزمت الصمت ، والقت راسها على صدره قائلة بعد تنهدة :

ـ حبيبي غازي !

فقبل عينيها اللتين قالتا : «نعم»

☆

كل يقول : « لقد خطبت اخلاص . اخلاص خطبت لغازي » . لم يكن احد يتوقع ذلك . ظن الشبان انها لا بد بائرة وانها باقية عانسا حتى آخر يوم من ايام حياتها . وظنت زميلاتها في مكتب الشركة من كاتبات وضاربات على الالة الكاتبة انها باقية معهن طول حياتها تعمل كاتبة دون ان يتقدم اليها احد من الشبان خاطبا . كل كان يائسا من زواجها . فكيف خطبت ؟ من هو ذلك الشاب المغفل الذي طلب يدها ؟ مبروك ! مبروك ! مبروك ! مغفل ! مغفل ! مغفل ! تلك الكلمات التي رددتها زميلاتها في المكتب ، وصديقاتها ومعارفها في الخارج . وهذه الكلمات رددها الناس في احاديثهم ومجتمعاتهم .

ـ ماذا دهاك يا غازي ؟ ما هذه العجلة في الخطبة ؟ هل انت لست موجودا في هذا البلد ؟

(اترك تلك الفتاة البغيضة ! اتركها



عبد الحميد الانشاصي

●

انها ساقطة لا تساوي قرشا) .

ـ ماذا تعني يا محمد ؟

(انك تلمح الى خطيبتي اخلاص)

رفع محمد نظره المنكسر عن الارض ، واجاب زائغ البصر :

ـ انك تعلم يا غازي انني احبك وانني صديق مخلص لك . لذا أود ان اقدم اليك هذه النصيحة قبل ان تتزوج . اترك خطيبتك في الحال . اقول لك في صراحة انها .. لا تصلح لك .

فشعر غازي بصدمة شديدة ، ثم حدج محمدا بنظرة ساخطة ، وقال بنغمة منتهرة :

ـ ماذا تقول ؟

(ما كنت اتوقع ان اسمع منك هذا الكلام) .

ـ لا تحتد يا غازي ، مهلا يا صديقي . اريد ان اطلعك على الحقيقي التي خفيت عليك .

(انك بسيط جدا ، انك ساذج ايها المسكين) .

ـ ماذا تريد ان تقول ؟

(قل ! اسرع ! انني لا اطيق سماع كلامك) .

ـ الا تدري ان شابا جميلا جدا اسمه اديب كان يقيم في دار مجاورة لدارها حينما كانا ساكنين في حي غير الحي الذي تقيم انت واياها فيه الان ، وانها كانت متدلهة في غرامه كما كان هو ايضا متدلها في حبها ؟ الم تسمع بالحكايات التي سردها الناس مرارا عنهما ؟

فقطب غازي ، وقال بنغمة مهاجمة :

ـ اصحيح ما تقول ؟

(كدت تسحقني بهذا النبأ) .

ـ هل تعودت مني الكذب يا غازي ؟ فكر فيما قلته لك .

(اسرع بفسخ الخطبة . اسرع يا صديقي) .

كاد غازي ينفجر هما ، فقد جرح ذلك النبأ قلبه ، وغيض سعادته وهناءه .

(اصوات من الداخل : واذن فقد خدعتني يا اخلاص . لماذا لم تصارحيني بذلك من قبل ؟ لماذا لم تعترفي بالحقيقة التي كانت خافية علي ؟ انني لم اسمع بما كان بينك وبين جارك من علاقة غرامية . بالله ! لقد اصبحت اشك في كل فتاة . ان هذا لم يكن يخطر على بالي ابدا)

(منظر في الداخل : يمضي الى اخلاص ويهب في وجهها صائحا : لا تقتربي مني ! ابعدي عني ! انني لا اطيق رؤيتك ايتها الغادرة . لقد

سممت حياتي وقتلت حبي) .

★

اخذ غازي يلوم نفسه لانه ابى العمل بنصيحة امه حينما أنبأته ان اخلاص لا تصلح له زوجة . وصارت امه تذكره بنصيحتها له كلما ثار من خطيبته وذكر علاقتها الغرامية بجارها . وكان من عادته ان ينتظر خطيبته حتى تعود من عملها في مكتب الشركة لكي يجتمع بها ويحادثها . كانت ساعة لقائهما اجمل ساعات نهاره . اما اليوم فانه صار ينفر من اخر النهار ويخشى ان تجتمع به . غير انه ابغض صديقه محمدا اكثر مما ابغضها هي ، فانه شعر ان ذلك الرجل هو الذي حرمه التمتع بثمرات حبه وبالامل الكبير في زواجه بحبيبته . هو الذي حول الحبيبة الى عدوة والخطيبة الى غريبة . ومهما يكن من شيء فقد عز عليه كثيرا ان يخسر تلك الفتاة الفاتنة التي تدله في غرامها وآثرها على جميع الفتيات . غير انه كان يحس من حين الى اخر بثورة عارمة تكتسح قلبه واعصابه وتحوله الى كتلة من السخط والنفور . وحينئذ يتمنى لو انه تخلص من تلك الخطيبة المشؤومة لعل نفسه تستريح من الهواجس والمنغصات .

له ثلاثة ايام وهو منقطع عن اخلاص لا يزورها ولا يتردد اليها كأنه لم يكن له بها صلة من قبل . وقد ساءها ذلك منه . انها لم تتعود هذا الغياب الطويل عنها . ثلاثة ايام . لماذا ؟ ماذا جرى له ؟ واخيرا رات ان تزوره هي اذ خشيت ان يكون مريضا . ولكنها وجدته في صحة جيدة . لم يطرأ عليه شيء سوى السهوم في وجهه والزيغان في نظراته والفتور في كلامه وحركاته .

« ما بك ؟ هل انت مريض ؟ كلا ، لا شيء . ـ احس انك تغيرت علي . هل طرأ شيء ؟ قل لي في صراحة . ـ آه يا اخلاص . ان كلام الناس كثير . ـ ماذا تعني ؟ ـ حسبنا هذا . يجب لا نتوغل في الحديث فان ذلك افضل . ـ هه ! هل سمعت شيئا عني ؟ قل ! ـ انها اشاعات كاذبة . ـ ماذا يشيعون عني؟ قل ! ـ نهم يلمحون الى علاقة غرامية بينك وبين جار لك . ـ ماذا تقول ؟ علاقة غرامية ! مع من ؟ ـ لقد نسيت اسمه ... آه «اديب» . يقولون اسمه « اديب » . ـ من انباك بذلك ؟ ـ صديق . ـ ما اسمه؟ ـ ما لك وله ؟ ـ ما اسمه ؟ قل !

ـ ليس من المستحسن ان اذكر اسمه . ـ وهل صدقته ؟ ـ انني لم اصدقه طبعا . ـ ولماذا لم تزرني كعادتك ؟ هل هذه العلاقة الغرامية هي التي منعتك من المجيء الي ؟ اود ان اعلمك ان ذلك الشاب المسمى « اديبا » كان جارا لي في المحلة التي كنت اقيم فيها منذ ثلاث سنوات ، وانه طلب يدي ، ولكنني رددته خائبا لانني علمت انه يتردد الى المومسات . هل فهمت الان؟ ان كنت لا تصدقني فخير لنا ان نفسخ الخطبة . افاهم انت ؟ ـ . . »

★

عاد الحب الى قلب غازي ، وشعر انه ظلم اخلاص حينما انقطع عن زيارتها واتهمها بسوء السمعة . ثم قابل صديقه محمدا ووبخه على التسرع في حكمه على خطيبته ، ولامه على تصديق الاشاعات التي يحوكها الناس حولها ، واقنعه انها بريئة من كل ما توصم به .

ولكن صديقه جاءه بنبأ اخر جديد لم يكن يخطر على باله . اعلمه ان موظفا كبيرا اسمه روحي بك قد توسط لها في تعيينها كاتبة في مكتب الشركة التي تعمل فيها ، وانه كثيرا ما يصادفها في الطريق وهو يقود سيارته ثم يدعوها الى الركوب معه فاتحا لها باب السيارة عن يمينه ، فتدخل السيارة وعلى وجهها ابتسامة عميقة ، وان ذلك الرجل يحادثها كثيرا . فلا بد ان يكون على علاقة بخطيبته . وهي لا تجد بدا من ارضائه قضاء لما عليها له من دين معنوي بعد توسطه لها لدى الشركة . ولم يكتف محمد بذلك بل جاء غازيا بنبأ اخر وهو ان مدير الشركة يحبها حبا شديدا ، وانه كثيرا ما يدعوها اليه بحجة محاسبتها على بعض اخطاء موهومة ارتكبتها ، وغرضه من ذلك مغازلتها وتقبيلها .

لم يكد غازي يسمع ذلك من صديقه حتى عاد النفور من خطيبته الى نفسه ، والسخط عليها لسوء سلوكها وفساد اخلاقها . وقد صمم على الانفصال عنها بصورة نهائية ليتخلص من تلك اللطخة القذرة التي لطخت بها جبين شرفه . وقد زارها في منزلها لهذا الغرض .

« انك سيء الظن كثير الشكوك . ان صديقك هذا هو في الواقع عدو اك . كيف صدقته ؟ واذن فانت لا تحبني . لا ، لا ، لا تقل : « انني احبك » . انا لا اصدقك . لا تقترب مني ! اود ان افهمك الحقيقة يا صغير العقل . ان روحي بك الذي توسط لي لدى الشركة هو صديق عزيز على ابي . وهو كثيرا ما يسهر عندنا ونسهر عنده ، فان اسرتنا واسرته على وفاق وود عظيم . اما مدير الشركة فهو من كثرة الاشغال بحيث لا يتفرغ للتفكير في وفي انشاء علاقة غرامية بيني وبينه . ان غرفته تغص دائما بالمراجعين والموظفين . وكيف يجرؤ على مغازلتي وباب غرفته مفتوح دائما ؟ لقد جرحت كرامتي . انني لا احبك ولا ارغب في الاستمرار على ارتباطنا بالخطبة . كنت اظن انك اوسع عقلا مما تبدو لي . كنت اظن انك رجل مثقف بصير بالامور لا تعبث بك اقوال الناس . والان وجدتك العوبة في ايدي اصدقائك وغير اصدقائك من الناس ، مع انك معلم في مدرسة ثانوية . لست ادري كيف عينوك معلما في مدرسة ثانوية . ان المدرسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتـــاب

برغم الجفـا والغيـاب الطويـل ... بلا موعـد .. هـا هنـا نلتقـي
عرفتـك مـن همسـات الطيور ... ومـن نفحـة الـورد والزنبـق
عرفتـك مـن لفتـة حلـوة ... الي .. ومـن خطـوك المشـفق
فلا تسرعـي الخطـو عنـي ولا ... تشـيحي بوجهـك ، او تحنقـي
جرحـت بتلـك الخطـا كبريائي ... وازريت بـي .. دون ان تنطقـي

فيـا لـك مـن طفلـة قلبهـا ... بنـار الهـوى بعد ولـم يحـرق
تصدين عنـي .. لا لـن أكـون ... ثقيـلا علـى قلـبك المغلـق
تخافين مني .. ؟ ولـي سـيرة ... بغير الشذى بعـد لـم تعبـق !
حنانيك .. ان كنت ممن يهـاب ... ويخشى مـن الحـب ، او يتقـي
فأنـي انـا نجمـة من شـموخ ... لغـير المـروءات .. لـم تشرق
وان كنـت حانقـة .. أننـي ... أبـاء بدنيـاك .. لـم يخلـق

الكويت — مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابتدائية كثيرة عليك . لقد اعتزمت ان انفصل عنك انفصـالا نهائيـا لاستريح من سـوء ظنـك ورؤية وجهك . هاك خاتم الخطبة . ننـي القيه بعيدا عني كما القـي جمـرة احرقت صبعي . لا تلتصق بي ولا تدن وجهك من وجهي! انني اكرهك. أفاهم انت ؟ انني اكرهك . ليس في قلبي ذرة من الحـب لـك . لقد اصبحت غريبا عني . انك لا تستحق ان تتزوجني ولا ان تتزوج فتـاة اخرى غيري . انك لا تحبني بـل تحب المفسدين من الناس لانك تصغي لى ما يشيعونه عني من الاقوال التي تمس سمعتي وتحط من قـدري . ننـي اريد حبا خالصا نظيفا لا تشوبه شائبة من سـوء ظن او شـك . لا تقبلني ! ابعد فمك عني ! لا ثقـة لي بك . اريد شابا حميد الخصال قوي الارادة واسع العقل ، وقـد وفقت الى امنيتي بعد الجدال الذي دار بيني وبينك في هذا الشأن من قبل . لقد اهتديت الى الشـاب الذي أوثره ، وقضي الامـر . امـا انت فاذهب الى المدرسـة لتتلقى دروسا في معاملة النساء . انك في حاجة الى تربية وتهذيب ، وليس التلاميـذ في حاجـة الـى معلـم مثلك . علمهم وبدرهم . لا تقبل يدي ! اليك عني ! ارحني من همـك .. لا ، لا . لا تقبل قدمي يا غازي . حسبك . لقد مزقت قلبي يا عزيزي لا تقبل قدمي . استغفرالله ! لا تفعل ذلك يا حبيبي . انا لك وانت لي . ليس في العالم قوة يمكنها ان تفـرق بيننا . الان عاد الخاتـم ـ خاتـم الخطبة لى اصبعي . لقد اعدتـه بيدك الحبيبة الى اصبعي » .

« ما ارق قلبك وما اعذب روحك يا اخلاص ! لن استمع الى كـلام الناس من الان فصاعدا ، لا الى كلام اصدقاء ولا الى كلام غير اصدقاء . كلهـم كذابـون . انهم يحوكون لاشاعات من حولك ... ان لـك شخصية قوية وخلقا ساميا وعقـلا راجحا فضلا عما تمتازين بـه مـن الفتنة والجاذبية والجمال . ليقولوا عنك ما يشـاءون . انـت الفتـاة الوحيدة التي احبها . ولكي اغيظهم اكثر مما فعلت لا اجـد بـدا مـن لاسراع بزواجنا » .

(اصوات من الداخل : انصرف ! لا اريد ان اسمع كلمة واحدة حول خطيبتي بعد الان . لا احد سـم افكاري نحو اخلاص سواك يا محمد. اهكذا يفعل الصديق بصديقه ؟ تعالي يا اخلاص. لا تفكري في شيء سوى اعداد العدة للسفر الى الخارج لقضاء شهر العسل . سنقضي شهر العسل في اوروبا ، وسنـزور عواصمها الشهيرة ونتمتع بجلسات حلوة في الحدائق والبساتين وعلى ضفـاف الانهار) .

(منظر في الداخـل : تظهـر اخلاص جالسة هي وغازي في ليلة جلوتها ، وقد بدت فاتنـة مشرقـة الوجه حلوة الهدوء كزنبقة الحقل . ثم يخرج واياها الى الطريق العـام حيث تنتظرهما السيارة للذهاب الى منزله . وهناك يعدان العدة للسفر في صباح اليوم التالي الى ايطاليا) .

عمان — عبد الحميد الانشاصى

مكتبة الاديب



الصهيونية وحقوق الانسان العربي

تأليف اسعد رزوق ـ ١٩١صفحة ـ منشورات مركز الابحاث الفلسطينية

في نطاق تجلية الحق العربي وموقف الصهيونية منه عرض الدكتور اسعد رزوق عرضا تاريخيا ممنهجا قضية الصهيونية وحقوق الانسان العربي .

يفرق لنا المؤلف بين الصهيونية العملية والصهيونية النظرية فيرى ان الصهيونية العملية تعتمد على سياسة التغلغل الاقتصادي ، فمناحيم بوشكين الذي يعتبر زعيم الصهيونية العملية يعتقد ان الاستيطان التدريجي مع ما يرافقه من تغلغل اقتصادي كفيل بأن يخلق دولة ، ومتى وجد الحق الراهن النابع من حكم الامر الواقع والقائم على المنجزات اليهودية بفلسطين فان الحق التاريخي سيوجد وكذلك الاعتراف الدولي .

وقد بنت الصهيونية العملية سياستها الاقتصادية على دعائم قوية منها :

١ ـ صندوق الائتمان الذي كان بمثابة الاداة العملية الثابتة للمنظمة الصهيونية العالمية اذ كان همه الاوحد تمهيد السبيل امام التغلغل الاقتصادي اليهودي وتقوية العنصر اليهودي ، اما مسالة الحق العربي فلم ينظر اليها مطلقا حتى لكأنه لا يوجد في فلسطين اكثرية عربية

٢ ـ الصندوق القومي اليهودي : وكان الغرض منه تأمين الرأسمال الثابت لابتياع الاراضي العربية واعلانها ملكا للشعب اليهودي باسره . واذا نظرنا الى الاهداف التي تبناها الصندوق يسترعي انتباهنا المشروعات الخاضعة لاشرافه ، فحين تنتقل اليه ملكية الارض لا يبقى أمام سكان البلاد سوى النزوح .

فالصهيونية العملية اذا تعمل على سد ابواب الرزق في وجه عرب فلسطين وحملهم بشتى الوسائل على مغادرة بلادهم والانتقال الى المناطق المجاورة .

واذا كانت الصهيونية اثناء بدء تفتح القومية العربية قد تظاهرت بمناصرة قضايا التحرر العربي وعملت على خطب ود رجالات العرب الاحرار تحت ستار اقامة حلف : عربي ـ صهيوني ، بوجه الحكم التركي فان غايتها البعيدة لم تكن سوى استمالة العرب واستخدامهم في اغراض الاستعمار ضد الاتراك ، وكانت لها أساليبها الخاصة في استدراج العرب بما تمنيهم به من خيرات ومنافع تعود على كافة العرب من جراء تدفق اليهود واقامتهم بفلسطين .

واذا كانت اسرائيل مغامرة استعمارية ، باعتراف وزير خارجية انكلترا الصهيوني « بلفور » فمن الطبيعي ان تكون سياسة انكلترا فيما يتعلق بالعرب سياسة قائمة على اللف والدوران فاذا نادت بمبدأ تقرير المصير استغلته من أجل اليهود فقط اما ما يلحق العرب من أذى بسبب قدوم اليهود الى فلسطين فهو في نظرها اذى متخيل ، ثم ان تحقيق الوطن القومي لليهود عملية مثالية وتبعا لهذا فانها تأنف من الانحدار الى الواقع الارضي ، وترتفع عن النظر الى حقوق عرب فلسطين ! ! .

لقد اعترف صك الانتداب على فلسطين بالحقوق التاريخية لليهود فيها ولكن اليهود لم ينتظروا التصديق عليه للشروع بممارسة النشاطات الاستعمارية .. وبعد ان اطمأنوا الى ان التوقيع عليه سيتم حتما بلغ حماسهم أقصاه ، وفي غمرة هذا الحماس طلع «ماكس نوردو » الصهيوني بمشروع دعا فيه الى الاعتماد على الوسائل الفعالة والعملية لتأمين أكثرية يهودية بفلسطين على جناح السرعة للوقوف بوجه الخطر العربي. وبعد التوقيع على صك الانتداب أصدر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك كتابا ابيض يدعم فيه كيان الوطن القومي اليهودي وينادي بسلوك السبيل الكفيلة بجعل فلسطين العربية وطنا قوميا يهوديا ، غير عابيء بحقوق العرب الا فيما يتعلق بضرورة نزع ملكيتهم للارض لقاء تعويض معقول .

واذا كان المنطق الاستعماري حيال اليهود يعتمد على المداورة فان كيان اسرائيل كله لم يكن اكثر من مداورة ، فمن الاراء التي اعتمد عليها اليهود في تأسيس دولتهم انهم يشكلون اكثرية بالنسبة للشعب الفلسطيني وذلك لاننا اذا جمعنا يهود العالم تبين لنا انهم يعدون «١٦» مليونا . فاذا قابلنا هذا العدد بسكان فلسطين من العرب تبين ان لليهود الحق في انشاء دولة في فلسطين ، ومن الضروري ان تخضع الاقلية العربية لمشيئتهم . اما الذين يرفضون المخططات الصهيونية من عرب فلسطين فانهم فئة من المشاغبين المتأثرين بالدعاية العربية ، فسائر عرب فلسطين لا تهمهم هذه المسألة من الزاوية القومية او الحضارية او الاقتصادية لانهم نالوا في رعاية اسرائيل حقوقهم القومية كاملة غير منقوصة !!.

وخلال الفترة التي امتدت من ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ والتي سماها بن غوريون « فترة الصهيونية المقاتلة » لم تتغير سياسة اليهود مع العرب فقد كانوا يتظاهرون بالرغبة في اقامة علاقات الود والتعاون معهم في الوقت الذي كانوا يتمردون فيه على كل قوانين الانتداب التي تحد من تصرفاتهم في ارض فلسطين لاجئين في سبيل تحقيق غاياتهم الى قوة السلاح والارهاب والعنف بينما كان اليهود يتدفقون بدون تحديد ، كما كانوا طوال الفترة الممتدة بين اقرار عصبة الامم لصك الانتداب واصدار حكومة ماكدونالد كتابها الابيض ١٩٣٩ يحتمون خلف الغموض الذي يكتنف بعض العبارات الرئيسية للصك المذكور ، وفي طليعة هذه العبارات المقصود بعبارة « الوطن القومي للشعب اليهودي » واذا كان اليهود يرغبون باستعادة المجد العربي ويشجعون على ذلك فيجب ان يتم خارج فلسطين .

اما الرفض العربي لاغتصاب حقوق شعب فلسطين فان الزمن كفيل بكسر شوكته .. !

وحين ننظر الى الموقف الفعلي لليهود من قضايا العرب نجدهم يقفون موقفا عدائيا من جامعة الدول العربية يوم ولدت ويحتجون بشدة على الملحق الخاص بعرب فلسطين .

وعلى اثر اعلان انكلترا رغبتها في انهاء انتدابها على فلسطين أرسلت الجمعية العامة لجنة الى فلسطين للتحقيق في قضيتها ، ورفعت اللجنة تقريرا ضمنته مشروعين تقترح في احدهما تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اقرت الجمعية العامة مشروع التقسيم الذي أعطى ٥٩ر٤٧٪ من ارض فلسطين لليهود و ٨٨ر٤٢٪ للعرب وخصص ٦٥ر.٪ للقطاع الدولي حول مدينة القدس. واذا لاحظنا ان اليهود قبل قرار التقسيم ، رغم كل المحاولات التي قاموا بها لشراء الاراضي لم يزد ما امتلكوه على ١٠٪ من الاراضي العربية

نعرف مقدار التحامل على الحق العربي في قرار التقسيم .

وقد تذرع اليهود بحجة مهاجمة الدول العربية لهم والدفاع عن النفس فاضافوا الى ما منحهم اياه قرار التقسيم قسما كبيرا من الاراضي العربية وفقا لمخطط معين .

وهكذا قامت اسرائيل على الظلم والعدوان والغش والخداع ، واعلن الصهيونيون قيامها قبل سبعة اشهر تقريبا من اعلان الجمعية العامة لحقوق الانسان ، واصر بن غوريون على الامتناع عن ادراج أي تخصيص او تعيين لحدود دولة اسرائيل في نص اعلان الاستقلال وكعادة اسرائيل لجأت الى أساليب خاصة لطمس معالم الشعب الفلسطيني والاستهتار بحقوقه وامانيه ، فقد سمت النشاط الارهابي في فلسطين ضد السكان الآمنين حرب تحرير شعبية وادعت امام العالم ان السكان العرب كانوا يهربون من فلسطين هربا جماعيا بدون مبرر ، في الوقت الذي كانت تضطرهم الى مغادرة منازلهم نتيجة المعاملة السيئة ، كما زعمت انها تنوي الحفاظ على حقوق العرب الذين نزحوا عن ديارهم والاحتفاظ بممتلكاتهم دون المساس بها الى حين عودتهم بينما تثبت القوانين التي استصدرتها بغية الاستيلاء على الاراضي كذبها مثل : قانون الغائبين وقانون استملاك الاراضي ، وقانون التصرف ، وقانون تقادم العهد . وهكذا تشرد اسرائيل العرب وتضرب بحقوقهم عرض الحائط ثم تتغنى بالحب اليهودي للعرب واضعة مسؤولية النكبة على الدول العربية التي لم تؤمن للاجئين سبل الاستيطان في هذه البلاد الواسعة ذات الطاقات المهدورة وتصر على الانتقام من اسرائيل المسكينة والتي لا تملك الا رقعة محدودة من الارض !! وربما دفعها حبها للعرب الى التهجم على بريطانيا التي تخدع العرب متخذة منهم وسيلة للربح المادي فقط .

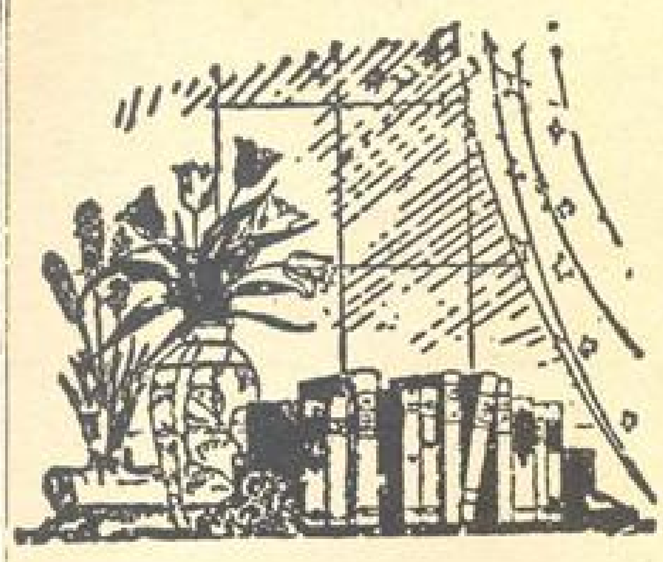
هذه هي نظرة الصهيونية الى كل ما يسمى حقا عربيا ولا شك ان الفكر الصهيوني المعاصر كان يمثل النظرة الصهيونية ويجسد المنطق الاستعماري تجسيدا كاملا .

واذا كان الدكتور اسعد رزوق قد اراد في كتابه ان يبين لنا نظرة الصهيونية الى الحق العربي فهو من جهة ثانية اراد ان يجلو حقيقة اسرائيل مبينا مراحل نشوئها وما رافق هذا النشوء من تلاعب ومؤامرات . ومن خلال العرض التاريخي كنا نرى حقوق العرب تتلاشى بالمغالطة حينا وبالقوة حينا اخر حتى يتأكد لدينا ونحن نطوي الكتاب أن اسرائيل اكذوبة فرضت على الحق ونالت عطف قسم كبير من دول العالم لا لانها فعلا تستحق العطف ولكن لان صوتها كان وحده الصوت المسموع .

وهكذا نقدم شكرنا لمركز الابحاث الفلسطينية الذي يضيف كل يوم مصباحا جديدا يكشف به بعض جوانب القضية الفلسطينية المعقدة؟ واذا كنا نؤمن بعدالة قضيتنا ايمانا صادقا ونعتقد بزيف الصهيونية فان هذا الايمان لا يكفي لانتصار الحق ما لم نحط بكل ملابسات قضية فلسطين على الصعيدين العربي والاجنبي . لقد انتزعت الصهيونية فلسطين من العرب وفق مخططات دقيقة مدروسة لم يكن لها اساس سوى الباطل وكنا نملك الحق والعاطفة فهزمنا . والان نريد ان ننتصر ونصرنا لن يتم الا بأساليب محكمة وان كانت تختلف عن الاساليب الاسرائيلية لان اساسها الحق .

واذا كان الدكتور اسعد رزوق قد كشف قصة فلسطين والصهيونية معتمدا على عدد كبير من المصادر منها العربي ومنها الاجنبي ولم يعرض الاراء كما وجدها في مظانها بل أخذها بالتحليل والمناقشة موضحا المرامي الاستعمارية والاهداف الصهيونية فاننا لن نؤخذ بالحسنات الكثيرة ونتغاضى عن السيئات واهمها الغموض الذي نرجعه الى كثرة النصوص المترجمة ، ثم الالحاح على فكرة واحدة مما يتنافى مع كثافة المادة التي يعرضها المؤلف .

دمشق — سكينة شهابي



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دنيـــا على الشـــام

ديوان شعر ـ سليم الزركلي ـ ٣٥٢ صفحـة ـ منشورات دار العلـم للملايين ـ مطابع دار البيان ـ بيروت .

صاحب هذا الديوان الاستاذ سليم الزركلي واحد من شعراء الشـــام المرموقين ، الذين يمتازون بالحفاظ على عمود الشعر ، والاســـلوب الرصين ، والديباجة الراقية الحلوة ، والكلمة العذبة المختارة . وهو استاذ جيل من الكتاب والادباء ورجال الفكر والقلـم المعاصريـن فـي سـورية .

وحصيلة الديوان الذي بين ايدينا خلاصة ازهار نثرها الشاعـر القدير على المنابر السورية منذ اربعين سنة ونيفا ، في مناســبات وطنية وقومية شتى . فهو من هذه الناحية قاموس للذكريات ، وسجل للاحداث ، التي مرت بالوطن الشامي خاصة ، والعربي بوجه عام .

ان الشاعر القدير لم يترك مناسبة دون ان يقول فيها قصيدة ، ولا حادثة ذات شان الا وكان شاعرها الصداح وبلبلها الفريد . ففي ذكرى استقلال سورية يوم ٨ اذار من العام ١٩٢٠ له قصيدة من جيـد الشعر .. وفي عيد الاضحى والمدينة المنورة وفي فلسطين وســـائر الاحداث التي مرت بالوطن العربي كله له قصائد روائع ، تسجل هذه الاحداث ، وتعطي صورة عن انفعال الشاعر بها ، وتأثره باحداثها . ففي ذكرى نكبة فلسطين ـ ولم نكن قد بلفنا يومئذ حد النكسة ! ـ يقول الاستاذ الزركلي في قصيدته التي مطلعها :

اطلـي مـا حييـت وذكريني ... فـانـك كالحقيقـة فـي يقيني
دمشـق وفيـك تفتقـد الغوالي ... وتفتقـد الاهلـة في الدجـون
قذفت « مواكـب التحرير » قدما ... تـرد عن الحمى رسـل المنـون
فولوا عن ديـار الوحـي خزيـا ... مزاحف بالصـدور على البطون
ومـا ينبيـك مثل فتـى خبـير ... سلي (خطين) عنهم واسالينـي
اجيبيهـا على (الاردن) نـارا ... تلهـب كالجنـون بـلا جنـون
وهـل تجـدي كنـايـات رقـاق ... عن التصريـح في الحـق المبـين

وللديوان « دنيا على الشام » حظ كبير من اسمه ... فاكثر قصائده شامية في لونها ، تفوح منها نسمات بردى ، واريج ازهـار الغوطة ، وشموخ قاسيون .. ان الشاعر شامي مفرم بالشام ، محب لها ، متيم بغرامها ، تلمس هذا الحب والهيام في شتى صفحـات الديوان ... وكل ما هو شامي اصيل ، له في قلب الشـاعر حـب عميق ، واثر خالد لا يمحي . هل هناك لون شامي في حياة ابناء الشام، اكثر اصالة وعراقة من الوطني الراحل فخري البـارودي ؟ .. لقـد كان فخري البارودي اللون الاصيل الاصيل في حياة الشام ، وابنـاء الشام ، وعادات اهل الشام .. ومن اجل هذا نرى الشاعر الزركـلي يرثيه بقصيدته « دموع الورد » التـي بلغـت ابياتها الثمانين ، فيذكر ايـامه وليـاليه ، ويمجد وطنيته ، ويتغنى بحماسته واندفاعه لكـل عمل وطني نبيـل :

يا فخـر جلـق يا انسان عـالمهـا ... يا نسرها في مراقي العـز والشان
يا وجهها الحلو اشراقا وفيض ندى ... يا فرحة البشر في ابـراد نشوان
يا قلبها وقلـوب الناس نابضـة ... بما تحسس فـي سـر واعـلان
يا روحهـا الثائر الوثاب يوم مضت ... للهـول تقـرع مرآنـا بمـرآن
وتدفـع الغاصب الغدار في حشد ... تابى المهانـة عن دنيـا واوطـان

ويتغنى بامجاد دمشق ويعدد اريحياتها فيقول :

أدمشـق نـورك مشـرق ... والشـعر فيـك محلـق
والحسـن في عـرس الربا ... ض مـزنـر ومطـوق
والعبقريـة شـعلة ... والاريحيـة رونـق
القـى الجمال على ربـا ... ك وشـاحـه يتعشـق
الفتنـة الغـراء فـي ... ـك توثـب وتـانـق

تفديـك منـي مهجـة ... حرى وقلـب شـيق

ويطول بنا الحديث ويتشعب كثيرا ، اذا ما رحنا نمعن النظـر ونطيل الوقوف عند كل قصيدة من قصائد الديوان ، وكل مناسبة وطنية وقومية واجتماعية ودينية من مناسباته التي يصعب احصاؤهـا ... ولا بد للقارىء والاديب الواعي من الوقوف بنفسه على خفايـا هـذا الديوان ، الذي يحيي ذكريات الشام ويمجد مواقفها الوطنية والقومية، ويتغنى بمائها وترابها وهوائها .

ان الديوان شعر مناسبات حقا ... ولكنها مناسبات يجـب ان تظل خالدة في عروقنا ودمائنا واذهاننا . فتحية الى الشاعر الشـامي الرقيق ، من قلم يعتز بوطنيته ويفاخر بقوميته ويكبر فيه الـروح العالية ويقدر حفاظه على الشعر كشعر اصيل . لا رقيع ولا دخيل .

وتحية مرة اخرى للشاعر الذي دفع ثمن هذا الحب للشام وبلاد الشام من جهده وفكره وماله ... فقوبل هذا الحب لدى فئة مـن الناس بما لا يستحق من تقدير وتكريم ... بل بكثـير مـن الجحـود والنكـران .

دمشق — عبد الغني العطري

•

الامراض النفسية الشائعة

تاليف الدكتور ممدوح خالد الشابندر ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

تتعرض النفس البشرية للمرض تعرض الجسم له فتعتل وتهزل مثـل اعتلال الجسم وهزاله به ، والمريض نفسيا قد يكون محكوما عليه بالشقاء والتعاسة بخلاف المريض جسديا .. بل ان النفس اذا كانت سـليمة وكان الجسد مريضا امكن للجسد ان يبرأ بفعل العافية المتمكنـة مـن النفس والجارية في مجاريها وعروقها ..

وامراض الاجساد قد تكون ظاهرة الاسباب غير خفية العلة ، وقد يكون برؤها مرهونا بايام واسابيع ان تدوركت في اوائـل عروضهـا ووقوعها .. اما امراض النفس فانها شيء اخر غير هين ولا يسـير ، وكذلك يقال في امراض الجسد انها معلومة للمريض يحس بها بحكـم الفطرة وغريزة التشبث بالحياة ، ولكن امراض النفس على غير هـذه الحال فهي رغم سوء مغبتها لا يدركها المريض وان كان يلوذ ـ لا شعوريا ـ بالوسائل التي تصلح احيانا لمعالجة ما يصيبه منها ..

فالمكروب المكتئب يشكو لهذا وذاك اعراضا من الانقباض وضيـق الصدر تعرض له لاسباب معلومة وغير معلومة ، وفي الشكوى هذه بعض علاج ولكنه علاج مرتجل لا ينفع في كل حين . واعتادت النفس ان تهون خطب الهموم والمرزءات على الاخرين ممن يبتلون بها ، وذاك في الواقع علاج مرتجل ايضا لا يفيد كل الفائدة ولا يجدي كل الجدوى ، فان من طبع الناس ان تسأم من امثال هذه الشكاوى وتبتعد عن الاصغاء اليهـا باستمرار (١) ..

وكثيرا ما تنقلب الامراض النفسية الى امراض جسدية لان الهم الثقيل المبرح يؤثر على كثير من اجهزة الجسم فيصيب المريض نهـب الهواجس والقلق وتعاسة الحـال ..

وكان القدامى من اطباء العرب قد لاحظوا اثر ذلك على الاجساد وقالوا في هذه النواحي النفسية اشياء كثيرة اقرهـا علـم النفس الحديـث .. (٢)

غير ان علم التطبيب النفسي لم يرق فيما مضى الى المسـتوى الذي يصلح ان يكون به علما مستقلا قائما بنفسه ، ولذلك يمكننـا القول ان حكاية الطب النفسي هذه حكاية محدثة لـم تكتـب كـل

سطورها ، بل ان بلادنا لا تدري شيئا عن العلاج النفسي بعد .. وانما يرتكز كل علاجها في مستشفياتها على العقاقير وحدها ..

ويحاول الدكتور معمر خالد الشابندر الطبيب البغدادي المختص بالامراض العقلية والعصبية ان يلفت الانظار الى ناحية الطب النفسي ليكون شيئا مذكورا فتكون له عيادات معترف بها يتردد عليها الناس وهم مقتنعون ان لهم فيها البغية المبتغاة من البرء والشفاء ، ان كانوا يشكون الاوصاب النفسية المؤرقة ..

وقد يظن ظان ان العلاج النفسي امر هين بسيط لا يتطلب الدعاية الطويلة المركزة ، ولكنه لا بد ان يصحح هذا الظن حالما يخطر على بال من يظنه ان النفس البشرية معقدة وغريبة الاطوار والاحوال ، وانها قد تكون آونة رقيقة مرتاضة هينة لينة مرهفة حساسة تتأثر بالاحداث ما كان منها قريبا وما كان منها بعيدا ، وقد تكون آونة اخرى قاسية صماء متعامية متبلدة ، فهي ابدا ذات كنه لم يدرك له غور حتى يوم الناس هذا ، وذاك سر لم يقدر للعلم ان يزيل عنه الحجب والاغطية كلها فيفشيه افشاءا تاما .. لا سيما وانها ورثت من الدهاريز السحيقة في القدم امورا ما تزال في اعماقها .. (٣)

يضاف الى ذلك كذلك ما للاقدار من احكام تمتحن بها النفس الانسانية فتهزها هزا عنيفا وما في بطون الليالي الحبالى من مفاجآت مروعة تؤذي الاسوياء من الناس وتفيظ الراشدين ، فتنهار امامها كل مقاومة يملكها الانسان الجلد الصبور ..

ومما يزيد من هم النفس فيثقل عليها عبء الحياة فتفتم فتعتل تعرضها للمظالم وانعدام العدل في البيئة التي تعيش فيها ونحو ذلك من الاكدار والمنغصات التي لا بد ان تفعل فعلها في النفس فتجرها الى الضجر والكآبة والانحلال ،وهناك مسالة اخرى في حكاية النفس وأوصابها هي ان الوصب النفسي لا يعلق بالافراد وحدهم بل قد يصيب أمة بأسرها وشعبا برمته ، فتبدو على الامة اعراض من الهم والاعياء تقعدها عن التفكير السليم وابتغاء الحلول الصائبة لمشاكلها ..

وهذا امر يقتضي سعي اولي الحكمة والاستبصار وما هم الا علماء النفس المتخصصون في هذه الدراسات والعالمون باسرار التطبيب النفسي الذي يصلح من أمر الفرد ويرقع خرقه فيصلح بذلك امر الامة ويرقع خرقها .

فاذا التفت الى هذا ملتفت ادرك ان مهمة الطبيب النفسي شاقة ومضنية ، وان العلل التي يواجهها في مرضاه اشد من جميع العلل التي يواجهها طبيب الابدان في المعلولين من مراجعيه .. على ان ذوي الادراك والثقافة من المرضى اكثر تعقيدا في هذا الامر من غيرهم في أغلب الاحيان .. ولقد قال الدكتور المؤلف ـ ص ١٢٧ ـ « وكلما كان المريض على حظ اكبر من العلم والثقافة كانت مشاعره اعلى درجة في التعقيد اذا مالت نحو الصراع النفسي الذي هو اساس العصاب »

فما أهون طب البدن بعد ان تيسرت له كل وسائل العلاج .. ولكن ما اصعب مهمة الطبيب النفسي وما أشد يأس عليله من استرداد الصحة واكتساب العافية ..

عكفت على مطالعة « كتاب الامراض النفسية الشائعة » وانا في منتزحي بالصين وقد اوحشني طول الاغتراب فطفقت استعرض في ذهني ما احمل انا وما تحمل الناس من هموم ومشاكل وعقد متعقدة يطول عندها تشكي من اعتاد التشكي ويطول لمثلها صمت من اعتاد الصمت .. ولعل الجميع يتساءلون اما من حل لازمات النفس التي تعصف بها في كل حين بل في كل لحظة ..

ان هذا الضرب من التاليف كثير الفائدة جم المنفعة وهو شيء تاذه النفس رغم ازدحام صفحاته بمصطلحات ونصوص حديثة الوضع والتعريب قليل المام القاريء العادي بها وبامثالها من التعابير والالفاظ .

وقد الحق المؤلف الدكتور بكتابه معجما صغيرا جمع فيه مصطلحات علم الطب النفسي المعربة فكان ذلك المعجم وحده حريا ان يعد ثروة علمية قيمة لا تثمن بثمن ..

وقد تكرر ايراد هذا المعجم في كلا الكتابين ، غير انه جاء في الكتاب الاول مفهرسا وفق حروف الهجاء العربية ، وجاء في الثاني مفهرسا وفق حروف الهجاء اللاتينية ..

وقد قال المؤلف في مقدمة معجمه هذا « ويسرني ان هيأ الله عز وجل اسباب هذا الجهد المتواضع الذي أرجو ان يكون نافعا ومحفزا لتقليب النظر والنقد البناء وميسرا للدارسين والمتتبعين سبيل التزود من امهات الكتب الموضوعة في اللغات الاجنبية ، كما يسرني ان يكون هذا المعجم والذي سبقه وصلا لما انقطع من جهود قديمة في موضوع تعريب المصطلحات » ..

ان الدكتور المؤلف في كل ما كتب في هذا الحقل كان ظاهر الحرص على ان يكون للطب النفساني وجود الى جوار الطب الجسماني في العراق خاصة .. وقد ركز الكلام على هذه النقطة في مواقع كثيرة من كتبه ومؤلفاته .. وهو اليوم يقول ـ ص ٤٢ ـ « وكثير من الناس يعيشون حياة مؤسفة يجعلون انفسهم فيها انصاف مرضى لا هم لهم الا معاناة ما يتصورون من اصابة بمرض جسدي واحد او اكثر ، مستمدين مبررات ذلك من اعتقادهم الخاطيء الذي ربما شجعهم عليه بعض الاطباء ممن ينصرفون الى الفحص الجسدي من غير أن يدخلوا في حسابهم أهمية الفحص النفسي الذي هو واحد من الاسس الهامة التي يجب ان يلم بها كل طبيب .. »

وفي الكتاب نصائح علمية كثيرة تتعلق بشؤون النفس وعللها والتربية الاجتماعية وركائزها ... ومن هذه الناحية كان للكتاب فعل الوصفة الطبية بالنسبة للمرضى الساعين وراء الشفاء ..

ولا مجال للتنصيص على شيء من اقوال المؤلف هذه لانها كثيرة وسيطول بها الكلام في تقريظ الكتاب .. ولكن لا بأس ان نورد نموذجا واحدا للدلالة على نمط التوجيهات النفسية الرشيدة التي أدلى بها المؤلف في غير مكان واحد من كتابه القيم الفريد .. فهو في مناقشته لعدد من الوسائل التربوية التي الفها الناس لا سيما ما كان متعلقا منها بتربية الاطفال يقول ـ ص ٥١ ـ « ان الطفل يجب ان يتعلم مواجهة الخطر عن طريق تجربته الشخصية لا عن طريق النصائح المثبطة لفعالياته الطبيعية » .

وفي الفصل الاخير من الكتاب ابدى المؤلف مقترحات خاصة ذات صلة بالنواحي النفسية كان من بينها دعوته الى تاسيس عيادات نفسية للاطفال وللبالغين تتوفر على بحث انحرافات السلوك وتقويمها قبل ان تصبح حالة اختلال عقلي او نفسي بالغ ..

ومن بين مقترحاته ايضا تاليف جمعية لنشر الدعوة للصحة العقلية يكون من اغراضها توجيه الناس لممارسة ما من شانه اشاعة روح الطمانينة والعمل الايجابي وتوفير الفرص المتكافئة وجعل الحياة لائقة بمستوى انساني رفيع ..

ومن مقترحات الدكتور الشابندر كذلك تاليف مجمع نفسي اجتماعي من المتخصصين وذوي الخبرة والراي من داخل القطر ومن خارجه تتوفر على تنسيق الخطط الضرورية من اجل خدمات نفسية

---

(١) الامراض النفسية الشائعة ـ ص ١١٨ (٢) علم النفس في الحياة اليومية للدكتور معمر خالد الشابندر ص ٢٣ (٣) أوما الدكتور الى شيء من هذا في كتابه « الامراض النفسية الشائعة » قائلا ص ٥٠ « وربما كان هذا من امثلة المخاوف المتأصلة في النفس الانسانية منذ أقدم العهود بسبب أخطار تعرض الانسان اليها في قديم الزمان .. »

(٤) كانت كلمة اهداء الكتاب بارعة وطريفة ، فان المؤلف قال في ذلك : « الى شريكة حياتي .. تحية وتقدير واعتراف بالجميل الذي جعل حياتي تستحق ان تعاش في مثل هذا الزمان » ..

واجتماعية ..

ان الاستاذ الدكتور معمر خالد الشابندر يعد رائد علم الطب النفسي وداعيته في العراق ، وقد عرفنا له دراسات قيمة في هذا المدى الشاسع وكان قد تفضل فاهداني نسخة من كتابه « الامراض النفسية الشائعة » الذي نشره في الهزيع الاخير من سنة ١٩٦٨ فجعله متمما لكتابه « علم النفس في الحياة اليومية » فجاء الكتابان جذرين عميقين لدوحة الطب النفسي في العراق ، ان قدر للطب النفسي ان تكون له دوحة هناك تظلل على الصحة النفسية فتلعب بذلك افياؤها دورا في حماية النفس الانسانية مما يهددها من دواعي الانهيار والتداعي ..

وخلاصة القول ان الكتاب جدير بالقراءة ، وجدير كذلك ان يتخذ مرجعا يرجع اليه عند عروض حاجة نفسية يراد النظر في طبيعتها .. ولا أكتم اني انتفعت به كثيرا لا سيما وانا عظيم الثقة بقدرة الدكتور المؤلف وعمق دراسته وفرط اخلاصه في عمله وفي انتاجه .. (٤)

بكين — جلال الحنفي

•

اليد في حياتنا وتراثنا

تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في دير الزور بسورية

كتاب طريف بأسلوبه مبتكر بموضوعه لم يخطر ببال احد تاليف مثله وضعه الاديب المفكر المتعمق بمعرفة الفنون الشعبية الاستاذ المحامي عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات بدير الزور وعضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى .

يتالف الكتاب من اثنتين وسبعين صفحة بالحجم الكبير وهو السلسلة الرابعة والعشرون من التحقيقات (الفولكلورية) للمصنف وقد ابدع كل الابداع بجمعه وترتيبه وتبويبه .

وذكر كل شيء يتعلق باليد ومترادفاتها كالكف والراحة وما يتفرع عنها من انامل واصابع واشاجع وبنان ورسغ وزند وعضد ساعد وذراع ومرفق ومعصم وظفر ، وعرفها جميعها تعريفا جامعا ماتعا وبين معانيها في اللغة العربية مع تعيين مواضعها وسرد اشعارا جميلة وكثيرة قيلت بها في مختلف العصور حتى العصر الحديث . كما انه استشهد بآيات قرآنية واحاديث نبوية وامثال عربية وعامية وبلهجة ابناء الفرات ، ونوه بما لليد من المعتقدات والعادات والتقاليد ووسائل التعليم والمخاطبة بشتى حركاتها وما لاشاراتها ولمساتها ، من فائدة للبكم والمكفوفين ، واوضح ما سجل التشريع الالهي والمدني من احكام عنها ، كما تحدث عن قراءة الكف واهمية دمغة (بصمة) الابهام في القانونين المدني والجزائي ، وما لليد في حياة الانسان من لزوم وضرورة .

وهكذا لم يترك شاردة او واردة عن اليد الا اشار اليها في كتابه القيم الفذ ولا بدع فمؤلفه ذو فكر ثاقب ورأي صائب وألمعية ولوذعية .

على ان في الكتاب هفوات طباعية كقوله في الصفحة الثانية والعشرين : ـ الساعد ما بين المرفق والكتف ـ والصواب (ما بين المرفق والكف) وكقوله فيها ـ العضد الساعد وهو من المرفق الى الكتف ـ والصواب (الى الكف) وكذكره للآيةالكريمة ـ ومتخذ المضلين عضدا ـ والصواب « وما كنت متخذ المضلين عضدا » ونسي في الصفحة نفسها عند ذكره جموع الزند ان يذكر جمعه على زنود وجمع الجمع أزانـد .

كما انه عند سرده المثل ـ لا يعرف كوعه من بوعه ـ فسر البوع بالكرسوع وهو طرف الزند الذي يلي خنصر اليد والصواب ان البوع بضم الباء عظم يلي ابهام الرجل كما في دائرة المعارف لفريد وجدي والمنجد للاب لويس معلوف . والعجيب ان لسان العرب والقاموس المحيط وهما من اوثق المعاجم العربية واغزرها مادة لم يدونا هذه الكلمة بالمعنى المذكور فيتبادر للذهن انها مولدة . وقد جاء في لسان العرب ما نصه : الباع والبوع (بفتح الباء) والبوع (بضم الباء) مسافة ما بين الكفين وهذا غير المعنى المقصود ، ومن المستغرب ان المثل المنوه به يتباهى به العوام ويطلقونه على من لا يفهم وهم لا يفهمونه . والحقيقة ان كلمة البوع عويصة لا يعرف معناها اللغوي الا الخاصة .

وجاء في الصفحة الرابعة عشرة من كتاب اليد البيت الاتي ونسبه المؤلف للرقاشي في وصف الخمر وهو :

فما حسا ثانيا او بعض ثالثة حتى استدار ورد الراح بالراح

والمشهور انه لابي نواس وهو مثبت في ديوانه وفيه وصف لحالة السكران المؤسفة لا للخمر .

وفي البيت لوحة مصورة بارعة للثمل المترنح الذي فقد وعيه وقد أصبح لا يقوى على النطق من شدة سكره فرد كاس الراح براحتيه حين قدمت اليه لانه لا يستطيع الشرب .

وجاء في الصفحة الواحدة والعشرين بيت بهذا الشكل المغلوط طباعة :

ما بين لقمتها الاولى اذا ازردت وبين أخرى قبلها قيس أظفور

وصواب البيت :

ما بين لقمتها الاولى اذا انحدرت وبين اخرى تليها قيس أظفور

والاظفور الظفر وقيس بكسر القاف بمعنى مقدار .

وجاء في اول الصفحة الثامنة عشرة بيت للشاعر الاستاذ محمد الفراتي من دير الزور مختل الوزن طباعة لا اود تصحيحه من عندي لكيلا يتبدل اسلوب الشاعر وقصده وليس لدي ديوان الشاعر لانقل البيت على وجه الصواب .

وليت المؤلف اشار الى ارجوزة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من روائع الكتب القيمة

التي لا غنى عنها لمكتبتكم

كما تجدون جميع الكتب المدرسية

أحد اصحاب المعلقات وهو من الاجواد المعمرين والفرسان المعدودين حين حضر وهو صبي مع وفد من قبيلته الى النعمان بن المنذر فوشى بهم الربيع بن زياد العبسي وكانت بين قبيلتي عبس وعامر عداوة فعدل النعمان عن تكريم العامريين وكان محتفيا بهم وعلموا ان الربيع هو سبب ذلك فرغبوا بالرحيل فقال لهم لبيد أنا أكفيكم شره فلم يأبهوا بقوله لانه لا يزال صغيرا وراقبوه ليلا فرأوه مهتما بالامر وهو راكب رحلا يكدم وسطه فلما اصبحوا أخذوه معهم الى النعمان فوجدوه هو والربيع يأكلان معا فأنشد لبيد بعد ابيات من ارجوزته :

مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري أشجعه
كأنه يطلب شيئا ضيعه

والاشجع اصل الاصبع فكره النعمان مؤاكلته ومعاشرته وتقززت نفسه منه فأمره بانصراف وحباه بضعف ما كان يحبوه فكذب الربيع قول لبيد بابيات واجابه النعمان بمثلها وهذا بيتها الاخير :

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

فذهب البيت مثلا ثم أكرم النعمان وفادة العامريين واجزل لهم العطاء فانصرفوا شاكرين مسرورين .

ومن الكنايات التي لم يدونها الكتاب (لعق اصبعه) أي مات . ومنها (يشار اليه بالبنان) يقال للرجل المشهور على ان ما ذكرته من هفوات طباعية وغيرها لا ينقص شيئا من قيمة الكتاب الادبية والفنية وكل من يقرؤه يجد فيه متعة وطرافة وفائدة .

جبله ـ سورية رشاد علي اديب

●

أبو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع

تأليف حمد الجاسر ـ ٤٥٠ صفحة ـ منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة بالرياض

كم كنت سعيدا غاية السعادة حين تلقيت من الاستاذ الكبير المحقق الباحث العالم العلامة الشيخ حمد الجاسر كتابه الاخير « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، الذي تفضل مشكورا باهدائه الي ...

والكتاب بحث منهجي موضوعي وتحقيق شامل واف دقيق في ٤٥٠ صفحة على ورق أبيض مصقول في طباعة انيقة ـ يؤرخ لعالم جليل القدر ، متعدد نواحي المعرفة ومع هذا فانه يكاد يكون مغمورا ..

ولقد حاول المؤلف في هذا البحث ابراز وتوضيح جميع جوانب حياة هذا العالم التي يحتاج الباحث الى معرفتها ، مما تضيق كتب التراجم ببيانه وهي السخية الكريمة به لمن هو أقل مقاما في العلم ، وأدنى منزلة من الناحية الثقافية من عالمنا هذا . ولقد حالفه التوفيق فعلا في رسم صورة صادقة امينة لمراحل حياته وعصره وموطنه والاحاطة بكل ما يمت اليه بصلة . ولم تفته شاردة او واردة عن نشأته وأعماله ومؤلفاته واثاره اللغوية بأسلوب واضح مشرق رقيق وعبارة جذلة خلابة تدعو الى العجب والاعجاب معا .

والذي يثير الاهتمام ويبعث الى العجب العاجب في هذا الكتاب الفذ هو انه تاريخ لرجل يكاد يكون مغمورا كما قلنا ، ومع ذلك فقد جاء الكتاب زاخرا بالمعلومات التاريخية والعلمية والادبية النادرة امدنا بها المؤلف بطريقة تجعل القارىء ينهل منها ويرتشف بكل شغف دون ان يعتريه اي ملل . ولعل ذلك يرجع الى مقدرة المؤلف وتمكنه من موضوعه . ولذا جاء مؤلفه تحفة ادبية تاريخية رائعة وثروة علمية لا تقدر ستخلدها له الاجيال جيلا بعد جيل .

ان الهجري فضلا عن كونه عالما لغويا واديبا ذا عناية بالشعر ، وتذوق وفهم وادراك ، وتمييز لجيده من رديئه ، وباحث جغرافي حاول ان يجدد كثيرا من المواضع التي يتوقف على تحديدها فهم الشعر العربي ، ونسابة عني بكتابة قسم من انساب قبائل الجزيرة في عصره ، بطريقة وان كانت موجزة وغير مرتبة ، الا انها حفظت لنا شيئا كثيرا ، ذا قيمة في موضوعه . وبالرغم من ان هذا العالم تصدى لناحية لا نجد عالما من العلماء الذين عرفناهم تصدى لها في ذلك العصر . وحاول في كتابه ان يسجل كل ما يستطيع تسجيله من ادب الجزيرة ، شعرا ، ونثرا ، ولغة ، وتحديد مواضع ، وذكر انساب ، ووصف حياة .

وبالرغم من انه تصدى لتدوين ذلك في عصر انصرف فيه العلماء من باحثين ومؤرخين عن الجزيرة بعد ان انصرفت عنها الانظار . فان كتب التراجم لا تجود عليه بترجمة اكثر من قولها : « أبو علي هارون بن زكريا الهجري النحوي ، صاحب كتاب النوادر والتعليقات المفيدة روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي » (١) .

عاش الهجري في اخر القرن الثالث الهجري وفي أول القرن الرابع ، واقام في مكة وتنقل في أرجائها حيث اجتمع به فيها الهمداني والسرقسطي . واخيرا استقر به المقام في المدينة حتى اخر حياته .

ولقد كان الهجري على صلة طيبة وطيدة بطاهر الحسيني اذ انه كان مؤدب اولاده . وطاهر الحسيني هذا هو طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب من امراء المدينة وعلمائها واعيانها .

ومع ان الهجري كان واسع الاطلاع ، وكان قد قرأ كثيرا من مؤلفات علماء اللغة المشهورين كالاصمعي وقبله الفراء وبعده ابن قتيبة وغير هؤلاء ، كما تدل على ذلك اشارات في كتابه « التعليقات » ، مع هذا فان كتابه يدل على قلة روايته عنهم ، وعلى ندرة نقله من كتبهم ، وعلى انه انما خصص كتابه هذا للاخذ عن رواة من اهل البادية ، وكأنه اراد بكتابه هذا ان يسجل ما لم يسجله غيره .

والهجري ـ مع اطلاعه على مؤلفات أئمة اللغة ـ لا يحفل بالاخذ عنها كثيرا ، بل يكتفي بالاشارة الى ما ورد فيها عندما يعرض لذكر ما له صلة به . فكأنه اراد بكتابه تدوين معلوماته الخاصة .

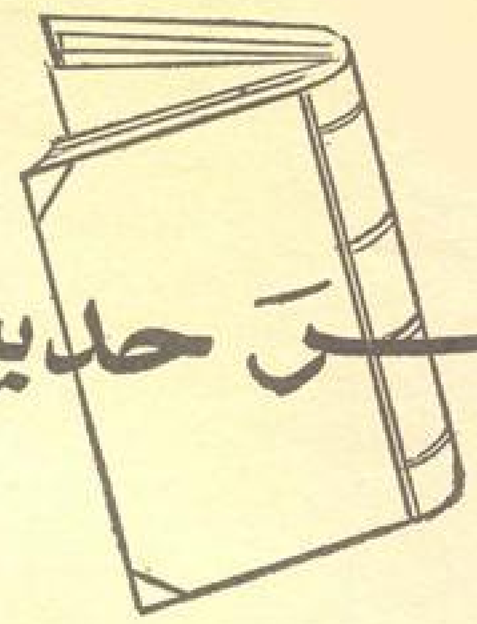
ولقد اخذ عن الهجري علماء كثيرون تتلمذوا عليه ، منهم أبو بكر محمد بن علي ابن القاسم المكي شيخ بن جنى وتلميذ ابن دريد . وابو محمد الحسن بن احمد ابن يعقوب الهمداني مؤلف كتاب « الاكليل » و « جزيرة العرب » و « الدامغة وشرحها » و « سرائر الحكمة » و « الجوهرتين » وغيرها من المؤلفات .

ونقل عن الهجري كثيرون ، منهم : العالم اللغوي العظيم ابو الحسن بن سيده الضرير الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ الذي نقل في معجميه الكبيرين « المحكم والمحيط الاعظم » و « المخصص » اشياء كثيرة لغوية عن الهجري . وممن نقل عنه العالم الاندلسي الوزير الفقيه ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفي سنة ٤٨٧ هـ وهو صاحب كتاب « معجم ما أستعجم من اسماء البلاد والمواضع » ، وكتاب « فصل المقال في شرح الامثال » وكتاب « اللآلي في شرح الامالي » وغيرها من مؤلفات . وممن نقل عن الهجري ايضا من علماء الاندلس ابو محمد عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي المتوفي سنة ٥٤٢ هـ ، فالف كتابا كبيرا في الانساب سماه « اقتباس الانوار والتماس الازهار في أنساب الصحابة ورواة الاثار » اكثر فيه النقل عن الهجري .

اما مؤلفات الهجري التي أخذ منها كل هؤلاء فهي : كتاب

---

(١) « معجم الادباء » لياقوت ١٩/٢٦٢ و « بغية الوعاة » للسيوطي ص ٤٠٥ الطبعة الاولى .



ظهر حديثاً

● نور الاندلس ـ تاليف امين الريحاني ـ تقديم البرت الريحاني ـ طبعة ثانية ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المكاري والكاهن ـ قصة ـ تاليف امين الريحاني ـ طبعة ثالثة ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● الشوق والرصاص ـ مجموعة شعرية ـ زياد نجيب ذبيان ـ مصمم الغلاف زكريا كايا ـ ١٦٨ صفحة ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● ديوان حاتم الطائي ـ حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان طرفة بن العبد ـ حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ مطبعة الامان في درعون لبنان .

● ديوان جميل بثينة ـ حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ مطبعة الامان في درعون لبنان .

● زهرة في تبر ـ رواية ـ تاليف محفوظ ايوب ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● عاشق الاحزان ـ مجموعة قصص ـ تاليف السيد ابراهيم ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات الناشر العربي بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الادب والثورة ـ تاليف عبد الله نيازي ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الكتاب الحديث رقم ٢٩ ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام في بغداد ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد .

● اليد في حياتنا وتراثنا ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات رقم ٢٤ ـ طبع في دير الزور سورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشوق الغارب ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ ٨٠ صفحة مطابع الفجالة الجديدة بالقاهرة .

● ما علينا ـ مجموعة شعرية ـ علي عبد الرحمن ـ ١٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة شبير (؟) .

● الماء العذب ـ قصص قصيرة ـ تاليف غانم الدباغ ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة الاديب ببغداد .

● الوهم ـ رواية ـ تاليف محمد جلال ـ الغلاف بريشة مصطفى حسين ـ ٢٠٠ صفحة ـ مطبعة دار الهنا بالقاهرة .

● انفاس الشباب ـ مجموعة شعرية ـ محمد رضا آل صادق ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة الفري الحديثة بالنجف .

● صحافة الاحزاب وتاريخ الحركة الوطنية ـ تاليف فائق بطي ـ مصمم الغلاف محمد سعيد الصكار ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة بغداد ـ مطبعة الاديب ببغداد .

● اوراق الغربة ـ تاليف عبد الله الشيتي ـ الغلاف للفنان نصرالدين ـ ١٠٦ صفحة ـ دار الخليج للطباعة والنشر بالكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« التعليقات والنوادر » وكتاب « منتخب الاراجيز » وكتاب «العقيق» .

هذا هو الهجري موضوع بحث الكتاب الذي نحن بصدده الان ، والذي اجتمعت له خصال ثلاث تجعله في عداد كتب السير المشهود لها لاعلام المترجمين ، وتلك الخصال هي : التحقيق التاريخي ، والتحليل النفساني ، والاعتراف بالفضل لمن بذلوا جهدا يستحقون عليه الشكر والثناء . فاستاذنا الشيخ الجاسر عالم فاضل تقتضيه الامانة العلمية ان يعطي كل ذي حق حقه من الاعتراف بالفضل ، وهو ـ كما يقول ـ اقل من ان يفي باليسير من واجب الوفاء لهم ، ان ينوه عن ثلاثة من علماء المسلمين في بلاد الهند لهم عناية كبيرة بالهجري واثاره ، هم : العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الذي خدم اللغة العربية وادابها اجل خدمة بما نشره من أصول كتبها ، والعالم الاستاذ زبير الصدقي الذي اتجه لدراسة كتاب الهجري وقام بتحقيقه تهيئة لنشره ، وقد القى عن الكتاب بحثا في مؤتمر المستشرقين نشرت خلاصته في النشرة التي اصدرها مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٥٧ ، والاستاذ ابو محفوظ الكريم المعصومي ، وهو من علماء الهند البارزين في الابحاث العربية ، فقد القى في مؤتمر المستشرقين الـ ٢٦ محاضرة عن الهجري وعن كتابه « التعليقات والنوادر » اشار فيه الى انه قد هيأه للطبع . فلا غرابة اذن ان نجد استاذنا الجليل الشيخ الجاسر يهدي كتابه هذا الفخم الى هؤلاء العلماء الاعلام .

ولما كان الاستقصاء في طبيعة مؤلفنا الكبير فقد ابتدأ موضوعه من البداية فتناول بالبحث الضافي اثر علماء الاندلس في نشر الثقافة ، وكيف كانت مكة مركزا للثقافة العربية . ثم عرض في القسم الاول من الكتاب تاريخا شاملا عن الهجري ، حياته وعصره ، وموطنه ، وسكناه المدينة ، واسماء من تلقى عنهم الهجري وبعض من أخذوا عنه ، وتعريف بمؤلفاته مع ذكر نصوص من هذه المؤلفات عن : مفردات اللغة ، وانساب القبائل ، حياة البادية ، بعض النوادر ، السهام ، فصل الشتاء ، طرائف . ثم يذكر ما بقي من اثار الهجري .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى القسم الثاني من الكتاب حيث يذكر ابحاث الهجري في تحديد المواضع ، ومصادر هذا القسم واسماء المواضع مرتبة على حروف المعجم في فهرس خاص جاء في اكثر من ٤٠ صفحة .

اننا لو ارخينا العنان لاعجابنا لاوردنا الكتاب كله شاهدا على فضل كاتبه في كل ما سطره فيه وتبريزه في نواحيه المتعددة وبلوغه الغاية في الاصالة والصدق . انه بالحق جوهرة من الجواهر الثمينة التي يتحفنا بها عالمنا الجليل من حين الى حين ،قمينة بان يفرد لها اعز مكان في خزائننا الادبية ، وجديرة بالاحتفاظ بها حتى يرثها عنا احفادنا من بعدنا .

فلا يسعني هنا الا ان اسدي لاستاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر الشكر وافرا وجزيلا على ما تفضل به علي من زاد ادبي وعلمي ، وادعو له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

اليانصيب الوطني اللبنـاني

مؤسسة حكومية مرصد ريعها لاعمال الاسعاف الاجتماعي

يوالي اجراء سحوبـات سنة ١٩٦٩

ليقدم الربح للمساهمين والمساعدات للمؤسسات الخيرية

١٥	اصدارا شعبيا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.ل.
٢٥	اصدارا شعبيا خاصا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.ل.
٤	اصدارات سوبرستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.ل.
٨	اصدارات عاديـة	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.ل.
١	اصدار راس السنة	الجائزة الكبرى	٢٠٠٠٠٠ ل.ل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوف الجوائز الموزعة تدفع من المديرية معفاة من جميع الرسوم والضرائب

ترقبوا مواعيد سحوبات اليانصيب الوطني مزودين بأوراقكم

ليؤمن لكم مـع الثروة المساهمة في عمـل الخير



وديـع فلسطين

انا والمكتبـات الخـاصة

بقلم وديـع فلسطين

* * *

أتمثل باستاذينا الكبيرين شفيق جبري وظافر القاسمي ، هذا « بانا والشعر » و « انـا والنثر » ، وذاك « بأنـا والرياضة » و « انا والطبيعة » واضع لهذا المقـال عنوان « انا والمكتبات » لان الموضوع يستمد مادتـه مـن معـين الذات ، ولان الحديث المستطرد الذي اسوقه كيفما اتفق عماده الصلة الشخصية والمرويات التي طرقت اذني . ولا أعرف مرجعا ارد اليه القاريء ليتحقق من سـداد هـذا القول وصحتـه .

فعدة الاديب كتبه ، يشتريها ويقتنيها وتهدى اليـه ويستهديها ويستنسخ ما ندر منها ويحافظ عليها مهمـا كلفه ذلك من مال ، وينميها ويكثرها بلا حدود مهما ضيق على نفسه وعلى أسرته في الحيز المكاني للعيش ليتسـع بيته للكتب وان ضاق بسائر الامتعة واسباب الراحة .

وقد رايت راي العين مكتبات كثيريـن من اعـلام الفكر : خليل مطران والدكتور فارس نمر وعباس محمود العقاد وسـلامه موسى واسماعيل مظهـر والدكتور امير بقطر والشيخ حافظ وهبـة وطـاهر الطناحي والدكتور ابراهيم ناجي وعزيز خانكي ، عليهم جميعا الف رحمـة ، والدكتور طه حسين والدكتور فؤاد صروف ومحمد جميل بيهم والدكتور محمد صبري السوربونـي ومحمد ابـو الفضل ابراهيم ومحمد عبد الغني حسن وعبد الله التـل وحسن كامل الصيرفي والبير اديب ومحمـود تيمـور وابراهيم المصري وعلي أدهم والبحاثة لفريد الذي يعـد اسطورة من الاساطير رشاد عبد المطلب والمجاهد العربـي الاكبر محمد علي الطاهر وغيرهم وغيرهـم من فضـلاء الاصدقاء الذين اذنوا لي باقتحام عرينهم المزدان بالكتـب ولم يغاروا عليها من نظراتي « البريئة » ! واقول «البريئة» لانني لم اقترض في عمري كتابا من أحد ، وان كـان كثيرون « اقترضوا » كتبي فكان هذا آخر العهد بهـا ! وحالي في هذا خير من حال الصديق جورج صيدح الذي « تسلى » زواره على كتبه « يقترضونها » واحدا واحـدا حتى أتوا عليها جميعا وخلت الخزائن والحوامل الا مـن الارفف الخشبية يتراص بعضها فوق بعض انتظارا ـ ربما الى يوم الحشر ـ لعودة الكتب « المستعارة » اليها !

ومن عادة الاديب ان يعتز بكتبه فلا يفرط فيها مهما غلا الثمن وعظمت التضحية . والذين أكرهوا على تـرك مكتباتهم الخاصة في فلسطين كأرملة جـورج انطونيوس وخليل السـكاكيني وروكس بن زائد العزيزي وعيسـى الناعوري والبدوي الملثم يعقوب العودات وغيرهم (كمكتبتي عادل زعيتر واسعاف النشاشيبي) ما زالـوا يتحسرون بمرارة على فقد هذه الكتب الاثيرة . والعقاد كان يحتفظ لنفسه بمكتبتين : احداهما ، وهي المكتبة الام ، في منزله العتيق في مصر الجديدة ، والاخرى في منزل الاسرة في اسوان ، وان تكن الاولى اوفى وأزخر ، وذلك لانه لم يكن يتصور الحياة بغير كتب .

وعندما اعتزم الدكتور احمد زكي ابو شادي الهجرة الى امريكا في عام ١٩٤٦ ، لم يستطع ان يفرط في كتبه، فعمل على شحنها بكل مفرداتها الى نيويورك حيث اقـام فترة ، ثم الى وشنطن حيث استقر الى وفاته عام ١٩٥٥ . على ان ابا شادي ، في لهفته على الهجرة ، لم يسـتطع انجاز اجراءات شحن الكتب لتسافر معـه في باخـرة واحدة ، فتركها اطنانا في صناديق مغلقة ، خزنت فـي مستودعات « البوندد » في جمرك الاسكندرية مدة اربت على أربع سنين ريثما تستوفى الاجـراءات الدواوينية للشحن . وترتبت عليه تلقاء ذلك رسوم باهظة للخـزن والتامين والارضية اداها راضيا . على انه لما استبطأ وصول الكتب واعيته الحيلة في استعجال اجراءاتهـا ، كتب الي يستوصيني بها خيرا . وكان قصاراي ان بعثت برسالة شخصية الى صديقي الراحل الدكتـور محمـد توفيق يونس وكيل وزارة المالية انـذاك ورئيس ديـوان المحاسبة في ما بعد ـ وهو من اعاظم الرجال علما وخلقا وفضلا مع تواضع جميل ـ فبادر باصدار امره في لحظـة باعفاء الكتب من جميع الاجراءات والحاقهـا بصاحبهـا الدكتور ابي شادي تقديرا لعلمه وتمكينا له من الاضطلاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمهمته الادبية في مهجره .

وكذلك الدكتور فؤاد صروف سبق بشحن مكتبته الخاصة الى بيروت قبل ان ينتقل اليها للاقامة الدائمة فيها حرصا منه على « رفاق العمر » .

وعلى اعتزاز الادباء بمكتباتهم الخاصة ، فقد تعرض بعضهم لوطأة الحياة وقست عليهم ظروفهم ، فاضطروا على كره الى بيع مكتباتهم استعانة بثمنها على تذليل هذه الضائقة الطارئة . فباع ابراهيم عبد القادر المازني مكتبته غير مرة ، وباع العقاد مكتبته في فجر حياته ، وباع ابراهيم المصري مكتبته وباع البير اديب مكتبته ، ثم عادوا جميعا الى تكديس الكتب وتحصيلها ، وتكاملت لهم بذلك مكتبات بديلة فيها عوض عن بعض ما فقدوا .

ولا ريب في ان المكتبات الخاصة تحتل من نفوس اصحابها مكانا عزيزا لانها تمثل المنتدى الفكري الذي يخلو اليه المفكر في اماسيه ، ويرجع اليه استزادة في العلم واستقصاء لواقعة او خبر ، ولانها في مجملها تمثل صورة من ذوق المفكر ، وتتراءى فيها تطورات تفكيره واهتماماته في مراحل الحياة المختلفة . ولهذا تبقى للكتب فضلا عن قيمتها الفكرية ، قيمة عاطفية تلتصق بقلب المفكر مباشرة ، بحيث « يتعذب » عذابا فعليا اذا ضاع منه كتاب او استباحه مستبيح قبيح .

وكان صديقنا سلامة موسى قد تعرض للاعتقال في حكم اسماعيل صدقي باشا سنة ١٩٤٨ او ١٩٤٩ هو وطائفة من اهل الفكر . ولما عاد الى داره ذهبت للتهنئته والسؤال عن صحته ، فأسر الي بأنه شديد الحزن على عشرات من الكتب نقلت من مكتبته لان اغلفتها حمراء وقد توهم رجال الضبط ان كل كتاب ذي غلاف احمر لا بد ان يكون خطير المحتوي ، فاخذوها جميعا ولم ينج منها حتى « القاموس العصري » لصديقنا الراحل الياس انطون الياس ! .

وحدثني فتحي الرملي بدوره عن مكتبته التي جددها ثلاث مرات ، لا لرغبته في التجديد و « تغيير الجلد » ، بل لان كتبه صودرت المرة تلو المرة وذهبت بزكائبها طعمة للنار .

ولم نسمع ان لصا من اللصوص المحترفين سطا على مكتبة خاصة ، بل لعل المكتبات الخاصة هي آخر ما يطمع فيه اللصوص وقطاع الطرق الذين يبحثون عما خف حمله وغلا ثمنه . ولكن هناك لصوصا للكتب لا يعدمون وسيلة في سرقة المخطوطات النادرة وتهريبها وبيعها بأثمان فاحشة . وهؤلاء هم « ارقى » انواع اللصوص لانهم ذوو علم وفهم ، ولانهم على صلات علمية « محترمة » بطلاب الكتب وقانصيها في ديار شتى . وواضح بداهة اننا اخرجنا من زمرة اولئك اللصوص الادباء ومدعي الادب الذين يحسنون « اقتراض » الكتب ولا يحسنون ردها . فهؤلاء « مقترضون » لا لصوص ، وشتان بينهما في الاسم وان اتحدا في الفعل !

ولكن ما هو مصير هذه المكتبات الشخصية التي يفاخر بها اصحابها ويعتزون ، وتحصى بالمئات في صعيد العرب ؟ .

هناك اقوام — وعددهم قلة — يوصون بمكتباتهم لدور الكتب الرسمية او للهيئات والمجامع العلمية ، فتبقى للكتب كرامتها ، وتخلد اسم مهديها ، وتنفع الناس اعمارا مديدة . ومن هؤلاء القوم الكرام العظام احمد تيمور باشا والامير مصطفى الشهابي وخليل مردم بك وخليل تابت باشا ، وكلهم قد اهدوا مكتباتهم الخاصة الى هيئات علمية ، فحفظوا كتبهم من الابتذال المهين بعد موتهم .

ولكن هناك اقواما لا يكادون يتركون هذه الحياة حتى يبادر ورثتهم الى التخلص من مكتباتهم الخاصة ببيعها الى الوراقين وتجار الكتب ، فيكون مصير هذه الكتب النفيسة بما فيها من كتب تحمل اهداءات مؤلفيها ، البيع الرخيص على اسوار الحدائق وافاريز الطرق . وقد رايت بعيني راسي كتبا عليها اسماء الدكتور محمد حسين هيكل باشا وعلي ماهر باشا وطاهر الطناحي معروضة عرضا زريا على سور حديقة الازبكية بعيد وفاة كل منهم . وحز في نفسي بوجه خاص ان اسمع بأذني حديث الطناحي الموله بكتبه المتيم بها المفهرس لدورياتها ولا سيما مجلة « الهلال » منذ صدورها ... فلا ينقضي اسبوعان على وفاته الا وقد أزجيت كتبه الاثيرة العزيزة على الافاريز يسومها كل مفلس ! .

وشد ما فجعني في كثير من القيم ما عرفته من امر مكتبة استاذنا الدكتور امير بقطر ، ولعلها اعظم مكتبة خاصة في موضوعات التربية وعلم النفس لان الدكتور بقطر كان من اوائل الرواد والمشتغلين في هذا الميدان . وفي صيف عام ١٩٦٦ سافر الدكتور بقطر الى النمسا لقضاء عطلته شأنه في كل صيف ، وهناك عاجلته المنية بلطمة من لطمات القلب ، فعاد الينا محمولا في صندوق ، وكنت من جملة الذين اودعوه الثرى في قبر حديث انشأه لنفسه . ومن غرائب المصادفات ان هذا القبر ملاصق للحفرة المخصصة لي متى ناداني القدر ! ولم يكن للدكتور بقطر وريث ظاهر ، لان زوجته الانكليزية الفضلى سبقته الى لقاء ربها بسنة ، وكان وحيدا لابويه ولم يكن له الا ابناء خؤولة او عمومة من الدرجة الثالثة او الرابعة يعيشون في قرار الصعيد . وعلى الفور طبقت على تركته اجراءات « بيت المال » التي تقضي بالاستيلاء على مخلفاته لانقطاع ورثته ، وبيعت كل اشيائه بالمزاد ، حتى مكتبته النفيسة . وقد عبث الوراقون بكتبها ، وتناثرت مفرداتها على كل طوار ، وتعرضت للتمزق والتهتك والبلي لطول ما تناولتها ايدي الماكسين والمساومين .

وهناك مكتبات خاصة اقتنتها هيئات علمية مقدورة . فاشترت جامعة بيروت الاميركية مكتبة المرحوم الفيكونت

بقاء

يذوب المال في كفي كاني
لظى والمال في كفي جليد
فما ملكت يدي شيئا تبقى
ويغريني البقاء فاستزيد
يمر بي الجديد فلا أعيه
سوى ان مر بي يوم جديد
وأخشى ان يجيء غد وكفي
بها شلل فتخطيء ما تريد
بقائي ، ما رويت بكاس عيش
فان نضبت فقد نضب الوجود ؟

وديع ديب

فيليب دي طرازي بما فيها من مجموعات كاملة نادرة للصحف والمجلات ، كما اشترت مجموعة كاملة من جريدة « المقطم » هي مجموعة « دار المقتطف والمقطم » التي اهديت بعيد اغلاق الدار الى هيئة ثقافية فتولت هذه الهيئة بعد ذلك بيعها . واشترت بعض الهيئات الاسلامية في وشنطن مكتبة المرحوم الدكتور احمد زكي ابي شادي . وباع العلامة المشهور البروفسير كريزويل المتخصص في الفنون الاسلامية ، مكتبته الخاصة في حياته الى الجامعة الامريكية بالقاهرة التي أفردت لها جناحا خاصا هو اول المترددين عليه في شيخوخته النشطة التي نيفت على التسعين ، وهو اديبهم على مراجعة مفرداتها واستخراج كنوزها . كما ان الصحفي القديم قرياقص ميخائيل الذي عاش في لندن نحو خمسين عاما قد اشتريت مكتبته الخاصة عن مصر وافريقيا بأمر من وزير المعارف الدكتور طه حسين واودعت دار الكتب . اما مذكراته واوراقه الشخصية التي مات عنها في لندن عام ١٩٥٦ فقد عبثت بها عوامل الضياع لانقطاع ورثته .

وقرياقص ميخائيل يستحق وقفة قصيرة . فقد سافر هذا الشاب الى لندن في اوائل هذا القرن واعتمدته الصحف المصرية مراسلا لها « كالاهرام » و « المقطم » وما اليهما . وكان بجده ودابه وشخصيته المحببة قد اكتسب صداقة الزعماء واعضاء مجلسي النواب والاعيان (اللوردات) في انجلترا ، مما جعله حلقة اتصال بين وفود المفاوضة المصرية والساسة البريطانيين . وكان يعشق بلاده مصر وقارته افريقية ، فعكف على انشاء مكتبة خاصة تقتصر على هذين الموضوعين . فاذا اشترى كتابا عن مصر ، فتح صفحة المراجع ، وطاف بالمكتبات بحثا عن كل كتاب منها . فاذا أعياه ذلك ، نشر اعلانات مأجورة في الصحف يطلب فيها شراء كتاب صادر في سنة ١٨٠٠ او مجلة طبعت في دربان بجنوب افريقية عام ١٨٢٠ . وكانت تأتيه ردود على اعلاناته من استراليا او كينيا ، فيبادر الى شراء الكتاب المطلوب او المجلة المنشودة بأي ثمن . حتى صارت لديه مع الوقت مكتبة نادرة ، من جملة محتوياتها مذكرات أحمد عرابي باشا بخط يده ومذكرات « برودلي » وهو المحامي الانكليزي الذي ترافع عن عرابي باشا . وقد وضع هذه المذكرات في خزانة استأجرها في البنك وقام بالتأمين عليها حفاظا عليها من الضياع . وقد ادرك طه حسين — وهو من هو — قيمة هذه المكتبة الخاصة ، فاشتراها وهو وزير خشية ان تقع في أيد اخرى .

على انه قد جد في موضوع المكتبات الخاصة اعتبار جديد اقلق جمهرة الادباء وجعلهم ينظرون الى المكتبة نظرتهم الى هم مفزع هم بسبيل تركه لذويهم . فبعيد وفاة احمد لطفي السيد باشا ، طرق باب اسرته زائر غريب جاء لكي يحصر تركة الفقيد . وقد تبين هذا الزائر ان اكبر عنصر في تركة لطفي السيد هو مكتبته الثمينة . فشمر عن ساعديه ، واخذ يغالي في تقدير ثمنها وفي حساب ما يستحق عنها من مكوس ضريبية حتى فزعت اسرة لطفي باشا . وما كان منها الا ان رغبت في التخلص من المكتبة فورا ، وذلك باهدائها الى الاقليم الذي ولد فيه لطفي السيد (قرية برقين) . ولم تكن أجهزة الاقليم مهيأة لاستقبال هذه الهدية التي ملأت عشرات من ضخام الصناديق ، ولا كانت لديها قاعة لوضعها فيها ، فخزنتها في سراديب ودهاليز ، وما زالت ترقد في صناديقها الى هذا اليوم .

اما مكتبة العقاد ، وهي اضخم مكتبة خاصة منوعة الموضوعات حتى لقد ملأت الكتب شقتين كاملتين ، وانتشرت في المطبخ والشرفات وفي غرف النوم وفوق الثلاجة ، فقد عرف الخبراء بدورهم طريقها ، وجاءوا يقدرون اثمانها ، فتضخمت الارقام وكثرت فيها الاصفار التي هي على اليمين لا على اليسار (كما يقول صديقنا الاديب الشاعر المهجري عبد اللطيف الخشن) ، وبادر الورثة باجراء مفاوضات عسى ان تبقى مكتبة العقاد متحفا في بيته التاريخي الذي أقام فيه اربعين سنة ، او ان تنقل الى اسوان مسقط رأسه لتكون مصدر اشعاع علمي في هذه المدينة . ولا ادري علام انتهت هذه الحكاية ، وان كان قد جد فيها اعتبار جديد ، هو ان صاحب العمارة — وهو اديب كبير ! — انذر ورثة العقاد باخلائها لرغبته في هدمها ! وبدأت قضية جديدة لا ادري من مراحلها شيئا .

ولا احسبني الممت بموضوع المكتبات الخاصة ، فهو عريض رحيب . وانما حصرت نفسي في نطاق « الانية » تمثلا بالاستاذين الكبيرين شفيق جبري وظافر القاسمي ، وهما في القمة وانا في السفح منبطح .

طرابلس — ليبيا

وديع فلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

همسة البعث

•

فؤاد الخشن

•

الشويفات ـ لبنان



تقول وفوق الشفاه ارتجاف التمني
ورف القبل
وفي الناظرين التماع شفيف
يبل بفيض المقل ، :
ـ « حرام تعاف الغزل
فشعرك هذا الدفيء المعطر ، شعر يضم !
بليل يوشوش فيه النخيل ،
ويهوى النسم ! »

ـ مثيرة هذي الحروف الندية بعد الهجوع
يطيب لآدم هذا الرجوع
لجنة أمسه
ولامرىء قيس دهته هموم الكبار
اياب لنفسه !
ولكن أمر
تغمغم فيه جمار الدماء
وتصرخ هامه
لرأس القتيل :
« الى الثأر » ينسي عبير النساء
ويمنع خمر !
ابعد الفجيعة ، بعد اهتزاز الصور
لغيث اصاب مرايا الغبار
نغني لوجه القمر
ونرقص فوق القبور الرطيبة
وفي الافق تبدو لعين فتاة اليمامة
غصون تسير ... !
وعبر الظلام
دبيب يرج ضلوع التراب
باذن « حزام » !

لعلي اذا عاد حلوا منير ،
كما كان يبدو جبين البطل
وعادت بلادي ارض الشعل
وعاد صغاري كسرب السنونو
يذرذر حرا اغاني الحبور ،
اعود اغني لاحلى حبيبه
تعيش بفردوس نفسي الصغير
لعل دخاني يعود يعطر ثوبا شهي الرفيف
وتخضر خيمه
بتل هنالك جار السحاب
وتحلو لهدبي وهدبك رحله
على قطن غيمه
تمد بساطا يهدهد فوق الرياح
لضم مذيب يتاح
ونشوة قبله !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

التجديد الشعري بين مطران وشكري

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

حين أشرف صديقي الكاتب الكبير الاستاذ نقولا يوسف على تحقيق ديوان الشاعر العظيم الاستاذ عبد الرحمن شكري ، تفضل فدعاني الى كتابة مقدمة ادبية موجزة للديوان ، فلبيت طلبه معتقدا ان تقديم هذا الشاعر المجدد لا ينهض به قلم كاتب محدود مثلي ، وكان مما يهون الامر بعض الشيء ان الاستاذ نقولا يوسف حرص على ان يسجل في صفحات الديوان مقدمات الشاعر نفسه مع ما كتبه العقاد عنه ، فاذا قصر مثلي عن ملء المكان ففي مقدمات شكري والعقاد ونقولا ما يرضي القراء ، وكنت قد اشرت فيما قلت اشارة موجزة الى اثر الشاعر الكبير خليل مطران في ميدان التجديد الشعري دون ان اقصد الى تفضيل وترجيح بين شاعرين كبيرين يحتل كلاهما مكانه اللامع في سماء التجديد الادبي !

ولكن احد القراء الافاضل طاب له ان ينتقص ما اوجزته في المقدمة ، مدعيا ان القول في شكري ومطران لا يتيسر على هذا النحو الطائر ، فخطر لي ان اتناول هذا الموضوع ثانية ببعض التحليل عالما ان رسالة شكري ومطران في التجديد الشعري كانت وما زالت موضع خلاف واشتباه لدى الكثيرين ، ونحن حين نوازن بين الشاعرين الكبيرين في مضمار التجديد والبعث ، نقع في حيرة غامضة ، فمطران في منطق التاريخ رائد اول تقدم الى الباب الموصد ، واخذ يدقه دقا قويا متصلا حتى انفرج مصراعاه على يديه ، وتدفق من خلفهما النور المتوهج فغمر الابهاء والحجرات واستضاءت به عيون ، وقلوب !! ولكن عبد الرحمن شكري يؤكد في صرامة مصممة انه لم يهتد بمطران في مذهب ، بل اخذ يطرق الباب من ناحية خاصة ، حتى انفرج المصراع بجهده الدائب ونشاطه الملحاح !!

وتلك قضية هامة تحتل جانبا كبيرا من التفكير الشائك الحائر ، اذ انها قضية الريادة والقيادة ، وما زال التنازع على الزعامة في عوالم الادب يثير بين المؤيدين والمعارضين نقاشا وعراكا لا يهدآن ، ولا ازعم اني سأصل الى الراي الفاصل فيما اتصدى له بل احاول هنا ان اسطر ما ارتئيه فقد يتضمن بعض ما يفيد .

ونحن اذا سألنا التاريخ الزمني وحده في هذه القضية نجده يؤيد الخليل ويؤازره ، اذ سبق صاحبه الى تسجيل شعره الجديد في الصحف وخرج على الناس باتجاهه الخاص قبل ان يظهر شعر شكري بسنوات ، واذا كان الديوان الاول لمطران قد ظهر في سنة ١٩٠٨ والديوان الاول لشكري قد ظهر سنة ١٩٠٩ فان ذلك لا يعني ان الشاعرين من ناحية الزمان متقاربان ! اذ من المعلوم ان الخليل قد نشر اكثر ديوانه قبل ذلك متفرقا يسيل في انهار الصحف وجداول المجلات ، واذا كان شكري قد نشر كذلك بعض شعره في الصحف قبل ديوانه فلا يدل ذلك على انه سبق الخليل في تجديده وانما كان حينئذ في رأي القراء ، شاعرا ناشئا ، ينمو ويترعرع ولم تكن له مكانة الخليل ومنزلته سنا وانتاجا ، مما يجزم بتقليد الصغير للكبير ومسايرته !

ولن يمنعنا تأييدنا لزعامة الخليل من ان نلخص ادلة شكري التي ذكرها بمجلة الرسالة (١٧ ابريل سنة ١٩٣٩) ليعلن بها عدم تأثره بمطران وهي مما تضيء جانبا هاما من قضية ذات التباس !! ولعلها تنحصر في هذه النقاط :

١ ــ اطلاع الاستاذ شكري على الادب العربي والاوروبي في سن مبكرة بالمدارس الابتدائية والثانوية .

٢ ــ كانت ثقافة شكري الاولى انجليزية !! مع ان ثقافة مطران الاولى فرنسية .

٣ ــ انه اطلع على الادب الفرنسي مترجما الى الانجليزية لا كما ظهر اثره في شعر مطران .

٤ ــ اكثر شعر شكري ونثره يغلب عليهما التحليل النفسي او السخر ، او التفكير في مذاهب الادب الاوروبية .. ولا كذلك شعر الخليل .

٥ ــ لم يطلع شكري على ديوان الخليل الا بعد نشر جزء من ديوانه على الاقل ، كما انه لم يطلع منه على احسنه وافخمه بل على ما نظم لمداعبات الانسات السوريات وغيره ، مما يشبه شعر الحفلات والمناسبات !!

٦ ــ لم يقابل شكري الخليل غير ثلاث مرات فقط

ولم يحاول في مرة منها ان يجعل شكري تلميذه !!

هذه ادلة شكري ملخصة مركزة ، ونعلن انه كان صادقا بينه وبين نفسه في سردها فلم يعمد الى تزييف مغرض ليثبت استقلاله الفني ، ولكن صدقه النفسي لا يمنع ان يكون محل نظر لدى غيره ، فقد لا يدرك الاديب بعض منابع تكوينه حين يطفى عليها غيرها من المنابع المختلفة ، ومهمة المؤرخ الناقد حينئذ هي الاهتداء الى كل عنصر بارز او مستمر من عناصر التكوين سواء فطن اليه صاحبه أم لم يفطن اليه ، ونحن لا ننكر انا لرجل قد اطلع على الاداب العربية والانجليزية في سن مبكرة ! ولا ان ثقافته الاولى انجليزية لا فرنسية ولا انه لم يقابل الخليل غير ثلاث مرات !! ولكننا نتعلق بشيء هام هو عدم اطلاع شكري على شعر الخليل في نشأته الاولى ، اذ ان ناشئة الادب وهواته يحرصون حرصا زائدا على قراءة ما يدور حول الادب وما يدخل في نطاقه من شعر ونقد !

فاذا كان الاستاذ شكري قد عشق الادب في سن مبكرة ، فهو مضطر الى قراءة ما يصدره الادباء والشعراء في الصحف ، ولن يعقل في منطق احد ان يغمض شاعر يثقف نفسه عينيه عن شيء يتصل بفنه وموهبته !! فلا بد انه قرأ لشوقي وحافظ ومطران ! واذا كان مطران قد انفرد لهذا العهد دون صاحبيه بالتجديد في شعره ! فتجديده هذا ليس من الخفاء الى حد يتجاهله هواة الادب وعارفوه ! ولعل الاستاذ شكري قد قرأ شعر مطران الشاب ، ورآه دون ما يأمل ويرجو ، بعد اطلاعه على الشعر الانجليزي ، فتوهم انه لم يتأثر به ، مع انه بلا شك ـ كأديب شاعر ، قد لاحظ الفوارق الواضحة بين مطران وحافظ مثلا وهذه الملاحظة وحدها ذات تأثير موجه بين شعر الخليل وصاحبيه !!

واذا لم يحقق مطران المثل الاعلى للشعر في رأي شكري فقد حاول ان يسير نحوه وان يتزعم مدرسة تحاول ان تتجه مخلصة اليه !! وتلك منة جليلة لمطران ، ونحن في هذا المقال ، لا نريد ان نزعم ان شكري قد قلد الخليل وحاكاه في اكثر اتجاهه ! فهذا ما لا يؤيده انتاج الشاعرين الكبيرين ، وانما نؤكد سبق مطران في التجديد! فهو الشاعر الابتداعي الاول في العصر الحديث ! وقد استحدث في الادب العربي كما يقول الدكتور اسماعيل ادهم (الرسالة ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩) اسلوبا جديدا في النظم « يقوم على اساس قول الشعر باعتبار وحدة الشعور واطراد الخواطر وتسلسل المشاعر واتساق المعنى » !

هذا الاسلوب الكلي قد آمن به واعتنقه دعاة المذاهب الجديدة في الشعر الحديث !! وشكري العظيم في مقدمتهم كما تنطق بذلك قصائده الجياد ، وقد ذكر الاستاذ عبد الرحمن شكري فارقا هاما بينه وبين مطران حين قال عن نفسه « ان كثيرا من شعري ونثري يغلب عليهما التحليل النفسي أو السخر أو التفكير في مذاهب الادب الاوربية : الانجليزية والفرنسية والالمانية . ولم أر ولا اظن ان اكثر القراء رأوا ذلك في شعر مطران » .

وهذا كلام صحيح لا غبار عليه اذ ان الاستاذ شكري قد عكف على تحليل النفس البشرية تحليلا يفضح نقائصها المتباينة ، ويكشف جوانب هامة من اسرارها الغامضة ، وقد سلط تفكيره العميق على اكتناه النوازع ، واستشفاف الخواطر ، فادرك الطبائع الفطرية في النفوس وازال الاغشية عن العيون فلمح الالم في التبسم والعداوة في الصداقة ، وفسر السلوك الانساني تفسيرا مدهشا عجيبا لا يتأتى لغير مجرب فاحص يدخر تجاربه القاسية لينتفع بها في تعليل الظواهر وتبرير البواعث !!

وأعتقد ان علماء النفس يجدون ذخيرة لا تنفد ، ومعينا لا ينضب في انتاج شكري النفسي وتحليله العجيب ، وذلك ما لم يتوغل فيه مطران ، فقد صرفه عن التعمق الدقيق ما برع فيه من وصف ساحر لمظاهر الطبيعة ، والجنوح مع الخيال في آفاقه الوضيئة ، واهتمام مطران بدراسة السلوك الانساني لا يتعدى الظواهر المشاهدة الملموسة دون ان يتعمق في تفسير النوازع واكتناه السرائر ! وحسنا فعل فقد سلم شعره من جفاف المنطق وشحوبه وترقرق به نمير شفاف ذو رونق ورواء !!

واذا قرأت قصيدة الملك الثائر لشكري مع قصيدة الجنين الشهيد لمطران فسيتضح لك مذهب الشاعرين ، فشكري في حديثه عن النفس الانسانية دقيق يتجه الى سبر الاغوار واضاءة الاعماق فيصور نزعتين مشهودتين من نوازع النفس ، الاولى نزعة السخط من الشرور والالام البشرية ، والثانية نزعة تهوين المرارة والاستهتار بالالم ، وواضح « ان تناقض النزعتين يحتاج الى منطق قاهر في العلاج والتوجيه مما لا يقدر عليه غير باقعة متمرس ! اما مطران فيتحدث في (الجنين الشهيد) عن النفس البشرية حديث المصور اللاقط الذي يراعي استكمال الصورة وتناسب الاضواء والظلال !! ويقف عند الخلجات المؤثرة وقفات معبرة تبرز تأثيرها . ولكنها لا تتغلغل تغلغلا دقيقا فتستشف الدوافع وتفحص العلل وتبرر التناقض ! !

واذا تركنا النفس البشرية الى شعر الطبيعة عند الرجلين فلا بد أن نلاحظ وحدة الوجود وحيوية الكائنات وتعقل الجمادات واختلاق الدوافع في شعر شكري ! نلاحظ ذلك ملاحظة العقل المدبر الذي يقيس الجماد بالانسان فيفترض له احساسا وشعورا ينسيان ما نعهده من تحجره وتصلبه ! اما مطران فمع اندماجه الزائد مع الطبيعة وخلع مظاهر الحيوية على جمادها الساكن ، فلا يكاد ينسيك حقيقتها الثابتة مهما دفعها بالحركة واجاشها بالحياة !! فاذا تكلم الطير وناح النهر وصدح الزهر في شعر مطران فانه لا ينسيك رغم حيويته واندماجه، حقيقته التي جبله الله عليها الا لحظات محدودة تمر بخاطرك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يومان

سور له باب أقامته الليالي بيننا
شتان ما يومي بظاهره ويومي باطنا

في ظاهر السور انعتاق الروح من أسر القيود
ونهارها ثم انطلاق نحو آفاق السعود

فالفجر يبسم عن أماني الكون في اليوم الوليد
شفتين حمراوين تفترّان عن در نضيد

والصبح يشرق نوره عبر الوهاد على الذرى
جنية شقراء تنفض عن نواظرها الكرى

والظهر تسطع شمسه غراء ناصعة الجبين
في دفئها ترتاح أفئدة الى برد اليقين

والروح ترتع في مباهجها متى جاء الاصيل
فاذا انى ان تستريح أوت الى ظل ظليل

واذا اختفت شمس الغروب هناك في بحر السكينه
كشف الرضا للروح عن اسراره الكبرى الدفينه

والان خلف السور أيامي عذاب والتياع
ما بين جنبي الفراغ وكل ما حولي ضياع

الفجر جرح الكون ينكأ كل يوم من جديد
ودماه في أقصى المشارق تصبغ الافق البعيد

والصبح جاسوس يفتش عن عيوب الكائنات
ويمزق الاستار عن اوضار كانت خافيات

ويلاه من وهج الظهيرة حين يلفحني لظاه
فأروح او أغدو بلا ظل كمن فقد الحياه

وتدب خطوات الاصيل بطيئة فوق الدروب
ومع امتداد ظلاله تطفو الكآبة في القلوب

والشمس في أفق المغارب وهي في النزع الاخير
مرآة أحزان ينوء بحملها القلب الكسير

وتمر ايامي وراء السور هائمة حيارى
في كل يوم تستجد الروح آلاما عذارى

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كشريط سينمائي سريع .. ولكنها لا تنفصل عن جمودها انفصالا متقطعا كما تظهر في شعر عبد الرحمن شكري .

ومن هنا كان سبق شكري الى الاستشفاف البصير، وادراك ما خفي من الاحاسيس والمتناقضات ادراكا يعتبر به صاحب فتح كبير في الشعر والادب ، وحسبه ان كان بشعره عالم نفس ذاتي يجمع آراءه من تأملاته الشخصية، وخبراته التجريبية ، وهو في هذا المجال النفسي رائد كبير دون نزاع ، واذا كانت مدرسة مطران قد وجدت كثيرا من التلاميذ الافذاذ ، فان مدرسة شكري قد انتقل تأثيرها الى افراد معدودين !! وليست المسألة في الشعر ديمقراطية تكسب رئاستها بكثرة الاصوات ، ولكنها اذواق ومشارب وقد تكون الفاكهة الدسمة غير معشوقة لبعض الحلوق ! ولكنها لا تفقد عنصرها الدسم وتأثيرها المفيد !

هذا ومن العبث في صدد الحديث عن المدارس الشعرية ان نفترض في شعرائنا الشباب تأثرهم بانسان معين دون سواه ! فاذا كنا نعد ناجي وشيبوب وابا شادي من مدرسة مطران مثلا ، فليس معنى ذلك انهم لم يعرفوا شعر شكري او يتأثروا به ! فهذا ما لا يسوغه عقل ، اذ المفروض انهم كشعراء ، قد قرأوا لشكري وتأثروا به لا شعوريا ، او شعوريا ولكنهم جنحوا في الظاهر الى طريقة غيره ، وبقيت في مشاعرهم الدفينة بوارق ولوامح من أثر شكري جعلت تمتزج وتختلط بغيرها من اللوامح فتكون عنصرا جديدا من عناصر التجديد والتلوين !! وهنا تخرج الصورة الجديدة جامعة شاملة ولكنها تشير في اكثر ملامحها الى لون مشتهر تنتسب في اكثر وجوهها اليه ، وليست متحدة معه اتحادا موافقا ، ومن هنا اثر شكري في مدرسة مطران العظيم ومن هنا ايضا اثر مطران في مدرسة الديوان التي كان شكري احد قادتها البارزين .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

خليل السكاكيني كاتباً

مناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بقلم حمودة زلوم

* * *

لن أقول ان خليل السكاكيني (وحيد زمانه ، ونادر عصره واوانه) فنحن واجدون كثيرين من الاعلام العظام ، الذين لا نزال نفخر بهم ونفترف من علمهم وادبهم ، ونسير على هداهم امثال الدكتور طه حسين ، والعقاد ، وسلامة موسى ، واحمد امين وامين الريحاني والدكتور منصور فهمي ، والمازني ، وشكيب ارسلان ، والمنفلوطي واستاذ الجيل احمد لطفي السيد وغيرهم ، ومع ذلك فقد تألق اسم السكاكيني بين تلك الأسماء الساطعة ، واستطاع بما وهب من قلم سيال وفكر حر أصيل ، ان يجد له مكانا بينهم ، ومن هنا تأتي اهمية الرجل !

والسكاكيني من رواد المدرسة التجديدية ، التي ثارت على الاساليب القديمة ، المعتمدة على ادب اللفظ ، والتكرار الممل ، فهو من اولئك الذين يرون (ان السجع وسائر انواع البديع أشبه بالوشم عند الشعوب البدائية)، ودعا الى التجديد في الاسلوب والمضمون ، والتطور مع روح العصر ، فكان يريد من الكتاب ان يكتبوا بلغة العصر واجرهم على الله .

لذا فقارىء السكاكيني كما يقرر الدكتور ناصرالدين الاسد « يلمح صدق دعواه ، فاسلوبه سلس سهل ، مشرق العبارة ، ناصع البيان ، مسلسل التفكير ، قريبا الى الفهم ، خفيفا على النفس ليسره ووضوحه ، فهو يخاطب بعقله ، عقول قارئيه وسامعيه في موضوعات ذهنية فيحسن التفكير والتعبير ، ويبلغ غاية في التواضع والافهام » .

والسكاكيني من الذين ينادون بأن الادب للحياة ، وان الادب رسالة سامية ، لا الادب للادب ، وان يقبع الاديب في برج عاجي بعيدا عن المجتمع ومجريات حياته ومشكلاته فاذا بأدبه ، يقلب عليه طابع التوعية والتوجيه والنقد الهادف ، وحب الانسانية والعمل لما فيه خيرها وسعادتها .

وكان يؤمن بدور الاديب والادب في انهاض الامم وتقدمها فهو يقول « وللادب تأثير في حياة الامم ، خذ امة ضعيفة ، فبث فيها ادبا قويا ، فانك لا تلبث ان تراها، وقد تجدد شبابها ، وكبرت نفوسها ،واتسعت آمالها ، واقبلت على الحياة ، كأنك طعمتها بدم جديد ، والامة القوية المملوءة حياة ، اذا أهملت ادبها الراقي ، فانها لا تلبث ان تصير الى الانحلال فالفناء » .

اما الاسباب التي جعلت من اسلوبه ، اسلوب العصر، فمنها اشتغاله في التعليم مدة طويلة من الزمن ، والمعروف أن المعلم الناجح ، من تتوفر فيه القدرة على افهام تلاميذه، الفكرة التي يريدها ، والنزول الى مستوى الطلاب ، لذا فهو يقول « اني اشتغل في صناعة التعليم من عهد بعيد ، بل لا اعرف نفسي الا معلما فصار من دابي اذا تكلمت او كتبت ان اكون مفهوما » .

ولما وصلت الكتابة ، في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، كما يقول الدكتور الاسد ، الى مدى كبير من التكلف والتصنع ، وتزويق الالفاظ ، وعبارات محفوظة ، او منقولة او اكثار مفرط في استخدام المترادفات والمحسنات اللفظية ، فضلا عن تفاهة المعاني وغثاثة الافكار ، فاذا نظرنا الى حماسة السكاكيني في دعوته الى هجر ذلك الاسلوب القديم ، واتباع الحديث ، على ضوء ما كان شائعا في عصره ، من اساليب الكتابة ، كان لا بد لنا ان نقدر دعوته حقا والخير الكبير الذي يعود على الكتابة .

وامر ثان جعل اسلوبه واضحا سهلا ، هو ميله في حياته عامة الى اليسر والوضوح وكرهه التكلف والتعقيد ، وثالثها ثقافته الواسعة ، ومصاحبته لزعماء التجديد في الادب العربي امثال ، طه حسين ومنصور فهمي ، ومحمود عزمي ، وسلامة موسى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق .

ولكي نزيد الصورة وضوحا فها نحن نسوق للقاريء نماذج من نثره ، في بعض الفنون الادبية التي عالجها واهمها ، المقالة ، والرسالة ، والخطبة ، والبحث .

ففي الفترة التي قضاها السكاكيني في مصر ، مديرا للمدرسة العبيدية ، سرق بيته في القدس ، فكتب كلمة ، نشرت في المقتطف بتاريخ ١ ـ ٥ ـ ١٩٢٢ ، وفيها نلمح روح السكاكيني المرحة واسلوبه المشرق « ايها اللصوص المحترمون !

بلغني والعهدة على الراوي ، انكم طرقتم بيت هذا العاجز ، بل بيتكم الاصغر في القدس في ليلة ظلماء ، ذات اندية ، فسرقتموه ، فان صح ذلك ، فاني عاتب وشاكر .

أعتب لانكم طرقتم البيت ونحن غائبون في مصر ، كأني بكم ، قد اعتقدتم اننا ادنياء الحرص لا يخرج من حظائرنا خير ، فلو سئلنا التراب ، لاوشكنا اذا قيل هاتوا ان نمل ونمنع ـ كما قال الشاعر ـ فخفتم اذا زرتمونا ونحن فيه ، ان تأخذنا الحفظة ، فنبادر الى السلاح ، ونثنيكم على وجوهكم ، تتعثرون ، في اذيال الخيبة ، هذا اذا لم نظفر بكم فنوثقكم ونسقكم كالاسارى الى حيث يقتص منكم ، عما اقترفتم بالليل لا بالنهار .

اذا كان هذا اعتقادكم فهو خطأ ، بل اهانة لا نقبلها

منكم ، لو اخرتم زيارتكم الى ان نرجع لفتحنا لكم الابواب على مداها ، بدلا من ان تكسروها ، وقدمنا لكم التليد والطريف والثقيل والخفيف واعتذرنا اننا مقصرون .

لو حصل لي الشرف ، ان اكون لصا ، لما دخلت بيتا واهله غائبون ، ان تسرقوا البيوت رغم انوف اصحابها وكلابها ذلك اشرف لكم ان كنتم تدرون ... »

وزيادة في ايضاح معالم الصورة، ليتعرف القاريء ، الى متانة الاسلوب ، وقوة العرض ، ودقة الكاتب لالمعي ، نسوق هذا النموذج من نثره « من هم الابطال ؟ هم الذين يجددون شباب هذا العالم ، حين يستولي عليه الهرم ، وينفخون فيه روح البطولة ، حين يهي اليأس ، وتتقاصر الهمم ، واسعد الامم حظا واقدرهن على الحياة ، هي الامة التي تعم روح البطولة بين ابنائها ، فما تلقى احدا منهم الا لقيت بطلهم ولا يموت بطل ، الا قام بطل قؤول لما قال الكرام فعول ، واسوأ الامم واعجزهن عن الحياة ، هي الامة التي تتعاقب عليها الاجيال ولا يظهر فيها بطل ، واذا ظهر فيها بطل ، لم يفهمه احد ، كأنه جاء في غير وقته ، تلك امة تتدرج من سيء الى اسوأ الى ان تندرج في اكفانها ، او ان يتداركها الله ببطل منها ، او من غيرها ، ويلهمها الايمان به ، فيقيلها من عثرتها ويعود بها الى الحياة ، وقد يحيي البطل الواحد امة بأسرها » .

وفي صفحة « احسن ما قرات » من مجلة الامانة القاهرية العدد الثاني ، نحن واجدون كلمة للسكاكيني ، ولما عدنا الى ادب الرجل ، وجدنا الكلمة ماخوذة من كلمة طويلة ، كان قد القاها في حفل اقيم لاحياء ذكرى امين الريحاني ، جاء فيها « لا تكون الفلسفة الا بأمرين الاول ان تكون مزاجا ، وبعبارة اخرى ان يكون الفيلسوف مطبوعا لا مصنوعا ، وان يتلقى فلسفته من الحياة لا من الكتب والجامعات ، الذين يقراون كتب الفلسفة في الجامعات كثيرون ، ولكن كم تصنع الكتب ، وكم تخرج الجامعات من الفلاسفة ؟ قد تمر الاجيال تلو الاجيال قبل ان نرى فيلسوفا .

نعم ان الفلسفة مزاج ، كما ان الشعر مزاج ، وكما ان الابوة مزاج ، وكما ان الامومة مزاج ، الى غير ذلك ، اذا لم يكن للمرء مزاج فلسفي فلن يكون فيلسوفا ولو درس كل الفلسفات ، كما اذا لم يكن له مزاج شعري ، فلن يكون شاعرا ولو ملأ الدنيا شعرا ، واذا لم يكن له مزاج الابوة فلن يكون ابا ولو ملأ الدنيا اولادا ،واذا لم يكن للمراة مزاج الامومة فلن تكون اما ولو رزقت البنات والبنين ، بل قد يكون المرء فيلسوفا ولو كان اميا ، وقد يكون شاعرا ولو لم يعالج النظم ، وقد يكون المرء ابا وقد تكون المراة اما ولو لم يتزوجا .

الثاني : ان تكون رسالة ، ليس من الضروري ان تكون للفيلسوف فلسفة جديدة ولعل الانسانية ، لا تحتاج الى فلسفة جديدة ، فان عندها من الفلسفات ما يكفيها ولكنها في حاجة الى رسالة ... »

وكما عالج السكاكيني المقالة والخطبة ، فقد عالج الرسالة، والرسائل التي كتبها كثيرة ، منها الى اصدقائه ، ومنها الى استاذه نخلة زريق ، ومنها الى تلاميذه ، ومنها الى زوجته ، ولكن اكثرها رسائله الى ولده « سري » يوم كان « سري » يتلقى تعليمه في امريكا ، وفيها نلمح حبه لولده وحرصه على تربيته تربية استقلالية ، لينمي في نفسه الشعور بالمسؤولية ، وهذا نموذج من تلك الرسائل « ... لم يكن يخطر هذا الفراق الطويل في بالي ، كنت احب ان نعيش معا ، الى ان يحين اجلي ، كنت احب ان ارقب تطوراتك بعيني ، وان اسمع آراءك وخواطرك واحاديثك بأذني ، ولكني خفت ان كنت قريبا مني ان اتدخل كثيرا في شئونك ، خفت ان احول دون اعتمادك على نفسك ، فآثرت برغمي ان تطير عني ، الى أفق بعيد ، لاكفيك مؤونة هذا التدخل ، ولاتركك لنفسك لتتهيأ لك الفرص ، لان تنظر بعينيك لا بعيني ، وتسمع بأذنيك لا بأذني، وتلمس بيدك لا بيدي ، وتفكر بدماغك لا بدماغي، وتعمل بارادتك لا بارادتي . اذا لم يعتمد الفتى على نفسه ، فقد يبلغ مبالغ الرجال ، وهو لا يزال في عداد الاطفال ، لست اجهل أن في الامر خطرا اسأل الله ان يقيك منه ، ولكن لا سبيل الى اكتساب الرجولة ، الا هذا السبيل ، ان في اقتحام الاخطار او في محاولة اجتناب الوقوع فيها ، او الخروج منها ، بعد الوقوع ، دروسا ثمينة ، وافيد الدروس وواقعها في النفس ، هي تلك الدروس التي يدفع المرء ثمنها غاليا لا تلك التي تجيء عفوا » .

ولقد تعددت الاراء النقدية في اسلوب السكاكيني ، ولكنها اجتمعت في تقديره والثناء عليه ، فالناقد الاديب احمد عبد الغفار ، وصفه بقوله « ومما تمتاز به كتاباته ـ السكاكيني ـ الدقة بالتعبير والاناقة باللفظ ، وتمكن وثبات في التفكير » وفي مكان آخر يضيف قائلا « فان قراءة السكاكيني من المتع الحقيقية ، لمن يتذوقون الاسلوب العربي الصحيح ، والتفكير العميق المتأمل ، الذي تنبثق علامات دالة عليه ، في تعبيرات رائعة » ويستطرد الاستاذ احمد عبد الغفار فيقول « ومما يمتاز به اسلوب السكاكيني ، التفكير بالحياة ، وببعض الناس ، تجتمع في ادبه، الفكاهة الى السخرية المرة ، الى التفكير العميق» اما الاديب عيسى الناعوري فيصف ادب السكاكيني بأنه ادب واقعي ، يستمد مواضيعه من الحياة والمجتمع البشري ، ويعالج القضايا الانسانية والاخلاقية والعقائدية ، ويناضل لتحسين الحياة واوضاعها ، للرقي بحياة البشرية ، ولم يكن قط ادب ترف ذهني ينشد الفن المجرد .

وللدكتور ناصر الدين الاسد ، راي اصيل ـ في راينا ـ في وصف اسلوب الرجل الذي يشتمل على خصائص تميزه عن غيره ، وهذه الخصائص اجملها فيما

الصدى الرهاوي

الى المترنمة بقصيد شاعرها المنتظرة قدوم الربيع

وترنمـــي ...
وخذي هناءك مـن ضياء الانجم
قلبي .. وقلبك .. والهوى ..
لحن الجمال المنعم
وعلى الربـى
يا طيف وجدي الاعظم ،
الحـان قيثار ترن على حفاف الجدول
وعبير اشواق تفـوح بطيب زهر أجمـل
وسواجع الناي الطروب وهمسة لم تكمل
وانا ... وانت .. وحبنا ..
وقداسة في موردي ،
تغفو على حلم الربيع وعيننا في الابعد
وتداعب الامل الوريق بحرقة القلب الصدي
يا من وهبتك اضلعي ..
ورشفت من نبع الحياة ولم أع
وغدوت آهات ترف على بقايا الادمع
ما كل لحن قد ترقرق واستبد بمضجعي
الا بوارق من صدى يهوى الهوى في أربعي
وحديث افئدة لهـا وقع الرباب بمسمعي !
واذا بيـــا ...
ظمآن يحرقني الهوى ، وعلى فؤادي المنشد
وجد يدغدغ مهجتي .. ويفوح شوقا بالغـد
ويظل يهمس بالدجى :
(أهواك يا أملي الندي !)

الكويت — شفيق بلعاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يلي : استخدام الالفاظ التي تدل على العصر والابتعاد عن الالفاظ والتعابير التقليدية المتوارثة ، وتجنـب التكرار والتطويل والمترادفات وتجنب التكلف واستخدام الاسلوب الطبيعـي .

وللدكتور منصور فهمي ، راي في اسلوب صديقـه السكاكيني قال « انه كاتب أصيل ، وكتابته تعبير صادق لاحاسيسه وانفعالاته المتنوعة الدافقة ، تتجلى سائغة في اسلوب من السهل الممتنع ، واليسر النقي الخالـي مـن التكلف والصناعة » .

والصحفي الاديب يوسف حنا فقد كتب يقول عنـه « ... اما الاديب في السكاكيني فلشد ما كان يتألم فـي الليل وفي النهار ، او في خلوات نفسه ، وفي مجالسـه مع الناس ، وفي الساعات التي يقرأ فيها ، وفي الساعات التي ينقطع فيها للتفكير ، وكان الالم الذي يستشـعره السكاكيني هو ما اعتدنا ان نسميه بالالم العبقري » .

وقد انصفه الدكتور منصور فهمي حينما قال « ان السكاكيني اعظم من آثاره ، فأدبه الرفيع لم ير الناس فيه الا ومضات لو اسعفه الزمن واعانه على التعبير عن كامل احاسيسه وارائه لبدا عملاقا بين اقزام » .

الزرقاء ـ الاردن — حمودة زلوم

نداء الارض

بقلم علي فوده

« صابر .. بحق الايام السالفة هلا عدت .. نوال .. »

طويت البرقية ، وضعتها في جيبي ، ثم اسرعت الى السيارة . رميت بها حوائجي وانطلقت كالسهم .. شعرت وكأن كل براكين الشوق في صدري قد تفجرت .

رحت انهب الارض دون ان التفت الى الاشجار الخضراء التي كانت تقف في وداعي على جانبي الطريق .. انني على موعد مع نوال !

كان موسم الحصاد قد بدأ ، فرايت الفلاحين وسط السهول ، يحصدون القمح والشعير بمناجلهم القوية ، والنساء يغمرن خلفهم ، وقد ارتفع صوت احداهن بالغناء الحزين .

وقفت بسيارتي اراقب بصمت جني ثمار الارض الطيبة ، فهاج بي الحنين لرؤية ابي .. اريد ان اراه ، واسمع حكاياته عن الارض ، وعن الناس الطيبين في قريتنا الحنون « قنير » .

سامحك الله يا ابي .. لو تركتني اعيش كما اريد ، لو لم تحاول ارغامي على الزواج من ابنة صديقك لما ابتعدت عن حكاياتك .. كنت اريد ان اسعد بشبابي مع نوال .. تحت رعايتك وفي ظل قلبك الطاهر .

واسرعت من جديد .. كان قلبي يسابق السيارة ، وعيناي تركضان فوق سنابل القمح الذهبية ، وشعور من البهجة يغمر نفسي .. كنت احس وكانني طفل يرقد فوق صدر امه ، ويرضع من ثديها الحليب الطازج .

اطلت بيوت المخيم المتراصة من بعيد .. كانت ترقد فوق ذلك التل باستسلام مهذب ، واشجار من التين والكرمة تتزاحم بينها . وقد انبطحت بيارة برتقال في السهل الذي يمتد بمحاذاة التل الصغير ..

وتحسرت .. لقد تذكرت حينما كنت طفلا شقيا ، فحاولت مرة ان اسرق حبة برتقال من البيارة ، لكن الحارس امسك بي وانا احاول عبور السياج . صفعني على قفاي وصرخ :

ـ اذهب الى بيارة ابيك .

وبكيت يومها .. احسست وكأنه يقذف الطوب في وجهي .. انه يعلم اننا لاجئون ، ولا نملك شيئا .

طالعتني اللافتة المنتصبة على جانب الطريق : « مخيم نورشمس . وقوف السيارات اجباري » .

نزلت من السيارة وانطلقت عبر الممرات الضيقة . فطالعني ذلك المزيج الغريب من المنازل والدكاكين والمقاهي والمراحيض وعلب السردين الصدئة !! صدحت رائحة الفلافل الساخنة في انفي ، فأسرعت اكثر .. انها تذكرني بفطوري اليومي ايام الدراسة .

بدا الناس يصافحوني ويبتسمون لي ، ثم يهنأوني بسلامة العودة . والنساء يرددن على مسمعي : « ما شاء الله ، صار شابا » .

دخلت البيت .. كانت امي تساعد ابي في غسل رجليه الملوثتين بالطين ، فراحت تصب الماء فوقهما ، وتدلكهما بيديها الخشنتين .. نظرت اليهما بحب :

ـ « يمه » .

ـ صابر ...

وازدهى الفرح في عينيها ، فقامت تبتلعني الى صدرها الدائب ، وتبلل وجنتي بدموعها الحنونة . ثم وقف ابي بقامته المديدة وعانقني بحرارة وهو يشكر الشماء .

اسرعت اختلي بأمي واسألها عن نوال ..

ـ لقد اعتقلوها البارحة ، يقولون بأنها فدائية .

ـ فدائية ؟!

كادت الدهشة تفر من عيني المتسعتين .. نوال ، السنونو الوديعة ، الملاك الرقيق تصبح فدائية ؟! انني لا اكاد اصدق .

ناداني ابي :

ـ « صابر ، تعال يا بني نتغدى » .

جلسنا حول حبات الزيتون و « السلطة » فراح ابي يأكل بشهية ، وامي تحدق في وجهي وكأنها تخاف ان اهرب من امامها . وانا كنت افكر بما سمعت .. نوال ، فدائية .

نبهني ابي :

ـ صابر ، لماذا لا تأكل ؟

تنبهت الى العيون الاربعة التي كانت تراقبني بابتهال ، وكأنها تصلي الى الله من اجلي ، فتناولت حبة زيتون صفراء قذفتها في فمي ، ثم رحت امضغها دون ان احس بطعمها الذي كان ابي يجيد تذوقه ..

وسألت ابي :

ـ اما زلت تشتغل في بيارة الحاج رافت يا ابي ؟

ـ وماذا افعل غير ذلك ؟!

ـ ولكنه لا يدفع اجرا مناسبا .

ابتسم ابي وكأنه يسخر من تفكيري :

ـ اتظن ان اباك يعمل في البيارة من اجل النقود ؟ كلا يا بني .. انه نداء الارض يجري في دمي ، يخلخل عروقي ، يجعلني احس وكأنني سيد الدنيا . احب ان افلح الارض فلاحة عميقة ، احب ان اتغلغل في اعماقها ، وارويها بعرقي ، كي تخصب حتى اخر ذرة في بطنها ..

وقام ابي الى قارورة تنفرس

فيها شجرة فلفل . نزع منها قبضة من الطين الرطب ، نظر اليها بتلذذ مثل عاشق ، ثم سحقها في يده ، وترك الذرات تسيل من بين أصابعه الخشنة ، ثم اقترب مني ووضع يده عند انفي :

ـ الا تشم رائحتها ؟

ـ انها مثل رائحة الخبز الناضج .

غمر الحنو كل وجهه العجوز ، فتألقت عيناه بالفرح ، ثم صاح مبتهجا :

ـ انت من صلبي الحقيقي ، ان دمائي تجري حارة في عروقك . لقد ادركتها بسرعة !!

★

ارتديت معطفي ، وسرت مع ابي وسط البيارة . كان الصباح منعشا .. زقزقة العصافير تصدح في اذني بنعومة، الندى يعانق لاعشاب البرية الخضراء ، اوراق البرتقال والليمون تبدو سعيدة ، والشمس قد بدأت بالشروق ..

رايت عشا صغيرا يرقد فوق شجيرة برتقال . اقتربت منه ، فطارت الام ، وصارت تحوم فوق راسي . نظرت داخل العش الدافيء فرايت اربعةاذناب صغيرة تطلمن فم العش ، وقد علا جسدها اللحمي زغبا ملونا بالاحمر والاصفر ، فانتعشت .. احسست وكأنني فرخ مثلها .

فاحت رائحة زكية . سألت ابي عنها ، فابتسم :

ـ انها رائحة الطين الطازج في الصباح ، حينما تلهبه الشمس بحرارتها . قطعنا البيارة ، ودخلنا في ارض صغيرة محروثة ، فركع ابي على الارض ، وصار يتفرس فيها وكأنه يريد النفاذ الى اعماقها . وفجأة ارتسمت الدهشة على وجهه:

ـ صابر ، صابر ، انها حبلى !

ـ من هي الحبلى يا ابي ؟!

نظر الي يؤنب جهلي :

ـ وهل من امراة سواها ؟! انها الارض يا بني .. ألام الحنون ، الزوجة الوفية ، والطفلة المدللة . انظر اليها كيف تجود بخيراتها ، فتغمر ابناءها بالعطف والحنو . اقترب هنا وانظر ..

تقدمت من ابي . قرفصت بجانبه على الارض ، فرايت قشرة من التراب الطري تنتفخ الى اعلى وقد بان تحتها نبتة خضراء . ازحت التراب من فوقها ، فظهرت النبتة يانعة كفرخ الطير .

وجاشت عواطف الفلاح في نفس ابي فمسح بأصبعه فوق النبتة الصغيرة بحنان ، ثم نظر الي حزينا :

ـ صابر .. تذكر بأن لنا ارضا كهذه ، وتذكر يا بني بأن امنيتي الوحيدة هي ان تدفن عظامي تحتها. احس بانني سأظل اسير تلك الارض ما حييت ، واشعر بأنها تناديني دائما !!

ورايت دمعة تنحدر فوق الوجه الاسمر العجوز لاول مرة في حياتي.

ـ ستعود يا ابي . اقسم بهذه النبتة الرضيعة انها ستعود .

وانتصبت واقفا والثورة تملأ نفسي . ولا ادري لماذا شعرت بتفاهتي لاول مرة وانا اتذكر بأن نوال فدائية ، وهي الان في السجن تقاسي !!

★

انطلقت عبر ازقة المخيم الضيقة ، ورائحة قذرة لا تنفك تصادم انفي ، واحساس عميق بالضيق يغمرني .. كنت افكر في نوال الفدائية ...

جلست في المقهى ، وطلبت كوبا من الشاي . احضره صاحب المقهى العجوز ومعه فنجان قهوة لنفسه . جلس بجانبي . اخرج من جيب قميصه علبة السجاير ، فناولني واحدة ثم وضع في فمه واحدة .. كان العجوز مهموما ، وقد بان الحزن على قسمات وجهه الصلبة .

سحب الرجل من سيجارته نفسا عميقا :

ـ قاتلهم الله ، لا يمضي يوم الا ومعه حادثة دنيئة !

نظرت اليه مستفهما ، فعاد يوضح :

ـ الم تسمع بحادث « باسيل اليتيم » ؟!

ـ مهندس الاشغال ؟

ـ لقد ترك كل شيء والتحق بـ « فتح » ، وقد احضروا جثته هذا الصباح ورموها امام هذا المقهى ليتعرفوا الى اهله ، ولما تم لهم ذلك نسفوا بيتهم .

ـ يا الهي !

وانطلقت .. احسست بأن « باسيل » يصفعني ، ونوال تبصق في وجهي . شعرت بأن الارض تلعنني .. تتهمني بالجبن وعدم الوفاء .

★

سرت عبر الحقول وسط الظلام ، ونسيم الفجر يحمل معه رائحة الثمار . وسمعت خشخشة قريبة فأسرعت اكثر .. اريد ان اضع المتفجرات تحت ذلك الجسر واعود !

وتزحلقت قدماي في الطين ، فتشبثت الارض بي . سحبت قدمي بصعوبة وانا اتلذذ بكلمات ابي : « احس بانني سأظل اسير تلك الارض ما حييت ، واشعر بأنها تناديني دائما » .

رايت جنديا اسرائيليا يجلس غير بعيد من الجسر ، فالتصقت بشجرة « جوافا » . احتضنتني الشجرة ، هفهفت اوراقها فوق وجهي ، فاحسست بدفء يغمرني وكأنني ارقد تحت جاعد من الصوف . شعرت بانتعاش سرى في كل اوصالي ، فنسيت الخوف وكل شيء .

تسللت مسرعا نحو الجسر . وضعت الالغام تحته ، ثم استدرت لارجع ، لكنني رايت الحارس يرمي بندقيته جانبا ، ويلف جسده بمعطفه السميك ، ويغط في نوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قمر تحت الامطار

حبك في هذي الايام
يلفح جسمي كرياح الصحراء ،
في وهج الصيف الساطع ..
يمضي بي عطشا نحو البحر الرائع !

حبك
ينزل في روحي مطرا عند الفجر
يتغلغل في أجفان الازهار
يغفو في أحضان الاوراق
يثقل أعناق العشب .

حبك
يرسل في روحي ضوءا اخضر
يؤنس ارجاء الظلمات
يضحك في أجساد الاعمدة المرمر
يتقاطع مع أصوات الجنيات ..
يبقى شمسا ترقد في أعتاب البحر ،
تعطي الموج السابح لون الشوق المزهر

حبك في لحظات
أعطاني فرح الاطفال جميعا
حبك في لحظات
أعطاني حزن الاطفال جميعا

حبك كان بروحي ، ذات نهار ،
قمرا يمشي مرتجفا تحت الامطار !!

حلب — صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عميق . اقتربت منه بحذر ، غرزت سكيني الطويل في جنبه بحقد هائج ، ثم سحبته الى الحقل واسرعت عائدا ..

★

جلست بجانب صاحب المقهى العجوز ، رحت ارشف قهوتي بتلذذ وانا انصت الى « صوت العاصفة » .. كان المذيع ينعي احد الشهداء الذين قتلوا بتهمة انتمائهم لمنظمة « فتح » .

وارتفع صوت المذيع فجأة : « نسفت احدى دورياتنا دبابة كانت تمر فوق احد جسور العدو . كما قتلت احد جنوده . ثم عادت الى قواعدها سالمة . عاشت فلسطين حرة عربية » .

وشعرت بالفخر .. احسست بأنني كبير ، كبير ، رأيت .. « باسيل » بطل من قبره ويشد على يدي ، ونوال تبتسم لي .

قمت عن المقهى ودمعة الفرح تكاد تفر من عيني .. كنت اريد ان احدث ابي بما جرى ، اريد ان اقرب الوردة التي قطفتها من انفه ليشمها .

ودخلت البيت : فدهشت !

كانت نوال تجلس مع امها وابيها ، وامي تصب الشاي . اقتربت منهم وعيناي تبوحان بزغاريد فرحتي . صافحتني نوال بقوة ..

يا الهي ! لقد تغيرت نوال .. لم تعد تلك الطفلة البريئة ، لم تعد ذلك السنونو الوديع . انها قوية ، صلبة كجذع سنديانة ...

ـ هل اطلقوا سراحك ؟ الحمد لله على السلامة .

ـ لقد اطلقوني ، ولكنني مراقبة في كل حركاتي .

سألتها عيناي بلهفة :

ـ ولكن ، اصحيح ما يقولون ؟! .

اسبلت عينيها الواسعتين ، وهزت راسها موافقة ، ثم قالت بفرح :

ـ هل سمعت بحادث البارحة ؟ لقد جن جنونهم انهم يتشبثون بالهواء ليعرفوا الجاني .

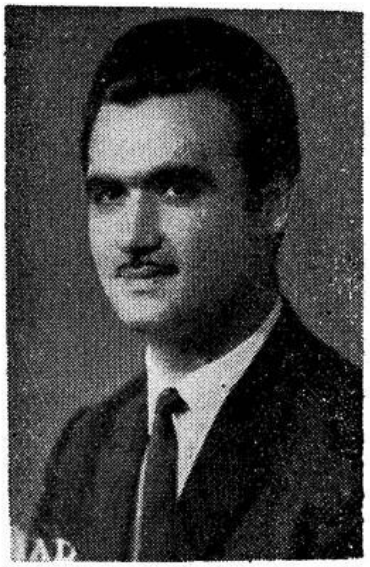
وابتسمت .. احسست وكأنها تهنئني ...

اقتربت نوال مني ، حدقت في عيني برجاء ثم همست :

ـ صابر ، ستغمرني سعادة ابدية لو ترتوي من نبع التراب ، لو تحس بوجودك الحقيقي ، فتشاركنا الكفاح ، وتلبي نداء الارض الخالدة !!

واتسعت ابتسامتي وانا اتأمل الرجاء الحزين في عينيها ..

الاردن — علي فوده



فـوزي عطـوي

رسالة التربيع والتدوير للجاحظ

بقلم فـوزي عطـوي

* * *

لا نسيغ لانفسنا القول بأن هذه الرسالة الجاحظية الموسومة « بالتربيع والتدوير » تستوي في مقام واحد مع كتب « الحيوان » و « البيان والتبيين » و « البخلاء » التي وفقنا الله تعالى الى تحقيق نصوصها ، والتقديم لها قبل الان (١) . فالكتب الثلاثة هي الدعائم المتينة التي قامت عليها شهرة الجاحظ ، وصيته الذائع ، فيما جاءت مؤلفاته الباقية ، ومنها هذه الرسالة ، لبنات وثيقة في بنائه الفكري القيم .

الا ان ما في « التربيع والتدوير » من اهمية خاصة، كامن في الترابط الكلي بينها وبين كتاب « الحيوان » ، بحيث يصعب فهم ما ورد في هذه الرسالة ، اذا لم يكن القارىء ملما بما جاء في « الحيوان » من حلول موضوعية لمختلف المسائل الفكرية والدينية والتاريخية والفلسفية والاجتماعية التي طرح الجاحظ العديد منها في كتابه « الحيوان » ، كما انه ينبغي الاطلاع على « التربيع والتدوير » من أجل فهم الروح التي تشيع في «الحيوان» بصورة عامة .

ذلك ان رسالة « التربيع والتدوير » الموجهة الى « احمد بن عبد الوهاب » ، تنطوي على مائة مسألة من المسائل ــ الالغاز التي يصرح الجاحظ بانه وضعها لتعجيز احمد بن عبد الوهاب ، من اجل ان يهزأ بـه ، ولكي « أعرف الناس مقدار جهله ، وليسأله عنها كل من كان في مكة ، ليكفوا عنا من غربه ، وليردوه بذلك الى ما هو أولى بـه » .

ولكن المسائل الواردة في « التربيع والتدوير » بقيت دون حلول ، ومن أسف ان احدا من كتاب العربية أو غير العربية لم يكلف نفسه ، حتى الان ، عناء البحث عن حلول مسائل « التربيع والتدوير » التي طرحت بصورة كيفية معروفة عن ابي عثمان الجاحظ .

فمن هو احمد بن عبد الوهاب ؟ وما شأنه مع أهل مكة ؟ وما حكايته مع رسالة « التربيع والتدوير » ؟

ليس أحمد بن عبد الوهاب شخصية مرموقة ، في التاريخ العربي ، وكل ما نعرفه عنه من أوصاف ، غير الاوصاف الساخرة الجارحة التي ذكرها الجاحظ في اولى صفحات رسالته ، انه كان كاتبا ، في عهد الخليفة العباسي « الواثق » ، وانه صاحب الابيات التي انشدتها جارية لاخيه صالح بن عبد الوهاب ، تدعى «الصالحية» ، أمام الخليفة الواثق ، فأعجب بها الخليفة ايما اعجاب ، وطلب ان تكون له ، أيا كان الثمن .

الا ان « صالحا » اغلى ثمن جاريته ، وبالغ حتى رغب في ان يولى حكم مصر ، اذا شاء الخليفة ان تكون الجارية له . ولكن مداخلات الوزير ابن الزيات جعلته يوفق الى اقناع صالح بن عبد الوهاب بترك الجارية للخليفة ، لقاء خمسة الاف دينار .

وبعدما تخلى صالح عن الجارية ، امتنع ابن الزيات عن دفع المبلغ المتفق عليه ، الى صالح ، فاضطر هذا الاخير للجوء الى الحيلة ، عله يقتضي دينه من الوزير الناكل ، بالتي هي أسوأ ، بعدما تعذر عليه اقتضاؤه بالتي هي أحسن ! .

وكان لصالح صديق من الاعيان ، كثيرا ما يأتيه الوزير ابن الزيات سرا ، للهو والشراب، فكان يكفي صالحا ان يفاجيء الوزير في جلسة من هذا الطراز ، وهو امام مائدة الخمرة المحرمة ، بين الغلمان والجواري ، حتى يتقي الوزير الفضيحة ، فيدفع الدين الى صاحبه .

وهكذا كان . حتى اذا حصل صالح على النقود الذهبية من ابن الزيات اعتزل خدمة الدولة العباسية ، وانسحب الى ضيعة اشتراها بمال الوزير ، في مكة المكرمة .

الى هنا ، والسرد تاريخي صرف ، لا سبيل لنا فيه الى استنتاج . غير ان اللبيب يفهم ، دون مشقة ، انه ترتبت على هذه الحادثة ــ الحيلة مضاعفات كثيرة ، منها ان ابن الزيات بدأ يكيد لاحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، تشفيا من أخيه صالح ، حتى اضطره الى اعتزال الوظيفة،

(١) يعتني كاتب المقال باصدار سلسلة من المؤلفات والدواوين ، محققة على أقدم نسخها ، ومنها كتب الجاحظ التي ظهر منها حتى الان : « الحيوان » و « البيان والتبيين » و « البخلاء » ، وسوف تصدر قريبا رسالة التربيع والتدوير التي وضع لها محققها هذه الدراسة وجعلها مقدمة للرسالة المذكورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واللحاق بأخيه في مكة .

عندئذ ، ولئلا يعمد ابن الزيات الى تصرفات تشينه، ان هي كشفت حقده على الشقيقين ، لجأ الى صديقه الجاحظ ، يكلفه بمهمة الانتقام ، ولكن على طريقة جديدة ، يفضح الجاحظ بها جهل احمد بن عبد الوهاب ، ويكشفه على حقيقته امام اهل مكة ، واضعا بين أيديهم اسئلته التي نستطيع ان نصفها ، بحق ، انها الغاز ترمي الى الاعجاز .

ولربما سأل سائل : ولم توجه الرسالة الى احمد بن عبد الوهاب ، لا الى اخيه صالح الذي كان سبب نقمة ابن الزيات وحقده ؟ والجواب البسيط ان الجاحظ يشير في الرسالة مواضيع فكرية وتاريخية وعلمية مختلفة لا يحسن ان توجه الا الى رجل مارس صناعة الكتابة ، فتوجيه الرسالة ، في هذه الحال ، الى أحمد بن عبد الوهاب ، لا الى اخيه صالح ، هو اوفق ، وادعى الى السخرية .

وبعد ، فهل وضع الجاحظ حقا رسالته على الصورة الماثلة بين أيدينا ؟

ان من المتفق عليه ، بين النقاد والعلماء ، ولا سيما المستشرقين منهم ، ان يد النحل والتزييف امتدت الى رسالة الجاحظ هذه ، كما امتدت الى مؤلفاته الاخرى ، والى مؤلفات سواه ، فطرأ عليها من الزيادة والنقصان ، ما جعل من الصعب التمييز بين الصحيح والمنحول ، خصوصا وان الجاحظ يلقي بأسئلته (ولو أحصيناها لما وجدناها مئة سؤال ، كما يصرح ابو عثمان في بداية الرسالة) ، كيفما اتفق له ، دون اتباع نهج واضح ، او تسلسل منطقي ، وذلك خلافا لروحه الاعتزالية التي تقيم وزنا كبيرا للعقل والمنطق وعلم الكلام .

ولكن الاسلوب الجاحظي المعروف ، يسيغ في اكثر الاحيان اسقاط بعض ما يبدو نبوه عن السياق ، الا انه ان أساغ اسقاط البعض ، فهو لا ييسر اسقاط الكل ، في اي حال .

ثم ان عنوان الرسالة بذاته هو عنوان مستحدث . فالجاحظ الذي كاد ان لا ينسى عنوانا لكتاب من كتبه ، في مقدمة كتابه « الحيوان » ، يغفل ذكر « التربيع والتدوير » ويكتفي وحسب ، في الجزء الاول من « الحيوان » بأن يحيل من لا يفهم بعض محتويات سفره الضخم ، على الرسالة التي كتبها الى احمد بن عبدالوهاب .

وعليه ، يكون العنوان من وضع الناسخين الذين استمدوه من الفاظ في داخل الرسالة او من بعض محتوياتها ، والحقيقة اننا لا نستطيع الجزم بمدى توفيق الناسخين ، حين اختاروا عنوان « التربيع والتدوير » الذي يوحي بالبحث الهندسي الصرف ، لهذه الرسالة التي لم يدر في خلد الجاحظ ان يوقفها على الهندسة وحدها .

وعلى الرغم مما يعتور هذه الرسالة من اسباب التبديل والتعديل ، فحسبها أن مصيرها لم يشابه مصير العديد من الرسائل والكتب الجاحظية المفقودة ، والتي نترك للزمن ، ولهمة الباحثين المتفرغين ، ولا سيما طلاب الدراسات العليا في الجامعات ، مهمة اكتشافها في المتاحف والمكتبات العالمية .

اما « التربيع والتدوير » فان بعضا من اجزائها الثابتة محفوظ في المتحف البريطاني (رقم ١١٢٩) ، وان بعضا آخر من أجزائها محفوظ ، هو الاخر ، في برلين (رقم ٥٠٣٢) ، كما ان ثمة نسخة في القسم الشرقي للمكتبة الجامعية في « ليد » ، وتحتوي على « فضائل الترك » و « رسالة التربيع » ، نقلا عن نسخة مالك طاهر (دمشق ١٢٥) ، فضلا عن نسخة نقلت في حلب عام ٤١١ للهجرة ، ولكنها رديئة ، ومحفوظة بالمكتبة الزاهرية في دمشق .

هذه النسخ المختلفة كانت موضوعا لعدة دراسات وتحقيقات ، كان الفضل الاول في القيام بها ، للمستشرق الهولندي ج. فان فلوتن ، ولكن المنية وافت فلوتن ، قبل ان ينجز تحقيق الرسالة ، فنشرها بعده ، ج. م. دو جوج ، دون تعديل يذكر ، وذلك في منشورات (تريا اوبوسكولا ـ ليد ١٩٠٣) ، بعد ذلك ، ظهرت الرسالة في ثلاث طبعات شرقية ، معتمدة كلها على نسخة فلوتن ، وهي : مجموعة رسائل الجاحظ (القاهرة ١٣٢٤) ، ومنشورات محمد مسعود (مطبعة الجمهور ـ لم تذكر السنة) ، ومنشورات السندوبي (رسائل الجاحظ ـ ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣) ، ولا يفوتنا ان نذكر ايضا هوامش كامل المبرد التي نشر فيها بعض مقتطفات من الرسالة .

ولعل اكثر النسخ دقة ، النسخة المقترنة بدراسة ادبية وتاريخية وبيبليوغرافية مطولة لشارل بلات ، الاستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس ، والصادرة في عداد منشورات المعهد الفرنسي بدمشق (١٩٥١) ، والمحفوظة في دار الكتب الوطنية اللبنانية (رقم النسق ٣ ـ ٧ ـ ٨١ العدد ١ التسجيل ١١٠١) .

ولكن ما يلاحظ في النسخة المذكورة كونها مقسمة الى مقاطع اتفاقية ، وذلك ليسهل بلات على نفسه وعلى قارئه امر المراجعة البيبليوغرافية .

اما نسختنا هذه ، فنرجو ان نكون قد وفقنا فيها الى تدارك ما في نسخ غيرنا من مآخذ ، لتأتي على الصورة التي نرجح انها الاكثر انطباقا على مضمون الرسالة الاصلية التي وضعها الجاحظ . وحسبنا ان نقدمها هدية متواضعة الى ناشئتنا الحبيبة ، من طالبات وطلاب البكالوريا اللبنانية ، بعد ان ادخلت على برامج الادب العربي في الفرع الادبي وفرع اللغات القديمة بموجب ملحق المرسوم الجمهوري رقم ٩١٠١ الصادر بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٩٦٨ ، لعلها تكون اسهاما متواضعا الى جانب شقيقاتها الثلاث « الحيوان » ، و «البيان والتبيين» و « البخلاء » ، في تيسير الثقافة الادبية العربية لاحبائنا ، شباب لبنان والعرب . والله الموفق .

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احبك فوق ما أصف

آخر قصيدة من ديوان « أفواف الزهر » المعد للطبع

انـي أحبـك فـوق مـا أصف ... حبـا بـه يستحسـن السـرف
لا أدعي .. فالصدق من شـيمي ... كلـي لكم تبـع بكـم كلـف ..
ان أنكـر العشـاق او عرفـوا ... فبحبكـم ابـدا سـأعترف ...

مولاي .. ان الحـب تيمنـي ... والحب يرغـم مـن بـه أنف ..
لـي مهجـة للحـب قد نـذرت ... وقف عليهـا الوجـد والتلف ..
أنـى اتجهـت فانتـم قبلـي ... أنـى انصرفـت فليس منصـرف
الوهـم يا مولاي يعصـف بـي ... والآه والاشـواق واللهـف
واليـأس يرميني علـى حـرق ... من هولهـا الاضـلاع تنقصـف
صبري تخوننـي فـلا جلـد ... والعـين جـامـدة فمـا تكـف
وأكـاد لـولا أن بـي نفسـا ... او خافقـا مـن يأسـه يجـف
وأكـاد لـولا أن بـي أمـلا ... للقـاك .. لـو تحنـو وتنعطـف
واعيش أرجـو ان تعللـني .. ! ... لـو أنصـف الظـلام أو رأفـوا
واكـاد يـا مـولاي يذهب بـي ... سر تعـالى فـوق مـا أصف ..

مـولاي ان الحـب بـي دنـف ... وأراك يا مولاي .. تحترف .. !
ضـدان قـد جمعـا على غـرر ... ان التكلـف ضـده الكلـف
لـو يرعـوي في الحب ذو نـزق ... لـو عـاود الايمـان منحـرف
قلبي أضيع .. فايـن أنشده .. ... يا للجريمـة كيف تقتـرف .. !
سـيان بعد اليـوم ان نقضـوا ... سـيان ان ظلمـوا وان عطفـوا
لا شيء بعـد اليوم ينفعني .. ! ... عـز الـدواء وعي من يصف .. !

انـي لمـن قـوم بهـم شـمم ... قومـي العلـى والعـز والشرف
سـل عنهـم الايـام غـابـرة ... ولتشـهد الاثـار والتحـف
قومـي هـم التاريـخ اذ كتبـوا ... امجـاده فلتقـرأ الصحـف
فرع أنـا مـن نخلـة بسـقت ... وزكت فطـاب العـزق والسعف
ممتـدة الافيـاء وارفـة ... تـزهـى بهـا الساحات والشرف
الحسـن بعض مـن مخايلهـا ... للـه قـد زانـه الهيـف
والعـز معنـى فـي شـمائلها ... معنـى بـه عرفت كمـا عرفـوا
قومـي هـم قومـي هم ابـدا ... سـلف يجـدد ذكـره خلـف
قولوا لمـن جهلوا .. ان عرفـوا ... نحـن الألـى عزوا ، الألى شرفوا
انـا وان كـاد العـداة لنـا ... والـدر قد يزري بـه الصدف :
نبقى .. وتبقى الدهـر رايتنـا ... شمسـا توهـج ليس تنكسـف

جامعة بغداد — عاتكة الخزرجي

ابو ماضي الشاعر

بقلم نسيب الاختيار

* * *

في الوقت الذي كان فيه الشعر العربي في الوطن الام يودع آخر مراحله الكلاسيكية في ذات احمد شوقي ، ومن هم على شاكلة احمد شوقي ، كانت هنالك في المهجر آفاق تتفتح ، آفاق رومانتيكية ليست بالجديدة في شكلها ومحتواها في دنيا الشعر العالمي ولكنها جديدة في دنيا الشعر العربي ، قد تجلت هذه الظاهرة المحدثة في شعراء مهجر الشمال اكثر منها في شعراء مهجر الجنوب وكانت لها دوحتها التي تفرعت منها غصون ، تنوعت ثمارها ولكنها نهلت من ينبوع واحد ونمت في أفق واحد وكان ابو ماضي احد تلك الاغصان التي اورقت وازهرت في ذاك الجو الشعري الرومانتيكي الذي انطلق من المهجر الى الوطن الام ليسير في موكب الشعر الكلاسيكي وهو يلقي سلام الوداع ..

كانت موجة الرومانتيكية التي طغت على شعر المهجر في الشمال الاميركي جديدة في دنيا الشعر العربي ، وقديمة في دنيا الشعر العالمي ، فقد كان لون الرومانتيكية الذي تحلى به شعر المهجر يختلف اختلافا كليا عن لون الرومانتيكية التي عرفها الشعر العربي في متباين ادواره ومختلف مراحله وذلك لان رومانتيكية المهجر تأثرت بنزعة فلسفية على حين ان الرومانتيكية التي عرفها الشعر العربي فيما سلف من ايامه ما خلا الشعر العربي الصوفي لم تتأثر بنزعة فلسفية معينة وانما كانت عاطفة وجدانية تتألق في ومضات لها تموج الساقية ولها ضحالتها ولها انسيابها فالشعر الغزلي حتى الشعر العذري كان خلوا في رومانتيكية من فلسفة ذاتية او كونية على حين ان شعر المهجر في الشمال الاميركي كان زاخرا بالفكر حافلا بالخواطر التي اخذت بحظ كبير من فلسفة الرومانتيكية ولكن هذه الخواطر وتلك الفكر التي اتسمت بها رومانتيكية شعر المهجر في الشمال لم تتبع من تلقاء ذاتها فقط ولم تصدرها عن جوها الخاص فحسب وانما صدرت ونبعت ايضا من الثقافة الغربية الثقافة الرومانتيكية الانكليزية والالمانية والروسية .

ثقافة ترتد في أصولها الى القرن الثامن عشر والى عصر النهضة وتوغل في القدم الى عصر الاغريق ، فقد تأثر شعراء المهجر وفي طليعتهم ايليا ابو ماضي تأثرا عميقا وحبا بهذه الثقافة ، فنزعة الحب المجرد والعودة الى الطبيعة واللذة في الالم والتجربة الباطنية ان كل هذه الاشياء تجلت بصورة واضحة كل الوضوح وعلى درجات متفاوتة في التصور والتصوير في شعر ابي ماضي ، وهذا التأثر بالثقافة الغربية الرومانتيكية لا يعني ان شعراء المهجر لم يتأثروا بالرومانتيكية العربية . لقد تأثروا بالشعر الصوفي العربي ولكن الاثر الذي خلفه الشعر الصوفي العربي في مشاعرهم وفي افكارهم كان في مداه دون المدى الذي خلفته الفلسفة الرومانتيكية في قلوبهم وعقولهم . لقد تأثروا بقصائد شيلي وكوته وبوشكين ، اكثر من قصائد ابن عربي وابن سينا وابن الفارض . ولاقت الفلسفة الرومانتيكية هوى في نفوس شعراء المهجر لانها تجاوبت مع ثورتهم الاصيلة الثورة على التفرقة الطائفية والاضطهاد الفكري والنظام الاقطاعي .

وفد ابو ماضي الى المهجر ، وفي نفسه آثار من تراث الشعر القديم ، فقد طبعه الوسط الفني الذي عاش بين ظهرانيه في الشرق بطابعه التقليدي الكلاسيكي وكان ديوانه الاول « تذكار الماضي » صورة صادقة عن هذا الطابع ، ولم يتحرر ابو ماضي التحرر كله من صبوة العودة الى القديم الا بعد حقبة من الزمن اذ كان ديوانه الثاني « ديوان ايليا ابو ماضي » الذي صدر وهو في المهجر ، يضرب بجناحي شاعر ، لم تزل حياته تسير وراءه كان تراث الشعر الماضي يجره اليه في الوقت الذي كانت فيه الافاق الجديدة تهتف به وتدعوه . ولم تطرق هذه الدعوة وذاك الهتاف أذن الشاعر الا بعد ان ولج الوسط الادبي الجديد ، وسط الجماعة التي انتظمتهم الرابطة القلمية ، فقد كشفت انوار ومشاعر الافاق الجديدة عن وجهها النقاب وتبدت له في حقيقتها العارية فألقى بنفسه في اجوائها الفساح ليلد ولادة جديدة فكان مثله في المهجر كمثل كوته في ايطاليا حينما هتف وهو في روما .. « الان ولدت من جديد » .

لقد التقت افكار ابو ماضي ومشاعره بأفكار ومشاعر المبدعين من شعراء العرب الاول ، وهو في الوطن الام ، ولكن هذا اللقاء لم يدفعه الى الامام ، بل امسك بتلابيبه يجره اليه فغلب التقليد في شعره على الابتكار والاتباع على الابداع . اما في المهجر فان الوسط الفني الجديد الذي عاش بين ظهرانيه دفع لقاء الشاعر بالمبدعين من شعراء العرب الاول الى الابتكار بدلا من التقليد والابداع عوضا عن الاتباع . وهكذا اخذت شخصية ابي ماضي الشاعرية تحقق ذاتها وتتبلور في صور وفكر ما كان في الامكان ان تنبثق عما انبثقت عنه لو ظلت في ذلك الوسط الذي بقيته رواسب الماضي فيه ، تجذب الشعراء من اقدامهم ليظلوا في آماد عن تجدد سطحي يقف على اعتاب امس واليوم .

وكانت الحركة التجديدية التي تولى امرها ادباء مهجر الشمال وفي طليعتهم ابو ماضي ابعد من ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التجدد الذي رمى الى التحرر من القافية الواحدة والاوزان العتيقة والالاعيب اللفظية والابواب الشعرية المحددة ، اذ ولجت هذه الحركة حديقة لم يلجها الشعر العربي لا في ازمنته السالفة ولا في ازمنةالبعث الحديث.

فنحن نجد نظراء لأبي ماضي في الشعر الغربي ، نظراء في الشعر الانكليزي والالماني والفرنسي والروسي ، نظراء تأثروا بنفس النزعة الرومانتيكية ذات الخاطرة الفلسفية سواء اكان ذلك في تصويرهم وتصورهم للحياة ام الطبيعة ام الوجود ، ولكننا لا نجد نظراء لأبي ماضي في الشعر العربي الحديث ، ذلك لان شعراء العرب الجدد الذين اخذوا بقسط من الرومانتيكية تأثروا بمظاهر عاطفتها الفضفاضة الضحلة ، لا بفكرتها العميقة الرحبة التي تمتد جذورها الى الفلسفة الابداعية التي ظهرت في الغرب ابان القرن التاسع عشر .

وابو ماضي اذ ينفرد عن شعراء العرب في الوطن الام في خواطره الفلسفية الرومانتيكية ، ينفرد ايضا بميزات خاصة عن شعراء المهجر ، الذين غلبت النزعة الرومانتيكية على مشاعرهم وافكارهم فلم ينظر الى الحياة والطبيعة والوجود نظرتهم ، ولم يذهب في التجديد المطلق مذهبهم .

الحالة النفسية الاتية ، هي مصدر الوحي في شعر ابي ماضي ، كانت هذه الحالة في فرحها وترحها واشراقها وعتمتها وتفاؤلها وتشاؤمها ينبوع الهام الشاعر ، فهو يغني فيها ويتلاشى ويمحي ويذوب ، حتى اذا فارقته رعدة الالهام ، كانت قصيدته تعبيرا صادقا عن تلك الحالة النفسية الاتية التي رانت عليه ، ولم يكن وهو غارق في عباب تلك الحالة يدوم في أفق غير افقه الذاتي ، كان هذا الافق دنياه ، كان أقصى ما يمتد اليه بصره حتى اذا ارتد اليه هذا البصر ارتد وهو لا يمثل الا صورته :

لم ابصر ذاتي بالامس في لوح زجاج او ماء
بل لاحت نفسي في نفسي فهي المرئية والرائي

والعالم الخارجي عند ابي ماضي لا كيان له ولا وجود ، فكل انسان له عالمه وهذا العالم ليس الا مجرد صور افكارنا ومشاعرنا . فليست حوادث العالم الا حوادث هذه المشاعر وتلك الافكار .

كل قلب له الذي يهوى وان شئت كل قلب سماء
صور في نفوسنا كائنات ترتديها الافعال والاشياء

فالحياة ما صوره لها الانسان نفسه في سكونه وحركته فيما يكن وفيما يبدي :

ليست حياتك غير ما صورتها اتت الحياة بصمتها ومقالها

لا بل أن اباماضي يعتقد بأنه هو الامس وهو الحاضر وهو المستقبل وان الحياة كلها قد أنطوت فيه :

كل ما قد لقيت مثلك يا نفسي فيما تبدين او تخفينا
فانظري مرة اليك مليا تبصري الاولين والاخرينا

وعلى هذا النحو من النظرة الرومانتيكية يطالع الشاعر العالم انه ينظر اليه من مرآة ذاته فلا تعكس هذه المرآة الا افكاره ومشاعره ولا يتجلى في هذه المرآة الا امتداده عبر العصور امتداده الازلي في اللانهاية .

وتذهب النزعة الذاتية بأبي ماضي حدا بعيدا من التصور الشعري ، بحيث ان النفس الجميلة تضفي على الحياة جمالها ، والبسمة المشرقة التي تلوب على شفاه الانسان تهب الوجود الاشراق والزهو والمرح . وقد عبر عن هذه العاطفة في عدد من قصائده مثل قصيدة « كن بلسما وابتسم وكم تشتكي» كما تذهب النزعةالرومانتيكية حدا بأبي ماضي تحمله على أجنحة من الخيال القصي ، فتصور له انه في مقدور الانسان ان يحقق ما يصبو اليه في ذات نفسه اذا عز عليه تحقيق ما يريد خارج اطار هذه الذات .

اذا انا لم اجد حقلا مريعا خلقت الحقل في روحي وذهني

ولكن الحالة النفسية التي أوحت اليه بهذه النظرات الى الحياة لم تكن حالة مستقرة ولا ثابتة كانت متحولة متقلبة ، كان الشاعر الذي يقول « كن جميلا ترى الوجود جميلا » والشاعر الذي يردد :

هو عبء على الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئا ثقيلا

والشاعر الذي يعتقد بأن نفسه هي ينبوع السعادة وانه محور الوجود هو نفس الشاعر الذي يقول مخاطبا نفسه :

دنيا الورى ليل وصبح مبين وليس في دنياك الا الضباب

وهو نفس الشاعر الذي يقول :

وارى السعادة لا وصول لعرشها الا باجنحة من الوساس

وهو نفس الشاعر الذي يمسح الغناء الجائم وراء مظاهر الحياة نظرة التفاؤل والامل والاشراق من عينيه ..

ما لاحت الاشجار للناظرين الا رايت شبح الفاس

ويمتد دبيب التشاؤم في كآباته السوداء الى شعر ابي ماضي يمتد وهو يعبث باصابعه في مسارب واطواء تلك النفس الحساسة المرهفة ، فاذا بالشاعر يصور في قصيدة « من انا » وقصيدة « الفراشة المحتضرة » وقصيدة « السجينة » همسات العدم وقد ادثر رداءه القاتم فمحى المساء النار وصوحت الزهرة ، وتناثرت الفراشة وغشى الضباب ذات الشاعر فلم يجدها جمالها ولا ابتسامها ولا تألقها ، وحضنت الكآبة كل شيء ففاض الارج وغاب النور ، وفاض القلق والضجر والسأم ، وبدا الانسان على حقيقته الانسان الذي لا يرضى ولا يطمئن ، انسان قصيدة « الاسطورة الازلية » حتى الطبيعة التي اولاها أبو ماضي قسطا موفورا من العودة الى احضانها بغية الفرار من الجبرية الاجتماعية تفقد رواءها في تلك الحالات النفسية المتشائمة التي تلف الشاعر بضبابها الكئيب .

وفي غمرة هذه الحالة النفسية كان ابو ماضي يجنح الى الاستماع الى الحب ، ولكن الحب عند الشاعر لم يكن دائما وابدا صرخة جسد ، بل انه كان يرقى الى اسمى معانيه . كان يرقى الى حالة الاتصال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان نفسا لم يشرق الحب فيها هي نفس لم تدر ما معناها

ان هذه الفكر التي اودعها ابو ماضي في صور شعرية هي لباب الخواطر الفلسفية في المذهب الرومانتيكي . ونحن حينما نطالع شعر ابي ماضي ، نطالع شعرا رومانتيكيا ترنق عليه قسمة من تشاؤم واشراقة من تفاؤل .

اذا كانت النزعة الرومانتيكية التي غلبت على شعر أبي ماضي فاتحة عهد جديد في تاريخ الشعر العربي الحديث ، فانها في الواقع خاتمة هذا اللون من الشعر في تاريخ الادب ، ذلك لان النزعة الرومانتيكية طرقت باب الادب العربي في الوقت الذي تحتضر فيه بواعث انبثاق فجر هذه النزعة ، فقد نشأت النزعة الرومانتيكية في ظروف تاريخية معينة في حياة المجتمع الانساني ، وستغير هذه النزعة وتمضي بأفول الظروف التي استدعت نموها ، وزوال المرحلة التاريخية التي تطلبت وجودها ، فاذا كان احمد شوقي آخر الكلاسيكيين فان ابا ماضي آخر الرومانتيكيين .

على ان ابا ماضي آخر الرومانتيكيين الذي سلك في شعره طريقة لم تعد تتجاوب مع حاجات العصر ومطالبه ، وهب الشعر العربي صورا جديدة وآفاقا جديدة ، ان الطبيعة التي احبها ابو ماضي لم تكن في نظره مجرد دمية جميلة يفيء الى هيكلها ليرفع اليها ضراعته الوجدانية ، وانما كانت حياة ، حياة تمور بصور جميلة حضنها الشاعر في لوحات ناطقة ، بحيث ان هذه اللوحات لم تكن فوتوغرافية صماء وانما كانت معبرة متوجة فمن لهب عاطفته وموسيقية الفاظه وعمق نظرته صاغ صوره ، فكان بذلك من اولئك الشعراء القلائل الذين استطاعوا ان يحققوا الانسجام بين تموجات العاطفة وتموجات الالفاظ في صورهم الشعرية .

ولم تكن هذه الصور مقتصرة على الطبيعة وحدها ، بل انها امتدت الى مسارب النفس الانسانية فصورتها في شتى حالاتها ، في حيرتها وشكلها واملها ورجائها ، وقلقها واضطرابها وتصورها ورؤاها ، كما امتدت يد الشاعر الفنان الى تصوير الحركات المتلاحقة التي يستدعيها الموضوع الشعري ، فكانت هذه الحركات اشبه بشريط فني متتابع اللوحات ، وقد غلبت صور المعنى عند الشاعر على صور الحس صور الجمال لا الجميل ، والشجاعة لا الشجاع ، والكرم لا الكريم فخرج بذلك ابو ماضي على مألوف صفات الشعر العربي العامة الصفات التي تميزت بغلبة الحس على المعنى .

والى جانب هذا كله ، فان صور الشاعر كانت تؤلف وحدة في القصيدة وحدة فنية فجعلها متماسكة متلاحمة تؤلف في شكلها ومحتواها كلا واحدا . وهذه الوحدة لم تقتصر على شعر ابي ماضي القصصي الحواري وانما شملت معظم قصائده بحيث انها كانت سمة فارقة لشعره .

واما الافاق الجديدة التي تطرق اليها ابو ماضي فهي مواضيع شعره فقد خرج ابو ماضي عن آخر المواضيع الشعرية التقليدية المواضيع الكلاسيكية التي درج عليها شعراء الوطن الام وما زالوا يحومون حولها حتى اليوم ، فنظرة واحدة يلقيها الانسان على عناوين قصائده في ديوان « الجداول » وديوان « الخمائل » كافية ليدرك من اول وهلة ان الشاعر يعيش في آفاق جديدة في دنيا الشعر العربي .

واذا كانت القصة ، والقصة الحوارية ، والقصة الاسطورية ، تؤلف شيئا هاما وجسيما في آفاق الشاعر ابي ماضي ، فان ثمة لا نهايات اخرى من الافاق حلق فيها الشاعر آفاق حكمة ادثرت ثوبا رمزيا صور اهواء الانسان ومطامح الانسان ، كما هو الحال في قصيدة (الضفادع والنجوم والتينة الحمقاء ، والحجر الصغير ، والغدير الطموح ..) ولم يكن الثوب الرمزي الذي تغلغلت به هذه القصائد ثوبا مبهما مغلقا يتيه النظر في شكله المصطنع ويضل ، وانما كان صافيا شفافا يدرك الانسان مغزاه بسهولة ويسر .

وضع ابو ماضي الشاعر ، على اريكة عالية ، فيه نفحة واشراق العبقرية ، انه الانسان الذي يضفي الحياة في اسمى معانيها واروع صورها على كل ما يتراءى له ويبدو انه ذاك الانسان الذي يرينا الرقة الحقيقية في الاشياء . ولكن الشاعر الذي يحبه ابو ماضي ويمجده كائن له رسالة في هذه الحياة الدنيا ، وهو في سبيل آداء هذه الرسالة لا يتوانى عن التضحية بوجوده . ولكن هذه الصورة التي خلعها ابو ماضي على رسالة الشاعر كانت صورة ذاتية لا صورة موضوعية ، فالمحتوى الذي تألف منها لبابها كان محتوى فرديا مثاليا محتوى يجعل من الشاعر انسانا فوق المجتمع ، انسانا اوفى من المواهب الشخصية ما يتيح له بمفرده ان يحقق الغرائب . فليست الرسالة التي أناطها ابو ماضي بالشاعر رسالة موضوعية وانما هي ذاتية .. وعلى اساس هذه النظرة عالج ابو ماضي الابواب الاجتماعية التي تطرق اليها في شعره فانسانيته المثالية التي تقوم على العطف والرحمة والحب هي التي اوحت اليه قصيدة « اليتم » وقصيدة « كلوا واشربوا » حتى قصائده الوطنية نظير « قضية فلسطين » كانت عاطفة مجنحة .

لقد كان ابو ماضي مثل معظم شعراء هذا العصر ، انسانا يعوزه النضج السياسي النضج الذي يهتك له السجف ويجعل من صور افكاره ومشاعره صورا واقعية تتجاوب مع المرحلة التاريخية التي يحياها الشاعر .

ولعل ابرز مظاهر هذا القفر في النضج السياسي لدى ابي ماضي القصائد التي اشاد فيها بالحلفاء ابان الحرب العالمية الاولى .

ان هذه النظرة لرسالة الشعر والشاعر ، خرجت

ضبابة وغابة

الى روح « رينر ريلكه »

وددت لو كنت غابه
مررت فيها ضبابه
تمسح وجه الشمس
بين غد وأمس
من بله الرتابه

وددت لو كنت غابه
أقدامي ارتياح
جدائلي الرياح
ما همني أي حد
وفي ضلوعي قدر من ظلها يمد
أمضي خليا مثلما ترقرقت سرابه

وددت لو كنت غابه
تهيم فيها ضبابه
تجول في غصوني
تمتاح من شجوني
وعندما يحبل الضياء

تنشرني في الفضاء
بعد خيال السماء
تجوس بي غيابة غيابه

تعود فوق ريشها من الغيوب عطر
رسالة من عنده فيها رؤى وشعر

وتستردها البحار
في معبر الفصول
تمضي على انتظار
في عمقها الطويل
وعندما يلملم الخريف اوراق الغصون
يذرها في عصفات الريح والشجون
تشتاق لي
في دربها المخملي
تضمني سحابة سحابه
تذوب فوق غابه

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بأبي ماضي عن المفهوم الجديد لرسالة الشعر ورسالة الشاعر ، ووضعتهما في مستوى غير مستوى العصر الذي نعيش بين ظهرانيه .

لقد كان ابو ماضي احد اولئك الشعراء المجددين الذين تحلوا بطابع خاص ، لا بين شعراء المهجر فحسب ، بل بين شعراء العرب المحدثين أيضا ، فاذا اتسم شعر المهجر بميسم التحرر من شكل ومحتوى الشعر القديم ، واذا غلبت النزعة الذاتية في شعر المهجر على النزعة الموضوعية ، واذا دوم شعراء المهجر في آفاق الرؤى والتصور والخيال ، بدلا من الانطلاق في عالم الحقيقة والواقع ، واذا آثر شعراء المهجر حياة الطبيعة على حياة المجتمع ، واذا آمن شعراء المهجر بأن الشعر رسالة ، فان أبا ماضي احتوى كل هذه الصور وحضنها ، ودفع مداها العميق الرحب ، الى حيث لم يصل اليه أي شاعر مغترب .

واذا كان هذا هو شأن ايليا ابو ماضي في دنيا شعر المهجر ، فان شأنه في دنيا شعر الوطن الام ، ابعد مدى ، واقصى شوطا ، ذلك لان عالم ايليا في دنيا شعر الوطن الام ، جديد كل الجدة في طراز صوره وتصويره للاشياء ، اذ فتح ، سواء اكان ذلك في « الجداول » ام في « الخمائل » ، معالم طريق لابواب غير معهودة في الشعر العربي ، ابواب كان يلجها كل انسان ، ويجوس حديقتها ، ويفيء الى ظلالها ، ويستنشق عبيرها ويرنو الى جداولها ، كان يفعل كل هذا ، دون ان يعبر عما تملاه وعما تجلاه ، تعبيرا تبدو فيه الافكار في صور .

نسيب الاختيار



انور الجنـدي

حسن العطار وعبدالغني حسن

بقلم انور الجندي

* * *

هل يعطي كتاب واحد : « ابعاد العمل الادبي » لكاتب من الكتاب ؟

ذلك هو السؤال الذي يتردد حين تقام ندوة او يكتب ناقد عن كتاب جديد لكاتب من الكتاب ، وعندنا ان كتابا وحده لا يستطيع ان يعطي ابعاد العمل الادبي للاديب، ولذلك فان اللوحة الحقيقية للكاتب لا تكون مكتملة الا اذا عرضت صورة كاملة له ، يبرز هذا الكتاب المعروض من بينها كاثر من آثاره ، وقطاع من أجنحة فكره .

ومنذ وقت قريب اقيمت امسية طيبة لعرض كتاب « حسن العطار » للاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكتاب حسن العطار اثر طيب من آثار كاتبنا الكبير قدم فيه لشخصية ممتازة من الشخصيات البارزة التي عرفتها مصر والعالم العربي في اوائل القرن الماضي ، وتردد اسمها طويلا في مختلف الدراسات التي تناولت النهضة الادبية بعد حملة نابليون ، واقترن اسمه باسم تلميذيه الكبيرين : رفاعة رافع الطهطاوي ، ومحمدعياد الطنطاوي . فقدعرفه الناس انه هو الذي نصح لتلميذه « رفاعة » ان يكتب يوميات رحلته ، ولم يقف اثر العطار عند هذين العلمين فلعله قد اخرج عددا اخر من البارزين الذين عملوا في مختلف ميادين الازهر وميدان الفكر الاسلامي بعامة ، وان لم تؤثر عنه مؤلفات بارزة او آثار ضخمة .

غير ان « حسن العطار » ظل طوال هذا الوقت لا يترجم له الا من خلال الاخرين ، ولم ترسم شخصيته بصورة كاملة الا حين اقدم محمد عبد الغني حسن على هذا العمل فسد به ثغرة في تاريخنا وادبنا الحديث .

ولا شك ان لكل كاتب منهج ، ولكل مؤلف طريقة ، ولكل باحث في عرض موضوعه نهج ، وفي التراجم يبدو طابع الكاتب اشد وضوحا ، والاستاذ عبد الغني كاتب مخضرم ، بدا حياته الادبية في العقد الثالث من هذا القرن شاعرا وكاتبا ، ثم جرى اشواطا في هذه الفترة فقرأ وسافر وشاهد وجرب حتى استوى اسلوبه ومنهجه على هذا النحو الذي نراه في مؤلفاته وآثاره الوافرة ، واذا كان لكل كاتب مزاج او طابع او مفتاح شخصية فالاستاذ من محققي التأليف والكتب قديمها وحديثها ، فهو محيط اشد الاحاطة بما ألف في هذا الموضوع او ذاك ، وهو عارف بالمؤلفين وعصورهم وآثارهم، مهما تقاربت اسماؤهم او تشابهت القابهم ، وهو محقق للنصوص والاثار والوثائق ، خبير بصادقها وزائفها ، عليم بمناهج الباحثين والكتاب ودقائق اعمالهم ، وقد عاش عمرا طويلا مديدا باذن الله في هذه البوتقة الضخمة : بوتقة المؤلفين والتأليف ، واستطاع أن يستخرج من هذا الحصاد الضخم اعمالا هامة ، قربت الى الشباب والمثقفين كثيرا مما انطوى في بطون الكتب الصفراء ، وقدم للباحثين المتخصصين عديدا من الحقائق التي كانت ولا تزال بمثابة الاضواء الكاشفة على طريق البحث الادبي .

ومن هنا كان الاهتمام بكتابه في ترجمة « حسن العطار » في سلسلة نوابغ « الفكر العربي » ، فالعطار اسم يتردد على الاسماع ونقراه في الابحاث ، منذ وقت طويل وتتصل اخباره بالحملة الفرنسية على مصر، وبترجمة الجبرتي وآثاره ، وبالازهر في مطالع القرن العشرين ، ونحن نقرأ عنه انه كان من الذين ذهبوا الى المجمع الفرنسي وشاهد تجارب العلم الحديث ، ودعا المصريين والشرقيين الى ضرورة الانتفاع بالحضارة ، والعلم الحديث ، فكان بذلك في مقدمة المجددين والمستنيرين من علماء عصره ، وانه كان يصحب الجبرتي الى حيث يسمع ويرى من هذه الابحاث الجديدة ، وانه هو الذي اختار رفاعة الطهطاوي « اماما » للبعثة المصرية الاولى التي سافرت الى فرنسا ، وكان من اثر ذلك ان كتب رفاعة رحلته الموسومة : « تخليص الابريز في تلخيص باريز » وانه جدد دراسات الازهر وأدخل اليها الابحاث الادبية .

هذا هو الذي كان يتردد على الالسن عن « حسن العطار » غير أن ترجمة كاملة وافية عنه لم تكن ميسورة ، فاذا رجعنا الى كتب التراجم وجدنا سطورا قليلة حتى جاء عبد الغني حسن فقدم هذه الترجمة التي كان هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحده ابن بجدتها واقدر الباحثين على الالمام بالحواشي المختلفة التي الفها العطار : امثال حاشيته على جمع الجوامع وعلى شرح الازهرية ، وعلى شرح الجيصي ، وكتابه « الانشاء » ثم حاول استقصاء أخباره في عجائب الاثار للجبرتي ، ومجلة روضة المدارس التي راس تحريرها رفاعة الطهطاوي ، وراجع دواوين اسماعيل الخشاب وعلي الدرويش ومحمد شهاب الدين وكلهم من معاصريه ، ثم راجع ما يتصل به من الكتب التي عنيت بتاريخ الازهر ، وآداب اللغة العربية ، والحركة القومية وغيرها ، حتى استطاع ان يقدم هذه الصفحات الثمانين عن حياته ، واعماله ، ثم هذه النصوص من آثاره ، والتي بلغت ثلاثين صفحة ، وهي دراسة سريعة موجزة حقا ، ولكن ما الحيلة في ذلك وقد استقصى هذا الباحث المدقق كل ما يتصل بحسن العطار وعصره وتاريخه وتلاميذه وآثاره ، وعذيره في الايجاز ان العطار لم يكن مؤلفا واسع الانتاج ، كالجبرتي مثلا او رفاعة ولكنه كان من هذا الصنف الذي تبنى النماذج الطيبة من التلاميذ بالكلمة والحديث المتصل ، وكانت ابحاثه في الاغلب في مجال دراساته الازهرية ، في النحو والتوحيد والاصول والبلاغة ، وهي جميعها آثار وضعت على حواشي الكتب ، ولم يكن له من كتب مستقلة غير كتاب « الانشاء » وبالرغم من انه اقام في الشام خمس سنين ، كما عاش في بلاد الروم فترة من الزمن ، فمع ذلك لم تعرف عنه كتابات عن رحلاته تلك .

ويمكن القول انه صنف من العلماء ، عرفوا بقراءاتهم الواسعة ومع ذلك فليست لهم آثار ضخمة ، او اعمال مؤلفة ، وليس ذلك مما يعيب « حسن العطار » فان رنة اسمه في التاريخ الحديث كله لا تتصل بالتأليف والبحث العلمي ، بقدر ما يتصل بذلك التفتح النفسي والروحي ، وسعة الافق ، لمواجهة الحضارة الحديثة ، ولتخريج عدد من الاعلام ، وقد اشار عبدالغني حسن الى خصيصة حسن العطار التي اعطته هذا الاسم اللامع في التاريخ الحديث فوصفها بأنها « التحرر الفكري والبعد عن الجمود ودعوته الى الاخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمام بالعلوم القديمة » وكان ذلك « مما جذب اليه الطلاب من كل فج » ويعني هذا ان « حسن العطار » كان مربيا ومصلحا ، حاول خلال تدريسه في الازهر وخلال توليه مشيخته ان يقدم نماذج طيبة من العلماء ، فيهم لمسة اليقظة التي كان يموج بها العالم الاسلامي في هذه الفترة ، وانه كان عاملا هاما في تخريج طائفة من الباحثين الذين قدموا اعمالا ضخمة في المرحلة التالية .

ومن الحق ان يقال ان مثل هذه الدراسات والتراجم التي تضيء الطريق امام اجيالنا للتعرف على هؤلاء الاعلام جديرة بالتقدير وما زلنا نطلب من الاستاذ عبدالغني حسن المزيد من تراجم أعلامنا المجهولين والمنسيين وهو من أقدر الناس على تقصي اخبارهم وآثارهم وله من حصيلته الضخمة ومراجعه الواسعة وخبرته الفائقة ما يمكنه من **تغطية هذه المراحل في تاريخ الادب العربي المعاصر .**

★ ★ ★

وبعد فهذا كلام يقال عن « حسن العطار » بحسبانه مؤلفا من مؤلفات بلغت الاربعين او اكثر كتبها المؤلف «محمد عبد لغني حسن » ولكن هذا الكلام لا يكفي في رأينا لرسم صورة صحيحة لهذا الباحث ، ولا بد من توسيع نطاق الصورة حتى تكتمل ونحن حين نراجع ثبت مؤلفاته نجد حصيلة ضخمة من الاعمال ونجد جهدا موفقا كبيرا ، ونراه **لامعا كالنجم لا يخبو ضوؤه خلال اكثر من ثلاثين عاما** متصلة ، وقد قدم أعمالا بناءة أثرت في أدبنا العربي ، وغطت عشرات من الجوانب والثغرات .

ومن الحق ان يقال انني حين راجعت بطاقات مؤلفاته في دار الكتب اليوم وجدت فيضا زاخرا من الكتب وعزوت ذلك في الاغلب الى أمرين : الى قدرة الكاتب الفائقة في التأليف والى وجود المطبعة دائما تحت يده قادرة على اخراج آثاره اخراجا أنيقا وسريعا في كل وقت. وتلك منة الله عليه ، فقد ظل « محمد عبد الغني حسن » يمثل ذلك النموذج الكريم نقاء سريرة ، وسلامة قلب ، وصدق حديث ، وقدرة بارعة على اعطائك الاجابة السريعة على أي سؤال مفاجيء عن الكتب والمؤلفين سواء في مجال الحديث او القديم ، عارفا بالطبعات المختلفة ، والنسخ المنوعة ، ومفرقا بين المؤلفين ممن تتشابه القابهم ، فانك ما تكاد تهتف به حتى تجده على الخط الاخر نضرا مشرقا مجيبا لتساؤلاتك ، مشفيا نفسك مما تود ان تعرف او تتساءل ، وتلك مزية قد اكتسبها بطول الممارسة وبدقة المراجعة وبطول الجهد ، من خلال عقلية نادرة كأنما خلقت خلقا لتكون دائرة معارف كبرى للمؤلفات والمؤلفين ولست أدري لماذا لا يقدم لنا موسوعة كبرى في هذا الباب يرجع اليها الباحثون .والاستاذ عبد الغني يعمل منذ ربع قرن تماما في هذه « الصناعة » الدقيقة ، وعمله هذا مزيج من الهواية والفن والاحتراف ، ولعل هذا المجال هو أكبر ميادين عمله ، حتى ليمكن أن يقال انه من اوائل الذين أجادوا « تقديم الكتاب » واني لاذكر وقت ان كنت مشغولا باعداد دراسة صغيرة عن « قوائم الكتب » التي تصدرها المكتبات الكبرى في القاهرة ، اذ وجدت ان صديقنا هو **الذي أعد قوائم دار المعارف والانجلو والحلبي ودار الفكر** ودار الكتاب العربي ومكتبة الاداب ومكتبة السحار ومكتبة فرانكلين .

وانه اصدر لاول مرة في العالم العربي مجلة **متخصصة شهرية او دورية للتعريف بالكتاب** فأصدر « بريد الكتاب » عن دار المعارف والدار القومية « وبريد المطبوعات » عن مؤسسة المطبوعات . وان مئات ومئات من الكتب مرت بين يديه في فنونها المختلفة وهو يكتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يخطب المحال

ليس انكى على الفؤاد من الرشد
اذا بان ان فيه الضلالا
من ينم عندما النوائب تصحو
يجن من نومه البغيض النكالا
ويرى حين يخطب المجد صرفا
انه يخطب الاسى والمحالا

صيدا **محمد العدناني**

عنها تعريفا لا يزيد احيانا عن خمسة سطور ، تعريفا جامعا مانعا ، وفي نفس الوقت سهلا وبسيطا لانه سوف يوضع بين يدي كل قارىء ، هذا هو العجب عن عمل لا يضع عليه الكاتب توقيعا ولا ينسب اليه نسبة صريحة ، ولكن العجب يزول اذا عرفنا ان صاحبنا قد شغف بنقد الكتب منذ وقت بعيد بعيد جدا ، منذ عام ١٩٣٠ عندما كتب اول نقد لاول كتاب في المقتطف وكان الكتاب هو « المراة العربية » لعبد الله عفيفي ، ومنذ ذلك الوقت ولا يزال صاحبنا يمضي في هذه البابة من خلال عدد من المجلات الكبرى غير المقتطف هي الثقافة والرسالة قليلا ومجلة الكتاب واخيرا مجلة الكتاب العربي .

ومن حق ان يقال ان هذا المجهود خصب بالغ الخصوبة ، فكم كتاب قدم خلال هذه الفترة ، فاذا اضفنا الى هذا جانب المعرفة الشخصية بالمقابلة والمراسلة بينه وبين صفوة ادباء العرب في عصرنا الحديث عرفنا الى أحد نجد مكان صديقنا .

هذا جانب اما الجانب الاخر فهو جانب التاليف وهنا نجد عملا خصبا بالغ الخصوبة فمن خلال اكثر من اربعين مؤلفا من احجام مختلفة استطيع أن اقول انه كتب في عدد من الفنون الادبية واهمها في تقديري :

اولا ــ « تراجم الاعلام » : فقد عني بالترجمة لعدد كبير من الابطال والادباء في القديم والحديث في مقدمتهم موسى بن نصير وبطل السند محمد ابو القاسم الثقفي والسيدتان آمنه وخديجة ، وشجرة الدر وابو مسلم الخراساني وصقر قريش عبد الرحمن الداخل والمقري صاحب نفح الطيب وابن الرومي وعبد الله فكري ومحمد عياد الطنطاوي . والكاتبة مي واحمد فارس الشدياق ثم لحسن العطار .

وفي مجال التراجم له ايضا تراجم قصيرة اوردها في كتابه : اعلام من الشرق والغرب والتراجم والسير وله ايضا في مجال التراجم كتابه « تيجان تهاوت » .

ومما يذكر في هذا المجال ان كتابه « بطل السند » طبع الان للمرة الثامنة وبأرقام ضخمة تتجاوز كل تقدير .

ثانيا ــ له كتابان هامان احدهما في فن التاريخ العربي والثاني في فن الترجمة في الادب العربي .

ثالثا ــ له في مجال التراث وتحقيق المخطوطات عدد من الاعمال اهمها :

ــ حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسي .

ــ وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي .

رابعا ــ له دراسة جيدة عن الشعر العربي في المهجر واعلامه . وله دراسة عن الفلاح في الادب العربي ثم له بعد ذلك عدد منوع من الدراسات صدرت في مختلف السلاسل المعروفة : اقرا ، تراث الانسانية ، نوابغ الفكر العربي .

وله مؤلفات جامعة في مقدمتها كتابه « معض الادب والتاريخ الاسلامي » ، « ودراسات في الادب العربي والتاريخ » .

وهكذا نجد من خلال مراجعة آثار الاستاذ عبدالغني حسن انه قد اثرى المكتبة العربية وما يزال ماضيا في فتوة الشباب وصبر الرجال ، يعمل في صمت ، من خلال عزيمة قادرة ونفس مشرقة صافية ، وقلب متقبل للنقد ، وروح تسمو على الخلافات والمعارك والخصومات ، وله الى ذلك كله سمت شاعر بدا حياته بالالحان والغناء وليعذرني صديقي اذا تجاوزت هذه المرحلة التي تحتاج الى دراسة خاصة ، فقد كان صاحبنا وهو في سن العشرين شاعرا جهيرا يرد انديه الادب وصالونات السياسة وكان الى ذلك كله « شاعر الاهرام » وله شعر في الحب جميل ورائع ، وله دواوين متعددة بعضها مطبوع وبعضها لم يطبع .

وما زلت اذكر انني كنت احفظ له شعرا وانا في سن السابعةعشرة يقول في مطلعه : « يا كثيرا في منامي »

وما زلت اذكر كيف احتفى به الاهرام عندما سافر الى اوروبا ليتم تعليمه في انجلترا ، وكيف ذهب المرحوم شيخ العروبة « احمد زكي باشا » يودعه على المحطة ، وما زلت اذكر كيف اوصاه حين قال له : حافظ في رحلتك على ثلاث : مصريتك وعروبتك واسلامك .

واعتقد ان صديقنا ما زال محافظا على هذه الوصية خلال رحلة الحياة الشاقة ، وما زال صديقنا منتجا خصب الانتاج ، وما زلنا نتطلع الى لقاءات اخرى نتحدث فيها عن آثاره ومؤلفاته .

وبعد فأرجو أن اكون قد صدقت حين قلت ان كتابا واحدا لا يمثل الكاتب ، اي كاتب ، تمثيلا صحيحا وانه لا بد من عرض كامل لاعمال كل كاتب عند عرض اي عمل من اعماله .

القاهرة **انور الجندي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طريـق الخيبـة

•

صفـاء الحيـدري

•

بغداد ـ العراق



كـان اللقـاء
حلـوا كشمس في الشـتاء
فأعذوذبت بفمي أناشيد اشتهاء
دخلت حياتي عنوة ، ودخلت عالمها المضـاء
كانت مسارح ليلها حمراء بحـاء النـداء
فبنيت جسرا بين فكرينا هبـاء
ما كان ثمة مـن رجـاء

وأطل ثالثنا القمر
يوما بوجـه من حجـر
كانت كواكبه تحدق في حـذر
كعيون صبيان الفجـر
فارتـد طرفـي للصفر
فرأيت في ضوء القمر
أطلال تلك مدينتي كقبور كوكب اندثـر
لم يبق منهـا من أثر
الا أنـــا
ومـدى النظـر
تمتد صحراء الضجـر
ظمـأ ، وموت منتظـر
ومحـاجـــر
مهما تـزاحم بالصـور
ستظل تهطل كالمطـر
في ذلك الليل العميق وراء أقبية البصر
توقـا لخيبـات أخـر
وهوى جديد لا يـذر
قاس كأسواط الضجـر

وعلـى طريـق اللالقـاء
ذهبت ، وعدت ، أجرر القدمين ، أنزف كبريـاء
وتنفست رئتي هـــواء
وتصاعدت بعض الدماء
لفمـــي
.... لوجهـي فـي عنـاء
فسمعت في صمتي بصحوة انتهـاء
صوتـا بأعمـاقي . نـداء
كخفوق أجنحـة الفراشة في المساء
عش مـا تشـــاء
وانس النسـاء

عادت معه وهي مرهقة .. يحوطها بيديه خشية ان تتهاوى على الارض، ورأسها مال على صدره .. لا تقاوم ذلك التعب الذي حل بها .. كان الوقت متأخرا من الليل .. عندما طرق « مراد » باب الشقة وهو يساند « سعاد » ..

وفتح الباب ..

كان في استقبالهما .. والدها .. ووالدتها .. واشقاؤها الصغار « وصلاح » ـ خطيبها ـ وأمه ..

وتسمرت نظراتهم جميعا عليهما وهما في تلك الحالة ، علاهم الوجوم .. وكان المشهد قد الجمهم لانهم لم يتوقعوه ابدا ..

وتهاوت «سعاد» على اقرب مقعد في البهو .. واخذتها أمها بين ذراعيها حتى توسدت صدرها ..

واستأذن « مراد » منصرفا ..

ولم يودعه احد من الحاضرين .. بل شيعوه جميعا بنظرات مملوءة بالتساؤل والحيرة والشك ..

ولما هبط الدرج .. عاد والد « سعاد » يسألها في حدة عما حدث لها والكل يتطلع في لهفة الى اجابتها وكيف تعرفت على « مراد » وهو معروف لدى الجميع بأنه ذو اخلاق سيئة .. مما لوحظ عليه من اهل الحي من النساء اللائي يفدن الى بيته كل ليلة ليقضي معهن ليالي حمراء ...

وقالت « سعاد » بصوت خافت متقطع النبرات :

ـ كنت عند « محاسن » صديقتي التي تسكن في نفس المبنى الذي يسكن فيه « مراد » ولما قضيت عندها وقتا طويلا انصرفت عائدة الى هنا .. وبينما كنت انزل الدرج .. فاجأتني الحالة التي تنتابني بين حين وحين ذلك الصداع الحاد وذلك الدوار .. فارتعشت خطواتي .. وخارت قواي قبل نهاية الدرج .. وانزلقت قدماي .. وسقطت ولست ادري بعد ذلك على وجه التحديد .. ماذا حدث لي ..

الا عندما استيقظت من غفوتي .. وطفت بنظراتي .. فوجدت نفسي داخل شقة « مراد » سألت نفسي كيف اتيت الى هنا .. هل حدث لي شيء .. هل مسني مكروه ..

ثم بكيت .. بكيت بغزارة ..

وقاطع « صلاح » حديثها قائلا :

ـ الم يسعفك احد من الجيران سواه ..

ـ قلت لا أعلم ما حدث لي .. بالضبط ..

وعاود سؤاله وهو يضغط بشدة على اسنانه في غيظ :

ـ كيف ذلك .. كيف ؟؟

واستطرد والدها قائلا والدموع تملأ عينيه وبوادر القلق على ملامحه :

ـ اكملي روايتك .. اكملي ..

ـ لم يعد لروايتي تكملة سوى

براءة .. ولكن

بقلم رستم كيلاني

ما قلته ..

وعاود والدها الحديث قائلا بصوت مرتفع :

ـ **قولي الحقيقة .. ماذا حدث** بينك وبين « مراد » ..

وفي استنكار بالغ اجابته :

ـ ماذا تقصد ..

فقاطع « صلاح » الحديث بقوله :

ـ **انت تعرفين ما يقصده والدك** .. اتنكرين ما فعله « مراد » معك ؟

ـ آخر شيء افكر فيه انك يا «صلاح» لا تصدقني ولا تثق في .. اقسم لك بأنه لم يحدث شيء بيني وبين « مراد » .. بل كان في



منتهى الاخلاق معي .. **نعم انتابتني** قشعريرة في بادىء الامر .. فقد حامت الظنون حول ذهني عندما رأيته أمامي ..

وارتفع صوت ام «صلاح» قائلة :

ـ كيف تحكمين عليه بالبراءة وقد كنت في دنيا اخرى .. كما تقولين ..

واطرقت « سعاد » برهة ثم قالت :

ـ يعلم الله كل شيء ..

وصمتت « سعاد » كأنما ارهق نفسها كل هذا الحديث .. ونظرت الى نفسها كأنما هي متهمة في ساحة القضاء دون اتهام ..

وانتقلت الى غرفتها .. ورقدت على فراشها ..

وفي اليوم التالي ..

جاء « صلاح » مصطحبا معه طبيبه الخاص للكشف عن علة « سعاد » .. **وبعد أنتهاء الكشف** .. القى الطبيب بين جدران البيت قنبلة **زلزلت أركانه .. ان سعاد لم** تعد عذراء ..

وفوجيء الجميع بذلك .. وارتسمت على وجوههم الدهشة .. وكاد الاب أن يهوي على الارض .. وضربت ألام على صدرها في جزع كمن فقدت ابنتها الى الابد في كارثة ..

وانسحب في سكون « صلاح » وطبيبه ..

وظل الاب **بين مد وجزر .. كاد** ان يضغط على عنق «سعاد» ويذهب الى مراد ليهشم راسه ..

وعندما علمت « سعاد » بالحقيقة **المؤلمة التي هبطت عليها كالصاعقة ..** أجهشت بالبكاء الحار .. وارتفعت درجة حرارتها .. واصابتها حمى شديدة حتى ظلت على أثرها ثلاثة اسابيع طريحة الفراش لا تغادره تهذي بكلمات غير مفهومة .

ولاحظت « سعاد » عندما تماثلت الى الشفاء ان « صلاح » طوال مدة مرضها ومنذ معرفة هذه الكارثة قد انقطع عن الحضور ..

حتى جاء ذلك اليوم التي حضرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه امه لتفسخ الخطوبة ..

وانتهى كل ما كان بين « سعاد » « وصلاح » .. لقد انقطع الخيط الذي كان يربطهما .. وانقطع معه أمل « سعاد » في مغادرة هذا المنزل الذي انقلب جحيما ..

وظلت « سعاد » تعيش في عذاب مرير في البيت .. اصبح والدها لا يطيق رؤيتها أو النظر اليها .. واحست بعد تلك الافعال انها تعيش في قفص من حديد ..

وبات العداء بينها وبين والدها سافرا .. يكرهها .. ويمقتها .. وتمقته .. كلاهما يعمل جهده على الابتعاد عن الاخر .. ويتحاشى الالتقاء في حديث .. او مجلس .. او مجردالوجود في أي مكان وحد .

وكانت تتمتم بين حين واخر بصوت مخنوق بالبكاء :

ـ الى متى يا الهي اظل هكذا فريسة للقلق والاضطراب .. انني لا ادري كيف اتخلص من حياتي التي يتخللها اليأس والحرمان .

فأنا اتعذب بقسوة بالغة .. أتعذب بل انا العذاب عينه .. ولكنني لا استطيع ان اتكلم فمتى تريحني من هذا الصراع المرير .. وذلك التفكير الذي يكاد يحطم رأسي .. يا الهي .. متى .. ؟؟

★

أجري التحقيق امام وكيل النيابة في الشكوى المقدمة من والد « سعاد » في اتهام «مراد» بالاعتداء على ابنته ..

وأمر وكيل النيابة احالة «سعاد» للطبيب الشرعي ..

وبعد ايام .. صرح وكيل النيابة أمام « مراد » و « سعاد » ووالدها .. بعد قراءة تقرير الطبيب الشرعي .. بأنه ليس هناك اي اعتداء تم بين « مراد » و « سعاد » حتى او مجرد الشك في حدوثه .. بل كل ما حدث ان عذريتها قد تمزقت نتيجة سقوطها من مكان مرتفع ..

ولم يصدق والد « سعاد » هذا الا بعد ان قرأ بنفسه التقرير للتأكد مرات عديدة .. وبيد مرتعشة طواه في جيبه كدليل ثابت لشرف ابنته .. واعتذر لـ « مراد » وتنازل عن شكواه ..

وعلت ابتسامة عريضة على وجه والد « سعاد » وكأن عبئا ثقيلا رفع عن كاهله .. واخذ ابنته بين أحضانه لاول مرة بعد تلك الفترة التي مرت عليها كسحابة سوداء قاتمة .. وقبلها وقد بللت دموعه خديها وهو يقول :

ـ شكرا لك يا ربي .. لقدشعرت



رستم كيلاني

●

الان براحة تغمرني .. وعودة كرامتي لقد رفعت رأسي يا «سعاد» حفظك الله يا ابنتي ..

★

صادف والد « سعاد » « صلاح » خطيب ابنته السابق .. وبلا شعور حدثه الاب عن الحقيقة التي تكشفت له وابرز له شهادة الطبيب الشرعي كدليل ثابت لبراءة ابنته من الوصمة التي كانت تحوطها ..

ولم يتحدث « صلاح » بل اطرق .. وعلاه الوجوم ..

جاء « صلاح » وأمه الى بيت « سعاد » في اليوم التالي طالبا يدها من جديد ولاعطائه فرصة جديدة لاصلاح الخطأ ..

وهمس الى « سعاد » محاولا ان يستميلها اليه :

ـ كان يجب يا « سعاد » ان أظل الى جانبك وان ارعاك بحبي ، ولكن كنت متسرعا في حكمي .. لقد دفعت الثمن غاليا .. لانني فقدت حنانك وحبك .. انني في حاجة اليك .. فلا تضنين علي ..

ولم تهزها كلماته .. الهامسة .. ولم يذب جمودها ..

وأطرقت « سعاد » برهة ثم تنهدت قائلة بعد ان احست انها لو وافقت على التحام الخيط الذي انقطع بينها وبينه سيكون ذلك امتهانا لكبريائها وكرامتها .. فقد عاشت وحدها محنة قاسية تعلمت فيها الكثير ..

ـ يا « صلاح » لقد اتخذت قراري الاخير ..

وفي تلهف قال :

ـ وما هو ذلك القرار ..

ـ آسفة .. لقد انتهى كل شيء ، ولم تعد ذلك الانسان الذي يملأ حياتي .. ويسعد خاطري .. فانت الذي وضعت هذه النهاية بيدك قبل التحقق من براءتي .. وعدم تريثك في أمر مشكلتي .. وعلى كل فلن يتمنى قلبي لك سوى كل سعادة مع من ستختارها هذا ما اتمناه لك ..

وسكتت ، وانتفضت واقفة وقد اخفت وجهها في المنديل .. واسرعت الى غرفتها .. وارتمت على فراشها .. وانكفأت على وجهها تبكي بحرقة.

وحينما لحقت بها امها لتسألها عن تسرعها فيما ردت به على خطيبها .. قالت بصوت مخنوق :

ـ يا أماه لقد ظهرت براءتي بيد السماء .. ولم تكن صورتي بريئة في مرآة نفسه .. وهذا حسبي .. وهذا قراري ..

القاهرة رستم كيلاني

أحمد سامح الخالدي - زهير الكرمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ احمد سامح الخالدي

الشعار الذي حمله أحمد سامح الخالدي وبشر به طيلة عمله في القطاع العام : « سقوط الانسان ليس فشلا .. وانما الفشل ان يبقى حيث سقط ! »

ولد في بيت المقدس عام ١٨٩٥ وتلقى دراسته الاولية في كولونية الاميركان وفي مدرسة المطران بالقدس ودرس الصيدلة في الجامعة الاميركية ببيروت ونال شهادتها سنة ١٩١٧ وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى خدم في الجيش العثماني ، وبعد ان وقعت فلسطين في قبضة الانتداب البريطاني عاد الى فلسطين واعتزل الصيدلة وعمل مفتشا في ادارة المعارف العامة للوائى يافا وغزة سنة ١٩٢٠ وانكفأ على طلب المزيد من العلم فنال درجة استاذ في التربية بالاضافة الى درجة استاذ في العلوم التي احرزها من الجامعة الاميركية .

وتقديرا لكفاءآته نقل مديرا مساعدا لمدير المعارف العام ، وفي ربيع ١٩٢٥ وصل اللورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم الى القدس ليدشن الجامعة العبرية فأضربت المدارس وكانت « دار المعلمين » في طليعتها ، فغض الدكتور خليل طوطح مديرها عهد ذاك الطرف عن تهدئة الاضراب واستئناف الدراسة فاستقال من منصبه واختارت ادارة المعارف العامة احمد سامح الخالدي مديرا لتلك الدار ومنحته بعض الصلاحيات والامتيازات واقرت اقتراحا تقدم به للمسؤولين هو تسمية ذلك المعهد بـ « الكلية العربية » ، وفي عهده تخرج عشرات من الشبان العرب المثقفين .

ولم ينسه منصبه الرفيع هذا ابناء الشهداء الذين فقدوا آباءهم دفاعا عن فلسطين ... فالف لجنة اسماها « لجنة اليتيم العربية العامة » (١) وانشأ مع اعضائها معهد ابناء الشهداء في دير عمرو (غربي القدس) وجمع التبرعات لتعليم اولئك الايتام .

وبعد النكبة المروعة الاولى التي عصفت بفلسطين سنة ١٩٤٨ نزح مع قرينته الاديبة السيدة عنبرة سلام الخالدي وابنائه الى لبنان وكرس حياته لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين ورعاية شؤون تعليم ابنائهم .

وفي ٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٥١ أصيب بضعف في قلبه ، وقضى نحبه بالسكتةالقلبية في مصيفه ببيتمري بلبنان .

من آثاره القلمية : أثرى المرحوم أحمد سامح الخالدي حقل التربية والتعليم وخزانة التاريخ العربي بمؤلفات نفيسة توخى فيها التوجيه والارشاد ، وعرض المفاخر التي فاض بها التاريخ العربي .

وفيما يلي اسماء الكتب التي صنفها المرحوم الخالدي :

١ ـ ادارة الصفوف ـ طبع سنة ١٩٢٨ و ١٩٤٣ .
٢ ـ أركان التدريس ـ طبع سنة ١٩٣٤ .
٣ ـ انظمة التعليم (جزآن) طبع الاول سنة ١٩٣٣ والثاني سنة ١٩٣٥ .
٤ ـ الحياة العقلية (مترجم) تأليف وود ورث
٥ ـ طرق التدريس المثلى ـ طبع سنة ١٩٣٧ .
٦ ـ رسالة اختبار الذكاء .
٧ ـ الطريقة المنتسورية في التربية والتعليم ـ تأليف ي. ج. هولمز
٨ ـ أهل العلم بين مصر وفلسطين ـ طبع سنة ١٩٤٦
٩ ـ نظام التعليم في العهد العثماني . (تذكر هذه الرسالة اسماء العلماء الفلسطينيين الذين تعلموا في مصر واستوطنوها او توفوا فيها ، والعلماء المصريين الذين سكنوا بيت المقدس او الخليل أو درسوا في معاهد فلسطين وكانت لهم بها صلة علمية ، وقد كان مصدر المؤلف الرئيسي كتاب « الانس الجليل » لمؤلفه مجيرالدين الحنبلي المقدسي ثم « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي وغيرها . وتبين هذه الرسالة ان الصلة العلمية بين مصر وفلسطين لم تنقطع منذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هذا .
١٠ ـ رجال الحكم والادارة في فلسطين (من عهد الخلفاء الراشدين الى القرن الرابع عشر الهجري) .
١١ ـ العرب والحضارة الحديثة ـ طبع سنة ١٩٥١
١٢ ـ المعاهد المصرية في بيت المقدس ـ طبع سنة ١٩٤٦ .
١٣ ـ رحلات « ديار الشام ـ طبع سنة ١٩٤٦ .
١٤ ـ أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ـ طبع سنة ١٩٦٨ .

والمخطوطات التي اخرجها الخالدي واحياها بالنشر هي :

١ ـ رسالة ترغيب الانام في سكنى الشام ،

---

(١) تألفت لجنة اليتيم العربية من السادة : احمد سامح الخالدي (رئيسا) الدكتور يوسف هيكل (سكرتيرا) رجائي الحسيني (امينا للصندوق) شفيق منصور (نائبا لأمين الصندوق) ميشيل ابكاريوس ، شبلي الجمل ، احمد طوقان ، أحمد خليفة ، أحمد القاسم ، رفيق بيضون (اعضاء) .

نعزالدين السلمي ، طبع سنة ١٩٤٠ .

٢ ــ فضائل بيت المقدس ، للواسطي .

٣ ــ مشير الغرام بفضائل القدس والشام ، لأبي محمود المقدسي ، طبع سنة ١٩٤٥ .

٤ ــ الاعلام بفضائل الشام ، للمنيني ، طبع سنة ١٩٤٦ . (أضاف اليه ملحقا في تراجم الصحابة والتابعين الذين نسبوا الى الشام أو نزلوا بها او استشهدوا فيها)

٥ ــ اقنعة الحب (مترجم) تأليف الدكتور شتيكل طبع سنة ١٩٤٦ .

ومن مؤلفاته المخطوطة :

١ ــ تاريخ المعاهد الاسلامية (في ثمانية مجلدات تناول فيها تطور الثقافة عند المسلمين والعرب في سائر معاهدهم مما انشأوه في الشرق والغرب) .

٢ ــ الاردن في التاريخ الاسلامي .

٣ ــ تاريخ بيت المقدس

نموذج من نثره : « لم يبق هناك من يناقش في ان اللغة الوطنية يجب ان تصبح لغة التعليم في جميع مراحله من بستان الاطفال حتى الجامعة ، وليس من امة بحاجة الى هذه العقيدة كأمتنا التي هي في بدء نهضتها الان ، و لتي لم تتح لها الظروف في القرون الاخيرة ان تسيطر على مقدرات ابنائها من الوجهة التعليمية . ولا مشاحة في ان كل اصلاح اجتماعي يجب ان يبنى على اساس هذا المبدأ . فالامة لا تحيا الا بحياة لغتها وآدابها وثقافتها . أما ما يقال عن لعقبات في هذا الصدد فتذليله اصبح ممكنا فيما يتعلق بالتعليمين الابتدائي والثانوي وممتدا العالي . ولا عبرة بكلام من يدعي غير ذلك او ينتحل الواهي من الاعذار . والثابت المقرر انه لا يمكن للامة ان يستقيم تفكيرها ، وان تتبوأ مكانتها بين الامم الا اذا تمكنت من التعبير عن أفكارها وعواطفها بلغتها الوطنية .

قال ليبنتز احد دعاة التعليم باللغة الوطنية في المانيا وقد عاش هذا الفيلسوف في اواخر القرن السابع عشر ، منتقدا استعمال اللغة اللاتينية كلغة تدريس : « ان نجاح الهيئة الاجتماعية لا يتم الا اذا اصبحت اللغة الوطنية لا اللغة اللاتينية لغة لتدريس ، ذلك لان الاولى هي ناقلة الفكر الى الزمن الحاضر في حين ان الثانية هي ناقلة الفكر التقليدي . ولما اهمل العلماء لغتهم الوطنية اضطروا الى البحث في امور تافهة فكتبوا والفوا ولكن كتاباتهم لم يتجاوز أثرها رفوف المكتبات ، أما الامة بسوادها فقد بقيت منعزلة عن هذه الجهود والابحاث ، فاللغة الوطنية الراقية الحية النامية هي كالزجاج المصقول صقلا فائقا ، تزيد في حدة الذهن ، وتجعل الفكر واضحا شفافا » .

والعلاقة بين المانيا في ذلك القرن وحالتنا الحاضرة بينة ظاهرة ، وفي هذا القول اعظم جواب لمن لا يؤمنون بأهمية التعليم في اللغة الوطنية .

ليس من الممكن وقد تأخر الشرق عن الغرب في مضمار المدنية ، ان يتمكن الطالب الشرقي من متابعة التقدم العلمي اذا لم يعرف لغة اجنبية حية الى جانب لغته القومية ، من اجل هذا يجب على المدارس ان تعنى بتدريس ما لا يقل عن لغة اجنبية واحدة ، ليستطيع الطالب ان يسد بواسطتها النقص العلمي والفني في لغته الوطنية ، على ان المهم ليس قدرته على التكلم بتلك اللغة وانما المهم ان يصبح قادرا على فهم تلك اللغة والتلذذ بقراءة كتب العلم والادب فيها ، اما التخاطب والكتابة فلهما الشأن الثاني . والمهم ان لا تصبح اللغة الاجنبية فعالة في التخاطب والكتابة والقراءة فتتأثر اللغة الوطنية ويهمل شأنها ، وهو ما يجب على المدارس ان تتحاشاه .

لقد اجمعت الامم الراقية على ان التدريس في المدرسة الثانوية يجب ان يكون عاما اي ان يشتمل الى درجة معقولة على تمرين جميع القوى وتنشئتها وان لا يقتصر في ذلك على ناحية واحدة سواء اكان ذلك في العلوم المجردة ام في العلوم التطبيقية ام في الاداب أم في ذلك النوع من التعليم الذي يرمي الى اعداد الطالب للدخول في الاعمال الكتابية او ما يشبهها من الاعمال البسيطة ، بعد ان يكون قد جهز بشيء من المعرفة تتعلق بما سيقوم به بعد تخرجه من المدرسة .

وينبغي ان تضع المدرسة الثانوية امامها هدفا واضحا هو تنشئة وتمرين جميع القوى في جميع انواع التربية المختلفة . وتفشل المدرسة اذا سلحت طلابها بتربية عامة صحيحة واخرجتهم وقد اهملت قوة او ناحية من قواهم ، او انمت قوة من هذه القوى على الاخرى ، سواء اعدتهم للحياة ام للدراسة العالية .

ان التخصص في اية ناحية معينة يجب ان لا يتم الا بعد ان يصل التعليم العام الى مستوى تتشبث معه في الطالب ملكة تمرين جميع هذه القوى بحيث يحصل الفرد على اساس معين في الحياة يتعرف بواسطته على كيفية تركيب العالم الطبيعي وما يشمل من قوانين كذلك على صحة استعمال الفكر والقوى ، وعلى مقدرة عملية تساعده على البدء بمعالجة شؤون الحياة المادية والمعنوية . قال البروفسور كوس الالماني : « ان الغرض من المدرسة الثانوية ينحصر فيما يأتي :

١ ــ تنشئة المسؤولية المدنية الاجتماعية الخلقية في الطالب .

٢ ــ اشتراك الطالب في تقدير البديعيات والاستفادة من اوقات الراحة والفراغ .

٣ ــ حصول الطالب على كفاءة في المهنة التي يستعد للدخول فيها (يشمل ذلك استعداده للمعاهد العالية) .

٤ ــ الكفاءة الجسدية .

واما عمل المدرسة الثانوية فيشتمل على ما يأتي :

١ ــ فتح ابواب للاذكياء للدخول في التعليم الثانوي بدون النظر الى طبقة الطالب الاجتماعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ اهتمام المدرسة بما بين الطلاب من الفروق في الذكاء والقابلية والمقدرة .

٤ ـ اهتمام المدرسة بدور الشباب وما فيه من أخطار وما له من خصائص .

٥ ـ تجهيز الطالب بالمعرفة والمهارة في طرق التفكير والعمل الاساسية .

٦ـ مساعدة الطالب على الاستفادة مما تدرب عليه في المدرسة ، بنقله للحياة .

هذه هي أهم اغراض المدرسة الثانوية وهي ما يجب ان ترمي اليه المدرسة الراقية الحديثة في اخراج الشبان المهذبين المثقفين المستعدين للدخول في معترك الحياة وقد جهزوا بتدريب يساعدهم على تفهمها كما هي لا كما تظهر ، اذ ليست الغاية من الحياة ان نصبح جميعا محامين او أطباء او فلاسفة او معلمين او علماء ، ولسنا متساوين في قوانا الموروثة ، ولكننا خلقنا جميعا لحياة فيها واجبات اجتماعية عظيمة الخطورة ، وكل منا مسؤول عما يصدر عنه من التأثير الشخصي على غيره ، فالمثقف المهذب من يستعد لتحمل هذه المسئولية العظمى ، والويل لمن لا يقدر خطورتها فان مثله مثل الحشرات الضارة السامة ، التي لا تشعر بما تلحقه من الاذى والضرر في البيئة التي تنزل فيها » .

٢ ـ زهير الكرمي

الحكمة التي آمن بها « زهير » وتغنى بسمو مغزاها ، كفلسطيني فقد وطنه ، قول المهاتما (غاندي) :

« ليس امامكم يا بني قومي الا واحدا من اثنين : اما ان تناضلوا في سبيل التحرير والمجد ، فتحيوا مخلدين عبر الاجيال والتاريخ .. او تموتوا ميتة العبيد الاذلاء ! » .

ولد « زهير » في دمشق سنة ١٩٢١ ، وبحكم عمل المرحوم والده في سلك التعليم توزعت دراسته الابتدائية بين عمان والقدس وغزة والخليل . وفي سنة ١٩٣٥ دخل الكلية العربية بالقدس ، ونظرا للاضراب العام الذي تحدى به عرب فلسطين الصهيونية والاستعمار احتجاجا على بيع الاراضي وتدفق الهجرة اليهودية مشروعة وغير مشروعة .. انضم « زهير » الى كلية النجاح الوطنية بنابلس ونال شهادتها الثانوية سنة ١٩٣٧ وقصد الجامعة الاميركية في بيروت وعاد منها الى فلسطين بشهادة بكلوريوس علوم سنة ١٩٤١ وعين استاذا للعلوم في ثانوية طولكرم وامضى فيها ثلاث سنوات وفي سنة ١٩٤٤ قررت ادارة المعارف العامة نقله الى بيت المقدس رئيسا للقسم العربي للامتحانات العامة .

وفي سنة ١٩٤٥ أوفدته ادارة المعارف العامة بعثة الى القاهرة لدراسة المصطلحات العربية العلمية وفي سنة ١٩٤٦ قصد لندن مبعوثا لدراسة علم الاحياء في « الكلية الامبراطورية » ، وكانت دراسته فيها معادلة لشهادة الماجستير . وفي سنة ١٩٤٨ عاد الى فلسطين بعد مؤتمر الطلبة العرب المنعقد في لندن ، وفيه اتخذ الطلبة العرب بالاجماع قرارا ينص على تعليق دراستهم الجامعية والعودة الى حلبة الجهاد في فلسطين لكن هذا القرار لم ينفذه أحد سواه ! .

وفي منطقة طولكرم عمل « زهير » مع السيدات العربيات واسسن معهن « مستشفى الجهاد » ، وعقب افتتاح المدارس سنة ١٩٤٩ كلفته وزارة التربية والتعليم الاردنية التدريس في كلية الحسين بطولكرم « مدرسة خضوري الزراعية سابقا » واعطاء حصص اضافية باللغة الانكليزية والعلوم في ثانوية طولكرم وبقي يعمل في حقل التعليم هناك الى سنة ١٩٥١ اذ زار الاردن المربي المرحوم درويش المقدادي ، وكان عهد ذاك مديرا عاما لمعارف الكويت ، فكلفه العمل في معارف الكويت لتأسيس تدريس العلوم فيها ، اذ لم تكن العلوم تدرس هناك قبل انضمامه الى جهاز التعليم الكويتي ، وهناك شارك في الحياة الادبية والرياضية والاجتماعية والثقافية ، وكانت وقتئذ غضة لدنة ... وفي سنة ١٩٦١ اصبح مفتشا للعلوم وفي سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ عين رئيسا لمفتشي العلوم في وزارة التربية والتعليم بالكويت .

وفي هذا القطر العربي الناهض لم يبخل « زهير » بعلمه على بني جلدته فأذاع عشرات الاحاديث العلمية والادبية من الاذاعة الكويتية واجرى المسؤولون معه لقاءات في التلفزيون ، وكان له برنامج تلفزيوني لتبسيط العلوم لعامة الشعب أسماه « العلم في حياتنا » ، ومؤخرا استبدل هذا العنوان بآخر هو « العلم والحياة » وله برنامج تلفزيوني آخر بعنوان « ندوة الراي » وهو عبارة عن بحث قضية من قضايا الساعة يشترك فيه ثلاثة او أربعة اشخاص مثقفين يبدون فيه آراءهم بحرية مجردة !

آثاره القلمية : الف الاستاذ الكرمي ستة وثلاثين كتابا مدرسيا في العلوم والصحة لمختلف مراحل التدريس ودور المعلمين في الكويت وقد عرفنا منها :

١ ـ علم الحياة ـ في ٣ أجزاء
٢ ـ العلوم العامة ـ في ٩ أجزاء
٣ ـ العلوم العامة لدور المعلمين ـ في ٤ أجزاء
٤ ـ الكيمياء ـ في ٣ أجزاء
٥ ـ الفيزياء ـ في ٣ أجزاء
٦ ـ الجيولوجيا ـ في ٣ أجزاء .
٧ ـ مرجع اليونسكو في تعليم الجغرافيا ـ صنفه بطلب من اللجنة المركزية للجان الوطنية لليونسكو .

ومن الكتب العلمية التي صنفها ولم يدفعها بعد للطباعة :

١ ـ مرجع تعليم العلوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ العلم في حياتنا

٣ ــ ازمة تدريس العلوم في العالم العربي

نموذج من نثره : « قلما يعي المربون في العالم العربي انهم يعيشون ازمة صارخة تتعلق بمفهومهم للعلم واسلوب تدريس العلوم لابنائهم اليوم ــ الذين هم رجال القرن الحادي والعشرين ، وقلما يشعر هؤلاء المربون بأن الازمة من الضخامة والعمق بحيث انها تهدد كيان العالم العربي ومستقبله. وفي غياب هؤلاء المربين عن مسئولياتهم يتركون المجال رحبا لمحاولات العاطفيين ملء الفراغ وايهام رجال اليوم بأن لسبيل للحاق بالركب العالمي هو في تبني مبادىء معينة واعتماد فلسفات اجتماعية مقتبسة .

وفي هذا العصر العلمي سيطر العلم على جميع مناحي الحياة وتغلغل في صميم تصرفات الناس ــ قادة وشعوبا ــ حتى انه يبدو من العسير تصور الحياة الانسانية كما نعرفها بدون العلم وتطبيقاته .

ولعل في سيطرة العلم في هذا العصر على فلسفة حياة بعض الامم السر في تقسيم الدول الى متخلفة او نامية ، ومتقدمة ، اذ ليس صحيحا ان ثراء الامة او وفرة مواردها الطبيعية هي الوسيلة لرقي الامة وتقدمها في ركب الحضارة كما هو واضح من كثير من الامثلة في منطقة الشرق الاوسط والعالم بأسره ، وهذا الاتجاه الخاطىء هو ما يعتنقه رجال الاقتصاد في العالم العربي .. ووجهة نظرهم هذه مع الاسف هي المسيطرة على مخططات التنمية بشكل عام . ونحن لا ننكر ان الوسائل المادية ضرورية وهامة ولكنها لا تعدو كونها وسيلة مساعدة على التنمية والتطور وهي وحدها لا تستطيع تحقيق النمو والتطور الى مرحلة التقدم .

وقد تنبهت هيئة الامم المتحدة الى اهمية العلم في تقريب الهوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة فعمدت لاول مرة في التاريخ الى ايلاء هذا الموضوع عنايتها وجعلت العقد الحالي من سنة ١٩٦١ ــ ١٩٧١ زمن التركيز عليه واسمته عقد التنمية والتطور وفي شباط (فبراير) عام ١٩٦٣ دعت الى اجتماع دولي هام في جنيف عقد لاول مرة وجمعت فيه علماء العالم المتقدم والمتخلف او النامي مع المسئولين عن التنمية في دول العالم ، (وقد اربى عدد العلماء فيه على ١٦٠٠ عالم) وتباحث الجميع بالصراحة العلمية المعهودة ، في الوسائل والسبل الكفيلة بتنمية وتطوير الدول المتخلفة او النامية وخرج المؤتمر بتوصيات عدة لعل اهمها ان الوسيلة الاولى الواجب الاخذ بها لتنمية وتطوير الدول المتخلفة هي العلم .. ان ان الواضح ان الدول المتقدمة لم تصل الى هذا الطور الا بالعلم واتخاذه اساسا لفلسفة حياتها وما يتصل بذلك من تفكير علمي وبحث علمي وتطبيق علمي .

ومفهوم « العلم » غير واضح في اذهان الكثيرين وبخاصة المربين بما فيهم الذين يقومون فعلا بتعليم العلوم في المراحل المدرسية المختلفة . وينتج عن ذلك تعذر الافادة من العلم كأول واقوى وسيلة للتطور والنمو . فالكثير من المثقفين يرى العلم في تطبيقاته او فيما يعرف بالتكنولوجيا ، والكثير من المربين يرى العلم في حقائق ينبغي على الطلاب حفظها واستظهارها وفي خير الحالات فهمها باستخدام الوسائل المعينة واكساب العملية صفة تربوية كاذبة .

ونحن في العالم العربي ، نعاني من غموض مفهوم العلم ونرى أثر ذلك في التخبط والارتجال في المناهج والكتب وطرق التعليم والتدريس ، كما نراه في ضعف البحث العلمي وقلة العلماء على المستوى العالمي وضحالة انتاجهم العلمي .

ولعل ذلك راجع في بعض اسبابه ، الى ان العالم المتقدم عانى ثورة علمية وتكنولوجية بكل ما في كلمة ثورة من معنى ، وبكل ما يصاحبها من قلب لكثير من المفاهيم وقواعد التفكير وأساليب العيش ، بينما نحن نريدها عملية انتقال هينة سلسة هادئة . والثورة العلمية والتكنولوجية اصعب من الثورة الاجتماعية او السياسية لان ميدانها العقل واساليب التفكير لا العلاقة الانسانية وقوانينها ولانها لا تعتمد القوة ولا الاكراه سلاحا او سبيلا.

وقد حاولت معظم الدول المتخلفة او النامية تقليد مظاهر هذه الثورة باقتباس نظم المؤسسات العلمية التي نجمت عن الثورة العلمية والتكنولوجية في العالم المتقدم ، وتقليد عمليات البحث العلمي فكانت النتيجة اننا نرى في معظم دول العالم تشابها في الشكل واختلافا في الجوهر وتماثلا في الهيكل العام وتباينا في المحتوى والمضمون . وصار التركيز على الشكل سبيلا لايهام النفس بأننا سائرون على الدرب .. وعلى هذا نرى بلادنا العربية مجالس عليا للبحث العلمي متعددة ، دون ان نرى اثرا للبحث العلمي على المستوى العالمي . كما نرى الجهود تبذل والاموال تنفق في سبيل ايفاد البعوث واعداد الباحثين العلميين حتى اذا ما عاد هؤلاء ، وفيهم الجيدون، لم يجدوا مجالا لممارسة البحث العلمي ولم يجدوا رعاية . وتكون النتيجة ان يقنع الواحد منهم بما قسم له او يبحث له عن عمل يكون غالبا غير ذي علاقة باعداده . وفي حالات يفضل الهجرة الى المكان الذي تدرب فيه مسهما بذلك في زيادة ما يسمى بالنزف العقلي عند امته .

وهناك مظهر اخر تتميز به الدول الشرقية عامة والعربية خاصة ويزيد في حدة المشكلة وضعف الاخذ بالفلسفة العلمية . وهذا المظهر هو حرصنا على ان لا تؤثر الفلسفة العلمية في تقاليدنا ومفاهيمنا المتوارثة . ويتخذ هذا الحرص صورة محاولة جلبية الفلسفة العلمية الحديثة بجلباب من تراثنا ، كما يتخذ في احيان صورة رفض هذه الفلسفة والدعوة الى نبذها والعيش في الماضي . وكلا المحاولتين خطأ يدل على عدم فهمنا فهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حقيقيا معنى « العلم » و « التكنولوجيا » واثرهما على الفرد والمجتمع . ونحن في ذلك كمن يحاول ان ينقذ ابنه الغريق دون ان يبتل بالماء .

ان علينا ان نفهم من طبيعة الثورة العلمية ان يكون لها نتائج تؤثر على الفرد والمجتمع فمن نتائجها على الفرد شعوره بالقلق وعدم الاستقرار في هذا العالم نتيجة للتغيرات التي تحدث كل يوم والاكتشافات والاختراعات التي تضطره الى تكييف نفسه لها بشكل مستمر ، ومن نتائجها ايضا فقدان الفرد لاستقلاله بتزايد اعتماده على سلطات معنوية . فالفرد الذي كان في الماضي يذهب لعين ماء القرية ليستقي ، أصبح اليوم يعتمد على سلطة توفر له الماء وقد ينقطع الماء عنه فترة دون ان يكون له في كلتا الحالتين دخل . واصبح الفرد اليوم لا يستطيع أن يحل بعض مشاكله وحده بل عليه أن يعتمد على الجهد الجماعي ـ وهكذا بينما يتمتع بنتاج الجهد الجماعي (كحفظ صحته من المرض) يجد المرء انه بنفسه كفرد قليل القوة والاثر في المجتمع . ومن نتائجها ايضا زعزعة بعض التقاليد الراسخة المتوارثة . وهذا أثر مؤلم في الحياة الاجتماعية نرى اعراضه واضحة في المجتمعات الغربية . ويؤدي على صعيد الفرد الى تحطيم مراسيه النفسية وما يتبع ذلك من انتفاضة على العرف واحساسه بشعور الغربة وعدم التبعية لمجتمعه واسرته .

هذه بعض النتائج التي يمكن اعتبارها سيئة والتي تنتج عن الاخذ بروح العلم فالتكنولوجيا كفلسفة تفكير وحياة في امة من الامم .

ولكن هذه النتائج « السيئة » يقابلها في ناحية اخرى نتائج طيبة تفوقها اثرا ، فعن طريق روح العلم والتكنولوجيا نستطيع ان نأمل بحياة افضل لغالبية الناس الذين كانت حياتهم من أولها لاخرها سلسلة متصلة من العمل المرهق الدؤوب في سبيل لقمة العيش فقط . ومن هذا الطريق وحده نأمل بصحة افضل وانخفاض في وفيات الاطفال وعمر اطول للجميع . كما نأمل ، نتيجة لما يوفره لنا العلم والتكنولوجيا من وقت واسباب ، بآفاق اوسع من المعرفة والثقافة لكل الناس وقد كانت حتى عصر العلم مقتصرة على نخبة قليلة من المحظوظين ماديا واجتماعيا .

وفوق ذلك ، فان تصارع القوى في العالم قد أخذ العلم والتكنولوجيا سلاحا له ، وبقدر تفوق أي فريق علما وتكنولوجية تعقد له الغلبة . ولعل نظرة فاحصة للتاريخ ترينا انه في الماضي كانت نتيجة اي صراع تتقرر بقوة الجيش الدافعة التي كانت تولدها الى جانب قوته المادية التقاليد والايمان وحب التضحية . وكثيرا ما نرى نماذج لقلة غلبت كثرة . وفي هذه الحقبة كانت كفة الشرق هي الراجحة غالبا في الصراع من اجل السيطرة . وذلك ان الشرق هو موطن التقاليد والايمان .

ولما بدات الثورة العلمية والصناعية والتكنولوجية في الغرب ، وأخذ بها الغرب اسلوب تفكير وفلسفة حياة دخلت في الميدان كسلاح اضافي رجح كفة الغرب ، فبدات حقبة الاستعمار وواضح انه لولا ان قوة العلم والتكنولوجيا كانت تسند الغرب لما استطاع بعدده القليل ان يسيطر على الشرق بروحيته العظيمة واعداده الكبيرة مهما كانت الدوافع الاقتصادية حيوية وهامة بالنسبة له .

وقد رأينا منذ بدء حقبة الاستعمار كيف تلون بأشكال متعددة فقد بدا استعمارا عسكريا ثم تحول الى استعمار سياسي واقتصادي ثم أخذ شكل الاستعمار الاقتصادي والعقائدي ، واليوم يبدو وكأن الاستعمار يلفظ انفاسه في العالم ، غير ان الحقيقة هي انه يمر في فترة تحول من شكل اقتصادي عقائدي الى شكل علمي تكنولوجي . فالدولة المتخلفة بالرغم من مظاهر استقلالها المتكاملة ، تعتمد على دول متقدمة في استيراد كل نتاج العلم والتكنولوجيا وتصدر له بالمقابل نتاجها الزراعي والمعدني وتقترض منه . ويتزايد اعتمادها على الدول المتقدمة بتزايد سكانها وحاجاتها مع الزمن الى ان تصبح غير قادرة على العيش دون هذا الاعتماد . فان لم يكن هذا استعمارا اشد من أشكال الاستعمار التي عرفت سابقا ، فماذا يكون ؟ . وليست هذه العلاقة غير المتكافئة بخافية في الدول المتخلفة او النامية ولذا نجد الاقتصاديين يخططون لما يسمونه بالاكتفاء الذاتي ، بتصنيع دولهم .

غير اننا لو فحصنا ما يعملون بعين تنظر الى الحاضر والمستقبل في آن واحد لوجدنا خللا كبيرا في هذه المخططات . ذلك انهم يخططون للتصنيع حسب مستوى الصناعة في وقت التخطيط غير آخذين بعين الاعتبار ان العلم يخطو كل يوم خطوات وان تقدم العلم يعني تقدم التكنولوجيا والصناعة . وان صناعة اليوم لن تكون بمستوى الصناعة العالمية غدا . واحب ان اضرب مثلين على ذلك : الاول ـ لنفرض اننا استوردنا مصنعا ما ، وبدانا ننتج سلعة ضرورية للمواطنين وقمنا بالحماية الجمركية لهذا الانتاج فترة ما . وتمضي السنوات والحال جيد ، ثم يبدأ المواطنون بالشكوى من أن مستوى الانتاج قد هبط في الجودة والمستوى ، وقد يتحملون فترة اخرى بدوافع الوطنية ، ثم ينصرفون عن الانتاج المحلي بوسائل متعددة . فما السر في ذلك ؟ من الحق ان نقول ان الانتاج لم يهبط في معظم الحالات لا في الجودة ولا في المستوى . ولكن المستوى العالمي ارتفع بفضل البحث العلمي المستمر . ومن هذا يتضح ان التصنيع الجاري في البلاد العربية يفتقر الى عنصر البحث العلمي الحيوي له .

ولم يسمع أحد بأن أي مصنع في البلاد العربية ملحق به مختبر للبحث العلمي مهمته تحسين الانتاج والكشف عن مجالات انتاج جديدة كما هو الحال في البلاد المتقدمة .

والمثل الثاني من الارجنتين ـ فقد كانت الارجنتين

اطلالة من الشباك

عينـــاي عالفتـــان بالشـــباك ... أتـرى علـى جنباتـه القـــاك
ان لم ار الوجـه المليح وحسـنه ... فعسى تطـــل به علي يـــداك
وهما كزنبقتين فـي رأد الضحى ... تتالقـــان نضـــارة كصبـــاك
في الحي امشي والفؤاد يدلنـي ... والى حماك يشدني وهـــواك
وأقبل البيت الحبيب بنـاظري ... آو اليـــه لانـــه مـــأواك
سناك لؤلؤتان صاغهمـا الهـوى ... كالخاتمـين علـى عقيـق لمـاك
أعطاك ربـي خير ما اعطى الورى ... من فتنة سـبحان مـن أعطـاك
اطلالـة جـودي بهـا يا منيتـي ... حتى ولو كانـت مـن الشبـاك

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

تصدر قطنها الخام وتستورده من الولايات المتحدة قطنـا مصنوعا ، الى ان قررت تصنيع القطـــن في بلادهـا . فاشترت مصانع فخمة كلفتها مبالغ طائلة وما ان بدأ الانتاج حتى طلع العلم بالقطن الذي لا يكوى فاضطرت الى تبديل جزء من المصنع واضافة جزء آخر بتكاليف بلغت الثلث من تكاليف المصنع كله وذلك حتى تستطيع مجاراة مستوى الانتاج العالمي . ومن يدري فقد يخرج العلم على العالـم بتقدم اخر في مجال صناعة القطن يضطرهـــا للتغـير والتبديـل .

من كل هذا يتضح انه لا خيار للعالم العربي في خضم هذا الصراع القائم الا ان يتسلح بسلاح العلم الذي ينقصه. فمن أيـن نبـدأ ؟؟ .

لقد حاولت كثير من الدول في العالم العربي البدء من حيث انتهت اليه الدول المتقدمة فانشـــأت مراكـز للبحث العلمي واوفدت البعوث للتدريـب على البحـث العلمي . واقامت وزارات ثم استبدلتها بمجالس عليـــا لرعاية البحث العلمي وتنسيقه .. الى آخر ما هنالك من مثل هذه الاجراءات .

ومع ان هذه الاجراءات تبدو سليمة ومنطقية الا انها لم تؤد الى النتائج المرجوة ولم تنجح أي من دول العالـم العربي في الوصول الى مصاف الدول المتقدمة في ميدان العلم والبحث العلمي لا كما ولا نوعا . وما زالت جميعهـا معتمدة على الدول المتقدمة اعتماداً علميا يكاد يكون كليا . لا بل ان مستوى البحث العلمي في مهـــده الطبيعـي ـ الجامعة وكليات علومها ـ في هبوط لا ارتفاع ، ونتيجة لذلك تتزايد حاجتنا لايفاد البعوث الى الخارج من جانب واحد ـ جانبنا نحن بدلا من أن تكون تزايدا في تبـــادل البعثـات .

ولو نحن تفحصنا سر الخلل هذا لوجدنـا سـببا جوهريا واحدا واسبابا ثانوية فرعية متعددة . اما السبب الجوهري فيكمن في سوء اعدادنا لعلمائنا علميا الى حـد يجعل من المتعذر عليهم في الغالب القيام بأبحاث علميـة مبدعة خلاقة . ومن الاسباب الثانوية الفرعيـــة عـــدم الاستقرار ، وعدم رعاية الدولة للبحث العلمي وتوفـير العيش الرخي للعالم وعدم وعي المجتمع لاهمية عمـــل العالم في بحثه العلمي .

ان اعداد العلماء للبحث العلمي لا يبدأ بعد مرحلـة الدراسة الجامعية كما نفعل نحن حاليا ، بل يبـدأ منـذ السنة الابتدائية الاولى وعند اول درس للعلوم ـ بل لعله يبدأ منذ مرحلة الطفولة في البيت . ذلـك ان البحـث العلمي هو اتجاه فكري واستعداد عقلي قبل أن يكـــون مهارة علمية في طرق البحث العلمي . ولما كـان الطفـل يتشكل فكريا في سنوات دراسته الاولى كـان علينـا ان نعنى بخلق الاتجاه الفكري والاستعداد العقلـي للبحـث العلمي عنده منذ نعومة اظفاره .

ولكن نظرة واحدة الى مناهج العلوم وطرق تدريسها في المراحل الدراسية المدرسية والجامعية تدلنا على أن آخر شيء نفكر فيه هو خلق الاتجاه الفكري والاستعداد العقلي للبحث العلمي عند طلبتنا » .

عمان ـ الاردن ... البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من رسائل الشاعر بدر شاكر السياب

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

* * *

اخي العزيز صالح

اكتب اليك وانا في اشد حالات المرض واقساها ، ولكنني احس ان الوحشة وطأة أثقل من وطأة المرض . لقد انتظرت ، طويلا ، ان توافيني رسالة منك . لقد قلت انك ستبدأ بالكتابة ... ولكنك معذور ، واني لأكاد احزر السبب الذي جعلك تنسى او تتناسى ان هناك انسانا مستوحدا تخفف رسالتك بعض احزانه . انه الربيع ، ليس الازاهير وحدها هي التي تتفتح في الربيع ولكنها القلوب والارواح . ولعل الربيع الخليع قد مد اناملة الرخصة الى قلبك يدغدغه ويوقظه الى الحب او لعل اقتراب الامتحان هو الذي صرفك عن كل شيء سوى الدرس والاجتهاد .

اما أنا فلا احس للربيع وجودا — « هو الربيع ... ولكن عند أهليه » ولست من اهل الربيع . نعم ان الريف تكسوه حلل من سندس ، كما يقولون ، وصحيح ان مزارع النخيل وغاباته مزدانة بالصفراء والزرقاء من الازاهير ، وان اشجار الرمان موقرة بالجلنار — ولكنني في شتاء حزين ، لا ازال أتمثله في خيالي : المطر ينهمر ، وقطرات منه تتساقط على زجاج النافذة ، وتسيل في بطء وكآبة !!! ولماذا ارهقك وارهق نفسي بهذه الصور المفجعة ؟ .

لا شك في انك تتذكر انني كلفتك بأن تخبر لانسة لميعة ان تعيد الي كتابا كانت قد استعارته مني ، هو ديوان الشاعر الانكليزي روبرت بروك ، ولست ادري : أنبأتها فتغافلت هي عن ارساله ام انك نسيت امر الكتاب ، ارجو منك ومنها ارسال الكتاب لان بي رغبة ملحة الى قراءته هذه الايام .

لست ادري ، هل صدر ديوان الانسة نازك الملائكة « شظايا ورماد » الى الاسواق ام لا ؟ وماذا جد في عالم الشعر والادب خلال هذه المدة ؟ وبهذه المناسبة ماذا عن « اساطير » ؟ ومتى يتفضل جناب الخاقاني بطبعه ، ارجو — فيما بعد طبعا — ان تأخذوا الديوان منه وترسلوه الي في البريد المسجل ، فاني ارى رجلا مماطلا !

مضى أكثر من اسبوع ، منذ ان خططت السطور الاولى من هذه الرسالة ، وهأنذا اعود الى الكتابة مرة ثانية بعد فترة من المرض الملح ، والشفاء الكاذب — وقد انتكست الان ، بعد ان ذهبت جهود الاطباء هباء ، وذهب معها ما أملك من دراهم قليلة واصبحت انتظر ما يأتي به الغد من جديد والداء يزداد عنفا وشدة ! ولكنني مطمئن الى شيء واحد : هو انني لن اموت في القريب العاجل ، لان في الموت راحة ، وقد قدر لي الا ارى راحة ، وان اجتاز محنا كثيرة غير هذه المحنة ..

لعلك تفهم احاسيسي ومشاعري في هذه الفترة ، اذا عرفت القصائد التي اولعت بها اكثر من سواها وقرأتها مرارا حتى كدت احفظها — والحفظ شيء بغيض لدي لانه يجرد القصيدة من روعتها — أعجبتني قصيدة للشاعر الانكليزي جون ماسفيلد عنوانها To C. L. M. وهي موجهة الى امه المتوفاة ، أترجم المقطع الاول منها ثم الخص لك مضمون المقاطع الاخرى :

« في الترحم المظلم ، حيث وجدت اول مرة ، جعلتني حياة امي بشرا سويا ، وكان جمالها يغذي ارضي القاحلة ويرويها خلال أشهر الحمل التسعة الطوال : فلم اك قادرا على ان ارى ، او اتنفس ، او اتحرك الا بموت بعض منها . »

ثم يدرك الشاعر ان امه — وهي في قبرها المظلم العميق — لا تستطيع أن تبصر هذه الحياة التي وهبت واعطت ، أفي الخير توجه ام في الشر والخراب ؟ وهي لاتستطيع كذلك ان تطرق الابواب المتربة باحثة سائلة — لترى ان ذكراها قد طمست في الاذهان ، ولو كان ممكنا ان القبر يفتح ابوابه ، ما استطاعت ان تعرف ابنها الصغير — لقد ترعرع واصبح رجلا كبيرا — وقد يلتقيان في الشارع فتمر الى جانبه ثم تواصل سيرها ، كما تمر بشخص غريب — « ما لم يجعلها (وجه روحي) ترى ما انطبع فيه من احساس بالشكر لها جزاء لبرها العميم » .. ثم يسائل نفسه : بأي شيء وفى دين هذه المرأة عنده ، وما الذي صنع جزاء لهذه المرأة الحبيبة المتوفاة ؟ ان الرجال لا يزالون يطأون حقوق النساء بالاقدام ، وان بعضا منهم ما يزال يدعي ويتبجح ببطولاته امام النساء ، وان البعض الاخر يكاد يغرق الكون في شهواته ؟ فما الذي صنع هو جزاء لتلك المرأة العظيمة ؟ « أيها القبر — لتبق موصدا لئلا اخجل !! » .

سلامي للجميع ، اذا اتسع لديك المجال فلتجب ، والا فأرجيء الاجابة عن هذه الرسالة الى ما بعد الامتحان ، ودم لاخيك المخلص

٧ — ٥ — ١٩٤٩ بدر

★ ★ ★

ترجع علاقتي الشخصية بالمرحوم بدر شاكر السياب « ١٩٢٦ — ١٩٦٤ » الى سنة ١٩٤٨ حين كنت طالبا في دار المعلمين العالية « كلية التربية » ببغداد ، وكان يتردد عليها بعد تخرجه فيها وتعيينه مدرسا في الرمادي . واتيح لي ان اواصل الالتقاء به او مراسلته بعد فصله —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحسناء والبلبل

●

السر ليس بحسنها الفتان ... وبقامة شمخت كغصن البان
وسناء وجه بالبشاشة مشرق ... بالنور ، بالاطياب ، بالالوان
وسواد شعر مثل حظ مغامر ... في مامل من طرفها النعسان
بل بالجمال مؤصلا في نفسها ... ومكملا بالطهر والايمان
هوت الهزار لشدوه ولحسنه ... فالحسن يهوى الفن بالفنان
فغدى اسيرا يا لظلم حبيبة ... زجته في قفص من القضبان
حرمته الفا في الحقول مغردا ... طلقا على الغدران والافنان
ومن الفضاء الرحب يمرح طائرا ... يشكو الحبيبة قسوة الانسان
هذا جزاء الفن من ارباب ... اسر الهزار لصوته الرنان
راحت تزور اسيرها فاذا به ... لم ينج معتزلا من العدوان
ورأت هوامما ممعنا في ضره ... فبكت عليه بادمع التحنان
خافت عليه الشر من لسعاتها ... سم الهوام كفتكة العقبان
وهفت اليه كانه من نفسها ... بعض .. وذاك البعض كان الجاني
لا تعجبوا فالحسن يهوى صنوه ... ندان عند الفن يلتقيان
ان تسألوا فالخود لبنانية ... والفن كل الفن في لبنان

سان باولو ـ البرازيل — فيليب لطف الله

بتهمة سياسية ـ من التعليم « ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ » فتجمعت لدي في حينه عدة رسائل تتناول مسائل ادبية عامة ، او خاصة تتعلق بنتاجه ومن بينها ما نشر في اعلاه ، وهي الرسالة الوحيدة التي استطعت العثور عليها بين اوراقي المغتربة ، وقد رايت ان تذاع لما لها من قيمة في القاء الضوء على شعره ، وقراءاته ، وما كان يحس به ازاء مرضه والموت حتى في تلك المرحلة المبكرة . ويلاحظ القاريء فيها اشارة الى شخصين ، هما الشاعرة لميعة عباس عمارة والاستاذ البحاثة علي الخاقاني صاحب مجلة « البيان » العراقية ، ولا بد لي ـ خدمة للحقيقة ـ ان اعترف ، معلقا على الاشارة الاولى ، بأني الطرف المسؤول عن التأخر في ارسال ديوان الشاعر « بروك » اليه ، وان اوضح دوري كوسيط بين السياب ، والخاقاني . لقد عرضت ديوان الشاعر « اساطير » على الخاقاني مقترحا نشره ضمن منشورات مجلته « البيان » فوعدني بذلك . وقد نشره فعلا سنة ١٩٥٠ بالرغم من ان الظروف السياسية في العراق آنذاك ، والتهمة الحزبية الموجهة الى المرحوم السياب لم تكن تشجع ناشرين آخرين على التفكير في نشر نتاج الشاعر . أضف الى ذلك ان «الشعر الحر » سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٠ لم يكن قد ضمن له قبولا واسعا ، لا سيما في مدينة « النجف » حيث كان الخاقاني يصدر مجلته ومنشوراته . ومع ذلك كله ، فان الخاقاني ـ وان تأخر بضعة أشهر فبدا للمرحوم السياب مماطلا ـ اقبل مشكورا على طبع « أساطير » ، واسهم في تعضيد حركة « الشعراء » في العراق .

جامعة انديانا ـ امريكا — صالح جواد الطعمة

قصة

مثلث الشمس

بقلم مصطفى ابو النصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما حدث ، كان شيئا لا يمكن تصديقه . ومع ذلك فقد حدث . كنت اجلس في غرفة ضيقة ، ذات سقف منخفض . ولم أكن متأكدا ما اذا كان السقف يزداد كل يوم انخفاضا ، ام انه على حالته منذ دخلتها . كان السقف في اليوم الاول ابيض ناصعا ، وفي صباح اليوم الثاني ، انعكست عليه اشعة الشمس من الطاقة الوحيدة في الغرفة ، فاشتد بياضه ، فأضاء الغرفة كلها . كان يجب ان اشعر بالسعادة ، فطالما ان الغرفة قد دخلتها الشمس ، فلا بد ان اكون سعيدا . وهكذا خيل الي ان السعادة حالة يمكن ان تسيطر على الانسان ما دام يستمتع بضوء الشمس . ومن هنا ادركت ان ما حدث ، شيء لا قيمة له . ولكي استطيع ان اقنع نفسي بذلك ، فقد بدأت اتسلى بملاحظات مسار الظل تبعا لحركة الارض حول الشمس .

في اللحظة التالية ، كان الصمت شاملا ، فلم تلتقط اذناي حركة او نأمة . ولكن كان هذا مستحيلا : كيف يمكن ان اعيش هكذا ؟ . ولكن كان لا بد ان اعيش هكذا .

انحدرت الشمس ، فكونت مثلثا على الحائط المقابل . اذن فمن الممكن ان المس هذا المثلث ، وضع كفي عليه . قمت من الركن الذي كنت قد نمت فيه ، وامتدت يدي . الشمس عليها الان ، والمثلث لم يعد مثلثا ، انكسر الضوء بسبب من ارتفاع الكف عن سطح الحائط . هذا ما اريده تماما : ان احس بدفيء الشمس . الجدران مطلية بالكلس الابيض الناعم تنبعث منها برودة لها رائحة العطن . في اليوم الاول ، تحسست الحائط ، وقربت منها انفي ، وكلما حاولت ان انساها ، وجدتها تتسلل ثانية منتشرة في الغرفة كلها . عندئذ توصلت الى ان الرائحة ، من الاشياء التي يمكن ان تحتفظ بها الذاكرة .

كان هذا اكتشافا رهيبا في غرفة ضيقة ذات سقف منخفض ، وجدران مطلية باردة .

لزمن يمشي ، فطالما ان الشمس تتحرك اشعتها على الحائط ، فالزمن يمشي هكذا قلت لنفسي . ولم يكن معي احد اكلمه غير نفسي ، ولذلك فلم اشعر بالوحدة اطلاقا . واستطيع ان اقرر ، انني في لحظة ما ، ربما كنت سعيدا . وحينما تركتني الشمس ، لم تتركني فجأة ، وانما بشيء من الرقة : تركت لي ضوءا كان في البدء ساطعا ، ثم أخذ يضمحل شيئا فشيئا ، حتى عادت الغرفة مظلمة تماما .

لم اكن قد تناولت شيئا من طعام او شراب . على انني لم افكر في ذلك ، فلم يكن اي منهما هدفي في ذلك الحين . ولكن بالرغم من ذلك فقد بدأت اشعر بالجوع . الجوع في الخارج شيء طريف ، شيء يبعث على البهجة ، شيء مطلوب دائما . فمن البديهي ان الانسان ، اذا ما شعر بالجوع ، وطلب الطعام ، فان شهيته ستكون في أحسن حالاتها ، وحينئذ يمكنه ان يأكل حتى خروفا . وهكذا فقد كنت اشعر بالجوع . والغريب في الامر ، انني حينما دخلت هذه الغرفة ، كنت صامتا تماما ، بل كنت زاهدا في فتح فمي ، ولم اكن اتصور ان شهيتي يمكن ان تتحرك في غرفة كهذه ذات سقف منخفض وجدران مطلية باردة .

(في الزمان القديم ، حدثت قصة طريفة : كان ثمة رجل طويل القامة ، طويل جدا . ولم يستطع احد ان يعلل سبب ذلك لطول الرهيب . ومن المؤكد انه كان يزداد — كل يوم — طولا . ولما كان مثل هذا الطول غير مباح اطلاقا ، فقد اصدر الحاكم امرا بالقبض عليه ، وايداعه السجن . وكان من السهل القبض عليه ، فهو معروف تماما فلا يمكن ان يتخفى ، كما انه كان يعيش في العراء . ولم يكن الحاكم قد رآه من قبل ، فحينما اصدر امره ، كان يعتقد أن ما سمعه عنه مليء بالمبالغات التي عرفت عن الناس جميعا ، ولكن السجان جاءه قائلا انه لا يوجد في السجن اي غرفة تسع هذا الانسان . عندئذ امر الحاكم باحضاره اليه كي يراه ، فلما قيل له ان هذا مستحيل ، استشاط غضبا وتصور ان الجميع يضحكون منه . ولكنه كان قد اصبح شغوفا برؤية هذا الانسان ، فأعلن انه سيغادر القصر ليشاهد هذا الكائن العجيب ، ولير مدى صدق الناس من كذبهم . وخرج الحاكم يحف به الكبراء والوزراء . وكان الجميع في صمت مذهول . وطوال سيره ، كان يجول بعينيه باحثا عن هذا المارد المزعوم . وفجأة لمحه من بعيد ، فلم تطرف عيناه ، وانما سقط في مكانه صريعا ، دون ان تصدر منه آهة واحدة . وقد اختلفت الاراء بعد ذلك في سبب وفاة الحاكم ، فمن قائل انه كان مريضا من قبل ، ولم يتحمل السير تحت اشعة الشمس . ومن قائل انه كان قد أكل حتى اتخم ، وفي هذه اللحظة كانت ساعته قد حانت . ومن قائل ، ان منظر المارد كان رهيبا مخيفا بالدرجة التي لم يتحمل قلبه مرآه .

وعلى اية حال ، فالى الان ، لا احد يعرف ، او يستطيع ان يجزم بالسبب الحقيقي لوفاة الحاكم) .

ليس امامي سوى النوم . سأرقد كما رقدت امس في الركن ، مسندا ظهري الى الحائط ، محدقا في الظلام الى ان يغلبني النوم . كنت اكره ان انام في الظلام المطبق ، وربما يكون سبب ذلك الخوف . لا بد من لمبة صغيرة ، ذات ضوء خافت ، يبدد تلك الحلكة من حولي . انني غالبا ما استيقظ في منتصف الليل ، لاشرب او اتبول ، وفي الحالتين اكره أن افتح عيني في الظلام ، قد اتصور انني عميت ، او ان احدا قد عصب عيني . لماذا لا يطرق بابي أحد ؟ . اتوا بي الى هنا وتركوني تماما . ما كان يجب ان اطاوعهم او اسمح لهم بذلك . كنت ساخرا في اول الامر ، بل واثقا من ان ما يفعلوه قد صار لا يجدي . ولكن ترى ، ماذا استطيع الان ان افعل ؟. كان ثقل رهيب قد بدأ يجثم على راسي ، وكلما حاولت ان اتجاهله ، الفيته يزداد كثافة ، ولكن لا فائدة . يدي تمتد ثم ترتفع ، لا بد ان السقف قد ازداد انخفاضا ، وغدا في الصباح لن استطيع ان اصلب قامتي . سأظل كما انا الان ، قابعا في الركن ، محدقا في الحائط المقابل الذي لن اراه ، فمن المؤكد ان الطاقة التي تمدني بالشمس والنور ستختفي نتيجة لانخفاض السقف . سأجبر نفسي على النوم ، لا شيء يمكن ان اصنعه الا النوم .. النوم العميق .. الثقيل .. الكثيف .

★

في الصباح ، كانت المفاجأة غير مصدقة . لم يحدث ان انخفض السقف ، كما لم تختف الطاقة . بعد قليل ستدخل الشمس ، لترسم المثلث ، ولاقوم انا بالطقوس التي اديتها امس واول من امس . ولكن وقع اقدام حادة منتظمة بدا يقترب . وامام الباب الحديدي المسمط توقفت ، وجاءني الصوت سائلا :

ـ هل استيقظت ؟

فكرت الا اجيب ، فماذا تجدي اجابة رجل يعيش في غرفة ذات سقف منخفض وحيطان مطلية باردة . وعاد الصوت يسأل ثانية . عندئذ قررت الا اجيب . توالت الضربات على الباب الحديدي . خيل الي ان شيئا ما قد حدث ، او ان شيئا ما يوشك ان يحدث . سمعت صرير المفاتيح ، دخل مفتاح ، دار دورتين ، صر الباب . كان الواقف امامي رجلا لم اره من قبل ، كان يرتدي بدلة سوداء ذات ازرار كثيرة . بدا المشهد رائعا : رجل اسود ، امام خلفية بيضاء ، ناصعة البياض .

كنت في ركني ما ازال . رفعت اليه عينين باردتين ، وكنت لا افكر في الكلام . مضت فترة ، تقدم بعدها والصق ظهره بالحائط المقابل . كان مثلث الشمس قد دخل الغرفة . فحولت بصري اليه ، ولم استطع ان اقاوم . حين وضعت كفي على المثلث ، كان الرجل يتأملني وانا اتجه اليه ، فترك مكانه ، وابتعد ويبدو انه لم يفهم شيئا . تركت كفي على الحائط ، والتفت اليه ، ولا شك انه كان في هذه اللحظة يريد ان يسألني ، ولكنه حتما ـ لم يكن يدري كيف يبدأ السؤال او عن ماذا يسأل . اما انا فقد كانت جميع الاسئلة لها عندي اجابة واحدة ، لاكن البادىء :

ـ ما رايك ؟

ـ هل انت جائع ؟

ـ اقول لك ، ما رايك ؟

ـ يبدو انك جائع .

ـ هذا موضوع اخر .

ـ وعطشان ايضا .

ـ تأمل جيدا . ثم قل لي ما هو رايك الحقيقي ؟

ـ علامات التعب بادية في عينيك .

ـ لا شأن لك بعيني ، قل ما هو رايك ؟

ـ بعد قليل سيقدمون لك الطعام

ـ هذه حكاية قديمة . ما هو رايك ؟

ـ الا تكف عن الهذيان .

ـ هل انا اهذي ؟

لم ينطق بعد ذلك بكلمة . ظل واقفا برهة يتأملني ، ثم هز كتفيه ، وغادر الغرفة دون ان يلتفت الي . ولست ادري ، هل نسي اغلاق الباب ، ام تعمد أن يتركه مفتوحا . وانتبهت الى انني لم اعد اشعر بالجوع ، وانتابني نشاط غير عادي فبدأت اخطو تجاه الباب ، ولم اكن اخشى شيئا . ولكن قبل ان اعبر عتبته ، التفت ورائي ، والقيت نظرة على الحائط . كان المثلث قد استطال قليلا ، فبدا ضوء الشمس اشد بريقا ، فأيقنت ان الغرفة ستبقى مضيئة . حتى بعد ان اغادرها .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

شتاء العمر

صاح اني خبرت قبل مماتي ... مغريات الاوهام شكلا فشكلا
فتبلدت حين طيف مماتي ... راح يشتاق لي نهارا وليلا
عاشق يحمل اكتئاب شتائي ... وانحلال الاشواق حولا فحولا
ذلة ان تشيح بالوجه عما ... كنت تفديه بالحشاشة قبلا

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع مسرحيات سليمان العيسى

بقلم لطفية الشهابي

* * *

نكاد لا نختلف على ان الاستاذ سليمان العيسى من ابرز شعرائنا المعاصرين ، ولا سيما في مجال الشعر القومي والوطني والاجتماعي . فدواوينه صورة حية لما حل ويحل بالبلاد العربية من احداث هامة ، ولما يعانيه الشعب العربي من فقر وارهاق وضيق . ولكن شاعرنا منذ بضع سنوات خلت بدأ يدير نظره الى الماضي القريب او البعيد ، يأخذ منه احداثا ويعرضها في اطار شعر تمثيلي مسرحي . وقد كان مصدر اخباره واحداثه القديمة الكتاب الادبي الكبير الذي خلفه لنا أبو الفرج الاصبهاني (كتاب الاغاني) .

يقرأ الشاعر الخبر ويستوعب الحادثة ويتأثر بها فيعيد عرضها من جديد في اهاب مسرحي . هكذا كان بالنسبة لقصة جبلة بن الايهم ، ولقصة ابي محجن الثقفي ، ولقصة معن بن زائدة مع الشخص الذي بزه بالكرم . وأريد ان أقف الآن وقفتين : احداهما عند (الازار الجريح) . والثانية عند (انسان) وهما العنوانان اللذان اختارهما لعرض اخبار جبلة ومعن .

اما جبلة فهو ذلك الشخص المعروف تاريخيا بالامير الغساني الذي اسلم ثم ارتد عن اسلامه وعاد الى أسياده الروم اثر حادثة مشهورة جرت حول الكعبة اثناء طوافه ، حين لطم اعرابيا وهشم له انفه لانه وطىء طرف ازاره عن غير قصد ، فاشتكى ذلك الاعرابي الى عمر بن الخطاب ، فرأى عمر ان يطبق مبدأ القصاص وان يلطم الاعرابي جبلة لقاء تلك اللطمة التي تلقاها منه . ولكن امير غسان المتكبر المتغطرس هاله الامر واستعظمه اشد الاستعظام ، فما كان منه الا ان طلب من عمر مهلة لينظر في أمر نفسه ، ثم شد رحاله وفر هاربا الى أسياده القدماء في بلاد الروم ، حيث لا مساواة بين سيد ومسود ، ولا بين امير مشهور واعرابي مغمور . فر جبلة ومعه ابنته أميمة التي أوجدها شاعرنا وجعل لها دورا في المسرحية وجعلها متيمة بأحد قادة ابيها ، وهو القائد عمر ، ذلك الذي رفض الارتداد مع جبلة رغم حبه الشديد لأميمة ، وفضل ان يبقى في صفوف أخوانه العرب المجاهدين في سبيل الله .

وقد استطاع الاستاذ سليمان خلال مسرحيته ان يصور لنا بدقة شخصية جبلة وكبرياءه وتعاليه . فها هو يدفعه كبرياؤه وتعاليه الى الاستهانة بأمر الغزاة المسلمين حين ابلغ بخبر قدومهم فيقول :

فلول صحراء من الظمأ الطويل
من زفرة الحرمان جاؤوا
في اقتناص المستحيل
يرمون قيصر بالحفاة
يرموننا يا للفزاة

ويقول في مكان آخر من اللمحة نفسها :

لن يعبثوا بعرين غسان
ما زال لي خيلي وفرساني

ثم يقول كذلك في موقفه أمام عمر بن الخطاب في مجلس القضاء :

كنت بالبيت أطوف — والملبون رفوف
بغتة ديس ازاري — داسه هذا الفزاري (1)
كدت في الكعبة أعرى — كان نكرا ما أتاه كان نكرا

ثم يقول ايضا مخاطبا الريح وهو في طريق عودته الى القسطنطينية :

أيها الهاتف أيا كنت — دعني وجنوني
لست من يرهب همس الليل — صوت الريح ضوضاء السكون
صولجان الملك ما زال ـ ولن يبرح ـ يزهو في يميني

فتلك كلها أمثلة كافية للدلالة على ما ظهرت به شخصية « جبلة » خلال المسرحية من كبرياء وتعاظم ، فكيف لا يقول أمام عمر :

كيف ارضى ؟ — ان يخر النجم أرضا
كيف ذاك ؟ — هو سوقة
وأنا عرش وتاج

وصور لنا الشاعر كذلك شخصية الخليفة عمر وما امتازت به من عدل وديمقراطية فرأيناه يقول لجبلة :

عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم
عند غيري جبهة بالاثم بالباطل تلطم
نزوات الجاهلية — ورياح العنجهية
قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحا جديدا
وتساوى الناس : احرارا لدينا وعبيدا

كما أحسن تصوير شخصية القائد عمرو محبوب أميمة وما تحلى به من شجاعة وتفان في حب قومه العرب . فها هي شجاعته تبرز في تقديمه نفسه لمليكه جبلة كي يقذف به حيث يشاء :

وما يريد الملك الهمام ليقترح :
ليرم أنى شاء بي — في كفه الحسام

ويقول في لقائه الاول مع الخليفة ابن الخطاب :

كان في جنبي دوامة شوق وانتظار
كم تلهفت الى هذا النهار

ويقول كذلك مخاطبا الخليفة :

أنا منكم لم أغب الا كما — غابت اليسرى عن الكف اليمين
تشرد الفرسة عن تربتها — ثم تاوي ، جذرها باق مكين

كما أستطاع الشاعر ان يعرض علينا صورة حية دقيقة للندم الذي أصاب جبلة بعد أن عاد الى بلاد الروم ، ومنذ اللحظات الاولى في طريق عودته . فها هي خواطره

(1) الفزاري هو ذلك الاعرابي المنتسب الى بني فزارة . (2) الامكنة في المسرحية تزيد على هذه التي عددتها .

تتوارد الينا على لسان الريح :

الى اين ؟ يا ايها الاحمق الى اين ؟ هذا السرى المرهق

ثم نرى صورة الندم واضحة في حديث احد القادمين الى ابن الخطاب من عنده حين قال :

قرات في مقلته الندم والحزن والغربة والسأم
قرات ما لا يقدر البيان عليه ما يعيا به اللسان
وعاود السؤال عنك عن الديار

فقد حكى لنا احساسه الشديد بالغربة ، وندمه في وقت لم يعد ينفع فيه الندم . وتمكن كذلك من عرض مشهد رائع للصراع النفسي لديه وهو في طريق ارتداده الى بلاد الروم حيث أوجد شخصية الريح الخيالية التي تولت الحوار مع جبلة ، وعكست لنا من خلال ذلك الحوار ما عاناه الامير العربي من صراع نفسي عميق بين كبريائه وتعاليه من جهة ، وبين اساه وحزنه لفراقه اهله واخوانه وارضه من جهة ثانية .

وقد عرضت علينا المسرحية مجزاة الى ما أسماه المؤلف باللمحات فكانت ثلاث عشرة لمحة نابت مناب الفصول والمشاهد . وكتبت باسلوب شاعرنا الذي نعرف فيه الجزالة والتماسك والترابط والوقع الموسيقي الجميل ، والصور الفنية الخلابة . وما من شك في ان مثل ذلك الاسلوب يناسب شخصيات المسرحية ، اولئك العرب الاقحاح الذين عرفوا بفصاحتهم وبيانهم .

اما اذا نظرنا الى مسرحية « الازار الجريح » من حيث امكانية الاخراج والتمثيل فلا بد أن تستوقفنا ظاهرتان بارزتان تجعلان اخراجها ، كما اوردها المؤلف ، امرا صعبا . الظاهرة الاولى هي تلك اللمحات الاولى في المسرحية والتي تصور منظر القوافل العربية الاتية الى دمشق عند مداخل المدينة وصوت حدائها للابل ، بينما الشاعران العربيان : حسان والاعشى يقفان في غاية الطرب لسماعهما صوت الحداء . ثم تعرض علينا تلك اللمحات بعد ذلك مشهد الشعراء العرب : حسان ، النابغة ، وعلقمة بن عبدة في حضرة الامير الغساني ، وتقديمهم المدائح المختلفة بين يديه ، وتبدي لنا انطباعاته الخاصة وملاحظاته حول تلك المدائح . ان هذه اللمحات بحد ذاتها جميلة ، ولكن كيف يستطيع مخرج المسرحية ان يبرزها وهي لا ترتبط ارتباطا قويا واضحا بالفكرة المسرحية . بمعنى انها مقدمة جميلة ولكنها غير مناسبة لتوليد الاحداث الاتية بعدها .

والظاهرة الثانية هي تطاول الزمان وتعدد الامكنة ، وهو ما يعيق ايضا قضية الاخراج . فبينما نرى حسان بن ثابت في اول المسرحية جاهليا ينشد جبلة شعرا في دمشق ، اذا بنا نراه شيخا متهدما في نهايتها ، يتلقى الهدايا من الامير الغساني بعد ان فقد بصره . وتلك فترة زمنية ليست بالقصيرة ، وليس من السهل تداركها والايحاء بها في جو مسرحي سريع . واذا سهل امر الزمان بعض الشيء فان المكان في نظري اكثر صعوبة . وقد تعددت الامكنة بشكل سافر . فنحن تارة مع القوافل والشعراء العرب في مداخل دمشق ، وتارة مع الامير الغساني وشعرائه ثم قادته في قصره قبل الفتح لدمشق . ومرة مع القائد عمرو وحبيبته اميمة في انطاكية اثر فرارهم اليها بعد استيلاء المسلمين على عاصمة ملكهم . وحينا مع عمرو في حضرة عمر ابن الخطاب في المدينة المنورة ، او مع موكب جبلة اثناء مروره من دمشق متجها الى المدينة فمكة للطواف حول الكعبة . وبعدئذ في طريق ارتداده الى القسطنطينية (٢) ... الخ . واعتقد ان هذه الاماكن المتباعدة المترامية تجعل من العسير تلافيها اثناء الاخراج والتمثيل .

واذا كان الاستاذ سليمان قد تردد في مقدمة مسرحيته في امر تسميتها ، واراد ان يطلق عليها اسم قصة شعرية فاننا لا نستطيع الا ان نسميها مسرحية ، وان نبدي حولها ملاحظات تخص الفن المسرحي ، وان كان قد اعترف صراحة في مقدمته لها بانه لم يعن كثيرا بالفن المسرحي فيها ولا بامكانية الاخراج الا اننا لا ننسى كيف انه في هذه المقدمة ذاتها جعل اشباح عمالقة المسرح تنتصب امامه مشجعة .

اما المسرحية الثانية (انسان) فانها تتسم بما اتسمت به سابقتها من اسلوب جميل ، وموسيقى معبرة والفاظ قوية . وتمتاز عن سابقتها بالايجاز في عدد اللمحات ، فهي لا تزيد على اربع لمحات . وكذلك فان زمانها ومكانها لا يمتدان كما امتدا في المسرحية السابقة . وموضوعها ايضا مأخوذ من الاغاني ، يحكي قصة فرار معن بن زائدة من ملاحقة العباسيين له بعد ان رصدوا جائزة لمن يأتيهم به ، وتعرض التجاءه الى احد اصدقائه ، وحديث الناس المتصل عن كرمه وفضائله ، ثم كيف حظي به احد حراس الخليفة فطلب معن منه ان ينقذ حياته بعد ان منحه عقدا من الجواهر الكريمة . ولكن الحارس الاسود الذي حظي بمعن كان معجبا اشد الاعجاب بشجاعته وكرمه ، فاراد ان يثبت له انه رغم فاقته وفقره اكثر منه كرما ، فخلى سبيله ، مهملا جائزة الخليفة ورافضا قبول العقد من معن ، وغير عابيء بحاجته الماسة وحاجة اسرته الى مثل تلك الاعطية الفخمة .

وواضح ان غاية شاعرنا من وراء مسرحيته هي اظهار سمات النبل والكرم والتسامي التي لا تقتصر في حال من الاحوال على المشهورين المعروفين ، بل قد يتسم بها اناس من عامة الشعب لا يلتفت اليهم احد ، ولا يحاول انسان ابراز شأنهم ورفع مكانتهم والتحدث عن شمائلهم . وكأنما اراد شاعرنا ان يبين لنا بأن السمو النفسي يجعل صاحبه راضيا مطمئنا مهما كانت أحواله المادية قلقة ، فأعطانا مشهدا جميلا لهذا الرجل الاسود الذي يداعب طفلته الصغيرة (ياسمين) منشدا لها أحلى الاغنيات ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجراح تتكلم

دم غلى بعروق الحق فالتهبا ... نارا مسعرة تستنهض العربا
دم له شعل في الروح موقدة ... لا تنطفي او تنال الثار والطلبا
دم سيبقى على طول المدى ضرما ... وليس يبرد حتى يغسل التربا
حتى يطهر ارض القدس من زمر ... عاثت بها ويعيد اليوم ما سلبا
دم الاباء الذي يغلي بأنفسنا ... بركان موت على الباغي اذا انسكبا
تململ الرمل هدارا فثورته ... اعصار رعب تلظى ينفث العطبا
ان الحديد تفل النار سطوته ... فيا دمانا افيضي الموت واللهبا
((فالسيف اصدق انباء)) فواعجبي! ... من ثائر في الوغى يستنطق الكتبا

نبني على هام قتلانا لأمتنا ... مجدا رفيعا يضاهي الشمس والشهبا
ومن دمانا سنسقي العز ان ذبلت ... وروده واشتكت اغصانه الجدبا
نأبى الهوان فلا ذل ينكسنا ... خسفا وهمتنا لا تشتكي التعبا
هذي الدماء ضياء في مسيرتنا ... تهدي العصور وتجلو عندها الحجبا
هذه الدماء فلن تخبو مشاعلها ... حتى تحيل عروش الظالمين هبا
ولن تقر وفي قدسي مواطئهم ... تزل اشباحهما الناقوس والقببا
فيا سمائي احيلي الشمس عاصفة ... تطوي الغزاة تدق الرأس والذنبا
ويا ترابي تضرم مارجا وأحل ... خطاهم وصدى أوهامهم حطبا

صبرا فلسطين ان الجرح ملتهب ... والويل للظلم من جرح اذا التهبا
سيكشف الحق للاجيال زعنفة ... خلف الستارة حاكت كفها الشغبا
لا بد ان ينجلي الليل البهيم وان ... يسمو الصباح ويجلو نوره الريبا
اذا تعبنا لنيل المجد نبلغه ... فالمجد آت لمن في نيله تعبا
وليس بالمجد ان تبقى محافلنا ... تتلو القصائد والاقوال والخطبا
ان الحديد تفل النار سطوته ... فيا دمانا افيضي الموت واللهبا

بغداد — عبد الاله الياسري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واولاده من حوله يشاركونه بهجته ونعيمه ، فكانت هذه الفقرة وما تلاها من تكملة لصورة الاسود النفسية ترجمانا عمليا للحديث الشريف (ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) .

وهكذا فان شاعرنا بعد ان جاب انحاء واقعنا المرير اجتماعيا وقوميا في دواوينه المتعددة ، وبعد ان عبر عن بعض ساعاته الخاصة بين صغاره في بيته ، لم يفته ان يلقي نظرة الى التاريخ فيقتبس منه مادة لمسرحياته . وقد احسن الاختيار والسبك والعرض والايقاع . ولكن لا بد من كلمة اخيرة في مسرحياته من حيث اللغة والاسلوب، فحين قلت عن الجزالة والقوة والتماسك ، وجب علي ان اضيف ان ذلك السمو الاسلوبي يحوج المسرحية الى مشاهدين مثقفين ، بل من ارقى طبقات المجتمع ثقافة وقدرة على التذوق الفني . والا فأنى للعامة ان تستوعب مرامي هذا الاسلوب الرفيع ، وان تتفهم تلك الصور الفنية المعقدة الواسعة الجوانب .

ونحن اذا كنا نطرب ونسر لقراءة هذه المسرحيات ونتمنى مشاهدتها على خشبة المسرح فاننا نتمنى لو استطاع اخوة لنا من ذوي الثقافة اللغوية والفنية المحدودة ان يشاركونا في حبها ، والطرب لها والاستمتاع بما تحويه من فكر وفن وجمال . ولن ارغب الى الاستاذ سليمان ان يقرب اسلوبه من الجماهير ، وانما اتمنى صادقة ان يرتفع المستوى الثقافي عند شعبنا ليتمكن من تذوق طيبات ما ينتجه لنا امثال سليمان العيسى من خير وعطاء رائع رفيع .

دمشق — لطفية الشهابي



اقاصيص اردنيـــة

تاليف عيسى الناعوري (؟) صفحة ـ الدار التونسية للنشر بتونس

« أقاصيص اردنية » (١) مجموعة قصصية للاديب عيسى الناعوري ، نشرتها الدار التونسية . وهي تجمع ثلاث عشرة قصة قصيرة مختلفة لكن ينظمها خيط واحد ، بحيث نرى ان الامكنة متشابهة ، والبيئة متقاربة ، والاشخاص من بنية واحدة .

والجديد في هذه الاقاصيص ان تكون القرية الاردنية مسرحها ، ولئن جعل اكثر كتاب القصة عندنا « المدينة » همهم ، بما طرأ عليها من قلق واضطراب ، وبما اصاب اناسها من تغير وتطور ، فان قصاصنا الناعوري لم ينس تلك القرية التي لا تزال كانها جزيرة منعزلة عن صخب المدينة ، لا تنساب حولها الا امواجها الهادئة ، ولم ينس اولئك الاشخاص الذين لم تبهرهم الحضارة الحديثة ، بل اثروا عالمهم الذي ينعم بالجمال الطبيعي والطمانينة الروحية .

ولكن ليس معنى ذلك ان ننظر الى القرية كعالم خلا من مشاكله ـ اذ لكل عالم مشاكله ، صغيرا كان او كبيرا ـ وكثيرا ما تقوم هذه المشاكل على الحدود التي تقترب فيها المدينة من القرية لابتلاعها ، فيكون عند ذلك ، نزاع ، وتردد ، ومقاومة واستسلام !

تبدأ المجموعة بقصة « هدية ما تزال وعدا » حيث نرى البطل فتى من فتية القرية ، مال الى ابنة عمه « خضرا » ميلا استحال حبا ، والحب في القرية كالنبات فيها ، سرعان ما ينمو ويسمو ! والجمال جمال قروي بسيط لا يخفي فتنته !

دعت الدراسة الفتى الى المدينة ، وللمدينة اخيلة ساحرة في نفس ابن القرية ، ويكفيه ان يعود غدا ليعيش عيشة مدنية ، في بيئة قروية ! وعند الوداع كان طلبها منه « سوارة » ذهب !

وفي المدينة تبدلت نفس الفتى ، وتمرد على حياة القرية الضيقة ، الخشنة القاسية ، وبدلا من ان يعود الى القرية ، تزوج من المدينة ، واستقر فيها . ولما زرت القرية التقت عيناي بعينيها .. وابتسامتها الحلوة العذبة ... ولكن مع الابتسامة لمحة عتاب ... ـ اين السوار الذهبي ؟ .

« وبدلا من السوار الذهبي ، سوار الامل الجميل ، أعود ومعي مـــاذا ؟

زوجة من بنات المدينة وثلاثة ابناء » .

وهذه قصة « شيخة » التي احبها فتى مصاب بالحب الروحي الذي يأبى ان يكون وعاؤه الجسد ... ولكن « شيخة » تزوجت ، لانها لا تريد عابدا يقدم لها قرابين السجود ، بل تريد رجلا يحبها ، يحب جسدها وروحها معا ..

وهو يعلل نفسه بقوله : ـ انها امراة ، اذن ، ككل امراة ..

ثم كره كل امراة بعدها .. . وحين ماتت لم يشعر نحوها بحرقة ... !

مع من يميل الكاتب ؟ هل يعطي الحق للفتى او للفتاة ؟

وهل يصدق في قوله : « ها قد عادت الى التراب من جديد ، وأية قيمة للتراب ؟ » .

ولكن ، هل هو نفسه لغير التراب ؟

ليس في هذه القصة الا فتى مصاب بمرض نفسي جعل الحب حب الروح وحب الجسد ، وتركه شامتا بما صارت اليه حبيبته بعد انثوت ... فهو اقرب الى التمثال منه الى الانسان .

وهذه قصة « انتصرت الارض » ... قصة رجل عانى في حرث أرضه ، وتنشئتها ، وقاوم التلف والعوائق ، وتحدى مشاكل الطبيعة والناس ... اعوام طويلة من التعب والعرق ، وهو يغرس ويغني عمره ، وبدلا من ان يمل كالاخرين استطاع ان يقنع رفاقه بشراء اراض جديدة ، وغرس الاشجار المثمرة ..

وتكاثرت البساتين فعلا . واتسعت كذلك رقعة الارض التي تموج فيها السنابل الخضراء ، وكبرت القرية ... فقالوا :

ـ لقد انتصر ابو عايد بصبره وكفاحه وعناده !

وقـالـوا :

ـ بل لقد انتصرت الارض الخيرة التي لم تبخل بعطائها رغم كل شـــيء !

وقـالـوا :

ـ لقد جاء الى هناء في ميعة الشباب ، ولم ينتصر وتنتصر معه الارض الا بعد السبعين من عمره !

انها لقصة رائعة في تصوير كفاح ابن الارض وابن القرية ، وامانة الارض لمن يعمل فيها !

وهناك قصة « موت العمة » وهي قصة انسانية ، فوق انها قصة تمثل حياة القرية . كان لها زوج مات ، ولها خمسة اولاد ، كلهم غادروا القرية الى المدينة بحثا عن الرزق ،فهي بعدهم تحيا وحدها ، ولكن حبها لهم انقلب الى حب الاطفال ... كل الاطفال في القرية ...

ـ « اولادي كانوا مثلكم حلوين ، واليوم طاروا كلهم من عندي ... الله يخليهم ويرضيهم ! »

« لقد كان قلبها دائما طفلا مثلنا في براءته .. وكنا نحبها حقا ، حتى حين لم نكن نجد لديها شيئا من الحلوى » .

ـ « يا اولادي ! كانت الحياة حلوة وبسيطة في تلك الايام .

كانت سعيدة مع القناعة ، ومخافة الله . كل القرية كانت عيلة واحـدة ... ! »

وفي صباح احد الايام استيقظنا على صوت جرس الكنيســـة الحزين ، وقيل لنا « ام سمعان ماتت ! »

لقد ماتت وهي تبكي لعدم وجود احد من ابنائها وبناتها معها في لحظات عمرها الاخيرة .

ـ يا لتعاسة الشيخوخة المحرومة المهجورة !

وكان الاطفال وحدهم يشعرون بفقدها ، وانقطاع هداياها .

ومنية ام سمعان تختلف عن منية الفلاح « ابو نصر الله » الـذي كان شبابه يتجدد كلما نبت الزرع في حقله الواسع » .

لقد بلغ الثمانين من عمره ، وهو لا يمل من العمل .. الخـير دافق عليه وعلى اولاده الذين يدعونه الى الراحة وهو يأبى .

ـ مات بين اولاده واحفاده ، وحقله لا يزال يموج بالسنابل !

وفي قصة « الاخوات الثماني » اب عنده عقدة نفسية موروثة ..

---

(١) اذيعت من محطة لندن .

كان قد تزوج ودفع المهر غاليا لامرأة لم تلد له الا البنات .

وحين آن زواج البنات تمنع عن زواجهن الا بمهور غالية ، كأنه يريد التعويض عما دفعه .

تعلمت البنات وصار لكل واحدة منهن مهنة ، وهو يجمع أجورهن لنفسه ، ومع ذلك ، ظل على عناده ، وجموده ، دون ان يقدر شعور بناتـه ...

ولكن البنات بدأن يهربن من داره خطفا مع ازواجهن ..

واخيرا خضع لارادة الاخيرة ..

كم من ضحايا لغلاء المهور ، نتيجة تصلب الاباء ، وتحكمهم في الابنـاء ! ..

وفي قصة « خريف » مأساة من نوع اخر ، البطل فيها يصنـع مأسـاته .. « عبده » فتاة قروية ايضا ، تعيش الان وحيدة في كوخ حقير ، حول موقد مملوء بالرماد .. يمر بها اطفال يلعبون ويمرحون : ولكن كوخها لا تتردد بين جوانبه العالية ضحكة طفل ..

لقد كانت حلم كل شاب .. ولكنها تمردت وارادت فتى من المدينة ... من الموظفين في القرية ، ولكن لم يتقدم لها احد منهم .

وفي خريف عمرها تزوجت رجلا كهلا .. وما مثل الكهولة يدفـىء الكهولة ! انجبت اولادا لم يعش منهم احد ، لان الرمـاد لا يعطـي الحيـاة .

واخيرا مات الزوج وبقيت وحدها ، وهذه الحقول المترامية امامها تعكس الخريف العابس البغيض الذي تمتلىء به نفسها .

تعلل نفسها بالا حظ لها ... ولكن كان لها حظ ، وهي التـي دفنته بالانتظار .

ومثلها « فضة » التي لم ترد الزواج من فلاحي القريـة ، وكـان مثلها الاعلى « العسكري » الذي لا يعاشر البهائم ، ولا يحرث الارض ، ولا يجمع الحطب ، ولا تعرف ثيابه الوسـخ !

واصبح شباب القرية يميلون الى العسكرية ، حتى صارت القرية قرية العساكر .

وتتزوج فضة عسكريا ... وتحقق امنيتها . لكن يلقى مصرعه في الحـرب .

لم يبق من حلمها الذي تحطم الا ان تجعل من ولدها حلم عذارى القريـة في لباسه العسكري كما كان ابـوه .

ان الحياة هنا تمتد من الاب الى الابن لتجد التعزية . وكثيرا مـا تمسح الاحلام الاحلام .

وهناك قصص اخرى كلها تؤيد وتقدس حياة القرية وما فيها مـن بساطة تامة ، وترد شباب القرية عن المدنية الزائفة الى القريـة الصادقة . وكأنها نغمة واحدة تمجد الحياة القروية وتحذرها من عاقبة الانزلاق نحو المدنية الغاوية .

وتبقى قيمة هذه المجموعة ، بعد ذلك ، في أنها احسنت رسم صور صافية ملونة للقرية ، وتصوير شخصيات مهملة في القرية .

خليل هنداوي

●

الفـداء في الاسـلام

تأليف الشيخ الدكتور احمد الشربـاصي ـ ٢٤٠ صفحـة ـ الناشر : دار المعـارف بمصر سلسـلة اقـرأ

يعتبر موضوع الفداء في الاسلام من موضوعات الساعة التي يجب ان نعرف عنها الكثير، ونقلب صفحاتها طلبا للتأسي، وابتغاء للقدوة .



الاديـب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظروفنا العربية الاسلامية الراهنة تجبذ ان يكون الحديث حديث حرب وفداء ، وقتال وتضحية .. وهو حديث مفروض في كل يوم وكل ساعة ، خاصة حين نتراشق بالنيران مع العدو ، او تغير طائراتنا على مواقعه او تعبر قواتنا اليه حيث يقبع محتلا لاراضينا ، بالصلافة والغرور والحقد الدفين ! .

والفداء في الاسلام ولد منذ نشأت الدعوة الاسلامية واصطدمت بقوى الجهالة والظلام التي حاولت ان تطفيء نور الله الذي يشع هاديا ومرشدا في زمن كان الناس احوج ما يكونون الى الهدي والرشاد . واستمر الفداء مصاحبا للاسلام منذ النشأة حتى يومنا هذا الذي اجتمعت فيه قوى البغي والشر تريد قهر امتنا العربية وسحق قيمها ومثلها ، وتحطيم ارادتهاوكيانها .. يقول الشيخالحجة احمد الشرباصي: « اننا اليوم امة لا بد لها من اليقين بأن حاضرها يجب ان يكون امتدادا لماضيها ، في قيمها ومقوماتها ومثلها ، وان غدها يجب أن يكون وليدا لحاضرها ، نحن الان نتعرض لمرحلة حاسمة من مراحل نضالنا وكفاحنا ضد اعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر عن يمين وشمال » . ولكي يكون حاضرنا امتدادا لماضينا لا بد من الفداء وهو نزعة الى التضحية بالنفس والمال وكل ما يملكه الانسان من اجل ان تحيا عقيدته ويبقىوطنه ويتحرر بلده ويسود الامن والطمانينة مجتمعه .. ولقد ضرب المسلمون الاولون اروع النماذج في الفداء حيث وضعوا ارواحهم على أكفهم ، وساروا على الدرب لا يريدون سوى وجه الله والدفاع عن الحق ضد الباطل ، لا يقيمون وزنا لمادة ، ولا ينتظرون سلطانا او جاها .. بل هي العقيدة تحركهم والايمان يدفعهم ، وكان من بطولاتهم ذلك التاريخ المجيد ، والمجد الاثيل الذي ظل نبراسا وضاء يقتدي به الفدائيون في كل مكان وكل عقيدة .

يقول الشيخ الشرباصي : « واذا كان قدر الله العادل قد القى علينا بالامس درسا صارما من دروس الابتلاء بالنكبات ، وعرضنا لموقف عصيب من مواقف التمحيص بالشدائد ، فان العمل الفدائي المؤمن ظهر همزة وصل مباركة بين ماضي الجهاد وآتيه ، واستبان لنا ان امر هذه الامة لن يصلح من حاضرها ، الا بما صلح به في ماضيها المشرق الكريم، من استمساك بعروة الايمان الوثقى ، وتدرع بدرع اليقين الحصين ، واعتصام بحبل الله القوي المتين ، واجتماع على روح الجهاد حتى الاستشهاد ، والتقاء على بيعة لله صادقةوفية تباركها يد الله ، ويؤيدها بعونه وهداه » .

ونحن نؤمن ايمانا كاملا ان الروح الديني هو أس الفداء واساس التضحية ، وهو الدرب الواضح والطريق المستقيم الى تحقيق النصر على اعداء الله والاديان والبشر .

ولقد صحبنا المؤلف في كتابه ليعرض لنا الفدائية : صورتها ودوافعها ونماذج اسلامية بارزة للفداء في صدر الاسلام وعصرنا الحديث ... اننا نلتقي بأولئك النفر المؤمن المخلص لله ولرسوله وللعقيدة وهو يخوض غمار الحروب من أجل أن تعلو كلمة الله وتسقط كلمة الباطل .. أننا نعيش مع قائد اول فرقة فدائية في الاسلام : ابو بصير عتبة بن أسيد ونحيا مع الفدائي الشهيد ابن الشهيد : ابو جندل بن سهيل . ونقرا ـ ربما لاول مرة ـ شيئا جديدا عن هذين الرجلين المؤمنين . وبالاضافة الى هذين نعيش مع ثلة مؤمنة شهيرة منها : سعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن جحش ، وابو سلمة المخزومي ، وسعد بن معاذ وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وعز الدين القسام .. وغيرهم .

ان الكاتب يجلو لنا صورا واضحة لاكثر من خمسة عشر رجلا فدائيا .. فضلا عن معلم الفدائيين الاكبر محمد صلوات الله عليه وسلامه . بيد اننا كنا نود ان نرى شيئا عن سيد الشهداء والفدائيين الحسين بن علي رضوان الله عليهما . فقد قاتل في سبيل الحق والظروف غير مؤاتية مع علمه بذلك ومعرفته بأن الموت هو النتيجة المؤكدة ، ولكن الحق كان هو المطلب وهو الغرض ، فلم يتراجع امام القهر ، ولم يستسلم حتى لفظ انفاسه الاخيرة مؤمنا بالله وبرسوله وبالعقيدة كاحسن ما يكون المؤمن سلوكا وايمانا . ونعتقد ان ورود هذه الشخصية الحبيبة يغير من منهج الكتاب او يتعارض مع مذهب الكاتب في الفداء والفدائيين .

ونود اخيرا ان ننبه الى اخطاء مطبعية في الصفحات ٢٤ ، ٣١ ، ٥١ ، وهي تتضمن حروفا بديلة لحروف ، او حروفا ساقطة وكلها في الايات القرآنية المقتبسة .

ولا يسعنا الا ان نقول ان هذا الكتاب قد جاء في اوانه وانه جهد طيب يشكر عليه مؤلفه الشيخ الدكتور ، او الشيخ الحجة أحمد الشرباصي ، الداعية الاديب ، والفقيه الاريب .

دمنهور ـ ج.ع.م. حلمي محمد القاعود

•

شعر ابي زبيد الطائي

جمع وتحقيق الدكتور نوري القيسي ـ ٢١٤ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

لا يحسن ان نعد كل من حاول النظم وجرب قول الكلام الموزون المقفى شاعرا ، اذ لا يؤلف الوزن والقافية حدا جامعا مانعا كما يقول المناطقة لمفهوم الشعر . وكثير من الاقوال والخطرات المجراة بقالب النثر يمكن ان تسلك في عداد العطاء الشعري ، كما تتسم به من غلبة الشعور وطغيان الاحساس وتلهب العاطفة ، بينما تتعدم هذه الخصائص والعناصر الهامة ولا نلمح لها اثرا واضحا في المنظومات العديدة الدالة على تمكن اصحابها من تصيد القافية واحكام الوزن . والشاعر هو الانسان الذي تحتدم في اعماقه الاشواق والعواطف وتضطرب في اغواره المشاعر والاحاسيس ، فلا يلفي ندحة غير ان يصوغها معاني وافكارا ، يتخفف بواسطتها مما يثقله ويبهظه من المعاناة الشعورية الحادة والتجربة الوجدانية المصطخبة ، ولا يعد الشاعر مجيدا بارعا في فنه الا ان يقترب من حد الابداع والابتكار في صياغته ومضمونه ، ويعقب بعده نتاجا رائعا تتمثل فيه عناصر شخصيته ومكونات ذاته وينسب له وحده! أما ان يغير على معطيات سابقيه ومعاصريه ويمعن في محاكاتها وتقليدها واعادة نسجها دون ان يضفي عليها من توليده واستنباطه ما يكسبها جمالا وقوة ، فلا يصح اعتباره شاعرا اصيلا .

من هنا حفلة ديوان الشعر العربي في مختلف عصوره بجملة من المعاني والمضامين وحتى القوالب والاشكال ، والتشبيهات والاخيلة ، ظل الشعراء يتعاورونها ويعولون عليها ويستقون منها باستمرار على شاكلة تنم عن تهافتهم وتبذلهم ، وقصورهم عن الابتكار والتوليد ، مما حدا بالمجددين من الادباء والنقاد ، ان يعلنوا غضبتهم المشروعة على امعان دارسي الادب العربي القديم ، في احياء وتحقيق كل ما عثروا عليه في الغرف المظلمة من اوراق صفر مخيلين لذواتهم انها تراث فكري ينطق بعبقرية الامة ، ويدل على اصالتها ونبوغها ، وينبغي على هذا رعيه وتقديسه والاعتزاز به وتسخير الجهود العظيمة لاحيائه وجعله في متناول الاجيال الطالعة ، ناسين ان حملة الاقلام من القدامى ، لا يختلفون عن نظرائهم في الوقت الحاضر من حيث تفاوت مواهبهم وامكاناتهم وتباين طاقاتهم وقدراتهم ، فبينهم المبتدع والمقلد ، والاصيل والدعي ، والمطبوع والمتصنع .

فليس لزاما ان يسرف في التحقيق والاحياء (١) ، او تبذل الاموال

الطائلة في اعادة طبع نتاجات سابقة قد لا ينتفع بها احد او يعول عليها في صقل كفاياته او تصحيح معارفه وتصويب ارائه ، او تعينه في استنباط قرائن واستنتاجات جديدة ، تغير فهمه ورأيه وموقفه ، حيال مسائل الاجتماع والفكر والثقافة ، يستوي في هذا ما تقادم منها واخلقه التداول ، وما استجد وتوافرت له اسباب الريادة .

فما عسى ان يكون مجهود الدكتور نوري القيسي في تحقيق واحياء ديوان ابي زبيد الطائي ، الذي شهد حياة الجاهلية والاسلام ، واكتوى بحوادث الفترتين الخطيرتين من تاريخ العرب واسهم فيها وعني لوقعها وتأثيرها ؟ .

الجواب المقطوع بوجاهته ونصاعته ومته الى الصحة والسداد وتجرده من الخطل والفجاجة ، يتوقف الى حد بعيد على المحصلة التي يمكن ان يضيفها مجهود المحقق الفاضل الى رصيدنا من الاستنتاجات والحقائق المتعارف عليها والمتفق على رعيها واحترامها والقطع بصحتها طيلة الاعصر والدهور المتعاقبة بحيث تبدل من نظرة الدارسين او تعدل فيها وتجري تغييرا واضحا في مفهوماتهم ، ووجهات تفكيرهم ، ومنطلقاتهم الفنية ، وبدون هاته الاضافة الملمسة المنشودة ، يغدو هذا المجهود ضئيل الاثر عديم الدلالة .

وليس ضروريا ولزاما ان يعكف على قراءة الدواوين الشعرية جميعها ، باعتبارها من مصادر الثقافة ومنابعها الصافية ، فالشعراء الذين تأتت لهم خصائص الابداع والجدة والنبوغ والاصالة ، وتمثلت في شعرهم روح عصرهم اذ انفعلوا بأحداثه وتصادوا معها على غاية من الصدق والانفعال القوي ، والابتعاد عن الزيف ، والافتعال في ضروب الاستجابات والمواقف ، اولاء الشعراء المهمون المطبوعون المجيدون قليلون بطبيعة الحال في آداب الامم والشعوب .

وعلى هذا لا يحسن ان يعنى بالاحياء والتحقيق ، مما هو مذخور مكنوز في الحجرات الدامسة وفوق رفوف المساجد القديمة ، من دواوين الشعراء الكثار الذين حكى لنا عنهم ابو الفرج الاصبهاني في (الاغاني) او الثعالبي في (يتيمة الدهر) ، وقدما بين ايدينا مجموعة متواضعة من اشعارهم يمكن ان يغنى بالاطلاع عليها وحدها ، عن البقية التي تحتفظ بها الاوراق العتيقة ، اذا اريد التعرف على خصائصهم الفنية وسماتهم الشعرية .

اقول لا يحسن او يتوجب التحقيق من تلكم الدواوين والمجموعات المتفرقة في اكثر من كتاب ، الا الصنف الذي يفيد في تصحيح مسلمات فكرية متوارثة ، وتبديل في نظرة الدارسين والباحثين حيال افتراضات وأوهام مقطوع بصحتها وارجحيتها ومتها الى الواقع ، دون ان يجرؤ أحد على مناقشتها والتشكيك فيها ، وامكان دحضها وتفنيدها ، واحلال الحقائق الناصعة بديلها .

ومن قبيل ذلك ما اصطلح الدارسون والباحثون طيلة عصور متلاحقة على كون القصيدة الجاهلية ، أعني المنسوبة للفترة السابقة على ظهور الدعوة الاسلامية ، تستهل عادة بالوقوف على الطلل الدائر والرسم العافي لتخلص منه الى نجوى الاحباب الراحلين ، وحنثهم بالمواعد ، وتفريطهم بها ، وتحللهم من تبعاتها ووجائبهم حيالها ، وتعدو ذلك الى صف الفرس الذي حمل الشاعر وقطع به المهامة والقفار ، وتحمل معه صنوف المشاق والاخطار ، مما سمي بالمقدمة التي يغنى الشاعر بنسجها وتصيد معانيها واستيحاء عناصرها ، قبل الشروع في صوغ غرضه الاصلي الذي استأثر به وامتلكه وحفزه على النظم ، ولا يخفى ما اتسمت به سائر مقدمات القصائد الجاهلية من التشابه والتماثل في ضروب الاخيلة والاحاسيس وصنوف المعاني والفحاوي ، مما حمل شاعرا جاهليا مجودا ، معنيا بصقل عبارته ، والتدقيق في معانيه ، واحكام مبانيه الفنية ، أعني به زهير بن ابي سلمى ، على التشكي من نضوب الابداع والتجديد في معطيات معاصريه ، وفضح اغارتهم على معاني القدماء ، دون عناية في استنباط الموحيات الجديدة الدالة على عبقرية الفن واصالة التجربة ، وصدق المكابدة الشعورية .

هذه المقولة المتوارثة عن مقدمة القصيدة الجاهلية لم يعن احد من قبل في محاولة تلمس خروج صفوة من الشعراء عليها ، ومخالفتهم لمتوالها ، وحرصهم على الدخول في غرضهم من غير تمهيد الامر الذي يترتب عليه توفر الوحدة الموضوعية الى حد في القصيدة .

وان يستجلي الدكتور نوري القيسي في شعر ابي زبيد الطائي حرملة بن المنذر المتوفي في ٤١ هـ ، بعد ان عمر طويلا وعاش الحقبة الاولى من حياته في الجاهلية ، ثمة خروجا على « الطريقة التقليدية التي سار على منوالها القدامى ، وتابعهم بعض المخضرمين ، اذ لم يقف على طلل كما وقف امرؤ القيس وعبيد وطرفة وزهير » حيث انه « كان حريصا على الوحدة العضوية في شعره ، لان المقدمة الطللية تخل بهذه الوحدة في كثير من الاحيان وتبعد الشاعر عن الغرض المقصود مباشرة » (٢) . أقول لعل في هذا الاستجلاء القيم الذي يفيد في نفي سمتي القطع والاطلاق عن المسلمة النقدية الشائعة حول بناء القصيدة الجاهلية ، ما يبرر مجهود المحقق الفاضل ، في العناية بجمع هذا الاثر الشعري من مظانه ومصادره ، ويسوغ ضبطه وتصحيحه ووضعه في متناول الدارسين .

والا فان ابا زبيد الطائي الذي تضاربت الاقوال بشأن اسلامه او ابقائه على نصرانيته ، وحضر مجلس الخليفة عثمان بن عفان ، وتحدث له عن الاسد ، واتى على جماع اطواره وحالاته ، وخلص في خاتمة حياته الى الوليد بن عقبة حين صار هذا الاخير الى الرقة ، معتزلا عليا ومعاوية ، وانقطع الشاعر لمنادمته ، حيث مات بعدها ميتة غريبة مدهشة ! بعد امعان في النظر الى السماء واطراح للكأس ، وارسال للنجوى ، واستعجال للمصير المرتقب ، وحتم ما اتسم به فنه الشعري من احتفاء غير مقصود بالمحسنات البديعية قبل ان يستدل النقاد على مواضعها واوجه استعمالها ويتعارفوا على مصطلحاتها ومسمياتها ، اثر تمرسهم بالثقافة اليونانية وامتزاجهم واسترفادهم منها ، فالفت كثير من كتب في العهد العباسي بهذا الخصوص كنقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والبديع لابن المعتز ، وبرع في هاته الصنعة الفنية التي ذهبت في كثير من الاحيان برواء الشعر وعفت على طلاوته ، وان اجدت في حمل القراء على التفكير الفلسفي الدقيق في تلمس دوافع القول وحصر أبعاده واستجماع دلالاته ، برع فيها كثير من الشعراء كمسلم بن الوليد وأبي تمام ، على حد بالغ من السرف والاغراق .

وكذلك ما كتب له ان يجوز من المنزلة الشعرية لدى الملوك وتقريبهم له واعجابهم بجودة اوصافه الشعرية ، مما حاول الدكتور توكيده واثبات صحته الى جانب « استشهاد النحويين واللغويين والمؤرخين والجغرافيين بشعره واعتمادهم عليه في تفسير كثير من الكلمات او تحديد المواضع » (٣) .

اقول ان ابا زبيد الطائي الذي حاز على هذا القدر من الشهرة الغامرة والصيت العريض ، وتقلب على هذه الحوادث والخطوب التي أوجزنا في سردها وتقصيها واستخراجها من مقدمة الباحث المحقق للديوان ، لا يمكن ان تدنيه من شأو المتنبي وابي العلاء والشريف الرضي ومهيار ممن امتلأت حياتهم بالحوادث المريرة ، والتجارب القاسية التي فجرت مواهبهم وطاقاتهم ودفعتهم لقول الشعر العظيم الذي يتألق بالمعاني الرائقة ، والاخيلة البارعة ، والمشاعر الانسانية العميقة ، ويغتني في عديد من نماذجه وشواهده بتجربة الشمول ، والامتداد على حدود الزمان والمكان ، الى جانب صياغته الفنية الدالة على أصالة اللغة وعبقريتها وأهليتها لاحتضان التجارب الكبيرة .

فهذا الاستجلاء القيم الثبت الذي يفيده الدكتور نوري القيسي من دراسة شعر حرملة بن المنذر حول مباينته طرائق معاصريه من شعراء الجاهلية والاسلام ، في سنيه الاولى ، في استهلال قصائدهم بالغزل ومناجاة الطلول الدارسة ، فينفذ الى غرضه دون تمهيد او تقدمة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مما ينم عن معالجة واهتمام « بأغراض خاصة لازمت حياته ، وجاشت في نفسه ، فأثارت لواعج من مشاعر واحاسيس عبر عنها بقصائده ، ولونها بعواطفه التي طبعت هذه المشاعر والاحاسيس » (٤) يؤلف مبررا قويا لبعث هذا الشعر ، واجرائه على الافواه ، وتقديمه للدارسين والباحثين بغية التوقل عليه في تصحيح بعض المسلمات والحقائق النقدية المتوارثة .

فشعر ابي زبيد الطائي على هذا أحرى أن ينسلك في عداد التراث الاصيل الحري بالاعتزاز والتقييم ، قبل ان ينسب الى المخلفات والتحف النادرة التي يحسن ان نحتفظ بها في المتاحف ، ونقبل على تمليها في أوقات الفراغ ونحن في اشد الغنى عنها .

---

(١) يقول الاستاذ صلاح عبد الصبور في كتابه (حتى نقهر الموت) ص ٦٥ ، « في هذه الايام تشيع الدعوة الى بعث التراث العربي من جديد، ويتحدث عنها بعض الناس في توسع وافراط ، وهم يظنون ان كل ورقة قديمة هي تراث ، وكل صفحة صفراء او مخطوطة ينبغي ان تعاد طباعتها على الورق الابيض الصقيل . وهم ينسون ان القدماء انفسهم كان فيهم الصالح والطالح والجاد والهازل والموهوب والعاطل من الموهبة ، مثل أهل عصرنا سواء بسواء . » (٢) و (٣) و (٤) مقتبسات من مقدمة الدكتور نوري القيسي للديوان .

الهندية ـ العراق — مهدي العبيدي

•

الحركة النقدية : حول مذهب ابي تمام

تأليف الدكتور محمود الربداوي ـ ٦١٢ صفحة ـ منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (؟)

هذا الكتاب كما ذكر مؤلفه الدكتور محمود الربداوي ، هو الجزء الاول من البحث ، فهو يؤرخ للحركة النقدية التي قامت حول مذهب ابي تمام البديعي ، منذ كان ابو تمام وحتى القرن الحادي عشر الهجري ، وقد وعد المؤلف في المقدمة بانه سيفرد كتابا خاصا يؤرخ لهذه الحركة وشاعرها في العصر الحديث .

والمنهج الذي اتبعه المؤلف في هذا الكتاب هو المنهج الزمني ، فقسم الكتاب الى مقدمة واربعة ابواب ، تحدث في الباب الاول عن الحركة النقدية في القرن الثالث الهجري ، وهذا الباب مؤلف بدوره من اربعة فصول : خص الفصل الاول بالحديث عن النقد عند علماء العربية النحويين واللغويين ، وخص الفصل الثاني بالحديث عن النقد عند الشعراء ، والفصل الثالث بالحديث عن النقد عند الكتاب ، وختم هذا الباب بالفصل الرابع الذي تحدث فيه عن خصائص النقد في هذا القرن .

واتبع الاسلوب نفسه في البابين الثاني والثالث حينما تحدث عن الحركة النقدية في القرن الرابع والخامس الهجريين ، اما في الباب الرابع فقد حشر القرون المتأخرة كلها ، فتحدث في الفصل الاول عن الحركة النقدية في القرن السادس الهجري . وفي الفصل الثاني تحدث عن الحركة النقدية في القرن السابع ، وتجاوز القرن الثامن والتاسع والعاشر الى القرن الحادي عشر حيث تحدث عن النقد فيه في الفصل الثالث من هذا الباب . وختم الباب بالحديث عن خصائص النقد في القرون المتأخرة مجتمعة .

ثم الحق بالكتاب فهارس للاعلام والاماكن ، وفهارس للقبائل والامم والفرق ، وفهارس لابيات الشعر وللاشطار .

للحديث عن هذا الكتاب لا بد من تناول امرين اولهما : اختيار موضوع الكتاب ، وثانيهما معالجة هذا الموضوع .

السؤال الذي يطرح نفسه عند الحديث عن اختيار الموضوع : ماذا اضاف هذا الكتاب الى المكتبة العربية ؟

الكتاب كما يبدو لي ، وكما اراده مؤلفه ، هو في تاريخ النقد اكثر منه في النقد . لان النقد كما افهمه هو خلق وابداع وادراك أبعاد. اما هنا فلا يعدو كونه تجميعا لاقوال السابقين ، وايرادها موزعة على القرون . والمكتبة العربية في قديمها وحديثها زاخرة بأمثال هذا الكتاب مع الاختلاف في نمط التاليف . وجيلنا المعاصر متعطش للجديد يمده به اساتذته ، لقد مل التكرار ، انه يريد رؤية ادبائه السالفين على ضوء الدراسات النقدية الحديثة ، التي تبحث عن الزاوية الانسانية في نتاج كل أديب ، هذه الزاوية التي ما زالت حتى الان قابعة في الظل ، بعيدة عن اضواء النقد . ماذا عرفنا عن ابي تمام الذي قامت هذه الحركة النقدية الطويلة الامد حول مذهبه ؟ ماذا عرفنا عنه ، عن الشاعر الانسان فيه ؟ ماذا عرفنا عن رؤياه للانسان والوجود ؟ ماذا عرفنا عن علاقته بفنه ؟ هذه الامور كلها من مهام النقد المعاصر ، والكشف عن هذه الامور هو ما تفتقده المكتبة العربية . اما أن نعيد ما قاله الاخرون ، واما ان نكرر آراءهم ، باعتبارنا نؤرخ للحركة النقدية التي قامت حول مذهب ابي تمام ، فهذا لا يغني مكتبتنا الادبية شيئا ، ولا يزيدها معرفة بأبي تمام ولا بمذهبه .

هذا ما يتعلق باختيار موضوع الكتاب ، اما معالجة هذا الموضوع باعتباره موضوعا في التاريخ الادبي ، فلا غبار عليه ، اذ ان الكاتب وفى الموضوع حقه ، فهو لا يكاد يهمل كاتبا او شاعرا او عالم لغة تطرق لذكر ابي تمام ، او استشهد بشعره ، أو تحدث عن فنه ، ناهيك عن الذين افردوا الكتب للحديث عن فن ابي تمام البديعي .

والميزة التي يجب تسجيلها لهذا الكتاب هي ان الكاتب حاول استخلاص الخصائص الفنية التي استقطبت حولها اهتمام النقاد خلال القرون ، كما ان المؤلف حاول ايضا استخلاص خصائص النقد في كل قرن .

اعود فأقول ان معالجة هذا الموضوع كانت معالجة ادبية علمية رصينة محكمة الترتيب .

دمشق — سلافة العامري

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من الكتب السياسية والاقتصادية والعقائدية

وكمية ضخمة من القصص على

جميع انواعها وكذلك جميع الكتب المدرسية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فن التصوير بين صدق العين ومهارة الاصابع

بقلم اندره فرميجيه ترجمة الياس خليل زخريا

نقلنا ، لمتحف نقولا سرسق ببيروت ، من الفرنسية الى العربية هذه التوطئة التحليلية في الفن التصويري الحديث التي قدم بها الكاتب الفرنسي اندره فرميجيه ، من النقاد الفرنسيين ، ورئيس اللجنة التحكيمية ، لوحات معرض الخريف الثامن (٣ ـ ١٩٦٩/١/٢٦) في لبنان .

يبدو ان فن التصوير يجتاز اليوم ، وفي جميع انحاء العالم ، وبعد السنوات المتفائلة والشديدة الخصب التي تلت الحرب ، مرحلة متأزمة . لا لقلة ارتابه ، ولا لقلة المواهب ، او المهارة ، ولكن يظهر كأن كل شيء قد قيل ، وليس من شيء يمكن ان يبتكر بعد .

فهوس الوصول الى مراتب الطليعة ، واللجوء المستمر الى الاثارة ، الى استعمال الاساليب التكنية المضللة او الفاضحة ، والارادة الدائمة الى المفاجأة والمهاجمة ، **كل ذلك قد أدى الى احداث الملل في نفسية جمهور هو منذ زمن** بعيد كأنه آخذ على نفسه أن لا يفهم ، وأن لا يحب الا من طرف العين ، استهانة ، واستخفافا .

حتى الفضيحة نفسها أصبحت مستحيلة ، وطغيان الازياء ، والتنظيم التجاري للسوق ، والمضاربة في الانتاج الفني ، والتطلع نحو الصفقات النفعية ، قد حولت الفن التصويري ، في كثير من الحالات ، ورغم ارادة المصورين ، الى ان لا يكون سوى مادة استهلاك .

« يقذفون » بالمصور في دعم شديد من الاعلان والدعاية ، كأنه سيارة او سلعة ، وذلك لينبذوه بعيدا عندما يخف فيه رونق الجديد ، ويأخذ تيار الزي في التحول . والنتيجة هي أن الاساليب الفنية التي كانت تدوم أجيالا في ما مضى ، **أصبحت اليوم لا تدوم** اكثر من « شتاءين » .

ثم لمن نصور ؟ للعموم ام للافراد ؟؟ للدولة ، للجماعات، لحماة الفن ، لاصحاب المجموعات ؟؟ ومهما كان في وسع الدولة أن تعمل ، فانه لمن الواضح أنها لا يمكنها ـ كما أنه لا يتوجب عليها ـ القيام **بكل شيء** .

ليس في استطاعة الدولة ان تأخذ ، كليا ، الفن على عاتقها ، اذ ليس لديها الامكانيات المادية لتولي هذا العمل ، خاصة لان سياسة كهذه تؤدي حتما الى خلق فن رسمي مراقب في مواضيعه ، وأساليبه ، وفي مثله الاعلى . وحماة الفن يجرون الى هوايتهم جرا ، أما اصحاب المجموعات فان الاسعار المذهلة التي بلغتها اللوحات الحديثة قد ضاءلت عددهم بصورة بارزة ، واقتصر هذا العدد على بعض أفراد من فئة اجتماعية خاصة لا تشوبها شائبة ، غير انها لا تؤلف ، بالمعنى الصحيح ، جمهورا فنيا .

أصبح فن التصوير عمل جماعات صغيرة ، عمل ملمين ، واحيانا عمل رابطات ، يعبر بلغة هي غير مفهومة لدى الإغلبية ، وهو يود ان يتحرر من المال ، من الطبقة البورجوازية ، ولكننا نعلم جيدا ان اللوحات ، الاشد عنفا ، الصارخة الثائرة هي ـ في الغالب ـ وفي اوروبا كما في اميركا ـ اللوحات التي تصل بأسرع ما يكون الى تزيين الدور الفخمة .

لقد كان هذا ، دائما ، محط الفن التصويري الا في اواخر الجيل التاسع عشر وأوائل الجيل العشرين .

وهل في ذلك ما يدعو الى ان نيأس وان نتكلم كما يتكلم بعضهم عن « موت الفن » و «اضمحلال فن التصوير» .

انا لا اعتقد ... ولسنا ندري ما يكون عليه الغد ، وصعب هو التكهن في حوادث التاريخ قبل وقوعها ، وان تاريخ الفن ، وتاريخ الفن التصويري خاصة ، يتحول الى سلسلة يبرز فيها أشخاص متفوقون يبتدعون تعبيرا جديدا ، ويخترعون نوعا مستحدثا طريفا للعلاقة مع الطبيعة.

قال جيد : « سيكون خلاص العالم على يد بضعة افراد » وهؤلاء الافراد القلائل لا يخلقون خلقا اصطناعيا .

علينا ان لا نفتش عما يقتضي ان يكون عليه فن التصوير . فالمنازعة ما بين التجريد والتشخيص هي من شأن اللاهوتيين وليس لها من علاقة بالفن التصويري الحديث .

وسواء صورنا باقة من الازهار او باقة من الاشكال فان ما يؤخذ بعين الاعتبار هو مدى احساس الفنان ، هو صدق عينه ، وصدق يده ، وهذا التوازن ، الصعب المنال العجيب عند تحقيقه ، القائم ما بين صلابة المعرفة والليونة ، بين صفاء القلب والانفعال .

ان هذا التوازن ، ربما وجدناه ، من الان فصاعدا ، في غير المدن التي كانت المراكز العليا لفن التصوير في القرن العشرين . ولم لا يكون في بيروت ..

اني أحمل على كل حال انطباعا مشجعا عن زيارتي لمعرض الخريف الذي ينظمه متحف سرسق .

الياس خليل زخريا

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عارف العارف - عبد القادر يوسف

حسن البحيري

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ عـــارف العـــارف

حفلت فلسطين بطائفة من مشاهير المؤرخين العرب الذين اغنوا خزانة التاريخ العربي بمؤلفاتهم ، وحظيت بيت المقدس بصفوة مـــن ابنائها الاعلام الذين احبوا علم التاريخ فاوغلوا في مساربه ، وغاصوا فـــي مسالكه ، وصنفوا مروياته وحوادثه احسن تصنيف ، وكان في طليعة هذه الصفوة المختارة « عارف العارف » .

والحديث عن « عارف العارف » ، كمؤرخ ثقة اسدى للخزانـــة العربية اجل الخدمات ، وزودها بفرائد المؤلفات ، حديث مفر لذيذ ، وحسب هذا المؤرخ المقدسي انه ارخ بمفرده اخبار النكبة الفلسطينية الاولى في ستة اجزاء ، ودون اخبارها ، وكشف عـن اسرارها فـــي موسوعة جاءت خير ما كتب عن نكبة العرب في القرن العشرين .

ولد « عارف » في بيت المقدس عام ١٨٩٢ واكمل فيها دراستـه الابتدائية ، وتطلعا الى مستقبل افضل قصد هذا العاصمي استانبول عاصمة الخلافة وأتم دراسته الثانوية في احـــدى مدارسها وانتسب لكلية الآداب في جامعة استانبول ونال الشهادة عام ١٩١٣ . وليتغلب على نفقات العيش وأكلاف الحياة زاول الصحافة ليلا فـــي جريدة « بيام » التركية .

وعندما اقدم نفر من الشبان العرب الاحرار المقيمين في استانبول، على تأسيس « المنتدى الادبي » انتخب « عارف » عضوا فيه ، وبعـد ان احرز شهادة الدكتوراه من جامعة استانبول عين موظفا في قلـــم الترجمة التابع لوزارة الخارجية التركية . لكن نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) افضى به الى دخول الكلية العسكرية والتدرب فيها مع رهط من زملائه الجامعيين ، على فنون القتال . وبعـــد ان تخرج برتبة ضابط ارسل الى القفقاس للاشتراك مع الجيش العثماني في الحرب القائمة بينه وبين الجيش الروسي ، على مقربة مـــن « ارض الروم » ونشبت معركة ضارية بين الجيشين وقد اسفرت عـــن ابادة الفرقة التركية التي كان « عارف » يعمل في صفوفها ولم ينج مـــن أفرادها سوى احد عشر شخصا كان المترجم له واحدا منهم .

وفي عام ١٩١٥ أسره الروس مع رهط من الضباط العرب وبعثوا بهم الى معتقل أقاموه للاسرى الاتراك والالمان والنمساويين بالقرب من مدينة « كراس نويا رسك » الواقعة على شاطىء نهر يني ساي وامضى هناك مدة ثلاث سنوات (١٩١٥ ـ ١٩١٧) لـــم يصرفها في البكـــاء والتحسر على ما يبلو في أسره من ضنك وحرمان بل اقبل على تعلـــم اللغة الروسية من الضباط والجنود الروس الذين كانوا يخفرون ذلك المعتقل ، كما تعلم اللغة الالمانية من الاسرى الالمان والنمساويين الذين كانوا أسرى معـــه ، وتمكن وهـــو معتقل مـــن ترجمـــة كتـــاب Das Welt - Raetzel الالماني لمؤلفه الفيلسوف الالماني الشهير ارنست هيجل واصدر جريدة عربية هزلية بخطه .

وفي آخر سني أسره تناهت اليه انباء عن قيـــام الثورة العربية التي اعلنها شريف مكة الحسين بن علي على الترك فاقنـــع « عارف » واحدا وعشرين اسيرا عربيا بالهرب معه من المعتقل للانضمام الـــى صفوف الثورة العربية الكبرى ، وسلكوا طريق منشوريا ـ اليابان ـ الصين ـ الهند ـ مصر عن طريق البحر الاحمر ، وخلال هذه الرحلة الشاقة الطويلة كانت الهدنة قد اعلنت ، ونامة الحرب الضروس قـــد خفتت وعقدت الهدنة .

وبعد غياب طويل قصد « عارف » مسقط رأسه لعله يجده رافـلا في مطارف الحرية والاستقلال ، تلك الحرية التي كان يصبو لها كـل عربي ، وذلك الاستقلال الذي كان يدعو اليه كل مؤمن بعروبته ، لكنه بدلا من ان يرى موطنه ناعما بهاتين الامنيتين رأى ظلما يحيق بامتـه ، وهوانا يسود شعبه ، وعذابا يصب جاماته علـــى وطن قدسه اللـــه واختاره مهدا للرسل والابرار والمصلحين ... ورأى الرذيلـــة تصرع الفضيلة ، وكفة الشر ترجح على كفة الخير ، ودعاة المسيحية فـــي الغرب يؤلبون « اليهودي التائه » على قهـــر فلسطين العربية واذلال شعبها وتهويد مقدساتها وطمس معالمها .. فلم ير « عارف » بدا مـــن حمل السلاح ... وكان سلاحه هذه المرة قلمـــه ... ومسرح نضاله جريدة اسماها « سورية الجنوبية » واصدرها فـــي بيت المقدس ، وصدر العدد الاول منها يوم ٨ ايلول ١٩١٩ بالاشتراك مع زميله حسن البديري ، وقد حملا فيها على الانتداب والصهيونية وفضحا النوايـــا الخبيثة وكشفا عما يبيتان لفلسطين من شر مستطير . وفي كثير مـن الايام كانت هذه الصحيفة الحرة تصادرها السلطات البريطانية ، وكان صاحباها عرضة للسجن والمراقبة الى ان نشبت اول ثورة بين العرب واليهود في بيت المقدس صباح ٤ نيسان ١٩٢٠ فاعتبر الانكليز «عارفا» محرضا على تقتيل اليهود فاودعوه السجن ، لكنه بعد ثلاثة ايـام لاذ بالهرب الى مدينة الكرك بالاردن سالكا طريق البحر الميت ، ورغـــم المحاولات التي بذلها الانكليز للقبض عليه لـــم يوفقوا الـــى ذلك . ولينجو « عارف » من غدر المستعمر قصد دمشق ليمثل القدس فـــي « المؤتمر السوري » الذي اعلن استقلال سورية الطبيعية من طورسينا الى رفح ونادى بفيصل الاول ملكا عليها . وخلال هذه الفترة نظـــرت المحكمة العسكرية التي الفتها السلطات البريطانية فـــي بيت المقدس للبحث في أسباب الثورة الفلسطينية الاولى فاصدرت أحكاما بادانـــة عدد من الوطنيين وكان عارف العارف في عدادهم وقد حكمت عليـــه بالاعدام ثم انزلت الحكم الى السجن عشر سنوات .

ولما تأسست حكومة مدنية في فلسطين وتسلم زمام امورها السر هربرت صموئيل اول مندوب سام جنح هذا الى سياسة اللين والمهادنة فعفا عن جميع المحكومين ، وهم في عرفه « مجرمـــون سياسيون » ، باستثناء عارف العارف وسماحة الحاج محمد امين الحسيني ما لـــم يعودا الى فلسطين مستسلمين للسلطة البريطانية غيـــر انهما رفضا العودة المشروطة ، وظل « عارف » في دمشق يعمل حـــرا طليقا ويشرح ظلامة وطنه وأسس مع نفر من اخوانه الفلسطينيين جمعيـــة سياسية اسموها « الجمعية العربية الفلسطينية » وانتخب « عارف » سكرتيرا لها الى ان احتلت فرنسا سورية بقيادة الجنرال غورو فبارح « عارف » دمشق مع لفيف من اخوانه المناضلين من فلسطينيين وسوريين الـــى الاردن خشيـــة ان تسلمهـــم السلطـــات الفرنسيـــة الـــى السلطات البريطانية وعاش في مدينة السلط وظل يعمل في كتمـــان حتى صدر العفو عنه من المندوب السامي فعاد الى بيت المقدس وحاول ممارسة الصحافة مرة اخرى فلم يسمح له الانكليز بذلك وحظروا عليه الاشتغال بالسياسة . وتخلصا منه عرضوا عليه وظيفة حكومية فرفض قبولها ما لم يقبلوا شرطه وهو ان يحتفظ لنفسه بمبادئـــه السياسية فقبلوا هذا الشرط ودخل السلك الاداري بوظيفة قائمقام وقضى فـــي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادارة سبعا وعشرين سنة (١٩٢١ ـ ١٩٤٨) متنقلا بين جنين ونابلس وبيسان ويافا وبئر السبع وغزة .

وفي عام ١٩٢٦ استعارته حكومة الشرق العربي (حكومة شرقي الاردن فيما بعد) سكرتيرا عاما فقصد عمان وقضى فيها ثلاثة اعوام (١٩٢٦ ـ ١٩٢٨) لكن الانكليز اتهموه بتشجيع المعارضة وتحريض رجالها على رفض المعاهدة الاردنية البريطانية فاعادوه الى فلسطين وعينوه قائم مقام في بئر السبع ثم في غزة وتقديرا لمواهبه رفع مساعدا لحاكم لواء القدس وعهد اليه بادارة قطاع رام الله .

وبعد زوال الانتداب البريطاني على فلسطين وتوحيد ضفتي الاردن عين رئيسا لبلدية القدس ، وفي الانتخابات البلدية التي جرت في بيت المقدس عام ١٩٥١ نال اغلبية الاصوات فانتخب رئيسا للبلدية ، كما اعيد انتخابه لرئاستها بعد الانتخابات التي جرت عام ١٩٥٥ واسفرت عن فوزه فتسلم الرئاسة للمرة الثالثة .

وفي اعقاب عام ١٩٥٥ وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا للاشغال العام وبعد أيام قلائل استقال من الوزارة لخلاف وقع بينه وبين رئيس الوزراء عهد ذاك لاصراره على تجنيب الاردن الدخول في حلف بغداد .

وفي عام ١٩٦٤ زاره ستة من الشبان الالمان يمثلون « رابطة الطلاب المسيحيين الديموقراطيين » في بون ودعوه لزيارة بلادهم والتحدث الى شعبهم عن القضية الفلسطينية فلبى الدعوة وزار عددا من امهات المدن الالمانية والقى عددا من المحاضرات والاحاديث عن القضية الفلسطينية باللغة الالمانية التي يجيدها ، ودخل مع رهط من الكتاب اليهود في جدل حول هذه القضية التي لم يرو التاريخ قضية اظلم منها .

وفي عام ١٩٦٧ عين مديرا عاما لمتحف الآثار الفلسطيني بالقدس وهذا النوع من العمل هو في الواقع من الذ هواياته ، بالاضافة الى هواية تفرد بها بين اعلام الفكر العربي وهي العكوف يوميا على تدوين مذكراته منذ ٥٠ عاما .

والاستاذ العارف يحسن من اللغات الحية سبعا هي : العربية والتركية والعبرية والافرنسية والالمانية والانكليزية والروسية .

وفي عام ١٩٦٧ حج بيت الله الحرام واجتمع بصفوة من رجالات المسلمين ومفكريهم وشرح لهم مأساة بلاده وتشرد مواطنيه لسبب واحد هو انهم ابوا التنازل عن موطنهم الغالي لطغمة من شذاذ الآفاق .

من آثاره القلمية : الف الاستاذ العارف عشرات الكتب والمحاضرات وقد عرفنا منها الكتب المطبوعة التالية :

١ ـ القضاء بين البدو . طبع عام ١٩٣٣ ترجم الى الانكليزية والالمانية والعبرية .

٢ ـ تاريخ بير السبع وقبائلها (١٩٣٤) ترجم الى الالمانية والعبرية .

٣ ـ تاريخ غزة (١٩٤٣) .

٤ ـ الموجز في تاريخ عسقلان (١٩٤٣)

٥ ـ رؤياي (الطبعة الاولى) (١٩٤٣) .

٦ ـ Bedouin Love Law And Legend (١٩٤٤) .

٧ ـ تاريخ الحرم القدسي (١٩٤٧) ترجم الى الانكليزية والفرنسية والالمانية .

٨ ـ المسيحية في القدس (١٩٥١) .

٩ ـ الموجز في تاريخ القدس (١٩٥١) .

١٠ ـ تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك .

١١ ـ النكبة الجزء الاول طبع عام (١٩٥٦)

١٢ ـ النكبة الجزء الثاني (١٩٥٧)

١٣ ـ النكبة الجزء الثالث (١٩٥٨) .

١٤ ـ النكبة الجزء الرابع (١٩٥٩) .

١٥ ـ النكبة الجزء الخامس (١٩٦٠) .

١٦ ـ النكبة في صور (الجزء السادس) (١٩٦٠) .

١٧ ـ المفصل في تاريخ القدس (١٩٦١) .

١٨ ـ سجل الخلود (الجزء السابع لكتاب النكبة) (١٩٦١) .

نموذج من نثره : « يوم له اثره في تاريخ حياتي ، ذلك يوم اتممت الاولية في مدرسة القدس الاعدادية ... المدرسة المأمونية ، وهي المدرسة الحكومية الوحيدة التي كان يؤمها ابناء هذه المدينة المقدسة في اوائل القرن العشرين .

وفيما كنت اعد العدة لمغادرة بلدي ومسقط رأسي قاصدا استانبول لاتابع دراستي في مدارسها الثانوية والجامعية ، وكانت هذه ـ من الناحية العلمية والدراسات الجامعية ـ قبلة الشبان من عرب واتراك وارمن واكراد ويونان والبانيين .

اتتنا أخبار تقول : « ان السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد الحميد الذي كان قابضا على زمام الحكم منذ سنة ١٨٧٦ للميلاد ، خلعه الاتحاديون (١٩٠٨) واقاموا على العرش بدلا منه اخاه السلطان محمد رشاد الخامس ، وانهم اعلنوا الدستور ، وراحوا ينادون بسيادة مبادىء الحرية والاخاء والعدل والمساواة بين رعايا الدولة على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ، فعم الفرح والابتهاج مدينة القدس وراح الناس يسيرون في شوارعها ... في مواكب ضخمة وتظاهرات صاخبة مهللين ... مكبرين ... منادين بسقوط عبد الحميد وسقوط عهد الظلم والاستبداد، ومرحبين بالدستور والحرية والمساواة.

كنت يومئذ في شرخ الشباب ، ورغم اني كنت في الصف الاعلى من مدرستي ... واول الناجحين من لداتي ... فما كنت افهم معنى « الدستور » والقصد من كلمة « المساواة » التي كان المتظاهرون يكثرون من ترددها ! ولم كانوا ينشدون اغاني « الحرية » ؟ ومن هو « محمد رشاد » السلطان الذي هتفوا بحياته ؟ ومن هو « عبد الحميد» الذي نادوا بسقوطه ؟ ومع ذلك كنت اسير وراء المتظاهرين واصيح مع الصائحين : « ليحيى الدستور ... ليسقط عبد الحميد ... ليحيى السلطان محمد رشاد الخامس ! انادي بسقوط زيد وحياة عمرو ، دون أن اعلم ما الذي فعله زيد وما الذي ينوي ان يفعله عمرو! تماما كما يفعل الكثيرون من الهاتفين في يومنا هذا ! الذين يشتركون في (مظاهرات) صاخبة ، دون فهم الاسباب التي ادت الى قيامها او فهم الاحداث التي يهدف اليها منظموها ! ومكثت على هذا النحو جاهلا معنى « الانقلاب » الذي حدث في استانبول سنة ١٩٠٨ والذي ادى الى سقوط عبد الحميد ... واعلان الدستور ... الى ان قصدت هذه المدينة ١٩٠٩ ورحت اتابع دراستي ، وهناك ادركت معنى الانقلاب الذي جرى في العام الفائت ، والوضع المزري الذي تردت فيه المملكة العثمانية على عهد السلاطين السابقين ، نتيجة للحكم الفاسد وانتشار الفقر والجهل والظلم والرشوة والاستبداد في جميع انحاء البلاد ، فايقنت ان الانقلاب امر لا بد منه ، وان الاتحاديين احسنوا صنعا في كل ما عملوه ... وما عملوه كان لخير قومهم وبلادهم .

وما عرفت انني « عربي » وانه يجب علي ان افكر في مصلحة قومي العرب الا عندما تأسس « المنتدى الادبي » في الاستانة ، واني لاذكر ان مؤسسيه كانوا اربعة هم : عبد الكريم الخليل ويوسف مخيبر وجميل الحسيني وسيف الدين الخطيب ، وقد سجل اسمي صديق لي في عداد اعضائه ، فرحت اتردد على ذلك المنتدى ، وكان الشعور القومي قد عم الطلاب العرب ، ورحت اسمع في جنباته كلمات « العرب » « العروبة » « القومية » « الوطن » وكثيرا ما كان الخطباء العرب يلقون الخطب الرنانة والقصائد البليغة من على منبره، في تمجيد العرب وحضارتهم والدعوة الى احياء الامجاد السابقة ... امجاد اجدادنا في بغداد ودمشق والاندلس .

واني لذاكر الآن من الخطباء الذين سمعتهم يتكلمون : عبد الكريم الخليل ، الشيخ عبد الحميد الزهراوي ، رفيق رزق سلوم ، احمد عزة الاعظمي ، معروف الرصافي ، ولئن نسيت فلن انسى

الابيات العصماء التي القاها الرصافي للحث على التمسك بقوميتنا والتضحية في سبيل وطننا العربي ... والتي اصبحت فيما بعد نشيدا وطنيا ، رحنا ننشده كلما اجتمعنا في المنتدى او خارجه فنقول :

نحن خواضو غمار — الموت كشافو المحن
ما لنا غير اكتساء — العز او لبس الكفن
نبذل الارواح — نفديها لاحياء الوطن
هل سوى الارواح — للاوطان في الدنيا ثمن
يا ضلال الألى — لم يكونوا الفدى
ان نمت نحن — فلتحيى أوطاننا

وقوله يوم مثلنا ، نحن اعضاء المنتدى الادبي ، رواية «السموأل» ووفاءه على مسرح « تيه باشي » الكبير في حي « بك اوغلي » وطلبنا اليه ان ينشدنا شعرا فاستوى على المسرح ، وانشدنا قصيدة من غرر شعره ، قال في مطلعها :

هو الليل يغريه الاسى فيطول — ويرخي وما غير الهموم سدول
أبيت به لا الغاربات طوالع — علي ولا للطالعات أفول

الى ان قال :

أقول لقومي قول حيران جازع — تهيج به أشجانه فيقول
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم — فتذهب عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجد المؤثل سعيكم — فيسكت عنكم لائم وعذول
ولو ان فيكم وحدة عصبية — لهان عليكم للمرام وصول

جعلتني هذه القصائد والخطب والمحاضرات اولي وجهي شطر العروبة والقومية ، وازداد كرهي للاتراك عندما رأيتهم يعملون على بسط سيادتهم على العناصر والاقوام غير التركية التي تعيش تحت سيطرتهم ، فراح اخواني العرب وانا في عدادهم نعمل على صون مصالحنا والحفاظ على قوميتنا من الاندثار .

ولا بد لي من الاعتراف ان « المنتدى الادبي » كان من ابرز العوامل التي ادت الى انتشار الفكرة القومية في الاقطار العربية ، وكان موئلا للطلاب العرب الذين يؤمون الاستانة ، بالاضافة الى عدد كبير من النواب والاعيان ورجالات العرب الذين كانوا يؤمون العاصمة العثمانية ، ويقصدون « المنتدى » كلما جاءوا عاصمة الخلافة .

حتى الجمعيات ، سواء السرية منها او غير السرية الاخرى ، كان معظم اعضائها على اتصال بالمنتدى الادبي ، ومن هذه الجمعيات « جمعية الاخاء العربي » التي تأسست في الاستانة واغلقها الاتحاديون اثر حركة عصيان حدثت في ٣١ آذار ١٩٠٩ ، و « جمعية الفتاة » التي تأسست في باريس (١٩١١) وقوامها الدكتور احمد قدري وعوني عبد الهادي ، ورستم حيدر ورفيق التميمي وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وصبري الخوجة وتوفيق الناطور ، ثم انتقلت الى بيروت اثر اعلان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ثم الى دمشق ، وكان من اعضائها ايضا جميل مردم والامير مصطفى الشهابي وصبحي الحسيني وابراهيم حيدر ، ولقد تعرضت هذه الجمعية ، بسبب دعوتها لاستقلال العرب ، لغضب جمال باشا الطاغية ، فساق معظم رجالها الى ديوان حرب عاليه ، وما لبثوا ان لاقوا حتفهم على اعواد المشانق » .

٢ ـ الدكتور عبد القادر يوسف

الشعار الذي آمن به الدكتور عبد القادر يوسف وصارح به قومه سرا وعلنا قول العالم الاديب الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة « العربي » : « ان اخفاء رؤوسنا في الرمال كالنعام لا يفيدنا في شيء ... ولن يحرر ارضنا ، لذلك يجب علينا ان نواجه الحقائق بالعمل لا بالعواطف والحماس ! »

ولد « عبد القادر » في « الطيبة » بقضاء طولكرم ودخل مدرسة القرية في سن مبكرة ، واكمل الدراسة الابتدائية بفترة زمنية تقل عن مالوف سني هذه المرحلة ، وتابع دراسته الثانوية في طولكرم ثم انتسب الى مدارس المراسلات البريطانية واعد نفسه لامتحانات جامعة لندن .

ولتعذر التعليم العالي عليه عمل معلما ووجد في مهنة التعليم منطلقا لزيادة التحصيل ، فاحرز طائفة من الشهادات التي تؤهله للتدريس في المدارس الثانوية .

وبعد النكبة الفلسطينية الاولى عمل معلما في الاردن وبعد عام قصد الكويت ليعلم في « المباركية » الثانوية . وتطلعا الى مستقبل زاهر قصد الولايات المتحدة والتحق بجامعة انديانا الشهيرة وحصل على درجة الماجستير في التربية وعلم النفس والماجستير في العلوم السياسية و (الدكتوراه) في فلسفة التربية والعلوم السياسية ، وتقديرا من جامعة انديانا لتفوقه قدمت له منحة مالية سخية تمكنه من زيارة بعض الجامعات الاميركية ومكتبة الكونغرس بواشنطون اثناء اعداده الدراسة لاطروحة الدكتوراه . وخلال اقامته في الولايات المتحدة اسهم في ندوات وحلقات نقاش حول القضية الفلسطينية ، وكتب بعض المقالات في الصحف الاميركية في عرض وجهة النظر العربية .

وفي عام ١٩٥٦ عاد الى الاردن وعين مديراً عاما مساعدا للمطبوعات والنشر ، وما لبث ان استقال قاصدا ليبيا حيث عمل مدرسا في معهد المعلمين بطرابلس الغرب ومشرفا على برامج تدريب المعلمين ثم عين مدرسا في كلية الاداب والتربية بجامعة ليبيا وبقي هناك حتى مطلع عام ١٩٦٢ ثم استقال وعاد الى الكويت وعين في وزارة الارشاد والانباء الكويتية مراقبا عاما للبحوث والترجمة والتراث العربي ، وفي عام ١٩٦٤ عين خبيرا لمنظمة اليونسكو في بغداد .

آثاره القلمية :

١ ـ مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية طبع عام ١٩٦٢ .
٢ ـ التربية والمجتمع (١٩٦٤) .
٣ ـ ودرو ويلسون وسياسة توازن القوى (مترجم) ١٩٦٤ .
٤ ـ تنمية الكفاءات التربوية (١٩٦٧) .
٥ ـ الاناشيد الفائزة في الكويت (١٩٥٥) .
٦ ـ الخليج العربي (مترجم) .
٧ ـ عبرة النكسة .

نموذج من شعره : قرض « عبد القادر » الشعر طالبا واستاذا في فلسطين وخارجها ، وبعد حلول النكبة المروعة الاولى ، اقبل على القريض يتنفس به هموم صدره ويتساءل عن وطنه السليب ، ويستعيد ذكريات صباه في مدارج طفولته ويصبو الى الدار ... والزيتونة ... والكرم :

وقفت وراء الحدود — أشيع أحلامي الباكيه
واندب ربع الجدود — اسائل عن عودة ثانيه
احقا تهاوى الشهاب — واصبح في وهدة هاويه ؟
احقا أرى أم سراب — واين أنا ؟ أين أوطانيه ؟

احقا خسرناها ولن نرجعا
ولن أبصر المربع المرعا
وأمي وأهلي وصحبي معا
وتلك العشيات والمهجعا
وبيتا على السفح قد أشرعا ؟

وقفت وحيدا هناك — وبيني وبين ديار خطى
واقرب منها السماك — ومن دونها لاح طيف الردى
فيا وطني هل أراك — تحرر من واغل قد بغى
أحب وأفدي ثراك — وأين أنا ؟ أين أوطانيه ؟

أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟!

وقفت اسير الهموم ... أود العبور الى جنتي
فهذي دروب الكروم ... وها أنا أبصر زيتونتي
يعانق وجهي النسيم ... وقد لفني الصمت في وحدتي
فلم لا اشق التخوم ... وأين أنا ؟ أين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

وقفت وطرفي يجوس ... خلال ديارى وملهى الصبا
هناك الدوالي تميس ... وتكسو الازاهير هام الربى
وخلف التلال نفوس ... معودة أن تسل الظبا
تطاطىء هذي الرؤوس ... لمن ؟ وا لاوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

وقفت نجبي الذكر ... اسائل عن امسنا الاول
أهذي عوادي القدر ... وكيف اغارت على معقلي ؟
هنا لبنينا عبر ... هنا الثار يزبد كالمرجل
أهذا خيال عبر ... وأين إنا ؟ أين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

وقفت وعندي احتراب ... بنفسي يكاد يهد الشعاب
هنا الذل القى حجاب ... على وطن لم يهن للغلاب
هنا للدموع انسكاب ... فقد جلل الذل هذي الهضاب
فهل لي .. لداري مآب ... وأين أنا ؟ أين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

وقفت .. أهذا طلل ... تقادم، لا فهو روض الخلود
مغانيه منذ الازل ... على حسنها في البرايا شهود
فكم قد رنته مقل ... وهامت به ظبيات وغيد
فلم اسلمته الاسل ... وكيف رمى العار أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

أمد يدي في حنين ... أصافح من ؟ ليس يدنو أحد
فتلفح روحي الشجون ... وتعصف بي مانجات الكمد
ويبعث حقدي الدفين ... بنفسي يمور يهد الجسد
فاين انتقام السنين ... واين أنا ؟ أين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

رجعت كسير الفؤاد ... وقد عبثت بكياني البلايا
وقد ضاع مني الرشاد ... وسرت اجبر معنى خطايا
لمثلي يطيب الرقاد ... وخلف الحدود تركت هوايا
الى اين ؟ هل لي معاد ... واين أنا ؟ اين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

فيا وطني المستباح ... ايا موئل الشمم الضارب
لئن اثخنتك الجراح ... وحطت عليك قوى الغاصب
فما هنت يوم الكفاح ... ولا كنت في الذل بالراغب
احلما ارى في الصباح ... واين أنا ؟ أين أوطانيه ؟
أحقا خسرناها ولن ترجعا ؟

ولن أبصر المربع المرعا
وامي واهلي وصحبي معا
وتلك العشيات والمهجعا
وبيتا على السفح قد أشرعا ؟!

٣ ـ حسن البحيري

ولد « البحيري » في حيفا بفلسطين في اعقاب الحرب العالمية الاولى ودرس في احد كتاتيبها وانهى الصف الابتدائي الرابع في المدرسة الاميرية والتحق بالخدمة في سكة الحديد بحيفا ، ودرس على نفسه الانكليزية والعبرية ، واقبل على قرض الشعر ونشر القصائد والمقالات في جريدة « الدفاع » اليافية وفي الصحف والمجلات الحيفاوية وفي « الرسالة » القاهرية و « الاديب » البيروتية .

وشعورا منه بان الامة التي تحدر منها مغلوبة على أمرها قرر الاسهام بالحركة القومية الفلسطينية فقام ، مع الفدائيين العرب في حيفا بنسف المطحنة الكبرى التي اتخذها الخصم وكرا للاعتداءات ، وقد تم نسفها باتفاق بين « حسن » وكان موظفا في سكة الحديد وسائق القطار على وضع لغم كبير اعدته القيادة العربية بحيفا في احدى عربات القطار الداخلة الى المطحنة ، فدمر الواجهة الامامية تدميرا شاملا واطاح بالآليات الكبرى ، وهنا أخذ المناضلون العرب في قصفها وتدمير اجزائها من الداخل بالقنابل ، كما وضع « البحيري » مع نفر من المجاهدين الفاما اخرى في عقارات حصينة اتخذها القناصة اليهود مراكز لاصطياد العرب ، وبعد حلول المأساة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح « حسن » الى دمشق وعمل مراقبا للقسم العربي في الاذاعة العربية السورية وله برنامج اذاعي طريف بعنوان « مع القاموس » وبرنامج آخر بعنوان « من تراثنا الادبي » وعين استاذا للادب العربي في بعض ثانويات دمشق .

من آثاره القلمية : في سن مبكرة قرض « حسن » الشعر وحزم بعضه في ثلاثة دواوين دفعها للطباعة قبل وقوع النكبة الاولى ، ودونك اسماء ما اضفى على الخزانة العربية من دواوين ومترجمات :

١ ـ الاصائل والاسحار ، ديوان شعر ، طبع في القاهرة عام ١٩٤٣ .
٢ ـ افراح الربيع ، ديوان شعر ، القاهرة (١٩٥٤) .
٣ ـ ابتسام الضحى ، ديوان شعر ، القاهرة (١٩٤٦) .
٤ ـ اوسكار وايد (مترجم عن الانكليزية) دمشق (١٩٥٣) .
٥ ـ رجاء (قصة) مخطوطة .
٦ ـ ظلال الجمال (ديوان شعر) مخطوط .
٧ ـ جنة الورد (ديوان شعر) مخطوط .
٨ ـ دعاء السراب (ديوان شعر) مخطوط .

نماذج من شعره : عاش « حسن » لصوقا بكبد الارض الطيبة المغتصبة ، وأحب منها شجرة البرتقال ، وهام بشذاها الفواح وصورها بريشة الشاعر ـ المصور الذي يكفيك مؤونة التساؤل :

أتسأل عن زهرة البرتقال ... عن السر في سحر ازهارها
عن الفجر يوقف ركب الصباح ... ليقبس فتنة انوارها
عن العطر تسكب منه النجوم ... سلاف الدنان لسمارها
وعن قطرات الندى والليالي ... تصوغ حلاها لاقمارها
عقودا تمنت للآلي الجنان ... لو انتظمت بين أحجارها
أتسأل عن زهرة نورت ... فهام الفتون بنوارها :
سمائي سقتها مذاب الضياء ... وارضي غذتها بأعطارها

وبعد أول نكبة مروعة اطاحت بفلسطين ومزقتها شر ممزق ... وفي ليلة من ليالي خريف عام ١٩٥٠ قصد الشاعر متنزهات «الربوة» و « دمر » بدمشق وفي جلسة شعرية حالمة خيل له ان حوارا يدور همسا بين اختين ... فصوره « حسن » شعرا وقال ببساطة الشاعر: « ان ارج الزنبق » هو « انفاس الوطن » :

سالت ذات حنين اختها ... والدجى يعقد اجفان الوسن
وصدى النجوى على افق الربى ... يزفر اللهفة في ليل الشجن
اخت : ما سر الشذا من زنبق ... يبعث النشوة في قلب الزمن ؟
فاجابتها بلحن شارد ... رن فاهتز له عطف الغصن :
يا ابنة الايك ويا اخت الشجى ... ارج الزنبق انفاس الوطن !

وظل « حسن » وفيا للوطن المغصوب ذاكرا « حيفا » الفافية في سواد عينيه ... الجاثمة في سويداء قلبه وراح يخاطبها من « ركن فلسطين » بالاذاعة العربية السورية بدمشق :

ما اشرقت عيناك الا خانني ... بصبابتي.. صبري.. وحسن تجملي
وتحسست كفاي من الم الجوى ... سهما مغارس نصله في مقلتي

بسمات

•

لـــم تعـد ليلى التي أعرفها ... لا من الغيد ولا فـي الظبيات
لا محياهـــا محياهـــا ولا ... لفتات الجيد تلـــك اللفتات
قسمات الحسن غامت وامحت ... وتغشتها السنـــون السافيات
المصابيح التـــي فـــي وجهها ... أطفئت لـــولا بقايـــا بسمات

وديع ديب

وتسارعت من مهجتي في وجنتي ... حمر المدامع جدولا فـــي جدول
فلقد رأيت بلحظ عينك اذ رنت ... والتيه يكحلهـــا بميل تدلـــل
«حيفا» وشاطئها الحبيب وسفحها ... وذرى تعالت للسمـــاك الاعـزل
ومنى تقفت فـي فسيح رحابها ... وهوى تولى فـي الشباب الاول
ورأيت هيمنة الامـان مطمئـــن ... اللهفات من غدر الصروف الحول
بظلال أهـــداب تـــرف غضارة ... كظلال أهداب الغمـــام المثقل
وذكرت مـــن عمر النعيم مضاءة ... بصبا على رود الليالي معجـــل
والعيش بستان وبسمة سعـده ... فجر بافراح المشارق ينجلـــي
والنجم يسحب من مشارف أفقه ... ذيل الاباء الـــى مشارف منزلي
عين رأيـت بسحرهـــا وفتونها ... احلام عهـد بالصفـاء مظلـــل
ولمحت بـــين سوادها وبياضهـا ... ظل الصنوبر في أعالي «الكرمل»
فعلى جفونك لاح طيف ربيعـه ... والحسن بوطئه بساط المخمـــل
والسوسن المطلول بـين صخوره ... خفق العطاف على أغاني البلبـل
ومضاجع الاحباب فـــي احضانه ... بين الخمائل من حريز موصلي
والريح تشدو في ملاعب دوحـه ... نغما تنام لـــه عيون العـــذل
جبل اظـــل علـــى مرابع أنسه ... قمري ... وغاب وتمه له يكمل
وغرست بـــين شعافه وشعابـه ... زهر الصبا ورويته مـن سلسلي
ورعيته بالروح من لفح ... ومن ... نفح ... ومن غير الزمان النزل
فنما على جهد الضنى وعنائـه ... وزكا علـــى جـزح عسير المحمل
حتى استوى سوقا وهدهد خاطري ... مجنى وأكمام الرجاء بسمن لي
قطفته كف غيـــر كفـــي عنـوة ... وجناه من أرضي غريب المنجل
فاذا رنوت الـــى لحاظك تائها ... من سرها في جنح ليل اليـــل
متعثر اللحظات ، مشدوه الاسى ... اهفو لحظ مدبـــر او مقبـــل
وانـا أرود بلهفتـــي وصبابتي ... الق السنى مـن وجهك المتهلـل
فتطلعي ... لا تلقي جيـد الحيا ... عني ففي عينيك غايـة مأملي .

وأي شاعر أصيل ولد في الارض الطهور واكتحلت عيناه بسحر فلسطين وبرها ينسى الارض المقتصبة ، ولا ترف فـــي خاطره مغاني الصبا ومدارج الفتوة ، كما رفت في خاطر « حسن » والحسرة تمزق نياط قلبه :

فلسطين ... ان العلا مـن اسى ... اذا ذكـــروك لهـــا تطـــرق
ترابك ... هذا التراب الطهور ... وفـي روحـه عطـش مزهـق
ساسقيه مـــن نفثـات اللهيب ... وفيض الدماء حيـــا يغـدق
لانبت حريتـــي فـــي ثـــراك ... واجعـــل اغصانهـا تـــورق
فتزهـر فيـــك غصون السلام ... ويبسم فـــي ظلهـا الزنبـــق

وانى لشاعرنا « البحيري » ان يسلو « حيفا » مدرج طفولته ، وقد عاش يهواها ويتغنى بمفاتن ساحلها و « كرملها » ويصبو لنسيمها العليل :

اذا نظرت عيناك من بسط الغمض ... مصابيح «حيفا» وهي باهرة الومض
رأيت السنى لف الدجى ورأيتها ... نجوم سماء قد نثرن علـى الارض
وان جلت بالطرف اللموح وانت من ... ذرى «الكرمل» الشم الشعاف على نهض
وشارفت ارجاء « الخليج » بظلها ... وامواجه بـين التبسط والقبض
وقطر السنى ينهل من قمر الدجى ... فيغسل وجه الماء بالذهب المحض
تصورته صبحا و«حيفا» وسحرها ... بقية ليل عنـــد شاطئه الفضي
بقية ليـــل قـــد تجمع نجمهـــا ... مضى الليل عنها وهي بالنجم لم تمض!

وعاشت « حيفا » فـــي قلب « البحيري » .. وظل يشيـــد بمناظرها الخلابة ، ويعاوده الحنين الى غابة مخضوضرة تقع في اعلى هضاب « الكرمل » :

وغابة في أعالي «الكرمل» ازدهرت ... تلهو باغصانها انشودة الريـــح
اذا بكى الغيث وانهلت مدامعـه ... تبسم الزهر فـي ارجائها الفيح

وتوالت الاحداث المروعة على عرب فلسطين ، واحس «البحيري» ما ينتظر الشعب البريء من ترويع وتفجيع ، وما يدبر الخصم الماكر والمستعمر الغشوم من مكايد واحابيل للايقـاع بهـذا الشعب المؤمـن بعروبته :

فيا أمـــة كـــم أهاب الرشاد ... بهـا للسداد فلـــم تزدجـــر
ولـــم تهف الا لحض الصفـــار ... ولـــم تصب الا لامـر نكـــر
الام التلهـــي بسخف الامـــور ... عـن الجـد بين الزايا الكبر ؟
لقد بلـــغ السيل هـام الزبـى ... ولم يبق في العيش من مصطبر
وكيف بصبر عـــلى ليل جهـل ... دجـى بالملمات لمـا اعتكـر ؟
فلا بد للشعب مـــن صيحـــة ... يدوي صداهـــا بسمع العصـــر
لتبعثـــه مـــن رموس الرقـاد ... فينفـض مـــن وزره مـــا وزر
ويحطم مـن قيده مـــا بـــراه ... فيرجع مـــن مجده مـــا غبـــر
ولا بـــد للعلـــم مـن وثبـة ... الـى مـا وراء النجـوم الزهـر
لنلقـي نيـــر العمى والضلال ... ونخلع عنـــا ســـواد الازر
ونمضي بعـــد اعتكار الظـــلام ... الـى حيث نـور الضباح الاغـر
لندرأ عـن مهـد عيسى المسيح ... وموئـل مسرى الرسول الخطـر
والا فيـــا ويلنا مـــن فنـــاء ... علـــى بابنـــا بالردى ينتظـر
وهل في بقاء لنـا مـن جـدء ... اذا لـــم نقـــم لنزال الغبـــر
فترتـــد عنـا باحـدى اثنتين : ... حياة العلا ... او ظلام الحفر !

عمان ــ الاردن

البدوي الملثم

معجم الشذور الذهبية في الالفاظ الطبية

بقلم ضاحي عبد الباقي

* * *

شهدت مصر في النصف الاول من القرن الماضي نهضة علمية على اثر اتصالها بالحضارة الغربية ، استتبعت ترجمة التراث العلمي الغربي ، واقتضى ذلك الاهتمام بالمصطلح لتوضيح الدلالة العلمية . وقد شعر بذلك رفاعة الطهطاوي وهو في باريس فقال : « فن الترجمة وهو من الفنون الصعبة خصوصا ترجمة الكتب العلمية ، فانه يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلم المراد ترجمتها » (تخليص الابريز ص ٦٧) كما شعر بالمشكلة ايضا بعد عودته الى مصر واشتغاله بالترجمة ومراجعة الكتب ، وسجل هذا الشعور في مقدمة اول كتاب طبع له وهو « المعادن النافعة » (انظر ص ٣) . وممن عبر عن هذا الشعور كذلك خليفة محمود تلميذ رفاعة ، فقال في مقدمة كتاب « اتحاف الملوك الالبا » : « ان اللغة العربية بمعزل عن اللغات الافرنجية ، فلزم لي معاناة اين ومكابدة مشاق بين حين الى حين لاجل ان آتي بمقابل الفاظ يصعب وجود مقابل لها في العربية يكون مطابقا لمعناها ومؤديا لجميع مفادها وفحواها حتى انه ربما ورد علي بعض الفاظ لم اجد لها مقابلا بالكلية ، فبلفظها الاصلي ذكرتها ، وبجملة اعتراضية فسرتها » (ص ٨ من سابقة الكتاب) .

وكان لا بد ان يوضع لهؤلاءالعلماء معجم اصطلاحي يرجع اليه كل مترجم او مؤلف في تحديد ما يواجهه من مصطلحات ، وللمعجم اهمية كبرى في توحيد المصطلحات والاكتفاء بمقابل واحد للفظ الاجنبي الواحد ، وبذلك يقضي على البلبة الناشئة من تعدد المصطلحات ، لذا وجدنا اهتماما بوضع معاجم اصطلاحية في ذلك الحين .

مراحل المعاجم الاصطلاحية : وقد مرت المعاجم الاصطلاحية في تلك الفترة بمرحلتين :

الاولى : معاجم الحقها اصحابها بكتب ترجموها ، ولم تتعد الاصطلاحات الواردة في الكتب التي الحقت بها . واول من ادرك اهمية ذلك الاب رفائيل زاخور ـ على ما اعلم ـ فقد جمع المصطلحات الواردة في كتابه « صناعة صباغة الحرير » وشرحها واثبتها في اول كتابه . ثم تابعه في ذلك ـ وان لم يشر اليه ـ رفاعة الطهطاوي وتلاميذه . وهذه المعاجم اكتفت بتدوين المصطلحات باللغة العربية ولم تضع مقابلاتها الافرنجية .

الاخرى ، ثم تطور المعجم الاصطلاحي ، فاصبح معجما خاصا بعلم واحد مع ما يتصل به من علوم أخرى غير مقيد بكتاب معين ، وهذه المرحلة مرت بدورها بعدة اطوار اقتصرت في الطور الاول على المصطلح العربي دون ذكر المقابل الاجنبي ويتمثل ذلك في معجم « الشذور الذهبية في الالفاظ الطبية » موضوع بحثنا .

الشذور الذهبية في الالفاظ الطبية : لم تقنع مدرسة الطب بالمعاجم التي كانت تلحق بالكتب ، ففكرت في وضع معجم يشمل الاصطلاحات التي تتصل بالعلوم الطبية ، فتضافرت المدرسة بكل هيئاتها على القيام بهذا العمل ، واحضر « كلوت بك » من فرنسا معجم « قاموس القواميس Dictionnaire des dictionnaires de médecine تأليف فابر ، وهو قاموس يقع في ثمانية اجزاء ويحوي جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الاخرى المتصلة بالطب (حركة الترجمة في عصر محمد علي للدكتور الشيال ص ١٩٢) .وقد قسم ناظر المدرسة اذ ذاك « الدكتور برون » هذا المعجم على اساتذة المدرسة وهم : ابراهيم النبراوي ، معلم الجراحة الكبرى ، ومحمد علي معلم الجراحة الصغرى ، ومحمد شافعي معلم الامراض الباطنية ، ومحمد الشباسي معلم التشريح الخاص ، و عيسوي النحراوي معلم التشريح العام ، واحمد الرشيدي معلم الطبيعة ، وحسين غانم الرشيدي معلم الاقربازين والمادة الطبية ، ومصطفى السبكي معلم امراض العين ، وحسين علي معلم علم النبات (الشذور الذهبية حـ١ اللوحتان ٢ و٣) « فترجم كل من هؤلاء الاساتيذ الجزء الذي اعطيه واجتهد في توقيع لفظه على المعنى » (الشذور ج ١ اللوحة ٣) . الا ان « برون » لم يقنع بذلك بل اراد ان يتضمن القاموس المصطلحات التي وضعها العرب من قبل فأحضر اولا « القاموس المحيط » للفيروزابادي ، وقسمه على اساتيذ المدرسة السابق ذكرهم ـ الذين قاموا بترجمة القاموس الفرنسي ، واشرك معهم الشيخ محمد عمر التونسي (كاتب مقدمة المعجم) والشيخ سالم عوض المصحح الاول ، والشيخ علي العدوي وطلب ان يراجع كل منهم جزاه ويستخرج منه « كل لفظ دال على مرض او عرض ، و كل اسم نبات او معدن او حيوان في خلاله قد عرض» (نفس المصدر اللوحة ٣) . ثم اختص الشيخ عمر التونسي بمراجعة « قانون ابن سينا » وتذكرة داود ليستخرج ما فيها من تعاريف ، ولم تقف همته عند هذا الحد بل انه ـ كما يقول ـ زاد على ذلك « ما في فقه اللغة ، ومختصر الصحاح ، وما في الهروي من التعاريف الصحاح و ضمنت لذلك اسماء الاطباء المشهورين واسماء عقاقير كنت ارتها في بلاد السرادين » (نفس المصدر واللوحة) ثم قام بعد ذلك الشيخ التونسي بترتيب

القاموس ترتيبا معجميا مراعيا في ذلك شكل الكلمة الخارجي فنجد مثلا « احول » في باب الهمزة فصل الحاء ، و « ارتجاج » في باب الهمزة فصل الراء . وبعد ان انتهى التونسي من تحرير المعجم تحريرا وافيا قابله معه وكيل المدرسة محمد شافعي، ثم سماه (اي التونسي) في النهاية « الشذور الذهبية في الالفاظ الطبية » (الشذور ح ١ اللوحة ٤) .

وقد تم اعداد هذا المعجم في ١٠ من شعبان سنة ١٢٦٥ هـ ، وما كاد يصل الى التمام حتى كان عصر محمد علي قد انتهى وتوفي ابنه ابراهيم وتولى عباس الاول زمام مصر ، وبدأ عصر الركود العلمي ، فأخذ « كلوت بك » المعجم الى باريس واهداه الى المكتبة الاهلية Bibliothéque Nationale وذلك في التاسع من شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٥١ .

وفي مفتتح القرن العشرين احضرت دار الكتب المصرية نسختين من هذا القاموس مصورتين بالتصوير الشمسي . وفي نحو سنة ١٩١٠ فكرت وزارة المعارف المصرية في طبعه وعهدت بذلك للدكتورين : احمد عيسى وفارس نمر (تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر من عهد محمدعلي للدكتور السيال ص١٩٣) ، فقام الدكتور عيسى بتحقيق جزء من المعجم (من اوله الى مادة « ازاد ران ») غير مكتف بالنص العربي ، بل وضع امام كل مصطلح عربي مقابله باللغتين الانجليزية والفرنسية ، طبعته دار الكتب المصرية على نفقتها في مطبعة المقتطف سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ووقف عند هذا الحد فلم يتابع تحقيق بقية المعجم ، كما ان الدكتور فارس نمر لم يتابع هو الاخر نشر المعجم فضلا عن انه لم يشارك الدكتور عيسى في الجزء الذي حققه .

ومن يطلع على هذا المعجم يلاحظ انه يمتاز بأنه :

١ ــ جمع بين المصطلح وتعريفه .

٢ ــ يحتوي على كثير من مصطلحات القدامى .

٣ ــ لم يغفل المصطلحات الحديثة .

٤ ــ جمع بين العربي والدخيل سواء أكان هذا الدخيل دخل العربية في عصورها الاولى (عصور الاحتجاج) ام في عصر النهضة العباسية ، ام في العصر الحديث فهو يشمل كما يقول التونسي (الشذور ص ٣ من المقدمة) :« اسماء لطينية واخرى فرنساوية (كذا والصواب فرنسية) واخرى فارسية سواء استعملها العرب ام كانت محدثة » على ان غالبية مصطلحات المعجم عربية .

ومن امثلة المصطلحات الوارادة بهذا المعجم :

١ ــ اخيف : هو الفرس الذي احدى عينيه سوداء والاخرى زرقاء .

٢ ــ اذان الارنب : هو نبات من الفصيلة الشعاعية ثنائي اعضاء التأنيث .

٣ ــ افيوستوم : اسم لنوع من الديدان الطويلة المتولدة من باطن الانسان ، وهو اسم يوناني مركب من كلمتين معناه ذو فم افعى .

٤ ــ المنقنيز : هو جسم لا يوجد في الارض نقيا بل في حالة الكبريتورا والاكسيد او الفوسفات او الكربونات او التونجستان .

٥ ــ الوصب : ما بين البنصر الى السبابة ، وبالتحريك المرض (ج : اوصاب) ، وقيل هو دوام الوجع ولزومه ، وقد يطلق على التعب والفتور في البدن ، وقيل هو شدة الوجع .

٦ ــ يوديك: هو حمض ناشىء من اتحاد الاوكسجين باليود ، وهو صلب شفاف ابيض حامض قابض لا رائحةله

ولكننا نأخذ على المعجم اغفاله المقابل الافرنجي بالرغم من ان ذلك لم يكن ليكلف القائمين على العمل كثير عناء ، خاصة وانهم اعتمدوا في اول الامر على قاموس فرنسي كما سبق ان ذكرنا .

وهذا المعجم يقع في اثني عشر جزءا ، كل جزء منه يحوي مائة لوحة عدا الجزء الاول فانه يشتمل على تسع وتسعين والجزء الاخير فان به ثماني وتسعين .

وبعد فلقد آن الاوان لهذا التراث ان ينشر ويرى النور ليستفيد منه الدارسون بعد قرابة قرن وربع القرن حبيسا متواريا بين الاضابير عن اعين الناس .

حقيقة ان الدنيا تقدمت والعلم يخطو كل يوم خطوات سريعة ، وان مصطلحات هذا المعجم لم تعد تكفي الان لمواجهة العلوم الطبية المتطورة ، كما ان منها ما تغير مدلوله بسبب الاكتشافات المستحدثة ، لكن الذي لاشك شك فيه ان جل هذه المصطلحات ما برح يستعمل في عالم الطب ، وان في نشر هذا المعجم فائدة عظيمة للدارسين ومادة خصبة للهيئات التي تعنى بالمصطلحات ترجح ما ينشر من كتب القدماء ، لانه يتناول مصطلحات القدماء والمصطلحات التي جدت بعدهم حتى القرن التاسع عشر . ويحسن ان يراعى عند تحقيق هذا المعجم المنهج الذي اعتمده المرحوم الدكتور احمد عيسى في نشرة الفصلة الاولى منه، فيحرص على وضع المقابلين الانجليزي والفرنسي ، وتحقيق ذلك ليس بالعسير لان واضعيه اعتمدوا على معجم فرنسي يمكن الرجوع اليه . وافضل تحقيق المصطلحات تحقيقا علميا مقارنا بما وصل اليه العلم اليوم مشارا الى الجديد او الخلاف في الحاشية ، وفي ذلك فائدة كبيرة لمؤرخي العلوم .

ان نشر هذا المعجم امانة في عنق المجامع اللغوية والعلمية التي تعنى بالمصطلحات الطبية ونرجو ان تتحفز لذلك الهمم ، ونسأل الله التوفيق والسداد .

القاهرة — ضاحي عبد الباقي

قصة اغنية

بقلم رستم كيلاني

عندما دقت ساعة الجامعة في المذياع تعلن الخامسة مساء ... وقف الدكتور (وحيد) يضبط ساعته قبل ان يدخل محل بيع الاسطوانات ليشتري اسطوانة ليكمل بها مكتبته الفنية .

وعندما دخل المحل ..

كان خاليا الا من بعض المشترين . وقد انشغل صاحبه ببعضهم .

وقد استأذن البائع من الدكتور « وحيد » لينتظره حتى يفرغ من هؤلاء المشترين ..

ووقف الدكتور « و حيد » يقلب في الاسطوانات المعروضة على تلك الحوامل التي اعدت خصيصا لها في شكل جميل منسق .

وبينما هو كذلك ..

دخلت من الباب الخارجي ..

شابة في الثلاثين تقريبا .. ندية الحسن .. رشيقة القوام .. ترتدي (فستانا) يميل الى اللون الاصفر .. يتوسطه حزام عريض من الجلد تقريبا بنفس لون (الفستان) ... تتدلى من مقدمته حلية ذهبية ..

وتنتعل حذاء ذهبيا بسيطا مفتوحا اطلت منه اصابع قدميها المطلية ، اظافرها الطويلة باللون الفضي .

اما وجهها فلم يتبينه الدكتور (وحيد) جيدا فقد كان يختفي نصفه تحت نظارة شمسية سميكة .. وعلت شفتيها المطلية بلون هادىء .. بسمة هادئة ..

وكان رأسها متوجا بشعر كستنائي اللون تخللته بعض الشعيرات البيضاء فأعطت لصاحبته وقاراً ..

وقطع تفكير الدكتور (وحيد) وتركيزه على هذه الشابة صوت البائع وهو يقول :

ـ امرك يا سيدي ..

فابتسم الدكتور « وحيد » قائلا مشيرا الى هذه الشابة :

ـ تفضلي ..

فشكرته بابتسامة شاحبة ..

وطلبت من البائع اغنية « نجاة »، « عاليادي » ..

وقبل ان يغادر البائع مكانه ... التفت الى الدكتور وحيد قائلا :

ـ وسيادتك ..

ـ نفس الاغنية ..

واختفى البائع .. داخل مخزنه .

وظل الدكتور وحيد واقفا امام هذه الشابة يتأمل جمالها الهادىء الحزين ..

وقد هبت نسمة من المروحة الكهربائية التي تدار داخل المحل فتناثرت بعض الشعيرات على وجهها .. فأزاحتها بأناملها الرفيعة المطلية اظافرها الطويلة باللون الفضي ..

وتأمل الدكتور وحيد يدها اليسرى التي أزاحت بها تلك الشعيرات .. فلفت نظره خاتم الزواج يلمع في اصبعها ..

وما لبث حتى بادرها الحديث قائلا :

ـ لا بد ان الهائم تحب اغاني « نجاة » ..

ـ بلا شك ..

ـ لماذا ..

فابتسمت ابتسامة لطيفة .... رقيقة ..

ـ أأنت صحفي .؟

ـ لماذا ؟؟

ـ اسئلتك تدل على ذلك .

ـ ابدا .. ولكن لانني ايضا احب اغانيها .

ـ فعلا « نجاة » تحمل صوتا هادئا فيه نبرات حزن عميق .... وتجسد الكلمات في الالقاء ... فيحس بها الانسان الذي مرت عليه نسمات حزن ..

ومرت لحظة صمت فعاد الدكتور « وحيد » قائلا :

ـ و خاصة اغنية عاليادي ..

ـ فعلا هذه اغنية منحتني شعورا غريبا ..

وقطع حديثهما البائع وهو يقول :

ـ لقد نفذت جميع اسطوانات هذه الاغنية ولم تبق الا اسطوانة واحدة .. فمن منكما سيشتريها .؟

فوقف الدكتور « وحيد » وهذه الشابة وجها لوجه في صمت دون ان ينطقا بحرف واحد ..

ثم استطردت قائلة :

ـ ان الاستاذ جاء قبلي فمن حقه ان يأخذها ..

فأردف وحيد قائلا :

ـ ابدا انت احق بها مني ..

وبينما هما على هذا الحوار ... دخل بعض الزبائن .. وقبل ان ينشغل البائع بهم .. طلب الدكتور « وحيد » منه ان يسمعه هذه الاغنية ..

فوضعها الرجل على (البيك اب) وبدأت « نجاة » تشدو ..

وظلت تشدو .. حتى جاءت بكلماتها .؟.

« ياما جرح الورد ايادي حتى الجنينية » ..

ولاحظ « وحيد » ان الفتاة ادارت وجهها بعيدا عنه وخلعت نظارتها الشمسية السميكة .. واخرجت من حقيبتها البيضاء الصغيرة .... منديلها .. وبدأت تمسح بعض قطرات دموعها ..

فأوقف « وحيد » بسرعة الاسطوانة وقال لها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لا بد ان هذه الاسطوانة لهـا ذكرى مريرة عندك ..

ـ ربما .. ولـذا فقـد جئت لشرائها .. لان هذه الدموع تريحني.

ـ اذن فلا بد ان تشتريها انت ..

ـ وانت ..

ـ سأشتري غيرها من اي مكـان اخـر ..

ـ لا .. لقد حضرت انت لكـي تشتريها ... وقد جئت قبلي ... ورانت بينهما لحظة صمت قصيرة . ثم اسرع قائلا :

ـ ماذا فكرت .. خذيها انت ..

ـ خذها انت ..

وضحكا ..

وجاء البائع يستفسر عمـن سيشتريها منهما ..

فأسرعت الشابة موجهة حديثها « لوحيد » ..

ـ اذن طالما نحن علـى جـدال بالنسبة لشراء هذه الاسطوانة .. فيجب علينا ان نتركها لشخص اخر يحب ان يشتريها ..

فابتسم « وحيد » لرايها واعتذر للبائع ..

وغادرا المحل ..

★

وعند مفترق الطريق .. قـال الدكتور «وحيد» في صوت هادىء :

ـ يسعدني .. ويشرفني توصيلك .. هذا اذا لم يزعجك ..

فلاحت على شفتيها بسمة هادئة .. وقالت بدون تردد :

ـ ابدا .. هل لديك سيارة .

ـ لحسن حظي ..

وضحكا معا ..

وفي السيارة ركبت بجانبه .

وانطلق الدكتور « وحيد » يجوب شوارع المدينة المزدحمة بسيارتـه حتى ابتعد بها الى الشوارع الهادئة.

وفي طريق النيل .. وعند ذلـك (الكشك) وقف « وحيد » وطلـب من البائع زجاجتين مثلجتين ..

وانطلقت السيارة من جديد ...

وفي الطريق ..

قصت عليه قصة غريبة من نوعها .. قصة حبها لاغنية «عالبادي» ..

وقد نسيت نفسها وهي تروي له القصة . اذ احست براحة عميقة معه ..

وعرف كل شيء عنها ..

عرف قصة خاتم الزواج الـذي يتوسط اصبعها ، والذي خلا مـن اي رمز يشير الى دلالة معينة ..

الا انها اتخذته ستارا يحجب عنها كل طالبي الزواج منها حتى تتفـرغ لتربية اختها الصغيرة التي اصبحت هي بمثابة ام لها بعد ان طـاح العدوان الثلاثـي بجميع افـراد اسرتها ..

وكانت تقطن مع عمها بالقاهـرة الذي اكتهل وفقد شريكة عمـره والتي لم تترك له ذرية يلتفون حوله في شيخوخته ، ولم تعـد سنه او صحته تسمح بالزواج ..

هربت من الحب ..

هربت من الزواج ..

هربت من مظاهر الحياة ..

وعاشت راهبة حـتى جاوزت الثلاثين من عمرها .. وقد فاتهـا قطار الزواج وقد رضيت بهـذه التضحية ، وذلك من اجل عمها اولا .. ومن اجل شقيقتها ثانيا ..

★

وشبت اختها .. واستوى عودها حتى اذا ما تحقق حلمها المنشود .. وجاء يطلب يدها من عمها ذلـك الفارس المنتظر الذي يداعب خيـال كل فتاة ..

وتم الزواج ..

ومرت الايام ..

حتى اطل برأسه يوم عـابس مشؤوم .. وجاءت الاخت مستوفزة الاعصاب بوجه مكفهر .. وفاجأت اختها بما لم تكـن تتوقعه .. اذ اتهمتها بانها تقيم علاقة مريبة مـع زوجها ..

.. وادعت انها راته كثيرا معهـا .. وان مقابلته قد تعددت بـدون مناسبة .. وانها تحس بأن طباعـه قد تغيرت .. وانها لم تعد عنـده بالاثيرة كما كانت.. ومرت بخاطرها اشياء كثيرة ويعلم الله انها كانـت واهمة فيما ذهبت اليه فلم يكن بينها وبينه اية علاقة وكل ما كان يخـرج من مصادفات عائلية وظروف لـم تكن هي صانعتها ولم يدر بخلدهـا يوما انها تنافس اختها في زوجهـا .. وانها هي التي ايدت عمها فـي زواجها هذا ..

هكذا جرح شوك تلك الـوردة الناضرة يد من اعتنت بها .. وسقتها ذوب وجدانها .

★

كانت ما تزال مسترسلة فـي حديثها معه حين بـدا على ملامحها فجأة كأنما تذكرت شيئا ..

وقالت :

ـ عذرا فقد اثقلت عليك بحديث ما كان لي ان افضي به لاحد ... وشكرا لك .. والان يكفي تعبك معي . واستطيع ان اقطع المسافة الباقية الى بيتي حتى لا اكون موضع اشتباه ممن يعرفونني بالحي ..

ـ ليس هناك من اسف اذ ان من همست اليه بحديثك طبيب توجب عليه مهنته الاحتفاظ بأسرار الناس .. وعلى فكرة هـاك بطاقتي .. فربما تحتاجين اليها يوما .. ما ..

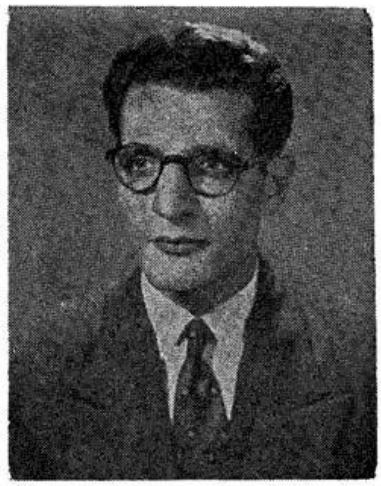
وتركها ..

وكان صوت المذياع يردد ...

« ياما جرح الورد ايادي حتـى الجنايينة » ..

القاهرة **رستم كيلاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

الاندلس تحتذي المشرق

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

من الاشعار التي تروى لعبد الرحمن الداخل قوله :

ايها الراكب الميمم ارضي ... اقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما تراه بارض ... وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالبعاد علينا ... فعسى باقترابنا سوف يقضي

هذه الابيات ذات دلالة هامة ، لانها تصور نوازع الامير الباسل الى مطارح عزته بالمشرق ، فجسمه بالاندلس وحده ، ولكن فؤاده بالمشرق ، وهذا الشعر أعظم من ان نقصره على هوى وجداني يتصل بحبيبة معينة ، فالمعروف عن الداخل انه قدير على كبح أهوائه معرض عما يفوق مجده السياسي من ترف وأنس وغيد وشباب ! وقد وقعت من قلبه بعض الشابات الفواتن في غفوة من غفوات ارادته فلم يمهلها غير أسبوع ، واطلق سراحها معلنا لها في تاثر مرير ، انه لا يستطيع ان يسجنها في قصر من الذهب لا يفاديه صاحبه الا على أبعاد تترامى حتى تكاد تنقطع !

اقول ان هذه الابيات تصور ظمأ الحار الى مجد الشرق ببغداد، وولوعه ان يصبح ذات يوم فيجد نفسه حاكم المشرق لا غريبا نائيا يصارع الاهواء المتناحرة في اقصى البلاد ، وكانت الاهوال العاصفة من حوله تذكي بقلبه لواعج هذا الحنين المتقد ، فيوسف الفهري والصميل يجتمعان بادىء ذي بدء على مناوءته فاذا تغلب عليهما بجهد جاهد نازعه القاسم بن يوسف ثم يتوالى الثائرون من بعده من امثال عبد الغافر اليمني وحيوة من ملامس وهشام الفهري والعلاء بن مغيث حتى تعظم الداهية بظهور الفاطمي البربري ! محن متتالية متشابهة كليلات المحاق ، هذه من تلك .

والرجل الطموح لا يكاد يتنفس في تؤدة ، فاذا فرغ في بعض اوقاته للنهوض الداخلي ببلاده هاله ان يجد الفرق شاسعا بين فوضى البربر وقبائل القيسية واليمنية واخلاط الاسبانيين ممن يحكمهم في دولته الناشئة ، وبين حضارة المشرق ، وثقافة بغداد ، وسحر دمشق! واذا كان لا بد مما ليس منه بد فليتخذ من الشرق مثالا حضاريا يحتذيه ، ولتكن بغداد بحضارتها وعلمائها وادبائها وشعرائها منار هدايته ، على ضوء حضارتها يبني دولته ، وبثقافتها الحية يملأ عقول رعاياه وبادبها الزاهر من شعر ونثر يسكر ارواحهم بما يلذ ويشوق .

كان المشرق اذن استاذ الاندلس ، تتطلع اليه في اخلاص ورغبة ، ولا تحاول قبل عصر الناصر ان تقيس نفسها به ، بل كبرى مناها ان تحرز نفائس مؤلفاته وروائع آثاره ، وان يفد أبناؤها الرحيل الى الارتشاف من حياضه والري من موارده ، فاذا وفد عليهم وافد من اعلام الشرق تطلعت اليه العيون في اكبار واقتعد مقعد الاستاذ عن فخر واعتداد .

ومعروف ان الكثرة الكاثرة من جنود الفتح الاول كانت من البربر ، والاقلية القليلة من العرب ، وهؤلاء وأولئك لا يتيسر لهم ان يقيموا ثقافة ادبية او حضارة عمرانية ، لان البرابرة بداة لم يتمكنوا من العربية ، وزملاءهم من العرب في صراع طائفي بين قبائلهم تارة وبينهم وبين المغاربة تارة ثانية وبين الاثنين وبقايا القوط من غلاة الناقمين تارة ثالثة ، وحالة كهذه لا تسمح برقي وازدهار حتى اذا جاء الداخل مهد الاسباب الى تدفق عربي جديد ، وقد اضطرته السياسة ان يستعين بهم على البربر تارة وان يستعين بالبربر عليهم في اكثر المنازعات حتى اذا هدأ الجو بعض الشيء في اواخر ايام الداخل بدأ الاهتمام بثقافة المشرق يأخذ مأخذه وتطلع التلاميذ المغتربون الى اساتذة كبار ..

على ان اسباب الاتصال بين المواطنين كانت ممرمدة ميسرة ، فارض الاسلام بلد واحد في منطق الرعايا والافراد ، يرحل المسلم اذ ذاك ما يرحل فلا يساله سائل ماذا يقصد ؟ واين يريد ! ومن يرحل من الاندلس الى المشرق يتزود بالزاد الدسم من الثقافة والعلم والادب ويرجع الى بلاده حاملا نفائس المؤلفات وروايا بدائع الاشعار ومسجلا ضوابط اللغة والعلوم فيتبوأ مكانة الاستاذ ويعظم في عيون مواطنيه عظمة تخصه بالهيبة والجلال ، وتمهد له مناصب الفتيا والقضاء ان تفقه ، والوزارة والكتابة ان تفقه وتادب ! هذا من رحل الى المشرق، اما من قدم من أعلامه فهو تحفة نادرة يتوافد الناس الى رؤيتها ، ويقبلون على الاستفادة من غيرها ، وقد سجل المؤرخون كتبا كثيرة تحمل اسماء من رحل وعاد كما تسجل مواقف من قدم فافاد ، وهناك كتب أخرى تجمع اسماء المؤلفات الوافدة من المشرق ، وهي تضم نفائس اعلامه في كل مجال من مجالات الثقافة فقها ولغة ونحوا وتصريفا وتاريخا وادبا دع ما عرف من فنون الجدل والفلسفة ، فقد ظلت الاندلس بمنأى عنه الى امد بعيد .

أتت الرحلات والمؤلفات ثمارها ، حتى جاء عهد الناصر وولده الحكم فكانا بالاندلس بمكان الرشيد وولده المأمون بالمشرق ، فاذا كان هارون الرشيد قد أحيا الحركة الادبية ببغداد على عهده بما نفح به الشعراء من هبات جزيلة ، وبما شاهد من المناظرات العلمية بين الكسائي وائمة اللغة والادب في ابهاء مجالسه ثم بما أنشأ من خزانة الحكمة حين ولى يوحنا بن ماسوية ترجمة الكتب الطبية القديمة واخذ يجمعها من انقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ، ثم جاء ولده المأمون فسار في الشوط الى نهايته ، وشأى اباه في تغذية الحركة الفكرية، بحيث كانت مجالسه مدارس علماء وحلقات مفكرين ثم زاد في نطاق بيت الحكمة حتى راسل ملك الروم في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المدخرة لديه ، وبعث لذلك جماعة من افذاذ التراجمة كابن البطريق وسلم والحجاج بن مطر ، حتى أصبحت بغداد وارثة الروم ثقافة وعلما كما مثلت فارس والهند ادبا وحكمة ، اذا كان الرشيد والمأمون قد خطوا هذه الخطوات العلمية ببغداد ، فانهما قد رسما

الطريق للناصر وولده الحكم بالاندلس ان يقفوا اثريهما في المجال المديد .

لقد بدأ الناصر فاستقدم ابا علي القالي صاحب الامالي وساعده استقرار الامن في بلاده وازدهار الرخاء في عصره وطموح الامل في نفسه ان يدفع البلاد الى نهضة ثقافية شاملة ، وحضارة انسانية زاهرة ! وكان اثره القالي بعيدا رائعا حيث تخرج على يده اعلام ثقات في الدراسات اللغوية كما استطاع ان ينصر المذهب القديم في الشعر العربي حين روى آثار الجاهليين والاسلاميين ، وظل في قرطبة ثمانية وعشرين عاما ، ومهما كان من تأثيره اللغوي والادبي فانه لا يقاس باثره العظيم في تنشئة الحكم نشأة ادبية ، جعلته وهو ولي العهد يبذل المستطاع في جمع الكتب وتأليفها حتى اذا أصبح صاحب الامر في البلاد ، احدث هذا الدوي الرنان في دنيا الثقافة الاندلسية ! ويقول الذين تحدثوا عنه من الكاتبين « انه كان نظارا في الكتب كثير التعليق عليها ، وقلما تجد كتابا في خزائنه دون ان يكتب عليه معلقا ، كما كان يرسل الى افذاذ العلماء في الشرق والغرب يدعوهم الى التأليف في موضوعات يقترحها ، اذ يجد المكتبة العربية في حاجة اليها ، ولم يكن انانيا يشغل نفسه بعائلته وبنفسه ، فيطلب الى المؤلفين تسجيل مآثر اجداده كما لمسنا عند كثير من الملوك والرؤساء ولكن سعة عقله قد ارتفعت به الى أوج باهر فنظر الى التأليف نظرات موضوعية ، اذ كان حريصا على ان يجمع لديه التراث الاندلسي على اوسع نطاق ـ وهذا مما يحمد له ـ فقد كلف أدباء كثيرين بالكتابة عن شعراء الاندلس وقضاتها وعلمائها وفقهائها ، ولعله يريد ان يحيي الثقة لدى الاندلسيين في عصره حين يجدون آباءهم قد تركوا من التراث العلمي ما يمتع ويفيد ، فيواصلون البحث نشطين !

وممن كانوا في حضرته من المؤلفين اسحاق بن سلمة وهو مؤرخ ضاعت اكثر آثاره وابن فرج مؤلف الحدائق بارشاد منه ، وخالد بن سعيد ومحمد بن الحارث الخشني والزبيدي وغيرهم من الافذاذ بل ان القارىء ليدهش حين يجد الحكم يضع للمؤلف فهرس كتابه ويرسم له خطة تأليفه ، فالزبيدي يقول في مقدمة كتابه عن النحاة « وان امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله رضي الله عنه لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم امر بتأليف كتاب يشمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الاسلام ثم من تلاهم من بعد الى زماننا هذا ، وان اطبقهم على بلادهم وزمانهم حسب مذاهبهم من العلم ومراتبهم .. فالفت هذا الكتاب على الوجه الذي امرني به ، واقمته على الشكل الذي حده ، وامدني رضي الله عنه في ذلك بعنايته وعلمه ، واوسعني من روايته وحفظه اذ هو البحر الذي لا تعبر اواذيه ، ولا تدرك سواحله ولا ينزح غمره ولا تنضب مادته (١) » .

ولا تظن ان الزبيدي قال هذا القول تزلفا للحكم دون ان يكون له نصيب من الواقع ، لان سيرة الحكم تدلنا انه كان أبعد الخلفاء عن الاهتمام بتزلف الوصوليين ورياء المفرضين ! ومسلكه مع فقهاء قرطبة يؤيد ذلك ابلغ التأييد ، فلو كان الرجل حريصا على انتشار الصيت الكاذب ، لاتخذهم ابواقا ينفخون في الدعاية لسلطانه ! ولكنه عارض جمودهم المتزمت ، ولم يحفل بما يتخرصون به لدى الناس ، وهم ما هم اذ ذاك نفوذ كلمة وامتداد صيت ! حتى ألبوا عليه الجموع وكادوا ينجحون في استئصاله لولا حيلته البارعة مع اخذهم بالشدة حيث اتسع الخرق على الراقع ، وانا اعجب لهذا الخليفة العالم البحاثة كيف استطاعت مآزق السياسة ومعاثر الدولة ان تهيء له من الوقت ما ينفقه في بناء الثقافة ! ووضع الفهارس لبعض المؤلفات ، وجمع الادباء من شتى الامصار وشراء الكتب من ابعد الممالك ، وحرصه على ذلك حرصا مدهشا ! حتى قال الكثيرون أن كتاب الاغاني بكافة اجزائه قد ظهر لدى الحكم قبل ان يظهر لدى المشرق ، لانه كان يقف على ادوار تأليفه وهو عنه بمنأى في قرطبة فعمل على احضاره بعد ان اثقل جيب أبي الفرج ! وأكاد أشك في هذا الامر لان مؤرخي ابي الفرج يذكرون انه لم يكن له في حياته من النباهة وبعد الصيت ما كان له بعد وفاته ، وان قيمة كتاب الاغاني لم تظهر للناس على وجهها الباهر الا بعد ان فارق مؤلفه الحياة .

نعم ، انه كان من جلساء الوزير المهلبي وصديقا لشعراء عصره وكتابه ورواته ، ولكن ذلك كله أضعف من ان يجعل الحكم في قرطبة يترصد خطواته في التأليف ، والامر مع ذلك موضع شك لا اكثر ولا اقل . لقد انتقل الادب الاندلسي في عهد الحكم من الاعتراف بالتلمذة الى المنافسة الحقيقية لاستاذه المشرقي ، ولم يأت التلميذ بجديد باهر يأخذ به أبصار استاذه ، ولو قد فعل لدارت معركة صاخبة كالتي نشاهدها في تواريخ الآداب بين الشباب والشيوخ او بين القديم والجديد .

ولكن التلميذ اراد ان يسابق استاذه في الاتيان بمثل ما لديه فقط ! والنتيجة مضمونة على كل حال ، لان الانتاج اذا كان متحد النوع ، متقارب المذاق ، فالفضل لصاحب التجربة الطويلة والتاريخ المديد ، والانتاج الحفيل والحق ان الشعور النفسي لدى الحكام من طبقة الناصر والحكم ، والادباء من كتاب وشعراء ، بأن أدب العباسيين هو النمط المحتذى في القول ، قد أوصد امامهم ابواب الابتكار ، فاذا أضفنا الى ذلك تشابه الثمرة أمر محتوم لا محيص عنه ولا محيد ، وما وجد من ضروب التجديد مما سنفيض في بعض بواعثه ، ومميزات لونه لم يكن مقصودا متعمدا ، ولكنه في أهون امره يمثل الاستثناء ولا يمثل القاعدة المطردة !

واصحاب المقارنة بين الادبين يفيضون في بيان طرق الاحتذاء والوانه ، ويعددون اسماء المقلدين ومنازع تقليدهم ، ولهم في كل كتاب يرصد امواج الفكر الاندلسي ثبت حافل بالكتب والاسماء فهم مثلا يقولون ان ابا الفضل جعفر بن شرف القيرواني الف كتاب الزمان محاكاة لكتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع ، وان كتاب الحدائق الذي وضعه احمد بن فرج الجياني قد عارض به كتاب الزهرة لابن داود الاصفهاني وان كتاب المظفري الذي كتبه ابن الافطس صاحب (بطليوس) قد عارض به عيون الاخبار لابن قتيبة ويقع في نحو من عشرة اجزاء كما ان هناك اكثر من ديوان شعري سمي بالحماسة مختارا على طريقة ابي تمام ، اما كتاب الانساب للسمعاني فقد عارضه الرشاطي المحدث الاندلسي بكتاب على غراره .. وتطول القائمة لو ذهبنا نستوعب فحسبنا ان نشير ! ولن نجد في باب الموازنة بين شعراء الموطنين اوضح من تسمية كل شاعر اندلسي بقريع مشرقي فابن هانىء وابن دراج كلاهما يوصف بأنه متنبي الغرب وابن زيدون بحترية ، وابن خفاجة صنوبريه وابن طفيل عرف بابن سينا واشتهرت ولادة بعلية بنت المهدي وقيل لابن عبد البر صاحب الاستيعاب حافظ المغرب كما قيل للخطيب البغدادي حافظ المشرق .

اذكر ان الاستاذ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعره قد استقصى هذا الموضوع في كتابه عن ادب المغاربة والاندلسيين من ص ١٠ الى ص ١٣ ثم قال : « ان الاندلسيين قد استعاروا اسماء حواضر الشرق فاطلقوها على حواضر معروفة في الاندلس والمغرب فشبهوا اشبيلية بحمص وغرناطة بدمشق وفاس ببغداد الى غير ذلك، واحدثوا بلدة سميت البصرة تشبيها لها بالعراق » . ثم قال العلامة الشبيبي تعقيبا على ذلك « وهذا مما يذكر للمغاربة والاندلسيين ويدل على فضلهم وتواضعهم ضرب من الاعتراف بسبق المشارقة وتفوقهم في العلم والتعليم والبحث والتأليف » .

ويخيل الي ان السبق الزمني باكثر من مائتي عام بين ازدهار الحضارة العربية بالمشرق وازدهارها بالاندلس جعل الاعتراف بفضل المشرق امرا طبيعيا لا غرابة فيه يتقدم به اللاحق للسابق عن طواعية! ولكننا نتساءل اكان هذا الاعتراف اجماعا تنعقد عليه الكلمة ، ويشار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليه في مجال التفضيل أم أن هناك من أدباء الاندلس على بصرهم الناقد من ضاقوا به وانكروه ، ان لدينا نصوصا كثيرة لافذاذ من الاندلس يحاولون بها ان يجعلوا الاندلس مع المشرق في قرن واحد بل ساروا الى ابعد من ذلك فجعلوا الاندلس راجحة والمشرق مرجوحا، واظهر من جال في مضمار التفاضل علامة الاندلس وفقيهها الاكبر وباحثها النابغة ابن حزم ، فقد عقد رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها ، اوردها المقري في الجزء الثاني من النفح فاستعرض ما اثر عن بلاده في مضمار التاليف من تاريخ وتفسير وحديث ولغة واخبار وطب استعراض من يرى السبق الظافر في اقليمه ثم ختمها بقوله :

« وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ، ونايه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تآليف اهله ما ان طلب مثلها بالاهواز وفارس وديار مصر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ، ومراد المعارف واربابها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعزنه بن الصمة الكلابي لم نباه به الا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ، ولو انصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين ، واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري » . ثم افاض ابن حزم فيما يشبه ذلك عن العلماء حتى قال عن الادباء :

« ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج القسطلي لما تاخر عن شاو بشار وحبيب والمتنبي ، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب ، واحمد بن عبد الملك بن مروان ، واغلب بن شعيب، ومحمد بن شخيص ، واحمد بن فرج ، وعبد الملك بن سعيد الراوي ، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة » .

وانا حين اقرا هذه الاسماء ـ مع ثقتي بابن حزم وسداد حكمه ـ اعلم ان جل شعر الاندلس قد ضاع لا محالة فكيف يكون هؤلاء في منزلة بشار وابي تمام والمتنبي ثم لا نعلم شيئا الا ما جمع من ديوان ابن دراج !! على اننا نكاد نجزم بان الذي فقد على كثرته من طراز ما وجد على قلته . فالحكم عن نوع الادب وتحديده لا يختلف ضياعا او وجودا ، فلئن غاب مائة ديوان ووجد عشرون مثلا ! فالمعين الدافق سائل واحد في الحاضر والغائب على السواء وهو ما لا يحيد كثيرا بالحكم على اكثر ادب الاندلس بالمحاكاة والترديد !! على ان الدكتور احمد امين قد انتقد ابن حزم ومن لف لفه في معركة الموازنة والتفضيل انتقادا صائبا فهو يقول بالجزء الثالث من ظهر الاسلام (ص ١٢) :

« ومما لا شك فيه ان المنهج الذي سلكه ابن حزم والشقندي ليس منهجا علميا دقيقا ، انما هو كلام يقال فمن الصعب جدا الحكم بان فردا اذكى من فرد ، فكيف الحكم بان امة اذكى من امة ، بل انها اذكى من الامم ، ومسلكهما ـ يقصد ابن حزم والشقندي بعد ان عرض كلامه وهو ممن يدور في فلك ابن حزم ـ الذي سلكاه انهما يحكمان حكما كليا ثم يستدلان عليه بمسالة جزئية ـ فيقولان ان اهل الاندلس عرفوا بعلو الهمة او الاعتناء بالنظافة ، ويستدلون على ذلك بحادثة لرجل او من رجل ، فكيف يصح هذا في العقل ؟ انما المنهج الصحيح هو مثلا في توزيع مقياس الذكاء على الناشئين ، وعمل ذلك في امة اخرى ، والمقارنة بينهما ، ونحو ذلك وبذا تطمئن النفس بعض الشيء عند النتيجة ، اما القول جزافا بان امة اذكى والاستدلال بان فلانا الف كتابا قيما ، فبرهان قاصر ، ومحال ان تكون امة كبيرة العدد كالامة الاندلسية لا ينتج منها علماء اعلام وادباء فطاحل » .

اعتقد ان الذين تعاظمهم سطوة الادب المشرقي من اعلام الاندلس يعبرون عن جانب نفسي من مشاعرهم فهم لدى انفسهم اعلام فضلاء ، ولكن ما يلمسونه مع مواطنيهم الاقربين من تنافس وتصارع يؤديان في بعض الاحيان الى جحود وكفران ، قد جعلهم يضيقون اولا بما يصادفونه من عقوق ، ثم يوازنون انفسهم بما يتخيلونه عن اعلام المشرق في سبحاتهم الحالمة ، فيظنون انهم في مشرقهم لا يكابدون قليلا مما يكابدون ، فيشعرون بمرارة لاذعة لا تلبث ان تنقلب ثورة على ادب هؤلاء دون ذنب جنوه ! فابن حزم مثلا على جلالة علمه ورسوخ قدمه كان قطبا لمعركة طاحنة تحتدم بها الآراء ، وله خصوم اقوياء لا يفتئون يمدون له اسباب الكيد والوقيعة حتى اعتقل في منزله ، واحرقت كتبه ، وهو عند نفسه لا يقل مكانة عن الشافعي وابي حنيفة ومالك ولكن قومه ضيعوه ، ثم اخذوا يفاخرونه بالمشارقة فاندفع الى قوله السالف تحت تاثير ظروف قاهرة لا طاقة له باحتمالها ، ويدل على ذلك عند ابن حزم وآحاد من امثاله ، ما يترنمون به من الشعر تنفيسا عن مشاعرهم المضطرمة كان يقول ابن حزم مثلا :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولو انني من جانب الشرق طالع ... لجد علي ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو أكناف العراق صبابة ... ولاغرو ان يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التاسف والكرب
فكم قائل اغفلته وهو حاضر ... واطلب عنه ما تجيء به الكتب
هنالك يدرى ان للبعد قصة ... وان كساد العلم آفته القرب

وكان يقول ابن دراج القسطلي :

فان غربت ارض المغارب موطني ... وانكرني فيها خليط وجيران
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي ... واجزلت البشرى على خراسان
وان بلادا اخرجتني لمطل ... وان زمانا خان عهدي لخوان

هذا والمثل القائل احب شيء الى الانسان ما منع يعبر عن حقيقة نفسية لا ندري كيف غابت عن كاتب حصيف كابن حزم ، فالادب الاندلسي في متناول اصحابه لا يحسون له وحشة او اشتياقا ، أما ادب المشارقة فبعيد يسأل عنه في لهفة وحنين ! ولو مد هؤلاء الناقمون انظارهم الى رجال المشرق لوجدوا ما لديهم هنا يماثل ما لدى القوم هناك ، فالمشارقة هم الآخرون يحنون الى روائع الاندلس ويلتمسون السبيل الى تنسم اخبارها واستظهار اشعارها ويتقبلون ذوي الرحلة منهم ـ في الاغلب ـ تقبل الارتياح والانشراح وقد حرص حكام المشارقة على تدوين اخبار اخوانهم رغبة في الوقوف عليها وسيرورتها بين الناس . فالفقيه الطرطوشي صنف سراج الملوك في مدينة الاسكندرية استجابة لرغبة حاكمها المامون البطائحي ، وابن القطاع قد صنف الدرة الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة ليرضي ادباء مصر والمحدث الاديب ابن دحية صنف كتابه الادبي المطرب في اخبار شعراء المغرب بناء على اقتراح الملك الكامل من بني أيوب ، وهناك مطرب آخر في الادب غير مطرب ابن دحية سبق ان الفه الكاتب الاندلسي اليسع بن عيسى بن حزم بمصر ، استجابة لرغبة صلاح الدين الايوبي فاذا كان امراء المشارقة ووزراؤها حراصا على الادب الاندلسي فهم يرونه اهلا للتقدير والاحتفاء ولا يسمعون من ابناء بلادهم من ينكر عليهم ذلك ! هذا من ناحية ، اما تخيل مكانة العلماء في المشرق على مستوى لا ترتقي اليه مكانة الاندلسيين في بلادهم فسراب يتخايل من بعيد دون ان تقع له العين على حقيقة فهل نسي ابن حزم ان البلاء هنا هو البلاء هناك ، وان ابا حنيفة على جلالة علمه كاد يموت تحت العذاب ، وان مالكا ضرب بالسياط وان ابن حنبل قد امتحن بما تزلزل به الجبال وان عشرات من امثاله جابههم الزمان بما اعتاد ان يفجع به الكرام المرزئين من حملة الهدى والاصلاح .

ان زامر الحي لا يطرب كما يطرب الغريب الذي يدوي صيته قبل ان تقع عليه العين ! ولذلك صرخ ابن بسام في افتتاح الذخيرة مرددا صرخة ابن حزم في رسالة المفاضلة ، بل عبر عن حرارة كاوية

(١) طبقات الزبيدي ٩ـ ١٠ نقلا عن كتاب الدكتور احسان عباس عصر سيادة قرطبة ص ٥٠ . (٢) الادب الاندلسي ص ٧٦ للدكتور جودت الركابي .

بلا قيود

فوق صدري تأرجحي يـا رغاب ... جـن فيـه الهوى وضج الشباب
ثارت النار فـي ضلوعي حتـى ... جف في الثغر من لهاثي الرضاب
يا ندى الليل هات دمعك بـرءا ... فـي دمـي ثورة ، وفيه التهاب
لم يعد فيك يـا اصطبار سلام ... بـل عذاب ، ودمعة ، وانتحاب
نـاد يـا طيـر ان مررت مساء ... طاب وصل الهوى وطاب العذاب

اللاذقية — مها غريب

تلهب جوانحه حين هتف في الم لاذع .

« وما زال في افقنا هذا الاندلسي القصي ، الى وقتنا هذا مـن فرسان الفنين ، وائمة النوعين ، قوم هم ما هم ، طيب مكاسر ، وصفاء جوهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا باطراف الكلام المشقق ، لعب الدجى بجفون المؤرق ، وحدوا بفنون السحر المنمـق حداء الاعشى ببنات المحلق ، فصبوا علي قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ، وباهوا غرر الضحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل ، نثر لو رآه البديع لنسي اسمه ، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ، ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح ، او تتبعه جرول ما عوى ولا نبح ، الا ان اهل هذا الافق ابوا الا متابعة اهل الشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، او طن باقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلـك كتابا محكما ، واخبارهم الباهرة ، واشعارهم السائرة مرمى القصية، ومناخ الرذيلة ، لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني منهم ذلك ، وافقت مما هنالك واخذت نفسي بجمع مـا وجدت من حسبنات دهري ، وتتبع محاسن اهل بلدي وعصري ، غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره اهلة، وتصبح بحاره ثمارا مضمحلة، مع كثرة ادبائه ودفور علمائه ، وقديما ضيعوا العلم وأهله ، ويا رب محسن مات احسانه قبله ! وليت شعري من قصر العلم علـى بعض الزمان ، وخص اهل المشرق بالاحسان » .

نفثة مصدور بلا شك ! ولكن تعليلها واضح اسفر عنه مـا كتبناه آنفا بصدد مفاضلة ابن حزم . ولعل من اثرها الحسن ان حدت بابـن بسام الى تسطير الذخيرة فقدم لنا تراثا خالدا يذكر له بالثناء .

على أني اعجب لبعض الباحثين لماذا يجعلون نتـاج الاندلس يقف وحده امام نتاج بغداد في اخصب عهودها الزاهرة ، ولا يحاولون ذلك مع أدب كأدب مصر في عهد الولاة وابن طولون والفواطم او ادب الشام في عهد بني حمدان او أدب ما وراء النهر من بلاد فارس وخراسان ! لماذا تقف الاندلس وحدها موقف المضاهاة والمقارنة ، وهي بعـد اقليم لا يختلف عن غيره من الاقاليم ، ثم الا يكون ذلك دليلا على سمو الادب الاندلسي وازدهاره اذ استطاع ان يبلغ ما لم يبلغه ادب مصر او الشام او ما وراء النهر حيث لا يقف نتاج اقليم منها امام ادب بغداد .

قد يقال ان قرطبة كانت عاصمة خلافة اموية كمـا كانت بغداد عاصمة خلافة عباسية ، وهي بذلك ترفع نفسها الى مستوى المنافسة ولها ان تتحمل تبعة النتائج كما تجيء ، ولكـن القاهرة ايضا كانت عاصمة خلافة فاطمية تنافس بغداد وتهددها في امنع معاقلها الحصينة، وكان لها بيت الحكمة على ضفاف النيل منافسا خزانة الرشيد والمامون على ضفاف الفرات ومكتبة الناصر والحكم بالزهراء ! فلم قصر الادب المصري ان يطمح للمباهاة ! ان السبب واضح لا يحتاج الـى جهد ! فالادب العربي في مصر الفاطمية كان مقصورا على الخاصة مـن ذوي المناصب والدواوين أما الادب العربي في الاندلس فقد كان نهبا مشاعا للكثرة الكاثرة من طبقات الشعب (٢) وفيهم الزراع والصناع والتجار ومن يمتهن الحرف المتواضعة فتعمل يده ويفكر عقله . وتترنم لسانه ، وحدث بعد ذلك عما يجيش به الادب من لجج ترفدها جداول متكاثـرة لا يهدأ بها تيار او تقف دونها اسداد .. بذلك كله وبغير ذلـك أيضا استطاع نتاج هذا الاقليم المتأدب ان يزخر ويفيض .

يقول اساتذة الادب المقارن ان من العوامل الاولى لعالميـة الادب وازدهار تأثيره في كثير من الآداب الاخرى شعـور ذوي العقليات الناضجة بعدم كفاية ادبهم القومي في التعبير عـن رغبات النفس ، ومبتكرات الحياة فيتجهون الى ادب آخـر يجدون لديه دما جديـدا ينقلونه او ينقلون منه الى أدبهم المحتاج ، فتجد به روح اخرى ويغمره نشاط يعيد اليه بعضا من فتاء النفس وشباب الروح ، ولذلك يقول (جوته) الشاعر الالماني الطائر الصيت « ينتهي كل أدب الى الضيق بذات نفسه اذا لم تات اليه نفائس الآداب الاخرى لتجدد الخلق مـن ديباجته » .

وما يقال عن الآداب المختلفة في دنيا الادب المقارن ، يقال كذلـك عن أدب الاقليم الخاص بين آداب الاقاليم الاخرى فـي اللغة الواحدة والادب الواحد ، فقد شعر ذوو الملكات العاليـة بالاندلس بحاجتهم الماسة الى أدب المشرق وقوي هذا الشعور ما لمسوه فعلا لـدى الادب المشرقي من نفاذ وقوة وتأثير ، فمكفوا عليه عكوف من يراه غاية الامل ، ومرتقى الاعجاز ! ولم يجل في أذهانهم ان يتيامنوا كثيرا عنه الـى غيره او الى نفوسهم الخالقة اذ يسبرون اغوارها ويكتشفون مجاهلها فتسعدهم بالجديد ، وكان النتاج المشرقي من الغزارة والتدفق والموالاة بحيث لم يترك بريقه مفازلـة الابصار ، وخطف القلوب ، واخذت المؤلفات المشرقية تتتابع لتحتذي ، ومهما كان تأثير هذه المؤلفات فان احدها وهو يتيمة الدهر للثعالبي قد بلغ بتأثيره فـي صياغة النثر ، واتجاه النقد وكتابة التاريخ ما لم يبلغه اثر سواه .. ونحن نستأذن القارىء أن نبين له ذلك بما نستطيع بـه ان نخـدم قضية التأثر والتأثير .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

ليلة ساهرة

بقلم بولس سلامة

* * *

وفي الخامس عشر من أيلول (١) راينا خدم الفندق في اهتمام بالغ فسألنا فقيل لنا سيقام ، هذه الليلة في الفندق حفلة ساهرة ، يتوافد اليها رجال الطبقة الراقية، وما ان ازفت الساعة الثامنة حتى طفق المدعوون والمدعوات يؤمون الحديقة مثنى وثلاث ورباع . وكان أسبقهم الفتيان والفتيات ، مرسلي أصداغ او مطمومات شعر غلاميات عاريات الصدور والظهور ، باديات السوق الى ما فوق الركب .

وكانت الليلة قارة، وقد مزقت الغيوم ريح الشمال، فكان لها في الاجساد مثل سفع السياط ، فاتقيناها وتلففنا بالمعاطف . وكنت قد حسبتني الوحيد الذي بردت مفاصله ، فاذا بأسعد ومسعود ، وهما في حوالي الخامسة والاربعين من العمر ، في مثل حالي . فقلت ويحكما اني لفي سن ابويكما فهل فارقكما دفء الشباب؟ أفلا تنظران الى هذا المؤنث العاري ؟ فقال مسعود متهكما : تدفئهن حرارة الايمان ، او انهن ولدن في سيبريا ، والحرارة كما تعلم نسبية ، فهن لا يجدن من البرد ما نجد . قال أسعد بل هن لبنانيات عصريات ادخرن من الطاقة الانثوية ما يكفيهن حتى ساعة الرقص ، ثم تسعفهن الخمرة فيرقصن حتى منبلج الصباح ، وتسكّب شهرزاد عن الكلام المباح وغير المباح .

واتجه نحونا شاب يدعى سليمان البغدادي ، له بأسعد صلة مالية ، فسلم علينا وجلس وانضمت صاحبته الى زمرة الرفاق . فقال أسعد اأهنئك بها فلعلها عروسك قريبا ان شاء الله . فقال سليمان لا يشاء الله ان أتزوج ابدا . قال أسعد ولم ، والمال موفور لديك وانت في عنفوان الشباب . فقال ولم أبهظ عاتقي بتكاليف الزواج، والغنم بين يدي ، ولا غرم علي ، والفتيات يطلبنني أشد الطلب كما ترى .

فقلت ولكن المحصنات أوفر عددا من اللائي تغررون بهن انتم شباب اليوم فتداولوهن تداول النقد .

فالتفت الي وقال : يا عم انا اعرفك وان كنت بي جاهلا ، ولقد طالعت معظم كتبك ، واني على احترامي لك لاصارحك بانك امسيت في معزل عن شؤون هذا الجيل ، فانت غريب عن اورشليم .

قلت يبدو لي من جملتك الاخيرة انك تسمع الانجيل فلم لا تعمل به ؟ قال نعم ولكنني أطالع في كتاب الحياة فوق ما أطالع في الكتب . ولو انك علمت من اسرار هذا العصر ما أعلم ، لوجدت من المصاعب مثل ما أجد في اختيار زوجة خليقة بتربية اولادي . فان امي ، عفا الله عنها ، لم تحسن تأديبي وتأديب اخوتي ، وانا أصغرهم ، فنشأنا بعيدين عن واقع الحياة وجرعنا أبانا مثل غصص الموت ، فما قابلنا نصائحه بسوى العصيان والخذلان فقربنا أجله، وهو الذي أظلنا جاهه حيا وصاننا صيته ميتا ، وما كنا بذلك خلقاء ، ولم يصح فينا قول الشاعر ومن يشابه أبه فما ظلم ، فما شابهناه بشيء. ولقد اعقبتنا غوايتنا ندما ، ولكن هيهات هيهات ان يرد الندم ما قد فات . وها نحن اولاء بتنا نخاف الزواج ونرتضي بالمتعة العابرة . ولم يسعدنا الحظ بعد بفتاة تتوافر لها القناعة ببساطة العيش . ولقد نشدتها فأخفقت ، وشهدت من المآسي التي تردى فيها أصحابي ما صرفني عن الزواج ، فمنهم من أقدم على قران مبكر بعد ان تراضى وصاحبته على الفقر . فلما خفتت صرخة الجنس وداخلهما السأم ندب حظه لانه لم يقترن بثرية ، وتحسرت لانها لم تقترن بصاحب سيارة يقودها الى المتنزه .

وبكر آخر فاقترن بدميمة . وكان شابا وسيما ، فأفاق من شبابه ، فراعه أنه اخطأ الصيد وان أسراب الحمام يقفن على دوحته ، ولا سبيل له الى التفلت من براثن البومة التي توهمها حمامة ، فهجر العش وأصبح غرضا للرياح تهيض قوادمه وخوافيه فيتردى حينا كسير الجناح ، وحينا مهلوب الذنب ، وطورا منكس الراس ملتوي المنقار فيشمت به من كان دونه . وعجل صديق آخر في الزواج وهو لم يستكمل فتوته بعد ، فلما نضج وتبوأ من المجتمع مكانا مرموقا راى الهاوية السحيقة التي تباعد بينه وبين القرينة ، فأدرك حينئذ معنى جهنم التي لا قرار لها .

واعرف ثالثا من المعجلين ، وكان مشبوب الذكاء وثاب البديهة ، متسع الافق يضحك له المستقبل ، فضحك من نفسه واقترن بفتاة بلغت من الغباوة منحدرا يكاد يكذب اريسطو بكون الانسان حيوانا ناطقا ، لولا ان لكل قاعدة شواذ ، منها ان كل حيوان يحرك فكه الاسفل عدا التمساح ، وكانت الفتاة من نوع التماسيح مجردة من الفهم والشعور والخلق السوي ، فما تمت الى الانوثة بسوى الحس الجنسي . فنهاه الناهون عنها مخلصين له النصح والمودة ، وارشدوه الى فتيات رفيعات التهذيب والمحتد ، فتعامى عن الشرك فوقع فيه فتلجلج فخانت فهجر .

---

(١) من كتاب « ليالي الفندق » تحت الطبع ، (٢) في النسبة الى ترتوف Tartuffe صاحب موليير الذي يجسم النفاق في الرواية المشهورة .

ولقد صبر على بلاهتها صبر أيوب على بلواه ، فكان اذا ضمهما مجلس حافل بالمثقفين والطبقة الراقية ستر غباوتها فابتدر الحديث والجواب ، وقام المبتدأ مقام الخبر .

وانه ليطول بي سرد المآسي العائلية ، ولكن ثق ان في المخادع الزوجية من المهازل والكوارث الخفية ما يقف له شعر الرأس . ولا يغرنك ما تلقاه من زوجين يسيران متساندين ، متشابكي الذراعين ، فلو شهدت اشتباكهما في البيت يتبادلان خفق النعال ، أو يتقاذعان في الجواب والسؤال ، لوليت هاربا عن ساحة القتال ، فاذا رأيت زوجين يتبادلان بمسمع الناس وبصرهم كثيرا من القبل، فتوهمت انهما يطيلان شهر العسل ، فاعلم أن وراء ذلك تمثيلا وتمويها لاغراق رائحة البصل . ذلك ان الزواج الحق هو محبة متبادلة وتضحية متقابلة ، فان شالت احدى الكفتين اضطرب الميزان وذر قرن الشيطان وربما كان مرد ذلك الى قلة الايمان ، في عصر كفر بالله وبالانسان . قلت لقد وعظتني ولكن لو نحا الشباب نحوك لانقطع النسل . قال ان المخاطرين كثر ، والشهوة الجنسية التي تعمي البصائر وتعمه الابصار كفيلة باستمرار النوع . فلا القديس بولس أفلح في ايثاره التبتل ، ولا الرهبانيات ، ولا القديسون ولا القديسات ، ولا شوبنهور وان اختلفت بينه وبينهم الغايات ، فخفض عليك أمر الذرية ، فانها موصولة ما دام على الأرض أوادم وحواءات ، ولئن حمل المسيح خطايا العالم فان عاتقي الواهن لينوء بحمل التبعات . قلت : اذن فلا تغرر بالفتيات .

قال لست والله بالمغرر الذي يراودهن عن انفسهن ، فما وعدت واحدة بالزواج ثم اخلفت وعدي ، اما البتولية فلا سبيل اليها ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ولأن اكون خاطئا صادقا احب الي من ان اكون مرائيا منافقا ، وأوثر أن أكون سامريا يعترف بضعفه ملتمسا الغفران على أن أكون فريسيا مباهيا بمنزلتي وقداستي فاضيف الى خطاياي أثقلهن في الميزان أي الترتوفية (٢) .

وبينما نحن آخذان بالحديث ، والمدعوون يتوافدون شخصت العيون الى سيارة وقفت وترجل منها زوجان. وكان الرجل موصول الابتسام فظننت ابتسامه خلقة لقصر في شفتيه ، وبروز اسنانه المتعاظلة المشرفة على ذقنه المستديرة على شكل (النون) . فتوسمت به خيرا لأن بعض المتأدبين يستبشر بالنون التي افتتح بها القسم « ن والقلم وما يسطرون » ويحسبها أساسا لشكل بعض الحروف كالباء والتاء والثاء والفاء والقاف والكاف واللام والسين والشين والصاد والضاد ، فهي في رأيه نون معدلة . أما الدال والذال والراء والزاي فهي انصاف النون ، وانها لنظرية طريفة ، ولو من باب الفكاهة .

فقلت لاسعد اتعرف الرجل؟ وهل ابتسامه مقصود؟

قال بلى وهو سلاحه الماضي للذياد عن شخصيته الضئيلة. قلت حسبته البشاشة والتعبير عن طيبة القلب. قال بلى هي ابتسامة الزلفى والاسترضاء ، أما قلبه فمفعم بالدهاء والخبث . قلت أفلا ينطبق عليه قول المتنبي :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

قال : وانى له تلك الاسدية وفؤاده ثعلب ، وبأسه بأس أرنب . قلت فما مركزه الاجتماعي ؟ قال : كان أحد الحاكمين لسنين خلت . قلت اذن لقد كان حاكما عدلا . قال مسعود بل كان محكوما عليه ، وكانت زوجته هي الحاكمة .

قلت : بئس العبد فكيف يستطيع الوصل والفصل في قضايا الناس ، من كان الفصل في يد امرأته تسرجه وتلجمه ؟ قال انها على ما تراه فيها من أنوثة لمراة مترجلة ، تصدر الاوامر والنواهي باسم زوجها تلفونيا الى الدوائر ، فتديرها على من تشاء ، حضر زوجها أم غاب فلا يجرؤ على صدها وتكذيبها .

قلت : او كان الموظفون يأتمرون بأمرها ؟

قال : كان سوادهم أذلة جبناء لا يرتفع لهم صوت ، ولا يستيقظ ضمير ، فمن سبق في التماس شفاعتها غلب وفاقا للمثل اللبناني المعروف : (من سبق شم الحبق) .

قلت ان هذه الشفاعات لأدهى ما في لبنان ، وكأين من مجرم يستشفع زعيما او نائبا او ذا نفوذ ديني فيشفع ارتجالا بدون ما تقصي حقيقة . ويتناسى أولئك الشفعاء المجرمون بالمشاركة ، الحديث الشريف « اذا جاءك مفقوء العين يشكو فلا تتسرع بالحكم لعل خصمه مفقوء العينين»

قال مسعود : ان أمثال هؤلاء المجرمين يكرعون البحر اتراهم يغصون بالساقية ، فلقد تقلص الله من ضمائرهم أفتراهم يلتفتون بعد ذلك الى كتاب منزل او حديث مسند ؟ .

قلت فما كان السبيل الى هذه المحاكمة التي ترتكب الاوزار فتؤيد المجرمين وتخرب الديار ، وتنزل بالبيوت الدمار ، كل ذلك بمكالمة هاتفية ، فتقضي على الاخيار وتسمع فيهم وشاية الاشرار ؟ الرشوة ام سواها من المفاتيح ؟ ..

قال : لم يكن لبغيها ضابط ، بيد ان أفعل شيء في نفسها كان دمع التماسيح ، فلو أتت واحدة من بنات جنسها واستعدتها على المسيح فبكت وتظلمت واشتكت لسارعت الى معونتها بلا وازع من ضمير ، ولا زاجر من أناة . ولعمري ان جنايتها على الحق لتبدو جناحا اذا قيست بمثالب الرجال أو « أشباه الرجال الذين لهم حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال » أو بما يفتريه أرباب الوجاهات الدينية والزمنية ، فاذا تذكرت حنان وقيافا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبيلاطس وهيرودس ومن جرى مجراهم ، ادركت ما للاسخريوطي من أشياع واتباع . وايقنت أن هذا العالم مملكة الشيطان كما قال السيد المسيح ، وان الركب التي لم تسجد للبعل نادرة كما أشار اليها يوحنا في رؤياه .

وجلست الحاكمة على مقعد جلسة هي الى الاستلقاء أدنى منها الى الاستواء . وتيامن زوجها فأومأت اليه أن يتياسر ففعل . وانما قصدت أن تذله لا أن يلي منها جهة القلب الذي تعذر عليه ان يلجه اذ لا ينفتح قلب المرأة الا لمن تهابه لرجوليته ، او تهيم به لجماله ، أو تأذن له في الوقوف على عتبة فؤادها لسخائه وكثرة ماله، او يجتذبها ذكاؤه ، او تكون (مازوكية) فيقسو عليها فتجري في اثره ، او يستكبر عليها فتكون هي التي تراوده عن نفسه، كما وقع ليوسف بن يعقوب ، ولم يكن صاحبنا الحاكم المحكوم عليه في شيء من ذلك .

وانتظرت ان يحيط بها وبزوجها زمرة من أصحاب الامس ، ولكنهم كانوا يسلمون عابرين ، فما يقفون الا بمقدار ما يرفع العتب عنهم ، فقلت ما هذا يا مسعود ؟

قال انما الناس عبيد القوة ، فلما تولى سلطانهما ، وانتثرت عناقيد الكرمة فلم يبق الا الحطب ، نصلت الصداقات وباخت الزلفى ، وكفت الالسنة المداهنة ، وتلك عقبى من ضعف كيانه ففطاه لقبه وأيده منصبه ، فلما زالت نعمته شمت به الشامتون ونأى المقربون ، أفلا ترى أن الذهب الدفين اذا استخرج وصهرته النار ازداد توهجا والقا ؟ وان الورق النقد اذا لوحته النار صار الى رماد ، ذلك ان للذهب قيمة اصيلة جوهرية ، وان ليس للورق الا قيمة نسبية يمحوها الزمن اذا طمس الرقم . افلم تر الى صور السلاطين الخواقين كيف انطوت ، وكيف ان الواح رافايل ودي فنشي زادها القدم سناء وغنى ، فباتت اطرف واعز مقتنى ؟ قلت بلى قال وكذلك هو أمر ذوي السلطان .

وحان وقت الرقص فصدحت الموسيقى وكنت جاهلا بالالحان فاستعنت بمسعود ، وكانت الاوركسترا افرنجية ، والعازفون بالآلات من مختلف الالوان والاقاليم، فمنهم من أرخى صدغيه الى منتهى الحنك ، ومنهم من أرخى سباله واطلق لحيته ، ومنهم من ترك عنفقته وأخفى سائر الشعر، ومنهم الامرد الذي لم يطر شارباه. وتوسط الراقصون الحلبة ، فقعد مني مسعود مقعد المعلم من التلميذ لما رأى من استغرابي ، فقد توالت على مسمعي الحان تذكر بلبلة الالسنة لما تهافت برج النمرود ، فدار راسي من غير نشوة ،و كاد مسعود يضحك ولكنه أمسك احتراما لسني .

فقال ان ما تسمع من الحان وتشهد من رقص ، له معجم غريب ، فهل سمعت قبل اليوم بالهاليغالي واللابومبا والماديسون والتشيمي والتشيكن والتانغو والروك أندرول والتشاتشاتشا والسامبا والرومبا ؟

قلت أما السامبا فنعم وكذلك التانغو وله المرتبة الاولى في الالتصاق واسناد ذقن على كتف ، واقتراب خد من خد ، وفم من أذن ، واعلم انه وان كان سبيلا الى الخطر في وضوح النور فانه لاشد خطرا في الستاريو ، حيث تخفت الانوار ويسرع الى القلوب الدوار ، والى المفاصل الانهيار . أما الروك اندرول فقد سمعت انه يداخله من جنون الحركة ما أودى بحياة بعض المأفونين . ولكن قل لي ما هذه الرقصة التي تبلغ فيها الميني جيب ذروتها في الكشف والاستعلاء ، وفقدان الصواب والحياء ؟ قال هي رقصة الجيرك . فقلت ما أغزر ما يرفدنا به الغرب من غرائب . قال أسعد وما أكثر ما تتهم به الغرب من فواحش . ثم التفت الي مسعود قائلا انسيت الحفلة الخيرية ، والرقصة الشرقية التي شهدناها في الشهر الماضي ؟ قلت ماذا قال أسعد ؟

في أول الشهر الفائت دعيت ومسعود الى حفلة خيرية ، فدفعنا ثمنا باهظا لبطاقتي شرف ، وتلك البطاقات لا تشرف ولا تضع ، ان هي الا احدى البدع ، من أكاذيب المجتمع . وبحكم البطاقتين اقتادنا الدليل الى مركز الصدارة، وافتتحت الحفلة رئيسة الجمعية بخطاب أعده لها خبيث تعمد الهزء بالرئيسة اللثغاء ، فشحن الكلم بالسين والراء ، ولم يضبطه بالشكل ، فتعثرت الخطيبة ايما عثار فصحفت ولحنت واعجمت ، وكانت وهي القروية المولد قد تلقنت دروسها في العاصمة ، فأعرضت عن العربية وازدرتها ، وتشبهت بالباريسيات فاتقنت اللثغ فأصبح التقليد فيها طبعا .

قلت انها لم تنفرد بالتصحيف واللحن ، فكذلك القول في بعض الوزراء والنواب ، وان توحدت النتيجة واختلفت الاسباب .

قال أسعد : وعقب الخطاب رقص كان أبعده من الخلاعة الفولكلور اللبناني . ثم توسطت الحلقة راقصة محترفة تدعى في اصطلاح العصريين نجمة ، ولعلها لا تشبه من النجوم الا الزهرة من جهة الموبقات التي اشتق منها داء الزهري ، وتلقاها الحاضرون بعاصفة من التصفيق لا يستقبل بمثلها أخطب خطباء الشرق أو أشعر شعرائه ، فلا ينالها الا المطربون يهزون القلوب فتنطلق الآهات من الحناجر ، فترتج المقاعد بالقاعدين ، وربما انتصبوا وقوفا اذا سرت الحميا في المفاصل ، وزاغت الافئدة ، ودارت المحاجر والارض بالشاربين ، فان صح ان الغناء رقيته الزنى فالرقصات الخليعات الشرقيات هن بابه الارحب . وبرزت الغانية ترتدي أدعى الازياء الى الاغراء ، فكأن تيارا يجري من جفونها السواحر ، فيوقظ في عيون الناظرين ما يوقظ من الشهوات الدواعر . وتخلعت كأن لا رابط بين أعضائها ، وتلوت كأن لا فقار لها ، أو كأنه فقار أفعى تتحوى ، تغمض عينيها كمن يحلم ، ثم تفتحهما كمن لسعته عقرب ، وقد كحلتهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فذنبت فهما بين فتور المهوم واحتدام الشرر .

وارسلت شعرها ليلا غدافيا يتدلى على ربوتين من عاج . تبسم حينا عن مثل فلقة الصبح ، وتعبس ثم تنقض انقضاض البازي فتراوح بين الامل واليأس ، وتدير جسدها في الجهات الست كأنها ركبت على خيزرانة . وتستدير استدارة الخذروف واقفة على اصابع قدميها . وتزفر فيهتز نهداها كمن يتفرج من كرب ، وتبسط ذراعيها في الهواء كأنها سابحة او تنشد المطلق ، ثم تنهد الى الوراء وتعتمد سلامياتها مرتكزة على اخمصيها ، فكأنها القوس الذي يرمي به كوبيدون او الجسر الذي تعبر عليه الخطايا . ثم تهب هبة واحدة وتأخذ بذيل ثوبها وتكشف عن ساقها ، وتمر مرور ملكة سبأ فوق الصرح الممرد وتهتز كأنها جان ، ثم تضرب الارض بقدميها فتثير الجماد ، ثم تتكسر وتمايل ميل الحداد على الكير ، وتثنى تثني الاماليد عبثت بها الريح.

فاذا ترنحت الاوتار ، وبلغ سلم النغم اقصاه ، قفزت في الهواء قفزة سكبت فيها قواها فانهدت وارتمت على الحضيض كأنما غشي عليها فشخصت اليها الاحداق، وانحبست الانفاس لحظة فاذا هي تنهد وتشب شبوب النار وتدور في الحلقة وتخر ساجدة على ركبتيها منكسة الرأس .

ثم التفت الى اسعد قائلا : ما رأيك في الراقصات الشرقيات اللائي لا يتعدين ان يعرضن أجسادا وفسادا من غير فن والراقصات الغربيات اللائي يرقصن الرقصات الكلاسيكية المعبرة ؟

فقلت : الجواب معاد بالسؤال .

وتوافد الناس ليشهدوا الرقص والسمر حتى امتلأت المقاعد وظل بعضهم وقوفا . واقتربت مني امراة في مثل سني قائلة : الا تتذكرني ؟ فتفرست فيها غير يسير فقلت : اظن فلانة . فقالت كنت احسب ان لي في بالك زاوية فهلا ذكرت ان سهرة جمعتنا في بيت فلان ، يوم كنت طالب حقوق ، وغنيت انا ليلتئذ فقلت انت : يا سبحان الله ما أشبهها بالمغنية الفرنسية صاحبة المندولين ؟

قلت بلى الآن تذكرت ، وهذا امر يعود الى نحو من اثنين واربعين سنة فقالت أعوذ بالله ، فأنا اليوم في الخمسين ، قلت اذن كان لك من العمر ثماني سنوات ، فارتبكت وتغيظت وقالت : يزعمون انك جيد الحافظة ، ويظهر انها ولت كما ولى شبابك ، فلقد تجعد وجهك وغاض البريق في عينيك، وشاب شعرك ، قلت : وصرت أعرج . أما أنت يا سيدتي فما ازددت الا جمالا ، مد الله لك في الشباب وبسط في العيش والفتنة الدائمة . ولكني أقيم لك الدليل على قوة حافظتي . قالت : هاته. قلت : انك لم تسأليني ليلتئذ عن خبر الفرنسية صاحبة المندولين . قالت : كلا ولكني أفترض ان صوتها كصوتي رخيم ، ووجهها كوجهي وسيم ، قلت اذن فاسمعي القصة كاملة . فلقد تغرب شاب الى باريس في طلب العلم ، وكان رزينا جادا في الدرس عازفا عن الملاهي ، مقتصدا بمال أبيه يحاسب ضميره في ما ينفق فلا يقامر ولا يسكر ولا يفجر ، عالما ان أباه الاديب قد أحرز المال بعرق الدماغ لا بعرق الجبين فقط ، فلقد ابت عليه نفسه ارهاق والده بالديون . وكانت في الغرفة التي فوق غرفته امراة دميمة ، عنست فأرادت ان تتلهى فاقتنت بضعة كلاب ما تنفك تتنابح وتتهارش، فتنغص على الطالب درسه وهو أحوج ما يكون الى السكون . فسطر لها رسالة ، فتلطف وتوسل اليها أن تنقذه من جحيمه فرقت له ـ على غير عادة العوانس اللائي ينتقمن من الرجال ـ وباعت الكلاب واقتنت مندولين وطفقت تملأ عشاياها بالغناء ، وكان صوتها انكر من نعيب الغربان وشحيج البغال فكتب اليها الشاب : أعيدي الكلاب . فغضبت محدثتي وقالت لعن الله ذاكرتك وانصرفت واستغرقنا نحن الثلاثة في الضحك . فقال أسعد يالله من المرأة فانها تعيش على كلمات ثناء تسمعهن من رجل ، او كلمات مزاح تحملهن على محمل الثناء .

ووصل في تلك الساعة أحد حكام المنطقة الاداريين ليتوج الحفلة بحضوره ، فلم يأبه له الا صاحب الفندق تأدبا ومجاملة ، لا ابتهاجا بمقدمه ولا احتراما . فسألنا من حولنا ، فقالوا لم يبق في الصدور بقية من هيبة لهذا الحاكم منذ عاشر فلانا المشهور بمعايبه واستطالته على الاكارم بالسعايات والدس والتلصص حتى بات الناس يعافون تسمية أولادهم باسم ذلك المجرم لئلا يكون في الاسم عدوى . وهذا نهج سلكه أهل هذه المنطقة في نظرتهم الى الحكام ورجال الدين وأصحاب الوجاهات ، يقيسونهم بحاشيتهم وأصحابهم عملا بالقول المشهور « قل لي من تعاشر أقل لك من أنت » « وان القرين الى المقارن ينسب » « وان الطيور على أشكالها تقع » الى آخر هذا الباب وما يقابله من الامثال السائرة في لغات العالم جميعا . وربما كان الحاكم نزيها ولكن الريب يتطرق الى النفوس ، ويهون أولئك الزعماء في الانظار ، فان لم تجاهرهم الخاصة ولا العامة بما في النفوس من سوء آثارهم تهامسوا في ذلك فيما بينهم . فاذا كان مدار الريبة قاضيا يحكم باسم الشعب اللبناني منقادا لامثال هؤلاء العشراء الشفعاء الساقطين لحقت به القذارة . ولا يبرئه تذرعه بحسن النية ، فرب غفلة قتلت بريئا ، أو دمرت بيتا ، أو شردت عائلة . واذا كانت قلة الاحتراز عنصرا من عناصر العقوبة فخليق بالقاضي أن يكون أول المحترزين .

ومما يفوت الحاكمين والوجهاء انه اذا تنكر لهم الدهر ، كان الذئب الذي لبس لهم ثياب الحمل أول من يعمل أنيابه ومخالبه في جلودهم ، ويفضح من الاسرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كتم اذ لا خفي الا سيظهر ، ولا مكتوم الا سيعلن ولو بعد حين . حينئذ يعلم الذين أخذهم دوار الحكم واغتروا بما لا يغتر به سوى مغفل أنهم غبنوا فغدروا ، فاذا خلوا الى ضمائرهم — اذا كان الفساد لم يتأكلها برمتها — خجلوا ولزمهم الصغار ، واورثوا ابناءهم العار .

وبينا نحن كذلك خرج من حلقة الراقصين شاب طوال نحيل الجسم أسمر ، مشى الينا مضطرب الخطى زائغ العينين ، وبيده كأس وسكي قدمها لاسعد ، وعزم عليه أن يشرب فاعتذر ، ولكن السكران لا يعذر فرشف أسعد رشفة دون حسوة الطائر . ثم نهض وأخذ بذراع الشاب ، وتخلى له عن سريره في الفندق ساعة ريثما يصحو من خماره . وعاد أسعد فسألته من هذا الفنج المزجج الحاجبين ، الضامر الكشحين ، المخنث الهزيل ؟

قال بالله لا تزد فهذا نجل زميلك الشاعر الذي شرف الادب وملأ بصيته الاقطار ، وهذا ابنه السكير الفاجر بطل القمار . وهو يكاد يكون أميا فلم يستقر في مدرسة ولا قر له قرار . ولكان أبوه رفد الشعر والفكر بضعفي ما رفد ، لولا هذا الولد الذي غمه وقض عليه مضجعه ، فضعضع ذهنه وفل غرب قلمه ، وانضب كثيرا من دمه . ولطالما نصحت له أن يرعوي فما أجدى نصح ولا عصم شرف محتد وصيت والد . ولقد أجابني مرة ان والده رجعي محافظ ، وانه وهو الشاب الانيق يريد ان يكون عصريا (مودرن) . قلت : فبماذا أجبته على وقاحته ؟ قال : تملكين الغضب . فقلت : بعدا لهذه (العصرنة) وان هي الا المجون والخلاعة فأين انت أيها الارعن من أبيك الجليل ؟ ولقد كان معلم جيل وانت الجاهل الضليل . أفما كفاك انك اوهنت صحته ، واحرقت مهجته ، وبددت ماله ، وما جمعه الا حلالا ، حتى تتهمه بالجمود والرجعية؟ فماذا اكتسبت أنت سوى الخزي والهوان الا لا أكثر الله من أمثالك يا مطية الشيطان والعوبة النسوان وعشير الاراذل ، فلو غفر لك أبوك ، فان العدل الالهي سيحاسبك حسابا عسيرا .

وسمعنا ضوضاء انطلقت من وراء حلقة الراقصين فقام مسعود يستطلع الخبر . وعاد يقول : هذا العكاوي يطلب جمرة (لنرجيلته) ، فلا يلبيه الخادم فيغضب ويصخب .

وكان العكاوي هذا مرافقا (قواصا) لاحد القناصل في عهد المتصرفية ، وهو يومئذ شاب تام الخلق ، مبرم العضل ، نظيف الهندام ، يرتدي البزة المقصبة ، ويتدلى على جانبه سيف مذهب الغمد والفرند والمقبض . ولقد كان يرافق القنصل في عربته ، ولطالما شهد المواكب والابهة والمآدب ، فكان متلفت انظار الناس أكثر من سيده . وكأين من وجيه توسل به فكان شفيع خير أنوفا غير مستكبر ، ولا طالب رشوة ، يخلص الخدمة ويكتفي بالشكر ، معتزا بشهامته ، وبأنه رفع الحيف عن مظلوم ، وكف الظالم عن جوره . ولقد بلاه سيده فعرف منه الصدق والنزاهة والشجاعة وسجايا اللبناني الاصيل ، فما كان يرد له طلبا ، يقينا منه انه من غير طراز الحواشي التي تلوث الحكام فتوصد باب العدل في وجوه الشكاة فما يفتحه الا البرطيل . ولما نقل القنصل من منصبه أعطاه وثيقة خطية تشهد له بمناقبه . وكان العكاوي مسلما يقيم الصلاة لاوقاتها ، ويؤدي الزكاة ، ويصوم شهر رمضان ، وقد حج البيت العتيق مرتين ، مما زاده حظوة في عين القنصل النبيل العفيف اليد والقلب واللسان .

ولقد خلفه في منصبه قنصل جلف دنيء زنديق لا يعف عن النساء والرشوة ، فلم يطق العكاوي صبرا على فساد المعلم فاستقال فأقيل. وخرج نظيف الكف والجيب يعيش من غلة عقار ورثه عن أمه . وكانت المصادفة قد جمعتني به لاربعين سنة خلت ، فأكبرت فيه جم تهذيبه، وذكاءه وخصاله الكثر . فساءني هوانه على خادم الفندق، فنهضت معتمدا عصاي ، فقال أسعد ومسعود الى أين ؟ فقلت الى العكاوي .

وانفرج لي الحشد قليلا ريثما تجاوزت حلقات الراقصين، فاذا بي أرى العكاوي واقفا وشارباه يرتقصان غضبا . ولم يزده الشيب الا بهاء وهيبة . ورأيت في عينيه مثل البريق ، فلما أثبتني تعلقت بين جفنيه عبرة ، فأخذته بيده ودخلنا بهو الفندق ، وما فيه الا نفر من رجال ونساء يتحدثون ، فانتحينا زاوية وجلسنا ، فطيبت خاطره ، وسكنت من جاشه فاستطلعته الخبر فقال : يا أستاذ لم يبق لامثالي من مقام ولا قيمة في هذه الدنيا، فقلت لماذا ؟ فقال : انما جئت الفندق هذا المساء ، وانا على موعد مع المحامي فلان ، فطال انتظاري فسئمت فطلبت نرجيلة اتسلى بها . فحفل بي صاحب الفندق ولكن الخادم اغفلني . وكنت كلما طلبت جمرة ينظر الي نظرة استخفاف فعز علي بعد الشيخوخة أن أحتقر ، وذكرت شبابي وكهولتي وماضي فضاقت بي الدنيا ففضبت . ولكن صاحب الفندق عزاني فطرد الخادم للحال . فقلت خفض عنك يا عماه فمنزلتك في صدور عارفيك ما برحت رفيعة . وما زلت أطيب خاطره حتى سكن ، وجاء المحامي واصطحبه الى بيته .

ودخل البهو في تلك الهنيهة كهل أتعبه الرقص فسلم على مسعود وجلس في زاويتنا . وكنت قد رأيت رسومه منشورة في الصحف بعد عودته من افريقيا ، وقد كتب تحتها المحسن الكبير فلان ، وأضيف الى اسمه من الالقاب والصفات ما يذكر بالفرمانات الشاهانية في تقليد المناصب والولايات . وانطلق صاحبنا في الحديث ، فذكر أنه دخل قصر الرئاسة ودون اسمه الكريم في سجل التشريفات. وانه زار المقامات الدينية ، فلقي من الحفاوة ما يلقاه سفراء الدول ، وانه تغدى مع الوزير فلان ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صديقي

أبد الدهر .. في سعودي، وضيقي
سأناديك .. مخلصا .. يا صديقي

أنا في البردتين .. يسرى ، وعسرى
أهتدي بالوفاء .. عبر الطريق

عذبتني الدنيا .. فالحان بؤسي
رجعتها أغوار جرح .. عميق

حفرته في مهجتي لعنة الدهر
انتقاما .. من كبرياء شروقي

لم تدع لي الايام .. الا ضميرا
أزلي السنا .. ندي البريق

فنقاء الضمير .. مشعلي الوقاد
في زحمة الضياع السحيق

يا صديقي .. وكم أقدس أطياب
حروف .. تضم معنى « الصديق »

لك في خاطري .. أضاميم عهد
مورق الفرع .. سرمدي، وثيق ..

يزهر الصمت .. في رؤاه.. كروما
حاليات .. مكوثرات الرحيق ..

وحكايا .. كأنها .. أغنيات
سكبتها اوتار قلب .. مشوق ..

حسب حظي من الحياة .. ولما
ينقض العمر .. ان أنادي : صديقى

اللاذقية

فيصل خليل

وسيتعشى مع وزير آخر ، وانه سيبدل سيارته فيترك (البونتياك) لاخيه المقيم ويقتني (الكاديلاك) . وكنت أدخن سيجارتي غير آبه لثرثرة تتوالى كراعوفة (حنفية) الماء . فأبرمه صمتي فقال : يا أستاذ أنا قرأت في المهجر كل مؤلفاتك فهنيئا للبنان بأمثالك . فقلت أيها نبه خاطرك ؟ فحك جبينه غير قليل ثم قال : (ملوك العرب) فقلت : هذا كتاب جليل ، ولكنه ليس لي فمؤلفه صديقي المغفور له أمين الريحاني . فكف عن الكلام وانسحب .

فقال أسعد عجبت لشأنك في هذه السهرة ، فلقد ترددت اليك السيدة فصرفتها غاضبة لما ذكرتها بصاحبة المندولين ، ولم تلق نظرة الى ابن صديقك الشاعر ، وازدريت هذا الوجيه المحسن ، ولم تأبه لسوى العكاوي.

قلت : أما المرأة المصابية فدمها أثقل من دم البق ، وقد ارادت مجالستنا لعل مصور الحفلة يصورها في حلقتنا ، فتشتري عددا من الجرائد تباهي بها زاعمة ان بيننا من الصداقة الحميمة أواصر قديمة . وأما الشاب الفنج الذي كان ضربة على أبيه فالطرد أقل ما يستحق لانه مجرم ، وان لم يعاقبه القانون . أما هذا المهذار المعقد فيصح فيه قول الامام علي : احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . وأما احسانه الكبير فضرب من ضروب الابتهار والدعاوات وفي نظر علماء النفس لون من الوان العدوان والاستكبار ، فلو كان محسنا كبيرا لما درت يده اليسرى بما فعلت اليمنى ، ولا خير ان يدرج في صفه المتبرعون الذين تنشر أسماؤهم في الصحف والتلفزيون وسواها من الاساليب الامريكية . واقترح ابدال المتطوع ، أو المتبرع ، او الكريم بالمحسن حينئذ توائم الصفة الموصوف .

أما العكاوي فيصح فيه الحديث الشريف : أكرموا عزيز قوم ذل . فلقد شق على الرجل الذي شارف الثمانين الا يلتفت اليه احد ، وتصرف العناية الى هذه الزمر من السكارى والراقصين والشباب الماجنين ، وربما كان احد آبائهم أو أجدادهم يفاخر بمعرفته للعكاوي فضلا عن مصادقته .

وأنا انما أكرمته لاسباب منها الاحترام لسنه العالية، وما كل الشيوخ بالاجلال خلقاء ، فمنهم المتصابون والسفهاء ، والعكاوي نبيل الخلق أبي النفس . ومنها ان ماضيه النقي كان قدوة خيرة لمعاصريه . ثم ان الرجل يحمل بين جوانحه جبلا كاملا من لبنان الاصيل ، وانا كلما شاخ واحد من أبناء ذلك الجبل أو هلك احس ان ارزة توارت ويندر أن يقوم مقامها مثلها .

وانصرفنا الى غرفتنا في الساعة الواحدة بعد ما انتصف الليل .

بولس سلامة

الفريـد ابـو شـديد

بقلم شكر الله الجر

* * *

اديب صبيح الوجه مشرق الطلعة ، وماجن خفيف الظل ، لطيف النكتة ، في عينه اليمنى حول مستحب . أضف الى هذا عفة في النفس وسرعة في الخاطر ، على زهـو الصبا ومرح المزاج ، الى شاعرية تغيب عن جوه زمنا ثم تعود لتدغدغ اوتاره فيسمعنا من انغامها ما يروق سمعه ويطيب وقعه .

يمم البرازيل قبل الحرب الكونية الكبرى تاركا وراءه قريته « راشيا الوادي » وذكريات التلمذة في مدرسة الشويفات ؟ يجيد من اللغات العربية والانكليزية ، وخلال وجوده في البرازيل اتقن اللغة البرتوغالية كتابة وخطابة وله فيها مقاطع من الشعر والنثر شفافة رقيقة .

وعندما اعتزم المرحوم فوزي معلوف ان ينقل قصيدته « على بساط الريح » من العربية الى البرتوغالية عهد الى الفريد ابو شديد بترجمتها نثرا فسهل على احد شعراء البرازيل ان يصوغها شعرا وهذا بدوره مكن الشاعر الاندلسي « فيللا سباز ا » من نظمها في لغته الاسبانية الجميلة .

كان لالفريد شقيق لأمه في شمالي البرازيل شجعه على السفر اليه من لبنان فسافر ولما نزل في داره وتعرف الى نوع تجارته في الزراعة وتربية المواشي في مجهل من مجاهل الداخلية المتخلفة المقفرة ودع خاله ومضى على وجهه حتى انتهى الى عاصمة الاتحاد « ريـو جنيرو » فاستقر في ضاحية من ضواحيها يعلم اللغة الانكليزية في بعض المدارس الريفية الخاصة ولحظ الفريد اثنـاء ممارسته التعليم ان كلمة دكتور تطلق على من هم دونه علما وثقافة فقرر ان يضيف على بطاقته الخاصة لقب دكتور واذا به بين ليلة وضحاها يدعى « الدكتور ابـو شديد » .

وما لبث ان ترك التعليم في الارياف ونزل العاصمة بعد ان تعرف الى احدى السيدات فتزوجها لمالها وليس لجمالها .. فذاق من مرارة غيرتها ما نغص عليه العيش معهـا .

عرفت ابو شديد بعد ان جعل من زاوية شارع اوفيدور محطة دائمة له يقف عليها منذ الساعة التاسعة صباحا حتى الرابعة مساء فلا يتزحزح عنها الا قليلا . وشارع اوفيدور هذا من اجمل شوارع العاصمة موقعه في قلب المدينة يمر به مـا يقارب المليون نسمة خلال النهار تزينه المحال التجارية الفخمة عن الجانبين بما تشتمل عليه من اقمشة ثمينة ومجوهرات غالية تتهادى طواويس الجمال ذهابا وايابا فيه .

وكم وقفة كانت لنا طويلة الى جانب ابـو شديد نتبادل فيها النكات الظريفة اللطيفة ونمتع العيون بالجمال العامر امامنا وسيان لدينا اشكاله والوانه على حد قول الشاعر الخالد صلاح لبكي :

من انت لا ادري ؟ وما ضرني ... جهلي ـ وجهلي اللذة الباقية
اطيب ما في العمر اغنية ... تبقى بلا وزن ولا قافية ؟

ومن لطائف ما اتفقنا عليه نحن اصدقاء ابو شديد ان نسميه (صندوقة البريد) فقد كان احدنا اذا شاء ان يترك خبرا شفاهيا او خطيا الى احد رفاقه الذين تعودوا المرور من هناك عهد به الى الفريد فيوصله بكل امانة .

وفي يوم من الايام توارى صديقنا الشاعر فجأة فاحسسنا فراغا كبيرا لتخليه عن موقفه المعهود وبعد التقصي والاستخبار بلغنا انـه ذهب بصحبة احدى السائحات الاميركيات في نزهة الى « بونس ايرس » عاصمة الارجنتين وهي من العواصم المشهورة في اميركا الجنوبية غنية بعمل الانسان عن عمل الطبيعة. فشوارعها الفسيحة وبناياتها العصرية الانيقة وهندستها الفنية جعلتها بين عواصم العالم من الطراز الاول .

وبعد عودته اقمنا له مأدبة تكريمية شائقة على اعتبار انه قادم من شهر العسل حضرها عدد من اصدقائه الادباء والاديبات . كل ذلك وزوجه المسكينة لا تعرف من امره سوى انه ذهب الى الارجنتين باشغال خاصة .

افتتح الكلام في المأدبة الكولونيل « فنتورللي سوبرينيو » احد ضباط الجيش البرازيلي ومن كبار الشعراء وكان صديقا حميما لنا ولالفريد فجاءت كلمته شيقة جذابة اغرقتنا في بحر من الضحك . ثم جاء دوري فوقفت القي كلمة عليها طابع الجد ولم يكن أحد يتوقع ان يأتي من بعدها ابيات من الشعر تحمل طابع الهزل والدعاب فكانت مفاجئة لذيذة :

اهلا بصب طيب النغمات ... وشبيه (دون جوان) في الغزوات
يا من تركت لنا فراغا عندما ... فارقتنا في انحس الاوقات
لم يبق بعدك من رسول بيننا ... او ناقل عنا حديث رواة
خطفتك من اكبادنا وعيوننا ... حسناء بين الفتح والبسمات
ولحسن حظك ان زوجك لم تكن ... تدري بما تاتيه من حركات
ولو انها عرفت بانك مغرم ... لا شك كنت باسواء الحالات ؟

الى آخر ما في الابيات من مجون فكانت لنا ساعات من المرح ضج لها المكان من جنباته الاربعة .

وفي يوم من الايام أطل علي الفريد وفي يده قصيدة لانشرها في مجلتي « الاندلس الجديدة » يصور فيها المرأة المفتونة بجمالها الممعنة بالاعراض عن عشاقها حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخيط الساخر

وسألتها ـ والخيط حول الاصبع المشغول ـ ماذا تصنعين ؟
فتضاحكت مني وقالت ، والسنا يعلو الجبين
والومض في لمحاتها ـ ينبي عن الشوق الدفين
« جرسا » لأجلك يا حبيبي ، يا أمير العاشقين

وتمر أيام اللقاء ، ويختفي عني سناها
وتروح ، لم تترك هنا ـ الا بصيصا من ضياها
غابت كما يمضي الشعاع ، ولم يعد الا صداها
وبقية من خيطها ـ كان النسيم هنا رماها

ووجدتها يوما ، وكان فتى هناك ، على اليمين !
وسمعته ، نفس السؤال يقول ـ ماذا تصنعين
« جرسا » لأجلك يا حبيبي ـ يا أمير العاشقين
فضحكت من نفسي ، ومنه ، ويسخر الخيط اللعين

امارة الفجيرة — عبد المنعم عواد يوسف

اذا ذوت نضارتها وتناثرت اوراق وردتها وتفرق عنها عشاقها راحت تندب حظها وتراجع ذكريات أمسها ولعل صاحبنا لا يعني بذلك المرأة فحسب بل يعني من خلالها نفسه وقد ابيض شعره ونحل جسمه وانكمشت ملامحه بعد شباب ريق نضير . وهاك بعض من قصيدته :

يفتر عن زهو الصبا ثغرها — وترقص الامال في صدرها
تستوقف الانفاس اما بدت — وتذهب الانفس في اثرها
تلقي على عشاقها نظرة — غضبي ويطفو البشر في سرها

تأخذها من حسنها هزة — فتحسب الدنيا بها زاهية
في نفسها تطفو انانية — تمشي بها نحو الردى قاسية
لكنها لما صحت ابصرت — ان الصبا اوراقه ذاوية

هيهات ان ترجع ايامها — او يرجع الزهو الى نفسها
تفرق العشاق من حولها — وغارت الاحلام في رمسها
صارت اذا تسام من يومها — تعود بالذكرى الى أمسها

كان صديقنا الفريد من المعجبين المفرمين بالممثلة « جان ارلو » المتهمة بقتل زوجها .. ومن رأيه فيها انها اعظم من مثل دور المرأة الطائشة . ويوم محاكمتها راح يصغي الى الاذاعة الاميركية مدة اربع وعشرين ساعة لم يذق خلالها طعاما منتظرا كلمة القضاء فيها . ومما قالته لي زوجته في حينه وهي تلتهب غيظا وغيرة وتشير بطرف عينها الى رسم « ارلو » المعلق في حجرته :

« الحمد لله على براءة « ارلو » والا لخسرنا يا استاذ صديقك ابو شديد » .

ولما صدر ديواني « زنابق الفجر » وهو نوع من شعر التأملات والغزل ، اهديت اليه نسخة منه . وبعد ايام طلع علي بهذه الابيات الطريفة التالية :

صناجة الشعر الرقيق الحالم — كم في بيانك من نسيج ناعم
لك في الزنابق لو علمت عرائس — تختال بين كواكب وغمائم
ستظل ما بقي الزمان وأهله — زهرا يموج على ربيع دائم
غرد بجيد الشعر هن عقوده — وعلى فم الايام شدو حمائم

والى آخر ما في هذه السبيكة الشعرية من عواطف الاخوة التي شدتني اليه وعمت جذورها في تربة مودتنا مرور الايام عليها . ولالفريد ديوان شعر في اللغة البرازيلية لم يطبع كان يسمعنا بعض مقاطعه فنطرب لها.

واني لاذكر من شعره رثاء الشاعر الكبير المرحوم وديع عقل صاحب جريدة « الراصد » البيروتية يوم اقامت له الجالية اللبنانية حفلة تأبينية في العاصمة تحت رعاية مجلة « الاندلس الجديدة » ما يلي :

حسن الصياغة من رقيق شعوره — ونزاهة الوجدان من حسناته
وعرائس الالهام من جناته — ونفائس الافكار من نفثاته
درر المعاني في القصائد ملكه — وبلاغة الانشاء في ملكاته

يا لها من نوافذ للذكريات ما انفتحت مرة على حدائق الماضي وعلى تلك الحلقة المختارة من رفاق الادب والغربة وقد بعثرها الزمان بين الضباب والتراب الا وانهارت اعصابي وغمرت الدموع اهدابي .

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خرجت من الشركة متعبة .. يتعبها دوار يكاد يطوح بها .. المرئيات من حولها تغرق في الاضواء الباهرة ، لكنها تبدو امام عينيها كما كانت ملفوفة بضباب .. والشارع يصخب بالاصوات .. اصوات متمايزة ، لكنها تتحول في اذنيها الى طنين متصل .

بلغت محطة الترام .. اتجهت الى العمود الذي يحمل شارة المحطة ، و استندت اليه بظهرها ..

فتحت حقيبة يدها بعناء ملحوظ .. اطلت الى مرآة صغيرة تستقر في داخلها ... طالعت وجهها ... شحوب خفيف يشوب قسماته .. وخصلات الشعر الكستنائي ... تتبعثر فوق الجبين وعلى جانبي الوجه المستدير بغير انتظام .. لم تعتد الاهمال في زينتها حتى في اقسى الظروف .. فزينتها شيء وكل ما عداها شيء آخر .. اليوم شغلها مشوارها فلم تنظر الى مرآتها ..

رفعت يدها وساوت خصلات شعرها ، ثم اغلقت الحقيبة .... واعتدلت بقامتها تختبر الدوار الذي كان يتعقبها .. دارت راسها .. وارتعشت اهدابها .. ادركت ان الدوار ما برح يلازمها .. تنهدت في صمت وهي تعاود استنادها الى العمود ، وما لبثت ان استغرقها الشرود .. لم يدهمها من قبل مثل هذا الدوار فما سببه يا ترى ؟..

آه .. لم تعف ساعة الظهيرة كعادتها .. والمشوار ايضا .. منذ خرجت من الشركة في الساعة الواحدة الى ان رجعت اليها في فترة المساء وهي تلف وتدور .. دون نوم .. وبغير غداء .. لو كانت ظفرت بشيء يريحها لهان كل ما لقيت ..

وجاء ترام مترع بالزحام .... فانصرفت عنه .. ونادت تاكسي ليحملها الى البيت ..

فتحت باب الشقة في هدوء .. الفت غرفة حماتها مضاءة ، وكذا المطبخ .. لا تريد ان تلقى احدا حتى لا يحاصرها باسئلة تزيدها دوارا .

تسللت في حذر الى غرفتها .. لم تضيء نورها .. اكتفت بخيوط الضوء التي تنساب اليها من المطبخ .. توجهت الى السرير الصغير القائم في ركن منها .. وجدته خاليا .. صحا اسامه اذن من نومه وذهب الى جدته في غرفتها .. وربما يكون نام اليوم معها ... هل تراه تفدى ؟.. ام اصر على انتظارها ؟..

انحنت فوق السرير تقبل الوسادة الصغيرة .. وترامى اليها من غرفة حماتها المجاورة لغرفتها صوت صغيرها وهو يسب الخادم ويلعنها

المشاكس الصغير

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

.. رغم اعيائها ، سمحت لابتسامة واهنة ان تمسك لثوان بشفتيها .

ترنحت في وقفتها .. فتحوات الى سريرها وانحطت فوقه .. عاد صوت الصغير معاودا سب الخادم وشتمها .. ومهددا بشكايتها الى ابيه حين يعود ..

وخزتها كلمات الصغير ... طفحت عيناها بالدموع .. شعرت برغبة في الاستلقاء فوق الفراش والاستسلام للبكاء .. عسى البكاء يخفف من الدوار ، او حتى يضاعفه، فتنشغل به عما يستعر في صدرها ..

لم تتوان .. بعد فترة قصيرة امضتها في نحيب صامت تولتها راحة .. وعاد صوت الصغير يتهادى الى اذنيها .. صافيا رائقا .. مثيرا لجلبة وضوضاء كما لو كان عشرة صغار .. عرفت انه بدأ لعبه ومشاكسته لجدته .. اشفقت على العجوز .. فكفاها ما تعاني من مرض وحزن ..

وقامت الى غرفة حماتها .. وقبل ان تدخلها .. وقفت ببابها تحتويها بناظريها .. وبسمتها تزيح الشحوب البادي على وجهها .

استدار الصغير اليها ، وكان يحمل مدفعه الصغير بين يديه .. علت شفتيه الرقيقتين بسمة حلوة، لكنه ما لبث ان نحاها ، ليرسم على وجهه الدقيق القسمات امارات جد وغضب وهو يتمتم :

ـ ماما .. لماذا تأخرت ؟ سوف اشكيك لبابا ..

وخزتها كلماته .. تقدمت منه شبه ذاهلة تريد ا حتضانه .. ابتعد عنها وهو يسدد نحوها مدفعه .. ويضغط على زناده فتنبعث من فوهته اضواء متعاقبة كما لو كانت طلقات تندفع منه .. ضحكت في صفاء .. وتذكرت حماتها .. فالتفتت اليها قائلة :

ـ مساء الخير يا نينة ..

ردت العجوز تحيتها بصوت واهن .. ثم سألتها وهي تتملاها بعينين فاحصتين :

لماذا لم تأت الظهر ؟

اختطفت الصغير واحتوته بين ذراعيها .. .. ثم اقتعدت حافة الفراش الذي تتمدد فوقه العجوز .. ومضت تقول واصابعها تداعب خصلات شعر صغيرها :

ـ استأذنت من المدير .م وذهبت الى السجلات ثم الوحدة .. وبعدهما مررت بالهلال الاحمر

لاسأل عن نتيجة استفساري .

ولاذت بالسكوت .. ولمحت العجوز غمامة يأس تظلل وجهها ، فوادت رغبتها في مزيد من الكلام معها ..

اطبق الصمت على الغرفة .... وبعد لحظات انبرى الصغير يصوب مدفعه تجاه وجه امه ، ويضغط على زناده ..

سألت العجوز زوجة ابنها بحنان:

اجابت الزوجة الشابة في شرود :

ـ هل تغديت ؟..

ـ لا ..

ثم استطردت :

ـ لا اشعر بجوع ..

عقبت العجوز بحنان اكثر :

ـ لا يا بنتي .. قومي لتتغدي .. اسامة تغدى ..

وجاءها الطعام فوق منضدة صغيرة .. وضعتها الخادم امامها قرب فراش العجوز .. وطفقت تأكل بغير شهية .. وتطعم الصغير .. وطال صمتها .. فهمهمت العجوز :

ـ بصراحة .. انا لست مستريحة لعودتك الى العمل ..

انحشرت اللقمة التي كانت لاكتها في حلقها .. بذلت جهدا في ابتلاعها .. تحولت الى رغيف امامها لم يزل بتمامه .. تركت اصابعها تعبث به دون ان تصيبه بتمزق .. لحظ الصغير سكوتها .. رفع يده البضة وجذب خصلة من شعرها .. وتركها تنساب فوق جبينها .. ثم ارجع رأسه الى الوراء وراح يتأملها ..

انثالت الذكريات على رأسها ، فعافت نفسها الطعام .. وانشغلت بذكرياتها عمن حولها .. كان يحلو له قبل كل سفرة ، ان يجذب هذه الخصلة ويدع اطرافها تلامس اهدابها .. ويستمر يرنو اليها في وله وشغف .. ثم يطلب اليها ان تغمض عينيها .. ويعود بعد قليل فيدعوها ان تفتحهما .. وكانت تستجيب له في نشوة وتلذذ ... فاذا اشرق وجهها بابتسامتها الاخاذة اختطفها بين احضانه واغرق وجهها وجيدها بقبلاته ..

وطفت على السطح احزانها ، فضاعت الذكرى ، وتلاشت نشوتها .. وانتبهت ، فاذا الطفل قد نزل من فوق ركبتيها .. وعمد الى دبابته الصغيرة ، يملؤها بالزمبرك ، فتتحرك فوق السجادة .. ويبقى برهة محدقا فيها ، والتحفز يلوح على محياه، ثم يباغتها بمدفعه و هو ضاغط على الزناد فيقلبها على جنبها ..

وانجذبت الى الطفل .. ترقبه بسعادة .. وارتفع صوت العجوز :

ـ طوال النهار هكذا .. وليته يشغل بلعبه ويرحمني من مشاكسته.

لم تعلق بشيء ، فاردفت العجوز قائلة :

ـ لست ادري ما الذي يجعلك تتقبلين تعب العمل وقرفه .. هل رأيت وجهك في المرآة ؟..

اجابت الزوجة الشابة وهي تلتفت الى حماتها نصف التفاتة :

ـ يا نينة العمل لا دخل له ... السبب اني مشيت كثيرا والحر كان شديدا ..

ودمدمت العجوز شبه حانقة :

ـ لو كنا بحاجة الى مال لكان الامر مقبولا .. لكن مرتبه ما زال يصرف لنا بكامله .. اليس الافضل ان تستريحي في البيت وترعي الولد ؟..

وقالت بنبرة حزينة :

ـ كان انتظاره كل يوم يملأ علي فراغي .. وبعد غيابه اصبح الفراغ يخنقني .. صدقيني يا نينة ان العمل لا يتعب .. وحتى لو كان متعبا فهو يشغلني عما آنا فيه .

وسقطت دموعها .. فربتت العجوز على ظهرها وهي تهمس :

ـ قومي يا بنتي لتبدلي ملابسك .

نهضت واقفة في تثاقل ... وهمت بالخروج ، واذا الطفل يقفز معترضا طريقها . رافعا بذراعيه الصغيرتين مدفعه الى صدرها .. وتلاشت على الفور احزانها .... وعادت البسمة تضيء وجهها ... ومالت عليه .. ترفعه بين ذراعيها .. وتأكل وجنتيه بشفتيها .

★

الايام تمر .. ويوما بعد يوم .. يرتفع منسوب عذابها .. فحماتها العجوز يتضاعف مرضها وهزالها.. ودائما تغط في الصمت والشرود.. وطفلها الصغير كان دائما حلو المشاكسة .. انقلب يحطم لعبه .. ولا تمر لحظة من نهاره آو ليله دونما يهدد ويتوعد .. ويبكي ويصرخ بغير سبب ، حتى الخادم ، امتدت اليها سحابة الهم التي تظلل البيت .. فتحولت هي الاخرى الى سهوم واكتئاب .. تنصرف اليهما اكثر مما تنصرف الى شغل الدار .. ولو كان بيدها خلاص اي منهم لتحملت عنه ما يعاني .. لكنها لا تملك لما اصابهم دفعا .. هو وحده الذي بيده خلاصها وخلاصهم .. لكن اين هو ؟.. الاسرى جميعهم عادوا .. وهو لم يعد .. ويقولون موجود .. وان سألت اين ؟.. مطوا الشفاه .. وهزوا الرؤوس .. ولاذوا بالسكوت .. عذاب فوق عذاب .. لو يقولون مات ..

وانقبض صدرها .. واسرعت تستعيذ بالله في سرها .. وتولاها حزن وذهول .. فهذه الكلمة لم تقفز الى ذهنها من قبل .. رغم تفكيرها الدائب في مصيره بعد ان طالت غيبته .. وبحرقة همهمت :

ـ يا رب ..

وتقلب صغيرها الذي يشاركها فراشها ، فشد بصرها اليه ... وجعلت تتأمله .. جفناه مسبلان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. وشفتاه الرقيقتان مزمومتان بعناد .. وخصلات شعره تستلقي فوق جبينه .. وصدره يعلو ويهبط في عنف كأنما يبذل جهدا في تنفسه .. ووجدت نفسها تطوق الصغير بذراعيها .. وتضمه الى صدرها بقوة ..

ويجرفها نشيج محموم .... فيصحو الصغير منزعجا.. ويسألها بصوت يختلط فيه النعاس بالفزع:

ـ ماما .. لماذا تبكين ؟

ويبقى صدرها ملتصقا بصدره حتى يهدأ بكاؤها .. ثم تمسح دموعها في شعره الناعم ، وتغمغم وهي تحاول الابتسام :

ـ لا شيء يا حبيبي .. نم انت.

رمقها الصغير بنظراته الناعسة ، ثم وثب الى الارض ، واتجه الى دولاب الملابس ففتحه ، واخرج مدفعه ودبابته ، ثم التفت اليها يسألها :

ـ ماما ... هل بابا له دبابة مثل هذه ؟..

وردت بخفوت :

ـ نعم ..

ـ ويركبها ..

ـ نعم ..

ـ انا لا استطيع ركوب هذه الدبابة ..

ـ لانها صغيرة ..

زعق غاضبا :

ـ ولماذا اشتريتها صغيرة ؟.. اريد واحدة كبيرة مثل دبابة بابا .

وقالت ملاطفة :

ـ عندما تكبر يا حبيبي ..

ركل الصغير الارض بقدميه وهو يصرخ :

ـ انا كبير .. انظري ..

واخذ يدور حول نفسه .. وهو يشد قامته التي تتعدى نصف المتر بقليل .. وكان الدولاب لا يزال مفتوحا ، فوقع بصره على ملابس ابيه العسكرية .. ولحظتها ، توقف عن الدوران وبادر امه :

ـ ماما .. اريد ان البس هذه البدلة لاكون مثل بابا واركب دبابة كبيرة مثله ..

وبحدة صرخت :

ـ اقفل الدولاب ..

اسرع الصغير فاغلق الدولاب ، وبقي مستندا اليه وهو يحملق فيها باستغراب ودهشة .

ودق جرس باب الشقة ، فاندفع الصغير خارجا من الغرفة ، في حين بقيت هي مسترخية فوق الفراش .. وجاءها صوت الصغير من الخارج مرددا :

ـ بابا .. بابا ..

انتفضت واقفة .. وبارحت الغرفة بخطى مسرعة ، وهي ما انفكت بملابس نومها .. وما كادت تخرج الى الصالة حين تسمرت قدماها .. كان ثمة ضابط يقف بباب الشقة .. و ارتد الضابط عن الباب لحظة رآها ليتوارى عنها ..

انتبهت الى انها تلبس قميص نومها، فتقهقرت راجعة الى غرفتها، ولبست روبها على عجل ، ثم خرجت ثانية ، وقلبها يدق بعنف ، وقدماها ترتطمان ببعضهما من اضطراب شملها .. لم يكن الضابط وحده .. كان بصحبته جنديان اخران .. ولم تدر بماذا تفاتحهم .. ولم يتكلم الضابط ولا من معه .. وساد صمت خانق ..

بعد فترة باغت الطفل الضابط سائلا :

ـ اين بابا ؟..

اخذ الضابط .. وبدا الارتباك واضحا على محياه .. بعد ثوان ، مد الضابط يده ليمسح بها على شعر الصغير .. تجنب الصغير يده .. وعاد يسأله :

ـ هل تركب دبابة مثل بابا ؟.. انا لي دبابة .. وهذا المدفع ..

والتفت الطفل ناحية امه واستمر يقول وهو يشير الى بيريه الضابط :

ـ اريد واحدا مثل هذا .. بابا له واحد في الدولاب .. هل البسه؟

ولم ينتظر الصغير من امه ردا على تساؤله .. جرى الى الغرفة ، وراح يعبث بمحتويات الدولاب ، حتى عثر على حذاء لابيه وبيريه ، كان الحذاء ضخما ، ومثله البيريه، لكن الطفل لم يهتم .. ادخل قدميه الصغيرتين داخل الحذاء ، ووضع البيريه فوق رأسه .. ومثلما غاصت قدماه داخل الحذاء ، تاهت رأسه تحت البيريه .

وسمع الصغير صرخة ندت عن امه ، فمشى الى الصالة ، وهو يجرجر الحذاء الضخم بقدميه الصغيرتين ، و يسند البيريه بيسراه كي لا تنزلق من فوق رأسه، بينما تحمل يمناه مدفعه الصغير ، ووجد الطفل امه تتكوم فوق احد المقاعد ذاهلة ، ومن قبل كانت تقف مثل الضابط الذي لم يزل واقفا ، منكسا رأسه .. والخادم مستندة الى الحائط .. تضرب صدرها براحتها .. ودموعها تسيل في صمت .. وصوت جدته ينطلق من غرفتها مستفسرا عن صرخة سمعتها .. ولا احد يجيبها ، ولبث الصغير في مكانه لا يعي شيئا .. فقط .. يقلب بصره فيمن حوله دونما ينبس .. وضاق الطفل بالوجوم والصمت فثبت بصره على امه وهتف :

ـ ماما .. انا مثل بابا .. انظري

وادارت امه رأسها ناحيته .. واحتضنته بعينين لا تطرفان ... ومد الضابط يده اليها وهو يهمس ببضع كلمات ، فتحولت اليه تصافحه وهي مطرقة .. ولما هم الضابط بامس كتف الصغير تراجع عنه و هو يتمتم :

ـ اعمل هكذا .. مثل بابا ..

ورفع يده الصغيرة يحيي الضابط شبه تحية عسكرية .. واغرورقت عينا الضابط وهو يرفع يده ليحييه بمثل تحيته .. واذا الجنديان هما الاخران يرفعان يديهما بتحية عسكرية مماثلة ... ومكث الطفل رافعا يمناه قرب رأسه .. ويسراه تقبض على مدفعه الصغير ، حتى خرج الضابط والجنديان ..

القاهرة اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب والحضارة وتتبع الكشوف

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي
رئيس جمعية الابحاث العلمية

* * *

اعتاد نفر من ابناء امتنا تثبيط الهمم لا بنقد خلاق مبدع ، بل بتصريحات هدامة من شأنها خنق القابلية ووضع سدود حائلة امام تقدم الفكر البشري ، فيلومون الاديب عندما يرمي نظرة في العلوم الحديثة ليستمد من تلك العلوم اساسا متينا لمادته الادبية محاولا ايجاد منهج علمي لنزعاته او محركا جديدا لعاطفته الفنيةعلى مبدأ الكشوف الحديثة في المعارف .

ويهاجمون كذلك العالم عندما يريد الاستراحة من اتعابه في قطعة ادبية او لوحة فنية يجد فيها متعة ولذة ونشاطا جديدا للعمل ودافعا حديثا في البحثوالاستقصاء

نعم ان الاختصاص هو من ضرورات التقدم ، لان التوسع في العلوم في الوقت الحاضر لا يسمح بالتشتت واضاعة الوقت الثمين في مختلف ميادين العلم والادب ، ولكن مهما حاول المرء ان يكون متخصصا فلا بد له من القاء نظرة عجلى على ما جاوره من مشاكل مختلفة ، فحب معرفة مدى تقدم الثقافة في شتىالميادين هو غريزةفطرية لا يمكن ابادتها في انسان واسع الافق بعيد غور النفس ، محب للاطلاع الى اقصى درجة المحبة .

فبجانب الاختصاص المحدود يحتاج الانسان الى ثقافة عامة مبنية على مختلف الفروع ، اضف الى ذلك ان الانسان اجتماعي بطبعه . والحياة تتطلب منه ان يطلع على ما يحيط به ، سيما اذا كانت الامور غير سائرة على الوجه الذي يتطلبه الضمير الحر . عند ذلك يزداد اهتمامه بالمشاكل الاجتماعية الحاضرة . وبزيادة الاهتمام تزداد معها ثقافته ويتسع افقه .

ويذكر علماء النفس العصريون بانه من اصعب الاشياء ان يخضع ميل النفوس في هذه الايام الى تضييق دائرة اهتمامها من الوجهتين العلمية والفكرية ، ذلك لان طريقة ادراكنا العقلي للاشياء تقوي هذا الميل بدلا من ان تنقصه . ومن اجل ذلك لا يستطيع الفرد وحده ان يتغلب عليه الا في احوال نادرة جدا . فهو اذن في حاجة الى الاتصال بعقول غير عقله .

نحن نريد التمتع بالثمرة ، ولكننا لا نعرف وضع البذرة الطيبة في البيئة المناسبة واعطاءها المجال والغذاء الكافي لنموها . حتى اننا لم نجد حتى الان الحاجة الملحة في اقتناء امهات الكتب العلمية الحديثة يله ترجمتها الى لغتنا العربية ترجمة علمية صحيحة . واذ الف أحد الاخصائيين كتابا علميا بحتا صرف عليه ما صرف من الوقت والجهد ، فماذا يكون نصيبه يا ترى ؟ الجواب يعرفه كل من عانى التأليف والنشر .

اني لاعجب جد العجب ان يجد ذلك العربي القديم جدية يبذل من اجلها كل غال ونفيس ، ونحن لا نجد مثل هذه الحاجة في ترجمة منتجات العلوم العصرية ترجمة حاجة ماسة لترجمة آثار الاغريق الى لغته ترجمة متقنة شاملة تكون السبب بظهور نهضة اسوة بتلك النهضة القديمة ، مع اننا نعيش في عهدها ونشعر بالدور نفسه الذي تلعبه في تسهيل مرافق الحياة وتثبيت العزة القومية .

كل هذه الاوضاع غير جديرة في تكوين رجل الاختصاص ، فنحن الذين نضع العراقيل في طريق الاخصائيين ثم نوجه اليهم سهام طعننا وازدرائنا حسدا وبغضا وعرقلة لكل انتاج ، فاذا ما قاموا في تعويض نقصهم بجهود خارجة عن نطاق اختصاصهم لا نعد ذلك لهم حقا مشروعا ، وارضاء لعقدة النقص المتأصلة جذورها في نفوسنا نشجع الاجنبي ونعطيه اضعاف ما يتقاضاه الوطني ولو كان دونه باشواط . حتى اننا نبرر اعمال الذين يأتون المنكر ويضيعون الاوقات الثمينة بين قرقعة الطاولة ولعب الورق ، ولا نبرر عمل منتسب الى العلم يقوم ببعض جهود ادبية في نطاق خارج عن دائرة اختصاصه ، ولعل كثيرين من الناقدين ما وجهوا هذا اللوم لغيرهم الا لفقرهم الروحي وعدم قابليتهم لفهم امور عديدة ، فينتقدون ما يتمنون ان يكون في انفسهم ، ليفخروا على اترابهم ولينظروا الى المحيط الذين يعيشون فيه نظر المغرور المتكبر لما اوتوا من قوة ادراك اشياء كثيرة تمهد لهم طريق المعرفة الشاملة . وما عرفوا ان مثل هذه المعرفة تمشي مع التواضع جنبا الى جنب . تتراءى لنا في النظرة السطحية الحدود ، ولكن عند امعان النظر والتعمق في الامور نجد اتصالا قويا بين مختلف العلوم ، بل هناك اتصال ايضا بين العلم والادب .

نعم ترتكز العلوم وخاصة الطبيعية منها على المشاهدات الحسية والابتعاد مهما امكن عن زخرف الكلام وطلاء العبارات ، لان الهدف هو ادراك الحقيقة الناصعة عارية سافرة بلا برقع ولا قناع بأقرب الطرق واقصر الوسائل . وتتطلب منا الطبيعة عينا يقظى وبصيرة حادة وتفهما للواقع على جليته بقانون رياضي مستقيم لا عوج فيه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تبطل فرضياته ونظرياته الا بتجارب بينة واستنباطات جديدة ، مع الاستعداد الدائم لتصحيح الافكار المغلوطة والاوهام الزائفة والخيالات المبتذلة التي ما انزل الله بها من سلطان .

اما الادب فهو في عرفنا بعيد عن ذلك ، ليس الا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متعة ولذة لا علاقة له بالحقيقة المجردة . وفي الواقع فان الادب الحق يحلق في آفاق واسعة وله قيمة عالمية لا بد من ان يرتكز على اساس علمي متين . ولكن مهما تشعبت الطرقات والتوت المسالك فان النفس الانسانية « كل » لا يتجزأ ولا ينقسم . وما هذه الفواصل التي نضعها لتفريق العلم عن الادب ، ما هي الا فواصل وقتية تزول امام النفس الانسانية العميقة .

وكم من الحقائق العلمية باتت مجهولة الكنه غير معروفة الهوية لانه لم يتح لها بيان واضح وتعبير فصيح، وكم من قابليات ادبية وجهها العلم الصحيح وخلقها خلقا جديدا . وهكذا كلما طالعتنا قصص المخترعين والمكتشفين نجد صلة قوية وتيارا لطيفا يجري من العلم الى الادب ومن الادب الى العلم كالتيار الكهربائي الذي يسري بين قطبين مختلفين ظاهرا ومتعاونين باطنا في احداث الدورة الكهربائية . او كالاملاح الموجودة في الطبيعة والمستحصلة صنيعا على تباين انواعها واختلاف تراكيبها ما هي الا اجسام مكون كل واحد منها من عنصرين مختلفين ظاهرا ومتضامنين حقيقة في احداث جسم مشترك يلعب دوره الهام في تكوين الجامد من الارض والمساهمة في بقاء الحياة عليها . وما الذكورة والانوثة في عالم الحياة الا من الامثلة البارزة على الاختلاف والتكامل في آن واحد .

اننا ندرس في العلوم النتائج العلمية فقط ، ولكننا نغمض اعيننا عن التيارات الادبية العميقة التي بعثت الكشوف العلمية من مرقدها . (١)

اننا نتمتع بالخيرات العميمة التي وهبتها لنا نفس مبتكرة في العلم ، دون ان نلتفت الى العوامل الخفية التي بعثت بهذا الابتكار . انه وايم الحق لجحود للمعروف ونكران للمعرفة الاستفادة من العبقريات العلمية دون الالتفات الى العوامل النفسية التي كونت هذه العبقريات ولعل في دراستنا للشروط النفسية قدرة لنا على ايجاد نفوس مبتكرة خلاقة . وأي شيء يحيط اللثام عن هذه الامور بنواحيها المتعددة متجمعة غير مفككة مثل الادب . ويمكن التصريح والقول انه لا يوجد مكتشف له قيمته في عالم الاكتشاف الا وله ميل خاص لفن او ادب . لان ابداع شيء من لا شيء لا يتاح الا لروح فنية فذة (٢) .

اذن ليس هناك من تضاد ولا يوجد هذا التطاحن النفسي الا في النفوس المنقسمة ، وما هذه التفرقة الا تفرقة شكلية لا جوهرية ذاتية . ان معرفة البواعث النفسية التي تسكتعنها كتب العلم المجردة ، لا تدلنا على قيمة النتائج العلمية فحسب ، بل تمهد لنا الطريق في تثبيت النتائج وبعث روح نشاط جديدة وتعلمنا ما هو سر انخذالنا المفضوح في الخلق والابداع . فكم جدد الغربي اختراعا ونحن لا نزال واقفين كالوثن .

ان ما نأخذه على ادبنا العربي الحديث ضعفه في روح التنسيق ، تلك النزعة الاصيلة في الغرب والتي نحن بأشد الحاجة اليها ، فما ذلك الا اننا على ما أعتقد في حالة اشبه بثورة بركان يقذف حممه مبعثرة الى كل الجهات مهيئة المواد الخام الضرورية في بناء القشرة الارضية . فاذا لم تطق الارض صبرا على رجابتها وضخامتها وعظم جسمها وسعة باطنها ان تكتم ما في باطنها من لظى مستعر ، فلا تخرجه منظما ، فكيف يطيق بشر فان شاعر بضرورة تبدل الاحوال كبت ما في شعوره من نار متأججة فيخرجه بتؤدة واتزان منسقا ومرتبا . اننا نأمل ان تكون هذه المرحلة من حياتنا الادبية مرحلة مؤقتة لا يطول مكثها فينا . واذا عبرنا عن هذا الدور بدور الغليان والانفجار ، فيلزم ان يعقب ذلك حالا وسريعا دور الهدوء والاستقرار .

ان هذه الخاطرات اوحتها الي مطالعاتي في تاريخ العلوم . وقد ادركت في هذه المطالعات ما كان خفيا علي عند اكتفائي بدراسة الكتب العلمية البحتة ، وقد وجدت ان هذه المطالعات افادتني في اثارة اهتمام الطالب في الموضوع ، وادركت كثيرا من اخلاق العلماء الافذاذ وبيئتهم الاجتماعية ، وكثيرا ما اوحت الي هذه الدراسات بأنه لا يمكن ايجاد عبقرية مبتكرة في محيط لا يساهم بتكوينها . لان النبوغ « كما بينت مرارا وفي فرص متعددة » لا يهبط من السماء بل هو كالبذرة ان لم تجد من يتعهدها والتربة الصالحة لنموها اضمحلت وماتت واصبحت نسيا منسيا . وهذا هو السر في تقدم ابناء وطننا النابهين وهم في ديار الغرب وفي وقوفهم الوقوف المخزي وهم في اوطانهم بين ظهراني اهلهم وذويهم ، وكما انه لا يمكن عيش الاسماء في الهواء ، كذلك لا يمكن نمو القابلية في محيط غير جدير بذلك . ومن هو في الحقيقة اجدر بتبديل الجو المثبط للهمم بجو منشط خلاق غير الاديب والشاعر ؟

اني اقول ذلك واقصد الذي يعبر عن شعور صادق لا يتخذ زخرف الكلام اداة دنيئة للخداع ، حتى اذا صهرنا كلماته في بوتقة الحقيقة العارية تبخرت ولم يبق منها شيء . لهذا السبب عينه ندعو الادباء للسير مع قافلة الحضارة الحديثة ولتتبع الكشوف الجديدة ودراسة علة تأخرنا وطريقة النهضة والخلق والابداع .

حلب — محمد يحيى الهاشمي

---

(١) بصورة مفصلة راجع محاضرتي التي القيتها على مدرج الجامعة اللبنانية في بيروت « تخلف العرب عن الكشوف العلمية » خريف ١٩٥٦ ، والتي نشرت في مجلة اللسان العربي . « العرب والكشوف العلمية » ـ الرباط (المغرب) عدد ٥ عام ١٩٦٧ . (٢) راجع كتابي «ماكس بلانك » ، الفيزيائي والمفكر الكبير ، حلب ١٩٦٦ .



يوسف عبد المسيح ثروة

شخوص من مسرح البير كامو

بقلم يوسف عبدالمسيح ثروة

* * *

ليس من شك في ان لالبير كامو تأثيرا كبيرا في المسرح الحديث ، فقد تمكن بما وهب من حاسة درامية ان يكون مدرسة خاصة به خالصة من شوائب الكلاسيات وترسباتها ، وان يرفد هذه المدرسة بمعين جديد من الروح العبثية واللامعقولة ، بحيث يصح ان يسمى رائدها ابا المسرح اللامعقول ، على الرغم من انه لم ينو بنفسه ان يكون كذلك . وسبب ذلك ـ على ما ارى ـ يعود الى فكر كامو الفلسفي الذي احتضن فكرة اللامعقول ، سواء في صلات الانسان بالعالم من طريق الوعي المتناقض مع العالم ، ام من طريق تناقض هذا الوعي مع نفسه.

اما فكرة اللامعقول هذه ، فهي تعني ان وجود الانسان في العالم وجود غير ضروري ، لعدم وجود اسباب تدعوه للانتباه الى هذا العالم . فالانسان والعالم نقيضان، ومتى ما تم وجودهما غير الضروري معا حصل افتراق ، انفصال ، تناقض غير قابل للحل بين هذين الوجودين ، ولما كانت كل مفارقة هي انفصام ، فالانفصام هو نتيجة حتمية لتلاق غير متيسر ، او غير قابل الحدوث ، وهذا الانفصام هو اللاجدوي ، وبالتالي فان ظاهرة اللاجدوى هي الظاهرة الوحيدة الجديرة بالتأمل والبحث والتقصي . واللاجدوى ، هي بطبيعة تكوينها ، سمة لفوضى الكون والانسان والعلاقات الانسانية . ولما كانت الفوضى على طرفي نقيض مع الانسجام ، فالفوضى اذن هي الاخت الشقيقة للشقاء . فنحن اذا وجدنا ، في هذا الكون ، لا نوجد من اجل اسباب معقولة ، منسجمة مع طبيعة العالم والكون ، بل يقذف بنا الى هذا الوجود قذفا عشوائيا ، لامنطق فيه ، ولا عقل ، ولا اسباب ومسببات . والحياة التي هي الطابع الحركي لهذا الوجود، ليست الا ساعات ميتة من الزمن ، لان الموت هو الحقيقة الوحيدة ، ولان الشقاء الذي يسبق الموت هو الدلالة الوحيدة ايضا على هذه الحياة التي هي في المدى البعيد انتظار مؤلم لكابوس الموت الذي تنوء به اعصابنا في كل لحظة من لحظات حياتنا الراهنة ، السقيمة، القميئة ، الباهتة ، الزاحفة كالديدان على بطنها المتقيح المتهري ، المليء بالقروح والدمامل والقيح ؟

ومن ثم ـ فنحن لا نحيا في الحياة كما ينبغي ان تكون الحياة ، انما نحن نحمل مشانقنا معنا منذ اليوم الذي نرى فيه النور ، اذا كان ثمة شيء اسمه النور في هذا الوجود المظلم بين هذه الحيطان السميكة المرتفعة ارتفاع ناطحات السحاب . ومن ثم فواقع الحياة ليس هو الواقع الملموس الذي نحياه ، انما هو تأجيل لحكم الاعدام الذي صدق علينا منذ ولادتنا . وهذا التأجيل هو الواقع الحقيقي الذي لا ينبغي ان نهرب منه باللجوء الى الاوهام واضغاث الاحلام . وهكذا يجب ان تكون عيوننا مفتحة لما نحن فيه من شقاء اكيد ، وقلق دائم وصراع اليم في ليل لا اول له ولا اخر .

ومع ذلك كله ، فان بعض الكتاب يحلو له ان يقول ان كامو غير متشائم ، بل هو متفائل لانه يؤمن ببعض القيم الانسانية ، اما كيف يتفق ذلك مع فلسفته كلها فامر غير مفهوم ، ولو تداعى له كل المدافعين عنه وعن فكره الفلسفي . واذا كان الانسان لقيطا في هذا الوجود لانفصامه عن الماضي وعن المستقبل ، لصلته الوحيدة بتوالي الحاضر ، فهو وحيد ، حين يولد وحين يموت ، زنزانته ارضه التي يسكنها قسرا ، وسماؤه سماء سوداء معتمة لا نجم فيها ولا كوكب . وبفقدانه للامل ، ووجوده متعلقا على شفير الهاوية ، وبانعزاله عن العالم الذي يوجب وجوده فيه ان يعيش فيه مجبرا ، كل ذلك يحمله حملا على ان يعيش قلقه منفردا بعيدا عن كل امل وتعزية ورجاء . وبذا تكون العزلة هي الحياة الحقيقية الوحيدة ، في عالم غير حقيقي وغير معقول وهذا النفي للانسان وهذه القبة الزرقاء الصامتة التي لا يرن صداها ، هما خصيصتا وجود الانسان في منفاه الوحيد . ولكن الانسان ـ مع ذلك ـ لا يتقبل منفاه قبولا حسنا ، فهو لهذا السبب يتمرد . والتمرد هذا هو خصيصة ثالثة من خصائص الوجود الانساني . اما كيف يتمرد الانسان على الكون وعلى نفسه ؟ فقضية اخرى لا بد من دراستها واستيعابها وادراكها .

هذه بعض السمات المركزة لفكر كامو من منطلقه اللامجدي بخصوص الواقع الانساني الراهن ، اما سمات مسرحه فيصح ان نقول عنها : يمكن تحديد تطور مسرح كامو بفترتين . الاولى هي فترة اللامعقول التي تتبنى مسرحيته « كاليغولا » و « سوء التفاهم » والثانية هي فترة التمرد وهي تتبنى مسرحيتيه ، « حالة الحصار » و « العادلون » . ولكي يكون تحديدنا دقيقا لهذا المسرح لا مندوحة لنا من ان نستعرض شخوص مسرح كامو استعراضا امينا ، سنحاول فيه ان نتعرف على افكار كامو من شخوصه ، باستخدامنا لغة هذه الشخوص جهد المستطاع لتكون للامانة وزنها ، كاليغولا ، الامبراطور الروماني ، هو بطل مسرحية « كاليغولا » (١) وهو انسان عدمي ، يمتاز بجفاف القلب الى حد النفاد وبالامبالاة وعدم الاكتراث الى حد لا يمكن تصوره او تخيله وهو حد المستحيل الذي يتطلبه كاليغولا بالحاح وعناء وجنون ، انه انسان عاقل رزين ، ذو فكر صافي رائق ، لكنه رغم ذلك كله لا يطلب غير الحصول على القمر ، كاليغولا ليس مجنونا هذا امر اكيد ولكنه يحس بكل بساطة ، وعلى حين غرة ، بحاجته الملحة الى المستحيل ، وذلك بان الاشياء كما هي لا تبدو له مرضية « فهذا العالم السخيف لا يمكن احتماله ، وتبعا لهذه المقدمة يصح لكاليغولا » ، ان يقول : « هذا العالم كما هو لا يحتمل . انا محتاج اذن الى القمر الى السعادة الى الخلود الى شيء ربما يكون جنونيا ، ولكنه ليس من هذا العالم » . وذلك في معرض حديثه مع مرافقه هليكون .

---

(١) شواهد مسرحية كاليغولا من ترجمة علي عطية رزق .

صحيح ان خليلته واخته دروزيلا قد ماتت منذ ايام ، مخلفة جرحا غائرا في قلبه ، غير ان هذا لا يهم ، ولهذا السبب فهو يقسم « ان هذا الموت لا شيء وانما هو دلالة لحقيقة تجعل القمر ضروريا (له) وهي حقيقة في غاية البساطة والوضوح » . وعندما يسأله هليكون عن معنى هذه الحقيقة يدير له ظهره ويقول بلهجة خاوية من اية دلالة ، « الناس يموتون سعداء » فالموت والشقاء اذن هما طرفا الحقيقة البسيطة الواضحة التي وجدها الامبراطور بعد طول بحث واستقصاء . ولذلك فلا يصح للامبراطور أن يركن الى النوم ، لانه اذا ما نام فمن يعطيه القمر ؟ وبخاصة وقد وجد صاحب الجلالة كل شيء حوله متمرغا في اوحال الكذب والخداع والغش ووجد الناس يعيشون في جهل مطبق ، بعيدين عن انوار المعرفة والحقيقة ، وهو لا يريد لهم شيئا وقد ملك المعرفة التي تجعلهم يعيشون في الحقيقة « ولا سيما وهو المعلم الذي يعرف ما يقول . المعلم يعرف الحقيقة ، وهو وحده الذي يعرفها ، وتبعا لمعرفته هذه يرى وجوب ملء الخزانة باسرع وقت ممكن وبطريق مالوفة لدى الاباطرة من المعلمين الا وهي فرض الموت الاجباري على اشراف روما ، فعلى كل الاشراف وكل افراد الامبراطورية ممن يملكون ثروة ، « ان يحرموا اولادهم من الميراث وان يحرزوا على الفور وصية لصالح الدولة » .

الموضوع قتل اجماعي لكل مالكي الثروة ، بغية الاستلاب الاجماعي لكل هذه الثروة والوسيلة هي خشبة المشنقة . والمعلم الامبراطور لا يجد مانعا من ان يترسبل بسربال الفيلسوف ، وان يحلل الاعدام تحليلا فلسفيا عميقا ، وذلك جوابا عن سؤال عشيقته القديمة كايزونيا ، « ماذا اصابك ؟ » فيقول : ترتيب تنفيذ حكم الاعدام ليس له في الواقع اية اهمية ، او على الاصح اوامر الاعدام متساوية في الاهمية . ويترتب على ذلك انها ليست ذات اهمية بالمرة . « الوسيلة هي الاعدام ، والغرض هو الثروة ، ولما كان الحكم هو سرقة ـ على حسب رأي كاليغولا ـ فليسرق اذن بصراحة . وهذا الرأي الذي يذهب اليه الامبراطور هو تطوير لرأي برودون القائل ان الملكية الفردية هي سرقة ، وهو تطوير له مغزاه ، اذا عرفنا مدى تأثير برودون في فكر كامو بأسره ، وفي توجيهه السياسي ! لقد وصلت القضية شفا منحدر مخطر ، فلا بد لامين الخزانة ان يحتج وان يقف بين الامبراطور وهذا المنزلق ، لكن من غير جدوى ، فالرجل رجل منطقي يعرف حدود منطقه وهو لا يمكن ان يخرج عن جادة المنطق مطلقا ولهذا يواصل منطقه قائلا : « اذا كان للخزانة اهمية فالحياة الانسانية اذن لا اهمية لها » . وما على الذين يعدون المال كل شيء سوى ان يعدوا حياتهم لا شيء ، وما دام الامبراطور يملك السلطة فسيعلمهم ما سيكلفهم المنطق وهو في دست السلطة .

ويختتم الرجل رأيه الصريح بقوله : « ساقضي على المعارضين وعلى المتناقضات . وسأبدأ بنفسي اذا لزم الامر . » وبذا يكون الامبراطور منطقيا مع نفسه ، ومع رعيته ، ومع سلطته ذاتها . والامبراطور لا يكره شيئا كرهه للكذب والكذابين الذين يزوقون الاشياء ويتحدثون خلاف الواقع ، وهم يفعلون ذلك لانهم لا ينسجمون مع انفسهم ويجسد الادباء ، في رأي الامبراطور ، هؤلاء الكذابين تجسيدا يدعو الى المقت والنفور ولذلك يوجه كلامه الى شيريا صاحبه متحدثا عنهم بقوله : « لا تندهش ، فانا لا احب الادباء ولا استطيع احتمال اكاذيبهم فهم يتكلمون لكيلا يستمعوا الى انفسهم ، ولو انهم استمعوا الى انفسهم لعرفوا انهم لا شيء ولما استطاعوا الكلام بعد ذلك » .

« غير ان شيريا يرى الكذب واجبا مفروضا على البشر ، اذ لا بد من الدفاع عن العالم اذا كنا نريد ان نعيش فيه بينما الامبراطور يرى خلاف ذلك الرأي ، فهو يجد ان القضية لم تعد موضع نظر فقد ثبت (ان هذا العالم عديم الاهمية) ومن ثم لا يكون الانسان حرا الا اعترف بانتفاء هذه الاهمية . ولما كانت الامبراطورية الرومانية كلها مملكة كذابين فمن حق الامبراطور ان يقول مخاطبا شيريا والرومانيين كافة : « على وجه التحديد انا اكرهكم لانكم غير احرار ، وفي الامبراطورية الرومانية ها انذا الحر الوحيد » . وطبيعي ان تكون الحرية ، في هذا العالم الاسير ، العبد الذليل عملا ثقيلا ، مسؤولية فادحة ، لا يستطيع فرد واحد تحمل اوزارها ، ولذلك فالامبراطور يبكي بمرارة ، وحين تسأله عشيقته كايزونيا عن سبب ذلك يجيبها الامبراطور : « يبكي الناس لان الامور ليست كما يجب ان تكون » . وعندما تلح عليه متسائلة عما به على التحديد يجيبها والشجى يقطع انفاسه : « رأسي خاوية وقلبي ممتعض . وافظع ما في الامر هذا الطعم الذي اجده في فمي ، لا هو بالدم ولا بالموت ولا بالحمى ولكن بها معا » . اما لسان الامبراطور فيكفي لكي يحركه حتى « يصبح كل شيء اسود من جديد ولكي (يعاف) الكائنات » .

وتبلغ المرارة بالامبراطور الى حد القول « ما اقسى وامر ان يصبح الواحد انسانا » لقد ضاع اذن كل شيء ، لم يعد البشر بشرا، فقدت الكلمات معانيها ، انتفت القيم انهارت الحدود، تلاشت المفاهيم، ضربت العبودية اطنابها ، فلم يبق من احرار الدنيا حر واحد ، اصبح الجميع عبيدا ارقاء الا الامبراطور ، لم يعد ابناء الانسانية الا بهائم سائمة يناقض وجودها وجود انسان فريد وحيد هو الامبراطور ! وتشعر كايزونيا شعورا عنيفا ان لا بد من راحة ، من نوم للامبراطور المتوترة اعصابه ، غير ان الامبراطور لا يستطيع النوم ولا يتويه ، وهو لذلك يقول : « لا يا كايزونيا لا فرق بين ان انام او اظل مستيقظا اذا لم يكن لي اثر فعال في نظام العالم ، وفيم تنفع السلطة المذهلة اذا لم يكن في مقدوري تغيير نظام الاشياء » ؟

وطبيعي الا يتم تغيير نظام الاشياء الا اذا استطاع الامبراطور ان يربك هذا النظام فاذا بالسماء تختلط بالبحر والقبح بالجمال واذا بالضحك ينبعث من الالام . وحين تؤكد كايزونيا على وجود الفوارق بين الاشياء تزداد حماسة كاليغولا حتى لا يتمالك نفسه من القول : « اريد ان اغير ساهب المساواة لهذا العصر . وعندما يسوى كل شيء ويوجد المستحيل اخيرا على الارض . عندئذ ربما اكون انا نفسي قد تغيرت وتغير العالم معي . عندئذ واخيرا لن يموت الناس وسيصبحون سعداء » . ومع هذا كله ، فان كايزونيا ، تصر على وجود الحب في الارض فينفجر الامبراطور غضبا ناكرا وجود ما يسمى بالحب ، فالحب لا شيء ، الشيء الوحيد الموجود هو الخزانة العامة ذلك ان الحياة نقض مكشوف للحب ، ووجود الحياة لا يأتلف مطلقا مع وجود الحب ، ولما كانت الحياة نفسها عرضا مسرحيا قصيرا ، نجد الامبراطور متحمسا في مناشدته لكايزونيا لمشاهدة مثل هذا العرض فهو لذا يقول : « الحياة عكس الحب .. وانا . ادعوك الى فرح لا يعرف الاعتدال . الى عرض مسرحي ، ويلزمني ناس متفرجون وضحايا ومذنبون » .

ومن اجل ان يكون العرض عرضا واقعيا يقفز الامبراطور الى صناجات التنبيه ويبدأ الدق بها من غير توقف . الامبراطور يريد حضور الممثلين ، المحكوم عليهم بالاعدام سلفا ، يريد جمهور المشاهدين . يريد القضاة والشهود والمتهمين بغير استثناء لكي يريهم ما لم يخطر على بالهم وما لم يروه في احلامهم . كيف انه الرجل الحر الوحيد في الامبراطورية ، وكيف انه الانسان الفريد في مملكة الحيوان ! ها ان الامبراطور يرفع يده لكي ينشر الفناء في مملكته ، ينثر بذور عدله بمنة ويسرة ، عدل لا يفرق بين ظالم ومظلوم ، الكل في حقله سواسية . هذا الشريف تنتزع منه زوجته وذاك تنتهك محارمه ، وهذا يقتل ابنه او ابوه ، وكلهم في النكبة الكبرى مشتركون ، فماذا هم فاعلون ؟ الاشراف مجتمعون بشيريا ، الرجل القائد والداهية المحنك ، الذي يعرف كيف يناور ويداور وكيف يضع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يفهم هذا الحب وهو من عالم اخر ؟ وهذا ما يعنيه كاليغولا بقوله : « انت نقي في الخير كما اني نقي في الشر » وهنا نجد العدمية بابلغ صورها وحشية واشدها فظاعة ، والرفض التام لكل الوجود بما في هذا الوجود من معالم الايجاب ودلائل الخير ، والسلبية القاطعة لكل التزام ، ومن ثم يحق لسيبيون الصغير ان يتهم كاليغولا بالوحشية والنتانة وان يتهم قلبه بالدناءة الملطخة بالدم وان يذكره بعذابه الذي يحتمه وجود الشر والكراهية في نفسه .

يسكت كاليغولا عن هذه الاتهامات، الا انه يثور عندما يتهمه بالعزلة فيقول: «العزلة. اتعرف العزلة؟.. انت لا تعرف ان المرء لا يمكن ان يكون في عزلة أبدا واننا اينما حللنا يلاحقنا ثقل المستقبل وثقل الماضي ويحلق الامبراطور في اجواء الخيال متمنيا حلول الوحدة الحقيقية في ذات نفسه ، ولكن بغير جدوى ، لان هذه الوحدة نفسها « عامرة بصرير الاسنان وكلها مدوية بالضجيج والصياح البعيد » ويتحدث الامبراطور في ختام شكواه عن النساء فاذا بخلاصة لذته من الاقتراب منهن لا تعدو ان تكون « لذة حمضية » تنز من ابط امرأة ! اما الهدوء واما المأوى الهادىء، فلا يجدهما الامبراطور، رغم كل شيء الا في الاحتقار. وبمكنسة الاحتقار هذه يجرف الامبراطور كل شيء امامه ، فلا يبقى في طريقه غير صحراء العدم التي تنعق فيها الغربان الموت ها هو ذا الاكتشاف الكبير يتبدى للناس اجمعين ، وبين دقات الطبول والاسطوانات النحاسية ، يعلن هليكون مرافق الامبراطور النبأ السار قائلا : « اقتربوا ايها الفنانون الافظاظ . ان المعجزة المقدسة تتحقق امام اعينكم . ومن نعم عهد كاليغولا المبارك عليكم ان الاسرار الربانية معروضة للناظرين » وتطالب كايزونيا الجمهور بتقديم المال واداء الصلوات . حقا ان هذا « بناء للحقيقة جديد ومثير . وانجاز لم يسبق له مثيل » وكيف لا يكون الامر كذلك وقد حلت على الارض الزينات الفاخرة وقد اخذت الصاعقة والرعد والاقدار ينضمون الى موكب النصر المؤزر « بينما يظهر كاليغولا واقفا على قاعدة تمثال في زي فينوس مبتذل » . واذا بجوقة الاشراف يرددون بصوت واحد : « يا ربة الآلام والرقص ، يا من ولدت من الامواج وكلك لزوجة ومرارة في الملح والزبد انت يا من تشبهين الضحك والاسى والحقد والاندفاع، علمينا عدم المبالاة التي تبعث الحب من جديد ، عرفينا بحقيقة هذا العالم الذي لا حقيقة له » .

وتستمر الجوقة في الدعاء والتضرع والالتماس من فينوس ان تنزل على الناس الاشراف بركات الرحمة وحمم العذاب ، بان تفتح بابها لابنائها الضالين لتدخلهم في عراء ملاذها غير المكترث الاليم وان تمنحهم عواطفها التي لا مبرر لها والامها المجددة من العقل وافراحها التي لا مستقبل لها « وهكذا تحسن الجوقة ايما احسان في عرض افكار كامو باسلوب شاعري جميل مقصود ، ليكون لذلك تاثيره في النفوس، لان اللاجدوى التي يعمر بها كتاب كامو « اسطورة سيزيف » تبقى بغير جدوى اذا لم تحتضنها شاعرية الجوقة هذا الاحتضان ويكون لكاليغولا ما يريد من نهاية طيبة لحفلة تنصيبه فينوسا على الاشراف الفانين ، الامر الذي يرضيه كثيرا ، ولذلك فهو يقول في ختام الحفلة: « لكم ما طلبتم . دعواتكم قد استجيبت » ، وبعد ان يركع الاشراف واحدا تلو الاخر ، يقدمون اموالهم وينصرفون وقد اذن لهم كاليغولا بذلك بقوله : « ايها السادة تستطيعون ان تنصرفوا وان تنشروا في المدينة خبر المعجزة المدهشة التي اتيح لكم ان تشاهدوها » .

ويعود كاليغولا الى الحوار مع سيبيون الاثير لديه ، فيتناقش معه في جملة ما يتناقش عن الطغيان وعن معنى الطاغية فيجيبه سيبيون ان الطاغية هو : « روح عمياء » الا ان كاليغولا يرد عليه : « ليس هذا مؤكدا يا سيبيون . ولكن الطاغية رجل يضحي بالشعوب في سبيل افكاره او طموحه . وانا ليس لي افكار ولم اطمع في شيء من شرف او سلطان » . ويدعي ان ممارسته للسلطان ليس الا من باب التعويض . والدليل على ذلك انه لو كان طاغية لكلفت اقل حرب يقوم بها اكثر من الف مرة من نزوات هواه وكاليغولا لا يفهم القدر وتصرفاته ولا يدرك موجبات هذه التصرفات ولما كان القدر قد وضعه في موضعه الذي هو فيه، فانه مضطر ان يجعل من نفسه قدرا وان يتحمل مسؤوليته بذاته ، هذه المسؤولية التي تتخذ شكلا احمق غير مفهوم .

غير ان سيبيون يرى في ذلك الكفر يعينه ، فيرد عليه كاليغولا بقوله : « لا يا سيبيون بل هو فن الدراما ! وغلطة الناس جميعا انهم لا يؤمنون بالمسرح ايمانا كافيا ولولا ذلك لعرفوا انه يجوز لاي انسان ان يمثل المآسي السماوية » بان يتقمص جبروت السماء ، و (يكفي) لذلك (ان يقسو قلبه) . غير ان سيبيون لا يقتنع بهذا القول لانه يرى ـ تمشيا مع منطقه ـ ان التقمص الذي اصطنعه كاليغولا قد يتحول الى عدوى تعدي غيره من الآدميين ، ممن يأكل قلوبهم الحقد ، وتنهش نفوسهم المطامع ، فيغرقون بالنتيجة تقمص كاليغولا نفسه في بحر من الدماء .

ويعود كاليغولا الى خيط امله الاخضر ، وها هو ذا مع مرافقه هليكون مرة ، فاذا بالقمر يقفز من بين يديه حينا ليعود اليهما حينا اخر ، وعندما يتساءل هليكون عن المؤامرة التي تحاك ضد الامبراطور ، ينسى كاليغولا موضوع المؤامرة من اساسه ، لان الخيط الذي يصله بالقمر لا يزال سليما قويا ، ولذلك يجيب اجابة خارجة عن الصدد اذ يقول : « بل لقد حصلت عليه (يعني القمر) تماما . صحيح مرتين او ثلاث مرات لا غير » . ويصف الامبراطور الذاهل احدى هذه المرات بقوله : « كنت مضطجعا . وكان في بادىء الامر دمويا فوق الافق . ثم اخذ يرتفع بسرعة متزايدة .. وكلما زاد ارتفاعه صار اكثر صفاء وقد اصبح كبحيرة ماء في بياض اللبن وسط هذه الليلة المليئة باحتكاكات النجوم . ووصل عندئذ الى اعلى درجة ، رقيقا ، خفيفا ، عاريا ، وعبر عتبة الحجرة ووصل الى فراشي .. وغمرني بابتسامته وبريقه » .

واذن لقد حقق الامبراطور ما حلم به ، وكثيرا ما تحققت الاحلام، في هذا الوجود المليء بالمفارقات والاحلام . ولذلك يصح للامبراطور الا يهتم بما يحاك من مؤامرات ضده ، فهو وقد وهب البصيرة النفاذة والنظر البعيد يعرف قاتله سلفا ، ولما كان لم يستنفد بعد كل الوسائل التي تعينه على العيش ، فهو لهذا السبب يريد الحصول على القمر ، وهذا ما يجعله يأمر هليكون بالاتيان به فورا .. ويذهب هليكون لينفذ امر امبراطوره المطاع . وبعد ان يخرج هليكون يدخل عليه رجل يعرف بـ (الشريف العجوز) جاء هذا الرجل ليخبر الامبراطور بتفاصيل المؤامرة ، وما ان اصغى اليه كاليغولا والم بما يقول حتى انفجر في وجهه قائلا : « اذا كان ما قلته صحيحا ، فيلزمني ان افترض انك تغدر باصحابك ، اليس كذلك ؟ » ولما كان الرجل ليس خائنا وليس جبانا باعترافه ، فالمؤامرة اذن ليست سوى مزاح في مزاح ، وهكذا ينتهي الى تصديق ذلك ، وقبل ان ينتبه من اغفائه يأمره الامبراطور بمغادرته لانه لا يستطيع تحمل رؤيته ذلك ان « الرجل الشريف حيوان نادر في هذا العالم » .

وتصل خطة المؤامرة الى الامبراطور ، فيأخذ في التأمل فيها ، ثم يتجه الى المرآة ليتأمل صورته ، بعد ان يكون قد اوعز الى احد الحرس بجلب شيريا رأس المؤامرة . الامبراطور في وضع تأملي يحمله على ان يناجي نفسه قائلا : « كنت قد قررت ان تكون منطقيا يا ابله، ولكن المشكلة هي معرفة الى اي حد يستمر ذلك .. اذا جلبوا القمر لك فسيتغير كل شيء سيصبح المستحيل ممكنا .. وسيتغير وجه الاشياء جميعا مرة واحدة » . ولكن كاليغولا المنطبق الذي يعرف حدود الاشياء ، يعرف ان الحصول على القمر مستحيل وحتى اذا لم يكن مستحيلا فجلبه اليه لا يعني مطلقا حرفه عن جادة المنطق ، ولذلك فليس لكاليغولا الا ان يتابع المنطق والسلطة الى النهاية ، والهجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى النهاية » .

وبهذا التصوير العدمي المفرق بالسلبية يعرض لنا كامو شخصية منسجمة مع وضعية متوترة اشد ما يكون التوتر قسوة وعنفا وتشنجا. ولكامو ـ ولا شك ـ فضل غير منكور في اجادة رسم هـذه الصورة وبهذه الكيفية الغريبة . ويتواجه الغريمان ، فاذا بالامبراطور يوجه الى شيريا سؤالا جديا واضحا بقوله : « .. لماذا تريد ان تقتلني ؟ » فيجيبه شيريا « اراك ضارا وقاسيا وانانيا ومغرورا . وانا احب الامن واحتاج اليه . ومعظم الناس مثلي » . غير ان الامبراطور يعود الى المنطق ملاذه الامين فيقول : « الامن والمنطق لا يتفقان » . وحين يؤكد الامبراطور على ذكاء شيريا يطالبه بامرين ، اما دفع ثمن هذا الذكاء او نكرانه لذلك يساله : « لماذا لا تريد ان تنكره (ويعني الذكاء) ولا تريد ان تدفع (ثمنه) ؟ » فيجيبه شيريا : « لانني اريد ان اعيش وان اكون سعيدا ، واعتقد اننا لن نستطيع ان نحصل على هذا او ذاك اذا دفعنا بالعبث الى اقصى مداه » .

وبشيء من اللامبالاة العجيبة يحرق الامبراطور دليل المؤامرة ، المخطط الذي قبض عليه ، لكي يبعد الجريمة عن وجه شيريا ، فيعيد اليه صفاء البراءة ، اما شيريا الذي لا يمكن ان يتنصل عن الجريمة فيمضي في خطته الى نهايتها ، ها هو ذا يحاول بكل وسائله ان يغري سيبيون بالانضمام الى المتآمرين مستغلا قتل والده الا ان سيبيون مع اعترافه بهذه الحقيقة يحاججه من زاوية اخرى قائلا : « صحيح يا شيريا ، ولكن شيئا ما في نفسي يشبهه. نفس الشعة تحرق قلبينا». ولذلك فهو لا يستطيع الاختيار ، فضلا عما يالم منه لما يقاسيه صاحبه . هذا اذا تركنا جانبا مصيبته الكبرى ، فهمه لكل شيء الذي يتجلى في تشدده في طلب كل شيء . وهذا التشدد هو اليأس عينه بالقياس الى شيريا .

ولذلك يحدثه عن هذا اليأس قائلا : « .. لقد غرس فيك اليأس ، وغرس اليأس في نفس نقية جريمة تفوق كل ما ارتكبه حتى الان من جرائم » . ويدخل هليكون الى حيث شيريا يدبر الامور ، وينسج خيوط المؤامرة نسجا وئيدا محكما ، فيفصح هليكون عن وفائه لسيده واستعداده للدفاع عنه حتى ضد رغبته . امر مثير يحمل شيريا على القول : « لا افهم شيئا مما تقول ولكني اهنئك على اخلاصك . انا احب الخدم الاوفياء » ، هذا الذي يقوله شيريا سخرية ما بعدها سخرية ، يثور هليكون على اثرها فيقول : « .. نعم انا اخدم مجنونا من تخدم انت ؟ الفضيلة ؟.. انا ولدت عبدا ، اذن فلمن الفضيلة قد رقصته تحت السياط .. كايوس لم يلق علي خطبه بل فك رقبتي واخذني الى مقره ، وهكذا استطعت ان اشاهدكم ايها الفضلاء ورأيت ان وجوهكم مدنسة ورائحتكم كريهة .. كرائحة من لم يعانوا ابدا من شيء ، ولم يخاطروا بشيء » . انه رأي القلوب البالية والايدي التي تنم عن الدهاء وامارات البخل البادية على الوجوه . فهل هؤلاء هم قضاة ؟ هؤلاء الذين يتاجرون بالفضيلة ويحلمون بالامن . هؤلاء الذين سيموتون فزعين ، حتى من غير ان يعرفوا انهم قد قضوا اعمارهم في الكذب . هليكون يعرف اذن حاشية الامبراطور معرفة لا تطالها معرفة .

ثم يستدعي كاليغولا الاشراف الى القصر فيدفع بهم الواحد تلو الاخر الى الموت ثم يتوقف عن هذا الدفع ، بعد ان يكون قد اتى على ثلاثة منهم ليقول : « .. لقد كان عهدي حتى الان مفرطا في السعادة لا طاعون ولا دين قاس بل ولا انقلاب وباختصار لا شيء مما يجعلكم ذكرى للاجيال القادمة » . ولاجل ان يعوض عن حذر القدر الذي جنب البلد هذه الكوارث لا بد للامبراطور من ان يكون اول حلقة في هذه السلسلة ولذلك فهو يقول : ساحل انا محل الطاعون » . ثم يؤتي بشيريا فاذا الحديث حديث كتب » واذا بصاحبنا مؤلف لكتاب تحت عنوان « السيف » وبعد مجاملة المقابلة المعتادة يواصل الامبراطور حديثه قائلا : « هذا هو المؤلف الوحيد الذي الفته ، ولكنه يعتبر ايضا الدليل على انني الفنان الوحيد الذي عرفته روما .. الوحيد الذي يوفق بين فكره وبين افعاله » . ومصداق ذلك قول الامبراطور : « غريب ، ان لم اقتل احس باني وحيد .. لا ارتاح الا بين الموتى » . ويكون القتل سببا وجيها لانتشار لهيب الثورة في نفوس الشعب بقيادة شيريا ، ويطبق الطوق رويدا رويدا حول عنق الامبراطور الذي يهب الحياة والموت بنزوة من نزواته ، ويدق الثوار بايديهم على باب القصر الفخم . ويدخل شيريا وصحبه ليدكوا القصر بما فيه على رأس صاحبه ، وتنطلق السيوف والخناجر الى جسد الامبراطور لتمزقه اربا اربا .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

فدائي

★

وفجأة تشقق الجدار ..!
وأزهرت براعم النهار
في ليلنا المليء بالاشباح والاسرار
في يأسنا المرير ... في ارجوحة الدوار
وفجأة تشقق الجبل ..!
عن مارد يصهر ليل اليأس والقيود
عن ثائر يحمل في ثورته الخلود
يزرع في مدارنا الصمود
ينفخ فينا الروح والحياة والوجود
ليورق الصباح من جديد
لتزهر الدفلى .. ويحيا الشعب من جديد

لك الحياة والخلود يا أخا النصر
فانت في كفاحنا مد بلا جزر
وانت في نضالنا ثار بلا أبعاد
جرح بلا ضماد
نجم مضيء سابح في فلك الجهاد
يعيش في القلوب .. في العيون
يعيش في الرؤوس حلما اخضر اللحون

دمشق — منذر لطفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعراء لبنانيون باللغة البرتغالية

بقلم رياض معلوف

* * *

كان أول من حدثني عن شعرائنا باللغة البرتغالية صديقي شاعر البرازيل الاكبر وعضو المجمع العلمي فيها ، الدكتور مونتي دل بيكيا الذي قال عنه الكاتب العالمي جورج دوهاميل : انه من انبغ شعراء أميركا اللاتينية والمعهم . ولذلك كان لشهادة ــ دوهاميل ــ شأنها واهميتها .

ثم صادقتهم وجالستهم وعرفت شعرهم . وأحاول الان تعريب بعض قصائدهم بلفتنا ليتسنى للمهتمين معرفتهم من آثارهم التي تنم على شاعرية رائعة وابداع عظيم وتفنن لا يجارى في مضمار الشعر البديع الخالد .

وكانني المح في مقطوعاتهم ملامح لبنان والشرق العربي وتتراءى لي في منظوماتهم خيالات عمر بن ابي ربيعة ، وزهير وابي نواس وبشار ، رغم جهلهم لغتنا .

فدماء وطنهم الأول تتأجج في عروقهم شوقا وحنينا الى تربة أجدادهم وابائهم ، ونداء الدم أصدق نداء وأوثق قربى ، فلنماشهم في اغاريدهم الممتعة ! فالصوت صوتنا ، والروح روحنا ، والشعر شعرنا .. وهذه تراجم ثلاثة منهم : الدكتور سلمون جورج شاعر وخطيب وعضو المجلس النيابي لولاية سانبولو « البرازيل » ومن مؤلفاته : شرقيات ــ ومخيم صحرائي ــ والدكتور جميل منصور الحداد الشاعر الحائز جائزة الشعر من المجمع العلمي البرازيلي . ومن مؤلفاته : الصلوات السود ــ وحبيبي القمر ــ . وفرنسيسكو كرم الشاعر والموظف الكبير في وزارة المعارف البرازيلية ومن مؤلفاته : ساعة المتعة .

وبذلت جهدي للاتيان بترجمة صادقة امينة مع مراعاة الاصل على قدر المستطاع ، وما ذلك بالسهل دائما، كما لا يخفى، لان بين العربية والبرتغالية متناقضات كثيرة في التفكير والتعبير . ولعلني بلغت القصد ، والامور بمقاصدها .. فالى هذه ــ الوليمة الشعرية ــ نحن مدعوون للاستمتاع بما لذ وطاب من غذاء الروح ، فنعم الغذاء !

١ ــ سلمون جورج

البدوية

ايتها البدوية الحسناء ــ الرشيقة الرقيقة .. ذات العيون اللوزية .. اعطني شفاهك الخرافية .. الاسطورية ! الشهية النكهة كالتمر الناضج !. تمايلي وارقصي رقصتك المخصرة كالاعصار الخاطف ! ــ فقافلة خطاياك .. تفرج همي ! .. فلا جنائن بغداد الملأى بالورود ولا الموصل واوديتها يا حبيبتي .. توازي نفحة من خديك .. ولا طنافس العجم عرفت اقداما كأقدامك الناصعة ! « من ديوان شرقيات » .

٢ ــ منصور جميل الحداد

شعلة ورماد

حطمت الكأس المملوءة بالخمرة ... وعندما كان الحب في أوجه قتلت الحب ! وعزائي الوحيد في محنتي هذه : ــ « تحول هذه الشعلة الى رماد العدم ... » .

وليمة الحب

في هذه الوليمة الشهية .. التي فيها تشتعلين واشتعل! لان كأس المتعة .. تجذب وتطفي في جسمك المضمخ بعتيت المسك والعنبر ودمك الصارخ ودمي المتمني .. يذكرانني في هذه الهنيهة الصاخبة بالرغبة . ــ شعلة تقبل شعلة « من ديوان حبيبي القمر » .

٣ ــ فرنسيسكو كرم

الظهيرة

رايتك شامخة باسقة ــ تهوين علي .. كالشمس التي غربت في نفسي .. بعدما سحرتني ! .. « من ديوانه ساعة المتعة » .

نشيد الرؤية

صعدت طرفي الى قدميك الصغيرتين وملامح وجهك كنور الشمس الذي يلتهم الشجرة شيئا فشيئا .. وانا أعيش في دمك ــ كما تعيش الشجرة في الارض ــ وازهر في عيونك .. واثمر في خدودك ! .. « من ديوان ساعة المتعة » .

البهجة

تفتحت عيني فجأة على جسمك الناصع البياض فملأها نورا .. وعيناك وقعتا .. كثمرتين ناضجتين على تربة جسمي البنفسجية ! وجسمك سل كخنجرين .. كادا يقتلانني ... وانتزعا من عيوني ! .. « من ديوان ساعة المتعة » .

تمثال الحسن

عيناي كيدي النحات وبتأن وعناية ابتدعاك .. صاعدتين بحسنك حتى برج الشمس ! وكل اتزان الايام وانسجامها تتلاقى في تقاطيعك المنسجمة المنسابة كالغدير العابر ، الهادر .. « من ديوان ساعة المتعة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوابة الطين

مجهولة الاهواء .. تلك رؤى
أبعادها ترتج في بابي
وتمر بي اكوانها مزقا ..
بالطين أمسح جرحها النابي

بلهاء ، هذا الطين في دمنا
اثم يغذينا بأوصاب
طين ، حملنا كل شقوته
بالنار يأكلنا .. وبالناب
.. وأضيع ..
ـ اين الدرب ..؟
أي أسى ..؟!
أقتاته في ليل أتعابي ..
أدخلتني بوابة ، هرمت
أسوارها تاريخ أحقاب
بوابة رفعت علىٰ خطل
حراسها أقزام أغراب

.. وصرخت ، يا ... فأتيت ضارعة
وكآبة تحبو بمحرابي
انسانة عبرت فوأسفي
حرقت بارض التيه أخشابي
الرمل يشرب نسغها ولها ..
والريح تجرح بالضنى ، غابي ..

يا ضلة الازمان .. تلك رؤى
أبعادها صلبت بأعتابي
شرس ابدد حلمها ألما
واليأس يلفح وجهي الكابي
وذكرت ماضينا ، وكان سدى
صحراؤه روحي وأعصابي
بلهاء هذا الطين يؤلمنا
شكـا ، ويغمرنا بأوشاب
وتقول لي أنثى : اليك ، أنا
في طينك المجهول أسبابي

يا نقطة في البدء آخرها
رضعت بوادي الموت
أعشابي .!

دمشق — اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ اسكندر شفيق معلوف

وليسمح لي القراء الكرام ان اضيف الى هؤلاء الشعراء شاعرا ناشئا ذات عربة وثابة هو اسكندر شفيق معلوف ـ رغم الذي ما بيني وبينه من صلة القربى ـ وذلك لاستكمال هذه اللمحة من شتى نواحيها وفي ما يلي قصيدة ـ انا البحر ـ من شعره بالبرتغالية نقلها الى العربية شعرا والده أخي الاستاذ شفيق والابن سر ابيه :

انا البحران اصخب مضيت مجررا ... بذيلي أشلاء الضحايا ورائيا
ولو غمزتني نجمة الصبح وارتمت ... ممرغة جسما على الشط عاريا
لفرت عليها من صخور حضنها ... ورحت أعض الصخر بالشدق راغيا
فترتد عنه وهي تنفض حولها ... رجوما تهاوت واحدا ثم تاليا
هي القبل الحرى تواصلني بها ... فتهوي على بعد ولكنها ليا

وبذلك دلالة وافية على عظمة اللبناني المهاجر وابنائه الذين شقوا مثله ـ طريقهم الى قمة المجد بثقافتهم ورقيهم وطموحهم وقوافيهم التي طبقت الافاق وتناقلها الشرق والغرب معا .

فمن هنا من هذه الصخور الرمادية المتطلعة بكبر واباء الى زرقة البحر والسماء ـ قدت هذه القلوب الحساسة وانتزعت هذه المخيلات الخصبة ، ومن هنا .. نعم ! أرسلنا هذه القوافل التي سارت الى مجاهل الدنيا.

ومن عندنا .. انطلقت هذه الاسراب من العنادل التي أعطت البشرية شعرا وانشادا وطربا ـ فكأن الشعر ولبنان توأمان لا يفترقان ! ..

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

بلاغة التضمين في الشعر الحديث

بقلم عدنان بن ذريل

* * *



اهم (التضمين) ، بأنواعه المختلفة (١) ، الاستعانة والابداع والرفو والحل والعقد والتلميح ، وخاصة التلميح ، الشعراء والنقاد وايضا البلاغيين في الخمسينيات والستينيات من القرن الحالي ، القرن العشرين ، وذلك بفعل انتشار المذهب الحياتي الحديث في الشعر العربي المعاصر ، واعتماده على التلقين الرمزي ..

واذا كانت (الرمزية) كمذهب في التعبير الشعري، سادت في الثلاثينيات وما تلاها من هذا القرن، واعتمدت على موسيقى الاسلوب ، الفاظه ، وجمله لتحريك اللاشعور ، وتنبيه اللاوعي .. فان (الحياتية) في الشعر الحديث ، وخاصة الحياتية الرمزية اليوم تصف الحياة ، وتتأمل الوجود ، وتفند المواقف ، وتلقن كثيرا من تجاربها ، ومعانيها بواسطة الرموز النفسية ، والحضارية ، والانسانية ..

وذلك هو المميز الفارق بين الرمزية كمذهب ادبي في تحريك اللاشعور ، وبين الحياتية الحديثة التي تصطنع رمزية القصص ، والاساطير في اتجاه تأملي ، او تفنيدي او تلقيني ، فردي او جماعي ..

واذا اعتبرت الصور البلاغية الرمزية ، كالرمز ، والتشبيه الرمزي ، والاستعارة الرمزية ، ثم الكناية الرمزية ، صورا بلاغية مستحدثة (٢) في الاسلوب الشعري ، من حيث فنيتها ، ومن حيث المفاهيم الشعرية التي وراءها ، وعرفت ادبنا العربي الحديث مع موجة الرمزية في الثلاثينيات وما تلاها من هذا القرن .. فان (التضمين) بأنواعه المختلفة ، والحديثة ، اكثر حداثة في ذيوعه ، وانتشاره اليوم ، وعلى الخصوص بالفنية الحديثة التي له ، والمفاهيم الشعرية الحديثة التي تصطنع اليوم التلقين الرمزي ..

وقد كان ساعد على الترسل الشعري الحديث في الحياتية الحديثة في الشعر العربي ، الحديث والمعاصر ، اعتماد (التفعيلة) بدل البحر في الوزن الشعري ، فانبسطت امام الشعراء آفاق القول الشعري ، فيما اسموه (الشعر الحر) ، اي المتحرر من قيد البحر ، عروضه ، وقوافيه ، الى التزام التفعيلة ، المتحررة التقفية ايضا ..

لقد كانت (الرمزية) تتصرف بموسيقى البحور ، وتركيبات التفعيلات ، قبل ظهور الشعر الحر ، يدلل على ذلك نظم كثير لسعيد عقل ، وبديع حقي ، وغيرهما .. ولكن الشعر الحر ، وهو حياتي وحديث اعتمد التفعيلة للوزن الشعري ، واهتم بتأمل الوجود ، وتفنيد المواقف المختلفة ، الانسانية والحضارية ، وتلقينها بواسطة الرموز ، وخاصة التضمينات بأنواعها ..

وعندما انتشرت مدرسة الشعر الحر ، بحياتيته ، وشعبيته ، وتلقيناته ، صارت الرمزية به الى رمزية حياتية سردية ، وحضارية ، وتحللت من سلفيتها المستحدثة ، او من اقتصارها على الهم الفني في تحريك اللاشعور .. فأقبل الشعراء العرب المحدثون في العراق وسورية ولبنان ومصر على الاساطير القومية ، والحكايا الشعبية ، والاحداث التاريخية، والحضارية يستخدمونها كرموز ، أو تضمينات رمزية ، وكان في طليعة هؤلاء الشعراء : بدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي ، وادونيس ، وخليل حاوي وغيرهم ..

وفي المقال النقدي والبلاغي ، ظللنا ندعو الى تكامل النقد الادبي ، والبلاغة ، التكامل الحي ، المجدي ، بحيث يتساندان ويترافدان ، ويساعد احدهما الاخر .. واننا بالفعل لم نجد جدوى من نقد أدبي حديث لا يقوم على الارث النقدي ، والبلاغي القديم الذي لتراثنا المتجدد دائما ..

ونحن من المؤمنين بأن (النقد الادبي) الحديث يجب ان يبحث عن معاييره ، واصوله في تطور بلاغتنا العربية، وتطور أصولها ومجالاتها ، لا في أي شيء اخر دخيل .. فيظل النقد الادبي بذلك قريبا من الاعتبارات البلاغية العربية ، المتوارثة والمتطورة ، ومن مصطلحاتها المتوارثة والمتطورة ايضا ، وهذا ما تعكسه هذه الصفحات البلاغية، التي نخصها بدراسة بلاغة التضمين العادي منه او الرمزي ..

(التضمين) ، في البلاغة العربية القديمة ، من محاسن الكلام ، وهو اليوم صورة اسلوبية ، صورة فكر وتحسين (٣) ، تعكس ابعاد التجربة الشعرية ، طاقاتها ، وظلالها ..

كان (التضمين) عند البلاغيين القدامى في الاساس ايراد كلام الغير ، او شيء منه ، ثم اضيف اليه (التلميح) وهو ذكر حادثة او قصة .. فلم يؤثر في مدلوله العام ، اي ايراد كلام الغير ، او بعضه ، ولذلك اعتبره بعض المتاخرين من السرقات الشعرية ..

وأنواع (التضمين) عندهم هي : (الاقتباس) ، وكانوا يطلقون هذا المصطلح على ايراد جمل من القرآن الكريم ، او الحديث الشريف في النظم .. و(الاستعانة) ، وكانوا يطلقونها على ايراد بيت او اكثر من الشعر في النظم ، فاذا قل التمثل بكلام الغير الى مصرع ، او جزء

منه فهو ، بمصطلحهم (ايداع) ، او (رفو) .. و (الحل) في مصطلحهم هو نثر النظم ، و (العقد) هو نظم النثر .. وكل هذه الانواع متوفرة في الشعر العربي الحديث ، والمعاصر ..

ثم هناك (التلميح) ، وهو نوع من التضمين ، يراد منه ذكر حادثة او قصة اشارة او تفصيلا ، واطلق عند المتأخرين على الاشارة الى الشعر دون ايراد نصه: وهذان النوعان من التلميح موجودان اليوم بكثرة في الشعر العربي الحديث ، والمعاصر ..

هذه الانواع المختلفة ما موقف العصر الحديث منها؟! وهل طرأ جديد على فنيتها ، او اسلوبها ؟!

لنقرر ، قبل الاجابة على ذلك ، اننا سنصطنع مصطلح (استعانة) ندل به على انواع التضمين التي يراد بها ايراد كلام الغير ، وليس فقط أيراد بيت فاكثر ، ونطلق على هذه الانواع مصطلح (تضمين استعانة) ، بما فيها الاشارة الى الشعر دون أيراده ..

وسنطلق مصطلح (تضمين سردي) ، او (تضمين تلميح) ، على التلميح لحادثة ، او قصة ، سواء اوجز القول فيه ، او فصل الى حد ما ، العادي منه او الرمزي ..

واذن ، يمكننا ان نقرر مبدئيا ، على سبيل الاجابة على السؤالين السابقين :

ان الاقتباس والاستعانة والايداع والرفو والحل والعقد والتلميح ، والتي كانت من (محاسن الكلام) ، كما قررت البلاغة العربية القديمة ذلك ، هي اليوم كذلك .. الا ان (التحسين) اليوم ليس فقط لفظيا ، وانما هو في الوقت نفسه معنوي ، ناهيك بأن بعض الصور الرمزية ، في التضمين ، كما سنرى ذلك بعد قليل ، او بعض الرموز هو صور فكر (٤) ، للتعبير عن مواقف للشاعر الذي يصطنعها ..

لنقل بعبارة اخرى ، ان (الاستعانات) اليوم ، بالمدلول الحديث والواسع الذي نقترحه ، صارت الى ان اصبحت هي نفسها صورة (التعاطف) الذي للنفوس مع التاريخ وشخصياته ، والحضارة ورموزها ، والتراث حكاياه وشعره ، وكذلك (التلميحات) صارت الى ان اصبحت هي نفسها صورة المعايشة للشخصيات التاريخية والشعبية وغيرها ..

وبذلك كله يكون عمل الشاعر الحديث ، في هذا التعاطف (٥) ، وتلك المعايشة ، قد أضاف الى هذه الاستعانات ، والتلميحات خبرة العصر الحديث ، وفنيته، من التقرب من الحياة ، من التغلغل في الحياة ، من بعث الحياة ..

ويمكننا أيضا ان نقرر ان (التلميح) ، والذي كان يطلق على ذكر حادثة ، او قصة ، اشارة او تفصيلا ، او يطلق أيضا على الاشارة الى الشعر دون ايراده ، كان يتضمن بالفعل مدلول الاشارة الى (سرد) ، ولو الى التذكرة بشعر قيل ، فما ليس ذكرا ، او اشارة لحادثة ، او قصة ، او شعر قيل ليس تلميحا ، رغم اننا اليوم نصطلح ان نعتبر الاشارة الى شعر دون ايراده ايضا استعانة ، كما سبق تقرير ذلك ..

واذن ، عنصر الاشارة الى سرد ، ما فنيته اليوم ؟!.

الا يؤثر تنوع (السرد) ، والتلميح فيه ، او تنوع موقف الشعراء مما يسردون ، او يلمحون اليه ، في الصور البلاغية ، او التركيب النحوي ، في اللفظة والجملة والاسلوب على السواء ؟!..

وفي الحقيقة ، ان بلاغة التضمين اليوم ، والتي تلتقي مع بلاغة الرمز والرمزية في نقاط عدة ، كما سنرى ، جعلتنا نستوجب الحذر في تحليل (الصور البلاغية) الناشئة عن التضمين على اختلاف انواعه ، وتمييزها ، بل عزلها عن الصور البلاغية الرمزية ..

قبل كل شيء ، ان مجرد ذكر اسم علم مثل (شهريار ، شهرزاد ، سندباد ، الخضر ، نادر الاسود ، الحلاج ، وغير ذلك ..) لا يكفي وحده ليكون تلميحا ، او تضمين تلميح ، او تضمينا سرديا .. لان تحت هذا الذكر تندرج انواع من الصور البلاغية المختلفة ، تتميز فيما بينها ، وتتفاضل ، من حيث الحقيقة ، والمجاز فيها، او من حيث الاستعانة ، والتلميح ، والرمز ..

والفارق بين التقرير ، والرمز في اصطناع اسماء الاعلام هو ان :

(التقرير) فيها ، هو مجرد ذكر علم من الاعلام ، كواقعة تاريخية من التاريخ واليه ..

و (الرمز) فيها هو اصطناع اسم علم من هذه الاعلام في اسقاط ما في نفس الشاعر ، او في مقصود تعبيره من وجدانات او معان ، كان هذا العلم اشتهر بها، وتحلى بها .. وجاء الشاعر يستشهد بها في نفس مدلولها التاريخي كما حدث ، وسبق ان وقع ، ويجوز له ان يغني هذه الدلالة ، ويطورها، شريطة عدم تحويرها، او افسادها ..

و (التلميح) لا مجال له في مجرد ذكر اسماء الاعلام ، من حيث ان مجال المفرد لا يتحمل أي سرد ، ولا بد للتلميح من مقومات السرد ، او التنويه بحادثة ، وقصة (٦) ..

فمثلا عندما يقول الشاعر منذر لطفي ، في فدائية:

لها عين ، كميدوزا
لها عزم لها وطن ، كميدوزا
تذيب صفائح الفولاذ بالنظر
تحيل الفارس العملاق تمثالا من حجر
تصعقه بلا نار .. بلا شرر ،
وتغرقه بلا ماء .. بلا مطر ..

(ميدوزا) هنا مجرد اسم علم اسطوري يشبه به

الشاعر منذر لطفي الفدائية ، والتضمين هو في الاشارة الى وطن ميدوزا ، وقصة عينها السحرية التي كانت تحيل من يحاول اجتياز وطنها الى تمثال من حجر ، وقد ذكرها الشاعر ، واضاف انها تصعقه بلا نار بلا شرر ، وتغرقه بلا ماء بلا مطر ..

وسئل ذلك قول (مجاهد عبد المنعم مجاهد) ، على لسان معشوقة ترد عنها محبا فقيرا ، قال :

ولست سليمان تملك كنزا
ولا شهريار
لتنفق من سعة شهريار
ولست الرشيد
لاعطيك جوهرة او امارة
ولست المغني الجميل ...

اسماء الاعلام وردت هنا أيضا في حديث عادي ، في حين التضمينات تعلقت بفحوى التوضيحات ، من امتلاك الكنوز ، او عطايا الرشيد ، واقتطاعه الامارات ، وان لم نسمع بالفعل بأنفاق شهرزاد في سعة ..

وكذلك الحال في قول خليل حاوي ، يخاطب الشباب في الاقطار العربية :

ما كان لي ان احتفي
بالشمس لو لم اركم تغتسلون
الصبح في النيل ، وفي الاردن ، والفرات..

فالنيل ، والاردن ، والفرات هنا مقصودة لذاتها ، وبذاتها ..

والحال كذلك في قول بدر شاكر السياب في الشعب العراقي :

وفي العراق جوع ..
ما مر عام ليس في العراق جوع ..

المقصود من اسم العلم هنا هو القطر العراقي ، الذي يجوع شعبه ..

ومثل ذلك الاسلوب الحديث في مخاطبة اشخاص بعينهم ، احياء او اموات ، ومن الامثلة عليها قصائد خليل خوري المسماة رسائل الى ابي الطيب ، وهي وصفية انتقادية (٧) .. ومنها قول محمد الفيتوري يخاطب المغني الزنجي بول روبنسون :

يا بول روبنسون
مات الطفل الزنجي
وماتت جدته العمياء
الا كلمات
قالتها في أذنيه ذات مساء :
يا ابنائي غنوا للشده ،
غنوا للشده ،
لا يخلع انسان منكم جلده ..

وغير ذلك .. كل هذه الشواهد المقصود من اسماء الاعلام فيها مدلولاتها في ذاتها ، وقصدها في ذاتها خطوة نحو التضمين ، التضمين السردي ، تضمين التلميح ، واستعمالها عادي في سياق عادي ..

الا ان تمت اليوم اساليب تستعمل اسماء الاعلام في اتجاه نفسي رمزي ، ابتداء من مدلولاتها نفسها، مثل ذلك قول ادونيس في شهريار :

لم يزل شهريار
في السرير المسالم ،
في الفرفة المطيعة ،
في مرايا النهار ،
ساهرا يحرس الفجيعه ..

فان التركيب النحوي (لم يزل) ، الدال على استمرار الحدث نقل القول من حقيقته الى المجاز ، والرمز ..

وكذلك قول بدر شاكر السياب في نهاية الظالمين :

أكاد أسمع العراق يذخر بالرعود ،
ويخزن البروق في السهول والجبال ،
حتى اذا ما فض عنها ختمها الرجال ،

---

(١) راجع في «الاديب» الفراء مقالاته السابقة عن التضمين، وهوامشها، في الاعداد : حزيران ـ يونيو ١٩٦٨ ، ايلول ـ سبتمبر ١٩٦٨ ، وتشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٦٨ .. (٢) نشرنا العديد من البحوث في دراسة بلاغة الرمزية منذ عام ١٩٤٧ ، وان تقري القول ، وتدعيمه أيضا في الصور البلاغية الرمزية هو لنا ، وقد نشرنا فيه المقالات والكتب .. (٣) ـ كانت علوم المعاني والبيان والبديع تدرس صور البلاغة والاسلوب، والتي اوصلها المتاخرون الى مئة ونيف ، وقد صنفنا نحن هذه الصور البلاغية المختلفة تصنيفا حديثا الى صور تعبير ، وصور تحسين توزعت أهم صور الاسلوب والبلاغة ، والتصنيف أصيل لنا نحتناه على التصنيف اليوناني الروماني المتوارث لها ، وتفصيله في كتابنا : الاسلوب وصور البيان .. (٤) ـ نحن نعتبر الرمز والصور الرمزية من صور الفكر ، لانها صور تعبير عن التفكير والشعور بقوالب حسية مجنحة ، وقد فصلنا القول في ذلك في مناسبات سابقة ، وفي كتابنا المذكور ، ومقالات اخرى .. (٥) ـ لا بد من الاعتراف ان « الرمزية » التي نصادفها اليوم في الشعر الحر عاشت على الرمزية السابقة عليها ، وانها استفادت منها في اتجاه التجربة الانسانية والحضارية .. وليس ثمة فجوة في نظرنا بين النوعين من الرمزية ، رغم تميز احداهما عن الاخرى بالخصائص والصفات ، على حد زعم البعض .. (٦) ـ سبق التقرير في نص المقال ان « التلميح » يقوم بذكر حادثة او قصة اشارة او تفصيلا ، لنقل بعبارة اخرى ، ان عنصر السرد اساسي في تضمين التلميح .. (٧) ـ وقد نشر خليل خوري معظمها في مجلة المعرفة الدمشقية ، وسبق ان استشهدنا بأمثلة مختلفة من تضميناتها التي للاستعانة ، او التي للتلميح .. (٨) ـ قيام هذه التضمينات متات من الاشارة الى احداث قامت بها هذه الشخصية التاريخية ، من كفاح من أجل الخبز ، او معاركة للزمان ، او مواجهة للواقع ، والجوع، والتشرد .. الا ان اصطناعها في اسلوب نفسي استبطاني ، تتجاوب فيه اصداء بوح الشاعر عن طموحه الثوري جعلها رمزية نفسية انسانية ، وقد احالها هذا الاصطناع في معظمها الى تضمينات رمزية ، واحال « نادر الاسود » الى رمز حضاري ..

بعد الحياة

اذا يـــا حبيبي طوتنا الليالـي ... وعدنا الـى مـــا وراء الغيوب
وولت رؤانـــا وغاض الحنـين ... وامست خطانا صدى في الدروب
وامحل روض الهـوى والشباب ... واقفر مـــن عابقـات الطيـوب
ستذكـــر قصتنـــا الكائنـات ... كما تذكر الشمس وعـد الغروب

الســنـــا نعيش أناشيد قلـــب ... تسرب عبـر شعـاب الوجـــود
فتغرق موجاتهـا فـــي الاثيـر ... وتحيا برغـــم انـــين القيـود
ويهفو اليهـا ضميـــر الانـــام ... وان نحن قـد غيبتنا اللحـــود
سأبقـى وايـاك يـــا ملهمـــي ... على شفة الكـون لحـن الخلـود

غـــدا ان مضينا وعـاد الضياء ... يشيـد بحـب سخـي العطـاء
ستعلـم ان هـــواك حبيبـــي ... سـيبقى بشعري رغـــم الفناء

دمشق — سلافة العامري

لم تترك الرياح من (ثمود)
في الواد من أثر ..

ان سياق الاسلوب جعل (ثمود) هنـا بالاحرى ، والدالة على الظلم والطغيان رمزا ، حمله الشاعر تضمينا سرديا هو التعفية على آثار الظالمين ..

ومثل ذلك قول أدونيس في نادر الاسود ، وهـــو احد ابطال الثورة التي عرفت بثورة الزنوج أيـــام بنـــي العباس :

ونادر الاسود
يقرأ باسم الله والشقاء
أسطورة الخبز وشعر الماء ..

ثم يقول فيه :

ونادر الاسود
تحمله الاشجار
وكل غصن قبضة وسيف
نضج قبل الصيف
ينضج بعد الصيف ..

ثم يقول فيه :

ونادر الاسود
هاجر كي يرجع في تشرين
في اول الامطار ..

ثم يقول فيه :

ونادر الاسود
كان الصدى وكان
يجلس بين القمر الجائع
والبستان
يكتشف الظل يغطي جوعه وكان
كالدهر فلاحا من الفرات
يخيط جرح الماء
يمشي وتمشي خلفه السماء ..

هذه المقاطع الشعرية في نادر الاسود من قصيدة طويلة متداخلة المشاهـــد ، والاصوات ، يتعاورها في الاساس حديث الشاعر عـن نفسه وطموحه الثوري .. التضمينات موجودة (٨) حول هذه الشخصية التاريخية المقصودة لذاتها ، وبذاتها ، ولكن الاوصاف فيها معظمها صارت الى اوصاف رمزية ، اسقط الشاعـــر أدونيس فيها وجداناته ، فأحال بذلك اسم العلم نادر الاسود الى رمز للثورة والكد فيها ..

والقاعدة البلاغية فـــي استعمال اسماء الاعـلام صريحة ، لا لبس فيها ، امس واليوم ، وهي ان استعمال اسماء الاعلام ، على اختلافها يظل بيانا عاديا ما لـم يجنح الشاعر فيه الى الرمـز ، وذلـــك بتحميلها المعانـــي والوجدانات والصفـات النفسيـة والانسانية ، او الـى التلميح والتضمين ، وذلك باصطناع الشاعر السرد بشكل موجز ، او مفصل ، فيذكر الحادثة، او القصة المقصودة، والمعنية ، او يشير اليهما بتركيب نحوي يفيد الحدث ، انقطاعه ، او استمـــراره .. وتضمين التلميـــح ، او التضمين السردي بعضه عادي ، وبعضه رمزي ..

وفي العدد القادم سنتحدث في بلاغة الاضافة الى اسماء الاعلام ، وبلاغة التضمين فـــي استعمال الافعال التي تلخص سردا ، وتدل على حادثة ، او قصة ..

دمشق — عدنان بن ذريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ خذوه معكما ، سيكون عاقلا .

اقترحت الجدة ، وهي في فراشها ، تجهش بالعطاس فترتعش ذقنها عائدة للمخدة . تراجع القهقرى ، ولاحت له امه ، كانت واقفة في باب الغرفة ، اطال قامتها كعب حذائها العالي واصبح وجهها مجموعة من الحلوى :

ـ الاطفال يركبون السينما ، لا ادري ما سوف يفعل .

علقت منهمكة بالتهيؤ ، قاطعة الممر بخطوات واسعة ، فلحقها غير آبه :

ـ وهل اغير ملابسي ؟

فاجأها وهي تخطر :

ـ أأتهيأ آذن ؟

اصر « ليث » ان يعلم نيتها ، وكانت صامتة ، وشعر انها تريد ان تتملص ، مبعدة صفحة وجهها اليمنى بقدر يوحي بالكدر :

ـ لن اتحرك ، سأجلس هكذا .

قال ممثلا حركة الهدوء المرتقبة ، منفعلا وحارا :

ـ وما الذي البسه »!

فأجابت اخيرا وبضجر متطاول :

ـ استذهب حقيقة ؟

ـ هذه المرة فقط ، ماما ، اريد ان اراها .

نسي جدته المتوعكة بالزكام ، ووالديه المضطرين لاخذه ، متصورا امر ذهابه للسينما تمنيا اصبح ، بشكل من الاشكال ، لازما . وكأن والدته انتبهت في اخر لحظة كي تتنازل بغضب :

ـ اغسل وجهك ويديك وسوف نرى .

وبضجيج الفائزين ، تحدر من الدرج مارا بأخته الصغيرة « دعد » مثيرا زوبعة في وجهها المتسائل المستدير :

ـ استذهب للسينما ؟!

ـ اي ، اي .

قالها مطشرا الماء حوله ، داعكا قطعة من الصابون ، لم يعد يراها لاوية الانف بالحسد ، متسلقة الدرج ، حرونا عند باب غرفة امها لتتعالى بالنشيج .

كان « ليث » متفوقا عليها ، فعمره ست سنوات ، بينما لا زالت «دعد» تخطو في الرابعة ، وفي هذه السنة بالذات ، أدخل « ليث » المدرسة فبكته واستبكته ، لولا ان الوالد اجبره ، فذهب مكرها ، وحين عاد ظهرا بدا متصبرا . لم يجزع لمفارقتها في اليوم التالي ولم يشاركها الهم ، ومر اليوم الثالث والرابع على فراقهما حتى تعودا ، وبات الرحيل الى المدرسة امرا مقبولا ومسلما به لدى الطرفين معا ، بل لقد افاض ليث ، حين العودة للبيت ، في الحديث عن اصدقاء لم ترهم واخبار لم تسمع

آدم وحواء

بقلم سميرة المانع

بها ، مبالغا في حفظ الدفاتر والاقلام ، باريا حوافيها ، مهندسا غلافاتها ، مشغولا عنها بالغريب والجديد ، لقد تعلمت منه دعد اناشيد كثيرة تخاف أن تنشدها امامه ، فهو لا بد واجد خطأ في حفظها ، ولذا فقد اسعدت احيانا في اغنية « الام التي تحبها » و « الوطن الذي يفدى بالروح » و « السمكة » و « الارنب في المغارة » حين يخلو لها الجو ويصفو البيت من مشاغبات ليث اللئيم ،



لتعتلي كرسيا ، وباعلى ما يمكن من الاصوات عندها ، تغني فوقه مرتاحة ، خاتمة نشيدها بالتصفيق ، ومع هذه اللذائذ في غيابه ، ظلت مخلصة له ، تنتظره بشوق ، عند رجوعه في المساء ، حاملا حقيبته ، مهرولا للوصول الى الدار . فتراه مهابا ، لا يجارى ، مملوءا بالانباء ، يكون عجولا ، لا يرد لها فرحة اللقاء به ، ولا يبتسم ابتسامتها ذات الحبور . وفي ايام العطل ، وحين يعم السلام بين الاثنين تستغل دعد الفرصة لتقوم بتمثيل دور الام له ، تنيمه على ساقيها المدورين مرنمة له تنويمة سمعتها من امها في يوم قريب ، كان يرضخ لها طائعا لتمتيل دور طفلها المدلل او لعبتها الغالية الصبوح متطعما حلوياتها الشهية برحابة صدر وسعادة لن يشعر بها ما لم تكن هي امه مصغره اسمه زيادة في التصغير ، حتى يشبع فيملها كارها ، متحفزا بالفيام ، متضايقا من الدلال الكثير ، لتعود دعد ، مرة اخرى ، الطفلة البكاءة الفيور ، كل هذا ولا ان يذهب ليث للسينما ويتركها وحدها مع جدتها المريضة الملول ، لقد استساغت ذهابه للمدرسة صباحا ، وعلى مضض ، اما ان يأخذه والداها الى السينما مساء فهذا فوق ما تتصور واكثر مما تستطيع . امطرت عواصفها وارادت ان تمزق شرائطها او ان تتمرغ على الارض ، تريد النجدة ، متذكرة في الوقت نفسه ، جدتها النائمة في الفراش ، ووجها القديم ، متصورة ما ستبعثه السينما من الضحك واللعب المجنون . لم يفد اقناع امها لها من ان سوف تأخذها معها في المرة القادمة ، ولم تفرح باللعبة التي وعدتها بها ، كانت تريد شيئا حاسما ، اللحظة ، وكان ليث يتطلع نحوها ، مهموما ، قلقا ، خائفا على مصيره ، فرب رأي من امه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينقطع فيه توهجه ، منتظرا ببدلته الزرقـــاء الجديـــدة ، متصفقا بالتمشيط .

تنفس الجميع الصعداء ، حـين صر الباب ودخل الوالد وبيـــده سلسلة مفاتيح ، مشدوها لما يجري عندهم واوشك صوت الصراخ يصل الطريق ، لقد ربحت دعد ورقتها ، وكان الوالد يتضايق من رؤية اطفاله باكين وهم واقفـون متشنجون ، أستسهل ذهابها معهم ، فلا ضير ، المكان في السينما واسع ، يسـع الجميع ، قال ذلك ضاحكا راجيا ان تكف الان فلم يبق وقت لديهم طويل ، كما لم يبق متسع لاحتجاج امها التي رأت في اخذها الازعاج الجم ، واخفت الجدة وجههـــا تدريجيا تحت اللحاف ، مترقبـــة منصتة ، مغتبطة للنـوم الـــذي ستسبح به وبالهدوء الوفير .

★

في المقعد الاخير بالسيارة وقفت دعد قربه ، ماسكة الشباك المطل على الشارع وفيه المصابيح . كانت دكاكين كثيرة مفتوحة تعلق هاماتها أصناف النيون الخلابة فتتراقص عيونها مستعجلة وتهتز الارصفـــة كالتماسيح . رآيا الحديقة العامـة بالليل مسورة بأشجار سود وعبـرا مقاهي ومخازن وسيارات واناسـا يتقاربون ويتباعدون . كان ليـث مدهوشا كما لم تقل دعد عنه دهشة وسيارتهم تخترق الشارع الجديد. توجسا السينما وهما بالقرب منها يتشابك فيها الضجيج . نـزلا مـن السيارة مخفورين مارين مـن بـين الـناس المتضايقين والمتسامحين . كان المكان عيدا واصوات الباعـة تنغم الجوز واللوز في الطريـق . لم يعـد ليث متذكرا شخير جدتـه العجوز ولا قاطرته المفككة والبرد الذي يحسه في فراشه ساعة ان يدخل فيه ، كـــان طائرا وسابحا في آن واحد ، امارات السينمـــا امامه وخلفه ، رسوم خضر وصفر وبنفسجية ، ليأتي الفارس الابيض فينقذ الاميرة ذات الشعر الطويـل يرقص الجميع ، ويتعالى الهتـاف وتوزع الحلوى بالمجان . كانـــت السينما تعني اشياء كثيرة ، مكبرة ومجهرية ، متناقضة وجبارة .

ـ اتريدان شيئا ؟

تساءل الوالد !

ـ نعم نريد .

وشربا عصيرا ، وعلـكا لبانا ، وقشرا فستقا دخلت قشوره المقاعد، خرسا حين عم الظلام القاعـــة فتساءلا بصوت خفيض :

ـ اانتهت ؟!

ـ تبتدىء !

اجابت والدتهما مطمئنة والشاشة تزداد وعياحتى تنير،موسيقى لليقظة وموسيقى تنيم ، تماسك ليـث ، وودت دعد لو تذهب للجلوس في حضن امها ، خائفة مما قد يحدث ، والصمت ملأ الرؤوس . كتابات في الخارج واشخاص ما كانوا متوقعين امراة تلبس جوربا ، واخر لا ينتظر، الجورب يهمل ، مظرب ، ويهـرب ذو المعطف ، يبلع اسبرين ، المراة تلتجيء ، الجرس يقرع ضيـــف يلاكم ، يرتعش البيت ، بكاء ! بكاء ، انين .. حديث .. اراد ليث النور ود لو يحادث د عد ، متى ينتهون ؟ قالها مصعرا خده ، وهي تلتفـت على امها وفي نفسها الحاجة التي لا تتأخر عنها ولا تتقدم ، فهمت والدتها الاشارة فأسرعت تلعـــن الاطفال وما يفعلون .. خرجتا مـن الصالة تتهجسان الطريق وقـــد فات الوالدة جزء حساس من الفيلم وليث يبلبص ووالده مشغـول . الكراسي صامتة والفيلم مشـوق والبطل مصيره اليم .

★

كان ليث مفطفطا في نومـــه ، فاتحا فاه كمن يريد ان يستفيث ! ولوت دعد رقبتها على ذراع كرسي القاعة رائحة في ظلام سادر ! بـذل والداهما جهـــدا كي يوصلاهما للسيارة منهارين متكدسين .. لم يستيقظا حتـى بعـد ان اوصـلا البيت وادخلا على الاذرع محمولين ووضعا في الفراش بصمت وتغطيا دون ان يشعرا بشيء يذكر .

لندن — سميرة المانع

الاديب

احمل عصاك فما المقام بطيب ... وارحل ، بلاد الله واسعة المدى
تلك المدينة لا مكان بارضها ... لك مـــا حييت مجانبا ومفردا
مـــا دام فيها مبغضون ذميمة ... أفعالهم ، يرجون كيدك مقصدا
أما بلاد الله ترعى غرسها ... وتزيد بعد الارتحال بهـــا هدى
حسدوا الاديب بما يعاني مرهقا ... بتفاعل الاحساس ، حين تجردا
وسعوا وراء الجهل في حرمانهم ... سعي الفرير بدربه نحو الصدى
ما كان مثل الجهل وهو مناهض ... للعلم يضمر في الصميم له العدى

الكوت ـ العراق — كاظم محمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



احلام في النهار

قصص اسطوري عربي تاليف الدكتور ميشال سليمان ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت

من الادباء والكتاب ومن الشعراء والخطباء من يظهر اول ظهوره كهلال الشك الذي وصفه ابن الفارض ، ببيت اوفر على قارئاتي وقرائي وأوفر على نفسي ذكره ثم شرحه .

وهلال الشك كما يعرف الصائمون هو الذي يكاد خيائه لا يستبين لمديد البصر في مطالع المساء ، من اواخر شعبان او اواخر رمضان لثبوت الصوم والعيد . واني أجد ذلك الفريق من الادباء في هذا الضرب منهم الذي يعيش طويلا منذ ظهوره ، مستسرا ، لانه لم يكن مبينا في مطالعه وساطعا في انواره ، فاذا كتب له وجود فتكشف عن قدرة وعن موهبة استقرت حاله في دنيا الفكر والادب .

ومن الادباء وأهل الفكر ناس يطلعون بغتة كالشمس الوهاجة ، وسرعان ما يعلو وجودهم حتى يحتلوا كبد السماء ، ويملوا الدنيا باشعة ثبوتهم وصوت مواهبهم . كهؤلاء ، ظهر الصديق الشاعر الكبير الدكتور ميشال سليمان .

لم أكن أعرف شخصه ، وقد عرفت طلوعه ، حتى أخذني صديق قديم مستديم عشية من عشايا انطلياس . وانطلياس أجدها مضمخة بالغناء المراح ، والشعر الفواح . ففيروز تنشر من جو انطلياس لحونها الابدية التي تذهب الى ارجاء الدنيا . والشاعر الكبير « قبلان مكرزل » يعيش في سوانح من فكره وشعره متكئا على دواوينه الشعرية الروائع وامامه مطارحان للادب في وحدته وعزلته : ابنه الاديب الاذاعي سليم ، وأخوه الكريم .

أفاجد سوى هؤلاء في انطلياس ، لعلي واجد في أرضها وسمائها الكثير .

في تلك العشية أخذني صديق العمر الكاتب العربي الكبير جان كميد الى ندوة ليلية ادبية في معهد علمي يديره آباء أجلاء . وكانت الندوة منعقدة لنقاش ديوان « رثاء الخيول الهرمة » للشاعر الدكتور ميشال سليمان ، ومنذ جلست الى هذه الندوة ، وأبى خلق ذويها الا أن أجلس في المقدمة ، أخذت أشعر بانني لست في ندوة ، وانما أنا في محكمة ، قطب حكامها بوجوههم ، وزووا ما بين اعينهم ، وترصدوا بالذي يحكمون عليه ، وهو الشاعر كل مزلق (١) وعثار . وتهيج بي الذكرى الحبيبة والمحزنة التي تناط بشقيق روحي وفكري المأسوف على فقدانه الاستاذ الكبير رئيف الخوري عليه رحمات الرحمن . فكان هنالك ، وود ان اشارك اهل الندوة بتناقشهم فكرهم ونقدهم ، فتكلمت وسللت الشاعر من بهرة تعذيبهم ، كما تسل الشعرة من العجين عند حد التعبير الذي جاء به حسان بن ثابت في الدهر القديم .

ذلك أول لقاء لي بالشاعر الموهوب الدكتور سليمان ، وقد اثبت تقديري له ولديوانه ذاك ، بمقالي فيه بمجلة « الرحمة » البيروتية التي يصدرها الصديق الشيخ شفيق ضاهر . واليوم وقد اتحفني بكتابه الجديد « أحلام في النهار » زرع بنفسي الشوق الى الكلام عليه .

انني لست غريبا عن دنيا الاساطير ، وربما كنت أنا بذاتي اسطورة ، ولكني لا أرغب ان اكون حديث خرافة تخاطب بها أم عمرو . فاحلام النهار تثير في خاطري شؤونا علمية بحتة جاء العصر بها « سيغموند فرويد » النمساوي ، أبو التحليل النفسي والتشريح الروحي والفكري بدنيا البشرية الحديثة . انه هو الذي كشف عن جرح الانسانية « الجرح الجنسي » ورد اليه أكثر العلل في وجود الانسان . واحلام النهار عنده هي أحلام اليقظة ، التي يسبح في خضمها الحالم ، فاما أن يبقى عند الشطوط ، او يغرق في تلافيف الامواج .

ان فحوى هذا الكتاب أساطير يعج بعضها في بعض ، وتجتذب الخيال الى دنيا الاولب ملقية وشاحها الساحر على دنيا العرب في الجاهلية العميقة ، وبعض عهود الاسلام الاخيرة ، كحديث « ناقة صالح » ، « وارم ذات العماد » ، وفيما ترامى من التاريخ على آماد الكلدانيين في « سقوط نمرود » وفي متاهات الصحارى وراء غزال شارد يؤدي (بخرافة) الى وادي الجن .

ومن طبعي في الكتابة عن المؤلفات وآثار الشعر والفكر في مجلتي « الاديب » التي اكتب فيها منذ صدورها ، وأرى باعتزاز الى مراحل البناء الادبي واشادة الفكر اللتين عززت بهما لبنان أخي صاحب « الاديب » مد الله بعمره واضفى عليه جلابيب الصحة .

انني أكتب لقارئاتي وقرائي لابعث فيهم الشوق الى تناول الكتب والدواوين والقصص ، لا لاعطل عليهم لذة الاستكشاف فيما يقرؤون . وما أشد ضيق نفسي وتبرمي قبل ان اشاهد رواية السينما بذاك الذي يزحم خواطري ويقص علي ماجريات الرواية قبل ان اشاهدها . فاية نكهة تبقى منها ؟. كذلك منهجي في الكلام على الكتب أبعث الشوق الى مائدة الفكر ولا أدلف بضرب من ضروب الطعام لاسد به منافذ الرغبة بشهي الموائد .

فالى الكتاب الجديد للشاعر الكبير الدكتور ميشال سليمان « أحلام في النهار » ادعو قارئاتي وقرائي الاعزة ، على ان يتلبثوا قليلا في اكتناه المعنى الشعري لصورة الحسناء التي على الغلاف (٢) وعلى ان يقفوا وقفات الذكر والفكر في مقدمات الفصول وهي منتزعة من القرآن والحديث واقوال المؤرخين .

واذا لزمني النقد ، ولا ينبغي أن أخلي منه مقالي ، قلت كان على المؤلف النابغ ان يجيء بالاسطورة العربية الفواحة بالشعر والحزن ، اسطورة الشعرين « الشعري العبور والشعري الغميصاء » وفيها وله وبكاء وفيها حنين ورنين ، فان فتاتين حسناوين كانتا على أرض الجاهلية ملأتا الدنيا بالجمال والدلال ، قد تعاشقتا ، فثارت بهما غضبات الانس وفزعات الجن فاذا هما تهجران دنيا الارض لتطلعا في عالم السماء كوكبين سابيين ، فتكون احداهما الشعري العبور التي عبرت وبعدت عن رفيقتها ، وباتت الشعرى الغميصاء ـ على البعاد ـ باكية عليها حتى غمصت عيناها فاحمرتا من طول البكاء ..

وأساطير الشاعر سليمان يضفي عليها ابتكاره فيشبه أساطير « هوفمان » التي رقصت على ندائها العبقري راقصة الباليه « مواراسيرار » وقد حييتها منذ سنين بشعري في « الاديب » الاغر

---

(١) كان فيها الاستاذ بلند الحيدري والدكتوران شلق والعاصي.

(٢) من وضع الفني المصور « كايا » .

يوم اختلبت عقلي بروايتها « الخف الاحمر » . كذلك يتاح لنا نحن ابناء الحقائق في الادب والفكر ان نخترع الاساطير وان نرويها لنضمخ بعطورها الوجود .

دمشق — زكي المحاسني

•

مفكرون وادباء من خلال آثارهم

تاليف الاستاذ انور الجندي ـ (؟) صفحة ـ منشورات دار الارشاد ببيروت

صدر اخيرا كتاب عن دار الارشاد ببيروت لكاتب يعتبر اليوم في طليعة الذين أرسوا أسس معالم النهضة الادبية بجميع فروعها ، وهو العلامة الاستاذ انور الجندي .

والجندي الاديب والموسوعي والباحث لا يمكن ان تفيه كلمات في اسطر ، اذ انه عاش بعيدا عن الاضواء التي يهفو اليها طالبو الشهرة وناشدوها ، لقد عاش ولا يزال ـ اطال الله عمره ـ يبحث عن الحقيقة في كل ما يكتب ، يدفع بقوت ابنائه لطبع ونشر ما يعتقد انه يسهم في تاريخ فترة ، استنام عنها كثير غيره ، وليحارب به « النظرة الاقليمية الضيقة » التي سادت الدراسات الادبية .

وقد سبق هذا الكتاب عدة كتب من نوعه للمؤلف منها : « اعلام واصحاب اقلام » ، « من اعلام الادب والفن » ، « من أعلام الحرية » ، وهو بهذا لا يقحم قلمه في هذا الموضوع ، موضوع التراجم والاعلام ، بل يدخله واثقا من قلمه ومنهجه الذي يسير عليه ، وبعد فهو صاحب موسوعة بلغت ثمانية عشر مجلدا ، تناولت دراسة وتطور الادب العربي منذ فجر النهضة الحديثة .

وقد تناول في كتابه هذا بالدراسة الكتاب الذين برزوا في مجال دراساتهم في الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الثانية وايامنا هذه ، بالاضافة الى الكتاب « الذين لمعت اسماؤهم قبل هذه الفترة » و « استطاعوا في هذه المرحلة ان يقدموا اعمالا جديدة ، تميزوا بها عن المرحلة السابقة من حياتهم الفكرية » .

لقد اشتملت موسوعته المذكورة والتي اسماها « معالم الادب العربي المعاصر » على الفترة الواقعة بين عام ١٨٧١ تقريبا الى اوائل الحرب العالمية الثانية . وهي بذلك ارخت للادب والفكر العربي واعلامهما الذين بلغوا اربعمائة من اعلام الادب والوطنية والفكر والاجتماع ، اما هذا الكتاب فقد تعدى الفترة التي درستها الموسوعة الى هذه الفترة التي تعتبر اساسا للدراسات الادبية التي تتناول الوجه الجديد للادب بجميع فروعه من شعر ونثر ، والاستاذ الجندي يعتبر هذا الكتاب اول عمل بعد مرحلة الموسوعة ، ولكن ـ في نظري ـ فان هذا الكتاب يعتبر احد مجلدات الموسوعة ، اذ انه من حق الادب والفكر عليها ان لا تقتصر على فترة بعينها ، بل انه من المنطق ان تواصل وتواكب تاريخ الادب والفكر واعلامهما الى اكبر فترة ممكنة ، ولنا كبير الامل ووطيد العزم في ذلك .

والاستاذ يعتمد فيما يعتمد في جميع ما يكتب عن الادب المعاصر واعلامه على مصادر يقسمها الى قسمين : الاول يسميه « المراجع المدفونة » وهي الدوريات والصحف التي صدرت منذ اوائل النهضة الى اليوم ، وهو خبير بهذا النوع من المراجع ، فقد عاش معها في مكتبة القلعة اكثر من ثلاثة اعوام ، مقيما اقامة تامة حتى اضطر معها الى اتخاذ نظارة طبية .

والثاني ما يسميه « المصادر الحية » وهو يعرفها بانها « الرجال



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين عاشوا الاحداث او شهدوا من عاشوها » وقد تعرف على كثير منهم واستفاد من صلاتهم الشخصية معه ، فهو قد التقى مع « هلال ناجي ، الشاعر الدبلوماسي ، فهو مرجع خصيب للمؤلفات والمقالات والمراجع » ، كما انه التقى مع محمد علي دبوز في الجزائر، وعزالدين الامين في السودان الذي يعتبره « مصدرا مهما للدراسة الادبية » ، والتقى مع عمر فروخ في بيروت ، والامير مصطفى الشهابي في الشام ، وغير هؤلاء كثير ، ومن هنا جاءت اهمية ترجماته ودراساته في هذا الكتاب ، وبامكاننا بعد اعتبار الجندي معلما بارزا من معالم ادبنا المعاصر . فقد جمع حصيلة علم وخبرة وادب وفكر كثير من هؤلاء .

ومع تقديرنا الكبير لمثل هذه المراجع والمصادر فان لكل منها عيبه الذي لا يمكن التغاضي عنه .

فالدوريات والصحف ، وما فيها من أدب وفكر قد لا يعبر بعضه تعبيرا صادقا عن وجهة نظر الاديب او المفكر المترجم له ، اذ ان كثيرا من الادباء تدفعه الحاجة الملحة من اصحاب الصحف الا فراغها ، الى ان يكتب ، او يدفعه الاعجاب او الخصومة الى ما لا يعتقد به ، ومن هنا جاء قدر لا بأس به من السطحية في أدب الدوريات والصحف ، اذ ان الادب والفكر ليس له مكان الا الكتاب ، ففيه الروية والاناة والنظرة المتمهلة ، التي لا تأخذ الظواهر على عواهنها ، بل تحللها تحليلا دقيقا للخروج بنتيجة صادقة ومحددة منها ، وفي صفحات الكتاب بعد متسع لكل هذا .

ثم ان للصلة الشخصية ، على ما لها في كثير من الاحيان من القدرة على تبيان الدقائق والصغائر المهملة ما ليس لغيرها ، لها هنات كثيرة ، اذ انه كما يقول الجندي نفسه « ان الاعجاب يضع غشاء يحول دون رؤية الحقيقة ، وكذلك الخصومة فهي تحجب الصورة الصحيحة » .

من هنا جاءت الدراسات التي تضمنها الكتاب تميل في كثير منها الى التعريف بالاديب والمفكر ، دون التعرض لهما بالنقد والتمحيص ، فتعطيه ماله من انصاف وحق ، وتحصي عليه ما يقع فيه من هنات وعيوب ، ولا بد ان كثيرا منهم يستحق ذلك .

وليس من شك ان الاستاذ أنور الجندي قد اجاد الى درجة كبيرة التعرف الى كثير من الادباء والمفكرين من خلال آثارهم مجتمعة ، فهو يؤمن بان « كتابا واحدا لا يستطيع ان يعطي صورة كاملة عن الكاتب».

الا انه تمشيا مع منهجه الذي اختطه منذ الصفحة الاولى في كتابه ، والذي يقضي بدراسة الادباء ، الذين برزوا قبل الفترة التى يدرسها ، من خلال اعمالهم التي برزوا بها في هذه الفترة وترك ما دونها ، مع ذلك فقد وقع في عدد من دراساته نقص كبير ، فالاديب تدل عليه آثاره كلها ومجتمعة ، بحيث تكون اطارا واحدا لا يمكن تقسيمه الى اجزاء ، والا لبقيت الصورة ناقصة ، والدراسة غير مستوفية .

حدث مثل ذلك في دراسته للاستاذ الدكتور محمد صبري ، فهو قد عاصر النهضة الادبية مع مطالعها ، وخاض شتى المجالات . فساهم في فن التراجم بعدد من التراجم لها قيمتها ، فهو من اوائل الذين خاضوا هذا الفن واجادوا فيه ، فله : محمود سامي البارودي ، ابو عبادة البحتري ، اسماعيل صبري ، ذو الرمة ، خليل مطران ، امروء القيس ، الشوامخ .

كما ساهم في التاريخ وتدوينه فوضع عدة كتب منها : تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا ، الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر ، تاريخ مصر الحديثة .

ومع ذلك فان المؤلف اقتصر على تناول هذا العلم الكبير من خلال كتابه « الشوقيات المجهولة » ، ومر عابرا بالكثير من مؤلفاته التي ذكرتها والتي لم اذكرها .

ان حياة الاديب كل لا يتجزأ الا بمقدار ما يدل ذلك على تنوع ثقافته وخصبها ، مما يمنحها طابعا خاصا متميزا عن غيرها من حيوات الادباء الآخرين . قد نلمح التباين ، الذي قد يبدو كبيرا ، بين مراحل معينة من حياة اديب ما ، ولكن يجب ان لا ننسى ان الاديب وحدة متماسكة من الفكر والادب .

ان الفترة التي درس استاذنا الكبير ادباءها ومفكريها هي من اهم الفترات التي مرت بها امتنا في تاريخها المعاصر ، ففيها تم التفتح والوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي ، وفيها نبتت اهمية الدور الحضاري الكبير الذي لعبته امتنا في الماضي ، والذي من الممكن ان تلعبه في مستقبل الايام ، فتاريخ هذه الفترة ادبيا وفكريا وتاريخيا وعلميا يعتبر خدمة جليلة نطالب بها مفكرينا وادباءنا وعلماءنا ومؤرخينا ، فمزيدا من مثل هذا الكتاب القيم، لالقاء الاضواء الكاشفة على هذه المرحلة الدقيقة ، وارجو ان يكون هذا الكتاب فاتحة طريق لا يزال يعتبر طويلا وشاقا ، ونحن اذ نشكر الجندي العلامة على هذا الجهد ، لنرجو ان يتبع كتابه هذا رتل كبير يثري مكتبتنا ، ويساهم في المسيرة المباركة لامتنا الماجدة .

الدمام — **محمد قنديل**

•

الكهف

رواية مصرية ـ تاليف محمد جلال ـ ٢٠١ صفحة ـ الناشر دار الهنا بالقاهرة

اختار الاستاذ محمد جلال لروايته الجديدة « الكهف » فترة زمنية حافلة بالاحداث مليئة بالتناقضات مصطخبة بشتى الاتجاهات السياسية والفكرية « وهي فترة خواتيم الاربعينات من هذا القرن » .

والواقع انها تعد ، من هذه الناحية ، وثيقة تاريخية هامة تؤرخ لهذه المرحلة ، وخاصة والكاتب قد عاصر الاحداث ، واكتوى بنارها ، بل وشارك احيانا في صنعها ، مما يجعلنا نرى انها تجربة ذاتية للمؤلف فلا غرو ان خرجت روايته نابضة بالصدق مفعمة بالحيوية .

والرواية تعرض لحياة طلبة الجامعة وكفاحهم السياسي في هذه المرحلة بكل ما فيها من حماس الشباب وثورته وتطلعه نحو حياة افضل فاذا كانت السياسة في هذا الوقت خليطا من التناقضات بحيث تضيع الرؤية الصحيحة وسط تزاحم الاحداث واصطخابها فقد جاءت الصورة التي رسمها الاستاذ المؤلف منطبقة تماما على الواقع السياسي في هذه الايام .

والرواية في حقيقة الامر عبارة عن مجموعة من القصص تصور كل واحدة منها حياة احد ابطال هذه الرواية مع وجود هذا الخط الدقيق الذي يربط بين هذه المجموعة من القصص ويجعل منها في النهاية هذه الرواية التي تحت ايدينا الان .

فنحن نطالع مثلا قصة « احسان » الصحفي المأجور ، وعميل القصر بعلاقاته النفعية « باشجان » من جهة ، « الغلبان » من جهة اخرى ثم « الخشن » في النهاية واستعداده التام ليبع نفسه حتى للشيطان في سبيل الحصول على الترقيات وصنع حياة مترفة على حساب بيع الشباب الوطني للقصر ان الكاتب لصور هذه الحياة التي يحياها « احسان » بما يسودها من انتهازية تمكنه من بلوغ مآربه عن طريق اتصالاته الكثيرة المشبوهة .

كما تطالعنا ايضا في هذه الرواية قصة « اشجان » هذه الفتاة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القروية التي هبطت الى القاهرة لتعمل خادمة والتي سرعان ما جرفتها حياة المدينة بعد اتصالها باحسان الذي مكنها من الوصول الى الدراسة الجامعية لتجعل منها عميلة له تنقل اليه اسرار الطلبة بينما هو يمثل عليها دور العاشق الولهان والتي تفيق في النهاية وتتنبه الى الفخ الذي نصبه لها « احسان » فتثور عليه وتتجه بعواطفها نحو « ضياء » زعيم الطلبة ، واحد الوجوه المشرقة وسط هذا الظلام فتقرر في النهاية العودة الى القرية حيث الهواء النقي الذي حرمت منه وسط زحام المدينة ، وحياتها البراقة الخانقة .

كما تطالع ايضا قصة « الخشن » هذا السياسي الواعي ، الذي استطاع ان يلعب (بانتهازية) دور المكافح الثوري وهو ابعد ما يكون عن ذلك والذي سرعان ما يغير جلده ويكشف عن حقيقته كاحد العملاء المأجورين فيرتمي تحت اقدام « احسان » ليمكنه من الوصول الى قلب « اشجان » .

اما الصورة التي ابدع الاستاذ ـ بحق ـ رسمها في هذه الرواية ، فهي صورة « الفلبان » هذا المثقف البائس الذي لم تعترف هذه الحياة الاجتماعية الزائفة بعبقريته ، فقذفت فيه برغم كل ثقافته ووفرة اطلاعه الى احد المساجد لتجعل منه خادما ومؤذنا وخطيبا نظير قروش معدودات ينفق منها على زوجه واطفاله والذي يضطر تحت ضغط الحاجة الى بيع قلمه « لاحسان » الذي ينقده بضع جنيهات في مقابل ما يكتبه له من مقالات بليغة والذي تمكن بفضل توصية « احسان » من العمل كموظف بوزارة الاوقاف متنقلا بذلك الى زمرة (الافندية) .

ومن الشخصيات التي وفق الكاتب كذلك في تصويرها شخصية « دعبس » المطرب القروي الذي غادر قريته ليجرب حظه في القاهرة والذي تمكنه اخته « اشجان » عن طريق صديقها « احسان » من الشهرة وبلوغ (ميكروفون) الاذاعة والذي سرعان ما يترك فنه الريفي الاصيل ليغني الاغنيات الراقصة والخفيفة فتتهافت عليه سيدات الطبقة الراقية ، ويتبارين فيما بينهن على الفوز به كعشيق .

وفي الوجه المقابل يرسم الاستاذ جلال عدة صور صادقة للشباب الثوري في هذه المرحلة كشخصية « صابر » الشاب الوطني المكافح الذي يتزعم الطلبة عن جدارة ، والذي يغمر حبا دفينا لاشجان . وكذلك الشاب المكافح « منير عبد اللطيف » هذا الصحفي الشريف الذي يشرع في تأليف كتاب اسود يفضح مساوىء عهد ما قبل الثورة، والذي يقبض عليه بعد ان ابلغ عنه « احسان » الذي عرف عن طريق « اشجان » فكرة اصداره للكتاب الاسود .. ان هذا الشاب الباسل يرفض الهرب مفضلا البقاء ومواجهة زبانية هذا العهد .. كما يحسن المؤلف رسم صورة زوجة هذا البطل التي تضحي بحياتها الارستقراطية لتعيش حياة بسيطة الى جانب هذا الكاتب الحر .

اما الشاب « فاضل » صانع المتفجرات فقد وفق الكاتب تماما في تصوير مشاعره عقب نجاح قنابله في حد قوات البوليس وتحويل اجساد ورجال الشرطة الى اشلاء مبعثرة انه يشير انه قد ارتكب جريمة في حق هؤلاء الرجال الابرياء من جنود الشرطة الذي مزق اجسادهم بقنابله ، بينما هم ينفذون اوامر رؤسائهم حين يصوبون بنادقهم الى صدور الطلبة ، ولو كان الامر في ايديهم لصوبوها الى صدور هؤلاء الرؤساء .

وهكذا استطاع الكاتب من خلال هذه الشخصيات المرسومة بدقة ان يعرض لنا شريحة كاملة من المجتمع المصري فيما قبل الثورة ، ممثلة في هذه المجموعة من شباب الجامعة ، ومن يتصل بهم من افراد هذا المجتمع .

والواقع ان اول ما يلفت النظر في هذه الرواية ، بعد توفيق الكاتب في اختيار موضوعها والفترة الزمنية التي تعالجها هو دقة الكاتب في رسم الشخصيات فابطال الرواية مرسومون بمهارة بحيث استطاع الاستاذ « محمد جلال » بحق ان يجعل منهم ادمين احياء يعيشون ، ويتنفسون ، ونتبين ملامحهم بدقة من خلال صفحات هذا الكتاب وربما كان توفيق الكاتب في هذا الصدد يرجع الى انه اخذهم من الواقع ، فالشخصيات ـ كما يبدو ـ شخصيات حقيقية عاشت في المجتمع سنوات ما قبل الثورة واتصل بها المؤلف وعرف دقائق مشاعرها واحاسيسها فاحسن تصويرها ولا غرو فالذين عاشوا وتلقوا العلم في الجامعة في هذه المرحلة يستطيعون ـ بسهولة ـ ان يعطوا هذه الشخصيات اسماءها الحقيقية .

وفي الحقيقة فان كل شخصية من هذه الشخصيات لتستحق دراسة خاصة بكل ما تجيش به اعماقها من مشاعر واحاسيس وبكل ما يصطخب في عقولها من اراء وافكار لقد استطاع الاستاذ « جلال » ان ينتقي مجموعة من النماذج ممثلا هذا الجيل اصدق تمثيل بكل ما فيه من نقاوة ووطنية وشهامة هي الجوهر ، وبكل ما فيه من خسة ودناءة وخيانة هي الامر العارض وكم كان الاستاذ المؤلف موفقا حين جعل النماذج الطيبة اكثر عددا في روايته من النماذج السيئة، فالطيبة والوطنية والنقاء هي الاصل في شعبنا اما الدناءة والخيانة والخسة فهي اشياء عارضة اذا احسنا الظن بهذا الشعب الكريم .

وشخصيات الاستاذ جلال بشر من لحم ودم ، لهم لحظات ضعفهم وشرهم فهم ليسوا اقوياء دائما ولا اخيار في كل الاحيان وهذه هي الطبيعة البشرية الحقة بكل ما تنطوي عليه من غرائب ومفارقات .

ويرتفع الاستاذ المؤلف الى ذروة عالية في بعض فصول هذه الرواية الجيدة ، ومن اللفتات الطيبة التي وفق الكاتب في تصويرها اللقطة التي اعطى فيها « احسان » ورقة من فئة الخمسة جنيهات لابن (الفلبان) الصغير ان الطفل قد ترك الورقة على الارض وانطلق هاربا الى خارج الشقة انه تعبير جيد عن الذعر والمفاجأة اللذين صدم بهما الطفل وهو يعطي هذا المبلغ الكبير دفعة واحدة ومن جهة اخرى تعبير عن فرار الجيل الجديد ونجاته من مثل هذا الاسلوب في التعامل .

ويمتاز الحوار في كثير من جوانب هذا العمل بالذكاء والالمعية ومن ذلك الحوار الذي اداره الاستاذ جلال بين « احسان» و «الخشن» حين تقابلا في النهاية ، ان الحوار هنا يدور بين رجلين ضالعين في الخيانة .. ان العبارات القصيرة الحادة كانت اشبه بطلقات الرصاص المتبادلة بين عدوين لدودين ، لا بين رجلين يجلسان امام بعضهما فاتحين صفحة من الصداقة يعلم الله انها لغير وجهه .

وفي النهاية فان لي عددا من الملاحظات حول هذا العمل هناك مثلا ما يتعلق باللغة وصحتها ففي العمل كثير من الاخطاء اللغوية والنحوية من ذلك قوله (واسرع الى زجاجة عطر وسكب منها على يديه وغسلها) والصحيح ان يقول (وغسلهما) ومن ذلك ايضا قوله (يبدو ان الجهد الذي بذلتيه في الانتخابات قد اثر على اعصابك) والصحيح (بذلته) بدون ياء .. وكذلك قوله (الملابس الشفافة الداخلية) والانسب ان يقول (الملابس الداخلية الشفافة) ..

وهناك بعض المآخذ تتعلق بالموضوع فالتطور الاجتماعي لاشجان ، وانتقالها من مجرد خادمة ريفية اسمها « خضرة » الى فتاة جامعية عصرية اسمها « اشجان » تذهب الى الجامعة وهي ترتدي البنطلون وتنجح في انتخابات الطلبة وتمارس هذه الحياة المتحررة .. اقول ان مثل هذا التطور الغريب امر لا يمكن تصوره .. ومن الامور الغريبة حقا في هذا العمل استدعاء العمدة والمأمور لدعبس وتعنيفهما له بسبب غنائه الذي « يعطل الفلاحين عن الذهاب الى حقولهم » وكيف ان الخاصة الملكية اشتكت من ذلك وانتهى الامر بتحطيم الناي الذي اشاع الفتنة في البلاد .

ومن الاشياء التي كنت اتمنى ان ينزه الاستاذ جلال قلمه عنهـا استخدام الجنس استعمالا مباشرا دون ضرورة فنية ـ كتعمد اشجان وهي في غرفة صابر كشف ساقيها وكذلك الجزء الذي يصور فيـه الكاتب ذهاب دعبس الى شقة المرأة التي افتتن بـه منذ اول حفلة غنى فيها ومحاولاتها لاثارته عن طريق تعريتها لساقيها .

اما من ناحية الاسلوب فالاستاذ جلال وقد وفق الى مثل هـذا الموضوع الثري كان عليه ان يجهد نفسه في اختيار لغة أبعد عن هـذا السر المباشر الذي نلاحظه في معظم جوانب هذا العمل ، لغـة تتسم بالشاعرية والشفافية والقدرة على الايحاء والتلميح . ولا يسعني في النهاية الا ان اهنىء الاستاذ « محمد جلال » على روايته .

امارة الفجيرة **عبد المنعم عواد يوسف**

●

البئر في حياة العرب قديما وحديثا

تاليف عبد القادر عياش ـ ٨٨ صفحة حجم كبير ـ طبـع فـي ديـر الزور بسورية

قد لا يخطر في بال ساكن المناطق الساحلية ، والجبال المشجرة الكثيرة الامطار شيء اسمه البئر ، فالسماء تجـود بامطارها شتاء وخريفـا وربيعا ، والينابيع الغزيرة تروي الارض بسخـاء صيفا ، فتمـرع البساتين ، وتخصب الحقول ، وتضفي على المكان لونا بهيجا زاهيا ، اما سكان المناطق الداخلية ، والبدو الذين يجوبون الصحارى الرملية بحثا عن الكلأ ، وطلبا للماء النادر العزيز ، فالبئر تلعب فـي حياتهم دورا كبيرا ، لانها مصدر ارواتهم ، وارواء مواشيهم العطشى ... ان الشيء يأخذ أهميته كلما مست الحاجة اليه ، وقل وجوده ... ليس لكوب الماء اهمية تذكر عندما تكون جالسا على راس نبع صاف غزير ، ولكن له كل الاهمية عندما تنفرد فـي الصحراء المجدبـة الجافة ، المحرقـة .

من هنا نبعت مكانة البئر في حياة العرب الذين كانـوا يفتقدون الماء في فيافيهم الواسعة المضيعة ، وقد ظهر اثر ذلك فـي ادبهم ، فدعوا لقبور موتاهم بالسقيا كقول حفص بن الاخيف :

لا يبعـدن ربيعـة بـن مكـدم وسقـى الغوادي قبـره بذنـوب

وقول القلاخ بن حزن المنقري :

سقى جدثا وارى أريب بن عسعس من العين غيث يسبق الرعد وابله
ملث اذا القـى بارض بقاعـه تغمـد سهل الارض منـه مسايله

وقول عكرشة العبسي :

سقى الله أجدانـا ورائي تركتهـا بحاضر قنسرين من سـبل القطـر

وقد ظل هذا التقليد سائدا في الشعر العربي الى زمن متاخر ، رغم ان العرب بدلوا حياة بحياة ، وارضا بارض ، ومناخا بمناخ !

الا ان البئر آخذة بالاضمحلال يوما بعد يوم ، لان الحياة الحديثة اوصلت المياه بشكل منظم الى كل بيت ، فبدل « الامتياح » الذي كان يستغرق ساعات طويلة ، ويكلف مجهودا كبيـرا ، دون مردود يذكر ، صارت « الحنفية » تدفق المياه بلا حساب ، جزافا ...

لكن الاستاذ عبد القادر عياش ، صاحب المؤلفـات الفولكلورية العديدة ، والدراسات الشعبية الوفيرة التي تتصدر الصفحات الاولى من مجلته « صوت الفرات » خشي ان تلتهم الحياة الحديثة هـذه العادات والتقاليد ، فراح يدونها في سلسلة تحقيقات بلغت الاحـد عشر ، مصدرها وادي الفرات ، ومنطقة دير الزور حيث يعيش المؤلف ، متخذا من بيته متحفا للعاديات الاثرية والدراسات التاريخية والشعبية ، وقد دفعه الحرص عليها ، والخوف من ضياعها ، الى تدوينها وطبعهـا على نفقته الخاصة ، لا ينتظر من وراء ذلك كبير نفع ، او عظيم ربح .. فكيف لا يكبر المرء مجهود انسان فرد ، يحقق اهدافه رغـم الامكانات النزرة ، ويتخطى المثبطات ، ويعاند المحو والالفـاء والابطال ؟ كيف لا يجل الدأب ، وعمل الفكر واليدين في كتابة وطباعة تاريخ وعادات وتقاليد يوشك ان يعفي عليها الزمن ؟ لو هيئت لهـذا الباحث المنقـب امكانات طباعية ومادية ، لاغنى المكتبة العربية بتاليف لا تحصى .

لنعد بعد هذه الجولة الى الدراسة التي خصها بالبئر ، وعـدد صفحاتها ثمان وثمانين صفحة ، تحدث فيها عن كل المجالات التي يمكن ان يرد فيها اسم البئر ، فذكر تعريفها اولا ، ثم اشكالها ، واسماءها وطريقة حفرها ، وانتقل بعد ذلك الى البئر في دير الزور ، فآبـار البادية ، وعرج على النزاع الذي يحدث حولها ، لان كل جماعة تود ان تكون السباقة اليها ، فتنشب المشاجرات ، ويفتك السكان ببعضهم ولا يقتصر النزاع على الورود ، بل يتعدى ذلك الى ملكية البئر .

ثم يتحدث المؤلف عن المآخذ على الآبار ، ووسائـل استخراج المياه ، وعن البئر في التقاليد ، فمن هذه التقاليد ان ابن السبيل أحق بماء البئر من المقيم عليها ، واذا ورد شخص مع اغنامه على بئـر خطأ ، دون ان يعلم ان البئر تعود الى خصومه ، فان علـى صاحب البئر ان يعاونه على سقاية غنمه في الحال قبل أغنامه هو .

وهناك بعض الكوارث الطبيعية التي تنـزل بالآبار ، كالجفاف والتسمم ، وانهيار الجوانب ، اما الكوارث البشرية فهي الردم المفتعل بقصد الايذاء والانتقام ، وسقوط المواشي او الاشخاص ، فيؤدي تفسخ الجثث الى فساد المياه ، وقد تنسد عيون البئر في القعر ، بمـا يسقط فيها من الجرار والقش ، لذا تجب العناية فيها باستمرار .

ولعله من الطريف ان يعرف القارىء شيئـا عـن الطرق التـي يستخدمها البدو في الاهتداء الى البئر في البادية ، ومعظمها يعتمـد على الاستدلال ، واتباع مسارب الاغنام ، حتى يصل الـى البئر ، فيشرب ، واذا لم يكن معه دلو ، او حبل يدلي به ، استخدم المحارم وارسان الخيل ، وقد يلجأ الى تمزيق عباءته فصولا فصولا ، ثم عقـد اطرافها حتى تصل الماء فتمتصه ، وبعد جذبها يعصر الماء منها فـي الفم مباشرة .. وكثيرا ما تحدث الوفيات في البادية بسبب العطش، ومنها ما يكون عند البئر ، وقد شق على الميت الشرب منها .

وما دامت البئر تحتل حيزا كبيرا في حياة البدو ، فمن الطبيعي ان تحاك حولها القصص وتقال فيهـا الازجال والمواويل ، وتنظـم الاشعار ، وتؤلف الامثال ... وقد سرد الاستاذ العياش طائفة من هذه الاغاني الشعبية التي يرددها الاعراب عند الورود ، وفي المناسبات ، وتوصل منها الى البئر في الغناء الاذاعي ، فعدد المطربين الذين يتغنون بالبئر ، كوديع الصافي وصباح ، وسلوى حداد .

واذا ذكر الشعر العامي ، فلا بد ان يتطرق الـى الفصيح ، وخاصة شعر عنترة الذي يقول :

يدعون عنتـر والرمـاح كأنهـا اشطان بئـر فـي لبنـان الادهم

وقصيدة العباس بن الاحنف مشهورة في من اخطأ الطريق فـي البادية ، واجهده العطش ، حتى اذا اهتدى الى بئر عميقة لم يجـد حبلا ، فدلى عمامته ، فلما رويت هوت !

ان المجال يضيق عن اختصار جميع الفصول ، وحسبي ان اعرض عناوينها فقط ، فبعد البئر في الشعر ، ذكر البئر في كليلة ودمنة ، في القصص القديم ، في تاريخ العرب ، في الامثال الفصيحة ، فـي الامثال الشعبية ، في الحديث ، في الفقه ، في المعتقدات ، فـي الصيد ، في القصص الشعبية ، في قصص القرآن ، واخيرا فـي ريف الفرات .

هذا الفصل الاخير يستحق ان نقف عنده وقفة سريعة ، لانـه ذيله بملاحظة احب ان انقلها بنصها ، لان مجلة كالاديب تنشرها علـى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● الامومة والبيولوجيا ـ تاليف جان روستان ـ ترجمة الدكتور عدنان التكريتي استاذ مساعد في كلية الطب بجامعة دمشق ـ ١٠٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الرؤيا وقصص اخرى ـ مجموعة قصص ـ تاليف جان زكي سالمة ـ الغلاف بريشة جميل شموط ـ ١٩٤ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● نظير زيتون .. الانسان ـ جمعه وقدم له عدنان الداعوق ـ اشرف على طبعه عبد المعين الملوحي ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي في دمشق ـ مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق .

● صور من ردود الفعل لاحد افراد العالم الثالث ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور خليل النعيمي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكندي بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رحلت عني ـ مجموعة قصص ـ تاليف حازم مراد ـ الصور بريشة مقبل رزق الله ـ ١٤٢ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● بحيرة العطش ـ مجموعة شعرية ـ حسن عبد الله القرشي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لن يضيع الغد ـ مجموعة شعرية ـ حسن عبدالله القرشي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احلام في النهار : قصص اسطوري عربي ـ تاليف الدكتور ميشال سليمان ـ الغلاف بريشة الفنان ز. كايا ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابن مقرب .. حياته وشعره ـ تاليف عمران محمد العمران ـ ١٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الرياض بالرياض .

● رحلت عني ـ مجموعة قصص ـ تاليف حازم مراد ـ الصور بريشة الفنان مقبل رزق الله ـ ١٤٤ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● ذكريات ساخنة ، خاطفة وواقعية ـ تاليف أحمد غربية ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● المحنة الوجودية ـ تاليف احمد حازم يحيى ـ ١٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ عدد شوال ١٣٨٨ من مجلة العرفان بصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الملكة زنوبيا ـ مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● حجر الحب وقصائد الفرح ـ شعر ـ جورج غانم ـ الرسوم واللوحات بريشة رفيق شرف ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه بجونية لبنان .

● الرحيل ـ مجموعة قصص ـ تاليف خضير عبد الامير ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة ببغداد ـ الكتاب ٨ في سلسلة القصة والمسرحية ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● من اغاني المطر ـ مجموعة شعرية ـ منذر لطفي ـ الغلاف بريشة نعيم اسماعيل ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● اضاميم الاصيل ـ مجموعة شعرية ـ حامد حسن ـ الغلاف بريشة نعيم اسماعيل ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● الليل والمطر ـ قصص قصيرة ـ تاليف وديع ملحم العريضي ـ تقديم يونس الابن ـ الغلاف بريشة جميل نصار ملاعب ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة ستاركو ببيروت .

● امثال دير الزور حاضرة وادي الفرات ـ تاليف المحامي عبدالقادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٣ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور بسورية .

● الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر ـ تاليف جان فال ـ ترجمة الاب مارون خوري ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الابجدية ببيروت .

● صحافة العراق ، تاريخها وكفاح اجيالها ـ تاليف فائق بطي ـ مصمم الغلاف جودت حسيب ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاديب البغدادية ببغداد .

● اغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن ـ تاليف نمر سرحان ـ تقديم محمود العابدي ـ الرسوم بريشة الفنانين جلال الرفاعي ونمر حجاب ـ ٣١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دائرة الثقافة والفنون بوزارة الثقافة والاعلام الاردنية ـ جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان .

● اغاريد الفجر ـ ديوان شعر ـ الدكتور اديب سركيس استاذ الكيمياء في الجامعة الامريكية ببيروت ـ تقديم موسى سليمان ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة رأس بيروت ببيروت ـ مطابع الخال اخوان وشركاهم ببيروت .

نطاق اوسع من نطاق الكتاب . يقول في الصفحة ٧٧ : « اعترف اني لم أوف الموضوع ما ينبغي له من الاحاطة والتعمق وحسن الطباعة والاخراج ، لاني اطبعه بدير الزور مضطرا على نفقتي ، ودون ان اكون متفرغا ، وليس للموضوع رواج في السوق على اهميته . ومع ذلك اوالي من سنين طبع كتبي عن الفرات « الموسوعة الفراتية » دون اية مساعدة من اية جهة . ان وزارة الثقافة لم تطبع كتابا واحدا عن الفرات ، كما لو كان غير هام . او ليس من بلادنا ، بالوقت الذي تطبع كتبا عن (أرض السحر) ـ الولايات المتحدة الاميركية . وعن (اساطير المكسيك) ، وعشرات الكتب ، ومجلة نشرت مقالا واحدا عن الفرات استكتبتني اياه عام ١٩٦٢ ، وكذلك لم يصدر في سورية كلها كتاب واحد عن الفرات » .

والمؤلف يملك كل الحق في ان يعتب على الوزارة لتقصيرها بنشر مؤلفاته التي اودعها خلاصة معرفته عن وادي الفرات ، في حين يتحمل كل العناء ليخرجها الى الناس بشكل طبعات شعبية مقروءة .

اللاذقية — **عيسى فتوح**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التربية للمصير

بقلم عبد الحميد ياسين

* * *

راجت كلمة (المصير) هذه الايام ، وان كان اكثر استعمالها سابقا في عبارة (بئس المصير) . ويحسن الاخذ بها في الحديث عن هدف التربية ونهجها في مرحلتنا الراهنة ، مما يؤدي الى مصير لنا هو (نعم المصير) .

فمن بديهيات التربية أن هدفها تنمية قدرات الفرد وتحقيق امكاناته ، من مهده الى لحده ، تنمية وتحقيقا يتناولان النواحي الجسمية والعقلية والروحية لشخصيته، ليكون عضوا سعيدا نافعا لنفسه ومجتمعه العائلي والقومي والانساني ، منفعلا بهذا المجتمع فاعلا فيه ـ أي متكيفا ومكيفا له .

وهذا الهدف التربوي العام ، شأنه شأن الاهداف التفصيلية المنبثقة منه ، يتصف بالقابلية للتكييف والتعديل ، تبعا لظروف البيئة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والمصيرية في المرحلة التي يمر بها الفرد والمجتمع والمرحلة التي يقفان على عتبتها . وقديما قال عمر بن الخطاب : علموا اولادكم غير ما تعلمتم ، فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

ونحن الآن في أتون معركة مصيرية بدأت منذ نصف قرن ، واجهنا ونواجه وسنظل نواجه فيها عدوا شرسا بعيد المطامع ، وله أعوان أقل ما يقال فيهم أنهم يأبون الفهم . وقد خسرنا في هذه المعركة ، التي لم يكن لنا فيها خيار ، جولة واخرى ، لنقص في وعينا وقلة في بذلنا ، ولاننا غير مجتمعي الكلمة غير موحدي الصف . وعلينا ان نكسب الجولة القادمة التي لا بد منها ، باستكمال التهيؤ لها ، والتكيف للظروف الراهنة والمقبلة . وما لم نكيف تربيتنا ونهجها لذلك ، انحدرنا الى مصير هو « بئس المصير » .

وفي ضوء هذا ، أتبين للتربية اهدافا جديرة بالنظر ، وأوجزها بحب الحياة الحرة الكريمة ، والبذل السخي للحفاظ عليها وعلى التراب الذي تقوم به وتسير عليه ، حبا وحفاظا قويين ، في أمانة وعزم واتحاد . ثم اتناول هذه الاهداف بالتفصيل الآتي :

الهدف الاول حب الحياة : نعلم أن حب الحياة والحفاظ عليها شيء قد جبل عليه الانسان ، ولكنه قد يزهد فيها او يملها او يعافها ، فلا يبالي أن يحتفظ بها أو يتخلى عنها ،بل قد يعمد الى الخلاص منها يأسا او خوفا او اقداما فاديا . ومن حسن الطالع ان الناس يزدادون تعلقا بالحياة حين يواجهون الخطر والتحدي، فيستميتون في المقاومة ، ويحتالون أو يفرون حين لا يكون لهم قبل بهما او طاقة عليهما .

فمن واجب التربية ان تذكي حب الحياة ، وترسخ الايمان بقيمتها ، وتنمي القوة للحفاظ عليها والشجاعة في مقاومة ما يتهددها من تحد وخطر . فتربي الجسم سليما قويا ، وتشيع الثقة في النفس والامل في الغلبة على الخطر . ويتم هذا بمضاعفة العناية بالتربية البدنية والرياضية والعسكرية ، لتقويم الجسم وتنمية قوة الاحتمال وروح الدأب والتعاون والانضباط، والتعويد على الصلابة والاتزان اللذين يمنعان الزهو بالنصر والانهيار أمام الهزيمة .

الهدف الثاني حب القوة : فلا قيمة للحياة اذا كانت مجرد وجود او محض بقاء . بل هي تستمد القيمة من القوة الذاتية في الكائن الحي الذي يؤدي فعلا بارادته ، وبذلك يسمو على الجماد وعلى الكائنات الحية الاخرى . والقوة ـ جسمية كانت أم عقلية أم روحية ـ درع يقي الحياة من الخطر، وهو حافز لها لان تمتد وتزدهر وتعطي اكلها طيبا وافرا . وكذلك تذكي القوة الجسمية الثقة بالنفس ، وتنمي الاباء والانفة ، وتدعم الروح المعنوية صنو القوة المادية في درء الخطر . ولا تضارب بين القوة والانضباط في الفرد ما دامت تنميتهما فيه تسير في اتزان واتساق منذ البداءة . ولا يقتصر نفع القوة على القوي نفسه ، بل انها كذلك تحول دون العدوان عليه ، فالضعف في الضعيف يغري بالعدوان عليه ، والهزيمة توغر الصدر ، ثم تكون حرب الثأر سجالا .

والقوة المادية تشمل الثراء. والثراء الشريف حصيلة الجهد المنتج والادخار السليم . فالكسب الحلال لا يكون استغلالا ولا استعطاء ، ولا يجيء مع الريح المؤاتية او الطالع السعيد ، كما ان الادخار السليم لا يكون مع التبديد السفيه ولا مع الشح المهين . ومن واجب التربية ان تخرج جيلا قوي الاجسام سليم الحواس ، قد أحسن تدريبه الرياضي والعسكري . ومن واجبها ايضا ان تهيء هذا الجيل لاستثمار قوته في الانتاج الاقتصادي والدفاع القومي لصالح الفرد والمجتمع ، وان تعلم قيمة العمل اليدوي والكسب الحلال والاقتصاد والتوفير .

الهدف الثالث حب الحرية : فالحرية هي الجو الصالح لنمو قدرات الفرد نموا سويا ، وتحقيق امكاناته دون عائق . ولا يمكن صب الافراد في قالب واحد ، لا في نموهم الجسمي ولا العقلي ولا العاطفي . لكن الحرية لا تعني اطلاق الفرد وحبله على غاربه ، بل توجيهه منذ البداءة لحسن الاختيار بين طريقين أمامه او موقفين يجابهانه او رأيين يعرضان عليه ، تبعا لميله وقدرته ودوره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المجتمع. ان الحرية الحقة هي حرية اختيار الافضل. ولا تناقض بينها وبين الانضباط ، لان الفرد يدرب عليهما معا ويعتاد المواءمة بينهما ، اول الامر وطيلة مسيرته ، ولا يدرب على الانضباط بالقسر كما لا تنمى الحرية فيه بالفوضى .

وتوكل اشاعة روح الحرية الى من يفهم الطبيعة البشرية ، ويحب بني الانسان ، ويعشق الحرية وغيرها من المثل العليا . وليس من الحرية أن يبدد الفرد ماله الى حد السفه ، او يخرج على القانون كسبا لمغنم أو فرارا من واجب أو تباهيا بنفوذ . لكن الحرية ان يقول ويفعل كل ما ينفعه ولا يضير غيره ، وأن يساوي بغيره ، ويسهم في سن التشريع الذي ينطبق عليه وفي اختيار نظام الحكم الذي يخضع له .

وتبث مبادىء الحرية بطريق القدوة والتطبيق في المدرسة وفي نظامها الذي يشجع نشاط اللجان والجمعيات فيها .

الهدف الرابع حب المجتمع : والمجتمع القومي مرحلة وسطى بين المجتمع العائلي الذي يدين الفرد له بالولاء تلقائيا ، وبين المجتمع الانساني الذي يكون الولاء له نفاقا الا في الافراد الذين اجتازوا مرحلتيه السابقتين بنجاح .

ولا خير في حب الفرد للمجتمع ، الا اذا ترجمه الى افعال نافعة يأتيها كمواطن ثم كصاحب دور معين يؤديه. فكل مواطن مسؤول عن الاسهام الفعلي في الدفاع عن الوطن وحماية ساكنيه من العدوان . وحين يفتح باب التطوع فلا يدخله المواطنون افواجا ، لا بد من اللجوء الى التجنيد ، وهذان طريقان للواجب الاسمى ، لاقصى غاية الجود ، للبذل والتضحية والفداء. اما الدور المحدد لمواطن أو آخر ، فيكون اختياره في مهنة او حرفة أو غيرها من مسالك كسب العيش، تبعا لميل الطالب وقدرته ولياقته ، لا سعيا لاهثا وراء المهن التي تجزل العطاء أو تحاط بهالة باهرة ، ولا فرارا من مشقة العمل اليدوي أو احتقارا له .

ومن أجل الدور العام والدور المحدد الذي يؤديه المواطن ، لا بد من تسليحه بالتهذيب الديني مترجما الى حسن المعاملة ، وبالثقافة الادبية الحافزة للقوة والكرامة، وبالتعريف والممارسة للحقوق والواجبات ، وبادراك السبب والنتيجة في كل ما يتناوله بالدرس ، وبالتمييز بين الترفيه الذي يثير الشهوة ويخمد الهمة والترويح الذي يزكي النفس ويشحذ العزم .

وفي مرحلة التعليم العالي لا بد من توكيد استيعاب قضايا مجتمعنا المعاصر ، كما توسع معارف المقبلين على ميدان الاعلام في أحوال العدو ولغته ، ويغدق بالثقافة والتوعية المصيرية على المتجهين للسلك الخارجي ليكونوا علماء امناء ثوارا .

أمل

لا تحرميني نظرة عجلى
تحيي المنى ، وتذيب آلامي
فالنظرة العجلى وان قصرت
زادي لاعوام ، واعوام
أنا لا أريد الوصل ، ليس الى
هذا المدى ، تمتد احلامي
حسبي وحسب القلب ان أحيا
كوريقة في بحرك الطامي
فاذا رسوت على جزائركم
وحبوتني برفيف أنسام
أسعدتني ، أسعدتني أبدا
ومحا حنانك ليل أيامي
او فاتركي لي ، منيتي ، أملا
يمحو غشاوة عمري الدامي
ويظل فردوسي اذا احتدمت
نوب الحياة ، ونبع الهامي

امارة الفجيرة **عبد المنعم عواد يوسف**

يجوز التساؤل : ما نفع العلم الذي ينير العقل ، اذا كان نوره يتعايش مع ظلام الخرافة ؟ ما نفع التدريب المهني الذي يكسب الرزق ، اذا كان لا يحبب الاتقان ؟ ما نفع الفن الذي يمتع الحواس ، اذا كان لا يزكي النفوس ؟ وما نفع هذه جميعا ، اذا ضاعت الارض وهام الشعب على وجهه ؟ لكن قد حان الوقت الآن لمعالجة أهداف التربية للمصير . رحم الله حافظ ابراهيم شاعر الوطنية الكبير الذي قال بلسان أرض الكنانة :

كم بغت دولة علي وجارت ... ثم زالت وتلك عقبى التعدي
قد وعدت العلا بكل ابي ... من رجالي ، فانجوزا اليوم وعدي
ان في الغرب اعينا راصدات ... كحلتها الاطماع فيكم بسهد
فاتقوها بجنة من وئام ... غير رث العرا وسعي وكد
نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء فيه ... وعثرة الرأي تردي
فقفوا فيه وقفة العزم وارموا ... جانبيه بعزمة المستعد

هذا وغيره كان من قول حافظ قبل نصف قرن ، وما اشبه الليلة بالبارحة ! فما احرانا بالنظرة الفاحصة لحالنا ومصيرنا ، والعمل لتكييف تربيتنا وفقا لهما ، ليكون لذريتنا ما ليس لنا : حال انعم به من حال ، ومصير هو نعم المصير !

عمان ـ الاردن **عبد الحميد ياسين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الشرباصي

جولة مع ياقوت الحموي الاديب

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

ياقوت الحموي صاحب كتابي « معجم الادباء » و « معجم البلدان » هو أحد الاعلام في العصر العباسي الثاني من عصور الادب العربي ، لانه ولد سنة ٥٧٤ هـ وتوفي سنة ٦٢٦ هـ ، والعصر العباسي قد كانت خاتمته في سنة ٦٥٦ هـ باسقاط التتار دولة الخلافة في بغداد .

وهناك في تاريخنا اكثر من شخص كل منهم اسمه « ياقوت » ، فهناك الكاتب الاديب النحوي ياقوت بن عبد الله الرومي الاصل ، نزيل الموصل ، كان واحد عصره في جودة الخط واتقانه ، فقصده الناس من البلاد ، وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة ، وقد أخذ النحو والادب عن ابن الدهان : أبي سعيد بن البارك ، ولازمه .

وقد لقيه ياقوت صاحب « معجم الادباء » و « معجم البلدان » ، وقال عنه : « اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة ، فرأيته على جانب عظيم من الادب والفضل والنباهة والوقار ، وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية ، ورأيت كتبا كثيرة بخطه يتداولها الناس ، ويتغالون بأثمانها ، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري والمقامات الحريرية » .

وقد توفي سنة ثمان عشرة وستمائة ، وهي السنة التي يقول عنها صاحب « معجم الادباء » انه عاد فيها من الخوارزم الى الموصل .

وهناك « ياقوت » ثان ، وهو الاديب الشاعر : مهذب الدين أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، مولى التاجر أبي منصور الجيلي ، نشأ ببغداد ، وحفظ القرآن ، وتعلم في المدرسة النظامية ببغداد العلوم العربية والادبية ، وكان حسن الخط والضبط ، وتأدب ، وغلب عليه الشعر ، وتقدم في النظم ، وانتشر شعره في الشام والعراق ، وله شعر لطيف ، ومن شعره قوله في الغزل:

لك منزل في القلب ، ليس يحله ... الا هواك ، وعن سواك أجله
يا من اذا جليت محاسن وجهه ... علم العذول بان ظلما عذله
الوجه بدر دجى ، عذارك ليله ... والقد غصن نقا ، وشعرك ظله
هذي جفونك اعربت عن سحرها ... وجمال وجهك ليس يوجد مثله
هل في الورى حسن أهيم بحبه ؟ ... هيهات ، أضحى الحسن عندك كله

وله ايضا هذه الابيات من قصيدة :

جسدي لبعدك يا مثير بلابلي ... دنف بحبك ، ما أبل ، بلى بلى
يا من اذا ما لام فيك لوائمي ... أوضحت عذري بالعذار السائل
أأجيز قتلي في «الوجيز» لقاتلي ... أم حل في «التهذيب» أم في «الشامل»
أم في «المهذب» أن يعذب عاشق ... ذو مقلة عبرى ، ودمع هامل ؟

وقد توفى في شهر ربيع الآخر ـ وقيل في شهر جمادي الاولى ـ سنة اثنتين وعشرين وستمائة هجرية (١٢٢٥) م . ودفن في بغداد .

وهناك ياقوت ثالث ، اسمه جمال الدين ، او أمين الدين ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الموصلي ، المعروف بالملكي نسبة للسلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق ، وهو اديب ، ناثر ، ناظم ، خطاط ، كان من مماليك الخليفة المعتصم ، ومن آثاره رسالة في الخط ، وكتاب أسرار الحكماء ، ورسالة في الحكم والآداب والاخبار ، ونبذة من اقوال الفضلاء .

وتوفي بالموصل سنة ثمان وتسعين وستمائة هجرية (١٢٩٩) م .

وبقي ياقوت رابع ، وهو صاحبنا ، صاحب « معجم البلدان » و « معجم الادباء » .

ترجمة ياقوت وحياته

هو الاديب الناثر الشاعر ، اللغوي النحوي ، المؤرخ العالم بتقويم البلدان ، الخبير بتراجم الادباء والعلماء : ابو الدرى شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي .

وانما لقب بالحموي لان تاجرا اسمه « عسكر بن ابي نصر ابراهيم الحموي » رأى ياقوت بن عبد الله في سوق بغداد ، وقد حملوه أسيرا فاشتراه ، فنسب ياقوت اليه ، وقيل عنه « الرومي » لانه مولود في بلاد الروم ، وقد أخذوه منها اسيرا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقيل عنه « البغدادي » لانهم حملوه بعد أخذه الى بغداد ، حيث بيع فيها ، وأقام بها حينا من الزمان . ويروى انه حينما تميز واشتهر سمى نفسه « يعقوب » . وذلك مروي عن ابن العماد الحنبلي .

ولقد ذكر ناشرو الطبعة البيروتية من « معجم البلدان » انه لا يعلم شيء عن مولد ياقوت ، وهذا يحتاج الى نظر ، فقد ذكر صاحب « وفيات الاعيان » ان ولادة ياقوت كانت سنة اربع وسبعين وخمسمائة هـ او ٥٧٥ في بلاد الروم .

ولقد أسر ياقوت من بلاده صغيرا ، ويقول صاحب « كنوز الاجداد » : « أخذه المسلمون أسيرا وهو طفل » . واشتراه في بغداد « عسكر الحموي » التاجر الذي كان يسكن بغداد ، وصار له فيها زوجة واولاد .

وكان « عسكر » رجلا ذا مال ، ولكنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فأراد أن ينتفع بغلامه في حساب تجارته، فأدخله « الكتاب » ليتعلم القراءة والكتابة والحساب ، حتى يضبط له أموال التجارة ، فتعلم ياقوت جانبا من اللغة والنحو ، ثم اقتضت ظروف التجارة ان يبعث به « عسكر » الى رحلات كثيرة ، واسفار متعددة ، فكانت هذه الرحلات والاسفار معلما كبيرا لياقوت ، أفاد منه الكثير .

وهناك ظاهرة تلفت الانظار في العصر العباسي الثاني ، وهي كثرة الكتب التي كانت ثمرات لرحلات أصحابها في البلاد والاصقاع ، فالى جوار كتابي « معجم البلدان » و « معجم الادباء » لياقوت اللذين كانا ثمرة واضحة لتنقلاته ورحلاته ، نجد كتابي « مروج الذهب » و « التنبيه والاشراف » لعلي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ هـ ، والذي نشأ في بغداد ، كانا ثمرتين جليلتين لرحلاته الى كثير من الامصار والبلدان ، فزار مصر والشام وارمينية والهند وسرنديب (سيلان) وساحل الريخ (زنزبار) ومدغشقر ، وركب بحر قزوين، وتمثل في كثرة رحلاته بقول الشاعر :

تيمم أقطار البلاد ، فتارة لدى شرقها الاقصى، وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا تنفك تقذفها النوى الى أفق ناء يقصر بالركب

وكذلك كان كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ ثمرة طيبة لرحلاته العديدة ، واتصاله اتصالا مباشرا بعدد كبير من الشعراء والكتاب ، والاخذ عنهم في مختلف اقطارهم وامصارهم .

وبجوار هذا نجد في العصر العباسي الثاني كثرة من المؤرخين والجغرافيين الذين اعتمد اكثرهم ـ ان لم نقل جميعهم ـ على الرحلة والمشاهدة في كتابة ما خلفوا من آثار ، ونذكر من هؤلاء :

١ ـ المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦هـ صاحب كتاب « مروج الذهب » .

٢ ـ الادريسي صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .

٣ ـ ابن جبير صاحب رحلة ابن جبير التي وصف فيها جولاته في اواخر القرن السادس في مصر والشام والحجاز والعراق وصقلية .

٤ ـ ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ صاحب « تجارب الامم » .

٥ ـ ابن الاثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠ هـ صاحب كتاب الكامل في التاريخ .

٦ ـ البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ صاحب كتاب « تاريخ بغداد » .

٧ ـ الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ صاحب كتاب « يتيمة الدهر » .

٨ ـ المقدسي المتوفي سنة ٣٧٥هـ صاحب كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » .

٩ ـ أبو اسحاق الاصطخري الفارسي صاحب كتاب « الاقاليم » .

١٠ ـ القفطي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ صاحب كتاب « تاريخ مصر » .

وبعد ان رحل ياقوت بأمر مولاه « عسكر » الى كثير من البلاد مثل عمان والشام وكيش ، وجاب البلاد ما بين جيحون والنيل وغيرها ، حدث بينه وبين مولاه ما جعل السيد يعتق مملوكه ويبعده عنه ، ولم يفصل التاريخ حديثه عما وقع بين ياقوت وعسكر ، واكتفى صاحب « شذرات الذهب » بأن يقول : « وقعت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه والبعد عنه » . وقد حدثت هذه الجفوة سنة ٥٩٦ هـ .

وحينئذ اخذ ياقوت يكسب قوته بنسخ الكتب والاتجار فيها ، فنال عن طريق ذلك مالا قليلا ، ولكنه نال جليلا عن طريق المطالعة ، اذ أفادته هذه الكتب التي نسخها او اتجر فيها معلومات واسعة ومتنوعة .

وبعد حين من الزمن احتاج « عسكر » الى ياقوت مرة اخرى ، فبحث عنه واعاده اليه ، وكلفه السفر في تجارة له ، فاستجاب ، وحينما عاد من رحلته وجد أن مولاه قد مات ، وقد خلف من ورائه ثروة طائلة صارت بين يدي ياقوت ، فأعطى منها أولاد عسكر ما ارضاهم به ، وبقيت في يده بقية صارت راس مال لتجارته ، وكان بعضها في الكتب .

وعاود ياقوت الرحلة ، كأنها قد أصبحت شيئا من طبيعته ، فرحل الى دمشق وحلب والموصل واربل وخراسان ، وأقام في خراسان يتجر بها ، واستوطن بلدة « مرو » زمنا ، ثم رحل عنها الى بلدة « نسا » ثم الى بلاد كثيرة .

وأخبرنا ياقوت انه قدم « نيسابور » سنة ٦١٣ هـ ثم استقر في « خوارزم » ، وظل فيها حتى سنة ٦١٦هـ

(١٢١٩ م) حيث أقبل « جنكيزخان » سلطان المغول او التتار ، فأغار في العام المذكور على خوارزم ، فاضطر ياقوت ان يخرج من خوارزم منهزما ، وهو لا يحمل شيئا من ماله ، ولقي في طريقه مصاعب كثيرة ، وبلغ الموصل سنة ٦١٧ هـ وأقام فيها مدة ، ثم رحل الى « سنجار »، ثم الى اربل التي قدمها في رجب سنة ٦١٧ هـ . ثم انتهى به المطاف الى حلب حيث قضى فيها ما بقي من حياته ، بعد ان تقلبت به الايام ، وفقد ثروته اكثر من مرة حتى عد من المفلوكين ، وكان يقيم في « الخان » بظاهر حلب . وقبل وفاة ياقوت وقف كتبه على مسجد الزيدي بدرب دنيار في بغداد ، وسلمها الى الشيخ عز الدين بن الاثير صاحب التاريخ الكبير .

وتوفي ياقوت الحموي في يوم الاحد العشرين من رمضان سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) . عليه رحمة الله .

شخصية ياقوت الادبية

يبدو لنا ان ياقوت الحموي كان عصاميا في تكوين شخصيته الادبية ، لم يعتمد في ذلك على دراسة منظمة، او مكان للتعليم محدد ، أو أساتذة للتعليم معينين ، واذا كان مولاه عسكر قد دفع به الى التعليم ، فلعل هذا التعلم لم يستمر في مكانه المحدد المتواضع الا وقتا قصيرا ، عقل فيه ياقوت القراءة والكتابة والحساب ، ليضبط لمولاه حساب تجارته ، وبذلك انتقل ياقوت الى المدرسة الكبيرة الواسعة ، التي تمثلت في البلاد التي هاجر اليها ، والرجال الذين لاقاهم هنا وهناك ، والعلماء والادباء والشعراء الذين شافههم وسمع منهم خلال رحلاته ، ثم كان لديه هؤلاء الشيوخ الاساتذة المعلمون الصادقون الصامتون الاوفياء ، وهم الكتب التي سامرها ياقوت ، وعكف عليها ، خلال نسخه لها او اتجاره فيها.

ومع هذا يشير ياقوت في مقدمة « معجم البلدان» الى شيخ له هو الامام فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني الذي يعبر عنه ياقوت بقوله : « شيخنا الامام السعيد الشهيد فخر الدين ابو المظفر عبد الرحمن ابن الامام الحافظ تاج الاسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاني ، تغمدهما الله برحمته ورضوانه » . وهي عبارة تدل على الوفاء لشيخه والتوقير لمكانته .

وكانت لياقوت همة عالية في تحصيل المعارف والآداب ، ولذلك كان يدمن القراءة ، ويقول عن الكتب التي عنده : « كنت أرتع فيها ، واقتبس من فوائدها ، وانساني حبها كل بلد ، والهاني عن الاهل والولد » . وكان شغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا الى أنباء الادباء ، يسائل عن احوالهم ، ويبحث عن غرر اقوالهم ، بحث المغرم العاشق ، وهو نفسه يقول في ذلك :

« فما زلت منذ غذيت بغرام الادب ، والهمت حب العلم والطلب ، مشغوفا بأخبار العلماء ، متطلعا الى انباء الادباء ، أسائل عن أحوالهم ، وابحث عن نكت اقوالهم ، بحث المغرم الصب ، والمحب عن الحب ، واطوف على مصنف فيهم يشفي الغليل ، ويداوي لوعة العليل » .

ومع اعجابنا بشخصية ياقوت وعصاميته وفضله على العلم والادب والتاريخ ، نلاحظ ان نزعة من الشح بعلمه كانت تعاوده وتراوده ، او تراوحه وتغاديه ولا تباعده ، وهو نفسه يتحدث عن ذلك حينما كان ينوه بكتابه « معجم الادباء » فيقول : « رآني جماعة من أهل العصر ، وقد نظمت لآلىء هذا الكتاب ، وابرزته في ابهى الحلى على ترائب الكعاب ، فاستحسنوه والتمسوه لينسخوه ، فوجدت في نفسي شحا عليهم ، وبخلا بعطف جيده اليهم ، لانه مني بمنزلة الروح من جسد الجبان ، والسوداوين من العين والجنان ، مع كوني غير راض لنفسي بذلك المنع ، ولا حامد لها على ذلك الصنيع، لكنها طبيعة عليها جبلت ، وسجية اليها جبرت ، حتى قلت فيه مع اعترافي بقلة بضاعتي في الشعر ، وعلمي بركاكة نظمي والنثر :

فكم قد حوى من فضل قول محبر	ومن نثر مصقاع، ومن نظم ذي فهم
ومن خبر حلو طريف جمعته	على قدم الايام للعرب والعجم
يرنح أعطافي اذا ما قرأته	كما رنحت شرا بها ابنة الكرم
ولو أنني انصفته في محبتي	لجلدته جلدي ، وضندقته عظمي
عزيز على فضلي بالا أطيعه	على بذله للطائفين على العلم
ولو انني استطيع من فرط حبه	لما زال من كفي ، ولا غاب عن كمي

ويعود ياقوت بعد قليل الى الحديث عن هذه النزعة ، فيذكر لنا سبب ضنه وشحه بهذا الكتاب، وكأنه يدافع بذلك عن نفسه ، ويسوغ تصرفه ، فيقول :

« واعلم أنني لو اعطيت حمر النعم وسودها ، ومقانب الملوك وبنودها ، لما سرني ان ينسب هذا الكتاب الى سواي ، وان يفوز بقصب سبقه الاي ، لما قاسيت في تحصيله من المشقة ، وطويت في تكميله من طول الشقة ، فانني علم الله لم اقف على باب أحد من العالم أجتديه ، ولا أحصي عدد ما وقفت على الابواب للفوائد التي فيه ، فلا غرو ان امنعه من متلمسيه ، واحجبه من الراغبين فيه » .

وكأن صاحبنا أحس بأن هذا الدفاع لا يكفي ولا يشفي ، وبأن هذا الشح منه ما زال في موطن العيب والذم ، فأعقب ما سبق باعترافه الصريح ان هذا الصنع منه غير حميد ، ولكنه عثر على سابقة سبقت من غيره تسوغ له عمله هنا في نظره ، فعاد يقول :

« على أني ما زلت أعاتب نفسي على هذا الصنيع ، وأعده من الامر الفظيع ، والخلق الشنيع ، الى ان وقفت على الكتاب الذي الفه محمد بن عبد الملك التاريخي في اخبار النحويين ، وقد قال في ديباجته :

ولم اقصد بهذا الكتاب لهوا ولا لعبا ، ولا سمحت نفسي ببذله ، ولا طابت ببثه واخراجه ، الى غير ابي

الافـق

نزلت في جفونك الكحيله
كقطرة من المطر
كفرحة أطلقها العذاب والسهر
كنسمة حائرة بليله

وكنت يا حبيبتي أود لو آتيك مثل الطير
مرفرفا ، ينقر عند الفجر
شباك من يحب
يوقظها من نومها الطري
تدخله ابتسامة ناعسة من ثغرها الندي
يشرب منه مرة ، أو مرتين
ضحكتها الصبيه ،
فرحتها الحييه ..
ونقرة ، أو نقرتين
في خدها المورد النقي !

وكنت يا حبيبتي أود لو آتيك مثل الطفل
يحمل في جفنيه دمع القهر
تأخذني يداك يا حبيبتي
لصدرك الحنون ...
وقبلة في ثغري المحزون
تجعل من أحزان روحي باقة من زهر ..
أخرج من يديك يا حبيبتي
ممتلئا بالرعب
مطهـرا بالحب .
وباحة المدرسة الكبيره
تضيق عن اجنحتي الصغيره !

لكننـي
نزلت في جفونك الكحيله
كقطرة وحيدة من المطر
كفرحة أثقلها العذاب والسهر
وكنت يا كحيلة العينين
كالافق البعيد
أراه عبر أملي
يمتد عند ناظري
لكنه ، يظل عني نائيا .. بعيد .. !!

حلب — صباح الدين كريدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحسين محمد بن عبد الرحمن الروزباري الكاتب أطـال الله بقاه ، فانه لي كما قال معاوية بن قرة في ابنه ايـاس بن معاوية ، وقد قيل له : كيف ابنك ؟. فقال : خيـر ابن ، كفاني امر الدنيا وفرغني لامر الآخرة .

ثم قال : وما أحصى عدد من انقطع بيننا وبينه من اخوان في ردنا اياه عن هذا الكتاب .

فحينئذ خففت عن نفسي اللوم ، اذ كان التأسي من اخلاق القوم ، وعلمت أن النفوس بخيلـة بالنفـائس ، شحيحة بابراز العرائس .

هذا وانما يشتمل كتابه على ثلاث وعشرين ترجمة، نقلت زبدها الى هذا الكتاب ، فلم الام اذا اخفيته علـى طالبيه ، وحجبته عن خاطبيه . » ؟ .

ونحن نرى ان صاحب « معجم الادباء » قـد أطال الاعتذار عن شحه ، ولكن يبدو لنا أن السبب الحقيقي أو الاصلي أو الاهم لهذا الشح هو أن الكتاب حينئذ مـا زال مخطوطا لدى صاحبه في مسودته ، وهو يخشى ان أعاره لسواه أن تتسرب معلوماته الى من عداه ، ومـن يدري : لعل شيئا كثيرا او قليلا من الكتاب ينقله ناقل وينسبـه الى نفسه ، ويضيع على ياقوت ما بذله من وقت وجهد .

وياقوت ذاته قد ساق هذا المعنى في كلامه بعـد ذلك ، وان لم يصرح تصريحا واضحا بأنـه سبب الشح ، فقال : « وقد أقسمت الا اسمح باعارته ، مـا دام في مسودته ، لئلا يلح طالب بالتماسه ، ولا يكلفني ابرازه من كناسه حملهم منعي على احتذائه وتصنيف شرواه ، ومـا اظنهم يشقون غباره ، ويحسنون ترتيبه واسطاره ، وان وفقت لنظر الجميع ، فستعرف الضالع من الضليع .

فاذا هذبته ونقحته وبيضته ، فتمتع به ، فانه كتاب اسهرت لك فيه طرفي ، وانضيت في تحصيله طرفـي ، وقد حصلته عفوا ، وملكته صفوا ، فاجعل جائزتي دعاء يزكو غرسه عند ذي العرش ، واحمدني فـي بسطـه والفرش ، واذكرني فـي صالح دعائك ، فـرب دعوة صادفت اجابة ، ورمية حصلت اصابة » .

هذا وقد تتهيأ فيما يأتي فرصة تتم فيها الجولة .

القاهرة — احمد الشرباصي

القناع الشفاف

كـــل يـــوم يـــزاد عمري عمـــرا جددتني الايـــام حلـــوا ومـــرا
ملء صدري مـــن الزمـــان حكايـــات رواها الحنين في الشوق جهـــرا
علمتني الدنيـــا الاناة فحفـــرت دروبي علـــى المخاطـــر حفـــرا
أسأل الصخر.. أنت،من أنت يا صخر ؟! وامشي كانني صرت صخـرا
تلك رؤيا بعيدة الغـور والترحال ، تطـوي بحـرا وتفتـح بحـــرا
وتشد القلاع من قبل ان تقلـع الريح ، وتسري مـع المجاذيف سكرى
منية الضوء أن يهـل بـه الصبح وأن ينـزوي بـــه الليـــل غمـــرا
يطفيء الماء شهوة الخمر في الخمر ويصحو مـــن نشوة الخمر خمـرا
والخريف الذي تململ فـــي الارض اغترابا يمـــزق الروض هـــدرا
هـــو ذاك الربيع لفحه البـــرد وشقـــت ازاره الريـــح جـــرا
باح قلبي بمـــا يبوح بـــه الخصب وأمسى أمسي عتابـــا وعـــذرا
في جراحي مثل الشفاء ، وفي جوعي اكتفـاء ، تخالـه العـين فقـــرا

يورق الغصن كل فصل فـلا يحبس طيبـــا ولا يكـاتـــم زهـــرا
مستمر ، أسخى من الزمن السمح واغنـى مـــن حكمة الفكـر فكـرا
تيبس الوردة النديـــة فـــي الشمس وتحيا غـــب العشيات أخـرى
يتفانى الفناء فـــي هيكـل النفس انتقامـــا يجتـــاح بالنفس ثـــأرا
لـذة البوح في الشفاه على الصمت وضلع تحنو عـلى الضلـع حـرى
ساءلتني عنك الصواري فلـم اخبرهـا انـي : ســر يخبيء ســـرا

تتشهى جوارحي ليلـــة الـدرب ويوما كانت لنـــا الـــدرب مسرى
عسعس الليل ، واستدار بنا الفيث ، وخفنـا مـن وطأة الحي امـرا
وتسرى نبا العشي علـــى الهمس وقامت بشـــرى تـــودع بشـــرى
سلم الشوق مـــن بناك على القلب جناحـا وفـــي المواعيـد جسـرا
انت عندي اليقين ، والخاتم المسحور ، والمنهـــل الـــذي صار بئـــرا
كلمـا خفـت الضلوع الـــى المـــاء سمعنا في مدخل الـدار نقـــرا
اي شيء يعيش فـي الدرج الصعب ويطـوى طيـــا ، وينشـر نشـرا

طفحت كأسي الهنية فـــي بيتـي وفاضـت وليمـة النفـس يســـرا
موسم تلـــو موسم ينتهـي الشم ونبقـى فـي خاطر العطـر عطـــرا
نحن أنقى مـــن الضياء اذا شئنا وأقوى مـــن همـة الصبر صبـرا
فرحة العمر يـــوم يختصر العمـر لقاء ، يلوي علـــى الخصر خصرا
مرغي رأسك المكابر فـــي صدري وخلـــي الزمـان يطفـــر طفـــرا
قد كتبنا فـــي قصة الود اوراقا ورحنـا نشتـم فـي النسخ حبـرا
المفاتيح كالشفاه وهاتيـــك الاواني سطـــر يعانـــق سطـــرا
والاباريق لا تمـل مـــن السكب ولا ترتـــوي مـن العصـر عصـــرا
ايقظتني عيني الـى ورق الورد وقالت : .. وانـــت بالـــورد أدرى
بوركت لذة اللذائذ فـــي بيتي وعاشت ذكـــرى تزاحـــم ذكـــرى

الياس خليل زخريا



ابراهيم المصري

جوركي او النزعة الانسانية في الادب

بمناسبة الذكرى المئوية لمولد جوركي عام ١٨٦٨

بقلم ابراهيم المصري

* * *

لا شك ان وسائل الحياة المادية متى كانت ميسرة ، فانها تعاون الانسان على حمل آلامه ، وتلطف من وطأتها عليه ، وتنقذه من التردي في هوة اليأس ، وتظل تضرم في نفسه شعلة الامل كائنا ما كان عذابه .

أما حياة الفقر والبؤس ، فتشل الارادة ، وتهدر الكرامة ، وقد تخنق وظائف العقل ، وتجعل من الانسان مخلوقا هائما شريدا ، يطارده الخوف ، ويهدده بالموت ان هو لم يعثر على كسرة الخبز .

وكذلك كانت حياة مكسيم جوركي . فقد انحدر من اسرة شعبية قاسى افرادها لوعة الحاجة ومرارة الحرمان ، وعاش منذ نعومة اظفاره يتيما . فلم يتعلم ، ولم يتثقف ، ولم يأكل يوما كفايته . فتعذب في جسده وفي روحه عذابا حانقا مريرا .

كان يحس ان قوة خارقة تتقد في ذهنه ، وعالما رائعا يصطخب في خياله ، وان القدر لو حباه بشيء من اليسر والراحة والقدرة على التثقف ، ففي وسعه ان يكتب ويبدع ، وينقع غلة روحه المتطلعة المتلهفة الظمأى . ولكن فقره كان يكبله ، وجهله كان يثيره ، وخوفه من الموت المتربص به كان يدفعه الى احتراف اوضع المهن سعيا وراء لقمة العيش .

فالصراع بين الحلم والواقع ، بين الغاية والضرورة ، بين حوافز الفكر ومطالب البدن ، كان يسمم حياته ايام صباه ، ويؤرجحه بين التخاذل والكفاح ، بين اليأس والامل ، بين استمراء الخمول والاندفاع نحو التفوق .

على ان صدق ايمانه بنبوغه ، وعمق احساسه بمواهبه ، وشدة عذابه باختناق تلك المواهب في نفسه وعجزها عن الانطلاق ، هذه العوامل ساقته الى احتمال الالم في صبر ، والى عشق المجاهدة في عناد ، والى التنقل من مهنة الى مهنة في جلد عجيب ، عساه ان يظفر بعمل لا يستنزف قواه ، ويتيح له بين وقت وآخر ولو بضع ساعات ينفقها في المطالعة والتثقف والتأمل والتفكير .

وهكذا اشتغل اسكافيا ، وبستانيا ، وطباخا ، ورسام ايقونات مقدسة ، وخبازا في احد الافران .

وعلى ظهر الفرن بعد ان تطفأ ناره ويجن الليل ، كان جوركي ينبطح ويوقد شمعة ، ثم يشرع في مطالعة اعمال كبار الادباء والقصصيين ، ولا سيما « بلزاك » الذي كان يخلب لبه ، ويملك عليه قلبه وحواسه ، ويلقي به في دنيا من الابطال المتطلعين ابدا الى التفوق ، السابحين في عالم زاخر بالآمال والافراح والاشواك والدموع .

بيد انه لم يشأ ان يقلد بلزاك ، ولم يكن في مقدوره ان يطاول بلزاك ، وكان من المحال عليه وهو البائس المنكود صبي الفرن ان يعرف الحياة بمختلف اوساطها وطبقاتها كما عرفها بلزاك . فاراد على الاقل ان يزداد معرفة بالشعب الذي قدر عليه ان يكون فردا منه . اراد ان يندمج فيه ما استطاع . ان يسدد اليه وحده قوى عقله الواعي ، وذهنه المتنبه ، واحساسه المرهف ، وقدرته الخارقة على الملاحظة والالتقاط والتصوير ، بحيث يبدع ادبا مستقلا عن ادب بلزاك وغيره ، ادبا ينبع من ذاته وبيئته وصفوة اختباراته وتجاربه ، ويكون ادبا شعبيا انسانيا اصيلا ، يسجل الوان الخوف والجوع والمرض والجهل والتشرد والتدهور ، ومختلف صور الالم البشري الماثلة في حياة الشعب الكادح الصابر المسكين .

ولكي يجرب ايضا ويختبر ، ويضاعف اتصاله بالشعب ، وينزل على حكم النزعة البوهيمية الحرة المتمكنة منه والمتأصلة فيه ، ترك مهنة الخباز ، واشتغل نجارا ، وبائعا متجولا ، وحمالا في الموانيء ، ومراقبا لحواجز القطارات . فخالط كل وسط شعبي ، وتشربت روحه روح الشعب . فاعتزم عندئذ ان يصورها . فاندفع يكتب وهو ما يفتأ يطالع ويتأمل ويتزود من الاعمال الادبية العظيمة بما يوافق طبعه ويتفق وميوله

ويمكن أن يعاونه على ابداع فنه الخاص وادبه المستقل .

وهنا وقعت لجوركي مأساة فكرية وعاطفية ، استبدت به واوشك تحت تأثيرها ان ينحرف عن طريقه ويتنكر لرسالته .

اولع فجأة بالمفكر الشاعر الالماني «فردريك نيتشه»، وبتعاليمه القائمة على احتقار المحبة ، وكره الرحمة ، والاشادة بفضائل القوة ، وتمجيد الطبقة الارستقراطية ، والدعوة الى تعزيز مكانتها ونفوذها على حساب الشعب باعتبار انها هي منبع الفكر ، ومصدر الثقافة ، وحافز التقدم والمدنية .

هذه التعاليم اشاعت في نفسه الشك في اتجاهه ، والارتياب في قيمة رسالته . فسيطرت فترة عليه ، ودفعته الى القيام بتجربة عاطفية غريبة راحت ضحيتها فتاة ساذجة وطاهرة .

احب جوركي تلك الفتاة ، واراد ان يمتحن قوته عليها ، وان يطبق تعاليم نيتشه على اخلاقها وسلوكها ، فتفيرت الفتاة بالفعل ، وغلظ قلبها ، وتحجرت عواطفها، وتقلصت منها تلك الطيبة الصافية الساحرة التي كانت مبعث جمالها وسر فتنتها .

فبدل ان يعجب جوركي بها ، هاله تبدلها . فاستيقظت فيه روحه الشعبية الاصيلة . فكره في الفتاة الانسان الجديد الذي رسمه عقله ، ولعن فيها النزعة الشاذة الاثيمة التي اولع بها خياله . فصد عنها . فارتاعت المسكينة وتشبثت به . ولكنه امعن في صدها ، وفر منها . فتحطمت احلامها فودعت الحياة ودخلت الدير .

هذه المأساة التي رزح جوركي تحت وطأتها زمنا طويلا ، نبهت عقله ، والهبت ضميره ، وضاعفت ايمانه بقيمة المحبة والرحمة ، وعادت به الى الشعب اعمق ما يكون حبا له ، واصدق ما يكون تعلقا به ، وابلغ ما يكون رغبة في التكفير عن ذنبه بالتفاني في خدمته والاخلاص له.

وراح يعيش ويكتب مصورا آلام إخوانه من التعساء والمحرومين والمتسكعين والمتشردين . فابدع قصته الاولى « شالكاس » ، التي لم تكد تظهر حتى استفاضت شهرتها ، وهلل النقاد لصاحبها الذي استطاع ان يخلق فنا شعبيا جديدا ، لا شبهة عليه من المحاكاة والتقليد ، ولا اثر فيه من فن تولستوي او دستويفسكي او اي اديب اوروبي .

وكان فن جوركي هو التعبير الصريح الواضح المباشر عن شعوره الخاص بالحياة ورؤياه المستقلة عنها. فهو يصور ما يراه تصويرا موضوعيا وذاتيا في الوقت نفسه ، بمعنى انه وهو يرسم اشخاصه رسما واقعيا مجردا ، ينفعل بهم وبكل ما يصدر عنهم . فيؤثر انفعاله في اسلوبه ويخلع عليه حرارة متقدة تضاعف اقتناعنا بصدق العواطف والاهواء التي تجيش بها نفوس اشخاصه . ثم هو فوق ذلك لا يرسم اشخاصه في حياتهم اليومية العادية فحسب ، بل يقحمهم في ورطة او ازمة او مأساة ، كي يبرز لنا اولئك المتشردين المساكين في اللحظات التي تتحرك فيها ارواحهم ، وتستفيق ضمائرهم ، وتضطرم جذوة الانسانية الراقدة في اعماق قلوبهم تحت رماد البؤس والشقاء . وعندئذ نراهم وقد التمعت فيهم اضواء فكرية ووجدانية رائعة ، ينطقون بكلمات تكشف عن اخفى جوانب الحياة ، ويقومون باعمال لا يقوم بها اوفر الناس طيبة وفضيلة فنبهت نحن لاعمالهم واقوالهم ، ونذهل لتلك الاضواء المعنوية التي شعت بغتة منهم . فنحس ان اعمالهم واضواء قلوبهم قد سكبت عليهم حلة من الشعر الفاتن ، تبعث في نفوسنا مزيجا غريبا من الشفقة عليهم والاعجاب بهم .

واليك امثلة من موضوعات قصصه ما زلت اذكرها:

كان فيليب معلم صبية ثم فصل من وظيفته بسبب اهمال صدر عنه بالرغم منه . فتشرد واحترف شتى المهن . ولكنه لم يصب منها ولو بعض اليسر الذي كان ينشده . فتدهور وانحط واصبح سكيرا مدمنا . بيد انه رغم تدهوره وانحطاطه احس انه ما يزال يحن الى تلاميذه الاطفال . فلكي يوقظ في كيانه جوهر طبيعته ، ويرد اعتباره الى نفسه ، شرع يقاوم رذيلته ، وينفق على الخمر جزءا مما يربح ، ويشتري بالجزء الآخر خبزا وبيضا وتفاحا، يوزعها على البؤساء من الاطفال والصبية، في تحفظ منكمش ، وتواضع عميق ، وصمت مطلق ، كأنه كان يخشى لو تحدث الى الاطفال عن هباته ان يشعرهم بفضله عليهم ، فيذل نفوسهم الطاهرة ، ويضاعف احساسهم بشقائهم ، ويجردهم من فضائل العزة والكرامة والاباء ...

فهذه التضحية البليغة في صمتها ، السامية في انكماشها وتواضعها ، هي جوهر النبل الذي كان مستخفيا في نفس فيليب ، والذي استيقظ فيه بالرغم منه ، فرفعه فجأة من سكير الى انسان .

وفي قصة اخرى يرسم لنا جوركي صورة كاهن تبرم بخدمة الله ، وخرج على الكنيسة ، وتشرد هو الآخر وانحط واستحال الى سكير وزير نساء . ولكنه لفرط شعوره بانحطاطه وحنينه الى الحياة الروحية التي تنكر لها والتي تخلف تأثيرها في فكره ووجدانه ، اندفع يرقص رقصات مرتجلة ومخبولة ، ويقص على رفاقه المتشردين قصصا ملفقة غريبة الحوادث ، يحاول ما استطاع ان يجعل ابطالها من الكهنة المارقين امثاله كي يبرر بها مسلكه ومروقه . ثم يتنبه بغتة ، ويعز عليه ان يلوث ماضيه وان ينتهك حرمة الحياة الروحية التي كان قد تعلق بها . فيسرع ويلفق قصصا اخرى عن الجنة والقديسين والاولياء والكهنة المثاليين ، يسردها في حرارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغد الاعمى

غـدا يزورني
غـدا
ليت غدا لا يطلع
ليت غدا لامسه
بـلا عيون يرجع
ماذا يرى لو زارني من فتنة تشعشع
أصابعا معروقة
ونظرة تستطلع ،
ووجنة ذابلة :
وضحكة تصطنع ؟
وفقرات قد حناها من صباها الوجع ،
ومجهدا في الصدر
لا يدري لمـاذا يسرع ،
وعتمة لا شي غير الشيب فيها يلمع ؟
يحب روحي !
أي روح في طعام تشفع ؟
مواهبي ؟
وكتب الشعر ألوفا تطبع
ما قيمة الذكاء في النساء
ماذا ينفع ؟
أي الاحاديث غدا بذكرها يستمتع !
الحـب ؟
من أي فم ؟ وأي أذن تسمع ؟
الامنيـات ؟
أينها ؟ دنيا الاماني بلقع .
الذكريات ؟
أفلس التاجر اذ يسترجع .
الموت والامراض ؟
يا بئس الحديث المفجع .
كنت اذا ما زارنا سوسنة تضوع
وروضة تخضل من رش الحيا وتينع
كنت اندفاع الريح ، لا تدري لماذا تخضع
اذا تراءى ظله
فقبل ظلي أهرع .
وها أنـا اليوم
ألوذ بالدجى وافزع
تبطيء رجلاي اذ الباب به من يقرع
وتعتريني حيرة ،
فـلا أعي ما أصنع
وتسخر المرآة من وجهي ولا تشجع .
ذاكرتي فتتها الوهن
فما تستجمع
فلا حديثي شيق
ولا حواري مقنع
ورقتي خشونة
وسخرياتي تلذع .
ماذا يرى غدا اذا زار
ومـاذا يصنع
بقية من عطفه بعد غد ستنزع
سيرجع المشوق مخذولا
وقد لا يرجع .
غـدا يزورني
غـدا
ليت غدا .. لا يطلع .

بغداد — لميعة عباس عمارة

وحماسة وهو يبكي حسرة علـى نفسه وعلـى الجانب الروحي من ذاته الذي ارتمى في لجة الاثم وضاع فـي بؤرة الخمر والشهوات .

فعذاب الجسد البائس المتشرد ، وعذاب الضمير بما ارتكب من آثام ، وعذاب الروح بحنينها الى عالم مبهم من الطهر والصفاء والكمال ، هذه العذابات يحسها معظم ابطال جوركي ، ونشاركهم نحن فيها ، ونشعر انهم برغم فقرهم وجهلهم وبؤسهم مخلوقات بشرية مثلنـا ، يسري عليهم ما يمكن ان يسري فـي اية لحظة علينا . فنحبهم ، ونتألم لآلامهم ، ونشعر اننـا بالجسد والفكر والـروح اخوة لهم .

ففن جوركي هو فن التضامن البشري . هو شعور الفنان بعاطفة اخاء انسانية شاملة مقدسة، تحطم الفوارق بين الغني والفقير ، وتجمع بين الناس جميعا فـي ظـل السماحة والرحمة والمحبة والعدل .

القاهرة — ابراهيم المصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تناولت الخطاب في لهفة، وأسرعت به الى غرفتها. انكفأت على فراشها وحيدة مع الخطاب . تأملته لحظات وانتشت بمـــرآه . ظلت تتفحصه وصدرها يزغرد بالفـــرح ويشدو بالشوق والحنين . انهـــا تريد ان تنعم بلـــذة التأمل ، وتطيل مـــن سعادتها ونشوتها. فالخطاب جاءها اليوم بعد ان انتظرته طويلا . كانت تعد الايـــام والليالـــي ، وتحسب ساعات الفراق ، دون ان تكـــل او تتعب .. يحفزها الى ذلك أمـــل وصول خطاب منه .

واليوم ، وصـــل الخطاب .. فعادت الفرحـــة ، واستطارهـــا الشوق ..

فتحت الخطاب فـــي تأن وقلبها ينبض نبضات مشتـــاق خائف .. فهي فـــي دوامة مـــن الاشتياق والخوف معا ، حقا هـــي مشتاقة الى كل كلمة فـــي رسالته ، لكنها أيضا تخاف ان يكـــون مقتضب العبارة فيخيب أملها الـــذي عاشته بكل مشاعرها .

فضت الرسالة ، وراحت فـــي غيبوبة معه ، مع الذي اعطته قلبها وعمرها .

« عزيزتي آمال ...

قبل كـــل شيء ، اعتذر عـــن تأخري في الكتابة طول هذه المدة ، فالوقت لا يسعفني ، والموقف ليس بيدي أمره . وان النجوم لتشهـــد على اني اختلس لكتابة هذهالسطور الوقت المخصص لنومي ، فعـــذرا يا آمال .

عزيزتي ...

كم كان بودي لو اظل اكتب حتى يطلع فجر اليوم الجديد . لكنـــي اضطر الـــى انهـــاء الرسالة لاشرف على مهـــام فرقتي ، استعـــدادا لمعركة حاسمة سنخوضها في مطلع الصباح . واني أبث هـــذه الرسالة شوقي وحنيني ، كما أحسدها لان اناملك الرقيقـــة ســـوف تلمسها . لقد قبلت الرسالة عساها تقوم هي بتقبيل اناملك عوضا عني .

انت معي دائما ، دائما .. فـــي صحوي ونومي ، في نهاري وليلي ، في قوتي وضعفي .. وانت الروح التي تحمسني للقتال ، وتستثيرني لخوض المعارك .. وانت الحيـــاة التي اعيشها ، بكل ما تحمله هـــذه الكلمة من معان نابضة معبرة .

ترى ... ماذا أنا بالنسبة اليك؟

والى اللقاء .. او وداعا ..

المخلص : سامي احمد »

اشبعت الرسالة تقبيلا ، واعادت قراءتها مرارا .. الـــى ان فاجأتها أختها ثريا ، فعجبت مـــن أمرها ، فلم تكن تجد مبررا لاختها في مثل

هـــو . . .

بقلم حسني سيد لبيب

هذا التصرف . نظرت اليها آمـــال وقالت بصوت حاد :

ــ انه حي ... يعيش ...

وصمتت قليلا، ثم قالت لاختها:

ــ اتدرين يا ثريا ما يقوله فـــي الرسالة .. انه يقول : « ترى .. ماذا أنا بالنسبة اليـــك ؟ » .. الا يدري ؟.. انه الحياة .

أحست ثريـــا بحنـــان جارف ، وبدأت تتجاوب مـــع أحاسيسهـــا الرائعة وشاركتها فرحتها الجنونية بالخطاب :

ــ اتسمحين لي بقراءة الرسالة؟

اعطتها الرسالة ، وظلت تترقب ساهمة كانهـــا تسألها : « مـــا رأيـــك ؟! .. » . أسهمت ثريـــا قليلا بعد قراءة الرسالة ثم قالت :

ــ لكنه لم يشر الى موعد عودته؟

قالت آمال في انفعال :

ــ ماذا تريدين منه ؟.. أيرجـــع ويترك ارض المعركة ؟.. تكفينـــي منه هذه الرسالة ، التـــي طمأنتني بأنه حي ، وبأنه سيرجع الي يومـــا .. قد يرجع غدا او بعـــد غـــد .. المهم أن يوما ما سنلتقي .

خرجت ثريـــا ، وظلت آمـــال وحيدة مع رسالته تعيد قراءتها ، ثم اسرعت الى صورته التي تحتفظ بها في احد ادراج دولابها الخاص، وضعتها نصب عينيهـــا واحتضنتها في شوق . ظلت تتأمله في زيـــه العسكري المهيب ، ورأسه ترتفـــع الى أعلى في قوة وثبات حتى كادت تعتقد انه لا يقدر على كتابة مثـــل هذه الرسالـــة الرقيقة ، فملامح الصورة جامدة قوية .. لكن صورة اخرى حية ترتسم فـــي خيالهـــا وتنطبع فـــي ذاكرتها ، انها صورته حين التقت به ، وتحدثت معـــه .. كان جلو الحديث ، عـــذب الصوت .. في صوته قوة وثقة ، وفيه رقة وعذوبة . كانت تنجذب الى حديثه مشدوهة ، حتى انها تتلعثم حـــين يجيء دورها فيالحديث، فيخرجها من ورطتها بابتسامة حانية تعيـــد لوجهها ماء الحياة .

كان لقاؤهما الاول فـــي نادي الضباط . وفي هـــذا اللقاء تبادلا نظرات الاعجاب ، وبضع كلمـــات هامسة ، فوجدت فيه الرجل الذي تبحث عنه .. ضابط شاب وسيم، فيه رقة الطباع ودماثة الخلق مـــع قوة العزيمة وثبات المبدأ .. هـــذه الصفات كلها اجتمعت فيـــه وكونت منه رجلا تعجب به وتميل اليـــه . اما هو ، فد كان يختزن لها فـــي اعماقه صـــورة مضيئة لامـــرأة متفتحة واعية .

تعددت لقاءاتهما التي تجيء غالبا

من تدبيرهما واصرارهما على اللقاء .. والعجيب انهما في كل لقاء يتعجبان من الصدفة التي جعلتهما يلتقيان مرة أخرى ، والصدفة مظلومة بينهما ، وليس لها يد في حالهما .. وانما يندفعان الى اللقاء، ويتدبران امره ... وكأن دنياها تنتهي عند رجل اسمه سامي ، وكأن دنياه تنتهي عند امرأة اسمها آمال .

وتمت الخطبة بالسرعة التي تبادلا بها الاعجاب ، وبدأ الحب يغزو قلبيهما .

وتذكر آمال يوم ودعها وذهب الى الجبهة ، بكت في تلك اللحظة بكاء حادا لم تبك مثله من قبل ، وكادت تفقد وعيها أمامه لولا بعض من الشجاعة .

وذهب ... ذهب ليحارب ... ذهب وفي جيبه مصحف مذهب أعطته له أمه ليتذكرها دائما وهو بعيد عنها ، وصورة لآمال احتفظ بها كي يبثها شوقه كلما استبد به الحنين .

مصحف وصورة ... ذهبا معه الى هناك ، وتركها وحيدة مع صورته التي تحتفظ بها في درج دولابها الخاص ، تبثها هي الاخرى مواجعها كلما حنت اليه واستقرها الحنين لمرآه . ظلت آمال وحيدة مع صورته ، ومع أمل وصول خطاب منه كما وعدها .

وتمضي الايام فتحس بثقلها ، وكأن بينها وبينه عمرا طويلا يكاد يفرقهما ويخيب املهما الوضاء في حياة حلوة سعيدة .

فيا لها من فرحة ، ويا له من شوق !.. ان آمال التي اكتأب صدرها بثقل أيام الفراق ، قد تبدلت وتغيرت تماما .. في لحظة حاسمة تغير كل شيء وتبدل ، فاذا بالفرحة تعم كيانها ، واذا بالشوق يفيض نبضات حية في عروقها .. حدث هذا كله وقتما تسلمت الخطاب من موزع البريد .

داخت وسائد الفراش بالخطاب، واهتاجت له أساريرها . وفي المساء ، جلست في صمت الليل تكتب له رسالة طويلة . كتبت له كل شيء ، انتقت كل كلمة حلوة ، وعبرت عن كل معنى رقيق، وبذلت كل ما في وسعها كي تدخل البهجة الى قلبه ، وفي قرارة نفسها احساس بالزهو والخيلاء لخطيبها، ذلك الضابط الشاب الذي يشارك في صنع غد أفضل ومستقبل أزهى .

لم تكتف بكتابة الرسالة ، وانما طافت بها على افراد اسرتها وصديقاتها ، تطالعها وتسمع الآراء المختلفة فيها . حين طالعتها لامها ، تعجبت الام من هذه العاطفة الجياشة التي واتت ابنتها ، وأملت عليها هذه الرسالة النابضة بأرق العواطف ، الناطقة بأسمى الاحاسيس .. قالت لها :

— عجبا !... لم تتركي للشعراء شيئا يقولونه !! ..

وعلقت اختها على الرسالة :

— اتظنين ان الوقت يسمح له بقراءة هذا « العرض حال » الضخم ؟.

— اعتقد هذا ... لن يترك كلمة واحدة من الرسالة .

وذات ليلة ...

راته في نومها يرتدي بذلة الميدان ويمسك مدفعه بقوة وصلابة ، يحصد به الاعداء فيتساقطون اشلاء ، ويبرز هو كالعملاق ، تتفصد من جبينه حبات العرق فلا يعبأ بها ، ولا تضجره شدة الحرارة ، او وعورة المنطقة .. ثم اذا بها ترى عجوزا يبدو عليها الاجهاد .. راتها تقترب منه وتسأله :

« أمعك ماء ؟.. » .

فينظر الى الوعاء الذي معه ، فلا يجد فيه الا النذر اليسير ، فيعطيها الوعاء وهو يأسف :

« آسف يا سيدتي ، لا املك غير هذه الكمية » .

وتشرب العجوز الماء ، فتشعر براحة وتسترد أنفاسها المجهدة .. فتقول له :

« أخذت ماءك كله ... » .

« لا عليك من هذا.. فان حياتنا رواء لهذه الارض » .

نزهو آمال بصورته الماثلة ، فتناديه لكنه لا يكاد يسمع هذا النداء وكأنه صادر من بئر عميقة ، او من هوة سحيقة . أما هو ، فواقف في مكانه يرقب جحافل العدو وهي تتقدم ناحيته ، فيأمر جنوده بالتقدم ، ثم لا تلبث صورته ان تختفي وتضيع وسط زحف جنود لا تحصى لهم عددا.. ثم سرعان ما تختفي صورة الجنود أيضا خلف ستار كثيف من الدخان الذي يتبدد وتخف حدته فترى الجنود امام ناظريها اشباحا متحركة . وفجأة .. ينخلع قلبها لصوت صرخة آلمت أذنيها فجرت لاهثة تبحث عن مصدر الصرخة ، ثم اذا بها امام رجل قد سقط جريحا . انه هو .. سقط بطلا شجاعا كعهدها به دائما، سقط والمدفع في يده . جلست بجانبه وبحثت عن موضع الجرح حائرة لا تدري ماذا تفعل !..

تيقظت من نومها مذعورة ، فوجدت يدها ما زالت ممسكة بالرسالة ، فلم تتمالك نفسها ، وانخرطت في بكاء مر فسقطت قطرات من الدموع على الرسالة فضيعت معالم بعض حروفها .. وأخذت تسترجع الحلم ثانية في ألم ، واستبدت بفكرها الهواجس والوساوس ، واخذت تردد : « أيمكن ان يحدث شيء من هذا ؟!.. » . لكنها ابعدت هذه الوساوس البغيضة وتلك الهواجس التشاؤمية .

ظل القلق يلازمها منذ هذه الليلة، وباتت تترقب عودته في صبر نافد . وتغير الموقف من فرحة جنونية برسالته الى ترقب قلق

ليوم عودته . أجل .. متى يعود ؟! .. هذا السؤال لم يخطر على بالها من قبل ، بات يقلقها هذه الايام ، فلا تهنأ بنوم او يقظة ، وتبدلت حالها .. فاكتأب صدرها ، واكفهرت ملامحها ، ووجف قلبها ، وعم كيانها الحزن الصامت. لاحظت ثريا ذلك ، فقالت لها :

ـ هدئي من روعك ، ان الامر لا يستحق كل هذا الحزن .. انه سيرجع من ساحة القتال ، ويا حظك السعيد الذي سيجعلك زوجة بطل !.

لكن آمال لا ترتاح او تهدأ ، ولم تستطع الكلمات ان تطيب خاطرها وترجعها الى سابق عهدها .. مشرقة .. فرحة .. وسعيدة ..

وتأزم الموقف بتعاقب الايام دون ان يصلها خطاب منه . واصبح كل يوم يجيء خنجرا يؤلم صدرها ويثخنه بالجراح ويدميه بالآلام . فلا استطابت لها حياة ، ولا استلذ لها عيش ، ولا عرفت طعم الهناء . ذبلت آمال ، تلك الوردة التي اطرى سامي جمالها ، وحبذ عطرها .. باتت اليوم وردة ذابلة وكأنها في خريف العمر .. لا جمال ، ولا عطر ..

صدر حديثا

الملكة زنوبيا

مسرحية شعرية

من اربعة فصول

تأليف

عدنان مردم بك

منشورات عويدات ببيروت

خيب موزع البريد أملها ، واضجرتها الاحلام المزعجة في الليل ، واقلقتها الوساوس التشاؤمية في النهار .. تحولت أيامها الى جحيم ، وانطوت في غرفتها لا تخرج منها الا للضرورة ، ولم تعد تنتظر موزع البريد او تفرح لقدومه .. فلقد فقدت الامل في وصول خطاب منه ، وباءت بالفشل محاولات أختها ووالديها في تهدئة خاطرها وتطييبها بالتفاؤل والرجاء .

وفي يوم... دخلت ثريا غرفتها في فرحة ولهفة ، وفي يدها خطاب لم تتبينه آمال ، لكنها افاقت على صوت أختها الضاحك :

ـ خطاب منه ...

صرخت آمال وهي تلتفت ناحية أختها :

ـ منه ! ...

اختطفت الخطاب وفضته ، وقرات سطوره ... واذا الموقف يتغير تماما ، ويشرق محياها ، وينبض قلبها المرهف نبضات حية زاخرة بالامل المتجدد ، والحب العائد . واستوقفتها عبارته الاخيرة : « ترى ... ماذا انا بالنسبة اليك؟! ... » . وصاحت:

ـ انه يعيش ... انه حي ..

ابتسمت ثريا ، واعقبت :

ـ انه يريدك ان تحافظي على العهد وتذكريه حتى يعود ؟.. انه يقول : « ترى... ماذا انا بالنسبة اليك ؟!... » . انها نفس العبارة التي قالها في رسالته الاولى . انه يريدك ان تذكريه حتى يعود .

قالت آمال :

ـ سأظل أذكره دائما ، دائما .. انه حي ... حي ... الا تدرين قيمة الحياة ؟!.

ـ هذه اجمل ذكرى ..

وتفتحت الوردة ، وفاح عطرها فأسعدت البيت كله ، وملأته مرحا وهناء .. ولم تفقد آمال املها في عودته ، ورغم ان احلاما مزعجة تراودها من وقت لآخر .. الا انها وطدت العزم على عدم الاستجابة لها ، فان رسالته الثانية قد قطعت الشك باليقين ، وعرفت منها ان الظروف لا تتيح له ان يكتب لها.. لكنه أثلج صدرها بما في العودة من بهجة واستقرار .

عادها الشوق ، واستبد بها الحنين ...

ظلت تترقب يوم عودته . تحسب ما مضى على فراقه ، وتخمن ما تبقى من أيام على لقائه. تفاءلت ، وعمر قلبها بالشوق وفاض بالسعادة. لكن ثريا فاجأتها ذات يوم بما لم تكن تتوقعه او تعمل له حسابا، فقد دخلت غرفتها وهي تحاول ان تتجلد وتتماسك ، وقالت والدموع في عينيها والصوت يكاد ينحبس في حلقها :

ـ لن يجيء ...

صعقت آمال وهالها الموقف . نظرت الى اختها تتيقن ـ في شبه ذهول ـ من حقيقة ما قالت .. ثم صرخت :

ـ لا .. لا .. سيجيء ..

قالت ثريا في عنف :

ـ قلت لك لن يجيء ، تأكدي.. واريحي نفسك من هذه الاحلام .

وصمتت ...

أخذت تلاحظ حال أختها ، ثم قالت لها في حنان جارف :

ـ لن يجيء ... ولكن !.. هو الحياة يا أختي .

وارتمت في حضن أختها ، والدموع تفيض من عينيها .

★

بدأت آمال تفكر في ان تصنع شيئا من أجل الحياة ، لا بد ان تعمل .. لا بد أن تتفانى في عمل ما ! ..

اشتغلت آمال بالصحافة ، وصورته لا تفارق مخيلتها ابدا ..

القاهرة حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

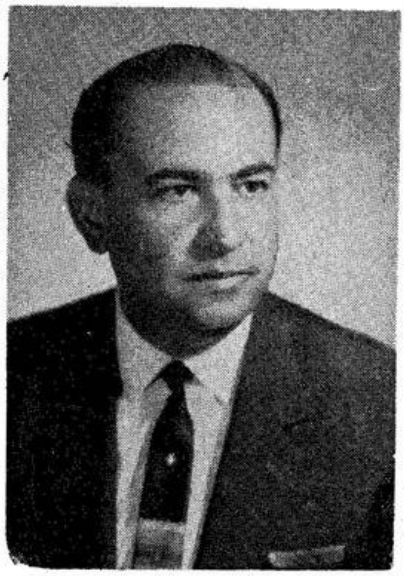
الى طفل الامس

•

فـؤاد الخشـــن

•

الشويفات ــ لبنان



لا تصدق ما يقول الناس
او ما يدعون
انهم ، فيما لتضليل ، وزور يرسمون
جبناء خادعون
ان للانسان في هذا الزمان
وجهه الثاني المخبأ
فاحمل الريبة ضوءا
وخذ القول كاشراقة فجر ،
كبدايـة
اول الخيط الذي يوصل بالحدس
الى حيث النهاية
لترى واقعهم اين ...
وما صور او حاك اللسان !

انت في شكك ، يا ابن الصحو ،
في اشقى جحيم
ترشف السهد وتشتف ثمالات الهموم
بعدما كنت بايمانك في احلى نعيم
تحسب الدنيا كدنياك ، طفولات
وصدقا ، وصفاء
يا غفيا بدد الوعي رؤاك
لا تغـال
باعتناق الشك في كل مجال
انني بالمعول الهادم ، بالحقد اراك
حافرا ما بينك الآن وبين الناس هوه
قاطعا خيط الاخوه !

ربما فجر هذا الشك
من جدبك خصبا
كاسرا قوقعة الذات ، ووهما
كان للناس ، لكل الناس حبا
جرعة تعطى من الاعراق سكبا ...
لا تجدف ... واشكر الشك الذي
حرك الاعماق والعقل الغفيا
فاتحا بالضوء باب الرفض
والحدس الغنيا
انه الاطلالة الاحلى على دنيا جديده
ويد تحفر في الاعماق اغوارا بعيده !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتجاه جديد في الرواية المعاصرة

بقلم الدكتور بديع حقي

* * *

الحرب العالمية الثانية ، تسدل ستارها الناري المضطرم ، واصداء المدافع ما زالت تحشرج ، هنا وهناك ، في انحاء العالم ، بفيضة مقيتة . وومبض قنبلة « هيروشيما » لم يخب بعد على الافق الاسيوي ، انه ما ينى يلخص في اتقاده والقه ، عبقرية العلم الفذ وعبقرية الهمجية والسخيمة والحقد . لقد تحطمت الذرة ،وتحطمت معها كثير من المثل الخلقية التي كانت تشرف الانسان وتهديه.

ها هي ذي المعتقلات ، تلفظ وجوها كالحة تشي بالمرارة والالم . ويقف الاديب في العالم كله ، بعد ان قر الاعصار وخمد ، قلقا ، تائها ، حائرا .

ولعل الاديب القصصي ، ان يكون خير شاهد ، على عصره . انه يعرف كيف يجمد الرعب ، ويستنزل الغضب ويثير الحزن ويصف الدمعة الصافية المرة ، تمجها العين المؤرقة المقروحة .

ان الاساليب المطروقة في التعبير لم تعد ترضيه وتقنعه ، فقد برم بالزفرات والآهات والعبرات التي نضحتها الرومانتيكية في مدى قرن من الزمن ، وضاق ذرعا بالتحليل النفسي الدقيق الذي بسطته الروايات الجافة الرتيبة، ومل الواقعية العقيم التي ترودشخصياتها في مضطرب الحياة ، كالاشباح الهائمة المشردة .

وقد اتسق له ان يجد في قمم الرواية العالمية ، في روايات دستويفسكي وبروست وجويس ما يرضي ذوقه الادبي المرهف ، ولكنه لم يجد فيها ما ينقع ظمأه المتصل المتقد ، ما يرضي قلقه وتمرده ، ما يلبي تشوفه لا الى الكمال ــ فقد التاثت معالم الكمال لديه ــ بل الى الجديد الذي يثير تطلعه واستغرابه .

وفي فرانسا الجريح المكلومة اثر حرب طويلة ضروس ، فرانسا المغلوبة الغالبة ، فرانسا الممزقة ، الذليلة الابية هناك حيث تنساق تيارات الفكر الانساني ، لتحتدم وتمور وتشع وتنضج ، هناك حيث تصطرع اساليب التعبير الفني والادبي ثم تلتئم وتمتزج ويرفد بعضها بعضا ، كان لا بد من ان ينبجس اسلوب بله اساليب جديدة طريفة ، تشد اليها العيون المتطلعة الظمأى .

واتت فلسفة « البير كامو » في العبث ، لتزجي الى الانسان المضيع الممزق الحائر ، غذاء سائغا ، تسكت جوعه الفكري ، بيد انها تسلمه في رحلته اللامعقولة الى النقطة التي منها بدأ . ان « سيزيف » بطل اسطورة العبث ، لم يقدم الى الانسان حلا ايجابيا مرضيا ، فيما كان ينقل على كتفه المهدودة المتعبة، صخرته الثقيلة ، من السفح الى القمة ، ليرى اليها تفلت من يديه ، وتدهدى وتتطامن الى السفح ثم يؤوب اليها ، ليحملها مرة اخرى، حتى اذا شارف بها القمة ، تملست من راحته ، وانهدت، تلاحقها نظراته الاسيفة الحسيرة .

اجل . لقد كان النور الذي أراقه « كامو » في رواياته ومسرحياته ودراساته ، ليحسر عن معنى العبث الكامن في الوجود ــ كان هذا النور باردا أسود . وبموت كامو ، وهو في أوج نضجه الفكري والادبي ، في حادث اصطدام سيارة ، تختتم فلسفة العبث معناها المؤسي المفجع .

وتتململ أساليب شتى وتتحدر من هنا وهناك ، كجداول تتفطر من نبع زاخر يتفجر ماء وبركة وحياة وكان على جدول من هذه الجداول ان يقتحم السواقي الصغيرة ويضمها اليه ، ليطرد في منسوح النظر ، جدولا تياها ، جياشا ، زاخرا .

وكذلك ترقرق جدول الرواية الحديثة الجديد في البدء حييا متواضعا ، تكاد تقتحمه العين ، وتنأى عنه الشفة اللاغبة الظمأى ، لانها تعودت ان ترتشف من ينابيع اخرى مألوفة ، ولكنه لم يلبث ان امتلأ وفاض ولفت النظر اليه واجتذب الشفاه المتمنعة ، لتجد فيه ريا وظلا رطيبا .

ان الرواية التقليدية، مهما يكن اسلوبها ، رومانتيكيا او واقعيا او رمزيا ، تتكىء على شخصيات انسانية او خيالية تلعب في مضطربها ، فتسعد وتشقى ، وتحيا وتموت ، ضمن اطار من الاشياء ، لا يحتل من الرواية ، مكانا ظاهرا ، او هو يحتل مركزا ثانويا يضفي عليها بعض الظلال الموضحة . اما الرواية الحديثة ، الجديدة ، فتقلب هذا النظام ــ انها تولي اطار الاشياء اهتمامها وجهدها وتجعله جذع عنايتها ، وتلوي نظرها عن الشخصيات الانسانية التي كانت ، من قبل ، مناط الجهد والابتكار ، لتضحي زائلة ، مفتتة ، مسحوقة ، حين توضع في قرن واحد مع الاشياء الثابتة المحيطة بها ، او لتضحي ، في الواقع ، تابعة لها لاحقة بها . ولئن امحت في الرواية الجديدة الشخصية الانسانية وغامت ، فان عين الكاتب التي تصف وتصور وتسجل هي عين انسانية . الانسان ، اذن ، جاثم متربص خلف هذه الاشياء .

لقد بدأ « دستويفسكي » في روايته « الجريمة والعقاب » فوصف غرفة المرابية العجوز التي قتلها « راسكونيكوف » وصفا معبرا دقيقا، هو ، برأي اصحاب المدرسة الجديدة في الرواية الحديثة أجدى من وصف نفسية القاتل او القتيلة ، لا عجب اذن ان تكون المقاييس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي فزعت اليها الرواية الجديدة مخالفة معاكسة لمفهوم الرواية المألوف المتعارف عليه ، وان يصف « سارتر » الرواية الجديدة بانها ضد الرواية .

ويزعم اتباع هذا الاتجاه ، ان وصف الاشياء الجامدة الملموسة المرئية المحيطة بالانسان ، اثبت وادعى الى استجلاء حقيقة الانسان من الاجتزاء بتحليل نفسيته ووصف اخلاقه وتصوير بدواته وتعلاته .

وكما تعتمد الرواية التقليدية على الموضوع المنسق المرتب ، وترتكز على حبكة ظاهرة او خفية ، فان الرواية الجديدة تجفو الموضوع وتأباه ولذا اضطرت اليه فانه يتراءى موضوعا بسيطا تافها . وتنكر الحبكة الروائية وتحتويها ، لانها ترفض كل ما تواضعت عليه الاذواق واساغته والفته .

لهذا كله بعدت آثار الرواية الحديثة عن متعة التسلية ونأت عن التوجيه والالتزام وعجزت عن اجتذاب جمهور كبير من المتذوقين ، وظلت دائرة قرائها مقصورة على قلة من طلاب الغرابة .

ولنا ان نتساءل عن رواد هذا الاتجاه — ولا اقول هذه المدرسة ، فان اتباع الرواية الجديدة يأبون التزام كل ما هو بسبيل الى المقاييس الموضوعة والنهج المطروق المألوف ويسبغون على آثارهم الروائية سمة الاتجاه المنقب الباحث — لقد كانت الروائية « ناتالي ساروت » ، في الواقع أول من مهد الطريق الى الرواية الجديدة ، فقد كانت روايتها « تروبيسميس » الغمغمة الاولى لهذا الاتجاه ولكن روايتها هذه لم تلفت اليها النظر وضاعت في لجة المحاولات الروائية ، ولكن ملامح هذا الاتجاه بدأت تتضح في روايتها « لوحة مجهول » التي استهلت بمقدمة لسارتر بشر فيها بمولد الرواية الجديدة .

واسلوب « ساروت » يعتمد على ترادف الصور والحركات ، دون ان يكون بينها انسجام وترابط . الشخصية الانسانية فيها غائمة شاحبة ، فلا تعرف اسما واضحا لبطل الرواية ولا وصفا محددا لملامحه وقسماته ، اما الموضوع فان على القارىء الطلعة ان يبحث عنه ، كما يبحث الكيماوي عن عنصر خفي ، ضمن كتلة من العناصر الممتزجة المختلطة وان يستله ويتذوقه ويتملاه . على هذا القارىء الذكي الفطن قصرت متعة البحث والاستقراء والتحليل بعد ان بسطت له الروائية المواد الاولية من الصور والاشياء والحركات والاصوات .

بيد ان اتجاه الرواية الجديدة لم يستمسك الا في روايات « آلان روب غرييه » فقد وجدت فيه المهندس البارع الصناع الذي أرسى دعائمها ، وحدد معالمها واصولها .

في روايات « روب غرييه » يتراءى المؤلف كما لو كان يحمل آلة فوتوغرافية يصور الاشياء من زوايا مختلفة، ويريق اليها شعاعا من هنا وشعاعا من هناك ، لتنعكس منها ظلال الاناسي الذين يمرون في مسرح الرواية مرورا عابرا ، وقد يحلو له ان يضع صورة فوق صورة فتلتاث الشخوص والمعالم وتبهم ويضيع القارىء في متاهة سرداب لا يعرف كيف يخرج منه ولعله يفضي ، في النهاية ، الى مدخل السرداب الذي نفذ منه وضرب في حناياه فكأنه لم يصل الى شيء .

ومن رواد الرواية الجديدة « ميشيل بوتور » و « كلود سيمون » ، ولعل « سيمون » أعمقهم واكثرهم تفننا ، بيد ان القارىء يجد في متابعة قراءته عنتا وصعوبة وسأما . وينبغي له ، ان شاء مرافقته في رحلة قصصه المضنية ، ان يتحلى بالاناة والصبر . ولعل مرد ذلك يعود الى طول جمله والتوائها وكثرة الاقواس الصغيرة والكبيرة التي تعترضها . ولكن جملته التي تطوي احيانا خمس عشرة صفحة او تزيد تحمل في منعرجاتها أدق التفاصيل . فكأن الكاتب يحمل مجهرا حساسا يجلو به دقائق الاشياء في اسهاب مفصل يدعو الى الاملال ، ولكنه ينفض في طياته الاشياء كما لو كانت مصورة من باطنها الدفين . ان العين المجردة لا تستطيع ان تلاحظ نمو العشب البطيء ولكن جملة « كلود سيمون » تتصدى لهذه المهمة لاستجلاء أي لون ، أي شكل ، اي احساس ، في أصغر حركة او اهتزاز او رعشة تنساب فيها . وليس من شك ان هذا الاسلوب في الاستقصاء يتحدر من اسلوب « بروست » و « جويس » في الكلف بالوصف المسهب الدقيق . ان في ميسور « سيمون » ان يصور في صفحات عديدة نقطة ماء تقع من صنبور ماء ، فتتجمع وتتكور كثمرة الاجاص ، ثم تنسلخ من فوهة الصنبور ، وتقع ، حاملة معها انعكاسات ضوئية شفافة ناعمة .

ولقد يزعم الكثيرون ان في هذا الوصف المفصل غلوا ومضيعة لوقت الكاتب والقارىء معا ، ولكن هؤلاء الكتاب يجدون في هذا الاستطراد والتقصي فتحا جديدا في عالم الرواية .

ترى أيكتب لهذا الاتجاه الروائي الاستمرار والبقاء؟ ام انه زي زائل ، لا يلبث ان ينطفىء في جملة الازياء الفرنسية الكتابية التي تخلق وتنعم أمدا ما ، باعجاب الجمهور ثم تشحب وتختفي ليحل محلها اتجاه آخر ؟

ليس من شك ان هذا الاتجاه قد خلق رعشة جديدة في كيان الرواية المعاصرة ، ومن يدري لعل هذا الاتجاه يظفر — كما يقول الناقد برنار بينغو — بجمهور أكبر واوسع واكثر تطلعا ، وظمأ الى هذا الينبوع الغريب من الجمهور الادبي الضيق الذي أساغ هذا اللون العجيب الجديد واحبه ولم يؤثر عليه شيئا سواه .

الجزائر **بديع حقي**

شكسبير والفن المسرحي

بقلم نجيب يوسف داود

* * *



مضت ثلاثة قرون ونصف منذ نهاية العصر الشكسبيري في الادب الانجليزي ، وكتب النقد المسرحي لمؤلفاته العديدة ما زالت في تضخم وازدياد بحثا فـي طرائقه الفنية وتفسيرا للابطال الذين خلقهم فملأ بهم مخيلات العالم الادبي .

وقد مر النقد الشكسبيري بأطوار عدة منذ موت شكسبير عام ١٦١٦ ، أهمها طوران . اولهما كان نحو نهاية القرن الثامن عشر اذ شرعت طليعة الحركة الرومانطيقية في انجلترا ، لا سيما كولريدج وهازليت وتشارلس لامب ، بدراسة مسرحياته ليس كروايات عاجة بالحوادث المجردة كغيرها من الروايات التي يستغرق تمثيلها ساعتين او ثلاث ساعات على المسرح ، بل كتعابير عميقة عن شخصيات لرجال ونساء نعرفهم تمام المعرفة ، حتى لاننا نعرف انفسنا فيهم . فمساهمة هذا الطور اذن هو اكتشاف العامل التحليلي السيكولوجي في هذه المسرحيات وربطه بوقائع الحياة وتجاربها . الا ان هذه الحركة اتخذت اتجاها معينا به بعض العيب ، استغرق استئصاله قرنا كاملا او ما يزيد . فلم يكن شكسبير بالنسبة الى هذه الحركة كاتبا مسرحيا بالمعنى المعروف لدى معاصريه ولديه هو ، بل شاعرا كغيره من الشعراء الذين يؤلفون دواوينهم للطباعة والنشر . ليس كخبير بالمسرح العملي بكل عرفياته ودقائقه ومفاهيمه ، هذا المسرح الممتلىء بشخصية الممثل وحركاته وصوته ، بل كأديب نشر رواياته للمطالعة ، لا للتمثيل والمشاهدة . فكان من نتائج هذه الحركة اذن ، ابعاد الشعر الشكسبيري عن التربة التي ولد وترعرع فيها ، الا وهي المسرح .

هذا هو الطور الاول اذن . فيه هذه المساهمة الفعالة العميقة في تفهم شكسبير كشاعر ، وفيه هذا العيب الذي يفصل الشاعر عن الفنان المسرحي . ولم تكن هذه الحركة بذاتها هي المسؤولة عن هذا العيب ، اذ هو ليس الا نتيجة لتدهور المسرح الانجليزي واسفافه خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فقد وجد النقاد والادباء انفسهم في ظروف مسرحية لا تليق بقيمة هذا الكنز الفني الفريد ، فلم يكن منهم الا الاستخفاف بأية امكانية توفق بين شُاعرهم والمسرح الذي عاصروه .

اما الطور الثاني فقد جاء بنشوء النهضة المسرحية الحديثة في انجلترا واوروبا بصفة عامة في بداية القرن العشرين اذ بعث المسرح الى منزلته الرفيعة بين الفنون ، الامر الذي كان له اثر محسوس في اعادة النظر في مسرحيات شكسبير ومراجعتها على ضوء جديد . فاذا بالنقاد والمخرجين يصرون على درسها في محيطها المسرحي الطبيعي وحده . ولا ريب في ان شكسبير قد اكتسب نتيجة ذلك شهرة وانتشارا وتقديرا لا عهد للناس به من قبل .

لقد كان المسرح في نظر شكسبير مختبرا يبحث فيه ، وكانت مواد هذا المختبر موادا انسانية مستمدة من صميم الحياة ذاتها . وكانت طريقة بحثه هذه تقتصر على تناول قصة بسيطة معروفة ووضع قيمتها وصدقها الواقعيين على بساط التعبير الشخصي . وقد يطرأ على القصة نتيجة ذلك تحوير او تغيير ، لا سيما اذا لم يكن لها قسط واف من القيمة الواقعية . على ان شكسبير لم يكن من الذين يحرصون على رواية القصص رواية دقيقة ، سوى لدى اضطراره الى ذلك اضطرارا، وذلك في مسرحياته التي تستمد موضوعاتها وحوادثها من التاريخ الانجليزي . فكثيرا ما نجده يحذف بعض تفاصيل القصة التي نقلها حبا للتناظر والاتزان ونجده احيانا يعبث بالقصة فيتركها مهملة او معلقة او منهية دونما اية عناية وافية . ثم اننا قد نجد نهايتها مرتبطة بأذيال بطلها الاول ، كما هو الامر في رواية « هاملت » مثلا . اذ يموت هاملت وبموته تصل القصة نهايتها . فهو يفدق رعايته واهتمامه ليس على ما يفعله ابطاله ، بل على نفسياتهم وشخصياتهم . وما الافعال في المسرحية الا طريقة للتعبير عن نفسية البطل وشخصيته ، فنرى شكسبير يهتم بأفعالهم اهتماما ينحصر في كونها وسيلة حيوية لا بد منها لخلق ابطاله وايداعهم حقل الحياة . فما يفعله البطل في المسرح الشكسبيري اذن هو ليس الغاية وانما الواسطة . ونجد ذلك من خصائص مسرحياته كلها تقريبا ، حتى التي انتجها في عنفوان شبابه. وعندما يقبل وهو في عز نضوجه الفكري على تراجيدية « لير » وموضوعها الجبار ، و « انطوني وكليوباطرة » بما فيها من رؤيا تاريخية فسيحة ، فتصبح ابياته فائضة متفجرة بالمعنى ، نجده حتى في هذه المسرحيات لا يهمه سوى ما يوحي بالعاطفة ويزخر بالاشفاق . فهو فعلا لا يرى فائدة في النظريات والافكار المجردة ، وليس هو بالفيلسوف او المبشر (الا بالطبع عندما يتحتم ذلك بحكم الشخصية التي يخلقها عند اقتضاء الامر) . فهو كاتب مسرحي ، يعبر عن الشخصية عن سبيل الافعال التي تفعلها وتتأثر بها . وفي هذه الحدود فقط تنحصر مسؤوليته ، اذ تبتدىء منها وتنتهي اليها .

أطل شكسبير على الدنيا مشفقا حدبا ، كقول الجواهري في المعري . فالتزم الحياد ازاء ابطاله ومشاكلهم وافراحهم ومآسيهم . ففي طول مسرحياته وعرضها لا نجد اثرا شخصيا او طابعا يدل دلالة قاطعة على رأي كاتبها الخاص . وقد احتار المعلقون والشراح والنقاد في موقف شاعرهم من عصره باحواله السياسية والاجتماعية والفكرية. ولعمري ان الشاعر الحق مرآة لعصره . وقد انعكس عصر شكسبير بوجوهه كافة في مؤلفاته ، الا ان شخصيته العالية سمت عن الصغائر الفردية وكأنها اتحدت بالفكر الانساني العاطفي ذاته وانصهرت فيه .

* * *

طال بي الحديث عن شكسبير الكاتب المسرحي ، وفي رأيي ان الوصف النظري لا يجدي نفعا ما لم يقترن بأدلة تصويرية وافية . وخير طريقة لمعالجة هذا الموضوع الجبار قد تتيسر بتناول احدى مسرحياته المعروفة وطرحها على بساطة البحث والتحليل .

ولنتناول مسرحية « هاملت امير الدنمارك » مثلا ، وان لم تكن هذه تعتبر خيرا من « اوثيلو » او « مكبيث » او « الملك لير » . فهي انموذج واف لطرائقه الفنية ، ولكيفية تعريفه ابطاله وبطلاته علينا نحن القراء والمستمعين .

هذه مسرحية كتبت فيها المجلدات وفسرها المفسرون كل حسب مشيئته ، فتركوا قراءهم في ظلال ، وجعلوا من مسرحيتهم هذه قطعة شعرية غامضة ، او دراسة نفسية يستعصي سبر غورها .

ولكن الواقع خلاف ذلك . ولنأخذ شكسبير وحده ونترك شراحه جانبا ، فنحن واثقون من شيء واحد ، وهو ان هذه القطعة كتبت كمسرحية لغرض تمثيلها على المسرح امام جمهور من الناس الاعتياديين . وخير طريقة لتفهم هاملت هي ولا شك رؤيتها على المسرح . وان لم يتيسر ذلك فلا بأس في قراءتها بانفسنا مستسلمين لها . وتدل الدلائل كلها على ان هاملت كانت منذ عرضها لاول مرة رواية رائجة الانتشار لاقت اقبال الجمهور واعجابهم . فهي اذن ليست بلغز او مشكلة ، وحتى اليوم ما زالت هذه المسرحية اكثر مسرحيات شكسبير رواجا وتمثيلا على المسرح ، اما دور هاملت نفسه فمعروف بملاءمته الممتازة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقابليات الممثل الطموح فهو دور غني بالخطب المنفردة . والمقصود بهذا التعبير الاقوال التي يوجهها الممثل الى المستمعين وقد انفرد وحده على المسرح او بعيدا عن باقي الممثلين بحيث يكون على غير مسمع منهم . والواضح أن هذا النوع من الخطاب المسرحي قد اختفى من المسرح الحديث ، الا انه كان في العصر الشكسبيري من أهم الطرائق العرفية التي يستخدمها الكاتب في ايضاح خطته الروائية وتفسير أفعال ابطاله وخواطرهم واثر الواحد منهم على الاخر . وان طريقة الخطاب المنفرد هذه لهي من أمتن الروابط التي تقرب المستمعين الى الممثل . فعندما يخطو الممثل الى الامام متصدرا المسرح ويوجه خطابه الى الناس وليس الى سائر افراد فرقته ، يشعر المستمعون كأن معرفتهم بالبطل قد تعززت ، فها هو ذا يسر اليهم بما يدور في خاطره من خفي الافكار والشكوك والمخاوف والآمال . ومن اشهر الاحاديث المنفردة التي كتبها شكسبير هو حديث هاملت في الانتحار وهو يلقيه كأنه يفكر بصوت عال .

قلت ان دور هاملت غني بهذا النوع من الخطاب الذي يمنح الممثل فرصة فريدة لابداء مواهبه الصوتية والخطابية للناس . وقد اكسبت الايام هذا الدور هالة تقليدية على المسرح الانجليزي ، فما من ممثل معروف الا ولعب هذا الدور يوما من ايام حياته ، وقد اشتهر الكثير من الممثلين الانجليز بهذا الدور ، بينهم جاريك وكين وارفينخ وغيرهم في الماضي ، واوليفييه وجلجي في الحاضر . وقد اخرج اوليفييه شريطه السينمائي المعروف ولعب فيه دور هاملت . وفي رأيي ان هذا الفيلم قدم خدمة عظيمة للذين يحبون الاطلاع على المسرح الشكسبيري وهم بعيدون آلاف الاميال عن انجلترا وفرقها التمثيلية المعروفة .

* * *

ولنر الآن ما يجري في مسرحية هاملت . فلنمد المشهد ونستعرض شخصيات الرواية الرئيسية وحوادثها ، ثم نتطرق الى فلسفتها وقيمتها الفنية .

ها هم هناك على المسرح . رجال ونساء لا نعرف شيئا عن مشاعرهم او مشاغلهم حتى هذه اللحظة . وما علينا الا الاصغاء لندرك ما يدور في خلدهم من خواطر واحاسيس ، حتى اللحظة التي يسدل فيها الستار عليهم بعد ان لعب القدر بهم ما شاء .

مشهدنا سطح القلعة الملكية بمدينة السينور بالدنمارك ، وقد دقت ساعة القلعة توا منتصف الليل . سكون رهيب ، وبرد قارص . ونجوم فضية تتلألأ في السماء . وتحت هذه النجوم ، على سطح القلعة ، أقام حارس وحيد . تمر دقيقة فيدخل رجل عليه ويفاجئه صارخا « من هناك ؟ » ونشعر وكأن اصطداما بينهما لا بد منه ، ولكننا نعود الى هدوئنا ، كما يعود صاحبنا الحارس الاول الى هدوئه حينما نعرف ان هذا الغريب هو الحارس الثاني الذي سيلتزم الحراسة وقد أتم الاول دورته .

الثاني ـ لقد دقت الثانية عشرة .. هلم الى فراشك ...

فيتأهب الحارس الاول للانصراف ، هامسا : البرد شديد قارص، وقلبي يحزه الالم . فيتساءل الثاني بعد تردد : أكانت دورتك هادئة ؟

الاول ـ ما من فار يتململ ..

الثاني (بعد برهة وقد فرغ صبره) : اذا التقيت بهوراتيو ومارسيلس ، قل لهما ان يسرعا .

وهكذا ، في ١٥ من الابيات المتقطعة اصبحنا ندري بالمكان ، والبرد اللاذع ، وحلكة الليل ، وبهذا الجو الذي يسوده شيء من الترقب الرهيب .

فاننا قائمون حرسا ـ ثم اننا نحس وكأن الرجلين يعرفان بأمر ، اذ يسأل الثاني : « أكانت دورتك هادئة ؟ » فيرد صاحبه : « ما من فار يتململ » . ليت شعري بماذا يعرفان . وفي اي امر يرتابان . ترى ، لم نجد الثاني قلقا مضطربا حول مجيء هوراتيو ومارسلس ؟ لا ريب في اننا سنعرف بعد لحظة كما سندرك ان فاتحة الرواية قد جاء بها كاتبنا على اكمل وجه . فها نحن كلنا أذن وعين . ترى ما الذي يجعل هذين الرجلين وهما من رجال الحرب ، يتحدثان همسا وقد انقبضت انفاسهما ؟

ويدخل هوراتيو ومارسلس ، ويتركهما الحارس الاول في صحبة رفيقه . وبعد تبادل التحية نسمع مارسلس يقول : « أترى ثانية هذا ـ الشيء ـ الليلة ؟ »

الحارس ـ لم أر شيئا .

مارسلس ـ يقول هوراتيو ان هذا ان هو الا خيالنا ، ولا يصدق بهذه الرؤيا المخيفة التي رأيناها مرتين ، ولذا فهوذا معنا كيما يترقب دقائق الليل ويخاطب الشبح عند مجيئه .

ثم نسمع هوراتيو يقهقه ، واثقا مستهزئا .

وهنا لا يسعنا الا التطلع الى هوراتيو هذا ، والركون اليه . هذا الرجل الرزين الشكاك . فنحن فطرة نثق بمن يأبى الايمان بأمر نخشى عاقبته . امر اوحى به من الابيات ما يزيد على الثلاثين ..

ثم يقص الحارس على هوراتيو حكاية ما رأى بصحبة مارسلس في ليلتين متواليتين ، ولا يكاد يدخل باطن حديثه حتى يظهر الشبح فيرتعد أصحابنا ذعرا . فها هو ذا الشبح الذي كانوا يتهامسون عنه يتخطى سطح القلعة متثاقلا ، طويل القامة ، شاحبا ، جليلا . في عينيه ولحيته الفضية ودرعه بريق جامد . ويهمس الحارس : « هاهوذا في هيئة الملك الراحل بالذات » .

ويتوسل الرجلان الى هوراتيو ان يخاطب الروح ، فيساهم تعلقهما بهوراتيو وركونهما اليه في ازدياد اعتبارنا له عندما ينادي هذا الزائر المخيف . فان هذا الرجل الشكاك لهو شجاع جرىء ايضا . ولكن الشبح يصد وينصرف عنه دون ان يستجيب نداءه .

ولن احاول بعد الآن ذكر تفاصيل كهذه . وحسبي ان اشير الى اللغة الشعرية البليغة التي ينطلق بها شكسبير في أبيات هذا المشهد، كما هو الامر في اكثر كتاباته ، فهي معجزة من معجزات النظم يستحيل على المترجم نقلها الى اية لغة اخرى او حتى الى النثر الانجليزي . وقد اصبح اكثر هذه الابيات مثلا على السنة الانجليز ، فهي ذهب خالص لا تشوبه شائبة .

وفي المشهد الثاني نقبل على عملية فنية رائعة . اذ بعد المفاجأة التي يفتتح بها شكسبير مسرحيته ، يقوم في المشهد الثاني بتفسير هذه المفاجأة على وجه طبيعي هادىء، ويجمع على المسرح كبار شخصيات الرواية ، وهم حضور لدى الملك في ديوانه بالقلعة . اما هؤلاء فهم الملك ، والملكة والدة هاملت ، وهاملت نفسه ، وبرلونوس وابنه .

ويعرفنا الملك على الوضع ببلاطه في خطاب يلقيه على المجلس ، مفاده ان اخاه الملك قد مات (دون ان يذكر كيف) وان ذكراه ما زالت حديثة خضراء ، الا انه لا نفع في الحزن المفرط على امر محتوم . ثم يقول انه هو قد تزوج من أرملة اخيه. ثم ننتقل بأبصارنا الى هاملت.. شاب له ما يقارب الثلاثين من العمر ، وهو يبدو منقبضا كئيبا . فهو ليس يفكر بنفسه ، ولا بلقب وعرش ، انما هو منشغل بأمر اكثر وجدانا وجوهرا ـ الا وهو هذه السرعة الفاشمة التي تزوجت بها امه من عمه . فهو يحب امه ، ولكنه كان يعبد أباه . وهذه امه قد نسيت وأصبحت متعة لهذا الرجل . يا لها من لعنة ، هذه الشهوة في النساء . وهذه الامراة هي أمه . ان هاملت يقدس ذكرى ابيه ، ووسط الافراح والاحتفالات ، يلبس الحداد في بلاط يكرهه . وبعد ان ينصرف الحضور يختلي هاملت بنفسه ويبوح لنا بما في صدره من الم .

ولا بد من الاشارة هنا الى عدم ارتياب هاملت حتى هذه المرحلة في سبب موت ابيه . ولكن مقته لما جرى بين امه وعمه يوحيان اليه

بما يبعث على الحيرة والقلق . وفي هـذه اللحظة الفاصلة يدخل (هوراتيو) صديق هاملت الحميم ليروي عليه ما جرى بسطح القلعة ، وينبئه بأمر هذا الروح الرائد ، روح ابيه . فيحتار هاملت ويضطرب، ويدرك موقنا ان ثمة ما يريب .

وفي المشهد الثالث نتعرف على (اوفيليا) ، حبيبة هاملت وابنة بولونيوس مستشار الملك . نجدها تودع اخاها الانيق ، وهـو متاهب للسفر الى فرنسا . وما نلبث حتى نسمعه يمطرها بعدد من النصائح والوصايا . ولا يلبث هو حتى يقبل عليه ابـوه ويمطـره ، بدوره ، بمجموعة جديدة من النصائح . ولا ريب في ان هذا الطابع يمتاز به ذكور هذه الاسرة . فالاب ، مستشار الملك ، يتفوه بما يملأ الصحائف من النصح السديد ، من جهة ، والهراء من جهة اخرى . وبين الاب وابنه تقف (اوفيليا) في وحدتها العذرية ، يتيمة صامتة حائـرة . وليس هناك من امرأة واحدة ترعاها او تحنو عليها .

ولا بأس ان نلحظ هنا ان شاعرنا وضع هذا المشهد في محله . فهو مهزلة مستترة ، وقد كان الجو متأزما ، ولا بد من فترة ترخي من هذا التأزم بعض الشيء .

وفي المشهدين الرابع والخامس ، نرى هاملت ينتظر عودة الروح على سطح القلعة ، فيعرف كلاهما الآخر ، ويبوح لـه الـروح بالسر الهائل . فقد اغتال عم هاملت اخاه الملـك الشرعي واغتصب عرشه وزوجته ، ومات الملك بالسم في حديقة بلاطه .

ويدعو الروح هاملت الى الانتقام ، فيصغى لهـذا النبأ ويقسم لروح ابيه معاهدا اياه بانجاز المهمة .

هذه مشاهد خمسة يضمها الفصل الاول من الرواية ، اما مـا يحدث في الفصول الاربعة الباقية فموجزها ما يلي :

يتظاهر هاملت بالجنون لكي يحقق بغيته ، ولا يدري بواقع الامر سوى (هوراتيو) صديقه الامين الذي يلازمه طيلـة معظم احداث الرواية .

كان هاملت يحب (اوفيليا) ويهبها الهدايا . ولكن سرعان ما نجد اباها يوبخها لذلك ويأمرها بالصدود ، ولا سبيل لها الا الطاعة . امـا هاملت فان فعلة امه بعد موت ابيه قد ملأته خيبة واشمئزازا ، وذهب ايمانه ايضا بأوفيليا المسكينة ، لا سيما وان مهمة الانتقام قـد تملكته وملأت جوارحه ، فابتعدت الشقة بينه وبين (اوفيليا) .

اما هاملت فيضع خطة يوقن بواسطتها من جريمة عمه ، تتلخص في تمثيل مشهد روائي قصير يقتل فيه أخ اخاه فـي حديقة داره ، فيستولي الاضطراب والهياج على عم هاملت ، فيوقن هاملت وصديقه بصدق رسالة الروح . فاذن لم يبق على هاملت إلا قتل الملك وانهـاء الازمة . وفي الليلة ذاتها تدعوه امه الى مخدعها لتعاتبه على مـا آثار في البلاط من هياج وجزع.. ويحتجب بولونيوس وراء الستار ليستمع الى حديثهما ، فيشعر هاملت بحضوره ويظنه الملك نفسه ، فيطعنـه بسيفه ويرديه قتيلا . وتشتد مخاوف الملك فيبعد هاملت خارج البـلاد تخلصا مـن شره .

اما اوفيليا فيصيبها الجنون بعد مقتل ابيها وتلقى حتفها غرقـا في غدير . وسرعان ما يعود هاملت الى الدنمارك ليشهد دفنها ويجابه غضب اخيها .

اما الملك فيتآمر على حياة هاملت مع ابن (بولونيوس) ، وذلك بطعنه بسيف ملوث بالسم ، وهنا .. بعد لأي .. وبعـد شهور مـن التفكير ، والتريث ، والتردد القاهر ، يهجم هاملت على الملك الغاصب فيرديه قتيلا . ويموت هو بعد أن تموت الملكة بالسم وابن (بولونيوس) بحد السيف الذي اعده لخصمه .

هذه حوادث الرواية الرئيسية .. لا بد من ذكرها على هذا الوجه العاري كيما يتيح لنا تحليلها والنظر في قيمتها الجوهرية ، لا سيما في شخصية هاملت ، هذه الشخصية التي تدور عليها فلسفة المسرحية وترتكز .

* * *

تثير مسرحية هاملت مشاكل كثيرة لمن يقرأها او يشهدها . فهي ليست عبارة عن مجموعة من الحوادث الروائية كغيرها من المسرحيات التي انتجها معاصرو شكسبير ومازال ينتجها اكثر كتاب عصرنا الحاضر، انما هي دراسة نفسية عميقة لرجال ونساء ، لا سيما لنفسية بطلهـا هاملت .

وقد شغف النقاد من كل جيل وعصر بتحليل هـذه الشخصية ، كل على ضوء جديد ، مؤيدين اطروحاتهم بنصوص وافية من المسرحية ذاتها . حتى ان المرء ليحتار في تقولاتهم . فكانوا مثلا يتناولون مسألة تظاهر هاملت بالجنون ويدعون ان هاملت بعد اكتشافه سر موت أبيـه يصيبه مس من الجنون فعلا ، فيذهبون الى تعزيز ادعائهم بالاشارة الى سلوكه ازاء اوفيليا التي كان يحبها ، والـى نفوره منهـا وخشونة معاملته لها .

على ان دراسة هذه الرواية على ضوء تاريخي حكيم تفند هـذه الادعاءات . وبرهان واحد في غاية البساطة يكفي لذلك ، الا وهو ان موقف عصر شكسبير من المصابين بالجنون كان فـي منتهى القسوة والخشونة . حتى انهم كانوا يؤمنون بأن أجسام المجانين مـا هي الا ملاذ للابالسة . فان ظهور مجنون على المسرح لا يمكن ان يثيـر فـي مستمعين هذه عقيدتهم اي اشفاق او رحمة ، كما كان شكسبير ينوي في كتابة هذه المسرحية ، بل ان ذلك لا يثير فيهم الا ضحكا ومتعة .

اما التفسير المنطقي لهذه الظاهرة في هاملت فيتلخص فيما يلي :

كانت الصدمة التي نزلت به قاسية عنيفة ، ومـن الطبيعي ان رجلا له حساسية بطلنا ورقته ونبله العاطفي يتأثر من جرائها تأثـرا كبيرا . والملكة والدته تفهم ذلك فهما غريزيا . فبينما يصر بولونيوس مستشار الملك على جنون هاملت ، تبدي الملكة ريبها في ذلك قائلة ان موت ابيه وسرعة زواجها من عمه هما سر هذا الانقلاب .

ولا شك في أن هاملت لم يكن في حالة اعتيادية فكريا وعصبيا ، اذ أن اشمئزازه من فعلة امه قد تملك جوارحه كافة ، فاصبح امـر الشهوة الجنسية وفسادها في المرأة يعذبه . وهذه الحساسية لا بـد من أخذها بعين الاعتبار اذا اردنا تفسير الانقلاب الذي طرأ على علاقته بأوفيليا . فهو ما زال يحبها ، ولكنه يرى فيها رمزا لجنسها فـلا يطيقها . الا ان هذا الكبت لعاطفته لا يلبث ان يزول عندما يرى الناس فجأة وقد قدم توا من منفاه يودعون جثة اوفيليا مرقدها الاخير . اذ يصيح في القوم وقد خرج من مخبئه بين القبور ـ اني أحب اوفيليا .

وكذلك شغف الناقد بموضوع ثان تثيره الرواية ، وهو : لماذا لم يقتل هاملت عمه بعد ان اكتشف اثمـه مباشرة ؟ كيف تفسر تردده الطويل وارجاءه القيام بمهمته يوما بعد يوم والشهور متعاقبة ؟ اهـو جبان ؟

ونجيب على هذه الاسئلة فنقول : ان هاملت رقيـق الخلق ، قويم السجايا ، ذو ضمير حي وفكر متقد . امـا الادلة الايجابيـة المتوفرة لديه فهي تقتصر على كلمة الروح . وليس من المعتاد الفتـك بالناس ولا دليل الا وحي الارواح .

ان لهاملت مسؤولية عميقة ازاء ضميره ـ وهذا ممـا يحول دون انزاله الضربة في الحال . ولهذا السبب بالذات يضع خطة المشهـد التمثيلي حيث يقتل أخ اخاه في حديقة داره ، كي يصطاد بذلك ضمير الملك ويعزز ادلته . وهناك عائق آخر . وهو انشغال هاملت بالحيـاة النظرية الفكرية وابتعاده عن منطق الواقع وفظاظته . فهـو فيلسوف متمرد على عصره بعرفياته وتقاليده البالية ، له وعي نقدي لكل خاطرة تخطر وفكرة تمر . ولذا نجد هاملت يفكر بالانتحار للخلاص مـن قيود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقاء بلا موعد

الام يعربـــد فـــي مقلتيـك ... نـداء ، ويعصف فيّ نـداء
وتعبث بـــي سانحات الاماني ... وأغضي ، فدوني صدى كبرياء
والقاك .. ترعش مني الجفون ... ويذوي بصمتي جمـال العطاء
وأهفو اليـك بلهفـي الحبيس ... فيقهرني عارض مـــن حيـاء

لعلك تذكر .. قـــد تذكر !! ... وقوفي لديـك كرجف الضياء
فتسألني هـــل ترانا التقينا ؟ ... لقد مـر عـام بـذاك اللقـاء
وجئت اليـــك بـــلا موعـد ... اجدد في الصبح حلـم المساء
وقفت ببابـك يـــا ملهمـــي ... فأغدقت مـــن مقلتيك الرجاء
لئن كان حقـا ، فنعمى أطلت ... وان كان وهما ، ففيـه العزاء

دمشق — سلافة العامري

هذه الحياة التي لم يعد يطيقها . فان مهمة تعسة ألقيت على عاتقه ، ولا سبيل الى الخلاص منها .

ولا ريب في ان شكسبير قد أغدق كثيراً من افكاره الآنية وآلامه الشخصية في نفسية بطله هذه حتى لقد قال أحـد النقاد الانجليز بحق ـ نحس كأن هاملت هو أقرب الشخصيات التي خلقها شكسبير شبها لشخصية شكسبير نفسه ، وان كنا لا نعلم شيئا عنه .

ان الهدف الاول لكاتب التراجيديا كما عرفه ارسطوطاليس هو ان يكون بطله مقبولا كرجل من ابناء البشر مهما ارتفع مقامه وعلت سلطته، له ما لنا من مشاعر وعواطف كيما نصل نفسيته وندرك مـــا فيها . ونترقب ما يجري له بكل شوق ، ونحس وكأننا نحن في موضعه .

وكان شكسبير قد جعل من بطله ملتقى لارواح مستمعيه وقرائه ، فهم ما انفكوا يرون نفسيتهم فـي نفسيته ، فكأنـه عصارة البشر أجمعين . حتى لقد قال وليم هازلت : ان حقيقة هاملت هـي فـي اذهاننا .

على ان قراء المسرحية ينسون احيانا ان شكسبير قـد اقتبس خطتها الرئيسية واسمها من مصدر آخر . وقـد كانت تمثل رواية اخرى معروفة بهذا الاسم قبل ان يكتب شكسبير قطعتـه . والمعجزة الفذة هي ان شكسبير يأخذ مجموعة مـن الحوادث توحي اليـه بمسرحيته فيغدق عليها من فنه وشعره السامي مـا يغيرها تغييرا جوهريا . والفرق بين مصدره وروايته هو القيمة الواقعية الجديدة والصدق الشعري والمغزى الانساني النبيل .

وكثيرا ما ننسى ان مسرح شكسبير كان عاريا عن المناظر المصورة الزائفة التي يستعين بها المسرح الحديث . ولم تؤثر هذه الميزة تأثيرا سلبيا على فنه ، بل انه استغلها واستفاد منها . فبدل من ان يستعين بالمشهد التصويري في الدلالة على المكان والاحوال ، نجـده يستخدم قواه الشعرية في الوصف . ولولا خلو المسرح الشكسبيري من المناظر المصورة ، لما توفر لدينا هذا الكنز الوافر مـن الشعـر الوصفي البليغ . وكذلك كثيرا ما ننسى خلو مسرحه من الممثلات ، اذ ان الفرق التمثيلية حينئذ كانت تستخدم الصبيان فـي ادوار الاناث . الا ان شكسبير استغل هذا النقص ايضا وحوله الى منفعة ، مما جعل ادوار بطلاته تفيض قوة وحيوية .

وشكسبير اوسع شعراء العالم خيالا . وهـو ليس شاعر عصره وقومه فقط ، بل شاعر كل عصر وقوم في آن واحد . وقـد اثبتت الابحاث ان شكسبير لم يكن ممن افرطوا في القراءة والمطالعة ، وانما نظر في باطن الحياة والمجتمع فوجد كل ما بحث عنه هناك . فما مـن عاطفة او شعور الا وصوره . وما مـن طرز مـن الرجال والنساء الا ومثله . فاقواله لا تقتصر على الحياة الدنيا فحسب بـل تسبر غور الموت ايضا . ولا تنحصر في انجلترا او فينيسيا فقط بل تنطبق على الكون بأسره . وهو ينسج في حوادث مسرحياته وكلماتهـا فلسفات لا حصر لها ، اذ انه تكلم بأفواه عدة . فلا يمكننا والحالة هـذه ان نجرد فلسفته الشخصية او ان نحددها .

على ان هذا هو سر عظمة هذا الشاعر ، بحيث ان العالم قاطبة قد أقرها ومجدها . اما في انجلترا فقد اصبح الرجل الاعتيادي يردد عفوا في حديثه اقوالا يعود مصدرها الى شكسبير . وقد يصح القول انه ليس ثمة بيت انجليزي لا يضم في مكتبته ، مهما كانت صغيرة ، نسخة من مسرحياته . وقلما تمر فترة دون ان تعرض احـدى رواياته على مسرح من مسارح لندن العديدة . هذا عـدا الموسم الشكسبيري المعروف الذي يفتتح في ستراتفورد اون ايفون ربيع كـل عام ، حيث تمثل نخبة من رواياته ليلة بعد ليلة . ومن يزور هذه البلدة الصغيرة بما فيها من عمارات تاريخية قديمة ، لا سيما الدار التي ولد فيهـا شكسبير ، يعود وقلبه مفعم بذكرى هذا الشاعر . وعلى ضفة نهـر الايفون ، الذي تتهادى عليه الاوز ، تقوم بناية المسرح الـذي شيد تخليدا لذكرى ابن البلدة . ويجمع هذا المسرح بين جدرانه كل ليلـة المئات من هواة شكسبير وقد جاؤوه حجاجا ليس مـن كافة انحـاء انجلترا فحسب ، بل من ارجاء العالم قاطبة .

هذه هي بعض الآثار التي تركها شكسبير ، وهذا هـو تراثه ، يغمر ابصارنا واذهاننا بشعاع نفاذ ، يفيض حكمـة وعطفا ورحمـة واشفاقا .

لندن — نجيب يوسف داود

شارع النصر

من اقدم شوارع مدينة دمشق التاريخية

●

تطاول في شاسع ما بدا ... وحلق يشمخ عبر المدى
صحائف تنشرها الذكريات ... فتثمر من دونه عسجدا
ويزهر ماض على جانبيه ... توشح في سابغ وارتدى
مطاف به للهوى والشباب ... ومارف من حلم يفتدى
تطوف الحسان به يومهن ... وللشوق ما دب او ما عدا
ويعبق ثغرك بطيب الوعود ... فيحلو النداء ورجع الصدى
يد بيد تلتقي عن هوى ... وأخرى لشوق تهز يدا
وكم من يد دونه للشباب ... على عبث قنصت موعدا

★ ★ ★

يهيم الخيال على مشرعيه ... ويهزج في شاسع منشدا
ينادي البهاليل من (يعرب) ... ومجدا تليدا طواه الردى
فيبعث ما غاب من غابر ... سحيق يطول السهى محتدا
جحافل تغدو لغمر المنون ... عطاشا كأن به موردا
وتحسب (مروان) دون الحديد ... جرت تقنص المجد والسؤددا
بنت شامخا ملء عين الزمان ... يسر الصحاب ويشقي العدى
ملاحم للفخر أبياتها ... يرددها الدهر مستشهدا
ومولد مجد يضن الزمان ... على الناس في مثله مولدا

★ ★ ★

أطالع ما شاق من مشهد ... واجلو بعين الرؤى مشهدا
ينازعني للهوى مشرع ... يفيض على ضفتيه الندى
خيال الاحبة من دونه ... يشير بمختضب منشدا
فيهزج ثغر على مشرعيه ... ويخفق صدر لطيف بدا
نوازع للشوق ما تأتلي ... تجدد للشوق ما جددا
وتبعث ما فات من غابر ... سحيق وتنشر ما بددا
فأبصر بالوهم عبر الفضاء ... سماء تشع بنور الهدى
وألمح من غاب في حضرة ... ومن في اسار الردى قيدا
ويخدعني الوهم حتى اخال ... البعيد قريبا فأرنو سدى
فلا القلب يقصر عن حلمه ... ولا الحلم يثني لجهد يدا

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الغني العطري

ابن زيدون

بقلم عبد الغني العطري

* * *

ابن زيدون عبقري زمانه قصر المحسنون عن احسانه
اخذ الروم في الجزيرة عنه ومشوا في خياله وافتنانه

رحم الله امير الشعراء، فقد كان في طليعة المعجبين بشعر ابن زيدون وفنه ، وكان يرى انه عبقري زمانه وعصره . ترى هل كان شوقي مصيبا فيي رأيه بابن زيدون ، ام كان فيه من المغالين المبالغين ؟. واذا كان ابن زيدون عبقري زمانه ، ففي اي ضرب من ضروب شعره نلتمس عبقريته ؟

هذا ما سنعرض لبحثه في هذا المقال :

امتاز ائمة الادب وفحول الشعر بناحية من نواحي الشعر والادب اجادوا فيها اكثر من غيرها ، حتى عرفت بهم وعرفوا بها :

امتاز امرؤ القيس بأولياته ، وابن ابي ربيعة بغزله ، وجرير بهجائه ، وابو نواس بخمرياته ، والبحتري بوصفه ، والمتنبي بحكمته ... وهكذا سائر فحول الشعر . فما هي ميزة ابن زيدون ، التي لازمته طوال حياته الادبية ، وعرف بها في اكثر شعره ؟!

في اعتقادي انها العبقرية ، فابن زيدون ـ كما قال شوقي ـ عبقري زمانه . ولقد نضحته الاقدار بماء العبقرية والخلود ، والقته في بلاد الاندلس ، ذات المياه الرقراقة ، والازهار الفواحة ، والنسيم المعتل ، والطبيعة التي تستجيش الشعر في النفس ، فكان منه ذلك الشاعر العبقري ، الذي نهتز لقراءة آثاره ونطرب .

اذا اردنا ان نلتمس عبقرية ابن زيدون الحقة فلنلتمسها في شعره . ولكن في اي باب من ابواب شعره ننشدها ؟ افي مديحه .. ام في رثائه ؟. افي وصفه .. ام في استعطافه ؟.

من الخطأ الجسيم ان نبحث عن عبقرية ابن زيدون في هذه الابواب . وما علينا اذا اردنا ان نتعرف الى ابن زيدون معرفة صادقة ، ونفهمه فهما صحيحا ، سوى ان نبحث عن حبه وغرامه ، وما تركاه في نفسه وأدبه من آثار خالدة خلود الحياة ، باقية بقاء الروح .

فما هي قصة غرام ابن زيدون ، التي استجاشت الشعر في نفسه ، وجعلته يئن انين الثكالى ، ويبكي بكاء اليتامى ؟. ومن هي الحسناء اللعوب ، التي ايقظ غرامها شاعريته وجعله يقول الشعر فيها فيكثر ... ذلك الشعر الذي نتلوه فنشعر به يهز منا اوتار القلوب ؟

تحدثنا كتب الادب ان ابن زيدون احب ولادة بنت المستكفي ، احد خلفاء الاندلس ،حبا ملك عليه مشاعره واحاسيسه . وكانت ولادة اديبة شاعرة ، ذات حسن وجمال ، ولكنها الى جانب ذلك كانت خليعة ماجنة ، فقد رووا انها كتبت على كميها هذين البيتين :

انا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه تيها
امكن عاشقي من لثم ثغري واعطي قبلتي من يشتهيها

فلما احبها ابن زيدون ومنحها قلبه ، صانت حبه وغرامه بعض الوقت . ولبث شاعرنا ردحا من الزمن يرتع معها في مغاني الاندلس ، يرشفان كؤوس الحب والهوى ، مفعمة بالود والاخلاص . ولكن الدهر الخؤون، ابى ان تدوم لابن زيدون هذه السعادة وذاك النعيم ، فقلب له ظهر المجن ، وسلط عليه الوزير ابن عبدوس ـ الذي تيمه حب ولادة وافعم قلبه حقدا ، حبها لابن زيدون ـ فكاد له عند ابن جهور واوغر صدره عليه ، فأودعه هذا غياهب السجون ، وأذاقه مر العذاب .

فر ابن زيدون من السجن بعد ذلك ، وحاول استعطاف ولادة ، ولكن قلب ولادة كان اذ ذاك كالحجر الاصم ، لانها كانت لاهية بغرام جديد ... غرام ابن عبدوس .

كانت فجيعة ابن زيدون بغرامه وقلبه ، اقسى من ان تنسى في عام او اعوام ، ولا سيما انه الشاعر المرهف الحس ، الرقيق الشعور ، فظل لهيب هذا الغرام يقض عليه مضجعه طوال حياته ، وظل خيال ولادة عالقا في ذهنه لا يفارقه ولقد الهمه هذا الهوى المبرح اروع قصائده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى جارة

اغواء ! يـا صفة الذي هجر السما
لمـا خـلا مـن مغريـات شباكـه !
سحر العيـون ، وبسمة عفويـة ،
وصراع أسـر الحـب مـن آياتـه
دنيـا ولا شـوق ، كقبـر مقفـر
حتـى مـن البلهـاء مـن أمواتـه
يـا جارتي ! الاغراء نعمى عيشنـا
لا تمنعي المحروم عـن جناتـه

حلب — علي الناصر

وارق شعره . وكان دائما شديد الشوق الى ايام وصالها، عظيم اللوعة على فراقها ، متأجج الحنين اليها . وفـي اعتقادي ان لولادة على شاعرية ابن زيدون وخلوده فضلا اي فضل ، فلقد ايقظت بنأيها عنه شاعريته ، واهلته ان يكون اميرا من امراء الغزل ، وزعيم الشعر الاندلسي دون منـازع .

برع ابن زيدون في الغزل والشوق والحنين ، وترك في هذه الابواب آثارا نطالعها فنهتز لها اعجابا ، ونرقص طربا ، لما نلمسه فيها مـن العاطفة الصادقة ، والحنين المتأجج ، واللوعة الوثابة ، ولا عجب في ذلك اذ ان الحب الصحيح الصادق ، الـذي يتغلغل فـي القلب ويمتـزج بالروح ، يلهم صاحبه اروع ما كتب او نظـم او الف . وقديما قال ابن زهير :

وما الحب في الانسان الا فضيلة — تلطف اخلاقـا لـه وتدمـث

ولنستمع الآن الى ابن زيدون ينشد ولادة هـذه الابيات ، بعد ليلة قضاها في صحبتها :

ودع الصبـر محـب ودعـك — ذائع مـن سره مـا استودعـك
يقـرع السن علـى ان لـم يكـن — زاد في تلـك الخطى اذ شيعك
يـا اخا البـدر سنـاء وسنـا — حفظ اللـه زمانـا اطلعـك
ان يطـل بعـدك ليلي فلكـم — بت اشكـو قصر الليـل معـك

ولنستمع اليه الآن ايضا يقول بعد فراق ولادة :

لما اتصلت اتصال الحب بالكبـد — ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
ساء الوشاة مكاني منك واتقـدت — في صدر كل عـدو جمرة الحسد
فليسخط الناس لا اهد الرضى لهم — ولا يضع لك عهد آخـر الابـد
لو استطعت اذا مـا كنت غائبة — غضضت طرفي فلم انظر الى احد

أرأيتم كيف يتمثل الصدق والعاطفة والوفاء فـي هذا الغزل ؟. أرأيتم كيف تبدو الرقة والعذوبة والاخلاص من خلال هذا الشعر العذب ؟

وهاكم الآن هذه المقطوعة الغنائية الرقيقة من غزله:

متـى ابثك مـا بـي — يـا راحتـي وعذابـي ؟
متـى ينـوب لسانـي — في شرحه عـن كتابـي ؟
يـا فتنـة المتعـزي — وحجـة المتصابـي
الشمس انـت تـوارت — عـن ناظـري بالحجاب
مـا البـدر شف سناه — علـى رقيـق السحاب
الا كوجهـك لمـا — اضـاء تحـت النقـاب

ومن جيد شعر ابن زيدون ، الـذي تتمثل فيـه العاطفة المتأججة ، والشوق المبـرح ، واللوعة الوثابـة قولـه :

لا سكن الله قلبا عـن ذكركـم — فلم يطـر بجناح الشوق خفاقـا
لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى — وافاكم بفتى اضناه مـا لاقـى
كان التجاري بمحض الود مذ زمن — ميدان انس جرينـا فيـه اطلاقـا
فالآن احمد مـا كنـا لذكركـم — سلوتم وبقينـا نحـن عشاقـا

أرأيتم كيف تتمثل شاعرية ابن زيدون وعبقريته في غزله ؟ اسمعتم كيف يتدفق طبعه في نسيبه ووجـده تدفق السيل المنهمر ؟!. يقول بعض الناس ان الكلام الذي يخرج من القلب يدخل الى القلب . وشعـر ابـن زيدون في الغزل خرج من قلب ، ولكنه دخل الى كل قلب .

ابن زيدون شاعر عبقري ، وعبقريته الحقة في غزله وحنينه وطبعه . وهل يحسن كثير غير ابـن زيدون ان يتغزل او يقول مثل غزله وقوله :

انت معنى الضنى وسـر الدموع — وسبيل الهوى وقصـد الولوع
انت والشمس ضرتـان ولكـن — لك عند الغروب فضل الطلـوع

او قولـه :

اغائبة عنـي وحاضـرة معـي — انا ديك لمـا عيل صبري فاسمعي
افي الحق ان اشقى بحبك او ارى — حريقا بانفاسي ، غريقـا بادمعي
الا عطفة تحيا بهـا نفسٌ عاشق — جعلت الردى منه بمرأى ومسمـع
صليني بعض الوصل حتى تبيني — حقيقة حالي ثم ما شئت فاصنعي

هذا هو ابن زيدون قدمت اليكم صورة من عبقريته، ولمحة عن فنه الذي برع فيه واجاد ، ولكني ارى ان هذه الصورة تظل ناقصة ، ان لـم نكملهـا بابيات ، ولـو قليلة من قصيدة « اضحى التنائي » ، التـي بعث بهـا الى ولادة ، عندما لج به الشوق اليها ، وحرقت كبـده لوعة فراقها . وهي من قصائده الغر ، التـي طار صيتها في الآفاق ، وذاعت شهرتها بين الناس ، حتـى صار شأنها في الاندلس، شأن معلقة امرىء القيس في الجزيرة العربية . وهاكم الآن هذه الباقة الصغيرة منها :

ليسق عهدكم عهد السرور فمـا — كنتـم لارواحنـا الا ريـاحينـا
ان الزمان الذي مـا زال يضحكنا — انسا بقربكم قـد عـاد يبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا — بأن نفص فقال الدهـر آمينـا
يا جنة الخلد ابدلنـا بسدرتهـا — والكوثر العذب زقومـا وغسلينا
كانت لـم نبت والوصل ثالثنـا — والسعد قد غض من اجفان واشينا
ابكي وفاء ، وان لـم تبذلي صلة — فالطيف يقنعنا والذكـر يكفينا
عليك منا سلام الله مـا بقيـت — صبابة بـك نخفيهـا فتخفينـا

دمشق — عبد الغني العطري

المدرس والعصا

بقلم مصطفى ابو النصر



وقف المدرس امام التلميذ . وراء التلميذ شباك عريض ، يطل على الفناء . ولكن المدرس لا يرى الفناء ، فقط ، اغصان شجرة مخضرة ، دائمة الاخضرار ، صيفا، شتاء .

ارتكز المدرس بعصاه على حافة درج التلميذ : وضع طرف العصا، في المجرى المقعر الذي يضع فيه التلاميذ اقلامهم ، وامسك الطرف الآخر بقبضته. اخذ يتأمل التلميذ، محاولا اكتشاف ما يدور في رأسه. كان التلاميذ من حولهما في صمت متوتر . الكل ينظر تجاههما في شيء من القلق . رفع التلميذ بصره الى السقف ، ثم عاد ونظر الى سطح الدرج . واخيرا قال المدرس :

ـ اسمع يا بني ، لا بد من نهاية لكل هذا . افهم تماما انك لا تفهم ، هذا شيء ممكن ومحتمل ، فربما تكون غبيا ، ومع ذلك فانا اقبله ، ولكن في حالة واحدة ، ان تكون منتبها ، وتجهد نفسك على الفهم. اما ان تلعب ، وتقرص زميلك ، وتقزقز اللب ، فهذا هو غير المحتمل . ما رايك الآن ؟. وما هو العقاب الذي تقترحه لو كنت مكاني ؟.

لم يجب التلميذ بشيء . ظل واقفا مطرقا وكأنه لا يسمع . اعتدل المدرس في وقفته ، وراح يتأمل التلاميذ : كانت رؤوسهم قد اتجهت نحوه ، العيون الصغيرة اللامعة ترمقه ، وكأنها تتوقع ان ينزل العقاب بهم جميعا . كان الكل مسؤولا بشكل ما . هكذا فكر المدرس ، او هكذا خيل اليه . وجالت براسه فكرة ، ربما بدت غريبة له في أول الامر ، ولكنه تذكر حادثا وقع له أيام كان تلميذا : اطلق احد التلاميذ ضحكة عالية ، بدون سبب واضح ، كان المدرس يكتب على السبورة ، وبالرغم من ذلك ، فقد عرف الضاحك ، عرفه من صوته ، ولكن التلميذ لم يعترف بما اقترف من ذنب ، ولم يعترف عليه أحد من زملائه ، فوجد المدرس نفسه مضطرا الى ضرب تلاميذ الفصل كله . المقارنة هنا لا مجال لها . التلميذ الشاكي حدد المذنب ، والمذنب لم ينكر وان لم ينطق بحرف . ان لم ينل هذا التلميذ اي عقاب ، فمن يدري ، ربما استهتر الجميع ، وصار الفصل حلبة للضرب والقرص واللعب ، يجب وضع حد لكل هذا ، ولكن كيف ؟. ليكن هذا التلميذ عبرة ، هكذا أرادت الاقدار ، او هكذا اراد هو . ورفع المدرس العصا ، ولكنه بسرعة اخفضها ، ثم استدار ، وعاد الى منصته ، واشار بعصاه الى السبورة وبدأ الشرح :

« الآن تستطيعون ان تفهموا ، سأعيد الدرس من جديد ، وعليكم الآن تصغوا جيدا ، ليس من المعقول ان اشرح واشرح وانتم لاهون » .

لم يتفوه تلميذ بكلمة ، ولم تبدر من احدهم أية اشارة . ودارت عيناه دورة كاملة على التلاميذ . لم يجد احدا منهم يتحرك او يتلفت ، او حتى ينظر اليه : كانت نظراتهم معلقة على السبورة ، كلهم يحدقون في المسألة الحسابية وكأنها لغز . استطاع التلاميذ ان يخرسوه . بطلت الحجة ، وعليه ان يتابع الشرح ، فرفع العصا مرة ثانية واستطرد قائلا : « المسألة ـ كما هو واضح ـ في غاية البساطة ، وليس عليكم الا ان تتتبعوني وانا احلها . ان اتبعتم الطريقة التي سأتبعها ، أمكنكم ان تحلوا اصعب مسألة » . توقف لحظة ، لم تعجبه كلمة أصعب ، لا بد ان تكون هناك كلمة تقوم مقامها او ادق منها . « في الواقع لا توجد مسألة صعبة ، واخرى سهلة . جميع المسائل سهلة اذا عرفنا طريقة الحل الصحيح ، وطريقة الحل الصحيح لا يمكن ان تكون مجهولة اذا انتبه التلميذ . انتبهوا الي جيدا الآن . القاعدة الاساسية التي تعتمد عليها المسائل التي من هذا النوع هي ... » . وقف عصفور على حافة الشباك وراح يقفز في رشاقة . التفت التلاميذ تجاه الشباك . مضت برهة والكل يتأمل العصفور . كان العصفور في حجم العصفور، لا اكبر ولا اصغر. اللون الرمادي المعهود وان شابه سواد داكن عند الجناحين ، المنقار أسود مدبب صغير . كان التلميذ الجالس بجانب الشباك اسعدهم ، اسعد من المدرس ذاته . وفجأة ، اندفعت يده تريد الامساك به ، ولكنه طار . اعجب التلاميذ هذا المشهد ، وبدون اتفاق سابق ، انطلقوا في ضحكة جماعية عالية ، تردد صداها على الجدران الاربعة، ثم تجمعت واخترقت اذن المدرس.

كانت المفاجأة بالنسبة اليه غير مصدقة ، وللحظة وقف مذهولا ، غير انه تدارك الامر بسرعة، فأمسك بالعصا وهوى بها يخبط مكتبه عدة خبطات متوالية ، بسرعة وعصبية، فانكتمت الضحكات في الحناجر ، وساد الفصل صمت عميق ، ولكنه مشوب بما يشبه الرهبة . هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي الفرصة ، فرصة لا يمكن تجاهلها او الحط من شأنها . لا قيمة للعلم ولا ضرورة ، ان لم يستطع ان ينفث في التلاميذ روح الجد واحترام الفصل . ونزل من على المنصة ، واخذ يخطو في بطء شديد تجاه التلميذ . نفس التلميذ . ما الذي يمكن ان يفعله الآن ؟. لو انه لم يرفع يده ، لو لم يفكر في الامساك بالعصفور ، لطار العصفور من تلقاء نفسه، ولاستمر هو في شرح المسألة وحلها، ولافيد التلاميذ ، وتمكنوا من حل جميع المسائل المتشابهة ، ولانتقل في الحصة القادمة الى نوع جديد . ولكن ، نفس التلميذ يعوق كل هذا، ما الذي يمكن ان يفعله معه؟. كانت العصا في يمينه ، وشعر ان يده اليسرى فارغة ، فتركها تهتز الى الامام والوراء ، ولكن يجب ان يكون لها ضرورة هي الاخرى .

ـ قف .

قالها المدرس في صوت جاد عال ، بصيغة امر التهديد . ووقف التلميذ . كان في هذه المرة ، يدرك تماما انه غير مذنب ، ولهذا فمن الضروري ، ان يكون ذلك واضحا . وحاول ان يقول شيئا ، يدفع به عن نفسه التهمة . هل محاولة الامساك بعصفور تهمة ، ام ان الضحك في حد ذاته تهمة ؟

تأمله المدرس برهة ثم سأله :

ـ ما هذا الذي فعلته ؟

فأجابه التلميذ بسرعة :

ـ لم افعل شيئا يا استاذ .

ضحك المدرس في غيظ قائلا :

ـ شيء جميل ، جميل جدا .. لم تفعل شيئا ، من الذي فعل اذن؟ في المرة السابقة كانت فعلتك جزئية ، اما الآن فجماعية ، وعليه، فليس امامي سوى طردك من الفصل ، ولن اسمح لك بدخوله في درسي حتى نهاية العام .

وعلى الرغم من انه كان يوجه هذا الكلام للتلميذ فقط ، فقد كان ينظر من حين لآخر الى التلاميذ كلهم . ولم ينبس احد منهم بحرف . واشتم رائحة خوف ، فدفعه ذلك الى ارتداء الثوب الحازم للجميع .

عاد الى منصته ، ولكنه لم يلتفت الى السبورة ، ولم يبدأ في الشرح ، وانما جلس على كرسيه ، وهو يقول :

ـ لن اشرح هذا الدرس ، لنعتبره قد شرح ، وعليكم الآن ان تحاولوا هذه المسألة . ان العام الدراسي قارب الانتهاء ، واذا استمرينا على هذا المنوال فلن ننتهي من المقرر بأية حال . في الحصة القادمة ، سأشرح الموضوع بالتالي .

ما كاد ينتهي ، حتى بدأت الهمهمة بين التلاميذ، وبدا الصوت يرتفع رويدا رويدا ، حتى صار كطنين الذباب . اندفع المدرس يضرب مكتبه بعصاه ، وانطلق صوته محذرا آمرا ، وحين بدأ صوته يخفت ، انتصب تلميذ واقفا وقال :

ـ ولكن يا استاذ ما ذنبي انا ؟. انني لم افعل شيئا .

رمقه المدرس بنظرة فاحصة ، وحاول ان يفهم ماذا يعني هذا التلميذ ، وقدر انه لو دخل معه في مناقشة ، فقد يؤدي ذلك الى فوضى، مضت فترة صمت بينهما، ودار بعينيه على التلاميذ ، فلمح ترقبهم لفمه . لم يفكر فيما يمكن ان يقوله ، غير انه بدا في الكلام ، وهو لا يدري ، ما الذي سيؤدي اليه هذا الموقف :

ـ تقول ، انك لا تدري ما ذنبك .. اليس كذلك ؟

فأجابه التلميذ بصوت عال ، وبشجاعة :

ـ نعم يا أستاذ .

ـ اذن فأنت بريء ؟

ـ نعم يا أستاذ .

ـ انت لا شك طالب شجاع .

ـ شكرا يا استاذ .

ـ ولكن الشجاع لا يكذب .

ـ انني لم أكذب يا استاذ .

ـ انت بالتأكيد كذاب .

ـ كلا يا استاذ .

ـ وهذا ايضا كذب .. الم تضحك ؟

لم يحر التلميذ جوابا . صمت وكأنه صفع . وكان المدرس قد قرر في نفسه شيئا ، فأمسك بعصاه ، وقال وهو ينزل من على منصته : « ليس لدي وقت للمناقشة ، ثم انه من الثابت انكم جميعا قد اشتركتم في الضحك ، ومن الصعب ان يدعي احدكم انه لم يضحك ، وعلى هذا فالكل مذنب ، والكل لا بد ان ينال العقاب » . ومضت فترة صمت قصيرة ، انطلق صوته بعدها يأمرهم :

ـ قفوا كلكم .

تصاعد صوت احتكاك احذيتهم بالارض ، وكانت ثمة تمتمة من نوع غريب قد بدأت تعلو وتعلو . ولكن المدرس ، كان قد صمم ، فاقترب من أول تلميذ في الصف الاول : « افتح يدك » . وتردد التلميذ لحظة ، ونظر بجانب عينه الى جاره فوجده يحدق في المدرس بذهول . وانطلق الصوت اكثر ارتفاعا وحزما وجدية : « قلت افتح يدك » . فتح التلميذ يده ومدها ، وهوت العصا في عصبية، وعلا صراخ التلميذ ، ولكن المدرس لم يهتم ، ولم يزده هذا الصوت الا اصرارا : « افتح يدك الثانية ، افتح يدك الثانية » . وارتفعت العصا ، وهم ان يهوى بها على كتفه ، لولا ان مد التلميذ يده الثانية بسرعة . انتقل المدرس الى التلميذ الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، ثم الخامس ، وهكذا ، وبدأ النشيج يعلو ، ولكن المدرس ، كان قد تخلص نهائيا من التفكير ، وتحول الى شيء يشبه اللعبة التي تتحرك بالزنبرك ، وفي كل حركة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت السرعة تزداد وتأخذ شكلا آليا محددا ، الا انه لم يكن يفكر في ذلك . وجحظت عيناه ، وتسربت قطرات عرق ساخن خلال شعر رأسه ، ولمعت رقبته ، واكتست جبهته بما يشبه البثور ، واصطبغ لونه بحمرة مشوبة بزرقة مخضرة . وبدأت انفاسه تتوالى في سرعة ، وهو يرفع العصا ويهوى بها ، ولم يعد ينطق، وأصاب التلاميذ خوف مجهول ، وصار كل واحد منهم ، يفتح يديه مرة واحدة ، وبدون اي تردد ، وان كانت قلوبهم قد انقبضت ، وانطوى كل منهم على مقعده يفرك يديه ، وينشج متمتما بكلام غير مفهوم . واخيرا انتهى المدرس من ضرب التلاميذ كلهم ، ودار عائدا الى منصته ، ولكنه فوجيء بالتلميذ الذي امره بالخروج جالسا . « امش .. امش اطلع بره » . رفع التلميذ عينيه في استجداء ، الا ان المدرس لم يكن يرى شيئا على وجه التلميذ ، وانما رفع عصاه مهددا، فانطلق التلميذ، وقبل ان يغادر الفصل ، التفت ينظر الى المدرس ، وكأنه يطلب منه تغيير رأيه ، ولكنه لم يعره اي انتباه ، فخرج مطرقا ، واغلق الباب خلفه .

ظل المدرس واقفا مكانه ، لا يدري ما يفعل ، وراح ينقل بصره بين التلاميذ ، وقد انحت ظهورهم، ولم يعد أحد منهم ينظر اليه . بدا له المكان ضيقا جدا ، وشعر بما يشبه الاختناق ، ففك الكرافته ، وفتح زرار القميص ، واخرج المنديل ، وجفف وجهه ورقبته ، ثم اخذ يتمشى في الممرات بين التلاميذ وهو صامت مطرق . ولم يلبث ان رن جرس انتهاء الحصة ، فاتجه الى منصته ، واخذ دفتره وعصاه ، وغادر الفصل دون ان ينظر الى التلاميذ اطلاقا .

★

جلس المدرس في حجرة المدرسين ، ووضع العصا امامه على المكتب ، ثم بدأ في تحضير درس جديد . ولكنه ما كاد يكتب سطرا ، حتى توقف ، وترك القلم وحدق بعينيه امامه ، دون ان يرى شيئا ، ظل فترة طويلة شاخصا حتى بدأت الصورة تتشكل في مخيلته : الفصل ، التلاميذ على مقاعدهم وقد تقوست ظهورهم ، واحمرت عيونهم من البكاء، وصوت نشيجهم يكاد يخرق اذنيه. الشباك الوحيد يبدو كلوحة رسمها مصور ماهر ، ولم يستعمل فيها سوى لونين : الاخضر، والازرق السماوي، وفجأة انبثق السؤال : ما الذي حدث اليوم ؟. لم يستطع ان يعلل هذه الثورة التي انتابته ، ولا هذا العقاب الجماعي الذي أنزله بالجميع ، دون سبب حقيقي او معقول . مجرد تلاميذ أبرياء ، طفرت من نفس احدهم رغبة متوثبة ، ولكن افلات العصفور بخفته ورقته ودقة جرمه ، قد حركت نفوس التلاميذ طربا ، فاذا الضحكات البريئة تنطلق من حناجرهم في براءة وطهر عجيبين. من ذلك الجبار الذي كان يستطيع ان يكتم هذه الضحكات ؟ وحتى اذا استطاع فما قيمة ذلك ؟. لا اكثر من ضحكة عابرة ، يعود بعدها التلاميذ الى جديتهم ، ويستمر الدرس وقد غسلت الضحكات نفوسهم وامدتهم بطاقة جديدة للفهم والعمل . كان هو ذلك الجبار العتيد الذي كبت نفوسهم وارهبها، فاذا هم يتحولون الى امساخ خائفة ، وارتعشت قلوبهم ، والجمت الرهبة ألسنتهم ، وانعدمت رغبتهم في الدرس والتحصيل . سقطت عيناه على العصا ، تلك هي التي غيرت مجرى الحصة ، وحولت الفصل الى احد سجون التعذيب . امتدت يده اليها ، وامسك بها ، وراح يقلبها ويتأملها : كان يحب دائما ان يظهر بمظهر المدرس الحازم الجاد ، ولكن اليس من طريقة اخرى غير العصا؟. كان الاولى ان يشاركهم ضحكهم وبهجتهم ، حتى يستطيع ان يقربهم منه ، فيأنسوا اليه ، وتزداد رغبتهم في العلم ، فتنفتح اذهانهم الى الفهم .

لم يستطع ان يجلس ، فترك المكتب وغادر الحجرة، وفي الفناء، جال بعينيه يبحث عن تلاميذ فصله . وجدهم يلعبون ويمرحون، وكأن شيئا لم يحدث ، فأخذ يقرب خطاه منهم ، ولكن ما ان لمحه احدهم ، حتى أشار الى زميل له ، واخر واخر ، واذا هم جميعا قد تسمروا في أماكنهم ، وراحت عيونهم ترمقه بشيء من الخوف والحذر . اغتصب ابتسامة محاولا ان يبعث بها في نفوسهم شيئا من الاطمئنان ، ولكن اغلبهم بدأ يتقهقر منسحبا . ظل واقفا في مكانه ، لا يدري ماذا يفعل او يقول . كان يمكن ان يدور على عقبيه ، ويعود الى مكتبه ، الا انه لم يستطع ، او لم يجرؤ على الحركة . خيل اليه ان قدميه قد تصلبتا في الارض ، واصبح ضروريا ان يتخلص من هذا الموقف على شكل ما ، وشعر بشيء من الحرج ، وبأن وقفته هذه غريبة عليه ، اكثر مما هي على التلاميذ ، فهو لا يذكر انه وقف في الفناء مرة واحدة . يذهب الى الفصل ، ومنه الى الحجرة ، ثم في نهاية اليوم ينطلق الى الشارع . وكأنما هذه الوقفة ، قد فتحت عينيه على حقيقته : آلة .. ليس شيئا سوى آلة .. آلة تسجيل . القرص يدور عند الرنين الاول للجرس ، ولا يفتأ يدور ويدور . وعند الرنين الثاني ، يتوقف القرص . حاول ان يبتسم ، ولا يدري كيف كان وجهه في هذه اللحظة ، الا انه قدر ان ابتسامته كانت مجرد قشرة لا يمكن ان يخفي باطنها على التلاميذ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحمال البائس

كان في الخمسين من عمر قضاه بالشقاء
كادحا للرزق يرجو الستر من رب السماء
يحمل الاثقال لم ينعم بيوم في رخاء
من طلوع الفجر حتى يختفي نور ذكاء
وهو يبدو مثل قوس ، بانعطاف وانحناء
يحمل الحمل ببخس ليس يجدي من غناء
فلكم أنت تراه يوم صيف أو شتاء
لاهثا مرتعدا مكتئبا جم العناء
آده الحمل فأبداه كماش للوراء
جحظت عيناه والساقان في شر ابتلاء
لم يطيقا حمل عبئين فصارا لالتواء
فارتمى فوق أديم الارض يشكو للسماء
جور أهل الارض لا جور تصاريف القضاء
أنهك الدهر قواه فهو من داء لداء
لم يجد في جيبه فلسا لطب أو دواء

سبعة أطفاله وهو لهم خيط الرجاء
فاذا عاد الى مسكنه عند المساء
يتهافون جميعا بصراخ وبكاء
فترى هذا كعار راكضا دون حذاء
وترى الآخر قد أسقمه سوء الغذاء
لم يذوقوا اللحم الا من قتار من شواء
حملته الريح من بعض بيوت الاثرياء
يأدمون الخبز أحيانا وقد جف بماء
ولكم باتوا مع الام خماصا في عناء
والاب المسكين ما يفعله بعد المساء ؟
أرهق النفس ولم يحصل على قوت العشاء
أرهق النفس ولم يفتح يديه للعطاء
لم يذل الفقر نفس الحر ذات الكبرياء
فليجاز الله من ينقذه خير جزاء

حلب — محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ذاقوا طعم العصا . وبسرعة ، قفز تجاه أحدهم وامسك به من كتفه . كانت قبضته قوية ، وكان يخشى ان يتخلص التلميذ منه ، غير ان التلميذ استكان لقبضته ، وان كان قد انكمش في بعضه كالقنفذ . كان الخوف باديا على ملامحه ، وكأنه يجهد عقله في محاولة تذكر الخطأ الذي ارتكبه والذي من أجله وقع في براثن هذه القبضة العجيبة . ولم يخفف المدرس من قبضته ، ومضت فترة ترقب من الجانبين : التلميذ في خوف ، والمدرس في حيرة . الاول لا يدري سببا لهذه المسكة الفولاذية ، والثاني لا يدري ماذا يقول . كان المدرس في حيرة حقيقية لا يدري كيف يبدأ الكلام . واخيرا سأله بصوت خافت ، متعمدا ان يكون لينا هادئا :

ـ هل انت خائف ؟

لم ينطق التلميذ بحرف ، وشعر المدرس بشيء من الاسف . وانتبه على التلاميذ .وقد تحلقوا حولهما ، محاولين اكتشاف او تخمين ما ارتكب التلميذ . وخيل للمدرس انه قد وقع في فخ ، وان عليه الآن ، ان يتخلص من هذا المأزق ، بطريقة مألوفة وحازمة في نفس الوقت ، فقال وهو يفرد أصابعه المطبقة على كتف التلميذ :

ـ مر علي في المكتب في الفسحة الثانية .

شق المدرس لنفسه طريقا بين التلاميذ ، دون ان تلتقي عيناه بأحد منهم ، وما ان ابتعد عنهم قليلا ، حتى أسرع في خطاه ، وجاهد كيلا يلتفت وراءه ، ودخل حجرة المدرسين ، وارتمى على مقعده ، وقد أحس بأن جسمه منهوك ، وبأنه لا يقوى حتى على النظر الى شيء ، فأغمض عينيه لحظة ، فتمثلت له الحقيقة سافرة ، هناك ، في الفصل ، بين الجدران الاربعة ، وهو واقف على منصته كالتمثال ، لا يتحرك ، لا ينطق ، لا يرى ، والتلاميذ أمامه وقد تداخلت أطرافهم ، وغارت عيونهم محدقة فيه ، يجاهدون محاولين الكلام ، ولكن ماذا ؟ أصواتهم لا تخرج ، احجار متراصة ، مشوهة . ارتعش جسمه كله ، وشعر كما لو ان شيئا مجهولا يدق على راسه ، يكاد يحطمه ، فلم يستطع ان يواصل الرؤيا ، ففتح عينيه ، فوقعت على الدفتر المفتوح امامه ، وعلى السطر الذي كان قد كتبه ، فتحامل على نفسه ، وامسك بالقلم ، وانحنى يكمل الدرس الذي كان قد بداه .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

منافسة غير عادلة

حسناء تعتمد في النقاش الادبي على جمالها لا على بيانها

★

بسطوة مقلتيك تناقشينا ... وتلقين الدليل فتفحمينا
اذا أرسلت طرفك في ابتسام ... أذبت به قوى المتناظرينا
وان رجرجت صدرك في نقاش ... رججت عقول قومك أجمعينا
لصوتك في تناغمه صداح ... به لا بالبيان تسيطرينا !
ففكر فيه لا فيما طواه ... من المعنى فنذعن صاغرينا
لك الاقناع يلجمنا ، ولكن ... بوجهك لا بقولك تقنعينا
اذا سفرت محاسنه تجلى ... بحجته فرحنا ملجمينا
شهرت جمالك الوضاء سيفا ... فكان سلاحك البتار فينا
اذا رجف المناظر في ابتسام ... وخار ، فكيف شأن السامعينا
يروع الصمت منك بلا نقاش ... فكيف اذا انطلقت تعارضينا
وان يصمت سواك يكن عيبا ... ويصبح مثلة للهازئينا
اذا اخطات في معنى صريح ... وجدت تساهل المتسامحينا
وان يخطأ قريعك قاطعوه ... وعالوا بالصواب منددينا
فكيف يكون أمركما سواء ... وانت كما نرى تتحكمينا ؟
حديثك في مسامرة رقيق ... الا فدعى النقاش وسامرينا
اذا أرسلته عذبا شهيا ... نقعت به غليل الظامئينا
يهب على النفوس نسيم روض ... فتنشق من شذاه الياسمينا
قرأت صحائف الحقب المراضى ... وطالعت القرون الغابرينا
فلم اشهد لحواء مقاما ... تبز به الفحول المعرقينا
فلا تلجي عبابا قد ترامى ... لدى بحر يهول السابحينا
دعي فتنى الجدال الى أناس ... عذوا من سحر حسنك عاطلينا
اما تكفيك ثروته ثراء ... فما لك في البيان تزاحمينا
عرفت طريقه فشققت منه ... طريق السبق بين القائلينا
اراك مثار الهام لمثلي ... ولكن لا اخالك تلهمينا
نصحتك صادقا ومعي دليلي ... يؤيدني ، فكيف تكذبينا
الا فضعي اللثام لدى نقاش ... فلا يعشى سناك الحاضرينا
وصوتك أرسليه بلا رنين ... ليفقد شدوه الغريد حينا
ولا تقفي فيبهر كل راء ... قوامك حينما تتمايلينا
وقولي ما بدا لك بعد هذا ... فلن تجدي نقاشك يستبينا
هنا نصغي لقولك لا لشيء ... سواه ، وما اراك تؤثرينا

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عارف العزوني - محمود الفول

منذر عنبتاوي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ عـــارف العـــزونـــي

في يافا عروس الساحل الفلسطيني ولد « عارف » عام ١٨٩٦ وتلقى علومه الابتدائية في كلية الفرير بمسقط رأسه واكمل دراسته الثانوية في مدرسة عينطورة بلبنان وبعد تخرجه عاد الى يافا وزاول الاتجـــار بالبرتقال مؤثرا العمل الحر على الوظيفة وعاش في بيئة رفيعة وصفها بقولـه :

« تربيت في بيت أهلي ، وتأثرت بالحضارة الاوروبية وتعرفت خلالها على بعض المستشرقين امثال البروفسور يهودا الانكليزي ، وعدا ذلك اتصلت بالسيد معروف الارناؤوط صاحب جريدة « فتى العرب » الدمشقية ومؤلف كتاب « سيد قريش » وبالشاعر الشعبي عمر الزعني وبالشهيد عبد الغني العريسي وبالاخوين محمـــد ومحمود المحمصاني وكمال عباس وغيرهم مما جعلني أتاثر بهم منذ نعومة أظفاري .

وساعدتني الحياة كثيرا على حب الادب والرغبة فيه ، وهـــذا يدلك دلالة واضحة على اثر البيئة في نشأة الانسان ، واحب ان اقول هنا انه كان لصداقتي واتصالي الوثيق بكبار الكتاب اثر في تنمية ملكة المطالعة الادبية والاهتمام بالمسائل الفكرية ، وكنت دائما اتحفز لمطالعة كتب الادب القديمة التي كانت متوفرة لي في مكتبة البيت بيافا » .

وبالاضافة الى الاعمال الحرة التي زاولها (عارف) مارس مهنـة التعليم في المدرسة الرشيدية بيافا (١٩١٢) وفـــي مدرسة العلوم الاسلامية لمؤسسها المرحوم عارف البديري (١٩١٣) . وقبـــل زوال الحكم التركي وبعده حرر في الصحف العربية التي كانت تصدر فـي يافا وفـــي طليعتها « فلسطين » و « الجزيـــرة » و « الحريـــة » و « الدفاع » و « الجامعـــة الاسلامية » واول مقـــال نشره فـــي « فلسطين » عن حياة رابندرانات طاغور شاعر الهند الكبير .

وكان (عارف) من اوائل الكتاب العرب الذين نبهوا الى خطـــر الصهيونية ونوايا الغدر والطمع فـــي البلاد العربية . وكتب فـــي « السياسة الاسبوعية » وراسل جريدة « الاهرام » مدة ثلاث سنوات وصحفا اجنبية اخرى . وفي عام ١٩٣٦ اصدر مجلـة « الفجـــر » اليافية بالاشتراك مع الاديب القاص الاستـــاذ محمود سيف الدين الايراني وقد التف حولها كبار الادباء في فلسطين ولبنان ومصر .

وخلال حياته الحافلة بالحيوية والنشاط زود القصة العربيـــة بقصص طريفة لا تقل عن ٩٠ قصة موضوعة ومترجمة وقد نشر معظمها في كبريات الصحف والمجلات ومن ابرزها قصة « لاجيء » التي ترجمت الى الانكليزية ونشرت في الصحف الاميركية كاحسن ما كتب في وصف « اللاجيء الفلسطيني » !

وفي مقالاته كان يميل الى الادب الساخر ولا عجب اذا جـــاء نتاجه زخما وهو الملم بخمس لغات حية هـــي : العربية والتركيـــة والفرنسية والايطالية والانكليزية .

وفي الحرب العالمية الثانية اعتقل فـــي صرفند بتهمة الدعاية لدولتي المحور وبعد خروجه من المعتقل عين ملحقا صحافيا بين اللجنة القومية في يافا والصحف العربية المحلية ، وطفق يغذيهـــا بمقالات قصيرة تتسم بالتوعية والتوجيه القومي .

وفي عام ١٩٤٨ ، وهو عام النكبة ، لجأ الى مدينة نابلس وعمل فترة في جريدة « فلسطين » خلال صدورها في عمان وما لبث ان عاد الى نابلس وعين معلما في احدى مدارس وكالة غوث اللاجئين ومراسلا لجريدة « البيان » النيويوركية لصاحبها الاستاذ راجي ظاهر . وزود اذاعتي « صوت اميركا » و « لندن » باكثر من ٢٥٠ حديثا اذاعيـــا ، ونشر فصولا في مجلة « اسرار العالم » كما اذاع احاديث ثقافية من اذاعتي عمان والقدس ، ومن تلك الحلقات : أعلامنا الخالدون ، من أساطين الادب الغربي ، شعراء الوطنية .

وبعد ان هجر (عارف) التعليم في مدارس وكالة الغوث بنابلس عين قيما على مكتبة بلدية نابلس . وفـــي ٧ ـ ١١ ـ ١٩٦١ فاضت روحه ودفن في المقبرة الغربية بنابلس ، تاركا بـــين أوراقه خمس مخطوطات لم تنشر .

نموذج من نثره : « قد يتبادر الى اذهان الكثير من الناس انـه يفرض في صانع التوابيت ان يكون دميما ، شديد الوجوم والاطراق ، عميق التفكير والاحساس . وان ابرز ما فيه مـــن الصفات العطف والاشفاق والشعور بهول تلك الهوات السحيقة التي تنتظر المخلوقات في مصايرها المحتومة . وهناك من تذهب بهم الظنون الى ان تلـــك الصناعة تقتل في نفس ممتهنها الاثرة والانانية وتنمي فيـــه الايثار وتحمله على الزهد والاعتقاد بان الموت من شانه المساواة بـين الجميع في قبورهم على الاقل .

لكن صانع التوابيت هذا الذي عرفناه وخبرناه عن كثب ، لـــم يكن على شيء من تلك الصفات . كان هذا الرجل ربعة وسيم الوجه مرحا لا اباليا يتخذ تفكيره صورة عدم التفكير ، الا حين تمر به تلـك الاشباح العابرة والقسمات الفانية . فتراه عندئذ منصرفا الى مقاييسه وبركاره ومثلثه واخشابه ، حتى يخرج من بين يديه تابوت ناعـــم صقيل مريح هو تحفة التوابيت . ولا نستطيع ان نجزم بما اذا كـــان صاحبنا فاقد الاحساس ، ميت العاطفة ، او ان احاسيسه تتفاعـــل فيما وراء بشرته الصفيقة وتطل من عينيه فـي مواعيد لا نعرفها ، ولا يبعد ان يكون مشفقا عطوفا يؤثر على نفسه .

وكان همه الاكبر رواج صناعته ، واقبال الناس على الموت حتى يبيع اكبر عدد ممكن من توابيته ولحوده الجاهزة . وهو يذكر جيدا كيف كان لا يتوقف عن العمل ، حـــين انتشار الاوبئة واشتـــداد الازمات ، فيبارك عهده الذهبي ويلعن أيامه الحاضرة . فقـــد أقبل الناس ، في صميم هذه الحرب الضروس وبرغم غلاء المعيشة علـــى الزواج واعرضوا عن الموت ... انهم لا يموتون كالعادة ... انه لا يبيع اكثر من تابوت واحد في الاسبوع ... ها هي صناعته تبور ... ولو كان بائع البسة لاثرى ... الحكومة هي المسؤولة لانها هـــدت الناس الى طريق الوقاية وحمتهم بامصالها وحقنها وابرها !

فوجيء صانع التوابيت ذات يوم بوفاة ابن عم عزيز عليه ، وقـــد أخرجته هذه المفاجأة عن طوره ، فامعن الفكر بمصير كل حي وبوشوك انحلال كيانه وتفسخ عناصره وتبدده نهائيا كما تذوب الخرقة الترابية .

فكر مليا بالحياة ونظامها وفوارقها ، واتجه اكثر ما يكون بوعيـه الكامل نحو الغنى والفقر والنعمة والبؤس والراحـة والكدح ، ثـم تخطاها الى الآخرة وتصور النعيم المقيم والجحيم المتأجج النيـران ، فشعر ان هناك ايضا تفاوتا ومراتب ودرجات وخفضا ورفعا على نسق ما نحن عليه في دنيانا . وازعجه مـــا وعد بـــه المتقون وما رصد

للكافرين .

ثم بدأ يفتن بصنع تابوت ابن عمه ، فاختار لـه خشب الزان وحشاه بالقطن وفرشه بالقطيفة وشيع الجنازة مع المشيعين . ولما آوى الى بيته واستلقى على فراشه واستسلم الى النوم رأى انه يتنقل في شبه سياحة عجيبة في جوف الارض كسياحات « جول فرن» الخيالية ولكنها استعصت وأبت ان تفضي به الى السطح عن طريق فوهة بركان منطفىء كما كان يقدر . وانتهت به الى بحر خضم التقت عند شاطئه جماهير عرف البعض منها حين ازاحت الحطام وانسلت من توابيتها ... توابيته هو ... عمل يده ... كان قد صنعها على مدى زمن طويل ، ورأى في امتداد النظر فوق البحر جسرا مخلخلا ليس له نهاية والناس يعبرون عليه بحذر الى الجانب الآخر ثم يختفون فيما وراء الافق البعيد !

وقد اكتنفه جو بارد وشعر ان اطرافه تهرأت من شدة الصقيع ، ولما أفاق من نومه وهم بالقيام لم يجد الى القيام سبيلا فقد تيبست اعضاؤه وخارت قواه وظل مستلقيا على ظهره فوق سريره زهاء اسبوع يعاني الآلام الجسدية والنفسية : لماذا لا اترك هذه الصناعة البائرة ؟ مالي اصر على تجهيز الناس بالتوابيت في رحلتهم الاخيرة ؟ انها قسوة ممقوتة ... لماذا لا اساعد على عمل الطبيعة في ناحية اخرى.. ناحية الخلق والابداع ... ها قد اقبل الشباب على الزواج وعما قريب يكثر عدد الاطفال وتينع تلك الزهرات الناعمة ... انها مفتقرة الى مهود تتأرجح فيها يمنة ويسرة .

فكر صانع التوابيت مليا في هذا الامر والقى نظرة اشفاق على ماضيه وتفرس في اربعين سنة من سني العمل خلفا وراءه كانت مزيجا من الرحمة والنقمة في ظل الموت . ها قد صمم ان ينحرف عن الظل القاتل ويتجه نحو الحياة . ولكن الموت الذي كان عجلان يحصد الارواح على قارعة الطريق ثم ونت عزيمته ، هتف به من جديد كهتاف ابي الهول حين خروجه عن صمته في صميم العتمة : تعال ... تعال ... الى اين انت ذاهب يا سيد ؟ أتصنع مهودا لفرانسي وضحاياي ؟

ـ دعني وشاني ، اريد ان اصنع مهودا لجيل جديد هو المهيأ لتغيير الاوضاع .

ـ سيضلون الطريق ... ارجع الى عملك وآزرني في مهمتي ، فانك اذا طلبت الموت اعطيك الحياة !

ـ أضاليل .. أحابيل ... خداع ... كلمات براقة جوفاء !

صانع التوابيت هذا الذي هجر مهنته واحترف صناعة المهود والسرائر الخشبية معروف في جميع الاوساط . ومن يحدق في وجهه اليوم يظنه شابا في الثلاثين بينما قد تجاوز الستين ... وما ذلك الا لانه مهد لجيل طالع جديد ... اما الفروع الذابلة فانها تموت من تلقاء ذاتها !

دعوا الاموات يدفنون موتاهم ، أما انا فسافسح المجال للاحياء !»

٢ ـ الدكتور محمود الغول

ولد في « سلوان » احدى ضواحي بيت المقدس عام ١٩٢٣ ودرس في كتاب قريته وانتسب لـ « كلية روضة المعارف » مدة خمس سنوات (١٩٣١ ـ ١٩٣٥) والتحق بـ « المدرسة الرشيدية » مدة اربع سنوات (١٩٣٥ ـ ١٩٣٨) ودخل « الكلية العربية» وامضى فيها خمس سنوات (١٩٣٨ ـ ١٩٤٢) ، وبعد ان نال الشهادة منها عين معلما في ثانوية الخليل (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) وما لبث ان نال بعثة مجانية على نفقة مديرية المعارف العامة بفلسطين وانتسب عام ١٩٤٣ الى جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة اليوم) وكان اختصاصه الادب العربي واللغات السامية ونال منها شهادة « ليسانس آداب » بامتياز وعاد الى بيت المقدس وعين محاضرا في « الكلية العربية » (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨).

وبعد النكبة الكبرى التي هزت العرب من المحيط الى الخليج هزأ عنيفا عاد الى القاهرة وعين مدرسا في المدرسة الانكليزية بالسويس ، وفي عام ١٩٥٠ عين استاذا للغة العربية في التجهيزية الاولى بحلب وفي عام (١٩٥٠ ـ ١٩٥١) التحق استاذا في « كلية المقاصد الخيرية الاسلامية » ببيروت وامضى فيها سنة وبعدها عين استاذا في « المدرسة المباركية » بالكويت (١٩٥١ ـ ١٩٥٢) وما لبث ان عاد الى سورية وعين استاذا في ثانوية ابن خلدون (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) .

وفي أول تأسيس « دار المعلمين » في عمان (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) عين استاذا للادب العربي وبعد عام انفك من عمله وقصد بريطانيا وعين استاذا للغة العربية في « معهد الدراسات الشرقية » بجامعة لندن (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) ثم بارحها الى اسكتلندا وعين استاذا للغات السامية في « جامعة سانت اندروس » بمدينة سانت اندروس (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) . وخلال عمله استاذا في هذه الجامعة قصد مدينة لوس انجلس (الولايات المتحدة) وعمل استاذا زائرا في « جامعة كاليفورنيا » ونال شهادة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٦٢ وفي عام ١٩٦٤ قام برحلة علمية الى البلاد العربية لدراسة اللهجات واللغات في تهامة وعسير والقى محاضرات تاريخية في العواصم التي زارها ومنها محاضرة قيمة بعنوان : « نقوش الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وقيمتها لدراسة التراث العربي » .

وفي شتاء عام ١٩٦٦ شد الدكتور الغول الرحال الى السعودية وكلفته جامعة الرياض بالتجول في المناطق الاثرية وتصويرها ودراستها ، فاكتشف في شمالي المملكة العربية السعودية ما وصف بانه مدينة اثرية كاملة . وعثر في اطلال هذه المدينة على منحوتات ضخمة دقيقة الصنع تكثر فيها تماثيل حيوانات مائية بين سلاحف واسماك .

ويميل الدكتور الغول الى الاعتقاد ان المدينة الاثرية التي اكتشفها ربما كانت مدينة « بدنة » التي ورد ذكرها في المؤلفات اليونانية والرومانية القديمة باسم « ميد نيتا » .

من آثاره القلمية :

١ ـ رسالة فن الشعر ـ لهوراس الشاعر الروماني : ترجمها عن اللاتينية بمقدمة وحواش وشروح ونشرت في الجزء الاول من كتاب (البدائع) الذي أصدرته (جمعية احياء الدراسات الكلاسيكية) في جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة فيما بعد) عام ١٩٤٥ .

٢ ـ فكرة الشرق والغرب ـ نشوءها وتطورها في حضارات البحر المتوسط ـ محاضرتان نشرتهما مجلة (الحديث) الحلبية لصاحبها الاستاذ سامي الكيالي في عدد خاص عام ١٩٥٠ .

٣ ـ مقالات في النقد والادب ـ محاضرة نشرت في المجلات اللبنانية والسورية الراقية خاصة في مجلة (النقاد) الدمشقية .

٤ ـ المصادر العربية الاسلامية ونقوش الجزيرة العربية قبل الاسلام ـ دراسة مقارنة بالمصادر الاسلامية على ضوء النقوش .

٥ ـ الانياذة : لفرجيل ـ نقل هذه الملحمة اللاتينية الكبرى الى العربية واستغرق نقلها ثماني سنوات (١٩٤٣ ـ ١٩٥١) .

نموذج من نثره : « يقتصر بحثنا هنا على صورتين ادبيتين هما القصة الطويلة والاقصوصة او القصة القصيرة . وهاتان الصورتان القصصيتان دخيلتان عندنا لا صلة لهما بما كان في القصة العربية قبل النهضة الحديثة من قصص كتغريبة بني هلال او سيرة عنترة او سيف بن ذي يزن وغيرها من القصص الطويلة ولا بالف ليلة وليلة والمقامات والحكايات من القصص القصير . وهذه القصص القديمة صورة ادبية لها مقاييسها الخاصة واذا قيست بها كانت من أروع ما يناظرها ، وليس يضيرها ان لا تنطبق على مقاييس القصة الحديثة وان قارنتها احيانا وشابهتها مشابهة قوية . والفرق الاساسي بين الصور القصصية القديمة وبين القصة الحديثة ان الاولى تقوم على

الحوادث ، بينما الثانية تقوم على تحليل الشخصية وتصوير الدوافع والنوازع .

وقد دخلت القصة ادبنا العربي في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين من بابين : باب الترجمة وباب التاليف . كان التمثيل قد لاقى نجاحا شعبيا في ذلك الوقت وكانت القصص كلها تمثيلية او غير تمثيلية تسمى « روايات » وكانت كلها تقريبا منقولة او مقتبسة عن اللغات الاجنبية . وشجع ذلك بعض المشتغلين بالصحافة ان ينشروا في جرائدهم قصصا مترجمة مسلسلة او ان يترجموها كاملة في كتب . وكانت هذه القصص لا تكاد تعنى الا بتتابع الحوادث ولا سيما اذا كانت شائقة قائمة على المخاطرات والمغامرات كملا نلاحظ في معظم القصص التي ترجمها طانيوس عبده وفرح انطون مثل روكامبول وغيرها .

وكان الذين يودون نقل القصة الاوروبية الحديثة الرائعة يصطدمون بعقبة رفعة الاسلوب اذ كان لا بد من اسلوب فخم جزل ترضاه الخاصة . فوجدنا لذلك رجلا كالمنفلوطي يرضى ان تترجم له القصص بمعانيها وحوادثها ثم يصوغها بعبارة فخمة جزلة اللفظ ترضي اذواق الخاصة من معاصريه . ونجحت طريقة المنفلوطي زمنه وبعده وتابعه قوم من اشهرهم احمد حسن الزيات في ترجمة « آلام فرتر » و « روفائيل » بل لقد حاول حافظ ابراهيم مثل ذلك في ترجمته لكتاب « البؤساء » لفكتور هوجو .

غير ان الناس بدأت اساليبهم ترق وتسهل ، وكان لادباء المهجر من ناحية لغة الصحافة الراقية كالمقتطف والهلال فضل لا ينكر في ذلك . وفي الوقت الذي كان فيه مخائيل نعيمة يكتب مقالات « الغربال » النقدية نشر الدكتور احمد زكي قصة « مارغريت او غادة الكاميليا » مترجمة ترجمة دقيقة صحيحة سهلة وكان من حسن حظها ان قدم لها الدكتور منصور فهمي « مدرس الفلسفة بالجامعة المصرية» فشرح قيمة القصة بوجه عام وغرضها مميزا بين القيمة الخلقية لحوادث هذه القصة وبين القيم الانسانية لشخصياتها ودراساتها الاجتماعية .

واتسعت حركة الترجمة بعد ذلك . ومما يؤسف له ان الشعبية « العامية » كانت اقوى اثرا من الناحية الفنية الصحيحة في الترجمة ولذا نجد هذا السيل الطامي من القصص البوليسية او القصص الادبية المختصرة او المحورة كالتي تصدر عن روايات الجيب في مصر مثلا . بل لقد وجدت سلاسل قصصية كانت شرا في موضوعاتها واسلوبها من روايات الجيب مما ساعد على الابقاء على الفكرة القديمة التي تعتبر القصة ضربا من الحكايات يقل شرفا عن ضروب الادب الاخرى ، ان لم تكن مفسدة .

ووجد كتاب مجيدون ترجموا بعض القصص ترجمات جيدة ولكن كلا منهم كان يختار ما يحلو له ، فلم نجد لذلك ترجمات جيدة وافية لاعلام القصصيين الاوروبيين مثل تولستوي ودستويفسكي وبروست وديكنز وهاردي غيرهم .

اما القصة الطويلة المكتوبة باللغة العربية فهناك خلاف في تعيين بدايتها . فلعلي مبارك باشا قصة « علم الدين » في القرن التاسع عشر لكنها اقرب الى ان تكون رحلة . وقد حاول محمد المويلحي في « حديث عيسى بن هشام » أن ينفذ الى القصة عن طريقة اسلوب المقامات كما حاول حافظ ابراهيم مثل ذلك في « ليالي سطيح » ولكننا لا نعتبر كتابيهما قصصا حديثة . أميل الى القول ان قصص جرجي زيدان التاريخية هي بداية القصة العربية الحديثة ولكن محمود تيمور في كتيب له عن القصة يغفل ذكر زيدان ويرى ان « زينب » التي نشرها الدكتور محمد حسين هيكل قبيل الحرب العالمية الاولى هي اول قصة صحيحة مكتملة العناصر الفنية .

وفي لبنان لا يزال كتاب زاولوا القصة مثل نعيمة وعمر الفاخوري وكرم ملحم كرم ولكنهم لم يقصروا فنهم على القصة كما فعل توفيق الحكيم ولم ينتجوا فيها انتاجه .

وفي السنوات العشر الاخيرة قام جماعة من الشبان المصريين مجتمعين في « لجنة الجامعيين للنشر » فكتبوا عددا من القصص الطويلة ومن هؤلاء احمد علي باكثير وعبد الحميد السحار ونجيب محفوظ وعادل كامل وغيرهم . وميزة هؤلاء انهم على اطلاع كاف على القصة الاوروبية لمعرفتهم لغات اجنبية ، وهم في هذا مثل توفيق الحكيم وادباء لبنان الذين ذكرتهم ، ولكن قام كتاب ممن لم تتيسر لهم ثقافة جيدة في الآداب الاوروبية فكتبوا قصصا طويلة كما فعل محمد سعيد العريان ، وكانت نماذجهم القصص المترجمة او قصص القصصيين العربية . ولا بد ان يبدو على مثل هؤلاء مهما وهبوا من مقدرة واضطراب في بناء قصتهم ، ولن يكون ثمة محيص للكاتب القصصي ان يستأنس دائما بقراءة القصص الاوروبية في لغاتها الاصلية او في ترجمات جيدة الى لغتنا او الى لغات اخرى نعرفها .

والقصة العربية القصيرة اوفر حظا من القصة الطويلة من حيث الانتشار واقبال الكتاب عليها ، واول من اشتهر بالقصة القصيرة محمود تيمور ، ويكاد ان يقصر كتابته عليها وان كتب بعض التمثيليات وقصة طويلة او قصتين .

ووفق تيمور لما في قصصه من ملاحظة بارعة وواقعية دقيقة في وصف حياة الناس ولا سيما اعمارهم . وقد كتب فيها لذلك توفيق الحكيم وابراهيم عبد القادر المازني ، ومن الشبان الذين يكثرون الكتابة فيها في مصر اليوم صلاح ذهني ، وعبد الرحمن الخميسي وبنت الشاطىء وسعد مكاوي وابراهيم الورداني . اما في لبنان فقد أجاد في القصة القصيرة مخائيل نعيمة وتوفيق يوسف عواد وخليل تقي الدين.

اما سعيد تقي الدين فقد شارف الذروة في الاجادة ولا سيما في صياغة الحوادث واستخدامها اداة طيعة لفكرته رغم ما يؤخذ عليه احيانا من ضعف في العبارة جعل يتعمده آخر الامر كأنما يغطي على الضعف عامدا » .

٣ ـ الدكتور منذر عنبتاوي

يتأسى الدكتور عنبتاوي ، في تأملاته وانطباعاته ، قول الكاتب المسرحي الاميركي « آرثر ميلر » : «السنة كتاب، وكل يوم نفتح صفحة بيضاء ، وعلينا ان نرسم على تلك الصفحات شيئا خالدا لوطننا » .

ولد « منذر » في نابلس بفلسطين وانهى دراسته الثانوية في كلية النجاح الوطنية عام ١٩٤٥ . والتماسا لثقافة عامة قصد القاهرة عام ١٩٤٦ وانتسب للمدرسة الابراهيمية الثانوية ، وعاد الى بيروت طلبا للعلم في الجامعة الاميركية وانهى صفي « الفرشمن » و « الصوفومور » (١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) ثم بارحها الى جامعة الاسكندرية ودرس الحقوق ونال الشهادة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٣) .

وقصد هولندا ونال الدبلوم العالي في الادارة العامة من معهد الدراسات الاجتماعية بـ « لاهاي » عام ١٩٥٩ ، وما لبث ان انتسب الى جامعة خرونتجن بهولندا ونال الدكتوراه في القانون الدولي عام ١٩٦٢ .

واقبل « منذر » على المجال العام فعين عضوا في ادارة التشريع والقضايا ومحاميا للحكومة الليبية في طرابلس (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) ثم عاد الى الاردن وعين مساعدا للنائب العام بعمان فقاضي صلح لمدينتي الزرقاء ونابلس ومدعيا عاما لعمان (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨) . وما لبث ان انفك عن عمله في وزارة العدل الاردنية ليعمل مستشارا في الادارة السياسية بوزارة الخارجية الكويتية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) . وسرعان ما لبى نداء وطنه المغصوب فعين مندوبا لمنظمة التحرير الفلسطينية في الشرق الاقصى فمديرا عاما للصندوق القومي الفلسطيني (١٩٦٥) ، وفي هذا العام انشئت في بيروت « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » فعين نائبا لمدير هذه المؤسسة بالاضافة الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تدريسه القانون الدولي في جامعة بيروت العربية في العاصمة اللبنانية .

من آثاره القلمية : صنف الدكتور عنبتاوي مجموعة من الكتب وقد قصرها على الوحدة العربية والقضية الفلسطينية ، كما القى محاضرات حيال قضية العرب الاولى . ودونك اسماء وعناوين ما وقفنا عليه من آثاره :

١ ـ التعبير القانوني للوحدة العربية (باللغة الانكليزية) طبع عام ١٩٦٢ .

٢ ـ الوثائق الفلسطينية السنوية (من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية) طبع عام ١٩٦٥ .

٣ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية (من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية) (اسهم في وضعه الدكتور منذر) طبع عام ١٩٦٤ .

٤ ـ ليبيا طريقنا الى مراكش (مجموعة محاضرات) .

٥ ـ مهمة فلسطينية في الشرق الاقصى : محاضرة القاها في عمان ١٩٥٧ .

٦ ـ التنظيم الصهيوني في فلسطين خلال فترة الانتداب : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٦ .

٧ ـ صراعنا مع اسرائيل في آسيا وافريقية : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٦ .

٨ ـ اتفاقيات الهدنة وحقوق عرب فلسطين : محاضرة القاها في بيروت ١٩٦٧ .

٩ ـ المخططات الصهيونية ومنجزاتها في افريقيا (مخطوطة) .

وفي عدد خاص بالقضية الفلسطينية اصدره الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر من مجلته « الازمنة الحديثة » الباريسية ، وقد افسح فيه المجال للحوار بين الكتاب العرب والكتاب اليهود ليشرح كل طرف وجهة نظره حول اسباب النزاع العربي ـ اليهودي والحلول المقترحة للتوصل الى حل لقضية فلسطين ، نشر الدكتور « منذر » مقالا قيما بعنوان « بعض النزعات المتاصلة في الحركة الصهيونية » .

نموذج من نثره :

« قبل حوالي خمسين عاما لم يكن لدى الفنان البلجيكي اللاجىء في منزل الاديب الهولندي من شيء يقدمه الى مضيفه الكبير لقاء اقامته في منزله طيلة سنوات الحرب العالمية الاولى سوى لمسة من فنه العبقري . وفي تردد وارتباك قال له وقد ازمع على الرحيل : اعترف بانني عاجز عن الوفاء بما قدمته لي . ولكن هل تسمح لي بصنع تمثال صغير لابنتك الصغيرة لينيكه ؟ واجاب والدها : بكل سرور اذا كنت قادرا على اقناعها بالجلوس ! وحبذا حاول الاثنان : الفنان والاب اقناع لينيكه التي كانت تبلغ من العمر عشر سنوات بالجلوس مدة تكفي لكي يقوم الفنان بانجاز عمله . فقد كانت منذ نعومة اظفارها شعلة من النشاط والحركة . واعادا المحاولة يوما بعد يوم دون جدوى .. الى ان خطرت للاديب الكبير فكرة قام على اثرها يلتقط كتابا من مكتبته العامرة ويعرضه على ابنته الصغيرة . وجلست الفتاة ولفت نظرها من الكتاب غلافه الغريب .. فسكنت في مكانها .. وما ان قرأت فيه بضعة اسطر حتى ثار في نفسها اهتمام غريب لمتابعة القراءة .. وهكذا نسيت نفسها وهي تلتهم الكتاب التهاما ! ولما انتهى الفنان من اكمال عمله كانت لينيكه لا تزال في مكانها تتابع بشغف قراءة الكتاب الذي كانت تحتضنه : الف ليلة وليلة !

ومرت لعب وكتب كثيرة بين يدي لينيكه في الايام والشهور والسنوات القليلة التي تلت ذلك ولكن شيئا لم يثر خيالها واهتمامها قدر ما اثاره كتاب الف ليلة وليلة ! وكانت اولى نتائج هذا الحدث الفريد في طفولتها ان كشف عن مواهبها الفنية والشعرية التي كانت حتى ذلك الوقت دفينة تنتظر ساعة الانطلاق . وهكذا بدأت تمارس الرسم والنحت والعزف على البيانو .. وقرض الشعر ! وما هي الا سنوات قليلة حتى اكتشفت في نفسها طموحا شديدا الى التخصص في الفنون فارسلها والدها الى باريس لدراسة الرسم والنحت والموسيقى . وبعد فترة قصيرة من الدرس والتحصيل بدا فيها تفوقها الواضح على اقرانها وجدت نفسها فجاة امام من تصورته احد اشخاص الف ليلة وليلة! وهكذا تزوجت ! وكان زوجها مهندسا مصريا التقت به في باريس .. وعندما ركبت الباخرة لاول مرة متجهة بها نحو مصر كانت اقصى امانيها ان تصل الى البلاد التي تمثلت فيها بنظرها احداث الف ليلة وليلة !

وعندما وصلت الى مصر رافقت زوجها الى المعصرة بين حلوان وطرة في ضواحي القاهرة حيث كان يقطن في منزل يطل على اطراف الصحراء قريبا من مصنع الاسمنت الذي كان يعمل فيه . وكانت اول نصيحة قالها لها زوجها وهو يغادر منزله الى مقر عمله : اياك والتعامل مع اولاد البلد من العرب او الاتصال بهم او الخروج وحدك من المنزل فانه لا يؤتمن جانبهم ولا يتورعون عن منكر ! ونزلت هذه النصيحة نزول الصاعقة على الطفلة التي كبرت وهي تعيش في حلم من احلام الف ليلة وليلة !

ولم تصدق ما قاله زوجها وخرجت الى شوارع البلدة وتجولت فيها ساعات دون ان يتحرش بها انسان . وفي الايام التالية تحدثت الى صاحب الدكان المجاور ودخلت بعض المحلات التجارية ومحلات البقالة ورأت نفسها مأخوذة ببساطة ابن البلد المصري طيبته ومرحه واصالته . الى ان جاء يوم ارادت فيه ان تكتشف الصحراء وسرها. فسارت وحيدة مسافة طويلة الى ان شعرت انها قد فقدت طريقها ولم تعد قادرة على العودة . وسارت على غير هدى الى ان تبينت لها معالم خيمة (او بيت شعر) فاقتربت منها لتجد فيها بعض الاعراب . فجزعت بادىء الامر ولكن الرجال هبوا لدعوتها . ودون سؤال قدموا لها كوبا من الماء وفنجانا من القهوة المرة ولم تكن قد ذاقتها من قبل . وبعد استراحة قصيرة رافقوها الى المعادي وهي في ذهول من فرط طيبتهم وشهامتهم وكرمهم . وبقدر ما اكدت هذه الحادثة صدق حدسها وصحة نظرتها الى العرب بقدر ما اثارت سخط زوجها وثورته عليها لاهمالها نصيحته . واخذت علاقتها بزوجها تسوء يوما بعد يوم .. الى ان اكتشفت سر كراهية زوجها للشعب المصري . فقد تبين لها انه لم يكن عربيا وانما كان اجنبيا متمصرا لم تربطه بابناء ذلك الشعب الطيب اية رابطة . واكتشفت انها اخذت تتعلق بابناء البلد وبطبيعة حياتهم اكثر من تعلقها بزوجها وبطبيعة حياته المادية . واكتشفت الحقيقة الكبرى الثانية وهي انها عندما احبته وتزوجته في باريس انما كانت تحب فيه مصر والعرب والشرق فلما سقط القناع عن وجهه سقطت كل فضائله ولم يبق منه سوى صورة لاجنبي ناكر للجميل آوته مصر وتقبله شعبها الطيب ويسر له كل سبل الحياة الكريمة فحصل على الجنسية ليتساوى مع ابناء مصر في ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ومع ذلك فلم يكن لكل ذلك في نظره من معنى سوى امتصاص اكبر قدر ممكن من خيرات مصر واستثمار عرق اكبر عدد ممكن من ابنائها .!

وهكذا لم يكن هناك بد من الانفصال ثم الطلاق . وعندما عادت الى بلادها في عام ١٩٣١ لم يكن يؤرقها شيء سوى اضطرارها ترك تلك البلاد التي اخذت بلبها .

ومنذ ساعة وصولها الى هولندا اخذت تتحدث بشوق عن سحر الشرق ومفاتنه وعن طيبة العرب وكرمهم وصدق مشاعرهم الى ان مل والدها هذا الحديث فقال لها ذات يوم : « كفى الحديث عن القشور. اذا اردت فعلا ان تعرفي حقيقة العرب فاقرئي هذا الكتاب » . ودفع اليها هذه المرة بكتاب صديقه جوستاف لوبون الشهير « حضارة العرب » وكما تجاوبت مع الف ليلة وليلة قبل ذلك بسنوات كذلك

كان تجاوبها مع حضاره العرب . وكان هذا الكتاب نقطة التحـــول الكبرى الثانية في حياتها وذلك انها لم تكن قد فرغت منه حتى اخذت تبحث في كل ما كتب عن حضارة العرب وتاريخهم القديم .

وما هي الا فترة قصيرة حتى انغمست كلية فـي دراسة حضارة العرب وتاريخهم ولما استشعرت في نفسها الماما كافيا فـــي الموضوع اخذت تكتب وتحاضر في هذين الموضوعين كلما سنحت لها الفرصة . وفي هذه الاثناء التقت بالرجل الذي يمكن ان يقال عنه بحق انه اكمل نصف دينها : كيس وولتجر الرجل الذي لا تستطيع منذ تزوجته ان تخطو خطوة بدونه والذي يرجع اليه الفضل الاول في ما وصلت اليه هذه السيدة العظيمة . كان كيس محاميا ناشئا عندما تزوجته فـــي عام ١٩٣٤ ولم يكن يعرف من امر العرب شيئا ، لا ماضيا ولا حاضرا . الا ان حبه لزوجته واهتمامها بتاريخهم وحضارتهم خلق عنـده فضولا عجيبا للقراءة عنهم . وهكذا احبهم من خلال حبه لزوجته . واذا كـان حبها لزوجها الاول كان من خلال حبها للعرب فقد كانت بداية تعلـق زوجها الثاني بهم من خلال حبه لها . والغريب في الامر ان ارتباطـه بزوجته قد زاد بعد ان درس تاريخ العرب وحضارتهم . ونراه اليوم لا يقل حماسا عن زوجته في العمل من اجل العرب وقضاياهم . ولمـا كان اسمه الاول هو كيس واسمها الاول هو لينيكه فقد كان على بالـه ذات يوم ان يطلق عليها اسم ليلى . وهكذا عرفنا منذ سنين بالاسمين العربيين الخالدين : قيس وليلى !!

وجاءت النكبة في عام ١٩٤٨ ولم تكن ليلى علـى صلة باحداث العرب المعاصرة . كانت تعيش مع ماضيهم : مع تراثهم وتاريخهم .. واموالهم . الى ان جاءها زوجها حزينا ذات يوم وقال لهـا : لقـد عملت طويلا من اجل عرب الامس ولكن عرب اليوم هم اليك احوج !

وهكذا سمعت بقضية فلسطين وما يجري فيها لاول مرة فقـد كانت في شغل عن العرب الاحياء بالعرب الاموات ! وكانت تلك نقطة التحول الثالثة في حياتها .

اخذت ليلى تدرس قضية فلسطين وتبحث عـن اصولها وفروعها الى ان وصلت الى النتيجة التي يصل اليها كل انسان ذو ضمير حي. فقد اذهلتها المأساة وصدمتها حقيقة الصهيونية والجرائم التي ارتكبتها على ارض فلسطين . واصابت ضميرها رعشة قوية عندما تبينت الدور المخزي الذي لعبه الغرب في التآمر على الحقوق العربية واقامة دولة دخيلة في قلب الارض العربية .

وحتى لا يتصور احد للحظة من اللحظات انها كانت ذات ميـول مازية او لا سمية كما يفعل اليهود الذين يحاربونها ويحاربون زوجهـا بلؤم ودناءة في هولندا منذ سنوات ، حتى لا يتصور احد ذلك نسارع الى الاشارة بان ليلى اشتركت فعليا في المقاومة السرية للاحتـــلال النازي لبلادها خلال الحرب العالمية الثانية . وقد القت قصيدة شهيرة في اول احتفال اقامته بلدية مدينة لاهاي بمناسبة جلاء القوات الالمانية عن هولندا كما انها صنعت تمثالا خلدت فيه المقاومة الهولندية لهذا الاحتلال لا يزال معروضا حتى اليوم في المتحف الحربي الهولندي في مدينة لايـدن .

وخلال عامي ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ قامت ليلى وزوجها برحلتين الـى البلاد العربية زارت فيهما الاردن وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس بالسيـارة .

ومن ذكرياتها في هذا ما حدث ذات مساء عندما كانـا يتوجهان بسيارتهما من رام الله الى نابلس فـي طريقهما الـى الخطوط الامامية في طولكرم . فقد اوقف زوجها السيارة عند قرية سنجل ليتاكد مـن انه كان يسير فعلا على الطريق الموصل الى نابلس . وكانت تقف قريبا منهم على الشارع العام سيارة بيك ـ آب قديمة يجلس فيهـا بعض العمال العائدين من عملهم . وعند سؤال العمال اجاب هؤلاء بانهـم متجهون الى نابلس ونصحوا السائل الغريب ان يتبعهم عندما تتحرك سيارتهم بعد قليل . وكان اثنان مـن العمال يشتريان العنب مـن الدكان ـ المحطة عندما لمحا السيارة الغريبة فاتجها نحوها وقدما كمية من العنب الى ليلى وزوجها الا انهما اعتذرا عن قبولها فاصر العاملان. وهنا اخذ قيس يتحسس جيوبه في ارتباك ثم قال : آسف ولكن ليس لدينا نقودا اردنية في هذه اللحظة . وهنا قال احد العاملين باسما : عيب ! من قال ان عليكم ان تدفعوا ثمن العنب . انكم هنا ضيوف في بلادنا ومن حقكم ان تذوقوا ثمارها !

ولم تستطع ليلى رغم تعاقب السنين ان تنسى كوبا مـن الماء وفنجانا من القهوة المرة قدمهما لها اعراب في صحراء حلوان ذات يوم قبل حوالي ثلاثين عاما عندما كانت في حالة يرثى لهـا من الاعيـاء والعطش والخوف ولا بضعة عناقيد من العنب حملها اليها بعض العمال العرب على طريق رام الله ـ نابلس ذات مساء قبل عشرة سنوات ولا المساعدة الهائلة التي بذلها لها ولزوجها مواطنون مـن ليبيا عندما كسرت بهما السيارة على طريق بنغازي ـ طبرق ذات يوم مـن نفس السنة ... كل ذلك بدون مقابل ولمجرد ان ليلى وزوجها كانا يزوران ارضا عربيـة !!

وكنت كلما رايت ليلى تحرق اعصابها وهي تعمل فـي ابحاثها وكتاباتها ومحاضراتها دفاعا عن حقوق العـرب المهضومة فـي فلسطين تذكرت قصور العرب الفاضح في حق انفسهم .. وكنت اقول لهـا في تلك الساعات : هل نستحق يا ليلى منك ومن زوجك كل هذا الاخلاص والتفاني من اجل قضيتنا .. وكانت دوما ترد قائلة : اذا كنت سانسى ما فعله الغرب بكم والجريمة التي ارتكبها بحقكم وهو امـر مستحيل فهل استطيع من ناحية شخصية ان انسى ما قدمه افراد عاديون مـن مواطنيكم لي شخصيا ولزوجي في ساعات ضياع او محنة !؟

واذكر انها حزنت حزنا شديدا خلال عام ١٩٦١ على وفاة كلبتها وكانت رفيقتها الوحيدة في المنزل اثناء غياب زوجها عنه . ويوم وفـاة الكلبة دخل زوجها المنزل ليرى زوجته تعيسة حزينـة وكانت تبكي كالاطفال . حاول جهده التخفيف عنها دون جدوى . واخيرا قام الى احد الرفوف .. واتى لها ((بصينية)) تقـدم عليهـا القهـوة والشاي وقال لها مشيرا الى الصورة المثبتة تحت زجاج الصينية : اذا كـان لا بد من البكاء فان هؤلاء احق به واجدر .. وكانت الصورة تمثـل مجموعة من العائدين العرب وهم يقفون في ثيابهم الممزقة امام خيامهم البالية .

كانت ليلى تحدثني في منزلها عن وفاة الكلبة بعد حدوثها بيومين وكانت تقول : قد تستغرب حزني الشديد على حيوان ولكن لا تنسى ان هذا الحيوان كان حيوانا وفيا وامينا ونحن كما ترى نعيش فـي عصر عز فيه الوفاء والامانة بين بني الانسان ! وعندما وصلت الـى الحديث عن زوجها وصينية القهوة قامت لتريني ماذا فعـل واتـت بالصينية ووضعتها على حجرها وقالت : ولقد اتى لي بهذه الصينية وقال .. وما انهت جملتها حتى كانت الدموع تنهمـر مـن عينيها بغزارة .. وتمردت الدموع من عيني وقمت وانا القادم من ارض النكبة اهـون عليها من اثارها التي تركت جروحا عميقة في نفسها .

وذات مرة احتاجت ليلى لمطالعة بعض المراجع بحثا عن صحة مـا جاء في احدى الوثائق المتعلقة بقضية فلسطين والمتصلة بمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الاولى فكتبت الـى احد المسؤولين في مكتب الاعلام العربي التابع لجامعة الدول العربيـة في نيويورك لمساعدتها في التحري عن تلك الوثيقة في مكتبات المدينـة الكبيرة . وانقضت بضعة شهور كتبت خلالها عـدة رسائل للمسؤول المذكور دون ان يصل اي رد حتى ولا بالاستلام .. وظنت انه لا بد وان يكون الشخص المسؤول خارج نيويورك فكتبت الى الدكتور الما برجر وهو يهودي ومن زعماء المجلس اليهودي الاميركي المعـادي للصهيونية والمقيم في نيويورك وكانت تعرفه واعتذرت عن ازعاجها لـه واخبرته

لوعة التشريد

اين طفلي
اين بيتي ؟ اين أرضي ؟
بعدما افرغت في ارضي حبي
كـل حبـي
اين ثاري ؟ اين حقدي ؟
اين ما ينبت
من غرس التحدي
كان لي طفل وبيت
كان لي أم وأخت
اين طفلي ؟ اين بيتي ؟
اين أمي ؟ اين اختي ؟
اين أرضي ؟
انـا ادري . ألف ادري
ضيع الاذناب ارضي

ساعدوا في ثلم عرضي
اين حقدي اين ثاري ؟
لم أعد في وحشة الدرب صبيا
لا ولا في حمل اشلائي فتيا
سائرا في درب قفر
آكلا همي وفقري ...
سوف نرمي كل
أثواب السخام
وتلوح الشمس من
خلف الغمام
وتغني كل اسراب اليمام
في سفوح القدس
في ارض السلام

عمان — يعقوب عبد العزيز الرشيد

بانها كانت ترغب من السيد (هـ) في مكتب الاعلام العربي ان يقوم بهذه المهمة لولا انه تبين لها انه غير موجود في نيويورك . وفي خلال اسبوع جاءها الاستيضاح المطلوب من الدكتور برجر الذي لم ينس ان يشير في رده الى انه اتصل تليفونيا بالسيد (هـ) فور استلامه رسالتها فتبين انه موجود وانه تسلم رسائلها كلها ولكنه كان مشغولا لدرجة لم يتمكن معها من الرد عليها ؟

وقالت لي ليلى وهي تعتصر من الالم : اليس من سخريات القدر ان يكون الدكتور برجر اسرع الى استجابة طلب يخدم قضية فلسطين من احد المسؤولين العرب واضافت جملتها الشهيرة الجارحة : « انتم العرب اسوأ محامين لاعدل قضية ! »

وبعد ، فهذه لمحة قصيرة عن السيدة التي تعمل منذ ستة عشر عاما بمعدل خمس عشرة ساعة في اليوم لخدمة قضية فلسطين . هذا كلام اقوله بلا ادنى مبالغة . ومن يعرف هذه السيدة يعرف هذه الحقيقة . ومن يعرفها جيدا او من قرأ ما كتبته من ابحاث او مقالات عن قضية فلسطين يدرك انه قل ان يوجد في الشرق او الغرب ، بين العرب او غير العرب من يتفهم قضية فلسطين تفهما علميا تاريخيا مثبتا بالادلة والمستندات الاجنبية والتي ليس بينها وثيقة او مرجعا عربيا واحدا كما تتفهمها هذه السيدة .

وقد شاءت الصدف ان القاها وزوجها في القاهرة مساء اول ايام آب ـ اغسطس الحالي وهما يزورانها لاول مرة منذ تسع سنوات وكانا قد عادا لتوهما من زيارة قصيرة لقطاع غزة . فرأيت فيها وفي زوجها عزما جديدا واندفاعا لا حد له في الدفاع عن حقوق عرب فلسطين .

وقالت ليلى في حفل العشاء التكريمي الذي اقامه على شرفها ذلك المساء وكيل وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة انها ذهلت من ذلك الاصرار العجيب على العودة المظفرة الذي لمسته لدى كل من قابلته من ابناء فلسطين في غزة . وتحدثت عن مظاهر التقدم الذي شاهدته في الجمهورية وخاصة في المجالين العلمي والعسكري وقالت ان اكثر ما لفت نظرها في هذه الزيارة هو نجاح التجربة التي خاضتها الثورة العربية في مصر في مجال العمل المشترك والذي كان دليله الواضح ذلك الاستعراض الرياضي الكبير الذي اقيم في استاد القاهرة بمناسبة اعياد الثورة والذي شارك فيه الالوف من شباب الجمهورية وشاباتها وهو امر يناقض ما يحاول اعداء العرب ان يقولوه دوما من ان العربي انسان فردي النزعة وغير قابل للتعاون والعمل المشترك . ولقد سعدت عندما سمعت الدكتور سلامة حماد وكيل وزارة التعليم العالي في الجمهورية يقول عنها في كلمة القاها في حفلة العشاء المذكورة : انني اذ احيي هذه السيدة الجليلة فانني لا احيي فيها حبها للعرب ودفاعها عن قضاياهم العادلة وفي مقدمتها قضية فلسطين بقدر ما احيي فيها رسولة للحق في بلادها وفي القارة التي حان الوقت لكي تعرف الحقيقة وتسمع كلمة الحق بعد ان كاد طوفان الدجل الصهيوني والاستعماري ان يغرق كل مبادىء الحق والخير التي رفعها احرار الفكر في ربوعها .

اكتب هذه الكلمات وانا ادرك تماما ان ليس هناك ما يمكن ان يفي هذه السيدة الوفية حقها . واكتبها وانا اعلم تماما انها ابعد ما تكون عن الرغبة في الاعلان عن نفسها . واذا كان لي من عذر في الكتابة عنها دون استئذانها فهو رغبتي في حث بني قومي في هذا الوقت بالذات لكي يؤدي كل منهم واجبه تجاه قضية بلاده من خلال ساعة عمل واحدة فقط كل يوم وليس ثماني عشرة ساعة كما تفعل القديسة الهولندية الخالدة . « ليتنكه فان درهوفن ليونارد ! »

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

الشيـخ سـعيد اليـازجي

بقلم شكر الله الجر

* * *

سعيد اليازجي شاعر ينبع الشعر من رأسه لا من قلبه . ومن فكره لا من لبه . نشأ في كفرشيما بلدية اليازجيين الكبيرين الشيخ نصيف وولده ابراهيم فكان كيفما اتجه شاطئا وجبلا لا يسمع من افواه الناس الا الثناء عليهما والمفاخرة بهما وقد عطر ذكرهما الافواه فشنف المسامع ومشت قصائدهما امثالا على السنة الفتيان والفتيات . فاقسم على نفسه بأن يسير مسراهما ويطبع على غرارهما في الشعر والادب فاتقن اللغة وعلم البيان وراح يقرض الشعر ناهجا فيه نهجهما في المواعظ والحكم والغزل الذي ما يبل قلبا ولا يطفىء ظمأ الى غيره من شعر المناسبات . فاجتمع لديه باقة من قصائد كان يعدها للطبع ولكنها لم تطبع حتى اليوم .

نزل البرازيل اسوة بأخيه الذي سبقه اليها وهو الشيخ وديع اليازجي الذي اسس مدرسة تعلم اللغة العربية الى جانب اللغة الوطنية فصادفت اقبالا من الاسر السورية لا سيما الجالية الحمصية في سان باولو مدينة الصناعات الضخمة والثروات الكبيرة فكان طبيعيا ان تكتظ مدرسته بالطلاب وكان المرحوم سعيد من اساتذتها في بادىء الامر ثم ما لبث ان تحول عن التعليم الى تمثيل المحلات التجارية الكبرى متخذا له سكنا مدينة الافق الجميل عاصمة ولاية مينس وهناك قضى ايامه حتى النهاية فيها وكان رحمه الله طيب الاحدوثة كريم الاخلاق يحمل في وجهه وحركاته طابع القرية اللبنانية «كفرشيما» لا تقبل نفسه تطبعا بمحيطه ولا ثقافة دخيلة على ثقافته العربية مقتنعا بلون واحد من الشعر هو الكلاسيكية الرصينة وعندما دعيت الى القاء قصيدة بمناسبة تدشين النادي اللبناني في مدينة الافق الجميل تحت رعاية سفير لبنان يومذاك الدكتور رئيف ابي اللمع وقف الشاعر اليازجي . وبعد ان رحب بالسفير عطف علي مرحبا بي قائلا :

مرحبا بالشعر في روحته ... وبالشاعر الحر في طلعته
تغازله اعين النيرات ... وتهفو القلوب الى بسمته

الى آخر ما في الابيات من صفاء في المودة وذكريات حلوة مرت تحت سماء مدينة النجوم « بللو هوريزونتي » حيث كنت اكثر من التردد عليها .

ويطيب لي انسجاما مع ذكرياتي الحلوة عنها ان اترك على صفحات « الاديب » ضوءا من قصيدتي التي انشدتها في ذلك المهرجان اللبناني الرائع . منوها بليال مبطنة بالمسرات في ظل جالية لبنانية جبارة هي عنوان التفوق والنشاط معظم ابنائها من ابناء زحلة مدينة الشعر ولها قصورها الباذخة ومتاجرها العامرة وحياتها الحافلة باسباب الترف وقد نبغ فيها ادباء وعلماء واطباء وصناعيون هم من قلب تلك المدينة قلبها الخافق ومجدها السامق وهاك ابيات من قصيدتي وعنوانها « معلقة الافق الجميل » تجاوزت ابياتها الثمانين وهي ما تزال تشمخ باطارها الانيق في صالون ذلك النادي حتى اليوم وفيها الكثير من غرور الصبا وذكرياته المستحبة :

ما كان يحلم بعد طول زمانه ... في ان يكف الدهر عن عدوانه ؟
فيعود للبلد الذي آفاقه ... سكبت أفاويق النهى ببيانه
كم صفقت اغصانها وطيورها ... للبلبل الفريد تحت لسانه
اوحت اليه بالروائع فانثنى ... وشذا الربيع يضوع في اوزانه

ومنها :

الله في «الافق الجميل» وشمسه ... وهوائه والظل من افنانه
أترى خمائله وزهر رياضه ... ومكاحل للطيب في قحوانه
ذكرت على مد السنين وجزرها ... ذاك الفتى الممراح في ريعانه
الاسود الجعدي حول جبينه ... وبريق عين النجم في اجفانه
او شلة للغيد سحر عيونها ... باق بقاء القلب في خفقانه

ومنها :

قسما شباب الارز لم انزل على ... ربع اعز علي في سكانه
من ربعكم هذا وفي جنباته ... نشأت فروع الارز من فتيانه
نهضت عزائمكم به فتفجرت ... انهاره بالتبر في قيعانه
ونمت به اغراسكم وتشعبت ... حتى رأيت الخصب في صوانه
اخذت باعناق السحاب جهودكم ... فزهت صروح زدن في عمرانه
امشي به في ظلكم وكانني ... امشي في الفردوس بين جنانه
او من ربى لبنان بين شبابه ... الريان من مر العلى ولبانه

الخ الخ ...

وما انهيت قصيدتي حتى رأيت شيخنا اليازجي مقبلا علي ثم راح يقبلني ويبكي من شدة تأثره اذ كان رحمه الله في آخريات ايامه حاضر الدمعة تنسرب عفوا من مقلتيه في شتى المناسبات المبهجة والكئيبة .

وطالما اسمعني في الفترات « انك ما زرت هذه المدينة مرة الا وطلعت علينا بقصيدة جديدة في وصف محاسنها واعشاش الغرام فيها بينما انا لا يهيج شاعريتي ما يهيج شاعريتك منها ولا يتسرب الى نفسي ما يتغلغل في نفسك من مفاتنها » وقد كان صاحبنا على حق في قوله وشتان بين شاعرين شاعر متزوج قبع في زوايا بيته يداعب الفيش البيضاء والحمراء على الطاولة الخضراء مع لفيف من هواتها ، وشاعر طليق من قيود الزواج مرخيا للشباب عنانه وتاركا للزمان احكامه . تلك ليال طيبة تذكرني بمدينة الافق الجميل وايامي الهانئة فيها وبذلك الصديق الشاعر الذي بارح الدنيا وهو يهجس بطبع ديوان شعره فعاجله شاعر الحياة الاكبر واعني به الموت فحمله على جناحيه وطار به الى حيث يعقد الشعراء

فلسطين

أعيش غريبا بعيد التعب ... بعيد المهوم قليل النشب
أعيش غريبا بقفر نأى ... كحر قصيد نبا واضطرب
أعيش غريبا بارض السوى ... وارض بلادي مدار الكرب
ركبت الخطوب الى غايتي ... وما غايتي غير مجد العرب
فرغم الهزيمة لا انثني ... أغني بلادي بما قد وجب
فاسكب شعري كحر لظى ... واكسو القوافي جلال الحقب

فلسطين لا تحزني اننا ... سنبقى سيوفا بوجه النوب
فلا نستنيم الى نكبة ... سترأب من صدعنا ما انشعب
تجدد من عزمنا ما وهى ... وتحزم من امرنا ما صعب
فللشعب مهما استبد الطغاة ... وجار البغاة سبيل الغلب
فخل الحسام يقل ما يريد ... فلا نصر الا بحد القضب
فهذي الحقيقة لا غيرها ... تنيل البلاد عزيز الطلب
فمن لم يذد عن حياض الحمى ... عميل ذليل يثير الريب
فحاذر خيانة ارض النبي ... مهاد المسيح لواء العرب
تقحم على الصلج كل المدى ... وسد عليه الربى والسهب

فلسطين لا تحزني اننا ... سنثار مهما استطال الصخب
فما ضاع حق له صاحب ... وزند قوي يطول الشهب
فجند من الحق كل القوى ... وهاجم حصون القلى والكلب
وخل ازيز الرصاص هناك ... يعلمهم كيف تلقى الخطب
فان فلسطين ارض لنا ... وارض العروبة لن تغتصب

لاباز ـ بوليفيا ... جورج الكعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعراسهم وينشدون اناشيدهم والى القارىء الكريم من شعره هذه المقاطع الوصفية الجميلة :

رأيت الغدير على مهله ... يسير ويخطر في مشيته
شبيه الفضيلة في صمته ... ومثل التحنن في رقته
تجلى الصباح على مائه ... وغنى النسيم على ضفته
يصول عليه الزمان فيرغي ... ويطفو الوقار على رغوته
وما ان يثور لهوج الرياح ... يعود سريعا الى هدأته
فكن في الحياة شبيه الغدير ... اذا الدهر راعك في محنته

ومن شعره يصور غرام فتى بعروسة احلامه فيقول :

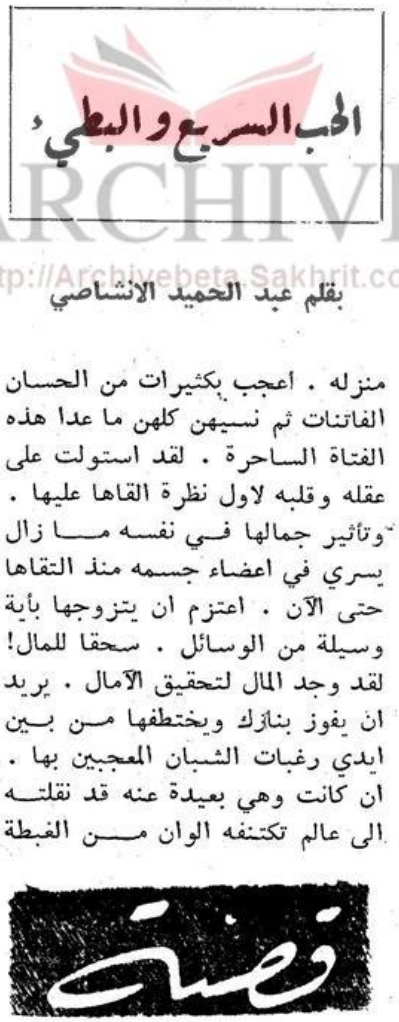
ترأى الغرام لعين الفتى ... فخف اليه بوجه طليق
فلا السير يوهن اقدامه ... ولا الليل يحجب عنه الطريق
اذا في ربيع الحياة فتاة ... بوجه صبيح وقد رشيق
اطلت عليه وفي ناظريها ... لكل معاني الحياة بريق
فالقى اليها باشواقه ... بصوت شجي وقلب رقيق
وافضت اليه باحلامها ... فهاما بلج الغرام العميق
يطوق عنقا كجيد الغزال ... فطورا يغيب وطورا يفيق

رحم الله شاعر كفرشيما ما كان اطيبه عشيرا والطفه سميرا .

جبيل ـ لبنان ... شكر الله الجر

الحب السريع والبطيء

بقلم عبد الحميد الانشاصي



نازك بريئة النظرات صافية العينين، صغيرة الوجه ، ساذجة الحياء ، خبيرة الحركات ، ضعيفة الخصر ، قوية الصدر ، خفيفة الخطو ، كثيفة الشعر ، طويلة العنق والساقين والاصابع، لامعة الحدقتين والاسنان والبشرة ، حمراء الخدين والشفتين والاظافر .

(نازك قاسية القلب تدوس قلوب المعجبين بقدميها غير مكترثة ولا مهتمة . فاتكة النظرات ، تسلب بيديها النحيفتين الحركتين ما يتحلى به الرجال من صبر ورزانة وهدوء، وتستأثر بنظراتهم بما تبديه لهم من اللون الاحمر الدامي واللمعان المشرق في فجر شبابها) .

وقد كان عفيف احدى ضحايا تلك الفتاة الفاتنة . وقع في هواها في تلك اللحظة التي حطت نظراته الهائمة على وجهها وقوامها . هناك سحر غريب يدخر في هدوئها وخفتها وعدم اكتراثها . وقد ازداد غراما بها حينما التقاها مرة ثانية واحتكت صاعقة عينيه بسعف عينيها المحترق سوادا .

ـ (انت فاتنة لبي . لا بد ان اتزوجك مهما كلفني الامر) .

ـ (اريدك . اخطبني الى ابي) .

ـ (انت الفتاة الوحيدة التي شعرت نحوها بميل ملهب) .

ـ (انك شاب جذاب ملامح الوجه مخلص على ما اعتقد) .

ـ (انت الفتاة التي قضيت عدة سنين وانا ابحث عنها) .

ـ (انك تختلف عن غيرك من الشبان الذين حاموا حولي) .

« ـ انها ما تزال فتاة صغيرة السن . لا افكر في تزويجها الآن .

ـ سأقدم اليكم كل ما تطلبون . ـ كثيرون طلبوا يدها فلم اجبهم الى طلباتهم . ـ سأدفع لكم المهر الذي تريدونه . ـ لقد عرض احدهم الف دينار مهرا لها ، ولكنني رفضت . ـ هل الزواج تجارة ؟ اتريد ان تضيع مستقبل ابنتك وتقتلها ضيقا ؟ »

ان صورتها ملازمة ذهن عفيف في كل آن : في النهار وهو يعمل ويمشي ويفكر وينظر . وفي الليل وهو مستلق على ظهره على الفراش. يرى صورتها مرسومة على سقف الغرفة الذي ينظر اليه . يراها واقفة امامه في المرآة وهو يمشط شعره ويحلق ذقنه ويرتب ثيابه ويحكم رباط عنقه . انها تبتسم في وجهه في اطار مؤلف من ازهار الاحلام الحلوة واوراق الاخيلة الجميلة . انها تمشي معه في تخيلاته وتحادثه وتضاحكه . ابتسامتها عذبة كابتسامة الامل ، ووجهها فيه اشراق كنور « النيون » الذي يغمر جو غرفة الاستقبال في منزله . اعجب بكثيرات من الحسان الفاتنات ثم نسيهن كلهن ما عدا هذه الفتاة الساحرة . لقد استولت على عقله وقلبه لاول نظرة القاها عليها . وتأثير جمالها في نفسه ما زال يسري في اعضاء جسمه منذ التقاها حتى الآن . اعتزم ان يتزوجها بأية وسيلة من الوسائل . سحقا للمال! لقد وجد المال لتحقيق الآمال . يريد ان يفوز بنازك ويختطفها من بين ايدي رغبات الشبان المعجبين بها . ان كانت وهي بعيدة عنه قد نقلته الى عالم تكتنفه الوان من الغبطة والسعادة ، فكيف به اذا اقتربت منه واصبحت زوجة له ؟ انه على استعداد لان يسكنها منزلا واسعا فخما تجد فيه كل ضروب الراحة والهناء لكي تحيطه هو بكل ضروب الراحة والهناء . وسيدللها ويغدق عليها ما لديه من مال . سيسمح لها بشراء الكثير من الثياب الانيقة الجذابة لكي تبدو في عينيه وفي عيون الناس ملكة من ملكات الجمال اللواتي فزن بعدة جوائز من ثناء المعجبين وان لم يفزن بجوائز لجان المحكمين .

(اصوات من الداخل : انت الآن زوجتي . تعالي الي لاضمك الى صدري واقطف من شفتيك الناضجتين حلاوة حبي . لقد انتظرتك طويلا حتى نضج حبي في تخيلاتي . ولا شك ان السعادة التي سنتذوقها هي على قدر الصبر الذي كبحنا به اشواقنا) .

(منظر في الداخل : يطوق خصر نازك بيده ، ويطل على وجهها بعينين حالمتي النظرات ، ثم يغمر شعرها وخدها وعنقها وشفتيها بوابل من قبلاته الحارة) .

عفيف محام موفق . لقد نجح في عدة قضايا هامة ، فأسس له شهرة في المدينة . له اصدقاء كثيرون ومعارف عديدون . فكيف لا يوفق في الخطوة بحبيبته نازك ؟ وكما عرف بالبراعة في الدفاع عن المتهمين واصحاب الحقوق في المحاكم عرف كذلك بغرامه العنيف بالحسناء نازك . اصبح غرامه حديث الناس في المقاهي والمجالس. ابعد هذا كله يفشل في حبه ويحرم التزوج بنازك ؟ ان الزواج في نظره هو نهاية المطاف فان لم يوفق فيه عد نفسه فاشلا في الحياة وان كان موفقا في المحاماة .

ان كان عفيف يحوم حول نازك فان كثيرات من النساء يحمن حوله. منذ وقع في هوى نازك وهن يحاولن اصطياده . محام قدير ناجح كعفيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجب الا يفلت من أيديهن . انه خير الازواج .

« ــ ان نازك يا امي ليست من الجمال بحيث يعجب الناس بها . انها لا تستحق كل هذا الثناء الذي يسبغه عليها المعجبون بها ، ولا كل ذلك الاهتمام الذي ينعم به عليها الشبان الظماء .

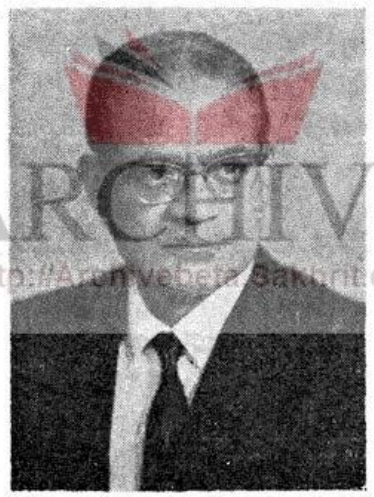
ــ انها بارعة الجمال يا بنيتي . لا يختلف في ذلك اثنان . كل شيء فيها جميل . من ينكر ذلك ؟ ــ هناك شيء واحد ينقصها . ــ ما هو ؟ ــ حلاوة النفس . خفة الروح . الظرف . المنطق . ــ وكيف عرفت ذلك ؟ ــ لقد جالستها مرارا . خبرتها وفهمتها . ان فتاة كهذه لا تستطيع ان تحتفظ برضى زوجها واعجابه طويلا ان تزوجت . لا بد ان يملها وينصرف عنها في النهاية » .

هذا ما تراه سامية . سامية السمراء اللون ذات العينين السوداوين الجميلتين والقوام القصير المنسجم والفم الواسع والحديث الملهي الحلو والانف الكبير والجرأة المستحبة . انها تريد عفيفا زوجا لها . سوف تبذل في سبيل ذلك الشيء الكثير من حيلها وجراتها وفتنة انوثتها حتى توقعه في حبائل حبها . قالت : « محال ان تحظى نازك بالمحامي الكبير عفيف » .

« ــ اريد ان اعمل ضاربة على الآلة الكاتبة في مكتب المحامي عفيف بك يا امي . ــ في مكتب محام ؟ ان والدك يمانع في ذلك . انه لا يسمح لك بأن تعملي وحدك في مكتب رجل . ــ ولكن الفتاة الشريفة تظل شريفة طول حياتها وان احيطت بكل انواع المغريات . ــ أبوك لا يرى هذا الرأي . انه شديد الاحتراس والتحفظ كما تعلمين . ــ ارجوك يا أمي ! أقنعيه . ساعديني على مهمتي . ان عفيفا رجل موفق في عمله ، وهو طيب القلب لطيف يمتاز على جميع الشبان . افاهمة انت يا امي ؟ ارجوك ! ــ ولكن هل يقبلك المحامي ضاربة على الآلة الكاتبة عنده ؟ ــ طبعا . ــ حسن ! سنرى » .

★

ان سامية بارعة في الضرب على الآلة الكاتبة . تتقن عملها وتسرع فيه . وهذا ما نالت به اعجاب عفيف . لقد كان في حاجة الى ضاربة على الآلة الكاتبة . استخدم من قبل شابين في اوقات متباعدة لطبع كتبه وملاحظاته وقرارات المحاكم . ولكن خلافا وقع بينه وبينهما فطردهما من مكتبه . اما الآن فان لديه ضاربة لا ضاربا على



عبد الحميد الانشاصي

●

الآلة الكاتبة . للمرة الاولى يستخدم فتاة في مكتبه . أخذ يعاملها في لطف ، واخذت تعامله في رقة وتودد . لم يجتذبه شيء من ثروة جسمها . ليس هناك الا العينان الواسعتان السوداوان الجميلتان والجسم المنسجم على الرغم من قصره . والباقي خال من الجاذبية . لم يفكر لحظة واحدة في تفقد جمالها وانوثتها . كان يحادثها ونظره موجه الى الجدار او الخزانة او الكتب الضخمة المصفوفة في مكتبته امامه . قلما كانت عيناه تقابل عينيها . كانت في نظره فتاة عادية لا تمتاز بشيء من الجمال او الذكاء . انها بارعة في الضرب على الآلة الكاتبة . هذا كل ما يعرفه عنها . وكان يعاملها في رزانة على الرغم من اللطف الذي ادخرته لها رزانته . اما سامية فقد كانت تعامله في تحفظ ورزانة مصنوعة تدخر له تودداً مكتوما . لم تره بعد شيئا من فتنة انوثتها المكبوتة . كانت تعمل في صمت وهدوء ورضى وطاعة .

ولكن تلك الحال لم تدم طويلا . بدأت سامية تتفنن في ارتداء الاثواب الانيقة الجذابة . اثواب رخيصة ولكنها منطبقة تماما على اعضاء جسمها ومنسجمة مع مفاتنه ، وزخرفها والوانها تلفت النظر . وتفننت كذلك في مشط شعرها الغزير وتسريح خصله . انفقت كثيرا من النقود على اظهار شعرها في المظهر الخلاب . كانت تأتي الى المكتب تارة بشعر أسود كوزي الشكل يبدو على رأسها كتاج لملكة من ملكات الفراعنة ، وطورا بشعر محلول مسدول على عنقها وفائض على كتفيها في سلاسة ونعومة وغزارة كماء الشلال . وفي بعض الاحيان تترك خصلة متدلية على احدى عينيها الواسعتين فتبدو العين المظللة بطرف الخصلة السوداء كحيوان وحشي في وجاره .

نجحت سامية ، فقد بدأ المحامي يعيرها شيئا من اهتمامه . جعل يسرح نظره في ثوبها الانيق المنسجم وقوامها المتناسب التقاطيع ، وفي شعرها الاسود الجميل ، وفي عينيها الواسعتين السوداوين كحبتي برقوق ناضجتين . ولكن اهتمامه هذا بها لم يدم طويلا . كان يعيش بضع ثوان ثم يموت . ما زال رزينا متعاليا . وما زالت سامية فتاة بسيطة مهملة . لم تتعد منطقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عملها كضاربة على الآلة الكاتبة . كيف تطغي على سمرة بشرتها وقصر قامتها ودمامة انفها وسعة فمها ؟ لا شك ان هذه العيوب هي التي تحول دون تحقيق امنيتها . هي التي تحجب نظرات المحامي عن عينيها الجميلتين وشعرها الاسود الغزير وقامتها المنسجمة . لا بد من ان تتغلب عليها . انها تملك السلاح لذلك ، هناك الحديث الحلو والجراة المستحبة . وهذان السلاحان من افتك اسلحة الانوثة . ستقاوم رزانته وتعاليه بهذين السلاحين . اضافت الى التفنن في ارتداء الثياب الانيقة وتسريح شعرها الغزير تفننا في الحديث الطلي والجراة الانثوية المبنجة .

اكثرت سامية من التردد الى عفيف . راحت تتردد اليه لايضاح ما غمض عليها من خطه وكتابته . وكانت تارة تتكيء على طاولته امامه تاركة عند اعلى فستانها فرجة كاشفة وهي تحدق في عينيه بعينيها السوداوين اللتين تضل نظرات الرجل في سعتهما . وتارة تقف بجانبه وهو جالس الى الطاولة مدنية شعرها الغزير من كتفه في خفة ورشاقة كما تدنو السحابة السوداء من شمس الشتاء . فيشعر بأنوثتها قريبة منه، وبنفسها يهب على مقربة منه ، وبصوتها ينساب في اذنه كلحن موسيقي تحت ليل شعرها حاملا طنينا كطنين النحلة وهو ينبعث من برعم ثغرها . حادثته في شيء من الحرية واللباقة كأنها صديقة له . أصبح الآن لا يرغب في وضع حد لموقفها منه، وهو لا يريدها ان تنصرف من عنده في سرعة .

ـ خطك جميل ولكنني في بعض الاحيان لا استطيع ان اقرأ كل كلمة تخطها . والسبب انني لم اتعود بعد قراءة خطك قراءة صحيحة .

(انني استطيع ان اقرأ كل كلمة تكتبها ، ولكنني اريد ان اقرأ مع كلماتك على الورق كلماتك التي تخرج من قلبك وتبدو على وجهك) .

ـ مهما يكن من شيء فانك قديرة في اللغة العربية فان تمكنك من اللغة يسهل عليك فهم ما اكتبه .

(انك على جانب من الجاذبية والجمال . ولست ادري لم لم اكتشف ذلك فيك من قبل) .

تطور موقفها منه . جعلت تقل من التردد اليه . فاضطر هو الى التردد اليها بدلا من ان تتردد هي اليه . لاحت لها في عينيه الرزينتين ابتسامات خفيفة ولكنها عميقة وان كان وجهه خاليا من الابتسامات . وانطلقت من فمه بعض كلمات خارجة عن موضوع الحديث معها . وطالت وقفاته بجانبها وهو يشرح لها بعض القضايا .

ـ انك فتاة ذكية . مع الوقت تستطيعين ان تكتسبي معلومات قيمة في القوانين تمكنك من ان تدرسي الحقوق من طريق المراسلة مع احدى الجامعات . كثيرون فعلوا ذلك فنجحوا واحرزوا شهادات مكنتهم من مزاولة المحاماة .

(لا شك انك جميلة فاتنة وان كان يتخلل مفاتنك بعض العيوب) .

غير انه يراها تارة جميلة وطورا دميمة . مضت عدة اسابيع وعفيف في تلك المنطقة من التردد والاحجام. لقد ادركت بذكاء انوثتها ان المحامي وقع في غرامها وان كان يتظاهر بالرزانة والهدوء والاحتراس والتحفظ . انها مستعجلة . تريده ان يبوح اليها بسريرة نفسه ويبثها هواه .

طفقت تبطيء في الضرب على الآلة الكاتبة ، وتهمل في النسخ ، وتكثر من الاخطاء . فالتهب عفيف سخطا . ما الذي طرأ على عقلها ؟ ما بالها تغيرت عليه ؟ ان هذا لم يكن من عادتها من قبل . عجب ! ماذا تريد منه ؟

ـ ماذا جرى لك يا سامية ؟ لماذا تكثرين من الاخطاء ؟ ان نظرك سليم ما في ذلك ريب . فما السبب ؟ هل سبب ذلك العجلة ؟

(انني اشعر انك تحبينني ، واشعر كذلك انك تعلمين انني احبك . اليس كذلك ؟)

فرفعت رأسها عن الآلة الكاتبة في ذبول ، والقته على كتفها في دلال ، وقالت بصوت شبه غائب :

ـ لقد مللت هذا العمل . اريد ان الزم البيت .

(انك بارد المشاعر ولست مثلي. اليست فيك عاطفة ؟ الا تدري أنني متيمة بك حبا ؟)

ـ تتركين هذا العمل ؟ تلزمين بيتك ؟ أمجنونة انت ؟

(الا تشعرين بأنني اهواك ؟ كيف تتركينني وحدي يا قاسية القلب ؟)

فضربت سامية طاولة الآلة الكاتبة بقبضة يدها ، وصاحت في حدة :

ـ هل تريدني ان اقضي شبابي هنا ـ في هذا المكتب ؟ دائما طباعة ! دائما ضرب على الآلة الكاتبة ! لقد مللت هذا العمل الراكد ! سئمته !

(لم اسمع منك كلمة واحدة تعرب فيها عن حبك اياي . لم تعدني بكلمة واحدة . هل يسرك ان تراني اتعذب هكذا ؟)

وقد انتبهت لنفسها ، فادركت انها ارتكبت خطأ جسيما حينما ضربت طاولة الآلة الكاتبة بقبضة يدها . لقد نسيت انها موظفة بسيطة في مكتب محام شهير ، وانه ما كان لها ان تتطاول عليه وتظهر سخطها في هذا الشكل . فعضت شفتها السفلى ، واطرقت ناظرة الى الارض في صمت وحياء وندم . فأدرك عفيف انها ندمت على سوء تصرفها تجاهه . فألقى عليها نظرة طويلة صامتة وحار في امرها . لقد اعوزه المنطق وهو من اقدر المحامين في قاعات المحاكم . لم يدر ماذا يقول لها . وبعد تفكير قال بصوت هادىء عميق :

ـ سامية ! سأزيد راتبك زيادة تسرك . سيكون راتبك اعتبارا من اول الشهر القادم خمسة وعشرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشمس الحزينة

ساءلت نفسي مرة ... والشمس تدنو للمغيب
حمراء قانية كلون ... الدم في اليوم الرهيب
وتلفها سحب الغيوم ... بكل أسرار الغيوب
فسالت مشرقة النهار ... عليلة العصر العجيب
من أين هذا اللون ؟ قالت من دم القدس السليب
سكان أرضك ما وعوا ... آلامهم لولا غروبي
فمتى تراهم يغسلون ... العار بالقاني الصبيب ؟
لانير احلام المنى ... وآتية بالثوب القشيب

صقر القاسمي

دينارا بدلا من عشرين دينارا . اراضية انت الآن ؟

(انني اعلم انك غير راضية بذلك . **تريدينني زوجا لك. حسن!** أعدك بالزواج أؤكد لك انني احبك واوثرك على تلك الفتاة التي فتنت بها ، نازك، وان كانت تفوقك جمالا . ان فيك سحرا غريبا لا تزدان به تلك الفتاة) .

نطق بتلك الكلمة « سامية » في رقة وتحبب جعلاها تذوب هوى امامه . شعرت انه اودع تلك الكلمة كلمات اخرى وان لم ينطق بها . سمعته يقول في تلك الكلمة : «انني اهواك . فأنت حبيبتي لا نازك » . ومع ذلك فقد اجابته بعد هنيهة دون ان ترفع رأسها وتواجه عينيه :

ـ لا ، لست راضية .

(لا تشتر حبي براتب ضخم) .

قالتها بنغمة ضعيفة ممزوجة بشيء من الدلال الخفي والانوثة الحيية المغرية .

وبعد برهة من الصمت المفعم بالتفكير قال المحامي :

ـ ولا تنسي انني سأعنى بك وادرسك واعلمك حتى تتفهمي القوانين وتصبحي قادرة على مراسلة احدى الجامعات والحصول على شهادة الحقوق ، وبعد ذلك تصبحين شريكتي ... أفاهمة انت ؟ اراضية انت الآن ؟

(شريكتي في المنزل والمكتب . اعني زوجتي يا غبية) .

ولكنها لم تجب بل ظلت مطرقة تنظر الى الارض . فألقى يده على كتفها في لطف وقال :

ـ ما الذي يرضيك؟ لم يبق هناك شيء آخر أحققه لك .

(منظر في الداخل : يضمها الى صدره ، وينهال على ثغرها تقبيلا) .

ولكنها لزمت الصمت والاطراق . فمسح شعرها الاسود الغزير بيده في رقة وتؤدة ، وقال بنغمة تفيض مرحا :

ـ وسأتزوجك أيضا .

(اصوات من الداخل : انني على يقين بأنك ستنهضين الي لتقبليني . انك فتاة جريئة وتفهمين معنى الحب) .

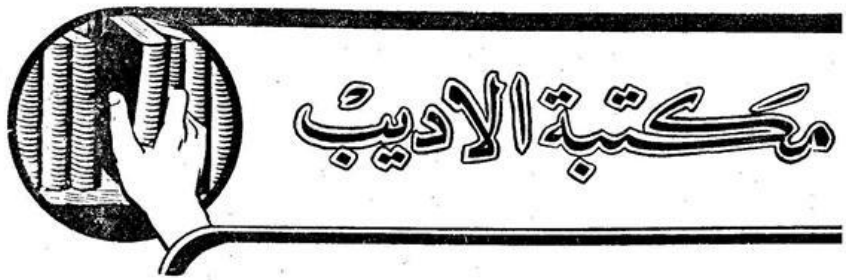
فرفعت اليه وجهها وقد ضاق عن ضم ينبوع ابتساماتها ، وقالت في فرح مزقزق وهي تنهض اليه لتعانقه :

ـ حبيبي عفيف !

« ـ ان سامية فتاة جميلة يا امي . ـ جميلة ؟ اين هو جمالها ؟ سلامة عينيك ! لا شيء فيها جميل. الا ترى فمها الواسع ؟ الا ترى سمرة بشرتها وقصرهاوانفها الكبير؟ هل فتاة كهذه تصلح زوجة لك ؟ انت المحامي الشهير تتزوج فتاة متواضعة المنبت بشعة كهذه ؟ ـ ولكنني احبها يا امي . فيها ما يعوض من العيوب التي ذكرتها . ـ وما هو ؟ ـ حديثها الحلو يا امي . براعتها في الحديث . فتنة انوثتها. جاذبيتها الخفية . وفضلا عن ذلك فهي جميلة العينين منسجمةالجسم وان كانت قصيرة . ـ انها تبدو لك فاتنة لانها لازمتك في مكتبك طويلا. وبعد الزواج تتضح لك عيوبها فتظهر على حقيقتها . وحينئذ تندم ولا نفع في الندم . ان مثلك جدير بأن يتزوج فتاة رائعة الجمال كنازك لا فتاة دميمة كسامية . ـ ولكنني احبها يا امي . وقد اعتزمت ان اتزوج بها . وهي في نظري افتن من نازك . ـ انت حر . افعل ما يحلو لك » .

عمان **عبد الحميد الانشاصي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اضواء على الاعلام الاسرائيلي

تاليف الدكتور منذر عنبتاوي ـ ١٨٨ صفحة ـ مطبعة (؟)

لقد بدا واضحا للعيان بعد المعارك الكثيرة التي خضناها مع العدو اننا نجهل هذا العدو ونجهل الخطط المحكمة التي يسير بموجبها . ولقد استيقظ الان الراي العام العربي وبدا يدرك جيدا انه يجب عليه ان يعرف هذا العدو قبل ان يفكر بالانتصار عليه وهكذا اخذ الفكر يلعب دوره في هذا المجال وغدا من المتحتم على كل انسان عربي ان يصرف جزءا من وقته في قراءة هذه الابحاث التي تعرفه باحوال عدوه الماكر .

ولعل من اهم الدراسات الفلسطينية هذا الكتاب الذي نحن بصدده.

يرى الدكتور منذر عنبتاوي بعد دراسة دقيقة لاوضاع اسرائيل ان للاعلام دورا كبيرا في حياة اسرائيل وان هذا الاعلام يمتاز بسياسة واضحة ومحكمة قبل ولادة اسرائيل في الامم المتحدة . وبعدها . ومن هنا يريد الكاتب ان يعرفنا على هذه السياسة النظرية والتطبيقية من خلال اقوال زعماء اليهود ومفكريهم . ويعتمد اعتمادا كبيرا على الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل . يقول الكاتب : ان استراتيجية الاعلام الاسرائيلي تستهدف من خلال سياسة كسب الانصار ضمان وجود اسرائيل في الخارج كضرورة عالمية .

وبالطبع فان هذا يقتضي ان تنهج في كل دولة نهجا يختلف عن النهج الذي تنهجه في الدولة الاخرى . وان يكون عملها ذا شقين احدهما يتجه الى اليهودية العالمية والاخر يتجه الى المواطنين غير اليهود .

وبما ان دول اوروبا الغربية واميركة الشمالية تعتبر نصيرا لاسرائيل منذ نشوء الحركة الصهيونية لذا فان سياسة اسرائيل بالنسبة لهذه الدول لا تبتغي كسب الانصار بقدر ما تبتغي الاحتفاظ بهم وضمان استمرار دعمهم ماديا ومعنويا للوجود الاسرائيلي كضرورة غربية ديمقراطية .

اما دول اوروبا الشرقية فقد تحول موقفها تجاه اسرائيل فبعد ان كانت متحمسة لوجودها كفت يدها عن دعمها واخذت في تقليص علاقاتها بها . ولكن اسرائيل لم تتخذ سياسة اعلامية معادية لهذه الدول بل كانت سياستها تجاهها تمتاز بالصبر الفاعل او المتحرك . فهي تعمل بصبر وداب ولا تستهين باي مظهر من مظاهر الاتصال والصداقة يمكن الحصول عليه .

اما مدخل اسرائيل الاعلامي الى القارة الافريقية فانه واسع جدا فهي تريد ان تكسب الانصار وان تستفيد ماديا مدعية ان هناك روابط متينة تربط افريقيا باسرائيل من اهمها :

وحدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين الافريقي واليهودي. واهمية التجربة الاسرائيلية الرائدة بالنسبة للشعب الافريقي . واليهود اذ يبينون ذلك يؤكدون ان علاقاتهم بافريقيا خالية من الاطماع السياسية . مقتصرة على المنافع المتبادلة لكلا الشعبين . ولا تنسى اسرائيل ان تلح على شيء تنادي به دائما وهو السلام فافريقيا تستطيع ان تلعب دورا هاما في تحقيق السلام في الشرق الاوسط .

اما بالنسبة لآسيا فاسرائيل تريد ان تثبت وجودها كدولة اسيوية قبل كل شيء . وهذا يبدو متعذرا ما دامت اكثر الدول الاسيوية لا تعترف بها . واذا كان ذلك كذلك فما على اسرائيل الا ان تتمسك باي خيط يربطها بهذه الدول مهما كان واهيا . وتتبع معها السياسة ذاتها التي اتبعتها في اوروبا الشرقية وهي سياسة الصبر الفاعل او المتحرك .

وينتقل الكاتب بعد ان اوضح لسياسة اسرائيل الاعلامية ومداخلها النظرية ينتقل الى المداخل التطبيقية لهذه السياسة الاعلامية وهي عند الكاتب تحويل الراي العام العالمي من موقف الفهم والتاييد لواقع الوجود الاسرائيلي الى موقف الدفاع عن ذلك الوجود والتحالف معه .

والاعلام الاسرائيلي اذا كان قد توجه من خلال المداخل النظرية الى الدول المتخلفة والراي العام بشكل عام فانه في مداخله التطبيقية يتجه الى الشخصيات التي تعتبر مفاتيح ذلك الراي العام .

والاعلام الاسرائيلي التطبيقي لا يتجه الى خارج اسرائيل فقط بل انه يتبع طرقا متنوعة داخل اسرائيل اهمها :

١ ـ الصداقة : وتشمل الضيوف الرسميين وغير الرسميين .
٢ ـ تنظيم المؤتمرات والمهرجانات .
٣ ـ تخليد الصداقات .
٤ ـ السياحة .

والكاتب لا يالو جهدا في اعطاء الامثلة عن كل هذه الطرق مقرونة بارقامها وتواريخها .

اما خارج اسرائيل فان الصهيونية تصدر الخبراء الذين لا يذهبون لكي يقبضوا الرواتب . بل انهم يذهبون ليقوموا بمهمة رائدة يخدمون بها بلادهم قبل ان يخدموا مصالحهم الفردية . ولعرض الانتاج الثقافي والفني دوره الكبير في الدول التي تعتقد اسرائيل ان هذا المدخل التطبيقي يؤثر فيها اكثر من غيرها ولا تنسى المهمة التي تزعم انها وجدت من اجلها فتدعي الدفاع عن حقوق الانسان وتقوم باتصالات شخصية في الخارج لتوضح قضية معينة او لتدعم موقفا معينا ولا تترك مناسبة الا وتحاول بها ان تثبت نواياها الطيبة نحو الانسانية . فهي تستغل الكوارث الدولية لتقديم المساعدات للدول المصابة بطرق رسمية او غير رسمية .

واذا كانت هذه بعض الوسائل الاعلامية التي تستخدمها اسرائيل في الدول النامية بشكل خاص فهناك نماذج اخرى تستخدمها اسرائيل في دول اخرى قد لا تتفق معها هذه النماذج . فاميركا اللاتينية التي تشكل نصيرا حتميا لاسرائيل لخلو ذهنها من كل ما يتعلق بالعرب ويمكن ان يظهر حقيقة اسرائيل العدوانية .

وهناك في ذلك المجال الرحب تشكل اللجان وتعقد المؤتمرات الدولية وتجعل الاتصالات الشخصية مستمرة لاستكمال اعمال اللجان والمؤتمرات المسيحية النصيرة .

وحين يصل الكاتب الى الحديث عن اجهزة الاعلام الاسرائيلي يرى ان يسميها ادوات ما دامت كل الدولة الصهيونية قد سخرت من اجل الاعلام وهكذا فان اسرائيل لم تنشىء وزارة ارشاد واعلام وما حاجتها اليها ما دام التخطيط السياسي الشامل لحكومة اسرائيل يقوم على اساس ضرورة اشراك كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية بدور اعلامي مهما كان نوعه .

ويختم الكاتب كتابه بملحق قصير يتحدث فيه عن قصور الاعلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربي بعد ان ارانا السياسة المركزة للاعلام الاسرائيلي (وبضدها تتميز الاشياء) وحين يتساءل عن اسباب تقصير الاعلام العربي يبدو يائسا لان انقضاء عشرين عاما بعد النكبة لم يمكن العرب من الحصول على :

١ ـ قيادة ذكية متفانية وكادر متفرغ للعمل ومؤمن به .

٢ ـ وضوح في الهدف .

٣ ـ خطة تنفيذية قائمة على الدراسة والعلم .

اما طرق الخلاص السريع في نظر الكاتب فانشاء منظمة عربية كبيرة تقف وراء المنظمات الفدائية التي يأمل ان تكون واحدة في المستقبل وتساندها .

والحقيقة ان اجمل ما في الكتاب كونه يطلع الرأي العام العربي على اساليب عدوه وسياسته المحكمة . ومن هنا يدرك كل فرد عربي انه لا يستطيع ان يتغلب على خصمه ما لم يفهم حق الفهم خططه العلمية ويجابهه بخطط منظمة ومحكمة تحول الرأي العام العالمي من نصير للباطل الى نصير للحق .

اما هذا التشاؤم المطبق فحبذا لو خفف الكاتب بعضه وتمسك بخيوط النور التي تلوح في الافق العربي . واحب ان اسأل الكاتب من الذي يقف وراء المنظمات الفدائية في الوقت الحاضر ؟ ..

دمشق — سكينة شهابي

•

صوتي باحثا عن دربي

ديوان شعر بالفرنسية ـ للدكتور محمد عزيز الحبابي ـ ٩٥ صفحة ـ منشورات سيكير بباريس

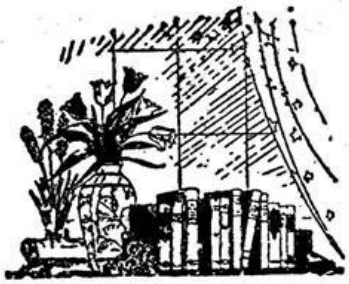
مما حمل الى قلبي السرور ان يكون ادب الرسائل جاريا بيني وبين اخي وصديقي الشاعر والفيلسوف الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب في المغرب العربي بالرباط بجامعة محمد الخامس ، وان يكون كريما وسخيا باهدائه الي مجموع مؤلفاته الروائع الخوالد بالعربية والفرنسية منذ سنين حتى اليوم ، ومنها ديوانه السابق بالفرنسية الذي سماه « الضياء والشقاء » وقد ترجم الى العربية وطبع في بيروت .

انه لأديب كبير ، ومن طراز فلسفي رفيع ، وقد رحت خلال سروري اذكر ما كان من الصلات العتيقة بين المشارقة والمغاربة في طويل العصور السوابق ، فلقد كان أدب المشرق فواحا من بغداد والديار الشامية ومصر يطير وراء البحار ليجيء دارات أمية وعين شمس في الشمال الافريقي وفي الاندلس ، وكان أدب المغاربة يأتي مع الانسام البليلة فيرف على الشام ومصر والعراق .

وكان ذلك منذ قرون خاليات يوم كانت السفرة تسلخ ستة شهور من مصر الى العراق واكثر من سنة من المغرب الى المشرق .

وكانت الخلطة بين مفكري الشرق والغرب وشيجة ثابتة ، لم يستطع بعد الشقة ان يفل من حدها . فما بالنا اليوم لا نجد مثل هاتيك الوشائج مع وجود الحضارة المعاصرة وتقريب الآماد تقريبا اسطوريا على الارض والبحار وبخاصة في الهواء بركوب الطائرات التي تحمل المرء من الشام الى المغرب بساعات ، على الرغم من المحطات.

كذلك تجيؤني الشهر بعد الشهر آثار صديقي الدكتور عميد الادب في المغرب الدكتور عبد العزيز الحبابي ومجلة الآفاق التي يحررها مع طائفة من الادباء والاعيان ومؤلفات رفقة له من كبار الكتاب والشعراء وفي مقدمتهم السفير الكاتب الكبير عبد المجيد بن جلون وصديقي القديم الاستاذ العظيم عبد الله كنون الذي رجوته ان يطبع



الأديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسائله الي على الآلة الكاتبة ، فقد عسرت علي قراءة خطه المغربي الحبيب ، فأصبح برجائي عاملا على الدوام .

واليوم أتلقى من العميد الحسيب في الاسرة والفكر ، والنسيب في العمل والتاليف ، كتابه الاخير وهو ديوان باللغة الفرنسية سماه :
Ma voix à la recherche de sa voie

وقد ترجمه بقولي « صوتي باحثا عن دربه » .

وكتبت اليه بعد ان تلقيت ديوانه هذا ، ان اكتب عنه وان أنقل الى الشعر العربي مقطوعتين من شعره بالفرنسية . لقد بدأ ديوانه بأبيات سماها «الشاعر الشريد» ولم أعرب كلمة Vagabond بالمتشرد ، فان العربي القديم ابن الشريد السلمي دعاني الى تعريب هذه الكلمة بالشريد ، وقد وقف الجزء الاول من ديوانه على الشاعر وحده بقصائد ومقطوعات صاغها من أجله فكانت القصيدة الاولى :

الشاعر يخطب الفجر

اي يلبس الفجر والصباح خاتم الخطبة الزوجية فيقول :

يا خاطب الفجر
في غلس الليل
يا حاطم الظلال
وساحر النجوم
أنت صاحب القصر في الايام الجديدة
والشاعر الذي يهز تلاوين الكلام

والقصيدة الثانية التي أحيرها شعرا عربيا ، سماها « الشاعر المتنبيء » ، وقد ذكرني بكارلايل ، الذي سلك المتنبيء في صورة بطل، ان الحبابي يقول بلسان المحاسني :

وقف الفصيح وقوف مئذنة ... ليذر في الآفاق نجواه
فتدفقت كلماته تسعى ... فوق الأثير بلون دعواه
هبت رياح كالخيول لها ... سير عصوف هز ذكراه
شعر تدافع في مدارجه ، ... للسامعين الصم معناه

هذا المهول هو الفصيح له ... أحلامه تهتاج مغناه
تنساب في الانحاء آيته ... مثلا علا في الشعر مفزاه
ولكفه صفع لكل أذى ... للهدم قد باتت نواياه
هو شاهد كالديديان له ... روعاته والحق يرعاه

ذي نفسه ان حازها غضب ... او نالها نغم ففناه
فلقد رواه الدهر حين حكى ... وتسمعت دنياه شكواه

وشد ما راقني شعره ، فنقلت منه هذه المقطوعة الثانية الى العربية واسمها « الشمس » :

ايتها الشمس التي ... في الافق ماذا تصنعين
تعب الهواء بخفقه ... أفلست يوما تتعبين
يحمر وجهك في العلى ... أفانت أيضا تغضبين
هيا ، وغبت عشية ... وانجاب وجهك والجبين
فهل النجوم لوامع ... لك في محياك الحنون
يأتي بها البدر الجميل ... وكنت حينا تلعبين

لا تكرهي العيد البديع ... ففيم صفعا تضربين
أدعابة هذي لديك ... أم الاذية والجنون

أنت الحرور بصلعة ... لم تحل في عين القرون
جبارة الحشرات أنت ... اللحريق ستذهبين
غطي بشال من دجى ... راسا فهلا تصنعين

وقد عددت القصائد والمقطعات في هذا الديوان الرائع ، فهي أربعون ، وهي تموج بالفكر والعاطفة والحنين والحب ، وقد حمل الشاعر الفيلسوف صاحبها مصباح صديقه العتيق « ديوجين » الذي كان يساله الناس :

ـ فيم يا ديوجين تحمل المصباح في رابعة النهار ؟

فيتضاحك متهكما ، ويقول :

ـ ابحث عن الرجل !

وكذلك الشاعر الفيلسوف الحبابي حمل في ديوانه هذا مصباح ديوجين ! فرحت من وراء الشعر الرائع الذي نظمه بالفرنسية ، اقول له بالعربية :

ـ تحمل مصباحك في رابعة الضحى ؟

فيجيبني متبسما من وراء الافاق ، من وراء نظارتيه السوداوين :

اني اطيل البحث عن دربي ... ولقد جعلت الصوت مصباحي

دمشق — زكي المحاسني

•

احزان البنفسج

مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ ٩٦ صفحة ـ نشر مكتبة عالم الكتب المصرية ـ مطابع دار الهنا بالقاهرة

ديوان جديد للشاعر العراقي عبد الخالق فريد ، وهو رابع دواوينه ، فقد ظهر له من قبل : نداء الاعماق (١٩٥٥) أغاني الحان القديم (١٩٦٠) العطر الضائع (١٩٦٣) . وعبد الخالق فريد رومانسي المذهب يعيش في واحة خضراء من الحان حبه ، وزهور صباباته ، وهوى احلامه ويقصر شعره على هذا الجانب الوجداني العاطفي وحده الذي غنى له شعراؤنا القدماء ، من امثال جميل ، والمجنون ، والعباس بن الاحنف ، ومن امثال عمر بن ابي ربيعة وخالد بن يزيد الكاتب وسواهم وغنى له كذلك شاعرنا الخالد ابراهيم ناجي صاحب قصائد العودة والاطلال ، وملحمة ليالي القاهرة ، وسواها الذي قصر عليه شعره ، ومن لغته واسلوبه وموسيقاه . وفي الديوان قصيدة تمثل استاذية ناجي للشاعر وتحمل عنوان « الطائر الجريح » وهذا الاسم حبيب الى قلوبنا ، لانه اسم اخر دواوين ناجي ، وقد صدر بعد وفاته عن دار المعارف بالقاهرة ، وجمع قصائده من اواخر شعره الذي لم ينشر في ديوانيه الاولين : من وراء الغمام ، ليالي القاهرة: وان بقيت هناك قصائد كثيرة لم تجمع بعد في ديوان ، وقد ذكر الاستاذ وديع فلسطين بعضا منها في سلسلة من المقالات نشرها في مجلة « الاديب » عام ١٩٦٥ ، يقول الشاعر عبد الخالق فريد من هذه القصيدة التي اهداها الى روح ناجي :

تمضي السنون وانت انت رجائي ... ما هاج بي المي وعاود دائي
تمضي السنون وانت باق في فمي ... لحنا يمور مجنح الاصداء
توحي الي الشعر ينضح لوعة ... في رقة تنساب كالاشذاء
فاذا طفى الشوق الذبيح باضلعي ... أسعى اليك بخافق بكاء
مستلهما منك الخلود ، ومن سنا ... انغامك السكرى شجي غنائي

وهنا يذكر الشاعر تاثره بناجي في مذهبه الشعري وفي رقته وفي موسيقاه الشعرية ، ثم يتحدث عن ناجي وحياته ، يختم القصيدة بقوله :

يا شاعري حدث احاديث الهوى ... واصدح فقد اوغلت في الاغفاء
للـه درك عاشقا متفردا ... ستظل وحي الحب للشعراء

وصلة شاعرنا ناجي تجعل منه امتدادا من امتدادات مدرسة « ابولو » الشعرية ، وتصله بشعرائها المعاصرين من امثال الدكتور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كمال نشات ، ومحمد فوزي العنتيل وجليلة رضا ، وملك عبد العزيز، ومن طبقة الشيوخ من أمثال حسن كامل الصيرفي وغيره .

وقد أحتفى أدباء « ابولو » المعاصرون بالشاعر فريد وبديوانه ، وكان الصلات الروحية التي يحجبها والنسيان هي التي تعمل عملها في هذا الاحتفاء . يقول الشاعر حسن كامل الصيرفي في الشاعر : هو في أغانيه ، وفي شعره ، شاعر رقيق اللفظ عذب الرنين ، كلماته تكاد تطير ، قوة جناح وخفة روح ، ومعانيه جديدة تسترعي النظر متألقة اللون جذابة الملامح ، وهو يقيم له كيانا اصيلا متميزا بموسيقاه الفذة ، ومعانيه المستحدثة والفاظه الرقيقة .

ويقول فيه الناقد مصطفى السحرتي (مقدمة الديوان بقلم السحرتي) : اول ما يبهرنا من هذا الشاعر صدقه الشعوري ، وصدقه الشعري وموسيقى الشاعر هي العنصر الجوهري البارز في شعره والذي يطغي على عناصر الشعر الاخرى من فكر وانفعال ودقة معنى . واذا اردنا ان نعرف بواعث وقوف شاعرنا الولهان ، صاحب هذه النزعة الحسية في الحب عند هذا المذهب حده لا يتعداه وجدناها متمثلة في قصيدة « أغنية للضياع » وفيها يقول :

واضيعة العمر! قد عاد الغريب سدى ... وعاد لا نغم حلو يسليه
واضيعة العمر كم من ليلة عبرت ... وليس من قمر يجلو دياجيه

وهنا يتضح في جلاء ان الشاعر يشعر بالغربة ويعيش في فيافي اليأس ، ترفرف حوله الذكريات السود .

وهب الشاعر حياته للحب لان حياته الحب والحب الحياة . كما يقول الناقد السحرتي ، وكما قال شوقي امير الشعراء ، وأغنيات الشاعر في حبه واحبابه جميلة قصيرة وتتميز بموسيقاها الهامسة وبرعشاتها التصويرية الجميلة في كثير من الاحيان . ولعل من اجمل قصائده موسيقى وعذوبة وجمالا وخفة قصيدته « ليالي الشوق » وفيها يقول :

لم أزل والساعة التعبى معي ... تنتهي دقاتها في مسمعي
سأم يفنى وجودي ، ورؤى ... تتلاشى في فؤادي الموجع
يا ليالي الشوق هل من عودة ... يا اماني القلب هل من مطلع ؟
سئمت روحي اطايب المنى ... وأنا أرقب لقيا مصرعي
ليت من أغفى على عهد الهوى ... حمل الشوق الذي في أضلعي

وقصيدته « أنا والليل » فيها اللذة الروحية والحب الحسي يكادان يتلاقيان وفيها يقول :

ضاع الهوى والذكريات جميعها ... وأنا بوادي الدمع وحدي مفجع
محمومة الشفتين كيف الملتقى ؟ ... رحماك جفت من عيوني الادمع
مر الشتاء فأين أين لذائذي ... يا حلوتي أين الربيع الممرع ؟!

وهكذا يعبر الشاعر بحس رومانسي عن صباباته وأحلامه ، وحبه، وهيامه ..

وقد لام الناقد السحرتي وغيره الشاعر لقصره شعره على هذا النغم الواحد ، ولكن الشعراء مذاهب ولو صح هذا النقد لوجه الى كثير من شعراء اليوم والامس ونحن هنا لا نحاسب الشاعر الا على تقصيره ولا نثني على فنه الا بمدى جودته في صياغة تجاربه الشعرية وعواطفه وانفعالاته فحسب . ويأخذ السحرتي على الشاعر تعابيره المطلقة ، من مثل : أنت دنيا هينمات اغان ، ومثل « سمراء يا ترنيمة المنتهى » . وقوله : يا هينمات الجمال وما شابهها من العبارات المجنحة ، التي تفر من الذهن ولا تعطي معنى محدودا للمتلقي ، ويرى ان هذه التعابير المطلقة كانت محببة الى الجيل الرومانتيكي الماضي ، وكانت تمثل الشاعر المهوم في دنيا الجمال وعالم الضباب ، وتعد لدى الكثيرين من الطرائف ولكنها اليوم لا تطيب لنا في المرحلة الادبية الواقعية التي نعايشها والتي تستلزم العبارة المؤثرة في الحس او الذهن . ويكاد السحرتي في هذا النقد يفر من رومانتيكيته القديمة الى واقعية اليوم . وانا لا استطيع ان احكم مذهبا في مذهب والاهم

● محمد مصطفى الماحي ، القاهرة :

وان أدبك ليلاقي من تقدير الادباء ما يستحقه ، بل واكثر مما لقيته « احزان الى الابد » الرواية التي نمقها قلم الناقد الاريب « رامي حسام الدين » لصديقته بنت الوزير ... والتي أيقظ من أجلها ثلاثة من اصدقائه الادباء ، بضع ليال ، ليعدوا دراسات عن الكتاب ، ويبعثوا بها الى المجلات الفكرية للاشادة بأدبها ، على نحو ما بينت روايتك الممتعة « رياح كانون » في فصولها الاثني عشر ...

● عيسى الناعوري ، عمان :

... فالعديد من الفتيات ، اللواتي برزن في ميادين الادب عندنا ، هن « لبنى آل الامير » بطلة « رياح كانون » ، واغلب ما ظهر لهن من نتاج ادبي نال الثناء العريض من الصحافة الدجالة ، كان من نوع روايتها «احزان الى الابد »، كتبها رجال متملقون يخونون رسالة الادب اكراما لجمال المرأة !

● خليل الهنداوي ، حلب :

... ولنا ان نتساءل : الى أي حد يقع الملام على « رامي » ، الذي سخر فضيلته وأدبه ، وباع روحه بثمن بخس ؟ ولكن ، لا ضير على من فقد نفسه ثم وجدها ، ما دام الادباء المبدعون كثيرا ما يخسرون الحب ، ويكسبهم الادب .

ويسر دار القصة العربية للطباعة والنشر بحلب أن تقدم رواية الروائي السوري فاضل السباعي الجديدة :

رياح كانون

وتعلن استعدادها لتلبية الطلبات التي تردها من مختلف الاقطار ، سواء طلب المكتبات لكميات معينة ويتفق بشأنها مع الادارة ، او الطلبات الفردية ويرسل ثمن النسخة الواحدة ، وقدره سبعمئة وخمسون قرشا سوريا او ما يعادل دولارين (الكتاب من ٤٤٨ صفحة من القطع الكبير ، طباعة أنيقة وورق فاخر) بحوالة بريدية او مصرفية او شيك ، الى الدار التي تتولى ارسال الكتاب بالبريد المسجل على نفقتها . وثمن النسخة لخارج الاقطار العربية ثلاثة دولارات . المراسلة مع :

دار القصة العربية

حلب ، سورية ، شارع اسكندرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في رأيي هو الحكم على مدى توفيق الشاعر في أداء تجربته الشعرية وعلى قدرته على تصويرها تصويرا دقيقا لماحا . كما لاحظ السحرتي ان لغة الشاعر يكثر فيها « العطر والنغم » وعلل لذلك بأنه شاعر محب والعطر والنغم من مثيرات الهوى والصبابة ومن الناطقات به كذلك ومن ثم سماه « شاعر الاعطار والانغام » وهو في ذلك يصور حقيقة الشاعر ويحلل اثر العوامل النفسية فيه تحليلا دقيقا مبنيا على المذهب النفسي في النقد .

وبعد فان عبد الخالق فريد شاعر مقل مجيد ، لغته الرومانسية وفنه العاطفي ، وموسيقاه الهادئة تصوره تمام التصوير ، اداؤه بارع في كثير من الاحيان ومن أخطائه التي جاءت في الديوان تشديد الفاء في « الشفه » في بيته :

فحطمي القيد ولا تبخلي برشفة سمراء من شفتك

ووصف الرشفة بالسمراء تعبير رومانسي لا نحاسبه عليه ، وهذا التشديد للفاء قد قصده الشاعر وبنى عليه الوزن الشعري لقصيدته، وهو خطأ لغوي لان الشفة لا تكون الا بتخفيف الفاء ومنها كذلك قوله :

ابدا تسربل الاعراق بالوهم الفضيع .

يريد الفظيع ، واخواننا العراقيون يستعملون الضاد بدلا من الظاء كثيرا وان ادى ذلك الى خطأ لغوي وهذا ما لا نحبه ، ولا نجيزه. ويعدي الشاعر بعض الكلمات بالهمزة بما لا يصح تعديتها بها ومن ذلك قوله :

فازيدي من لذتي ودعيني لسنا ناظريك دوما أغني

فكلمة أزيدي خطأ واضح .

واخيرا فاننا نحيي في الشاعر اجتهاده في فنه الشعري وميله الى اتقانه وتجويده وتطويره المستمر لفنه وموسيقاه . و « أحزان البنفسج » يعطينا كل المفاتيح الدالة على الشاعر شعورا وتجربة وفنا ، وعلى يومه وغده الشعري ، ويكفينا ذلك دلالة على أهميته وعلى حيويته جميعا .

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

●

ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس

شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ـ ٤٧١ صفحة ـ حجم كبير ـ الطبعة الثانية ـ مطابع الاهرام ـ نشر وتوزيع المكتب الشرقي ببيروت

صدر هذا المجهود الضخم أخيرا في طبعة فاخرة أنيقة ، قبل مدة لا تحسب في عمر الادب ، وكان قد صدر في طبعته الاولى منذ بضعة عشر سنة ، الا ان هذه الطبعة تمتاز على الطبعة الاولى بالجهد الكبير الذي بذله المحقق في اكمال فجوات النقص التي ظهرت في الطبعة الاولى ، ومما حفز الدكتور على اعادة طبعه عثوره على مخطوطة جديدة بعد صدور الطبعة الاولى .

وكان قد قام المستشرق الالماني رودلف جاير بنشر هذا الديوان للمرة الاولى سنة ١٩٢٨ ، مستعينا في ذلك بستة نسخ مخطوطة له هي كل ما حصل عليه ، وبعدد ضخم من الكتب العربية في تصحيح الابيات والوقائع وفي وضع الملحقات التي جاءت في اخر الطبعة .

وجاء الدكتور حسين ، فدرس هذه الطبعة دراسة وافية ، وخرج بنتيجة هي انه يجب اعادة تحقيق هذا الديوان ، فقد وقعت أخطاء كثيرة في طبعة جاير ، فالخطأ في نسبة الابيات الى صاحبها ، والاخطاء الكثيرة التي وقعت في الجزء الاخير ، بسبب من قدم خط النسخة المخطوطة (نسخة الاسكوريال) ورداءة هذا الخط ، ثم للشلل الذي أصاب الاستاذ جاير في جانبه الايمن ، ثم ان الشرح الذي يصحب النص في هذه المخطوطة كان يقل بالتدريج ، الى درجة خلت معها القصائد الاخيرة من هذا الشرح . لكل هذا قام الدكتور حسين باعادة تحقيق هذا الديوان معتمدا اعتمادا كليا على نسخة جاير هذه .

وقد انحصر عمله في هذا الديوان في مراجعة الشرح ، وتعقب ما فات الشارح ، والتقديم للقصائد وذلك بالتعريف للاعلام والاحداث التي تشير اليها تلك القصائد ، ثم تقريب الشعر الى القارىء ، وذلك بتقديم نثر كامل للقصائد يقابل النص الشعري ، واخيرا الفهارس الكثيرة التي وضعها في اخر الديوان للمفردات اللغوية والاعلام والاماكن والاغراض والمعاني ، لتيسير امور كثيرة يحتاجها المراجع للديوان .

ان الطريقة التي اتبعها المحقق للديوان طريقة مألوفة مبتكرة .

فالمألوف فيها ان الدكتور حسين كعادة المحققين في تحقيق هذا النوع من الكتب يعنى بترتيب ابيات القصائد ترتيبا منطقيا مستعينا في ذلك بالنسخ المخطوطة المختلفة ، ثم يشرح المفردات والعبارات شرحا وافيا في هوامش الكتاب ، جامعا بين الكلمة وجارتها والبيت وجاره في فقرة واحدة ليكون الشرح اوفى والعبارة ابلغ في ربط المعنى ، كذلك قام بتصحيح كثير من الالفاظ والعبارات معتمدا في ذلك على المعنى والنسخ المخطوطة .

كذلك قدم للديوان بدراسة قيمة للاعشى وشعره بلغت تسع عشرة صفحة ، وخريطة نسب تمثل فروع واغصان قبيلة بكر الكثيرة التي انحدر منها الشاعر .

أما الجديد المبتكر فهو شرح الابيات شرحا فنيا بلغ الروعة وجمال النثر الفني الرفيع ، واختلفت طرقه عند المحقق بسبب من الصعوبة التي رآها ستلحق بالقارىء .

فهو قبل ايراد النص يورد نثرا فنيا جميلا للقصائد ، يربط فيه النص الشعري «ببيئته وبالقيم الادبية والاجتماعية التي يصورها» . وقد حاول في هذا النوع الاحتفاظ بقافية واحدة ، ولكنه رأى ان التقيد بقافية واحدة يحد من حريته في الشرح والتوضيح ففير القافية كلما استعصى عليه الاستمرار فيها ، ولكنه رأى ايضا ان هناك صعوبات جمة في ذلك ، فقدم نثره هذا في مجموعات تصور كل منها عددا من الابيات المترابطة المعنى ، وتفاوتت هذه الانواع من الشروح ، وبقيت تطغى على صفحات الديوان الى آخره ، وحرص ان يكون الشرح الادبي بمقابل النص ، ليتسنى للمراجع الاستفادة السريعة وعدم تضييع الوقت . ولعله اقتبس هذا من طريقة شرح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، فكثير من التفاسير القديمة تضع النص مقابل الشرح .

اما الجديد الاخر في تحقيقه للديوان فهو التقديم للقصائد . نعم ان كثيرا من المحققين يقدمون للقصائد بمقدمات تسبقها ، الا ان الدكتور حسين ينفرد عنهم في ان تقديمه لقصائد الاعشى كان وافيا فقد الم فيه بتعريف للاعلام والاحداث تعريفا شبه كامل في أحيان كثيرة ، ولم يكتف بذلك بل اورد في التقديم ملاحظات عامة يمكن ان تكون مراجع للربط بين القصائد التي تعنى بحدث او علم واحد او أكثر . وهي تساعد كذلك على فهم الجو العام الذي قيل فيه النص الشعري .

كذلك كان من الجدة في طريقته ايراد جدول لتصحيفات النسخة الاوروبية من لغوية ولفظية وغيرها ، ولما بينها وبين نسختنه من مخالفة ، وقصد من ذلك الى عدم فرض رأيه واجتهاده على القارىء لنسخته .

ومع كل ذلك فقد وقعت بعض الاخطاء في هذه النسخة ومعظمها ـ كما اظن ـ يعود الى منضد الحروف في المطبعة ، وهي لا تستحق الذكر هنا بجانب الجهد الكبير النافع الذي اتى به المؤلف .

وكان من حق التحقيق والامانة العلمية على الدكتور حسين ، ان لا يضرب صفحا عن قسم كبير من الملحقات في الطبعة الاوروبية ، معتذرا بوضوح الخطأ في نسبة بعضها للاعشى تارة ، والتحريف الواقع في بعضها ومشابهتها لابيات وردت في الديوان تارة اخرى . بل يرجع اليها فيحققها كما فعل مع قصائد الديوان نفسه ، فيثبت في ملحق خاص بكتابه ما ثبتت نسبته للاعشى ، ويترك ما سواه ، وهو القدير على ذلك لما أوتي من علم وخبرة في هذا المجال ، حتى يعم النفع وتشمل الفائدة .

الدمام ـ السعودية **محمد قنديل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنديانة الجبل

مهداة الى « جبل الشقفة » وهو رأس جبل شمالي يقطع الارض في لبنان بين خليج البحر ونهر الجوز ، وقلعة المسيلحة ، ومرامي قمة الارز في ضهر القضيب « على منحدرات الكورة اليابسة » .

بقلم الياس خليل زخريا

★

ويا سنديانة الجبل
ارفعي رأسك بالاخضرار فان جارتنا الشمس ما زالت نائمة هناك مع الليل وراء مقلب التلة .
تلألئي بحبات الندى وبرودة الصباح فان الدفء لما يتسرب مع الضوء الى ارض الكرم .
لتغتبط ، في الزقزقة ، عندك ، اسراب العصافير فان الصيادين لما يصلوا وصولهم الى المنظرة العالية .
وهذه الاغصان القوية لا تتعب حتى في الريح القاسية .
وهذه الاوراق الدائمة لا يرتعش حفيفها حتى في وحشة الخريف .
وهذه الساق السوية لا تميل ميلانها حتى في معاصف العاصفة .
ثم ، وهذه الاثمار المسننة لا تفتح افواهها المكتومة حتى في مواسم القطاف .
اشمخي برأسك فان الجبل كله جذع من جذوعك .
تشارفي على المدى فان الظل الظليل كله مدة لينة من مداتك .

★

واقفة وحدك ، عندنا ، على المنحدر البحري ما بين جبل الشقعة و « ضهر القضيب » وتلك الهضبات القريبات المنسحبة انسحابا على أصابع البحر في مدارج الانطلاق .
تتلفت اليك من القاع في التضرع الصخور الجارفة .
يمر بك الليل في العياء فلا يعلق منه باهدابك سواد .
يعبر الزمن فلا يسقط منه على ثيابك الجديدة حبة غبار .
ينزل الفجر فلا يتمزق منه على رؤوس اوراقك وشاح .

★

كأنك لست بقصة هاربة من قصص الفصول .
كأنك لست بحكاية مختومة من حكايات التراب .
يقرع جرس القرية فلا يرتعش فيك الورق .
يدق ناقوس الساحة فلا يضطرب بك الغصن .
تهرول غمائم الربيع مع سنونو الهاجرة فلا ينقطع منك نفس .
يلقي الخريف بقدميه ومفاصل جسمه فلا يعيا عليك الضجر .
كأنك فاصلة من فواصل الدهر في كتاب الشوق .
كأنك واحة من واحات الماء في صحراء البحر .
كأنك هاتيك « الكورة الخضراء » ، من الزيت والزيتون ، التي رفعنا ، نحن ، جبينها ، بكلتا يدينا ، على الحرف العربي ، والضمير العربي ، بطولة سرمدية من بطولات القدامى .
كأنك الفاصل القاطع من تلك القواطع بين سحائب الجنوب ، وقلعة النهر ، وخلجان الابحار في حنايا الشمال .
لو كان للقوة رداء لكنت رداءها الاخضر .
لو كان للزمن وعاء لكنت وعاءه الصلب .
لو كان للامانة خباء لكنت ملتقى الغيبة في مقدمات الهياكل .

★

اخبرته امه ان ثمرك المشوي طيب وان كان ناشفا مرا .
اخبرته امه ان نارك الاجاجة لا يسكن لها لهيب ولا تهمد لها حرارة .
تأكل نارك ، حتى في رمادها ، على منقل الطين ، اصابع الشتاء .
جمرك في البرد كأنه انفاس الحنين .
رمادك في الهباء كأنه فتات السحاب .
فحمك ، هذا الفحم الاسود النقي الملتمع ، اشد نقاوة من بياض الثلج في كاسات الشراب .
وما هذه المباخر التي يفوح منها الهيكل الا مباخر جمرك .
وما هذا المقرأ الذي نرتل عليه المزامير والتسابيح الا قدة من قدات خشبك .
وما هذه العكاكيز التي نضرب بها وجه الليل ، وعرض الطريق ، الا من معاصيل فروعك .
وما هذا المحراث الذي نشق به تراب الارض وحجرها الا من لوحات جذعك .
وما هذا الجسر الذي نرفع عليه قنطرة البيت الا الضلع السوي من اضلاع صدرك .

★

ويوم ودعته امه الى المدينة اعطته من السنديان ، دواة ، ومسكة ريشة ، ومسطرة .
نزل المدينة ، فراح يكتب بالقلم الرصاص ، ويحبر من محبرة الزجاج ، ويسطر بمسطرة الحديد .
صار يأكل من ثمر الكستناء المشوي في الموقد البارد العابر في الرصيف على المناداة عبورا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضمة الحفيد

بسمة العمر جددت لي رؤاها ... وتجلى بداءة منتهاها
فاذا القلب في شباب هواه ... واذا العين في صباح ضياها
واذا الارض جنة من ورود ... يملأ الصدر نافح من شذاها
اي بعث تقدم البعث عندي ... اي دنيا تعلقت في سماها
هو سر يغيم طي الحنايا ... يحفظ النفس في دروب صباها
برعم يطلع الوجود جديدا ... طلعة الشمس في جديد سناها

في حفيدي رجعت ابدأ عمري ... فحياتي ترود افق بقاها
كلما شدت الطفولة عزمي ... وشفت همتي فجد مضاها
يضحك الشيب في اهابي رضيا ... عن سنين تثاقلت في خطاها

في حفيدي يطيب خاتم عمري ... طيب زهر تنفست في نداها
نشوتي قربه وصحوي نواه ... ومنى العمر وجهه محتواها
قد قرأت الحياة فصلا ففصلا ... وتأملت في معاني هناها
فاذا ضمة الحفيد لصدري ... اختصار لكل انس تناهى

نسيم نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارتخى فيه كل شيء ، حتى حبل الضمير .
ضعف فيه كل شيء حتى عكاز الليل الاعمى .
تدفأ من غير دفء .
حرث الارض من غير معول ، ولا مجرفة ، ولا محراث .
بنى بيته من غير قنطرة ولا جسر ، حتى ولا شرفات يتمشى عليها الهواء .

★

ويا سنديانة الجبل
بوركت فيك صلابة الصبر
سلمت فيك نكهة الغاب
قدست فيك جذوع التمرد .
ولم يبق من السنديان القديم في قريته الا مدخل القرية
كان ابوه يرفع الجرن الذي وزنه فوق وزنه
كان ابن عمه يدق الجرس الذي قبته فوق قبته
كان اخوه يقيم بطرف اصابعه المحراث الذي ثقله فوق ثقله
ومات ابوه ولم يبق عندهم منه الا الصدأ على معوله
ومات ابن عمه ولم يبق لهم منه الا زناره واخبار شبابه .
ومضى اخوه يجرجر على الدرب اشباحه الصفراء كأنه في المدينة الشبح الهارب من الشبح .
وقالت له ابنته يوما :
« ويا ابتاه ، لم لا تقطع من كرمنا هذه السنديانة فقد خيمت على العريشة حتى هش فيها العنب ؟ » .
كان اطيب العناقيد عنقود يتدلى من سنديانة .
كان اقوى الجبال جبل في راسه سنديانة .
لقد احنى الجبل العالي جبهته فقد كثر فيه الكرز والتفاح وقلت فيه جلول السنديان .
حتى « جبل الشقعة » ، جبل السنديان صار معبرا سهلا من معابر « المسيلحة »
امست الكورة الخضراء ، صخورا مشققة من قلة التراب .
يشدها البحر فتفرق
ينطوي عليها السفح فتنهار
كأنها نسيت ان اول ما رفعت في الرجولة ، كان علما عربيا في جبينها على صارية ابدية من سنديان .
ويا سنديانة الجبل
حدثينا عن التراب الذي صار وحلا
عن الحجر الذي امسى موطئا
عن القبة التي غدت عشا ومخبئا
عن العتبة العالية التي سقطت سقوطها عن راحات الرجال
حدثينا
عن الرجل ، السنديانة ، الذي حمل في صدره الجبل ، والشمس واساطير البحر الازرق .
.... وخبأ راسه في بيته ونام ..

الياس خليل زخريا



الدكتور محمد رجب البيومي

ابن خلدون في مأزق حرج

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

مساكين بائسون !! هؤلاء الذين تقذف بهم نحوسهم الاليمة الى طفاة سفاحين ثم لا يجدون من سعة الحياة ومرونة التخلص ما يعصم نفوسهم من الهلاك فترين الدهشة على عقولهم وتتردد الحيرة في ألسنتهم ، ثم ينطقون بكلمات متقطعة مبهمة تزيد اللهب اشتعالا ، والطغيان تماديا ، فيلقون حتوفهم الموبقة شهداء ابرياء ، ولو كان لهم اثارة من لباقة لعصموا الدماء أن تراق في ساعة طيش هوجاء لقد كان تيمورلنك طاغية سفاحا يرتاح للدماء المسفوكة والاشلاء الطائرة ارتياح الكريم للعطاء ، فهو لا يفتأ يتطلب عند الدول ترات موهومة توجب الحرب فالابادة والاستئصال ، فكم احرق من مدن عامرة ، وكم ذبح من الاف وآلاف وكم بنى من جماجم الشهداء ابراجا خلف ابراج ، وكأني به وقد صعد بصره الى الافق فشاهد النيران تندلع ، وسمع الصراخ يدوي ، وتأمل مشاهد الرعب الدامية في الطبيعة الهائجة المفزعة ، فالمنازل تهوي من عليائها كالرمال ، والاشجار والنخيل تترنح في مهب العاصفة ثم تتخاذل متساقطة ، والشمس يحجبها الغبار المنتشر فتتوارى الى أمد ، والماء يضطرب في جداوله مصبوغا بحمرة الدماء !! كأني به وقد رأى ذلك كله فهزه انتعاش مريح ، وفاض على خاطره من الصفاء ما يفيض على قلب المؤمن الخاشع حين يستمع الى نداء الفضيلة ، فيأسو الجراح الناغرة ، ويمسح آثار الدموع الهاميات .

لقد سجل التاريخ فظائع تيمورلنك بمداد تنزف سطوره بالدماء ، وتتلهب حروفه بالحسرة ، ولكنه سجل فيما سجل بعض المزايا المقبولة لهذا السفاح الرهيب ، فقد ذكر مؤرخوه انه كان يقرأ القرآن صباح مساء ! وانه احب العلم والعلماء فولع بمجالس المناظرة ومباحث الجدل في الشريعة وعلم الكلام ، وانه كان يحمل مسجدا متنقلا من الخيام الممتدة على هيئة سرادق فسيح ، فاذا استراح في مكان ما ، نصب مسجده ، وصدع الآذان يدوي فأقبل جنوده على الصلاة افواجا وراء افواج !!! وفي مجالس العلم التي يهيء لها العلماء من كل قطر ، والتراجمة من كل لسان ، تألقت سعود مشرقة فارتفع خامل وازدهر ذابل ، كما خيمت نحوس أليمة فهوت كواكب وأفلت نجوم ، وقد يكون لنشأة الطاغية في جيل غادر ماكر اكبر الاثر في توحشه وانقباضه كما ان لهذه النشأة نفسها بعض الذكريات الحلوة التي عطفت به بين الفينة والفينة ، الى الخير والمعروف ، وقد استطاع بعض معاصريه ان يجمعوا المعلومات الكثيرة عن حياته وتصرفه ، ثم عكفوا على دراستها عكوفا فاحصا منقبا ، فتغلغلوا الى أعماقه ، وفهموا بواعث نقمته ، واسباب راحته ، وعلى ضوء هذه الدراسة النفسية الصادقة امكنهم ان يحرزوا اعجابه وتقديره ، فلم ينجو بأنفسهم من عقابه فحسب ، بل أصبحوا موضع حبه واعجابه ، وصاروا أنس مجالسه، وبهجة سمره ، وتلك براعة فائقة تذكر لهؤلاء مقرونة بالحمد والاعجاب !!

وقد عاش مؤرخنا الكبير ابن خلدون في عصر الطاغية الرهيب، وساقته الاقدار الى مناقشته ومحادثته، اذ سار مع الجيش المصري الى دمشق في كوكبة من العلماء ودامت الحرب سجالا بين المصريين والتتار !! حتى شبت بواعث الفتنة في مصر فتقهقر القادة من الجنود ، ووقفت دمشق في مهب العاصفة تنتظر ما تسمعه عن فظائع الطاغية من النسف والتدمير ، ورأى العلماء ان يقوموا بواجبهم في السفارة بين المدينة المضطربة، والفاتح السفاح فتقدم نفر من ذوي الحصافة فيهم يحاولون ان يطفئوا النار المشتعلة بعض الاطفاء وركن كل فقيه الى نفسه يهيىء ما عسى ان يقوله ، ويحرص على ان يقدم من العبارة الناعمة والاستعطاف اللين ما يجذب به نفس هذا الفاتح الجريء ، فكلمة عجلى تند من متسرع متشدد في لحظة من لحظات انفعاله كافية للاطاحة برأسه والنقمة على اصحابه وبلدته ، فلا بد اذن من الملاينة الناعمة والتدبير الحصيف !!

خلا ابن خلدون الى نفسه ، فجمع اشتات ذهنه ، واخذ يفحص كل ما تحويه ذاكرته من مواقف تيمور واعماله ، وطفق يتلمس العلل ويستخلص النتائج كمن يتكشف اسرار حصن منيع ، احكم رتاجه وعز منالـه ،

نهو يبحث عن اسباب نقمته على اعدائه واسباب نعمته على خلصائه ، ولماذا قدم فلانا وفلانا من العلماء ، ولماذا نكب زيدا وعمرا من الفضلاء !! حتى تكشفت له نفسية الفاتح تكشفا صادقا ، فعرف كيف ينجو بحيلته من وحش كاسر غضوب .

ذكر ابن خلدون في نفسه ان تيمورلنك محب للمدح والثناء ، معظم للصالحين والاولياء ، وقد برقت في ذهنه قصته مع زين الدين ابي بكر الخوافي ولي خراسان وصاحب الكرامات والمكاشفات ! اذ دخل الطاغية خلوته وانحنى على رجله لاثما مقبلا ، فوضع الشيخ يده على ظهره ، ثم رفعها ، فقال تيمور لو لم يرفع الشيخ يده لقضي علي !! فقد تصورت ان السماء تقع على الارض وانا بينهما .. ثم جلس في أدب بين الشيخ وقال : « لماذا لا تأمرون ملوككم بالعدل في الرعية ، فقال الشيخ : أمرناهم فلم يأتمروا ، فسلطناك عليهم » ، ففرح تيمور وقال : ملكت الدنيا ورب الكعبة !!

هذه الحادثة اليسيرة تنبىء عن تعظيم الرجل للاولياء ، وولعه بالمكاشفة واخبار الغيب ، كما تنطق بحبه للمديح والثناء ، فليأخذ منها ابن خلدون طريقا يصل به الى قلب تيمور ، فقد عرف مفتاح شخصيته ولن يلبث ان يجد الدليل الى فؤاده في لحظات !!

كان زي ابن خلدون المغربي ، يختلف عن ازياء قرنائه من علماء مصر والشام ومن ثم فقد كان موضع الانتباه من تيمور ، فأخذ يراقب حركاته ، ويطيل النظر في سحنته وهيئته ، حتى اذا وضعت اطباق الطعام ، واقبل العلماء عليها طفق الطاغية يراقب طريقة كل آكل وحركاته ، وكأنه يأخذ من هيئة التناول والازدراد ادلة ناطقة بالسلوك والاتجاه ، وصورا كاشفة عن الاخلاق والميول ، وهذا حق ، فسلوك الانسان في عمل صغير كهذا ، دليل يفصح عن معدنه وخلاله ، وهو ما تنبه له الفيلسوف المؤرخ ، فكان مثال الادب واللباقة ، فيما يأخذ ويدع من الطعام ، حتى اذا فرغ من شأنه اقبل على مجلس الفاتح مع اقرانه في وقار هادىء وسمت رزين .

دار الحديث ، فأخذ ابن خلدون بزمامه ، ورأى ان يمهد لقوله بالثناء على تيمور ، والموازنة الراجحة به عن الانداد والامثال ، فقال : « مولاي الامير ، لقد تقلبت بي الايام فشاهدت دولا وملوكا ، وشهدت مشارق الارض ومغاربها ، وحضرت فلانا وفلانا من السلاطين ، وكتبت عن تواريخ الامم الغابرة ما أقام الخبر السالف مقام العيان الراهن ، ولكن لله المنة والحمد ، فقد احياني حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة ، والمسلك شريعة السلطة على الطريقة ، فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف ، فطعام مولانا الامير يؤكل لنيل الشرف » .

هذا الاطراء الزائد قد صادف من نفس تيمور اكبر ارتياح ، وطرد عن وجهه سحابة عابسة ليحتل مكانها ائتلاف وانطلاق !! فتشجع ابن خلدون ومضى في سبيله يقول « وان لي الان اربعين سنة اتمنى لقاءك واحلم به في الغدو والرواح حتى ظفرت به اليوم ، فالحمد لله رب العالمين » .

وكان ترجمان المجلس القاضي الداهية عبد الجبار المعتزلي ، فلاحظ كثيرا من العلو في كلام ابن خلدون ، وانتهز جملته الاخيرة ليسأله : « ولماذا كنت تبحث عن الامير منذ اربعين عاما ؟ ومن ادراك به ؟ » فانطلق المؤرخ الماكر يقول : لقد كنا نسمع من متصوفة المغرب ترقبهم لظهور قائد عظيم من أمة بادية ، أهل خيام يتغلب على الممالك وتقلب الدول ، وتستولي على اكثر المعمور ، وذلك اذا اجتمع الكوكبان العليان ، زحل والمشتري ، وقد قال لي استاذنا امام المعقولات محمد ابراهيم الايلي ان ذلك قريب ، وستعيش الى ان تراه ، واليوم يتحقق كلام الاستاذ !! » .

ظفر الفيلسوف ـ اذن ـ بمحبة الداهية السفاح ، فقد أطراه اولا ، ثم نقل له نبوءة صوفي زاهد ممن يعتقد في مكاشفاتهم ، ثم اكد ذلك بأمر فلكي يحسب له تيمور حسابه ، ويراه صادقا لا يتخلف ، ولولا دهاء ابن خلدون وخبرته الدقيقة بنفسية صاحبه ما بلغ منه هذا المبلغ العظيم ، ونحن نوقن انه لفق هذه النبوءة تلفيقا لتصادف منزلها الرائع ، فكان له ما اراد من الحظوة والتوفيق .

اندفع الطاغية في سمر مع صاحبه ، واغفل نظراءه من العلماء فسأله في تبسط زائد عن تاريخ حياته وملوك زمانه ، ثم استوضحه كثيرا عن طنجة وبرقة وسلجماسة وتلمسان وغيرهما من بلاد المغرب ، مما يؤكد ان الطاغية كان على شوق لمعرفة احوال هذه البلاد ، فهو يتطلع الى فتحها والاستيلاء عليها مستعينا بما يقطفه عنها من المعلومات والانباء ، لذلك لم يترك ابن خلدون حتى امره ان يدون في كتاب خاص جميع الاوصاف الخاصة ببلاد المغرب ، واهتبل المؤرخ هذا الطلب فقام به على أحسن وجه يتاح ، وبادر بانجازه في سرعة ادهشت الفاتح !! فأضاف بذلك منة جديدة تدني منزلته ، وتقرب حماه !!

وقد كان تيمور مولعا بمساجلة العلماء ، فهو لا يفتأ يعقد الحلقات ، ويضع الاسئلة ويدير النقاش ، ولم يكن كما قال ابن خلدون ـ بعد ذلك ـ عالما بارعا وانما كان يدعي العلم مستعينا بشكيمته وبأسه ، مع ذكاء متيقظ يمكنه من استشفاف اللباب وادارة الحديث كما يريد ، وفي الطغاة من يريدون ان يحرزوا كل مفخرة ، وجلساؤهم من العلماء يدركون مبلغهم من الادعاء ، ولا يجرءون على الاعتراف بذلك رهبة وخوفا ، فاذا اجتمع اولو العلم للمناظرة رأيت تطاول الطغاة وادعاءاتهم ، ورأيت مع ذلك من ينكسر لهم من العلماء تقية ورعبا ، ولو زالت الفوارق لسمعت التجهيل الصريح !!

تقدم الى تيمور بعض ابناء العباسيين من طالبي

الاخطل الصغير

شكر الله الجر

* * *

التاج تاجك جن الشعر ام عقلا ... عمن تقلده ـ لا يبتغي بدلا ؟
تذري الليالي بمن شدوا الى افق ... جاوزته ـ فتركت النجم منذهلا!
ما كل من مد نحو الشمس مروده ... يستنزل النور من اهدابها شعلا
او كل من زوق المعنى ونمقه ... وبهرج اللفظ كان الشاعر الفزلا
فلا يعد اديبا كل ذي قلم ... ولا جوادا كريما كل من صهلا
والشاعر الفذ فجر في تفتحه ... على الحياة ـ لمن في ضوئه اغتسلا
والشاعرية ان رقت نسائمها ... تفتق الورد عن اكمامه ثملا
صلى الجمال عليها في هياكلها ... وطاطأ الفن للالهام وابتهلا

الخلافة راجيا ان يعينه على استعادة ميراثه ، فابتسم الطاغية ابتساما مريبا ، وعقد مجلسا من العلماء لمناقشة الدعوى المرفوعة ، ثم أومأ الفاتح الى ابن خلدون ليفصل في الموضوع ؟ فماذا صنع الباقعة الحصيف !!

لقد لجأ الى دراسته الشخصية لميول تيمور ومذهبه، فعرف انه شيعي يكره العباسيين ، واذا جرؤ مفت متسرع على القول بأحقيتهم للخلافة فقد أريق دمه لساعته ، فانطلق ابن خلدون يعلن ان الحديث القائل بأن الخلافة لبني العباس ما بقيت الدنيا موضوع مكذوب ، واخذ يشرح انتقال الامر لابي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تحوله الى معاوية وابناء اسرته ، ثم انتهاءه الى بني العباس تغلبا وقهرا ، وخلص من ذلك إلى رفض الدعوى المعروضة باستعادة الخلافة ، ونحن لا نخطىء المؤرخ في حكمه ، ولكننا نشير الى براعته في استكناه الغوامض وسبر النفوس !!

كان المؤرخ العظيم يشعر بالقلق في صحبة تيمور ، فهو غادر لا يؤتمن ، وصاحب السلطان كراكب البحر ان سلم من الغرق لم يسلم من الفرق ، فكيف ينضم الى حاشيته وفيهم من ينفس عليه علمه ، فيقوم بافتراء كاذب يأتي بالقاضية !! لا بد اذن من النزوح العاجل فلا قرار على زأر الاسد ، ولا بد ثانية من الحيلة الماكرة في هذا السفر السريع كيلا تحوم حوله الظنون !! لقد استمع الى مشورة بعض اصدقائه فأشار عليه ان يطرفه ببعض هداياه كما جرت به العادة مع التتار والمغول ، فاختار المؤرخ مصحفا مذهبا ، وسجادة انيقة ، ونسخة من قصيدة البوصيري في مدح الرسول ، واربع علب من حلوى مصر الفاخرة ، ثم دخل على الرجل في ادب وخشوع ، وناوله المصحف فوضعه على رأسه ، والسجادة فقبلها ، والبردة فسأل عن موضوعها وناظمها ، والحلوى ففرقها على اصحابه واكل منها ، ثم قال ابن خلدون : ايها الامير ان اكبر امنياتي ان اسعد بصحبتك ولكن لي تاريخا كبيرا بذلت فيه جهد العمر ونور العين وجمعت به الوقائع جميعها ، وقد تركته بمصر وسيضيع بددا ان لم أسارع بانقاذه ، فاذا تفضلت فأمرتني بالذهاب الى مصر لاستحضاره ، والعودة سريعا الى مقامك ، كان ذلك منية الدنيا وسعادة الحياة !!

قال تيمور لك ما تشاء على ان تعود ، فسار ابن خلدون عنه في فرحة غامرة وبشر عميم !! لقد كشف ابن خلدون في سياسته مع الرجل عن دهاء وسياسة ولو رزق ضحاياه بعض هذه الكياسة لعصموا ارواحهم من الوبال ، فقد استطاع بلباقته الحصيفة ان يحقق كل مآربه ، كما ادرك ببصيرته النافذة هول ما سيتعرض اليه من المآسي الدامية ، ان دامت محبته واتصلت اسبابه بتيمور ، فجنح الى الفرار ، ولم يشأ ان يهجم على الاستئذان دون تمهيد ، فقدم الهدية المناسبة، واختار الوقت المناسب ، وقد كان خاصة العلماء من اصحاب تيمور يضيقون به ، فرحبوا بابتعاده ، ورجوا تيمور مع الراجين في سفره، ولم يبد احدهم شكا في نياته فسارت الريح هادئة ، وسلم الزورق من الاعاصير .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

أبا النواعم لم يصدح بهـا غـرد ... الا الذي من جراحات الهوى نهلا
يا ساكبا من دموع الكأس من دمه ... على قلـوب العذارى الحب والاملا
وكاحلا ببريـق النجـم اعينهـا ... وناسجا منفراشات الضحى حللا
لمـا أتينـك اسرابـا علـى ظمـأ ... حملت اجرارهن الخمر والعسلا
ما حالهن وقـد طار النعي الـى ... اعشاشهن يذيع الويل والوجـلا

غنيت لبنـان جنـات معطـرة ... فكنت اطرب من غنى ومـن هدلا
ورحت تنشر فوق الشرق اجنحة ... للحب لا تعرف الاجناس والنحلا
فجرت شعرك في صحرائه فلذا ... حمراء ـ فانطبعت في خده قبلا
فكنت كالجدول الضحضاح مر بها ... اشاع في جانبيها الظل والبللا
فاخضل ما اخضل من اكنافها ومشت ... اليك تحمل من صفصافها خصلا

وادي العتيق سرى في جوه نبـأ ... عن جونا موجع فاهتـز واختبلا
قالوا له : (عمر) قـد جاء ثانية ... الى الوجود ولكن عاد فارتحـلا
فاستنفر الطير من اوكارها فهفت ... مذعورة وشدت فاستدمعت مقلا
ونتف الشـجر العـالي ذوائبـه ... وقصف الحزن من أفنانه الخضلا
وخيم الصمت فوق البيد من جزع ... كانما الليـل في ارجائها انسدلا

فتى ربيعة عفوا ـ يـوم اخطلنا ... اهاج في الشعر جرحا كان مندملا
فتى ربيعـة دنيا الحب واحـدة ... سيان عصر اتى ام آخـر افـلا
اي العصور رما كان الجمال به ... يوحي الصبابة والصهباء والغزلا
ذكراك ذكرى الهوى والشعر ما برحت ... تستورق الروض جف الغصن ام ذبلا
واها لها طيبات طالمـا اختلجت ... عظام (نعم) لها تحت الثرى جذلا

يا اخطل الارز بل يا نسر قمـته ... يا لاطمـا بجناحي دوحه (زحلا)
بنى الاوالي لنا من شعرهم هرما ... ورحت تبني على اهرامهم جبـلا
حسب اليراعة في كفيك ما انتفضت ... الا لتحطم نيرا او تصد بـلا
يراعة الحر عبء فوق كاهلـه ... الـد اعدائها الظلام والجهـلا
كم من يراع وراء السيف ممتشق ... يبني الممالك او يستأصل الدولا
ما هـد اعمدة البستيل مـدرع ... بل هدهن يراع ضيم فاشتعـلا

أشحت وجهك عن كون كرهت به ... ذئبـا يطارد في اجوائه حمـلا
وقادة يغرقون الارض فـي لجج ... من الدماء ـ وحقا ديس وانسحلا
ليس المنية لـو محصت حكمتها ... الا الهروب من الدنيا لمـن عقـلا
تناقلت نعشك الاكتاف واجمـة ... كأن لبنان في الواحـه انتقـلا
تبـرج القبر مزهوا بزائـره ... وكدس الطيب في فوديه واكتحلا
كم في القبور قبور لا يطاولهـا ... مجدالقصور ولا مجدالعروش على
لن ترتضي (امة السكسون) عن حجر ... من قبر شاعرها ـ بالتاج لو بدلا

جبيل ـ لبنان

شكر الله الجر

ابو العتـاهية الفنان الزاهد

ولو انـي صدقـت الزهـد فيهـا قلبـت لاهلهـا ظهـر المجـن
« ابو العتاهية »

بقلم ابراهيم سعد الجندي

* * *

في هذا المقال عن ابي العتاهية اشهر من تفنوا بالزهد في أدبنا العربي قديمه وحديثه ، لا نتتبع من أخبار الرجل الا ما اتصل منها بشعره وكان ذا دلالة على نفسيته واتجاهاته وفنه الشعري بوجه عام .

ولد ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) على اتفاق الروايات بعين التمر ، بليدة بالحجاز قرب المدينة ، ولكن الروايات تختلف بعد هذا في سنة وفاته . فقيل انه توفي سنة ٢١٠ هـ ، وقيل بل توفي سنة ٢١١ هـ ، وفي رواية ثالثة انه توفي سنة ٢١٣ هـ هو وابرهيم الموصلي وابو عمر الشيباني في يوم واحد في خلافة المأمون . ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد . وقد امر ان يكتب على قبره :

آذن حـي تسمعـي اسمعي ثم عي وعـي
انـا رهـن بمضجعي فاحـذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجـة اسلمتنـي لمضجعـي
كم ترى الحـي ثابتـا فـي ديـار التزعزع
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعـي

(وعلى هذا ، وعلى فرض انه لم يذكر هذا الرقم « تسعين حجة » على مطلق الكثرة ، الا يجوز ان وفاته كانت سنة مائتين وعشرين او نحوها ؟) .

وكانت الكوفة هي البلد الذي درج فيه ابو العتاهية أوائل صباه يزاول فيها مهنة متواضعة هي صناعة الجرار الخضر يعاونه عليها بعض اهله ويحملها عبد لهم الى الاسواق ليبيعها .

وكان ابو العتاهية نظيفا ابيض اللون اسود الشعر ، له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة . وكان الاحداث والمتأدبون يؤمون مصنعه بالكوفة فينشدهم اشعاره ، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها .

ولما رأى ابو العتاهية اقتداره على الشعر ، قدم مع ابرهيم الموصلي الى بغداد ، ثم افترقا ، ونزل هو الحيرة ثم اشتهر ذكره ، وسمع به الخليفة المهدي ، فاستدعاه الى بغداد ، فدخل عليه ابو العتاهية وامتدحه ونال جوائزه . وله أخبار كثيرة مع الهادي والرشيد والمأمون . وكانوا كلهم معجبين بشعره . وكان ابو العتاهية في مدته مع الرشيد لا يفارقه في سفر ولا حضر . فلما قدم الرشيد من الرقة ، لبس ابو العتاهية الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل .

ولقد استفاضت لابي العتاهية شهرة واسعة في الزهد تركت له ذكرا فيه ، ابعد من ذكر كثير من الزهاد الذين انقطعوا عن الدنيا ولم يتعلقوا منها بكثير ولا قليل . وما اريد ان اناهض ما اشتهر من زهده بقدر ما اريد ان اضع النقط على الحروف ، كما يقال ، واضع الادلة عليها من شعره وبعض اخباره ، حتى تتكشف لنا جهد المستطاع شخصية الرجل واضحة المعالم جلية السمات .. وانها في جوهرها الاصيل لهي شخصية الفنان الذي روعه ان يرى الحياة تتراجع منهزمة في تلاحمها الدائم مع الموت، فحاول ان يمسك بسرها .. اكثر منها شخصية الزاهد الذي لم يروعه الموت لان نفسه ليست شديدة التعلق بالحياة فراح وكأنه يحتضن بجميع وجدانه ذلك السر .

في جميع ما خلفه شعراؤنا المتقدمون من نتاج عبقرياتهم المتنوعة في الشعر ، لا نجد لواحد منهم ديوانا تدور معظم قصائده حول موضوع واحد كما دارت معظم قصائد شاعرنا حول موضوع الزهد ، وتلك لا ريب ميزة لأبي العتاهية تقاس بمقياس التخصص الذي يميل اليه عصرنا حتى في الشعر ، فترتفع بمكانة الرجل عندنا . وتقاس من الناحية الاخرى بمقياس الموضوع ، فتصير بالرجل الى مكانه الحق في مقدمة شعرائنا الفنانين الذين لم يستوحوا غير ضمائرهم الفنية وحدها . فما من شيء غير الضمير الفني يدفع شاعرا الى القول في الزهد والاكثار فيه والافتنان الرائع في تصوير العوامل النفسية والفكرية وابرازها ، وأكاد أضيف اليها العوامل الكونية التي تدعو في نظره الى هذا الزهد وتحمل عليه مستحثة وملحة ودائبة ، وهو يدرك في الوقت عينه ان حديث الزهد وما يلحق به من حديث الموت والآخرة ليس من احب الاحاديث دائما الى الناس ان لم يكن اثقلها على نفوسهم فيقول :

مالي رأيت بني الدنيا قد اقتتلوا كانما هذه الدنيا لهم عـرس
اذا وصفت لهم دنياهم ضحكـوا وان وصفـت لهم اخراهم عبسوا

فما هي الشرارة التي الهبت عبقرية الشاعر ودفعته الى اختيار الزهد موضوعا اساسيا لفنه ، وان لم يكن بنفس القوة كما سنرى ، هو الموضوع الاساسي لحياتـه ؟ .

في اعتقادي ان تلك الشرارة وجدت منطلقها الرحب من ذلك الاحساس الملتهب عند شاعرنا بحتمية الموت على حد قوله :

علمي باني اذوق الموت نفص لي طيب الحياة فما تصفو الحياة ليا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الرحيل عن الدنيا ليزعجني أن لم يكن رائحا بي كان مفتديا

فالواقع ان قضية الموت التي شغلت اذهان المفكرين والفلاسفة وما زالت تشغلها ، والتي يقتضي الشعور الكامل بأبعادها ان يكون المرء على درجة عليا من التطور الروحي ، وان يكون ذا فكر ممتاز على اتصال مباشر بالينبوع الاصلي للوجود والحياة ..

هذه القضية قد شغلت فكر شاعرنا العربي كما استبدت بمشاعره . فهو يرى الموت محلقا بصورة دائمة ثابتة فوق الحياة فيقول :

كم ترانا يا اخي نبقى على جولان الموت في هذا الافق

بل انه ليرى الموت متصلا بالحياة نفسها ومندمجا في صميم حركاتها فيقول :

كل الجديدين حيث كانا مما تفانت به القرون
وللبلى فيهما دبيب كأن تحريكه سكون

ويقول :

واني لاجري الى غاية قد استقبل الموت لي مولدي
وما زلت في طبقات الردى أصعد في مصعد مصعد

ويقول :

ومن النعاة الى ابن آدم نفسه حرك الخطى وطلوع كل هلال

ويقول :

لدفاع دائرة الردى يتضايق الرأي الاصيل
فلربما عثر الجواد د، وربما حار الدليل

وانه ليعود حتى بمشاعر الاغتراب والوحشة التي تخامر نفس الانسان في بعض لحظات تململه ، الى احساسه الغامض بصيرورته الحتمية الى الموت فيقول :

ومن ذا عليها ليس مستوحشا بها ومغتربا فيها وان كان ذا اهل
فما تبحث الساعات الا عن البلى وما تنطوي الايام الا على ثكل

وعلى هذا راح الشاعر يعالج تلك القضية ، قضية الموت ، بعقل الفيلسوف وبصيرة الفنان . فنراه اولا يتساءل في هدوء وقور رائع :

هلا ابادر هذا الموت في مهل هلا ابادره يا دام لي نفس

نعم . لقد أصبح وكأنه لا محيد لشاعرنا منذ الان ، وبعد ان تعمق المشكلة ذلك التعمق الباطن الذي تستحيل معه المعرفة الى معرفة وحياة معا .. اصبح ولا محيد له من ان يبادر هذا الموت الرابض المتربص .. فكيف يبادره ، او ما هي حيلته في مواجهة هذا الامر الرهيب ؟

ما حيلة الموت الا كل صالحة او لا ، فما حيلة فيه لمحتال

ولو لم تكن الحيلة على هذا الوجه دون غيره ، لاحتقر الامر جدا ، امر الموت والحياة جميعا ، ولهان كل شيء . استمع الى نجوى سريرته اذ يقول :

فلو كان هول الموت لا شيء بعده لهان علينا الامر واحتقر الامر
ولكنه حشر ونشر وجنة ونار وما قد يستطيل به الخبر

وهنا نلمس عقدة المسألة كلها على نحو ما عبر عنها أيضا شاعر الانجليز الاشهر شكسبير على لسان بطله هملت اذ نراه يقول :

ـ « الموت رقاد ، رقاد وقد تكون به احلام ، آها، هذه عقدة المسألة ، من ذا الذي كان يرضى بالبقاء رازح تحت الحمل دائم الانين لولا انه يتقي امرا وراء الحياة ، البلد المجهول الذي لم يستكشفه باحث ولم تتخط تخومه قدم سائح » .

واذن فما اصدق واعظم هذا القسم الذي يطلقه شاعرنا العربي في ختام جولته الاولى مع الموت وما بعد الموت حيث يقول :

أقسم بالله وآياته شهادة ظاهرة باطنة
ما شرف الدنيا بشيء اذا لم يتبعه شرف الاخرة

ومن هنا راح الشاعر الى ختام حياته الطويلة الحافلة ، ولا هم له اعظم من ان يقرع آذان الناس ويهز ضمائرهم بآياته الروائع في الزهد وما يتخللها من تلكم الصور الفاجعة لافاعيل الفناء بدار الفناء ... فهو ان مدح او عاتب أو هجا او افتخر او ارسل الشعر فيأي عرض من اغراضه ، لا ينسى مهمته الاساسية ابدا .. احضره الرشيد يوما وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا (وكان الرشيد في مجلس من مجالس انسه المشهورة) فقال ابو العتاهية متمهلا :

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد : أحسنت ، ثم ماذا ؟

فقال ابو العتاهية :

يغدي عليك بما اشتهيت لدى الرواح او البكور

فقال الرشيد : حسن جدا ، ثم ماذا ؟

فاندفع ابو العتاهية يقول :

فاذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

وكان شاعرنا بين ذلك يضطرب فيما يضطرب فيه الناس جميعا من طلب الدنيا ، ما بين متهالك عليها لا يكاد يلتفت الى امر من أمور الاخرة ، الى معتدل في طلبها لا ينسى العمل لاخرته ما عاش ، الى طاو كشحه عن هذه الدنيا ، قانع منها بأقل القليل ، مقبل بجمع وجدانه على بواقي القيم . فأين كان ابو العتاهية خلال هذا المضطرب الواسع ؟ لم يكن قطعا مع المتهالكين على الدنيا المغفلين تماما امر الاخرة . بيد أن المتتبع ، بعد هذا ، لاحوال الرجل وتصرفاته في ذات نفسه واهله ، او مع الناس ، حقيق ان يحار وان تطول به الحيرة ، قبل ان يهتدي الى مكان ابي العتاهية الحق من هذه الدنيا الواسعة او مكان هذه الدنيا الواسعة من قلبه الكبير . استمع اليه يقول :

اني لافتر بالدنيا وارفعها من تحت رجلي احيانا الى راسي
ما استعبد المرء كاستعباد مطمعه ولا تسلى بمثل الصبر والياس

بل استمع اليه يصرح :

اخي قد ابى بخلي وبخلك ان يرى لذي فاقة مني ومنك مواسيا

بلى . لقد تأرجحت حياة ابي العتاهية طويلا بين الطمع واليأس ، ثم لزمته بعد هذا التأرجح الى اخر حياته ، تلك الخلة العجيبة في حياة الزاهد ، خلة البخل الشديد ، حتى اثرت عنه في هذا الباب نوادر لطيفة يضحك لها الناس امامه ويتفكهون بها دون ان يصيبه منها ادنى تحرج .

فما العلة الحقيقية لهذا البخل المتأصل الذي لم يجد منه فكاكا ولا ازاءه حيلة ، هذا الذي وجد الفكاك والحيلة مع الموت المتربص حين اختار ان يبادره بصالح الاعمال ؟ ! .

الحق ان رذيلة البخل التي تصدمنا في حياة شاعر الزهد ، يمكن ان ينظر اليها بشيء من التسامح بل بشيء من الرثاء والعطف ، اذا قدر الناظر انها كانت قضاء مسلطا عاجلا كقضاء الموت المنتظر المحتوم ذاته .. فهي التي أماتت حقا في نفس شاعرنا ، قبل موته ، جميع النوازع. وان بقيت هي النزعة الوحيدة التي سيطرت على حياته وطبعتها الى اخر نفس فيها بطابع الحرمان والتقشف . فكثيرا ما شوهد ابو العتاهية وهو لا يأتدم بغير قليل من اللبن في اناء امامه يغمس فيه اللقمة غمسا خفيفا لا يكاد يصيب به من الوعاء شيئا .. حتى اقسم متفكها من شاهده مرة يفعل هذا انه رآه يأتدم حقا ولكن بلا شيء ! وكما كان الرجل يأخذ نفسه بهذا التقشف الشديد ، فقد كان بطبيعة الحال يفرضه على كل من يملك امرهم من أهل وخدم ونحوهم . ولو استطاع لفرضه على سائر الناس :

حسبك مما تبتغيه القوت ... ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا ... من اتقى الله رجا وخافا
ان كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الارض لا يكفيكا

اما حرصه على طلب المال وشراهته احيانا في جمعه ، فقد ورطه ، على ما يظهر لنا من بعض أشعاره ، في مواقف محرجة كان يعود منها وهو ساخط على نفسه ضائق بمطامعه كافر بوفاء الناس . كتب الى بعضهم يقول:

لا جعل الله لي اليك ولا ... عندك ما عشت حاجة ابدا
ما جئت في حاجة اسر بها ... الا تثاقلت ثم قلت غدا

وأرسل الى آخر يقول :

أراك تراع حين ترى خيالي ... فما هذا يروعك من خيالي ؟
لعلك خائف مني سؤالي ... ألا فلك الامان من السؤال
كفيتك ان حالك لم تحل بي ... لاطلب مثلها بدلا بحالي
وان اليسر مثل العسر عندي ... بأيهما منيت ، فلا أبالي

وصدق ابو العتاهية فيما يقرره بعد هذا او قبله ، عن تجربة ، اذ يقول :

ان المطامع ما علمت مزلة ... للطامعين ، واين من لا يطمع
كل امرىء متفرد بخلاله ... ليس امرؤ الا على ما يطبع

ثم ما أعذبها في نهاية المطاف (رقية البخل) في بيتيه الدقيقين :

ارقيك ارقيك باسم الله ارقيكا ... من بخل نفسك على الله يشفيكا
ما سلم كفك الا من يناولها ... ولا عدوك الا من يرجيكا

ولا شك أن ابا العتاهية كان على دماثة خلقه ورقة شمائله ، يلقى من مكائد اللئام وشغب المشاغبين ، بسبب تعرضه لطلب الدنيا ، ما جعله يصفهم لنا في الكثير من مقطوعاته الشعرية ، ولا سيما في المقطوعة التالية ، وصفا بارعا لا نكاد نقع على مثله بين سائر ما وصف به أصحاب الطبائع الملتوية هؤلاء ، في شعر الشعراء او تحليل المحللين :

من أمكن الشك من عزيمته ... لم يزل الرأي منه يضطرب
من لزم الحقد لم يزل كمدا ... تغرقها في بحورها الكرب
اني رأيت الشريف معترفا ... مصطبرا للحقوق اذ تجب
وقد رأيت اللئام ليس لهم ... عهد ولا خلة ولا حسب
احذر عليك اللئام انهم ... ليس يبالون منك ما ركبوا
فنصف خلق اللئام مذ خلقوا ... ذل ذليل ونصفهم شغب
فرض اللؤم واللئام ولا ... تدن اليهم فانهم جرب

والزهديات هي موضوع ابي العتاهية الرئيسي ، وهي عماد فنه الشعري، وهي مجال تفوقه في هذا الفن. فهو في العربية شاعر الزهد بلا مراء ... وكما أسلفنا ، كان زهد ابي العتاهية هو الاثر المباشر لاحساسه الملتهب بحتمية الموت .. ولكنه كان في الوقت عينه ينجم عن احساسه العنيف بسخف الحياة وعبثيتها اذا تجردت من كل غاية تعلو عليها وترتفع بمشاعر اهلها الى آفاق ارحب واسمى وابقى .

ومن هنا كانت الزهديات تذكيرا دائما بالموت ، وكانت بنفس الدرجة تنديدا دائما ايضا باستنامة الانسان الى أباطيل الحياة واغتراره بزخرفها وغفلته عن الغاية التي خلق من اجلها :

لامر ما خلقت فما الغرور ... لامر ما تحث بك الشهور
ألست ترى الخطوب لها رواح ... عليك بصرفها ولها بكور ؟
لبغي الناس بينهم دبيب ... تضايق عن وساوسه الصدور
أعيذك ان تسر بعيش دار ... قليلا ما يدوم لها سرور
الا ان اليقين عليه نور ... وان الشك ليس عليه نور

فالزهديات اذن ليست دعوة سلبية ، بل هي في صميمها دعوة ايجابية ، قوامها اطراح الاحقاد والشرور ، والسير في الحياة على منهاجها القويم من الرفق والتسامح والمحبة .

ان ابا العتاهية ليكره للحياة الفراغ والعبث ، ويحب لها ان تكون مليئة بالفضائل العالية والاعمال الجليلة .

وقارىء الزهديات يجدها مفعمة بالنظرات الحكيمة والاراء السديدة والتأملات الخصبة في شعر هو الشعر سلاسة ووضوحا وعذوبة ، تأخذ بالالباب وتستأثر بمجامع القلوب .

طنطا ـ ج. ع. م.

ابراهيم سعد الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموت والمدينة

•

مجاهد عبد المنعم مجاهد

•

القـــاهـــرة

أريد أن اموت في المدينـــه
بلا بطاقة ، بلا عنوان
فلا يهمني اذا عرفتم بأنني فلان
دعوا على الطريق جثتي
وان تقززت نفوسكم غطوا به نفايتي
وامشوا بجانب الجدران
وانسوا المناظر الحزينه

يا ويحه الذي يموت في المدينه !
حقا بجانبي على السرير زوجتي
وبيننـــا ابنتـــي
لكنني أحس انني وحيد
عشت الحياة مفردا ، ومفردا اموت
هذا الوجود لم أشـــأ
لذا أحس انني الصدأ
يأتي بلا ارادة على الحديد
اذا فرحت مرة أحس فرحتي بغير عيد
وان تحـــدث الصديق
أراه غير انني بعيد
ترى يهم ان اتى المطـــر
ليقتل الحريق في الشجر
ومصرع الحريق يبصم السواد في الخشب ؟!
فكيف للسواد ان يحب
لذا قتلت كل مَرفا فلا تعود بي سفينه

أريد ان اتوه في قاعة حزينه
ولا اريد ان اموت في القرى
هناك يعرفون انني فلان
بـــلا بطاقة بلا عنوان
وانني من طينـــة المكان
انا ابن طينتي انا الغضب
وضعت في ملامحي الثلوج منظرا
وتحتـــه اللهب
فلا أريد ان اموت في القرى
أريد ان اكون ساعة الوداع دون حب
فان تضاءل الشعاع
أريد ان اكون كالغريب ساعة الوداع
شاني انا مع الحياه .
ومنتهى سعادة الغريب .. منتهاه
بأن يموت ها هنا في زحمة المدينة !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاول مرة فوجئت زوجته بقرار لم تتعود مثل حدته من قبل ، فمنذ ان ولج الباب بدا عليه اعياء وخمود في الحركة كصيف ماتت افراحه واعراسه ، طلب منها في نبرة متواصلة لا تمسها ريبة ان تكف عن مداعبة الاطفال امامه ، والا تسأل احدا عن اسمه واسم بلده ، وجده، كما تعودت كثيرا أن تفعل ذلك في ابتسامة تفوق تفتح حزمة من النرجس ، علها تكسب اطفالها استحسان زوجها بهم كما هي عادتها فيأخذ اذ ذاك بتوزيع الهدايا المختفية في ثنايا جيوبه ، كأنها اسرار عتيقة لا تتبدى الا بموقف تعجبه وتحرك في اعماقه السلوى والصفاء .

كانت كعادتها تنسل في خفة ، كما يحاول لص ان يتخطى المكان دون ان يحدث نأمة، وما ان يحتضنها بطن المطبخ ، حتى تأخذ في تجهيز كأس من الليمون ، تؤكد له ان امها قد علمتها ان مثل ذلك العصير يخفف من حدة الاعصاب ويسكن ضجيج الدماء في الجسد .

ولف المكان هدوء كهدوء الراس المتوج بعصفور صفير ، حتى انه سمع الملعقة تتحرك في اعماق الكوب المائل بين يدي زوجته .. واحس ان داخله يحكي .. « مسكينة هذه المرأة .. ان ليمون العالم كله لا يستطيع ان يهدأ اعصابه ، تماما كنملة ضعيفة لا تستطيع ان توقف سير قطار .. وشعر طفرة واحدة ان اخلاصا كهذا كاف ان يحقق معجزة .. ان ضخامة اخلاصها توازيه نذالة نفسه ، ماذا قدم لوطن جرد منه دون ان يفعل بعد شيئا من اجله ، ان كأس الليمون ذلك في اعتقاده الاخير .. افضل منه ومن ثرثراته وضحكاته الطويلة كخرطوم الفيل ، انه لا ينكر على نفسه الاحاديث الطويلة العريضة التي يلقيها في المسامع عن قداسة الارض لكن ، اين هو من واقع العمل في لحظاته تلك .. هذا الذي يملك حبا كبيرا لبني جلدته ، لا يستطيع ان يفعل شيئا الان اكثر من ان يقرأ احاديث الصحف ، ويقلب الصفحات ليشاهد الاجسام المشوية بالنار ، مات النور في عيونها كما تموت الشمس فوق السحب ، آه ... لو يملك اجنحة النور ، اللحظة هذه ، لو تفرس اجنحتها في بطن الافق الممتد لترحل به بعيدا الى هناك حيث تتجه الريح نحو غربه فقط ، الذي غرسه مع رفاقه بأغانيهم الصيفية الهادئة ، وغذته جموع الفلاحين والحصادين بأحاديثهم

الجواب الاخير

مهداة الى صبحي شحروري ولقلبه الملتهب في حقول بلعا وجبالها

بقلم حكم بلعاوي

النشيطة .. ليس مهما عنده انهم لم يعلموه حمل السلاح ذات يوم ، فبأظافره يستطيع ان يحفر خندقا ، وهو لا ينسى انه يجيد صناعة كلام يشابه زغاريد النسوة المتسلقات على سطوح المنازل يغنين ويلهبن الحماس في مآقي الرجال الغاضبين .

كل ذلك واكثر منه مر في خاطره وهو ما زال واقفا في مكانه .... تشمله غضبة كبيرة .. صورت له كل الاشياء تافهة .. حتى نفسه التي التهمت جميع ما في هذه الكتب المتراصة امامه فوق طاولته المألوفة لديه وعلى رفوف قريبة منها ، اراد ان يكون شيئا عظيما عظمة بلاده .. متحركا كفراشات لا ينساها ابدا في حقول قريته وعلى ازهارها .. صدى عميقا كصدى العاملين على قمم الجبال في ارضه .. انه لن ينسى قط صورة الابطال الذين احتواهم ثرى وطنه دفاعا عن نقائه .. عربي .. له رائحة امجاد متعاقبة على مر العصور . كل هذا يدركه تماما .. وتهتز نفسه تيها معه ، كليلة عرس طويلة .. انه يحسه اكثر من اي وقت بأن جلده لا يستطيع ان يقاوم ثورة دمه ، كشلال عنيد تنصب مياهه في شبه انتقام من الارض ، ليس هناك من زاوية معينة تستطيع ان تسرق من عينيه الغضب ، كل الاتجاهات في نظره مخروقة كفربال كبير .. عيناه تخترقان العالم كله في لحظة ، فلا يبصر غير ارتجاف الامكنة كجرو مقرور فقد امه في ليلة عاصفة ينبح ليملأ افاقا غير مرئية .

قابل اشخاصا كثيرين على طول سيره لم يألف منهم لحظة انتباه ، انه يعرفهم جميعا ، لكنه كان يقدر سريعا انهم سلخوا مثله عن مركز الحياة .. كان لهم ارض وعلى اديمها ازاهير الشفاه المحبة ، هكذا اضحى سيلا جارفا من الانفلات ، لا يستطيع ان يضبط حركة واحدة من حركاته .. كؤوس الخمر كلها لا تستطيع ان تنال منه اكثر مما نالته هذه الضربة على مركز ذاته .

كان كلما انتشى بلحظة انتصار في مسيرة ايامه يجلس وقتا قصيرا وهو يطلق صفيرا جميل النغم من بين شفتين مليئتين بالحياة ... ان مغنيا ماهرا يستطيع ان يترجم صفيره الى حكايات رائعة عن صبايا مرج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بني عامر .. وعن لوحات جبال عكا السندسية لكنه الان فقط يكاد يتمزق وهو يسمع قرارا متكررا يسلخه عن المكان المتبقي في حياته .. ممتدا من « جنين » ذلك الموقع الذي طرزه فلاحو بلده باجمل الاناشيد الى نهر الاردن الذي امتزجت مياهه بأنفاسه وانفاس الاخرين فباتت وفاء كبيرا ، انه لا يحتاج الى احد كي يؤكد له ما وقع، فرغم انه امعن كثيرا امام الرفاق في مجادلات الانكار التي تشب في دماغه محاولا ان يقنعهم بأن شيئا من هذا لن يحدث ، حتى انباء الاثير السريعة بصق عليها غاضبا واثقا من انه سيطوف جميع الامكنة والازقة والوهاد التي يألفها بنفسه كما هي عادته كل صيف ، يسهر معظم الليالي متنقلا من عرس الى اخر ليشارك حلقات الدبكة الريفية .. ويخرج قبل ان تبدو عين الشمس ليمتص انبثاق الفجر في ارضه على مهل .. رغم ذلك كله فان يده المقرورة لم تخرج من جيبه طيلة وقفته الغضبى .. حين اختفت .. زوجته مصممة في نفسها ان تهدىء روعه بكأس الليمون البارد النظيف، يده تلك ما زالت في مكانها تضغط على شيء يتلوى كأفعى مسعورة حمقاء ، ورقة صغيرة في اعماق جيبه يحسها متحولة الى ابر تخز عروق اصابعه المنتفضة ، الدفء ميت في جسمه تماما وموجة اهتزاز عنيفة تجتاحه عظما ودما ، يزيده اضطرابا صوت طفليه الصغيرين يرددان رغم عبوس الجو في ثنايا المكان بلثغتهما المحببة المعروفة لديه « وذني يا وذني المهبوب » ويكاد مع ذلك النداء يقفز لينهر زوجته بأن تسكتهما دون ابطاء .. انهما من حيث لا تعلم يصبان سيلا من الاستهتار بشجاعته التي طالما اثبتها لزوجته في كثير من الاحاديث والمواقف وهو لحظته تلك ينشني على نفسه كربيع ميت النفم ، هذا « وذن » طفليه .... وطنهما الكامل تلوكه السنة النيران وتبخر افياء زيتونه ورمانه وهو الان لا يستطيع ان يقول شيئا او ان يكابر في وجه زوجته .. لن يقول لها ذلك امر لم يقع ، وعليها ان تصدق كل ما سمعته من انباء الهواء فالورقة التي في جيبه حكت له الرواية المقيتة ، انها رسالة من والده الذي حمل ثمانين عاما على كتفه باعتزاز ، لم تستطع الحياة ان توقف حركته او ان تضعف بريق عينيه ، ما زال يقبع في الدائرة الكبيرة من اعتقاده ، قوى الارض كلها لن تبعده عن فجره ، ذاك الرجل في المكان المعطاء اما هو فليس عليه الا ان يلوك الدخان بين اسنانه ، ويتقلب على فراشه مسروق الجفن، عيناه هكذا جاحظتان ونزق وحشي يفترسهما .

وقبل ان يحاول ان يقرأ شيئا في عيني زوجته افرغ الكأس التي تحملها في يدها دفعة واحدة في حلقه بسخرية بارزة ، واخرج الرسالة من جيبه وبسطها امامها قائلا « هذا كل ما في الامر » .

كانت عيناه تسبقان اصبعها المتنقل على الكلمات وما ان اتمتها حتى هزها طالبا منها ان تسمعه الكلمات الف مرة واتكأ بيديه على طرف الطاولة وفمه مفتوح مصغيا دون ان يلتفت ..

« ولدي سليم ...

ستضع امك هذه الرسالة لك في صندوق البريد بعد ان اخرجتها واختيك ، قد تغضب لان الارض للجميع لكنك تعرف معنى العرض والعار .. سأظل باقيا هنا آكل عشب الارض ، يجب ان تعلم انني احمل ثمانين عاما من النشاط ، وعليك ان تعتبرني في طليعة الثوار الذين يحبون ظلال اشجارهم .

بانتظارك ومثلي آباء كثيرون هنا بانتظار ابنائهم وان بكيت فلتكن دموع عينيك السوداوين فرحة اللقيا . والدك : عمر .

« اعيديها .. ثانية ، فانا مصغ تماما » ، قال ذلك لها بعد ان سحب جرعة كبيرة من الدخان غطت كل الاشياء من حوله حتى لون شعرها ، وباتت اسنانه خلفها مصطكة ... وشعر ان زوجته لا تفعل شيئا حين صحا اثر لحظات من الصمت ، غير انها رفعت راسها ودمعات في مآقيها لم تجرؤ على السقوط ... فتمالكت نفسها قائلة « اذن لقد حدث الامر .. عمي وحده في البيت .. ما احب مرحه الى قلبي» ورست كلماتها المتقطعة كسفينة محملة بالحكايا الطويلة على شطئان قلبه الذي كاد يحسه قافزا من بين ضلوعه .. اما هي فقد ابدت اهتماما سريعا لمرآه وقد جف ريقه سائلة : ما بك يا سليم .؟. كلمني .. سليم .. كلمني .. لقد خيل اليها دون شك انه لم يعد يتحرك في هيئته الشاردة الجامدة .. غير انه سرعان ما انتفض .. تصورينني قائدا .. بدون شك ستسمعين ماذا افعل ، سوف تسهرين الليل كله وانت تطبعين قبل الانتصار على جبين طفلينا ..

ولم تشأ ان تتركه .. لقد خيل اليها ان عصير الليمون الذي جرعته اياه لم يسكن ثائرته .. ولم يبق لديها شيء تصنعه ، انها مبهوتة في شبه اندفاع .. لقد طاف في مخيلتها سريعا وهي تسرح عينيها في ارجاء المكان صورة لزوجها الذي يقف هذه اللحظة امامها ... هاربا طيلة اوقاته الى زاوية من البيت يدفن نفسه بين اوراق كثيرة لا يخرج من بينها الا ويهمس في اذنها « علينا ان نتعب كثيرا كي نخدم الوطن » .. وكيف انه كان يحدثها عن انتصارات كثيرة حققها اناس اخرون عبر الحياة بايمانهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراتيل

لي من اغاني الهوى ما ليس يندثر ... الحور تشهد لي واللحن والوتر
أزفها صلوات من فمي ويدي ... حتى يكاد عليها الفجر ينصهر
والليل ينقل عني كل شاردة ... وكل رائعة تروى وتدخر
كم خبأتها العذارى في اضالعها ... وقبلتها فكان الطرس يستعر
يا من تسائل عن شعري وعن ادبي ... ان الهزار المغنى عنده الخبر
سل الربيع فكم في روضه صدحت ... قيثارتي وشفاه الزهر تزدهر
وكم زهور اذا غنيتها رقدت ... على يدي ففشاها الطل والمطر
أهيم للشعر في واد ورابية ... ينتابني كلما يممتها خدر
كأنها معبد تندى جوانبه ... بمجمر لبخور نفحها عطر
انا الغريب بأرضي ليس يعرفني ... الا الذين بأحلام الرؤى شعروا
ارتاد كل الشواطي حالما جذلا ... وفي سرائري الاحلام والفكر
واستلذ بأشعاري اترددها ... وحدي فيسكر من ترديدها السحر
فيحسب البحر اني ساحر قلق ... مع العشيات فوق السفح ينحدر
يردد الهمهمات المبهمات بلا ... وعي ويهذي بما لا تبتغي البشر
ونجمة الصبح ترنو لي متمتمة ... حيرى الخيال ومن بعدي بها ضجر
فأعجب لمن ليس تدري الناس قصته ... وعنهم وحده يدري ويستتر !!

البحرين — احمد محمد الخليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكبير .. حتى انها تنازلت عن اشياء كثيرة لتعيش فريدة على حد اعتباراته .

وفي لحظتها تلك عن لها ان تخفف من وطأة انفعاله .. فاقتربت منه تمرر يديها الناعمتين على يده .. وهمست « الا تريد ان تكتب لعمي رسالة » .. كانت نظراته تصفو شيئا فشيئا غير انه لم يقدم جوابا لزوجته التي كانت تنظر الى طفليها وكأنهما اجبرا على احترام الموقف .. فظهرا صامتين مذهولين يحاولان ان يزرعا مرحهما في المكان .. وما ان يفشلا حتى يحاولا تقليد حركات زوجها .. في كثير من الحيرة .. بينما تعلقت هي بأهدابه تحاول ان تستشعر راحته وما هي الا لحظات حتى انتبهت اليه سائلا اياها ان تعطيه رسالة والده .. اخذها في يد خف ارتجافها قليلا .. وتعلقت عيناه في سطورها ... كانت كلماتها تبدو لها وكأنها براكين غاضبة لا يستطيع معها ان يتخيل سوى صورة واحدة متكررة تشير حركاتها الى ايدي كثيرة تزرع في طرقات العدو الغاما شديدة وتكحل عيونهم بألوان الرعب والهلع .. وفي كل زاوية شبح والده ، لا تحد وعورة الجبال من سيره ، تماما كما يفعل الثوار الاخرون .. وفي الجانب الاخر صورة أمه واختيه ، تعمرهن نشوة كبيرة رغم العراء البارد يلتقطن اخبار الرجل الكبير ومعه رفاق كثيرون يبذرون غضبهم في كل اتجاه .

تنفس طويلا كمن اراد ان يواصل موقفه من الحركة .. ولف الرسالة وضغط عليها في جيبه كأنها شرارة دفء .. بينما كان لسانه يبعثر الالفاظ من حوله « لن اكتب ردا على رسالته ، لم يعد جوابي غير دمائي التي تتلهف الى عناقه .. وعناق ارضي الى الابد .. »

اما زوجته فقد اجتاحتها موجة من الحماس نثرته قبلات متكررة على جبين طفليها .. وهي تحاول ان تسأل كل واحد منهما عن اسمه واسم بلده وجده .. بينما كان ارتياح مشرق مستمد من قراره يلمع في عينيه وهو يبصر بهما .. طفليه يرقصان ويطلقان بلثغتهما المحببة ، ذلك المقطع من نشيد الوطن المحبوب ..

الرياض — حكم بلعاوي

في بلاغة التضمين والتلميح

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

ان موضوع (صور الاسلوب) وصلتها بالنفس والتفنن الادبي النثري والشعري ، يؤكد اليوم ضرورة العناية بالتمثل الحديث للبلاغة العربية ، ووصلها بالنفس والحياة والتفنن الادبي .. ولا بد من الاعتراف ان عجلة الزمان لا تعود الى الوراء ، وان مجتمعنا الذي تطور فطور فننا القولي ، واساليبنا النثرية والشعرية هو نفسه الذي طور بلاغتنا ونقدنا الحديثين ..

وان تمثلنا اليوم بحث اي موضوع بلاغي صار الى تمثل بحث نفسي اسلوبي تحليلي وادبي ، في الاساس .. وان تمثلنا بحث اي صورة من (صور الاسلوب) اليوم ، التشبيه الاستعارة الكناية ، او ايضا الرمز والصور الرمزية ، التضمين والتلميح وغيرها ، هو تمثل بحث نفسي اسلوبي تحليلي ادبي في الاساس ..

ان مرد هذه (الصور الاسلوبية) هو النشاط الانساني النفسي الفني الادبي (١) ، فبعضها يرجع الى التفكير او الوجدان ، وبعضها الاخر يفسره التعبير وتصريف القول ، وهي نوعية ان صح التعبير ، يتميز بعضها عن بعض تميزا ظاهرا ، بحيث لا يمكن ان نقول في صورة فكرية انها صورة وجدانية ، او انها صورة تعبير ، فالتعجب غير التشبيه ، والاستعارة غير الرمز ، والتضمين متميز عن كل من التشبيه والرمز .. وهكذا دواليك ..

وان بحث (بلاغة التضمين) في الشعر الحديث ، والذي أنجز فيه عدة مقالات (٢) يؤكد تميز التضمين كصورة اسلوبية عن غيره من صور الاسلوب تقترن عادة به ، مثل التشبيه او الاستعارة او الرمز ..

وبالفعل ما اكثر ما نقرأ اليوم للنقاد ، وما أكثر ما نسمع للشعراء المحدثين انفسهم احاديث عن الاساليب الشعرية الحديثة ، وعن النتاج الشعري الحديث ، يتشكون منها انها يلتقى فيها التشبيه والاستعارة ، بالرمز والتضمين والتلميح ، واحيانا المثل والسرد .. بل كم نشكى النقاد اليوم ، وتشكى الشعراء المحدثون انفسهم من ان موجة الشعر الحديث أتت بكثير من الغث المزيف ، المليء بالبهرج ، والمليء ايضا بالتعقيد (٣) ..

وفي نظرنا لا منقذ لنا ، وللنقد الحديث ، وللشعر الحديث نفسه اليوم في موضوع البهرج ، او التعقيد في اساليب الشعراء المحدثين ، الا الرجوع الى بلاغتنا القديمة ومعاييرها ومصطلحاتها ، من اجل الاستناد اليها في تدعيم بلاغة حديثة ونقد حديث (٤) ، وهو ما فعلناه في دراسة صور الاسلوب ، وما نفعله في دراسة بلاغة التضمين ..

ان موضوعا محدثا مثل (بلاغة التضمين) في الشعر الحديث بالفعل هو نفسه تطلب منا الرجوع الى معاييرنا ومصطلحاتنا البلاغية ، فأنسنا بها الى الجديد المستحدث ، وتدعيمه التدعيم العلمي الفني الادبي .. ذلك ان (التضمين) الذي غمر بأنواعه الشعر الحديث ، وطغى على افئدة الشعراء واخيلتهم هو اكثر الموضوعات البلاغية والنقدية محاذير بهرج وتعقيد ، لانه اكثرها تعرضا لمزج التشبيه والرمز ، بالتضمين والتلميح ..

ولا بد من التنبيه بالفعل الى ان (التضمين) ، بفعل انتشاره اليوم ، واستهوائه الشعراء المحدثين صار الى اسلوب من دارج الزي الشعري ، اكثر من كونه ظل صورة اسلوبية تخدم مقاصد التعبير .. اي بعبارة اخرى ، التضمين اليوم صار الى طريقة لتفكير الشاعر وشعوره وتعبيره ، اكثر من كونه ظل تركيبا ادبيا للتعبير عن تجربة ادبية .. ومن هنا خطورته ، وضرورة ضبطه بلاغيا ، لان الشيء اذا صار زيا ، بل هوسا متسلطا تحمل بالفعل كل سقطات النفوس في تعابيرها ، وفي ذلك اليوم حقا تفسير السفسفة التي نجدها في الشعر الحديث في غالبيته ..

يحدثك الشعراء المحدثون اليوم عن آتوم ، واوزيريس ، وحدد ، وعشتار ، او عن شهريار ، وشهرزاد ، والعبد ، وسندباد ، او عن زنوبيا ، وكليوباترة ، وانطونيو ، ونيرون ، وامرىء القيس ، او عن التتار ، والمغول ، والانكشاريين ، او عن سومر ، وبابل ، وطيبة ، والاندلس .. وهكذا دواليك .. ولكن كم من الشعراء الذين يأتون بمثل هذا الحديث الشعري ، من يستحوذ على التقدير والاعجاب ، وكم منهم من تستحق كتاباته الخلود والدراسة ؟! . حقا ما اكثر الغث المعقد ، بل الركيك المهلهل في هذا الشعر الحديث في التضمين ! ..

ولنذكر في الاساس ، ان (شخصية) الشاعر اليوم ، ملكاته الشعرية وثقافته ، هي التي تتدخل في تحديد اسلوبه في قوله الشعري في التضمين ، وليس الاتجاه التقريري لحادث قديم وقع ، في أحاديث الشاعر اليوم مثل الاتجاه الايحائي الرمزي والنفسي .. الاتجاه الثاني حقا اكثر رونقا ، واكثر تأثيرا في المستمع والقارىء ، اذ يحرك فيهما الخيال والوجدان وايضا الفكر ، ولكنه كثير المحاذير في احتمال الابتذال ، والبهرج ، والتعقيد على السواء ، والمسألة ترجع من جديد الى صلاحية الشعر الحديث واساليبه الحديثة للخلود والحياة ، ومقدرة الشاعر الواحد على التعبير عن مكنون نفسه وتجربته ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشكر لله ان هدتنا دراساتنا الى معاييرنا ، ومصطلحاتنا البلاغية العربية القديمة ، فأحييناها وانسنا لها ، وجددناها وطورناها .. فوصلنا بالتالي الادب الحديث ، والشعر الحديث بالحياة والنفس بالمجتمع والانسان ، وذلك في دراسة الاسلوب والجمل والالفاظ.

وقد اوضحنا ان استعمال (اسماء الاعلام) على اختلافها ليس بالضرورة تضمينا .. وانما يشترط للتضمين ، والذي يسمى (التلميح) ان يحوي على عنصر سردي لحادث قديم ، وقع لهذا العلم او ذاك ، وبالتالي بناء جمل مفيدة في ذلك ، في اتجاه اسلوبي عادي او رمزي ..

ونتابع اليوم الحديث في بلاغة التضمين ، بأظهار بلاغة الاضافة في استعمال اسماء الاعلام في التضمين ، وبلاغة استعمال الافعال الدالة على حدث وقع فيه ..

(الاضافة) في استعمال اسماء الاعلام في التضمين بنوعيها : اي في حالة كون اسماء الاعلام هي المضاف ، وعنصر من عناصر السرد عن هذه الاعلام هو المضاف اليه، مثل (شهرزاد الحكايا) ، او في حالة كونها هي المضاف الى هذا العنصر ، او ذاك من عناصر السرد المعهود عنها ، مثل (حكايا شهرزاد) ، هي عامل تصعيد ايحائي الى اجواء النفس ، والرمز النفسي والانساني ..

ان (الاضافة) بنوعيها في هذا الاستعمال تحد من العمومية التلقينية التي تحوي عليها عادة اسماء الاعلام ، من أجل ان تكسبها اتجاها معينا لمسار نفسي انساني ، في الاسلوب الشعري للشاعر الواحد ، او القصيدة الواحدة ، او ايضا المقطع الشعري الواحد .. ولذلك كانت (الاضافة) ، بنوعيها في استعمال اسماء الاعلام (عامل رفع) للعلمية ، وبالتالي للتقريرية ، وايضا التاريخية ، في اتجاه استلهام الصفة الانسانية التي لعناصر السرد عن هذا العلم او ذاك ..

فمثلا عندما اقول : حكايا شهرزاد ، او اسفار سندباد ، او ايضا تتار الفتوح ، او اندلس الاحلام ... أكون بالفعل اكسبت هذه الاعلام اتجاها نفسيا شعريا ، يولد مسارا تلقينيا ايحائيا ، يمكن التأثير بواسطته ..

ولكن اين التضمين في هذه الاضافات ؟!. وما نوعه فيها ؟! .

في الحقيقة يجب ان نفرق بين التنويه بعنصر من عناصر فعال او خصال علم من الاعلام ، عند استعمالنا اسمه وبين (التلميح) الواضح المعقل الى حدث معين جرى له .. ان الاضافة بنوعيها في هذا الاستعمال ان كانت تنوه ، لا تلمح ، لانها لا تزال غير مقيدة ، ولا تزال شيئا غير السرد للحدث ..

وفرضا كان التنويه مركزا ويلخص حدثا او صفة ، لدرجة ان عنصرا من هذه العناصر يمكن ان يكون رمزا ، مثل : خنجر شهريار ، حرائق نيرون ، او صواعق حدد ، وتابوت اوزيريس ، على ما لتقريريته من قيمة ، فان الاضافة في هذا التنويه ما تزال تفتقر الى تحديد ، بل الى توضيح ، افتقارها الى الاسلوب القوي المعبر ، والذي مهما كان قويا ، معبرا لا يستطيع ان يقف في وجه المسار النفسي التلقيني الذي يرفع (العلمية) عن الاضافة ليدخلها في زمرة الادب التلقيني ، الايحائي والرمزي (٥).

الا ان التلقين غير التقرير ، والرمز غير التلميح .. والواجب هو ابراز كل صورة اسلوبية بنوعيتها ، الواجب هو ابراز (التضمين) ، وخاصة التلميح فيه ، كصورة اسلوب ، بنوعيته كما قلنا ، وتمييزه بالتالي عن التشبيه او الاستعارة ، او الصور الرمزية ، في أساليب الشعر الحديث ، اليوم العادية ، او التلقينية او الرمزية.

يقول الشاعر خليل خوري :

رايته يحتضر
وكان سيف الخضر فوق راسه ، وقربه ملاك
وعندما اسرجت الشمس له الجواد
اسرى به الخضر الى هناك ..

الاضافة في (سيف الخضر) مجرد رؤيا شعرية ، ترمز الى الحق المقدر ، والتقوى الكائنة ، والاضافة معلقة حقا ، وتوحي بذلك ، بدليل احتفاء الخضر بالمحتضر ، والاسراء به لوفاته .. ولكن لا تضمين في هذا القول ، ولا تضمين ايضا في الاضافة ..

يقول الشاعر ادونيس :

من يعطيني ورقة أحملها أكداسا من البخور والصندل
انقطها كالعروس ، وأجلوها ،
اقرأ عليها سورة مريم ،
أهز فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وارسلها الى أحبابي
مليئة كالتفاحة
خفيفة وخضراء كمهرة الخضر ..

الاضافة في (مهرة الخضر) صورة حسية في

---

(١) ـ راجع عدد فبراير ١٩٦٩ من « الاديب » الغراء ، والمراجع التي يحيل اليها .. (٢) ـ راجع في العدد المذكور اعداد « الاديب » في عامي ٩٦٧ و ٩٦٨ التي نشرت فيها . (٣) هذه الشكاوي متكررة ، ونرجو ان يتسع المجال ، والوقت لدراستها بلاغيا ، ونقديا على حدة . (٤) ـ وفي راينا كما سبقت الاشارة الى ذلك في مقالات سابقة ، ان « النقد الحديث » نفسه ، من مصلحته ، وخيره ان يظل يستند الى البلاغة المتجددة ابدا بأمانة واصالة .. (٥) ـ من شروط قيام (الرمز) ، كما سبق تقرير ذلك وتوضيحه ، ذكر الصورة الحسية التي نرمز بها الى المعنوي ، ولذلك كانت (الاضافة) ـ في احوال ذكر الموضوعات الحسية المتعلقة بالسرد لحدث وقع ـ طريقا مباشرة الى الرمز ، والرمزية .. (٦) ـ مجلة « المعرفة » الدمشقية ، عدد ايار ، مايو ، ١٩٦٨ . (٧) ـ وسنعالج ان شاء الله في عدد قادم ، الموضوع الواسع ، وهو التمييز بين التشبيه ، والاستعارة ، والرمز ، وبين التلميح ، او التضمين السردي ، وهو أحد انواع التضمين المنتشرة اليوم ..

الاساس تحمل ايحاءات عدة .. الاضافة رزينة وجميلة. ولكنها تلبي في الاسلوب متطلب التشبيه ، والذي يستلهم بالاحرى من تقريريته ايحاءات الخصال والفعال التي للخضر ، وذلك يؤكد وصف الرسالة الى الحبيب بالخفة والاخضرار ، في التجاوب معه او الامل بسبيله ..

يقول الشاعر علي الجندي :

وانا ، ها انني أقعد مقهورا ..
فلم اثأر لاصحابي ،
من غزو التتار ...

الاضافة في (غزو التتار) محددة تماما كاضافة ، اي اضافة تقريرية توحي بحادث تاريخي معين ..

وهذا القول الشعري يورده علي الجندي على لسان (قطري بن فجاءة) ، وهو من قعدة الخوارج ، والذي كانت نهايته الحرب بالكلمة دون السيف ..

ومع ذلك ، الاسلوب ، وسياق الحديث نفسه ، الذي ورد فيه يخرجها عن مدلولها التاريخي الى مدلول نفسي ايحائي تلقيني ..

ذلك ان (قطري بن فجاءة) سبق في عصره غزو التتار ، وهذا الامر يفسر اشارة علي الجندي الى ان أناشيده في قطري بن فجاءة : قد لا يكون لها علاقة بالشخصية التاريخية ، المهم هو الاسم ، وهو قد يكون انا وانت او ايا من جيلنا بين المثقفين على حد قوله (٦) ..

ومعنى ذلك ان التعبير صار الى التلقين ، وان الاضافة صارت الى رفع العلمية تماما ، بل الى ظهور الرفع وبروزه ، في سياق اسلوب يحتم ذلك ..

يقول الشاعر فايز خضور :

وعشنا الترقب ، والخوف في شهرزاد السنين
غفونا على الذل .. اطرى من الوعد في شهريار

الاضافة في (شهرزاد السنين) تلخيص مركز ، لقصة شهرزاد مع شهريار ، ومكوثها عنده الف ليلة وليلة ، واكثر .. والبيت الثاني بالفعل يوضح ذلك بالتنويه الى وعدها بأتمام حكاياها كل ليلة ، والذي يشبه به اغفاءنا على الذل ..

ولكن لا تضمين في هذه الاضافة ، وهي اضافة تقريرية تلقينية ، رغم التركيز العنيف حقا فيها .. ذلك ان التضمين ، وخاصة التلميح ، يكون بالتبسيط السردي الذي يحملنا للتو الى حادث المكوث عند شهريار، وتاريخيته الانسانية ..

يقول الشاعر محمد احمد العزب :

هوم الربان واسترخى على نهر الرماد
يا ذراع السندباد
ها هو الزورق للشاطىء عاد
والذي فيه مسجى كان يوما سندباد
كان يا ما كان في الماضي السحيق
كان وجها من جماد

بصق الموت ، وغنى للعدم ..

الاضافة في (ذراع السندباد) صورة حسية تلقينية ايحائية ، ترمز الى العزم على المغامرة والاسفار ، والذي كان لسندباد .. بدليل ان الابيات التالية ، مثل:

والذي فيه مسجى كان يوما سندباد ..

او : كان وجها من جماد .. ايضا .. تفيد نفس المدلول ..

ولكن لا تضمين في الاضافة .. اذ العلمية مرفوعة ايضا بفعل المسار النفسي التلقيني ، الايحائي ، والرمزي الى حد ما في سياق الحديث ..

وتشبيه الربان بسندباد هو نفسه رغم ايحاءاته ، تشبيه عادي ، لا تضمين فيه (٧) ..

وسنتابع في العدد القادم توضيح بلاغة التضمين في احوال استعمال الافعال الدالة على حدث وقع لعلم من الاعلام ، واحكامها ..

دمشق — عدنان بن ذريل

العائد

حينما اغلقت جفني على الذكرى البعيده
وعصرت الامس في ومضة حب وقصيده
حين ودعت الاماني
وتوهمت وجودي في الاغاني
وطويت الناس عن وجه كتابي
وتخيلت حياتي وشبابي
هي اشعاري
خلود الروح من اسر التراب
وتناسيتك اذ نسقت للفن جوابي
وانا اهديك شوقي ، وعتابي ،
شبحا تبدو لعيني بعيدا ..
في ضباب .
كنت امحوك، واعتاش على الذكرى البعيده
واذيب الشعر والثغر وعينيك قصيده
ثم اقبلت مساء
كان احلى امسياتي
لم اكن ارقب ان ترجع لي
اذ انت آتي
حين بدلت حياتي
يا حياتي .

بغداد — لميعة عباس عمارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

رسالتك في يدي ، شوق يومض
فأتلهف للجنى .
قلبي يطرق بشـــدة ،
وتعجز يداي عن فض الغلاف ،
تر ى ماذا تقول ؟؟
وهرعت الى غرفتي ،
اقراها وحدي ، اغترف كلماتها
واحلل نقاطها المتتابعة المرصوفة .
عبق نفـاذ استخف جناحي
فسموت ، اجوب الغيوم
واوقظ العصافير من أعشاشها .
انحنيت ، اعتصر العبارات واقطرها
أشد الكتاب الى صدري
ألصقه واسمعه لحني الخالد .
قارورة من طيب ، انهمرت في غرفتي ،
تفتحت لها ثغور الورد
وتماوج حريد الستائر
يوشوش النسمات سر الانتعاش .

حالة من صورت بطاقتك ؟
بيت هادىء يلفه الظـلام
والمدينة صاخبة ، متلألئة الانوار ...
اطل من وراء البيت هلال ،
سوار ياسمين ، شفت له الجدران
وتراقص زجاج النوافذ .
جدول من نور ترقرق
فتلألأت في البيت مرايا سحرية

ابتعد الجدول وغاض ، وعاد حنيني يتوقد
والجفاف يغلف البيـت
أوراق الورد صمتت .. خنقت انفاسها
عاد القحط الى نفسي ، فتواريت ،
يشلني سأم دائم ، أسهر ، أنتظر ...
واهفو الى اطلالة ثانية ،

متى تمر هذه السحابة ،
فأشرع نوافذي للضوء
وأرى الجدول الفضي
يتفجر في اركان بيتي من جديد ..

★

موعد رجوعك ، ضوء يقرع الليالي ،
سنونوة تحط وعدا على نوافذ الشوق .
جاء الغد ، والغد الثاني وانت لم ترجع
حديد الشرفة تعب يلهث
وذراعاي خدر يتمطى .
عيناي تضيئان الرصيـف
تبحثان بشوق عن لون سيارتك .
ويرن الهاتف ... اعتصر الالة
ويداي تسبقان شفتي بالتهلل
الخيبة تلاحقني ... وصوتك ما زال بعيدا
اعود الى الشرفـة ، انتظر ...
شهقة نجمة ، او هطول غيمـة .

ويقرع الباب ، يخفق قلبي ،
يقفز ، حتى احسه في ركبتي
وتندفع عيناي قبل أذني لالتقاط همساتك ،
لسماع زغردة اولادنا وفرحتهم بك ،
ويغلفنا سكون .. ونبتلع آمالنا بحرقة ،
فالدرج لم يصفق بعد لوقع خطاك .
وأسهر مع الليل أزرع عيني في مرامي صمته
أرافق لهاثه الهامدة ، استفرق في سكون الشارع
واخبو مع شحوب أضوائه .
النجوم تدثرت بالغيم الداكن وقبعت
تستريح من الالتفات الى الارض ..
لم تـأت ! ... خبا بريق عيني
وتلاشت اكداس من عبير .
لم تأت ! .. ظلت شموعي مطفأة ويدك لم تحتضن يدي .
اسندت رأسي المثقل ،
اتمتم بنواح خافت : عله يأتي غدا
فلا اهرق عطري سدى .

الشويفات ـ لبنان — اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

احمد خليفة - درويش الدباغ

سعيد العيسى

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ احمد خليفة

في صفد الجائمة بين الجرمق وكنعان بفلسطين ولد أحمد خليفة عام ١٩٠٢ وتلقى دروسه الابتدائية في العهد التركي . وبعد ان دخلت فلسطين في حوزة الاحتلال البريطاني انضم الى جهاز التعليم وعين مديرا لمدرسة ابتدائية ، فمساعدا لمدير التعليم في لواء نابلس فمديرا لمدرسة خضوري الزراعية بطولكرم فمفتشا للتربية والتعليم في الادارة العامة بالقدس ، فمديرا للتعليم في لواء القدس ، ويشمل هذا اللواء مناطق القدس والخليل وبيت لحم ورام الله واريحا ، وظل في عمله هذا من عام ١٩٣٦ لغاية زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عام ١٩٤٨ .

بعد حلول النكبة المروعة الاولى قصد سورية وعين عام ١٩٤٩ استاذا للتربية وعلم النفس في دار المعلمين بحلب فمديرا لدار المعلمين ومفتشا عاما للمدارس الاميرية في ليبيا وظل يعمل هناك عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ .

اشتهر الفقيد كمحاضر في التربية والتعليم وحمل قسم من محاضراته عنوان « اعرف وطنك » كما اشتهر بالدورات التدريبية التي كان يعدها للمعلمين .

ومن شعارات هذا المربي القدير والمحاضر المجلي « المرء بعمله وجده » و « المرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد » .

وفي صيف عام ١٩٦٤ انتخب عضوا في المجلس الفلسطيني المنعقد في بيت المقدس ورئيسا للجنة التربية والتوعية .

وفي ٢٩ آب ١٩٦٤ توفي بدمشق وتقديرا من وزارة التربية والتعليم الاردنية اطلقت اسمه عام ١٩٦٥ على مدرسة اعدادية في بيت المقدس .

من آثاره القلمية :

١ ــ التربية واساليبها العملية
٢ ــ تاريخ العرب
٣ ــ معالم التاريخ (مترجم)
٤ ــ القراءة الجغرافية المصورة
٥ ــ الدين الاسلامي والتهذيب
٦ ــ تاريخ فلسطين وجغرافيتها .

نموذج من نثره :

« اساتذة التاريخ مختلفون فيما بينهم عن حكمة تعليم الترتيب الزمني للطلاب في سن مبكرة ، ومعنى ذلك اعطاء الحوادث بحسب ترتيبها في عمر الزمان وربط الحادثة بالتاريخ الذي حدثت فيه . واختلافهم في هذه النقطة ادى بهم الى الاختلاف في المادة التاريخية المناسبة للطلاب بين السابعة والحادية عشرة من اعمارهم . فبعضهم يرى ان يعطى التلاميذ وهم في هذه المرحلة قصصا مختارة من تراجم العظماء . فالتاريخ القومي ، على ان تكون هذه كلها مرتبة ترتيبا زمنيا بحيث لا يضع التلاميذ سقوط تدمر قبل انتصار تحوتميس في معركة مجدو وان يعرفوا ان حمورابي جاء الى العالم قبل سقراط وهكذا . وقصدهم من تعلم قصص التاريخ وسير العظماء بحسب ترتيبها الزمني تفهيم التلاميذ ان هذا الترتيب الزمني مهم في التاريخ واعدادهم لمراعاة هذه القاعدة في دراسة التاريخ فيما بعد .

ويردون على القائلين بان عقل الطفل اقل من ان يدرك الحقب الطويلة من الزمن البالغة الالوف من السنوات قبل الميلاد او بعده باعتباره قاصرا عن ادراك مدى القرون وهو في العقد الاول من عمره بهذا القول وهو ان الطفل يدرك وهو في الرابعة او الخامسة من عمره معنى «قبل» و «بعد» بحيث لو سمع من امه حكاية من الحكايات لتساءل : وهل جرت حوادث هذه الحكاية قبل ميلاده او بعده ؟ وانه يعرف معنى «امس» و «غد» وانه في السنة العاشرة من عمره يكتب تاريخ اليوم بحساب الشهر والسنة في رأس كل درس من دروسه ، وانه يعرف معنى التعاقب الزمني من اختباره الشخصي في الحياة ، كولادته بعد اخيه الاكبر مثلا بثلاث سنوات وقبل اخته الصغرى بسنتين وانه يعرف انه دخل المدرسة بعد ولادته بست سنوات او سبع وان امورا معلومة حدثت في البيت ، وفي سن الرابعة وبعضها وهو في سن السادسة ، وانه يستطيع بعملية حسابية بسيطة ان يؤرخ هذه الحوادث كما ان قوة الربط لديه قوية الى حد ما ، فاذا تعلم الحادثة مقرونة بتاريخها يذكر التاريخ اذا ذكر الحادثة .

وقد جرت ادارة معارف فلسطين على هذه القاعدة في ترتيب منهج التاريخ بحيث قررت عددا من الحكايات للصف الاول فعددا من تراجم العظماء للصف الثاني ، ثم ما هو معلوم من مقرر الصفوف الاخرى وعززت هذا المنهج بقوائم ضمنتها تواريخ اشهر الحوادث في مقرر كل صف وطالبت بتحفيظ هذه التواريخ للتلاميذ في سياق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحوادث المرتبطة بها مع اعتبار بعض التواريخ نقاطا بارزة في جدول هذه التواريخ بحيث يتمرن التلاميذ على ترتيب الحوادث بحسب وقوعها قبل هذه التواريخ او بعدها مع حساب المدة بينهما . وغرضها من ذلك ان يعرف التلاميذ زمن الحادثة المعينة بحيث لا يقدمونها ولا يؤخرونها عنه .

اما رأي الفريق الثاني فخلاصته ان الطفل قبل الثانية عشرة من عمره لا يقيم وزنا للتاريخ مهما كان نوعه ، واذا تعلم شيئا فمعرفته لا تعدو ان تكون الفاظا جوفاء يكررها ولا يفهمها ثم لا يلبث ان ينساها ، ولذلك اسباب منها ان التاريخ سجل لاعمال الراشدين من بني الانسان وان هذه الاعمال تسمو عن مدارك الطفل واختباره . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الطفل لا يتلذذ بالحوادث البعيدة عنه في الزمان والمكان . والمواضيع المدرسية لا تعلم بالقياس الى اهميتها في نظر الكبير بل بحسب قيمتها في تنشئة الطفل وارهاف ذهنه ، اذ لا خير في علم لا يصبح جزءا من نفس الطالب»

٢ ــ درويش الدبـاغ

ولد في يافا عروس الساحل الفلسطيني عام ١٨٧٨ وتعلم في الكتاتيب البدائية وتولى تدريسه الشيخ عبد القادر الدباغ جده لأبيه والشيخ سعيد الشرقاوي جده لأمه . وبعد ان شب درويش عن الطوق صحب خاله الشيخ يوسف الشرقاوي عندما عين قاضيا في صنعاء باليمن في هذه الرحلة وعين رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية فيها ، وبعد ان جمع بعض المال سافر الى استانبول ودخل مدرسة الفنون وتخرج من دار المعلمين ، وبعد تخرجه هذا عين مديرا للمكتب الاعدادي في جزيرة « مدللي » احدى جزر الارخبيل اليوناني وامضى هناك اربع سنوات .

وبعد ان اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ عين مديرا للمكتب الرشدي في يافا ونزع العمة عن راسه وعين مأمورا للاجراء في يافا وظل في وظيفته هذه الى ان احتلت بريطانيا فلسطين (١٩١٨) وفي هذا العهد عين مساعدا لمأمور الاوقاف في يافا فمديرا للايتام، وبعد فترة عرض عليه المسؤولون منصب الافتاء في مسقط راسه شريطة ان يعتمر العمامة لكنه رفض هذا الشرط .

وفي عام ١٩٢٧ احيل درويش على التقاعد فزاول المحاماة الشرعية في يافا وظل في عمله هذا حتى وقعت النكبة الفلسطينية المروعة فلجأ الى نابلس ومنها الى الاسكندرية . وفي اول يوم من شهر تموز ١٩٥١ لحق بربه ودفن في مقبرة الاسكندرية الكبرى وتخليدا لذكراه انشأ ورثته مكتبة عامة فوق ضريحه .

نموذج من خطراته :

١ ــ يكون في الدستور صلاح لأمة وفساد لأمة أخرى .

٢ ــ اخوان هذا الزمان اكذب الناس حتى في المؤاساة عند وقوع النازلة ، فقد يقولون : « ليتني قد اصبت دونك او مت من قبل فقدك ، وليت ما اصابك من الالام اصابنا قبلك ! » .

٣ ــ غير جدير بخلود الذكر من كان همه من الحياة لذاتهـا .

٤ ــ ليست الوطنية آلة موسيقية يطرب لها من يجيد العزف ومن لا يجيده ، وانما هي احدى الاغاني السماوية هبطت بين آذان الطبيعة وسمع الفطرة ، ومن واجبات كل نفس ان يكون لها منها نشيد تهتز له العواطف ويصح به الوجدان .

٥ ــ يجب ان يرتفع الفكر في بحبوحة من الحرية بلا تحديد ، فان زل ساغ تقييده ، وجاز تحديده .

قبل وقوع النكبة حفل منزل الدباغ في يافا بمكتبة جمعت كتبه ومؤلفاته ومؤلفات شقيقه الشاعر المرحوم ابراهيم الدباغ وضمت حوالي ٣٠ الف مجلد . لكن هذه الثروة الثمينة آلت الى يد العلج اليهودي . واشتهر درويش بقرض الشعر وولع بالموسيقى والانشاد وترجم عن التركية الى العربية بعض قصائد نامق كمال وغيره من شعراء الترك وحفلت مجالسه بعشاق العلم وهواة الادب واشتهر بنزعته الصوفية .

من آثاره القلمية : : ترك المرحوم درويش الدباغ طائفة من المؤلفات المخطوطة لكنها آلت الى اليهود بعد اغتصابهم فلسطين ، ومن تلك الآثار :

(١) الحياة الصالحة : يضم مجموعة من خواطر الفكر .

(٢) رباعيات الخيام : يضم ترجمة نثرية لرباعيات الخيام من الفارسية الى العربية وبعث بهذه الترجمة النثرية الى شقيقه الشاعر ابراهيم الدباغ (نزيل القاهرة عهد ذاك) ليصوغها صياغة شعرية فأودع ابراهيم بعض هذه الرباعيات نفرا من اصدقائه الشعراء مثل اسماعيل صبري والشيخ فؤاد الخطيب فصاغ هذان الشاعران بعض الرباعيات النثرية شعرا ونشراها في مجلة «الزهور» كأنها من بنات افكارهما .

(٣) كتاب في المنطق . (٤) كتاب في العقائد . (٥) كتاب في الزراعة . مترجمة بقلمه عن التركية .

(٦) كشكول الدرويش : ضم ما وعاه ذهنه من الحكم وفرائد الابيات لاعلام الادب عدا الفكاهات والنوادر .

٣ ــ سعيد العيسى

الشعار الذي حمله « سعيد » وظل يردده ويزهو به حكمة لقمان لولده : « يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، فافتخر انت بحسن صمتك ! » .

في اعقاب الحرب العالمية الاولى ولد « سعيد » في يافا بفلسطين وتحدر من نبعة كريمة اسهمت في الادب والصحافة . فوالده المرحوم جريس العيسى شاعر أرخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احداث الشرق العربي في النصف الاول من القرن العشرين على حساب الجمل في الشعر ... وابناء عمومته : حنا عبدالله العيسى صاحب مجلة « الاصمعي » التي اصدرها في بيت المقدس وصدر العدد الاول منها في الاول من ايلول ١٩٠٨ وعيسى داود العيسى ويوسف العيسى صاحبي جريدة « فلسطين » وصدر العدد الاول منها في يافا في ١٤ كانون الثاني ١٩١١ ويوسف العيسى صاحب جريدة « الفباء » وصدر العدد الاول في دمشق في الاول من ايلول ١٩٢٠ وداود بندلي العيسى صاحب جريدة « البلاد » المقدسية ، وورث سعيد عن المرحوم ابيه الشعر ، وتلقى تعليمه الاولي في المدرسة الوطنية بيافا وانهى تعليمه الثانوي في مدرسة الفرندز برام الله وفيها فاز بكؤوس فضية في مباريات سنوية للشعر العربي والشعر الانكليزي ، والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت وحصل على البكالوريوس في الادب العربي والتاريخ عام ١٩٣٧ ، وخلال دراسته الجامعية كانت له نشاطات ادبية وقومية في « العروة الوثقى » وشارك في طائفة من المباريات الشعرية كان في معظمها مجليا ، كما اشترك مع المؤرخ الدكتور اسد رستم عام ١٩٣٧ في اعداد دراسة خاصة ، بتكليف من الحكومة السورية ، تثبت عروبة لواء الاسكندرونة .

وبعد ان تخرج « سعيد » من الجامعة الاميركية عين استاذا للغة العربية وآدابها في كلية بيرزيت بفلسطين وفي عام ١٩٤٢ عين استاذا للعربية وادابها في كلية غزة ، وتخرج على يديه من كلتا الكليتين عدد من شعراء فلسطين الشبان .

وفي عام ١٩٤٣ التحق « سعيد » بالاذاعة الفلسطينية مسؤولا عن القسم الادبي وأمضى اكثر من سنة يقدم في كل اسبوع احاديث ادبية وعلمية ضمن برنامج « مدرسة الاذاعة » وفي هذه الاثناء عهد اليه المربي المرحوم خليل السكاكيني بتدريس الادب العربي في « كلية النهضة » بالقدس .

ومع زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عام ١٩٤٨ التحق بـ « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » في قبرص محررا للاخبار ومعلقا سياسيا ، ولقد اثارت تعليقاته هذه نقمة مندوب اسرائيل في هيئة الامم المتحدة وقدم احتجاجا الى الحكومة البريطانية .. وقبل ان تجيب بريطانيا عن هذا الاحتجاج كانت « محطة الشرق الادنى » هذه قد تحولت الى « محطة بريطانيا » اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وهنا أهاب «سعيد» بزملائه المذيعين العرب الاستقالة من هذه المحطة التي لم تلبث ان انهارت بدورها واخرست الى الابد .

وفي عام ١٩٥٧ عاد « سعيد » الى الاردن وعهد اليه بمديرية الاذاعة الاردنية خلال فترة دقيقة من تاريخ الاردن . وفي عام ١٩٥٨ دعي مع وفد من صحفيي الاردن لزيارة بريطانيا والولايات المتحدة ، وفي هذه القى محاضرات اذاعية وتلفزيونية عن خطورة الموقف في الشرق الاوسط ، وشارك في مناظرات مع صهيونيين معروفين حول القضية الفلسطينية . وبعد عودته الى الاردن استقال من عمله في الاذاعة الاردنية وعهد اليه بالاشراف على البرامج الادبية والثقافية في محطة الاذاعة البريطانية بلندن ولا يزال يعمل فيها .

العروة الوثقى : اغتنم « سعيد » وجوده في لندن فعمل مع نفر من الادباء العرب على تأسيس جمعية ادبية باسم « العروة الوثقى » ولا بد من لمحة مستفيضة حول هذا الحدث الادبي :

ولدت فكرة تأسيس رابطة ادبية عربية في لندن في شتاء عام ١٩٦٣ في لقاء ثلاثي بين ثلاثة من الادباء العرب الثلاثة : حسن الكرمي والدكتور فؤاد حداد وسعيد العيسى ، وعرضت الفكرة فيما بعد على بعض الاساتذة العرب الذين يعملون في الجامعات البريطانية (وكان منهم في عام ١٩٦٣ الدكتور وليد عرفات والدكتور حبيب الراوي) فلقيت تحبيذا ، ومنذ ذلك الحين اصبح تقليدا لدى الرابطة ان تدعو بعض الاساتذة العرب للاسهام في نشاطاتها كأعضاء منتسبين .

اما الهدف من تأسيسها فهو ترجمة التفاعل الفكري الغربي لدى الادباء العرب الموجودين في بريطانيا الى نتاج عربي اصيل ، على غرار ما فعلته « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة و « العصبة الاندلسية » في البرازيل . وهكذا ظهرت « العروة الوثقى » وشعارها « قلب عربي وعقل اوربي » أي التشجيع على دراسة التراث العربي الادبي والفكري بالطريقة الموضوعية والعملية التي يستخدمها الادباء والمفكرون الاوربيون .

وفي بادىء الامر انصرف تفكير مؤسسها الى تحقيق اهداف رابطتهم عن طريق اصدار نشرة ادبية في لندن تكون اما مجلة او مجرد نشرة دورية تحمل نتاج الاعضاء مع مراجعة بعض الكتب التي تظهر في الغرب بغية اطلاع المثقف العربي عليها ، غير ان عقبات كثيرة حالت دون تحقيق الفكرة في حينها منها عودة الاديب الشيخ خليل تقي الدين سفير لبنان السابق في لندن (وكان رئيسا فخريا للعروة الوثقى بوصفه السفير العربي الاديب الوحيد في لندن) . وبعد الزلزال المريع الذي دك العالم العربي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ انصرفت « العروة » الى نتاج ذي ثلاث شعب :

الاولى : الكتابة الفكرية ، ويتولى امرها حسن الكرمي ، من ذلك سلسلة « طبقة الفهماء » التي يكتبها (حسن) في « الاديب » كل شهر ، وهي بحث متسلسل عن التفاعل الفكري في الغرب : فلسفة اليونان القدامى ونظرتهم الى الادب .. الفلسفة في القرون الوسطى ، والوجودية ، مع مقابلة ذلك بفلسفة طبقة الفهماء عند

فابشري يا بطاح ، في كل ارض منك عرس ورجعة من نشيد
الوليد الذي عرفت يتيما ومشى فيك حائرا كالشريد
كلما رام عطفة منك ولى لم يزود بغير مر الصدود
قد بنى صرحك الوطيد وأضفى بردة المجد فوقه والخلود
فابسمي للوليد مفخرة الدهر وتيهي على الورى بالوليد
أمة انت قد بناها نبي فوق عرش القنا وهام الصيد
والى المجد والعلى قال سيري ثم كوني قذى بعين الحسود
وانفحي الكون بالهدى ، او ذريه في عمايات عائر منكود
يتلظى في حماة من ضلال سعرتها كواذب من وعود !

نموذج من نثره : « يشارف الفيلسوف البريطاني برتراند رسل الان على السادسة والتسعين ، فيكون بذلك قد عاش اطول من الفيلسوف الانكليزي توماس هوبز الذي يشبهه من عدة نواح ، والذي توفي في عام ١٦٧٩ وهو في الثانية والتسعين من العمر .

وقد مرت حياة رسل ، كما مرت حياة هوبز من قبل ، في مرحلتين اثنتين مع فارق بينهما ، وهو ان هوبز انتج خير اعماله الفلسفية في النصف الثاني من حياته في حين ان خير اعمال رسل صدرت عنه وهو في الخمسين . ولقد عكف رسل في صدر شبابه على وضع اسس نظرية في المنطق لعلها اهم نظرية في بابها منذ عهد ارسطو ، فاقتضاه ذلك ان يعيش حياة دارس تتميز بالدعة والهدوء . ثم حصل التحول المفاجيء وكان ذلك قبيل الحرب العالمية الاولى بسنة او سنتين ، فأصبح برتراند رسل هو الذي يعرفه العالم اليوم : مصلحا سياسيا واجتماعيا يترسم خطى فولتير وزعيم رأي طليعيا ذا حياة شخصية خصبة براقة . لقد تحدث في الجزء الاول من سيرته عن سنيه الاولى كدارس ومفكر هادىء ، اما في الجزء الثاني الذي نعرضه اليوم فقد تحدث عن سني نضجه وانطلاقه .

يقول رسل ان حياته قبل عام ١٩١٠ وحياته بعد عام ١٩١٤ جد مختلفتين ، فكأنما هو دخل في عهد من الشباب المتجدد دشنته له اوتولين موريل وظروف الحرب . اما اتصاله باوتولين موريل فقد كان له تأثيره من الناحيتين العقائدية والعاطفية . كانت اوتولين داعية سلام ، وكان لديها شعور خفي بأن الحرب بين الدول الاوروبية سيكون معناها القضاء ليس فقط على التراث الثقافي الارستقراطي الذي كانت تنهم به هي بل والقضاء ايضا على المثل الاجتماعية الحرة التي كانت تطمح اليها . واثرت في رسل ، فانتقل كرهها للحرب منها اليه .. وبعد عام ١٩١٤ وقف رسل وقته وجهده على تحبير المقالات والقاء الخطب ضد استمرار الحرب . وهاله عندما اكتشف في عام ١٩١٤ ان معظم الناس في الواقع كانت لهم رغبة في الحرب . يقول في ذلك « كنت احسب حتى ذلك الحين ان معظم الناس يحبون المال ويفضلونه على كل ما سواه ، فاذا بي اكتشف انهم يحبون الخراب والدمار اكثر .. كنت احسب ان المثقفين يؤثرون الصدق والحق فاذا بي اكتشف ان ما لا يزيد على عشرة في المائة منهم فقط يفضلون الصدق والحق على الشعبية وحب الظهور ، وهكذا داخلني اليأس من هؤلاء الشبان الذين يساقون الى الذبح والغضب من ساسة اوروبا كلهم . وفي غمرة هذه المشاعر كانت غيرتي الوطنية تعذبني ، ان حب وطني هو بالنسبة الي اقوى شعور يتملكني ، وفي تنحيتي هذا الشعور جانبا كنت في الواقع اتخلى عن شيء من الصعب جدا التخلي عنه ، ومع ذلك لم اتردد ، كنت اعرف ان من واجبي الاحتجاج مهما يكن الاحتجاج عقيما»

وعندما اقر قانون الخدمة العسكرية خلال الحرب لم يسر على رسل بالنظر الى تجاوزه السن ، ولكنه راح يدافع عن دعاة السلام الذين رفضوا التجند ، وذلك على الرغم من عداء الراي العام له . ولم يلبث ان زج به في السجن بتهمة التحريض والاثارة. يقول في صدد انطباعاته عن السجن : « لم يكن السجن شرا كله ... فقد كنت خاليا من الارتباط ومن البت في قرارات صعبة ، اكببت على القراءة بنهم ووضعت كتابي « المدخل الى الفلسفة الرياضية » وشرعت في تأليف كتابي «تحليل الفكر » كنت مهتما بدراسة زملائي السجناء الذين لم يبدوا لي من الناحية الخلقية انهم دون بقية السكان ، وان كانوا على العموم دون المستوى العادي في الذكاء بدليل القبض عليهم » .

وجاءت نتيجة الحرب مؤيدة لاعتقاد رسل بانه كان على حق في معارضتها . ولكنه يقول انه اخذ على العموم يفقد ايمانه بقيمة السلام . والواقع ان هذا الجزء من سيرته يكاد يكون كله وقفا على الامال الخائبة ، ولكن ما السبب في هذا التحول عن الدعوة الى السلام ؟ . يرجع السبب في الدرجة الاولى الى تجربته عام ١٩٢٠ عندما اسس مدرسة نموذجية فقد ادرك من هذه التجربة ان النزعات العدوانية متأصلة في طبيعة البشر وانه لا بد من القوة للدفاع عن الضعيف امام القوي . اما العامل الآخر في تحوله فهو ظهور هتلر على مسرح الاحداث ، وبغضه الشخصي للنازية وكل ما تمثله .

وثمة امل آخر قد خاب ظنه في قيمته هو الحرية الجنسية . فبعد تجربته العاطفية مع الليدي اوتولين موريل كانت له تجارب ، وتزوج مرتين او ثلاثا ثم طلق . وكان يخرج من كل تجربة اكثر يقينا بعمق نظريته في الحرية الجنسية ... هذه النظرية التي شرحها ودعا اليها في كتبه عن الزواج والسعادة . وفي خلال الحرب العالمية الاولى قامت علاقة بينه وبين الليدي كونستانس مالسون وهي ممثلة متزوجة كانت جريئة في الدعوة الى قضية السلام . وعندما خانته الليدي كونستانس (وكانت تمارس في ذلك حقها في الحرية التي تدعو اليها) انكفأ على نفسه وشعر بالطعنة في صميمه .. يقول في ذلك : « كان ثمة شيء واحد ينغص علي حياتي في السجن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحـــلة

في ليـــلة معطـار ... تمزقـــت استـــار
تفتحـــت ابكـــار ... وجنحـــت اسحـــار
اسـرارهـــا آبـــار ... مســـدودة بالقـــار
تعـوي بهـــا الامطـار ... والريـــح والاعصـار
عبـر المـدى المـــوار ... بـالـورس والنـــوار
يـــا جنـــة السمـار ... تفجـري ... انهـــار
للنـــاي والقيثـــار ... والعـــود والمزمـــار

احلامنـا .. يـــا دار ... تشـدهـــا اســـوار
فـــي زورق المحـــار ... حوريـــة الاقمـــار
حـرمانهـــا النغـــار ... مسعـــر كـالنـــار
وحلوتـي « ازهـــار » ... مشـــدودة الزنـــار
اسطـورة مـن غـــار ... كـانهـــا عشتـــار
شفاههـــا اشعـــار ... وصدرهـــا اعصـــار
لـــو عضهـــا اذار ... فـي واحـة الاطيـار
اغـوت رؤى ايـــار ... مـن حانـــة معطـار
اشواقهـــا تذكـــار ... مجنونـــة الاقـــدار
عـادت بـلا اسفـار ... مـن رحلـة الامطـار

القاهـــرة — علي الحلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو علاقتي بكونستانس . فبعد مضي سنة واحدة على حبي لها انصرفت الى حب شخص آخـــر مع ان ذلـك (كما قالت) لا ينبغي ان يؤثر على علاقتنا معا .. الا انني وقعت فريسة الغيرة القاتلة ، وعندما كنت في السجـن كانت الغيرة تأكلني اكلا » .

بعد خروجه من السجن تعرف الى دورا بـلاك من كمبردج وكان قد طلق زوجته الاولى والحت عليه رغبـة شديدة في ان ينجب اولادا فتزوج من دورا بلاك ورزق منها ولدين . اما وصفه لنعمة البنين ومباهج الابوة فهو من اجمل الفصول في هذا الجزء ، وهو يقول ان دوره كأب قد شغل عليه كل اهتمامه خـــلال السنوات العشر التي تلت مولد ابنه الاول. والحقيقة انه انما افتتح مدرسة نموذجية في عام ١٩٢٧ ليوفر التعليم المثالي لولديه ، غير ان التجربة باءت بالفشل لغير ما سبب واحد ، وقـــد اعترف هو نفسه بأن بعض نظرياته كانت مغلوطة .

اما كتابه « الزواج والاخلاق » فقد سبب له بعض المتاعب بعد عشر سنوات من نشره . ففي اواخر الثلاثينات بعد ان تزوج للمرة الثالثة ، سافر مع عائلته الى امريكـا لتجنيبهم ويلات الحرب في اوروبا فكانت الاراء الواردة في كتابه من العقبات في سبيل انتسابه استاذا جامعيا . وقد قاسى الكثير في امريكا وشكا من ضيق ذات اليد . ولعل هذا يفسر لنا مواقفه المشهورة في معاداته لسياسات امريكا فيما بعد ...

يقف رسل في تدوين سيرته الذاتية عند عام ١٩٤٤ . ويخرج القارىء من مطالعة هذا الســفر بفكـرة واحـدة واضحة : وهي ان برتراند رسل كلما تقدم القرن العشرون راح يشعر اكثر فاكثر بالحيرة وخيبة الامل . ذلـك ان طبعه الذي ركب عليه وعبقريته التي لا يرقى اليها الشك قد جعلا منه شخصا غريبا في العالم الحديث » .

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم

قصة

الناس والطريق

بقلم ابراهيم ستيت

كان الجو حارا خانقا ، الشمس تنتصف السماء وترسل سهامها الملتهبة الى الارض ، والكون من تحتها مستسلم لبطشها ، والاشجار مدلاة الفروع ... والاسفلت يكاد ينصهر تحتي وخيالي يتوارى في قدمي ، كنت اقف في انتظار الاوتوبيس القادم من المطرية ، مرت من امامي سيارات مختلفة ، نقل ... اجرة ، تطارد مجهولا امامها ، ومرق (السريع) في أثرها كالسهم ، التفت اليه أتابعه وهو ينهب الطريق متعاليا ، انه لا يعير قريتنا الا بآلة التنبيه المزعجة يطلقها كلما اعترض طريقه طفل او حمار .. واحيانا بلا سبب كأسد الغابة حينما يزأر ليملأ أركان مملكته برهبته وسلطانه ... مر (السريع) كعادته بلا توقف امام قريتنا الصغيرة فهو لا يقف الا امام البلدان الكبرى تاركا الصغيرة (للعادة) والكبير دائما محظوظ ... لا علاقة ولا تعامل مع قريتنا (والسريع) الا في حالات نادرة ، طفل يعبر الطريق فجأة فتضيفه عجلاته طبقة فوق الاسفلت، او حمار يسبق صاحبه فيقذفه في الترعة المجاورة للطريق كتلة من اللحم والعظم المضرجة بالدماء ... او يصدم شجرة على حافة الطريق فتحل كارثة ، ويومها يتدفق سكان القرية رجال ونساء للنجدة بكل وسيلة ممكنة ناسين صلفه وتعاليه.

وبينما كنت أتابع (السريع) بناظري كنت احسد البلدان التي يقف امامها والمسافرين اصحاب الحظ في ركوبه من امام بلدانهم ، فهو نظيف يتحرك في موعده بالدقيقة ويصل محطاته في موعده ، سائقه في حاله يرافق الطريق وحده كأنه يستقله بمفرده ، والمحصل صامت يجوب السيارة في هدوء ، وركابه لا يتكلمون ، فقط يقرأون الصحف وينظرون في ساعاتهم من وقت لآخر .

وبالرغم من اعجابي به فانه لم يكن شهما (كالعادة) في حالات عديدة شاهدتها بنفسي وانا أحد ركابه ، كان نذلا ، احداها لا أنساها، يوم ان هبت فلاحة من المقعد الخلفي الاخير تجرجر ثوبها الاسود وتحمل على زراعها الايمن طفلا رضيعا يمتص اصبعه ، وخطت حتى مكان السائق مستندة بيسراها الى المقاعد ، ولما استقرت بجانبه قالت له متوسلة :

ـ يعمر بيتك ويخليك لعيالك ... نزلني هنا .

ـ هنا فين ؟؟

قالها دون ان ينظر اليها .

ـ كفر التبن .

ـ كفر التبن ؟! .. تذكرتك لفين ؟

ـ لبنها ... لكن نازلة قبلها ..

كفر التبن ..

ـ تنزلي بنها .

ـ لكن انا نازلة كفر التبن ... يخليك لعيالك ... علشان خاطر العيل ده ... الفرق خمسة كيلو ... بس انا والده جديد ... ما اقدرش امشي .. رايحه أزور امي ... أصلها بعيد عنك عيانه ويا الحقها يا ملحقهاش ..

ـ مش ممكن ، تعليمات ، احنا سريع ...

ولحق بها الكمساري ، التفتت اليها متوسلة بعد ان توسمت فيه نجدة قائلة :

ـ يعمر بيتك ، يخليك لعيالك ، يكفيك شر المرض ويفتحها في وشك ...

ـ أيه يا ست ؟!

ـ نزلني كفر التبن علشان خاطر الولد ده ، أصل انا والده جديد .. عيانه امي عيانه ..

ـ ممنوع يا ست أحنا مش (عادة) .. أحنا (سريع) .. ابقي اركبي (العادة) ..

وتركها وعاد ثانية الى المقعد الخلفي بعد ان ضاعت توسلاتها ، ونزلت بنها كسيرة ، كان بودي ـ لو جاز ـ ان تركب ظهري هي ورضيعها الى باب مسكن امها .. لكن لم يتكلم احد من الركاب ليساندها وكأنهم لم يسمعوها ...

اختفى (السريع) من امامي بعد ان ازدرده الطريق بين صفين من اشجار على حافة الافق ، والتفت خلفي الى الناحية الاخرى من الطريق حينما سمعت آلة تنبيه مبحوحة تكاد لا تسمع . كانت السيارة (العادة) تقترب ببطء من الموقف ، ترتج في ضجيج كالخوار بينما ينبعث من مؤخرتها دخان كثيف . وقفت السيارة ، وتحرك الركاب اليها حاملين قففا واعواد قصب وبطا وفراخا وحينما فتح اولهم الباب التفت السائق للركاب الجدد مبتسما محييا أولهم :

ـ اهلا حاج سعيد ، على مهلك العربية فاضية ..

ـ أهلا أوسطى عواد .. كل سنة وانت طيب ..

وقفت لحظات حتى دخلت السيارة وسط الزحام ثم تحركت ببطء وعناد بينما يتصاعد دخانها بداخلها حتى غمرها ، لكن احدا لم يتأفف منه ، الابتسامة العريضة تفيض على وجه عواد وهو يتحدث مع الحاج سعيد في صوت ضائع وسط ضجيج وثرثرة عمت السيارة .. حاسب القفه .. اوعى تدوس عليها .. فيها نعمة .. تذاكر ... مين مأخذش تذاكر .. هات الباقي .. اقطع لي يا شيخ حسن معاك ، أصل مش عارف احط ايدي في جيبي .. تعالى اقعد مكاني والله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يمكن مش أصول ..

لم اقف طويلا حتى امسك بحقيبتي رجل لا اعرفه قائلا :

ـ عنك .

تركتها دون تردد ، ثم جذبني آخر لا اعرفه ايضا قائلا :

ـ تعالى على رجلي ، اقعد ، استريح ، سلف ودين ..

جلست على ساقيه ارقب الطريق من النافذة المجاورة ، خطف ناظري (السريع) يمرق من جوار النافذة في الاتجاه العكسي بينما يفرق صوته السيارة فيرجها كالخائفة ، وعواد يبتسم للحاج سعيد وهو يربت على عجلة القيادة قائلا :

ـ اتحايلوا علي أسوق (سريع) .. رفضت .. تعيشي لنا يا عزيزة .. عشرة خمستاشر سنة .. (سريع) آل ... مرسيدس آل .. مظاهر بس .. تعيشي يا عزيزة .. والا ايه يا حاج سعيد ؟

ـ (السريع) لو .. لو تسوقه انته يا اسطى عواد يبقى عال !!

ـ أسوق (سريع) ؟!

ـ وتقف على بلدنا !!

ـ وباقي البلاد !؟! مش ممكن .. مش ممكن العربيات كلها تبقى (سريع) .. ومش ممكن العربيات كلها تبقى (عادة) ..

ـ ولا (سريع) ولا (عادة) .. العبره بالسواق .. يا اسطى عواد .

ـ والسكة بتنساهاليه .. السكة عمر العربية ..

ـ العبرة بالسواق .. يا أسطى عواد ..

شقت السيارة طريقها وسط بلدة ينتصفها الطريق ، ووقفت امام مقهى هلل صاحبها على الفور وهو يقترب من قبالة السائق :

ـ اهلا اهلا .. يا عم عواد ... حمدا لله على السلامة .. قلقنا عليك يا راجل .. غبت ثلاثة أيام كانوا ثلاث سنين ، اي والله .. شاي يا ولد .. على فكرة المفاجيء كان هنا حالا وشرب شاي ومشى قدامك ..

مد عواد يسراه من النافذة ليتناول كوب الشاي ، وتحركت السيارة من جديد ببطء بينما عواد يشرب الشاي ، لقد تعود ذلك .. ويرد الكوب الفارغ في العودة ... اشتدت وطأة الحر من شدة الزحام والدخان المتصاعد داخل السيارة ومع ذلك لم اشاهد بها شخصا واحدا متبرما ، كان الاعتياد ظاهرا ، الزحام شيء عادي في حياتهم ، وثرثرتهم ممتدة لا تبالي بشيء .

تعلقت نظراتي بسيدة فلاحة تجاورني بمقعدها ، كان يجلس على ساقيها صغيرها وتحتضنه الى صدرها برفق ، حطت نظراتي عليهما وهي تتجول بالسيارة مشدودة اليهما بقلق عمهما ، كان الطفل يهمس في اذن امه من حين لآخر لكنها لم تفعل شيئا اكثر من التلفت حولها متمتمة :

ـ وايه العمل ؟

نهضت السيدة من مكانها متقدمة من السائق ممسكة بذراع ابنها مقاومة الزحام حتى استقرت بجواره ، وقالت بصوت خفيض :

ـ الواد .. مزنوق .

ابتسم عواد للطفل وهو يمسح على شعره بحنان بالغ قائلا :

ـ أكلت ايه .. سرقت أكل أخوك ..

وقفت السيارة ، ونزلت السيدة وطفلها لتقف به على حافة الطريق عدة لحظات ثم تعود به باسمة متهللة ، وقالت لعواد :

ـ كتر خيرك .

امتدت ابتسامة عواد الى قسمات وجهه ثم مسح على شعر الطفل من جديد وهو ينصحه :

ـ أوعى تسرق أكل اخوك تاني .

لم يسأل الركاب عن سبب وقوف السيارة ، امر مألوف حدث لم يجذب اهتمام احدهم ، غير ان ما حدث هزني وسيطر على مشاعري ، بينما دارت عيناي بين ارجاء السيارة متصفحة وجوه الركاب ، كانوا على حالهم ، ملامح هادئة وثرثرة لا تنقطع ، واستقرت عيناي على عواد كان يدير عجلة القيادة في صبر بالغ بينما تحمل اساريره آيات السرور ، كأنه في بداية الرحلة لا نهايتها ، لكن الذعر بدد سروره وتشنجت يداه فوق عجلة القيادة ، بينما السيارة تقف امام مشهد مروع ، السريع متصادم مع جزع شجرة كافور عاتية تحد ايسر الطريق ، مقدمته متهشمة وزجاجه متناثر على الاسفلت ، كانت السيارة مهشمة ومهجورة ، مد عواد رقبته من النافذة ليسأل رجلا يقف بجوارها متأملا : ـ حد مات ؟

ـ خمسة .. وعشرة مصابين ..

ـ والسواق ؟.

ـ بيموت .. شالوه خلصان ..

ـ يا ساتر يا رب .. يا ساتر من السرعة ..

تحركت السيارة من جديد ، عواد يستعيز بالله ، والركاب يثرثرون حول الحادث مختلفين .. السواق مسطول .. السواق نام .. السواق مسرع .. والحاج سعيد يقول لعواد هاتفا :

ـ العبرة بالسواق !!

وصلت السيارة محطة المنصورة ، والتفت عواد الى الركاب قائلا :

ـ حمدا لله على سلامتكم ..

نزلت من السيارة حاملا حقيبتي ... سرت على الطريق شاردا مشحونا بمشاعر شتى ، تمر من أمامي ومن جانبي سيارات متلاحقة ، تشق طريقها وسط الناس ، تزحم الطريق بأصوات مختلفة ، لكن عواد كان يحتل مخيلتي طوال الطريق ، متوجا بأعجابي ، هادئا باسما ، يدير عجلة القيادة بصبر وجلد .. يلبي نداء فلاحة قلقة ويستجيب لطفل مزنوق .. وبين جنبات نفسي تتأرجح كلمات شتى :

ـ علشان خاطر العيل ده .. انا والدة جديد وما اقدرش امشي .. وامي عيانه .. الواد مزنوق .. يا ساتر يا رب .. السواق مسطول .. السواق مسرع .. السواق بيموت .. شالوه خلصان .. العبرة بالسواق .

المنصورة ـ ج.ع.م ابرهيم ستيت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا والـدا

أبكيـك حتـى آخـر الابـد ... يا والـدا أغلـى من الولـد
يا صاحبا قد كان لي مـددا ... ففدوت بعدك دون ما مـدد
يا صاحبا أغلى مـن الدنيـا ... وأحب عندي من ثـرى بلـدي
لو تـاجر الارواح ساومنـي ... لدفعت فيك حشاشـة الكبـد
لوهبت فيـك بقيـة خفيـت ... من عمـري المخبوء في الرصد
فعليك وحدك كـان معتمـدي ... ورضاك وحدك كان معتقـدي
وعليك وحدك طال بي حذري ... لم يبق لي حذر على أحـد !

يا صاحبا جمـا بمفـرده ... ليس الصحاب بكثـرة العـدد
وتخرمتـك يد الردى عمـدا ... لتهـد في بقيـة العمـد
وتخطفتـك سفينـة مخـرت ... قلب العبـاب وقبـة الزبـد
غابت فعيني موجـة سبحت ... عـن رحلة الربـان لـم تحـد
فعجبـت كيف الصبح مؤتلق ... والليل .. كيف الليل لم يمد؟

جالدت فيك وجيعـة عظمـت ... جلت عن الكتمـان والجلـد
وذرفت فيك دموع ساقيـة ... دارت ولـم تحفل بمنتقـد
لم يبق في عينـي مضطجـع ... للدمـع كـي يرقـا ولا السهد
ولطالمـا استجديـت ساكبـة ... عبر الضحى سكبا فلـم تجد
تمل الدجى من طول ما هطلت ... من لي بدمـع آخـر بفـد !؟

الليل بعدك صـار مقـبرة ... تقتات من روحي ومن جسدي
أنكرت صمتك حينما دهمت ... فرأيت صمتك آيـة الرشـد
وبمحجريك تلفـت قلـق ... يتواثـران كخفـق مرتعـد
ولأنـت منه ذبالـة خفقـت ... فوق الفراش صبيحة الاحد

سـؤل الصغار عليك أرهقني ... وحنينهم قد فت فـي عضدي
لم أدخر كذبـا .. لعلهمو .. ... هل ينطلي كذب على أحـد ؟!
ان كان غـادر أيـن مربعـه ... أو كـان سافر فيم لم يعـد ؟
فلمـن ابوح ؟ وكنت منطلقـي ... فتشت بعدك عنك .. لم أجد
وبمن ألوذ ؟ وكنت مدخـري ... قومت من شـعري ومن أودي
ولقد عهدتـك خـير متئـد ... فلما رحيلـك غـير متئـد ؟

أبكيـك حتـى آخـر الابـد ... يا والدا أغلـى من الولـد ..

القاهرة ... فتحّي سعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسكتولوجيا عند قدماء اليونان

بقلم الدكتور سامي سعيد الاحمد
استاذ الدراسات الشرقية في جامعة دنفر بأمريكا

* * *

نعني بالاسكتولوجيا (١) ما يعتقده الانسان عن الموت وما يسبقه من الترتيبات له والتهيوء اليه ويصحبه ويعقبه بالنسبة للمتوفي جسما وروحا مع كافة الطقوس التي تعمل عليه ، وهي بلا شك تختلف اختلافا كبيرا من قوم لقوم ودين لاخر وعصر عن عصر . فكان اليونان يرهبون الموت (ثناتوس) (٢) ودعوه بالاله الذي لا تفريه المادة وهو بنظرهم اخ النوم وصورة التراجيدي يوريديس كشخص في جبة غامقة اللون لا يفارقه سيفه . وكان اذا احس احدهم بدنو اجله ترك لورثته وصية بما له وما عليه . وقد اتتنا الكثير من هذه الوصايا مذيلة بتواقيع الشهود الذين هم على الاكثر من اقارب الموصي او اصدقائه . ولم يجلس اليوناني لكتابة او املاء وصيته الا في ايامه الاخيرة وعند شعوره بقوة احتمال مفارقته هذه الدنيا وارتحاله عنها . وكانت وصيتهم في العادة تبدأ على الوجه التالي « هذه وصية فلان بن فلان عسى ان يكون كل شيء بخير واذا لم أشف من عاهتي هذه فاني أمنح .... الخ » ومن ثم يذهب الى ذكر اسم من يريد ان يهب زوجته وحضانة اطفاله اليه والذي يكون بالعادة اعزب او ارمل وبدوره على الارجح يتزوج الارملة بعد مرور شهرين او اكثر من تاريخ وفاة الزوج . ويعطي الموصي ايضا مواصفات عن قبره وما يجب ان يكون عليه وتوصيات عن كيفية توزيع امواله واطيانه وربما يذكر اطلاق حرية قسم من عبيده او التضييق على حرية آخرين منهم (٣) .

ولأعطي صورة تامة للموضوع فسأتعرض الى ذكر الحالة في كريت القديمة بهذا الخصوص لما بين الحضارتين من تلازم واشتباك تامين . فقد عثر في موقع سفونجارس الاثري بجزيرة كريت على قبور منحوتة من الصخور تعود لبداية العصر المانوي الثاني ٢٨٠٠ ــ ٢٥٠٠ ق.م. واخرى على هيئة بيوت بغرفة واحدة او غرف متعددة وتوابيت حجرية (لارناكس) . وفي نهاية العصر الذي اعقبه وحوالي سنة ٢٣٠٠ ق.م. صارت القبور اكثر ثراء وتميز غناها باحتوائها على حلي ذهبية ومزهريات جميلة النحت وأختام . وفي القسم الشرقي من كريت كانت عظام الميت تنقل بعد مدة من الزمن الى بيوتات صغيرة معدة لها . وعرفت مدينة ميسارا منذ عصر مبكر بقبورها المدورة (ثولوس) التي يقال انها كانت مدافن لأسر برمتها وربما لفخذ عشيرة بأكمله ، وذهب البعض مغاليا الى القول بأن مئات بل الوفا من الجثث كانت تدفن في هذا النوع من القبور (٤) .

ولو ان الادلة على شعل النيران في المدافن كثيرة الا ان ليس هناك ثمة ما يبرهن بأن عادة حرق الموتى كانت معروفة في كريت . ولا نعرف الاسباب الحقيقية لاشعال تلك النيران بتلك الكميات الهائلة ، فربما كانت للاضاءة او للتخلص من الروائح التي تعقب تفسخ البدن او كما يفترض البعض لتبخير سائل الحياة من جسم الميت لتسهيل خروج الروح (٥) . وكانت الى جانب تلك المدافن المدورة منشآت صغيرة تحوي كؤوسا من الحجر والطين ربما كان الغرض منها استيداع ما يأتي به زوار القبر من النذور السائلة . والى جانب هذا كان البعض يضعون موتاهم في جرار كبيرة (بيثوس) تارة يدفنونها في الارض كما شوهد في مواقع باخياموس وسفونجارس الاثرية وتارة يحيطونها بالجدران من كافة جهاتها كما في آثار بودتي . وتارة كانوا يستعملون التوابيت الخشبية ولو ان بقايا تابوت من هذا النوع اكتشف سنة ١٩٥٢ ويعود بتاريخه الى حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. (٦) .

وقد اخذ البعض ذكر الالياذة والاوذيسة لتمتع راد مانثوس ام مايتوس ملك كريت بجنان الايلوسيوم مع أرواح الابطال دليلا على الاصل الكريتي للاعتقاد بهذه الجنان .

وقد زودتنا مدافن كريت بأبواق من الطين لا نعرف بالضبط ما كان يعتقده الناس فيها وبعلاقتها برحلة الميت الى العالم الثاني . وتلقي صور التابوت المكتشف في هاجيا ترايادا بكريت من حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م. أضواء على كثير من الاعتقادات الاسكوتولوجية آنذاك . فيرينا على جهتين من جهاته صورا من طقوس دفينة يشاهد في احداها ثور يضحى وتضحية تقدم امام فأس ذي رأسين وعليه طير ملون ربما يرمز لروح المتوفي . وصور اخرى تمثل مادة سائلة تصب في جرة كبيرة موضوعة هي ايضا بين فأس ذي رأسين . وصورة ثالثة تمثل الميت وهو يتسلم بعض المواد والتي منها حيوان وقارب ، والقارب ربما يشير الى اعتقاد الناس آنذاك بأن على الميت ان يعبر منطقة مائية للوصول الى عالم الاموات حيث وضع

(1) Eschatology.
(2) Euripides, Alcestis.
(3) W. S. Davis, A Day in old Athens, (New York, 1914) P. 84.
(4) S. Xanthoudides, The vaulted tombs of mesara, (London, 1924) p. 34.
(5) S.G. Brandon, Man and his destiny in the great Religions, (Tornto, 1962) pp. 154 ff.
(6) R.W. Hutchinson, Prehistoric Crete, (Baltimore, 1962) pp. 228 ff.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متاخرو اليونان جزائر المباركين وحدائق هسبرايديس (٧)

وفي مايسيني كان اكثر الاموات يدفنون وهم في أجمل حللهم وعليهم ما كان يظن الاحياء ان قد يحتاجون اليه في رحلتهم الطويلة من ادوات واسلحة . وكان وجه الميت يغطى بقطعة ذهبية خفيفة مما يدل على اعتقاد الناس آنذاك بنوع من الحياة بعد الموت لا نعرفه الان بالضبط وقد عثر في الكثير من القبور المايسينية على موازين صغيرة لا نعرف الفائدة منها والاعتقاد بها ولا نريد ان نجازف بالاستنتاج بانها كانت تستعمل كما في مصر القديمة لوزن حسنات المتوفي وسيئاته يوم الحساب امام الاله أوزيريس (٨) .

وتعتبر الالياذة والاوذيسة اللتان ربما كتب القسم الاكبر منهما او جمع من قبل الشاعر هوميروس في أوائل القرن التاسع ق.م. مصدرا مهما عن المعتقدات الاسكوتولوجية السائدة في العصر المايسيني . ونجد فيهما ان الانسان قد تصور مركبا من ثلاثة عناصر متلازمة هي الجسم والثيموس (ربما العقل او الضمير) والسايكي اي الروح . فأرواح الاموات في هاتين القصيدتين كانت شبيهة بالظلال والاشباح ولم تعف الالهة من ذلك الا روح الحكيم تايريسياس الذي اعطته الالهة برسيفون عقلا وبذلك كان الشخص الوحيد المتملك لشعوره في العالم الاخر والقادر على التفكير والتمييز . فالجسم والروح مرتبطان غاية الارتباط ولكن اذا ما غادرت الثانية صار الاول جثة هامدة . وقد يكون هذا الانفصال موقتا كما في حالة الاغماء والنوم او دائما كما في الموت . فعندما اتى المتوفي باتروكليس الى أكيليس في رواية الالياذة مد الثاني ذراعيه ليعانقه «ولكنه لم يتمكن من ان يمسك بشيء لان الروح كانت قد ذهبت مثل الدخان من على الارض . فصفق أكيليس في دهشة وقال انظر الان هناك شيء في عالم الاموات انها روح وشبح ولكنها ليست حياة حقيقية ابدا ، لان طوال الليل كانت روح باتروكليس التعسة الى جانبي ناحبة باكية تخبرني ماذا يجب ان أقوم به » (٩) . فالاعتقاد كان بامكانية اتصال الميت بذويه واصدقائه وذلك بمجيئه اليهم في احلامهم .

ولا يمكن لروح الميت ان تدخل عالم الاموات (هيديس) الا اذا كانت طريقة الدفن صحيحة وكاملة والا فان روح الميت تظل حائمة غير مستقرة . فنقرأ في الالياذة استنجاد الميت المتروك بدون دفن باتروكليس بصديقه اكيليس ما نصه « تنام اكيليس وقد نسيتني ، فعندما كنت حيا لم تهملني ابدا ولكني ميت الان . ادفني بلا تأخير لكي امر من خلال ابواب عالم الاموات . . فانا الان احوم بدون هدف معين حول ابواب عالم الاموات الواسعة واعلم انني سوف لن اترك عالم الاموات اذا ما حصلت على حصتي من النار » (١٠) . ونعرف من الالياذة بأن أكيليس كان قد اصدر اوامره ساعة مقتل باتروكليس بتنظيف جسمه من الدم ومسحه بالزيت وملء جروحه بمرهم مرت على صنعه تسع سنوات . ومن ثم وضعوا الميت على مصطبة وكفنوه بالكتان الابيض من رأسه حتى قدميه وغطوه بقطعة كتانية بيضاء وبكى عليه اكيليس والمرموديون من سكان جنوب شاليا طوال الليل (١١) . وهذا الاعتناء الزائد بالجروح قد يشير الى الاعتقاد بأن روح الميت كانت تأخذ شكل الجسم ساعة موته . واذا ما دخلت الروح عالم الاموات فلا يمكن لها الخروج منه على الاطلاق (١٢) .

وهذا أوديسيوس يقابل ظل أمه انتيكليا في عالم الاموات ، وعندما حاول عبثا عناقها قال « هل هو شبح أرسلته بارسيفون القوية لي حتى ابكي وانتحب ؟ » فأجابه شبح امه « ان هذه هي الطريقة الموعودة للاحياء عند موتهم ... والسنة النيران القوية تحطم العظام واللحم ، وما ان تفارق الحياة العظام البيضاء حتى تخرج الروح منها مثلها كمثل الحلم محومة ذهابا وايابا » (١٣) . واثناء تشييع جنازة باتروكليس قص المرميدونيون شعورهم وغطوا بها جسم المتوفي (١٤) . ويربط الاستاذ روز هذه بالعادة التي كانت شائعة في ان يترك الاولاد جزءا من شعورهم بدون قص يقدمونه الى الاله النهر عند بلوغهم (١٥) . وخلال حرق جثة باتروكليس قتل المشيعون الكثير من الماشية والاغنام واخرج أكيليس شحومها وغطى بها الجثة ووضعوا الى جانبها جرارا من العسل والدهن واحرقوا معها اربع خيول وكلبين وذبحوا اثني عشر ولدا من اولاد نبلاء طروادة . ويظهر ان كل هذه (عدا ذبح الاولاد الطرواديين) كانت لجلب الراحة والاستقرار للمتوفي في عالم الاموات خاصة الكلبين اللذين لم يكونا ليفارقا باتروكليس طيلة ايامه الاخيرة . اما ذبح الطرواديين فاما ان يدل على الانتقام او انهم ذبحوا ليصطحبوا المتوفي في رحلته ويأنسوا به كما يدل نص في نفس المصدر عندما انتقم دايفوبوس لمات اسيوس حيث قال « لا يمكن ان يكون اسيوس ملقى هنا غير منتقم له واعتقد انه سيكون مسرورا اذا ما ارسلت له من يصطحبه » (١٦) .

---

(7) J.D.S. Oendlebury, Archaeology of Crete, (New York, 1955).

(8) A. Aymard, et J. Auboyer, L'Orjent et la Grece Antique, (Paris, 1957) pp. 228 ff.

(9) The Iliad, ed. W.H.D. Rose, (New York, 1960) Bk. 23, 267.

(10) ibid, Bk. 26, p. 266.

(11) ibid, Bk. 18, p. 222.

(12) Erwin Rohde, The Cult of souls and beliefs in immortality among the Greeks, (London, 1925) p. 24.

(13) The Odyssey, ed. E.V. Rieu, (Baltimore, 1959) pp. 254 ff.

(14) The Iliad, op. cit. Bk. 23, pp. 267 ff.

وقد تعرض البعض الى القول بـــان المايسينيـين (ومنهم باتروكليس واكيليس بالطبع) لم يكن قد شـاعت بينهم عادة حرق الاموات وان المثل الوحيد للحرق بينهم كان ما اكتشفه بيليجن من جامعة سنسناتي بالولايـات المتحدة في المدفن رقم ٤١ في بروسيمنا (١٧) . ويذهب الى القول بأن العادة كانت شائعة عند اهـل طـــروادة واخذها عنهم المحاربون الماسينيون فالارواح تذهب الى عالم الاموات (هيديس) الواقع في اعماق الارض والتـي على الاكثر هي نفسها تارتاروس ذات الابواب الحديديـة التي ذكرت في الالياذة . وهيديس هذه لا يمكن مقارنتها بالنار في الديانات اليهودية ــ الزردشتية ــ المسيحية ــ والاسلام كما عمل البعض مطلقين على حدائق الالوسـيوم اسم الجنة الفردوس ، فاذا كان كتاب الميت وهو الكتاب الحادي عشر من الاوذيسة ، قد ذكر تعذيب سيسيفيوس وتيتيوس وتنتالوس فهذه برأي الكثيرين ما هي الا اضافات الحقت بالاوذيسة ومتأثرة بالفكرة الاورفية . وان الالهـة كانت تنقل من تحبه جسما وروحا الى جنات الالوسيوم حيث يتمتع بالخلود ولا يذوق طعم الموت . فكل مـــن يموت كان يذهب الى عالم الاموات (هيديس) مهما تكن منزلته ودرجته وتقواه .

ووضعت الاوذيسة مدخل عالم الاموات (هيديس) وساحته الخارجية على القسم الغربي من نهر أوشيانوس في الارض المقدسة عند برسيفون المكتظة بأشـــجار الصفصاف والحور . وقد صورت الكتابات الهومرية العالم السفلي تقطعه انهار كثيرة امثال ستسيكس واكيرون (نهر العذاب) وكوكيتوس (نهرالنواح) وفليجيثون وفريفليجيثون (انهار النار) ويصبان في نهر الاكيرون ، وفي العصور التالية اضيف اليهما نهر آخر هو ليشة (نهر النسيان) حيث ينسى الموتى بعد الشرب منه اي شيء عن حياتهم الاولى . وصورت هذه الانهر تحيط بالعالم السفلي ومـن ان هناك ملاحا اسمه كارون ابن اريبوس من زوجته نيكس وكان عبوسا طاعنا في السن يأخذ الارواح بقاربه عـــبر نهر أكيرون بعد ان يحضرهم الاله هرميس معطيا اياه أوبل واحد عن كل شخص ، ولهذا السـبب كـــان اليونانيون يضعون بين اسنان موتاهم اوبلا وقد وجدت الكثير منها بين اسنان الجماجم التي عثر عليهـا في الحفريـات . ولكارون مطلق الحرية برفض دخول البعض خاصة اولئك الذين لم تدفن اجسامهم كما يجب ، وعلى باب هيديس كان الكلب كربيروس ذو الرؤوس الثلاثة والذيل والشعر من الافاعي وهو فظ خشن لكل من يحاول الخروج بشوشا لكـل قـادم .

ولم يكن عالم الاموات هذا بالدنيا المرغوب فيها اطلاقا فاكيليس يقول مخاطبا اوديسيوس « سيدي اوديسيوس لا تمدح الموت .. ارجعني الى الحياة ثانية فأفضـل ان اكون عبدا بسيطا في بيت فلاح فقير للغاية ليس لديه من القوت الا ما يكفيه من ان اكون ملكا على جميع الموتى في هيديس » (١٨) . فدفن الموتى واجب ومواراة التراب على الميت كان يعتبر ثوابا لا يدانيه ثواب ، خاصة اذا كان قد عثر على جثته صدفة ، وكثيرا ما كـــان الخطبـــاء اليونانيون يوجهون النقد اللاذع الى اولئك الذين لم يهتموا بدفن اقربائهم. فسفوكليس صور لنا في احدى مسرحياته أنتيجون وهي ضاربة عرض الحائط جميع النتائج التـي قد تترتب من اجل دفن جثة اخيها بولينايكس الذي أمر ملك طيبة كريون ان تبقى بدون دفن (١٩) .

والموت في ساحات الوغى كان شرفا لا يدانيه شرف وطريقة الموت ونوعه هي التي تحدد ما اذا كان الشخص قد عاش حياة سعيدة . فعندمـا ســـأل كرويسيوس (قارون عند العرب) ملك ليديا صولون لان يذكر له من يراه كانوا اسعد الناس على وجه الارض فسمى لـــه تللوس الاثيني لانه عاش سعيدا ومات في ساحة القتال . وعندما طلب منه كرويسيوس ان يذكر له اسم شخص ثان ذكر صولون كليوبس وبيتون اللذين بعد ان حصلا على جوائز الاسبقية في سباق رياضي ذهبا في عربة الـى المعبد وسط هتاف الجماهير ، وفي اليوم التالي وجـدا مفارقين الحياة اثناء نومهما بمعبد الالهة هيرا ، فلا يمكن ان يحكم على شخص ، على حد قول صولون لكرويسوس، بأنه قد عاش بسعادة على هذه الارض ما لم تكن حالـــة موته معلومة لدى الكل (٢٠) .

والتشييع الفخم كان من الامـــور التي يتمناهـا اليونانيون لموتاهم . وكانوا يحرقون مع الموتى عند حرق جثثهم الكثير من المواد الباهظة الثمن . وكانت قوانـين الدول اليونانية تضع تحديدات على الكميات التي يجب ان تصرف على التشييع والدفن . وفي حالة الدفن التي كانت اكثر شيوعا ففي اللحظة التي يفارق بها الميـــت الحياة يحضر اقاربه وهم في لباس الحزن وكان عـــادة اسود او غامق اللون محلقين شعور رؤوسهم حتى نسـاء الميت وخدمه ان لم يكن المتوفي قد اوصى بأن لا يفعـل ذلك ساعة وفاته . ومن ثم تغسل جثة الميت وتمســـح بالعطور وتخلع عليها حلة جميلة بيضاء . وقد حـــددت قوانين صولون عدد الحلل التي تدفن مع المتوفي (٢١) . ويضعون على راسه تاجا من ورق العشب وتوضع الجثة في ساحة الدار ووجهها نحو الباب لكي يحييها القادمون.

(15) ibid, p. 268 ff.
(16) ibid, Bk. 13, p. 156.
(17) A. J. Wace and H. Stubbings, A Companion to Homer, (London, 1962) pp. 485-488.
(18) The Odyssey, op. cit. Bk. XI, p. 184.
(19) Sophocles, Antigone.
(20) Plutarch, The Lives of the Noble Grecians and Romans, (New York, 1932) pp. 113-114.

وفي مقدمة الباب يضع اهل الميت جرة ماء كبيرة ان كان متوفاهم قد مات موتة طبيعية يأخذ منه الزائر قليلا للاغتسال به بعدئذ . اما اذا كان الميت قد توفي مقتولا فيضع اهله عند الباب رمحا مشيرين الى انهم سوف يثأرون له ، ويحمل الرمح معه عند تشييعه ويركز قرب القبر مدة ثلاثة ايام ويراقبه اقارب الميت ، والى جانب الجثة المعروضة يضع أهل الميت جرارا ملونة متعددة تدفن معه .

ويبدو من القوانين اليونانية والصور والنقوش بأن اليونانيين كانوا عاطفيين حقا . فقوانين صولون شرعت الكثير من المواد ضد الاذى الذي قد يلحقه اهل الميت بأنفسهم . ولكن الارملة واقارب الميت الاقربين كانوا بالرغم من ذلك يضربون صدورهم ويخدشون ويجزون شعورهم ويعفرون رؤوسهم بالتراب ، وبالوقت ذاته كانوا يستأجرون النادبات للقيام بالنواح والبكاء على المتوفي .

وبعد عرض جثة الميت والبكاء عليها تشيع الجنازة وكان اليونانيون يؤثرون التعجيل في دفن الجثة او حرقها . وحتى في ساحات القتال كان المنتصر يتيح لعدوه فرصة ليدفن خلالها الموتى من جنوده . وكان من واجبات اميرال البحرية الاساسية عند القتال ارسال من يفتش عن جثث الغرقى من بحارته ودفنهم . وكان الدفن في غالب الاحيان في الصباح الباكر ويحمل الجثمان الاكثر حداثة وقوة من اقارب الميت واصدقائه وربما يستأجرون عربة لذلك . وكانوا يضعون في يد المتوفي كعكة عسل وتحت رأسه قارورة من الزيت . ويسير امام الجثمان في التشييع الارملة وزوجها المتوقع وخلفه من يزيد سنها على الستين من النساء الا من كانت تمت بصلة القربى للميت . وظلت عادات الحرق والدفن تسير جنبا الى جنب في بلاد اليونان ولو ان القتلى في ساحات القتال كانوا يدفنون بتشييع فخم . واهالي كل من اسبارطة وسكونيا كانوا اكثر ولوعا بالدفن .

وفي حالة الحرق توضع الجثة على الخشب المعطر وتحرق معه بعض الحيوانات والعبيد كما رأينا عند حرق باتروكليس ، وتحاط الجثة بأقارب الميت وتحرق وسط عزف لاعب الناي ورش العطور على السنة النيران وترديد اسم المتوفي ثلاث مرات . وبعد اكتمال الحرق تطفيء النار بالخمر ويجمع الاقارب الرماد ويضعونه في جرة وكانت التوابيت في الغالب من الخشب خاصة الساج الذي تفننوا بزخرفته واحيانا كانوا يعملون التوابيت من الطين والحجر . وحتى اشكال التوابيت كانت تختلف فمنها البيضوي والمذبب الخ . .

وكانت المقابر خارج المدن وكان الاثينيون يدفنون موتاهم بادىء الامر في بيوتهم ولكن العادة منعت اخيرا ولم يسمح بالدفن داخل حدود البلدة . وتخبرنا المصادر اليونانية ان ليكورغوس قد سمح لاهالي اسبارطة بدفن موتاهم في مدينتهم وكذلك كانت العادة في ميغارا . وكانت المدافن مشيدة على الطرق العامة ومداخل المدن . وفي القرن السابع ق.م. يظهر ان اهالي أثينا قد أحيوا العادة القديمة التي نقرأ عنها في الاشعار الهومرية من دفن الموتى مع انواع من الاوعية وشرائط من الذهب . ولكن في الايام الاخيرة استبدلوا كل هذه بجرار بيضاء صغيرة جميلة الصنع لوضع الزيت تسمى (أكيثوي) . ومنعت قوانين صولون البذخ الزائد عند تشييد القبور ومنعت بناء قبر يشيد في أكثر من ثلاثة أيام من قبل اكثر من عشرة عمال . وحدد دمتريوس ارتفاع القبر بثلاثة أذرع كحد أعلى .

وفي اوائل القرن السادس ق.م. صار وضع لوحات مسطحة على القبر أكثر شيوعا اما بناء الاعمدة والمصاطب والمباني الشبيهة بمعابد مصغرة والتوابيت الكبيرة المنحوتة (ساركوفاكي) فتعود الى عصر الاسكندر الكبير . وما بعده وفي منطقة ليشيا (في آسيا الصغرى بين كاديا ويامفليا) عثر السير سي. فيلوز على مدافن يونانية في غاية الروعة والجمال والتفنن في الصنع . وكانوا يكتبون على لوحات القبور اسم المتوفى وقبيلته واحيانا لمحة عن حياته او ينحتون صورا مر حياته العائلية او المهنية (٢٢) .

واحيانا كانت تلقى خطب مطولة في مدح الميت وتعداد مناقبه وقد أمر صولون بأن تقتصر مثل هذه على اولئك الذين يدفنون بتشييع رسمي . وفي العصر البطولي كان تشييع الميت البطل مصحوبا بسباق في الالعاب ولكنه سقط عن الاستعمال في العصور التاريخية التالية. ومن الوجهة الشرعية فان جميع الاشخاص الذين اشتركوا في التشييع او القوا النظرة الاخيرة على الميت يعتبرون ملوثين غير طاهرين لا يحق لهم دخول المعابد الا بعد اغتسالهم . ثم يقيم اقارب الميت بعد الدفن مباشرة حفلة عزاء في بيت اقرب الناس له ونرى مثل هذه الحفلات العزائية مصورة في المنحوتات والنقوش .. وفي احدى زوايا المنزل كانوا كثيرا ما يضعون رأس حصان رمزا للموت كسفرة طويلة . وبعد مرور ثلاثة وتسعة ايام يذهب اقارب الميت الاقربون الى القبر ويضعون النذور المؤلفة من الحليب والعسل والخمر والاضاحي الحيوانية

(21) ibid, Solon, pp. 97 ff.
(22) H. Blummer, The Home life of the Ancient Greeks, (New York, 1926) pp. 263 ff.
(23) Brandon, op. cit.
(24) Hesiod, Theogony, 721.
(25) Ovid, Metamorphosis, IV, 456.
(26) Pindar, Olympians, 1, 56.
(27) ibid, 1, 60.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويوزعونها . وفي ايام معينة من السنة يزور اقارب المتوفي واصدقاؤهم القبر ويضعون عليه باقات من الزهور ويوزعون الاضاحي .

وكانت القوانين تحظر دفن المجرمين في المقابر العامة وفي اثينا واسبارطة كانت هناك محلات خاصة توضع فيها جثث امثال هؤلاء ، اما المنتحر فكانوا يسمحون بدفن جثته في المقابر العامة شريطة ان تقطع اليد التي انتحر فيها وتدفن منفصلة . اما جثة من يموت بالصواعق فتدفن في الموضع الذي فارقت الحياة فيه وكانت تعتبر ذات قدسية وحرمة واعتقد اليونانيون في كافة عصورهم بأن الابطال الذين صرعوا في ساحات الشرف او حتى الذين ماتوا منهم على فرشهم احياء يرزقون متخذين قبورهم بيوتا لهم ويعرفون كل صغيرة وكبيرة عن احوال العالم وامور الناس وحتى انهم يتدخلون فيها . وفي عيد الانثستريا الاثيني الذي يحتفل به كل ربيع كانت ارواح الموتى فيه حسب اعتقادهم تزور بيوتها السابقة وتبقى فيها طوال النهار .

وقد افترضت الفكرة الاورفية خلود الروح بعد تحررها من سلسلة الموت ثم الحياة فالموت ثانية وبعده الحياة مجددا الخ .. والمرحلة النهائية من هذه السلسلة الطويلة قد مثلت في الكثير من الالواح التي وجدت على القبور في جنوب ايطاليا وكريت ونرى في اكثريتها نصيحة للميت على الوجه التالي « وسوف تجد الى يسارك في دار الاموات عين ماء والى جانب شجرة صنوبر بيضاء . لا تقرب من عين الماء بل ستجد اخرى اكبر منها هي بحيرة الذكريات التي يجري فيها ماء بارد وهي محروسة فقل لحراسها انا طفل الارض والسماء ذات النجوم اكاد اموت عطشا اعطني حالا من الماء البارد الخارج من بحيرة الذكريات ولكنهم سوف يسقونك من العين المقدسة وبعدها سيكون مقرك مع الابطال » (٢٣) .

الملكة زنوبيا

مسرحية شعرية

من اربعة فصول

•

تأليف

عدنان مردم بك

منشورات عويدات ببيروت

اما الاعتقاد بتناسخ الارواح فقد كان موجودا فأمبيدوكليس (٤٩٣ ـ ٤٣٣ ق.م.) حسب ما يقال اعتقد بأن الروح تمر في سلسلة من الحالات الحلولية وحتى انه قال عن نفسه مرة « الى حد هذا الوقت فقد كنت ولدا ، نبتا، عشبا، طيرا وسمكة بحر بليدة» . ويظهر ان تناسخ الارواح كان شائعا الى زمن هيردوتس الذي يذكره ويعزى اصله الى مصر . ولكنا كما نعرف لم يعتقد المصريون بتناسخ الارواح على هذه الشاكلة التي هي اقرب في الاصل الى الهندوسية .

وتذكر لنا الاساطير والمصادر اليونانية الكثير عن العذاب الذي لاقاه الكثيرون في دار الاموات ونبذه عن انواع هذه التعاذيب واسبابها أراه من الاهمية بمكان . فسيسيفوس قد عذبته الالهة في عالم الاموات عذابا شديدا وكان عليه ان يرفع قطعة كبيرة من المرمر على جبل عال وما ان تصل الى قمة الجبل حتى تتدحرج ثانية الى الوادي وعليه ان يدفعها ثانية وهلم جرا . واسباب انزال الالهة العقوبة به قد اختلفت اسبابها باختلاف المصادر فهناك من يعزو سببها الى خيانة سيسيفوس لقرارات الالهة واخرون الى فتكه بالمسافرين وقتله اياهم. واخرون الى خيانته لاسوبوس عندما خطف زوس ابنته ايجينا . ومنهم من يجعل امره لزوجته بعدم دفنه سببا حيث انه شكاها للالهة العظام بعد ان طبقت وصيته فاعادته الى العالم العلوي لمعاقبة زوجته ثم رفض الرجوع لولا اجبار هرميس له وارجاعه اياه بالقوة (٢٤) .

اما تنتالوس فقد وضعته الالهة في بحيرة ماء محاطا بأشجار الفاكهة ولكنه لا يتمكن من الاكل او الشرب وهو يكاد يموت عطشا وجوعا (٢٥) . وهناك من يذكر ان الالهة وضعت فوق رأسه صخرة كبيرة كانت تتراءى له وهي على وشك السقوط عليه . اما اسباب العقوبة فتختلف بها الاساطير والمصادر فمنهم من يذكر انها تعود الى افشائه اسرار زوس التي ذكرها اليه (٢٦) واخرون يذكرون قتله ابنه بيلوبس وتقطيعه اوصاله وطبخه اياها ومن ثم تقديمها الى الالهة عند دعوته لهم . (٢٧) وهناك من يعزو السبب الى انكاره تسلم الكلب الذهبي الذي وضعته ريا لحراسة زوس ومربيته في كريت بعد ان سرقه باندارپوس وسلمه اليه .

اما تينيوس المارد فقد عاقبته الالهة بأن جعلت يديه ورجليه مفتوحة بحيث غطت تسعة اكرات من الارض وسلطت عليه نسرين وقيل حيتين لأكل كبده . اما سبب عقابه فهو محاولته محاربة ارتميس عند مرورها بايعاز من الالهة هيرا . فأذى الالهة مهما يكن نوعه وقطع الطريق العام على المسافرين من الناس هما الجريمتان الوحيدتان في كل هذه العقوبات .

جامعة دنفر ـ امريكا — سامي سعيد الاحمد

يوميات حراث ... في حقول الحزن

ليست قريبة ولا بعيدة تلك الاشكال التي تجول وقد لبست في الروح طابع التشرد ... « لـؤي »

بقلم لؤي فؤاد الاسعد

* * *

طفت في الغرفة طائرا يتيما بعد رحلة طويلة مع الضياع والحزن ، امتنعت عن التفكير بكل ما يحجبك عني ، بمعنى انني هربت اليك مع صمتي ، وقربت ثواني فصل الخريف الماضي مني لاسبح في عالم ابتسامة ما زالت تضوي بفرحها القصير عالم الروح .

توقفت مقابل الجدار الذي كتبت عليه بعض العبارات الشعرية، وعندما فرغت من قراءة الكلمات مررت بأصابعي على شعرك في اللوحة التي رسمتها لك في الشتاء ، وقلت (الحزن وجه آخر للغربة) ، وعاودت الهروب نحوك . تحول الزمان والمكان الى وجه «قوقازي» لا يحمل الا ملامحك ، نسيت من أكون انا ، وقد تحول صوتك في عزلتي الى سنفونيا صامتة .. تحولت الاشياء في داخلي الى عاصفة من الكلمات ، كل حرف يكتسي بلون زهرة تشرينية تأتي من البحر . وحبست نفسي في لحظات من مساء يوم صيفي فائت طائرا نادرا جميلا لا يبني عشه الا في الحلم .

كان وجهك يشع في مسام جدران الغرفة ، كنت حضوري الوحيد الذي يكسب وقتي حلاوة العيش ، عاودت الهجرة اليك في صمتي ، ومن بين كلماتي عن الحب ، كانت زهرة « قوقازية » .. هي انت تطل برأسها من الحروف لتدلني عليك .

وفي غمرة المشاعر الغريبة كتبت قصيدة « زاوية الحزن » تمنيت ان يكون كل شيء صافيا بيننا ، كماء الشرب لاقرأ لك ما كتبته عنك في اشعاري ، وبدأت اسمع اصوات صمتك تأتيني .. تخترق الجدران عبر الظلمة الي ، ووجهك يتربع اميرا للمكان والزمان الذي هو انت .

سافرت فيك ، وحملت معنى توهجك في دمي ، لابعد عنك الخوف من الحب . (شتاء ١٩٦٨) .

★

كان الحزن معي عندما توقفت قربك دون ان اراك .. كان كل واحد منا لا يحس بوجود الاخر ، حتى صحنا نظري اليك وتنبهنا الى بعض . فشعرت بكثير من الحرج لهذه الفجاءة التي احاطتنا بأمرها الواقع . ومع ذلك كانت تصرفاتك التي قصدتني غالبا ما أثارت بي تساؤلات حولك . ماذا تفيد هذه النظرات طالما قررنا ان نقف خارج حدودها ونسطع باللامبالاة .

الكثير من العادات تتغير بارادتنا دون ان يبدي القلب رأيه فيها او يفرض شيئا .

ــ كنت سعيدة بعض الشيء لانك رايتني . هكذا بدا لي .

كنت حزينا بفعل خارج عن الحب ، ولكنني لما رايتك ازداد الحزن لانه رغم اقترابنا .. كنا بعيدين عن بعضنا .

ــ كنت كالحمامة التي يدهمها البرد بظلمه وهي في العراء ، وكانت نظراتك تبحث عني .

كنت حزينا بفعل خارج عن الحب ، احسست بهذا النهر الصغير الدافىء يتدفق من عينيك في داخلي نادما، ورائعا بكبريائه . نظرت الي ، تحولت نظراتك الى نمل يدغدغ وجهي بلذة . واحدة من رفيقاتك نظرت نحوي، فاصطنعت شيئا حدثت صديقي به .

لا اريد ان يشعر احد انني اتكلم معك حتى في صمتي ، كنت ابتسم طوال الوقت بهدوء رغم حزني ومع هذا عندما وجدتك قربي تنتظرين «الاوتوبيس» احسست بملاحقة عينيك لي ، فلما تقدم الباص كنت اشعر انك تنتظرينني ان اتقدم معك ، ولكني تركتك تصعدين وبقيت وحزني . موجة من الكآبة شعرت بها بعد ما ذهبت تدخل من النافذة التي انفتحت في داخلي قبل قليل لتحتل بقدومها الغامض مكان الفرح الذي احدثته تصرفاتك ، الا انني قلت في نفسي وانا اصعد «اوتوبيسا» آخر . لم يكن شعرها على تسريحته القديمة كشلال من ليل خرنوبي مسدول على كتفيها ، لم تفعل بي سوى انها تركت الاشياء الجميلة تترك مكانها وتهاجر ونسيت كل ما كان يحدث في داخلي من تناقضات تجاهك . شعرك وحده تركني اتابع السفر في الحزن . (شتاء ١٩٦٨) .

★

احب ان اطفىء النور في البيت ، أجلس قرب المدفأة واستمع الى الموسيقى . لغة الالحان تحرق الاعشاب الضارة في النفس وتحول الحقول ذات الهشيم اليابس .. الى ربيع آخر يسكن زهوره الحب ويسحر الناس الى فراشات ومخلوقات جميلة ، اشبه بالطيور والاسماك العاشقة .

في هذه العتمة الموغلة في سفرها لا أرى نفسي ، الاشياء وحدها تحلق في المكان .. داخله وخارجه والعيون المسافرة في غيابها تقرأ اشكالها الفريدة وتنفعل بها ، وفي كل مرة يتغير العالم الذي أراه وتبهرني الوان طبيعته المدهشة وتسحرني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البارحة وانا ادخل الى البيت ، احببت أن يبقى النور مخنوقا داخل اسلاكه الناقلة للتيار ، كي لا اجرح بتصرف الضوء صور الاشياء المتراكمة في نفسي التي كانت ترافقني وانت معي في الشوارع الخالية من الناس والثلوج المتساقط والرموز التي تسكنني .

وجهك وحده الغابة الوحيدة التي تنمو فيها ثمار اشعاري ، ويصبح القمر فيه بلون العنبر .

وهو الفرح الذي يدخل الحزن ويبدد الثلوج التي تتحول في داخلي احيانا الى سياجات من شجر الصبار.

هذا الوجه وحده عطر غابات لا تتفتح زهورها المجهولة الا في الليل ، والقلب يصغي الى الموسيقى التي تنشف عرق الحزن في الروح . (شتاء ١٩٦٨) .

★

رفعت نظري عن كلمات « ادونيس » (في المسرح والمرايا) الذي كنت أتأمل اشكال غرابته المحببة فيها .. وانا اسرح ببصري خلف واجهة زجاج المقهى في الشارع الشرقي المواجه. دفقة خضراء من الريح كانت واقفة تحت مظلة الانتظار في محطة « الاوتوبيس » مع البرد ، تبعث بنظرها الي هي انت . لحظة واحدة تكفي لكي ينسحر وجود الشاعر الصديق ويبقى شكلك الوحيد يغطي مراياه ويصبح كل شيء في نفسي هو ملكا لريحك الحاضرة ، لحظة تكفي لكي يعصف شكلك الخاص الاخضر بحزني .. يلونه ويعطيه شيئا من سحره بعد ان تبددت خيالات الاشياء الشعرية فترة من الزمن .. وحيث انك تنظرين الي اتسع اخضرارك في نفسي . وجهك هذه المساحة الغريبة من الحب دلني الى ضياعك .

لا يهمني انتظارك « للاوتوبيس » بقدر ما تهمني تلفتاتك الملهوفة التي أتت بك الى هنا وتركتك كعصفورة وسط الشتاء محاصرة بالبرد . والمطر . والحزن ..

فلو لم يكن حدث ما تسببت فيه ، لكنت شجرتك وكنت اوراقي في جميع الفصول ، ومع ذلك احبك هكذا حزينة .

هكذا مبللة بمطر اشواقك ، ومعطرة بالحنين . احبك ما زلت ، ولكني عندما اذكر كلماتك التي فتحت شقا في جدار ايامي يحتويني أسى اسطوري اضيع فيه.

المهم انك مررت، وتوقفت. وان عينيك كانتا تبحثان عنك في عيني ووجهي ، وانت تسرحين في الامتار القليلة التي تفصلك عن واجهة الزجاج للمقهى عبر الشارع . تجتازين مسافة ينقل نظرك فيها الى نفسك احتمالات ما يحدث في وجهي من تأثيرات تفسرينها كما تريدين ، نظرت اليك وانت واقفة كالعصفورة الحزينة اصغي الى ما يقوله الصمت فيعينيك، في وجهك القوقازي المسافر، وانا اجمع ندمك وحبك اللذين تسمرا امامي شجرة حزن تفرط اوراقها اصابع الريح . توقف « الاوتوبيس » صعدت ، تظاهرت ان نظرك لن يرفرف بأجنحته حولي . وانا اعلم بأن كبرياءك الحزين سيوصلك الى البيت شقية . وعندما خطفتنا المسافات وابعدتنا كنت اعيد ما رأيته في ثغرفاتك من اشياء اجبرتني ان انحبس في مدى عالمها المقفل ، وارتضي بعصفورة احبها ، تنقر قليلا قليلا باب القلب لكي افتح . (اواخر شتاء ١٩٦٨) .

★

يمتلكني وجهك الذي رأيته ظهيرة الاحاد الفائتة . تمتلكينني بتصرفاتك الطفولية . وبابتسامتك تدخلين عالم الروح المغطى بازهار الشعر والحب ، والحزن .. صوتك نافذة . ما زال صوتك نافذة على المساء . وحدي اطل منها على غابات الحنين النادرة .. عندما احبك في مثل ذلك اليوم ظهرا او مساء .

تمتلكينني وتحبسينني في ثواني وجهك الذي رأيته يوم اول البارحة . كان ما يشبه مزيجا من الندم ، والحزن وقد دخلت بلاد احاسيسك وتجولت فيها وانا في طريقي اليك . (ربيع ١٩٦٨) .

لم ارك منذ ايام . ما أصعب الايام التي لا المح فيها وجهك العشبي ، ما أطول ساعات الحزن بدونك . (ربيع ١٩٦٨) .

★

المصادفات التي كانت تلقي بذهن كل منا التساؤلات، وترش شارات الاستفهام في نفسينا حين نلتقي ببعضنا في شوارع حلب ، كانت لا تخرج عن دائرة عاديتها الى الغرابة الا قليلا . اما الان وانا في بيروت كيف استطيع ان اسمي ما حدث معي من غرابة تخرج من دائرتها الى العجيب .

كانت ظهيرة البارحة قمرا من السأم يسطع في قرى صمتي وانا بالشرفة في بيت احد الاصدقاء المطلة على بعض اشجار البلح والبحر ، فتاة ما .. باتجاهي تقريبا يغض شعرها بشحوب الشمس عند المساء ، تنظر نحوي . حتى الشمس كانت كئيبة .

ظهيرة السأم ، حارة بالفعل ، وباردة وانا في يوم ٢٩ آب في شرفة تطل على اشجار قليلة من البلح قرب البحر ، وفتاة ما .. تبدو بتصرفاتها رائعة .

على ان شعوري بالقرف والتمزق دون ما مبرر كانا يدفعاني لان اترك بيت الصديق وامضي باتجاه الكورنيش الى اللاهدف . لحظات من التفكير .. افتح بعدها الباب وامضي ، ويسرع الصديق ليقول السادسة مساء في مقهى « اولدورادو » . ومضيت تبتلعني الخطوات الى اللاهدف . كان الشاطىء طفلا رائعا ذلك الوقت . ولا نورس واحد يحوم فوق البحر يحمل احزان الشاعر ليلقي بها طعاما للسمك . الشتاء هنالك وهجرة النوارس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما زالت بعيدة . وكان الضياع والقرف يلتقيان بعضهما في صمتي . مر الزمن مسرعا نحو السادسة في الـ « الدورادو » وقادتني قدماي الى طاولة الصديق ، خلف واجهة الزجاج النقية الواسعة .

أهلا قالها واشار بيده معرفا «المودموازيل» « ش » خطيبتي وشقيقتها « ع » وانا احيي أخذت مكاني ، وقد دار العالم دورة سريعة في رأسي . لم أتمكن من النظر الى الانسة التي هي امامي عندما قرع اسمك باب نسياني وجعلني اسقط في الفجاءة والدهشة . كانت ملامحك بكل ما في وجهك المنمش من غرابة تجلس ببساطة قبالتي وشعرك المسدول غابات شجر الخرنوب الليلي ، كل هذا تركني اغيب لوقت في تساؤلات لم اجد لها تفسيرا ، وأنا بعيد عن تلك المصادفات التي كانت تتركنا نلتقي اكثر الاحيان في الطريق ونحن في مدينتنا بالشمال .

الغرابة هذه المرة تلبس جلد الصدف العجيبة وتتغطى بالسحر ، من المذهل ان تحملك الريح الى هذا المكان والا يملأ وجهك نوع من الغضب الحلو المغسول بالندم والحزن .. حتى لو ادت بك التناقضات الى ترك المقهى تحت ضغط الانفعالات .

ادرت ظهري الى صوت التساؤلات التي القت بي فترة وسط ضباب من الغرابة ، حقا انك لست هنا ، لكن الفتاة التي تفاجأت بها كانت تأخذ عنك كثيرا من الاشياء التي تركتني امام السعادة والحزن مرة واحدة ، وقد رفعت رأسي باتجاه وجهها المنمش الذي هو لك والذي انصبت منه الاسئلة الصامتة في داخلي . ومع ان خلفيتك اضاءت فجأة امامي غير اني بقيت اشبه بسحابة لا تمطر الا شرودا على زجاج مقهى الـ «الدورادو» مساء يوم بالنسبة لشاعر مثلي كان ماضيه يخرج عاشقا من البحر ..

اعتقد ان اسم الاستاذ ليس بغريب عني ، قالتها بلهجتها البيروتية الناعمة .

وردة صغيرة تفتحت عن ابتسامة من بين شفتي .. حين لم اجد جوابا لكلماتها .. وقد شعرت انني بابتسامتي استطعت ان افعل شيئا بنفسها . ومع ذلك بقيت وسط شاعرية الضباب اللامرئي الذي احاطني .

ـ اعتقد انني قرأت لك في احدى صحف بيروت قبل عام قصيدة ، آخر عنوانها كلمة ... حزينة .. الحزينة .

ـ قلت لها (الساعة الحزينة) .

ـ بالفعل لقد اعجبتني القصيدة لدرجة احسست بها انها مكتوبة لي .

ـ شكرا ، هذا اطراء رائع بالنسبة لهذه اللحظة .

ابتسم الصديق وشقيقتها معا ، اما انا سكنتني غرابة الاشياء ، والوقت الذي كتبت فيه تلك القصيدة .

عاودني الحوار الذي قلت لك فيه مرة .. سأقول لك شيئا ربما سيكون نهائيا هذه المرة .

ـ قلت لي ما هو هذا الشيء النهائي .

ـ سأقول لك آخر قصيدة كتبتها .

ـ ولكني لا احب الشعر .

ـ ليس هناك من لا يحب الشعر في العالم ، وطاف في نفسي نهر شفاف تساقطت فوقه كل اوراق الايام من شجرة الحاضر ـ عبر اسلاك الهاتف .. تماما كما حصل معي الان وانا تسكنني المفاجأة على طاولة في الـ (الدورادو) وقد كانت فتاة لا تختلف عنك بالشكل سوى انها من « بيروت » .. لا ادري كيف ساقتني رياح المصادفة اليها بينما انت تفوحين بعطور غرابتك «القوقازية» وتسكنين حتى في وجوه الاخريات وتصرفاتهن ، في وقت نعلم تماما اننا فيه مقذوفون في فراغ البعاد ، كحجرين عكسي اتجاههما ..

ان يدي تحلم بك الان ، وصمتي يقطع المسافات لينبهك الى حزنه الملقى على شاطىء البحر ... رياحا شمالية في بيروت . (اوائل خريف ١٩٦٨) .

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

الى وليد حوراني

•

وليد ما اطيب اللقيا على وتر
عند العشايا وشمل الصحب مجتمع
تسلسل النغمات الفر صافية
يا طيب كفيك ، ما تعطي وما تدع
انامل رفرفت فوق « البيان » كما
فراشة للشذا تدنو وترتفع
حملت لبنان للآفاق اغنية
وطرت فيها الى الدنيا وما تسع
عزفت والخمس لم تبلغ نهايتها
وكنت في من رأوك الامس واستمعوا
أصالة في اكتناه الفن باكرة
سلمت للفن ما تسمو وتبتدع

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أربع اغنيات للحب والفراق

١ ـ رمـاد الذكرى

منيت القلب ولم تأتي
مرات ... مرات شتى
فأرحت فؤادي باليأس
قلبي ما عاد يكبله حلم لقائك ...
يطويني بالليل وينشرني في الاصباح
ما عاد خيالي يأسره طيفك يتبعه أنى راح
عادت لي نسمات الحرية ،
صوتك ذاك النغـم المسحور
الموقظ في نفسي آلاف الاحلام
لا أرغب ان اسمعه
طيفك ذاك القادم من خلف الابعاد
لا ارجو ان استرجعه
ساظل أعيش
تتدلى داخل نفسي تفاحة حزن سوداء
ورمـاد الذكـرى
باق بعد ان انطفات نيران الحب
لكني وانا اخرج من عالمك المسحور
سأحاول ان اتخلص من كل قيودك
حتى من قيد الاحزان .

٢ ـ حنين الى العودة

نضجت تفاحة احزاني السوداء
لكـن لـم تسـقط
ظلت عالقـة في نفسي
ورمـــاد الذكـرى
ظهرت فيه شرارة
لفحتهـا الريـح
فاشتعلت نيران الاشواق
وقيود غرامك شدتني ..
لم تتركني اتحـرر منهـا
وبرغـم هروبـي
ومحاولتي ألا ارجع للجنة
من فوق طريق عذاب
نمت الاشواق الى العودة
وظللت اتوق ليوم لقاك
ما زلت اتوق ليوم لقاك .

٣ ـ في ليلة حزينة

وتـلاقينـــا
وعلمت بانك نازحة لمكان نـاء
مع الف يطوي خصرك بحنان يديه
في عش وردي دافيء
في تلـك اللحظـة
انخلعت كل جذور كانت تمسكني
بتـراب العـالـم
وتفرقنـــا
سرت شمالا ومضيت انا جهة يمين
وبرغم زحام الشارع وضجيجه
كان شعوري بالوحدة يضنيني
كنت أنا التائه في درب بالصحراء
لا يعرف هل يقترب من العمران
أم يمضي نحو متاهات الاقفار
وتمر الساعات بطيئة
كـل دقيقـة
ليست الا الما من آلامي يتبع ألما
والحيرة ما زالت تعصرني ... !
هل اسدل خلف الماضي استاراً سوداء ؟
أم اترك احلامي الوردية تنمو في نفسي ؟

٤ ـ وانهار الصرح

صرح الاحلام أقمت ذراه
وجعلت اللبنات به شوقي ودموعي
وسهرت الليلات اطوف بساحته الاسطورية
لكن الصرح انهـــار
لم يبق مكان الصرح غير ركام وغبار
ما أقسى ان تنهار صروح الاحلام
ما أقسى ان تنهار

القاهرة — سامي عبدالعزيز الكومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خليل السكاكيني

بمناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بقلم حمودة زلوم

* * *

خلال سنوات اربع ، وشغلي الشاغل ، الاديب ، المربي ، الانسان ، خليل السكاكيني ، وكم اصابتني الدهشة والحيرة ، لانني لم ار احدا من الكتاب والباحثين ، من اعطاه من وقته ، ولو يسيرا ، فقد اغفله مؤرخو الادب ، وباحثو التربية ، ومن ذكره ، ذكره لماما وتحفظا ، فوجدت انه من الانصاف ان انفض عنه غبار النسيان ، واميط اللثام عن هذا الالمعي ، الذي يعد بحق من رواد النهضة الادبية والتربوية في عالمنا العربي ، فأثاره وحياته تشهد برجولته ، وعظمته ، وعبقريته ، وقد شهد له كل من عرفه بذلك ، وان كان في سطور معدودة .

من اليوم ، يجب ان نفتش معا ، عن مكان نضعه فيه ، ويجب ان يكون في الصدارة مع الاعلام العظام ، الذين جبلت اصابعهم نهضتنا ، وقطفنا ـ نحن ابناء هذا الجيل ـ ثمارها ، وارجو ان اكون في هذا البحث ، قد قمت ببعض الواجب ازاء هذا الفذ الذي سبق عصره وبذ الكثيرين وسما عليهم ، خاصة ونحن نستقبل ذكرى مرور خمسة عشر عاما على وفاته .

حياته : قبل اربعة قرون من الزمن، وفد جد خليل السكاكيني الى القدس ، ولكننا نرجح ان مجيئه كان لسببين لا ثالث لهما ، اولهما : عامل ديني ، ليكون على مقربة من المقدسات وثانيهما : العمل ، وهذان السببان نرجح انهما مجتمعان ، ثم اننا لا نعرف اسم هذا الجد ، او اي شيء يمت اليه بصلة من قريب ، او من بعيد ، حتى ان حفيده ، صاحب السيرة ، لم يذكره في كتبه او يومياته ، وكأنه كان يرى نفسه فقط ، فهو يقول « انا لا انتمي الا الى نفسي ، فأنا خليل السكاكيني » وقد وفقنا في معرفة القليل عن جدته لأبيه فهي يونانية ، من يونان القسطنطينية ، وكانت ذات ذكاء وقاد ، وثقافة راقية ، اذ كانت تجيد اللغات ، اليونانية والتركية والعربية ، اما ابوه فهو قسطندي السكاكيني كان يشتغل بالنجارة وتجارة الخشب ، وملما باللغات اسوة بأمه ، فقد كان يجيد الى جانب العربية التركية واليونانية والروسية ، لذا كان كثيرا ما تطلبه الحكومة العثمانية لتستعين به ، وكانت له بين عشيرته وقومه ، وطائفته منزلة رفيعة لما كان عليه ، من دماثة الخلق ، وطيبة النفس ، وحب الصالح العام ، فانتخب مختارا (عمدة) للطائفة الارثوذكسية ، ومن ثم عضوا في مجلسها الملي ، اما امه فهي مريم حرامي ، من القدس ، وكانت زوجة واما مثالية .

ففي الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٧٨ رزق قسطندي السكاكيني طفلا سماه (خليلا) كان طفلا جميلا ، ممتلىء الجسم ، ذا شعر احمر مرسل ، كثيرا ما كانت امه تضفره كشعر البنات وتمر الايام سراعا ، والاعوام تباعا ، والطفل ينمو ، ويتسع عقله ومداركه ، حتى بلغ سن الدراسة ، فأدخله ابوه المدرسة ، وما كاد الانجليز يفتحون مدرسة الشباب في القدس حتى كان (خليل) فيها ، وكان من اساتذته في هذه المدرسة ، المربي امين نصر ، واستاذ الجيل ، نخلة زريق ، وقد كان للاخير ، التأثير العظيم عليه ، واصبحت بينهما مودة لا حد لها ، وكان في المدرسة الاول على اقرانه كلهم .

وما كاد يتخرج من مدرسة الشباب ، حتى سافر الى بريطانيا ، ليستكمل الدراسة ، في اصول التربية والتعليم والمناهج الدراسية ، وفي العشرين من عمره ، التحق بجمعية الاداب الزاهرة ، التي اسسها المرحوم داود صيداوي سنة ١٨٨٩ ، وكان يخيم على اعضاء هذه الجمعية ، اليأس والتشاؤم ، ذلك فيما نرى ، الى ان سوق الادب لم تكن رائجة وقتئذ ، واغلاق الابواب في الوجوه ، وعجزت القدس عن ايواء شبابها الطامح ، فضاقت بهم الارض ، فقرر خليل الهجرة الى امريكا عل الحظ يبتسم له .

وتعلق قلب خليل بجارته المعلمة الحسناء ، سلطانه، وتتأجج نيران الحب في قلبه ، فهو يريد منها ان تفتح له قلبها ، واخذ يسطر لواعج هذا الحب كلمات وقصائد ، يبعثها اليها كرسائل ، او يحتفظ بها بيومياته ، وتجري الرياح بما يشتهي خليل فتستجيب سلطانه لداعي الحب ، وتتوالى اللقاءات بينهما تحت اشجار اللبمون الجميلة .

ويهاجر خليل الى امريكا ، ولا تكاد عصا الترحال تحط به ، حتى اخذ يبحث عن عمل ، فألتف حوله بعض الطلاب يعلمهم بأجر زهيد متأرجح ، لا يكاد يكفيه ، وتمر عليه ايام عسر شديد ، فيتوقف الطلاب عن الدرس ، وبعض اصبع الندم لهجرته التي جرعته الامرين ، وتتوالى ايامه متلاحقة حالكة ، الى ان يلتقي بالاديب فرح انطون الذي يعرفه باستاذ اللغة العربية بجامعة كولومبيا ، الدكتور كوتهايل ، فحقق خليل معه مخطوطا عربيا قديما، ثم يعمل في محل تجارة ككاتب ، لكن صاحب العمل طرده ، عندما طلب منه ، ان يكتب له جوابا وقال له « الجواب حسن ، ولكنه ليس على الاسلوب المصطلح عليه عند التجار » فخرج يتعثر بأذيال الخيبة والفشل ، وتنكشف له حقيقة المهاجرة بشعة قاسية ، وتفتح كوة صغيرة من الفرج ، فيعمل في احد المعامل ، يدفع عربة

ملأى بالاوراق ، عشر ساعات في اليـــوم ، ويبـدو ان العمل ، لم يرق له فتركه .

وفي صباح الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٠٨ تقع عيناه على الصحف ، فيقـــرأ ان السلطـان عبد الحميد ، منح البلاد الدستور ، مما ابهج خليل وسره، واستبشر به خيرا فيقول « الان اذا رجعت الى بـــلادي يكون رجوعي في محله ، اذا صحت الاحلام ، كان المجال امامي واسعا ، الان استطيع ان اخـدم بـــلادي ، الان استطيع ان انشيء مدرسة ، وجريدة ، وجمعيات ، الان نستطيع ان نرفع اصواتنا بدون حرج ، لينعم بالـــك يا سورية ، صبرت كثيرا فنلت مبتغاك ، ليرتد الطامعون فينا خائبين » .

ويعود خليل الى ارض الوطن ، ويبدأ بتنفيذ مـــا عاهد نفسه عليه في امريكا ، فأخرج الى الوجود ، جمعية الطائفة الارثوذكسية ، وتبعث له جمعية الاتحاد والترقي بمن يقنعه بالدخول فيها ومما قاله المبعوث له « يجب ان تعلم انك الشخص الوحيد ، الذي ارسلت الجمعية مـن قبلها من تدعوه ، والا فان الكثيرين يجيئون الى ابواب الجمعية ، يرجون الدخول فيرفضون » . والتحـــق بالجمعية واصبح من اعضائها ، الا انه ما لبث ان هجـر تلك الجمعية ، عندما ايقن ان اهدافها لا تتلائـــم مـع اهدافه ، واهداف قومه وبلاده ، واسس فرعا لجمعيـة الاخاء العربي ، كان من اعضائه البارزين ، نخلة زريـق ، ثم اسس المدرسة الدستورية ، تلك المدرسة التي ثارت على المألـوف .

وفي الثالث عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٢ تـم زواج خليل بسلطانه ، والتم الشمل ، وقر عينا بشريكـة حياته ، وشاركته تحمل المسؤولية ، ومتطلبات الحياة .

وتمر الايام ، متلاحقة باسمة ، حتى كـــان ثمرة زواجه طفلا جميلا كثير الشبه لأبيه سماه (سريا) .

ثم اسس ابو سري ، مدرسة ليلية لتدريس اللغة العربية ، اعطت نتائج طيبة ، وابدت عن جهود مباركـة ، ولما اسس قومسيون المعارف في لواء القدس سنة ١٩١٤ كان عضوا فيه طيلة سنوات اربع .

وتنشب نار الحرب العالمية الاولى ، فتعلن تركيـــا ان الجهاد واجب مقدس ، فيلبي منادي الحرب فيلتحق بأحد المستشفيات ليشارك في المعركة ، وذات ليلة مـن ليالي الحرب الكالحة ، سمع طرقا على باب بيته ، ومـا كاد يفتحه ، واذا به امام رجل ، لم يلب نداء وجهته اليه السلطات العثمانية ، لانه من الرعايا الامريكيين ، ومـن يساعد امثاله فلن يرحم ، ويتهم بالخيانة واحتار ابو سري في امره ، ودبت فيه حميته وفتح له الباب ، مهما كانت العاقبة ، ولما علمت الحكومة العثمانية بذلك ، قادتـــه وذلك الرجل بالاغلال الى سجن دمشق ريثما ينفذ فيهما حكم الاعدام .

ويعظم امر الثورة العربية ، فانضم مع بعض الرفاق الى ركابها ، ولم يخطر ببالهم جميعا النجاة من كيـــد السلطات المراقبة لهم ، ولكنهم عزموا وتوكلوا وقالوا مع المتنبـي :

فان شئت يا طرقي فكونـي اذاة او نجـاة او هـلاكـا

ويؤكد المؤرخ عارف العارف ، التحاق خليل بركب الثورة العربية ، فهو الذي وضع نشيدها القومي الـذي مطلعـــه :

ايها المولى العظيـم جـد كـل العـرب
ملكـك الملـك الفخيـم ملـك جـدك النبـي

ومما قاله خليل ، في ذلك الوقت « كنت قبل اليوم أحسب القدس موطني ، اما اليوم وقد خرجت من سوريا الى البادية ، الى مصر ، الى فلسطين ، وطني العربـي ، يشمل كل البلاد التي يتكلم ابناؤها العربية ، وما اسـهل ان توحد كلمتنا ، وما اسهل ان نحيا كأمة واحدة ، لنـا لغة ولنا ادبيات » .

ولما عاد الى القدس ، كانت الحال قـد تغيرت ، فالايام قد قلبت لتركيا وصديقاتها ظهر المجن ، وكـان النصر لجانب بريطانيا وصديقاتها ، واول ذي بدء ينخدع خليل ببريطانيا وحسب انها ستبر بوعدها ، ولكن على ما يبدو ان خليلا ، وقف على حقيقة نواياها المبيتة فكتب في يومياته « يظن من يرى علاقتي بالانجلـيز ، انـني استسهل حكمهم علينا ، مهما بلغ حبي للانجليز ، ومهمـا اعجبت باخلاقهم ، فاني افضل ان نكون مستقلين ندبـر انفسنا ، بأنفسنا ، ولو ارتكبنا كل يوم مئات الاخطاء » .

ولما سافر ابو سري الى سوريا سنة ١٩١٩ عرض عليه ، ان يكون مفتشا عاما للمصارف في سوريا ، ولكن الظروف لا تمكنه، بل يعمل مديرا لدار المعلمين في القدس، وبدأ نشاطه فيها يبلور آراءه ، ويخرجها الى حيز المعقول، وفي هذه الفترة ، تكثر اللقاءات بينه وبين بلبل العراق ، الشاعر معروف الرصافي ، وتتوطـد بينهمـا عـرى الصداقـة .

وتبين لأبي سري ، خداع بريطانيا للعرب ، فقـد كشف عن نواياها الخبيثة ، في عملية تسهيل هجـرة اليهود الى فلسطين ، فتنبه ، كما تنبه احـرار العرب ، وندموا حيث لا ينفع النـدم ، ومن ثم عينت بريطانيـا ، هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني العريق مندوبا ساميا للبلاد ، وعينت عددا كبيرا من المسؤولين الصهاينة او ممن يحملون ولاء لهم ، واخذ خليل يبين لأمته بكل ما أوتي من قوة بيان وتأثير ، يخطب في الشبان والمعلمين ، ويحث الامة على الثورة ، وعزم على الاستقالة ، فهددته الحكومة البريطانية ، انه اذا قدم استقالته ، فانه لن يعود للوظيفة

المراجع : (١) كذا انا يا دنيا (يومياتـه) جمعتهـا كريمته هالـة . (٢) المجموعة الكاملة لمؤلفـات السكاكيني (جزءان) . (٣) ذكـرى السكاكيني . (٤) مجلة الاديـب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرة اخرى ، ولكنه مضى غير هياب ولا مكترث ، ولـزم بيته ، وبعثت اليه المليونيرة المسيحية الصهيونية ، المسز كبلنغ من قبلها، تعرض عليه ستين جنيها في الشهر لتحبير مقالا يوميا لا يستغرق من وقته شيئا ، ولكنه رفض ذلك بشدة ، وطرد رسلها .

ويمم شطر مصر ، وعمل مديرا للمدرسة العبيدية، ويتعرف بنعوم شقير ، ويلتقي بأمين الريحاني ، ويلتقي بصديقه مصطفى عبد الرزاق والدكتور منصور فهمي ، والدكتور طه حسين واحمد زكي باشا ، والدكتور احمد ضيف وغيرهم ، وبعد ان امضى سنتين حافلتين في مصر ، عاد الى القدس ، فاشتغل في الصحافة ، وكتب مقالات عديدة في المقتطف والهلال والسياسة والشورى وفلسطين ، جمع بعضها في كتابين هما : « مطالعات في اللغة والادب » و « ما تيسر » .

وتروي كريمته هالة في ذيل يومياته ، انه استأنف نشاطه في الحركة الوطنية ، اذ نيط اليه مهمة امين سر اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني مدة من الزمن .

ولا يكاد هربرت صموئيل يغادر البلاد الى غير رجعة ، حتى يلتحق ابو سري ، بادارة المعارف ، ويصبح مفتشا عاما ، للغة العربية ، وفي تلك الفترة ، دعي لالقاء سلسلة من المحاضرات ، في اصول التربية والتعليم في لبنان فلبى الدعوة والتف حوله المعلمون واصحاب الاختصاص وحاز الاعجاب وشد اليه الانظار .

ثم عمل مديرا للقسم العربي في الاذاعة ، ولكنه حينما سمع الاذاعة تقول « هنا فلسطين ارض اسرائيل » ثارت ثائرته ، واتصل تلفونيا بمدير الاذاعة العام ، وقدم الاستقالة مهددا متوعدا ، وتناولت الصحف نبأ استقالته، واثار ذلك ضجة في طول البلاد وعرضها .

وتجيء سنة ١٩٣٦ ، سنة الثورات والاضطرابات ، والاضراب الطويل الذي لم يشاهد العالم بأسره ، اضرابا إمتد مدة من الزمن مثله ، ستة اشهر ، ذلك كله نتيجة لسياسة التعسف التي انتهجتها بريطانيا في فلسطين ، من فتح باب الهجرة امام شذاذ الافاق ، واعطاء مئات الدونمات من الاراضي الاميرية لهم ، ويأسف خليل لحالة الحكومة التي تلعب بها الصهيونية كما تشاء ، فيقول « من يقم وزنا لحكومة يسخرها اليهود كما تسخر الالة الصماء ؟ ما احراك ايتها الحكومة ان تخجلي ، بل ما احراك ، ان تتمني ان تنشق الارض فتبتلعك » .

وتستعر نيران الثورة وتسري في كل مكان من فلسطين سريان النار في الهشيم ، وتقدم فلسطين ابناءها قربانا للحق حتى ارتوت الارض الطهور بدماء الابطال ، ويهلل خليل للثورة فيقول «لا عجب من ظهور الابطال، فان ابناء فلسطين اليوم ، هم فضلات الموت ، هم فضلات السيف ، هم من نسل الابطال والجبابرة ، زيدي ايتها الحكومة في العنف والضغط ، نزدك ابطالا ، والمستقبل بيد الله » .

وتمرض ام سري ، ويستولي على خليل الحزن والجزع ، ويطلب منه ان يدرس بدار المعلمين ببغداد فيعتذر ، ويشغله مرض زوجته، ويتفاقم مرضها، وتسوء حالتها ، ولا تلبث اياما حتى تسلم الروح فينزل موتها على خليل نزول الصاعقة ، فيحرق قلبه ، ويذرف الدموع ، واصبحت حياته نواحا وبكاء لا ينقطع ، ولا يتركه القدر يفيق من صدمته بوفاة زوجته حتى لاحقه بأخرى، فينشب الموت اظفاره ، في صديقه الاثير ، او كما يسميه بالجوهر المذاب ، الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الازهر في وقته .

ولما عقد المؤتمر الثقافي العربي ، في بيت مري بلبنان ، باشراف الجامعة العربية ، حضره عدد كبير من رجالات الفكر والادب ، من الدول العربية ، امثال احمد امين وعبد الوهاب عزام وعلي الجارم ، وقسطنطين زريق ، وساطع الحصري ، واسحق موسى الحسيني ، وخليل السكاكيني ، الذي كان في لجنة تيسير قواعد اللغة .

وفي منتصف عام ١٩٤٨ اصبح عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والح عليه الدكتور محمود عزمي ، بضرورة المجيء لمصر ، وسكن في دار تاريخية ، بمصر الجديدة ، كان يسكنها قبله الشاعر خليل مطران ، وقبله سكنها الشيخ سلامة حجازي ، وفي القاهرة ، القى سلسلة من المحاضرات في النادي الشرقي وجمعية المعلمين ، والجامعة الامريكية .

وتذهب فلسطين نتيجة للغدر والخيانة ، وتتابع سلسلة المصائب ، فيهاجم المرض فلذة كبده ووحيده (سري) ولم يجد الطب نفعا ، ويموت ابنه ، فيهده المصاب ويحطمه ، فعاش بعد فقده لولده ثلاثة اشهر ، في حزن عميق ، وانتهت الرواية ، يوم الخميس الثالث والعشرين من آب سنة ١٩٥٣ ، واسدل الستار ، وكأن ما كان لم يك كان .

الزرقاء ـ الاردن **حمودة زلوم**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

لم يكن رزق الله افندي موجودا بالفرقة عندما بارحتها الارملة الشابة ، ولهذا اغتنم الثلاثة هذه الفرصة ، وحاصروني بسخطهم وتهكمهم ..

صاح احمد الحلو :

ـ امراة تاتيك بعد ان صرفت تعويضها عن وفاة زوجها .. فماذا نبغي ..؟ الشكر كما قالت هي وكما نوهمت انت .. يا بني آدم مجيئها ثانية دعوة منها لك ..

قلت وانا اكبت غيظا تفجر في داخلي :

ـ ومن قال لك ذلك ؟.. ثم انني لا اريد مثل هذه الدعوة ولن البيها ..

علق نبيل السعيد ساخرا :

ـ لن تتحرر من ريفيتك ولو غسلوك بماء باريسي ..

صرخت بحنق :

ـ ريفيتي لن اتحرر منها كي لا ابقى بغير منبت مثلكم ..

قهقه رشدي الحسيني ومضى يردد :

ـ خيبة وقصور ..

وانتظم الثلاثة في ضحك عال متصل ..

في تلك اللحظة ، اقتحم رزق الله افندي الفرقة ، فكفوا جميعا عن الضحك ، وسارعوا يدسون داخل حلوقهم ، ما كان يتوثب فوق شفاههم من كلمات ، ويدفنون عيونهم داخل الدوسيهات الموضوعة امامهم ..

اطرقت برأسي انا الاخر ، واعماقي تمور كمدا وغيظا .. كل صنيعي في نظرهم خيبة وقصور .. فمتى يقنعون انه ليس كذلك ؟؟. والام سيبقون على موقفهم مني ؟.. منذ عينت بهذه الادارة وهم يلاحقونني بفحيحهم .. وحين يضيقون باصراري يفجرون سخطهم وتهكمهم في وجهي .. فمتى يكفون عن مطاردتي ؟.. الكلاب في قريتي حين ترى غريبا وتشم فيه رائحة الغربة .. تلاحقه بنباحها حتى يغيب عنها .. فهل هم مثل الكلاب في قريتي .. يطاردونني كلما شموا في رائحة الغربة ؟..

مر الوقت الباقي مغلفا بصمت ثقيل ، وحين ارتفع صوت احمد الحلو منبها الى دنو لحظة الانصراف ، رفعت راسي ، واحتويت الفرقة بناظري كارها .. ها هو رزق الله افندي قد آب من غفوته اليومية ، وانصرف يفرك عينيه المحمرتين .. واحمد الحلو ينتصب واقفا امام زجاج النافذة القريبة من مكتبه ، يسوي كعادته شعره وهندامه ..

شروع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

ورشدي الحسيني ونبيل السعيد يقفان وراساهما مشدودتان الى حديث خافت .

عدت فأطرقت برأسي متشاغلا بطي الجريدة ، وغلق درج مكتبي .. بعد لحظات خرجوا تباعا فقمت في اثرهم امشي في تراخ .. احدق في الممر الطويل ذي الضوء الكابي كأني انظر من خلال ضباب .. اجساد تمر بي مسرعة .. اكف تصفع في هوادة ظهري ، مداعبة ، اصوات متباينة تصافح اذني ، عابثة ..



ـ مالك تمشي كالنائم ..

ـ يبدو انه يخاف الرجوع الى بيته ..

ـ وهل يخاف الاعزب بيته ؟. لا بد ان له .. وموعدها لم يأت بعد ..

قدماي تزحفان بي الى الشارع .. الشمس كنست الظل من وسطه .. ازاحته الى جانبيه .. لذت بالظل فوق الرصيف .. مشيت وحدي وسط اجساد تتماس وتتباعد في غير وعي .

جاء الترام قبل انتظار .. طوقتني صدور وظهور وانا اصعده ... انضغطت في ارداف وبطون وانا اندس في جوفه .. حاصرتني اذرع وسيقان فأوقفت تقدمي عند وسطه .

رائحة عرق تملأ خياشيمي ... اشرأبت راسي تبحث عن متنفس تهرب اليه من رائحة العرق .. تراخت حين عانقت نسمة ملتهبة باغتتها من نافذة الترام .

صفارة ممطوطة .. حركة مد وجزر في بطن الترام ... اصوات تأفف وزمجرة .. صفارة ثانية .. قصيرة .. متعجلة .. رائحة تنعش القلب تنفذ الى انفي .. رئتاي تتلهفان الى مزيد منها .. دارت راسي تبحث عن المكان الذي تتصاعد منه الرائحة المنعشة ... سقطت عيناي قبالتي على شعر ناعم يتهدل فوق كتفين عاريين ، ويعانق وجها رائق السمرة .... تمهلتا فوق خصلاته في شغف يفزعه رعب خفي .. هبطتا خلسة .. ضبطتا صدرا ينضغط في صدري ..

سخونة تسيل في عروقي ... دبيب مجهول يدغدغ اوصالي ... عيناي تنزلقان الى اسفل ، حيث الصدر ينضغط في صدري ، والوجه والشعر ، والكتفين العاريين .. بوغت بعينيها السوداوين تتأملان

وجهي .. ارتدت عيناي تتعثران في اهدابهما المرتعشة ..

عرق غزير يطفح على جسدي .. الاضطراب يمسك بانفاسي .... مشاعر متنافرة تجتاح داخلي ، تميع ادراكي .. مددت فجأة يدين غير واعيتين .. ازحت بهما في بعض عنف الجسد الفائر .. تقهقر الصدر .. لاح في العينين السوداوين بريق احتجاج .. اندفعت الى مقدمة الترام تسبقني ذراعاي ، تشقان طريقا وسط التلاصق المقيت بين الاجساد ، والسخونة ، والرائحة .. لم اعد اشم الرائحة التي تنعش القلب .. خلفتها ورائي ..

اطللت على السائق من فوق الزحام .. ناديته :

ـ يا اسطى .. قف من فضلك .

اشرعت جفون قريبة مني ، اثقلها الحر .. حدجتني بنظرات متراخية تقطر سأما ودهشا .. تفجر صوت السائق ساخرا :

ـ اية محطة يا استاذ . .

استطرد مقهقها :

ـ الله يلعن الحر ..

خنق الارتباك صوتي .. نثر على جسمي حبات جديدة من العرق ، باردة ، لزجة .. اقترب الترام من المحطة التالية .. جلجل صوت السائق :

ـ المحطة يا استاذ ..

مددت نظرة من فرجة وسط الزحام الذي يسد باب الترام .. ارتدت الي تهمس انها المحطة التي لا اريدها .. استمسكت بالصمت والجمود .. لكزني كوع حاد في جنبي، ونطق صوت في امتعاض :

ـ انزل يا استاذ .. الا ترى المحطة ؟..

بصوت مخنوق باللعنة عليه قلت:

ـ المحطة القادمة ..

زمجرت اصوات قريبة وبعيدة .. تطاير منها الى سمعي كلمات شوكية .. انهالت على جسدي تجرحه ، تمزقه .. كدت اصرخ في وجوههم .. انتم الاخرون كلاب ، شممتم في رائحة الغربة .. لكني لم اصرخ فيهم .. بصقت عليهم خفية ، في داخلي ، واستنجدت بعيني كيما ترشان فوقهم رذاذ بصقتي .. خذلتني عيناي ، فبقيت البصقة في داخلي ، يتجمع رذاذها في مدخل رئتي ، يمنع الهواء عنهما .

الصفارة المطوطة تخرق سمعي .. الكوع الحاد يلكزني في جنبي ، والصوت الكريه من ورائه يؤازره :

ـ محطة الميدان يا افندي .. ام تنوي البقاء حتى المحطة التالية ..

اصوات من داخل الترام تتجه ناحيتي .. تنقض على رأسي :

ـ افندي محترم يترك مكانه في وسط الترام لينحشر في الباب ..

ـ طبعا لكي .. ماذا نقول ... شيء مخجل .

اذرع كثيرة تدفعني .. تطوح بي خارج الترام .. وسط مهرجان اللهب والقيظ .. تمهلت امسح عن بدلتي ما تركته عليها الاصابع واللكزات .. سبقتني نظرة فاترة ، تقدر في غيظ المسافة الباقية من مشواري .. بقي ما يزيد على خمس محطات .. انتظار ترام اخر تحت هذا الوهج الحارق اكذوبة .. لا مفر من المشي ..

الارض تفح لهبا .. تنز سوادا لزجا . شريط شحيح من الظل يبدأ بعد خطوات .. يترامى على طول الشارع .. يلتصق بالبيوت التي تحتوي جانبيه .. بلفت شريط الظل لاهثا .. لفحات تتكسر على حافته الملاصقة للشارع .. اخذت اتمهل عند كل عتبة بيت .. اتنسم بعض نسمات رطبة تطل علي من ورائها .. انعطفت الى الشارع من حارة جانبية ، امراة تخنق النحافة وسطها ، وتثرى بالامتلاء اردافها ، تمزق الفتور في عيني ..

ـ لا يخلو شارع من امراة .. وانا عكس نبيل السعيد افضل الشارع على الاوتوبيس والترام ..

اوسعت من خطاي .. ارتطمت قدماي عندما حاذيتها ، وتلاحقت ضربات قلبي .. ضاعفت من سرعتي حتى تجاوزتها .. احسست بعينها تنفرزان في قفاي، تعتصران مخزون عرقه .. سال العرق فبلل ظهري كله .. بقيت مستمرا في سيري المتعجل .. عند حارة جانبية درت برأسي الى الوراء متظاهرا بالقاء نظرة على الحارة .. لم تر عيناي نحيفة القوام .. هوت قبضة مجهولة فوق صدري فانقبضت رئتاي .

عدت الى التسكع قرب عتبات البيوت ، املأ رئتي بالنسمات المضمخة بالرطوبة .. هبت من خلف احدى العتبات ، نسمة من شذى مسكر .. تمهلت قليلا ... خرجت الى الشارع من وراء العتبة، امراة اطول من سابقتها قامة واكثر امتلاء .. مشت تتهادى في خطو هادىء كأن الجر لا يستثير حنقها .

ـ « يمكن ان تتعرف على صيدك من مشيتها .. فان وجدتها صيدا مناسبا .. فيكفيك جنيها او اثنين، ثم تقاسمها رحلة ليلة .. »

امتدت يدي الى جيبي .. قبضت اصابعي على وريقات نقد مطوية .. سارعت ذاكرتي تعين اصابعي على حسابها .. جنيهات ثلاثة ترقد في انتظار عشرة ايام تبقت من الشهر . فصلت اصابعي جنيها عن الجنيهين الاخرين .. رنت عيناي الى القوام الذي يتهادى في خطوه امامي ... قامة مديدة .. وشعر كستنائي معقوص خلف الراس .. وبشرة تلوح بيضاء متوردة .. عادت اصابعي تضم اليها جنيها ثانيا ، وتلقي في قاع الجيب بالجنيه الباقي .. يمكنني اقتراض جنيهين من رزق الله افندي .. اقترضت

الى ما لا نهاية

★

انـي الفـت حـلاوة الاغفـاء ... والفت صدرك طاويـا برحائـي
والفت ذاك الصوت يسكب حانيا ... همس الشفاه ورعشة الاحشـاء
اني الفتك يـا حبيبي رملـة ... تمتـد حتـى تحتوي صحرائـي
والفـت قلبـي معتبـا اقـداره ... والفت دربـي عاصفـا برجائـي
والفت دمع الشوق ينزف صامتا ... فيكـون بـرد صبابـة هوجـاء

حتى م امضي في طريقك عاثرا ... حتـى م ابصر في رضاك عزائي
فانـا الفتك صنو كـل نقيصة ... والفت فيـك رعونـة الاهـواء
واذا غرامك لم يكن لي خالصـا ... يكفيك انـك كنت رجع ندائـي

دمشق — سلافة العامري

منه ذات مرة حين مـرض ابـي واضطررت للسفر فجأة .. لكـن ابي لم يقبض مني شيئا اول الشهر التالي .. قال كفاك ما انفقته بسبب مجيئك المفاجيء .. هل يعفيني هذا الشهر مثلما فعل شهر مرضه ؟.. لو اني كتبت له اخر الشهر خطابا رقيقا اشكو فيه خصما غير متوقع فسوف يغفر ضني عليه بالجنيهين .. ويرضى بالجنيه المرسل اليه .

مشيت بخطوات اسرع حتـى صرت في محاذاتها .. هممت بالكلام دون ان التفت اليها .. ادرت لساني في حلقي مرات فعصاني .. الزمه الجفاف ان يتحرك بصعوبة .. بلعت ريقي مرارا .. ادخلت دفقة هـواء لارطب حلقي .. اخيرا لان لساني .. التفت اليها .. القيت الـى جانبها بصوت لا يكاد يسمع كلمـة واحدة : « رائعة » ..

استدارت ناحيتـي برأسها ... رمقتني بنظرة لم يستطـع طـرف عيني ادراك مغزاهـا .. ارتطمت قدماي .. كدت اتخلف عنها ... بذلت جهدا كي ابقى في محاذاتها .. في سرعة خاطفة انطلق صوتي اكثر وضوحا : « اعزب .. ووحيد .. و ... »

التفتت الي وعلى شفتيها بسمـة رشيقة . عادت تشيح عني والبسمة تتراقص فوق شفتيها .. رغم الدوار الذي راح يداعب رأسي .. اسرعت بالاقتراب منها ، حتى اوشك كتفي يمس كتفيها .. تحرك لساني ... قبل ان تنفرج شفتاي لتطلقا ما يريد النطق به .. شعرت بيـد ثقيلة تقبض على كتفي .. استدرت فزعا وقد اشتد وجيب قلبي .. الفيتني وسط رجال ثلاثة يرتدون معاطـف صفراء ويتنافسون في الامسـاك بساعدي .. وقفت بينهم ماخوذا اكاد لا اعي شيئا .. فمـن هؤلاء الرجال ؟ وماذا يريدون مني ؟ كنت امشي واذ بهم يمسكون بي دون كل المارة فهل هذا الطريق محظـور ان يمشي فيه الغرباء امثالي ؟ وكيف شموا في رائحة الغربة ؟.. توقـف بعض المـارة والقوا لي مـن وراء دائرة الحصار نظـرات شفقـة واستفسار .. مضى بعضهم وتلكـأ اخرون .. انفلت الرجال الثلاثة بعد ان لبثوا فترة صامتين ، يرمونني بكلمات ازدراء .. ارتجت اعماقـي هياجا وثورة .. هممت بالتخلص من بين اصابعهم التي توشـك ان تنغرز في لحمي ، مزمعا الصراخ في وجوههم « كلكم كلاب » . قبل ان افعل .. ارتفعت من بينهم يـد حانقة وهوت فوق وجهي في صفعة قوية .. مكثت لحظات مشدوها .. ترتعش اهدابي .. وتتجمع الدموع في عيني .. ثم ترنح جسدي .. وسرعان ما تداعى بين اذرع تلقفتـه قبل ان يرتطم بالارض .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الوهاب عزام وآثاره الادبية

تأليف الدكتور زكي المحاسني ـ ١٤٨ صفحة ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة

حين كنا نتلقى في أيام الدراسة تلكم المعارف المتنوعة التي يلـزم بها المنهج المقرر لموضوع تاريخ الادب الحديث الممتد من اخريات القـرن الفائت ، حيث دخل الادب العربي في طوق مرحلة جديدة تحفل بضروب التجديد في موضوعاته والابتكار في صياغته واسلوبه ، فصار أوثـق صلة بالحياة والمجتمع وأخذ بأسباب العفوية والجري على السـليقة وانأى عن التفصح والاداء اللفظي العقيم ، على غرار ما ألفه واعتاده طيلة القرون المظلمة في اعقاب سقوط الدولة العباسية وتعرض الثقافة العربية الاسلامية لغوائل الانحسار والركود ، لم يكن التعريف بأعلام الادب الحديث ونماذج من معطياتهم ونتاجاتهم ليتعدى الشامخين الثلاثة طه حسين والعقاد والمازني ، وكذا خيل لنا وقتذاك ان أولاء هم العمد الراسخة والاركان القويمة ، وعليهم المعول في استرفاد مناهل الادب الغزير واجتلاء اسرار لغتنا وعراقتها وحيويتها وقدرتها البالغة على التعبير والخلق والتجسيد والابانة عن ضروب المشاعر والعواطف والافكار والمعاني ، وان لا مناص من مطالعة كتبهم ومؤلفاتهم وايلائها تدارسـا وتمحيصا بالنسبة للناشىء الفتي الباحث عن الفكرة والاسلوب معـا ، بحسب ـ التقسيم التقليدي او التعريف المألوف الذي لقنه عن الادب مع ما سيق له ووضع في متناوله من تلكم النماذج الدالة والشواهد الحيـة .

وما يزال الايحاء القديم ذاك أمكن من افهام الكثيرين وأرسخ في أذهانهم وأثبت في عقولهم واسرع الى مواتاتهم حين تعجلهم الضرورات ومناسبات التحدث والافاضة في شؤون الادب والفكر وتتطلبهم بالحجة الدامغة والبرهان الثبت من بين جميع الخواطر والاراء الثاوية في أعماق الذاكرة ، ولا يخفى أن ما نتدارسه في المراحل الاولى من العمر من صنوف المعارف والثقافات يظل محتفظا بفاعليته وتأثيره القـوي ويكون له مثل فعل السحر على منازعنا ووجهات تفكيرنا ، حتـى اذا تقدمت بنا الحياة وقدر لنا ان نتدارس ضروبا اخرى من معطيات الافهام ونتاجات العقول فقد لا تحملنا ، رغم ما تكتنز به من الابداع والاصالة، على استهوان معارفنا القديمة والتفريط بها والتنكر لها واعتبارهـا من المخرقات والاضاليل ، وكذا يتعرف من يولع بالمداومة على القراءة في اعقاب مرحلة التحصيل الاولي ، متوهما او مستيقنا ، انه من أولاء الموهوبين المعدين للانتظام في رعيل الادبـاء والانخراط في صفهم ، ويقتضيهم ذلك ان يأخذوا ذواتهم بالدرس القاسي والمشقة الطائلـة .

نقول يتعرف هذا المولع الطامح على اعلام الادب العربي المحدثين من اخوتنا المصريين ، فهم قدوتنا في التحصيل والمراس ومعولنا فـي صقل الملكات وشحذ القدرات والايفاء بها على الخلق والابتداع ، ومن بينهم امين الخولي ومنصور فهمي وابو العلا عفيفي ومصطفى عبدالرازق وزكي مبارك واحمـد ضيف واحمـد امـين وعبد الوهاب عزام ، واذن فليس الشامخون الثلاثة يؤلفون وحدهم دعامة الادب العربي في مصر أو يقتصر صيده على نتاجهـم وحده، انما يقف الى جانبهم في حلبة الفكر آخرون قد لا يتدنون عنهم في رجحان الملكات وسموق الكفايات ، انما يظهر ان لالتحام الاعـلام الثلاثة بحياة الجمهور واقترابهم منه ، اذا جاز التعبير ، وتوثق صلتهم بالسياسـة ابان طور او آخر من اطوار حياتهم ، أبلـغ الاثر في ما احتازوه من استطارة الصيت وذيوع الشهرة ! حتى لقد أثر ذلك في واعية المشتغلين باعداد المناهج المدرسية في أكثر من قطر عربي وأوفى بهم على ترجيح اولاء في مجال الاستدلال بهم على الاسهام في النهضة الادبية المعاصرة والاقتصار على ماثوراتهـم في اختيـار النصوص والشواهد الملائمة لمختلف مراحل الدراسة ، وذا لا يحد من فرط الاعجاب بما يسم اسلوب طه حسين من الرشـاقة والعفويـة والترسل والطواعية مع ما يصحب ذلك من التصوير القوي والايقاع الجميل ، كما لا ينفي ما نتلمسه في تعبير المازني من الحيوية والنفاذ والاصالة والدقة والاحتفاء بالجمال الفني ، او ما يزين كتابات العقاد عموما من العمق والقوة والفخامة وكلها دالة نامة عن المراس الطويـل والتدارس المضني والثقة البالغة حد استهوان القارىء ، مما أضفـى عليهم بعض السمات والخصائص التي نتج عنها ايثارهم دون سواهم من جهابذة الفكر والادب بالايماء والاستدلال وخطوتهم بالتالي ان تزجى نماذج من معطياتهم ضمن مواد الكتب المدرسية مع ما يزجى عادة مـن نتاجات القدامى من اعلام الثقافة العربية في عصورها الزاهرة القديمة.

قد تجول كل هذه الخواطر في مخيلة القارىء وتراود ذهنه وهو يتصفح هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه مجموعة المحاضرات الموضوعية المنصفة التي ألقاها الدكتور زكي المحاسني على طلبة قسم البحـوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة عن سيرة استاذه الراحل الدكتور عبدالوهاب عـزام وأدبـه وخلقه وما أسلفه من آثار محمودة في دنيا الفكر والادب وخدمة العروبة والذود عنها وهي تواجه التيارات المريبة والنزعات الضارة ابـان حقبة عاصفة لا أحفل بالقلق والاضطراب من تاريخ العالم العربي وفي غمرة تطلعه وتوقه وانفتاحه صوب حضارة الغرب الوافدة .

ولا ريب ان الاحتفاء بذكرى الماضين من جبابرة الفكر وتخليد تراثهم وتمجيد كفاحهم والشهادة الصادقة لهم بحسن الصنيع على مـا قد يرادف مسيرتهم ، في الاضطلاع بوجائبهم والانتهاض بالتبعـات التي خصتهم الاقدار بحملها والتكفل بها ، من الاخطاء والشطحـات ومجانبة القصد من آن لآن والتنكب عن مسايرة الزمن ومجاراته والنزول على ضروراته ومقتضياته على شاكلة قد لا تكون موفية بهم على الجمود والركود وتقديس الرواسم القديمة والابقاء عليها والانطلاق منها فـي كل منزع او تصرف ، نقول ان الاحتفاء ذاك ومـا يواكبه من ضروب التخليد والتمجيد والشهادة ، دليل ساطع وقسـمة واضحـة ان الخلقيات السامية بدأت تشق دربها في حياتنا وتملي منطقها الصارم القوي في اهتماماتنا الفكرية والادبية ، حتى لقد شرعنا معها نعتـد نسيان الراحلين من المبدعين والملهمين والاغضاء عن ماثوراتهم ومبتدعاتهم من قبيل الجحود المشين والتنكر المعيب والعقوق الذي ينبغي ان نصدف بنفوسنا عنه ونميل بها عن الاقتراب منه على حد او طرف .

فكتاب الدكتور المحاسني عن استاذه عزام نفحة زاكية من نفحات الوفاء وأرج فائح بالمحبة والاخلاص والمثوبة الحسنة والاعتراف الجميل بالفضل حيال من أسهم في تنوير حياته ورسم معالمها وتحديد وجهاتها حتى لقد درج في معظم صفحاته على غمر روحه بأعطر ألوان الامتداح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثناء معبرا عن فرط اعجابه واعتزازه ، وقد يرق معه أسلوب استاذنا المحاسني ويشف في اكثر من موضع ويقترب من حد الحماسة المغالية والتأمين الواضح على جماع المنطلقات والمواقف التي دل بها الدكتور عزام في مراحل حياته والجهر بصوابها وسدادها وأخذها باهداب الحق والمنطق والنزوع والتطلع الشديدين لامكان مجاراته ومواكبته واقتفاء خطواته .

ففي المحاضرة المعنونة « ادب الدكتور عزام » التي دلل في استهلالتها ان « فن الادب لا يكون عند اصحابه الا بموهبة وثقافة وتجاريب وما نبغ فيه الكتاب والشعراء وأهل الفكر بغير تلك المواهب التي خلقت معهم تنميها الثقافة والخبرة الطويلة وتتحقق بالاختصاص والاتجاه » ، ليستدل من بعد ان الدكتور عزام من أولاء الذين كتب عليهم ان يسلكوا في عداد الادباء قصد التعبير عن النفس والحياة والاشواق الدينية ، وان لا معدى لهم عن الاضطلاع بحمل هاته الرسالة والنهوض بأسبابها ، ابان فترة كان فن المقالة هو المحبب المستهوى قبل ان تتجه الافهام والعقول الى الدراسات الادبية والمباحث الفكرية المطولة المبوبة في فصول ينتظمها كتاب ، واذ يزجي عبارات ضافية من مقالة الاديب عزام عن الهجرة النبوية للتدليل على اتسام ادبه بالاشراق والصفاء والسلاسة والصدور به عن قلب عامر بالايمان مفعم بالوجد زاخر بالمحبة والتعلق الشديد حيال الذكريات الاسلامية المجيدة دون ان يكون لالفته في طور او اخر لحياة الغربيين ، اذ لم تخدعه بوارقها وبهارجها ، صارف حائد به عن الولاء المأثور السلف الماضين والاعتزاز بما تولوا عنه من الفلسفات الاخلاقية والقيم الانسانية الباقية .

« من كان يظن ان الاقلام جفت والصحف طويت فليصغ ، فيسمع صرير الاقلام تخط في صفحات التاريخ الاسلامي فصولا جديدة ، ومن كان يحسب ان الينبوع نضب فليمعن النظر ليرى ان الينبوع فياض ، وان حجبته الادغال ، أو تراكمت حوله الرمال ، ومن أحس همود الحياة في نفسه وخمود الهمة في صدره وضعف الامل في قلبه ومرض البيان في لسانه فليرجع الى الهجرة وآثارها والاسلام وتاريخه ، فيقترف من هذا الينبوع أو يقبس من هذه النار ، ويقرأ في هذا الكتاب ، ويستمع الى هذا الخطاب ، يرجع الى نفسه حياتها والى همته وقدتها والى أمله قوته ، والى لسانه بيانه والى عقله سلطانه » .

وكان اشفق الدكتور المحاسني على استاذه الكريم ان يصمه المستمع أو القارىء بالصنعة اللفظية التي تكمن خلف هذا الاحكام البارع في رصف المفردات والكلمات ، حيث يستبين ان كل لفظة في العباراة المزجاة تلك ، حالة في موضعها لتؤدي وظيفة معينة ، يتحدد بها المعنى الذي يبتغيه وينهد لتجسيده والابانة عنه ، جاريا بها على ضرب من التاليف والتركيب يحوج لاستساغة الفحوى معه ، ان يظل المستمع او القارىء مشحوذ الذهن متهيئا للوعي بدلالة هذا التقسيم البدع .

فشفع ذلك بالقول « أن من شان الاديب المطبوع والذواق الفطن ان لا يعنت قراءه ويتعب مريديه بما يطرفهم به من آيات بيانه وفنون أدبه وكذلك كان الدكتور عبد الوهاب عزام استاذا في الذوق كما كان استاذا في الادب » ، ميلا به عن الانحاء عليه بالتزمت اللفظي واتهامه بالتدبيج العقيم ورميه بالافتعال والتصنع وكذا ينسب به الى الاصالة والذوق والفطنة والمعرفة بمخابر الالفاظ ودلالاتها ..

ويصح أن نعتبر محاضرته من القسم المعنون « عزام جواب الافاق » التي يرصد فيها لرحلة الدكتور عزام الى مدينة نيسابور مع حضار مؤتمر الفردوسي مؤلف الشاهنامة ، الفارسية ، المقام في طهران عام ١٩٣٤ ، نقول يصح اعتبار وصفه للرحلة تلك ، امتدادا لمحاضرته حول « عزام الصوفي وادب التصوف عنده » ، فقد افاض خللها ثانية ، بالحديث عن خلقية عزام واخذه نفسه دوما بالجد والبعاد بها عن مجالس الهازلين والعابثين ، وحملها على التسامي والترفع عما



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 تليفون :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشين من ضروب المغالطة والمماحكة ، والغموض والغرابة في الاطوار والمنازع ، انما حبب اليها السوائية في القصد والوضوح في النهج والصدق في القول والعمل ، فاذا انسل من رفقة الخيام العاكفين على الشراب في تمجيد ذكراه تحقيقا لما كان يتمناه ـ أي الخيام ـ أبان حياته من صب للخمرة على ترابة قبره من قبل الطائفين والزوار من مريدي شعره وفلسفته ومجاريه في الحيرة والتفكر في مسائل الوجود والعدم ، فليخلص من جمعهم الى جدث الشيخ فريد الدين العطار حيث « باء بغير ما باء به اصحاب الخيام ، والقلب خاشع والذكرى الجليلة آخذة على النفس آفاقها » ، كما ينص المرحوم عزام نفسه في كتاب ضمنه وصف رحلاته .

وكذا يمضي الدكتور المحاسني في التعريف بسيرة استاذه العظيم ، مسترشدا بكتبه ومؤلفاته ، مستبدلا بنصوص ضافية مما سطره قلمه حتى ليعفي ذاته من التعقيب احيانا ، لينفسح مجال القول والاقتباس من تراث صاحب السيرة العطرة ، فينقل لنا الترجمة الكاملة لقصيدة الشاعر الفارسي رشيد الياسمي في تحية الدكتور عزام .

ويتضمن الكتاب فصولا اخرى عديدة تتناول جوانب ومناح أخرى من حياة وادب مريده الدكتور عبد الوهاب عزام ، لا سيما آثاره الشعرية في المثاني والنفحات ، فعزام ، رغم ما شهر عنه من مراسه بفنون الكتابة الادبية ، فهو شاعر من أصحاب الاذواق :

ان في خلوة النفوس لأنسا ... ليس كفئا لخلوة كل نفس
هي في ضجة الانام سكون ... يسمع القلب عنده كل همس
وهي في فرقة النفوس اجتماع ... ترهف السمع عن كل حس
وهي في فسحة الخيال انطلاق ... دون قيد من الجليس وحبس
هي هدي العقول بعد ضلال ... في خداع من الحياة ولبس
هي في ظلمة الليالي ضياء ... لا تراه النفوس في ضوء الشمس
من يضق بالخلاء نفسا فاني ... أجد الخلوة الطويلة أنسي

وبعد فكتاب الدكتور زكي المحاسني واحد من الكتب النافعة المتكفلة برسم صورة بارعة لواحد من الرواد الراحلين من اعلام النهضة الادبية الحديثة في العالم العربي ، مت له ذات يوم ، وابان مرحلة من مراحل العمر ، بأكثر من آصرة او سبب ، فاستكنه طبيعته الشخصية ومزاجه النفسي وقبس من قيمه الاخلاقية ومبادئه الانسانية ، فترتب على كل هذه الاعتبارات والدلائل ان يجيء الكتاب محملا بالوفر مغتنيا بالجدوى ، مسعفا بالنسبة لمن لم يطلع على آثار عزام الادبية والفكرية ويعنى بتدارسها من قبل في امكان الوقوف على مجهوداته الطيبة المحمودة في نهضة البيان العربي وانطلاقه من أسر الركود والجمود ، وانفتاحه شطر الافاق الانسانية الرحبة والقيم الرفيعة الباقية .

الحلة ـ العراق ، **مهدي العبيدي**

●

بارانتيز

PARENTHESE

قصائد بالفرنسية للانسة هدى أديب ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مجلة الاديب ببيروت .

حين كتبت في مجلة « الاديب » دراسة تحليلية لشعر الشاعر الكبير الكبير احمد راسم وكان صديقا لصاحب « الاديب » ، يومئذ أيقنت ان الروح الشاعرة تظهر في أية لغة ، ولم يكن ليضير الشاعر احمد راسم ديوانه بالفرنسية . ثم أتي حين من الشهور كتبت فيه ـ في الاديب ايضا ـ مقالا عن ديوان « ضياء وشقاء » لاخي العميد الفيلسوف الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية ، بالمغرب العربي بالرباط ، ومنذ حين أرسل الي ديوانه الثاني بالفرنسية وقد سماه « صوتي ، باحثا عن دربه » فعكفت على تحبير دراسة له لتظهر في « الاديب » ، وتلك ظاهرة في لبنان وديار المغرب لم نعرفها في ديارنا الشامية ، وهي ظهور دواوين شعر بالفرنسية لشعراء أو شاعرات عرب ، اللهم ، الا ما ندر ، كما صنعت « كوليت الخوري ». وكنت منذ سنين بعيدة عرفت الشاعر هيكطور خلاط الذي فاض شعره بالفرنسية وشاركت بالاعجاب به الكاتب العبقري عمر الفاخوري ـ يرحمه الله .

وحضرت في السنة الفائتة ندوة شاعرة في عشية من عشايا انطلياس ، كان موضوعها الكلام على ديوان بالفرنسية للشاعرة « فينوس خوري » التي كانت أصابعها تداعب ديوانها وقد بدت ليلية الشعر مكحولة العينين فزاد شعرها اختلابا وحسنا .

واليوم يتحفني البريد وانا بضفاف بردى بدمشق بديوان شعر بالفرنسية جديد ، ألفته الشاعرة الملهمة « الانسة هدى اديب » بنت الصديق الغالي الاستاذ البير اديب .

لقد عاد بي هذا الديوان الى ثلاثين عاما ، خلت ، حين أصدر والد الشاعرة ديوانه الفكري الذي سماه « لمن ؟ » ويومئذ شرحت هذا العنوان بشروح كان أحدها ما أعانني عليه الفيلسوف الاغريقي الجوال « ديوجينيس الكلبي » الذي كان يحمل في رابعة النهار مصباحا متقدا ، فيسأله المارة :

ـ فيم تصنع ذلك ؟ .

فيجيب في غير تصنع جوابا كان لا يريم عنه لدى كل سائل :

ـ أبحث عن الرجل !

الرجل المجهول النادر في مثاله ، الذي لا يضمه الوجود .

وكذلك كان ديوان الاستاذ الكبير البير أديب « لمن ؟ » مدعاة للبحث عمن يفهم هذا الشعر الطلق المرسل ، الذي وفق فيه وحده في هذا العصر ، وضل في هذا الشعر السبيل اكثر من عانوه حتى يومنا هذا .

وكذلك يطلع علينا ديوان « هدى أديب » بالفرنسية وعنوانه « بارانتيز » وقد رحبت لأترجم هذه الكلمة أو لاعربها ، ان جاز لي دون المجامع العلمية والادبية حق التعريب ، وان من أغرب العناوين هذا العنوان . فنحن نقول : تكلم زيد كلاما في صدد ثم جاء بكلام معترض يصح ان يوضع بين قلامتين فيكون جملة اعتراضية أو معترضة، فهل كان موضوع هذا الديوان الجميل كصاحبته ، قد اتخذ قصائده برمتها اعتراضية ، أي آتية في سياق الحديث الكبير ، وما أحسب الحديث الكبير الا كلام الوجود ومنطق الدهر وشعر الكون . ولعل علماء البلاغة العرب قد حذقوا وصف الجملة الاعتراضية حين قرروا في بيت امريء القيس هذا الاعترض ، حيث يقول مخاطبا بسباسة ابنة عمه التي كان يعشقها ، فدعا أن يمطر المطر أرضها ، شريطة ان لا يغرقها بالماء :

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

فكانت الجملة المعترضة او الاعتراضية : قوله « غير مفسدها » ... وديوان « هدى » شعر وجداني بحت ، يموج بالافكار والخواطر المادة المتراوحة بين التأمل والفلسفة التي لا تضني العقل ، فكأنه أنغام مسلسلة مصفاة ، وان وزن الشعر الفرنسي ـ La verification وكان فيكتور هوغيو يحذقه كل الحذق حتى نظم على كل أوزانه ، ولا اجد وزن الشعر الفرنسي يند عن وزن الشعر العربي الذي جاء به الخليل بن احمد الفرهوديّ ، ولعلي محاول وضع أبيات من القصيدة الاولى بديوان « كلمة معترضة « لهدى أديب » بالشعر العربي وعنوان القصيدة « ملال ، من أنفسنا » .

رهن انتظار جاءني الملل ... وغدا السكوت يضيمه الصخب

وذبابة طافت مدمدمة ... لا يرتجى في دفعها ارب
والشعر ملفوف لتسلية ... حول الاصابع ناله التعب
والذكريات أتت تخالطني ... ومن الملال اللهو ينسكب
أخفيت في عيني شعاع منى ... في طيه الآمال تحتجب
هذي دموعي وهي شاجية ... بات الدجى فيهن ينتحب
يا نظرة شردت لتلهيني ... فأتى الملال يسوقه العجب ..

وهي قصيدة يدور كلام الشاعرة فيها حول السأم والتأمل في اجواف التثاؤب .

ولست أجور على الشعر ، فان نقله من لغة الى لغة ثانية اعنات وحمل له على الضيم ، وقد أثار خيالي كلام الشاعرة على الذبـاب المطنطن الذي يجتذب سمع الصمت ، فذكرت عنترة العبسي في شعره الممراح الجاهلي ، حيث يقول في دار عبلة :

وغدا الذباب بها فليس ببارح ... هزجا كفعل الشارب المترنم
أبدا يحك ذراعه بذراعه ... فعل المكب على الزناد الاجذم

والديوان تناسق أنغام ملائكية ، وصور وتلاوين استطاعت قريحة الشاعرة الموهوبة الانسة « هدى أديب » أن تسكب فيها الحياة في أطر سابية ، فكأنها من صنع مصور ماهر وقد اتخذت الشاعرة اسماءا رمزية لبعض قصائدها كقولها :

في فضاء الراحة ، وبصمات في سواد

اما قصيدة « معترضة » Parenthèse فجاءت في أواخر الديوان تقول فيها :

في الساعة المتراوحة
الجاثمة في الانتظار
في برهة تثور
وساعة رهن المثول
والازاهير هي الازاهير
هفقن في نهار واحد
يصعدن الرؤوس
ثم انثنين ذابلات

وتسيطر على الديوان في اكثر قصائده كلمات السأم والملال والانتظار ، وهذا دليل مكين بأن قلب الشاعرة مهما يخامره الضجر فهو ينتظر بزوغ الشمس الساطعة في النهار الكبير .

فلشاعرتنا أطيب الشكر على هديتها ، ولا عجب فانها زهرة فواحة في روض اخي الاستاذ الكبير البير أديب حقت في صفاتها مخايل النبوغ وكم رحت أتمنى لو أني اجيد عمل الشعر الفرنسي مثلها فاكتب لها قصيدة تحية لشعرها وكفاءا لنبوغها وخلقها الرفيع وتقديرا لعبقريتها الادبية .

دمشق — زكي المحاسني

o

١ ـ انها لذكرى

تأليف العلامة السيد شاكر البدري ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المدرسة الآصفية العلمية الدينية ـ مطبعة دار البصرى ببغداد

هذا هو عنوان الكتاب الذي أصدره فضيلة العلامة السيد شاكر البدري واعظ لواء بغداد وهو من منشورات المدرسة الآصفية العلمية الدينية في بغداد والكتاب يبحث باختصار عن تاريخ مدينة القدس منذ بناها « مليكصادق » احد ملوك اليبوس من العرب القدامى وذلك قبل السيد المسيح بثلاثة آلاف سنة الى يومنا هذا ، وقد عكف المؤلف على بعض المصادر القديمة كمعجم البلدان لياقوت الحموي والسيرة النبوية لابن هشام ، والنوادر السلطانية لبهاء الدين بن شداد ، كما استقى من بعض المصادر الحديثة اخص بالذكر منها : « لقاء عند بوابة مندلبوم » للاستاذ احمد فوزي عبد الجبار و « تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم » للاستاذ محمد دروزة وغيرهما من المصادر الحديثة . وبعد ان يتكلم المؤلف عن المسجد الاقصى وقبة الصخرة وكيف ان صلاح الدين الايوبي اعاد اليه روعته وهيبته بعد ان أنتابته يد التغيير يأتي بقصيدة تتجاوز ابياتها المائة بيت يسرد فيها قضية مدينة القدس ، وانها لقصيدة رائعة تتأجج فيها العواطف الثائرة والايمان الصادق باعادة الحق الى اهله ويصف كيف ان السيد المسيح عليه السلام قد لاقى الامرين من اليهود فيقول :

في فترة قام بالتبليغ منذرهم ... (عيسى ابن مريم) ذاك السيد السند
حاشا (المسيح) وحاشا ان تدنسه ... يد اليهود وقد غلت بما حقدوا

الى ان يقول :

واتخذوا من مقام القبر مزبلة ... قمامة بأذى الاقذار تقتصد
حتى أتت بجيوش الروم مسرعة ... (هيلانة) بأجيج النار ترتعد
فشتت شمل (صهيون) وعصبته ... وطهرت قبره من رجس ما حشدوا

ومن ثم نراه يشيد بالمسلمين الاوائل وباقدامهم وشجاعتهم وكيف ان النصر كان حليفهم :

ما فر جيشهم المقدام من فزع ... كلا ولا ردهم عن قصدهم احد
يسير في مهمة الاخطار مقتحما ... سوح المآمع لا ينتابه الكمد

الى ان يقول :

سل عنهمو الدهر بل سل كل نازلة ... وسل دروب لقاهم حيثما وجدوا

ومن ثم يتحدث عن نكسة ٥ حزيران وعن مجلس الامن ، ومن ثم يدعو الى الوحدة والتكتل والتمسك بالايمان :

فاجمعوا امركم تحظوا بوحدتكم ... واستمسكوا بعرى الايمان واعتمدوا

وعلى ذكر الايمان يحضرني قول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام : (... ان كان لكم ايمان ولا تشكون ... ان قلتم لهذا الجبل انتقل واهبط في البحر فانه يكون ذلك) انجيل متى الفصل ٢١ : ٢١ .

وفي ختام كتابه هذا يدعو المؤلف الفاضل الى الجهاد في سبيل الله ويذكر المسلمين بتلك الانتصارات والفتوحات العظيمة التي احرزها المسلمون الاولون ، ويختتم هذا الكتاب بخير ما يختتم به بحث وهو قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وان الله لمع المتقين المحسنين) .

٢ ـ مصطفى صادق الرافعي

تأليف الدكتور كمال نشات ـ ١٥٢ صفحة ـ سلسلة اعلام العرب ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

كان مصطفى صادق الرافعي علما من أعلام الادب وشاعرا وكاتبا واديبا ومؤرخا ، واماما من ائمة الدين خدم العربية خدمة صادقة ، وترك بوفاته فراغا كبيرا ، فقد كان يرن صوته في اصداء الزمن فتتجاوب صداه في اقطار العروبة ، نرى في كتاباته ونحس بآنات الموجعين ، ونلمس في ثنايا سطوره صرخات المتألمين ، ودموع البائسين ، فقد صور لنا في كتاباته الحب القدسي الطاهر ، والانسانية السامية والبشرية المتألمة ، وصور الحياة بافراحها واترحها ، ببؤسها ونعيمها ، بحبورها وشقائها .

كان الرافعي يمثل عصرا من عصور الادب ، وجيلا من اجيال الطهر والقداسة ، ونمطا فائما بنفسه من الاباء والفخر .

لقد كان في اسلوبه الفن العميق ، والتعبير الدقيق ، والاداء

الواضح ، وهو يترجم ما تجيش اعماق نفسه من خفايا فيسجلها في سطور تأخذ بمجامع القلوب وترتفع الى قمة المجد والخلود .

والدكتور كمال نشأت احيا صفحة مشرقة من تراثنا العربي الخالد عندما جمع لنا في كتابه هذا بعض الاشتات التي ربما كادت ان تضيع في مهاوي النسيان ولانفض هذا العقد الجميل الذي لا يمكن جمعه ان عفت عليه الايام ودارت عليه الدهور . كما ان للدكتور شوقي ضيف الفضل في استنهاض همة الدكتور نشأت للكتابة عن الرافعي وادبه ، فالرافعي منذ اكثر من ربع قرن لم يلتفت ولم يعن بدراسته احد ولم يحتفل بذكراه على مر السنين .

لقد قسم المؤلف الكتاب الى فصول فتكلم عن حياة الرافعي فى عام ١٨٨٠ ووفاته في عام ١٩٣٧ ، وعن المرأة في حياته وعن مناظراته مع العقاد وطه حسين وعبد الله عفيفي ، وعن مؤلفاته ودواوينه وفنه الادبي ككاتب وقاص وشاعر وناقد ، وفي نهاية الكتاب استشهد بنموذج كامل من أدب الرافعي تحت عنوان « الربيطة » .

والشيء الذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب هو تحليل المؤلف لنقد الدكتورة نعمات فؤاد للرافعي فقد اماط الدكتور نشأت اللثام عن التحامل البعيد عن النقد الموضوعي ، فمرة تعيب الدكتورة نعمات على الرافعي فقره ومرة اخرى مرضه وثالثة عدم ولائه لمصر لانه تبرم بالحياة ومما جاء في رد الدكتور نشأت ان حافظ ابراهيم ايضا باستطاعتنا ان نتهمه بانعدام الوطنية وهو القائل صحيفة (٢٠) :

وما انت يا مصر دار الاديب ... وما انت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب ... اقال اليراع ولم يكتب

اما عيبه عليه مرضه فقد استشهد المؤلف بأن كثيرا من الفنانين والادباء الكبار أمثال ديستوفسكي وكافكا وبيتهوفن وغيرهم كانوا يعانون من امراض قاهرة ولم ينقص ذلك من ادبهم شيئا .

وفي صحيفة (٨٤) يقول المؤلف : والرافعي يعيش في جو من التعبير الجزل والصياغة المحبوكة بحيث يخيل اليك وانت تعيش معه فيما كتبانك تعيش مع كاتب عباسي ويستشهد بقول الاستاذ محمد سعيد العريان « تقرأه فتحسبه رجلا من التاريخ قد فر من ماضيه البعيد وطوى الزمان القهقرى ليعيش في هذا العصر ويصل حياة جديدة بحياة كان يحياها منذ الف سنة او يزيد في عصر بعيد » .

وفي صحيفة (١٠٣) يذكر المؤلف تحامل الدكتورة نعمات فؤاد على الرافعي وتتهمه بانه كان بمنأى عن موسيقى الالفاظ وغير قادر على تذوق جرسها .

ويجيب الدكتور نشأت ان ميزة الرافعي الكبرى انه أديب صاحب اسلوب تتحقق فيه خصائص الاسلوب الادبي العالي ، ومن خصائص الاسلوب الادبي الايقاع وادب الرافعي كله يدل على سلامة جرسه اللفظي ...

اما ما يؤاخذ عليه المؤلف فهو بعض المكرر المعاد فعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صحيفة (٣٧) حبه لي وانه اخبر زوجته بهذا الحب الطاهر ، وقد سبق تكرار هذا في صحيفة (١٤) .

والان لنقف مع الدكتور نشأت على بعض الابيات المختلة الوزن في صحيفة (١٢١) وعلى ما اعتقد ان القصيدة من بحر (المتدارك) :

سألت كيف رأى وجهها ... فقال جل الله فيما خلق

والصحيح وجهها حتى يستقيم الوزن ، وربما كان الخطأ مطبعيا .

ولكن في بيت اخر :

قلت وذاك الثغر ما امره ... فقال لما ذكرتك انطبق

ان اذني الموسيقية تأبى ان يكون هذا العجز مستقيما مع شطره . هذا وان هذه الهنات الهينات لا تحط من قيمة هذا الكتاب القيم الذي يستحق الثناء ويستاهل التقدير .

بغداد — عبدالخالق عبدالرحمن



ظهر حديثاً

● ليالي الفندق ـ تأليف بولس سلامة ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ مطابع دار الكتاب اللبناني ببيروت .

● من القصص العالمي ـ ترجمة عيسى الناعوري ـ مراجعة : محمود سيف الدين الايراني ، جريس القسوس ، حسام الدين اللحام ـ ٢٣٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر بعمان ـ المطبعة الوطنية بعمان .

● كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق ـ تأليف ابو نصر الفارابي ـ حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محسن مهدي استاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة شيكاغو ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● عروبة لبنان ، تطورها في القديم والحديث ـ تأليف محمد جميل بيهم ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● عاشها كلها ـ تأليف الدكتور كاظم الداغستاني ـ ٣٢٨ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع المتني بفرن الشباك لبنان .

● قضية فلسطين ـ تأليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع القصيم بالرياض .

● نشيد الكون ـ تأليف تيار ده شاردن ـ ترجمة الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي والخوري فرنسيس البيسري ـ ١٤٦ صفحة ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● اثنان في واحد ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور علي الناصر ـ تقديم الدكتور عبد السلام العجيلي ـ اللوحات بريشة عدنان ميسر ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات دار الرائد بحلب ـ مطبعة الشرق بحلب .

● الدفن بلا ثمن ـ مجموعة قصصية ـ تأليف سهيلة الحسيني ـ رسم الغلاف جاسم مصطفى ـ الرسوم الداخلية بريشة سلمان داود الشهد ـ ١٣ صفحة ـ مطبعة راشد ببغداد .

● الزجاجة والذباب ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الله رستم ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة عقيل الحديثي ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● أيام العطالة ـ مسرحية في أربعة فصول ـ تأليف أدمون صبري ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ تأليف عبد الحليم الندوي استاذ الادب العربي بالجامعة الملية الاسلامية في نيودلهي ـ ١٨٨ صفحة ـ مطبعة نوري المحدودة في مدراس بالهند.

● Ibn Khaldûn - par Mohamed Aziz Lahbabi, Doyen de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Rabat - 200 pages - Collection «Philosophes de tous les Temps» — Editions Seghers, Paris.

● Parenthese - poêmes - par Mlle Hoda Adib — 80 pages — Editions Revue Al-Adib, Beyrouth, Liban — Imprimerie Minute Presse, Beyrouth.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سليم وبشاره تقلا مؤسسا الاهرام

بقلم نقولا يوسف

* * *

يعزو المؤرخون للصحافة العربية نجاح جريدة « الاهرام » كبرى الصحف العربية المصرية اليومية، وبقاءها الى اليوم عاملة متجددة فتية ، تواصل مسيرها قدما في مثابرة وثبات ، منذ ولادتها بالاسكندرية يوم ٥ من آب (اغسطس) ١٨٧٦ ـ او منذ تسعين ونيف من السنين ـ الى ذلك الاساس الوطيد الذي ارساه منشئاها الاولان : سليم وبشارة تقلا ، الموهوبان سجايا الكفاح والجلد وصدق العزيمة ، والاخلاص في العمل والخدمة العامة ، الى جانب الحاسة الصحفية التي دعت الى المرونة السياسية في اجتياز المآزق ، والمرونة الضرورية التي يفرضها تجدد الحياة وتطورها .. والوداعة الانسانية التي لا تستنكف من مشاركة العامل في صف الحروف والطبع والتوزيع وما أشبه ..

في مطلع العام الحالي استقرت « الاهرام » في دارها الجديدة الشامخة بالقاهرة واصدر محرروها المعاصرون في هذه المناسبة « عددا خاصا » ألحق بها يوم ١٠ من يناير ١٩٦٩ مشتملا على كلماتهم التاريخية وذكرياتهم ، واصلين الحديث بالقديم ، ومشيدين بذكر العاملين السابقين واللاحقين .. ثم عادوا في اعداد تالية فقصوا أثر الجريدة في سيرها المطرد خلال تلك السنين (١) .. وما زال اسما الاخوين سليم وبشاره تقلا يطالع قراء الجريدة في أعلى صفحتها الاولى مع عام التأسيس ..

فأوحت هذه الذكريات بالمشاركة في هذا التاريخ ، بنشر الكلمة التالية وهي احدى فصول كتاب وضعته منذ عهد قريب ولما يطبع بعد عن « اعلام الاسكندرية قديما وحديثا » وعددت فيه كلا من المرحومين سليم وبشارة تقلا بين اعلام هذه المدينة في عصرها الحديث .. فقد عرفنا عام البلدة بالمواطن الذي قضى بها زمنا مثمرا ، أتيح له فيه الاندماج في مجتمعها والتأثر بحياتها ، ثم ترك بعده في تاريخها اثرا واضحا ما برح يذكره به اهلها .. وهنا لا تسبق اهمية المولد او الوفاة في البلدة قيمة الاثر النافع ، الخالد الذكر .. ولقد عاش سليم تقلا بالاسكندرية منذ ان هاجر اليها عام ١٨٧٥ حتى وفاته عام ١٨٩٢ اي سبع عشرة سنة موفورة ، وعاش بها بشارة تقلا منذ هجرته اليها حتى انتقاله مع الاهرام الى القاهرة نحو ربع قرن .. وكانت « الاهرام » وملحقاتها من صحف ونشرات وكتب تطبع وتصدر بالاسكندرية .. كما كانت من معالمها البارزة ومراكز اشعاعها ..

سليم تقلا ١٨٤٩ ـ ١٨٩٢

ولد سليم تقلا منشىء صحيفة « الاهرام » في كفرشيما بلبنان عام ١٨٤٩ أيام الحكم العثماني ، وعام وفاة محمد علي والي مصر ..

ونقف هنا برهة لنحيي هذه البلدة الصغيرة « كفرشيما » مسقط رأس الشقيقين سليم وبشاره تقلا ، الجاثمة جنوبي بيروت بجوار « الشويفات » على الطريق الممتد قريبا من البحر المتوسط سائرا الى سهول صيداء .. فقد أنبتت هذه القرية خلال القرن التاسع عشر طاقة زاهرة من اعلام الادب والصحافة . فيها ولد الشيخ ناصيف اليازجي عام ١٨٠٠ وابنته الشاعرة وردة اليازجي ١٨٣٨ وبها نشأ ابناه الشيخان ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ وخليل اليازجي ١٨٥٦ وفيها ولد من آل شميل الادباء ، أمين شميل ١٨٢٨ ودكتور شبل شميل ١٨٥٠ وسبع شميل ١٨٦٨ ورشيد شميل مؤسس جريدة البصير بالاسكندرية .. وغيرهم .. وفي هذا العصر برز منها الشاعران المهجريان الشيخ سعيد اليازجي والياس فرحات .

ودرس سليم تقلا اللغة العربية على الشيخ نصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني ، واختارته « المدرسة البطريركية » لتدريس اللغة العربية بها ، وشب اديبا محبا للمطالعة والكتابة ونظم الشعر (٢) ـ ولكنه كان يحس كغيره من أهل القلم والفكر حوله بوطأة الحكم التركي ، وحجره على اقلامهم وآرائهم ، فانضم الى موكب المهاجرين الى مصر وغيرها من الاقطار التي كانت تتمتع بحرية نسبية ..

وفي عام ١٨٧٥ قبيل تولي عبدالحميد الثاني السلطنة ، وفي اواخر حكم الخديوي اسماعيل بمصر ، ارتحل سليم تقلا الى الاسكندرية واستوطنها الى اخر حياته . وكان في السادسة والعشرين من عمره .. وشرع عقب وصوله اليها في انشاء مطبعة وجريدة تحملان اسم «الاهرام» أشهر الآثار المصرية .. واتخذ لهما دارا في حي المنشية ، وبدأ باستصدار الرخصة من « نظارة الخارجية » المختصة يومذاك بمثل هذا التصريح .. واستفسرت النظارة عن محتويات الجريدة واهدافها خشية خوضها في « السياسة » الداخلية لحكومة اسماعيل .. فشرح سليم اغراضه ، « ان الجريدة الملتمس انشاؤها تحتوي التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية ، وكذا من المقاصد طبع كتب كمقامات الحريري وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والاشياء التاريخية والحكم والنوادر ، والاشعار والقصص الادبية وما شاكل ذلك من الاشياء الجائز طبعها بدون ان اتعرض مطلقا في الامور السياسية .. » وتعهد بمراعاة قانون المطبوعات . وبذلك منحته النظارة الترخيص المطلوب ، وكتبت الى محافظ الاسكندرية بموافقتها في ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥ وعد هذا التاريخ بدء تأسيس الجريدة (٣) ...

ولم تكن جريدة الاهرام اول صحيفة عربية تصدر بالاسكندرية او غيرها من بلدان الشرق العربي ، ولكنها تفردت بالاستمرار والتجدد وطول العمر بين جميع ما أصدره الافراد بجهودهم الشخصية .. فمما سبقها بالاسكندرية جريدة « الكوكب الشرقي » التي أصدرها سليم حموي في ٦ أغسطس ١٨٧٣ « سياسية أدبية أسبوعية » ـ وأتبعها بصحيفة يومية سماها « شعاع الكوكب » في نهاية العام نفسه ، وكانت تجامل الخديوي اسماعيل ومع ذلك عطلها لغير سبب واضح ، فعاد بعد فترة وأخرج جريدة « الاسكندرية » الاسبوعية عام ١٨٧٨ ، واحتجبت بعد قليل .. بينما كانت تصدر بالقاهرة صحيفة « وادي النيل » لصاحبها عبد الله ابو السعود منذ ١٨٦٧ مدافعة عن الخديوي، وتوقفت في اواخر عهده لتعود الى الاسكندرية عام ١٩٠٨ جريدة وطنية جديدة ثم احتجبت بعد بضع سنوات .. أما أقدم الصحف العربية على الاطلاق : « الوقائع المصرية » التي بدأت عام ١٨٢٨ في عهد محمد

تلي وما زالت تصدر الى اليوم ، فهي جريدة حكومية تعينها اموال الدولة لنشر القرارات والقوانين الرسمية (٤) ..

وفي تلك الاثناء ، عقب وصول سليم تقلا الى الاسكندرية ، لحق به أخوه بشاره تقلا ، وتعاونا على انشاء المطبعة والجريدة ، وظلا نحو سبعة اشهر يعدان المطبعة ومسبك الحروف ومصنع تغليف الكتب وما أشبه ، ويعلنان عن الصحيفة ويصدران نماذج لها .. ثم صدر العدد الاول من « الاهرام » يوم ٥ من أغسطس ١٨٧٦ ، جريدة اسبوعية تصدر بالاسكندرية كل سبت في اربع صفحات متوسطة الحجم ، حسنة التبويب ، نسقت فيها الاخبار المحلية والخارجية ، واللوائح والقضايا ، الى جانب المقالات الاجتماعية والادبية التي كان يختص سليم تقلا بمعظمها .. واستهل العدد الاول بكلمة صحفية جاء بها :

« هذا هو العدد الاول من السنة الاولى لجريدة الاهرام ، المرعية بعناية الحكومة السنية ، والمستعدة الاستعداد التام لان تجعل من يتصفح صفائحها واثقا بما يطالعه ، لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة ، فتوفي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور ، والاستقبال مشاهد . فعلى اولى الغيرة والهمة مد يد المساعدة الادبية المنتجة المادية . وذلك بالاقدام على الاشتراك فنتشجع ولا نبالي بالصعوبات الابتدائية كيف كانت . وعلى الجمهور ان يلاحظ من عدد الى عدد التقدم الذي يحدث بالتدريج . فانه من المؤكد ان كل ابتداء صعب ، وان ثبات البناء موقوف على رسوخ الاساس واحكامه .. »

ويبدو ان الجريدة لم تظفر في اول عهدها بمعونة مادية سواء من الحكومة ام من موارد الاعلان ، بقدر ما ظفرت بالتعضيد الادبي من جانب المثقفين وكان في مقدمة المرحبين بها الاستاذ الشيخ محمد عبده قبيل تخرجه في الازهر ، والذي كان اقرب التلاميذ الملتفين حول السيد جمال الدين الافغاني في اثناء مقامه فيما بين ١٨٧١ ـ ١٨٧٩ وكان السيد في دعوته الى الاصلاح والنهوض بالشرق يحث تلاميذه على الكتابة في الصحف لتنوير الرأي العام ، واشتهر منهم الامام محمد عبده وسعد زغلول وأديب اسحق وغيرهم .. وبدأ محمد عبده ينشر في الاهرام بوكير مقالاته ورحب بها سليم تقلا ونشرها تباعا . وكانت أولاها في سبتمبر ١٨٧٦ تحية للصحيفة الجديدة كتبها بالاسلوب التقليدي القديم ومما جاء بها : « .. جريدة الاهرام المؤسسة على أحكم قواعد الاحكام ، الكاملة بارشاد المسترشدين وتنبيه الغافلين .. تنادي بمقالها وحالها : حي على الفلاح ، وهلموا الى موارد النجاح ، لا تقفوا عند صورة المبنى ، ولكن تجاوزوا عنه الى المعنى ... » ثم كتب بعد هذا التقريظ اربع مقالات بعناوين : « الكتابة والعلم » و « المدبر الانساني والمدبر العقلي الروحاني » و « العلوم العقلية والدعوة الى العلوم العصرية » و « التحفة الادبية » ـ ويرى احمد أمين (٥) أن هذه المقالات « تدل على تأثره بالكتب الفلسفية الشرقية التي درسها ، وعلى رغبته الخيرة في الاصلاح ، وعلى ما يبشر بالخير منه ، اكثر مما تدل على اسلوب قوي وبلاغة ممتازة . ثم اتصل بالصحافة اتصالا قويا بعد ان نال شهادة العالمية .. »

واذا كان الامام محمد عبده قد بدأ حياته القلمية على صفحات الاهرام منذ عامها الاول ، فقد تبعته هناك على مر سنيها المئات من اقلام الكتاب والشعراء والعلماء وشيوخ الدين والزعماء الوطنيين والساسة والاقتصاديين ـ التي كان يرحب بها سليم وبشاره تقلا ومن سار على نهجهما ـ مما جعل مجلدات هذه الصحيفة سجلا لتطور الحياة الادبية والمادية في الشرق العربي بخاصة ، خلال تلك الاعوام التسعين ونيف يرجع اليه المؤرخون للاقلام وعصورها ، واهتماماتها وتطوراتها ..

ويحدث ان يخرج سليم تقلا صحيفته في وقت كان فيه الجو السياسي خارج البلاد وداخلها معا عاصفا مضطربا . فكان عليه ان يسير بقاربه وسط التيارات العنيفة في حذر ويقظة .. ففي الخارج ، وبخاصة فيما يتعلق بالدولة العثمانية التي كان يرتبط مصيرها بمصير الشرق العربي ، كانت ترد الانباء منذ عام ١٨٧٥ عن ثورات دول البلقان المطالبة بالاستقلال ، وتأييد روسيا لها ، وتحرك « المسألة الشرقية » .. وكان حزب « تركيا الفتاة » يطالب بالاصلاح .. وتتلاحق الحوادث فيخلع السلطان عبد العزيز في مايو ١٨٧٦ ثم يقتل ، ويخلفه مراد الخامس فيخلع ايضا بعد ثلاثة اشهر ، ويعقبه عبد الحميد الثاني وحكمه الدموي ، وتعلن الصرب والجبل الاسود ثم روسيا الحرب على تركيا عام ١٨٧٧ ويحتل الروس أدرنه ويهددون القسطنطينية ، ثم يعقد الصلح .. ويتدخل الانجليز ...

ويرى سليم تقلا ان جريدته « الاهرام الاسبوعية » لا تساير الانباء المتلاحقة ساعة بعد اخرى ، فيصدر معها صحيفة يومية في ٣ سبتمبر ١٨٧٦ سماها « صدى الاهرام » .. كانت توزع نهارا وليلا وبها اخر انباء الحرب والاخبار المحلية والمقالات .. وعطل اسماعيل هذه الجريدة بعد سنتين من ظهورها لانها انتقدت تصرفاته وانتصرت للفلاح المظلوم .. فاصدر سليم عام ١٨٧٧ جريدة اخرى سماها : « حقيقة الاخبار » لاذاعة الانباء « التلغرافية » .. واعقبها بصحيفة « الوقت » التي أغلقت في الثورة العرابية . وفي هذه الصحف جميعا كان يبدو الانحياز واضحا نحو الدولة العثمانية في محنتها ..

اما في داخل البلاد المصرية فكانت الازمات المالية والمشكلات السياسية والثورة الفكرية ، تزداد تفاقما بسبب طغيان الخديوي اسماعيل واسرافه ، واستدانته من الدول الاوروبية وعجزه عن تسديد الديون ، وفرضه الضرائب الثقيلة على الفلاح وسائر افراد الشعب ، وأدى عجزه هذا الى تدخل الدول الاجنبية في شؤون البلاد حتى اصبح لها مراقبان في الحكومة ثم وزيران .. واستصدرت الدول امرا من سلطان تركيا بعزل اسماعيل وتولية ابنه توفيق مكانه ، فرحل الى ايطاليا في ٨ من اغسطس ١٨٧٩ لتبدأ احداث وازمات جديدة ..

وفي خلال تلك السنوات الثلاث الاخيرة من حكم اسماعيل ، والتي عاصرها سليم تقلا وصحفه الجديدة ، كان وهو العربي الوطني الحريص على مصلحة الشعب ، والراغب في تحرره من اشكال الطغيان ، ينشر المقالات بقلمه وبأقلام الكتاب في نقد تصرفات الخديوي ، واستبداده بالرأي ، واسرافه في البذخ ، وظلمه للفلاح ، ويحمله مسئولية التدخل الاجنبي في شئون البلاد ، ويطالبه بصحافة حرة وبمجلس للشورى ..

ولما نشرت « صدى الاهرام » مقالة انتصرت فيها للفلاح المظلوم ، أمر اسماعيل بتعطيلها ، وبالقبض على صاحبيها ، فأفلت سليم وسجن بشارة ، وظل محبوسا ثلاثة ايام حتى أفرج عنه وعن الجريدة بوساطة بعض الكبراء ومنهم توفيق ابن الخديوي الذي كان قبل توليه الحكم يعطف على الحركة الاصلاحية وعلى السيد جمال الدين الافغاني ثم تنكر لدعاة الاصلاح ولمبدأ الشورى عقب حكمه .

ثم عاصر سليم تقلا حكم الخديوي توفيق من بدايته عام ١٨٧٩ الى نهايته ١٨٩٢ وهادنته صحفه اول الامر وهو من حماها من بطش أبيه ، متوقعة شيئا من الاصلاح والتغيير على يديه .. وكانت المصاعب تكتنف البلاد من كل جانب ، فالخزانة خالية ، والتجارة كاسدة ، والجيش يعوزه التنظيم ، والشعب ساخط .. ومع ذلك عمد توفيق الى الاستئثار بالسلطة ، ورفض مقترح وزيره شريف بجعل الحكومة شورية نيابية ، وجدد « المراقبة الثنائية » ، واذن للمراقبين الانجليزي

---

(١) الاهرام ١٠ يناير ١٩٦٩ مقالات لمحمد حسنين هيكل ، وتوفيق الحكيم ، ودكتور حسين فوزي ، وتوفيق بحري وغيرهم .. وفي ١١ يناير لدكتور ابراهيم عبده .. وفي ١/١٧ دكتور لويس عوض ـ و ١/٢٩ لاحمد بهجت .. (٢) كتاب « تاريخ الصحافة العربية » لفيليب طرازي في أربعة اجزاء (١٩١٣ ـ ١٩٣٣) جـ ٣ عن الاهرام واصحابها ـ وكتاب « مشاهير الشرق » لجورجي زيدان ١٩٠٣ ..

والفرنسي بحضور جلسات مجلس النظار ، كما قبض على السيد الافغاني ونفاه من مصر ، وتجاهل روح الاستياء المتفشي في الجيش الذي يترأس عليه الجراكسة ، والمطالب بالاصلاح والحكم النيابي ..

وفي هذا الجو المضطرب كان سليم نقلا يسير صحيفته في حذر واعتدال وترقب ، داعيا الى اصلاح الامور الداخلية في شتى المرافق كالتجارة والصناعة والزراعة والتربية والتعليم .. ثم وجد أن جريدة أسبوعية لا تتسع لاغرضه المتعددة ، فعزم على اصدار « الاهرام » يومية في ثوب جديد ..

وصدرت الاهرام منذ ٣ يناير ١٨٨١ « يومية سياسية تجارية أدبية فكاهية » ـ ويلاحظ اضافته صفة « سياسية » علنا .. ونشرت بيانا عن سياستها الجديدة ومنها : « انها تعد بألا تخلع على أحد نفوذا ليس له ، ثم لا مدح بلا حق ولا طعن بلا مبرر .. » وعادت الى اهتمامها بالمشاكل الاجتماعية المحلية والحوادث الداخلية ..

وتكفل سليم نقلا بكتابة المقالات والتعليق على الاخبار يعاونه في التحرير بعض الكتاب من الهواة والمحترفين .. وتكفل بشارة بادارة الجريدة ، وبالتنقل بين البلاد الاوربية وارسال احاديثه مع المسئولين، ومشاهداته في الرحلات الى الجريدة .. وعهد الى عدد من المراسلين بالمدن الشرقية والغربية بموافاة الصحيفة بالاخبار والبحوث السياسية ..

وكان من التجديدات التي دخلت على الاهرام اليومية ، نشر الروايات العالمية المترجمة مسلسلة ثم طبعها في مجلدات وبيعها باثمان زهيدة ، ونشر رسوم الاشخاص في صدر الصحيفة ،والتحدث عن الاختراعات والمستحدثات المستجدة في البلاد كالترام والامنيبوس والفونوغراف ، وترقيم المنازل والاحصاء وغيرها مما اصبح تسجيلا تاريخيا .. ثم اصدار الملاحق ايام الازمات ، وتهذيب لغة الاعلان .. واستجلاب آلة للطباعة من اوربا تطبع الف نسخة في الساعة لتسابق الحوادث الجارية سراعا ..

وبدا ذلك العام « ١٨٨١ » منذرا باندلاع الثورة الوطنية التي اشتهرت بالثورة العرابية نسبة الى كبير زعمائها احمد عرابي .. وتتالت احداثها المعروفة : رفع عدد من ضباط الجيش في ١٥ يناير من تلك السنة معروضا الى رئيس الوزراء رياض باشا يضمنونه بعض مطالبهم في الاصلاح ، فيقرر الخديوي القبض عليهم ومحاكمتهم امام مجلس حربي ، فيخرجهم الجيش بالقوة .. ويسير عرابي وعلي فهمي بجندهما الى قصر عابدين ويقدمون طاباتهم الى الخديوي ، فيلبي بعضها ويعين محمود سامي البارودي وزيرا ، ثم لا يلبث ان يعزله وينصب مكانه ابن أخي الخديوي ، ويصدر الامر الى فرقة عرابي بالسفر الى الاسكندرية ، ويسير عرابي بقسم من الجيش في ٩ سبتمبر ويطالب الخديوي بوزارة جديدة وبمجلس نيابي وبزيادة عدد الجيش ، تمهيدا للاصلاح ..

وتبدأ مؤامرات الدول الاجنبية ، وترسل الحكومتان الانجليزية والفرنسية مذكرة الى الخديوي في ٨ يناير ١٨٨٢ برغبتهما في مساعدته .. ويوافق الخديوي على هذه الحماية ، ويثور الشعب منضما الى الجيش .. وتكافح « الاهرام » وسط الامواج المتلاطمة ..

وفي بداية تلك الحوادث وقفت الاهرام مع الثورةالعرابية ومطالبها العادلة وطالبت بمجلس شورى ونفت انه يخشى منها على مركز الخديوي .. فلما تأزمت الامور عام ١٨٨٢ اتسمت اخبارها بالاعتدال والحذر والتريث بين الخديوي والثورة ، ولما عين احمد عرابي ناظرا للجهادية « الحربية » اصدر امرا في اول يونيه ١٨٨٢ باغلاق الاهرام شهرا ـ وفي خلال ذلك حدثت ثورة الاسكندرية مصحوبة بالحرائق ـ واحترقت دار الاهرام فانتقلت الى مكان اخر ، وجدد سليم نقلا معداتها ، واصدر في ٩ يونيه ١٨٨٢ جريدة باسم : « الاحوال » ولم تعمر طويلا .. ثم وقعت الطامة الكبرى التي أخرجت هذه القضية الوطنية الداخلية المرجوة الحل ، الى مشكلة دولية استعمارية طالت سبعين عاما ، وعاصرتها الاهرام من بدايتها الى نهايتها ، وسجلت صفحاتها : تطوراتها وذيولها ، ومناقشتها وكفاحها ..

بدأت منذ وقف الاسطول الانجليزي امام الاسكندرية وضربها بقنابله يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ثم انزل بها جنوده .. واقتحم قناة السويس .. ودارت موقعة التل الكبير .. واحتل الجيش الانجليزي القاهرة في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ .. وسلم عرابي نفسه ونفي زعماء الثورة وعدد من الوطنيين خارج البلاد وسجن كثيرون .. وجاء عهد الاحتلال .

واخذ سليم نقلا ومن معه من كتاب الاهرام يهاجمون هذا الاحتلال، ويطالبون بالجلاء ، وينتقدون السياسة الانجليزية في مصر ، ويحملون على اهمال الحكومة في رعاية المواطنين سواء في شئون الصحة أم في التعليم أم في الزراعة .. ثم على مشروع اخلاء السودان عقب ثورة المهدي .. وضاقت حكومة الاحتلال بحملات الاهرام فاغلقت الجريدة في ٢٠ اغسطس ١٨٨٤ لمدة شهر عقب نشرها مقالة جاء بها ان حكومة توفيق لا تخدم مصر بل الانجليز ..

وفي ذلك العام «١٨٨٤» تألف وفد من نواب مجلس الشورى وغيرهم ، وزاروا دار الاهرام بالاسكندرية معربين عن تأييدهم وتقديرهم ، وأهدوا الى صاحبيها ساعة ذهبية رمزا لوفائهم ..

وعادت الاهرام لتهاجم تصرفات الموظفين الانجليز ممن يعينهم الاحتلال في المناصب الكبرى ، مع المواطنين .. وتهاجم جريدة التيمس التي طالبت بتسريح الجيش المصري .. ومؤتمر لندن ١٨٨٤ الذي دعت فيه انجلترة بعض الدول الاوربية للنظر في شئون مصر كانما كانت وصية عليها .. وتثني على فرنسا لمطالبتها بجلاء الانجليز العاجل ولموقفها يومذاك من القضية المصرية .

وهكذا كان روح العصر وظروف البيئة تبعث هذا الاديب بالطبع ـ سليم نقلا الى معالجة السياسة والمشاركة في حركة التحرير ، فهذا من واجبات الكاتب الملتزم ، الشاعر بهموم المجتمع وحاجاته .. وكان كصاحب جريدة مسئولة تجتمع فيه خواص الاديب والصحفي والمصلح الاجتماعي .. وهو يتوخى السهولة في التعبير ، والعناية بالخبر والتعليق عليه في صدق وامانة ، ويكتب المقالة للتوجيه والارشاد والتثقيف .. ويبادر الى ترجمة اقوال الصحف الاجنبية الى قرائه .

ويصفه بعض عارفيه بانه كان اديبا وانسانا ، يجيد اللغة العربية وقواعدها ، ذا الماء بالتاريخ والفلسفة .. وشاعرا ملهما .. رضي الاخلاق ، شديد العطف على الادباء الناشئين ، واستطاع ان يجمع حوله عددا من هؤلاء الادباء المجيدين للعربية والملمين بافات اجنبية ممن ارتقوا بالانشاء الصحفي من الضعف والركاكة الى الصحة والسهولة ...

وقد رأينا كيف رحب سليم نقلا منذ بدء ظهور الاهرام بمقالات الشيخ محمد عبده وكان لم يزل طالبا بالازهر ، ثم نراه يجند عددا من الاقلام الفتية التي تجمع بين اتقان العربية والفرنسية . وكان للثقافة الفرنسية يومذاك اثر واضح في ميادين الصحافة والسياسة والادب .. وممن عملوا مع سليم نقلا في صحفه : الشيخ نجيب الحداد « المتوفي ١٨٩٩ » ، واخوه امين الحداد « توفي ١٩٢١ » وعبده بدران « ١٩٢٤ » وخليل زينيه « ١٩٤٤ » ورشيد شميل « منشىء

---

(٣) مؤلفات دكتور ابراهيم عبده : « جريدة الاهرام » و « اعلام الصحافة العربية » و « تطور الصحافة المصرية » . ودكتور عبداللطيف حمزة « ادب المقالة الصحفية » .. (٤) فيليب طرازي جـ ٤ قوائم بأسماء الصحف العربية واصحابها وتواريخ صدورها و « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطارة . (٥) محمد عبده لاحمد امين ١٩٦٠ ص ٣٢ .. (٦) حياة مطران لطاهر الطناحي ١٩٦٥ ص ٧١ .
(٧) ديوان اسماعيل صبري ١٩٣٨ ص ٢٠٢ . (٨) الكتاب الذهبي للبصير ـ الاسكندرية ١٩٤٧ ص ١٠٠ .

البصير » ، ودكتور شبل شميل « ١٩١٧ » وغيرهم .. كان منهم من يكتب المقالات ويترجم ، ومن يراسل الصحيفة من القاهرة مثل رشيد شميل ، ومن يكتب ويصف الحروف مثل امين الحداد .. بينما كان بشارة تقلا يقوم بالكتابة والترجمة والادارة ثم المراسلة من الخارج ..

ولم يعمر سليم تقلا طويلا ، وتوفي في الثالثة والاربعين من العمر ، يوم ١١٠ من اغسطس ١٨٩٢ ، وكان قد اصيب بمرض في القلب بسبب الارهاق في العمل ، فسافر الى لبنان للاستشفاء ، ولم يمهله القدر فمات هناك ودفن في مسقط رأسه « كفرشيما » .. فانفرد بعده شقيقه بشارة تقلا بادارة الاهرام وملحقاتها ، وواصل اصدارها يوميا حتى وفاته «١٩٠١ » .

وأقيم بالاسكندرية حفل جناز شهده عدد كبير من اهل المدينة وجالياتها الاجنبية ، وهناك القى الشاعر الشاب خليل مطران قصيدة في رثائه .. وكان لهذه القصيدة قصة يرويها المؤرخون لحياة مطران(٦) وخلاصتها : ان الخليل هاجر من لبنان الى الاسكندرية اول مرة في صيف ١٨٩٠ فتى في الثامنة عشرة واستقبله بها سليم تقلا صديق أبيه واكرم وفادته ، وبعد ايام قلائل ارتحل مطران الى باريس وامضى بها نحو عامين ، ثم رجع الى الاسكندرية وبلغها مساء ١١ من اغسطس ١٨٩٢ وبلغه عند وصوله نعي صديقه سليم تقلا ، فحزن عليه وعكف على نظم مرثية طويلة ، وذهب بها في اليوم التالي في موعد الصلاة على الفقيد ، ورأى هناك حشدا من الناس على مختلف الوانهم ، وتوقع بعد الصلاة ان يتقدم بعض الخطباء والشعراء لرثاء الفقيد يعددون مناقبه وجهوده ، فلما لم يتحدث احد اندفع الفتى الى المنبر ، واخرج من جيبه قصيدة القاها في حزن وانفعال ، ولفت انظار الحاضرين ومنهم بشارة تقلا الذي استدعاه بعد أيام وسأله ان يعمل معه في تحرير الاهرام ، ومما جاء في هذه المرثية :

آلا يا سليما بعدك اعتل صبرنا ... ولم يبق من قوس له بعض منزع
لمن تورث الايات واللمح التي ... بهرن النهى من كل عين ومسمع
لك العهد منا عند قبرك اننا ... سنلبث نرعى من زمامك ما رعى
ونبكيك يا خير الرجال على المدى ... بكل فؤاد صادق الود أصمع

وقد رثاه بعد ذلك صديقه ومعاصره الشاعر اسماعيل صبري بقصيدة تصف سجاياه (٧) ،

برغمي ان يدعى ترابا واعظما ... فتى كان يدعى قبل أكتب كاتب
فتى كانت الاقلام تشهد انه ... يجل مقام الكتب فوق الكتائب
هوى كوكبا ما البدر ليلة تمه ... بأفتك من لألائه بالغياهب
فتى طبعه قد كان كالماء رقة ... فلو صب في كأس لساغ لشارب
فيا راحلا قد غاب عنا ومن تكن ... كذكراك ذكراه فليس بغائب
سلبت النهى حيا بباهر حكمة ... وعاطر اخلاق ورقة جانب

بشارة تقلا ١٨٥٢ ـ ١٩٠١

ولد بشاره تقلا في كفرشيما بلبنان عام ١٨٥٢ بعد مولد أخيه سليم بثلاث سنوات .. وتعلم في بيروت ، واختير مدرسا بمدرسة عين طوره . ثم لحق باخيه سليم في الاسكندرية مهاجرا اليها عام ١٨٧٥ وكان في الثالثة والعشرين .

واخذ بشارة منذ وصوله الى السفر يعاون اخاه على انشاء جريدة الاهرام ومطبعتها والاعلان عنها حوالي سبعة اشهر ، حتى ظهر عددها الاول يوم ٥ اغسطس ١٨٧٦ ـ كما سلف .. وعاونه في اصدار صحفه الاخرى : « صدى الاهرام ، وحقيقة الاخبار ، والوقت ، والاحوال » في شتى مراحلها .. وهو صاحب فكرة تحويل الاهرام الاسبوعية الى جريدة يومية منذ ٣ يناير ١٨٨١ .

وظل الشقيقان شريكين متعاونين متلازمين في السراء والضراء ، حتى فرق الموت بينهما بوفاة الاخ الاكبر سليم عام ١٨٩٢ فانفرد بشاره منذ ذلك العام بالعبء كله نحو تسع سنوات حتى وفاته عام ١٩٠١ وكان قد قضى في العمل والاشراف والادارة نحو ربع قرن .. وورث ادارة الاهرام بعده الى آل تقلا وبخاصة الى جبرائيل تقلا المتوفي عام ١٩٤٣ .. وكان بدء انفراد بشاره بالاهرام مع بدء تولي عباس حلمي الثاني الخديوية .

وقد رأينا كيف تعرض بشارة واخوه سليم للاعتقال حنيما أصدر الخديوي اسماعيل عام ١٨٧٦ امره باغلاق الاهرام والقبض على صاحبيها بسبب مقالة نشرتها الاهرام عما لحق الفلاح من مظالم ، فافلت سليم وسجن بشاره ثلاثة ايام حتى توسط لهما البعض فافرج عنهما وعن الجريدة ..

وكان بشاره تقلا رجل كفاح واقدام ، استطاع بجهاده ان يثبت اقدام الجريدة ويطورها ويزيدها انتشارا .. وكان يسهم ايضا في التحرير والترجمة الى جانب الادارة عامة . وبينما تخصص سليم في انشاء المقالات الاجتماعية والسياسية ، كان بشارة يقوم بالترجمة عن الصحف الاجنبية ، وبشئون الادارة والحسابات وتصحيح «البروفات» ، ومشاركة العمال في توزيع الجريدة بالبريد ولدى باعة الطرابيش والقهوات وغيرها من الاماكن التي يتردد عليها الملمون بالقراءة ..

ومما كتبه بشارة تقلا عن ذكريات حياته الاولى في دار الاهرام قوله « كنت اطوف على الناس صباحا ، اتعرف عليهم ، واعرض عليهم الجريدة ، ثم أقصد احد منتديات القهوة فاول ما أطلبه جريدة اوربية ، واعرب اهم اخبارها ومقالاتها اذ لم يكن في وسعنا ان نشترك في جرائد غربية توفيرا . فاذا ما فرغت من الترجمة اتيت الى الادارة ونظرت في حسابها من دخل وخرج ، واشتغلت بالتصحيح ، وكتابة بعض الحوادث ، ثم جلست اعاون الفعلة على طي الاعداد وتهيئتها للتوزيع . وكنت اتناول غدائي في الغالب وانا بين صحيفة اطويها ولقمة ازدردها على انني كنت اشارف من وراء هذا العناء الجم اقبالا ونجاحا ... »

ثم كان بشاره يطوف بالدواوين والقنصليات وبيوت الكبراء ليجمع الاخبار . وينتقل بين الريف ليعرض الجريدة على الناس ، ويعلن عنها غير مبال بما يصادف من مصاعب ومشاق .. ويقوم برحلات الى البلدان الاوروبية ليحصل على احاديث صحفية مع كبار الشخصيات التي يلتقي بها . وكانت هذه الاحاديث تدور حول المسألة المصرية او المسائل الشرقية والعالمية الهامة ، ثم ينقل تلك الاحاديث واقوال الصحف الاوروبية الى الاهرام ..

وكثيرا ما كان يصطدم ببعض الصحف الاجنبية بمصر وخارجها بسبب اقوالها أو آرائه الوطنية ، كما حدث حينما طالبت جريدة « التيمس » بتسريح الجيش المصري ، او حين هاجمت جريدة « الاجبشيان جازيت » بشارة تقلا وقالت انه يقحم نفسه فيما لا شان له به ، وانه ليس مصريا فيأخذ على نفسه الدفاع عن مصر ، وان اعيان البلاد لا يقرونه على شيء مما كتبه في فرنسا او انجلترة او كتبه شقيقه سليم في القاهرة . وكان الرد على ذلك رسالتين نشرتهما الاهرام من أعيان الاسكندرية والقاهرة تأييدا للاهرام وصاحبيها ..

ومنذ ان انفرد بشاره بأمر الاهرام بعد وفاة اخيه ، اخذ في تجديدها وتحسينها . فكان يصدرها في ست صفحات بعد ان كانت تصدر في اربع ، وكبر حجم الصفحات ، واكثر من الاخبار المحلية والخارجية ونظم اماكنها ، وجود الطبع والحروف والصور والرسوم ، وافتن في وضع الاعلانات ، وخفض اجر الاعلان والاشتراك ، وأصدر فيضا من الكتب والروايات ..

ورأى بشاره ان ينقل الاهرام من الاسكندرية الى القاهرة حيث تتركز في العاصمة الوزارات والسفارات والحركة السياسية بعامة ، واعلن انها من اول نوفمبر ١٨٩٩ سوف تصدر في طبعتين : الاولى في القاهرة في حجمها الكبير ، والثانية بالاسكندرية في حجم صغير بعنوان « صدى الاهرام » .. واشترى قصرا بالقاهرة كان يسكنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطير الصامت

غنني يا طير واجهر بالنغم
واشد للناس بمكنون الالم
أنت صوت الفن يا طير الربى
أنت نور الحق في داجي الظلم
فارشد الحائر لا تصمت ولا
تشرب الاحزان من كأس الالم
أيها الفنان اني في الدورى
أسمع الصم ولا أدري الصمم !
هاتها يا طير الحان هوى
من نشيد رائق عذب النغم
ونداء من منارات السنا
يبعث النشوة في مسرى الهمم

القاهرة — جميلة العلايلي

القنصل الايطالي ، (وهي الدار التي ظلت مقرا للاهرام بشارع مظلوم باشا طوال الثماني والستين سنة الماضية حتى انتقلت منها في نوفمبر ١٩٦٨ الى عمارتها الجديد) .

ودع بشاره مقره السكندري بكلمة نشرها في الاهرام يوم ٣١ اكتوبر ١٨٩٩ جاء بها « تودع الاهرام اليوم ثغر الاسكندرية بعد ان قضت في ظله ٢٥ عاما متقلبة في نعمته ، متمتعة بحمايته ، فهي تبرجه الى عاصمة القطر مرتلة على أهله الكرام آيات الثناء ، داعية له ولهم بدوام التقدم في مدارج العمران ومراتب العلاء . فموعد القطر غدا بأهراميه: الاهرام طبعة القاهرة في عاصمة البلاد السياسية ، والاهرام طبعة الاسكندرية في عاصمة البلاد التجارية » .. .

واقتفى اثر اخيه سليم ففتح صدر الجريدة لاقلام الكتاب ، يعالجون المسائل الوطنية والاجتماعية والادبية .. وعلى صفحاتها بدأ الزعيم الشاب مصطفى كامل حياته الصحفية فنشر بها عام ١٨٩٥ بعض احاديثه مع كبار الانجليز . كما كتب بها سلسلة من المقالات العنيفة بعنوان : « صواعق الاحتلال » . وكانت الاهرام تترجم مقالاته التي ينشرها في صحف فرنسا وانجلترة ، وتلخص احاديثه في الخارج تحت عنوان : « من أين يأتي الخطر ؟ » ..

وكان من محرري الاهرام الاديب طانيوس عبده « ١٨٦٩ ـ ١٩٢٦ » الذي هاجر الى الاسكندرية من مسقط رأسه بيروت وعمل في هذه الجريدة عام ١٨٩٦ . ومن مقالاته بها ما وضع له عنوان : « نقدات طائر » .. والكاتب داود بركات الذي اصبح رئيس تحرير الاهرام منذ عام ١٨٩٩ ولو لم ينشر اسمه في رأس الصفحة الاولى حتى عام ١٩٣٢ .. وكان رشيد شميل مراسلا للاهرام من طنطا ومديرا لمكتبها بالقاهرة ثم بالاسكندرية حتى تركها لينشيء جريدة « البصير » اليومية بالاسكندرية عام ١٨٩٧ .. وضم بشاره الشاعر خليل مطران الى اسرة الاهرام بالاسكندرية عقب وفاة اخيه سليم عام ١٨٩٢ وكان مطران يومئذ في الثانية والعشرين . فبدأ بها تمرسه بالصحافة . وبعد عام ارسله الى استنبول ـ في يوليه ١٨٩٣ ـ مندوبا عن الاهرام ليوافيها بأخبار رحلة الخديوي عباس حلمي الثاني ، وقضى بها بضعة اشهر يراسل خلالها الاهرام ، ولما عاد رأى بشاره ان يعهد اليه ادارة مكتب الاهرام في القاهرة ومراسلة الجريدة منها بدلا من رشيد شميل الذي عهد اليه بادارة مكتبها بالاسكندرية .. وعندما نقل بشارة صحيفته الى القاهرة في اواخر ١٨٩٩ طلب من مطران ان يرأس تحريرها ولكنه فضل الانطلاق الى حدائق الادب ، فترك الاهرام وانشأ « المجلة المصرية » ١٩٠٠ واعقبها بمجلة « الجوائب المصرية » ١٩٠٣ فلم تعمرا وانصرف الشاعر مرغما الى الميادين الاقتصادية .. ويروي مطران في حديث صحفي نشر له قبل وفاته بعض ذكرياته عن عهده الاول بالاهرام ، ومنها قوله (٨) :

« لما دخلت الاهرام كان لقب رشيد شميل (مراسل الاهرام في العاصمة) وكان مركزه في الاهرام هو المركز الرئيسي الحقيقي لان القاهرة المصدر الوحيد للحركة السياسية للقطر المصري . ورشيد مما بينه وبين المرحوم بشاره تقلا من صداقة ترجع الى عهد الطفولة ، كان ينوب عنه في العاصمة احسن نيابة . وقد عرف فيها الناس على اختلاف طبقاتهم كما يجب ان يعرفهم كل صحافي بالمعنى الحقيقي لهذه اللفظة ، فكان يتصل بهم واتخذ له عندهم مكانا في الثقة والود والاكرام . وكانت رسائله على بساطتها من ناحية اللغة ـ لانه كان يخاطب الجمهور بالنصوص التي يفهمها ، وعلى الخصوص رجال الحكومة منه ـ تعنى بالموضوعات عناية دقيقة . فكان يرجع فيها الى اهل الذكر بحيث تتنزه عن المآخذ من ناحية الحقيقة والعدل . وبعد ان دخلت الاهرام عاما ، وسافرت مندوبا عنها الى الاستانة بضعة اشهر ثم عدت ، رأى المرحوم تقلا باشا ان يعتمد على صديقه ومراسله في العاصمة ليصبح مديرا لجريدة الاهرام في الاسكندرية . فجاء من القاهرة وعينت بدلا منه مراسلا في تلك العاصمة .. وبعد ان تولى الادارة بالاسكندرية اتفق مع المرحوم بشاره تقلا على اصدار « صدى الاهرام » وكانت تلك هي الخطوة الاولى التي خطاها تقلا باشا لنقل الاهرام الى القاهرة .. وشوهد ان « صدى الاهرام » بالاسكندرية لا تستطيع البقاء واتخاذ المكانة التي كانت للاهرام ، فاتفق المرحوم بشارة مع المرحوم رشيد شميل على ان يسوي ما بينهما من حساب ، وأزمع رشيد اصدار « البصير » ... »

وفي اواخر عهد بشاره تقلا في الاهرام ، ظهرت صحيفة « اللواء » التي اصدرها مصطفى كامل في ٢ يناير ١٩٠٠ كما كانت هناك جريدة « المؤيد » للشيخ علي يوسف وكانت تصدر منذ عام ١٨٨٩ وهما صحيفتان وطنيتان واسعتا الانتشار والنفوذ ، وكان على الاهرام ان يحتفظ بمداه معهما .

وتوفي بشارة تقلا في يوليه ١٩٠١ ولم تتوقف الاهرام بعده عن المسير ، ولم تزل تنمو وتنتشر .. وقد انتقلت ادارتها الى آل تقلا والى جبرائيل تقلا (١٨٩٠ ـ ١٩٤٣) وكان يرأس تحريرها داود بركات ثم انطون الجميل ، كما كان من محرريها في عهده : عباس العقاد ومي زيادة ونجيب هاشم وتوفيق حبيب « الصحافي العجوز » وجورج طنوس وأحمد الصاوي محمد ، وجورج عزيز وغيرهم .. وعلى صفحاتها نشر الشعراء : احمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم وخليل شيبوب ومحمد الاسمر ومحمد عبد الغني حسن « شاعر الاهرام » ... وعشرات الشعراء ... والكتاب والساسة والمؤرخين ... وفي اغسطس ١٩٥٧ رأس تحريرها محمد حسنين هيكل ومعه رهط من الكتاب الادباء والعلماء ، وبلغ عدد اعضاء اسرتها العاملين في دارها اليوم اكثر من الف نفس ما بين كاتب وموظف وعامل ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

عقرب الساعة

مهداة الى صديقنا الصامت الان عبدالله العلايلي
اليقظة الغارقة في ساعات الزمن .

مدلف ، تجهدفي التطواف جهدا ، أتعد العمر بالدقات عدا
ساحبا ظلك في الخطف على شاطىء الميناء ، تطوي الجزر مدا
.. أسباق هو ؟ أم أنت على حافة الدرب، أضعت الدرب قصدا
كلما قلنا : انتهى الشوط جرى رأسك العاصي الى الوثب أشدا
أظننت الوقت في خلوته ناسجا ينسج بالابرة بردا
خائفا ان يفلت الامس ولا يدرك الآتي ، ولا يبلغ حدا
فترامیت على انواله تحبك الحبك وترخي اللف زردا
عاقدا اطرافك الحرى كما تعقد الافكار في الالفاظ عقدا

من ترى علق أطياف المنى بخوافيك ، وما أوفاك وعدا
حاملا فوق الجناحين رؤى وعلى الجنبين أشواكا ووردا
ومواعيد تناساها الهوى فانزوت في مخبأ الاقدار زهدا

انا في دقاتك العجلى صدى ضيق الصدر ، يصد الرجع صدا
هذه الرعشة في ترددها نبض أعيا به الداء وجدا
قطعت أنفاسه أنفاسه ومسحن النوم عن جفني طردا
در كما شئت فاني ساهر ذاق ما ذاق ، جراحات وبردا
مرغ الليل على مينائه وانبرى يعبث بالايام حقدا
يمسك الوقت بكفيه كما يمسك الزاهد في الايمان عهدا
الغد الضائع في أسراره يدفن الامس ويفني اليوم عمدا

عقرب الساعة ؟ كم من ساعة فقدت من عمرك التائه فقدا
خائف ان يأتي الآتي ولم تكمل اللحن ولم تبدعه مجدا
تنقر النقرة في وحشائها وتقد الوتر الظمآن قدا
وكأن السفح لم تنزل به وكأن الجرد لم تطلعه جردا
أنت كالسيف على غفوته ، نمت في الغمد وقد اصبحت غمدا
يلبس اللابس من أثوابه قطعا تمسي على الاضلاع جلدا
هذه الميناء أخشى ضيقها وأرى في حرفها المحفور لحدا
تعب الليل فقم نرفق به ورنا الصبح فقم نملأه رغدا

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصر سمعان

بقلم شكرالله الجر

* * *

طار عن عشه فرخا من بلدته حمص الى حيث قيل له ان في العالم الجديد مدينة عظيمة اسمها سان باولو يجرفون المال جرفا من شوارعها . فما هاجر اليها من شعوب الارض مهاجر نشيط الا عاد منها مثقلا بالذهب ، ولا وطأتها اقدام مجازف مغامر الا كان له في جوها الفسيح ما يشتهيه من المال والجمال والحرية . ثلاثة ، تتطاحن الامم من اجلها وتشتعل الحروب في سبيل احرازها .

كان نصر في فورة أحلام الصبا يومذاك ، اضف الى أحلامه وخيالاته تلك الوساوس والقصص التي تناقلها الناس من حوله عن سرعة الاثراء في مدينة الدواليب سان باولو . فما عتم ان ترك مدرسته وشد جناحه اليها وطار ، وان هي الا فترة من الزمان في مهجره البعيد حتى عرف ان الحقيقة غير ما صورته له اوهام المتوهمين في وطنه ، وان الحصول على الثروة في سان باولو مدينة الملايين ، وبين الوف المتزاحمين عليها ، يتطلب الى جانب ارهاق النفس كثيرا من الحيلة والحظ ، وأين هذه كلها من شاعر فطر على براءة الوجدان ، وسخاء الكف وطلاوة العيش في ديار نشأته ؟ فكانت له محاولات تجارية جريئة في بدء هجرته ، بذل فيها جهودا كبيرة للوصول الى الثروة فكانت تجفل منه وتتنكر له ، شأنها مع معظم الادباء من أي جنس ومن أي بلد كانوا . فقد عرفت شعراء من مختلف الجوالي الاوروبية في البرازيل ما كانت حظوظهم لتختلف عن بعضها الا نادرا . فكأن السماء ما خلعت موهبة الشعر على شاعر الا بدلته من حظه السعيد حظا بائسا ، لان الشاعرية في حد ذاتها ثروة لا توازنها ثروة مادية مهما عظم شأنها عند ابناء الارض . وفي ذلك يقول احد الشعراء عن نفسه ، ولعله صاحب هذا المقال :

قالوا تغرب عن اوطانه وأتى ... لا يحمل المال بعد الكد والذاب ؟
فقلت عدت كأغنى الاغنياء اذا ... وازنتموا بين أهل المال والادب
فثروتي لا يوازيها اذا حصيت ... فيالناس ثروة ذي ولد وذي نشب
هيهات ارضى اذا شئتم مقايضة ... عما ملكت بما في الارض من ذهب!

كنت وانا في عاصمة الاتحاد أقرأ لنصر سمعان دون ان اعرفه مقاطع من جميل الشعر تنقلها الى بعض الصحف العربية الصادرة في سان باولو ، وخاصة مجلة « الشرق » الادبية المصورة التي استطاع صاحبها الاستاذ كريم ان يجتذب بلباقته الى صفحاتها أقلاما غزيرة المواهب ومن بينها يراعة نصر سمعان شاعر « النادي الحمصي » وهزاره الصداح . ومتى قلنا « النادي الحمصي » في سان باولو فقد عنينا الصفوة المثقفة من رجال العلم والمال في اوساطنا المغتربة . وقضت الاشغال التجارية التي كنت ازاولها في العاصمة يومذاك بأن ازور للمرة الاولى مدينة الصناعة الكبرى سان باولو ، فرحب بي ادباء الجاليتين السورية واللبنانية واقاموا لي من عطفهم حفلة اكرامية في « الصالون الازرق » من بناية المليونير « مرتينللي » في ٩ نيسان من عام ١٩٣١ ، كان من خطبائها وشعرائها البارزين نصر سمعان . فكان تعارف حار بيني وبين صفوة ادبائنا في تلك الحاضرة ممن كنت اقرأ لهم وعنهم قبل ان اتعرف الى وجوههم الانيسة . ثم بعد انصرافي عن التجارة واتخاذي الصحافة مهنة لي كان لمجلتي « الاندلس الجديدة » نصيبها اللامع من يراعاتهم الكريمة الحرة ، لا سيما ادباء حمص وشعراؤها اذ خصوها دون سواها بالطرف الانيقة من ادبهم .

وتعاطفت غصون المودة بيننا ، فشمعت كؤوسها وصفا اديمها طوال ايام غربتي ، الى يوم نغصها الفراق بأحكامه فاذا انا على هذا الشاطىء من لبنان وهم في الجناح الاخر من جنوبي الارض ، تهب علي من جانبهم نسمة سوداء بوفاة نصر ابن سمعان ، فيرتجف النبأ في يدي وتفور سهامه في كبدي ، فأبكيه صديقا يزهو بغر الشمائل كما بكيت حظه من الدنيا .

والى القارىء الكريم الان نماذج من شعره ، يتعرف من خلالها الى شاعر من شعرائنا المغتربين كان مقلا انما كان من المبدعين . قال من قصيدة يصف فيها ما كان يلاقيه في اسفاره المتواصلة الى داخلية البلاد :

كم مهمه اشرفت فيه على ... ليل يهاب لقاءه الاسد
ليل يقهقه بالرعود وفي ... عينيه ومض الشر يتقد
تبدو الغيوم به مفككة ... حتى اذا ما هاج تنعقد
تطفو فيغضب من كثافتها ... ويصدها زمرا فتبتعد
ويردها بلهاثه قطعا ... فكانها في شدقه زبد
حملت نفسي من مهابته ... حملا ينوء بثقله الجلد
ووقفت ارقب نار معركة ... وقفت لها الافلاك ترتعد
وجيوش هول كان قائدها ... فوق الرقيع الواحد الصمد

الى ان يقول :

اسعى وراء الرزق مجتهدا ... والدهر في الحرمان يجتهد
ما ان ذرفت الدمع في بلد ... الا وحن لادمعي باد

وفي هذين البيتين شكوى جريحة من الدهر ، تعيد الى الخاطر ذكرى ذلك الشاعر البائس « ابن زريق البغدادي » وكان الشاعرين توأما قدر وحظ ، فشاعر دجلة وشاعر الميماس صنوان في دولة الاقدار واحكامها ، وكما خرج ابن زريق من بغداد الى الاندلس طلبا للتكسب من ملوكها وامرائها فخاب ظنه بهم .. هكذا فارق شاعر

العاصي مدينته حمص طلبا للثروة في مجاهل البرازيل فخاب ظنه بالايام ، وكما كان ابن زريق ينتظر ان يعود الى بغداد مثقلا بالذهب ليتزوج من حبيبته وهي ابنة عمه .. هكذا كان نصر ابن سمعان ينتظر ان تبتسم له الايام وتواتيه الثروة ليقترن بعروسة احلامه وهي كما عرفتها من خيرة المثقفات في عشيرته .

اما كيف تلتقي خواطر الشعراء عند المعنى الواحد متى تشابهت عندهم ظروف الحياة فلك ان تسمع . قال شاعر الرصافة ابن زريق :

ما آب من بلد الا وأزعجه ... عزم الى بلد بالرغم يزمعه

وقال شاعر الميماس نصر ابن سمعان:

ما ان زرفت الدمع في بلد ... الا وحن لأدمعي بلد

وقال ابن زريق :

تأبى المطالب الا ان تكلفه ... للرزق سعيا ولكن ليس يجمعه

وقال ابن سمعان :

أسعى وراء الرزق مجتهدا ... والدهر في الحرمان يجتهد

والان .. أرأيت ايها القارىء الكريم من اية كوة ينفذ الشعراء الى قلوب الناس كما تنفذ أشعة القمر الى مجادعهم ، فيشجون شجوهم ويهجسون بهم في لياليهم ؟

واذا شئت ان تصغي معي الى همس النسيم بين خمائل دجلة على مدار الزمن فاليك هذه الابيات التي يودع بها ابن زريق حبيبته ويستودعها الله .. ثم ينطوي على نفسه الجريحة في أحد فنادق اشبيلية ويلفظ الروح

استودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من « فلك الازرار » مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني ... صفو الحياة وأني لا اودعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلات وادمعه
وان يدم ابدا هذا الفراق لنا ... فما الذي بقضاء الله نصنعه ؟

رحم الله شاعري دجلة والعاصي ، ففي سيرة حياتهما ما يبلل الاهداب بالدموع . اما بدائع نصر في الشعر فهي كثيرة . قال من قصيدة في المتنبي لمناسبة الذكرى الالفية لشاعر بني حمدان :

أسكب ابا الطيبات الراح صافية ... ونقل الدهر من دن الى دن
لقنت الحانك الدنيا وقلت لها ... « ما دمت باقية فني بها غني
ما ذر نجم تزين الشرق طلعته ... الا وفي فمه اسطورة عني
فيم التغني بذكرى في محافلكم ... وأي يوم خلت دنياكم مني ؟

وهي من أزهى الشعر وابدعه . ومن حسناته في مناسبة ثانية :

سبحان من رفعت يداه ... دعائم السبع الطباق
خلق العلى وأعد من ... هم الشباب له مراقي
بالله يا شعبا تشبق ... له الضريح يد النفاق
ماذا يضيرك لو حافت ... على التعصب بالطلاق ؟

ومن روائعه ايضا قصيدته في المولد النبوي الكريم حيث يقول :

بزغت فحيت الجوزاء مهدك ... وأعلت فوق مجد الشمس مجدك
وكل فم له الفصحى لسان ... يردد بعد حمد الله حمدك
وكم خلت الممالك من ذويها ... وانت ملكت قلب الدهر وحدك
اعيذك ان تكون رسول قوم ... أضاعوا ما وقفت عليه جهدك

واذا كنت اتمنى شيئا على « النادي الحمصي » الزاهر ، وقد عهدته منبرا عاليا للادب في اوساطنا المغتربة ، فهو ان يجمع قصائد هذا الشاعر الذي طالما رصع حفلاته الانيقة بالدرر من منظومه اعترافا بفضله وتخليدا لذكراه ، وكم خلد بيت من الشعر شاعرا كما لم يخلد ولد والدا .

ومما يحز بالقلب ويوجعه ان تخرس تلك القيثارة الشجية وتنقطع اوتارها بين يدي الشاعر بعد ان استبد به اليأس في اخريات ايامه ، فاذا به ينصرف الى الكأس يعب من انفاسها وتعب من قلبه واعصابه حتى فاضت روحه على شفتيها . وكم من اديب بائس انزلق الى دن الخمر وما خرج منه الا الى ظلمة القبر ..

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

طفولة حزيران

عندما خبا الاطفال
أحذيتهم الجديدة تحت وسائدهم
وناموا وهم يحلمون
بالنقود ، والاراجيح ، والحلوى
انتعلت حذائي الجديد ،
وخرجت خلسة الى الشوارع .
كانت الجدران متآكلة
والمتسولون يقبعون في الزوايا
كالبوم على الشجر
استغاثات بعيدة
وتوابيت صغيرة أعدت على عجل
لاطفال ينتشلون من بين الانقاض
على ضوء الفوانيس .
اشباح مسرعة ، وموت غريب
يلف المدينة كعاصفة من الوحل
بحثت عن الفرح في الوجود
عن الهتافات في الازقة
عن الربيع في البساتين
ولما لم اجد شيئا عدت حزينة الى البيت .
واعدت نقودي وحذائي الجديد الى أمي .
وذرفت دموعي .

دمشق — هدى الزين

بنظرة حانية وعاطفة صادقة نابعة من حبه لاخيه قال له ناصحا :

ـ كنت اظنك قد عدت الى الطريق القويم وتركت حياة البلد ومغامراتك مع البنات منذ ان اصبحت موظفا لك كيانك ووضعك والان تريد ان تحدثني عن قصة جديدة ، اريد ان اعرف الحقيقة اذا اردت مساعدتي حدثني بصدق ..

وارتسمت على ملامح الاخ الاصغر احمد ابتسامة مرحة ومن خلف نظارته ابتسمت عيناه ثم قال متلعثما :

ـ اقسم انني لا احاول الكذب .. لا اخدعك .. لقد ودعت الماضي منذ غادرت البلدة ومنذ ان استقر بي المقام معك هنا وانا اتعلم .. اتعلم كل شيء .. ومن البداية اتعلم منك .. اصبحت قويا واثقا .. لم اعد طفلا غريرا بل اصبحت رجلا .. اصبحت حقيقة .. لم اعد وهما .. ودعت طفولتي وودعت احزاني .. ودعت شقاوتي وودعت مغامراتي ، لكن هذه المرة ليس وهما بل حقيقة .. ليس خيالا بل واقع .. انني احب وغارق في الحب حتى اذناي وهي زميلتي في الشركة .. احببتها .. فتاة لطيفة سمراء ضاحكة ... قوام ملفوف وانوثة صارخة .. صوت رقيق وابتسامة آسرة ... فتاة لطيفة وحقيقة وليست وهما ، احبها وتحبني واتفقنا على كل شيء .. شرحت لها ظروفي كلها، حدثتها عني وعنك وعن اخوتي وعن والدتي وعرفت كل شيء وآمنت بي وبحقيقتي وابدت استعدادها للزواج بي وابدت موافقتها على شروطي ، وهي ستضحي .. ستضحي بكل شيء .. ستضحي بالمادة .

وسأله اخوه بدهشة :

ـ انت ستتزوج ..؟ كنت احسبها قصة من النوع اياه .. لم اعتقد انك ستأخذ الامر على محمل الجد وخاصة هذه الايام وانت اول من يعرف الحقيقة .. حقيقتنا وحقيقة موقفك .. حقيقة موقفنا .. كيف ستتزوج ومرتبك عشرة جنيهات ومرتبها بالكاد يساوي مرتبك .. قطعا هي مثلك وتحمل نفس مؤهلك او ان هناك خطأ ما ..؟

ورد احمد قائلا :

ـ ابدا لم تخطىء هي مثلي تماما في كل شيء في المؤهل والدرجة والمرتب .. ورد اخوه قائلا :

ـ يا لها من حياة .. اسرة تتكون بهذا المبلغ الضئيل .. اسرة لها مطالبها .. لها حاجاتها .. لها مصاريفها .. واذا لم نتساءل عن البداية ولم نشغل انفسنا بالمرتب لنا ان نتساءل من اين ستدفع المهر؟

الناس والاقدار

بقلم السيد ابراهيم

وكيف ستدفعه وانا اعرف انك كنت في واد ومشاكل الماضي والمستقبل في واد اخر .. كنت تعيش لنفسك ولم تفكر في المستقبل .. مستقبلك او مستقبل اسرتك ثم ان الذي اعرفه اننا لا نملك شيئا نساعدك به فاذا تجاهلنا كل شيء كيف نتجاهل حقيقة انك لا تملك مهرا ولا شبكة ناهيك عن خلو الرجل والبحث عن شقة .. بالله عليك ماذا ستفعل ؟. ان راسي يدور واريد ان اعرف الحقيقة اريد ان اعرف كيف تصرفت ...؟

وابتسم احمد في ود ثم قال بلهجة صادقة :

ـ لست ساذجا حتى افكر في الزواج وانا اعرف انني لا امتلك شيئا ولكن في الواقع لا مشكلة في الامر ..

وسأله اخوه بدهشة قائلا :

ـ كيف ..؟

ورد احمد بابتسامة واثقة ادخلت الطمأنينة على قلب اخيه وقال :

ـ ان الفتاة تمتلك كل شيء .. لها مبلغ لا بأس به في دفتر البريد وتملك مصاغا وامها ابدت استعدادها للصرف حتى اخر مليم تملكه ولست مطالبا بأي مهر او شبكة او مصاريف .. اما حياتنا بمرتبي ومرتبها فهذا امر ممكن جدا بالصبر والحيلة والمثابرة .

كان كلامه منطقيا ويكاد الصدق ان يكون طابعه ولم يملك اخوه ان استسلم في دهشة وهو يقول :

ـ اذا كان ما تقوله هو الحقيقة فهذه فرصة نادرة ولكن اريد ان اسألك هل الفتاة من بيئة محافظة وليس بها عيبا ؟.. وهل سألت وتحريت عنها ودرست سلوكها ؟

ورد احمد بسرعة :

ـ طبعا طبعا .. انها فتاة نموذجية واخلاقها عالية . .

ـ اذن على بركة الله .. وما هو المطلوب مني بالضبط ؟..

ورد احمد :

ـ ان توافق وان تبارك زواجي .

وقال الاخ الاكبر :

ـ اوافق وابارك زواجك لو كان ما قلته حقيقة وكما وصفته تماما وبالضبط ، اما اذا كان خلاف ذلك فانا لا اقر اي خطوة تخطوها في هذا السبيل ..

ورد احمد قائلا :

ـ اطمئن .. على فكرة انا مدعو الليلة في فرح احد زملائي وقد اتأخر فلا تقلق ..

وانطلق احمد مهرولا وهو يصفر لحنا موسيقيا لطيفا .. وانشغل الاخ الاكبر في بعض مصالحه ثم عاد حوالى العاشرة ولم يكن احمد قد حضر بعد وكان متعبا فاستغرق في نوم عميق ولم يدر بوصول احمد وفجأة استيقظ الاخ الاكبر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استيقظ فزعا فقد كان يحلم حلما مفزعا وافاق منه ولدهشته وجد احمد ممددا على ارضية غرفة النوم وساقه تتحرك بعصبية وتضرب الباب الزجاجي الذي يفصل حجرة النوم عن الصالة واحس بالفزع وطار النوم من عينيه واسرع يحاول افاقة اخيه ووجد ذراعيه ثقيلتين وجسده مفككا وكأنه لا يربطه ببعضه شيء واصابه الخوف الشديد واسرع سلم المنزل غير عابىء بالظلام غير مدرك لاي شيء .. كان يريد ان يطلب الاسعاف واسرع يجري في الشارع يبحث عن تليفون ووجده في احد المطاعم وطلب الاسعاف ثم اسرع الى المنزل واخذ في محاولة افاقة احمد ولكن دون جدوى ثم حضر رجال الاسعاف وحملوه الى المستشفى ثم بدأت اجراءات الاسعاف واعدت اجهزة غسيل المعدة واستمر الصراع بين الحياة والموت ، بين البقاء والفناء ... وانتصرت ارادة الحياة في الوقت المناسب ونقل من حجرة الاستقبال الى سرير في القسم الباطني ، وعند تغيير ملابسه بملابس المستشفى وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها : « تخلصت من حياتي » وبقايا حبوب منومة وصدم الاخ الاكبر صدمة اذهلته .. كان في حيرة .. لقد كان احمد في منتهى السعادة كان فرحا بالحياة فما الذي يدعوه لقتل نفسه .. لا بد ان في الامر شيئا .. وظل فكره يعمل بصورة منتظمة واخذ يضرب اخماسا في اسداس ثم تركه في المستشفى في رعاية الاطباء وتوجه الى منزله وهو يفكر ثم اعد عدته في هدوء لمحاولة معرفة الحقيقة وكانت البداية بالطبع زيارة في الصباح للجهة التي يعمل بها احمد ثم معرفة عنوان الفتاة ثم التوجه الى منزلها ومحاولة معرفة الحقيقة .. واستقبلته والدة الفتاة وعرفها بنفسه ، واتسعت ابتسامتها ورحبت به ولما اطمأن سألها عن ليلى ..؟

وقالت الام بارتباك : ليلى ... انها في عملها ؟

ورد الاخ الاكبر قائلا :

ـ ولكنني لم اجدها في العمل ..

وقالت الام باستسلام :

ـ آسفة عندها قضية نزاع مع شركة كانت تعمل بها شركة اخرى .

ـ اذن اريد ان اعرف الحقيقة .

وقالت الام :

ـ احنا مرحبين بالاستاذ احمد ، شاب طيب وابن حلال و.. وقاطعها الاخ الاكبر قائلا :

ـ والمادة ...؟

ـ لقد اخبرنا انه يملك ايرادا خاصا شهريا وانه احضر الشبكة ومعه مائة جنيه ..

ـ وانت هل توافقين ..؟

ـ طبعا .. انه ابني وهي ابنتي وسأعاونهما ..

ـ حتى ولو كان كاذبا ..؟

ـ كاذبا ..؟

ـ نعم .. انه يكذب .. انه لا يملك شيئا سوى مرتبه ومرتبه صغير ولا يملك مهرا ولا شبكة ولا شقة ولا اي شيء .. ما هو موقفك الان ..؟

واحتارت الام ثم حضرت ليلى ، وطلب الاخ ان ينفرد بها وخرجت الام وسألها :

ـ هل تحبين احمد ؟ اقصد هل حقا تربطك به علاقة عاطفية ومستعدة للتضحية ؟

وقالت ليلى بدهشة :

ـ ابدا .. ليس بيني وبينه اي عاطفة .. وكيف اضحي .. لقد بدا الامر فكاهة ومرحا واخذه هو على محمل الجد .. ما ذنبي انا ..؟ لقد تقدم لي ولاسرتي ولكنني لا اوافق .. ان مرتبي ومرتبه لا يمكن ان يفتحا بيتا .. ثم انه لا يعجبني .. انه شاب خفيف .. لقد اضطرني امس لمصارحته بالحقيقة .. انذرته وطلبت منه ان يبتعد عني واقسمت ان لم يبتعد عن طريقي ان اشكوه للرؤساء ..

توالت الافكار على رأس الاخ الاكبر .. مسكين احمد .. لقد خلق من الوهم قصة ومن الخيال حقيقة .. اخذ يرسم لنفسه قصة خيالية واراد ان يجعلها حقيقة .. لم يتنبه لاي شيء .. كان يتردى في هوة سحيقة شيئا فشيئا ولكنه لم يكن ليدري .. كان مندفعا، كان يحاول ان يشعر بالسعادة .. كان يبحث عن الاستقلال .. كان يريد ان يعيش . لم يكن الواقع ليسعفه فأسعفه الخيال .. فرض نفسه وكذب وخدع وحاول ان يخلق حقيقة من العدم وصدمته الفتاة صدمة الواقع فقرر الهروب منه .. قرر الموت لنفسه .. قرر ان يهرب ان يتحطم وان لا يواجه الواقع وان لا يواجه الناس ... ودمعت عينا الاخ الكبير وبان على وجهه مقدار ما يعانيه وسألته الفتاة ولكن لماذا تسأل ومن انت ؟؟..

ـ انا اخوه الاكبر واسأل لانه قد انتحر ولكننا اسعفناه .. انه في المستشفى .. اردت ان اعرف الحقيقة ...

وقالت الفتاة دهشة ودون ادنى شعور : يا حرام .. عملها ؟..

واحس الاخ بالغضب ينفعل في اعماقه فهب واقفا وسألها اذا كان قد ضحى من اجلك الست على استعداد للتضحية من اجله ... الست على استعداد لمساعدته لانتشاله من اليأس الذي يتردى فيه ؟

وردت الفتاة :

ـ ابدا لا استطيع .. لا يمكن ان نعيش ان مرتبنا بسيط وانا اريد ان ارفع مستواي المادي واحمد شاب لطيف ولكن المادة .. وهرول الاخ الاكبر مغادرا منزل ليلى والدموع تكاد تخنقه وولى وجهه شطر المستشفى وهو يهمس لنفسه :

ـ مسكين .. مسكين يا اخي .

القاهرة — السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

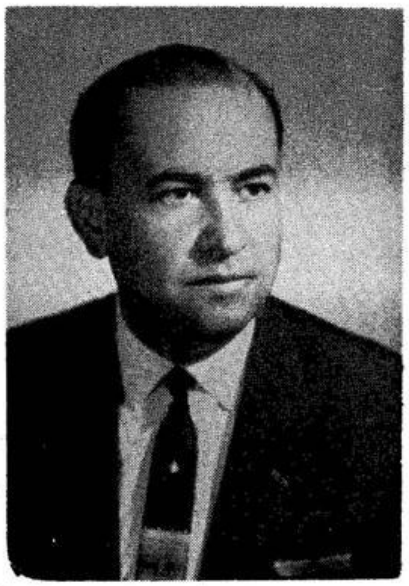
الى طفل الامس

•

فـؤاد الخشـــن

•

الشويفات ـ لبنان



ان يكـن جهلك بالناس
يريح الناس
فاصمت ...
وتجـاهـل
كل ما يخجل منهم
كل شيء يتناقل
في زوايا الغرف السوداء
عنهـــم
كل ما ظنـوا غبـاء
انه ما زال سرا ..
ولترح كل نعامه
تحجب الراس برمل ..
خلها في وهمها الحلو ،
وخـــل
للأسى المـر
على الثغر ابتسامة
واعتصر قلبـك
في صمت لياليك
لهذا الطرس حبرا ..

•

كم تجاهلت حقيقة
واقعـا يخزي
لمن كنت تـراه
من خلال الذات
في اعلى ذراه
حافرا في جبهة النجم طريقه !
كم تحملت اختيارا
ان يقال
انـك العاجـز
في هذا المجال
لا ترى عينـاك
ما خلف التلال
وهو لا يدري بما كنت تشاء
لشقي ضـاع
في ليل الضـلال
عائش واقعه المظلم
خوفـا وريـاء
همك الاكبر ان ينسل منه
مقلعا بعد حياة التيـه
عنـه
عائـدا
نحو فراديس الضياء !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

من آداب الحديث ومفارقاته

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يلاحظ الذي يتسمع احاديث العامة في مجالسهم المتعددة تفاهة ما يتعرضون اليه من نواح مختلفة ، فهم يقطعون الوقت الطويل في ثرثرة جوفاء لا تملأ فراغا او تشبع عاطفة، وقد يعذرون في ذلك حيث لم تتح لهم التربية الناضجة التي تتجاوز السطح البارز الى الاعماق الدفينة ، ولكن المؤسف حقا ان تكون احاديث الخاصة من المثقفين في اكثر اوقاتها على غرار احاديث العامة ، تفاهة موضوع ولجاجة حوار دون ان تجد فروقا واضحة بين الفريقين، فتظل تسمع وتسمع متضايقا متضجرا ، وقد يلجئك السأم الممل الى الفرار السريع دون تريث وابطاء .

ومعلوم ان الناس يتزاورون ويتجمعون في مناسبات كثيرة ترويحا للنفس في لقاء مؤنس وسمر مريح ، وفي مطارحة الاحاديث تتكشف نواح هامة يجدر التنبيه اليها والاستفادة من نتائجها ، اذ ان الجدب الموحش ظاهرة بارزة تسم هذه الاجتماعات بطابعها العقيم ، ولا بد لنا من نظرة فاحصة نزن بها ما ننفق من اوقات وما نندفع اليه من لجاجات .

وانا اعلم جيدا ان الترويح عن النفس هدف مقصود من التزاور والتجمع ، فليس المجال متاحا للمناقشة العلمية، ولن يعقل ان تكون احاديث الاصدقاء دروسا هامة في بعض العلوم والفنون ، ولو انها كانت كذلك ـ في نطاقها المنهجي الرتيب ـ لاصبحت مدعاة السأم والنفور، فنواجه منها على دسامتها النافعة ما نواجهه الان من الثرثرة التافهة على هزالها المريض ، ويكون بذلك قد استشفينا من داء بداء ، فالسأم والملال نتيجة واحدة في الحالتين واظنك تسأل بعد ذلك كيف يدور الحديث وعلى اي وضع يكون ؟ ان مشارب الناس متعددة غير متحدة فلديهم على اختلاف طبقاتهم تباين عجيب يدفع الى الدهشة والتساؤل ، فهذا مغتاب جريء لا يكف عن انتقاص معارفه وتتبع عوراتهم ثم هو يفرض عليك حديثه الآسن الكريه دون خجل او حياء ، وذلك ناقد يتصدى للمعارضة والجدل في ابسط ما ينبغي ان يتفق عليه من الامور دون ان تكون له وجهة نظر غير اللجاجة والمراء ، وذاك غلام لا يفارق طفولته في رجولته فتظل احاديثه الطويلة تدور حول نفسه واهله فاذا شاهد تبرما من سامعه عده اهانة تؤول في اعتقاده الى حقد وضغينة ، وتترك في سويدائه شجونا سوداء تكدر عليه صفاءه ، وهؤلاء وأمثالهم يجدون في سمر المحادثة ترويحا عن خوالجهم المتوثبة ، فكيف تنظم احاديث الناس مع هذه الانماط المتنافرة حتى تعود على السامع والقائل معا بالفائدة والاستمتاع ؟

اعتقد ان تنازل الانسان عن انانيته الملحة نجاح كبير لمجلسه اذ ان هناك حبا كامنا للسيطرة على النفوس ، يتطلب المنافذ الواسعة للوثوب في كل مناسبة تحين ، والحديث منفذ متسع يظفر منه المتحدث فيفسح المجال لرغباته ونزعاته فما يكاد يسمع كلمة عابرة عن شيء ما ، حتى يندفع في الحديث عنه دون ان تتحدد في راسه افكاره وعناصره ، وقد يتطرق منه الى موضوع اخر يلم بنواحيه دون ان تكون هناك علاقة واضحة او صلة ماسة، فيظل يبدىء ويعيد في حديث بعيد عن المشاعر منبت الصلة بالسامعين ، وفيهم بلا ريب من تتملكه شهوة الثرثرة كصاحبه فيضيق به ذرعا اذ سيطر على اصحابه بهرائه الغث دون ان يترك له مجالا يرضي منازعه، وقد يتلمس السبيل الى معارضته فينفتح باب المهاترة والادعاء ، واذا جنح الى السلامة تلمس البادرة العاجلة فاندفع هو الاخر بذكر ما يتواثب في نفسه من اوهام ، وهكذا يتصل الحديث في غير طائل ، وكأن كابوسا ثقيلا قد ران على السامعين فهم يجثمون تحته في ضيق مقلق ، وما يكادون يتفرقون حتى يتنسموا بعض الراحة مما يكابدون وكأنهم كانوا يواصلون كفاحا مضنيا يتطلب بعد انقضائه كثيرا من التسلية والترويح ، ولو تغافل كل انسان عن انانيته قليلا لرحم سامعيه من هم ناصب ولغو مرير .

لا بد اذن من علاج ناجع لهذه الثرثرة البغيضة ولن تسحق الانانية من الناس في يوم وليلة حتى نظفر بالشفاء السريع ، ومكافحة الداء في هذا المرض الكريه تقع على السامع الحصيف فهو الذي يستطيع ان يوجه الحديث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهة صالحة دون تصادم سافر ، فقد يسأل سؤالا لطيفا يرمز الى الايجاز المقتضب في غير مواجهة ، وقد يخرج بالحديث حينا اخر من نطاقه الشخصي الى مدى فسيحعام يتعلق بمشكلة قومية او حادثة مشتركة تشغل الجمهور ، وسيشعر الثرثار لا محالة ببعض الضيق من انقطاع تياره الخاص ، ولكن الابتسامة المصطنعة والرفق الشامل والبشاشة المتصلة ، كل اولئك قد يهون من شجونه بينما يتلقى درسا عمليا يكشف عن شذوذه الاناني ، فلا يعود الى اللغو السقيم ، كيلا يلدغ من جحر مرتين ، وبذلك يتعلم الناس شيئا فشيئا آداب الحديث.

وقد يكون في بعض المجالس شخصية مرموقة تسيطر بمكانتها على المجتمعين وتتجهلها الانظاروالاسماع ، واذ ذاك يجب ان يلقى عليه العبء ـ ان عد ذلك عبئا ـ في توجيه السمر وتلوين الحديث ومتى سلم صاحب هذه الشخصية من الانانية الاليمة فقد ظفر المجلس بكسب مفيد ، اذ ان يستطيع ان ينتقل بالحديث الى غير وجهته، اذا احس بعض اللجاجة والفضول كما يمكنه ان يرتفع بمستواه الى حد تسيفه الافهام ولا ترفضه ، وقد يكون من اللائق ان يفسح بعض الشيء لغيره ، مكتفيا بالتعليق المقنع ، فاذا تمذلك شعر الحاضرون براحة المستفيدالذي تشبعت روحه وامتلأت نفسه من شراب لذيذ لم يتطلب عنتا في الاعداد والتهيئة ، ويرجع الى السمر لذاذاته الخالصة واثره الحميد .

وقد يظن بعض الناس ان السمر بالمجالس لهو خالص لا سبيل الى تقيده بأوضاع او اتسامه بتقاليد ، وربما كانت الفكاهة المضحكة حينئذ احدىمميزاته وهذا صحيح ان استقام على نهجه القويم ، ولكننا نجد الفضوليين يجنحون به الى الثرثرة والتشدق حتى يعود سخفا مقيتا وهراء مشينا ، بل كثيرا ما يخطىء المتسامرون معنى الفكاهة فيظنونها في التسفل اللفظي ولولوع بنوادر الرعاع ومضحكات الطغام مما لا يجب ان ينكشف الحديث عنه في مجتمع ما ، ونحن لا نريد ان نضيق على الناس منافذ الترويح ولكننا نحذر من الانكشاف الفاضح الذي يبعث على الاشمئزاز لدى الضمائر الحية ، فلا تتحمل الاغضاء عنه بحال ، والواقع أن الانسان اللبق يستطيع ان يعبر عن ادق الامور الحرجة بأسلوب مقنع لا يحرج سمعا او ينحط بقائل ، وفي اللغة العربية من الكنايات الطريفة ما تتضاءل امامه الحقيقة السافرة ، فالتبذل في اكثر وجوهه يرجع الى انحطاط اللفظ ، وضيق التعبير اكثر مما يرجع الى الفكرة الهابطة والمعنى الجارح ، ومتى لاحظ المتسامرون ذلك فلهم ان يتحدثوا كما يشاءون دون مؤاخذة وانتقاص ، على الا يكون تندرهم على حساب فرد آخر فيخرج بهم الحديث من الفكاهة العذبة الى النميمة والاغتياب .

ويدهش من يطالع حيوات كثير من عظماء التاريخ وقادة الفكر في الامم ، اذ يجد ان ندوات المجالس قد حملت في طياتها بذور تكوينهم وعناصر شخصياتهم ، فقد اتاحت لهم تفهم النفسيات المعقدة وملافاة الاحتدام الجدلي ، كما لقنهم الاحتكاك الخطابي أساليب المرونة والمداراة فتكاملت ذواتهم الانسانية تكاملا ناضجا يقوم على سبر الاغوار واظهار الدوافع ، بل ان الفائدة العلمية وحدها ببعض المجالس النافعة قد تغني غناء مدرسة ذات اساتذة ومرشدين ، ونحن نعلم ان مجالس الاستاذ الامام محمد عبده قد خرجت وحدها شاعر النيل حافظ ابراهيم فكان يسمع باسم الكتاب لاول مرة من متحدث فاضل في ندوة الامام فيبادر الى تصفحه واستيعابه ، ويرى في مصاولة العقول غذاء دسما يغني غناء الدراسة الشخصية بل ربما فاقها في بعض احواله، اذ ان المتحدث من افاضل النابهين يذكر دائما الرائع المنتخب من افكاره ومعارفه ، فلا يتحف رفقاءه بغير الدسم المفيد ، في حين انك تدرس الكتاب من الكتب فتجده تارة شهيا نافعا وتارة اخرى يخلف ظنك به فيطالعك بالتافه الممجوج ، وتتحسر حينئذ على الوقت المبذول في استيعابه والمال المعطى في شرائه.

واذا كانت الندوات تضم اشتاتا مختلفة من الناس فانها تتيح بذلك معارف متنوعة ، فاذا اجتمع المهندس والطبيب والقاضي والمدرس في مجلس واحد وامتد بساط الحديث ، فسيتحدث كل بما يكشف عن ثقافته ويبرز عن مناحيه ولن نزعم ان كلا من هؤلاء سيتحدث حديثا علميا عن مهنته الخاصة فذلك ما لا يكون بحال ، ولكن وجهات النظر دائما تتكون من ثقافة الانسان وقد يتلاقى الجميع لدى فكرة معينة ولكن فلسفتها الخاصة وتعليلها المنطقي يختلف لدى كل متحدث وفق منازعه العلمية واطلاعاته الشخصية . وفي ذلك كله تلقيح للذهن ، وارتشاف من منابع الحكمة ، لو قدرت المجالس قدرها فربأ جلساؤها بأنفسهم عن السفاسف الوقتية وذكروا نعم الله على العقول والاذهان ، وفي الدعابة التي تتخلل الحديث ، وفي سمات المتحدث المهذب وفي التندر بالظواهر القلقة في غير تجن ولا اسراف ، في ذلك كله ما يحيل الندوة الى امسية حالمة فاتنة ، وهناك شعور نفسي بالرضا والاغتباط يغمر الانسان حين يرتفع بحديثه الى مستوى ثقافي حميد ، فيلمس تفوقه الذهني ويشهد اعجاب سامعه وتقديره ، وفي ذلك ارضاء لبعض المنازع الكامنة في أطوائه مهما حاول التنصل منها ، ومهما استترت عنه فخدعته الى حد ما ، ولكنها لم تنعدم انعداما يحتم علينا ان نتجاهلها او نتضايق من اعلانها اذ ان الانسان هو الانسان .

ولقد كان ارتقاء الحديث يتيح خيرا كثيرا للسامعين، فانه من ناحية اخرى يدفع شرا مستطيرا تنجم بوارقه بين الحين والحين ، فتفاهة الموضوع تجعل من اللجوج الملحاح ثرثارا كثير التخبط والسقطات ، وهو لضيق

نار الشباب

وحدي انا في غمرة الاشواق ... أولا تهزك دمعة المشتاق ؟
ما للربيع طلاقة ان لم تكن ... فيه ملامح وجهك البراق
عللت نفسي باللقاء فزدتني ... هجرا . كأني طامع بفراق
ما ضر لو قصرت اسباب النوى ... واسوت جرح الواله الخفاق ؟
غلواءكم ناجيت طيفك في الدجى ... ما اجمل الاوهام للعشاق !
لا لن الومك ان هجرت خميلتي ... غضبانة ، ونأيت عن آفاقي
صدقت في المرجفين ، ومن يكن ... ذا ريبة اصغى الى المذاق
هل تذكرين على الرياض لقاءنا ... في عزلة عن اعين الطراق
يرخي علينا الليل وارف ستره ... ويضمنا في قبلة وعناق
للنسمة الغيرى حديث نميمة ... عن حبنا تغشيه للاوراق
غلواء ان ذهب الشباب فناره ... لما تزل تنساب في اعراقي
لم تبلغ الاحداث مني غاية ... وقلمت ظفر الدهر عن اعلاقي
قيثارتي ما زال في اوتارها ... نغم يثير مكامن الاشواق
اوثقت الا عن هواك حشاشتي ... سبحانك اللهم شد وثاقي !
لا يضحكنك ان فودي ابيض ... بيض السيوف لغارة وتلاقي
انا شاعر الحسن الندي فلا يته ... غيري بثوب الشاعر السباق
كرمت الحاني فلم الجأ الى ... بوق ولم ازحف الى بواق
بئس الاديب يريق ماء جبينه ... ويبيع زاد الفكر في الاسواق !
انجية الوادي هزارك ظامىء ... واحرقتي لغديرك الرقراق !
ان تنكري عهدي ـ فديتك ـ فاعلمي ... اني على عهد المحبة باق

بوانس ايرس ـ الارجنتين ... زكي قنصل

نظره يتعرض للناس مصرحا بالاسماء مستدلا بالوقائع ولا بد من نقد يزيد ويتسع حتى يصبح سبابا ، فان لم يبلغ ذلك فهو تعريض مفصح لا يعدم من يحمله الى صاحبه المنقود فيؤجج الضغائن ويثير المواجد ، ورب كلمة عابرة قذف بها قائلها في غير تدبر عاقل فتحت ابواب التطاحن والشجار ، بل ان كثيرا من الحروب المدمرة في تاريخ البشرية كانت نتيجة لحديث تبودل وثرثرة هذيها صاحبها دون اكتراث فعادت على الامم والافراد بالويل والثبور . ومن هنا دعا الاسلام الى النجوى الصالحة والكلمة الطيبة فقال الله عز وجل : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما »

وروى البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك بها المجلس يهوي بها ابعد ما بين السماء والارض وان الانسان ليزل عن لسانه اشد مما يزل عن قدميه » ولكبار المفكرين في ذلك نفثات رائعة لا يسعها هذا المجال .

ان من احتقار المواهب الانسانية ان يفيض عقلاء القوم في حديث ممرور لا يجلب غير الحنق والضيق ، وقد تكون التفاهة معرة للجهلاء والاقدام، ولكنها للمثقفين كارثة يعز فيها الصبر ويند عنها العزاء ، فليت الذين اوتوا نصيبا من المعرفة يتركون هراءهم الان الى سمر ينعش الارواح ويسمو بالاخلاق !!

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

التاريخ

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

ترب الزمان البكر في الميلاد ... ووديعة الاجداد للاحفاد
لبست به دنيا المروءة سابغا ... من نير الاطواق والابراد
وازينت بقلائد ، خرزاتها ... عبر تشع كثاقب وقاد
سطر الحقيقة باحثا ومفندا ... وجلا اليقين بحكمة ورشاد
يزن الرجال على المروءةوالندى ... في الخلق والاقدام عند طراد
يتتبع العورات غير مسامح ... أو غافل عن عورة لجواد
من ورده غرر الحقائق تستقى ... مجلوة كعرائس الآراد
ولايه فصل القول يسطع غربه ... بمهند للحق او بصعاد

غال الردى(يونان) في شرخ الصبا ... وطوى الرسوم وذرها كرماد
لم يبق غير نؤى تلوح لناظر ... كالطيف في سقم وفي اجهاد
شحبت معالمها ورق أديمها ... كهواجس المخمور حين رقاد
شعب البلى (يونان) الا سيرة ... تتلى بكل سريرة وفؤاد
تاريخهم عجب القرون على المدى ... كالشمس ليس شبابه لنفاد
قيثارة بيديه يملأ عزفها ... سمع الزمان بأعذب الانشاد
كفلت (ليونان) الخلود وحققت ... قبل المعاد لها مآب معاد

درج (الاكاسرة) الاولى وكانهم ... سقط المتاع لخسة وفساد
نهبوا أفاويق الهوى أيامهم ... من كأس غانية تدار لصادي
ركزوا المظالم دون كل ثنية ... علما يرف بعاصف الاحقاد
(قمبيز) وجه العار عبء للاذى ... جيشا تقنع في قتام سواد
نفث الدمار بكل أرض حلها ... وكأنه سهم الحمام العادي
فجع المروءة في أجل وديعة ... أوصت بها الاحرار للاولاد
ومشى مع الشهوات في غلوائها ... كالهيم في الاصدار والايراد
كم من أكاسرة اذا عددتهم ... أسقطتهم كالصفر في الاعداد

قل للذي ساس الشعوب بمرهف ... وجرى يحالف عن هوى ويعادي
آساس ما رفع الاذى متصدع ... وبناؤه طنب بغير عماد
والناس احلام السراب بقيعة ... تطوى كرجع صدى يرن بواد
كل يؤول الى النفاد ولم يكن ... ثمر الجميل على المدى لنفاد
ما يحفظ التاريخ كان وديعة ... ترعى من الاحرار بالاكباد
فكن الامانة في جليل يصطفى ... واحذر مغامز مرقم النقاد

دمشق ... عدنان مردم بك

ARCHIVE

ابراهيم الشنطي - عبدالرحيم عمر

حسن البرقاوي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ ابراهيم الشنطي

صهر « ابراهيم » نفسه في حب وطنه المغصوب ، وأذاب روحه دفاعا عن شعبه المغلوب ، وصور شعوره نحو وطنه الغالي ، وجسد مشاعره ازاء شعبه المناضل الانوف ، بالعبارة الشعرية التي نطقها « شكسبير » على لسان « جون غونت » في روايته « الملك ريتشارد الثاني » :

« هذه الذرية البشرية السعيدة ،
« هذه الدنيا الصغيرة ،
« هذا الحجر الكريم ، المثبت في البحر المفضض ،
« هذه القطعة المباركة ،
« هذه المملكة ،
هذه الانكلترة ! »

ولد « ابراهيم » في يافا عام ١٩١٠ وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة « دار العلوم » وعرف وهو ابن العاشرة ، الخطر الصهيوني بالثورات المتواصلة التي نشبت في فلسطين ، وانتسب لجمعيات وطنية . وخلال دراسته الثانوية عمل في حقل الطلبة بحيوية ونشاط ، لا سيما نادي الطلبة التهذيبي . وفي عام ١٩٣٢ انهى دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت وكان عضوا في « العروة الوثقى » . وبعد ان نال شهادة في العلوم السياسية عاد الى فلسطين وانضم الى قلم تحرير « الجامعة الاسلامية » لمؤسسها المرحوم الشيخ سليمان الناجي الفاروقي واختار لمقالاته عنوان « حديث الشباب » فلقيت تقدير القراء ، وتركت في النفوس صدى بعيدا .

وبعد وفاة المغفور له الملك فيصل الاول بذل جهدا صحفيا في عدد ممتاز من جريدة « الجامعة الاسلامية » وقد عرف به العراق الشقيق الى الشعب العربي الفلسطيني ، وكان في هذه الفترة عضوا في حزب الاستقلال .

وفي هذه الحقبة سادت فلسطين موجات من الحزبية البغيضة ، وتألبت عليها الاحزاب المتنافرة ، فبرزت الدعوة الى اعتبار بريطانيا هي المسئولة الاولى عن تعثر القضية ، وتقهقر البلاد ، والسير بها الى طريق التهويد ، وهب « ابراهيم » بعزم الشباب المؤمن الى محاربة الانتداب والصهيونية ، وأسس في يافا صحيفة يومية راقية باسم « الدفاع » وصدر العدد الاول في شباط ١٩٣٤ وساهم في تحريرها المرحوم سامي السراج وابراهيم طوقان و « أبو سلمى » والزركلي ، وخصها طوقان بمقطوعات اسبوعية من شعره حفزا للهمم ، وشحذا للعزائم ، وكشفت المصادفات عن شحنات من الاسلحة عمدت الى تهريبها المنظمات اليهودية في براميل من الاسمنت ، فتناول « ابراهيم » هذه « البركات » بسلسلة من المقالات النارية تحت عنوان « لولا العقلاء ! » .

وفي عام ١٩٣٥ اخذت الدفاع تنمو نموا سريعا ، واصابت دعوتها الى اعتبار بريطانيا « الاصل » والصهيونية « الفرع » نجاحا كبيرا ، واستوردت اول مطبعة « دوبلكس » وتمكنت بذلك من تلبية طلبات المدن والقرى الفلسطينية ، من حيث زيادة الكميات ، وأصبحت البلاد مستعدة للدفاع عن نفسها في وجه الهجرة « المشروعة » و « غير المشروعة » واستعدت استعدادا روحيا عاليا ، وكانت الصهيونية في الثورات الاولى هي « الهدف » وما لبثت الاصابع ان اومأت الى بريطانيا فكانت « الهدف » في الحملات التي شنتها « الدفاع » وزميلاتها الصحف العربية .

ولم تحل سنة ١٩٣٦ حتى كانت الثورة في فلسطين قد نشبت بين العرب من جهة والانكليز واليهود من جهة اخرى ، ودعت « الدفاع » الى اضراب عام شامل في فلسطين استمر ستة شهور ، وأسس « ابراهيم » في يافا « الحرس الوطني » دفاعا عن الثورة ، فأعتقل مع اربعة من اخوانه العاملين في الحقل الوطني ، وبعثت بهم سلطات الاحتلال الى « عوجا حفير » بقضاء بير السبع .

ونتيجة لتزايد افواج المعتقلين نقلتهم الى « معسكر صرفند » الغاص بألوف من المعتقلين العرب ، وأمضى « ابراهيم » فيه قرابة السنة ، وكان يجد الوسيلة لتحبير المقالات وارسالها الى « الدفاع » يوميا ولم ينقطع عن الكتابة طوال مدة اعتقاله .

وفي تلك الايام ذر قرن الحرب الاهلية في اسبانيا فارتفع معدل توزيع « الدفاع » نسبة عالية ، وكانت حصة المدن الفلسطينية ٦٠٪ والقرى ٤٠٪ والفلاح العربي الفلسطيني قارىء نابه ممتاز ! .

ودخلت سنة ١٩٣٧ والثورة ناشبة في فلسطين ، الامر الذي حمل السلطات البريطانية على تبديل قواد ثلاثة كان احدهم الجنرال « دل » رئيس اركان الحرب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعمدت الى استعمال الطائرات في تلك المعارك الرائعة .

وفي هذه الاثناء اقترحت لجنة التحقيق الملكية تقسيم فلسطين ، وكان اليهود من اشد المتحمسين له ، وهدفهم اقامة دولة يهودية ... حتى لو امتد عنقها من تل ابيب الى حيفا .. ليتخذوا منها « راس رمح » ! كل هذا والثورة في تصاعد و « الدفاع » تضرب منسوبا عاليا في طبعتها !

وفي سنة ١٩٣٨ اخذت نذر الحرب العالمية الثانية في الظهور ، وصار على بريطانيا ان تقدم « حلا » يرضى به العرب ، غير مشروع التقسيم !

وفي صيف هذه السنة قصد « ابراهيم » اوربا ، اذ كانت القضية الفلسطينية معروضة امام جمعية الامم في جنيف ، فزود « الدفاع » برسائل دلت على تفكير عميق ، ونالت تقدير واعجاب القراء ، وصور ذلك التحيز الذي كانت تبديه لجنة الانتدابات ، ومطامع اسرائيل في النقب كما شرحها وايزمن امام اللجنة التي كانت تعتبر بريطانيا مترددة في تهويد فلسطين ، وايقن « ابراهيم » ان للاستقلال سبيلا واحدا هو الاستماتة في الدفاع عن الوطن ، وحمل الدولة المنتدبة على الرضوخ والاذعان .

ومن جنيف دعي « ابراهيم » لزيارة المانيا فرأى ذات يوم مشهدا عجيبا لم يبرح ذاكرته .. هو ان جنديا المانيا كان يسوق مئات من اليهود كانوا أشبه بالنعاج .. ولما علم انهم مسافرون الى فلسطين كمهاجرين ابدى استياءه ورفض ان يشهد احتلال بلاد السوديت من تشكوسلوفاكيا ، فقصد لندن وعلم ان هناك تفكيرا باصدار « الكتاب الابيض » المتضمن وقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، واقامة دولة ثلثها من اليهود وثلثاها من العرب ، وشهد رحلة نيفيل تشمبرلين مرتين الى المانيا ليحول دون نشوب الحرب وليحضر مؤتمر ميونيخ ، و « ابراهيم » يذكر ان الشعب البريطاني لم يكن في حالة استعداد نفسية لدخول الحرب !

وفي سبتمبر عام ١٩٣٩ اعلنت الحرب العالمية الثانية ، فأفاد اليهود من التدريب العسكري على الاسلحة الحديثة كمتطوعين في القوات البريطانية ، اما العرب فقد رفضوا التطوع والتدريب كرها بالانكليز والحلفاء على العموم .

وبعد اعلان الحرب ساد فلسطين شيء من الهدوء ، وكانت الحكومة البريطانية في حاجة الى الدعاية .. فلزمت « الدفاع » جانب الحياد ، وجرت محاولات لزحزحتها عن موقفها هذا ، غير ان « ابراهيم » اشترط لتأييد الحلفاء صدور تصريح رسمي باستقلال فلسطين فور انتهاء الحرب ، لكن المسؤولين البريطانيين قابلوا هذا المطلب بالرفض ، فعانى « ابراهيم » الكثير من التهديدات بالسجن واغلاق « الدفاع » لكنه تمسك بمطلبه ، ولم يبال بتهديد القوم ووعيدهم ، ويذكر كيف ان اليهود اخذوا يعرضون بيارات البرتقال التي انشأوها باسعار زهيدة ، بعد ان وصلت فيالق « رومل » القائد الالماني الى ابواب الاسكندرية !

بعد « معركة العلمين » كان الفيلق اليهودي قد تألف بصورة غير رسمية ، واخذت كفة الحلفاء في الرجحان ، واستطاع اليهود تهريب كميات هائلة من السلاح لمستعمراتهم في فلسطين، كما بدأت سفن المهربين اليهود بغزو فلسطين برا وبحرا .. وسرا وجهرا .. وتحول المتطوعون منهم الى مهربين للاسلحة واليهود ، والى جنود في جيش الهاغناه . ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان اكثر من ١٥ الفا هم قوة « الفيلق اليهودي » مدربين احدث تدريب ، ثم أطل دور الارهاب الموجه الى القوات البريطانية !

كان في وسع هذه القوات الاجهاز على ذلك الارهاب اليهودي في ساعات قلائل .. غير ان وزارة المستعمرات كانت تغل أيديها غلا .. وكان النشاط الصهيوني السياسي قد انتقل الى الولايات المتحدة حيث صارت مركز الثقل بعد خروج بريطانيا منتصرة ولكن خائرة القوى من الحرب !

وفي تلك الاثناء تجاوز توزيع « الدفاع » الاربعين الف نسخة يوميا ، وكانت تحذر من التسلح اليهودي ، واخذ بعض كبار الموظفين البريطانيين يلمحون الى قرب انتهاء الانتداب على فلسطين ، واستغل اليهود مشكلة معسكرات الاعتقال النازية استغلالا واسع النطاق في العالم ، وحولوا العطف الى مساندتهم لفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية . ولقد اماطت لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية اللثام عن قوة الهاغناه ، حينما ورد في أحاديث بعض افرادها ان ارقامها تتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ الفا ، وكان صاحب « الدفاع » يتنقل باستمرار بين فلسطين ومصر ، منبها الى ضرورة الحصول على الاسلحة ، وكانت صلته بعبدالرحمن عزام ، الامين العام لجامعة الدول العربية السابق ، وثيقة ، فأوفدته الجامعة العربية مع مندوب اخر لشراء معسكر صرفند ومعسكر كفر جنس بفلسطين ، وبينما كانا يعاينان الاسلحة في المعسكر الثاني داهمتهما قوة من الهاغناه اليهودية ونقلتهما في دبابة الى مطار اللد وابعدتهما الى مصر في اخر طائرة غادرته !.

وحينما دخلت القوات العربية فلسطين حفظا للامن والنظام فيها ، لم يكن عددها مساويا لربع قوات الهاغناه ، ولم يكن تسلحها بأحسن منها .

ومرض « ابراهيم » واحس بأنه انتهى .. ونصح اليه صديق صحفي بالمعالجة في مستشفى المؤاساة بالاسكندرية الذي كان يشرف عليه الدكتور النقيب ، وبعد اقامة شهر فيه سافر مع عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي ، الى سويسرا لمتابعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلاج ، وبعد عودته الى مصر في اعقاب عـام ١٩٤٩ تحاملت احدى الصحف الكبرى بشدة على الشـعب الفلسطيني فانبرى للرد عليها بمقالات مؤثرة في صحيفة « المصري » ، وقد زاره ذات يوم اللواء محمد نجيب وبارك حملته الصحفية وشجعه على المضي في الدفـاع عن الشعب الفلسطيني المناضل وحفزه هذا التشجيع الى انشاء صحيفة يومية في القاهرة للدفاع عن الشعب النبيل المشرد ، والدعوة الى تقارب عربي تكون القاهـرة مركزه بل عاصمته .

وفي الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٢ وقعت الثورة في مصر فرأى « ابراهيم » ان يتمهل في تنفيذ المشروع لكن ضغط اخوانه انصب عليـه فصـدرت صحيفـة « القاهرة » يومية في القاهرة بمشاركة السياسي العربي المرحوم اسـعد داغـر .

كان « ابراهيم » شديد التعلق بمصر ، ويعزى هـذا التعلق الى سبب تاريخي عميق الاثر في نفسه هو ان مصر كبحت جماح الحملات الصليبية بالتعاون مع بـلاد الشام ، وصدت بعدها غزوات المغول ، ولا مناص مـن قيادة مصر لكبح جماح الغزو اليهودي !

ويؤمن « ابراهيم » ايمانا صادقا بانه خير للامـة العربية ان تخسر المناطق المحتلة مـن ان تدخـل فـي مفاوضات الصلح مع اسرائيل التي تجري على سياسـة المراحل .. للتوسع والاعتداء ، وان اسرائيل سـوف لا تكتفي الا راغمة والى حين .. بما تسميه « الحـدود الآمنة » والاعتراف الضمني بها ، ذلك ان مخططها جعل الاقطار العربية اسواقا لها ، وجعل شعوبها شعوبا تابعة!

وبعد احتجاب « القاهرة » عاد « ابراهيم » الـى بيت المقدس ليتابع جهاده الصحفي في جريدة « الدفاع » وبقي مشرعا قلمه فيها حتى عام ١٩٥٨ حينما مرت البلاد العربية بظروف محزنة من الخصومـات والخلافـات ، واضطر لمغادرة القدس اعواما ! .

وحينما وقع العدوان الاسرائيلي في الخامس مـن حزيران ١٩٦٧ كان في القدس ، فأذهله العدوان كمـا أذهل الكثيرين ، وبعد قرابة الاسابيع الثلاثة ، قصـد عمان وقرر استئناف اصدار « الدفاع » للمرة الثالثة في تاريخها ، كانت الاولى في يافا عام ١٩٣٤ والثانية فـي القدس عام ١٩٥٠ والثالثة في عمان عام ١٩٦٧ ، وانكب على العمل وشرح أظلم قضية عادلة عرفها التاريخ ! .

وفي الرابع عشر من آذار ١٩٦٩ انتخب « ابراهيم » نقيبا للصحافة الاردنيـة .

نماذج من نثره : اشتهر « ابراهيم » بكلمات كـان ينشرها في صدر جريدته ، تحمل اسم « وجدانيات »، ولقد لاقت هذه الوجدانيات تقدير العشرات من قـراء « الدفاع » واعجاب أهل القلم ، ولو قدر « لابراهيم » ان يجمع « وجدانياته »هذه منذ اول عهـده بهـا لأثرى الخزانة العربية بموسوعة ضخمة من الادب الوجدانـي الرفيع . ودونك ثلاثا منها :

١ ــ « أطلقوا عليهم اسم « شعراء المقاومة » وعلى ادبهم « ادب المقاومة » ، شموع مضيئة هنا وهناك تبدد الظلام في ايامنا المظلمة . تشرق الشمس كل يوم وتغيب، ولكن سيان اشرقت ام غابت ، عالم القلوب ، قبـل عالم الملايين ، وعالم قلوبنا مظلم . أوتار تشدو في الليـل البهيم الصامت ، لا ينقطع شدوها . قليلة في العدد ، غير ان الغناء ساحر ، تبكي له حتى الاحجار .

أنفاس لاهبة من فرط الالم ، لا تشكو ، لا تتبرم ، لا ترفـع اهدابهـا ، كبريـاء ، لئلا يقال انها تتظلـم ، انهـا تضعف في وجـه الهـزات المدمـرة الداميـة . اذن في حالتين اثنتين يتألق الشعر ويسنمو : العصـور الذهبية ، وهذه ليست في الحساب ، اليوم وفي عهود الاضطهاد ، وهي ما تعيشها مناطقنا المحتلة هذه الايام . ويأخذون شاعرا من (شعراء المقاومة) الى السجـن ، فأي فارق احدثوه بالنسبة له ؟ ويخرج . أخرجوه لانه فؤاد وقلب ، ليس غيرهما . لانه شمعة تتلاشى ، ووتر يغرد ، ونفس تحس به حين تدنو منه . هـل تسـجن شمعة ، ويحبس وتر ، وتخمد انفاس ؟ كل هذه معنويات لا حاجة بها الى سلاح . لا تقف أعتى الاسوار والحجرات المظلمة تحت الارض ، في وجه الكلمـة ، سر شـعراء المقـاومـة .

عبرت الاجواء من نابلس وبغداد والقاهرة وعمـان وفاس ، قصائد من نور تحيي السجين : « شـاعر المقاومـة » .

٢ ــ « ازالة الحواجز من الشوارع والاحياء لا تزيل الحواجز من النفوس . توحيد القدس بشطريها العربـي واليهودي ، اداريا وعسكريا ، لا يوحد بين سكانها العرب، واليهود ، أحياء متقاربة المواقع ، لكن تفرق بينها مسافات شاسعة وجبال من الخلافات ، جبـال من الاهـداف والوسائل . ازالوا الحواجز ، وحدوا ادارة البلديـة ، حاكم عسكري واحد للمدينة ، لكن هل أفاد هذا شيئا ؟ هل حقق غاية ؟ قلب واحد لم يذهب اليهم حتى ولـو في الخفـاء . بقيت الفواصل بين النفوس في ارتفاع جبـال القوس ، لا في ارتفاع جبال الهملايـا . يـوم الاضراب اقتنع كل مراسل اجنبي ، وكل اذاعة لها مندوب بـأن هناك شعبين ، يقف كل واحد منهما عند قطب ، هذا في القطب الشمالـي ، وذاك في القطب الجنوبـي ، تهاوت الاستار عن المسرح الذي اوجدوه في القدس ، فاذا هناك قدس عربية وحصن البلدة القديمة ، بلدة المقدسـات ، ثم احياء يهودية ، لسكانها اليهود . كل الذي صنعوه من بارات وكباريهات ، ظهر تافها ، اصطناعيا ، لا صلة لـه بالقدس في صورة من الصور ! كانت القدس قلعة عربية! وستظل القدس قلعة عربية ! » .

٣ ــ كنت أصغي الى اذاعة اسرائيل مساء أمس ، يا لله ، وهذا الحقد على حركة المقاومة ، على الفدائي ، اتهمته بالتخريب !

ليكن ذلك ، اتهمته بالتدمير ، لها ما تشاء ، مع انه فوق هذا وذاك . وتتهمه الان بالضعف امام التحقيق ، الا هذا ! ان كلمات (كمال النمري ووليم نصار) ما تزال ترن في آذان قضاة المحكمة ، وتلك الايدي المشلولة ، هل خارت قوى اصحابها ؟ لقد صار مثل جواد قرطبة . هذا الفدائي صار مثل جواد قرطبة . استولى عليها الاسبان ، وما زالوا يذكرون شابا فارسا كان يقتحم بجواده الاشهب الصفوف الى قلب المعركة ! .

وتحولت الشجاعة النبيلة الى اسطورة ، بل اساطير ، حتى بعد ان سقطت قرطبة ! كان اهلها من الاسبان لا يكادون يأوون الى فراشهم حتى يفزعهم صهيل ذلك الجواد وهو يعبر الضواحي ، والميادين ، والشوارع ، كهزيم الرعد ، حتى لم يجرؤ احد على الخروج ليلا ، في وقت معين ، مخافة ظهور الجواد يبحث عن فارسه في أجواف الليالي ، ولا يختفي الا مع خيوط الفجر .

عاشت الاسطورة وقتا طويلا ، هكذا توشك المقاومة ان تكون . بسببها رصدت السلطات الاسرائيلية خمسين مليون دينار ، انفقتها على قرى الحدود ، والحدود . والدوريات التي لا تنام ، والحراسة التي تتواصل ، والاسلاك الالكترونيات ، والاستفتاء الذي أجرته مجلة يهودية حول المقاومة ! ونسبة الاربع والستين بالمئة التي قالت بعقوبة الموت للفدائي !

كانوا بضع عشرات ، ثم بضع مئات ، ثم بضعة الوف . العدد في تصاعد مستمر ، وغدا ، وبعده ، وبعده ! . .

أفواج تحل محل افواج . جيل جديد يغسل عار النكبة الذي تلبس جيلا سبقه . جيل ، لايعبر الحدود وفي نفسه العودة . انه يذهب لكي نذهب !

روح جديدة ، مثل جواد قرطبة ، لكنه لا يبحث عن فارسه .. انه يعبر وطنه ! » .

٢ ــ عبد الرحيم عمر

القول الذي أحبه « عبد الرحيم » وطفق يبشر به ، ويتغنى بجلال معناه قول ارسطو :

« اذا اختلف الحق وأخي .. فأنا مع الحق ! »

ولد « عبد الرحيم » عام ١٩٢٩ في قرية جيوس من قضاء طولكرم وأنهى دراسته الابتدائية في مدرسة قلقيلية وانهى الدراسة الثانوية في ثانوية طولكرم عام ١٩٤٨ .

وفي هذا العام ، عام توحيد ضفتي الاردن، انتسب الى جامعة لندن ونال شهادة (المتوسط) في الادبين العربي والانكليزي والتاريخ القديم ، وانضم الى زحوف المناضلين في قضاء قلقيلية وعين معلما في مدرسة جيوس (١٩٤٩ ــ ١٩٥٢) .

وفي عام ١٩٥٢ بارح فلسطين الى الكويت وعمل معلما هناك حتى عام ١٩٥٩ ، اذ عاد الى الاردن وعمل منتجا في الاذاعة الاردنية فرئيسا لقسم الاحاديث الادبية فرئيسا للقسم الثقافي فمراقبا عاما للاعداد. وظل يصرف عمله هذا في دار الاذاعة الاردنية حتى عام ١٩٦٥ اذ انتدبته وزارة الاعلام لتأسيس القسم الثقافي واخراج مجلة « أفكار » وعهد اليه برئاسة تحريرها . وفي عام ١٩٦٦ اودع السجن العسكري بالزرقاء ، وفي شهر ايار ١٩٦٧ افرج عنه واعيد الى وزارة الاعلام مديرا لدائرة فلسطين ومشرفا على رئاسة تحرير مجلة « الاذاعة والتلفزيون » .

قرض «عبد الرحيم » الشعر في سن باكرة واول قصيدة نشرها من نظمه في مجلة « الرأي » الاردنية لصاحبها الدكتور جورج حبش عام ١٩٤٩ كانت بعنوان « تحية » وقد أهداها الى المرابطين على خط الهدنة في قلقيلية ونقلتها جريدة « لواء الاستقلال » البغدادية واخذ ينشر شعره في الصحف المحلية والعربية .

ونتيجة للمصير المرير الذي آلت اليه القضية الفلسطينية أقبل على قراءة مؤلفات عديدة لمشاهير المفكرين ، وتأثر بكتاب « الفن والحياة الاجتماعية » لمؤلفه « بليخانوف » . ولعل هذا الكتاب كان اكثر الكتب التي أثرت في موقفه الادبي .

وقرأ « عبد الرحيم » فيما بعد « سارتر » فوجده متأثرا الى حد بعيد بـ « بليخانوف » وان مجموعة الاسئلة التي طرحها « سارتر » في مؤلفه « ما هو الادب ؟ » هي نفس مجموعة الاسئلة التي طرحها « بليخانوف » الا انه ظل على وفاق معه في استنتاجاته ، وان اختلف عنه في طريقة الوصول الى هذه الاستنتاجات .

من آثاره القلمية :

١ ــ اغنيات للصمت (ديوان شعر) طبع عام ١٩٦٣

٢ ــ كلمات لن تموت (ديوان شعر)

٣ ــ اليسار والصهيونية (تولى نشر هذا الكتاب مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت)

وبالاضافة الى هذه الاثار فلعبد الرحيم محاولات مسرحية في الشعر العامي ، ووضع مسرحية بعنوان « تل العرائس » وقد مثلت في المهرجانات الفولكلورية التي اقيمت في مدينة اريحا عام ١٩٦٥ .

نماذج من شعره : بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ وجه (عبد الرحيم) قصيدة عنوانها « سلمت يداك » الى الجندي الاردني الذي أسقط ببندقيته اول طائرة اسرائيلية معتدية في وادي الاردن :

سلمت يداك !

فالجرح ينزف والدماء تحيط بي من كل صوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغمامة الحزن الملم تسد دوني كل درب
وأراك كالقبس البعيد يلوح في الليل المطيف
فأحس اعصارا من الامل العنيف
الجبهة السمراء ما غابت وما زالت هناك
لن يفلح الغازون يا بلدي وان بلغوا السماك
فالموت يحسم كل امر ، حبذا الموت الشريف
فاضرب فديتك ! وادفع الذل الملم فذا حماك
سلمت يداك !
يا ايها الجندي في ليل المنايا والحدود
قد كاد ينسدل الستار
ونموت في هول العثار
وتفيض في الارض الحزينة كل احلام الصمود
لكنما عين الفداء تجوب ارجاء الفضاء
قد ايقظت كل الرجاء !
يا ايها الجندي يا رمز البطولة والاباء
ان روع الاطفال في الوطن الجريح فمن سواك
يرجى لمسح جراحهم ، واذا النساء
نادت وأعياها النداء
من يردع الخصم اللئيم سوى لظاك ؟!
سلمت يداك !

وبعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ نظم « عبد الرحيم » قصيدة رومانتيكية بعنوان « قبل ان أكتب السطر الاخير » وفيها رصد الشاعر المشاعر الرومانتيكية التي استولت على نفسه بعد حلول المأساة العربية الكبرى، ونشرتها مجلة « رسالة الاردن » فاطلع عليها ابرك بيس مراسل صحيفة « نيويورك تايمس » في الشرق الاوسط فترجمها الى الانكليزية ونشرها على الصفحة الادبية من صحيفة « نيويورك تايمس » وهذه أبياتها :

ربما الان .. ولما اكتب السطر الاخير
قبل ان اطوي جناح الورقه
آن لي أن اكشف السر الصغير
نضبت في خاطري تلك المنى
والحكايا المشرقه
يوم حدثتك عن حب كبير
يتسامى فوق اسوار الدنا
ويداري برؤاه الخارقه
كل ما تخشين من أمر خطير
فأعذريني !
مزقي كل مكاتيبي اليك
ولتكن زادا لجوع المحرقه
نحن أحببنا وما كان لنا
وخلقنا عالما من حبنا
نحن ما كان لنا ان نخلقه
فادفني كل حكاياتي القديمه
فبما فيها من الشوق ومن صدق العزيمه
وابتهالات هوانا الصادقه
لم تعد تجمعنا بعد الهزيمه
واعذريني انا نازح
كل دنياه ظلام وانكسار
ليت لي ان املأ الآفاق كبريتا ونار
ليت لي ان أوقظ العالم او ان احرقه
ربما الان ... !
ونحن نتلهى بشكاوى عاشق او عاشقه
ربما الان ... ولما اكتب السطر الاخير
ربما اغتالوا مناضل
ربما قد هدموا بيتا امينا بالقنابل
ومراجيح صغاري
ربما صارت لأهلي مشنقه
يا صديقه !
بشر نحن وفينا كل اخلاق البشر
تارة نحن العتاة الاقوياء
تارة نحن الفلابى الضعفاء
كل امر قد لقيناه له فينا أثر
فأعذريني !
واذا ما قلت اني رغم انفي
قد تغيرت .. رجاء صدقيني !

٣ ـ حسن البرقاوي

الحكمة التي حملها « حسن » شعارا وظل يفاخر بها قول الخليفة المأمون : « فكرت في علوم الارض فلم أر علما أعظم من النظر في عقول الناس ! » .

ولد « البرقاوي » في قرية « برقة » من اعمال محافظة نابلس عام١٨٩٢ وهو ينتمي الى عشيرة دار سيف المعروفة بحربها مع القائد المصري ابراهيم باشا في وادي الشعير بقيادة شيخها عيسى البرقاوي وأحمد القاسم شيخ جماعيل .

وتعلم « حسن » في كتاب قريته وفي مدرستها الابتدائية وتلقى دروسا في العربية والفقه والمنطق على فقهاء قريته مدة سنتين ، وبعد ان ادى امتحانا في مجلس معارف نابلس الكبير عين معلما في مدرسة قريته وسلخ فيها مدة عامين ، ثم قصد الازهر الشريف ومن اساتذته الشيخ محمود ابو العيون ، استاذ تاريخ العرب قبل الاسلام ، والشيخ السبكي استاذ علم الكلام .

وبعد ان استكمل « البرقاوي » زاده العلمي عاد الى نابلس وانتسب الى الجامع الاصلاحي الكبير وقرأ العربية والفقه والمنطق على الشيخ موسى صوفان والشيخ داود هاشم .

واثر اندلاع الحرب العالمية الاولى اخذ جنديا الى دمشق وهناك اتصل ببعض العلماء كالشيخ حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزبيدي اليماني وقرأ عليه المنطق وأولع في الرياضيات وقرأها في مؤلفات الدكتور فان دايك الاميركي الاصل .

وبعد زوال الحكم التركي ودخول فيصل سوريا عين « البرقاوي » معلما في المدرسة الخانقكية بحي الميدان وانتسب الى المدرسة الكاملية طلبا للعلم وقرأ الرياضيات والطبيعيات والعربية على الاستاذين درويش القصاص ومحمود الحمصي .

وفي دمشق اتصل بالشيخ بهجة البيطار ، الذي توسم فيه الذكاء وايقن ان في اهابه عالما لغويا كبيرا لما يعرفه عن علماء جبل نابلس من الفضل وطول الباع في العلم ، وشجعه على قراءة كتابي « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني ، وهذان الكتابان أثيران لدى الامام الشيخ محمد عبده .

وزاد « البرقاوي » عليهما كتابا في الاصول واخر في الفلسفة وكان رفيقه في الانكباب على هذه المراجع الضخمة صبري العسلي رئيس وزراء سوريا الاسبق .

لم يقنع « البرقاوي » بهذا القدر من الدرس والمطالعة .. فاتصل وهو نزيل دمشق بالشيخ عبد الفتاح الامام وقرأ عليه شرح « المجلة » الشرعية الحقوقية وكتاب « علم الفرائض » واخر في المنطق ، كما اتصل بالمرحوم محمد الانسي ، يوم كان مديرا لمدرسة الملك الظاهر بدمشق ، وقرأ عليه مع صبري العسلي كتاب « الموجز في علم الاقتصاد » تأليف « بولار وبوليو — وترجمة خليل مطران وحافظ ابراهيم ، وظل مواظبا على مكتبة الملك الظاهر بدمشق .

وبعد ان سلخ في دمشق سنوات في حقل التربية والتعليم نقل معلما الى ثانوية حمص وقرأ «اللزوميات» للمعري على الشيخ احمد صافي الحمصي ومؤلفات نقولا حداد في الاجتماع وعلم النفس ، وعكف مع شاب حمصي اسمه رزق انبوبة على آثار جبران التي تركت في نفسه اثرا عميقا .

واخيرا حمله حنينه الى فلسطين على وداع سوريا وعين معلما في قرية رنميس (بقضاء رام الله) لكنه لم يستطب المناخ الاستعماري الذي يسود فلسطين ، فشخص الى الاردن وعين استاذا للعربية في ثانويات الكرك فاربد فالسلط ، واحب طلابه واحبوه ، وغرست يمينه المباركة العشرات من الشبان الذين بلغوا ارفع المناصب في الحكومة الاردنية . وتنويها باليد البيضاء التي أسبغها على شبان هذه البقعة من العالم العربي يصح تسميته « استاذ الجيل الاردني » .

وخلال عمله في قطاع التعليم بدمشق نشر اول مقال في جريدة (العمران) لمؤسسيها المرحومين الياس قوزما وقبلان الرياشي وسخا بقلمه على جريدة « الف باء » لصاحبها المرحوم يوسف العيسى ومجلة « التمدن الاسلامي » للدكتور مظهر العظمة ، كما نشر في عمان فصولا قيمة في صحف « الاردن » و « الجزيرة » و « رسالة المعلم » ولو جمعت مقالاته وفصوله في الادب والاجتماع والفلسفة وعلم النفس لجاءت في اجزاء ضخمة .

وفي الرابع عشر من شهر آذار ١٩٦٩ فاضت روح هذا المربي الكبير بعد مرض عضال ودفن في مقبرة عمان الكبرى .

نموذج من نثره : فصول ومشاهد :

فصول تختفي وتتوارى في ساحات النسيان البعيدة — ومشاهد تظهر فتلفت الانظار !

هذه المسرحية تتكرر عبر الدهور !

هل الخاتمة والنهاية تمثيل وانزواء ؟ ام هناك شيء آخر ؟ فمن اين والى أين ؟ اإلى الانسانية المبعثرة المتراكمة جمالا وقبحا ؟ ام الى الله المرد والى تطور فيه البقاء ؟ ان لم يكن المرء حيا خالدا فالحياة مهزلة وأي مهزلة !

كنت في يوم من الايام افسر في المدرسة قوله تعالى :

« يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » فأخذني الذعر وأوجست خيفة من هول ذلك اليوم ، فشعرت برعدة تهزني هزا ، وألم بي طائف من التأمل البعيد : فسنح سنوحا ، وايقنت بان العالم مصيره الى الانتهاء ، ومع ان الموقف كان يدعو الى الهلع ، فلم يأخذني العجب بعدما سمعت ما سمعته من أسرار الذرة وتفجيرها ، فاذا انفجرت ذراتها فقد تحول العالم الى هباء منبث بل الى اندثار يجعل السماء غماما بل دخانا متكاثفا من سديم الكواكب المبعثرة المتساقطة في الفضاء بطريق الانتقال والتسلل ، ولقد اردفت هذا التفسير بقوله تعالى : « القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » الى آخر ما جاء في السورة ، وما كدت انتهي من هذا التفسير حتى رأيت الكثير من الطالبات شرعن يسألنني عن هذه النهاية ، ويقلن « يا استاذ هذه النهاية مخيفة جدا ، وان هذا الموت الذي لا رجعة بعده كما نرى يزيدنا حيرة وارتباكا ، فالانسان منا يقوم في هذه الدنيا بمثل ادوارا وادوارا ثم بعد هذا التمثيل يتوارى فلا يعود .

أهذه رواية من الروايات يأخذ فيها الانسان فصلا من الفصول ترسمه له أحلامه وآماله ، فتارة يحقق ما خطه ، وتارة لا يصل الى ما يريد ، فهو في قلق أحيانا واطمئنان أحيانا ، ولكثيرا ما يقلق ، ولقليلا ما يكون مطمئنا ، فانتقلت بعد هذا السؤال من حال الى حال ، واخذت افكر في فصول تلك الرواية ومشاهدها قائلا : « احقا اننا في هذا الوجود نمثل رواية من الروايات ؟ ؟ فاشتط بي الخيال فصرفني عما كنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر المهاجر

اي شيء يسر نفس الاديب ، في ديار الاسى وقفر جديب
شاعر حائر ينوء غريبا بقيود النوى وشجو الكروب
ويماشي الورى ويبسم للنا س وخلف السرور لذع الخطوب
وتراه في هداة النور حينا واحايين في جحيم القطوب
تامه الشعر وهو بعد صبي افيقلى القريض عند المشيب
فاذا لملم المساء حواشيه وفاضت انفاسه في المغيب
ارسل الشعر ملهما يتغنى بنشيد الى القلوب حبيب
ويناجي الاعماق في غمرة الوحي ويسمو الى الاثير العجيب
فيرى عالما مهيبا غريبا غمرته اشعة من لهيب
وبسيطا من سندس عبقري نمنمته بالوشي كف الغيوب
فيرف الفؤاد من متعة الرؤيا وينهل ففوة من طيوب
ويرش الارجاء في حبز الافق زهورا تزهو بثوب قشيب
هكذا عيشة الاديب جمال في غناء ولوعة في الدروب
يتلوى من الاسى في محيط ضاع فيه كانه من كئيب
يسهر الليل واجما يتقلى فوق جمر من حزنه مشبوب
لا انيس ولا سمير لديه غير نفس تمرست بالخطوب
برمت بالوجوه لم تلق فيه غير شجو ودمعة ونحيب
فهسيس النسيم زفرة مضنى ومياه الانهار دمع غريب
وهدير الشلال صرخة قلب آده الوجد يوم هول عصيب
وزئير الرياح غضبة حر ناوشته خطوب دهر رهيب
الرزايا تناوبته وصالا والرزايا ينهشن كل اديب

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

بصدده ، ثم امعنت مفكرا فرايتني امثل مع الممثلين ، وقد بدت لي الفصول واضحة جلية ، واجبت الطالبات جوابا دينيا مختصرا .

اما الفصول فقد مرت بي سراعا فلقت لنفسي : « ألست ترين ادوار الطفولة كيف يقبضها الانسان في مسارح الحياة ؟ فهي ادوار من اللعب والاستطلاع ليرسم بالتعرف الى الاشياء صورا ذهنية كثيرة يلائم بينها ليحكم عليها ويربط بينها ربطا ، ثم ينتقل الى دور التعليم يستقرىء المعارف ويتتبع خواص الاشياء ليدرجها تحت قاعدة لا تتخلف عنها جزئياتها ومسائلها، فتنطبق عليها انطباقا تاما من غير ما شذوذ . ولكم يتنقل به الفكر من مرحلة الى مرحلة. فمن المحسوسات الى المجردات فاحصا باحثا متثبتا ، فهو في هذه المواقف مستلهم يكشف من نفسه اسرارا ولكنه يمثل فصولا غريبة عجيبة ، فاذا جاء دور المراهقة والشباب أخذ يوارفه الحب فيذيب فيه عواطفه ومشاعره ، فيشدو بأنغامه مثيرا اوتار نفسه ، عازفا منصرفا عما يعانيه من كبت دفين يقض مضاجعه ، ويشغل خاطره .

فهذا الجمال ، وهذا السحر ، وهذه الرشاقة ، وهذا الابداع يفعل في نفسه الافاعيل فيشجيه ويضنيه ويصور له ما يصور .. فهو في هناء وشقاء معا يتعاقبان عليه ، ففي عذابه حياة لقلبه ونفسه ، وانها لمكابدة تبتسم بها احلامه ، وتزدهر امانيه ، ليحقق ما يصبو اليه بعدما كده التعب واجهده الاعياء ! » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

ان كنت تذكر

ذكرى ١٥ ايار سنة ١٩٤٨

●

محي‌الدين الحاج عيسى

●

حلب

هل تذكرن حمى الديار وقد نات عنك الديار
ونأيت عنها ضارعا تبكي وقد شط المزار
وتعيش عيشا بائسا لا يستقر له قرار
قلقا تحف بك المكاره كالحات والصغار
تنعى على الايام عثرتها وما منها العثار
فالذنب ذنبك أنت لا يجدي عن الذنب أعتذار
لو كنت مت مدافعا عنها لكان لك الفخار
فالموت خير من نزوح فيه اذلال وعار

يا شهر مايس ما عساه يفيدنا فيك أدكار
مضت السنون تدور عابسة ونحن لها مدار
قد أثقلتنا بالهموم وكاد يقتلنا الدوار
لم نلق في أيامها يوما يضيء له نهار
الكوخ كوخ اللاجئين فنوره لا يستنار
والخيمة النكداء يكمن في جوانبها الضرار
لا الحر تدفعه ولا يوم الشتاء بها قرار
الريح تضربها فيطوي ثوبها او يستطار
ويكاد يخنقك الغبار اذا بها ثار الغبار
والجوع والامراض فاتكة فما منها فرار
عيش على الصدقات لا يبقى لصاحبه اعتبار

هل تذكر الشهداء فالذكرى لنا فيها اعتبار
خاضوا المعارك لم يرعهم عندها النقع المثار
وفدوا فلسطين الحبيبة والحراب بها احمرار
وصدى المدافع والرصاص له دوي وانفجار
كم ثورة في أرضها ثارت وكان لها ابتدار
ذاق العدو بها الردى وغشاه ذل وانكسار

ان كنت تذكر تذكر كل هذا اين عزمك والشفار ؟
هذي بلادك تستغيث وقد أضر بها الاسار
وعدا عليها الغاصبون فحل مغناها البوار
فبكت حمائمها عليك وابطل الشدو الهزار
وبنو أبيك هناك قد نظروا وطال الانتظار
فانهض لحقك والفداء هو الوسيلة والشعار
ما غير نيران الحديد بنا على الخصم انتصار
بالمدفع الرشاش بالصار[illegible] للباغي اندحار

ام أنت ترجو العدل ممن أجرموا قصدا وجاروا
الضالعون مع اليهود الا هم الرهط الشرار
أحماة اسرائيل لا يبقى مدى الدهر اغترار
انا ترسمنا الطريق فلن تضللنا القفار
سنعود نردي المعتدين فلا يقوم لهم جدار
وتقوم وحدتنا لها في كل منزلة منار
في ظلها تحيا العروبة والاثارة والنجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفدائي راجح

بقلم عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



راجح هو الابن البكر لمختار القرية. طويل القامة ، عريض المنكبين ، قوي العضلات ، ضخم الرأس ، واسع الخطوات .

(راجح طويل الطموح ، عريض الشهرة في القرية ، قوي الثقة بنفسه ، ضخم العقل ، واسع الحيلة) .

والده مختار محترم ، وهو ثري وذكي وان كان اميا . وقد جمع ابنه راجح بين الذكاء والثقافة فتمكن بذلك من ان يكون مديرا لمدرسة القرية . ولم يكتف بما حصل من المعارف والعلوم في المدرسة بل اضاف الى حصيلة ثقافته ما اكتسبه من مطالعات واسعة في مجالي الادب والعلم حتى اصبح مرجعا في هذين المجالين في القرية. وهو لا يأنف ان يستخدم جسمه في حرث الارض وفلاحتها كما يستخدم عقله في كسب المعارف والعلوم . وبذلك ادخر في عضلات جسمه من القوى البدنية مثل ما ادخر في عقله من كنوز الثقافة . ينتقده القرويون لانه يميل الى الوحدة . وهو ينتقدهم لانهم يراقبونه ويحاسبونه على تصرفاته. يفكر كثيرا ويتكلم قليلا . وهذا ما جعله مبهما غير مفهوم . لم يفهمه القرويون فهما صحيحا الا حينما اختفى فجأة من القرية . في اول الامر انبثت اشاعات كثيرة متناقضة حوله ، ولكنها استقرت اخيرا على الحقيقة التي لم يشك فيها احد وهي ان راجحا كان يتدرب في الخارج على حمل السلاح ليلتحق بالفدائيين . وفي اثناء غيابه نسف الاعداء قريته بلا سبب سوى ان ارضها تصلح لاقامة مستعمرة عليها ، وان السهول الواسعة التي تحدق بها تصلح لجميع مشاريع المستعمرة التي ازمع انشاؤها .

عاد راجح من معسكر التدريب وهو لا يعلم ما جرى لقريته . عاد لينبىء والديه انه اصبح فدائيا ثم يودعهم ليلتحق باخوانه الفدائيين. وكان وقتئذ متخفيا بقنباز وعقال .

انتهى راجح الى رابية تشرف على مسقط راسه وهو خالي البال مما يعكر تفكيره . ثم اطلق نظرة مشتاقة امامه ، ولكنها لم تحط على القرية . حطت على اكوام من الحجارة والطين . لم يصدق عينه. خطا خطوات مضطربة ذاهل العقل ثابت النظر . وكلما اقترب من ركام القرية ازدادت اكوام الردم ارتفاعا وامتدادا ، وازدادت نفسه تألما . ثم وقف بجانب احدى الاكوام يسرح نظره فيها في تأسف وكآبة . لقد اختفت قريته الحبيبة بسكانها ودورها وازقتها واشجار حدائقها وزرائب اغنامها ومخازن حبوبها .. اختفى منزله وملاعب صباه ومدرسته التي كان يعلم فيها ويشرف على ادارتها . لم يبق منها الا تلال صناعية صغار مجاورة لتلال طبيعية كبار وهضاب وجبال. لم يجد هناك احدا يسرد عليه قصة القرية التي نسفها الاعداء، ويعلمه اين ذهب اهلها ، واين يقيم اهله . ولكنه ادرك ان الصهاينة هم الذين نسفوها .

بحث عن بقايا داره . مضى وقت طويل وهو يبحث عنها. واخيرا لاح له جذع شجرة التوت التي كان يطالع تحتها ، وقد حمل غصنا مكسورا . اهتدى الى موقع الغرفة التي وضع فيها مكتبته . وهناك وقف مطرقا متأملا متنهدا . اين كتبه ؟ لا شيء غير الردم ـ الحجارة والطين . ازال بعض تلك الحجارة والطين عن ارض الغرفة فوقع بصره على كتاب ضخم ، فانتشله من بين الانقاض ، ومسح ما علق به من التراب ، فاستطاع ان يقرأ على غلاف الكتاب « الامالي لابي علي القالي » . وازال شيئا اخر من الردم حتى تمكن من ان ينتزع من بين فكي حجرين رواية روسية مترجمة الى العربية بعنوان « الجريمة والعقاب » . ثم تأبط الكتابين ، وغادر المكان راجعا وهو يتلفت وراءه من حين الى اخر مطلقا تنهداته في صمت .

(اصوات من الداخل : ويل لكم ايها الاوغاد ! بأي حق تنسفون تلك القرية النافعة العزلاء ؟ كيف تشردون اهلها وهم اصحابها واصحاب اراضيها ؟ الى هذه الدرجة تحتقرون غيركم من البشر ؟ ان من يحتقر غيره من البشر ليس اهلا لان يعيش بين البشر ! ابحثوا لكم عن غابة يسكنها الوحوش لتتخذوها وطنا لكم بدلا من هذه الارض الخصبة المزدهرة التي يسكنها قوم كرام نبلاء النفوس شجعان القلوب).

(منظر في الداخل : يتناول عددا من الصواريخ ويطلقها على مستعمرة يهودية واحدا بعد الاخر حتى يدمرها ويحولها الى حرائق تأكل سكانها واثاثها) .

ولم يكد راجح ينتهي الى الروابي المشرفة على قريته حتى لاح له رجل جالس تحت شجرة من اشجار الزيتون . ولما دنا من ذلك الرجل اجال نظره في وجهه فعرفه وصاح:

ـ ابا احمد !

فرفع الرجل وجهه عن صندوق خشبي كان يصفف فيه الخضروات، وقال بعد لأي بنغمة ضعيفة :

ـ اهلا استاذ راجح ! اهـلا وسهلا !

وتصافحا .

ـ ماذا تفعل ؟

ـ اضع الخضروات في الصناديق. انها خضروات مزرعتي . هذا الشيء الوحيد الذي يمكنني اخذه مـن القرية .

(لقد اختفت قريتك يا راجـح ، وتشرد اهلها . لم يبق منهم احد) .

ـ من هدم القرية ؟

(نسفها اليهود ؟؟)

ـ لقد نسفها اليهود . نسف الله مدنهم وبيوتهم !

(اكاد اموت غما يا راجح) .

ـ متى كان ذلك ؟

ـ منذ اسبوع تقريبا .

ـ فقط ؟

ـ نعـم .

ـ الى اين ذهب اهل القرية ؟

ـ لقد تشردوا . التجأوا الى اماكن مختلفة .

(مساكين ! الله يعلم ماذا يكـون مصيرهم) .

ـ هل تعرف الى اين ذهب اهلي والداي و اخوتي ؟

ـ لست ادري يا استاذ . لعلهم في مخيم في الضفة الشرقية .

فهز راجح رأسه فـي صمت وحزن . وبعـد قليل قدمت سيارة فيها رجلان ابيضا اللون انيقـا الملابس ، ثم توجها الى انقـاض القرية . ولما انتهيا اليها اخـرج احدهما مقياسا من جيبه . فأمسك الرجل الاخر طرفه ومضى الى ناحية بعيدة عن رفيقه . فقال راجح لابي احمد :

ـ ماذا يفعل هذان الرجلان ؟

ـ انهما يقيسان ارض القريـة لاخذ مساحتها . هذه المرة الثانـية التي قاسوا فيها ارض القرية .

فهز راجح راسه مرة ثانية فـي اسى وقال :

ـ واذن فهم يريدون ان ينشئوا مستعمرة في مكانها ..

(اليس في العالم احد يحاسبهم على هذا الظلم الواضح ؟)

ـ اجل .

(واأسفاه ! كاننا لم نكن في يـوم من الايام سكان قرية في هذا المكان) .

ثم قذف راجح من فمه بصقـة مدوية نحو المهندسين الصهيونيين ، ومضى بعد ان القى السلام علـى ابي احمد . مضى نحو المكان الـذي ينتظره فيه اخوانه الفدائيون .



عبد الحميد الانشاصي

●

سار الفدائيون قبيل المغـرب يحملون مدافع رشاشة وانواعـا اخرى من الاسلحة . وكان بينهم راجح . بدا بطول قامته وضخامة راسه كقائد عظيم . اما قائـد الفدائيين الحقيقي فقد بدا كفـرد عادي من الفدائيين . كانوا يمشون بين صفوف من اشجار الزيتـون . وقد امتدت عن يمينهم طريق معبدة باسفلت . وكانوا ينتظرون سيـارة حاملة جنودا للعدو تم[redacted]ك الطريق لكي يمطروها بوابـل مـن رصاصهم ، فان معسكر الصهاينة يقع على بعد نصف ساعة من المكان الذي كانوا يسيرون فيه . وكلمـا سمعوا ازيزا او ضجة التفتـوا واستعدوا بأسلحتهم لاطـلاق الرصاص . مرت سيارة تاكسي ، ثم مرت سيارة نقل. واخيرا سمعوا صوتا خفيفا يقترب منهم علـى الطريق العام . فأرهفوا اسماعهم . انها سيارة عسكرية . اتجهـت انظارهم نحو الشمال ـ نحو المكـان الذي انبعث منه الصوت . وصاح القائد بعد ان القى نظرة من خـلال منظاره :

ـ استعدوا ! انها سيارة عسكرية! ما في ذلك شك . استعدوا يـا اخوان !

وهتف احد الفدائيين في فرح :

ـ انها سيارة جنود . اؤكد لكم انها سيارة جنود .

ثم صاح القائد :

ـ تفرقوا ! تحصنوا بأشجـار الزيتون ! هيـا !

واختبأ كل مـن الفدائيين وراء جذع شجرة . ولم تكـد السيارة العسكرية تمر من امامهم حتى اطلق الفدائيون الرصاص عليها . فترجل الجنود ، واختبأوا وراءها ، ثـم راحـوا يطلقون الرصاص علـى الفدائيين . كانوا عشرة وبينهـم ضابطان . لقد احتموا بعجـلات السيارة ، ولم يبد منهم الا بعـض ارجلهم . لم يتمكن الفدائيون منهم تمكنا يرضيهم ، فقد كان الجنـود محتمين بالجانب المقابل للجانب الذي يواجه الفدائيين من السيارة . قتلوا جنديين فقط . مضى وقت طويـل دون ان يقتلوا جنودا اخرين . وهم يخشون ان تأتي نجدة لانقاذ الاعداء. وقد غربت الشمس ، وبدأ المساء ينفث غباره البني شيئا فشيئا .

لم يستطع راجح ان يصبـر طويلا . يريد ان يفني بقية الجنود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرة واحدة ليستريح منهم ويتذوق النصر والغلبة كاملة . خطرت في باله فكرة . لم لا ينتقل من مكانه الى مكان اخر وراء الجنود فيتمكن منهم ويبيدهم جميعا ؟ استلقى على الارض ، وراح يزحف في بطء مبتعدا عن اخوانه الفدائيين . فناداه احدهم . ثم ناداه اخر ونصحه بالتحصين بجذع شجرة . صاح القائد يأمره بملازمة مكانه خلف الشجرة لئلا يصيبه رصاص الاعداء . ولكن راجحا لم يلتفت الى قوله ، ولم يعمل بنصيحة زميله . واصل الزحف بقوة مؤلفة من حقده على اولئك الذين نسفوا قريته ، ومن حرارة دم شبابه الذي يجري في عروقه ، ومن امله العظيم في ابادة اعدائه . انه لا يرى الان جنودا يطلقون النار بل حشرات مختبئة وراء عجلات سيارة . لم يطلق الرصاص على الجنود اثناء زحفه . لذلك لم ينتبهوا له . كان جهدهم موجها نحو رفاقه . لقد ابتعد الان عن الفدائيين وعن الجنود بعدا شاسعا . وبعد ذلك قطع الطريق زحفا ودخل الارض الممتدة على الجانب الاخر من الطريق . وكانت تلك الارض عامرة بالمزروعات . غير انه لم ينبت فيها غير شجرة زيتون واحدة ــ شجرة زيتون رومية قديمة ضخمة الجذع قليلة الاغصان عاليتها . وقفت في وسط السهل في جمود ورزانة وشموخ كأنها تمثال نحته فنان مجهول . وهي بعيدة عن السيارة . ظل الفدائي يزحف نحوها بكل قواه و صبره وامله داسا نفسه في المزروعات حتى وصل اليها . وقد تمزق معطفه وقميصه وبنطلونه ، وسال الدم من ركبتيه . ولكنه بلغ الهدف الذي كان يسعى اليه . تحصن راجح بجذع الشجرة ، وراح يمطر الاعداء بوابل من الرصاص دون ان يكون لهم علم بوجوده خلفهم . وكانوا يستلقون او يتمددون على الارض قتلى او جرحى والدماء تسيل من اجسامهم كاسية الاعشاب اثوابا ارجوانية مهلهلة رخيصة ، وصابغة الحجارة والحصى بحمرة كحمرة اللهب . قتلوا جميعا ما عدا واحدا . جندي واحد ظل يطلق النار على راجح مرة وعلى زملائه اخرى .

وفجأة راى الفدائيون سيارات النجدة تقدم نحوهم ، فصاحوا منادين راجحا لينضم اليهم فيعودوا الى مقرهم . ولكن راجحا انطلق الى ناحية بعيدة عنهم . راح يركض ورصاص الجندي يتعقبه . واخيرا اصابته رصاصة في ساقه اليسرى ، فوقع على الارض . غير ان احد الفدائيين تمكن من قتل الجندي وهو ينسحب من مكانه . وقد امتد الظلام كظل ثقيل . واخذ الفدائيون يتفقد بعضهم بعضا . قال القائد :

ــ هل نحن جميعا هنا ؟

فاجابه احد الفدائيين :

ــ كلنا هنا ما عدا راجحا .

(اخشى ان يكون قد جرح) .

ــ اين راجح ؟

(يا له من رجل شجاع مقدام !)

ــ رأيته يركض !

ــ لعله في طريقه نحو مقرنا .. هيا نعود . اسرعوا بالعودة فان سيارات الاعداء قادمة . اخشى ان يطوقونا . هيا !

توقفت سيارات الصهاينة في المكان الذي جرت فيه المعركة بين الفدائيين والجنود . وترجل ركابها الجنود ، وراحوا يبحثون عن رفاقهم في السيارة المحطمة . ثم سرحوا نظراتهم في الارض فوقعت على جثث وعلى اثنين من الجرحى يكادان يفارقان الحياة . وضعوا القتلى والجريحين في سيارة اسعاف ، ثم تفرقوا هنا وهناك باحثين عن الفدائيين ، ولكنهم لم يعثروا عليهم ، فقد ابتعدوا عن مكان المعركة ، وتوغلوا في امكنة وعرة ضيقة ملتوية كالامعاء ومسقوفة بسرادق من الظلام . اما راجح فقد اختبأ في المزروعات ، وضمد جرح ساقه بمنديله . مر به احد الجنود بمصباح كاشف ، ولكن عينيه لم تقع عليه . واخيرا ركب الجنود سياراتهم وعادوا من حيث اتوا يجرون وراءهم السيارة المحطمة .

حار راجح في امره . لم يدر ماذا يفعل بعد ان كسر عظم ساقه . انه لا يستطيع ان ينهض ويعود الى مقر الفدائيين . خطر في باله ان يقتطع غصنين صغيرين من شجرة الزيتون التي كان محصنا بها فيتخذهما عكازتين ليتوكأ عليهما لعله يتمكن من الوصول الى احد بيوت العرب . ولكن شجرة الزيتون لم تنبت منها فروع صغيرة تصلح لاتخاذ عكازتين منها . وهي فضلا عن ذلك عالية عليه ليس في امكان يده ان تبلغها . ولكنه لم ييأس بل راح يزحف على جنبه الايمن بقوة يديه جارا ساقه المكسورة ، والدم ينزف من جرحها ، و جارا مدفعه الرشاش ايضا . زحف على الاعشاب والحجارة والحصى وعلب تنكية دفن بعضها في التراب وبان بعضها . ومر جنبه على قطع زجاجية واخرى حديدية ، وعلى اسلاك معدنية وحشرات متنوعة .. فازدادت ملابسه تمزقا بعد ان تمزق شيء منها في زحفه الاول نحو الاعداء . واحس بجروح ملتهبة في جلده مضافة الى جروحه الاولى . فاضطر ان ينقلب على ظهره ويواصل الزحف مريحا بذلك جنبه . وظل الفدائي يزحف حتى تمزقت ثيابه عن ظهره ، وفتحت فيه جروح كتلك التي فتحت في جنبه . وقد اطبق اسنانه وشفتيه من شدة الالم مولدا في نفسه عزيمة فوق طاقته واملا في الوصول الى منزل يسكنه قوم من العرب لعلهم يسعفونه ... غير ان ما عاناه من العذاب الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحـدة

لا تتركيني هـا هنـا وحـدي ... في الليل بين البرق والرعـد
لا تتركيني والريـاح لهـــا ... اعـوالـة المفجـوع بالفقـــد
يا اخت روحي انني شبح ... احيـا على الدنيا بـلا قصـد
لا شيء غـير الشـعر احمله ... وبضوئه في السير استهدي !
لا شيء عندي بعـده ابـــدا ... فقصائدي هي كل ما عندي !!

البحرين — احمد محمد الخليفة

حل به بسبب كسر ساقه لم يشغله عن التفكير في الانتصار الذي احرزه بقتل بعض الاعداء وجرح بعضهم . انه الان يزحف زحف بطل لا مهزوم. شعر بانتعاش يخفف وطأة الالـم عن جسمه ، فقد انتقم لنفســه ولقومه من الصهاينة الذين نسفوا قريته ، وهو يؤمل ان يتم انتقامه. وها قد نجا منهم سالما وان كسرت ساقه . ان ساقه سيجبر عظمهـا عن قريب . وبينما كان يزحـف اذ لاحت له شجرة توت دانية الفروع . فانبسطت اسارير جبهته اغتباطا . يمكنه الان ان يقطع فرعين من فروع تلك الشجرة ويتخذ منهما عكازين . وحينما اقترب من الشجرة استرد الكثير من عزيمته ، واصبح نفسه طبيعيا بعد ان كان متقطعا . لقـد افعم قلبه بالامل . امسك جـذع الشجرة بيديه ، ثم تحامل علـى نفسه حتى انتصب واقفا على ساقه السليمة مستندا بجنبه الى جـذع الشجرة ، ثم استل خنجره مـن جنبه ، واقتطع فرعين من الشجرة . جلس على الارض ، وراح يشـذب الفرعين حتى حولها الى عكازيـن خشني الصنع . وكان احدهما اطول من الاخر . ولكنه تمكن من التوكـؤ عليهما والدوس بقدمه اليمنى . ثم اقتطع بضعة اعواد اتخذها جبيـرة مؤقتة لساقه بعد ان ربطها بمزق من قميصه . وبعد ذلك تنكب المدفـع الرشاش ، وراح يقفز بعكازيه حتى قطع مسافة مئة متر تقريبا . لاح له ضوء منبعث من مكان قريب . فاتجه نحوه وكله امل ان يكون الضـــوء منبعثا من منـزل عربي . ظل يقفز بعكازيه حتى شعر بألم شديد فـي ابطيه من خشونة ومن نتوءات فـي اعلى العكازين . وشعر ايضا بتعب والم في قدمه اليمنى من شـدة الاعتماد عليها وحدها في المشي .. غير ان الله كان بلسما لآلامه وتعبه : ايقن انه لا بد ان يستريح هناك ويجد من يجبر عظم ساقه . واخيرا وصل الى المكان الذي انبعث منه الضوء . انه منزل صغير متواضع . اقترب منه فسمع كلاما عربيا منبعثا من نافذته ، فخفق قلبه خفقان الفرح. طرق باب المنزل ، فخرج اليه شيخ. اضافه الشيخ . وفي منـزله قص عليه راجح ما جرى بين الفدائيين والجنود الاسرائيليين . وفي اثنـاء حديثه لاح لراجح وجه ملثم يطل عليه من نافذة المنـزل ، فخشي ان يكون الوجه وجه جاسوس . فطلب من رب البيت ان يدله في سرعـة على رجل يجبر عظم ساقه . فأحضر له الشيخ حمارا فامتطاه . ورافقه احد اولاد الشيخ في طريقه الى رجل ماهر في جبر العظام . وصلا منزل ذلك الرجل . وبينما كان هذا يجبر عظم ساق راجح اذ اطل من نافذة المنزل وجه مستطلع . وقد لمحـه راجح فلم يبت في منزل الرجـل بل طلب منه ان يعطيه ثيابا يستخفي بها، وان يوصله علـى دابة الى مقـر الفدائيين . وقد فعل الرجل ذلك. وحينما وصل راجح الى مقـــر الفدائيين احاطـوا بـه مغتبطين مصافحين . وقد سرد عليهم مـا جرى له اثناء غيابه عنهم . فحمدوا الله على سلامته . ثم قال احدهم لزملائه :

ـ غدا نطلق صواريخنا علـى المستعمرة اليهودية .

(ليت راجحا يذهب معنـا فيشاركنا في هذا العمل !)

فقال راجح للقائد محرقا الارم :

ـ متى اقاوم معكم ؟ انني مشتاق الى المقاومة .

(انني لا استطيع ان اصبر حتى يجبر عظم ساقي) .

ـ بعد ان يجبر عظم ساقك .

(لا شك اننا في حاجة شديـدة اليك ، فقد برهنت على انك رجـل صميم وعربي قح . ولكن مـاذا نصنع وقد كسر عظم ساقك ؟)

★

في اليوم التالي نسف الصهاينة المنزل الذي اضاف فيه الشيـخ الفدائي ، ورحلوا الرجل الـذي جبر عظم ساقه هو وافراد اسرتـه الى الضفة الشرقية . جرى كـل ذلك والفدائيون الابطال يطلقـون صواريخهم على مستعمرة يهودية . وقد اسفرت المعركة عن قتل عدد كبير من الاعداء ، وهدم الكثير من منازل المستعمرة ومنشآتها وعماراتها ومراكزها الهامة . ثم شبت فيهـا حرائق ترفرف بأجنحتها الدامية .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة

القيت هذه القصيدة بحفلة يوم المرأة العالمي بزحلة

●

سيري الى الاصلاح والعليـاء ... أخت الرجال وملهم الشـعراء
سيري امام الجمع حولك كلنا ... في وحـدة وطنيـة غـراء !
للذود عن وطن عزيـز خالـد ... في الساعة النكراء والسوداء
والموت أشرف ما يكون فداءه ... وفـدى لـواء الارزة الخضراء
في كـل مكرمـة وكل ملمـة ... ألقـاك .. في السراء والضراء
يا من عطفت على الفقير وبؤسه ... وغمرتـه بأكفـك السمحـاء
ومسحت جرحا داميا فشفيته ... بيـد كبرعـم وردة قمـراء
فكأنها كف المسيح ادارهـا ... فشفت جراح الناس دون دواء
من لا يرى فيك الحياة فجاهل ... متعنـت ذو مقلـة عميـاء
أو كيف يجحد فضل أم أنجبت ... خير البنين وفضلها مترائـي
أو عطف اخت اخلصت لشقيقها ... باخائهـا أكـرم بذا الاخـاء
أو زوجة تحنو على اطفالهـا ... وشريكهـا بمحبـة ووفـاء ..
تعطي الصغار حنانهـا وحياتها ... هل من عطاء بعدها .. لعطاء
تلك الانامل كم تحـوك ملابسا ... ببراعـة ولباقـة ودهـاء
واذا طهت فالاكل يصبح متعة ... وامتعـة الجلسـاء والندمـاء
تلك الاصابع ذي أصابع زينب ... قليت لناكل أطيـب الحلـواء
تفتر في الاطباق مثل سبائـك ... وكأنهـا بقـج مـن الاضـواء
أما عن الحسن الخفي فانـه ... ملء القلوب وملء عين الرائي
هي لمحة فيها لمحت لطائفـا ... من أمتع الاشياء .. والاشياء
أتحب شقراء ؟ أجبت أحبهـا ... مع انني أهفـو الى السـمراء
واحب كل مليحـة مفناجـة ... فالحب هذا .. شيمة الشعراء
لولاك لم أك شاعرا يا غادتـي ... لولاك كان الكـون دون بهـاء
فيك الدهاء طبيعة بل خلقـة ... ان الدهاء دليـل فرط ذكـاء
في كل فن في الحياة ملمـة ... بالرسـم والانشـاد والالقـاء
فاذا كتبت بك الصحائف تزدهي ... او قلت شعرا كان سكب ضياء
أنت الملاحة واللطافة والمنـى ... بل أنت أنت الكون ـ ياحسنائي

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن مردنـيـش

بقلم فؤاد جبور حداد
من « العـروة الوثقى » في لندن

* * *

يستهويني التاريخ العربي في اسبانيا لانه يمثـــل دورة حضارية كاملة . فقد جاء العرب الـى الاندلس دون ان يكون لهم فيها اثر سابق فأسسوا دولة وحضارة وممالك ثم دار الزمان دورة كاملة فخرجوا منها خروجـا تامـا وكما قال الشريف الرندي « وكأن القوم ما كانوا » .

ويمكننا ان ننظر الى التاريخ نظرة علمية كما ينظـر العالم الى كائن حي تحت المجهـر فنراقـب ونستخلص النتائج دون ان يتهمنا احد بأن ما نقوله سفسطة أكاديمية فاذا قال قائل وما يهم ما عمله العرب في الاندلس او مـا لم يعملوه فذاك زمان مضى وعهد انقضى والجواب علـى ذلك ان ما عمله العرب في الاندلس وما لم يعملوه امـر على جانب عظيم من الاهمية ذلك لانه يعكس لنا ويصور الخلق العربي . والخلق العربي لا يزال معنا وبين جنبينا وفي ضلوعنا فما احرى بنا ان نفهمه ونعرفه على حقيقته وما احرانا بتحري اي امـر يلقي عليه ضوءا فيرينا اياه رؤية اجلى واوضح .

كثيرا ما الح علي هذا السؤال لماذا لم يتكون مـن العرب والاسبان امة واحدة هي سبيكة من الامتين فقـد بقي العرب هناك حوالي ٨٠٠ سنة كان التزاوج اثناءها قائما بين الطرفين وكان الامـــراء والخلفـــاء يتزوجون الاسبانيات واولادهم يفعلون ذلك الى حد ان مؤرخا حسب مقدار الدم العربي في عبد الرحمن الناصر اول خلفـــاء بني أمية فوجده جزءا صغيرا جدا . ولكن العرب كانوا يتبعون دائما بالعرف التحدر من الاب فقط ولم تكن العوامل الوراثية التي كانت تأتي من جهة الام ذات اهمية كبـيرة في حسابهم . ويقف المرء عند الفتح النورماني لانكلتـرا فيجد وجها قويا للشبه بنيه وبين الفتح العربي لاسبانيا ولكن النورمان لم يلبثوا بعد ثلاثمائة او اربعمائة سنة ان ذابوا في السكان الاصليين واليوم لا نجد في انكلترا مـن يعرف ان كان يمت الى النورمان او السكسون والحقيقة انه ليس هناك من ينتمي الى جهة دون اخرى فقـــد انصهرت الامة في الاخرى فكونتا امة جديدة لها عناصر وصفات ومقومات جديدة . ولو نظرنا الى تونس والجزائر والمغرب لوجدنا ان العرب والسكان الاصليين اصبحـــوا امة واحدة لها خصائصها ومميزاتها الجديدة . اذن لماذا لم يحدث هذا في الاندلس . الواقع ان الشخصية او القومية الاندلسية قد بدات تظهر فعلا في شرق الاندلس ايام « ابن مردنيش » ولهذا اود ان اتحدث عـن هـــذه الشخصية بشيء من التفصيل فهي شخصية من اطـرف الشخصيات واغربها فهو زعيم الحركة القومية الاندلسية التي لم يكتب لها التوفيق لاسباب مهمة سنأتي علـــى ذكرها فيما بعد .

كان محمد بن سعيد بن مردنيش يحب ان يقال عنه انه من اصل عربي وانه من جذام ولكنه كان يعرف جيدا وكان الناس يعرفون جيدا انه من اصل اسباني فجـده « مرتين » او « مرتينيز » قد اعتنق الاسلام فتحور اسمه الى مردنيش . ونجد حب الانتماء الى الارومة العربيـة موجودا بكثرة في تاريخ المغرب والاندلس وهي ظاهـــرة طيبة تعكس رغبة المرء في ان تكون له جذور في تاريـخ الامة التي تبنته واصبح ينتمي اليها فنجد هذا حتى لدى بعض امراء المرابطين والموحدين مع أن اصولهم الغـــير عربية كانت واضحة وظاهرة للجميع . وكـــان شـرق الاندلس عربيا اكثر من باقي جهات الجزيرة ولهذا ليس من الغريب ان يرفع فيها ابن مردنيش لواء القوميـــة الاندلسية العربية الاسلامية تلك التي انضوت تحت لوائها العرب الذين دخلوا الاندلس منذ اوائل ايام الفتح اي قبل ذلك العهد بحوالي اربعمائة سنة ولهذا فقد اصبحت لهم جذور في الجزيرة واصبحوا يحسون ان تلك هي بلادهم وانهم ليسوا دخلاء عليها من الخارج وكذلك الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام فجذورهم في الاندلس قديمة قوية ثم هناك الاسبان الذين استعربوا ولم يدخلوا الاســـلام . وكانوا يعرفون بالمعاهدين وكانت بينهم وبين المسلمين من عرب وبربر واسبان اواصر محبة وقربى ويظهر ذلـــك عندما سقطت بلنسية لاول مرة في يد الاسبان فقد وافق العرب على تسليم المدينة شريطة ان تحكم جماعة مـــن المعاهدين وهم الاسبان الذين استعربوا ولـــم يعتنقوا الاسلام أي الذين يرتبطون بالعرب بأواصر اللغة والتقاليد واسلوب المعيشة ويرتبطون بالاسبان بآصرة الدين .

وتقول لنا كتب التاريخ ان ابن مردنيش لـم يكـن الشخصية المثالية للدور التاريخي الذي اضطلع به فقد كان قاسيا فاسقا سفاكا للدماء والصورة التي تكونها لنا كتب التاريخ عنه على العموم هي صورة منفرة ولكـــن لا شك ان المؤرخين الذين كتبوا عنه بعد سقوطه وفشله قد عنوا باظهار تلك النواحي السوداء من اخلاقه والمبالغة في ذكرها وذلك رغبة منهم في ارضاء الموحدين اعدائـه الذين تولوا حكم الاندلس عامة من بعده . وليس مـــن المستبعد ان تكون تلك الصفات القاسية التي عرفت عنه قد تولدت لديه نتيجة لليأس الذي حل في قلبه عندمـــا

ايقن ان حركته فاشلة لا محالة فامسى كالمجنون يتصرف وكانه ينتقم لنفسه من الناس الذين قاتلوه والذين خذلوه.

ومهما قيل عنه فان الحقيقة الباقية هي ان ابن مردنيش قد حكم شرق الاندلس كله حوالي ربع قرن ورفع هو وصهره « ابن هموشك » وهو ايضا اسباني مسلم راية القومية الاندلسية المستعربة في وجه ممالك الاسبان ووجه الموحدين اي في وجه جميع الذين كانوا يحاربون على اساس ديني ولم يفشل الا عندما خذله صهره وقائد جيشه ابن هموشك لاسباب شخصية وهي تطليق ابن مردنيش لزوجته صبيحة ابنة « ابن هموشك » فما كان من الصهر الا ان سلم جيشه الى الموحدين وجاء معهم يحارب سيده السابق ويدلهم على عوراته ومواطن ضعفه فلا عجب ان احس وكأن الدنيا كلها اطبقت عليه من كل الجهات الى حد ان امه مضت تتآمر عليه ويقال انها هي التي قتلته في النهاية بأن دست له السم في طعامه .

ولد ابن مردنيش في الثغر الاعلى في قلعة اسمها بنوسكلة Peniscola قرب طرطوسه عام ١١٤٠ وتولى حكم شرق الاندلس وهو في الرابعة والعشرين من عمره وكانت اوروبا تعرفه باسم الملك لوبو Rey Lopo اي الملك الذئب لاقدامه ودهائه ويقول ابن الخطيب « انه كان له يومان في الاسبوع يوم الاثنين والخميس يشرب مع ندمائه ويجود على قواده واجناده ويذبح الابقار في المواسم ويفرق لحومها على الاجناد ويتخلل ذلك لهو كثير حتى ملك القلوب من الجند وعاملوه بغاية النصح وربما وهب المال في مجالس انسه » ويذكر المقري صاحب النفح ان ابن مردنيش كان من ابطال عصره وانه كان يدفع في المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا : « اكر على الكتيبة لا ابالي ، احتفي كان فيها ام سواها » .. واراد الملك لوبو (ابن مردنيش) أن يؤمن ظهره من الخلف فعقد اتفاقيات صداقة مع الجنويين واهل بيزا وارسل الى هنري الثاني ملك انجلترا هدية من الذهب والحرير والخيل فبعث اليه ملك انجلترا هدية اخرى .

كانت عاصمة ابن مردنيش مدينة مرسية ولكن مملكته كانت واسعة مترامية الاطراف فلو قسمنا شبه الجزيرة بخطين عاموديين الى ثلاثة اقسام متساوية فان مملكة ابن مردنيش تكون مساوية تقريبا للجزء الشرقي من الاقسام الثلاثة وكانت اهم مدن مرسية وبلنسية وجيان واحتل قرطبة لفترة من الزمن واخذ يهدد اشبيلية وارسل قواته لاحتلال غرناطة فامتنعت الحامية الموحدية في قصبة الحمراء وارسل الموحدون الى الخليفة الموحدي في مراكش يستصرخونه النجدة فارسل اليهم عبد المؤمن بن علي جيشا كبيرا بقيادة ابنه وولي عهده السيد ابي يعقوب يوسف فهزم ابن مردنيش في موقعة السبيكة عام ١١٦٢ . ولكن المعركة الفاصلة التي هدت ابن مردنيش فقد كانت موقعة فحص الجلاب وذلك عام ١١٦٤ فقد ارسل اليه الموحدون احسن قوادهم ومن بينهم السيدان ابو حفص وابو سعيد ابنا الخليفة عبد المؤمن على رأس اثني عشر الف مقاتل فارتد الى مدينة مرسية وامتنع فيها الى ان مات عام ١١٧٢ وهو في الثامنة والاربعين من عمره بعد ان « انتهى به اليأس الى نوع من الذهول والخبل » .

ونقف هنا لنتساءل هل كان ابن مردنيش كما تصوره لنا كتب التاريخ الموحدية مجرد ثائر على الموحدين انصار دينه يفتقر الى الصفات النبيلة الضرورية للامراء والحكام . ام كان صاحب رسالة مثالية هي رسالة القومية المرتكزة على العروبة والاسلام فيكون بذلك سابقا لعصره بمئات السنين .

ان ذكرى ابن مردنيش تستحق منا التقدير والاعجاب فهو كما وصفه ابن صاحب الصلاة « كانت له فروسية وشجاعة وشهامة ورياسة » مع ان ابن صاحب الصلاة هذا هو المؤرخ الرسمي للموحدين اعداء ابن مردنيش .

ومهما كان الحال فان الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان يقدر صفات ابن مردنيش فقد قام عند وفاة الاخير وانتهاء ثورته بتزوج ابنته « زائدة » وكانت شقراء زرقاء العينين رائعة الجمال وحظيت لديه حتى كان الناس على قول ابن الخطيب يضربون المثل بحب الخليفة للزرقاء المردنيشية . وتزوج اختها صفية فيما بعد ولده وولي عهده الامير ابو يوسف يعقوب واغدق الخليفة عطفه على آل مردنيش واستبقى لهم سلطانهم في شرق الاندلس .

لندن — فؤاد جبور حداد

رقم

تغرورق العين اما شاهدت (رقما)
قد كان يوما الى (الاحباب) يهديها
هيهات تحظى بمرآهم وقد بعدوا
فما لها ، الان ، غير الشوق يضنيها
يا حادي العمر ، قد طال المسير بنا
الا ترفق بالبؤسى .. فتنهيها ؟!

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التربية والفولكلور العراقي

بقلم حسين علي الداقوقي

* * *

العراق زاخر بتراث شعبي اصيل تولد خلال الماضي الحافل بمختلف الحضارات .

ان التنوع في التراث الشعبي العراقي هو من ابرز خصائصه ينعكس فيه تنوع حضارات العراق خلال فترات التأريخ وتنعكس فيه آثار المناخ والتضاريس الطبيعية كالجبال والاودية ، والحزون والسهول والانهار والاهوار وما اقامته ايدي الانسان العراقي كالحواضر والارياف والطرق والقلاع الخ ..

واسلافنا على قلة الامكانيات والصعوبات السائدة في عهدهم لم يتوانوا عن تدوين هذا التراث بداعي الحرص عليه او بطلب العلم او غيره وصنفوا مؤلفات عنه ، على عسرة نوال الموضوع في تلك العصور . ولما زاد الاهتمام بشؤون الفولكلور مؤخرا في العالم كافة بادر رجال الفكر العراقي في اواخر القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين للعناية بتراث بلادهم . وكان للعلامة محمود شكري الآلوسي والسيد كاظم الدجيلي والاب انستاس الكرملي « وعبد المولى الطريحي » (١) وعبد اللطيف ثنيان القدح المعلى في هذا الشأن . ثم توسعت الرغبة في الخمسينات وما بعدها من هذا القرن للعمل على جمع الفولكلور وتصنيفه ووصفه وتوضيحه مع التنويه بأهميته . غير ان هذه الجهود الفردية بالرغم من ضخامتها لا تزال قاصرة عن تلبية مقتضيات العصر وتحقيق احتياجات البلد مما يستلزم تخطيطا وتوجيها ، ودراسة منهجية من جانب الاجهزة الحكومية المختصة ، تحقيقا للاغراض العلمية والوطنية على حد سواء .

ان العلاقة بين التربية وبين الفولكلور او التراث الشعبي موضوع جدير بالبحث والدرس ، فالتربية الشعبية قائمة قبل كل شيء على الثقافة الشعبية والاخيرة سجل حافل بأفكار الناس وخبراتهم وما جاشت به صدورهم وهفت اليه نفوسهم . منها خفقات تتردد على الالسنة والشفاه لا تستقر ولا تخمد ما دامت حياة الانسان ومنها خبرات ومعارف تسهم في بناء الكيان المادي من الحياة بجانب الكيان الادبي .

الفولكلور ثروة تعتمدها الحياة الاجتماعية وتتضمن قدرا ضخما من المعارف يتوارثها المجتمع جيلا بعد جيل تضم هذه الثروة كل ما يتعلق بالشعب من الامور العديدة والاصيلة وتحوي طرائف معيشة الشعب والذوق الفني والنظرة العالمية والمفاهيم الدينية واسلوب التفكير والعقيدة وجميع الاعراف والعادات المتعلقة بهذه النواحي.

التربية التقليدية

التربية التقليدية الشائعة ليست قائمة على اساس علمي انما هي موجودة على شكل تراث حي ، وهي عقيدة ومحاولات تحيا، وتتسرب الينا وتربطنا بالمجموع وتنقل الينا تراث البيئة التي نعيش فيها والعهد الذي ننتمي اليه . اما تعليم التراث بسعته وعمقه وتزويد الطلبة بألوان العناصر المكونة لهذه الثروة فانه وظيفة تربية ، تقوم على اساس العلم وقواعده .

ومن النواحي المهمة الخلقية بالعناية والاهتمام ، تقويم آثارنا الفولكلورية لتكون معينا عذبا لا ينضب ، يغترف منه القائمون بتربية الجيل موادهم باستمرار لتحقيق امانيهم التربوية وللوصول الى اهداف التربية الوطنية بكل ابعادها .

يتسم هذا المعين الشعبي بأنه عميق الاغوار يمتد مداه الى عهد الاساطير وسبطرة الخرافات ، وتضم سعته انواع المعارف الشعبية ، وتتشكل مقوماته المادية والمعنوية من :

١ ــ التأريخ الادبي والفني
٢ ــ تأريخ علم الاجتماع .
٣ ــ التكنولوجي والاثنوغرافيا والمستلزمات الفنية التي تكون العمود الفقري للثقافة الشعبية ، وتوضح النظرة الى الحياة وطرائف فهمها .

الجانب الادبي والاجتماعي من الفولكلور

آداب الفولكلور بمجموعها اصيلة تنبض بالحياة وتوائمها وهي متمثلة في انماط شتى . منها :

١ ــ القصص والاساطير القومية والحكايات ذوات التكوين الاسطوري .
٢ ــ الامثال والمأثورات والالغاز والنوادر .
٣ ــ الحكايات الشعبية .
٤ ــ الاغاني .
٥ ــ العادات والتقاليد .

تتفاعل هذه العناصر فيما بينها وتتغير وتتوسع وتنتقل من حال الى حال وتتمخض عنها شخصية شعبية . ولذا ان النتاج الفولكلوري ليس شيئا فرديا انما هو شخصية جمعية ، فهو ليس بآثار ومخلفات فنانين معينين انما هو متولد من قلوب الجماهير ، الامر الذي لا يفسح مجالا لتحديد الزمن الذي تولدت فيه هذه الآثار والتي انتقلت من دور الى دور ومن بقعة الى بقعة دون ان يعرف مؤلفوها الاوائل ، فكانت والحالة هذه محصولا شعبيا لا يدرك اوله ولا تتحدد نهايته .

(١) نقلا عن الصديق الفاضل الاستاذ عبد الحميد العلوجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاساطير والقصص

تعرضت القلوب والافكار الى رجات قوية والى هزات عنيفة والتهبت المشاعر فتولدت من جرائها هذه القصص . ان الاساطير والقصص آثار ذهنية لها قيمتها واهميتها وهي حصيلات شعبية انسابت الى اللسان والوتر وصورت طراز الحياة والوان المعتقدات والمثل العليا لما قبل الاف السنين . فيتعين علينا والحالة هذه ، ان ننقل هذه المعارف الى الطلبة ونعلمهم اساطيرنا واقاصيصنا قبل ان نعلمهم اساطير غيرنا من الامم وكذلك يستلزم :

١ ــ الوقوف على الاداب القديمة والاقاصيص الاصلية في وادي الرافدين ونصوصها الاصلية وجعلها قريبة من نفوس التلاميذ ومحببة اليهم .

٢ ــ ان نتبين القصص الاصيلة التي تكسب النفوس عمقا وسعة ونعمل على تثبيتها في الكتب المدرسية .

الحكايات الشعبية

وثمة ما يدعى بالحكايات الشعبية وهي كثيرة ومن محاصيل شعبية تعكس السجايا والخلق والحياة الاسرية والجمعية والعادات الشعبية وغيرها مما يجدر وجودها في كتب الدراسة الابتدائية والمتوسطة .

ولدينا ما يعرف بـ « السوالف » وهي الاخرى محصول لغوي شعبي ينبع من قلوب الشعب . وهي تختلف عن القصص الشعبية التي تستند الى طائفة من الحقائق ، والقصص الشعبية في هذه الحالة تختلف عن « السوالف » التي تعني بالخوارق من الاحداث قبل كل شيء وتدع وراءها الحقائق .

ومما يستلفت النظر ان « السوالف » ليست نتاج التصورات الخيالية البحتة ، انما تتجلى فيها بواعث متنوعة ، وتتراءى فيها بعض الحقائق الاجتماعية مضافة الى نطاق النشاط البشري وما هفت اليه نفس الانسان من التجوال في عالم النفوس .

وعملا بهذه القناعة اتجهت الامم الى تربية الناشئة بالقصص والسوالف الاصيلة وتزويدهم بالقدرة على معرفة الانسان ، وقد ارادت بهذه الطريقة ان تسهل عليهم امورا كثيرة صعبة او مستغلقة اما نحن فلم نستفد من هذا التراث في مجال التربية والتعليم كما ينبغي ولا يوجد في كتب القراءة المدرسية شواهد كافية على ما اسلفنا ، الامر الذي يستلزم مبادرة الجهات المسؤولة في وزارتي التربية والثقافة والارشاد بـ :

١ ــ جمع السوالف والقصص النادرة والشائعة ودرس البديعة والجيدة منها وتنقيتها من الشوائب والاوضار .

٢ ــ ادخال نماذج جيدة منها والمنتقاة في بعض الكتب المدرسية .

٣ ــ تشجيع الباحثين الفولكلوريين ليضعوا دراسة علمية عنها .

الوان اخرى من الفولكلور

هناك الحكم الشعبية المتسعة بالاقناع الهادف وهناك ايضا اللطائف والنوادر والنكات والامثال الشعبية. ان الامثال الشعبية ابرز هذه الالوان وهي اقوال تحمل معاني عميقة واماني عذبة وهي في الوقت نفسه افكار الشعب في الحياة ونظراته اليها ، كما انها تحوي مفاهيم الاجداد حول طرائق العيش والعالم ، واقوال كأنها تنبثق من تلقاء نفسها متصفة بفن حقيقي لا زيف فيه وكأن الواحد منها مجلد في جملة واحدة .

ان للامثال اهمية تربوية تفوق اهميتها الفنية ، فهي مستخلصة من الاحداث الحية وعلى هذا الاساس اكتسبت صفة اليقين واتخذت خصائص دستور فلسفي للشعب يسير الفرد منه وفق احكامه ويعمل على اساس بنوده وها هنا تثوى القيمة التربوية للامثال .

تعرضت الامثال خلال العصور الى تغيير وتبديل فبقي بعضها حيا ولف بعضها النسيان ، فيها الغث وفيها السمين ، فيها الرفيع وفيها الرديء ، فيها ما لا يفارق الالسن ، وفيها ما يجل عن ذكرها الاديب .

وعليه ينبغي تقدير الامثال وغربلتها وانتخاب الجيد من الكل وادخال ما يناسب منها في المدارس لا سيما ما يتعلق منها بالنواحي الاجتماعية وما يتناسب والمفاهيم الخلقية الرفيعة وحبذا لو وضعت هذه الامثال المنتخبة على هيئة « كتاب الجيب المصور » هذا فضلا عن نشرها مبثوثة في كتب القراءة الابتدائية والمتوسطة بمراعاة اعمار التلاميذ ومدارك الاطفال .

تعتبر الاغاني لونا من الوان التراث الشعبي ، والاغاني الشعبية الفاظ عجنت بأنغام ، فهي شعر شعبي وموسيقى شعبية وقد حان الوقت الذي يتعين فيه ان نستفيد من هذه الاغاني على ان تتولى لجنة فنية دراستها وانتخاب ما لها قيمة فنية وتربوية ثم تيسيرها في المجال المدرسي على ان تعطي لها المكانة اللائقة في دروس الموسيقى وفي النشاط اللاصفي .

كذلك ينبغي الالتفات الى انواع اخرى من هذا التراث الشعبي الادبية منها او المادية لتحقيق الاغراض

افدنا في اعداد المقالة من :

Eflatun Cem Güney : Folklor ve Egitim 1966

٢ ــ اسحق رمزي : المدرسة والبيئة

٣ ــ مادة الفولكلور في الموسوعة البريطانية .

٤ ــ مقالة للدكتور حسين مؤنس في مجلة « المجلة » المصرية نوفمبر ٦٨

٥ ــ ابو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر .

٦ ــ احمد وصفي زكريا : جولة اثرية في بعض البلاد الشامية دمشق ١٩٣٤ .

٧ ــ فهرست مكتبة الاب انستانس الكرملي في المتحف العراقي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اناهيد

اناهيد ، يا هنيمات الجمال
ويا غفوة الطل في البرعم
ويا رفرفات الفؤاد الجريح
ويا واحة في جديب ظمي
أطلي على عالمي الشاعري
ولا تسمعي قولة اللوم
لأنت مدى العمر ترنيمتي
وتسبيحة الخافق المغرم

بغداد **عبد الخالق فريد**

التربوية والتعليمية في الوقت الحاضر .

اساليب اخرى للافادة من الفولكلور

مجال الافادة من الفولكلور للاغراض التربوية والتعليمية واسع سعة الفولكلور نفسه ، غير اننا نذكر فيما يلي انشطة ووسائل تعليمية محدودة كاشارة او بداية للاهتمام بهذا الشأن .

١ ـ النشاط اللاصفي ميدان مهم للافادة من الفولكلور حيث يجري تمثيل مسرحيات مستخلصة من قصص وحكايات عراقية سواء أكانت من الحواضر ام البوادي والجبال .

٢ ـ تصوير العادات والتقاليد والصناعات الشعبية العراقية بأنواعها في افلام سينمائية وثائقية او في شرائح الفانوس السحري وتوزيعها على مديريات التربية في الالوية ليقف الطفل على الحياة العراقية الواقعية مثله كمثل الفرد الراشد الذي ينبغي ان يعلم ما في حيازته .

٣ ـ تؤكد جميع النظم والمذاهب التربوية في العالم على ضرورة الربط بين المنهج وبين البيئة وهذا يستلزم أن يكون المعلم ملما الماما كافيا بتراث المنطقة التي يدرس ابناءها .

٤ محاولة الوقوف على المعلومات والخبرات الشائعة في منطقة المدرسة والمتعلقة بالمادة التي يريد المعلم تدريسها ليقوم الدرس على معرفة من احوال المنطقة وظروف الحياة فيها وما ينطبق على الدروس الادبية يسري على العلوم ايضا .

٥ ـ ان يضم المتحف المدرسي عينات جيدة او نماذج مصغرة من الصناعات والادوات واللوازم المحلية الرئيسية لا سيما ان بعضها في طريقه الى الاندثار .

٦ ـ المحافظة على التراث القائم قدر الامكان بواسطة المدارس والمؤسسات التربوية الاخرى .

٧ ـ الافادة من المناسبات المدينية والاعياد والمثل العليا السائدة في غرس الصفات العالية في نفوس الناشئة .

٨ ـ احصاء نقاط الضعف والعادات السيئة وتحديدها والعمل على مكافحتها بمختلف الوسائل التربوية الممكنة .

٩ ـ ان يكون الفولكلور مرتكزا مهما للتربية الاساسية ولمحو الامية الوظيفي .

١٠ ـ تدريس الفولكلور وبحثه على المستوى الجامعي ونشر النتائج التي تتوصل اليها الجهات المعينة في الجامعة .

المسح الفولكلوري

واخيرا نتمنى ان تتعهد وزارة الثقافة والاعلام بتأسيس مكتبة وتوثيق او أرشيف فولكلوري عراقي يجمع كل ما يمكن حفظه وعرضه من التراث الشعبي ليكون بذلك متحفا عراقيا اخر يلقي ضوءا جديدا على تاريخ حضارة الانسان .

ان تحقيق هذه الاغراض التربوية وغيرها من الاغراض تحتم ان نعلم فولكلورنا على الوجه العلمي الدقيق .. نقول هذا لانه لم يدرس هذا التراث حتى الان دراسة منهجية شاملة . وبالرغم من الجهود العلمية المخلصة المبذولة من جانب عدد من الفضلاء في الاعوام الاخيرة لم تجمع شتات الفولكلور كاملة بأيدي فنية جادة موجهة .

لقد سبقتنا دول متقدمة كثيرة في هذا الشأن اذ استطاعت ان تتبين ما لدى شعوبها من المعارف والادب الحلو وتمكنت من تشخيص نواحي الضعف والقوة في مجتمعاتها وبلغت العناية بهذا التراث الشعبي لدى هذه الدول الى حد ان بعضها نظمت خرائط فولكلورية بواسطة المعنيين من الباحثين والمعلمين القائمين بمحو الامية الوظيفي ، واعدت استبيانات جمعت بها المعلومات فتوفرت لديها خرائط للجوانب الادبية والمادية ، فضلا عن جمعها آثارها الكلاسيكية الشعبية وترتيب ما لديها من الآثار الاخرى ، كذلك عمدت هذه الدول الى وضع كتب التوعية والى تأليف غيرها شعبية مبسطة مرتبطة بأحتياجات البلد ، فكانت التربية عندها باستمرار نشاطا استثماريا وفعالية لها مردودها وعائدها في نطاق التنمية الشاملة .

وختاما نود ان نوضح بأننا لم نستوف هذا البحث المتعدد الجوانب استيفاءا مرضيا ، انما وددنا ان ننوه بأهمية الموضوع وخطره في شؤون التربية والتنمية . آملين ان يستأثر باهتمام ذوي العلاقة وارباب الاختصاص.

بغداد **حسين علي الداقوقي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غـدائر النـخيل

●

الى ابراهيم العنقري رفيق اعـذب ايـام الصبـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نـاصر بو حيمـد

●

الريـاض

اعشـــق
هـذه المدينـة
كواحد بحـار
اتعبـه الدوار
ومزقت سفينه
الريـح والاشواق
والاسـفار
وأبصر الشواطىء الامينه
أعشـــق
هـذه المدينـة

اود ان اغـرز
في ترابها الوسنان
الجفن والاسـنان
وأن اغنـي
الصيد من رجالها
وصولة الفرسـان
وان اشـــد
الوتـر الولهـان
لهذه المدينـة

أواه يا غدائر النخيل
يا الف خصر ضامر نحيل
احلم بالمستحيل
صدر البخيـل
كنز بلا سندبـاد
يـا سندبـاد
وبح صوت العـود
والعـواد
واستسلم العائد
للشميم
وهـب صـوت
رخيـم



يوسف عبد المسيح ثروة

عالمان متجاذبان

« ٤ نساء و ٣ ضفادع »

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

ليس لي ان اعرف الاستاذ عبد الحق فاضل للقراء الكرام ، فذلك مني فضول ، والاستاذ قاص ودارس ولغوي معروف ، ويكفي ـ في هذا الشان ـ ان نقول انه مؤلف « مجنونان » ١٩٣٩ و « مزاح وما اشبه » و « ثورة الخيام » وغيرها من الكتب الدسمة الغنية عن التعريف . ولكن الشيء الذي انا بصدده هو المسرح . وها ان الاستاذ فاضل يتحفنا ـ وفي هذا الحقل ايضا بمسرحيته « ٤ نساء و ٣ ضفادع » فاذا به يحلق كالصقر في اجواء هذا الحقل ، متمكنا من اداته ، مسيطرا على موضوعه ، قابضا لناصية فنه ، في أصالة وجراة وحسن اقتدار تتبدى جميعا في قسمات المسرحية ، ومضامينها ، في وحدتها وحيويتها وانسجامها .. والظاهرة البارزة في المسرحية لاول وهلة هو جفاف موضوعها ، الذي يمكن ايجازه بالمقارنة بين عالمين : عالم اليوم ، عالم القرن العشرين وعالم القرن الثلاثين . ومن هنا ، فالموضوع يشبه كثيرا القصص (العلمية) التي اشتهر بها جول فيرن و هـ. ج. ويلز .

الا ان هذا الجفاف سرعان ما يتبخر بلمسة قلم الاديب ذات السحر والرمز والرقة ، فاذا بالجاذبية الفنية تتغلغل بأسرع من لمح البصر في ثنايا المسرحية لتشد انتباهنا اليها شدا لينا لطيفا ، يأخذ بايدينا في دروب الالام ، دروب هذا العالم، ليشبعنا منها تقززا وتبرما واشمئزازا حتى تستعد نفوسنا لمفارقتها غير آسفين ولا جزعين الى عالم اخر هو عالم القرن الثلاثين ونحن بين العالمين في ذهاب وايابٍ متباطئين او مسرعين ، متخاذلين او هابين مع الريح ، سلاحنا العلم بكل قواه الميكانيكية والالكترونية ، الذرية والاشعاعية ، والكيميائية والفيزيائية . الاسلحة المرعبة المجنونة كلها في ايدينا ، ونحن لا نعرف ماذا نفعل بها ، قبل ان تعرف هي ماذا تفعل بنا . والعالمان مجنونان يتصارعان في حلبة الزمن والمكان ، من غير ان يعترفا بذرة من جنون او مس منه . لان كل عالم يعتقد براسخ الايمان وصادق العقيدة ، ووثيق اليقين انه العقل برمته ومصداق ذلك العديد العديد من الادلة الدامغة والحجج الثابتة . هاك مثلا على ما نقول عالمنا العاقل : ألم يدمر مدينتين كاملتين عن بكرة ابيها في ليلتين فقط ؟ ألم يقض على خمسين مليونا من البشر في حرب واحدة وبايدي شعب من ارقى الشعوب ثقافة وتقدما وعلما ؟ ألم يشرد شعبا بأسره من ارضه بدعوى تشريد (شعب) آخر واسكان ذلك (الشعب) في وطنه قسرا ؟ وألم يمكن هذه ان تكون حلقة في سلسلة طويلة من الاستفهامات . بيد ان الاكتفاء بها يشير الى هذه السلسلة ويلوح بها وهذا كاف واف بقصدنا في التنبيه والاثارة .

وعالمنا هذا الذي وصفه الاستاذ فاضل ، واجاد في وصفه ، فيه تجريد مقصود لذاته ، لان المشاكل التي عالجها ، قد تبلورت بمرور الزمن ، حتى فقدت ماهيتها العيانية لتصبح رموزا ومعالم طريق لعالم مضى او ان كينونته ، ولم يعد وجوده بالفعل الا دلالة خاوية من المعنى ـ على حسب رأي كثير من المسرحيين ولا سيما منهم على وجه الخصوص ديرنمات الذي يتفق في هذا الشأن مع منطلقات الاستاذ فاضل كل الاتفاق . وهذا ما نجده في معظم مسرحياته من « علماء الطبيعة » مرورا بـ « هبط الملاك في بابل » الى « الشهاب » ولو رحنا نقارن بين هذين المنطلقين ومعظم منطلقات مسرحيات القرن العشرين لوجدنا اتفاقا ، لا في الشكل ، فهو يختلف بين كاتب واخر ، ولكن في المضمون العام الذي يمكن حصره بغير مبالغة في كلمات معينة هي : الخواء ، والضياع ، والتلاشي ، والتهافت ، والافلاس والجدب . سمات بارزة يمكن تلمسها من غير كبير عناية في معظم المسرحيات الغربية الحديثة ومرد هذه السمات هو تخلخل المجتمع الغربي ، على ساحلي الاطلسي ، لانتفاء مقومات الوجود الاجتماعي ، الطبيعي بعد حربين طاحنتين ، بسبب أزمتين اقتصاديتين هزتا العالم الغربي هزا ، قصم ظهره في جانبه الشرقي ـ في الحرب الاولى ، وزعزع اركانه في الحرب الثانية ، لولا يد الهم سام الذي جاء عبر المحيط لينقذ ما يمكن انقاذه من انقاض عالم متداع ، يسير الانهيار اليه سيرا حثيثا ، بعد ان استنفد قواه الحيوية ، في تناقض مميت مع نفسه ...

وهذا التناقض هو الذي يضع عالمنا في مقابل نفسه ، فلا هو حقيقة واقعة لانه صيرورة مستمرة ، ولا هو وهم خيالي ، حلم من الاحلام ، لان الواقع العملي الذي ينبثق منه هذا الخيال ، تثبته حقيقتا الزمان والمكان ، في عيانية ملموسة احساسا مدركة عقلا . ومن ثم كان اختلاط الحلم بالواقع امرا مجيرا بالقياس الى فريد (١) (عالم الاحيائيات) لانه لا يجد مبررا لأي من الحلم او الواقع . واذا كان فريد قد انتقل الى عالم العجائب انتقالة كبرى يبلغ مداها الف عام ، فان من حقه ان يبحث عن ذاته ليتلمس وجوده وليتاكد من واقعية هذا الوجود وسيطرة ذهنه على نفسه ، وتماسك شخصيته ، وهو يرى بشرا من نوع اخر ، يخجل بشر هذه الارض تواضعهم ، فهم ليسوا ارقى من جن عالمنا انفسهم الذين استغفلهم الناس ، الى حد السخرية والازدراء بهم ..

ولكن الارض المباركة والسلام الوطيد الذي يجده على هذه الارض، بالمقارنة الى ارض الدمار التي نقطنها تجعل فريد يحسب نفسه واهما او حالما على احسن الاعتبارات ، لا يريد من هذا الحلم الا ان يدوم اطول مدة مطلوبة ، ففي التعرف بذوات الجن شرف يليق بهذه الرؤيا العظيمة المباركة والا كيف يمكن ان يحدث الذي حدث . الف سنة شبع فيها فريد من الموت حتى اتخم ، تنكمش بهذه السرعة العجيبة

(١) بطل مسرحية « ٣ ضفادع و ٤ نساء » .

لتصبح لحظة سعيدة تتبدى له فيها الابدية حقيقة جارفة لكل حقائق الحياة الارضية الموغلة في وحول الدنس وادغال الغش . لاول مرة يرى فريد حلما تلتمع فيه جوانب قوس قزح ، لتختلط بسماء صافية ، تنتشر فيها ابخرة الكافور والنردين . فالوهم هو الشيء الحقيقي الوحيد الذي لا بد ان يتشبث به لانه لا بديل عنه وقد تجسد هذا الوهم تجسدا حقيقيا في عالم غير عالمنا غير الحقيقي .. ومن ثم فمن حق فريد ان يخشى كل تلك الخشية من زوال هذا الوهم لانه ان زال من مخيلته اضطر اضطراراً الى العودة من حيث أتى الى عالم ضفادعه التي احبها كل ذلك الحب ، من اجل توسيع مداركه التجريبية . والغريب في الموضوع ، ان هذه الضفادع سافرت مع فريد الى عالمه الجديد الفريد ، ليكون هو الى جانبها كما كان في عالمه المفقود غير المأسوف عليه ، فهذه هي مشيئة الاقدار التي لا تتلاعب بمصائر الناس فقط بل بمصائر الضفادع ايضا ، هذه الضفادع التي يعطيها فريد شيئا كثيرا من اهتمامه الى حد يحمله الى القول : « ... كم من الاجيال والمدنيات قامت ونامت تحت الشمس وضفادعي نائمة في الظلال » . في حواره مع الاستاذ بيكيكي ، الاستاذ العراف الذي لا يجاري في الاضطلاع على اسرار ما هو كائن وما سيكون . وحين ياخذ الحلم بالاقتراب الى الجد بعض الشيء كان يعلن بيكيكي رأيه في قضية أتصال فريد بعالمه الذي فارقه واستحسانه لتوجيه كلمة الى هذا العالم قبل الاتصال به يستشيط غيظ فريد من هذا الجد المنحوس ويقول : « ان لم تكفوا عن الجديات قضيت عليكم جميعا في لحظة واحدة . ما علي الا ان اركل لحافي او انقلب على الجنب الاخر فاذا انتم عدم » .

هذا صحيح وممكن ولكنه ليس من صالحه ، على أي حال ، والا ضاعت منه هذه المتعة الفريدة ، هذا الخيال الرحيب ، الذي دونه كل خيالات السندباد في كل سفراته ولو زاد عليها سفرة اخرى . ولكن قد تكون سفرته الثامنة مجدية ، لانها قد تحطه كما حطت فريد في بلاد الخناث تلك البلاد الجميلة التي لم يجد لها السندباد مثيلا حتى في احلامه . وكيف لا تكون هذه البلاد جميلة ، وقد حلت فيها اعظم المعضلات واصعبها حلا :اعني معضلة تقسيم البشر الى اناث وذكور ، وهو اول تقسيم اعتسافي تمييزي جعل الحق مع القوة والباطل مع الضعف وبذا ضاع الحق من وجه الارض ليكون وهما ، غمامة يتخيلها الفلاسفة والحكماء مفعمة بوفير الخير والبركة ومدرار الغيث .. بينما هي سحابة صيف ، تفش الراعي وماشيته والارض الجدباء بخبث وتمضي سريعا في سبيلها مخلفة لوعة حرى في النفوس جميعا . الا ان هذا الخيال البديع الذي يغلف وجود فريد بغلالة شفافة ، لا يلبث ان ينحسر عن نفسه ، لان شيئا فظيعا يضايقه اشد ما تكون المضايقة ، وما ذلك الشيء الا احساسه بكيانه الذي يشعره باليقظة . الخيال خيال غريب لا يكاد يكون اغرب من الحقيقة نفسها » فهل يصدق احساسه أم عينه ؟ .

بيكيكي يرى ان يصدق احساسه ، ويطلب منه بصفته عالما الرجوع الى حقل التجربة لاثبات ما يعتقد بصحته نظريا . فريد لا يرى في ذلك ضيرا لانه صحيح كل الصحة ولكن في عالم اليقظة . اما والحال هي ما هي عليه الان فالامر يختلف اشد الاختلاف عن حال اليقظة لان فريد يؤثر اهتبال فرصة الحلم ، الفرصة الذهبية هذه ، ليفلت ولو قايلا من اغلال العقل والجديات بالاكثار من المرح والمجون والمفارقات وخلق الاجواء الطلقة الجديدة ، التي تتسع لكل تسامح وحرية وانطلاق، تعويضا عما فاته من كبت وارهاق وتضييق وهي تلك الاغلال التي يعبر عنها فريد بقوله ، « .. انا في حياتي كثير التعقد والتحرز ، لكني احب الانطلاق والهرب من نفسي » . ولذلك فانه ـ في عالمه الجديد ـ يجد نفسه حرا طليقا ، كله احساس بالنشاط والحيوية والبهجة ، ذلك ان « الحلم هو الحالة الوحيدة اللامحدودة واللامقيدة في حياته »

ومعنى ذلك ان الحلم هو التجسيد الوحيد للحرية واليقظة هي الكابوس المخيف الذي يجثم بكل ثقله على عالمنا فنجد كل ما فيه نفاقا لا يعبر عن الحقيقة الا كما يعبر النفاق عن واقع الحال . ولما كان النفاق هو ضرب من الرياء ، والرياء تزييف مبطن للحقيقة فالزيف تبعا لذلك كله لا بد ان يكون السمة البارزة في جبين مجتمعنا . والى هذا الزيف يشير بيكيكي بقوله : « تتكلمون احيانا لاخفاء افكاركم بدل اظهارها » .

وتوكيدا لهذا الزيف يتساءل فريد بمرارة قاسية : « ما الفائدة من الكلام اذا كان الانسان لا يستطيع ان يتصرف فيه ؟ » ولا يخلص الادب نفسه من قناع الرياء الصفيق ولهذا السبب يغمز كيكي قناته بقوله : « يقصد بالادب كتمان الحقائق او تحريفها اذا كان الاخرون يكرهونها » . ولكن الادب هنا لم يكن كله رياءا والا انتفت فيه صفة الصدق التي نجدها هنا وهناك مزدهرة زاهرة في جنائن الادب وخمائله وغيطانه . واذا كنا نعلم من شواهد التاريخ ووقائع الايام ، ان الحب كان احد المصادر الرئيسية التي ترفد الادب بمعينه الدفاق ، فلا جرم ان لا تفوت فريد فرصة التحدث عنه ، وقد وجد في العالم الثاني برودا عجيبا حياله ، ولذلك فهو يقول مخاطبا فرفور الفيلسوف الصغير : « ان هذا الامر (يعني الحب) الذي تسمونه حيوانيا .. كان مدار حياتنا ، كان جذوة الانسانية والتسامي فينا » . وحين يشتد انشداه فرفور من هذا الامر يستطرد فريد في قوله : « ... هذا الشيء الحيواني العجيب في نظركم كان قطب عالمنا .. مبعث اغانينا وفنوننا وآدابنا وفلسفاتنا .. » .

وعند هذا الحد يتحول مفهوم الحب من صفته السامية الى صفته الحيوانية المحض ، فيكون داعية الى المشاكل والجرائم احيانا وحتى الى الحرب ايضا .. فرصة ثمينة يقتنصها (الطفل) احد الذين يتحدثون من هيروشيما بقوله : « لماذا كنتم تتحاربون ؟ اسمي جيجان . عمري خمس سنوات . » وسؤال جيجان هذا ، كان له وجود ووجوب منذ كانت الانسانية ، ولكنه ظل فاغر الفم ، يتثاءب بعناد واصرار ، من غير ان يجد من الناس من يجيب عنه ـ طوال هذه العصور البلهاء ـ الا قلة تعد على اصابع اليد حرقوا انفسهم حين حاولوا الاجابة وكانوا جادين فيها . ولذلك فان فريد لم يكن الرائد في اكتشاف هذه الاجابة حين أجاب عن استفسار فرفور : « هل كنتم تتحاربون لتحسين الاقتصاد في العالم . » بقوله : « ما هكذا يوضع السؤال . بعض البشر كانوا يريدون غصب ما يملك الاخرون . » وعندما تساءل فرفور : « هل كانوا محتاجين هكذا الى ما عند الاخرين ؟ » اجاب فريد : « الحقيقة ان اغناهم اكثرهم رغبة في الغصب .. وكلما زادوا غنى زادوا خطرا ». وبذلك يكون فريد قد وكد المقولة الاقتصادية الحكيمة توكيدا خاصا ، المقولة التي تذهب الى : ان الاغنياء كلما ازدادوا غنى ، ازداد الفقراء فقرا .. ومن ثم ازداد خطرهم لا في بلدهم فقط ، وقد امتصوا عصيره حتى القشر ، بل في بلدان غيرهم ايضا ، وهذا سبب رئيسي من اسباب الحروب .

ولكن دهاقنة السياسة وارباب التربية ، يغطون هذا السبب الرئيسي بألف سبب مفتعل وسبب . فكل « دولة تلقن سكانها من طفولتهم انهم افضل اهل الارض طرا ، وتحرضهم على كره الشعوب الاخرى » . وهذا هو اساس التمايز العنصري ، آفة عصرنا الشريرة التي غذاها رينان وغوبينو وروزنبرغ بكل مقوماتها الفكرية المتهافتة ، في البر الاوربي، كما فعل ذلك تشمبرلن الكبير في بريطانيا ، لتكون خميرة كل ذلك ما وجدناه من عفن النازية وخبيث اثارها ، في معظم انحاء العالم . وقد استند كل هؤلاء الى قاعدة علمية طبيعية بلورها دارون ومفادها : « تنازع البقاء والبقاع للاصلح » وترجمت في الحقل الاقتصادي الداخلي الى « التنافس الحر » وفي الاقتصاد العالمي والسياسة التي هي ذيل لها الى موضوع تنازع الدول على السيادة على العالم واقتسام مناطق النفوذ . وطبيعي الا يقر كل ذلك الا

الحرب والمزيد من الحرب . واحسن تعريف للتنافس الحر هو التعريف الذي وضعه فريد بحكمة بالغة الدلالة بقوله : « .. كل انسان يحاول ان ينتزع من مجتمعه اكثر ما يستطيع من ماديات ومعنويات .. ويكافح الاخرين ويكافحه الاخرون بسبب ذلك » . ولما كان تنازع البقاء هو الفلسفة الواقعية الوحيدة ، بل « هو ابو الفلسفات .. وقانون الحياة » فلا ضير ان يمتد نطاق هذه الفلسفة من البلد الواحد الى البلدان الاخرى ، وتبعا لذلك يكون العدوان نفسه قانونا للحياة وفلسفة لها ، فتكون الحدود بين أي دولتين تمثيلا صادقا لاخر عدوان فرضته احداهما على جارتها فيصبح بعض الناس من نصيب هذه الدولة تارة ومن نصيب تلك الدولة تارة اخرى . والوطن الواحد نفسه يمكن شطره شطرين و (سرعان ما تتالف لكل منهما حكومة مخاصمة للاخرى تحاربها بالسلاح او المؤامرات او الشعارات) .

وكل هذه آراء يبديها كيكي وفريد وابو كيكي بطلاقة وصراحة ويقين وكأنها مستلات من كتاب الحياة ، الكتاب الذي يجمع بين دفتيه كل نقائض المجتمع الواحد ونقائض المجتمعات المختلفة ، في سلسلة طويلة من التناقضات تتنازع اسباب الحياة ، حتى يصبح الانقسام جبلة في الناس على ما يذهب اليه ابو كيكي بقوله ، « الانقسام جبلة فيكم . ان كنتم لونا تخاصمتم شعوبا . ان كنت شعبا تخاصمتم عقائد . ان كنتم عقيدة تخاصمتم آراء ، مصالح ، زعامات . » وابو كيكي لا يكتفي بهذا التطرف من القول ، ولو اكتفى بذلك لهان الامر ، ولكنه يمضي في تطرفه الى حد القول : « عقائدكم عقدكم النفسية » . ومآل ذلك اذا نحن اخذنا رأي ابي كيكي على علاته عدمية صارخة ، وتمرد طوفاني ، وصياغة لمجرى التاريخ على وفق نظريات علم النفس الحديثة ، بحيث يصبح الدافع الفردي ، الاناني ، الشره ، الشرس ، هو القانون الاسمى الذي يحرك دولاب المجتمع ..

ولما كنا نعرف ان الدافع الفردي هو دافع حيواني يسيطر عليه المخيخ لا المخ ، فمن حق زوزي ان يخاطب فريد بقوله : « تصرفاتكم يوجهها المخيخ مستودع تراثكم الحيواني من العنف والغضب وجهل حقوق الغير عبر ملايين السنين . » ومن ثم فبنسبة سيطرة الغضب او الحقد او الخوف او الشهوة تتلاشى موضوعية التفكير الانساني ، وبمعنى اخر ان المخيخ يلغي دور المخ ، فلا يجد الاخير ، بعد ان تكون الحرب قد قامت ، الا دورا ثانويا ذليلا هو دور التبرير والتفسير ومحاولة الاصلاح . وتعقيبا على هذه الاراء الجريئة التي يبديها سامي ، يعترف فريد بالحقيقة بقوله : « تماما . تماما . وحينما تنتهي الحرب ينظر العقل او المخ .. الى صورته في المرآة .. فتهوله بشاعتها، لكنه لا يجدسوى حل واحد لمعالجة الموقف هو ان يبصق على المرآة انتقاما منها . » هذه صورة بشعة حقا للعقل البشري ، ولكنها من صميم الواقع ، ومهما تكن قسماتها خشنة غليظة ، واجواؤها داكنة معتمة ، وايحاءاتها متشائمة سوداء ، وصراحتها صارخة فاضحة ، فهي صورة حقيقية ، وقد احسن الاستاذ فاضل في عرضها ، بهذا الاسلوب الساخر العنيف ، ليكون تأثيرها بمثل هذا المستوى من العنف ، هذا العنف الذي يتبدى عاريا صارما في قول فريد وهو يتحدث الى كيكي : « ... لقد كان سلمنا المخيخي يتجلى في منظمة الامم المتهارشة ، وهي صورة مصغرة للغاب الدولي » .

ومن الحرب والسلم ينتقل فريد الى موضوع التربية ، بصفتها اساس الكيان الاجتماعي ، فيعرض واقعها كما هو على فرفور . ففي رأيه يولد الطفل على الفطرة ، وهي حالة استعداد واستجابة لكل نوازع الروح العلمية والبحث النزيه ، و « لكننا نتولاه (يعني الطفل) بالصفعات النفسية والعقلية كل يوم . » فريد يقول ذلك ببرود يحمل فرفور على التساؤل : « لماذا ؟ » وجوابا عن ذلك يدلي فريد بدلوه في اصول التربية فيقول : « لكي نهذبه . اعني لكي ننشأ سطحيا .. زائغ البصيرة .. جبان العقل .. ضافق الملاحظة .. مفرضا .. » وما الغرض من كل ذلك ؟ الغرض الجنوني من ذلك هو قتل الجسارة الادبية واعدام الفكر الحر وتفتيت قوة التمييز لكي يكون « همهم (يعني الاطفال) ان يعموا عن الحقائق .. ويفعلوا الادب . » وهكذا « كان البالغون في كل العالم يهيئون اطفال الجيل لينشئوا مجتمعا له جميع النقائص القائمة » . فلماذا هذا ؟ « لماذا ؟ » يتساءل جيجان فيجيبه فريد مرددا السؤال نفسه « لماذا ؟ » ومضيفا اليه : « ها هنا المشكلة . لاننا نعتقد ان الخطأ هو الصواب والصواب هو الخطأ » .

وحينما تشتد شفقة فرفور على الوضع البشري المزري ، الى حد الاجهاش بالبكاء ، لا يجد فريد بدا من مشاركة فرفور في عاطفته الحارة ومن مصارحته بالحقيقة الكبرى : « .. حتى الحيوانات تتعلم اجتناب الضرر بالتجربة ، لكن هذا الحمار الناطق وحده يكرر بلا ملل أفجع تجاربه التي قاسى منها مرارا » . ولذلك فهو يجد الحياة الجديدة في العالم الثاني فرصة جديدة ، لكي يصبح آدميا من جديد . وما هو هذا العالم الفريد الذي وجد فريد نفسه فيه ؟ انه عالم غريب حقا ، فيه العلم بادواته ومهارته وقياساته وقدرته غير المحدودة سلطان ليس لنفوذه تخوم ، فيه يتحول المستحيل الى ممكن والممكن الى حقيقة واقعة ، فيه تصبح الصيرورة الحركية قاعدة حتمية ، فيه لا تتوقف الاشياء ونظامها بما يعرف بالمكان في حدود المكان ، ولا توالي الظواهر فيما يعرف بالزمان في مسار معين . في عالم الحيوان الاسود برؤوس الحمير وارجل الذئاب ، ورؤوس القردة على جسوم الذئاب ، واحجام الحيوانات كافة تتغير بسرعة عجيبة ، فيمكن في المختبر ان تتقمص البقرة جسم نملة ، وان يتجسد الجمل في جسم فأر ، وان نكون نساء ، بما في هذه الكلمة من انوثة ، من نايلون ومطاط ، بنسب كيمائية معينة ، ذلك ان التجارب المختبرية تعمل الاعاجيب في كل لحظة وحين . والعالم الثاني يتنصل من كل التزاماته السابقة ، ليسبح في بحر الحرية العلمية ، حيث تقسيم المسؤولية على حسب الدرجات العلمية . النساء الالات مستعدات لتلبية كل الطلبات في كل الاوقات .

وسمر النساء الالات ، ما هو تأثيره في فريد ؟ وما هي انطباعاته عنهن ؟ ان هذا السحر يتجلى في (كل حركة تأتيها احداهن) هذه الحركة التي تنصب في شفاف قلبه فتبعث فيه حياة كلها بهجة وانشراح الى حد قول فريد بالذات : « ... حتى خصامهن لي وكيدهن وشيطنتهن . حتى الغضب .. حتى الهجران يعجبني منهن » . غير ان كل ما يفعلنه لا يتجاوز التجاوب العلمي مع تموجات اشعاعات نفس فريد ، وهذا هو الامر العجيب في الموضوع من الاساس ومن ثم فان فريد لا يرى في العلماء غير ملائكة اغبياء ، فاي معنى في الانسان لو كان نصفه بشر ونصفه آلة ؟ وما فائدة هذه الكيمياء السخيفة التي تحول الارواح الى نفوس ميتة في اجساد آلية تتحكم فيها نزوات ميكانيكية ولهذه الاسباب مجتمعة نرى الغضب يأخذ بتلابيب فريد فيقول : « خرجنا من كابوس الماضي لندخل كابوس المستقبل » وعندما يحدثه العلامة نينوزي عن التغيرات الجذرية التي يمكن ادخالها في الجسم البشري ، يصيبه شيء يشبه الذهول فيقول لصاحبه بعد اقتناعه بحججه العلمية : « تناسخ الاجسام اذن معقول والله . مثل تبديل الملابس .. قد يبلغ بكم التطور يوما ان لا يبقى منكم غير جماجم، لها اجنحة تطير بها في الهواء وتسبح في الماء . » ولو اكتفى نينوزي واصحابه الاعلام بتبديل الجسوم لهان الخطب ، القضية تطورت تطورا مخطرا الى حد مريع ، لم يبق الا ان يغيروا الراس ، وبذلك تفقد الشخصية كل معالمها وسماتها ومميزاتها . فهل ان العلماء الاجلاء فاعلون ذلك ؟ نينوزي يغري فريد بقوة الجسم في (اجمل صورة رجولية ، وسامي يزيد على ذلك بقوله : ستعبدك نساؤك حقيقة لا تجاوبا فقط).

اما زوزي فيصارح فريد بالحقيقة من غير اغراء ولا اغواء بقوله : « عظامك الهشة ، اعصابك الواهنة ، بلدك المهترىء ، حجيراتك الرثة

.. كلها يمكن تبديلها بالتدريج ، حتى ذاكرتك الصدئة ونفسيتك المضعضعة . » واذن فالشخصية كلها يمكن ان تتبدل ، او بالحري يمكن القضاء قضاءا مبرما على انسان قديم بكل معاني الخلق من وقائع ودلالات ونتائج . وبذلك سيتحول فريد تحولا جذريا من انسان دنيانا هذه ، الى انسان الدنيا الاخرى بحيث يفقد كل صلة بماضيه . ولكن ما معنى هذا بالقياس الى فعاليات الانسان النفسية ؟ انه يعني بالدرجة الاولى التقمص في ذات جديدة تلقائية الاستجابة انعكاسية التصرف ، فضلا عن قدرة خاصة ، حاسة سادسة تستطيع ان تقرأ وان تنفذ الى أعماق السرائر بيسر وبغير اعمال فكر فتتعرى النفوس من مواضعات المجتمع ، وتنهار جدران التقاليد ، فتفقد الفضيلة نفسها مقوماتها بل قيمتها الرئيسية ، لانها تصبح تلقائية وعامة مبتذلة ..

وحين يشير فريد الى موضوع الفضيلة وخشيته من فقدان قيمتها لا يرى نينوزي دافعا لنكران هذه الحقيقة ولذلك يقول : « الذي يهمنا الفضيلة لا قيمتها . » « لان كل الخيرات تفقد قيمتها اذا عمت ، الصحة ، الغذاء ، التعليم ، السعادة » . غير ان نينوزي لا يستطرق طريق المنطق هذا عبثا لمجرد الوصول الى نتيجة منطقية ، بعد ان وضع المقدمات وضعا علميا منسقا ، انه لا يقصد ذلك لذاته ، انما يتجلى مقصده في تذكير فريد بحقيقة اقتصادية معترف بها بقوله ، « نحن لا نحتكرها (يعني الخيرات) او نتلف مقدارا كبيرا منها مثل تجاركم لرفع اسعارها » . غير ان فريد لا يلتفت الى هذا القصد ، اما لانه لا يريد الالتفات اليه ، او لانه لا يريد ان يتذكر مآسي الاقتصاد الحر التي كانت تنخر في اسس مجتمع الدنيا ، بينما كان فريدا لاهيا بضفادعه الثلاثة ، في اعالي جبال سويسرا . ومع ذلك ، فان صاحبنا لا بد قد تاثر باوزار الدنيا ومآسيها وفجائعها والا فكيف يمكن ان يستسيغ وجوده في العالم الثاني ، هذا الوجود الذي يجثم على صدره ليلا وعلى راسه نهارا ، كالكابوس المخيف الذي يتمنى « ان يكون حقيقة واقعة » لان « مجرد التفكير في اليقظة » يجعل فرائصه ترتعد واوصاله ترتجف وانفاسه تتقطع . غير ان هذه الامنية الاثيرة عند قلب فريد ، لا تزال تتوارد على خاطره بالحاح وتواتر بشكل شك لا هو بالشك المالوف ، لانه يجده واقعيا يحياه ، ولا هو باليقين المعروف ، لان وجوده نفسه قضية مشكوك فيه ، لاحتمال الا يكون هذا الوجود الثاني واقعا ملموسا ، كما كان الامر مع واقع حياته السابقة .

ومن ثم تعذر على الهدهد نفسه ان يجيب عن سؤال فريد : « هل انا حالم أم يقظان ؟ » . ومع جهل الهدهد للجواب الحاسم ، تراه يتوسط بين فريد ونسائه الاربع ، فيطمئن هذه ويسكت تلك ويؤاسي البيضاء ويماحك السوداء ليكون في طوع بنان فريد ، وفريد لا يرى بدا من مكايدة نسائه رغم كل وساطات هدهده . واذ تزعل احداهن من مكايدة فريد لا يرى مانعا من ان يقول بخفة روح : « لا تذهبي يا ريحانة قلبي . ان هذه الدموع الزائفة هي الشيء الوحيد الطبيعي الذي يجعلك تشبهين النساء الحقيقيات . » اللواتي عرفهن فريد معرفة جيدة باطلاعه على دخائل انفسهن وتمرسه بتجاربه معهن ، في سلسلة طويلة من العذاب والهوان وخيبة الامل .

وبعد ان يضيع فريد في عالم الالات والمختبرات تشمئز نفسه من العالم الاخر لافتقاده البشر الحقيقي في ذلك العالم المقفر ، ولما كان الضياع والاشمئزاز والافتقار سمات بارزة من سمات الوحدة ، فان فريد يتحدث عن هذه الوحدة مع السوداء خلياته الالية بقوله : « لو كنت حقيقية مثلي لعامت ان اثقل الناس على الانسان هو نفسه . هل تدرين لماذا لا اطيق جحيم الوحدة . لانها تعني معاشرة نفسي » .

وبعد اخذ ورد تحدث المعجزة واذا بفريد يتجسد شابا بمعنى الكلمة من الشباب ، واذا بالشخصين يتبادلان الشخصية تبادلا تاما ، فريد لا يدري من هو ، أهو فريد ام الشاب ؟ لقد تمكن العلماء من ادخال فريد في جسم الشاب ، بعد التخلص من جسمه السابق ، ولكن فريدا لم يجد الشجاعة اللازمة للتخلص من شخصيته السابقة فهو لهذا السبب حائر ولذلك يخاطب الشاب متسائلا بالحاح: « انت انا .. فمن انا » ولما يجيبه صاحبه : « انت .. انا القديم » يلح فريد بالتساؤل : « أنا .. انت القديم » يطمئنه الشاب بقوله : « نعم .. وانا انت الجديد » ..

ولكن غلطة بسيطة ارتكبها سامي في منطقة الازرار في الجهاز اعادت الحياة الى الجسم الميت ، فاذا بفريد والشاب شخصان متقابلان كل له شخصيته الخاصة ، واذا بالتناسخ الذي تم على يد العلامة المحنك والنطاسي البارع ساسي يفلت من يده ليصبح اضحوكة العالم الاخر . ومن ثم اعتور الشاب ضياع فظيع هو ضياع الشخصية ولهذا نراه يشعر شعورا مأسويا بهذا الامر حين يكلم فريد بقوله : « عودتك الى الحياة افسدت على الشعور باني انا ، او بالاحرى باني انت . » وعندما يأخذ الشاب بمعاتبة فريد على ما حدث لا يجد الاخير ما يقوله غير كلمة : « خدعوني » وعندئذ يحس الشاب بخيبة امله احساسا عميقا يحمله حملا على القول : « انا ايضا مخدوع مثلك . انت خدعتني . انا خدعت نفسي . الحياة خدعة كبرى » . ومن الخدع اللطيفة التي يلجأ اليها علماء العالم الاخر استدعاء عائدة زوجة فريد ، بعد طول فراق ، فاذا بالشاب وفريد يتنازعان بشدةوعنف على امتلاكها، بصفتها الزوجة الوفية ، ويتدخل نينوزي لفض النزاع ، ويلفظ الشاب بكلمة العدل ، ويقول عند ابعاده عن زوجته المصون : « هذا ليس عدلا » .. غير ان العدل ، وقد طال همومه ، على مدى العصور ، لا يحل مشكلة ولا يوصل حقا الى صاحبه ، فكيف به وهو الضعيف ، المستنفد القوى ، ان يعيد عائدة الى زوجها الشاب ، وهو يتلظى حرقة ، وشوقا ، من ألم ذلك الفراق الطويل ؟

وبتهافت العدل على احسان فريد القوي ، لا يرى الشاب مندوحة من التنازل عن عائدة التي لا تنكر بسالة فريد في الدفاع عنها واحتضان وجودها . عائدة تقر بذلك الامر وتعترف به ولكنها تعزو شجاعة فريد الى الانانية ، وبذلك تصيب كبد الحقيقة بسهم واحد من سهامها الرائشة على الرغم من اعترافها بعدم محبتها له ، ان لم نقل تلطفا كرهها له . وكرهها هذا يدفعها الى شيء محبب اثير لديها ، وما هو هذا الشيء ، بالقياس الى المراة غير الامومة ؟ ولذلك نراها تطالب باستدعاء ابنائها ، وعند هذه المطالبة ، غير المعقولة ، غير المتصورة ، يفلسف لنا فريد حياة البشر ، على مدى التاريخ بقوله : « ملايين البشر كالنحل ظهروا وديسوا تحت الاقدام فانسحقوا وبادوا » . غير ان عائدة لا تقنع بقول بعلها ، ولو كانت كل الادلة معه ، فشكاستها الماضية لا يمكن ان تفارقها حتى في العالم الاخر ، ولهذا السبب بعينه يلتفت فريد الى سامي وغيره من العلماء طالبا منهم النجدة ليتخلص لا من رذاذ شتائمها حسب بل ربما من خدوش اظافرها وعضات اسنانها . ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الخوف بسبب بسيط هو محاولة توجيه مشاعر عائدة نحو قلب الشاب ، فاذا الامور تنقلب راسا على عقب ، وينحسر الخوف بدافع الوجود الاناني ، الذي يتعرض له بيكي تبكي بكلمات كلها حكمة واصالة ونفاذ : « ليست مصيبتكم الجهل » بل « الانانية » فهي « الحقيقة المقدسة » الوحيدة ، التي نجدها في كل شيء في هذه الدنيا ، في تحريفها للمبادىء ، وتشيعها للمآسي ، في تأجيجها للحروب ، واكتنازها للمال ، واستعباد الناس واستغلالهم ، في ضرب القيم والتمسك بالمظاهر .. ومن ثم كان الحق مع فريد اذ اختلطت عليه الامور ، في عالمه الثاني (في القرن ٣٠) ، فلم يعد يميز بين الماضي والمستقبل وبين الحلم واليقظة .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

فارس الفتح

مهداة الى منظمات العمل الفدائي كافة

رددي يا أمتي حلو النشيد ... للمغاوير .. وللصبح الجديد
زمر جاؤوا مع الفجر الى ... هذه الدنيا لتحطيم القيود
فاذا الليل حكايات ضحى ... وأغاريد على سمع الوجود
وبدا الفرسان في حلبتنا ... يتحدون المنايا .. كالرعود
يحملون الثار هدار اللظى ... فيعيد النصر تاريخ الجدود

يا بطولات الصحارى هللي ... قد أتى الفارس مفتول الزنود
فافتحي عينيك للنجم الذي ... ملأ الآفاق بالنور الجديد
وانظري الشرق .. يغني ثاره ... بشباب الفتح .. بالسمر الاسود
وانهضي فالوحدة الكبرى دنت ... انها عيد تضاهي كل عيد
درج ((الفتح)) عليها رائدا ... فاهتفي يا أمتي هل من مزيد

حلمت كثبان رمل أنه ... سوف يأتي فارس الشرق المجيد
يا رمال البيد هيا وانشري ... في طريق الفتح آلاف الورود
قد عهدناك تحبين العلا ... والبطولات على مر العهود
ولد الصبح على أمتنا ... يحمل النصر .. فيا نعم الوليد

أيها النجم الذي هل على ... أرضنا .. بوركت يا نجم السعود
انها الايام أقسمنا على ... أن نراها حلوة رغم الحقود
فاصنع التاريخ .. واضرب نفرا ... لم يجيدوا غير اكثار الجحود
وامض يا رائد في ثورتنا ... واخفقي يا رايتي فوق البنود
لن يموت الثار في أمتنا ... أبد الدهر ، وتاريخ الصمود

يا عروس المجد يا بنت الوغى ... نحن خضبناك من قلب الشهيد
نحن ارخصنا شبابا طامحا ... وتحدينا اساطير الحديد
وملأنا الارض زحفا هادرا ... وألنا جبهة الدهر العنيد
وعقدنا العزم ان نحيا على ... مفرق الشمس أباة كالجدود
نحن من شعب أبي بطل ... يعشق الموت على درب الخلود

ان عرس المجد فينا قائم ... في المغاني اليعربيات الحدود
فانفخوا فيه لهيبا كلما ... أطفأووه .. وابدعوا كل جديد
يشهد التاريخ أنا أمة ... تؤثر الموت على عيش العبيد
قد عشقنا المجد مذ جئنا الى ... هذه الدنيا .. من الماضي البعيد
فاسألوا التاريخ عن ابنائه ... نحن شيدناه صبحا للوجود

دمشق

محمد منذر لطفي
المقدم الطيار الركن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعادلة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل



على طريق مترية تقوم على جانبيها اشجار متباعدة .. وتكتنفها ظلمة متكاثفة .. كانا يتحركان كشبحين ، وكان احدهما يقصر الاخر بقليل .. قال القصير بصوت خفيض كأنه يحادث نفسه :

ـ ظلام + مجهول = خوف + ثرثرة ..

سمع الطويل كلام رفيقه فقال متضايقا :

ـ رحمتك يا رب .. الا يحرك فيك هذا السكون سوى الثرثرة ..

تساءل القصير باستنكار :

ـ وهل تعد ما قلته ثرثرة ؟.

رد الطويل :

ـ ان لم يكن كذلك فهو تبرير مسبق لثرثرة تنويها ..

ـ ابدا والله ..

ـ هو اذن شطحة من شطحاتك .

ـ ولا هذا ايضا ..

ـ فماذا يكون ؟..

ـ مجرد معادلة ..

ردد الطويل باستغراب :

ـ معادلة .. اية معادلة ؟! آ .. لكني لم اسمع بها من قبل ..

ـ ها انت سمعتها ..

ـ هل ترانا خرجنا الساعة لنثبت صحة معادلتك ؟.

ـ لا اظن اني كنت اعيها لحظة بدانا الرحلة ..

قال الطويل وهو ينفخ بغيظ :

ـ على اية حال الطرف الاول فيها غير مكتمل ... وبالتالي لن نقع فريسة للخوف والثرثرة .. فالزم الصمت من فضلك ..

لم يصمت القصير واردف يقول:

ـ وماذا ينقص طرفها الاول ..؟ اليس الظلام يطوينا في جوفه ؟..

ـ هذا صحيح .. لكن ليس ثمة مجهول .. فنحن نعرف وجهتنا .. وهذا الطريق مشيناه مرارا ..

ـ اظن ان اخر مرة مشيناه معا يوم جئنا نشيع رفيق صبانا ..

ـ انا مشيته وحدي بعد هذه المرة ..

تقصد يوم جئت تشيعها ..

ـ بالضبط ..

بعد لحظات صمت لم يسمع فيها غير وقع خطواتهما وصفير الريح ، قال القصير :

ـ تصور ان الغادر قتل بعدها بأيام خفير الزراعة المسكين ..

ـ سمعت ذلك امس ..

ـ الحقيقة ان هذا الاختطاف المتلاحق بات يهز النفس ويحرك سخطها ..

ـ وماذا يجدي السخط ازاء غادر يتخفى ولا يبين لاحد ؟..

ـ الذي يضايقني انه يضرب ضرب عشواء .. شاب لم يتعد الثلاثين .. عروس في شهر العسل .. ثم خفير مسكين .. ومن يدري كم سيلحق بهم .. هل تتوقع ان يلقانا الغادر الليلة ؟..

قال الطويل ببرود :

ـ ليس ببعيد ..

تدافعت الكلمات مسرعة من بين شفتي القصير :

ـ ماذا ؟!.. وماذا سنفعل ؟.. انت تقول انه يتخفى ولا يبين لاحد ، فماذا نصنع لو فاجانا ؟!..

ـ ...

ـ هل تراه يتركنا لو قلنا له اننا في الطريق الى سيدنا ؟.

ـ ...

ـ مالك ساكت ؟ هل تخاف ان يباغتنا الغادر الليلة ؟.. اظن انه لن يلقانا .. فها نحن قد اقتربنا من المقابر ولم تنشق الظلمة عن احد ..

فجأة ، شد القصير رفيقه من ذراعه وهو يقول :

ـ انتظر .. ارى شبحا هناك .. هل تلمح انت شيئا ؟..

توقف الطويل ولم ينبس بكلمة . أشار القصير بيده الى الامام وهو يقول :

ـ هناك .. على الطريق امام المقابر ...

حملق الطويل في الظلام ثم قال:

ـ لا ارى شيئا ..

ـ غير معقول .. ثمة شبح يتحرك على الطريق امام المقابر .. ايكون هو الغادر ؟..

علق الطويل قائلا :

ـ لعله المارد الذي كانت تحكي جداتنا عنه ..

ـ اوقت مزاح هذا ؟.. هل يصدقنا لو قلنا له اننا نقصد سيدنا؟

ـ من تعني ؟..

ـ الغادر ...

ـ وماذا لو كان المارد ؟..

قال القصير بنرفزة :

ـ اي مارد ؟.. حتما هو الغادر .. اتركني احادثه ولا تخف ... ايها .. بماذا اناديه ؟ فلأبجله ... ايها السيد .. نحن الاثنان نقصد سيدنا ، فلم نلقه منذ امد بعيد ، وحق علينا ان نجيئه كل حين لنستلهمه ونسترضيه .. وها نحن في الطريق اليه .. فاسمح لنا بالمرور .

لم يأته رد من الجانب الاخر فاستطرد :

ـ لا اسمعك تنطق بشيء ايها السيد .. فماذا تعني بسكوتك ؟

تحول الى رفيقه لما لم يتردد في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفضاء غير صدى صوته :

ـ انت .. مالك صامت انت الاخر .. اتجه اليه وقل شيئا كي يتزحزح عن طريقنا ..

بقي رفيقه صامتا فصرخ بحنق :

ـ لماذا لا تنطق ..؟ هل خرست؟ اوه .. يا لك من غبي .. فلأتكلم انا .. ايها السيد .. لقد مشينا طويلا واوشكت الرحلة على النهاية ، وان كنت ترى ان سيدنا في غير حاجة الينا .. فنحن في شوق اليه .. وانها لفرصة نادرة ان نثوب الى انفسنا ونجد فسحة من وقت للقائه .. فدعنا نمر .. ولن نمكث عنده طويلا .. ما قولك في ذلك .؟ اظنك لا تمانع ؟..

سكت برهة واسترسل بخفوت :

ـ اف له .. ماذا يقصد بجموده هذا ..؟

عاد يرفع صوته :

ـ ايها السيد .. الست تصدقنا .. نحن لا نفرر بك ولا نبغي خداعك .. اقسم لك اننا ما عزمنا على شيء غير لقاء سيدنا .. اغتنمنا فرصة الاجازة ومجيئنا الى قريتنا الصغيرة .. انت تعرفها .. تلك القرية الراقدة في اول الطريق .. وقلنا نأتيه قبل ان نعود الى البعد ويستغرقنا نسيانه من جديد ..

تفجر سخطه فدمدم :

ـ اللعنة عليه .. لا يريد الكلام .

ثم توجه الى رفيقه قائلا بهدوء :

ـ لماذا لا تريد ان تسترحمه معي ؟؟.. الا يحزنك ان نرجع خائبين ؟... تكلم بربك فقد يستجيب لرجائنا معا .. هيا انطق.

قال الطويل بتلعثم :

ـ ايها .. الـ .. السيد ..

قال القصير مشجعا :

ـ هذا حسن .. اكمل ..

زعق الطويل بغضب :

ـ ماذا تريدني ان اقول ..؟ ثم انني لا ارى احدا ..

ـ اتخرف .. انه ماثل هناك فكيف لا تراه ؟؟.. امعن النظر صوبه ولسوف تتحقق من وجوده .

ـ قلت لك لا ارى احدا قط ..

عقب القصير :

ـ بل قل من خوفك غشى بصرك ولم تعد تبصر حولك من الرعب .. لا فائدة منك .. سأتم المحاولة معه وحدي ..

ثم انطلق صوته يجلجل في الفضاء المظلم :

ـ ايها السيد .. ثمة فكرة .. ماذا لو تركت اولنا يمر وحده .. ثم الثاني .. فلربما تكون تخشى لقاءنا مجتمعين .. اظن ان هذا يجعلك اكثر اطمئنانا ، لكن بربك لا تغدر بنا .. فلا بد ان نتم رحلتنا والا ما جدوى سيرنا الطويل .. على فكرة .. امثالك ممن يعيشون في عزلة وصمت يحنون احيانا الى لقاء الاخرين للتحدث اليهم او سماعهم ، فان كنت تريد مكوثنا ازاءك فترة من الزمان فلا ضير عندنا .. نحن نرحب بذلك بعض الوقت .. ها ها .. ها ها .. لا تؤاخذني ايها السيد .. ان ما تذكرته اللحظة وان كان يثير الغرابة الا انه يبعث ايضا على الضحك .. نعم .. نعم .. فمنذ قليل كنا نتحدث عن معادلة عنت لنا فجأة .. وهي الان اكثر انطباقا على موقفنا هذا .. قلت لصاحبي .. ظلام + مجهول = خوف + ثرثرة ... وها هو الظلام يفرقنا .. وهذا انت تكاد تكون مجهولا .. اما نحن فنمثل طرف المعادلة الاخر .. صاحبي يمثل الخوف .. نعم .. انه يرتعد خوفا .. وانا امثل الثرثرة كما ترى .. امر مضحك للغاية .. لكأنني كنت اتوقع ذلك واحسب حسابه .. معذرة .. فنحن كما اتفقنا نثرثر معا لفترة قصيرة .. لعلنا نطرد الوحشة من حولك ... ونزداد اقترابا منك .. والان فلتدعنا نمر ، وكما اشرت عليك .. فلنمر فرادى.

وتوجه الى رفيقه وقال :

ـ هيا انت .. هيا لا تخف ... امش في صمت ولا تنظر اليه وانت تمر به حتى لا يرتاب فيك .. هيا اسرع ..

ما كاد رفيقه يحتجب عنه حتى هتف :

ـ يا الهي .. لقد توارى عن عيني .. هل اختطفه الغادر ؟..

وبصوت مرتفع استمر يقول :

ـ ايها السيد ، اين صاحبي ..؟ لقد وافقت على مرورنا فرادى .. فلم اختفى ؟.. انها خديعة منكرة ، ماذا تريد ان تفعل به ..؟ ان كانت نيتك أن تختطفه لتدفنه تحت الشجرة القائمة عندك مثلما فعلت بالاخرين .. فسحقا لك ولها ... .. قل ما جدوى هذا الصنيع ؟ هل فيه انماء للشجرة ..؟ وهبه كذلك؟ فما شأنك انت ؟ هل انت حارسها؟ وهبل مهمتك ان تغذيها بأجساد ضحاياك ..؟ وماذا يعود عليك ..؟ انت غادر .. وعملك هذا ايا كان مبرره .. قبيح ومنفر .. هل تسمع ؟.. انت غادر .. وعملك قبيح ومنفر !

ترامى اليه من وراء الظلام الممتد امامه على طول الطريق .. صوت ضحك ففمغم مستغربا :

ـ يا الهي .. ما هذا الذي اسمعه ؟.. اني اسمع ضحكا ... فمن الذي يضحك هناك ؟.

اعقب الضحك صوت يناديه فجعل يقول :

ـ وهذا صوت يناديني ... انه شبيه بصوت صاحبي .. طبعا ليس صوته .. فصوت من .؟ لماذا لا اسأله ...؟ من ينادي ؟

جاءه صوت رفيقه :

ـ انا ، تعال اسرع ، لا احد هنا.

قال غير مصدق :

ـ ماذا ؟.. لا .. لا .. انت تكذب .. بل لست انت .. لقد

الصمت والعالم الذي اريد

●

الصمت من حولي بأعـ ـماقي عنيف الوقع .. كاسر
والدرب ممتد .. بعيـ ـد مقفر الجنبات عاثر
والافق غشاه الضبا ب فعطلت عنه المحاجر
لا طيف يؤنس وحشة لا وهم يومض في السرائر
لا ظل راع لا .. ولا رؤيا تضيء سبيل عابر
فمتى سينحسر الظلا م وتدرك النور البصائر

★ ★ ★

يا عالما خلف المدى يهفو اليه كل سائر
تشتاقه منا النفو س شذاه يعبق في الضمائر
الحق فيه مشرع يقضي لديه كل قادر
والخير قد سار الرحا ب مرفرفا عبر المشاعر
وجماله ـ ابدا ـ رؤى يسعى بها شيطان شاعر

★ ★ ★

الصمت من حولي بأعـ ـماقي عنيف الوقع .. كاسر
والدرب منفلت الخطى عار كأفواه المقابر

دمشق — سلافة العامري

اختطفك الغادر وواراك تحت الشجرة ..
ارتفع صوت رفيقه :
ـ ها ها .. ها ها اي غادر ؟..
والله لا احد هنا مطلقا .. كان وهما ما رايت ..
ـ كان وهما ما رايت ..؟ وما قلت ؟.. كل ما قلت ..؟
وشرع يمشي بخطى متثاقلة وهو يتمتم شاردا :
ـ اذن هو خوف وثرثرة .. اوه .. سحقا للظلام والمجهول ...
وما لبث ان غاب في الظلام .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل



عبير قلب

ديوان شعر ـ روحية القليني ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

في تاريخ الشعر المصري الحديث معالم محددة ، هي بمثابة مصابيح تنير الطريق امام الباحث في هذا التاريخ كي يتم مسيرته .

وتبدأ هذه المعالم ـ في القاهرة ـ بالسيدة « عائشة التيمورية » حيث خرجت في اواخر القرن الماضي من قوقعة الحريم لتنشر شعرها على الناس ، فكان لها فضل المبادرة ، ولكن هذا الذي نشرته لم يكن غير « حلية طراز » (١) أعان على تنفيذها ، ما لأسرتها الجليلة من مكانة اجتماعية وثقافية ملحوظة .

كانت القلة من هذا الديوان شعرا منمنما يبدو فيه الجهد واضحا وراء تنسيق ألفاظه ، وكانت الكثرة فيه مواضيع انشائية منظومة ، ولا تكاد تعثر ـ في الديوان كله ـ على روح « عائشة التيمورية » الا في نفثتها الحارة بحق التي رثت بها فقيدتها « توحيدة » ولعل ذلك راجع الى نبع الامومة الدافق بالحزن ، ومع ذلك فالقصيدة لم ترتفع عن مستوى مثيلاتها من البكائيات المصرية المنظومة بالعامية الا بالقدر الذي تتيحه الفصحى كوعاء تعبيري أكثر حساسية وشمولا .

ثم كانت المرحلة « الثانية » وتمثلها السيدة « ملك حفني ناصف » التي حاولت أن تؤدي رسالتها كشاعرة يمكن ان تمثل جنسها في معركة تحرير المرأة ، تلك التي حمل لواءها « قاسم امين » الا ان زواجها من احد زعماء القبائل البدوية في مصر (٢) وخضوعها لتقاليد أسرته الكريمة جعلها تقتصر على المشاركة النثرية في بعض المشكلات النسائية بنشر مقالاتها ، موقعة باسم مستعار هو « باحثة البادية » هذا الى جانب ان الموت كان اسرع اليها من عودتها الى المجال الادبي لو انها رغبت فيه .

تأتي بعد ذلك المرحلة « الثالثة » ، وهي مرحلة الشواعر المصريات المتأثرات باتجاهات مجلة « ابولو » وهي مرحلة تسيطر عليها الافكار الرومانسية وتتميز بحسن اختيار موسيقى الكلمة ومن ابرزهن في هذه الفترة الشاعرة « جميلة العلايلي » وقد تأثرت السيدة « جميلة » بالدكتور « احمد زكي ابو شادي » صاحب المجلة فكانت صدى أنثويا لافكاره ، وظلت كذلك طيلة الفترة التي عاشتها مجلة « ابولو » ثم انصرفت بعد اعوام قليلة من توقف هذه المجلة الى نظم أشعار تتسم باتجاهها الديني نشرت معظمها بمجلتها « الاهداف » ..

واخيرا كانت الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من تغيير في تقييم المفاهيم الاجتماعية كنتيجة لتغلب بعض المذاهب الاقتصادية ثم ما فرضه التقدم الحضاري من توسع اعلامي والتقاء لثقافات عديدة وافتتاح آفاق جديدة من الدراسات النفسية ، هذا بالاضافة الى التأثر بالقلق النفسي الذي شاع في الغرب كنتيجة لمورثات حربين ضاريتين كل ذلك ألجأ الشعراء الى اتباع طرائق اخرى في التعبير الشعري ، رأوا انها اكثر موائمة لهذا التغيير .

وكان ان انطلقت شاعراتنا الى هذه المجالات الحديثة ، واذا منهن من ألقت بما تحمل من تقاليد موروثة في منطلق العاصفة وخرجت بشعرها الذي يكشف خفايا أنوثتها بحيث تنغرس في وجدان الناس بغير الاستئذان الذي عرفته المرأة الشرقية .

وكان منهن كذلك من تمسكت بالتقاليد الى الحد الذي لا يقيد الشاعرية ولا يجرح مدى المفهوم الشرقي لحياد الانثى وطبيعتها ، وذلك هو الفريق الثاني وفي مقدمته الشاعرة «روحية القليني » التي نحن بصدد شعرها في ديوانها الاخير « عبير قلب » والذي نقدمه في هذه العجالة .

ان شخصية « روحية القليني » واضحة لا تعرف التعقيد ، وكذلك شعرها فهو كصاحبته لا غموض فيه ولا التواء ، ولا يجهدك في أن تبحث له عن مدرسة من مدارس الشعر الحديث لترده اليها ، ذلك لانه ينتمي الى « المدرسة الام » الى الشعر في جوهره العام باعتباره وسيلةفنية تتحدث في صدق عن الاحساس بما يؤثر فيالنفس وتستعين على ابراز هذا الاثر بما تحمله الكلمات من شحنات عاطفية وموسيقية وتاريخية واجتماعية الى غير ذلك من مقومات فنية اخرى .

واذا كان غيرها من الشواعر قد انجرف مع تيار الشعر ذي التفعيلة الواحدة او الذي يقوم على عدة تفعيلات متغايرة وفي مقدمتهن الشاعرة « ملك عبد العزيز » فان البناء الشعري عند «روحية القليني » محافظ على العمود الشعري والقافية العتيدة ولكن القافية عندها طيعة لا تحس فيها « نبو الوتر » كما يقولون ..

والمعالم الرئيسية في شعر « روحية » واضحة كذلك ، ولعل المعلم الاول منها هو هذا الايمان العميق بالقيم الروحية .

وكما كان شعر « أبي العتاهية » في الزهد بمثابة رد فعل للحياة المسرفة التي كانت تعيشها بغداد في أيامه ، فان شعر « روحية » الذي يتميز بشيوع الايمان فيه ، يمكن اعتباره رد فعل للحياة الفكرية القلقة التي تجتاح الشرق في هذه الايام ، واذا كان كل فعل له رد فعل يساويه فان كمية الايمان الموجودة في شعر « روحية » تعادل كمية القلق الروحي الموجودة في اشعار مثيلاتها من شواعر الجمهورية العربية المتحدة .

وهذا الديوان الاخير « عبير قلب » يضم بين دفتيه ، فوق الذي يضمه من شعر عاطفي ثماني قصائد دينية عامرة الابيات ..

وقد يكون مرد هذا الاتجاه عندها انها نشأت نشأة دينية في اسرة محافظة كان احد افرادها الاوائل شيخا للازهر الشريف ، وفي شعرها ما يشير الى قيامها بالفروض الدينية من مثل قولها :

اصحو مع الطير في فجري مصلية وان غفوت فذكر الواحد الصمد

وقولها ايضا :

ولكم اصلي علني بتقربي يا رب بالصلوات قد تنجيني

وانك لتشعر بالقلق الروحي السائد في مجتمعها من هذه الاجابة الشعرية التي تدل بدايتها على الحيرة التي تواجهها وهي تجابه هذه الموجة فتقول :

---

(١) ذلك هو اسم ديوان الشاعرة عائشة التيمورية والاشارة غير المقصودة هنا هو ان شعرها كان نوعا من الحلى . (٢) تزوجت السيدة ملك ناصف من السيد عبد الستار الباسل أحد زعماء القبائل العربية بالفيوم . (٣) اخرجت المؤسسة المصرية للتأليف مجموعة أعمالها في كتاب واحد ضمن سلسلة تراثنا .

يا ليت شعري ما أقول اذا سئلت عن الاله
أأقول جل عن السؤال عن الحديث عن الرواه
أأقول أعبده بايماني ولا أدعو سواه
وأحبه فيما ترى عيني وفيما لا تراه ..
في دمعة طي الجفون وبسمة فوق الشفاه
في الافق ممتدا على المجهول لا ادري مداه
ان قال كن أو لا تكن خضع الوجود لما يراه
أنا ان سئلت عن الاله أقول سبحان الاله

انها في هذه القصيدة تعلن تسليمها المطلق للمنطق الايماني الذي يملك عليها كل تفكيرها .

وربما كان ايمانها هذا هو مصدر كبريائها الذي يكون الاساس الثاني من الاسس التي قام عليها شعرها ، وهو كبرياء تلمسه ولا أقول تلمحه في كل قصائد هذه المجموعة ، كما تلمسه في مجموعتيها السابقتين « همسة الروح » و « انغام حالمة » ، كبرياء لم تخل منه قصائدها العاطفية ، استمع اليها وهي تقول :

كبريائي يحول دون سؤالي أوثر الصمت حين ابدو امامه
في حنايا الجفون أخفي دموعي حين القاه عزة وكرامه
رغم حبي ورغم لوعة قلبي يملك القلب في اللقاء زمامه
ويدور الحديث في كل فن غير سر الفؤاد أخفي ضرامه
ولنفسي أسر همسة قلبي وبقلبي الابي أخفي غرامه
وابتسامي له على الرغم مني رغم أني أعيش في دوامه

من هنا كان حبها صامتا لا يعلن عن هوية الحبيب ولا يرسم له صورة نعرفه بها ..

وأروع ما في الحب صمت محير وجفن جفاه النوم من طول لوعة
وآهة قلب كلما لاح الفه تحيرت الالفاظ من حر حرقتي
ومعنى يضم الكون حبا ولهفة تترجمه العينان من غير كلمة

واذ تقول :

أنا لا أبوح ونبض قلبي كبرياء واختيال
سألوذ بالصمت العميق فلا جواب ولا سؤال

وفي مثل قولها :

خبروه انني غبت على رغم حنيني
أمرت عزة نفسي وتحدتني ظنوني
حدثوه عن بعادي فهو لا يدرك سره
عزة الفنان لا ترضى هوان الحب مره

وكذلك حين تقول :

هي الكبرياء سرت في عروقي تعذبني وتطيل التحدي
ترنح قلبي في موجتين أأبدي أنا الوجد ام انت تبدي ؟

وقصة الحب التي نطالعها في هذا الديوان ، قصة عجيبة حقا ، فان وراء هذا الكبرياء تلمح شاعرة عاشقة فعلا ، ولكنها تتصرف في تسام دقيق ، و « روحية » في هذه القصائد تأخذ خاماتها من واقع الحياة التي تدور حولها ومن هنا بدت هذه القصائد في صورتها الطبيعية التي لا تكلف فيها على الاطلاق ، وأي تكلف هذا الذي يمكن ان يكون في هذه الابيات :

اذا نطقت ساعتي أربعة أطير الى هاتفي مسرعة
أدير على لهفات الفؤاد دوائر ستا ، له طيعه
وأصمت والقلب ينبض وجدا أطيل السكوت لكي أسمعه

ولقد يخفف علينا من مهمة توضيح الدوافع العاطفية التي وراء هذه الاشعار ان نستمع الى هذه الابيات التي شاءت الشاعرة ان تختتم بها ديوانها الرشيق « عبير قلب » ذلك حيث تقول :

فماذا لو انك كنت البداية وكنت أنا من هواك النهاية
وتسمع قصة قلبي المعنى فتفهم سر الهوى في حكاية
فؤادي وقلبك اسطورة أحبا ولكنما دون غاية

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩ Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل ان اختتم هذه الكلمة الموجزة ، احب ان اشير الى شعر الوجدان الجماهيري في الديوان فان الشاعرة « روحية القليني » تضرب على أحفل اوتار هذا الشعر بمعاني التضحية والفداء والشعور بالتبعات الجسام الملقاة على كواهل ابناء هذا الجيل ، وان لها في هذا الديوان من القصائد القومية الرائعة باقة نضرة حسبها ان رشحتها لدى اعلى المستويات الادبية في مصر فاختارتها لتمثيل بلادها في كل المهرجانات الشعرية التي اقيمت في أي ربع من ربوع الوطن العربي وكانت فيها جميعا قبلة انظار الجميع ..

الاسكندرية **عبد العليم القباني**

●

رماد الليل

مجموعة قصص ـ تأليف عامر رشيد السامرائي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ببغداد

يتطلع القارىء العربي الى العراق الشقيق ويرسم على ملامحه الثقافية اشارة تعجب واستفهام . فلا يكاد القارىء يعثر على كتاب الا بجهد من هناك ، وان عثر ، فيكون ذلك دون رصد او ترقب . حتى غدت الملامح الثقافية للادب العراقي الحديث محلية جدا .. وكان انتاج العراق من الكتب مما يستهلك في الداخل وليس للنشر خارج العراق . والمعروف ان ما يوزع من الكتب العربية في هذا القطر يعادل الى حد كبير جدا ما يوزع في اكثر الاقطار الاخرى .. وكأنما حرم على العراق ان ينفتح باب النشر والتوزيع امام كتابه وادبائه في كافة الاقطار العربية الاخرى.

من منطلق هذا السؤال ، عاش الادب العربي الحديث في العراق ، وعاشت معه تطوراته الثقافية ، في معزل تام عن القراء العرب . وان كانت الايام قد اسعدتني بوجود بعض الاصدقاء من الكتاب يبعثون الي بغالبية ما يصدر لهم من مؤلفات ، فما أظن غيري قد قاسمني هذه الغبطة والسعادة .

اما القصة . والقصة القصيرة بشكل خاص ، فقد فرضت عليها العزلة الثقافية لان تتخذ طابعا محليا صرفا ، دون ان تتشابك وتتصارع مع مفاهيم القصة الجديدة المتطورة في الوطن العربي او العالم الغربي من جهة اخرى . وخلال فترة طويلة من الزمن لم نشهد المطابع في العراق تهتم الاهتمام اللائق بمكانة القصة .. وان كانت قد اعطت بين فترة واخرى بعض المجموعات القصصية التي لا يمكن للناقد ان يعتبرها فتحا جديدا في عالم القصة ، انما ذلك هو الامتداد الطويل للمفهوم القصصي الكلاسيكي القديم .

ولقد اعتبرت يوما من الايام مجموعة قصص « دمى واطفال » للكاتبة « سافرة جميل الحافظ » فتحا جديدا في تطوير القصة العراقية الجديدة ، لكن هذا الفتح الجديد لم يلبث ان انطفأ بظهور مجموعات قصصية اخرى اعادت القصة العراقية الى ثوبها القديم وكأنها لا تريد الخلاص منه .

ولا يعني هذا ان القصة العراقية قصرت في تناول موضوعات شتى في مختلف الانطلاقات الانسانية ، لكن المقصود فيما ذكرت هو السؤال التالي : هل هناك تطور فني في مفهوم القصة العراقية .. ام ان المفهوم القديم ما يزال سائدا حتى اليوم ؟ ..

في اغلب ما قرأت من قصص لكتاب عراقيين محترمين ، لم الح البوادر الجديدة الا في هذه المجموعة المسماة « رماد الليل » لمؤلفها « عامر رشيد السامرائي » . وعلى الرغم من انه لم يتفق لي ان قرأت قصة له من قبل ، لكنني عندما تناولت مجموعته هذه انفتحت أمام عيني كوى جديدة ، هي لوحدها الطريق الجديدة ، لانطلاقة المؤلف نحو العالم الواسع الكبير .

ورغم ان قصصه لا تتجانس فيما بينها ، لا يمكننا ان نعيب عليها عدم التجانس او التصنيف . وبالنسبة للمفهوم القصصي عند الكاتب فقد تجمعت لدي عدة ملاحظات هي ـ ولعل ابرزها ان اسلوبا ما او طريقة معينة لم تتبلور بعد لديه ـ فهو قد تأرجح بين طرق ثلاث :

أ ـ الكلاسيكية المفرطة ، كما في قصة « الغرفة » و « مشكلتان » « والغش » .

ب ـ انتقالية بين مفهوم القصة القديمة ومفهومها الحديث ، كما في اغلب قصص المجموعة .

ج ـ حديثة او ـ جديدة ـ ، كما في قصة « كلمات لن تموت » .

وازاء التجارب المختلفة التي خاضها المؤلف في قصصه هذه ، ندرك تمام الادراك ان لديه طاقات هائلة من التكيف و « التكنيك » . واحسب ان المؤلف لم يحاول ان يجدد في معالجة قصصه التجديد الكامل ، اذ ليست لديه بعد ، القدرة الكافية على ذلك ، فاضطر لان يعود ـ في اغلب القصص ـ الى المفهوم الكلاسيكي البسيط ، هربا من الانزلاق والسير في طريق جديدة ، لكنه لم يدرك كم اصاب من النجاح في قصة « كلمات لن تموت » رغم انه يسير في طريق جديدة لاول مرة. واغلب الظن انه لو حاول مرة بعد مرة ، ومن جديد .. فسيكون نجاحه في القصة الجديدة ابعد شوطا واكثر انسجاما مع اسلوبه الرائع الرشيق .

والذي نراه في القصص ان الحدث الفعلي مفقود تماما ، مما يضطرنا الى القول بان المعالجة ذاتها تفقد ـ تحت تأثير انعدام الحدث ـ التسلسل الكامل لجو القصة العام . والقصة تذهب من تلقاء نفسها في تصرفات مفروضة ، وبالتالي من قبل هذا الجو نفسه . وقد حاولت ان اجد في اغلب القصص حادثة معينة استنفدت من الكاتب طاقته في معالجتها ـ باي شكل ـ فلم اعثر عليها .. وان وجدت ـ الحادثة ـ في بعض القصص ، فقد بحثت دون ارهاق او اصرار او عنت ، حتى جاءت سلبية تسير على وتيرة واحدة تخلو من دقة التصرف ومن سوئه احيانًا .. كما في قصص (الدمع والمطر ـ الغش ـ رماد الليل ـ مشكلتان ـ الغرفة) .

يستثنى من ذلك القصص الوطنية الاربع (الشارع الخلفي ـ كلمات لن تموت ـ القطار ـ القاعة رقم ١٢) . على الرغم من ان في قصة « القطار » تكامل فني لم يبلغه الكاتب في قصة اخرى . وفي « كلمات لن تموت » شطحة فنية رائعة طرق فيها المؤلف باب القصة الجديدة بثقة وغنى رائع .

ولقد طرحت القصص التي امامنا عدة مشكلات ، لعل اهمها مشكلة ، السلبية والهروب . فقد لاحظنا ان اغلب ابطال القصص سلبيون ، هروبيون ، اتكاليون ، فبطل قصة « اليوم خمر وغدا » اثقلته الحياة بأعبائها ، أستدان من كل الناس لكي يوفر لامه المريضة ثمن الدواء .. ثم تأخر ليلة عن الجلوس امام امه ، وفضل الحانة وتعاطي الخمر .. وعندما عاد الى المنزل وجد امه قد ماتت .

وقد مات بشكل ـ فعلي او مجازي ـ مجموعة اخرى من ابطال القصص ، اما الانسان المتمرد الوحيد الذي قابلناه ، في القصص ، هو بطل قصة « لكي يفر الصمت » الذي قتل زوجته الخائنة عندما عرف بأمر خيانتها .

وصاحب الدار في قصة « الغرفة » فقد اقلع عن هدم الدار العتيقة بعد ان عرف ان الارواح تسكنها .. كذلك بقي بطل قصة « مشكلتان » حزينا كئيبا لان رئيسه في العمل يرى مساوئه ولا يرى حسناته .

وكذلك يتآمر الطالب التعيس في قصة « الغش » على نفسه في قاعة الامتحان ، بينما يتأكد من عين المراقب اليقظة ، ضاربا باحلام امه وابيه في زوايا افكاره الخالية .

وقد اضطر اغلب ابطال القصص لان يكشفوا عما في انفسهم من خبايا وزوايا معتمة لم تولد لديهم سوى طاقات هائلة من اليأس والضجر .

لكن المؤلف ـ وهذا تقصير يسأل عنه ـ لم يلتفت الالتفات الكلي لمشاكل ابطاله ويعالجها من الداخل .. بل اكتفى بأن ورطهم في عادات الخمر والدخان ، فما ان يشعر احد هؤلاء الابطال بالسأم حتى يهرع الى الحانة .. او ينفث الدخان ويضيع وهما بين موجات الدخان الازرق الكثيف .

وقد بحثت ـ دون جدوى ـ في اكثر القصص عن حل جذري لتخاذل الانسان وهبوط همته وانعدام مشاعره واحساساته بالانطلاق والتمرد وفك القيود الراسية .. فلم اعثر على شيء من كل هذا .

واستعمل المؤلف (الرمز) وهو اداة فعالة رائعة في مفهوم القصة الجديدة ـ مرة واحدة فقط ، ولكن بسهولة ولين ، وبشكل يكاد يكون عابرا في قصة « الليل والضجر » .. فحينما كان البطل اليائس عائدا الى منزله ، التقى بيائس آخر في الطريق .. فذكره بنفسه ، واخذه الى بيته معه .. وحين سألته امه وهي تفتح له الباب :

ـ من هذا الذي معك ؟ .

اجاب :

ـ انه يائس يا اماه ..

فقد رمز البطل هنا الى نفسه ، وجسد مأساته في هذا الانسان الذي لا يعرفه .. سوى انه يائس .

وتبقى في القصص عدة مواضيع ، منها موضوع عملاق بحثه المؤلف بسطور قليلة في قصة « الليل الابيض » ، قصة الصراع العنصري في امريكا ، وهو الموضوع الذي ظننت ان المؤلف سيسهب فيه اسهابا بالغا .. لكنه اختصر لنا لمحة عن حياة زنجي اسود يبحث عن عمل في مدينة الحرية .. واخيرا لا يجد هذا العمل .

وهناك لمحات الحب العابرة في القصص ، لم يتعرض لها المؤلف .. ولم يلج ذلك العالم الرحب ، بل صور لنا هذه العلاقات بشكل ميسر ومبسط .. ولم يخل ذلك من شحنات جنسية صارخة ، لكنها ايضا ذات جذور سطحية غير عميقة .

ونقف ازاء القصص الوطنية من هذه المجموعة موقف اعجاب تام .. ونلاحظ من خلال دراسة هذه القصص ، الخط الواضح الذي التزمه المؤلف تجاه قضية الانسان العربي المؤمن بعروبته اولا وقبل كل شيء .. ولعلها تجارب حسية عاشها المؤلف عيشا حقيقيا ، فكانت هذه القصص قمة المجموعة .

ومن هنا يبين لنا امر (الالتزام) .. هذا الالتزام المباشر تجاه الكفاح المستمر والمميت ضد طاغية العراق قاسم .. الذي احال جيلا من الشباب الى مناضلين شرفاء ، لم يستطيعوا ان ينسلخوا عن واقعهم المر ابان حكم هذا الطاغية . ولعلي اتذكر هنا كلمة قالها شيخ النقاد المرحوم الدكتور (محمد مندور) في موضوع الالتزام : (عندما يكون الكاتب انسانا ، فهو ملتزم بشكل غير مباشر) . ويمكنني ان اضيف : ان « عامر رشيد السامرائي » انسان بكل جلال الانسانية ، ولذا كان الالتزام عنده جزء لا ينفصل عن انسانيته .

ولقد تمنيت لو ان المؤلف كتب في المجال الوطني اكثر .. لان تلك المشاعر الصادقة ، تعكس عنده وفي أعماقه رهافة وسلامة القضية الوطنية .. فهو في هذه القصص لا يقبل الحل المؤقت او منتصف الحل .. اذ ليس في الوطنية انصاف حلول .

والاقدام المستميت الذي اندفع اليه « نزار » في قصة «القطار» .. مثل حي للبطولات الوطنية ، فلم ينس « نزار » وهو يئن تحت ضربات زبانية قاسم ان يردد هتافات القومية العربية بانفاس تكاد تحتضر .

كذلك تفعل الافكار الحرة فعلها في تنمية شخصية « عدنان » الوطنية بطل قصة « القاعة رقم ١٢ » ، ويجسد هذه الافكار السامية الى افعال ثم الى اندفاع في سبيل الحق العربي والانسان العربي الجديد .. فقد كان يردد ـ عندما كان يلفظ انفاسه الاخيرة : روحي فداء للعروبة التي سوف تحيا بضحايا امثالي .

وسط هذه العاصفة من الافكار والمواضيع التي بحثتها القصص ، نلتفت الى امر اخر وهو الاسلوب . فلعامر رشيد السامرائي اسلوب فريد ورشيق في آن واحد .. وقد استطاع ان يحمل افكاره للكلمات .. فكانت كلماته تنبض بالحركة والحس المتوثب الدائب ، فتلك الجمل القصيرة المتوترة استطاع المؤلف بفضلها ان يصور لنا مئات المشاعر ، حتى ان الكلمات ذاتها في سياق معين كانت ذات مدلول اكبر من المعنى الذي تحمله . وهذا الاسلوب اكثر ما تمتاز به القصة الجديدة التي تعتمد على الجو اكثر من الاعتماد على الحادثة .

اما اجواء القصص فملونة .. رغم ان اغلب الصور قاتمة معتمة .. اذ اننا لم نلمح ذلك الاشراق المبهج يلون القصص بالوان مفرحة جذلى .. لكن التشاؤم باصبغة كثيفة كان يحدد الاطار العام للون القصة : فالضباب ، والمطر ، والدخان الازرق ، والوحل الكثيف ، كلها صور ذات اصل كئيب في الاعماق .

ان « عامر رشيد السامرائي » كاتب قصة جيد ، واني حين ساقرأ له مجموعته المقبلة ساكون متاكدا من بلوغه منزلة سامية بين كتاب القصة القصيرة الجيدين .. ولكن بعد ان يكون قد عبد الطريق . وبامانة وصدق اقول ان المستقبل سيكون له .. لانه بالفعل استطاع في هذه المجموعة ـ على الرغم من وجود بعض الثغرات ـ ان يبرهن على انه يملك الاصالة الى جانب الفن .. ومتى اجتمعت الاصالة بالفن غدا من السهل الوصول الى ابعد طريق .

حمص — عدنان الداعوق

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من الكتب السياسية والاقتصادية والعقائدية

وكمية ضخمة من القصص والكتب على

جميع انواعها

أعلام واصحاب أقلام

تاليف انور الجندي ـ ٤٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

صدر مؤخرا كتاب « اعلام واصحاب اقلام » للكاتب العربي الموسوعي الاستاذ انور الجندي والكتاب يعطينا صورة قوية وصادقة لروح عصرنا في شرقنا العربي في فجر يقظته ممثلة في اعلام الادب والعلم والتاريخ والفن والطب واللغة والصحافة .

والمؤلف يعطينا صورة شاملة، متكاملة لهذا العصر (١٧٥٤ ـ ١٩٥٠) ويبين لنا في صورة موضوعية ومنهج سليم نضال هؤلاء الاعلام الذين حملوا لواء القلم وجاهدوا في ميادين الفكر والثقافة والصحافة في ايمان صادق متين بتراثهم وامتهم .

ولكن ماذا يعطينا هذا الكتاب ؟ ..

ان كتاب اعلام واصحاب اقلام يقدم لنا الوانا متباينة من الجوانب السياسية والفكرية والاجتماعية في شرقنا العربي منذ فجر اليقظة حتى انطلاقته من خلال اثار اعلام مناضلين شرفاء خدموا وطنهم أعظم المجالات واجلها في شتى الميادين .

وقد ابرز الاستاذ انور الجندي جوانب مجهولة في حياة الكثير من الاعلام الذين تناول سيرتهم واثارهم وآراءهم ومن ذلك ابرازه جانب مجهول من حياة الوطني الكبير محمد فريد فقدمه لنا كمؤرخ وهذا الجانب كان مجهولا لنا وتناول المؤلف بنظرة موضوعية وافق رحب اثار شخصيات مناضلة على الصعيد العربي والاسلامي فتحدث مثلا عن البشير الابراهيمي الكاتب الجزائري وجمال الافغاني والشاعر العراقي محمد رضا الشبيبي ومحمد عياد طنطاوي وشبلي شميل والدكتور منصور فهمي وحفني ناصف والجبرتي وغيرهم .

تحدث هذا الكتاب عن الصراع بين الجانب المعتدل الذي يمثله معظم اعلام هذا المؤلف والجانب المتحرر مثل شبلي شميل والمعارك والمساجلات التي دارت بينهما كما ابرز المؤلف اهم الاتجاهات الاجتماعية والعقلية والفكرية في الحياة المصرية والحياة العربية في فجر اليقظة .

كما انه تناول الدعوات الجديدة التي كانت فتحا مجيدا في عالم الفكر والاجتماع ممثلة في محمد عبده وقاسم امين وغيرهما من الاعلام المصلحين .

لقد اتبع الاستاذ انور منهجا موفقا في هذا الكتاب النفيس فهو على دراية واسعة بتيارات الفكر في تلك الحقبة الطويلة ، وهو مستوعب تمام الاستيعاب لاثار هؤلاء الاعلام ، كما انه مستقل الشخصية يبدي آراءه من خلال ما يكتبه عن هؤلاء الرواد بلا تعصب او محاكاة .

وله قدرة واضحة على تمثيل شخصية كل علم وآرائه تمثلا تاما ، واجتهاده في ان يعيش مع كل عام في عصره ومع افكاره ليستجلي عبقرية هذا العلم المفكر .

ثم ماذا ؟ ان انور الجندي ذلك الجندي المجهول الذي يعمل في صمت بعيدا عن الضجيج والاضواء يبدو حريصا دائما على شرف الكلمة واستقلال شخصيته أمين مع نفسه ومع قارئه وأقول صادقا ان الاستاذ انور قد أدى للادب والفكر والتاريخ خدمة جليلة بوضعه هذا المؤلف الشامل القيم الذي يعتبر موسوعة غنية بشتى فروع الفكر والثقافة والذي يرسم صورة مشرقة لاعلام مخلصين اضافوا جديدا لتاريخنا المعاصر في شتى الميادين والمجالات .

وبعد فان كتاب أعلام واصحاب اقلام يعد من أمتع وأوفى وأدق الكتب التي تناولت تاريخ شرقنا العربي في فجر يقظته من خلال أعلامه ورواد فكره وثقافته .

القاهرة **محمد محمود رضوان**



● المثاني الوجودية لرابع العدوي ـ شعر ـ عبد الحكيم مراد ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة البيان ببيروت .

● اللغة في القرآن الكريم : اعراب وبيان ـ الجزء الاول ـ سورة الفاتحة ، سورة البقرة ، سورة آل عمران (الى الآية ٣٠) وضع لجنة من اللغويين باشراف غالب وجبران ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بين القومية العربية والجامعة الاسلامية ـ تاليف عبد الهادي بو طالب ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الكتاب بالدار البيضاء المغرب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● وثائق النكسة تحت اضواء التجربة المرة ـ اعداد دار الكاتب العربي ـ تقديم قدري قلعجي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تخت ـ مجموعة شعرية ـ جوزف نجيم ـ ١٤٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ مطبعة جريدة الجمهورية ببيروت .

● صلوات .. للفجر الطالع ـ شعر ـ خالد المحادين ـ ٨٠ صفحة ـ المطبعة الهاشمية بعمان الاردن .

● جون لوك : دراسة نقدية لفلسفته التجريبية ـ تاليف الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات دار الطلبة العرب ببيروت ـ مطبعة منيت برس ببيروت .

● وليم جيمس : بعض مشكلات الفلسفة ـ ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطلبة العرب ببيروت ـ مطبعة منيت برس ببيروت .

● المنطق ومناهج البحث ـ تاليف الدكتور محمد فتحي الشنيطي ـ ٢٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطلبة العرب ببيروت ـ مطبعة منيت برس ببيروت .

● اصوات في المدينة ـ مجموعة قصص ـ تاليف موسى كريدي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اصول الدين الاسلامي : عرض ودليل وتحقيق ـ تاليف محمد علي ناصر قاضي صيدا الجعفري ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

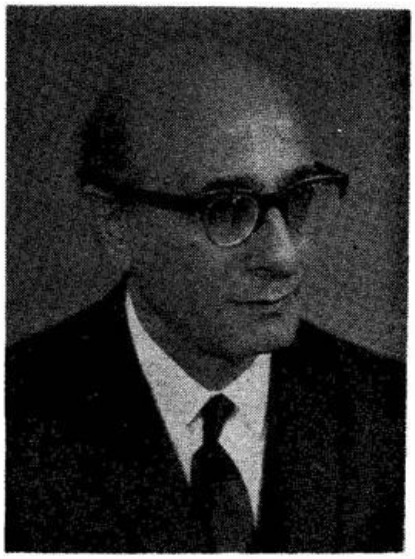
● محمد في مكة ـ تاليف مونتجومري وات ـ ترجمة شعبان بركات ـ ٢٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ المطبعة العصرية بصيدا لبنان .

● الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر : مشكلات الاسرة والتكافل ـ تاليف الدكتور محمد البهي ـ ٤٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مشكلات الشرق الاوسط : الوطن العربي ـ تاليف ابراهيم علوان ـ الجزء الاول ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب ـ تاليف نجدة فتحي صفوة ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد اديب العامري

الذكرى المئوية لمولد المهاتما غاندي

بقلم محمد اديب العامري

* * *

اخذت الهند (*) منذ تشرين الاول الماضي ، تحتفل بذكرى مرور مئة عام على مولد زعيمها الخالد المهاتما غاندي . وستمتد فترة الاحتفال عاما كاملا . ويشارك العالم كله جمهورية الهند العظيمة هذا التكريم ، لزعيم له الفضل الاول في تحرير الهند واستقلالها .

ويشارك الاردن كذلك الهند الصديقة الاحتفال بهذه الذكرى مدة اسبوع كامل . ويشرفني ان افتتح هذا الاسبوع في المملكة الاردنية الهاشمية التي تحمل للهند أعظم آيات التأييد والتقدير .

لقد عرف غاندي في نشأته الاولى بالاحساس المرهف والانفعال العميق لما تقع عليه عينه ، او تسمع به اذنه من احوال مواطنيه . فما كاد يتم دراسة القانون في بريطانيا ويعمل في جنوب افريقيا حتى اعترضته قضية الهنود الذين هضمت حكومة البيض حقوقهم وحرمتهم المساواة في الحقوق لانهم ملونون . وشكا الهنود المضطهدون هناك امرهم ، فوجدوا في غاندي الرجل الذي يستمع الى شكاءتهم ويلبي نداءهم . وشاء القدر ان يهيء السبب الذي يزيد من حماسته للمهمة السامية التي كانت تنتظره . فقد حدث ان دفعه البيض من مكان الدرجة الاولى في قطار كان يستقله ، وان رفض حلاق ابيض ان يقص له شعره . ورأى امثلة كثيرة من هذه في جنوب افريقيا فأرسل كلمة من كلماته الاولى فقال : « لقد عرفت الهند في ديار الغربة » .

وهناك ايضا ، اي في جنوب افريقيا رفع قضية في المحكمة تتعلق بمساواة الملونين بغيرهم ، فكسب القضية وعاد الى الهند ، فوجد البلاد تنتظره متلهفة لتعترف بجميله . ورأى ان الهند ما هي الا اصطلاح جغرافي ليس للشعب الهندي فيها حقوق . وقد رد بدوره سبب هذا الى الاستعمار البريطاني ، فاستهدف مقاومة هذا الاستعمار . وهنا بدأ ينفذ ما دار في ذهنه . فاتخذ لذلك طريقين ــ التقشف واللاعنف . لقد تجرد من زخرف الدنيا ومظاهر الترف ، فتخفف من اللباس ومشى عاري الراس حافي القدمين ، بسيط الطعام والشراب . حليف معزاة كان يصطحبها في غداوته وروحاته . والجديد في الامر ان غاندي لم يفكر في اللجوء الى القوة والعنف ، بل عمد الى اسلوب معلم الهند الاول (بوذا) الذي سبقه بـ ٢٥ قرنا . بدأ غاندي من حيث انتهى بوذا فحارب التقاليد التي فرضت على ٧٥ مليونا من ابنائها المسمين بالمنبوذين العزلة في الحياة ، والشعور بالحقارة والانطواء على المذلة . اطرح غاندي التقاليد التي قالت بنجاسة المنبوذين ، فعاملهم على قدم المساواة وقرب عددا منهم اليه واقنع مريديه بالاقتداء به ، وكثمرة لهذا الجهاد نص دستور الهند سنة ١٩٥٠ على عدم التفريق بين المواطنين ، مهما كانت الاصول والاعراق والطبقات . وعرف غاندي مع هذا كله كيف مزقت الطائفة الدينية الهند فجعلتها امما متعادية ، فنادى باحترام الاديان كلها . وكان من ثمرات هذا المبدأ اسناد رئاسة جمهورية الهند الى الدكتور ذاكر حسين الذي يمثل المسلمين ، وهم في الهند اقلية .

ثم رأى غاندي القاعدة الاقتصادية للاستعمار في الهند ، فأعلن عن برنامج لتشجيع الانتاج الهندي ، والاستغناء عن استيراد المواد من الخارج . بدا بمادة بسيطة وهي « الملح » ، فدعا الهنود الى الامتناع عن شرائه من الشركة البريطانية التي كانت تحتكره . واعتبر المستعمر هذه الدعوة عصيانا ، فسجنه ، فلجأ الى سلاح خاص به . ولكنه ويا للعجب جاء سلاحا بتارا حير الانجليز . فقد اعلن الصوم واستمر فيه حتى اشرف على الموت . فضجت الهند ، على الرغم من عمل الاستعمار في ترويضها اكثر من قرنين . فاضطر الحاكمون الى اطلاق سراحه . وما كاد غاندي يغادر السجن حتى اخذ يعلم اهل الهند انتاج مادة اشد خطرا على الحكم البريطاني من « الملح » ، الا وهي « غزل القطن » . ومن المعلوم ان بريطانيا كانت تحتكر هذه الصناعة فتأخذ خام القطن

(*) الكلمة التي القاها الاستاذ محمد اديب العامري وزير الثقافة والاعلام في قاعة امانة العاصمة عمان مساء ٣٠ ــ ٤ ــ ١٩٦٩ .

من مستعمراتها لتغزله في مصانع بريطانيا ثم تبيعه لمستعمراتها . فلما قرر غاندي تعليم اهل الهند غزل القطن جاء هذا القرار ضربة قاصمة لاقتصاديات بريطانيا هناك . وبدأ حملته من الشمال بحفنة من الناس ، ومشى فأخذ الناس ينضمون اليه ، فما وصل الى الجنوب حتى بلغت الحملة مئات الالوف . وهنا تجسد خطره مرة اخرى للمستعمرين ، فعادوا الى وسيلتهم في القمع فسجنوه ، فكان ذلك بمثابة الزيت يسكب على النار . وفي السجن اعلن الصيام ايضا ، فقامت الهند كلها تتحدى القوانين ، واضطر الانجليز – في سبيل حفظ هذه القوانين – الى سجن مئات الالوف من الناس . ولما ضاقت بالناس السجون اضطر الانجليز لاخلاء سبيلهم ولجأوا الى غاندي نفسه يطلبون التفاوض معه . وهكذا استمر جهاد غاندي ونضاله . واخذ الناس في الهند الكبيرة يسيرون خلفه . يأمرهم فيطيعون . واصبح الرجل اسطورة وطنية .

وهبط غاندي عاصمة الامبراطورية سنة ١٩٣١ بلباسه المعهود في الهند : ازار على الكتف وسروال بسيط . ومشى حافي القدمين الى بلاط سانت جيمس يبتسم للشعب الذي اصطف على ارصفة الشوارع ، ليرى الرجل الاعزل المتجرد الذي جاء لمفاوضة الامبراطورية البريطانية ، التي كانت توصف يومئذ بأن الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها !

وفي هذا كله ارسل المرحوم شوقي قصيدة يحيي بها غاندي حين مر بمصر تلك السنة في طريقه الى لندن . قال منها :

بني مصر ارفعوا الغار ... وحيوا بطل الهند
وادوا واجبا واقضوا ... حقوق العلم الفرد
اخوكم في المقاساة ... وعرك الموقف النكد
وفي التضحية الكبرى ... وفي المطلب والجهد
وفي الجرح وفي الدمع ... وفي النفي من المهد
قفوا حيوه من قرب ... على الفلك ومن بعد
وغطوا البر بالآس ... وغطوا البحر بالورد

وقال :

سلام النيل يا غاندي ... وهذا الزهر من عندي
واجلال من الاهرا ... م والكرنك والبردي
ومن مشيخة الوادي ... ومن أشباله المرد
سلام حالب الشاة ... سلام غازل البرد
ومن صد عن اللمح ... ولم يقبل على الشهد
ومن يركب ساقيه ... ه من الهند الى السند
سلام كلما صليـ ... ـت عريانا وفي الابد
وفي زاوية السجن ... وفي سلسلة القيد
من المائدة الخضرا ... ء خذ حذرك يا (غاندي)
ولاحظ ورق السير ... وما في ورق اللورد
وكن أبرع من يلعـ ... ـب بالشطرنج والنرد
ولاق العبقريين ... لقاء الند للند
وقل هاتوا افاعيكم ... أتى الحاوي من الهند

وفي سنة ١٩٤٧ استقلت الهند ومضت في طريق الاستقلال والحرية والمجد .

ايها السادة . . لست اعرف استقلالا لامة في العصر الحديث جاء بغير عنف ، وانحصر فضل معظمه ، في جهاد رجل واحد ، وآتى اكله سراعا على الرغم من ضخامة الحاكم وضعف المحكوم ، لست اعرف استقلالا كهذا الذي جاء على يد غاندي الذي سماه بعضهم لذلك « رجل القرن العشرين » . حياه الله في ذكراه فقد نفعنا حيا ، وها هو لا يزال الى اليوم ينفعنا ميتا خالد الذكر .

عمان – الاردن **محمد اديب العامري**

غويه

أتدري بأني اذوب حنينا اليك
وأهفو لأدنى خبر ؟
تصدق اني أأرق حتى الصباح
ألون منك الفكر ؟
أتعلم ان عنادي ضباب
وهجري رياء ؟
وان التي تتجنى عليك
تمنى لقاء ؟

أأبصرت من خلل الكبرياء
دموعا ذليله ؟
وروحا تسيل على راحتيك
وتبدو بخيله ؟

احبك ،
يكذب زم الشفاه
احبك ،
ويهذي عنادي
في هربي ، وافتعال الخلاف
وطول ابتعادي

وكنت اموه وجه السماء
وأكتم عطري
وأغمض عيني عما أحس
لتجهل أمري .

واشراقتي ، والتماع عيوني ،
وبرد يديه
تناديك يا سادرا في الضياع :
« تعال اليه » .

بغداد **لميعة عباس عماره**

حناجر الاصابع

مهداة الى تلك التي تهرب في الشوق الى مقعد المساء

بقلم الياس خليل زخريا

★

شرب أمس بالشفتين على الدفء من كفها العطشى .
مدتها اليه في التمهل وتعطف الود وحنان الانفة .
ترفع براسها ابدا الى فوق
وهذه اللينة، يدها، ترود في الرفق على الملتهب من وجنتيه.
بينها وبين الغمامة منطلق قديم ومدار قديم .
مبحرة على نفسها في مشتهى الراحتين ابحارا وئيدا .
يسيل الشوق من خلجات صدرها الى حناجر اصابعها النهمة
لاصابعها مثل الحناجر ، مثل الشفاه .
لاصابعها مثل تمتمات الريشة على بياض الورق .
.... مثل صفق الجناح على نزوات الهواء العابر .
لهاتيك الاصابع في اللقاء ، حديث قد يكون في العتاب
افصح من كل حديث ...
وهمس قد يكون في البوح اعمق من ذياك البوح .
صور مكنونة في صور .
كلمات مكتومة في كلمات .
آمال متفتحة تنساب من مكامنها الى حواجز الضلوع .
ـ ماذا تصنعين ؟!
ـ اكتب ،
واقرأ ،
واحرك هذه الاصابع ،
واتشهى النوم .
كأن الكتابة في البركات بركة الايمان .
كأن القراءة في الصلاة قدس التضرع .
كأن التحرك بالاصابع نقر على باب العمر في واحات السفر .
كأن النوم هو الغبطة الهاربة مع القلق في اسراء العبور .
والقت براسها كله من التعب على صدره .
سنديانة فتية تلقي بجذعها على متكأ الارض .
وشدت براحتيها كلتاهما على خديه .
غمرة من ضمات العائدين بعد طول الهجر الى حنين العتبة
... وعشرون كأنهن عد الحباب في مخطف التأمل .
قمرية تنطوي مع الذاكرة في قمرية غاربة .
اسمار تتساكت في اسمار على متناثر الرماد .
ثم ، من تكون هذه المتهدلة بخصائل شعرها على الكتفين
تحمل مع جدائلها الطويلة حقيبتها الملأى ، المثقلة
بالاقلام والورق .
عائدة الى البيت من غبار الكتب ، ودفاتر الحساب ،
وساحة المعرفة .
تهز بخصرها امتشاقا على جسمها الممتلىء الهارب من
ردائها الازرق .
تمشي وحدها على طرفي الزهو وعقد الاختيال .
... وشدها اليه وضمها بالضلوع والاجفان وغفلات المودة
كأنها امها ،
بلون العين ، بلون الشفة ، باطراف الاصابع النهمة ، برنة
الصوت الغارق في مسمع الانتظار ، بهذه الذات
الملأى بكبرياء الزمن وعناد الاقدار وصلابة الجبل .
تتلفت هنا ، تتلفت هناك ، تغرز نظرها في كل شيء ،
حتى في الوعاء الضيق .
اما النوم فهو آخر اواخر المطاف .
لم تتذكر انها نسيت من عمرها دقيقة في حاشية السرير
كل لمحة من اللمحات شاغل مشغول في مسارب الدنيا .
فصل ينطوي على غير فصل .
باب ينفتح على غير باب
ويتصارع فيها الريح مصارعة الخوف في دروب
الاجمة النائية .
اصداء بعيدة تنهار في الاشباح الواقفة .
ومن تراه يكون هذا الشبح الدائم الذي يقفز الى النافذة
من حافة الطريق ويضيع في جنبات البيت الواسع
وتوارت ابنتها في فناء الدار .

★

كانت خجلى ، اظنها كانت خجلى في ظلها المتكابر .
وقد يخاف الضوء على لألأة جبينه فينام في ابراج الزمن
على لذة الانزواء .
وقد يجزع الليل على كنوزه فيختبيء مع الحلم في جلباب
السواد .
هي دائمة على مرساة الرحيل .
تسافر في يقظة الانطلاق سفرا بعيدا .
... وهذا الصراع الدائم بين النوم واليقظة ... بين
الشهوة التي تسمو بالتراب حتى ينزوي فيه
الشوق . وبين الشهوة التي تغرق في الطين حتى
يختلج فيه القلق .
تدور على ميناء الزمن في حكاية المنتظر .
لقد انتظر عمره كله .
لقد روض نهمه كله على الجوع وعلى العطش
لقد اصبح فيه الجسد كأنه الغريب في لباس المستعار .
لقد تفسخت في احلامه الرؤى .
لقد تحطمت في مقابض ارادته دواخل المطامح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد التقاها وحدها في مقعد المساء ، تلـون ، وتوشـي ، وترقع عينيها بالشاشة المبهمة ، وتنهي ، وتأمـر ، وتقســو ،
وقد تتعاطف فيألف كل يباس .
ويا للعجب ... كيف تنقلب فيها حشاشة النفس حتـى لتظن انها تتسـاقط على الارض من شـدة اللفـح والنضـج .
ظنها ثمرة فاذا بها غصن بري
ظنها ديمة فاذا بها سحابة مانعة
وبالنعمة هذا السحاب الابيض الشفاف الذي لا يتوارى فيه سره .
تعطش اصابعها فتنسى كل شيء
مخيف هو عطشها
حتى الشوق المتململ على شفتيها في التلهف ينتهي في العطش الى جفاء .

★

ذكرتني امس وهي الى جانبي في حديث اللقاء كيف ان السنين المتسارعة الى ضباب الخليج لا تقف بهـا الهداية دقيقة واحدة من دقائق التلفت .
اعطني راحتيك الفنيتـين
ويا ايها الجسد المتعب ،
دونك في الرحيل هذه الدواة .
لقد نزلت فيها على اطراف الاصابع قوافل السفر
لولا البحر لكانت الدنيا كلها منحدر جبل
لولا الماء لكانت الافاق كلها محطات رمال
ونخترق الافق بخيوط الشراع
اقلع بنـا ايها الزورق الهائم
عندنا في الجزر البعيدة مسالك ومخابىء وحكايات .
اوائلها هنا وخواتمها هناك .

★

حتى الخاتم المختوم اصبع حالمة على اصبع
وتنسج بأناملها معاطف الزمن ويـا للـرداء المنسوج كلمـا لبسناه خلنا اننا خلعنا فيه كل شهواتنا الضائعة .
وما هذا البخور الطيب الذي يحرق مع التضرع في المجامر الا آهات عابرات في التسابيح على اعمدة الهياكل .
رفع الكاهن كأسه ليبارك
ثم انزل يده كما ينزل الغمام .
ثم نادى المؤمنين كما ينادي البحري شباكه
ثم هدأ البحر وانتهت العاصفة .
ثم اخفت رأسها في صدري تتوارى فيه
... امراة ... كل حياته امراة ..

★

آمن في بساطة الايمان بأن الحجر الذي تلمسه على ترابه امراة عابرة ينصب في الارض نارا .
حتى النار هي اللهبة الملتهبـه من ردائهـا الممـزق علـى جسدها الهـارب ..
تركها امس جالسة امام النافذة تتأمل بين الضوء والعتمة في قناطر اللـون .
بنت لها على اقواس اللون :
قنطـــرة
ومعـابـر
وحناجر اصـابـع
ويـا اختـــاه
ما زال في الشوق ينتظر اصابع الراحتين على خده المتعب

الياس خليل زخريا

عودة ولدي

مر بي يخطف الجفون
خطوه في الضمير حيث كان
مبحـر لونـه الحنـون
يزرعه الورد في الزمـان

كلمـا حدثت شجوني عيونه
خلت اني في الصيف اسلك درب البحر
أرمي اوار الحر بين القصب
أشـم ريـح العنـب

أشرب همس الضوء والعباب
أركب أي موجة الى المدى سحاب
ارصف صدر الارض في وجه السما قباب
تطعمني خمر الصبا شؤونه
يرد في عظمي نضر العمر

جنحـت كـل ورده
على رصيف العـوده
وبيتنـا جار النجوم والريـاح
يضحك فيه الحجـر
تـورق منـه الجـدر
فتكتسي دروبه من زهر وشاح

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نسيم نصر

ابراهيم المازني

بقلم نسيم نصر

* * *

ولد ابراهيم المازني في القاهرة وترعرع فيها . وكانت ولادته في اول العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، وهي مرحلة من الزمن ، كان هذا الشرق العربي قد اخذ فيها بالتململ من سباته الطويل ، لمباشرة طور انتقالي ، كان رواده ، في الغالب ، يعملون على ضفاف النيل ، وبينهم عدد كبير من غير المصريين ، خاصتهم من اللبنانيين . وقد قوى هذا الشعور بضرورة الانتفاضات التحررية ، في ابناء الاقطار العربية ، ذلك النور الجديد الذي ارسل شرارته الاولى ، في الحياة الفكرية ، من وراء البحار على يد الطليعة من اعلام ادبنا ، امثال جبران والريحاني . ولم يكد ينطوي العقد الاول من القرن العشرين ، حتى كان للنهضة الحديثة رعيل اول في مصر ، من كبار ادبائه ، ابراهيم عبد القادر المازني .

عرف المازني في البيت الذي ولد فيه شقاء اليتم وآلامه ، اذ مات ابوه وهو حدث ، فاستولى اخوه الاكبر على ما خلف الوالد وبدده في كل سبيل ، ملقيا بابراهيم وامه ، التي لم تكن أم الاخ الاكبر ، في وهدة الفقر والحرمان . ولكن هذه الام يبدو انها تذرعت بالصبر وحنان الامومة ، واعتنت بابنها ابراهيم عناية ، تركت اثرا عميقا في نفسه . فها هو يقول في امه الارملة : صارت امي هي الام والاب ، ثم صارت مع الايام ، هي الصديق والروح الملهم .

وانفقت عليه امه من عرق الجبين ودم القلب ، حتى نال شهادة مدرسة دار المعلمين العالية سنة ١٩٠٩ . ولكي يختصر الطريق الى تخفيف العبء عن امه قال : « وصرت معلما وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك . ولكنني لم أفرح بها لان ذلك كان بكرهي .. » وراح ، بعد ان حاول ان يتعلم الطب ، فلم يكن له ، يحاول تعلم الهندسة ، فأعوزه المال . وهكذا اضطر الى البقاء في مهنة التعليم حتى سنة ١٩١٩ . ومن تلك السنة الفاصلة في تاريخ مصر الحديث، احترف المازني الادب والصحافة.

واذا كانت المدرسة العالية للمعلمين قد خرجت ابراهيم المازني ليكون مدرسا ، فقد عرف بدأبه ، وسعة مطالعاته ، وقوة طموحه ، ان يتخرج على عباقرة الادبين : العربي والانكليزي . وساند قراءاته الادبية بقراءات فلسفية واجتماعية ، فكانت له ثقافة جامعة راقية .

غير ان التلمذة على الحياة ، ساعدته على تكوين شخصية استوفت عناصرها من نزعته الى الدعابة صغيرا، ومن تبرمه بتجارب الحياة القاسية صبيا ، ومن استخفافه بالحياة كبيرا . فاذا بهذه العناصر المتنابية ، تتحول في ذاته الى مزيج ينضح بالسخرية ، التي فيها من روح التشاؤم ومن روح النكتة ، ما طبع ادبه بطابع مشوق ، يقبل عليه القراء من كل نوع . فاسمعه يقول في مقابلة بين نفسه وبطل روايته المعروفة « ابراهيم الكاتب » :

« ولست أحتاج الى ان أقول اني لست بابراهيم الذي تصفه الرواية ، وان هذا المخلوق ما كان قط ولا فتح عينيه على الحياة الا في روايتي . ثم اني لست أرضى ان اكونه . فما تعجبني سيرته ولا مزاجه ولا التفاتات ذهنه . وقد ندمت على خلقه بعد ان سويته . فلو كان دمية لحطمتها وطحنتها ، ولو كان صديقا لجفوته ونبوت به ، وذلك انه يتناول الحياة باحتفال ، وانا اتلقاها بغير احتفال » . الى ان قال : « فليس بيننا ، كما ترى ، سوى ان كلينا قصير قميء . وانا ازيد عليه ، اني أصبت بالعرج ، فليته كان هو المصاب وانا الناجي المعافى » .

وحدث ان اعتدى كاتب على نقد لابراهيم المازني في شعر حافظ ابراهيم ونشره على انه له . فجاء صديق للمازني يسأله رأيه في صنيع المعتدي السارق ، فقال له ، بعد الحاح لابداء الرأي : اسمع ، يا صاحبي :

« زعموا ان لصا تسلل الى بيت ، فألفاه افرغ من فؤاد ام موسى . وعز عليه ان ينقلب صفر اليدين ، او كما يقول العرب (رحمهم الله او ما شاء فليصنع بهم) خالي الوفاض بادي الانقاض . فواصل البحث وهو مغيظ

محنق . فما راعه الا رجل في بعض الغرف مختبىء في ركن ووجهه الى الحائط . فلما ثابت اليه نفسه بعد الدهشة ، قال : لعله لص مثلي ... وضحك ، ودنا منه فلم يتحرك . فوضع يده على كتفه برفق وسأله : من أنت ، يا هذا ، وما تصنع هنا ؟ فاستدار الرجل ووجهه الى الارض ، وقال : انا صاحب هذا البيت ، وقد شعرت بدخولك وادركت غرضك فتواريت خجلا منك » .

ثم التفت المازني الى صديقه وقال : « وانا كصاحب هذا البيت العاري ، استحي ان انبه الى سطو صاحبنا المتلصص على نقدي ، مخافة ان ينبه الناس الى ما ارجو ان يكونوا قد نسوا من أني انا كاتب ذلك الهراء القديم » .

وهكذا لا يستطيع معرف بشخصية هذا الكاتب الكبير ، ان يعرف به افضل من تعريفه بنفسه . فقد كان في حياة المازني الشخصية والاجتماعية ، اسباب كثيرة تفاعلت في ذاته فجمعت الاضداد : فبينا تراه ماضيا في نقد جارح ، او في ثورة على المتزلفين الى ذوي السلطان ، اذا بك تراه يستحيل الى انسان وديع لطيف الكلمة حسن البادرة . ولا بد لدارس حياة هذا الاديب ، من ان يعزو هذا التفاعل الى المؤثرات التي تثقف بها ، بعد التجارب القاسية التي مر بها . وهو في أدبه الساخر ، يقرس ويضحك ويلطف النقدة بالنكتة . وقد غلبت عليه النكتة في مجالس الادب والاصحاب ، على الرغم من انه ، في عمق النظرة اليه ، تتملكه السخرية ويسطو عليه الاستخفاف بالحياة .

الكاتب الناقد

وقع المازني على حقيقة المقالة النثرية الفنية في أزين وجوهها الحديثة . فلقد رآها صورة عن الحياة ، تمر تحت عينيه ، ولكنها صورة مطبوعة بطابع الاديب الساخر المستخف بأعراض الحياة . ولكنه استخفاف فيه كثير من الثورة على التقاليد البالية والعادات السخيفة . ومن تبصر في نظراته الاجتماعية في هذه المقالات ، المتناولة ما يمر امامه من صور الحياة رآه لا يتكلف جدة الواعظ المرشد ، ولا وقار الحكيم المربي ، وانما هو صاحب اسلوب حر ، تحلل من قيود الصناعة المتكلفة ، صادرا فيه عن تجربة شخصية ، تحليها صراحة الواثق من نفسه ، الصادق في عفوية الكلمة الجريئة الحرة . ومصداقا لهذه الصراحة الصادقة ، نرافقه قليلا وهو ينظر « من نافذته » ويرسم لنا ما تراءى له من تلك النافذة .

واذا بدا للمازني ان يكون اكثر حيوية في مقالته ، واوضح قصدا ، اعتمد الحوار بينه وبين من يحدثنا عنهم . وهذا الحوار الذي قوى به مقالاته ، جعله ايضا ركنا من قصصه . وهاكم ما تقول ، في هذا الحوار المازني ، نعمات احمد فؤاد : « حواره كسائر كتابته ، تتمثل فيه البساطة التي لم يعد عليها الفن ، فلا يتكلف ولا يفتعل الكلام افتعالا .. وهذه البساطة التي تذكر عنه هي ميزته الكبرى . غير انها تنبع من غور ، وتدل على نباهة رأي ، نقدم لها شاهدا بعض ما جاء في مقاله « الكتب والخلود » ، وهو مقال كتبه ، كما يؤكد ذلك احد كبار الباحثين في الادب ، على أثر مطالعته كتابا اهدته اليه الاديبة المشهورة ، مي ، اذ وقع فيه على هذه العبارة :

من الكتاب من هو ملخص جلسات ومدون وقائع ، ومنهم « كولمب » جاء لاقتحام الاخطار واكتشاف عوالم مجهولة .. فقال : وانا ايضا اكتب وانظم الشعر ! فما مصير كل هذا الذي سودت به الورق ، وشغلت به المطابع وصدعت القراء ؟ انه سيفنى ويطوى بلا مراء . فقد قضى الحظ ان يكون عصرنا عصر تمهيد ، وان يشتغل ابناؤه بقطع هذه الجبال التي سدت الطريق وبتسوية الارض لمن يأتون بعدهم . ومن الذي يذكر الحمال الذين سووا الارض ومهدوها ورصفوها ؟ . ثم يقول : وبعد ان تمهد الطريق ، يأتي نفر من بعدنا ويسيرون الى اخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شامخة باذخة ، فيذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد . فلندع الخلود اذن ، ولنسأل كم شبرا مهدنا من الطريق ؟ »

واذا كان المازني في جده ناقدا مخلصا لا يتحاشى ان يتناول ادبه بالنقدات القاسية ، فماذا تكون حاله مع الاخرين ؟ ففي كتابه « حصاد الهشيم » ، يروي لنا زيارة شاب متعلم جاءه يعرض عليه مؤلفا فرغ منه ... قال : « زارني ذات يوم شاب ازهري النشأة ، لاتنسجم البذلة الافرنجية مع جسمه ، ولا يعتدل الطربوش على رأسه . وكان يحمل تحت ابطه كراسة مما يستعمل التلاميذ في المدارس ، محشوة بكلام كثير من الشعر .. وما هو الا ان جلس ، حتى استأذن في قراءة ما كتبه في كراسته . ولم يكد يفعل حتى قلت لنفسي : انه لم يغير شيئا حين غير ثيابه ، ولم يزد على ان ردد بعبارة تعتورها الركاكة ، ما كتبه ابن رشيق واضرابه بلفة جزلة . »

وفي جملة ما يروق مطالع ادب المازني ، دقة في الوصف تنكشف فيها العواطف وتروح على السجية وفي هذه العبارة التي نقتطفها من جلسة كانت له على شاطىء البحر ، خير دليل على صحة ما قدمنا . قال :

« وغابت الشمس وانتشرت على الارض غيابات الطفل ، فعدت الى مقعدي انظر الى الموج المشرئب . وجاش في صدري مثله ، وجعلت طيوب الماضي تبرز من ظلامه وتخطر امامي ثم تغيب ويلفها ما هو اظلم . ولكن طيفا واحدا ظل ماثلا لعيني حيثما ادرتها ، ومالئا شعاب نفسي بالاحساس به ، ومناجيا لي من زفيف الرياح وتهزم الامواج . وفيه وفي تمثل الحب المفقود والامل الضائع . وخامرني هذا الخاطر ، والح حتى

القصيدة المثيرة

... وعندما ستقرأين هذه القصيدة المثيره
تصير أحرفي على شفاهك الصغيره
أسطورة ، وزهرة أثيره
ويسقط القمر
في رقصة جديدة أخيره
يلتف بالنسيان .. بالقدر
وانت يا حمامة زرقاء يا ... اميره
تقتحم الاشجار
فتحلم الاسوار
بصدرك المورق .... بالضفيره ..
يداعب الفراشة الغريره
لتكبر الزهرة في الحديقة الصغيره

يجيئك الزمان
بالحب ، بالامطار والغصون
باللون والسكون
كفارس محير العيون
ترهقه في الرؤية الجفون
يجيئك الزمان شدو قافلة
مملوءة بالشعر ، بالغناء والحنان
يجيئك الزمان صوت شاعر حزين
من جزر الكآبه
الحانه الفصول

رياحه الحقول
يمر في سحابه
وفي يديك ـ غابتا حنين ـ
سيرقد الصباح
مظللا بالحب والجراح ....

وتقرأين هذه القصيدة المثيره
للمرة الاخيره
فتصبح الاوراق في يديك كالجزيره
وأنت يا .... أسيره
في سفن الحروف
في صوتك المخضوض الشفيف
يجيء بالرماح والسيوف
يحاصر القصيده
بلهفة جديده
فيسقط القمر
ويسقط القمر
وتسألين اينها قصيدتي المثيره ؟
على يديك زهرة حمراء
قصيدتي المثيره :
تلفتي في ورقة بيضاء ...

برمانا ـ لبنان — فوزي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلتني جثة غريق ردها الموج الطاغي الى رمال الشاطىء. ولج بي هذا الوهم حتى ملت عن الصخرة الى الرمال ورقدت عليها . وأومأت الى الامواج ان اركدي ، فقد ذهب كل شيء ، انتسخ الامل وغاض معين الحب وجفت الحياة . »

والى جانب هذا النقد الاجتماعي الذي تناول بيئة المازني ، غالبا ، نجد له ضربا اخر من النقد ، هو النقد الادبي . ولسنا نطيل الكلام على هذه الناحية من ادب هذا الكاتب ، وانما نشير اشارة عابرة الى نقده القدامى من الادباء ثم المعاصرين فنقول :

تناول القدامى في دراسات افرغت غالبا في شيء من البعد عن الهوى ، معتمدا الصور التحليلية ، مقدما الاراء مشفوعة بالشواهد الدامغة . يعيبه احيانا بعض المبالغة التي يغمرها النظر الباحث النزيه .

غير انه في نقده المعاصرين ، لم يسلم من الخروج عن جادة العقل الباحث الى شطط من الذهاب مع الهوى ، ليمضي الى تهجم او هجاء . فلم يوفر من هذا النقد الجارح امثال طه حسين وحافظ ابراهيم وعبد الرحمن شكري وسواهم . ولما كان نقده هؤلاء المعاصرين الادباء ، وهو ما يزال شابا ، رد محمد مندور هذا العنف في الخصومة عند المازني ، الى ما اسماه « مرض العصر » ، وهو حالة تعتري الشاب من تصادم الامال بالواقع المرير ، فيتولد فيهم السخط والشكوى . وزاد مندور قائلا : « ان المازني قد اثبت ان هناك وسيلة اخرى لتخليص النفس من العذاب المستحكم . وهذه الوسيلة هي الفلسفة الساخرة المستخفة .. »

وهكذا غلبت السخرية على ادب المازني فعلا .

نسيم نصر

عدت هذه الايام الى مطالعة بعض اعمال الاديب الفرنسي « هنري بيك » الذي اشتهر في مطلع هذا القرن بالنزعة الواقعية في التاليف المسرحي . وقد اعجبتني من اعماله هذه المسرحية الصغيرة الشائقة ، فرايت ان انقلها الى القراء .

* * *

المشهد الاول

انطونيا ـ هنري

انطونيا ـ اقول لك ارحل .. لماذا لا ترحل ! .. ماذا تنتظر ؟ .. انا ذاهبة الى مخدعي لانام ...

هنري ـ ما كنت انتظر منك ابدا ان تصرفيني على هذه الصورة .

انطونيا ـ هذه غلطتك . لماذا جئت متاخرا ؟ .. لماذا جئت في وقت لا انتظرك فيه ؟ ..

هنري ـ اليس من حقي ان ادخل بيتك في اي وقت اشاء ؟ ..

انطونيا مستنكرة ـ حقك ؟! .. انت لا تتكلم ابدا الا عن حقك .. من ذا الذي قال لك اني عندما عرفتك تعهدت بالا اقابل في بيتي رجلا سواك ؟ ..

هنري ـ ولكني اردت ان اجيئك بالفاتورة .. فاتورة الحساب الذي تطالبك به خياطتك ... لقد دفعت المبلغ كله من تلقاء نفسي وبدون حاجة الى اية اشارة منك ..

انطونيا ـ اشكرك .. ولكني لا اسمح لك بان تضايقني ولا بأن تتكلم عن حقوقك .. انا اعطي وانت تدفع .. فنحن متساويان .. على انك مهما دفعت فلن امنحك ابدا حق الاعتداء على حريتي ! ... لا ... لا تعتقد ان في وسعك ان تسلبني هذه الحرية لانك اصبحت عشيقي ! .. ثم ... لماذا لم تتصل بشركة التامين لتوقع على البوليصة التي وعدتني بها ، والتي يمكن ان تقنعني بصدق حبك ،وتضمن لي مستقبلي وحياتي ! ..

هنري ـ آثرت ان افي دين الخياطة اولا ..

انطونيا ـ لا ... كان يجب ان تفي الدين وتجيئني بالبوليصة ايضا ... اما وقد غلبت المهم على الاهم ، فانا اشعر انك لم تعد تحبني ، واشعر فوق ذلك انك تمنح نفسك من السلطات ما يزعجني ... لا ... لن ابيعك حريتي ! .. لست السيد الآمر هنا ! ... انا صاحبة البيت ! .. انا وحدي ! ... ارحل .. يمكنك الان ان ترحل ! ...

هنري ـ سارحل عندما اريد .

انطونيا ـ عظيم جدا .. طاب ليلك اذن .. « وتدعه في الصالون ذاهلا مشدوها وتنصرف الى مخدعها غاضبة » .

المشهد الثاني

هنري بمفرده

هنري ـ ما الذي حملني على الاتصال السافر بهذه الغانية الشرهة الطماعة التي لا قلب لها ؟ ! .. كان لها عشيق ثري غيري يرعاها وينفق عليها ، وكنت انا استميلها ببعض الهدايا ، واغافل العشيق الثري ، وافوز بقسطي من الغنيمة ... فلماذا اردت ان افوز بالغنيمة كلها ؟ ... لماذا اردت ان اطرد ذلك العشيق واحل محله ؟ .. كنت غيورا .. اردت ان تكون المرأة لي وحدي .. لم استطع ان اتصورها ملكا لغريمي ! .. فطردت ذلك الغريم لاجلس على العرش

هوى الغانيات
مسرحية لهنري بيك
ترجمة ابراهيم المصري
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمفردي .. وهانذا ادفع .. ادفع الثمن غاليا من حر مالي وخالص كرامتي ! ... اجل ... انها تستغلني ! ... تستنزفني ! .. ومن يدري ، فلعلها تخدعني .. ولعل قدومي المفاجيء الى هنا قد ازعجها لانها في صحبة رجل آخر تخفيه في مخدعها .. لا .. لن اتحمل هذا بعد اليوم ولن اصبر عليه ! ... « يفتح فجاة باب مخدع انطونيا ويبدو منه فرانسوا وهو يهم بان يعانقها . فتدفعه المرأة الى الداخل في عنف قبل ان يراه هنري ثم تغلق باب المخدع وتخرج الى البهو »

المشهد الثالث

مذكوران

انطونيا ـ اما زلت هنا ؟ ...

هنري ـ اسمعي يا انطونيا ... الصراحة اجدى ... يخيل الي انك لست في البيت بمفردك ، او انك الان على موعد مع رجل آخر ، ولذلك تريدين التخلص مني .

انطونيا صارخة ـ ماذا ؟ .. اتشك في ؟ .. الا تثق بي ؟ .. اتتهمني وانت في بيتي ؟ .. لا .. هذا كثير .. لقد جاوزت حدك ، ومن واجبك ان تخرج الساعة من هنا حالا على الا تعود الىهذا البيت ابدا .. افهمت ؟ ... اخرج .. ماذا تنتظر ؟ ...

هنري ـ انطونيا ...

انطونيا ـ اخرج حالا .

هنري مستضعفا ـ ومتى اراك ؟ ..

انطونيا ـ عندما تصبح عاقلا ومؤدبا .

هنري ـ غدا ؟ ..

انطونيا ـ لا ادري ...

هنري ـ بعد غد ؟ ..

انطونيا ـ في اي وقت شئت ما خلا الان .. فانا متعبة ومصدوعة وبي حاجة شديدة الى النوم .. اخرج « يتردد لحظة ثم ينحني ويقبل يدها مستسلما وينصرف » .

انطونيا تتنفس الصعداء ـ آف .. لقد ذهب ! .. من كان يمكن ان يقول ان هذا الرجل الذي استظرفته بالامس ، يصبح اليوم في نظري اثقل من الهم على القلب ! .. ولكن الرجال هم الذين يتغيرون .. اما نحن النساء فلا يفهمنا ولا يقدرنا احد .. (وتنادي) تعال .. تعال يا فرانسوا ..

المشهد الرابع

انطونيا ـ فرانسوا

فرانسوا يبرز من المخدع ويروح ويغدو في البهو متبرما ساخطا ـ لا .. هذا فوق طاقتي .. لم أعد احتمل .. هذه حال يجب ان تنتهي ..

انطونيا ـ سكن روعك واجلس .. اجلس قليلا بجانبي ايها الشاب الاحمق الجميل ..

فرانسوا ـ دعيني .. ان دمي كله يغلي في عروقي ، واني لابغض ذلك الرجل من صميم قلبي .. لقد نغص علي اللحظات الغالية التي امضيتها بقربك .. ثم اني كلما تمثلته بين ذراعيك وكلما رأيته حائلا بيني وبينك ، اشتد بغضي وسخطي ، واصابني من فرط اللوعة شبه خيال ..

انطونيا ـ اتحبني الى هذا الحد ؟ .

فرانسوا ـ اني اعبدك .

انطونيا ـ وكذلك انا .. ولكن ما حيلتي فيك وانت فقير .. كيف يمكن ان اتخلى عن صديقي الثري من اجلك وانت بائس معدم لا تملك شروى نقير ؟ ..

فرانسوا يدنو منها ويحدق اليها لحظة ثم يقول ـ واذا توافر لدي المال .. اذا هبطت

علي ثروة من السماء ؟ ..

انطونيا ـ عندئذ اطرد صديقي شر طرد واصبح ملكا لك وحدك ايها الحبيب ... اقسم لك اني زهدت في ذلك الابله المستهتر المغرور .. انه طاغية غليظ مستبد .. لم اره قط هكذا .. انه اليوم اصلع ومستكرش ودميم .. ولكني في حاجة الى ماله .. وكذلك في حاجة اليك انت .. ألست تنعم على حسابه ؟ .. الست انت الذي يظفر بنصيب الاسد دون ان يتكبد اية نفقات ؟ .. فما الذي يحزنك ويكربك ؟ ..

فرانسوا ـ الغيرة تنهشني !.. لا استطيع ان اتصور نفسي ابيح للغير عن طيب خاطر شيئا اعز علي من حياتي ! .. انا احس في هذا انتهاكا مروعا لشرفي وكرامتي ..

انطونيا ـ تحس هذا بعد ستة اشهر ؟ ..

فرانسوا ـ نعم .. شرفي .. شرفي وكرامتي ..

انطونيا مقهقهة ـ شرفه ! .. كرامته ! .. « وتلتفت اليه وفي حدة » ولكن ماذا تريد ؟

فرانسوا ـ اما ان تكوني لي بمفردي واما ان ارحل ! ..

انطونيا مستهولة ـ تطلب الي ان اضحي بهنري ؟ ...

فرانسوا ـ اذا كنت حقا عاشقة ...

انطونيا ـ وحياتي ومطالبي ... ونفقاتي ... وهذا الترف الذي الفته والذي لا استطيع الا ان اتقلب فيه ؟

فرانسوا ـ كل تضحية تهون اذا كان الحب صادقا .

انطونيا ـ ولكن الحب هو ثمرة الترف يا حبيبي . اما ثمرة الفقر فخصام ونزاع وكراهية وحقد ..

فرانسوا ـ الحب يهزأ بكل شيء . وهو يكسو وجه الفقر طبقة من ذهب .

انطونيا ـ وهذا ما كفرت به انا من زمن بعيد .. فلا تتوقع مني ان اتخلى عن هنري كي اجر معك أذيال البؤس التي تعتقد انت انها حلل من الذهب الابريز .. لا .. هذا محال .. محال .

فرانسوا ـ لقد قلت كلمتي . اما ان تكوني لي وحدي واما ان ينتهي بيننا كل شيء ! ..

انطونيا ـ انت وشانك .. انت حر ..

فرانسوا ـ اذن فالوداع ..

انطونيا ـ الوداع ... « ويندفع فرانسوا نحو الباب غاضبا ويخرج » .

المشهد الخامس

انطونيا بمفردها

انطونيا ـ يذهب .. يذهب على هذه الصورة . يتخلى عني .. دون ان يشكرني ؟! ... يا له من جاحد ابله معتوه .. ومع ذلك فقد كان يسليني .. كنت على وشك ان احبه .. كنت اجد بجواره متنفسا لصدري وكنت اخالس الحب في صحبته دون ان ادع الحب يختم على بصري ، ويحرمني المال والترف واسباب النعيم التي اعتبر نفسي بلهاء لو تركت الحب يسرقها مني ! ... اسفاه ... اسفاه عليك يا فرانسوا الجميل « تدخل الخادمة أديل حاملة رسالتين » .

اديل ـ هذه رسالة من ذلك الفتى الشاعر المدعو اندريه دي لاتور .. وهذه رسالة كتبها المسيو فرانسوا هنا .. في البهو الصغير .. كتبها الان وسلمني اياها مع بعض اوراق اخرى وجلس ينتظر ..

انطونيا مبتهجة ـ اما زال هنا ؟ .. كتب الي .. هات الرسالة .. هات لنرى . اما



ابراهيم المصري

●

رسالة ذلك الشاعر فسأقرؤها بعد اسبوع .. دعيها جانبا .. « تنصرف الخادمة وتنعم انطونيا النظر في الرسالة وتقرأ » ..

« حبيبتي انطونيا

لقد كتمت عنك سري ، وخيرتك بيني وبين صديقك الثري هنري لامتحن حبك . فاحتقرتني وصرفتني وآثرت المال على الحب . ولكني ما زلت اعبدك يا انطونيا وليس في وسعي أن استغني عنك . ولذلك ساكشف لك عن سري ، عساي ان اجتذبك بالمال بعد ان فشلت في اجتذابك بالحب . فاسمعي . لقد آلت الي بعد وفاة عمي الذي مات منذ اسبوع ثروة طائلة تقدر بآلاف الفرنكات .. فانا اهبك اياها ، واضعها تحت قدميك ، على شرط .. على شرط ان تطردي صديقك هنري وان تكوني لي وحدي ! .. انا صابر ومنتظر » . « فرانسوا »

« حاشية ـ مع هذا بعض اوراق رسمية تثبت لك صدق كلامي .. »

انطونيا تسرع الى باب الصدر وتصرخ ـ أديل ... لا تدعيه يرحل .. لينتظر لحظة ايضا ... « وتجلس من فورها الى مكتبها وتكتب لصديقها هنري وهي تقرأ ما تكتب »

« حضرة السيد هنري

« انا اكرهك .. اتفهم .. اكرهك .. لانك اصبحت مستبدا واصلع ومستكرشا ودميما .. اياك ان تعترض طريقي .. اياك ان تزورني .. اياك ان تدخل بيتي والا طردتك كما يطرد الكلب الاجرب المسعور . افهمت . الوداع » .. انه يستحق هذا واكثر ... « وتحين منها التفاتة فتبصر الرسالة الثانية فتخطفها وتفضها وتقول » سأقرؤها الان .. ان ذلك الفتى الشاعر يعجبني .. لينتظر فرانسوا بضع دقائق ايضا كي تثور عواطفه فيزداد تعلقا بي ... « وتنظر في الرسالة وتصيح » شعر ... ان اندريه يكتب الي شعرا ! .. وتقرأ ...

« عيناك اجمل من السماء الصافية .
وابتسامتك افتن من الزهرة الطاهرة .
وشعر الثائر المسترسل الغزير
اروع من امواج البحر مجتمعه ..
فدعيني انعم بصفائك ونضرتك وطهرك .. واذا شئت ان تسعديني ، فضميني بين امواج شعرك ودعيني اموت في اعماق البحر ! .. »

ـ انطونيا هاتفة ـ شعر عظيم .. هذا الفتى يعرف كيف يخاطبني .. هذا الفتى سيصبح يوما بفضلي الفريد دي موسيه الثاني ... انه ظريف ، ويجب الا انساه « وتنطرح على مقعدها في عظمة وتصيح » أديل ... ليدخل المسيو فرانسوا ..

المشهد السادس

انطونيا ـ فرانسوا

انطونيا تناوله رسالتها الى هنري ـ اقرأ ... لقد صرفته .. لقد طردته .. انتهى « وتتجه نحو باب الصدر » خذي هذه الرسالة يا اديل وكلفي البوابة بالقائها في صندوق البريد .

فرانسوا ـ منذ هذه اللحظة تبدأ سعادتي.

انطونيا ـ وانا ايضا يا حبيبي ..

فرانسوا ـ لن آسف ابدا على الثروة التي اعتزمت ان اهبك اياها ما دمت قد تأكدت ان الاخر قد انصرف ... « وينظر حوله مختالا ويهتف » اذن فقد اصبح هذا البيت بيتي ؟!

انطونيا ـ بيتك ولا شك ..

فرانسوا ـ كم انا سعيد .. تعالي هنا . اجلسي واستمعي .. استمعي الي قليلا .. وتدبري .

انطونيا في دهشة ـ ماذا ؟

فرانسوا ـ اظن بل اعتقد ان كل رجل عليه بالتزامات ، يجب ان يتمتع لقاءها بحقوق ... اليس كذلك ؟ ..

انطونيا منتفضة ـ حقوق ؟ ..

فرانسوا ـ لا تغضبي ... ألست انا الذي سيتولى الانفاق عليك ، اذن فالمنطق يقضي بأن تمنحيني بعض الحقوق .

انطونيا ـ وما هي تلك الحقوق من فضلك.

فرانسوا ـ لقد رضيت بأن احل محل هنري . ولكني لن ارضى ابدا بأن اعامل بالاسلوب الذي كان يعامل هو به .. لماذا تقطبين حاجبيك ..

انطونيا ـ ابدا . استمر .. استمر ...

فرانسوا ـ انا رجل عادل وصريح .. واذا كنت سانفق المال ، فلا بد ..لابد ان احرص على الكرامة .

انطونيا ـ اية كرامة ؟

فرانسوا ـ كرامتي وكرامتك ..

انطونيا ـ ما معنى هذا ؟

فرانسوا ـ معناه اني لا احب منك هذا الاسراف في الحرية ، وهذا الاسراف في التبذل ، وهذا الاسراف في العبث والاستهتار .. اريد ان اهذب من اخلاقك وطباعك .. اريد ان اتمكن من الظهور معك في المجتمعات الراقية .. اريد ان ارفع راسي بك ... ويجب ، يجب ان تساعديني ... يجب أن تبدئي منذ اليوم بل منذ الساعة بقطع كل صلة لك باولئك النساء الخليعات المتهتكات اللاتي تطلق عليهن تلك الكلمة المروعة « غانيات » .

انطونيا ـ اذن يجب ان تبدأ انت فتعرفني بأمك لاستطيع ان اكون امرأة ممتازة وشريفة مثلها ...

فرانسوا متجهما ـ ارجو ان تذكري امي بالخير على الدوام اذ لولاها ما اتاحت لك الاقدار ان تعرفي رجلا فاضلا مثلي ..

انطونيا ـ للاقدار سخريات تضحكني واعجز عن فهمها ...

فرانسوا ـ ومع ذلك فهي بسيطة ... كل ما اطلبه منك هو ان تحترمي الرجل الذي اخذ على عاتقه عبء الانفاق عليك ، وان تطيعيه ، وان تكوني اكثر دماثة واوفر ادبا واميل الى الحشمة والتحفظ والرصانة والجد ...

انطونيا تحدق اليه طويلا ثم تهز كتفيها وتقول ـ كم تبلغ ثروة عمك المتوفي ؟ ...

فرانسوا ـ ثلثمائة الف فرنك .

انطونيا ـ مبلغ لا بأس به .

فرانسوا ـ وفي وسعنا ان نضاعفه لو عرفنا كيف نستثمره .. ولكن الاستثمار محال بدون اقتصاد .. فيجب ، يجب ان تقتصدي في نفقاتك ، وفي ادوات زينتك ، وفي ...

انطونيا ـ وفي مأكلي ومشربي ، وفي حديثي وابتسامي ، بل في حركتي وتنفسي .. الحق معك . انت رجل عاقل ويجب ان اودع الدنيا لاني عرفتك .. ولكني قبل ان اودعها التمس منك ان تجيبني الى رغبة اخيرة ...

فرانسوا ـ وما هي ؟

انطونيا ـ قبعة اريد ان تبتاعها لي اليوم.

فرانسوا ـ وكم ثمنها ..

انطونيا ـ لا يزيد على ثلاثين الف فرنك

فرانسوا مذعورا ـ ولكن هذا كثير جدا ..

انطونيا ـ ورغبة اخرى ..

فرانسوا ـ ايضا ؟

انطونيا ـ بوليصة تامين على حياتي .

فرانسوا ـ انت مجنونة !

انطونيا ـ لاني احبك واريد ان اطمئن على مستقبلي كي استطيع ان اخلص لك ، واحرص على مالك ، واتفانى في خدمتك وطاعتك .

فرانسوا ـ اسمعي .. ان بوليصة التامين تحتاج الى تفكير طويل .. وانا لن ابخل عليك بها ولكن بعد ان امتحنك واستوثق من استجابتك الى الحياة الجديدة التي انشدها.

انطونيا ـ حسنا .. والقبعة ؟

فرانسوا ـ القبعة .. ثلاثون الف فرنك !

انطونيا ـ لا تبك .. لا اريد شيئا ... حبك وحده يكفيني .. مجرد وجودك بقربي يغنيني حتى عن الطعام والشراب .. سأقتصد ... سأضحي بكل شيء من اجلك ولو خنقت جميع رغباتي واضطررت الى الظهور امام الناس في اسمال بالية مهلهلة ... « وتبكي هي » .

فرانسوا يضمها الى صدره ملهوفا ـ لا .. لن تبدأ حياتنا بالدموع .. سأبتاع لك القبعة .. اليوم .. بل الساعة . هيا بنا ..

انطونيا صائحة وقد اشرق وجهها ـ ما اجملك واكرمك ! .. اشكرك من صميم فؤادي .. ولكن واجب الشرف وعرفان الجميل يقتضيني ان اشكره هو ايضا ..

فرانسوا ـ من هو ؟ ..

انطونيا ـ عمك ! .. يجب ان نزور الان ضريحه ... يجب ان نبتاع طاقة جميلة من الزهر ونضعها على الضريح ..

فرانسوا معجبا ومأخوذا ـ يا لك من امرأة نبيلة وفاتنة ..

انطونيا تنادي الخادمة ـ اديل .. ناوليني معطفي ..

اديل تجيئها بالمعطف وتنحني عليها وهي تجذبها الى مقدمة المسرح وتهمس في اذنها ـ انه هنا .. عندي .. تسلل الى المطبخ من باب الحديقة الخلفي .. وابى ان يخرج ..

انطونيا ـ من ؟ ..

اديل ـ الشاعر ...

انطونيا ـ رحبي به واكرميه .. قدمي اليه شرابا ، واستبقيه في المطبخ ما استطعت سأعود ... سأعود حالا ..

فرانسوا في صوت جهير ـ ماذا تقول لك اديل ؟ .. انا لا احب الهمس والاسرار ..

انطونيا ـ تقول اديل ان اليوم بالنسبة لي هو يوم عيد ، واني يجب الا انسى الذهاب الى الكنيسة لاشكر الله .

فرانسوا ـ انها على حق . سنذهب الى الكنيسة اولا ثم نزور ضريح عمي .. هيا بنا .

انطونيا لاديل ـ اسلقي الدجاجة جيدا .. ومتى عدت فسأحمرها بنفسي . « وتتابط ذراع فرانسوا وتخرج مقهقهة » .

المشهد السابع

اديل ثم الشاعر اندريه

اندريه يطل برأسه من احد الابواب الجانبية ـ اليست هنا ؟ ..

اديل ـ خرجت ولكنها ستعود .. اكبر ظني ان رسالتك خلبتها وفعلت في نفسها فعل السحر ..

اندريه ـ لا شك في ذلك . انها قطعة من البلاغة الحية . انها عصير نابض مختلج استقطرته من دماغي وقلبي في اكثر من اربع ساعات ...

اديل ـ كم تبلغ من العمر يا فتى ؟

اندريه ـ انا في ربيعي العشرين ..

اديل ـ ولا عمل لك الا السعي وراء النساء ؟ ..

اندريه ـ انهن عرائس شعري وبدونهن تجف عبقريتي واذبل واموت .

اديل ـ مسكين ..

اندريه ـ بل مسكينة هي المرأة التي لا تحبني .. انها تفقد ولا ريب عالما عظيما .

اديل ـ انت شديد الكبرياء ..

اندريه ـ اني اصيل في العبقرية .

اديل ـ صه .. اسمع الباب الخارجي يفتح .. تعال وادخل حالا .. عد .. عد الى المطبخ .. « ينسل اندريه ويخرج » .

المشهد الثامن

اديل ـ انطونيا

انطونيا تدخل مهتاجة وثائرة ـ اللعنة على فرانسوا ! .. اللعنة على هذا الغيور البخيل!

انه اوغد !.. انه لسافل !.. انه لمتوحش ! .. تصوري ان الغيرة اعمته ، فثار علي ثورة هائلة لان صديقا لي اعترضنا في الطريق وحياني .. ثار علي ثم انصرف في وقاحة وهو يسبني . تخليت من اجله عن هنري واذا هو في استبداده وغيرته وطغيانه شر الف مرة من هنري .. ان الرجال مجانين .. كلهم مجانين . لا يريدون ان يفهموا ان المرأة متى اشتريت بالمال فهي لا يمكن ان تعطي الا على قدر المال ..

اديل ـ واذن فقد انصرف هنري وانصرف فرانسوا ؟ ...

انطونيا ـ لا تحزني ... كلاهما عاشق وكلاهما شهواني ، وكلاهما ضعيف .. وسيعود كل منهما صاغرا ، وسيقبل كل منهما موطىء قدمي ... وعندئذ سأعرف كيف أؤدبهما وانتقم منهما ، واجعلهما لعبة في يدي ، او خاتما في اصبعي ، او حذاء في قدمي ...

اديل ـ طيبي نفسا واهدئي .. الحياة جميلة ، والشاعر هنا ... ادخل .. ادخل يا مسيو اندريه ... « يدخل اندريه منكمشا ومضطربا ثم يتمالك نفسه ويتقدم صوب انطونيا في عزة وثبات . فتبتسم اديل ابتسامة مشفقة متهكمة وتسرع بالخروج » .

المشهد التاسع

مذكوران

انطونيا ـ كيف اجترات على دخول بيتي بدون اذني ايها الفتى ؟

اندريه ـ استأذنت الحب فاذن لي .

انطونيا ـ انت والحب والشعر ، ساطردكم جميعا ...

اندريه ـ والهواء يا سيدتي ؟ .. أفي وسعك ان تغلقي النوافذ ؟ .. انك لو طردتني من الباب فسأثب من النافذة ..

انطونيا ـ ولو اغلقت النافذة ؟ ..

اندريه ـ انقطع الهواء واختنقت صاحبة البيت ..

انطونيا ـ انت ظريف وجميل .. ولقد اعجبني في شعرك صدقه وحرارته وحلو رنينه ...

اندريه ـ انت التي اوحيته .. انت الجمال والسحر ، انت البراءة والطهر ... انت فسحة الدنيا وانت اعماق البحر ... منذ عرفتك في بيت ذلك الرسام صديقي وعيني المتقرحة لم تذق طعم النوم ..

انطونيا ـ واذا رأيت رجالا اخرين يعجبون بي ، فماذا أنت صانع .. هل تستبد بك الغيرة فتثور انت ايضا وتجحد فضلي وتتنكر لي ؟ ..

اندريه ـ خلق الجمال فتنة للناس جميعا، وليس مثلي من الحماقة بحيث يحول بين الناس وبين التمتع به ..

انطونيا ـ هذا كلام عظيم .. كلام يدل على عقل وحكمة .. انت تروق لي يا اندريه. شعرك بديع وشبابك ابدع .. فتعال .. ادن مني .. اجلس بجانبي .. هنا ..

« وتميل اليه وتوشك ان تعانقه ولكنها تسمع صوتا منبعثا من الخارج ، فتنهض لفورها وتصيح بالشاب » عد الى المطبخ .. عد الى المطبخ حالا .. وانتظرني هناك .. « ويخرج اندريه فتفتح انطونيا باب الصدر فتبصر نفسها امام صديقها الاول هنري وجها لوجه » .

المشهد العاشر

مذكوران

انطونيا مقتبطة وهي تتمالك نفسها لتخفي سرورها وتتظاهر بالغضب ـ انت ؟! .. ماذا تريد ؟ .. ماذا جئت تفعل ؟ .. ألم تصلك رسالتي ؟ .

هنري ـ كيف طاوعك قلبك على كتابة تلك الرسالة ؟ ... أانا استحق ذلك منك يا انطونيا ؟ .. ان عباراتك القاسية النابية سامتني شر ضروب العذاب .. حرام .. حرام عليك .

انطونيا ـ انت المسئول لا انا ..

هنري ـ ولكن ماذا فعلت ؟ .. واية جريمة ارتكبت ؟ ..

انطونيا ـ اذا كنت تعتقد انك بريء فاولى بك ان ترحل .

هنري ـ امصرة انت على اعتباري مذنبا ؟

انطونيا ـ وهل في هذا شك .. انا امرأة اكره الاستبداد والغيرة .. اكره التسلط والحيازة .. اريد ان اكون حرة في تصرفاتي لا رقيب علي غير ضميري .. فيجب ان تثق بي ، ان تطمئن الي ، ان ترحب باصدقائي ، ان تحترم نفسك وتخنق غيرتك وتصون كرامتك وتكتفي بما اعطيك ولا تسالني بعد ذلك عن شيء او تحاول التدخل في أي شيء .. هذه شروطي .. ففكر فيها وشاور عقلك . واياك ان تظن اني قد اسعى اليك واتهافت على مالك واترامى تحت قدميك .. هناك عشرات من ابناء الذوات يتمنون الانفاق علي مع النزول على حكمي والخضوع لارادتي .. فاذهب .. اذهب وشاور عقلك .. ومتى ثبت الى رشدك عادت انطونيا فمنحتك من مفاتن الحب ومباهج الدنيا ما لا اظن انك قد نسيته يا هنري . « وتدنو منه فجأة ، وتتململ من موجة حر طارئة ، فتفك بعض ازرار ثوبها ، وتدع أطراف الثوب تتساقط عنها ، فينكشف صدرها الناهد الفض ، وتبرز ذراعها البضة المتألقة . فتلمع عينا هنري ، ويهرع اليها ، ويهم بان يضمها . ولكنها تضحك وتتراجع وتومىء باصبعها الى الباب » .

انطونيا ـ اذهب .. اذهب وشاور عقلك .

هنري ـ لن اتخلى عنك ابدا .. ساطيعك في كل شيء .. سأمتثل لحظي ، ساكون اصم وابكم واعمى .. وعسى ان تقدري يوما عذابي وتشفقي علي وتفكري من تلقاء نفسك في ان تكوني لي وحدي . امسرورة انت ؟ .. لقد اتفقنا . اليس كذلك ؟ .. اتفقنا وانتهى كل شيء ..

انطونيا ـ لا .. لم نتفق بعد .. انا لست امرأة مترخصة وشائعة ، كما انك لست رجلا يعبث بالكلمة وينكث العهد .. لن تظفر مني حتى ولا بقبلة الا بعد ان تفي بوعدك وتجيئني ببوليصة التامين ..

هنري يبرز من جيبه ورقة ـ هذه هي البوليصة !..

انطونيا تندفع وتختطفها ثم تنظر فيها وترسل صيحة مدوية وهي تعانق هنري ـ يا حبيبي ! « وفي تلك اللحظة يسمع من الخارج صوت فرانسوا فتختلج انطونيا وتومض في عينيها ابتسامة وحشية وخبيثة. وتسرع الى باب الصدر حيث يبدو فرانسوا وقف بعتبة الباب ، منصوبة القامة ، مرفوعة الرأس ، شامخة متحفزة متحدية » .

المشهد الحادي عشر

مذكوران ـ فرانسوا

انطونيا لفرنسوا ـ لن تدخل .. لن تدخل هذا البيت ابدا .. اني اكرهك ، اكرهك .. اتظن اني غسالة او بوابة او بائعة سمك او من نقابات الازقة والدروب كي تمتهنني في عرض الطريق ، تحقرني على ملأ من الناس ؟ .. انا اشرف من اية امرأة يمكن ان تتزوجها ! .. لن تدخل بيتي ! .. اذهب ! ..

فرانسوا يدفعها في رفق ويدخل فيبصر هنري ـ آه .. انه هنا ؟ .. لقد عاد ؟ ..

انطونيا ـ عاد بعد ان تأدب وتعقل واعتذر. فصفحت عنه . اما انت فلن اصفح عنك ابدا . اذهب ..

فرانسوا يخرج من جيبه محفظة نقوده ، وفي صوت جهير وقد عز عليه ان يطرد امام غريمه وان يتفوق عليه هذا الغريم ويسلبه المرأة التي يحبها ـ تكرمي .. تكرمي يا انطونيا بقبول هذه الهدية المتواضعة مشفوعة بخالص اعتذاراتي ... خمسين الف فرنك .

انطونيا تصرخ مترفعة وهي ترمق الاوراق المالية بعينين متلهفتين ـ الن تكف ابدا عن اهانتي ؟ .. امثلي تشترى بالمال ؟ .. رد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزهر مفرط في ضياعه

*

حتى الحنين
اليوم لا اقوى عليه ، فأي شيء تبتغين ؟
أنا ذلك القمر الشتائي الحزين
صندوق ذكرى مهمل . صدأت بزخرفه السنين
أنا ذلك الصفصاف تهرمه الفصول فيستلين
لا ظل لا حلوى سوى
عش تعلق حين جف الغصن حين

أوتذكرين ، اتكتبين ؟
الشعر كالدنيا ضنين
يمتص حتى النبض لكن لا يلين

ما زلت حتى باسم طيرك تجهدين
اكبرت يا ريا فما اقسى السنين !
وانا البعيد ، وانت يوما بعد يوم تكبرين

يا دورة الزمن انتظار
يا صبح قف . يا ليل قف
دعني اراها وهي تكبر كل حين
دعني أرى قاموسها اليومي ينضج كالثمار
أنمو نمو البرعم المتجدد
معها .. واكبر .. كم سأصغر كل حين !

لندن

صلاح النيازي

نقودك الى جيبك واقترب مني .. ارهف السمع جيدا .. ليس المال هو غايتي بل الحياة .. الحياة الحرة .. الحياة الطليقة .. الحياة الوادعة الناعمة الرغدة السعيدة في صحبة اصدقاء لا يعرفون الغيرة ولا التسلط ولا الاستبداد ، اصدقاء متزنين ومتفاهمين ومنسجمين وعقلاء ، يحبونني واحبهم ، ويملأون الجو حولي بهجة وسرورا هذا ما انشده .. فاذا صادفت هذه الحياة من نفسك هوى ، واردت ان تندمج فيها وتنعم بها ، فلا تكن غيورا وتقدم .. اولا وقبل كل شيء وصافح هذا الرجل .. صافح هنري ووطن العزم على ان تراه هنا في اي وقت وفي اية لحظة ، وترى غيره ايضا .. تقدم اذا كنت حقا قد ارعويت وتعلقت ..

« فرنسوا يتراجع مشمئزا وقد انعقد لسانه حيرة وخجلا ثم يستجمع قواه ويهم بالخروج . ولكنه يشعر انه لو فعل فسيفقد المرأة الى الابد . فيتردد ويتلكأ . فينهض هنري ، ويدنو منه ، ويربت على كتفه وهو يبسط اليه يده » .

هنري ـ هون عليك يا عزيزي .. أية فائدة من التصلب والتعنت .. انها هكذا ... ويجب ان نطيعها .. يجب ان نقبلها على علاتها .. ومن يدري فقد تتغلب انت في غد علي ، وقد تحبك انطونيا غدا وتطردني انا .. فاجلس ولا تحزن .. ولنكن اصدقاء .. هات يدك ... « فرانسوا يصافحه وهو جامد ذاهل » .

انطونيا هاتفة ـ هكذا اريد ان اراكما ! .. هكذا احب ان يكون اصدقائي ! .. « وتميل الى فرانسوا وتلاطف خده بأناملها » لعلك لم تنس هديتك .. الخمسين الف فرنك .. ما شككت لحظة في انك لا بد ان تخرج على مألوف طبعك ، وانك مثال الكرم والسخاء .

فرانسوا محرجا ـ هذه هي ...

« ويقدم أليها المبلغ » .

انطونيا ترتمي على الاوراق المالية ملهوفة ، وتعانق فرانسوا في شغف ـ يا حبيبي ! .. « ثم تصيح بأعلى صوتها » ادبل ... هات شرابا .. واذا كان الشاعر الظريف المسيو اندريه دي لاتور قد وصل فادخليه الى هنا ... من باب الصدر ... « فيبهت هنري وفرانسوا ويتبادلان النظر . وعندئذ يدخل الشاعر الفتى . فما أن يرى الرجلين حتى يجفل ويرتبك ويتراجع » .

انطونيا ـ لا تضطرب يا فتى .. انت تعرف السيدين ولا شك . فاجلس .. اجلس بينهما .. اجلسوا انتم الثلاثة .. اجلسوا يا اصحابي .. كم انا سعيدة بأن اراكم عقلاء وطيعين ومتفاهمين ومنسجمين ... الشراب يا ادبل .. « وتدخل ادبل حاملة صينية ، عليها زجاجة وبعض اكواب . فتصب انطونيا الشراب في الاكواب وتقدمها للجميع » .

انطونيا لفرانسوا وهي ترفع كوبها ـ في صحة عمك ! ..

الشاعر ـ في صحة الحسناء الفاتنة الظاهرة انطونيا عروس الالهام والشعر ..

أديل على حدة ـ يا لها من فاجرة وداهية! ... لقد وفقت بين الثلاثة ، وجمعتهم ، واخمدت غيرتهم واخضعتهم صاغرين لسلطانها ! ... « وتلعب الخمر برؤوس الرجال ، فيضجون ويمرحون ويطلبون ايضا خمرا . فتسرع انطونيا وتلحق باديل، وتهمس في اذنها ... هات الان من الخمر الرخيصة، الخمر الرخيصة .. اتفهمين ؟ ..

ثم تكر راجعة ، وتنظر الى الرجال في احتقار عميق مشوب بالتهكم والسخرية ثم تقول وهي تختلج وتتشفى :

ـ الحمقى المغفلون يؤخذون هكذا ! ...

ثم يشرق محياها فترتمي في غمرتهم وهي تقهقه .

مصر الجديدة

ابراهيم المصري

بين التضمين والرمز

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

عندما يستعمل الاديب، او الشاعر اسماء الاعلام المختلفة، من ابطال ، او رجال مجتمع ، او اقاليم ، او مدن ، ليس من الضروري ان يكون (السرد) لاخبارها ، او لنبذ عن خصالها مقوما لنصه الادبي ، او اسلوبه .. ذلك ان الاديب ، وخاصة الشاعر يستعين في كثير من الاحيان بهذه الاعلام ، لما توحيه فعالها ، وخصالها ، يدعم به تعبيره ، وتلقينه ..

و (التضمين) حقا ، كما شرحنا ذلك (١) يشترط توفر السرد لحدث وقع فعلا لعلم من الاعلام ، ولكن كثيرا ما يرد ذكر هذه الاسماء في تقرير عادي ، او تشبيه ، او تمثيل ، وهذا الذكر ليس تضمينا .. واذن لا بد من لفت الانتباه الى أنه في احوال استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع في التضمين ، ان مجرد الاستعانة بأسماء الاعلام ، او بعض فعالهم وخصالهم من اجل التشبيه ، او التمثيل ، مثل مجرد الاشارة الى الموضوعات المتعلقة بهم (٢) ، وبسيرتهم من ادوات او حاجيات ، هو خطوة نحو الرمز ، والرمزية ، لانه خطوة نحو المعنوي ، والمجرب ، وعلى الخصوص اذا لم يتوفر السرد التلميحي الصحيح الصريح لحدث وقع فعلا .

لنضرب على ذلك مثلا شخصية (شهرزاد) ، انها انثى حكيمة من التاريخ الشرقي ، ولها فعال ، وخصال ، هذه الشخصية مع تعاقب الشهرة ، والتمثيل صارت (رمزا) لحكمة المراة ، ودهائها ، كما ان لياليها، ومخدعها، وحكاياها ، وهي موضوعات من سيرتها ، صارت رموزا للصبر على التعسف ، والمداراة للظلم ، وهكذا دواليك ..

وكذلك هي الحال مع اية شخصية كبرى اخرى ، وموضوعاتها ، مثل : تموز ودمه ، وأوزيريس وتابوته ، وموسى وعصاه ، والسندباد واسفاره ، وشهريار وخنجره ، ونيرون وحرائقه ، وعنترة وكره ، وقيس وليلاه ، وغير ذلك .. هذه الشخصيات هي من ذاتها تحمل مدلولات معنوية ، وتستعمل لهذه المدلولات المعنوية ترمز حالات معنوية يريد الشاعر تلقينها ...

ان استعمالها في هذه الاحوال المعنوية التلقينية استعمال رمزي ، حتى انه لو سردنا عنها ، فالتضمين السردي الصريح التلميح الذي يسرد وقتها شيئا من فعالها يكون مشوبا بفلائل المعنوية الرمزية ، حسب التعريف (٣) .. لنقل ، بعبارة اخرى ، ان استعمال هذه الاسماء الاعلام ، او الموضوعات المتعلقة بها ، عندما يكون لمدلول معنوي ، من مدلولاتها المعنوية ، فالاستعمال للتو ، يدخل في دائرة الرمز ، والرمزية ..

وقد راينا ان (الاضافة) في استعمال اسماء الاعلام ، كما في قولنا ، شهرزاد الحكايا ، او ذراع السندباد (٤) ، لا تحتم قيام (التضمين) ، والذي بدوره يستوجب السرد لحدث وقع ، وذلك من حيث ان الاضافة ترفع العلمية والتاريخية عن هذه الاعلام ، لتدخلها في دائرة الرمز والرمزية ، وتطبعها بطابع المسار النفسي التلقيني للشاعر ، وهنا في بلاغة استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع في التضمين ، لا بد من تبين مقوم السرد في التلميح ، فاذا لم يتوفر ذلك ، ولم يلمح الى سرد وقع فعلا ، ظللنا في مسار نفسي تلقيني لسرد متخيل ، او متوهم ، وبالتالي اضطررنا الى تحوير تلقيني يخرجنا من التضمين ، لندخل للتو في الرمز ، والرمزية ..

ذلك ان من الشعراء من يستعمل هذه الاسماء الاعلام ، وما يتعلق بها ، في سياق تعبيرهم عن تجربتهم الذاتية الشخصية، وليس ليضمنوا اخبارا قديمة وقعت، وهذا الاسلوب شائع جدا اليوم في الشعر الحديث ، انه بالاحرى رمزية ، وليس تضمينا سرديا .. والمسالة اذن ، كما في تعريف الرمز والتضمين (٥) ، ترجع الى الموضوعية ، والذاتية : ان التضمين السردي يستلزم (الموضوعية) ، وايضا التاريخية ، والعلمية في الاساس ، في حين الرمز ، والصور الرمزية من تشبيه رمزي ، او استعارة رمزية ، او تمثيل رمزي ، او مثل رمزي ايضا ، فهي بالاحرى ذاتية استبطانية توحي بالمدلولات المعنوية ، من خلف الرموز الحسية ..

فمثلا ، عندما يقول الشاعر « محمد الفيتوري » :

ويطل يسوع
الثلج يغطي بردته البيضاء
ويموج الهيكل بالاضواء
ـ ها أنت أتيت
غريبا يقطر وجهك حزنا حيث مشيت ..
مسيرة الفي عام
ويغيب يسوع ..

التمثيل هنا رمزي ، لمدلولات انسانية ، يجسدها يسوع ، والتعبير رمزي ، لا تضمين فيه ، رغم انه يستنطق هنا الرمز ، ويحاوره ..

وفي قول الشاعر « الياس الفاضل » :

أيتها الكلمات ، صيري احجارا وبنادق
صيري خطايا ، ومثالب ،
واطلعي طوفانا ، ونوحا جديدا ..

ان استعمال اسم العلم في هذا المثال : نوح جديد ، وما يتعلق به من طوفان ، لا تضمين فيه ، وانما هو مجرد

تنشيط للخيال ، والوجدان بواسطة الشهرة والعلمية . أي استعمال (رمزي) في مدلولات معنوية ، تفسرها أمنية الشاعر الفاضل ان تكون كلماته خطايا ومثالب ، وايضا طوفانا مطهرا ، ونوحا جديدا ..

لنستمع الى قول الشاعر « خليل خوري » :

قامت بابل ، سقطت بابل
سقطت بابل ، قامت بابل
والى ابد بضمر ، سنظل نشيد لنا بابل
سنظل نذيب النيلوفر
ونريق الايمان الاحمر
لكن عبثا عبثا نغزو سر الشمس ..

الشاعر هذا يلجأ الى المثل الرمزي ، بدليل انه يقرن عملية الاشادة لبابل بتجربتنا الذاتية ، ثم عجزنا عن غزو سر الشمس .. التعبير هنا لا تضمين فيه ، وهو بالاحرى ، من صور الرمزية الشعرية ..

وكذلك عندما يقول الشاعر « عبدالوهاب البياتي » :

بابل لم تبعث ولم يظهر على أسوارها المبشر الانسان
ولم يدمرها ولم يغسل خطايا اهلها الطوفان
ولم يقم من قبره عبر الفرات سارق النيران ..

تعبير (بابل) هنا في سياق الاسلوب كله ، لا يحيل الى تاريخية او موضوعية ، وانما هو تعبير رمزي ، في شتى هذه الاوصاف ، لمدلولات معنوية تلقينية ..

لنلاحظ اذن ان استعمال الاسماء (الاعلام) ، والموضوعات المتعلقة بها يتأرجح بين التاريخية الموضوعية ، وبين الذاتية الشخصية عند الشاعر الواحد ، وان استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع ، او التي توحي بخصلة من خصال علم من الاعلام هو نفسه يتحور عن موضوعيته ، حسب المسار النفسي التلقيني للشاعر الواحد ..

ومن هنا نجد ان الرمزية في النص الواحد يوجدها سياق التعبير عن التجربة الشعرية بواسطة (أفعال) توحي بالذاتي والشخصي ، وتحور ايضا التاريخي والموضوعي ، حتى تذهب في بعض الاحيان بالعلمية ، وموضوعيتها القديمة ..

يقول الشاعر « علي كنعان » :

رحمة بي يا مسيحي
فاتني ، بل لم يكن لي (فلك نوح)
مد لي كفك
فالطوفان يرغي حول روحي ..
قطعا ، الاضافة في (فلك نوح) ، كما شرحنا ذلك (٦) ، رفعت العلمية عن هذا الاسم العلم لتدخل التعبير في دائرة الرمز والرمزية ، ومع ذلك (الافعال) هنا لا تدل على حدث وقع في التاريخ ، وانما توحي بأحوال نفسية معنوية .. الذاتية هنا واضحة ، والطوفان نفسه رمز لاستبطان نفسي مباشر ..

يقول الشاعر « الياس الفاضل » :

الارض بور ونحن نرش البذار على الصخور
وأمضي ، وتمضي معي ذكرياتي ..
مطرا يتساقط على جبيني ..
وانا عار ، ارتجف من البرد
وعلى بقايا روحي يغسل (بيلاطس) يديه ..

اتجاه المسار النفسي الفني في هذا المثال اتجاه ذاتي بوحي ، ولذلك لا عجب ان يكون استعمال (الفعل) الدال على حدث وقع لبيلاطس ، وهو غسل اليدين رمزا للبراءة ، ظل هو نفسه رمزيا ، بفعل الوصف الذاتي المطرد في تصوير مواجهة الذات للوجود والواقع .. ولا تضمين في هذا المثال ، وانما استعارة مكنية رمزية توحي بمدلولات معنوية من معانقة ذاتية شاملة لتجربة (البراءة) ..

ولنضرب ، الان ، أمثلة على استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع ، في التضمين السردي ، يقول (فرج مكسيم) :

حضارة الانسان مثل الشمس لا تموت
قد حاول التتار ذات يوم خنقها
فاحترقوا في سرها العظيم
وانتصرت حضارة الانسان ..

ان تراكيب (حاول التتار خنق الحضارة ... واحترقوا في سرها) .. ابسط التراكيب الواضحة عن تضمين افعال اقوام من الغزاة الفاتحين جنوا على الحضارة في بغداد ، وابيدوا وبقيت بغداد ، وبقيت الحضارة .. التلميح هنا حقا غير مفصل ، وغير معين ، ولكنه مفيد ومعبر ويوحي بالعظة ..

يقول الشاعر « موريس قبق » :

مولوخ معبود الشهوة ..
محصول عبادات الاجساد ديانات الجنس العاهر
يتعرى .. يبرز اردافا لسعتها اسواط النزوة
يغزو غابات يتحرى احواض صديد ويكابر
لا أيا كان ..

ثم يقول اثر ذلك :

وكان ان تدلهت فينوس
آلهة الجمال حتى بانهدال الثوب والتعري

---

(١) ـ راجع عدد فبراير ١٩٦٩ من (الاديب) الغراء والاعداد التي يحيل اليها في عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ . (٢) ـ مثلما يمكن اعتبار الاعلام المشهورة رموزا لمدلولات معنوية ، فان الموضوعات المتعلقة بها ، وحاجياتها يمكن اعتبارها رموزا لمدلولات معنوية ايضا .. (٣) ـ ذكرنا في الاعداد السابقة في تعريف (الرمز) استلزامه مستويين مغايرين احدهما للاخر ، احدهما حسي ، والاخر معنوي يقرن الرمز بصورته الحسية بينهما .. (٤) ـ راجع عدد ابريل ١٩٦٩ من (الاديب) الغراء . (٥) راجع الاعداد السابقة المنوه عنها فوق في «(١)» و «(٣)» . (٦) ـ راجع عدد ابريل ١٩٦٩ من « الاديب » الغراء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امـــي

روحية القليني

* * *

من ذا سيؤنس وحدتـــي من بعد فرقتك السريعـه
ويضمنـــي بالساعديـــن بنظـرة الام الوديعـــــه
ويهـــدهـــد القلـــب الحزيـــن كانني تلـــك الرضيعه
مـــن ذا سينزع مـــن خيالي ليلـــة المـــوت المريعـه
يـــوم اســـترد اللـــه جـــل جلالـــه اغلـى وديعـه
كـــم مـــن ليال حالكـــات كنت فـــي ليلـــي شموعه
ردي اهنـــت عليـــك يـــا امـــي فآثـــرت القطيعـــه

ودخلـــت حجرتـــك الحبيبة علنـــي احظى بكلمـــه
لـــم الـــق الا وحشـــة لم الـــق فيهـــا غير ظلمـــه

بينما زيوس لا يني يحتبل الطهاره
يفترس النساء في سواحل الدعاره
ويقلع الصاري العتيق يولج الجديد
في مرافىء تضج باليخوت ..

السرد عن الخصال ، او للفعال في هذا المثال واضح عن هذه الالهة الوثنية ، مولوخ اله الجنس في صور ، ثم فينوس آلهة الجمال ، وزيوس اله النور .. وهـــذا الاسلوب يؤلف في مجموعه ، صورة بلاغية اسلوبية عند الغربيين تسمى (الاسطورة) ..

وتركيب (تدلهت فينوس لتعري مولوخ ..) يوحي حقا بشيء من المشاركة الذاتية ، والتعميم الرمزي ، ولكن يظل السرد اسطوريا يتضمن الفعال والخصال القديمة ، وهو تضمين صريح ، ولذلك اقترح تسميته بـ (التضمين الاسطوري) ، وهو شائع جدا اليوم في الشعر العربـي الحديث ، ويعتمد على السرد الاسطوري الصريح ..

يقول الشاعر « عبد الوهاب البياتي » ، في حـب فـاشـــل :

عندما معجزة القديس لم تنفع ، ولم ينفع عويـل الساحرات
بعد ان سرنا وسار النهر في جثة (تموز) الـــى البحـر البعيد
عـــاد يطفو من جديـــد
حاملا تاجا من الليلك والعشب وأزهار جبال المستحيل
وعلى تابوته النهري طارت بجعة ، كادت وهمت بالرحيل
وعلى الشطآن أضواء قناديل الربيع
وعويـــل الكهنـــة
تحت اقواس رماد الازمنة
وهم يبكون (تموز) القتيل
حاملين القمر الميت في موكب (عشتار) الجليل
آه من ليـــل المحبين الطويل ..

ويعود يكرر نفس المعاني تقريبا بأسلوب تقريـري صريـح ، فيقـول :

.. فلماذا خذلتنا يا الهي الكلمات
عندما معجزة القديس لم تنفع ولم تنقذ هوانا الصلوات
وعويـــل الســـاحـــرات ،
وهي في المذبح بعد العاصفة
تتمدى في عيوني خائفـــة
لم نقـــل شيئا وسار النهر للبحر البعيد
وافترقنـــا ، والتقينـــا
وابتدانـــا مـــن جديـــد !! ..

ان (التضمين الاسطوري) واضح جدا في القسم الاول من هذا المثال ، وهو نفسي رمزي ، ويقوم علـى سرد (اسطورة) تموز الحب والحياة ، وموته ، وجريان دمه في النهر الى البحر ، ثم عودة الربيع الى الشطـآن وغـير ذلـك ..

وقد تعاطف الشاعر البياتـي مع أحـداث هـــذه الاسطورة ، وجعلها رمزا للفشل في الحب ثم العودة الى شاطىء الابتداء من جديد ، والقسم الثاني التقريـــري صريح التعبير في ذلك .. وفي الاعداد القادمة نتابع جرد أحوال التضمين ، وأحكامها ..

دمشق **عدنان بن ذريل**

وبقيـة مـن عطر روحك هدهدت في القلب همـه
فسالتها ايـن الحبيبة هل قضـت دينـا وذمـه
قالـت اجـل بعـد الصلاة وقد قضت لله صومه
راحت بشـهر الصوم والدعوات للرحمن حكمـه
راحت اعز علي من نفسي قضـى الخـلاق حكمه

وعـدت كذكـرى في القلـوب ونعـم ذكراها النقيه
من بعـد ان مـلأت حياتـي بالاغاريـد الشجيـه
بـل قصـة قـد سجلت بالنـور ايامـا وضيـه
قـد علمـت ابناءهـا وبناتهـا الـروح الابيـه
سهرت عليهـم بالدمـوع والابتسامات السـخيه
بذلـت لهم مـن غـيرة من عمرها الغالي هديـه
لاقت جـلال المـوت في زهد مـن الدنيا رضيـه
وعلى الوسادة دمعتـان تعـبران عـن الوصيـه
الا ننـوح ونذكـر الام التـي راحـت تقيـه

قـد اقبـل العيـد السعيد ولست يا امـي سعيده
والكـل يرفـل بالسـعادة والامـاني الرغيـده
لكـن فراقـك هدنـي واحالني حـيرى شريـده
قدري يعاندنـي وعطفـك في حياتي لـن يعيـده
هل في الورى قلب كقلـب الام ، احـلام بعيـده
انـا في الوجود بـلا وجودك دائما حـيرى وحيده
حتى الدموع تحجرت من لوعتي وغـدت عنيـده
حتـى التصبر خاننـي والصبر لا القـى وجـوده

كم كنت اهـوى البيت اسرع نحـوه حتى اراهـا
في كل ركـن كان دفء حنانها وسـنا سـناهـا
في كل شبر كان نبع عطـائهـا ونـدى نداهـا
اعبـاء يومـي كلهـا كـم هدهدتهـا راحتاهـا
وبدمع عينـي ثرة بالعطف كـم مسحت يداهـا
انـا لا اطيـق البيـت ادخلـه ولا القى بهاهـا
لتمـد لـي يدهـا اقبلهـا والثـم بعد فاهـا
يا قبر لـم ترحـم وليس بوحدتـي قلـب سواها
لـو ان هـذا القبـر ذاق البـين ـوما ما طـواهـا

في اضلعـي ذكرى فراقـك يا حبيبـة كالحريـق
يا رب كيف اعيش دون حنانهـا انـا لا اطيـق
يا كل شـيء في حياتي قد ضللت هدى الطريـق
من بعـد ان فارقتني وتركـت بنتـك كالغريـق
من غير ان توصـي بهـا وبشانها القلـب الرقيـق
ومـع الامومـة يا حبيبة كنت لي نعـم الصديـق
سـأظل اشرب مـر كـاس مـن اسـاه لا افيق
سـأظل حتى نلتقـي ويضمني القلـب الشفيـق

مصر الجديدة — روحية القليني



كمال رستم

اضواء على الرواية الجديدة

بقلم لوران لوساج

عرض وتلخيص : كمال رستم

* * *

يفرغ القارىء من قراءة رواية من الروايات التي يطلق عليها اسم « الرواية الجديدة » فلا يملك نفسه من التساؤل : ما الذي خرجت به من هذه الرحلة الشائقة التي قطعتها مع المؤلف ؟ ان هذا التساؤل يلح على كل قارىء لهذه الروايات .. انه في حاجة لان يعاود القراءة من جديد .. انه هنا امام شيء جديد يكتنفه الغموض من كل جانب ، حتى بطل الرواية يرمز اليه بالحرف الاول من اسمه لان المؤلف يحرص على ان تظل شخصية البطل مجهولة .

ان مؤلف الرواية الجديدة ليس مؤلفا عاديا لسبب بسيط ، وهو ان قارىء اليوم لم يعد قارئا عاديا .. انه قارىء ذكي لماح فيجب ان نقدم اليه اعمالا في مستوى ذكائه ولماحته .. اعمالا تتجاوز المألوف لديه من اعمال بلزاك وفلوبير الى اعمال في مستوى أعمال كافكا وجيمس جويس وبروست وفوكنر .. باختصار نقدم اليه الرواية الجديدة le nouveau roman فما هي هذه الرواية التي أثارت ولا تزال كل هذه الضجة في الاوساط الادبية، وما تاريخها وما هدفها وما هي أهم خصائصها ؟ يجيب عن هذه الاسئلة كلها لوران لوساج Laurent Le Sage في دراسته القيمة التي قدم بها لاعلام الرواية الجديدة في كتابه الذي أطلق عليه اسم « الرواية الفرنسية **الجديدة** » ونحن ننقل للقارىء اهم النقاط التي تضمنتها هذه الدراسة الجادة .

تاريخ الحركة واعلان اهدافها :

ظهرت الرواية الجديدة لاول مرة في منتصف الخمسينات من هذا القرن واستطارت شهرتها بعد ذلك باعتبارها ظاهرة طليعية حتى اضطر الاتحاد العالمي للدراسات الفرنسية في اجتماعه السنوي سنة ١٩٦١ الى ان يضع الرواية الجديدة في برنامجه واقبل الادباء من جميع انحاء العالم ليناقشوا الاتجاهات الحديثة مع ميشيل بيتور وبيرنار بينجو ، ولا شك ان ظهور قصة المساحات « الاساتيك » في سنة ١٩٥٣ لألان روب جرييه كان علامة بداية هذه الحركة التي استرعت انتباه النقاد الى كاتبها العالم الشاب ، وبالرغم من انهم لمسوا فيها صدى كافكا وسيمينون وجراهام جرين فقد اتفقوا على ان الاهتمام غير العادي بالاشياء وتجاوز الاخلاقيات والعلاج الفذ للزمن ، كل اولئك ميز العمل الجديد من الاعمال الاخرى .

ولقد تحدث روب جرييه نفسه عن اصالة عمله فقال انه الف رواية دون ان يلجأ الى حيلة علم النفس في عرض شخوص رواياته ودفع العقدة وان روايته رواية وصفية علمية ، وبالرغم من ان روب جرييه يؤكد انه يكتب اولا ثم « ينظر » اي يضع النظرية بعد ذلك ، فان اصالة قصته تعتمد اساسا على معنى جمالي من نوع خاص من المؤكد انه لم يأت عرضا، واكثر من ذلك ان روايته تتضمن احكاما فلسفية محددة كما يظهر فيها اثر قول جان بول سارتر : ان العمل الروائي يؤسس دائما على الموقف الميتافيزيقي للمؤلف ، وقد أولى رولان بارثيس المتحدث الرسمي باسم روب جرييه المضامين الفلسفية «للمساحات» اهتماما كبيرا وذلك في مقال له ظهر في عدد شهر يوليو سنة ١٩٥٤ من مجلة « الكريتيك » وقال ان الاشياء التي لا تتناسب مع مفزاها العادي في الرواية لا دلالة لها ابدا وهي ليست ذاتية كما انها لم تستعمل ابدا استعمالا استعاريا . ان « المساحات » في رأيه هي قصة رجل يمشي في المدينة لا افق له الا المنظر ولا قوة له الا قوة ناظريه ، « ففي هذا العالم الذي يعتمد اساسا على رؤية الشخص يظهر الزمان والمكان متغيران اما الداخلية » بكل تعبيراتها فقد قضى عليها تماما . وانتهى بارثيس الى القول بأن هذه الرواية بموضوعيتها التامة احضرت الفن القصصي الى خط فن التصوير المعاصر والسينما .

ومن ناحية اخرى يرى روب جرييه اننا يجب الا ننظر الى ظاهر الاشياء كقناع للحقيقة بل باعتباره الحقيقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوحيدة التي يمكن ادراكها . والعالم ليس ذا معنى ولا هو عبث .. انه ما هو . ان الاشياء هناك ومن الخطأ ان ننشر أنفسنا عليها او ان نشخص الطبيعة كما نفعل دائما .. ان قصاص اليوم يجب ان يقصر نفسه على وصف وقياس وتحديد الاشياء كما تظهر له ولهذه الغاية يجب ان نضع تكتيكا جديدا ولغة جديدة .

ولقد اثارت اقوال روب جرييه هذه ثائرة النقاد عليه ، فقد فند اندريه روسو وروبرت كيمب وفرانسوا موریاك نظريات روب جرييه وسخروا من « مناقشاته المعملية » وقد أفاد روب جرييه من هذا الهجوم الذي لفت اليه انظار الجمهور واصبحت الرواية الجديدة موضوع الساعة ، ويناقش النقاد من الخصوم والانصار الرواية الجديدة واعتبروا روب جرييه رائد الحركة الجديدة ينضوي تحت لوائه طائفة مختلفة من الكتاب اكثرهم جدد وغير معروفين . ومنذ اللحظة الاولى لظهور الحركة بدأ النقاد يبحثون عن اسم مناسب لها فسماها سارتر في مقدمته لرواية ناتالي ساروت «صورة مجهول» « الرواية المضادة » Anti roman بينما فضل نقاد كبنجيه Pinget وبيسيت Bessette ان يطلقوا على الحركة اسم حركة طليعية Avant - garde ورأى ناقد آخر هو جيتمان بيكون Gaetman Picon ان يسموا الحركة باسم الرواية التجريبية roman expérimental ورفض بيرنار بينجو اسم مدرسة النظرة Ecole du regard الذي أطلقه على الحركة ناقد آخر هو اميل هينريو لان هؤلاء الكتاب لا يوجد بينهم الا القليل المشترك الذي يجمعهم في مدرسة واحدة ، اما ناقد مجلة لوموند فقد فضل الاسم الذي اطلقه على الحركة رولان بارثيس وهو الادب الموضوعي Litterature objective أما موريس نادو فقد استعمل اسم الرواية الشابة jeune roman ووسع نطاق جماعة الشبان ليدخل فيها الكاتب المسرحي صمويل بيكيت والشاعر الجزائري كاتب ياسين وجاك كوسو وتحاشى تقرير نشر في عدد شهر فبراير سنة ١٩٥٨ من مجلة Arguments مشكلة الاسم باشاراته لها برواية اليوم roman d'aujourd'hui واعتمد التقارير اساسا على روب جرييه وميشيل بيتور وناتالي ساروت وان كانت قد وردت فيه اسماء جان كيرول وصمويل بيكيت وكلود سيمون ومارجريت دبراس أما مجلة Esprit فقد استعملت اسم الرواية الجديدة nouveau roman واوردت قائمة بالكتاب الذين يمثلونها وهم السبعة المذكورون بالاضافة الى كاتب ياسين وجان لاجروليه وروبير بينجيه ولا شك ان هذه القائمة غير ثابتة فان اسماء جديدة تضاف اليها كل سنة واحدث من انضم الى القائمة من الكتاب مارك سابورنا ، وجان ريكاردو ، ودانيل كاستيلان .

اثار روب جرييه اهتمام الجمهور بمحاضراته ومناقشاته التي أذيعت من الراديو ونشرت في الصحف والقيت من فوق منصات المحاضرات واشترك معه فيها كل من ناتالي ساروت وميشيل بيتور . هاهنا شرحت الرواية الجديدة ونوقشت واعلنت اهدافها . وفي عدد مجلة ريفي دي باري الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٩٦١ خاطب روب جرييه القراء من جديد مستعرضا اهداف مدرسته وتطلعاتها في لغة مباشرة سهلة ومعترضا على سوء التفسير الدائم لهذه الاهداف من جانب النقاد وبادر النقاد بالرد عليه وكان السؤال الذي يلح على أذهان النقاد هو : ما الذي يجمع كل هؤلاء الكتاب الجدد . ان ظهورهم معا دائما وقيام ناشر واحد بنشر مؤلفاتهم كل اولئك يوحي بجبهة متحدة الا ان هذه كلها عوامل خارجة وعارضة للوحدة ويجب ان يبحث عن الرابطة الحقيقية التي تجمعهم في اعمالهم ذاتها ، وهكذا اسرع بعض النقاد بعد ان لاحظوا الاختلافات الواضحة في كتابات هؤلاء الكتاب ـ الى الاتفاق مع روب جرييه على ان الروائيين الجدد اجتمعوا فقط على معارضة الرواية التقليدية او ما يطلقون عليه التقليد البلزاكي . هنا الاختلاف على ما يعترضون عليه فكلهم لا يحبذون التحليل النفسي في الرواية ولا الدراسات الاجتماعية ولا تأكيد الحكاية ولا الحيل التي تستهدف التسلية والهرب . ولكن هناك ايضا رابطة تربطهم وذلك في حبهم للرواية غير التقليدية كما يعرفها كافكا وجويس وبروست وفوكنر . هنا الرابطة الحقيقية والهامة فبالرغم من الاختلافات الفردية بين الكتاب الجدد فثمة تكنيكات اساسية معينة واهتمامات دائمة تكفي لان ينظر اليها كسمات مشتركة وتبرر النظر اليهم كمجموعة . هذه التكنيكات والاهتمامات أمكن التماسها اولا في كتابات روب جرييه : معالجة جديدة لشخوص الرواية . اغفال السياق الزمني للاحداث . اعطاء اهمية للاشياء والمكان . استبدال النموذج pattern بالعقدة . علاج جديد للديالوج .

وواضح ان التكنيكات الجديدة ليست مجرد طرق جديدة لعرض المادة القديمة انها حيل للتعبير عن ادراك جديد للرواية وموقف فلسفي خاص . تهدف الرواية الجديدة اولا الى تحطيم القديم . فعند سارتر الرواية الجديدة هي الرواية المضادة وعند روب جرييه القاسم المشترك الوحيد للرواية الجديدة هو رفضها الرواية التقليدية وهكذا قاد حملة التحطيم كل من روب جرييه في الصحافة وناتالي ساروت في مقالها عصر الشك ولكن ما الهدف ؟ الهدف هو الرواية البلزاكية ، الرواية التقليدية الرواية المألوفة الرواية السيكولوجية كما لو كانت كل هذه التعبيرات تعني شيئا واحدا . ولكن النقاد يرون ان هجوم روب جرييه على بلزاك باعتباره ممثلا للرواية السيكولوجية هجوم لا أساس له فعندهم ان قائمة من الكتاب الفرنسيين تبتدىء بمدام دي لافايت الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بروست يمثلون الرواية السيكولوجية اكثر من تمثيل بلزاك لها ، هؤلاء هم بحق الروائيون السيكولوجيون ولكن علم النفس ليس هو ما يهدف الكتاب الجدد الى تحطيمه انهم يهدفون بالاكثر الى تحطيم التكنيك الادبي . فاعتراض الروائيين الجدد ينصب اساسا على تدخل المؤلف ومن ناحية اخرى يرى النقاد الامريكيون بنوع خاص ان كتاب الطليعة الفرنسيين يقعون في التناقض حين يوجهون هجومهم الى علم النفس لان علم النفس هو موضوع كتاباتهم ويؤيد هؤلاء النقاد وجهة نظرهم هذه بقولهم انه عندما يضع مؤلف امريكي كتابا عن الروائيين الذين يكتبون بالانجليزية الذين يسبقون المدرسة الفرنسية والذين يتخذون الشعور مجالا لهم (جيمس ، وولف ، ريتشاردسون ، جويس ، فوكنر) فانه يدعو كتاب الرواية السيكولوجية كذلك ما هي الرواية التقليدية التي اتخذوها غرضا لهجومهم : اهي الروايات التي تأتي على مثال روايات مدام دي لافايت ام التي تأتي على مثال روايات بلزاك أم زولا ؟في الحق لا يوجد نوع واحد من الروايات التقليدية وربما كان اسم الرواية المألوفة conventional هو افضل اسم لهدف هجومهم لانه يبدو ان ما يقر في أذهان هؤلاء الروائيين الجدد هو رواية التسلية التي تطورت خلال القرن العشرين وهي الرواية التي تجمع التكنيكات المستمدة من التقليد الواقعي والتكنيكات المستمدة من التقليد التحليلي .. هذه الروايات هي التي يرفضها الجيل الجديد من الروائيين باعتبارها صورة سطحية وزائفة للحياة ، ولكن الكتاب الجدد نظرا لرغبتهم الطامحة في ايجاد شيء جديد فانه لا يوجد في الماضي شيء يرضي طموحهم . ويرى النقاد ان هذا هو سبب غموضهم وعدم ملاءمة تعريفاتهم وهذا يؤدي بالتالي الى زيف تمثيلهم للرواية الفرنسية في القرن العشرين . فالروائيون الفرنسيون المعروفون بدأوا في وقت مبكر جدا من هذا القرن يرفضون تعريفات الرومانسيين والواقعيين فكتاب ما بين الحربين وقد استوعبوا المدركات الجديدة للحقيقة والشخصية وجهوا الرواية من بلزاك وستندال ومن تلاهم من الكتاب حتى اناتول فرانس وبول بورجيه ، ان روب جرييه الح على انفصال عنيف من الماضي ، ولكن الحقيقة ان الرواية الفرنسية كانت منذ عدة سنوات تتطور نحو الرواية الجديدة . ويؤخذ على روب جرييه وزملائه انهم يتحدثون دائما عن الكتاب الفرنسيين العظام في القرن العشرين باعتبارهم مجرد مقلدين لبلزاك وهم حتى يتجاهلون في نقاشاتهم كتابا يعتبرونهم الاباء الروحانيين لهم مثل جيمس وريتشاردسون وجوزيف كونراد . فهنري جيمس وجوزيف كونراد حطما في الادب الانجليزي الرواية البسيطة المباشرة حين عرضا الحياة الذهنية لشخوص روايتهما وبذلك اخترعا تكنيكات مهدت للرواية الفرنسية الجديدة فاهتمام جيمس باعطاء وجهة النظر لا تقريرها ووضع كونراد الراوي في قلب الرواية ليفسرها وليحول مجراها كل ذلك كانت خطوات على طريق تطوير الرواية. وفي انجلترا ادركت فيرجينيا وولف قبل ناتالي ساروت الاعمال المتداعية القريبة للذهن وعدم استقرار الأنا كما خطا تيار الشعور على يد ريتشاردسون بالرواية خطوات ابعد بها عن تقاليد العصر الفيكتوري وقد كان هناك آخرون الى جانب فوكنر وجيمس في كتاب الطليعة الانجليز فالروائيون الفرنسيون الجدد يدينون بالسبق لهم . وان المرء ليتساءل أليس هو جان بول سارتر الذي اعترض على ان يكون المؤلف محيطا بكل شيء في الرواية وانه وجد مثلا فريدا على ذلك حينما اظهر كيف ان فوكنر في رواية « الصوت والغضب » عمل من خلال اذهان شخوص روايته ؟

والرواية عند ميشيل بيتور هي اداة للمعرفة . انها لم تعد بعد نزهة . الرواية هي اساسا وسيلة لادراك التجربة وهي تعتمد عنده على كل من الفلسفة والشعر .

من الواضح ان الكتابة عند كل الروائيين الجدد وسيلة للبحث عن الحقيقة وعن مركزهم في الحياة . ومن الخطأ اضفاء أي مضمون سياسي على أي من انتاجهم وهذا هو كلود سيمون يقول : ان الروائي هو انا غريب تماما عن السياسة « ويقرر روب جرييه عن نفسه وعن زملائه : ليس من الصواب ان ندعي اننا نخدم قضية سياسية في رواياتنا حتى وان كانت تبدو لنا قضية عادلة وحتى ان كنا في حياتنا السياسية نقاتل من اجل انتصارها » .

ان كتاب اليوم لا يعطون حلولا للمشاكل ولا توصيات . انهم ينظرون للحياة الداخلية بكل سلامة طوية العالم وبالرغم من انهم يتجاهلون تماما الالتزام الذي يقول به جان بول سارتر الا انهم فيما عدا ذلك تلاميذه المخلصون . ان سارتر هو الذي يقول بأن الاشياء وجدت قبل ان تكون شيئا ما وهو الذي رفض الكتاب الذين يلعبون دور « المبدع » في عالم منظم جدا (موریاك) والكتاب الذين يؤمنون بعالم شديد التنظيم (جيرودو) وادراك سارتر للشخصية ونظره للعالم يبدوان في كل اعمال الكتاب الجدد وسارتر هو الذي اوعز اليهم ان الرواية يمكن ان تكون وسيلة للكشف الفلسفي الخالص وان الوصف الامين غير المتحيز هو الاحرى بالاتباع وبالتالي فان هدف الكتاب الجدد هو الوصف فقط . الوصف الموضوعي والعلمي بقدر الامكان دون اغفال أي شيء .

واذا كانت الرواية الفرنسية قد وجهت نحو الميتافيزيقا قبل الرواية الجديدة واذا كانت الرواية الانجليزية قد استخدمت من قبل تكنيكات تيار الشعور ، الا ان تطوير هذه التكنيكات في خدمة الفلسفة هو في الحقيقة اضافة جديدة تعزى الى مدرسة الرواية الجديدة ، وقد أدى هذا التطوير الى تغييرات عميقة في كل اوجه الرواية .

القاهرة **كمال رستم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حنين واحلام وود مشوق

الى الشاعر الكبير الصديق القديم عـــادل الغضبـان

أ (عادل) يا من فزت بالقلب والحب ... فديتك في بعدي وأفديك في قربـي
نأيت وعنـدي مـن خيالـي مبـدع ... يصور في لمح من الطرف ما يسـبي
فمـا هي الا لمعـة الفكـر كـي أرى ... وجودك في عيني وشخصك في قلبي
كانـي سـحار وألهمـت عزمـة ... بها احضر الغياب من دون ما جـذب
أكلمهـم حتـى كانـي حيالهـم ... ابـدل مجنونا بـدا فاقـد الطـب
اخاطب نفسي في انطلاقـة سـارح ... واهتـف حينـا او اثور بـلا سـب
وأفرح في صمتـي فاضحـك باسما ... وطورا اراني قد أويـت الى كتبـي
وما نالني فقـر ولا ضنـك عيشـة ... فوسع خيالي ان يخفف مـن كربـي
وان حرد المحبوب واستظهر الجفـا ... أتيت به عجلان فارتـد في جنبـي
تكـر بوهمـي حادثـات كانهـا ... شريط تصاويـر يكـدر او يصبـي
رعى العلم احلامـا نراهـا بيقظـة ... منمنمة الاطراف معسولة الخطـب
يتممها حلـم الليـالـي بجفنـه ... فنركب في دنيا النجوم على الشهب
فيا عالمـا بـي بالحـزن والهـوى ... سعدت على نجواه او ضل بي دربي

أسميت (غضبانا) وما شام ناظري ... بوجهك الا نفحـة المرتضى العـذب
بلى ، انت غضبان اذا لـم تجد فتى ... تحلـى بخلـق او افـاء الـى رب
لك القلـم الاصفى الـذي ببيانـه ... تخط لنـا دنيـا ترف على السحب
وشعر يرد الحسن للشـعر بعدمـا ... شـقينا بمنظوم أتانـا بـلا جلـب
هجين فلا من والد يحمل اسـمه ... وقد فزعت منـه الامومة للحـرب
يموج بأفكـار تشتـت شـملهـا ... رأيـت بهـا التعبير نـد عن السرب
مخلعـة لا تستقيـم لنغمـة ... يضيـق بهـا سحر البيان من العرب
ولو قد حوت من حكمـة او درايـة ... لقيـل عفوناهـا فمرت بـلا ذنـب
ولكنهـا هاجـت وماجـت بداعـر ... به تـؤد الاخـلاق في اخبث الترب
مراهقة ، قولي ، من الفاسق الـذي ... أصابك بالبلوى فبـت علـى نـدب

معيـذ الحجى والشعر بوركت راعيا ... ايا منحة الابداع في الفكـر والكتب
لئن حن لبنـان الحبيـب مكرمـا ... لمنبتـك الريـان بالزهـر والقلـب
فان ضفاف النيـل تحويـك مثلمـا ... حوت زهرة اللوتوس بالطيب والشرب

دمشق

زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسند ذراعيه فوق مكتب الجوازات وأخذ ينظر في كل اتجاه ..

انه شاب في الثلاثين من عمره تلمع عيناه تحت حاجبيه الكثين كعيني صقر في سماء صافية ، يشم رائحة الفريسة عن بعد الاف الاميال وينقض عليها انقضاض الصاعقة ليشعل فيها الفناء .

انه وسيم قبل كل شيء ، يشعر بالفخر كديك الحبش فينفخ صدره في حركات استعراضية تلفت انتباه الجالس امامه فيتطلع اليه بفضول محبب سالخا عن روحه عبءالانتظار والملل ووطأة الحر الشديد، يفضفض جناحيه في الهواء ويفلي جاكتته الانيقة بعناية فائقة باحثا في ثناياها عن علبة كبريت ، وبخفة ورشاقة يعلق السيجارة في شفته السفلى كالحاوي العريق فتتدلى باهمال لطيف يقنع الناظر اليه بأنه شخصية هامة لها شأنها في عالم المال والنساء .

قميصه الحريري من النوع الهفهاف ، من النوع الذي تعشقه النساء لانه مشبع برائحة التبغ المحروق والرجولة الدافئة . وياقته المنشاة تطبق على رقبته كالكماشة فيتلوى بين الفينة والاخرى كسمكة سلطان ابراهيم رافعا ذقنه الى العلاء ملحلحا باصبعه الياقة طلبا لمزيد من الهواء .. **انه هكذا ، يعشق الاناقة او على حساب انفاسه .**

شيء اخر لم نتحدث عنه ويشكل اهم عامل في شخصيته الجذابة الا وهو الشبه الغريب بينه وبين الممثل بول براينر . انه نسخة عجيبة بل الاصح ان الممثل نسخة رائعة عن صديقي الحميم الذي ما زلت معجبا به حتى الان . فهو اجتماعي من الطراز الاول ، فعدا كونه نجما سينمائيا فهو يتمتع بسحر الشخصية وعذوبةالابتسامة .

كان هذا كل ما لديه من رصيد وكم تمنيت يوما لو يكون لي هذا الرصيد . فهو ان جلس اليك انخرط لتوه في الحديث عن صفقاته الوهمية ، عن ذكائه الحاد ، عن خبثه وخبرته في صيد الفريسة ، عن ميكانيكية نتفها وطبخها في طنجرة البريستو . وتهتز مشاعرك لبطولاته فتتقبل غزل حنكشياته لا لسبب معقول بل لكونك لا تريد ان تخيب امله او تحطم بسماجة ما ينسجه بلذة وسعادة . انها حياته بل هو لا يستطيع ان يحيا بدونها ... ان يحيا بلا امال تكسر انعكاس ظلمة الواقع . انه سعيد وتجد نفسك وانت تصغي اليه بقلبك لا بعقلك انك انت الاخر سعيد . فهو يعرض عليك بضاعته بطبيعة مرحة خيالية تلون

السراب

بقلم رجاء ابو غزالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقعك بالف لون ولون فتحبه من اجل هذا وتزداد ضيافتك له فتصل بك الوقاحة الى درجة من الحماقة فتستضيفه في منزلك وتتخلى لهعن سريرك لتنام على ارضية البلاط .

وهو بصورة اخرى سحابة صيف رائعة الصفاء تسكب السكينة والهدوء ثم تنقلب فجأة في نفسك الى اعصار ، الى صراع ، الى امطار وزوابع . لكنه يمتاز بصفة المغامر ، المصارع ، المقامر لانه عندما ينفض صدره امامك ويدلك عضلاته بحركة لولبية تشعر بأنك امام طرزان لا يستحي من خياله العاري . فانا



مثلا عندما احلم بان اصبح مليونيرا اشعر باستحالة الحلم فاحجم عن طرح احلامي امام الرفاق خوف السخرية .

الى هذا الحد وصديقي بألف خير لان البلدة التي امها منذ يومين تتمتع بكل الصفات والمؤهلات التي تكفيه وتشبع رغباته . بلدة خام كما يقولون .. تحتاج الى ايد عاملة، الى مشاريع مدهشة الى صرعات ، صفقات ، الى كل شيء ..

عندما اهتزت قدماه فوق ارضها تنبأ بحلول النعيم من دولارات وذهب وعملات صعبة .. فهنا يستطيع ان يصبح مليونيرا بغمضة عين .

لكن حذار ان تسخر من صاحبي فهو ان اشتم رائحة الميوعة في تكشيرتك الصفراء غاص في مقعده حتى حافة عجزه ومدد ساقيه الطويلتين امامك في استرخاءة مسمومة، ونظر اليك من زاويته وهو يهز راسه عن حكمة واشمئزاز . خذ حذرك انه يحدجك بتلك النظرة القاتلة الكافية لاحالتك الى حديد مذوب يصبغ منه ما يشاء . يهرش مؤخرة راسه الاصلع ، يمسده ، يحك اذنه ويروح في صمت جامد يشعرك اثناءه بانك عبارة عن فأر صغير لا غير يحاول النيل من فيل كبير مثله . اتفقنا على العيش معا في فيلا صغيرة . جاء هو بثلاجة عتيقة اشتراها بثمن زهيد وانا ببضعة كراسي مهلهلة وبوتوغاز ثم سرير واوان للمطبخ .

كان وجوده في الحقيقة مسليا يضفي على الجو رطوبةعذبة مما حدا بي اخيرا الى عدم شراء مكيف للهواء . فكنا نلتقي في الليل ونفترق في النهار . كان مركزه الطبيعي وراء هيكل الطائرة فهو عندما يتحدث عن قطع الغيار والشحم والزيت تطفح السعادة من عينيه ويبدأ في الشرح والاستفاضة فأحسده على سعادته لكنه سرعان ما ينقلب فيبدأ في

احاديثه المنثورة بالمال والمغامرة فاخاله رجلا مسحورا ، مخمورا ، مشكوكا بالريش يمتطي اجنحة الخيال بعذوبة ورقة . انه لا يكتفي بواقعه الحقيقي السعيد بل يرفضه بحثا عن الاثارة ، عن اللذة وكثير من المال .

في كل يوم يعود بافكار جديدة .

ـ عقدنا اليوم صفقة مع فلان

ـ وما نوع هذه الصفقة ؟

ـ زيت زيتون ، جبنة بلدي ...

يدخل في اليوم الثاني وهو يطبطب على كتف رجل قزم ويقدم له الكرسي « محسوبك رجل افكار » ثم يلتفت خلفه « عشاء فاخر يا سعد » .

وينتابني الفضول فيهمس في اذني « هذا شغل يا عزيزي » .

ـ ومن اين لي بالعشاء ؟

ـ تدبر اي شيء ، لحمةبوفتيك ، دجاجةمحمرة ، صلطة ، اللي يعجبك

ـ بوفتيك ؟؟ دجاج ؟؟

ـ اذهب الى البقال القريب ، المهم احضر الطعام لا تقف هكذا فانا رجل اعمال ، انه فرصة لا تعوض ، يملك الملايين .

ـ والفلوس ، من اين لي بالفلوس؟

ـ على حسابي ولكن ادفع الان من جيبك .

واذهب الى البقال لاعود فأجده في غيبوبة ، يقف ويقعد ، يهز الكرسي يعدلها يصيح ويخفض من صوته .. يتنهد يمسح العرق المتصبب عن جبينه ورقبته وانفه وحول شفتيه .

واقف في المطبخ الهزيل كالفارسون الغبي الحزين . يعمل راسي كالالة الحاسبة ولا البث حتى اضيع في دوامة من الارقام التائهة .

لقد مضى الشهر الاول وها هو الثاني على الابواب . وعندما افتح فمي محتجا يصيح بي هائجا :

سدد الديون يا اخي ماذا تنتظر سادفعها بالمليم صبرك بس .

والزبد والسمك والجبنة اعود لاجدها في فمه تتمطى وينظر الي من زوايته الخاصة وهو يتلمظ « انك رجل كامل يا سعد فانت لا تصلح في نظري الا للزواج » .

ـ وماذا عن زوجتك ؟

ـ زوجتي لقد هجرتها .. اوه لقد بطلت موضة الزواج هذه الايام. ثم يستدير برأسه وهو يحك صلعته وينفجر مسرورا « شفت لك بنت حنفصية اليوم يا لطيف » ؟

ـ ماذا ؟ حنفصية .. اين الذوق

ـ دعك من الهزار .. انك لا تفهم بهذه الاشياء .

ـ النساء ؟

ـ نعم النساء محسوبك لا يقف في طريقه شيء .

ـ لا لا ارجوك اني افهم وماذا عن الصفقات اخبرني عن « نمرود » و « ابو العبد » عن البقال الذي عقدت معه صفقة الزيتون واصبح صاحبك الحميم .

ـ الصراحة يا اخي سعد . حك مؤخرة راسه وهو في غيبوبة عن كل ما حوله « ان العمل مع هؤلاء يزعجني بعض الشيء » مدد قدميه « انهم يصفون اليك ويهزون برؤوسهم ، تحضر لهم العشاء تصنع من نفسك ارجوزا ، تبذل جهدك في اقناعهم واخيرا وبعد كل هذا العناء وبعد ان تقتنع بانهم كالخاتم في اصبعك ينزلق الواحد منهم تلو الاخر فوق قفاه وينظر اليك ببله ، اين الضمان اين العينات وقع هنا ادفع الفلوس هات الشهود » تثاءب ثم نظر الي طويلا « انت تعرفني ابو السعد فانا لا احب المشاكل خصوصا السجن . ماذا يريدون مني الا تكفي كلمة الشرف ، مني المجهود ومنهم المال اليس كذلك ؟

ـ اسمع ايها الرفيق انك لا تصلح لهذه الاعمال فهي تتطلب منك توصيات ورشوة وراس مال صغير لا يهمك ان غامرت به .

ـ انا من يصلح لهذا العمل ، لماذا جئت اذن الى هذه البلدة

ـ ان عملك ثروة ومرتبك مرتفع، سنتين اربع وتجمع المال المطلوب لمشاريعك .

ـ وهل تسخر مني ، اتحسبني جبانا مثلك ، خمس سنوات وانت تعمل ، قل لي ماذا جنيت . اريد ان اصبح غنيا هل فهمت سأجمع مليونا .

وتمضي الايام وفي كل يوم يعيش في مغامرة . ترك الصعلوك والبقال وابو العبد وانتهى به المطاف الى مشروع جديد . شراء منزل وتقسيمه الى غرف يؤجر كل واحدة منها على حدة .

ـ ارايت الاجانب كيف يهبطون على البلد كالجراد ، معظمهم يفضل النزل على الاوتيل . محسوبك خبير بميولهم ، ثم ان في البلدة ازمة سكن والايجار في ارتفاع مستمر ، اريد ثلاثين الف .

ـ ومن اين لي

ـ ابو السعد . تقدم مني وهو يغمز بعينيه « بربك الا تملك هذا المبلغ خمس سنوات وانت تعمل ، انك تخدعني » ارتفع صوته بنبرة خشنة « قل لي بصراحة بانك لا تثق بي اني احتقر الجبان » بصق على الارض وهو يتمتم بهدوء « بخلاء .. يحرصون على القرش كيهود خيبر »

وفي اليوم التالي يفاجئني ملهوفا « اسمع لم يبق امامي الا المدير ابو السعداستعد لليلة القادمة ستكون صاخبة » .

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ حفلة خاروف مشوي ، باربكيو يا عزيزي ، الا تعرف ما هو الباربكيو ، انه الخاروف المشوي على الفحم اني خبير بمزاج هؤلاء تماما

دفعني من كتفي وهو يقهقه .

ـ ولكن

دعني اعمل بمزاج هذه المرة ولا تقل لي ماما لقد تخليت عن فكرة الصعاليك وبدات اتعامل مع اناس محترمين .

ـ اخبرني اذن .

ـ هم .. امسك بفكه وهو يفكر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« انت تعرف المدير » .

ـ مدير من ؟

ـ ايه مدير الشركة الا تعرفه ، على كل فهو رجل ظريف اعني هو وشلته ، على فكرة فهو يحبني ويقول لاصدقائه انني اظرف رجل التقاه في حياته ، من المحتمل اذا تقربت منه ان يرفع مرتبي ولكن هناك احتمال اخر وهو ان اكون من ضمن البعثة التي ستسافر الى اميركا .

ـ لتتابع دراستك

ـ ليس هذا هو المهم .. المهم يا عزيزي ابو السعد انني سأعامل كأي اجنبي براتب ضخم ومنزل وسيارة وفرش ومكيف هواء زد على ذلك البنزين والتصليحات الاخرى وبظرف سنة ، سنة فقط يكون الراتب كله صاف « نت » .

ـ ومن اين ستأكل ؟

ـ زيتون ، زعتر ، مجدره ، كلها واحدة انظر محسوبك جسم ، عضلات ، طول ، صحة .

مكث صديقي نصف يومه يعد الاسياخ والمكان اللائق بالخاروف العزيز ، رش الحديقة الجرداء بالماء ثم نادى الخادم التي تسكن في البيت المقابل وهمس في اذنها فاسرعت تجري ثم عادت وفي يدها كيس من الليمون وضمة من البصل ونصف شوال من الفحم ، بقي الخاروف .. لعب الفأر في صدري وانا افكر يا ترى من اين أتي بالخاروف التعيس .

ـ « ابو السعد » حملق بي « وهل تعتقد بانني اشتريت الخاروف » ؟

صدق ظني فبلعت ريقي وماكينة الحساب تدور في رأسي . لكنه ضحك فجأة وهو يمسح الفحم العالق بيديه .

ـ هل تعرف توفيق

ـ اوه طبعا ، انه الجيولوجي صاحبك الذي يربي فهدا في حديقته .

ـ وماذا يقتني ايضا ؟

ـ غزلان دجاج .

ـ وماذا ايضا ؟

ـ لا تقل لي بانه اهداك خاروفه المدلل

ـ صدقت

ـ مستحيل

ـ باختصار انه ينوي السفر ويريد بيعه .

ـ اشتريته اذن

ـ هكذا يقولون

ـ ستدفع ثمنه

ـ اووه فيما بعد ..

سرح قليلا فخلته قد رحل ولكنه عض فجأة على شفته ملتفتا الى الخادم « فنجان زيت صاف يا مسعوده » .

ـ حاضر يا سيدي

ـ ما رايك لو اتزوجها .

ـ من مسعوده ؟

ـ صاحبة البيت يا غبي انها تهواني وترقد على ملايين ، ملايين الدولارات ، الا تصدق بأن الليمون من بستان البيت . بدور انا بحبك يا بدور ، روحي فداك ، اموت بالملايين يا بدور .

يشد سرواله الى اعلى ثم يعدل الفحم وينفخ النار .

ساحضر المدير « هرول الى الداخل » سعد اعتني بالنار ، لا تنسى الخاروف ، لبس قميصه وخرج .

كانت الحفلة نظيفة ... انتيم .. ظل صديقي يضحك حتى الصباح ، ومع شروقه كان يغط في نوم عميق هنيء تحرسه الملائكة وتغسله بالاحلام .

مضى شهر بالتمام والكمال وصديقي ينام كل ليلة كالطفل على سلال من الورود ، وعندما اقاطعه متسائلا يجيبني بشخيره المتماوج « اريد ان انام » .

قال لي يوما « انك تجلس وراء مكتب وفي غرفة مكيفة ، لا بأس عليك ، ستعيش كالسلحفاة اما انا .. لقد وعدتهم بانني لن اعود الا فوق حمار محمل بالذهب ، لن اعود وجيوبي خاوية .. تصور موقفي » ويصمت لفترة وجيزة ثم ينتفض بتأثر وغضب « ابو السعد ان هذه البلدة لا تصلح لي ولامثالي . عندما تهب رياح الظهيرة في وجهي اشعر بكياني يذوب .. انه انتحار .. انتحار يا ناس

لهذا كنت انتظر رحيله عني وعن البلدة كلها في اية لحظة يثور .

كل من ينظر الي وانا في عملي يعتقد جازما بانني ملصوق بالطاولة بطريقة ما ، بالبلدة ، بالصحراء ، بالجو البليد الرتيب .. انه القدر لا شك . اما الناظر اليه فيحكم عليه بعدم الانسجام مع الصورة الخشنة التي نحيا دقائق صمتها وغموضها .

والذي يجعلني افكر احيانا بتفاهة الكون لا يجعل صديقي لا يفكر بتاتا لانه يفضل الحركة على التفكير . وها هو يستعد للرحيل .. يملأ حقيبته اليتيمة والشتائم تتطاير من فمه مع رذاذ بصاقه . « كلاب كلهم كلاب » انتظر لحظة ثم اردف «اتريد النتيجة » توقف وهو يلهث والزبد يفور من شدقيه « الطرد .. نعم الطرد ، سأقلع مع اول طائرة في صباح الغد » .

وفي الوقت الذي كان يلقي بثيابه في الحقيبة بلا ترتيب بلا تفكير كان عقلي يعمل بسرعة مليون ميل بالدقيقة .

شتمته لانه رفض طلبي .. هذا كل شيء ولكنني انا وحدي اعرف السبب الحقيقي لعدم قبوله لي .. انهم شلة قذرة تسيطر على الشركة .. يريدون عبيدا لا رجالا ، تصور انه طلب مني شراء البقالة واللحمة « مسح فمه » اسمع هذه ايضا امسك ذقنه بشدة ، تحسسها بشرود ثم ضحك .

ـ مستر علي

ـ نعم

ـ هل لديك مانع من توصيل زوجتي عند صاحبتها .

ـ لا مانع البتة .

ـ انت تعلم ابو السعد بأن لا مانع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحمراء الاخضر

الى رفيقة الدرب منذ خمسة عشر عاما

- ١ -

فداك يا رفقة العمر الضلوع وما ... حوت وما في شراييني .. وفي خلدي
تهيم في خاطري ايامنا عبقا ... وان ازد لهفة يا حلوتي يزد
وفي مدى قلبك المسحور لي سكن ... ان يعصف الغاضب التيار بالبرد
حتى م ارقب نجم الليل من أرق ... وانت غارقة في نومك الرغد

- ٢ -

تظل تقول هواك الذي ... بصدرك هل آن ان يعلنا ؟
أما آن ان يستفيق العبير ... على غصنه فتضوع الدنى
أما آن للنغم المستريح ... على ناية ان يرد الغنا
ونحن شريكان في دربنا ... نقاسم عمر الشقا .. والهنا
بلى .. والرباط الوثيق الذي ... يشد الهوى للهوى امتنا
بلى .. ان طي الضلوع اختفى ... هواك .. وما حمله هينا
ولكن في انقباضا قديما ... يغيم على خاطري موهنا
فلا تظلمي في الهوى خافقا ... يظل - بما ضمه - مؤمنا

الرياض .

عبد السلام ابراهيم ناجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندي ولكنني لا احب المشاكل .
- والان دعك من المدير ، اذا عن الدين .
- لن ادفعه .. صرخ بي
- سيقع فوق راسي
- لتذهب الى الجحيم
وانقلب غضبه بعد لحظات الى تعب واضح ثم أردف قائلا « ان الفلوس لا تهمني »
- ادفعها اذن
سحب من جيبه سبعة الاف « هذا كل ما لدي وبعرق الجبين ، هيه » بسطها في يده بخفة كأوراق اللعب .
- انها لك ، كلها لك « ثم اعتدل في وقفته وراح يمسدها بكفه وينقر عليها بايقاعية محببة :
- ابو السعد
- « نعم » نفضت عني الذهول
- هل فكرت ما عساني فاعل بها
- ستدفع الديون والباقي في البنك .
- « ها » ضحك بسخرية « انك لا تحزر ابدا ، تفكيرك يتجه ابدا نحو التقتير والتجميد والموت سأفتح بها بارا » .
- هكذا اذن ، بمفردك ؟
- وماذا تفعل السبعة الاف ، سأدخل مع شريك
- وهل انت متأكد من نزاهته ؟
- طبعا ، البار يا عزيزي منجم ذهب
- لكن حذار فصاحب الصنعة جلده خشن
- محسوبك بطل
كانت هذه الاعترافات اخر ما سمعت من شفتي صديقي ثم سافر في اليوم التالي وافتقدته كثيرا لكن سرعان ما نسيته بعد اسابيع .
وفي الاجازة كان اول شيء فعلته ان ذهبت توا اليه . وجدته في مسبح جميل وبين غادتين برونزيتين . كان يضحك بأعلى صوته . كان سعيدا . سألته عن البار
« اي بار » ضم الفتاتين الى قلبه « حريم يا استاذ ، سلطان في ارضه
واخبرني فيما بعد وهو يلعب بعلبة الكبريت ويهز راسه حسرة معك حق ابو السعد .. انت لا تصلح الا للزواج »
غارسون « صاح متفائلا » هات قهوة للافندي « وتطلعت اليه بدهشة « ولو انت ضيفنا » ولكن حفاوته لم تخدعني . فقد اضطررت رغم كل ذلك لدفع الحساب !

جدة

رجاء أبو غزالة

اصـــداء

بقلم اديـل الخشن

★

لـــك ، لياليـك ،
احرقـت بخـوري ...
في قبـاب الهياكـل ،
اختنقـت صلواتـي
وعلى صدور النوافذ
سفحت اغـاني شـموعي .

امواجـي حزينـة سـاكنة
في مرآتهـا يتمـدد ظلـك
وعلى شفتي المطبقتـين
مصلـوب اسـمك .

الى هنـــاك ...
الى افق القنـاديـل النـائمة
ترحـل عينـاي
وكازهـار النيلوفر
تعيش حرائقي في المـاء !

منذ تبدلـت الفصـول ،
تركت فراغـات الارض ،
تنشقتنـي الشمس
واقمـــت
فـي هـوادج السحـاب ..

كـان ربيعـا ....
وهـوت رمـاح الخريـف
علـى الاشـــجار
والامطـــار ،
اطفأت وهـج الاصـابع المضـاءة !
يوم ابتدعـت خريفـا عاصفـا
وعريـــت ورودي !
يوم طعنت البراعم المزهوة
واشـــعلـت
الف صيف فـي قلبـــي !

لا تنـادنـــي ...
اسـمي جفـت انغـامه
لا أحس عفوية انزلاقـه
علـى شـــفتيـك .

من همس عينيـك
ترتعش جراحي المفتوحـة
تشعلهـا ضمـادات الملـح
وتستفيق عيون السـماء .

ابعـد عنـي يديـك ،
فلن اصلـي بعد اليوم فيهمـا
لـن اســافـر
على مبـاخـر الـدفء .
والالحـــان المتهـادية
الزاحفـة كالنمـــال
ســتدق بأرجلهـا
ابـوابـا مغلقـــة
ويصفعهـا الصـدى الهـادر ...

في امتـداد حبـــك
نضـــج فرحـــي
امتص حـلاوات الاعـراس
وفـــي لحظـــة
احـــترق فرحـي ،
سـقط كسيحـا
في دروب الضيـــاع .

لا تبحث فـي لهـاثـك ،
عـن نـداوة الربيـع
فقـد جـف النهـــر
النـابع مـن عينـي
وعلـى شـــفتي
يبست حروف كتابـك !

الشويفات ـ لبنان **اديل الخشن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

واصف كمال - محمود سيف الدين الايراني

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ واصف كمال

الشعار الذي آمن به « واصف » وتغنى به ، وذيع له قول المهاتما غاندي : « جميعنا نحب بلادنا حبا يدنو من العبادة ! » .

ولد « واصف » في نابلس بفلسطين عام ١٩٠٧ وانهى دراسته الثانوية في كلية النجاح الوطنية بنابلس وفي الجامعة الوطنية بعاليه بلبنان والتحق منها بالجامعة الاميركية في بيروت وأمضى فيها سنتين دراسيتين ، ثم سافر الى انكلترا ودرس الحقوق في جامعة لندن (١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) وبعد ان عاد الى فلسطين عين استاذا للتاريخ الحديث واللغة الانكليزية للصفوف العليا في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، واسهم في غرس الروح الوطنية في نفوس طلاب هذا المعهد الوطني وحضهم على الجهاد وبذل الغالي والنفيس في سبيل الوطن .

ولم يقف بطاقته القومية عند هذا الحد ، بل شارك في الحركة الوطنية الفلسطينية وراح يحذر من مخاطر الاستعمار ، وينشر بين عرب فلسطين والاقطار المجاورة ان الانتداب البريطاني هو رأس الداء ، وأصل البلاء ، وحض على المقاومة الوطنية وتوجيهها نحو القضاء على الانتداب وربيبته الصهيونية .

وفي عام ١٩٣١ عمل على تنظيم مؤتمر قومي في نابلس للاحتجاج على تسليح الانكليز لليهود ، واشترك في مظاهرة عارمة قامت بها سيدات نابلس ومن وراءهن الرجال ، فوقع اصطدام بين المتظاهرين ورجال الامن ، وجرح عدد منهم وفي مقدمتهم مدير الامن العام في نابلس وهو بريطاني ، وعدد من الاهلين ، وأسفر هذا التظاهر عن اعتقال طائفة من شباب المدينة ، وصدرت احكام جائرة بحقهم وفي عدادهم « واصف » الذي حكم عليه سنة مع الاشغال الشاقة ، ثم خفض هذا الحكم الى ستة شهور قضاها « واصف » في سجني القدس وعكا .

وتناهى نبأ سجنه الى لفيف من اخوانه الطلاب العرب في بريطانيا الذين قدروا جهاده وتضحياته ، فحيوه في سجنه بالكتاب التالي :

« لندن في ٣ تشرين الثاني ١٩٣١ .

ان اخوانك الطلبة العرب في لندن الذين تتبعوا اخبارك بكل دقة واهتمام يحيونك ويحيون فيك روح الوطنية والتضحية والاباء ، تلك الروح التي استقبلت بها السجن ، ويغبطونك على الشرف العظيم الذي حصلت عليه بدخولك جنة الاحرار ، ويرجون لك طيب الاقامة هناك ، بين من سبقك اليها من اهلك وصحبك المجاهدين في سبيل الحرية والمجد والشرف . وهم يرفعون الرأس عاليا افتخارا بك ، واعتزازا بالمبدأ الشريف الذي ضحيت من اجله والذي يعدونك ممثلهم فيه ، فانك كنت ولا تزال « سفيرهم » فكلهم بايعوك ، وكلهم حافظ للعهد ، وكلهم فخور بأخيهم الحر السجين .

وفي الختام دم سالما لاخوانك في العروبة .

رجائي الحسيني ، زكي درويش ، أنيس بيبي ، محمد حديد »

وبعد خروجه من السجن تنادى مع عدد من اخوانه العاملين معه في الحقل الوطني لاذكاء الروح ودعوا الى تشكيل اللجان القومية في المدن الفلسطينية وانتخب عضوا في اللجنة القومية بنابلس .

وظل المسئولون البريطانيون يراقبون نشاطه الوطني حتى أطبقوا عليه في عام ١٩٣٦ وارسلوه الى « معتقل صرفند » مع الاستاذين اكرم زعيتر وممدوح السخن ، وكان ثلاثتهم آخر من غادر ذلك المعتقل .

وفي صيف عام ١٩٣٧ عقد « مؤتمر بلودان » فاشترك « واصف » فيه ثم عاد الى نابلس ، وعلى أثر اغتيال اندروز ، حاكم لواء الجليل ، حاولت السلطات البريطانية اعتقاله فلم تقو على ذلك لاختفائه مدة ، ومغادرته نابلس ، متنكرا ، اذ تسلق جبال سمخ الشرفة على بحيرة طبريا سيرا على قدميه ومنها بلغ سهول الجولان فالقنيطرة فدمشق .

وفي عام ١٩٣٨ دعت بريطانيا الى عقد مؤتمر في لندن لبحث القضية الفلسطينية ، وقد حضرته وفود من الدول العربية ، ووفد من العاملين في الحقل الوطني بفلسطين ، فاختارته الهيئة العربية العليا عضوا في الوفد الفلسطيني ، لكن الحكومة البريطانية لم تأذن بدخوله ... الى لندن ، وحالت بينه وبين الاشتراك في الوفد الفلسطيني .

وفي دمشق ظل « واصف » يعمل مع اخوانه الوطنيين ، ويساهم في دعم الثورة الفلسطينية وتزويدها بالمال والسلاح والرجال ، وما لبث ان دخل فلسطين سرا واشترك مع الثوار في الشمال ، حيث كان للقسامين نشاط محمود ، وجهد مشكور في محاربة المنتدبين . وبعد جهاد اربعة شهور في شمال فلسطين عاد الى دمشق وظل يعمل في مؤازرة الحركة القومية الفلسطينية حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) . ونتيجة لهذه الحرب اشتد التعاون بين الانكليز والفرنسيين للتنكيل بالفلسطينيين العاملين في تغذية ودعم الثورة الفلسطينية ، فبارح « واصف » دمشق الى بغداد وعمل مدرسا في المدرسة العسكرية مدة سنتين ، وكان يدرس مادتي التاريخ السياسي الحديث واللغة الانكليزية ، ووجد بين طلابه عددا من قادة الجيش العراقي اصحاب العقيدة القومية .

وفي العراق ساهم في تهيئة جو عدائي ضد الانكليز ، واخيرا تطورت الامور اذ اندلعت نار الثورة التي قام بها رشيد عالي الكيلاني ، فالتحق « واصف » بصفوف المقاتلين العرب ضد الانكليز وحارب في جبهة صور ابي غريب بصحبة المناضل الشهيد يونس السبعاوي والاستاذ ممدوح السخن .

وبعد ان فشلت ثورة الكيلاني في العراق لجأ « واصف » الى سوريا بعد ان احتلها الانكليز واضطر ، مع عدد من قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الى اللجوء لتركيا ، وبعد ثمانية شهور من وجوده في الربوع التركية سجنته السلطات هناك بداعي ان الانكليز ابدوا الاحتجاج تلو الاحتجاج على نشاطه ضدهم ، فأجبر على مغادرة تركيا واللجوء الى المانيا وايطاليا من عام ١٩٤٢ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

وفي عام ١٩٤٦ عاد الى دمشق واستانف نشاطه السياسي وتعاون مع اخوانه في الهيئة العربية العليا، وعندما طرحت القضية الفلسطينية على هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ وقع عليه اختيار الفلسطينيين ليكون عضوا في الوفد الفلسطيني للدفاع عن وجهة النظر العربية ، فحضر المناقشات الى ان اتخذ قرار التقسيم .

وبعد ان أيقن من الموقف السلبي الذي تقفه الولايات المتحدة والدول الغربية من القضية الفلسطينية غادر اميركا الى سوريا مؤثرا الاشتراك في مقاومة قرار التقسيم ، وكان من الداعين الى ضرورة

تنظيم المقاومة الفلسطينية بالاشتراك مع الدول العربية وجيش الانقاذ ، ومن المسؤولين عن « غرفة فلسطين » في وزارة الدفاع السورية ، وعمل مع المرحوم الفريق الركن طه الهاشمي .

وفي منتصف ليلة الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من ربقة الاستعمار والصهيونية ، لكن الدول العربية لم تقم بالدور الذي يفرضه الدم العربي ، ورحم الله شاعر النواعير بدر الدين الحامد القائل من ملحمة شهيرة له :

ليتهم ما جردوها حملة ضحكت منها علينا الامم
اتخذوا الخصم مشيرا ناصحا وهو في الموت عليهم حكم
قادهم شبرا بشبر فمشوا مثلما شاء لهم واستسلموا
ومضى التاريخ لم يحفل بنا فبكى المهد وناح الحرم !

وفي عام ١٩٥٠ التحق « واصف » بمؤسسة البنك العربي مديرا لفرعه في دمشق وما يزال يعمل في هذه المؤسسة الاقتصادية العربية .

نموذج من نثره : (من رسالة بعث بها الاستاذ كمال الى صديقه الاستاذ ناظم القدسي اثر توليه رئاسة الوزراء في سوريا عام ١٩٥٠)

« ليس بالامر الجديد ان تصاب امة في تاريخ حياتها بالفشل تتلوه النكبات ، وان تحل بها الهزيمة فيكون من نتائجها التشتت والخسارة وضياع جزء من الوطن العزيز ، فالتاريخ القديم والحديث مليء بهذه الحوادث . ولقد سجل بعض الامم المنهزمة التدهور والانحطاط ماديا ومعنويا ، الامر الذي افضى الى زوالها ، كما سجل للبعض الاخر رد فعل للفشل .. كان من نتائجه دراسة شاملة عميقة لبواعثه واسبابه ، فمعالجة واقعية فبعث فنهضة صحيحة تؤدي الى القوة والعزة والشعور بحتمية استرداد المفقود من الكرامة ، واسترجاع المغصوب من اجزاء الوطن .

قبل زمن فقدنا لواء الاسكندرون ، وحديثا فقدنا فلسطين ، وسنفقد غيرهما اذا بقينا على هذه الحال ، فهل من معالجة جدية جذرية لواقع حال الامة العربية ، تدفع بالمسؤولين من رجالها الى قيادتها نحو الهدف الاول وهو استرداد ما فقدت من كرامة ، وما خسرت من اجزاء ، بطريق القوة الناجمة عن وحدة اجزاء الوطن العربي والتعبير عمليا عما يشعر به افراد الامة المؤمنون ؟

انني يا أخي أحماكم وأمثالكم من المسؤولين ، ممن يؤمنون بالكفاءات وبالاساليب العلمية الحديثة وبرسالة الشباب المؤمنين بالوطن العربي ، مسؤولية قيادة السفينة !

اننا نرقب موقف سوريا في اجتماع الجامعة العربية المقبل ، فهل لنا ان نرجو نهجا واقعيا بعيدا عن المداورة ، قوميا في دوافعه ، قوميا في وسائله ، قوميا في اهدافه ؟!

لقد فقد افراد الشعب العربي ثقتهم بانفسهم وبرجالهم وبزعمائهم وبدولهم وبأمتهم ، فتلاشت معنوياتهم ، فهل من عمل يعيد بعض ما فقد الناس من ثقة في أمتهم ودولهم ؟

أليس من المؤلم المخيف ان تجد اينما سرت شعورا بان امتنا بائدة لا محالة ؟ وان ما جرى ويجري اثر نكبة فلسطين يثبت ذلك ؟ لست ممن يبرؤن انفسهم من بعض المسؤولية في الماضي والحاضر ، ولست في معرض تحميل احد قسطا من هذه المسؤولية كبيرا كان او صغيرا ، ولكنه صوت مبعثه ألم دفين ، وأمل دائم ! » .

٢ ــ محمود سيف الدين الايراني

الحكمة التي آمن بها « محمود » واتخذها دستورا وحملها شعارا ، قول المفكر الحر سلامه موسى :

« مهمة الكاتب ان يجعل القارىء يحيا الحياة التاريخية ، ويحس أنه انسان عظيم له مشاركة في تغيير هذه الارض وترقية مجتمعاتها وتطوير حضارتها ! » .

في « يافا » عروس الساحل الفلسطيني المغصوب ... ولد « محمود » عام ١٩١٤ ، وأنهى تعليمه الابتدائي والثانوي في كلية الفرير عام ١٩٢٩ وخرج الى الحياة مسلما بثلاث لغات حية هي ، العربية والانكليزية والفرنسية ، وأكب على الكتاب يستجلي روائعه ، ويستعرض بدائعه ، وينشد نفسه في محاسن الكتاب :

سمير اذا جالسته كان مسليا فؤادك عما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة وغير حسود او مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير حافل ولا خائن عهدا على قدم العهد !

وبعد ان عب « محمود » من امهات الكتب التي سامرها في اللغات الثلاث شرع في نشر نفثاته في الصحف الفلسطينية ، وابرزها « فلسطين » و « الدفاع » و « الجامعة الاسلامية » . وفي مجلات « الشباب » لاميل غوري و « اللهب » ليوسف فرنسيس و « الرائد » لامين ابو الشعر ، وصال بقلمه وجال على صفحات « السياسة الاسبوعية » و « المقتطف » و « الثقافة » و « الطليعة » و «الطريق» البيروتيتين واخيرا مجلة « العربي » الكويتية .

وربطت بين « محمود » وبين نفر من اعلام القلم في مصر صلات قوية من الود والولاء ومن ابرزهم المازني ومحمود تيمور والدكتور محمد حسين هيكل وسلامه موسى والعقاد وابراهيم المصري الدكتور وابراهيم ناجي وعلي محمود طه ومعاوية محمد نور وغيرهم .

وفي عام ١٩٣٥ حمله طموح الشباب على اصدار مجلة اسبوعية ادبية في يافا باسم « الفجر » بمشاركة الاديب المرحوم عارف العزوني، وقد صدر منها حوالي ٥٠ عددا ، وكانت مسرحا لاقلام ادباء فلسطين ومصر والعراق وسوريا ولبنان .

وعمل « محمود » في حكومة فلسطين فترة ، وفي اوائل الاربعينات هبط الاردن وعين استاذا للغة العربية ومديرا لمدارس ثانوية ومفتشا للغة العربية في وزارة التربية والتعليم وسكرتيرا عاما للجنة اليونسكو الوطنية ومديرا للتعليم الخاص . وفي عام ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ أوفد الى باريس في بعثة للتخصص بشؤون اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية ، واخيرا عين مديرا للدائرة العربية في وزارة الثقافة والاعلام الاردنية .

وابان عمله في وزارة التربية والتعليم اسهم في حضور عدد من اللجان والمؤتمرات واشرف على اصدار مجلة « رسالة المعلم » .

عالج « محمود » بقلمه القصة القصيرة ، موضوعة ومترجمة ، واقبلت طائفة من اساتذة الجامعات العربية والمستشرقين على درس نتاجه القصصي ، وفي عام ١٩٣٩ اهدت مجلة « المقتطف » قراءها كتابا ضخما اشتمل على ٣٨ قصة عالمية كان في عدادها قصة « حطام ! » بقلم الايراني .

ويعتبر « محمود » في طليعة رجال التربية والتعليم في الاردن ، وألمع شخصيات هذا القطر العربي هم من تلامذته الذين يذكرونه بالخير استاذا ومديرا ومفتشا ويمحضونه الحب والتقدير .

ومنذ اشرع هذا القاص الكبير قلمه ، ونذره لتصوير المشاكل الاجتماعية التي تواجهها الطبقات الكادحة ، والفوارق التي تفصل بين الناس في مجتمعهم ، واخراجها في مقالات لماعة الاصباغ والتلاوين ، أصبح صاحب مدرسة حديثة في فن القصة القصيرة ، وعده مؤرخو الادب العربي المعاصر الرائد الاول للقصة القصيرة في فلسطين .

« ... وفي صدر الايراني (١) تزدحم القيم الديموقراطية الصحيحة ، والمواقف الاجتماعية الواعية ، والتطلع الى الامام في حركة الحياة ، والايمان بانتصار القوى الكادحة العاملة ... وفي ذهنه صورة صحيحة للحياة السليمة !

وقصص الاستاذ الايراني محاولات تطبيقية لفكرة الفن التعبيري الهادف ، المناضل الذي يتفهم الظروف ، ويتخذ من المشاهدات والتجارب الخاصة نماذج فنية تصلح مقياسا للنواميس الطبيعية العامة ، ومع ذلك فيها تلك الالوان الحسية الشخصية ، وفيها تلك الحرارة الفردية .. ولكنها ليست فردية شاذة وانما هي فردية نموذجية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لها طابعها الخاص الذي يصلح قياسا للطابع العام حين تتشابه الظروف .. وهذا اللون المميز ، وهذا الطابع الخاص يضفي على المضمون حيوية تجعله عملا فنيا ذا شأن .

ولقد ادرك الاستاذ الايراني ان التمرس بالحياة وتاريخها ودراسة التجربة واستيعابها وتمثلها في ظروفها ومعرفة الاتجاه الصاعد فيها كل ذلك ضروري للعمل الفني الحق .. ولكنه في التطبيق لم يوفق الى عرض هذه القيم فنيا في بناء قصصي سليم ، فتراكمت معه ومالت الجدران في البناء ، كما فهم ان الفنان هو خادم المجتمع الامين ، وان الفن اداة من ادوات ترقية الوعي الانساني ، وانه وسيلة من وسائل تحسين النظام الاجتماعي الذي يعيش الناس في ظله ... من اجل هذه المفاهيم والقيم عددنا الاستاذ الايراني ظاهرة مضوئة في تاريخ الادب القصصي في هذه المرحلة ، كما كان الاستاذ خليل بيدس ظاهرة مضوئة في المرحلة السابقة . «ومدرسة الايراني ومحاولتها الاعلاء من شأن المدرسة المثالية ومحاولتها الرفع من شأن القيم الانسانية ، والمدرسة الرومانتيكية ، كادت جميعها ان تاخذ وجهة السير نفسها في هذه المرحلة .. وما ذلك الا لان الكتاب على اختلافهم في هذه المرحلة قد صدقوا انفسهم واخلصوا لاتجاهاتهم واتقنوا اعمالهم ... والصدق والاخلاص والاتقان في العمل مهما يكن المنهج الذي ينتهج ينتج كثيرا من التقارب في وجهات النظر !

ولعل ذلك يرجع للظروف التي أشرنا اليها في المقدمات الاولى للبحث من حيث ظهور الخطر الجسيم والهاوية السحيقة التي سيتردى فيها الكيان الفلسطيني وكل مقومات وجوده بفعل الاستعمار ... فقد أحس كل فرد ان الكارثة لا تفرق بين أحد ، فهرولوا جميعهم في اتجاه واحد ! » .

« والاستاذ الايراني (٢) حافظ على اتجاهه ، وواصل جهوده القصصية ، وان تكن مجموعته قد ظهرت بعد النكبة بعنوان (مع الناس) الا اننا من قراءتنا لهذه القصص نستطيع ان نحكم بكل يسر ما اذا كانت الواحدة منها مكتوبة قبل النكبة او بعدها !

ومضى الاستاذ « محمود » في هذه المرحلة يحاول ان يبلغ بمدرسة غاية بعيدة ... فاتقن عملية الامتزاج بين مضمونه الايديولوجي وبين الشكل الفني وكان اشد الناس حرصا على ان لا يخلو عمله الفني مطلقا من المضمون الايديولوجي كما كان يفعل ذلك الاستاذ خليل بيدس .

والى جانب ذلك كان يحسن أختيار افكاره التي يتخذها اساسا لبناء العمل الفني ، وكانت عملية البناء تتم وتظهر فيها عوامل النمو والتطور والتغير التي تدفع الحياة الى الامام ، وكان يختار شخوصه القصصية من بين جماهير الناس .

وكانوا بسطاء ولكنهم لم يكونوا بحال من الاحوال تافهين .. لان التفاهة في العمل الفني تخلق التناقض الذي يفسد على الفن قيمه . ففي قصة (الظما) يتخذ خيوطها من وحي ثورة ١٩٣٨ بفلسطين ، وبطلها قروي هجر قريته الجبلية الى المدينة ، وكان في اول شبابه ... بعد ان اجتاح الجوع والموت قريته تلك ابان الحرب العظمى .. وتعلم القروي في المدينة صناعة الاحذية ... ويموت اطفاله الثلاثة وامهم .. ويبقى وحده ، لم يستطع المرض ولا الفقر ولا الهم ان يقضي عليه ، فما زال في دكانه يصنع الاحذية .. وبريق عينيه ما زال متوهجا ... ولكن « عاد صانع الاحذية الى الجبل منذ اسابيع ... عاد وانضم الى رفاق له في الاعالي .. ثم لقي حتفه ببطولة خارقة ! .

وهكذا يختار الايراني في اعماله الفنية تلك الافكار التي تنتهي بالناس الى ان يقترب بعضهم من بعض ، ويتعاونوا في مواجهة الخطر ، فيستعذبوا باقترابهم وتعاونهم طعم التضحية !

وفي مطالعاته التي أثبتها في كتابه « أول الشوط » حول الثائرين من كتاب الغرب امثال اندريه جيد وموريس ماترلنك ود. هـ. لورنس وكاترين مانسفيلد ، يثير قضايا فكرية وفلسفية واجتماعية وادبية في غاية الاهمية ، واذا من غايته ان يزيل الحيرة والقلق والشك المهلك ، وان يعيد الصفاء والطمانينة الى الوجدان القلق وان يثبت الايمان بحياة انسانية موفورة الكرامة ، يحث الناس اليها خطاهم حيث المجتمع الجديد تشتمل عليه فضائل الخير العميم تعوض كل شرور الماضي وآثامه !

واذا الثقافة ـ في مفهومه ـ ليست عنصرا قائما بذاته ، مستقلا بنفسه استقلالا تاما عن موحيات ودوافع المجتمع وميراث هذا المجتمع من اخلاف واوضاع ونظم وسائر القيم التي تحدد علاقة الفرد بالمجتمع ... ومن ثم تحكم المجتمع بالفرد واخضاعه اياه لمظاهر قوته ولحملة قوانينه الخلقية والروحية والمادية .. فاذا لم تكن الثقافة صدى حيا لهذا كله او قل مظهرا خطير الشان يعبر عن (ارادة هذا المجتمع) ويحمل طابعه ويصور تياراته النفسية ، اذا لم تكن الثقافة هذا العنصر الفعال وهذا المظهر الخطير الشان ، حق لنا ان لا ندعوها ثقافة !

ان الثقافة صدى المجتمع بكل آماله وآلامه وتشوقاته العميقة ، واشواقه الانسانية الكبيرة ، هذا المجتمع الذي كان دائما خاضعا لعوامل التطور والتجدد البطيئة التدريجية والسريعة التي تولدها الثورات العاتية، تلك الثورات التي ما هي الا نهايةمحتومة لجملة عوامل متمردة ناقمة من صميم مجتمع مشرف على نهايته » .

من آثاره القلمية : نشر « محمود » عشرات المقالات والابحاث والقصص في امهات صحف الاردن والعالم العربي ، واذاع مئات الاحاديث ، وخرج على القارىء العربي بالاثار القلمية المطبوعة التالية :

١ ـ اول الشوط (مجموعة قصصية) ١٩٣٧ .
٢ ـ مع الناس (مجموعة قصصية) ١٩٥٦ .
٣ ـ ما اقل الثمن (مجموعة قصصية) ١٩٦٢ .
٤ ـ متى ينتهي الليل ؟ (مجموعة قصصية) ١٩٦٤ .
٥ ـ الاردن واليونسكو ١٩٦٥ .
٦ ـ اللغة العربية (٣ اجزاء مع آخرين) ١٩٦٦ .
٧ ـ أقاصيص من الغرب والشرق ١٩٦٩ .

ومن آثاره الادبية المعدة للطبع :

١ ـ أصابع في الظلام (مجموعة قصصية) .
٢ ـ معرض النماذج (دراسات عن ادباء وقصصيين عالميين) .
٣ ـ ترغنيف (سيرته ودراسة أدبه) .
٤ ـ شارلس دكنز (دراسة أدبه) .
٥ ـ رواد القصة القصيرة : تشيكوف ، موباسان ، كاترين مانسفيلد .
٦ ـ في الادب والحياة (٣ أجزاء) .

نموذج من قصصه : (عنوان القصة « الارض الطيبة ») ، «البحر أمامها ، وجنات البرتقال خلفها ، وهي بينهما تنعم بما لم تنعم به مدينة من قبل . لياليها ملاح زاهرات ، ونهاراتها كد وسعي ورزق كبير ، حبة البرتقال والبحر : مورد خيرها .

شجرة البرتقال ، كان صاحبها يغرسها بيده في المنبت الطيب ، ويظل يتعهدها ويرعاها ويفيض عليها من ماله وحبه ، عينه ابدا عليها ، وقلبه مشغول بها ، وكلمات امتدت جذوعها في الارض ، وغلظت ساقها ، وكثرت فروعها ، ورف ورقها الاخضر ، وانتشرت من حولها الظلال والاضياء ، تهلل فرحا ، واستبشر خيرا ، وحمد الله وصلى على نبيه الكريم .

وكانت فرحته الكبرى يوم يرى البرعمة تطل من بين الاوراق الخضر ، بيضاء ، ناصعة ، لها عبير فواح ، يتقطر منها الندى ، ويضاحكها النور : سر البرتقالة في البرعمة ، والماء سر : الحياة في

الاثنين ، ولاماء قنوات : شرايين منبعة يتدفق فيها الماء ، من الفجر الى الضحى ، ومن مغرب الشمس الى أن تنهزم الظلال ويقبل الليل ، وتتفق البرعمة وتنبثق منها حبة خضراء ، لا تكاد العين تتبينها ، ثم تنتشر البرعمة وتظل الحبة عالقة بفرعها ، يغذيها الماء والنور وتحنو عليها اوراقها الخضر ، وتصونها من الاذى ، وتدفع عنها السوء . وتنمو الحبة ... وتكبر .. وينمو الامل فيها ويكبر .. أياما وليالي .. وتصبح ذات يوم فاذا هي حبة كبيرة ملساء ، ذات مسام، وبعد ان كانتالشمس تغمرها بقبلاتها الدافئة ، تعود وتبث فيها حرارتها ، وتبقي فيها كل يوم من ذهبها ... وما ان يقبل الشتاء حتى تتلقى تلك الحبة اولى قطراته وقد غدت كرة من الذهب ملء الراحتين بين اوراق مخملية ، مزهوة بكنزها الثمين ، ويحين اوان القطاف ، وتمتد اليها الايدي ، وتتناولها برفق ، وتلفها بورق ناعم ، ملون ، شفاف ، وتضعها في صندوقها واحدة بجانب الاخرى ، وصفا بعد صف ، تنظمها يد صناع، حاذقة ، ثم ترسل الى عنابر السفينة حيث تحمل الى ما وراء البحار، هدية نفيسة من يافا ، من الشرق ، فيها قبس من شمسه ودفئه ، ونفحة من طيبه وعطره ، ونبعة حلوة ، ثرة من رحيقه .

والحاج داود لم يكن كفيره من اصحاب « البيارات » انه رجل إبن اصل ، وقد ورث بيارته عن ابيه ، يوم كان الناس ناسا ، والخير خيرا ، وقد نشأ يحب التربة الحمراء ، وشجرة البرتقال ، ولم يكن يخامره شك في أن هذه التربة ذهب خالص ، بل أثمن من الذهب ، فهي ينبوع الخير كله ، ومصدر البركة كلها ، ولم يكن يتصور ان في الدنيا تربة خصبة كتربة أرضه الحمراء ، التي أنبتت له هذا الشجر الفينان يحمل كرات الذهب عقودا تخلب النظر .

والحاج داود يخاف الله ويتقيه ، ويرى ان الغرور اثم كبير ، والكبرياء من سبل الشيطان ، ولكنه ، مع ذلك ، كان اذا تحدث عن برتقاله الذهبي وعن تربته الحمراء تملكه الزهو وتطلقت أساريره ، وضحكت عيناه ، واعتدلت قامته ، وراح يقول والابتسامة العريضة تملأ وجهه : « أي نعم ، بيدي هذه كنت أحفر الارض واغرس الشجيرات واحدة بعد اخرى وصفا ازاء صف . « كنت اذ ذاك فتى قوي الساعد ، وكان ابي رحمه الله شيخا ، ولكنه لم يكن يرحم نفسه .. كان يقف معنا على قدميه من الفجر حتى غروب الشمس يشرف على العمل ، ويراقب كل صغيرة وكبيرة ، يرشدنا ويسدي الينا النصح . وكانت أسعد ساعات النهار هي التي كنت أرى فيها الابتسامة يستضيء بها محياه ، وهو يمد طرفه فيقع على هاتيك الشجيرات الغضة ، في صفوف عديدة لا نهاية لها ، لا تكاد تمس ذؤاباتها أنسام الماء حتى ترتعش وريقاتها الندية وترف وتتماوج على امتداد البصر ، سكرى برحيقها ... ثم لا يلبث ان يراها في خياله وقد اشتد عودها ، واستطالت ، والتفت اغصانها ، واغتنت بورقها المونق ، وأثقلها كنزها الذهبي ... ولقد توفاه الله بعد ان شهدها بعينيه حقيقة رائعة ، وتفيأ ظلالها الوارفة واكل من ثمرها ! » .

ولقد ابى الحاج داود ان يفارق بيارته ، أبى ان يعيش في المدينة ... ما كانت المدينة باضوائها وليالي أنسها وضجيج العيش فيها ، تعدل في نظره جلسته في الفجر او عند الاصيل قريبا من الساقية ، يستمع الى لهاث ـ وابور ـ الماء المتلاحق ، يصل اليه من بعيد ، ويشاهد «قواديس» الناعورة تنقلب على دولابها وتريق ماءها في البركة الواسعة فيتدفق منها في المجاري والقنوات الممتدة في كل اتجاه ، ويصل الى كل شجرة يرويها من ظمأ ، ويشيع فيها الحياة والنمو والازدهار ، وينفث في جذوعها وغصونها وورقها وثمرها النضارة والحلاوة .

وكان الحاج داود حريصا كل الحرص ان ينشأ أولاده الثلاثة كما نشأ هو ، يحبون التربة الحمراء ، ينعمون بسخائها ، ويسعدون ببركتها وخيرها ، وتزدهيهم شجرة البرتقال الخارجة من أحشاء هذه التربة ، مكتنزة بورقها الاخضر المخملي ، مزهوة بكنزها الذهبي ، حريصة ان تترامى من حولها الظلال والاضياء ، وان تظل دائما تنفث عبيرها يتضوع به الهواء ، ويشيع في الفضاء حتى يصل الى المدينة الساهرة في ليالي لهوها ، فتنعم بما لا تنعم به مدينة قط : تنعم بالطيب تنفحه شجرة البرتقال من مغارسها الخضيلة فتنام سكرى بشذاه ، وتستفيق اذا تنفس الصبح على عقبه المتأرجح لتستأنف الكد في ضجيج عيشها بين جنات البرتقال من خلفها وحمى العمل الموصول على شاطىء بحر الروم من امامها .

ولقد افلح الحاج داود فنشأ أولاده كما أحب لهم ان ينشأوا ، فأحبوا التربة الحمراء غاية الحب ، حتى لكأنها هي التي أنبتتهم ، فكانت لهم هذه السمرة المحببة ، وكانت لهم هذه القامات الفارعة ، وهذه السواعد المفتولة كأنها قدت من جذوع شجر البرتقال ، وكان لهم هذا البريق ينبعث من عيونهم كأنه رؤوس السهام .

ولقد استراح الحاج داود وقرت عيناه بفتيانه الثلاثة ، وحمد الله ، ووثق ان أرضه الطيبة ، هذه التي تنبت له كرات الذهب ، لن تضيع ابدا .

هل كان يخشى ان تضيع ؟ كان ذلك همه المخامر وشقائه الذي يرزح تحت ثقله قبل ان ينشأ اولاده على ما أحب لهم ، ذلك انه كان يرى بأم عينه كيف كانت تضيع الارض الطيبة وتنتقل الى الدخلاء .

لم يكن الحاج داود يفهم شيئا كثيرا في السياسة ، ولكنه كان يؤمن بأن الوطن ارض .. ارض قبل كل شيء .. وعلى الاخص اذا كانت ارضا طيبة ، سخية معطاء كأرضه وارض بلاده كلها ، وكان يؤلمه ويؤرقه الليالي الطوال ان يرى هذه الارض تذوب ، تضيع ، تذهب الى الدخلاء ، تذهب لكي لا تعود ابدا . كان يحس انه لن يتردد ابدا في ان يضحي بكل شيء ، بنفسه ، بماله ، باولاده ، في سبيل ان تبقى هذه الارض .. ان يبقى كل شبر فيها .. له .. ولقومه .. كان اذ يتحدث في هذا يتهدج صوته ، وتحمر عيناه ، وترتعش يداه !

ـ ليس في الدنيا كلها .. أرض .. كأرضنا !

ثم يلتفت الى ابنائه واصدقائه من حوله ويعود يقول وبين راحتيه حبة برتقال كبيرة ملساء غنية برحيقها :

ـ ولا بلاد .. كبلادنا .. اين الارض التي يخرج من احشائها مثل هذا الذهب ؟ وأين التربة التي تسخو بعناقيد العنب كما تسخو بها تربتنا ؟ انه ليس عنبا .. انه جواهر .. فكيف يبيعونها ؟ لقد فسق اهل هذا الزمان ... وضلوا ... فلا حول ولا قوة الا بالله !

وفي الواقع كان الحاج داود لا يجد اثما اعظم من ان يبيع الانسان ارضه .. ولمن ؟ لهؤلاء الغرباء .. الافاقين .. ان يتخلى عن ارضه هكذا .. وينفض منها يديه .. كمن لا تاريخ له في وطنه ، كمن لا ذكريات له تربطه بهذه الارض .. كأن لم ينعم يوما بمائها وهوائها وظلالها وثمارها وخيرها كله ... كان يسميهم ـ هؤلاء الذين يهون عليهم ان ينفضوا ايديهم من تربة وطنهم ـ خونة ، منبتين ... وكان يقع في حسه انه اذا يتخلى الواحد منهم عن ارضه فقد تخلى عن عرضه .. ومروءته .. ودينه .. الى الابد ، ولهذا كله كانت نقمته منصبة على المدينة واهلها .. الملاك منهم على الاخص .. هؤلاء الافندية الذين يركبون السيارات الفاخرة ، ويسكنون القصور المنيفة ، ويجترحون ما حرم الله ... ان الكثيرين منهم يملكون الارض .. يملكون التربة التي تنبت ذهبا وجواهر .. ولا يثقل عليهم ان يبيعوها

---

(١) حياة الادب الفلسطيني الحديث : من أول النهضة ... حتى النكبة : بقلم الدكتور عبدالرحمن ياغي ، ص ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ .

لتمتلىء أيديهم بالمال يذيبونه على موائد خمرهم ، ومراح صبواتهم ، يتخمون .. وتتكرش بطونهم .. في حين يفتقر وطنهم ، ويتضاءل .. ويذل .. ألم يجلس الواحد منهم مرة في حياته في ظل وريف من ظلال شجر البرتقال ينعم بما أفاء الله على هذه الرقعة من الارض من خير وجمال ونماء وازدهار ؟ ألم تمتلىء رئتاه بهذا العبير يفيض على الدنيا بهجة وطيبا ورواء ؟ ألم يستفق في فجر يوم من ايام الربيع ليرى السماء والشجر والماء تتفتح للنور والضياء ، فينتشي الحس ، ويخشع القلب ، وتمتلىء النفس مهابة وجلالا وحبا لهذه الارض الطيبة؟

« انهم لا يحبونها .. انهم لا يحبونها ... لو احبوها ... لو عرفوا كيف ينعمون بخيرها وجمالها ، لو عرفوا كيف ينظرون بعيونهم الى عنقود العنب المكتنز بحباته المتلألئة بين اوراقه الحريرية ، لو عرفوا كيف ينظرون الى عرائشها وكرومها النائمة على صدور هذه التربة العطوف ، والى كرات الذهب تتوهج بين احضان امها شجرة البرتقال ... انهم لو احبوها لما فرطوا بها ولاطلعتهم على سر الجمال فيها ، ولاعطتهم من فيض خيرها وبركتها وسحرها ما يزري بمال الدنيا ومتاعها جميعا ! » .

بهذا كان الحاج داود يناجي نفسه احيانا كثيرة ، وعلى هذا نشأ أولاده . لقد علمهم كيف يحبون هذه التربة ، كيف يخلصون لها الحب .. وماذا كان في وسعهم ان يفعل اكثر من هذا ؟ كان يحزنه ان تفتك الخلافات بابناء قومه .. كان يفزعه ان يراهم يتناحرون فيمكنون بذلك للعدو الدخيل .. كان يريدهم جميعا ان يحبوا هذه التربة كما احبها هو وامثاله الذين يحسون انها قد انبتتهم حقا كما انبتت برتقالها وعنبها ورمانها وفاكهتها وشجرها جميعا .. وكان هذا الحب وحده ـ في رأيه ـ خليقا ان يأتي بالمعجزات ، ولكن ... ويصر الحاج داود عند هذا الحد من التفكير على اسنانه ، ويضغط شفتيه ، وتترقرق عيناه بالدموع ثم يرسلها نفثة حارة ويتمتم : « لا حول ولا قوة الا بالله .. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا » .

وفي الماضي ، في كل ثورة انتفض فيها وطنه المعذب ، بذل الحاج داود كل ما كان يدخل في طوقه ، جاهد بماله ، وجاهد بنفسه ، فخاض معارك ، وتعرض للاذى ، وسجن هو وابناؤه وهو راض ، قرير العين ، فكل شيء يهون في سبيل الارض الطيبة .. أم الخير !

وفي النضال الاخير ، على الرغم من شيخوخته ، فعل ما لم يقو عليه الا الاقلون . تلك الايام ، ايام النضال ، منذ اكثر من عام ، ما كان أعذبها واحلاها ، وما كان أشقها ايضا ، كان الحاج داود فيها على رأس نفر قليل من الرجال ، احتفروا الخنادق والاستحكامات على حدود « بيارته » في « أبو كبير » وأمامهم القسم الجنوبي من تلك المدينة البغيضة « تل ابيب » حفنة من الرجال الذين اخلصوا الحب للارض الطيبة ، وارخصوا الارواح في سبيلها .. كان الواحد منهم لا يفارق مكانه ، لا يترك استحكاماته ، ابدا وراء بندقيته ، في الليل وفي النهار يده على الزناد ، يطلق رصاصاته بحساب ... كانوا يشعرون ان ذخيرتهم قليلة ، شحيحة ، وكانوا يتلقون رصاص العدو ، رصاصه المنهمر ، ساخرين ، واثقين ان في استطاعتهم ان يردوا الوالغين على أعقابهم خاسرين ... حفنة من الرجال كانت تدك حصون الاعداء هناك دكا ... لقدكان صياح الجبناء يدوي في آذان الليل البهيم من الذعر وهم يتهاوون تحت انقاض حصونهم كأنما كانت الارض تنخسف بهم .. حفنة من الرجال الصابرين المؤمنين ، كان يزحف بعضهم في جنح الليل يحمل الالغام ، ويجترح المعجزات .. لقد القوا الذعر في قلوب الجبناء ... واجلوهم الى داخل مدينتهم .. حفنة من الرجال كانوا كانهم كالف بطل .. وكان الحاج داود على رأسهم ، وكان اولاده الثلاثة يجاهدون في خنادقهم مع الاخرين ، وراء بنادقهم ، في الليل وفي النهار ، أيديهم على الزناد ابدا .. يتربصون ويطلقون قذائفهم .. فلا تخيب ابدا ... تجد مستقرها دائما في صدور الاوغاد !

وذات يوم كان الحاج داود يطوف برجاله في خنادقهم واستحكاماتهم، يشجعهم ، ويستثير هممهم ، في يده منديل فيه رصاصات قليلة يوزعها عليهم باسم الثغر ، متهلل الاسارير ، لا يفتر عن ذكر الله ، ولا ينسى ان يؤكد لرجاله ، الحين بعد الحين ، ان الذخيرة وفيرة ، وان الصناديق في بيته ، داخل البيارة ملأى بالرصاص الكثير ، وهو يعلم انها فارغة ، لا شيء فيها على الاطلاق ، وان كان كل ما يملكه من الذخيرة هو من هذه الرصاصات الشحيحة في منديله يوزعها عليهم في حرص شديد .. فيبدو عندئذ على رجاله انهم يصدقونه ويتلقون كلامه مستبشرين ، فرحين ، متهللين ، مكبرين .. في خنادقهم دائما ... وراء بنادقهم ابدا .. في ذلك اليوم كان بعض الجبناء من الاعداء قد تسللوا متلصصين عند حدود « ابو كبير » فأطلقوا رصاصهم وأرخوا سيقانهم للريح .. واستقرت احدى الرصاصات في صدر الشاب « علي » الابن الاكبر للحاج داود فأردته في خندقه .. شاهده ابوه يترنح وراحته على صدره ثم يسقط ، لم يقل الحاج داود شيئا .. لقد كان يتوقع هذا .. واكثر منه .. لقد وهب نفسه وابناءه لله ، وللذود عن الارض الطيبة .. لم يزد على ان رفع عينيه الى السماء وبسط راحتيه واختلجت شفتاه بقول الله : « ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » ثم أوعز بأن يحمل ولده ويجهز ويدفن .. وبقي هو مع رجاله في استحكاماتهم ، لم يتركهم ، لم يذهب ليدفن ابنه ، لقد احتسبه عند الله .. في سبيل الارض الطيبة .. وان وعد الله حق ... لم يبرح الحاج داود تلك الاستحكامات ، انه مع رجاله يطوف بهم، يستنهض عزائمهم ، ويواسيهم بالكلمة الطيبة ، ويمسح عن قلوبهم الاسى والمرارة بابتسامته الوضيئة ، ويعطيهم تلك الرصاصات القليلة من منديله ، استطاعوا بها ان يلقوا الذعر في قلوب خمسين الفا من الاعداء في تلك الناحية ستة اشهر كاملة !

ماذا حدث بعد ذلك ؟ ان الحاج داود لا يكاد يفهم شيئا مما حدث ... كان يتوقع كل شيء الا ان ينزح الناس عن بلادهم وقراهم وبيوتهم ... كان يتوقع ان تزلزل الارض زلزالها وتخرج حممها واثقالها ... ولا يترك الناس وطنهم وبيوتهم ، ولا ينبذون ارضهم ، الارض الطيبة السخية المعطاء ! .

(يافا) تلك المدينة الجبارة الشامخة ، ذات التاريخ الطويل في النضال المرير العنيد .. كيف تخاذلت ؟ كيف لفظت اهلها ؟ لكأنما قاءتهم دفعة واحدة ، وألقت بهم في البحر ، وفي السهل ، وعلى رؤوس الجبال ، هائمين .. مشردين !

ما الذي حدث ؟ ما الذي حدث ؟ ان الحاج داود لا يكاد يفهم شيئا .. الا ان وطنا قد ضاع ، وارضا طيبة .. قد ذهبت .. ولا يكاد يفهم شيئا الا انه مشرد ، يحمل اسم « لاجيء » هذا الاسم البغيض .. كأنما حفرته يد القدر على جباه مليون من البشر بقسوة خارقة !

وفي ايام الشتاء الاخيرة .. كثيراً ما كان الناس يمرون في مدينة « اريحا » امام رجل قد علت به السن ، واتسخت ثيابه ، وبهت لون عمامته « الغباني » حول طربوشه ، واستطالت لحيته واغبرت .. رجل مسكين ، لا يذكر احد انه رآه يتكلم او يبتسم او يغير جلسته ... فهو ابدا جالس القرفصاء ، عند كوم من برتقال اريحا يبيع منه للمارة .. وفي راحة يده المعروقة المرتعشة ، برتقالة لا تفارقها ابدا .. يحدق فيها النظر من حين الى حين ، كالماخوذ بلونها الذهبي الفاتن .. ثم يتحسسها براحة يده الاخرى في كثير من اللطف والرفق والرقة !

انه الحاج داود يحلم ثمة بالارض الطيبة .. والفردوس المفقود !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسني غراب

بقلم شكر الله الجر

* * *

حسني غراب لؤلؤة من ذلك العقد المنفرط على شواطىء الاتلانتيك ، ولد في تلك الرقعة المباركة « حمص » مدينة ديك الجن ، التي انطلق من اعشاشها بلابل البيان لتفرد اغاريدها في شمال الارض وجنوبها .

فمن الولايات المتحدة الى البرازيل . من نسيب عريضة وندرة وعبد المسيح حداد في نيويورك . الى حسني غراب ونصر سمعان وميشال مغربي ونبيه سلامة وموسى حداد وسواهم في مدينة سان باولو .

هجروها وظلت قلوبهم ترف على ضفاف عاصيها ، وذكرياتهم تتطاير كأجنحة العصافير بين خمائلها وانغامهم تتجاوب بالحنين اليها . خفقت لهم أعلام في دولة القريض ما برح الزمان يلوح بها ، وطارت لهم شهرة ما برح النسيم ينشر عبيرها في سماء الغرب .

وفيها يقول صاحب هذه الذكريات .

وما حمص الا باقة من قصائد ... ومن شعراء في البلاد تفرقوا
فمن عطرهم انفاسها وعطورها ... ومن نورهم انوارها تتألق

وفي حمص يقول شاعر (الليالي الاندلسية) (١) ايضا من قصيدة استعرض فيها الى جانب النوابغ من ادبائها ذلك النفر المجلي في الغناء والموسيقى ممن حفلت بهم مجالس الطرب في المهجر البرازيلي .

يا حمص يا غادة الصحراء ما نقرت ... كف على الدف الا كنت رنته
ولا المغني على الاوتار ان جوى ... الى مغانيك الا كنت انته
ولا تسلق يوما شاعر غرد ... مآذن الشعر الا كنت نغمته

وفيها يقول شاعرها حسني وقد هزه الحنين اليها :

أبعد حمص لنا دمع يراق على ... منازل ام بنا من حادث هلع ؟
دار نحن اليها كلما ذكرت ... كأنما هي من أكبادنا قطع
وملعب للصبا ناسى لفرقته ... كأنه من سواد العين منتزع

وهل ابدع واروع من (سواد العين منتزع) وهل يطمع فن الشعر بأجمل من هذه السبيكة الذهبية ؟

نأى حسني عن مغاني الميماس عام ١٩٢٠ مشمرا وراء الثروة في بلاد بعيدة ، فابتسمت له الايام في اوائل عهده وراح الحظ يرقص في ساحته ويمنيه بشمس السعادة تشرق عليه في دار غربته بيد ان الليالي ، وهي حرب على الادب والادباء ، لا يطيب لها عيش ان لم تر الشاعر يغص بلقمته ، وينام مروعا على وسادته ، فنكست لشاعرنا الحساس اعلامه وبددت احلامه ، واقامت بينه وبين الثروة سدا من اسلاكها الشائكة . على انه لم يرم سلاحه في المعركة الضارية ، معركة تنازع البقاء ، بل ظل يناضل ويناضل في سبيل افراخه الصغار حتى استقامت ساقهم واشتد ساعدهم فرمى بهم اشبالا في معترك الحياة ليثأروا لوالدهم من قساوة الاقدار وطالما سمعته يقول عن عبيد المال .

خلقوا للكسب لا يخشون في الكسب السماء
هم قساة القلب لا يرعون عهدا واخاء
وهمو ان يستطيعوا حبسوا عنا الهواء

تلقى حسني علومه في مدارس حمص ، فأتقن العربية وبرع في تأدية معانيه الفكرية في قوالب فصيحة جزلة . فهو من هذه الناحية على ما تشاء من صفاء الديباجة وعفوية الخاطر ، حتى لتخال وانت تقرأ شعره كأنما هذا الشعر نظم نفسه فانتظم أسلاكا من الدر على الطرس .

لم تهادن الايام حسني ليتفرغ للنظم ، وما كان (حانوته الصغير) يدر عليه الرزق الوفير ليعود الى هوايته الكبرى وهي الادب ، ولكن في هذا القليل الذي تركه لنا ثروة طيبة تعطيك صورة عن مدى تفكيره ورسوخ قدمه في صناعة القريض . وهو لا يضيره انه نظم في المناسبات ، فلطالما اتخذ من هذه المناسبات وسيلة للانطلاق الى مواضيع سياسية ووطنية خطيرة . فأبدع واجاد حتى في معرض الرثاء ، كقوله في رثاء صديقه عقل الجر رحمهما الله :

الحمد لله لا هم ولا وصب ... نام العليل وألقى حمله التعب
ان الوجود الذي غادرته عدم ... والعامرات التي فارقتها خرب
والارض غاب مخيف وحشه بشر ... كم فيه مغتصب يحميه مغتصب
أظفاره بلهى الاحرار عالقة ... ونابه بدم الابرار مختضب

وانه لمن مفاخر الضاد ان يقوم لها في تلك المهاجر البعيدة من ينفحها بأروع الشعر على بعد ما بينه وبينها من وسائل الامداد الادبي الذي ينمي المواهب ويرسخ منطق اللغة .

كما اني لأعجب لمن يقرأون لشعراء المهجر ، لا سيما شعراء اميركا الجنوبية ، هذه الاصالة في كل ما دبجته اقلامهم من رائع المنظوم والمنثور ثم يقوم بينهم من يرمي هؤلاء الشعراء بالركاكة وسخف التعبير والخروج على اصول اللغة واساليبها وهم الذين جمعوا الى جدة المعنى فصاحة المبنى على سهولة وايجاز ، فلا تقعر ولا اجهاد ، ولا رمزية يكتنفها الغموض تتعب ولا توحي .

واذا كان قد عزي الى مدرسة الشمال شيء من الركاكة والاسفاف لدى بعضهم فلا يشمل ذلك شعراء الجنوب ولدينا منهم اقطاب حرروا الفكر نثرا وشعرا ،

---

(١) الليالي الاندلسية كتاب وضعه صاحب المقال عنوانه ليالي الاندلس لم يطبع بعد ..

قبلات على شفاه سمكة الريح

حين تبحث الاسماك عن شفاهها في قبلات الريح
ينصت البحر الى ذكرياته
والمجهول .. يسكن عظام الامواج المنخورة
بوجع الرفض
من ليس له حب
يفقد حالته في كاس الذاكرة
ومن هناك يعود الحنين « القوقازي »
الى أزقة القلب المسائية
ويغدو الشوق عاشقا مصلوبا في غرفة السماء
حيث سمكة ما ..
تلتقي بلهفتها المزينة بالزهر

- ٢ -

جانب الوجه في الزجاج
والآخر في الحب
لماذا جانب الوجه في الزجاج ،
والآخر في الحب

- ٣ -

كان المكان بزرة للحظة الخلاص
كان الخلاص حقل انجم -
يشع في المياه
ورايـة الحنـين
مرفوعة ، تخفق فوق شجرة الاجاص

- ٤ -

صوتك عبر الهاتف نهر من زهر « الكاردينيا » .
وقصائد ربان شاعر
أبحر في عينيك الحالمتين ذات مساء
لجزائر عشاق سحرتهم صحراء الحب
وما عادوا
فامتلأت من عطر هواهم اشعارا
آفاق الدنيا
وارتحلت افراسهم الاشياء

- ٥ -

مسافة الحنين يا حبيبتي وبينك
بحيرة من الزمن
تفرقنا .. ونحن يا حبيبتي على مقاعد انتظارنا
نموت يا حبيبتي
نعيش يا حبيبتي بها
فتنبت الزهور يا أميرتي على شفاهنا
حقلا من الحنان

- ٦ -

أهواك على مهلي
حين يكون الحب مياها للحزن بعينيك
ومدا من غير رجوع
يسرقني الصمت اليك
ويرميني في جفنيك الخضراوين
شراعا من غير قلوع

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

وحلقوا فوق زمانهم واحداثه ورتلوا على مسمع الانسانية اناشيد الحكمة والفلسفة في قوالب خلابة من الجمال .

وما كان شاعرنا حسني الا واحدا من اولئك الذين انجبتهم المدرسة الكلاسيكية دوحة عالية في جبل الشعر، تتساقط من حولها اغصان واشجار متنوعة وهي على جلال مظهرها وصلابة عودها لا تهزها رياح .

ومن الشعر الكلاسيكي لصاحبنا حسني ، وهو من السهل الممتنع ، وقد اخذ عليه بعض البخلاء بذله المال في سبيل المعوزين والفقراء على شدة حاجته اليه ، قوله :

يقول لي البخيل وقد رآني ... اجود ببعض ما ملكت يدايا
« ألم تحسب ليوم غد حسابا ... ويوم غد محاط بالرزايا
فقلت : صدقت واسترعيت سمعا ... لو انك ناصح بشرا سوايا
انتهاني عن المعروف خوفا ... على مال تبدده العطايا
وحولي من ضحايا البؤس ناس ... تذوب لفرط شقوتهم حشايا
أكنت تلج في عذلي ولومي ... لو انك بعض هاتيك الضحايا ؟

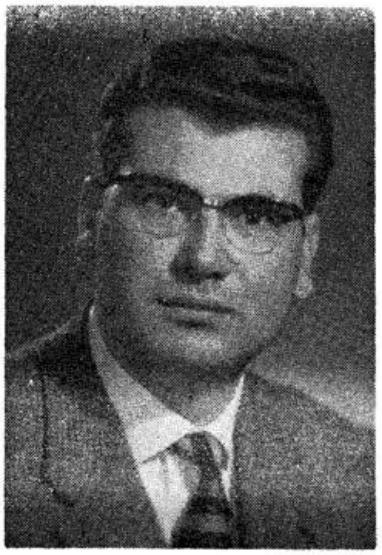
وله في عيد المولد النبوي الشريف :

شعلة الحق لم تزل يا محمد ... منذ اضرمت نارها تتوقد
غمر الارض نورها فاذا رمت ... دليلا فعد الى الارض واشهد
جئت والناس في ضلال وغي ... ومن الهدي في يديك مهند

وانه ليغمرني السرور يوم أرى من اغنياء حمص من يجمع هذه الدرر المتفرقة في كتاب . ولي في رثائه قصيدة جاء فيها :

اذا زلت عن دنياك فاترك لاهلها ... روائع انغام تدور مع الدهر
ولم أر بين الناس طيرا كشاعر ... يعيش بأعمار النجوم ولا يدري ؟

جبيل — لبنان — شكر الله الجر



عيسى فتوح

الحنين الى الوطن في شعر زكي قنصل

بقلم عيسى فتوح

* * *

قبل ان اسمع بالشاعر زكي قنصل ، علق بذهني اسم اخيه الشاعر الياس قنصل ، الذي كان أسبق من زكي الى الهجرة بخمس سنوات .. هاجر الياس الى البرازيل سنة ١٩٢٤ ، لكنه ما لبث ان انتقل الى الارجنتين ، ثم لحق به زكي سنة ١٩٢٩ تاركين بلدتهما القلمونية « يبرود » ، وهناك زاولا تجارة الكشة حتى استقر بهما المقام في بونس ايرس .. وتشاء الظروف ان يعود الياس الى مسقط رأسه ، بقصد الاقامة في دمشق ، واذكر انه عمل محررا في جريدة « الشام » لصاحبها بكري المرادي، وفيها تعرفت اليه ، حيث قدم لي كتابيه « رباعيات » و « فلسفة حمار » . وتمضي الايام ، فتتوقف جريدة « الشام » عن الصدور ، ويعود الياس الى المهجر ثانية ، لان مطامحه الصحفية والادبية وربما المادية لم تف بها مدينة كدمشق !

وفي العام الماضي وصلني كتاب بعنوان « زكي قنصل شاعر الحب والحنين » تأليف الاستاذ عبداللطيف اليونس ، مهدى بتوقيع الشاعر زكي قنصل فاستغربت الامر اولا ، ثم فهمت انه اهتدى الى اسمي بطريق صديقه وصديقي الاديب يوسف الصارمي صاحب مجلة «المواهب» في الارجنتين ، ونزيل دمشق حاليا .. ومنذ شهرين فوجئت بشخصية الشاعر قنصل على شاشة التلفزيون اللبناني ، اذ قدمه سفير المهاجرين في لبنان نجيب حنكش الى الجمهور ، في مقابلة استمرت بضع دقائق ، وهو في طريقه الى بونس ايرس ، بعد ان اقام في الوطن حوالي شهرين ، أشرف فيهما على طبع ديوانه الاخير ، وبذلك حقق اغلى امنية كانت تضطرم في نفسه ، ألا وهي رؤية الوطن الام الذي ظل طوال سنوات الاغتراب يهفو اليه ، ويحن الى جلسة هادئة في ربوعه ، يجلو بها صدا النفي والتشريد ، ويسترجع عهود الصبا ، وذكريات الشباب في الربا الخضراء ، والسهول الممرعة ، يغفو على الشوك ، فالقلب خال من الهموم والوساوس ، فنراه يضبط كل قادم اليه لانه حقق امنية العودة ، وتمنى لو يكون رفيقه يشاركه غفوة تحت عرائشه الخضر ، ويشم بصحبته اريج ارض النبوة المعطار ، ارض بلاده :

أيها العائدون للشام هلا نفحة من شميم أرض النبوه
علم الله كم صبونا اليها واشتهينا تحت العريشة غفوه

هكذا يهتف في اكثر من قصيدة : أيها العائدون .. يا عائدين الى الربوع .. متى يسالمني الزمان فأرجع ؟

ففي قصيدته « يوم الرجوع » يحدثنا حديثا طويلا يبسط فيه مشكلة قلبه الذي ابتلاه الله بفرط الاحساس، فهو ابدا يتحرق للعودة .. انه لا يفتأ يزعجه ، كلما خفف من غلوائه ، وكفكف من حدة ثورانه عاد فعربد بين ضلوعه بعنف ما بعده عنف ، حتى حرمه شهي النوم ونغص عليه لذيذ الكرى .. كانت الدموع ملاذه بادىء ذي بدء ينقع بها غليله ، ويبرد احشاءه الحرى ، فجاء حين صارت الدموع لا تجدي فتيلا ، يسخر منها ، ويهزأ بها :

يا عائدين الى الربوع قلبي تحرق للرجوع
نهنهته فازداد تحنانا وعربد في الضلوع
لا يطمئن الى الوساد ولا يفر له ولوع
كانت تسليه الدموع فصار يهزأ بالدموع

كانت الغربة تقسو عليه احيانا ، تصفعه بقبضتها الحديدية ، تكشر له عن وجهها الحالك الكئيب ، فتكسبه شيئا من السوداوية والتشاؤم ، حتى تستحيل حياته قنوطا ويأسا وتجهما ، زايلها الايناس وخالطتها العتمة الكالحة ، فاذا قلبه كهيكل قديم مهجور ، لا شموع تضيء ارجاءه ، ولا نوافذ توصل اليه حزم النور :

ولت ليالي الانس وانطفأت بهيكله الشموع

ويهتف عندما يرى مناديل المسافرين تلوح بالوداع، ان قلبه ظامىء للعودة ، فهيا احملوه معكم ، ان كان ثمة مجال ، ولكن هيهات .. لقد اقلع الركب وخلفوه وحيدا على شاطىء الاغتراب ، يحزم امتعته ، ويمني قلبه بالعودة السريعة ، ولكن الامنيات العذاب كثيرا ما كانت تتلاشى فيعود الى امتعته يحل وثاقها قطعة قطعة ، ويفردها بانتظار موجة جزر ثانية :

يا عائدين الى الحمى قلبي به عطش وجوع
بالله هل في الركب متسع للهوف ولوع

عزاء قلبه ان يرى رفاق الغربة حوله يؤاسونه ويعزونه ، فاذا ما رآهم يهمون بالاياب ، هبت ذكريات الدار من غفوتها ، فتراخى قلبه المتماسك المتذرع بالصبر ، وراح يندب حظه السيء الذي قاده الى تلك الدنيا الجديدة التي نما فرعه فيها ، اما أصله وجذوره فما تزال ضاربة في أرض الوطن الام .. ان حاله تدعو الى الاسى : تارة يحزم امتعة السفر ، وتارة يحلها ، تارة يعقد حبل الرجاء ، وتارة يفكه في دوامة لا تنتهي :

ويح الغريب يعيش في حلم ... ريان يملأ نفسه كمدا
حبل الرجاء يظل يعقده ... ويحله ما قام أو قعدا
الفرع يربطه الى بلد ... والقلب يعبد غيره بلدا

انه يعبر بمنتهى الصدق عما يراود نفس الغريب من آمال عريضة ، واحلام فضفاضة ، الا انها لا تعدو ان تكون مسكنات تهديء نوبات الحنين .. سعادته الحقيقية ان يظل في وطنه بين اهله وعشيرته ، اما سعادة الاغتراب فسعادة زائفة مزعومة ، تحمل في طياتها الف لون من الوان التعاسة .. هي القنوط الذي يرافقه كظله .. هي انطفاء الامل ، وقد تجسما في عبارة « ويح الغريب » التي لا يفتأ يرددها في اكثر قصائد الحنين :

ويح الغريب على الاشواك مضجعه ... وخبزه من عجين الهم والتعب
يعيش عن ربعه بالجسم مغتربا ... وقلبه وهواه غير مغترب
يستقبل الليل لا تغفو هواجسه ... ويوقظ الفجر في ليل من الكرب
موزع الروح احساسا وعاطفة ... مقسم الفكر في بعد وفي قرب
يا غصة في لسان الشاعر انعقدت ... من ذا يحل لسان الصادح الطرب

لقد كان يكتفي بعبارة « ويح الغريب » في بيت من أبيات القصيدة من قبل ، اما وقد استبد به الشوق ، وجاش في صدره الحنين فما عادت العبارة الواحدة تمتص دفقة العاطفة ، وتصمد على الوقوف في وجه السيل الهادر .. فانقلبت العبارة قصيدة وصار البيت مجموعة ... ففي قصيدة « ويح الغريب » نراه ينهار ويهوي ، تخونه القدرة على التحدي ، يذوبه الحنين فيتهالك ، وتتدحرج على لسانه الفاظ الغربة ، الذكرى الوادي ، النازح ، الحنين ، الرجاء الرجعي ، الاماني ، يتوكأ عليها لتوصله الى قمة التجربة الشعرية لتقوده الى نهاية المرحلة الا وهي افراغ مكنونه العاطفي :

ويح الغريب اما تكفيه غربته ... حتى تجرحه الذكرى وتكويه
اكلما شام من واديه بارقة ... هفا وصفق تحنانا لواديه
الله في نازح أودى الحنين به ... لولا بصيص رجاء في دياجيه
يعلل النفس بالرجعى ويخدعها ... فهل تحقق بالرجعى أمانيه

حنين زكي قنصل للشام حنين جبران لبشري ووادي قاديشا ، حنين نعيمة لصنين ، حنين رشيد ايوب لموقد النار والثلوج والناطور والراعي في بسكنتا ، حنين كل مغترب الى مسقط رأسه ومرتع صباه ومهوى احلامه .. وهو يرمي من وراء الشام الى بلدته الهادئة الوادعة الرابضة على كتف جبال القلمون ، الى يبرود التي لا تمحي ذكراها من قلبه ، يوم كان طفلا يعمر الندى - بهجرا بالزمان ، ولا يقيم لغدره وزنا .. يسرح في الحقول كفراشة هائمة ، ويتسلق الربا يسوق خطاه المرح وينام على الاشواك فلا يحس بوخزها لان قلبه خال من الوساوس والهموم ، مشغول بأحلامه العذبة ، وامانيه الوارفة :

هاضت جناحينا العشية صرصر ... وتقاذفتنا في السباسب زعزع
لهفي على العهد الذي لا تمحي ... ذكراه من نفسي ولا هو يرجع
غمرت حواشيه البشاشة والندى ... وتألقت فيه النجوم اللمع
أيام نهزأ بالزمان كأننا ... في مأمن مما يكيد ويصنع
نغفو على الاشواك ملء عيوننا ... أمن الفؤاد فكيف ينبو مضجع

ما ان يهم الاديب الشاعر يوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » بالعودة الى سورية ، حتى نراه يزف التهنئة لابنتيه الطبيبتين سعاد وسوزان ، رغم ان العودة لم تتحقق بعد ، ويسأل نفسه هل يأتي يوم يحمله جناح طائر الى الوطن ، فحياته الباقية ستمر ضياعا وتنقضي عبثا .. ولا يكتفي بأن يحث نفسه على العودة بل يوقظ بقية المهاجرين من سباتهم ان هيا عودوا مدوا ايديكم الى الشام ما دامت الشام قد مدت لكم الايدي ، تفتح صدرها لاستقبالكم ، وتفرش الرياحين تحت اقدامكم :

بهنيكما ان صح حلمكما ... أيجيء دوري أم أعيش سدى
الشام مدت للبنين يدا ... هيا نمد الى الشآم يدا
قولا لها انا على سفر ... بالروح ان لم نرتحل جسدا

وكثيرا ما يسأل مرددا عبارته المأثورة : متى يسالمني الزمان فأعود :

فمتى أعفر في ترابك جبهتي ... ومتى يسالمني الزمان فارجع ؟

ولا يكاد الدكتور احمد سليمان الاحمد يعلن نبأ عزمه على الاياب حتى يقيم له المغتربون حفلة وداع وتكريم ويقف زكي قنصل يبث المودع لواعج حنينه ، وتباريح اشتياقه للشام .. فما هو الا حسون من حساسينها قذفت به كف النوى ، فابتعد وهو يأبى البعاد ، وهام على وجهه في ارض الله الواسعة ، ولكن البعد لم ينسه الشام ابدا ، بل ظل مقيما على حبها ، يناجيها فؤاده المؤرق ، ويحلم بها خياله النائم :

شاعر الزهر والندى خشع والركب ... فهلا وقفت فيه اماما
هاجنا الشوق للشآم فكبر ... ثم كبر اذا ذكرت الشآما
نحن من روضها حساسين ذرتها رياح النوى فهامت يتامى
هي نجوى الفؤاد ان سهد الجفن ... ورؤيا الخيال ان هو نام

ان حنين زكي قنصل مرتبط كل الارتباط بعاطفته الوطنية ، يشارك الشام افراحها واتراحها ، فلا تنوب نائبة ، ولا يلم خطب ، ولا تحل مصيبة حتى نجد صدى لذلك في شعره .. انه ، وهو البعيد في مغتربه ، رسول امين لامته يفاخر بها ، ويتغنى باسمها امام القوم ، يشيد ببطولاتها . يمتدح جمالها ، يصف حسنها وبهاءها ورواءها ، كيف لا واهل الشام ملاذه ، ركنه الركين الذي يحتمي به في الخطوب ، واظفاره ، وسلاحه الماضي ، كيف لا وبينهم قد ترعرع وشب ، وبينهم نمت شهرته

دعوني طليقاً

اذا ملك اللب الكناري ما شدا ... وشنف سمع الناس ، وهو اسير
دعوني طليقا ، أقيض العيش مرهقا ... بكد يميني ، والفراش حصير
وقوتي ـ دون الناس ـ خبز أسيفه ... قفارا ، وكوخي واهن وحقير
فلم تحصد الادواء الا ذوي الغنى ... ولم يحمهم مال طما ، وقصور
وحسبي أني أشرب العز صافيا ... من النبع كالبلور ، فهو نمير
وعيش سراة الناس رنقه الاسى ... وصافيه ـ عند العارفين ـ كدير
فان سجين القصر يشرب همه ... ويزعم ان السعد فيه كثير
وكل حياة المرء ـ دون كرامة ... وحرية تبني الفخار ـ قشور
اذا كنت لم تبذل من الوجه ماءه ... لتدرك ما تبغي ، فانت أمير
وان بات من نظم الاله خلائق ... تفاعيل اعجاز ، فنحن صدور
فما الشعر الا قمة سرمدية ... تحط عليها للقريض نسور

صيدا — محمد العدناني

واستطارت :

غصص الحنين وذكريات ألدار ... حثت خطاي وارهفت اوتاري
انا ان شكوت فدمعتي من جفنكم ... واذا شدوت فصوتكم قيثاري
مرحى بين امي لانتم مغزعي ... في النائبات وانتم اظفاري
في ظلكم نبتت خوافي شهرتي ... وزها جناحي واستطار غباري

ويتمثل الشام اما رؤوما عطوفا بارة نثرت فراخها تحت كل كوكب ، فاكسبتهم الغربة الصلابة والقوة والاعتداد بالنفس ، وعندما طلبت اليهم العودة عادوا أسودا ابطالا يملؤون السهول والجبال ليأخذوا قربها قسطهم من الراحة بعد العناء الطويل ، ومن السعادة بعد الحزن ، ومن الدعة بعد الشقاء . ورغم ان تلك الام فرشت في دروبهم اهداب عينيها ، وانزلتهم في السواد من قلبها ، الا انها قلقة من عودتهم ثانية الى مهاجرهم ، وبذلك ينقلب فرحها ترحا ، وسرورها الما ، يقول في قصيدته « حماة العلى » :

عاد البنون الى حضني فواجذلي ... يا دمعة اليأس هلت بسمة الامل
تلك الفراخ التي اطلقتها زغبا ... عادت قشاعم ملء السهل والجبل
فرشت اهداب عيني في دروبكم ... فيا حماة العلى سيروا على مهل
واسترجعوافي جواريبعض ماأكلت ... منكم ليالي الاسى والكد والعمل
اني لاخشى وقد انزلتكم كبدي ... ان ينتهي بفراق اخر جذلي

قلت ان الشاعر زكي قنصل كان وهو البعيد عن مسرح الاحداث الوطنية ، مرآة تعكس كل ارق يقض مضجع بني أمه ، وكل هم يساورهم واضطراب .. لم يعش في منأى عما اصابهم ولم يصم أذنيه بل ظل عينا ساهرة تنهل عبراتها اذا ما دمعت عين الشام . وتتفجر حقدا ونقمة وكراهية اذا ما مسها طيف اذى .. ولا يقف عند هذا الحد بل يعتب كل العتب على شعرائها المقيمين الذين لم يلتزموا بقضايا امتهم ، فانصرفوا عنها الى اللهو والخمرة والغزل والوصف :

يا شاعر الشام قلب الشام مضطرم ... وقلبك لاه بابنة العنب
لا حور دمر مياسا كعادته ... زهوا ولا بردى سكران من عجب
هل أرق الشام طيف لم أحس له ... فيمهجتي مثل حز الصارم الذرب ؟

هذا بالنسبة لاحداثها المؤلمة وخطوبها الملمة ، ولو رحنا نبحث في شعره عن الوجه المقابل لرأيناه اول من يطرب لكل انتصار يحققه اهل الشام ، يفرح لكل مأثرة ، ويبتهج لكل عمل خالد جبار .. ثم يحمل ذلك كله ليزرعه في صميم الاذان غير الواعية ، فاذا بها تصيخ في دهشة وتشاركه البهجة والزهو والاعجاب والتقدير :

وهل تلألأ في آفاقها امل ... الا تثنيت من زهو ومن طرب
حملتها نغمة في القلب راقصة ... ورحت ازرعها في مسرح الشهب

كلمة اخيرة ، ترى لماذا عاد الشاعر زكي قنصل الى المهجر ثانية بعد ان حقق امنيته الغالية الا وهي رؤية الوطن الام بعد الغياب الطويل ؟ ربما أحس في قرارة نفسه انه لو بقي لفقد اهم عنصر من عناصر شعره ، ولخسر ابرز مجال من مجالات النظم .. فهل ثمة حنين للديار والشاعر في قلب الديار ؟ ان نظرة المقيم لمدينته أو قريته او بيته او اهله تختلف كل الاختلاف عن نظرة النازح الواجدة ، خاصة والغربة ترهف الاحساس ، وتؤجج العاطفة ، وتلهب الشوق .

اللاذقية — عيسى فتوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

في دياجير اليأس

بقلم حسني سيد لبيب

في دياجير اليأس فتاة ! .. فتاة اعرف عن يأسها اكثر مما اعرف عن ملامحها وطباعها . انه ذلك اليأس الذي يزرع الحقد والبغضاء . وقد دفعها يأسها الى الحقد على الناس جميعا . كما كفرت بالحب اعتقادا منها بأنها لم تخلق له أو ظنا منها أنها ليست جديرة به .

في دياجير اليأس فتاة ! .. هنالك فتيات يائسات مثلها ، لكنها استرعت انتباهي بقصتها الدامية وتصرفاتها الغريبة والالم الذي ينضح من اعماق فؤادها فيدميه .

في دياجير اليأس فتاة ! .. اماتها اليأس لولا قبس من نور الهدى اضاء طريقها وشع في صدرها الايمان بالله ، فكان ملاذها تلجأ اليه في لحظة ضعفها ، وكان الايمان حصنا حصينا وقاها شر افكارها الغريبة التي كثيرا ما تقلقها في صحوها ومنامها والتي تتمثل في الشروع في الانتحار . لكنها تخاف الله وتخشاه ، فتعاتب نفسها بقسوة ، ان الانتحار كفر والحاد ، هكذا قرأت .. وان الايمان بالله هو الذي يجبرها على التجلد والصبر ، لكنها كانت حطام جسد منهوك . وعاشت حياتها في انتظار امل قد يلوح فجأة ، لكن الانتظار يطول بها ، ويصبح ما تتمناه اضغاث احلام . ولم تعد ترى في حياتها شيئا جميلا ، وانما تتضاعف النكبات والمصائب ، حتى شعرت بثقل الايام ، ولم تعد تجد في التجلد والصبر أي عزاء .

في دياجير اليأس فتاة ! .. اسميها اليائسة ، لكنها تصر على ان تصف نفسها في مذكراتها بأنها « بائسة » . ورغم ان هناك تقاربا ما بين اليأس والبؤس ، الا ان كلا منا تختلف نظرته للامور ، فهي تعيش في يأس مميت ، لكنها تشعر انها وحيدة طريدة ، ومن هنا يجيء لها معنى « البؤس » الذي تردده في مذكراتها . وحين استرجع انا قصتها اجد انها تعيش في دياجير اليأس المميت ، ذلك اليأس الذي ليس وراءه ثمة امل .

في دياجير اليأس فتاة ! .. لا تعرف في حياتها سوى البؤس والشقاء . ولم تشعر في يوم ما بطعم السعادة . منذ ان وعت الحياة وهي تلازم الشقاء والضنك والحرمان ، فلقد حرمها الطلاق — ذلك الشيء البغيض — من حنان الابوين . ولقد عاشت مع امها المطلقة ، لكن الام لم تعوضها عن حنان ابيها الذي افتقدته ، بل زاد الطين بلة فالام تعمل مربية في أحد بيوت القاهرة ، ولا تراها الفتاة الا مرة كل اسبوع . فلم تهنأ بالنوم في حضن امها ولو ليلة واحدة . نشأت منذ نعومة اظفارها محرومة من الرعاية والحنان . حتى مرح الطفولة شاء لها القدر ان تحرم منه . كانت صغيرة — حين تم الطلاق — لكن ذلك لم يمنع ادراكها الضئيل من ان يعي كل ما يدور حولها ، حتى باتت تعتقد انها الفتاة الوحيدة التي ابتليت بالحرمان .

كتبت ذات يوم في مذكراتها :

« رمى بي الدهر في الطريق أصطدم بأحجاره ، وما ان أترك حجرا حتى اتعثر في غيره ، حتى انهكت قواي والفيت نفسي في طريق الحياة ملقاة كالجيفة النتنة » .

تركها الدهر وحيدة بين زوجة خالها التي لا يعرف قلبها العطف او الشفقة ، كانت فظة القلب تكثر من ايذائها بينما الفتاة مستسلمة في يأس مر قاتل . وكان خالها اكثر فظاظة من زوجته واعنف ايلاما . وظلت المسكينة تكبت احزانها ، وطوت في حناياها شعورا بالمقت والكراهية لهذه الحياة الشقية ، لكن قبسا من الهدى جعلها تتحمل وتصبر ، وكلما راودتها فكرة الانتحار تراجعت خائفة وهي تستغفر الله .

وازاء ما هي به من شقاء وعذاب ، تولد في اعماقها حقد وكراهية ، حقدت على الناس وكرهتهم . وتولد في اعماقها احساس بأن كل الناس اعداء لها ولا يريدون لها خيرا او تفوقا . احست ان الناس ينتقمون منها ولا تدري الوازع الذي يحفزهم على هذا الانتقام .

ثم اخذ الدهر يهزأ بها ، وتسخر منها الاقدار . وتضاعفت احاسيسها الغريبة تجاه الناس فتملكتها الامراض النفسية والجسمية ، لكنها ناضلت في صمت ، وجاهدت بشجاعة .

وفي لحظة امل باهت ضعيف راود مخيلتها ، صممت فتاتنا على ان تكرس كل وقتها لمذاكرة دروسها ، وايقنت ان هذا هو السبيل الوحيد لتناسي نوائب الدهر . لكن اجازة الصيف سرعان ما تجيء ، وتتزاحم معها احزانها وتتوالد همومها ، فكان لشدة ما كابدت من الالام والعثرات ان دفعت ثمن ذلك من صحتها ، فظلت تنزف دما سنة كاملة . قضت سنة مع العذاب ، ومع شبح الموت الذي لازمها كظلها وذاقت منه كؤوس الضنا والخوف . لكنها تتحامل وتصبر على ما شاء الله ان يبتليها به . ثم جاء حكم الاطباء بعد هذه السنة الدامية ، قرر الاطباء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة

بعد لأي .. رسالة قد أتتني ... خلت ان الحياة ردت اليا !
بسمات الشباب طي كياني ... كالربيع المعطار رفت عليا
ما أظن النشور الا اشتياقا ... في ضمير التراب يبعث حيا !

حلب **علي الناصر**

ازالة الكلية اليسرى . وفعلا ازيلت وتوقف النزيف ، ولكن ظل الجرح سنة كاملة يفتح ويغير ثم يلتئم عدة مرات والفتاة تكابد الالام المبرحة والتي أثارت الجميع بالدهشة . تبكي في غرفتها شبابها الذي يولي الادبار دونما بسمة فرح تطوف في سماء حياتها الحالكة السواد . وفي لحظة يأس مميت تسأل نفسها : علام يبتليها الله والى متى تتحمل ؟! لكنها تعود الى سيرتها الاولى ، تحمد الله وتناجيه . فكان ايمانها هو المنقذ من افكارها الغريبة ، ومن فكرة الانتحار التي تراود مخيلتها مرارا .

بعد ان اتمت الدراسة الثانوية بتفوق ، التحقت بأحد المعاهد العالية بالقاهرة . عاشت مع جدتها ، والفت وجودها معها . وبرغم انها لا تميل اليها ، الا انها قنعت بهذا الوضع ورضيت به . وان الضرورة تميت الرغبة ، وقد كانت الجدة ضرورية لها حيث يتعذر لها ان تقيم في غرفة وحدها ، كما ان جدتها كانت تجهز لها حاجياتها وتعد الطعام . قامت الجدة بكافة الاعمال المنزلية وتفرغت الفتاة للمذاكرة . وما فعلت الجدة ذلك الا بناء على توصية من الام . لكن الفتاة تفاجأ بتآمر الجدة مع خالها الجشع كي يهضموا حقوق والدتها في ارث ابيها . وامها لا تراها الا يوم الجمعة من كل اسبوع . وكان يبدو عليها الانهاك والتعب ، فتكبت الفتاة آلامها ، ولا تبث الام شكواها . ان الام لا تستطيع في ساعات قليلة من كل اسبوع ان تبذر في قلب ابنتها بذور الحنان والرعاية ، واعتمدت في ذلك على الجدة التي ما كانت ترضيها تصرفات حفيدتها ، وكانت تعيب عليها تصرفاتها وتنتقدها مرارا ، حتى لم تعد الفتاة تستبين الحسن من السيء ، ولا الجميل من القبيح . وسرعان ما احست الفتاة بأن الجدة تكرهها وتمقتها . . الهي ! . . ما ابخس هذه الحياة ! . لقد أصبحت الجدة عقبة كأداء تقف دون رغباتها .

اتمت العذراء الواحد والعشرين من عمرها البائس ، الا انها احست بانزوائها عن زميلات الدراسة ، ولاحظت توتر اعصابها لكنها لم تستطع التغلب عليه ، بل كان احساسها بذلك عاملا مضاعفا . وازدحمت اعماقها باحساس مر اليم الا انها تتناساه وتذكر الله ورحمته ، فهو ملاذها حين لا تجد من تلوذ اليه . وتنازلت وهي راضية قانعة عن مطالبها كفتاة في ربيع عمرها ، وتغاضت عما تصبو اليه كل فتاة في مثل سنها .

تكاد تضيق بها حلقة الحياة ، وتكاد تحس ان لا احد يقف بجانبها ، ولا احد يؤازرها . . ان العائلة كلها تعتقد انها « فتاة نحس » . ان كل ما يصيب العائلة من احداث اليمة ، يرجعونها الى « النحس » الذي حل عليهم . . ولا تدري لماذا هي « فتاة نحس » ؟ .

ان الام — وهي الملاذ الاخير — لم تعد في الاونة الاخيرة تحتمل كلماتها . اصبحت تضيق بتلك الكلمات . . اصبحت الفتاة تجد مشقة بالغة في التنفيس عن آلامها المكبوت ، بعدما لمست تحول الام اخيرا الى الجهامة والضيق ، حتى اذا ما شكت لها معاملة الجدة القاسية ، تصلها كلمات امها في لهجة تهديد واسكات :

— قولي لي عنوان ابيك وانا أرسلك اليه ! .

فتخرس المسكينة ، تحبس بقايا الكلمات .

لكن الفتاة تعذر الام ، وترجع سلوكها هذا الى ما تعانيه من انهاك في عملها ، وعدم احساسها بالراحة ، ثم سرعان ما يتسرب احساس اليم حاولت في اول الامر ان تداريه لكنها في النهاية وجدت ان لا مفر من الاعتراف به ، احساس بالمقت والكراهية باتت تواجه به الام ، المرفأ الاخير لها في الحياة . لقد بدأت الام تغلظ القول معها وتكاشفها بأنها ليست جميلة . كما انها لا تتحرج في البوح لها بأنها لا تتصرف مثل بنات سنها ولا تحاول ان ترتدي ثيابا تجملها .

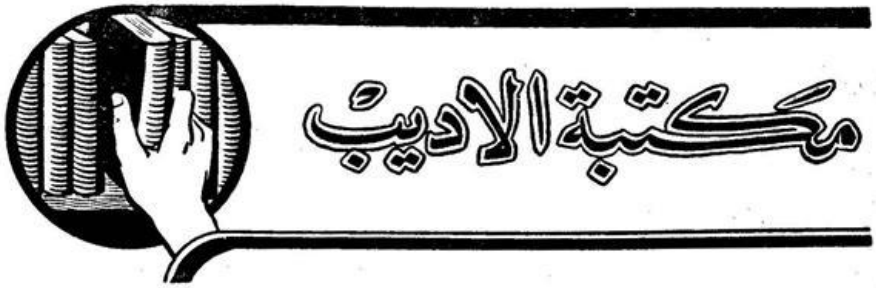
وتسود الدنيا في عيني الفتاة ، وتتخبط في دياجير اليأس . ومن جديد تراودها فكرة الانتحار ، لكنها تخاف الله كل الخوف ، فتتراجع في وجل وتبتهل الى الله ان يرحمها مما تكابده من آلام مبرحة .

انها تؤمن بالله ، فتصبر وتترقب الايام عساها تمن عليها بأمل قريب ، اي أمل ، ومن أجله تعيش ايامها الكئيبة . . وتظل تنتظر ذلك الامل . ان الايمان بالله جعلها تنتظر وتنتظر . . وستنتظره مدى عمرها الشقي ، انه امل بالحياة الحلوة الكريمة .

فيا لها من حياة ، ويا له من أمل ! .

القاهرة **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ديوان الوطن المحتل

جمع وتقديم يوسف الخطيب ـ ٥٦٠ صفحة ـ منشورات دار فلسطين للتاليف والترجمة والنشر ـ مطبعة (؟)

عودنا الاستاذ يوسف الخطيب ان نسمع صوته في كثير من الاحيان ناثرا ، كما نسمعه شاعرا . وحين قرانا له « عناصر هدامة » كان نثره في مجال القصة الصغيرة ، اما اليوم فقد طالعنا بشيء جديد هو مقدمته لديوان الوطن المحتل التي ربما اسميناها نقدا لو سمح لنا بذلك مؤلفها .

واديبنا هذا لا يخرج عن حدود النكبة التي تغطي وطننا العربي على سعته ، الا وهي نكبة فلسطين ، رغم ما يظنه الكثيرون من بعد عن مجالاتها لكونهم لا يحملون الهوية الفلسطينية . فالحانه الشعرية لا تصدر الا من اوتار المنكوبين ، وقصصه القصيرة لا تخرج عن عرض لبعض آثار هذا البلاء . والشعر الذي يقراه ويحلله ويعلق عليه انما هو نتاج ابناء المنكوبين . وهو في مقدمته يقف على صميم فوهة هذا البركان الذي اخذ يقذف بحممه منذ ان ظهرت البوادر الاولى لكارثة فلسطين .

جمع كاتبنا بين دفتي الديوان شعرا لشعراء فلسطينيين من داخل الارض المحتلة ، وهؤلاء الشعراء هم : (محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، راشد حسين ، عصام العباسي ، سليم يوسف جبران ، نايف صالح سليم ، حبيب زيدان شويري ، شادي الريف) وكان يقدم لشعر كل شاعر ببعض الكلمات الموجزة ، كما قدم للكتاب بمقدمة تصل المئة صفحة وانني في سبيل عرض ملخص لما احتوته هذه المقدمة من افكار .

بدأ يوسف الخطيب مقدمته بالاشارة الى انه كتبها قبل الخامس من حزيران ، ثم تبين لنا ان هذا الشعر الذي ضمه الديوان لم يكن احد يعرفه خارج الوطن المحتل قبل عام (١٩٦٤) حين انشئت اذاعة فلسطين من دمشق واخذت تطلع مستمعيها على بعض هذا النتاج .

ثم عبر بصراحة عن اعتقاده بانه لا يملك الهدوء الكافي الذي يمكن ان يسمح له بكتابة مقدمة حيادية بالنسبة لهذا الموضوع . بالاضافة الى انه ليس متخصصا في الدراسات الادبية . ثم انه لا يحبذ السير على مناهج نقدنا القديمة ، وبعض الحديثة المعروفة ، بسبب المآخذ الكثيرة التي يسجلها عليها . ثم طلب من النقاد بحرارة واندفاع الا يطبقوا مبادئهم النقدية على مثل هذا النوع من النتاج الادبي للمنكوبين.

ويقسم الكاتب بعد ذلك الفلسطينيين من حيث اقامتهم الى قسمين : قسم يسكن المنفى وهم اللاجئون الى البلاد العربية ، وآخر يسكن المعتقل أي المقيم في الارض المحتلة . وبعد ان يشير الى بعض ما يأخذه على الحكومات العربية في معاملتها للاجئين وفي تحديد اقامتهم ، ينتقل ليتحدث عمن هم داخل الارض المحتلة الذين يعيشون ابشع حياة عرفها انسان ، واملهم معلق فيمن هم خلف الحدود دون جدوى . ولا يجدون امامهم الا سعي اسرائيل الحثيث الى ابادتهم .

وينتقل الكاتب في فصل جديد من المقدمة الى الحديث عن الكاتب العربي بشكل عام ، فيصفه بفقدان الذات والذاكرة ، ويعيب عليه بعده عن قضية وطنه الاولى فلسطين واهماله لما يعانيه اخوانه فلسطينيو المعتقل داخل الوطن المحتل من كبت واضطهاد وابادة ، ملتفتا من وراء كل ذلك الى القضايا العالمية سعيا وراء الشهرة او وراء جائزة نوبل يحلم بها .

ثم يباشر الحديث عن الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة والبيئة العامة التي تحيط بها ، فيعطينا ملامح متنوعة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها اخواننا هناك محاولا عكس تفاعل هذه الجوانب المختلفة مع الحركة الشعرية لديهم . فهو يذكر مثلا تنبه الشاعر سالم جبران الى الالعاب التي راجت في اسواق الارض المحتلة ، والتي غايتها اشباع صغار الصهاينة بمبدأ ضرورة ابادة العرب (ادفع دولارا تقتل عربيا) . ويقف عند اشارة سالم الى الاضطهاد النازي الذي اصاب اليهود ، فيحاول تحليل هذه النقطة وهي ، ربط الاديب العربي دوما بين اضطهاد اليهود لاخوانه العرب ، واضطهاد النازية لليهود ، ويعلن الكاتب ثورته على هذا الربط بين الظاهرتين من قبل ادبائنا في حين ان ادباء العالم لا يقابلوننا بالمثل ولا يربطون الاضطهاد النازي لليهود باضطهاد اليهود للعرب . واذا اغتفر مثل هذا العمل لادباء الارض المحتلة نظرا للظروف القاسية التي يعيشونها فانه لا يغتفر ابدا للادباء الاخرين الذين يتوجب عليهم جعل مآسينا وحدها محورا للحديث .

ثم يقف يوسف الخطيب عند محاولة الصهاينة اذابة العنصر العربي المتبقي في فلسطين ، على قلته ، وذلك باحدى طريقتين : اما النبذ خارج الحدود ، او الاذابة داخلها . وتتم الطريقة الثانية بالقتل او بترسيب هذه الاقلية في قعر المجتمع وفي ادنى مستوياته .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى ظاهرة ارتباط الفلسطيني بارضه وقريته ، ويبين كيف ان القرية الفلسطينية بطبيعة وجودها ليست بعيدة عن المدينة . وبالتالي ليس التفاوت كبيرا بينهما ، خلافا لما هي عليه القرى في البلاد العربية الاخرى . ولذا فان مخطط شراء الارض قبل عام (١٩٤٨) من قبل الصهاينة لم يحقق لهم الا شراء (٣٪) فقط من مجموع الارض الفلسطينية ، كما انهم امتلكوا (٤٪) من املاك الدولة التي تخلت لهم عنها سلطات الانتداب الانكليزي ، وبذلك لم يكن لهم من مجموع مساحة الارض الا (٧٪) حتى عام (١٩٤٨) ومن هنا كان تركيز الجهود ، بعد ذلك التاريخ ، على امتلاك الاراضي ، فأصدرت مجموعة قوانين تعسفية حولت الملكية من الفلسطينيين الموجودين هناك الى اليهود . وربما كان نشوء منظمة ارض من قبل الفلسطينيين المقيمين هناك شبه رد على تلك الاجراءات الظالمة ، هذه المنظمة التي انشئت عام (١٩٥٨) .

من ذلك كله يتضح لقارىء شعراء الارض المحتلة انهم فهموا ابعاد قضيتهم ، وانها لا تكاد تزيد على مشكلة امتلاك ارض واغتصاب ارض . وربما فسر لنا هذا تصرف اسرائيل حين جعلت تاريخ ميلاد مستعمرة يهودية هو بالذات تاريخ ابادة قرية عربية كما حدث في مستعمرة (كرمئيل) التي احتفل بتدشينها في ذكرى ابادة قرية (كفر قاسم) . ولذلك فقد وجدنا الشاعرين : توفيق زياد وسالم جبران يستمدان فكرة بقائهما وخلودهما في ارضهما من بقاء هذه الارض ذاتها وما عليها من زيتون وتين ... لانهما وهذه الارض شيء واحد . كما عبر محمود درويش عن توحده مع الارض احسن تعبير ، ولذا فقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتعد عن القمر لانه يتحول ويغيب اما الارض فانها ثابتة لا تغيب . ولذلك فانه ملتصق بها خشية أن يسحبها احد من تحته . ويتمثل هذا الشاعر الارض اما له ، والامة اباه . ولكن هذا الاب غائب عن مجده وقومه ، وزوجه الارض وابنه الشاعر الذي رفض الخروج وراء ابيه مؤثرا البقاء الى جانب امه الارض . هذا بينما نجد سميح القاسم يبحث دوما عن ابوته القومية رغم بقائه على تلك الارض .

ولقد عرض لنا يوسف الخطيب كل ذلك توضيحا لمخطط الصهاينة الرامي الى تصفية العرب داخل الارض المحتلة ، وتبيانا لفهم الشعراء هناك حقيقة تلك المخططات .

ثم هنالك موقف آخر للشعراء العرب يتعلق بالتاريخ يمثله لنا سميح القاسم المتشبث بقومه وانسانيته ، والمتمسك ، ربما لاجل ذلك، بعمود الشعر والتراث اللغوي .

وينتقل المؤلف الى اشعار سميح القاسم وصلته بجريدة «الاتحاد» والفئة الشيوعية هناك ، وتموج مواقفه بين هدوء نسبي وهيجان شديد . ويخلص من ذلك الى شبه اثبات لفكرته معضدة بالشواهد القائلة بأن الدرويش متشبث بالارض ناطور لها وان القاسم متشبث بالتاريخ ناطور له . ولا ينسى ان يشير الى موقف الدرويش من القضية الكردية ، وينكر عليه تعاطفه مع الاكراد ، واستشهاده باسم القائد الكردي صلاح الدين في مكان لا يصح ان يستشهد فيه باسمه ، لانه لم يكن قائدا يمثل اقلية كردية ، بل قائدا وحد العالم العربي في افريقيا واسيا ودفع عنه كيد الغزاة والمعتدين . وهكذا يظهر القاسم بموقفه الغامض من اكثر الامور التاريخية المتعلقة بالدين ، رغم تشبثه بالقوم والتاريخ .

وبعد تلك الجولات بين الشعراء يصل المؤلف الى سعي اسرائيل نحو نشر الامية بين الفئة العربية وتعميم التجهيل والاكتفاء بقدر محدود من المثقفين الموجهين لفائدة مصلحة الدولة في الاذاعة والصحافة وغير ذلك . ويذكر من ثم حذفها لمادتي الديانة الاسلامية والديانة المسيحية من المدارس الثانوية وتحريمها تدريس سورة (الممتحنة) . وقد استطاع سميح القاسم ان يتنبه الى كل هذه الامور نتيجة لعمله في سلك التعليم .

ويصل بعدئذ الى عرض دقيق لوضع العامل العربي في فلسطين ، بعد ان حرم نعمة العلم ، ويعرض موقف الشاعر توفيق زياد من هذا العامل ، ثم موقف الاسرائيليين منه ، من حيث هو صوت انتخابي في البرلمانات والدعايات العالمية عن حرية الانتخاب ، وكيف ان اكثرية الاصوات تذهب بالترتيب الى : حزبي الماباي والمابام ثم الى الحزب الشيوعي . ويقف بعد هذا على تشكيل (الهستدروت) وموقف هذه المنظمة من العمال العرب ، ثم موقف الحزب الشيوعي من المنظمة ، وابتعاد الاقلية العربية عن هذا الحزب من جراء موقفه غير السليم من (الهستدروت) مما ادى الى انقسام الحزب الشيوعي نفسه فيما بعد. وان هذه المفارقات نفسها هي التي تعكس موقف الشعراء والعمال العرب من هذا الحزب وقلة الاصوات التي ينالها منهم رغم ان مطبعته هي المنبر الوحيد لاولئك الشعراء ...

ثم يلتفت الكاتب الى شاعر اخر هو راشد حسين الذي لجأ الى التعامل مع مطبعة حزب المابام مبتعدا عن مطبعة الحزب الشيوعي رغم ضيق دائرة الحرية في المطبعة الاولى . ومن خلال ذلك كله يلجأ المؤلف الى تحليل مواقف الحزب الشيوعي داخل الوطن المحتل ، هذا الحزب الذي يقصر سعيه على هدف واضح وهو قلب اسرائيل من وطن اسرائيلي راسمالي الى وطن اسرائيلي اشتراكي . وهذا ما يجعل العرب حذرين من التقرب اليه لاجئين الى صحف المابام ، ولا سيما في المواسم الانتخابية لعرض ظلاماتهم على السلطة ، وان كان هذا ليس هو الطريق السليم بالنسبة للشاعر الملتزم والاديب الطليعي .

اما الاقلام العربية التي تكتب في مطابع الماباي فانها اقلام رخيصة ماجورة لا تعدو مهمتها ترجمة افكار الصهاينة من العبرية الى العربية .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل٠ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩
Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩ تليفون :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا ما اظهرت توجعا لما يقع للعرب من مظالم فان توجعها ليس الا توجع نيرون على ضحاياه .

وفي نهاية المطاف يلجأ المؤلف الى عرض سؤال هام وهو : كيف اتيحت الفرصة لنشوء هذه الحركة الشعرية داخل الوطن المحتل ؟ ويخطىء قبل كل شيء الرأي السائد بأن هنالك ثغرة في التشريع الاسرائيلي تسمح لكل مواطن باصدار نشرة واحدة في العام دون رقابة. ويعمد الى دحض هذا الرأي بالبراهين . اما نتاج الشعراء فليسوا هم الذين يصدرونه بل تصدره عنهم جهات او مطابع او دور نشر شيوعية او مابامية . ولو كان هنالك ثمة حرية نشر لما وجدنا ديوان « اغاني الدروب » لسميح القاسم وقد وضعت الرقابة الصهيونية ميسمها عليه وحذفت منه الكثير .

ثم يعمد الى الاجابة على السؤال فيرى ان العوامل المساعدة على ظهور الحركة الشعرية تتجلى في : اولا المطبعة الشيوعية رغم كل ما يمكن ان يقال عن الحزب الشيوعي ذاته . ثانيا ، شعور كامن في دم ولحم اولئك الشعراء بانهم قادة شعبهم وانه عليهم ان يتحملوا كما تحمل الانبياء . ثالثا وقوف السلطة من تلك الحركات موقف الفطرسة واللامبالاة والاطمئنان الى ان آفاقها لن تتعدى حدود الدولة او لتقل جدران السجن الذي عاشت فيه ، وذلك بعد ان لمست ان اجهزة الاعلام الغربي بقيت فترة طويلة لا تعبأ بهذه الحركة ولا بالعرب جميعا الذين يعيشون داخل الارض المحتلة ، الى ان تأسست اذاعة فلسطين من دمشق . وحينذاك بدأت السلطة الصهيونية تقدر خطر هؤلاء الشعراء وتعمد الى مقاومة اشعارهم وزجهم في سجونها وفصلهم من اعمالهم كما فعلت مع سميح القاسم حين فصلته من مهنة التعليم .

وفي نهاية المقدمة يبين المؤلف هدفه الاسمى من وراء ذلك العرض هو التعرف على الحركة الشعرية النامية داخل الوطن المحتل ، وتفهمها وقيادتها الى سواء السبيل خوفا عليها من الضلال والضياع .

ذلك هو موجز لما حاول يوسف الخطيب عرضه في مئة صفحة عمد بعدها الى ايراد اشعار هؤلاء الشعراء في (٤٦٠) صفحة فكان الديوان بمجموعه منيفا على (٥٦٠) صفحة .

والواقع ان ما قام به كاتبنا هو عمل عظيم مشكور ، وانني ما عمدت الى عرض ملخص له بغية التوصل الى النقد وذلك لان الكاتب قد اعلنها عالية من خلال مقدمته في قوله : « يا نقاد العالم ارفعوا ايديكم عن قصائدنا » فطبقت هذا المعنى في صيغة اوسع هي « يا نقاد العالم ارفعوا ايديكم عما نكتبه » لا سيما وان الكاتب بين منذ اسطره الاولى انه ليس ناقدا ولا محاولا سلوك سبل النقد المألوفة ولن يكون حياديا فيما يكتبه .

واذا ففايتي هي التعريف بالكتاب وحث الاخوة العرب في كل مكان على قراءته ، وعلى تتبع اثار واخبار اخواننا داخل الوطن المحتل . اذ ليس من الشهامة في شيء ان يسعى الصهاينة الى جمع شتاتهم المبعثر في ارجاء الارض وان نهمل نحن فئة منا ، لا نعرف شيئا عن احوالها وهي على مرمى حجر من مواقعنا . وان مهمتنا كذلك ليست معرفة احوال اولئك فحسب بل معرفة كل شيء يتعلق بهذه النكبة التي اجتاحت وطننا من اقصاه الى اقصاه حين اصابت القلب منه . وبدأ الداء يستفحل كما تستفحل الامراض في جسم الانسان المصاب بقلبه ان لم يسرع الى معالجة اساس الداء ومعرفة كل عوامله ومسبباته للقضاء عليه .

دمشق — **لطفية الشهابي**

●

شارع الخلا

رواية ـ تأليف فؤاد حجازي ـ ١١٨ صفحة ـ مطبعة (؟)

في هذه الرواية .. يريد الكاتب الدقهلاوي « فؤاد حجازي » ان يقول ان في داخل كل انسان شخصان . شخص له .. انانيته .. وحقده .. ومطامعه . وشخص له .. رقته .. وضعفه .. وشهامته .

فالمعلم « بدير » في عصارته مثالا للمخادعة .. والغش .. والكسب الحرام .

« تفقد المعلم بعينيه البنك فوجد ان عصير المانجو لم يصنع بعد ، امر احد العمال بالتحضير لعمل وجبة المانجو بعد قليل ، نهض عصر حبتين من المانجو واضاف اليهما ماء حتى ملأ البرطمان ، غمق لونه بقطران من صبغة لون البرتقال واضاف اليه قليل من النشا ليتثاقل قوامه ثم أذاب السكر ووضع الثلج ، ووقف يراقب البرطمان زهوا بعمله :

يا سلام ... مين يعرف يعمل الحلويات يا اولاد .. لون الكهرمان .. كدا يكون شربات المانجه ص٩ س٥ ف٢ .

وعندما يبدي عامله « فوزي » ملاحظة عابرة تتعلق بعملية العصير يقول له :

« انت هنا في نعيم .. فيه ناس ما سمعوش عن حاجة اسمها ضمير مش حتصدقني .. يحطو لبن زبادي على عصير المنجة تقوم تتخن » .

ثم مصمص شفتيه ، لغاية الان اربعة جنيه مصروف على المانجة .. يا ناس المحل بيخسر « ص ٩ س ١٦ ـ ١٨ ف ٢ .

ولكن عندما كان يغادر « بدير » عصارته ، كانت تغادره شخصيته الجشعة وتحل محلها ، شخصية ابن البلد بشهامته واصالته وطيب عنصره :

« كنت احيانا اذهب الى بيت المعلم لامر من الامور ، فاذا صادف ذلك وقت الغداء أصر الرجل على ان اتناوله معه .. ويشملني عطف معلم ابن بلد .. ويجعلني من الدهشة اتساءل .. اين تذهب شمائله الحلوة التي يبديها نحوي ونحو غيري من العمال في منزله ؟ ولماذا تغادره عندما يحضر الى المحل « ص ٣١ س ٢ ـ ٤ ف ٥ » .

والحال كذلك بالنسبة لـ « حندق » عامل البنك في عصارة « الشرفاء » التي يملكها المعلم بدير في « شارع الخلا » فاننا .. مرة نجده انسانا .. مشاكسا .. وحاقدا .. وغشاشا :

« جلس حندق يقشر المانجو ويلقي بها في حلة امامه وضع عليها السكر واخذ يدعكها ، يقشرها ونواها ولحمها حتى اخذ كل ما يمكن اخذه ، وكان لا يتحرج من القاء اي ثمرة الى الحلة .. سواء اسكنها الدود او اصابها العطب وفهمي عامل العصارة يراقبه في تقزز واخيرا قال لي والكلام لك يا جزة :

ـ بالذمة لو رمى المعطبة .. حيخس .

ـ حندق في ضيق : شوف شغلك .

فهمي بهدوء : انت دافع حاجة من جيبك ؟

حندق في صفاقته المعتادة : قلت شوف شغلك » ص ٣٤س١ف٦

ومرة نجده .. انسانا .. له ضعفه واحاسيسه الرقيقة كبشر :

« أنا ما اقدرش اتحمل اكتر من كده .. انا يلعن أبويا .. كان عمل فيه ايه علشان يلعنه .. ولاول مرة ألمس رنة اسى في صوت حندق وهو يقول :

ـ حرام عليه الراجل نايم مكسر .

قلت له : ما تخدش في بالك .

ـ ست شهور وهو نايم .. من يوم الفرسة ما هرست رجله .. عمل كذا عملية .. والورشة عطلانة .. أنا يا عم ارجع الورشة .. وأبعد عن سي بدير ده .

وسألته دهشا : أنتو عندكم ورشة يا حندق ؟

فقال في تيه وهو يدير عينيه في وجوه العمال : سي فوزي موش عاوز يصدقني .. عندنا ورشة عربيات كارو .. فيها عدة .. بتلتميت جنيه، برضه احنا ولاد ناس ولا ايه ياسيفهمي ص٧١و٧٢ ف٢

بهذا الحوار كله .. أكد كاتبنا الشاب بأفعال بطليه « بدير » و « حندق » بأن لكل انسان في الحياة شخصيتان . خيرة .. وشريرة

.. وليس بالخير .. او الشر .. وحده .. يحيا الانسان . فالخير .. والشر .. صفتان متلازمتان .. في الحياة .. لكل البشر .

ولكن رغم كل هذه التاكدات ، فاننا نجد السيد الكاتب يقول على لسان بطله « فوزي » عن « خليل » شقيق بدير :

عجبت لمثله كيف يحب « ص ١١٨ س ٩ ف ١٨ .

بهذا السطر اليتيم .. عاد « فؤاد حجازي » فنفى كل ما أكده في كل سطور روايته « شارع الخلا » التي تبلغ صفحاتها ١١٨ من الحجم المتوسط بأن لكل انسان في الحياة شخصيتان . خيرة .. وشريرة ..

بدير الغشاش .. حندق الحقود .. فوزي اللص .. فهمي الساهي .. نجيه المشاكسة .. كل هؤلاء كان لهم في الحياة شخصيتان . خيرة .. وشريرة .. فلماذا .. اذا .. جعل « فؤاد » من « خليل » شقيق المعلم « بدير » شخصية شريرة .. لا يجوز لها ان تحب ، ولا ان تحيا كسائر شخصيات الرواية . الآن خليل « أبله » والبلهاء في شريعة « كاتبنا الشاب » ليس لهم الا حياة واحدة .. حياة الشر . ولا يمكن الجمع بين الاثنين معا .. الخير والشر .. عند البلهاء . وحتى عندما أحب « خليلا » ابنة جزارة دكانها في آخر « شارع الخلا » جعله « الكاتب » يحبها من طرف واحد .. طرف .. « خليل » طبعا .. الذي كان يعاكسها قائلا :

« نفسي في حتة من الليلة .. والنبي لحمه أبيض من الفل » ص ١٠٦ ف ١٧ .

وايضا عندما تحدث عن « خليل » بافاضة فانه لم يجد الا هذه الصورة الكئيبة ليتحدث عنه بها :

« وخليل يتلاشى في حضور المعلم بدير ، لا يسمع له صوتا .. اذا امره نفذ فورا ، اذا خطاه لم يرد .. يخافه جدا لا يعمل له الف حساب فقط بل يضطرب لمجرد ان يطلب منه اي شيء ، او حتى ينبهه الى مراعاة شيء ما ، ان مجرد تبادله الكلام مع المعلم بدير في ذاته مشقة كبيرة بالنسبة له ، ودونها طلوع الجبال . أما اذا غاب المعلم بدير ، تفتح احدى « برايز » الشارع وتختفي فيها وداعته ، ويحل محلها رجل غضنفر والجميع لا يهابونه ولا يعملون له ادنى حساب ، فهو في نظرهم ابله ولا يخشون ان يدس لهم عند اخيه ، فهو اقل من ذلك ،الا ان بلاهته تسبب ضيقا للعمال ، فلسانه السليط لا يكف عن ايلامهم ، وعندما يكون اللسان سليطا ومن آباه ولا توجد معاملة بالمثل فهو مهما كان وضعه اخ للمعلم فان الالم يصبح عظيما ص ١٠٦ س ١٧٠٧ ف ١٧ .

وهكذا وقف « فلاد حجازي بكتابته لهذا السطر اليتيم الذي وضعه في ختام روايته حائرا لم يستطع ان يحدد معالم طريقه جيدا .. ولا ان يوضح الفكرة التي اراد ان يقولها في « شارع الخلا » . هل الانسان في الحياة .. خير وشر معا .. او .. لا بد .. ان يكون لكل من الشر والخير .. شخصية .. مستقلة . ليحيا الانسان .

لم يستطع « فؤاد » ان يقول لنا هذه الكلمة بوضوح ..

طلخا ـ ج٠ع٠م٠ **ابراهيم البوهي**

●

السماء ايضا تبكي

مجموعة قصص اجتماعية ـ تاليف السيدة حنيفة فتحي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

اذا كان الشعر اداة تعبير عن المشاعر الانسانية في الحياة فان القصة تعتبر كل الحياة لانها تحمل في مضمونها احاسيس الافراد بشكل مملوء بالمعاناة الروحية التي تشعر الانسان بان القصة جزء من حياته .. تصور احساسه .. تنقل افكاره .. تعرض ما في نفسه من اسباب الضيق .. وقد اعتبرت القصة من ابدع الفنون الادبية وادقها احساسا واجملها روحا .. وبالاضافة لكونها مرآة تعكس الواقع الاجتماعي في خيره وشره . ولذا فقد حظيت القصة باهتمام العالم الادبي في شرقه وغربه وكتبت فيها دراسات تبت وجودها كفن يفوق كل الفنون ذوقا وجمالا . والكاتب القصصي عندما يريد ان يصوغ من افكاره او واقعه قصة لا ينسى اسس الفن فيها كالشخصيات ، والحوار ، وطريقة العرض . والبيئة التي تصور احداث القصة والحبكة الفنية فيها . وايضا جمال الاسلوب الذي يجمع كل العناصر المذكورة لكتابتها . ومما لا شك فيه ان للقصة القصيرة في الشرق كتابا تفوقوا في خلقها . وجعلوا لها مكانة كبيرة في العالم الادبي . باعتبارها صورة مصغرة من حياة الشعوب .

فاذا كان هذا اول اعتبار للقصة فما هي تلك الصورة التي نحكم بها على الاديبة السيدة « حنيفة فتحي » من خلال مجموعتها القصصية الاخيرة « السماء ايضا تبكي » ومن المعروف ان الكاتبة تحمل في مطاوي نفسها موهبة فنية لا ينكرها عليها احد في مجالنا الفكري . وهي في هذه المجموعة تحمل لنا اكثر مزايا القوة للاديبة الاصيلة ، فهي تبرز لنا الصور المتواضعة قوية المضمون . متماسكة الاسلوب تعتمد على عنصر التشويق في اكثر القصص .. فيها رشاقة الكلمة التي لا تضل مكانها وفيها اصالة التحليل للشخصيات الانسانية ممثلة كلها في الحوادث الخارجية . ولقد حرصت المؤلفة ان تعطي اكثر قصصها القيمة الفنية الجيدة .. وهذه ميزة حميدة يتحلى بها القاص الناجح وحنيفة في مجموعتها القصصية ادت مهمة الكاتبة في خدمة مجتمعها . فاخذت من كل طبقاته (عينات) مختلفة لظروف مختلفة . وعالجتها باسلوب جميل حتى يحس القارىء انه يقرأ نفسه في كل اطوارها . والمجموعة تحتوي على ست عشرة قصة مضافا اليها قصيدة حانية لدموع طفلة بائسة . والقصص كلها تتناول قضايانا .. قضايا الانسان المعاصر في مجتمع مشعب التقاليد ، تخالطه مدنية افسدت اكثر روحانياته الجميلة .. والانسان في قصص حنيفة يعيش في صور كثيرة ويتقن دوره كممثل انساني فوق بسيطة الارض وهو في كل اطواره انسان فاضل رغم مغريات الزمن . ودعابات الاقدار لروحه الطيبة تارة ... المتمردة اخرى .. والكاتبة تحسن طريقة العرض بحيث تستطيع ان تسيطر على قارئها .. وهذه ايضا ميزة تضيفها الى مزايا القصاص الناجح .

ان اول ما يصادفك في تلك المجموعة قصة « لماذا » التي ارادت المؤلفة ان تترك جواب السؤال فيها الى المستعمرين انفسهم .. هؤلاء الذين يفدون على الوطن كداء أثيم .. ويحاولون سلب المواطنين الامنين حرية النفس .. وسيادة الوطن .. ان هؤلاء الغاصبين الذين يتارجحون على اعمدة الذل لا يجدون في وطننا الكبير الا نهايتهم المحتومة على أيدي ابطالنا الاحرار فالحرية عندنا لا يعادلها الا حرية الروح والحياة .. ان شخصية الشيخ الوقور في هذه القصة صورة مشرفة من صور نضالنا القومي .. انه بذرة ترعرعت في احضان الخير والحرية والفداء .. ولقد اجادت المؤلفة رسم شخصية الشيخ . وحركته بريشة الفنان الذي يرسم الحقيقة بدون طلاء ولا الوان .. فتبدو الصورة طبيعية معبرة هادفة .. وقصة « لماذا » واقعية نقلت من واقعنا الاجتماعي بكل صدق وامانة .

وهناك قصة وطنية اخرى هي (الجبان) فهي ايضا من صور نضالنا القومي .. تدور احداثها في ظروف معينة تعتبر لمحة مجيدة من تاريخنا السياسي هي حرب بورسعيد .. والجبان في القصة هو عنصرها الاساسي الذي تتوقف عليه قوة القصة او فشلها . لان الجبان

كان يعيش ضمن اسرة كلها بطولة وثورة الا هو فقد كان يخشى الحرب ولا يحب صوت الرصاص .. ولا رؤية دخان المدافع .. كان يحيا بشكل سلبي مشوه دابه الوحيد ان يضعف من همة الاخرين الوطنية مدعيا بذلك حبه للسلام والخير وان (لا تؤخذ الدنيا غلابا) والمؤلفة في هذه الشخصية اهتمت الى حد ما باظهار الضعف النفسي عند بعض الرجال وصورته بدقة وجمال واضفت بعض المعالم الفنية على التحليل حتى ليمكن القول ان بكل كلمة في القصة واقعية ملموسة وظاهرة . ثم ان « النقلات » الفنية وتجاوب الجبان المستمر مع مخاوفه وانطوائه بعيدا عن معركة الحياة فيها اصالة الكاتب المتمكن من مقدرته وفنه . والجبان ظل جبانا الى ان استشهد اخوه في المعركة . وجثت امه جثمانه ترثيه .. في هذه اللحظات انقلب الجبان الى اسد . وتابط السلاح واتجه الى المعركة يعيد مجد اخيه ورفاقه الشهداء ولم يدر بخلده لحظة انه كان يوما جبانا .. بل على العكس كان يتحسس قوة خفية تدب في فرائصه . ويدفع بالرصاص دفعا دون هوادة . وكانه كان ينتقم من جبنه الذي كان وصمة عار في جبينه . وادرك لتوه ان الرجال لا يقاسون فيحياتهم الا بالقوة والفداء .. وانالوطن لا يبنى الا على سواعدالشباب الرجال منهم والفتيات حتى امه العجوز كانت بطلة ... واخته ايضا بطلة ... اذن لماذا لا يكون هو بطل يحمل شرف الكفاح عن وطنه .. عن كل شبر في ارض امته .. وظل يطلق الرصاص هنا وهناك بشكل جنوني لا يدل الا على حب المواطن لوطنه .. ان هذه القصة تعتبر من افضل قصص المجموعة فيها ترابط فني جميل .. والعرض فيها متماسك لدرجة بدت القصة كاملة العناصر للقصة الناجحة .

اما بقية القصص فانها اجتماعية بحتة .. تعالج بعض العيوب في المجتمع الشرقي . وقد عالجت المواضيع بأسلوب لطيف لا يبعث الملل .. ففي قصة « تمثال من الطين » نجد اكثر من فكرة تكاد ان تكون موضوعا منفصلا فهي ذات لون جديد في ادبنا القصصي .. تمتاز بالاداء والعرض الجميلين . ولقد تمكنت المؤلفة ان تترجم لنا الحب (على لسان بطلتها) بشكل تمثال موجز لكل معاني الحب الكبير في جوانح قلبها الصغير . فانابت التماثيل عن لسانها في هذا التعبير .. فهي خرساء تكن لسيدها النبيل الولاء والشكر والحب .. ولكم صنعت له من تماثيل الحب ليدرك ويفهم ما وراء طفولتها من احاسيس وليشعر (على الاقل) انها ترد له الجميل يوم ردها عن التشرد وملأ معدتها الخاوية بأجود اصناف الاطعمة .. ولكن السيد ظل يعيش فيما يشبه الغباء ولم يفطن الى ذلك الحب الا عندما اخذها (السيد) الى صدره .. عندئذ فقط احس ان وراء هذا الصمت عيونا تتكلم ، واحاسيس تمور .. واصداء دفء لذيذ يموج في جسد يزحف الى النمو والشباب وادرك لتوه انه هو قد صنع منها تمثالا واحدا يتحرك .. ولكنها هي صنعت له عدة تماثيل تمتاز بالشكل والرمز .

هذه القصة ظلت قوية البناء الى ان حدثت المفاجأة ، اذ اراد (السيد) ان يتزوج يوما واعلن تباشير الفرح .. واحست الطفلة ان وجودها في ذلك البيت سيكون مدعاة شقاء لسيدها . فارادت ان تودع البيت بنفس الهدوء الذي ولجت به اليه .. تاركة وراء ظلها اشياء حلوة تسمو بها النفس الكبيرة .. تركت له التمثال كنوع من ذكرى حبيبة .. ثم ولت وفي نفسها بقايا حنان ابوي له تره طوال حياتها .. هذه القصة مثيرة في احداثها . وتكاد تكون اقوى القصص ..

واما قصة « السماء ايضا تبكي » التي اختارت المؤلفة اسمها عنوانا لكتابها . فهي لا تقل عن سواها من حيث الاسلوب والاداء .. ولكنها ليست جديدة الفكرة .. ومضمونها يتلخص ان فتاة شابة تنسج من وجودها قصصا .. وتكتب ادبا تفند به ماهية الدنيا والوجود .. وفجاة تقع تلك (الانسانة) في حب فنان كبير السن عاش من العمر عتيا وهو يرسم بألوانه ماهية الدنيا والحياة والوجود ايضا .. هي تكتب .. وهو يرسم .. وهو يحبها كابنته (ان صح قوله) وهي تحبه كرمز للفنان العظيم الذي تبارك السماء فنه فتمطر يوم وفاته . اعترافا بعبقريته .. والقصة في مجموع احداثها لا تزيد على الملخص بشيء اللهم الا العرض السليم لخطرات المؤلفة الفكرية وهي (علي العموم) شفافة بديعة للقصة الذاتية ..

اما قصة « المراكبي لوز » فانها تعتمد على عنصر الاعتماد على النفس هذا المراكبي المكافح التي تنطق ملامحه السمراء بكل معالم القوة والصبر الذي امضى معظم عمره يداعب الامواج بمركبه ويغني لها اغانيه يعيش بذراع واحدة .. ولقد بترت ذراعه الاخرى منذ الحرب العالمية الثانية واثناء غاراتالانجليز والالمان . وفقده لذراعه لم تبعده عن المعركة .. معركة الحياة فاندفع يعمل في اصعب مرفق من مرافقها . ولم تهزمه العاهة عن النضال في سبيل لقمة العيش (الحلال) هذا الرجل ليفخر الوطن بأمثاله لانه يأبى ان يكون سلبيا .. وان يكون عالة على الاخرين الذين يجدون عليه ببقايا خيرات النفس .. ان القصة تعرض بكل صدق حياة هذا المكافح وهي تشعرك ان لا مكان للسلبية في حياتنا الجديدة وفي مجتمعنا البناء .

اخيرا هانذا عرضت بعض القصص كدلالة على قيمة الكتاب الادبية تاركة البعض الاخر لحكم القارىء ، وقد يجد غير ما وجدت . ولكني لا اشك بانه (يشاطرني) الرأي من حيث جودة الاسلوب .. وجمال الافكار . وقوة العرض . وقد لا ينكر معي ان كاتبتنا الادبية حنيفة فتحي خاضت ميدان الفكر بكل ثبات وهي كسب كبير للادب عامة والقصص خاصة وقد يظن (البعض) انني تناولت ادب حنيفة من زوايا الاعجاب والتقريظ تاركة ثغرات النقد والتشريح . وليعذرني (البعض) اذا لم اجد في هذه القصص الا صورا من حياتنا عولجت بعضها بأسلوب تفوق على نفسه قوة وبعضها الاخر باقل مستوى كقصص « الست كريمة » .. « أحبك ولكن » .. « شيء يموت » ، « فوق خشبة المسرح » .. « والضحية » . وان كانت الاخيرة تدور كحوار بين أم وولدها حول العرف والتقاليد والحب الاعمى فهي على كل حال تبدو قصة اممة للارشاد فقط .

هذا بالاضافة الى ما نلاحظه على ادب المؤلفة . انها في اكثر القصص تركت الابطال بدون اسماء ورمزت اليهم مرة بالسيد .. واخرى بالرجل . او بالانسان . كما ان اكثر القصص تخلو من تبادل الحوار بين الابطال .. وظلت المؤلفة . (عارضة) للاحداث فوق الورق .. حتى ان بعض القصص اصابها ما يشبه الوهن . والحوار عادة من اهم الاسباب الذي يجعل القصة قطعة من الواقع . يحس القارىء انها قصته تتحرك امام عينيه بكل تفاعلها الانساني الكبير وعلى العموم « السماء ايضا تبكي » مجموعة قصصية تكاملت فيها اكثر الصور الحلوة لادب القصة .

القاهرة — منور فوال

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة



● ابن رشد والغزالي ، التهافتان : دراسة ومختارات ـ تأليف يوحنا قمير ـ ٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت .

● ثار او عار ـ تأليف اميل الغوري ـ ٩٨ صفحة ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● وجهان عاريان ـ رواية ـ تأليف باسم سرحان ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● في الحضارة العربية : صور عباسية ـ تأليف الدكتور ناصر الحاني ـ الغلاف تصميم امل بورتر ـ ١٥٦ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ذكريات نائب ـ تأليف محمد برجاوي ـ ٥٦ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الاجماع في التشريع الاسلامي : دراسة موضوعية للركن الثالث من ادلة الاجتهاد مقارنة باراء المذاهب الاسلامية كافة ـ تأليف محمد صادق الصدر رئيس التمييز الشرعي الجعفري سابقا ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت

● الله .. والحب اليابس ـ مجموعة شعرية ـ انصاف الاعور معضاد ـ ١١٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● بعض امراض الدولة في لبنان وطرق علاجها ـ تأليف عبده عويدات ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الكمنديات ـ ديوان شعر ـ للشاعر المهجري جورج كعدي ـ تقديم كعدي كعدي ـ الجزء الاول ـ ٣٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة فاندوم ببيروت .

● اعلام من لبنان والمشرق ـ تأليف جورج غريب استاذ الادب العربي في المعهد الانطوني ـ ٢٠٠ صفحة ـ الكتاب ١٢ في سلسلة « الموسوع في الادب العربي » ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة الغريب ببيروت .

● قبل على شفاه ـ مجموعة شعرية ـ جورج غريب ـ تقديم انطون قازان ـ مصمم الغلاف رضوان الشهال ـ العناوين للخطاط محمود شعبان ـ ٢٤٨ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة الغريب ببيروت .

● من هو الانسان ؟ ـ تأليف صموئيل عبد الشهير ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات رابطة المطبوعات المسيحية العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عطر وحبر ـ دراسات وابحاث ـ تأليف عبدالحميد العلوجي ـ ٣٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● الدعاية العربية امام التحديات الصهيونية ـ تأليف الدكتور فاضل زكي محمد ـ ٨٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الدبلوماسية في النظرية والتطبيق ـ تأليف الدكتور فاضل زكي محمد ـ طبعة ثانية موسعة ومنقحة ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● عندما تكون الحياة رخيصة ـ مجموعة قصص ـ تأليف ادمون صبري ـ ٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● خارج من الجحيم وتمثيليات اخرى ـ تأليف صادق راجي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الدين والحياة ـ تأليف الشيخ محمود البرشومي ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● مقال في الشعر العراقي الحديث ـ تأليف عبد الجبار داود البصري ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافةوالارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● رسالة الطيف ـ تأليف بهاء الدين علي ابو الحسن الاربلي ـ تحقيق عبد الله الجبوري ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● ابعاد الصراع العربي الاسرائيلي ـ تأليف جميل كاظم المناف ـ ٢١٢ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● كتاب خصائص العشرة الكرام البررة (رضي الله عنهم) ـ تأليف جارالله ابي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ـ حققته وعلقت حواشيه وقدمت له الدكتورة بهجة باقر الحسني ـ ١٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● ديوان ليلى الاخيلية ـ عني بجمعه وتحقيقه خليل ابراهيم العطية وجليل العطية ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● في زنزانات اسرائيل : مذكرات النقيب التركي شهاب طان ـ ترجمة ابراهيم الداقوقي ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الرحيل ـ مجموعة قصص ـ تأليف خضر عبد الامير ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الهارب ـ قصةطويلة ـ تأليف شاكر جابر ـ ٩٦صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● غفران ـ مجموعة شعرية ـ محمد جميل شلش ـ تقديم عبدالجبار داود البصري ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية وسلامة الموقف العربي من القضية الفلسطينية ـ تأليف حسين جميل المحامي ـ الطبعة الثانية ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات وزارة الارشاد والاعلام ـ مطابع المؤسسةالعامة للصحافةوالطباعة دار الجمهورية ببغداد

● ديوان العباس بن مرداس السلمي ـ جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ـ ٢١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● من مناهل الحياة ـ مجموعة قصص ـ تأليف الياس قنصل ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ـ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

كتاب اليتيمة ذو تأثير اندلسي

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

أكثر ما عثر عليه في التراث الاندلسي من كتب التراجم والاخبار ، يرجع تأليفه الى عهد ملوك الطوائف وما يليه ، وأقله يتقدم هذا العهد لأئمة من سابقي الكتاب ، وانت حين تقرأ هذا الكثير ـ مما صدر في العهد الاخير ـ تجده يكاد ان يكون متشابها ، فليست هناك فروق بعيدة بين كاتب وكاتب ، وكأنهم يصدرون جميعا عن مورد غير مختلف ، ولا ننكر ان لكل كاتب ما ينفرد به من السمات التي لا تخفى على البصير المتيقظ ، ولكن الطابع العام مع ذلك واحد ، فجل هذه الكتب تميل الى المبالغة والاسراف ، وتتخذ من التراجم الانسانية معرضا للبديع بسجعه وجناسه ، حتى لتكاد الحقائق الذاتية تختفي في طيات هذه الزركشة الشائعة ، وهي ظاهرة هامة تحتاج الى تعليل وتحليل .

لقد وفدت الى الاندلس من الشرق كتب الاعلام من أئمة التأليف ، وتداول الاندلسيون آثار ابن المقفع ، والجاحظ ، وأبي الفرج الاصفهاني ، وابي حيان التوحيدي ، واضرابهم من ذوي الاسلوب الحي والتفكير الخصب ! ولكن أثر هؤلاء الائمة لم يكد يتضح فيما نشر من الكتب في عهد الطوائف وما يليه ، واتضح أثر كتاب ذائع ، تقبله الاندلسيون بارتياح ذلك الكتاب الذائع هو « يتيمة الدهر » باجزائه الاربعة ، لابي منصور الثعالبي رحمه الله .

وانت حين تبحث عن سر ارتياح القوم لصاحب اليتيمة ، وولوعهم باقتنائه ، تجد لديك ما تقول ! فالنثر العربي ـ لعهد الثعالبي ـ كان قد تطور من الطبع الى الصنعة ، ومال به الخوارزمي والصابي ، وابن العميد ، والصاحب والهمذاني الى ضروب من التكلف . تعمد الى الحلية الظاهرة ، والزينة البارزة ، وتغفل الاستشفاف ، والتبصر ، وتخطيء الاصابة اليقظة للتعليل والتحليل ! وجاء الثعالبي فتأثر بسابقيه الاقربين ، وكان له من نشأته واتجاهه ما حبب هذا اللون الى قلبه ، اذ ان بلاغة اللفظ وحدها في أضيق حدودها المتعارفة كانت هي التي تأخذ بمجامع تفكيره ونظرة الى منحاه في التأليف. توضح هذا الاهتمام، فكتاب فقه اللغة ، وكتاب الكنايات ، وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، كلها تشير الى اهتمامه الجزئي بالتراكيب اللفظية ، وقد يكون هذا بدعة العصر أجمعه . الا ان الثعالبي حين نقل هذا الولوع الفني بالصنعة اللفظية من ميدان الرسائل والمقامات الى ميدان التأليف العلمي قد فتح الطريق الى اتجاه جديد في التأليف ، ومهما قيل عن تسويغ هذا الاتجاه ، فليس هو الطريق المفيد .

انتقل كتاب اليتيمة الى الاندلس ، فأحدث دويه ، وأرخ الكتاب يوم صدوره واحتفلوا باستقباله احتفالا لم يتيسر لاكثر الوافد من الآثار ، وتعليل ذلك الاهتمام قريب غير بعيد ، فمناظر الاندلس قد أوجبت تنميق الاثاث ، وتجميل الرياش ، وتحلية القصور والابهاء ، ثم انتقلت الى اختراع الموشحات في دنيا النظم ، ومن الطبيعي ان تنتقل الى استحسان البديع في دنيا النثر ، أضف الى ذلك ان اكثر القائمين بكتابة الرسائل لدى ملوك الاندلس ادباء ، وفقهاء في وقت واحد ، وولوع هذا النوع من الكاتبين بالبهارج اللفظية اشد وأكثر ، ولسنا ننكر ان منهم ادباء خلصا ، ترنح أعطافهم روائع الادب الاصيل ، ولكن ماذا يصنع القليل امام الكثير .

جاء كتاب الثعالبي فاحدث دويه ، واخذ اصحاب التراجم يحتذونه مباهين ! واذا قلت : أصحاب التراجم ، فاني أعني التراجم السياسية والادبية معا ، لان اكثر حاكمي الاندلس ، أدباء وشعراء ، بل كانت الوزارة في أكثر سبلها لا يلتمس اصحابها في غير الادباء والشعراء ! لذلك كانت كتب التراجم من سياسية ، وأدبية متشابهة متآخية ، وقد وجد في المشارقة من وصلوا الى الوزارة عن طريق الادب ، ولكنهم بالقياس الى أولئك نفر قليل .

ان ولوع الاندلسيين بالزينة والزخرف كسبب نفسي ترد اليه هذه الظاهرة ، هو الذي أتاح لكتاب اليتيمة ان يصبح مثالا يحتذى ، والا فان شيخ مؤرخي الاندلس ، وسيد كتابها « ابن حيان » كان جديرا ان يكون رائد المدرسة التاريخية في اقليمه ، لو وجد من تلاميذه وحفدته من يتذوقون نهجه ، او يحاولون السير على منواله ! ولك ان تعجب حين ترى ابن بسام في الذخيرة ينقل آراء الرجل وأقواله مسهبا مطيلا ، فاذا عاد الى نفسه تداركته عدوى اليتيمة ، ونسي الافق المشرق الذي كان ينقل من اضوائه !! أيكون ابن بسام اعجز من ان يحاكي ابن حيان ! هو كذلك بلا شك ، ولو انه حاكاه في زمنه المتأخر ما وقع حديثه أطيب موقع لدى من يرهفون اسماعهم لصلصلة الحلى ، ورنين الاسجاع!

كان ابن حيان (٣٧٧ ـ ٤٦٩) جزل العبارة ، شديد العارضة ، قوي الأصرة . تلمس في اسلوبه قوة وتدفقا ، وتراه نسجا وحده في براعة التلوين ، وقوة التصوير ، فاذا نظرت الى أحكامه شاقك أن تجد بعدا في الغور ، وبراعة في النفاذ ، ودقة في الملاحظة . وهو جاحظي التركيب في تدفقه وانصبابه ، وكثيرا ما ينجو من استطراد الجاحظ الى الموضوعية المركزة المحددة ، وكاتب فحل من هذا الطراز لا يرحب به العامة من القارئين ترحيبهم بالكاتب السهل المتناول القريب الاخذ ! ولعل ذلك مما أضاع مؤلفاته على كثرة اجزائها وجودة منحاها ، اذ لو رزقت سوادا كبيرا من القارئين لتزايد نسخها ، ووصل الينا منها شيء ذو بال ... لاننا لم نر الرجل حقا الا فيما نقله عنه صاحب الذخيرة ـ وما أكثر ما نقل ـ والا في ثلاثة اجزاء من كتاب « المقتبس » فقط ، أما بقية الاجزاء العشرة ، وأما كتاب « المتين » ذو المجلدات الستين !! وأما كتاب « فقهاء قرطبة » ، واما كتاب « المآثر العامرية » ، فواأسفا !

يقول المؤرخ الهولندي « دوزي » عنه : « انه يسوق التاريخ مساق من يبدي رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن اسباب الاشياء ، ويناقشها عن علم وفهم وذكاء كما سيفعل من بعده نقادون ، كابن سعيد ، وابن خلدون ، ويمتاز ابن حيان الى ذلك بأسلوب ناصع ، لا يهبط الى الركاكة ولا يقع كذلك في التفصح والاسراف في

قماقع الالفاظ ، ورغم التزامه هذه السهولة لا يهمل جانب الجمال في اسلوبه ، ويبعث في كلامه دائما حماسة وغنى وطابعا غالبا في الجد ، ونخرج من هذا كله بأننا لا نجد بين مؤرخي العرب الا القليلين الذين نستطيع ان نقارنهم به ، ولن نجد بينهم من نقدمه عليه (١) » .

أجل لن نجد من مؤرخي العرب من نقارنه به الا كاتبا كابن خلدون، اما الذين اكثروا من التراجم الاندلسية من بعده ، فقعدت مواهبهم المتواضعة دون اللحاق به ! وفيهم من جرؤ على انتقاده ، فابن بسام يقول عنه ـ الذخيرة ٢/١ ص ٨٥ ـ .

« ومع ذلك فقد كان سهما لا ينمى رميه ، وبحرا لا ينكش آذيه ، ولو سكب الماء ما نقع ، او تعرض لابن ذكاء ما سطع ، يتناول الاحساب قد رسخت في التخوم وأنافت على النجوم ، فيضع منارها ، ويطمس انوارها ، بلفظ أحسن من لقاء الحبيب غب الموعد ، وأمكن من عذر الطبيب عند العود ، فرب شامخ بأنفه ، تان من عطفه ، قد مر عن كتابه بفضل جرده لوضع حسبه ، وخلده أحدوثة باقية في عقبه ، فيرده ورود الظمآن الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق » .

فصاحب الذخيرة يأسى على لذعات ابن حيان ونقداته ، فهو يريد منه ان يذكر المحاسن ، ويغضي عن المساوىء ! وقد نسي ابن بسام شيئا هاما ، هو ان من كان في المعية ابن حيان وقوة بصيرته ، وشمول نظرته ، يرى كثيرا من الهنات فيمن يتناول ، ولا بد ان يقول رأيه مستندا الى تجربته الواسعة ، وخبرته الاصيلة بالنفوس ، قد يكون ابن حيان اكثر من النقد وأسرف ، فالصفحات التي اقتبسها ابن بسام تحت عنوان « المختار من قوله » تضرب في النقد الى مدى متطاول كاد ان يكون سبابا ! حتى ليفهم القارىء ان كتابته جميعا من هذا الطراز ، ولكن متابعة ما طبع من الذخيرة ، وما تدوول من اجزاء المقتبس تفهمنا ان ابن حيان ناقد منصف ، يسجل الشر والخير معا ! وهو ما لا يرتضيه ابن بسام ، وقد تعرض الدكتور احمد امين الى الفصل في هذه القضية فقال في ظهر الاسلام جـ ٣ ص ٢٧٨ :

« ونحن الى مذهب ابن حيان اقرب . فالمؤرخ عليه ان يتحرى الصدق في المدح والذم والنافع والضار اما اقتصاره على المدح دون الذم (كما يريد ابن بسام) فتقصير في رواية الحق ، وقول لنصف الحق ، وليس الرجل المشهور في التاريخ ملكا لنفسه ، بل أصبح ملكا لشعبه ، يشرحه المؤرخ الحصيف ، كما يشرح الطبيب المريض . فنحن مع ابن حيان لا ابن بسام . وكثيرا ما ضقت ذرعا بالمؤرخين الذين لا يذكرون الا المحامد ويغضون الطرف عن المفاسد بل قد يخلقون المدائح خلقا وان لم يصح نسبتها اليهم حقا » .

ولو تعمقنا بواعث التاليف لدى ابن حيان وابن بسام ، لوجدنا كلا الرجلين منطقيا مع نفسه ، فابن حيان الف كتابه ليصدر أحكامه كما يراها عقله البصير ، وقد يقول بعض الكاتبين عنه : « انه لم يقصد اذاعة كتبه بين الناس ، بل جعلها مذكرات خاصة لورثته ، كي يستفيدوا منها ، وينتفعوا بعظاتها » ، وانا أستبعد هذا ولا أقبله ، لان المؤلف الذي يكتب اكثر من مائة مجلد في التاريخ لا يقر بينه وبين نفسه أن تظل هذه الاثار الحافلة ملكا لعشرة من القراء او عشرين !! ولكنه يقوم بمجهوده الضخم ، ليسمع الناس ما يريد واذا كان ابن حيان قد اعترف بهذا الضن حين قال في بعض كتبه ـ الذخيرة ٢/١ ص ٨٨ ـ : « وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسي وخباه لولدي ، والضن بفوائده الجمة على من تنكب احمادي به الى ذمي ومنقصتي ، وطويت على ذلك كشحا ، وأمضيته عزما ، الى ان رأيت زفافه الى خطبة سنية أتتني على بعد الدار ، أكرم خاطب ، وأسني ذي همة : الامير المؤثل يحيى بن ذي النون » فليس لنا ان نجعل هذا الاعتراف قضية مسلمة ، لشيء واحد ، لانه يخالف طبيعة الاشياء ! هذا شأن ابن حيان في تاليفه . أما ابن بسام ، فقد ألف الذخيرة لينصف أهل الاندلس ويقف بهم مع المشارقة في مستوى واحد ومؤلف هذه وجهته لا يتسنى له ان يسطر ما يعرف من المآخذ ! والا ما استطاع ان يبلغ بمؤلفه ما يريد !!

لقد أطلنا القول شيئا ما عن ابن حيان ! وهو كاتب يستحق الالتفات دون نزاع ، وقد أنصفه الكاتب المفضال الاستاذ علي أدهم حين ذكر في معرض تبرئته من التحامل انه وان كان ينتصر دائما للخلافة الاموية « فهو أوسع أفقا واكثر امانة ، واشد احتراما للحق من ان يكيل لهم المدح جزافا ويخلع عليهم ابراد الثناء بلا حساب ، وقد عدد في الجزء الثالث من كتابه « المقتبس » مناقب الامير عبد الله ، وابدع في وصفها ، ولكنه لم يقف عند هذا الحد ، وأضاف الى ذلك ذكر عيوبه ونقائصه ، وأحصى عليه اخطاءه وجرائمه ! ... ولا أعرف مؤرخا من مؤرخي المشارقة يقوم لابن حيان في قوة التصوير ، وبراعة التلوين ، مع الاصالة والطرافة . وهو في قوة تصويره ، وصرامته وصراحته ، واستمساكه بالموازين الاخلاقية يذكرني بالمؤرخ الروماني العظيم تاسينوس » مجلة الثقافة عدد ٦١٤ .

ان هذا المؤرخ الفذ الذي يقول عنه صادقا الاستاذ علي أدهم أنه لا يعرف مؤرخا من مؤرخي المشارقة يقوم له ! لم يستطع بآثاره ان يقف في وجه كتاب اليتيمة حين تخطى الشرق الى الاندلس فسحر الناس ، وبهر الكتاب ! وقد توالى كتاب التاريخ من بعده أمثال : ابن الفرضي ، والحافظ الحميدي ، وابن بشكوال وابن الابار ، وابن عبد البر بسام ، والفتح بن خاقان ، وابن سعيد ، والحجاري وعبد الواحد المراكشي ، وابن الخطيب ، والمقري ، ومن يلف لفهم من المؤرخين ، فقصروا جميعا عنه ، وما حاذوه ! ولا نستطيع ان نخص كل هؤلاء بالتحليل ! ولكنا نعمد الى اثنين ممن رزقوا الحظوة في الذيوع ، والمعاصرة في الحياة ، لنتخذ منهما دليلا على أثر الثعالبي في كتابة التاريخ الاندلسي ، ثم أثرهما تبعا لذلك في انتقال العدوى البديعية الى من يليهما من الكتاب! وهما : ابن بسام صاحب الذخيرة والفتح بن خاقان صاحب القلائد والمطمح ، وما اغفلنا ابن الخطيب عن انتقاص ولكن فضله ذائع واسلوبه مشتهر وهو بعد لاحق بهما على انه تاثر بثلاثتهم جميعا ، اذ قرأ ما خلفوه ! ..

لقد ذكر ابن بسام في مقدمة كتابه انه أتخذ تقسيم الثعالبي منهجا له ، فهو يقسم الذخيرة اربعة اقسام كما قسم الثعالبي اليتيمة أربعة أقسام ، وهذا التقسيم جغرافي كتقسيم صاحبه فلكل اقليم شعراؤه مهما اختلفت منازعهم الادبية ! فقسم لقرطبة وما يليها من وسط الاندلس وقسم لاشبيلية وما جاورها من الغرب ، وقسم لبلنسية وما يليها من الشرق وقسم أخير للوافدين من المشارقة الى الاندلس ! وهكذا سار سير الثعالبي حين جعل اليتيمة اقساما اربعة : قسم لاشعار أهل الشام وما يجاورها ، وقسم لاشعار اهل العراق ، وقسم في محاسن اشعار اهل الجبل والقسم الرابع في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر ، وهذا الاحتذاء السافر يتضمن اعتراف ابن بسام بمنهج استاذه فهو في رأيه كما نقل صاحب الوفيات عنه جـ١ ص٥٢١ .

« كان في وقته راعي قلعات العلم ، وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين في زمانه وامام المصنفين بحكم اقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت اليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب » هذا الاحتذاء المقصود دفع المعاصرين من باحثينا الافاضل الى موازنات مختلفة بين الرجلين ، فالدكتور طه حسين يقول في مقدمة الذخيرة الجزء الاول ١ ـ ص ب « وهو يصطنع ما اصطنعه الثعالبي من السجع والتانق في تقديم الشعراء والكتاب ، والتعريف بهم ، والثناء عليهم والنقد لهم ، ولكنه به دهذا كله يخالف الثعالبي في أمر ذي خطر ، فهو ابعد منه نظرا ، وانفذ منه بصيرة وأعمق تفكيرا ، وهو على تكلفه في اللفظ لا يخدع بالرواء الظاهر عما وراءه من جودة المعنى ، او رداءته ومن صواب التفكير او خطئه ولعله ان يكون افقه من الثعالبي بالحياة الادبية في اقليم من الاقاليم ، فهو أدق منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الاقليم ، وما

ينتج فيه من ادب بل بين طبيعة الاجناس البشرية وما تنتج من ادب بل بين ما يكون من مجاورة الامم المختلفة وما تنتج من الادب الخ .. » .

والاستاذ علي ادهم يقول في العدد ٦٦٠ من الثقافة « ويبدو لي ان الثعالبي كان على فضله وسعة اطلاعه اكثر خضوعا لاحكام القدماء من ابن بسام ، وانه كثيرا ما يخدعه البهرج ويحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، اما ابن بسام فانه نافذ النظر ، سليم الذوق بارع الناقدة دقيق الملاحظة ، لا يخدعه الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الالفاظ الضخمة المدوية او الطنطنة العالية » .

ومن يقرأ الذخيرة يعرف ان مؤلفها يعلم كل العلم موقفه من صاحب اليتيمة ، فهو على اعترافه بمتابعته يعلن انه خالفه في أمرين جوهريين : الاول ما أفاض فيه ابن بسام حين قال : المجلد الاول ، القسم الاول ص ٢٣ « وقد وعدت في صدر هذا الكتاب بأن أتخلل اشعار الشعراء ورسائل الكتاب والوزراء بما عسى ان يتعلق بأذيالها ويساير أفياء ظلالها ، من انباء فتن ذلك الزمان البعيد ـ كان ـ طلقها ، المفرق لشمل الامر في هذه الجزيرة نسقها ، ونلمع بنبذ من مشهور وقائعها ونشير بأسماء طوائف زوابعها وتوابعها ، ليجمع هذا المجموع بين الشعر والخبر ، جمع الروضة بين الماء والزهر والزمان بين الاصائل والبكر ، فاني رأيت أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في يتيمته محذوفا من أخبار قائلية ، مبتورا من الاسباب التي وصلت به وقيلت فيه فأمل قارىء كتابه منحاه وأحوجه الى طلب ما اغفله من ذلك في سواه » .

فهو ينعي على الثعالبي اغفال الحوادث والتواريخ ثم ينعي عليه مرة اخرى ذكر الفاحش من الاهاجي والماجن من القول فيقول بالقسم الثاني من المجلد الاول ص ٦٢ .

« والقسم الثاني هو السباب الذي احدثه جرير وطبقته وكان يقول : اذا هجوتم فاضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ، ولا عيرت به قبيلة ، وهو الذي صنا هذا المجموع عنه واعفيناه ان يكون فيه شيء منه ، فان ابا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه وسمه ، وبقي عليه اثمه » ونسأل بعد ذلك ، هل تقيد ابن بسام بمنهجه ! أما الذي يعرفه قارىء الذخيرة ـ ما نشر منها ـ فهو انه لم يقدر على الاحاطة بالتواريخ والاخبار جميعها ، ولكنه بذل الجهد المستطاع ، وبقي ما بقي مما يتطلب البحث الجديد ، كما ان قارىء الذخيرة يعرف ان ابن بسام ترخص في ذكر بعض الماجن من القول رغم حملته على الثعالبي بل العجيب أنه قبل هذه الحملة بصحيفتين فقط ص ٦١ يذكر ابياتا قذرة يقول : انها من الكنايات المليحة ...

على ان ابن بسام مع هذا لا يقارن بمعاصره الفتح بن خاقان بحال ، مهما اضطرت معاصرتهما كثيرا من النقاد الى هذه المقارنة وان عظم تأثرهما معا باليتيمة ويكفي ان نلخص السبب في جملة واحدة هي ان ابن بسام جاد والفتح هازل ، فليس الى التقائهما من سبيل ! .

ومن المفيد ان نوضح وجهة نظرنا في ذلك ، فننظر اليهما رجلين واديبين ، لنرى الفتح يندفع في استهتاره الى ما يشين ، ثم يتطاول على الناس بالحق وبالباطل معا ، وهو حين عمد الى التاليف لم يصدر عن رغبة في اجتلاء حقائق الادب والتاريخ ، ولكن اتخذ قلمه وسيلة للتكسب المقيت ! فهو يرسل الى ادباء عصره ومشهوري مصره يحدثهم عن رغبته في تأليف كتاب ادبي يتحدث عنهم ويلتمس ما لديهم من الشعر والنثر ثم ينتظر ما يجيء ، فان كان الرد مصحوبا بالبدر الثمينة والهدايا النفيسة اطلق ارسال المديح الى أبعد الاشواط ، وان تقاعس عنه ذوو الشمم ممن يأنفون ان يكونوا لعبة في يد لاعب او يترفعون ان يشتروا المدح الزائف بمال مقرر مفروض ! فان الفتح يشوههم بسياطه ويستعدي عليهم الحكام والناس ، ويصدر في كل ذلك عن ذوق مريض !

لقد ارسل الى الوزير الفيلسوف النابغة ابي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة يسأله بعض اشعاره مع ما يطمع فيه من المال ، فما التفت الى دعوته ورأى فيه وصوليا يبتز المال عن طريق بغيض !

ومثل ابن باجه لا يتأتى له ان يقدر سلوك الفتح وأدبه معا فهو في الاول متسول محترف ، مع ما عرف عنه من العربدة واصطحاب السفلة وغشيان الريب ، وهو في الثاني ينمق أسجاعا فارغة لا يراها الفيلسوف تهدف الى جلاء حقيقة مطموسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستعصية ! فما الذي يجذبه اليه مع هذه القبائح ! لقد عز على الفتح ان يهمل ويغفل فكتب في القلائد فصلا عن الفيلسوف املاه الحقد والضغينة والثار قال في مقدمته :

« هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا ومجونا وترك مفروضا ومسنونا فما يتشرع ، وما يأخذ في غير الاضاليل وما يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ، ولا اظهر مخيلة انابة ، ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار في جدث ولا أقر ببارية ومصوره ولا فرد بباريه في ميدان تهوره ، الاساءة لديه اجدى من الاحسان ، والبهيمة عنده اهدى من الانسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتصر على الهيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهي والايعاد ، واستهزأ بقوله تعالى « أن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى ميعاد » .

لو كان الفتح يعتقد ذلك في ابن باجه عن صدق واخلاص لوجد العذر من الناس في تسجيل ما سطر وافق الحق او جافاه ، ولكنه كشف نفسه حين تراجع الوزير عن موقفه منه كفا لشره فنفحه ببعض المال ، فأطفأ جذوة غضبه ، واندفع الى كتابة جديدة ، ملأها بالثناء الحافل ، ولم يدخر وسعا في تنميق صفحة مضادة للاولى في كتابه مطمح الانفس يقول فيها عنه :

« نور فهم ساطع وبرهان علم لكل جحة قاطع ، تتوجت بعصره الاعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الامصار ، وقام وزن المعارف واعتدل، ومال للافهام فننا وتهدل اذا قدح زند فهمه اورى بشرر للجهل محرق، وان طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ،والتحقيق الذي هو للايمان شقيق ، والجد ، الذي يخلق الغمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارد ان يلحقه ، ومذهب يتمنى المشتري ان يعرفه ، ونظم تعشقه اللبات والنحور ، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور » .

هذان نصان متعارضان يكشفان عن معدن الرجل ! وهما ايضا يكشفان عن خصائص ادبه ، ولا يشرفانه في مجال الموازنة بينه وبين معاصره ابن بسام اذ ان صاحب الذخيرة قد تجافى عن بعض اخطاء يتيمة الدهر حين حاول تقييد الحوادث وتسجيل التواريخ ما استطاع ! اما الفتح فقد فهم بتأثير اليتيمة من ناحية ، وطبيعة الجو السائد من ناحية ثانية ان الكتابة معارض الفاظ ، ومتاحف أسجاع ، وتطبيقات مدرسية للجناس والطباق والتورية ! اما ان تكشف عن حقيقة ، او توضح فكرة ، فهذا ما لا يبتغيه الفتح او يعتقده ! ومع هذا فقد وجد من الادباء من يقبلون تنميقه ، ويرتضون تلفيقه فلسان الدين ابن الخطيب يقول عنه : « كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شاوه عذب الالفاظ ناصعها ، اصيل المعاني وثيقها لعوبا باطراف الكلام، معجزا في باب الحلى والصفات » وابن سعيد يقول في المغرب عنه « الدهر من رواة قلائده وحملة فرائده ، طلع من الافق الاشبيلي شمسا طبق الافاق ضياؤها وعم المشرق والمغرب سناها وسناؤها وكان في الادب ارفع الاعلام ، وحسنة الايام .. وهو وابو الحسن بن بسام صاحب الذخيرة فارسا هذا الاوان ، وكلاهما قس وسحبان ، الا ان ابن بسام اكثر تقييدا ، وعلما مفيدا واطنابا في الاخبار ، وامتاعا في الاسماع والابصار ، والفتح اقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه اكثر تعلقا وتعشقا بالانفس ! » .

ويزول العجب من هذين القولين حين نعرف ان لسان الدين بن الخطيب وابن سعيد المغربي كليهما من تلامذة الثعالبي وهواة اليتيمة !

وخطتهما في التاليف ترتضي الاكثار من القول والمباهاة بالزركشة اللفظية والزخرفة البديعية ! وتلك داء العصر ومنحاه ، فلا غرو ان هاما بأسلوب الفتح بن خاقان ! ولو رجع بهما الزمن الى هذا العصر لسمعا الدكتور احمد امين يقول عن صاحب القلائد في ظهر الاسلام جـ ٣ ص ٢٨٣ ، « واسلوب الذخيرة اقرب الى نفوسنا فهو لا يلتزم السجع كما يفعل ابن خاقان ، واسلوب الفتح هذا اجوف يلعب بالالفاظ والاستعارات لعب البهلوان !!

لقد شغلت منذ اعوام بدراسة الفلسفة الاسلامية بالاندلس ، فطالعت نبذا من آراء ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وعرفت ان هناك فيلسوفا آخر هو الفضل بن شرف فحاولت ان اقف على سيرته ، وطفقت ابحث عنه في كتب التراجم ، حتى عثرت على قول الفتح : « الناظم الناثر ، الكثير المعالي والمآثر ، الذي لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ، ان نثر رأيت بحرا يزخر ، وان نظم وقلد الاجياد درا تباهى به وتفخر ، وان تكلم في علوم الاوائل بهرج الاذهان والالباب ، وولج منها في كل باب ، وقد كان اول ما نجم بالاندلس وظهر ، وعرف بحوك القريض واشتهر ، تسدد اليه السهام ، وتنقده الخواطر والاوهام فلا يصاب له غرض ، ولا يوجد في جوهر احسانه عرض وهو اليوم بدر هذه الافاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جري في ميدان الطب الى منتهاه ، وتصرف بين سماكه وسهاه ، وتصانيف في الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى « يسر البر » ومنها الكتاب الملقب بنجح النصح ، وسواها من تصانيف اشتمل عليها الاوان وحواها » هذا كله ما قاله الفتح ، وقد اخذت اضرب كفا بكف بعد قراءته ، وأسأل نفسي : ماذا قدم لي المؤرخ الكبير غير بديع واسجاع وزركشة وابتداع ؟! وكان مما اسعدني ان اجد الاستاذ عبدالرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان رحمه الله يحار مع الفتح حيرتي . وينشر مقالا بالرسالة (١٤٩) سنة ١٩٣٦ يقول فيه بعد ان نقل كلام الفتح « وقد جرى الفتح في هذه الترجمة على شنشنته في سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم المترجم له ولا اسم ابيه ولا منشاه فضلا عن انه أغفل تاريخ مولده ووفاته ، كذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الاديب يصح ان تسمى ترجمة يعول عليها . اهـ » ..

تأصلت اذن طريقة اليتيمة في المؤلفات الاندلسية ، احتذاها الفتح شبرا بشبر ، ووقع في بعض اخطائها ابن بسام ، ولولا تشيعه بمؤلفات ابن حيان لجعلها هو الاخر مثالا يحتذيه اما الحجاري وابن سعيد والمراكشي وابن الخطيب والمقري ، واما اضرابهم من مؤرخي عصر الطوائف وما يليه فقد اصابهم من تأثيرها الساحر ما لا نزال نرى عقابيله فيما نقرأ لهم من تصانيف !

ولم يقتصر نمط اليتيمة على الافق الاندلسي وحده ، ولكن بريقه الساطع قد جذب اليه مترجمي المشارقة ممن فتنوا به . ونسجوا على منواله ، لقد حاول ابو منصور ان يجعل اليتيمة باجزائها الاربعة ذيلا لكتاب البارع في اخبار الشعراء الذي تقدم به هرون ابن علي بن المنجم المتوفي ٢٨٨ هـ .. ثم جاء من بعد الثعالبي ابو الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفي سنة ٤٦٧ هـ والف كتابه دمية القصر وقد جعله ذيلا لليتيمة نهج به نهجه وقلد عبارته واسجاعه ثم جاء ابو المعالي سعد بن علي الوراق الخطيري المتوفي ٥٦٨ هـ. وصنف كتاب « زينة الدهر » جاعلا اياه ذيلا على كتاب الباخرزي دمية القصر ثم ظهر الكاتب الاشهر العماد الاصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ هـ فاصدر خريدة القصر وجريدة أهل العصر ... وكل هذه الذيول المطولة تنهل من مورد الثعالبي وتنهج نهجه !! وهي بعد مشرقية لا اندلسية ، ثم توالت المؤلفات التاريخية تحمل الطابع البديعي وكان العصر المملوكي في الشرق وعصور الزوال بالاندلس قد استطابت هذا اللون وارتضته عن اجماع لا يخرج عنه الا كاتب عبقري كابن خلدون !!

كان ابو منصور الثعالبي يبذل جهده الحافل في جمع الاشعار البعيدة ، وسؤال من يلقاهم عمن يعرفون من الشعراء ، واذا صادف أديبا مصريا او اندلسيا او فارسيا فرح به واخذ ينقل عنه ما يروي ، وانت تقرأ بعض تراجمه للشعراء ، فتجده لا يكاد يعرف عن الشاعر شيئا الا ما سمع من اشعار ، فيضطر اضطراراً ان يكتب له ترجمة انشائية تنحو منحى المقامات ، وتصلح لكل شاعر ينظم الشعر ، كما تباع الملابس في المحلات التجارية ، ليشتري منها الآباء لابنائهم غيبا يخالونه يتناسب ، وقد يلبس الابن حلته المشتراة فاذا بها ليست مما يصلح له ، ولكنه مضطر الى ارتدائها ، كما اضطر القارىء ان يقبل تراجم الثعالبي للشعراء في اليتيمة وان لم تبرز قسماتهم وشياتهم على اتضاح ، والحق ان صاحب اليتيمة بذل طاقة قوية في حفظ تراث الشعراء من بني عصره ، ولولاه ما استطعنا ان نعرف شيئا عن أكثر من روى لهم من الشعراء لان المغمورين لديه أضعاف اضعاف المشتهرين ! ولكن طريقته في السؤال عن الادباء واستهدائهم بعض أشعارهم قد انتقلت من بعده ، فكان ابن بسام يكتب لادباء زمانه طالبا نماذج قوية من أشعارهم ليضمها الى الذخيرة ، فيفد اليه ما يريد ! وكل مسئول لا محالة يهدي من قوله اطيب ما يستحسن في رأيه ، وهذا حسن اذا جاء الامر من بابه ، ولكنه انقلب تسولا شائنا على يد الفتح بن خاقان بل صار اداة ارهاب وهجو واستفداء ، واذكر ان الطبيب الذائع والفيلسوف الماهر ابا العلاء زهر لم يقبل ان يجيبه على شيء ، فكتب الفتح رسالة فاحشة في ثلبه وتقدم بها الى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، محاولا ان يتهمه بالالحاد والمروق، كما ان طريقة الثعالبي في الاعتماد على الوافدين غير مأمونة فقد يروي أديب لشاعر ما ليس له عن قصد وعن غير قصد ! .

ولا بد ان تكون هناك نماذج كثيرة في اليتيمة والدمية والخريدة والذخيرة والقلائد والمطمح ليست لاصحابها على وجه التاكيد ، مهما يكن من شيء فنحن في معرض انصاف الثعالبي نقرر انه بذل اقصى ما يستطيع ، وان هيامه بالادب قد دفعه الى تشييد معقل قوي من معاقله حفظ جانبا من تراث القرنين الرابع والخامس معا ؟ اما قصور تراجمه وتراجم من بعده عن ان تقدم التاريخ الحي في أكثر ما دبج ، فيواجهنا بمهمة خطيرة ، اذ ينبغي أن يحرص ناشرو هذه المجلدات من علمائنا المحققين على استيفاء النقص ما أمكن ، فلا بد ـ ان صدق الناشر المحقق في اخراجه ـ ان يضع في هامش كل ترجمة ما يصل اليه جهده الباحث من اخبار صاحبها ذاكرا ما وقف عليه من المراجع والمصادر !

فاذا اتجه أصلاء المحققين من الناشرين هذه الوجهة فلا بد أنهم سيجدون الجيد المفيد ، ولك ان تتصور معي اليتيمة والخريدة واضرابهما وقد عولجت هذا العلاج ، فاكملت ما تيسر من النقص ، واصبحت مرجعا ادبيا وتاريخيا معا ؟ ومن المحقق ان بعض من ترجم لهم في هذه الموسوعات لا نجد من المصادر المعاصرة ما يمدنا عنهم بشيء ، ولكن من المحقق ايضا أن كثيرا من هؤلاء قد كتب عنهم فهم يتطلبون عناية المحقق واهتمامه ، ان كان كفئا لعمله اذ من المقرر ان يضطلع بالنشر بحاثة متمرس ضليع اما الذين يكتفون بالنشر الخاطف فهم وراقون ! .

لقد نشر الاستاذ الجليل احمد يوسف نجاتي رحمه الله تسعة اجزاء من كتاب نفح الطيب عن دار المأمون قام بتحقيقها واستيفاء النقص فيما ورد من تراجمه ، فلم تتكاءده عقبة ما في طريقه بل كان اطلاعه الثاقب الشامل ـ وان اسرف احيانا ـ يمده بجميع ما يريد ، ولو صدق محققو التراث الادبي صدق الاستاذ نجاتي لتلافوا النقص ، وقوموا المائل ، ومهدوا الطريق ...

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

---

(١) الادب الاندلسي للدكتور هيكل ص ٣٩٣ نقلا عن تاريخ الفكر الاندلسي ترجمة مؤنس ٢١١ .

تراث المهاتما غاندي

بقلم محمود العابدي

* * *



عرفت غاندي منذ اربعين عاما عن طريق قراءة ما كتب عنه والتحدث الى الاشخاص الذين عرفوه عن كثب ، ولما تعرفت على هذا الانسان النحيل بجسمه ، الجبار بروحه ، العملاق بلطفه ، الآسر ببسمته ، تعجبت من أمره وعدت الى كتاب البيروني المعروف باسم « تحقيق ما للهندي من مقولة » اي ما وضعه رجال الهند من درجات في سلم الحضارة . وقد صح عندي ان الهند التي انجبت من تقدموا البيروني ما زالت تلد عباقرة الرجال والنساء الى يومنا وفي طليعتهم المهاتما غاندي ذلك الروح العظيم الذي جئنا اليوم ذاكرين جهاده في سبيل اسعاد البشر واحلال السلام محل الخصام . فما احوجنا لان يبعث الله بيننا ، كلما ادلهم الخطب واحلولك الظلام ، بواحد مثل غاندي كما وارجو ان يكون في اجتماعنا هذا (١) بمناسبة هذه الذكرى العظيمة اعتراف من هذا البلد العربي بما لهذا الانسان العظيم من فضل على المبادىء والمثل التي نعمل نحن في سبيل نشرها وتوطيد اركانها حتى نستحق ان نعتبر من تلاميذ غاندي ومريديه .

ولد غاندي في الثاني من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٦٩ ، وفي العشرين من عمره حصل على شهادة المحاماة من أعرق جامعات انكلترة وعاد الى بلاده ليزاول اعمال الحق والعدل التي تهيؤه الى مرتبة الزعامة وتسلم القيادة في قارة الهند الواسعة .

عندما اكتشف الماس والذهب في جنوب افريقية ، تقاطر اليها عشرات الالوف من ابناء الهند الفقراء سعيا وراء الرزق . ولما شعر المستعمر الاوروبي هناك بارتفاع نسبة الشرقيين ــ الذين يسميهم الملونين وخاف على ضياع امتيازاته كسيد حاكم ــ اخذ يضع القوانين والتشاريع التي تساعده على الاحتفاظ بالسيادة واكتساب حصة الاسد من خيرات تلك البلاد الفنية .

ولما شعر العمال الهنود بالاضطهاد والاستغلال رفعوا قضيتهم الى حكومة بلادهم وكانوا اذ ذاك تحت الحكم البريطاني . ولذلك لم تقف معهم حكومتها بل اخذت جانب مواطنيها المستعمرين فكانوا كالمستجير بالرمضاء من النار ! واخذ كثير منهم يعود الى معيشته الضنكة في الهند تاركين ثمرة اعمالهم للمستغلين . وبقي اقلهم يناضل في سبيل قضيته هناك . وقد لجأوا الى الاستاذ غاندي خريج اعرق جامعات بريطانيا حارسة الحق وحامية العدالة .

لبى الشاب الوطني نداء بني جلدته وشد الرحال اليهم وعاش بينهم وكرس حياته لخدمتهم وبجهوده واخلاصه اصبح الفرد منهم يفتخر بأنه هندي بعد ان كانوا يخجلون بهنديتهم . واستمر في نضاله طويلا حتى اكسبهم اكبر قدر من الانصاف ولكنه كفر بالثقافة الغربية وتيقن انها مظاهر خداعة وعاد الى تعاليم الشرق وعاداته وتقاليده واخذ يدعو للرجوع اليها فزهد في اللباس واكتفى بخرقة تستر العورة واكتفى بالقليل من الطعام حتى يذل الجسد في سبيل تقوية الروح .

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان غاندي في بريطانيا فدعا الهنود لتقديم كل عون ومساعدة للانكليز ــ على رجاء ان يقدروا للهند هذا الصنيع فيسرعوا لمنحها الحرية حالما تضع الحرب اوزارها ــ لكن الانكليز تنكروا للهند وتمسكوا بسيادتهم عليها واخيرا زجوا بابنها غاندي في غيابات السجون كأي مجرم عادي . ولما غادر السجن نظم حركة المقاومة السلبية وقام بسلسلة من الحملات ضد الحكم البريطاني واخذ يحاربهم بالسلاح الذي من اجله يتمسكون بالهند واعني به سلاح الاستغلال الاقتصادي ، فأخذ يدعو الهنود الى ايجاد الصناعات اليدوية القديمة، علمهم صناعة غزل القطن حتى اصبح المغزل الفخر الوطني للهندي الناهض . ووضع قاعدته الذهبية القائلة « تعسا لشعب لا يأكل مما يزرع ولا يلبس مما يصنع » وبالتدريج برزت حياكة القطن وادى الطلب على النسيج الوطني الى ادخال الانوال ثم الات النسيج الحديثة واخذت الهند تستهلك معظم اقطانها وهنا شعرت معامل بريطانيا بالضربة القاصمة التي سددت اليها من داعية السلام وكانت اول حربة في ظهر المستعمر أو اول مسمار في نعشه .

وعندما قام بحملته لتعليم اهل القرى صناعة الغزل بدأ من شمال الهند بعدد قليل كان كلما تقدم نحو الجنوب ينضم الى حركته انصار جدد فكانوا في الحقيقة ككرة الثلج تبدأ صغيرة ولكنها لا تلبث كثيرا ان تكبر كلما تدحرجت من رأس الجبل . وهكذا وصل معه الى بمباي مئات الالوف . ومن اطرف ما حصل ان امرأة من عجائز الهند جاءت تقدم اليه عددا من الربيات ، فلما رفض هذا المبلغ انكسر خاطرها وقالت له : « ايها المهاتما لقد علمتني صنعة الغزل التي اغنتني عن التسول واعترافا بجميلك قدمت اليك جزءا مما ادخرت فهو حق لك» ، فأخذ غاندي المبلغ واعتبره اكبر وسام يمكن ان يحلم به . واشترى به « الكنج » تبقى منه حفنة رماد وطلعة من النور ولمعة من الشفافية ، يستحق عليها لقبه الذي اطلقته عليه الهند « مهاتما » اي الروح العظيم .

كذلك فان حياة التلميذ او الابن الروحي « نهرو »

---

(١) الكلمة التي القاها محمود العابدي مدير دائرة الثقافة والاعلام الاردنية في قاعة امانة العاصمة عمان مساء ٣٠ ــ ٤ ــ ١٩٦٩ بمناسبة الاحتفال العالمي بالذكرى المئوية لمولد غاندي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنزة كان يتغذى بلبنها طوال حياته وقد اصطحبها معه عندما دعي للمفاوضة مع الانكليز لاستقلال الهند .

كان الهندوس منقسمين الى اربع طبقات ارفعها طبقة البراهمة واحطها طبقة المنبوذين. ويبلغ عددالمنبوذين في الهند سبعين مليونا وكانوا محرومين من كثير من الحقوق . فالمنبوذ مثلا لا يحق له الاستفادة من الابار في الارياف ، لانه ينجس مياهها . ولم يكن امام المنبوذ من مخرج من هذه القيود سوى اعتناق الاسلام او المسيحية ، وبذلك فقط يحصل على حريته ولكن تحول المنبوذ عن دينه كان ينتج نتائج سيئة لدى الهندوس وليظل كل مواطن على دينه نادى غاندي بوحدة الجنس البشري تحت نواميس الله ، فكان تبشيره بعقيدته الانسانية يشمل البوذي والمسيحي والمسلم والهندوسي على حد سواء ، وهو يقصد بذلك القضاء على شعور الاقليات بالنقص والحقارة ، ولتحل روح المحبة والعدالة والاخاء محل الطائفية الدينية والطبقية ، طالب بالغاء التقاليد الخاصة بنجاسة المنبوذين الذين يشكلون نسبة عالية من سكان الهند وقد كتب عليها الفقر الى الابد ، وكنتيجة لنضال غاندي في هذا الميدان من ميادين الاصلاح اخذت الطبقات العليا تتنازل عن امتيازاتها الموروثة ولا سيما في المدن . اما في الارياف فلا يزالون يتشبثون بهذه القشور . وفي اواخر حياة غاندي اخذ يصرح بأن الهند هي تلك ال ٥٦٠ الف قرية وفيها تنحصر جهود المصلحين .

كان غاندي يؤمن بأن الديمقراطية مبنية على الحزبية السياسية وان هذه الحزبية قد تجمع بين ابناء امة مزقتها الطائفية الدينية او الامتيازات الطبقية . لذلك نادى غاندي بتأليف « حزب المؤتمر الهندي » لقيادة حركة التحرر القومي الوطني وكان هو المهيأ بعدها لقيادة التحرير الاجتماعي وكان برنامجه الصريح هو الصوت الذي ارتفع قبل الاستقلال يطالب بمجتمع جديد في الهند تسقط فيه الامتيازات الطبقية القديمة وان يتسيطر الشعب على الانتاج وان يوجه الانتاج الاقتصاد لصالح المجموع .

يعتبر نضال الهند الحديثة شبه معجزة قام بها رجل نحيل يسير حافيا وراء عنزة عجفاء في يده مغزل بدائي ينادي باللاعنف ضد تحكم اعتى الامبراطوريات واكثرها قسوة ونهما في كل العصور والمعجزة تتجلى في انتصار اللاعنف على جيوش الامبراطورية البريطانية لتعيش الهند مستقلة يحكمها ابنها الروحي بتعاليمه الحية.

ولهذا كان احترام الناس له عميقا نتج مما اكتسبه من تجاربه الروحية التي ارتفعت به عن المديح النفسي بل قادته الى التواضع ، واضعا نصب عينيه الهدف الذي من اجله قاسى ثلاثين سنة ليخلص نفسه من الشرور ، وليصل الى الاخلاص . وفي الحق ان تأثير غاندي ونفوذه على عقول الرجال والنساء لم يبلغه اي شخص آخر . ويقول رومان رولان وهو اعظم من كتب عن غاندي « لم يأت زعيم سياسي اقوى من غاندي منذ ثلاثة الاف سنة » ويضيف قائلا « المهاتما غاندي شخصية غريبة ساحرة ملأت جو الهند املا يانعا ورجاء غضا ، مستقبل باسم يشع في افق الحياة لهذه البلاد الواسعة . حقا ان امل غاندي هو امل الهند ورجاؤها ، على الرغم من عزلته وابتعاده عن كل مظاهر الحياة » بل كان في تلك العزلة يجمع حوله قلوب الملايين من اجل الهند وسعادتها .

غاندي في عزلته يتملك ارجاء الهند طرا فيخلق منها شعلة تتقد نورا واخلاصا ضاربا بذلك المثل الاعلى لمواطنيه الذين احبوه ومجدوه وجعلوا منه اسما فوق الاسماء وروحا سامية باعثة نور الامل والحياة .

ولقد كان المهاتما غاندي ولا يزال لغزا غامضا في تصوراته واخلاقه وسر عظمته بحيث اثار حوله فضول الكتاب والصحفيين من جميع الاجناس واللغات فأموا داره في منعزله النائي يبتغون ان يظفروا من الزعيم بأحاديث طريفة يسوقونها الى قرائهم وابناء بلادهم .

قال للصحفيين مرة .. « لا اريد لبيتي ان يكون مسورا من جميع الجهات ، ولا اريد ان تكون نوافذي مغلقة . اريد ان تهب على بيتي ثقافات كل الامم بكل ما امكن من حرية ، ولكني انكر على اي منها ان تقتلعني من اقدامي . ان مذهبي ليس دينا مغلقا ففيه مجال لاقل مخلوقات الله شأنا ولكنه يستعصي على الكبرياء العاتية ، كبرياء العرق او الدين او اللون » .

وسأله آخر عن قضية فلسطين ، فأجاب : « انني اعطف كل العطف على اليهود ولكن العاطفة لا تعميني عن متطلبات العدالة . ان الدعوة الى وطن قومي لليهود لا تروقني كثيرا .. ففلسطين للعرب كما هي انكلترا للانكليز وفرنسا للفرنسيين . وانه لمن الخطأ فرض اليهود على العرب . اذا لم يكن لليهود من وطن غير فلسطين ، فهل انهم يستطيعون فكرة حملهم على مغادرة سائر اقطار العالم التي استقر بها مقامهم ؟ او انهم يريدون وطنا مزدوجا يستطيعون البقاء فيه بمحض ارادتهم ؟

ان فلسطين بمفهوم التوراة ليست في البقعة الجغرافية ، بل في قلوبهم . واما اذا كان عليهم ان ينظروا الى فلسطين البقعة الجغرافية ، كوطن قومي لهم ، فان من الخطأ الدخول اليها تحت ظل الحراب البريطانية . ان شيئا لا يمكن قوله ضد المقاومة العربية في وجه الفروقات والتحيزات الغالية » .

لكن غاندي يسقط بعد انتصاره السلمي المجيد صريع رصاصة من مسدس متعصب مجنون في الثلاثين من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ ويحرق جسده طبقا للتقاليد على كومة من خشب الصندل بجوار نهر الهند

جميلة

جميلة لا جمال الصبح يخلبها
ولا الدراري وراء الليل تبتسم
ولا السماء وأقواس السحاب بها
ولا الغوادي وما جادت به الديم
ولا الهواتف من طير ومن وتر
ولا شميم الربى طافت به النسم
كأنما كل هذا من مفاتنها ..
الضوء والظل والاطياب والنغم

وديع ديب

قد انتهت عندما توقف قلبه عن الخفق منذ اربع سنوات وتحول هو ايضا الى حفنة رماد ذاب جزء منها في مياه الكنج ، واختلط الجزء الاخر بثرى الهند وتلاشى فيه منثورا من الجو في طائرة فوق احمد اباد . ولئن ذهب الرجل العظيم وتلميذه الروحي فان نضال الهند الحديثة ما زال يسعى نحو التحقيق . اما اليوم فان الناس يسألون « هل نفوذ غاندي يسود الهند ؟ وهل ما زال عمله مستمرا؟ ولا يزال الناس يذكرونه بالخير والاحترام؟»

لقد تمت رسالة غاندي بنيل الهند استقلالها بعد نضال استمر ثلاثين سنة ، كان غاندي خلالها لا يبارى في قيادته لحركة الهند الوطنية ، وعاش ليرى الهند وهي تنال الاستقلال الذي ناضل وشقي في سبيله عندما انتقلت السلطة في ١٥ آب (اغسطس) عام ١٩٤٧ بسلام من يد البريطانيين الى يد الهنود ، وفي هذا الشأن كانت مهمة غاندي قد انتهت .

ومع ان غاندي كان واضع حجر الزاوية لاستقلال الهند الا انه لم يعش ليرى اكمال بناء هذا الصرح اذ لم يكن حيا عندما وضعت الهند نهائيا دستورها في ٢٦ كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٠ ، هذا الدستور الذي يحمل كثيرا من المبادىء التي كان غاندي يعتز بها ـ فهو دستور ديمقراطي ـ فالحقوق الاساسية في الدستور الهندي تحرم التمييز ضد اي مواطن على اساس الدين والطبقة والجنس ومحل الولادة . ذلك لان غاندي كان يؤمن ايمانا حارا بالمثل العليا كما يؤمن بجوهرها الانساني ولا نبالغ اذا قلنا انه خسر حياته بسبب دفاعه الصلب عن الاخوة الانسانية ، فقد كان حارسا لاخيه الانسان بكل معاني هذه الكلمة . وما الجهود التي يبذلها زعماء الهند في هذه الايام لبناء دولة على اسس صحيحة سليمة الا تعبيرا عن عقيدة غاندي الوجدانية .

لقد ناضل غاندي طوال حياته في سبيل التخلص من شرور المنبوذية الاجتماعية . وكان يشعر بأن ممارسة هذه التقاليد البالية تنافي التعاليم الهندوسية ويشمئز منها العدل الاجتماعي . لذلك وضعت المادة ١٧ في الدستور الهندي لتحرم المنبوذية وتمنع ممارستها بأي شكل من الاشكال ! وضعت استجابة لما كافح غاندي من اجله واليوم لا يعترف القانون الهندي بأي منبوذ . ولا غرابة اذ صرنا نرى في هذه الايام عددا ممن يشغلون مناصب عليا في الدولة كان آباؤهم من الطبقات الدنيا . وقل مثل ذلك عن النواب واعضاء الهيئات التشريعية . وفرضت العقوبات على من يمارس التفرقة بأي شكل كان كما فتحت المعابد ابوابها لهم واتخذت التدابير لرفع مستواهم . وما ذلك الا نتيجة لنضال غاندي البطولي في المعركة التي شنها وحده في سبيل انصاف هذه الطوائف والطبقات . لذلك كان في ازالة المنبوذية وتحطيم اغلال الحواجز الطائفية ما ساعد العمال والموظفين على حد سواء في الوصول الى حياة كريمة .

كان غاندي ينادي بتحريم الخمرة لذلك وضعت المادة ٤٧ من الدستور لتحقيق هدف غاندي ، حفاظا على صحة المواطنين . وتعاطي الخمرة محرم في كثير من ولايات الهند .

نادى غاندي بانعاش الصناعات اليدوية في القرى ، لا سيما صناعة الغزل لذلك وضعت الحكومة منهاجا واسعا لتنظيم الصناعات القروية ومساعدتها وقد خصصت لهذه الغاية مبالغ مناسبة كما احتفظت فأصبحت تلك الصناعة تستوعب مليوني عامل . وهكذا فان اولى الامر حريصون على تنفيذ رغبات المعلم الاول ولو بعد وفاته وهو الذي يعتقد ان الهند تعيش في قراها .

وفي الثاني من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٥٢ ـ وهو يوم ميلاد غاندي ـ وضعت اتفاقية اصلاح الريف الهندي من اراء غاندي التي تعترف بأن القرية هي مركز التطور القومي .

كان غاندي ـ ككل رجل عظيم ـ يتطلع الى الحياة كوحدة متكاملة وكان انسانا اهتم برفع منزلة الجماهير عن طريق نشر المعرفة فقضى سنواته الاخيرة في حل مشاكل التعليم وآمن بأن مهنة التعليم تتصل بالحياة اتصالا وثيقا . وكانت افكاره حول التعليم عن طريق العمل اي التعليم الذي يتمركز حول المهنة قد لقيت تعبيرا في مشاريع التعليم الاساسي التي تتبناها مؤسسات ثقافية عديدة في الهند .

وبعد فهل بقي في الهند ناحية من نواحي الاصلاح لم يتطرق اليها غاندي ؟

عمان ـ الاردن **محمود العابدي**

خليل السكاكيني مربياً

بمناسبة مرور ١٥ عاما على وفاته

بقلم حمودة زلـوم

* * *

يعتبر خليل السكاكيني بحق ، رائد التربيـة الحديثة ، وواضع حجر اساسها على اسس تربوية صحيحة في وطننا العربي الكبير ، حتى ان هذا الجانب كاد يطغي على الجوانب المتعددة من نشاطاته المختلفة في مختلف الميادين .

وآراؤه في التربية شـديدة الشبه من الناحيـة التربوية ، بهنري بستالوزي المربي السويسري الذي عاش في اواخر القرن الثامن عشر ومطلـع القرن التاسع عشر فكلاهما احب الاطفال وعطف عليهم وكلاهما نادى باصلاح المدرسـة وجعلهـا كالبيـت العائلي يسيطر فيهـا المحبة والشفقة والحرية .

وقد كانت كما يقول جبرائيل كاتول ، فلسفة واضحة الاساليب والاهداف ، تتجلى في شخصيته وحياته ، فقد كانت له فلسفة ، من احدث ما توصل اليها البشر في هذا العصر ، وهي قائمة على احترام الفرد ، ومنحه الحرية لكي ينمي قواه ، فينشأ مواطنا صالحا محترما لنفسـه ولسواه ، ومستقل التفكير والعمل ، وهذا اسمى مـا تنشده التربية في القرن العشرين .

فقد كان يؤمن ايمانا عميقا ، ان احترام التلميـذ ، واحسان معاملته ، والتغاضي عن عيوبه ، كل ذلك كفيل بأن يخلق منه شخصا جديدا جيدا ، والتعليم في رأيـه ليس ادخارا او استظهارا ، ولكن حياة واستعمال ، ففي معرض حديثه عن مدرسته يقول « مدرسـتنا حـرة ، ولست اعني انهـا تهيء طلابهـا لان يكونوا احـرارا فـي المستقبل ، ولكنها تريد ان يكونوا احرارا منذ اليوم ، اذا لم يكونوا احرارا منذ اليوم ، فلن يكونوا احرارا ابدا » .

وكان فخورا بكونه معلما ، وكان يرى انه لا يصلـح الا ان يكون معلما ، فرؤيته لتلاميذه تبعث فيه النشـوة والسعادة ، والقوة ، فهو القائل « ليس شيء بين اعمـال الناس وصناعاتهم اجمل منها ، (صناعة التعليم) ولـو عدت الى الحياة ــ لا سمح الله ــ لما اخترت الا ان اكون معلما وقد اختار ان اكون معلما للاحداث ، فان معاشـرة الاحداث لذيذة جميلة » .

اما المعلم عند السكاكيني ، فهو بطل مجهول ، يجبل النفوس ، ويسيرها كما يشاء ويصفي العقل من الخرافات والاوهام ، ويغرس في نفس المتعلم ، الحـق والفضيلـة والقوة والابتعاد عن الخور والجبن ، ويحمل السكاكيني على كارلايل صاحب كتاب الابطال ، الذي تناول البطل في دور نبي والبطل في دور قائد ، والبطل في دور شاعر ، والبطل في دور قسيس ، ولم يدرج في عداد ابطالـه ، البطل في دور معلم لذا يتعجب متسائلا « ومن احق مـن المعلم ، ان يكون في عداد الابطال ، وهو الذي يصنـع الابطال ويصنع العظماء ويكون الامم بل ويغير العالم » .

فخليل البطل ، نراه يهتبل اية فرصة ليقدم لطلابه ، خلاصة تجاربه في الحياة ، فمرة يخطب بالخريجين ليقدم لهم ، وصايا عشر ، اشبه ما تكون بكرة ملتهبة تلقى فـي كهف مظلم « ايها الخريجون ، بم اوصيكم ؟ ستجدون من الناس من هم اشبه بالملائكة ، ومنهـم من هـم اشـبه بالابالسة ، اما الملائكة فكونوا معهم ملائكة ، واما الابالسة فالويل لهم منكم ، ستجدون من الناس من يسرق ليعيش، ومنهم من يعمل ليعيش ، فاذا لقيتم النوع الاول ، فـلا تسلموا على احد منهم قبل ان تعدوا اصابعكم ، واذا لقيتم النوع الثاني ، فاحنوا رؤوسكم الى الارض اجلالا لهـم ، حاولوا جهدكم ان ترضوا الناس اجمعين ، ولكن اذا كان هناك من الناس ، من لا يرضيه شيئا ، فليشرب البحر ، لا تتعدوا على احد ، ولا تسمحوا لاحد ان يتعدى عليكم ، تساهلوا في كل شيء الا في كرامتكم ، الحياة فضيلة ولكن اذا حاول الاشرار ان يستغلوا حياءكم فـلا تكونـوا ذوي حياء ، الكرم فضيلة ، ولكن اذا طمع الاشـرار في كرمكم فلا تكونوا كراما » .

وخليل المعلم ، هو الذي ثار على مفاهيـم التعليـم الجامدة التي كانت سائدة في البلاد العربية ، ابان الحكـم العثماني ، المعتمدة على الضرب والعقـاب ، والمعـارف والعلوم الواهنة ، المغلفة بغلاف الخرافـات والجمـود ، ويعلل السكاكيني سبب ذلك بقوله « ان الحكام هم الذين كانوا يشجعون الخرافات ، كيلا تتفتح اذهان الناس الى ظلمهم وبطشهم » ، لاجل ذلك كان يعتقد ان الدواء الوحيد لانهاض الامم وتقدمها هو العلم الخالص من الخرافـات واحياء الاداب القديمة .

جميع ما سبق ذكره ، يجعله بحق ، معلم الجيل ، ولعل حديثه الذي اسوقه يؤيد ذلك « لا تسلوني كم مـر علي من السنين في صناعة التعليم ؟ فان ذلك سر مكتوم ، لا تطمعوا ان تصلوا اليه ولكن قد يكفيكم ان اقول : اذا كان الجد من له اولاد واحفاد فاني بين المعلمين من الجـدود الكبار » . خليل السكاكيني يضع منهاجا للغة العربية :

يقول علماء التربية ، ان وضع منهاج دراسي معناه ، تحديد الثقافة ، وتحديد مداها لابناء الامة فالمنهاج يجب ان يقرر نوع الثقافة التي يتطلبها المجتمع ، والتي تقـرر حاضره ومستقبله ، فاذا كان البلد زراعيا مثلا ، سائرا في طريق التحويل الصناعي فيجب على المنهاج ان يهتم بهـذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظاهرة ، والواقع ان حياة الامم والشعوب ، في تطور دائم وتغيير مستمر ، لذلك يجب ان يكون المنهاج ، مرنا فضفاضا متمشيا مع متطلبات الحياة ، مشيرا الى ضرورة الاسلوب المناسب التي يبعث ويحث على البحث والتدقيق لا مجرد حشو المعلومات في عقل الطالب ، فالبحث والتدقيق هما اهم اهداف التربية في هذا العصر .

وقد اجمع المربون على ان المنهاج ، هو الاساس ، الذي ترتكز عليه بناء التربية والتعليم ، فاذا كان الاساس قويا متينا ، اصبح البناء قويا راسخا ، وان كان واهنا انهار مع اقل صدمة . !

وقد اصاب السكاكيني حينما قال « اذا اردنا ان ننهض فعلينا ان نحسن اختيار الادب ، الذي نلقنه الى الناشئة والا كنا كمن يتجرع السم بيده » . وقد آمن ايضا بخطورة المناهج لذا فهو يرد على ابنه « سري » والذي عابه في ذلك بقوله « ... يظهر لي من كلامك ، انك تستهين بكتب القراءة المدرسية ، وقد فاتك ان كتابا صغيرا يوضع في أيدي الاطفال ، قد يكون له أثر في نهوض الامة وسعادتها ، أبعد مما للكتب الادبية الضخمة العظيمة ، يدلك على ذلك ان يكون من جملة الشروط ، التي أملتها النمسا ومن ورائها المانيا القويتان الجبارتان قبل نشوب الحرب الكبرى ، على سربيا الصغيرة الضعيفة، ان تلغي كتاب قراءة كانت تستعمله في مدارسها الابتدائية، اليس من العجب ان تخاف النمسا والمانيا القويتان الجبارتان من كتاب صغير ؟! » .

والسكاكيني الذي نذر نفسه لامته وتلاميذها مستعد لعمل اي شيء ليخدم امته وبلاده يقول « ولو وجدت شيئا اقل من كتب القراءة وعرفت انه يفيد الامة ، لما كان بمقدوري ان اعمله ، ولقصرت همي عليه » .

لهذا كله التفت رائد التربية العربية الحديثة الى الطفولة ، صانعة المستقبل ، ورجال الامة في الغد المرتقب ، فوضع لها منهاجا مدرسيا فريدا من نوعه سماه « الجديد في القراءة العربية » في اجزاء اربعة طبق فيه نظريته في التربية والتعليم ، وقد تطلبَ منه هذا العمل الشاق ، البحث والتحضير والتمحيص وسعة الاطلاع ، وسارع السكاكيني يتحدث عن ذلك بنفسه « وقد افرغته في احسن قالب ، وبنيته على احدث الاراء والمبادىء واستطيع ان اقول في غير غرور او ازدهار ، انه لم ينسج على منواله في اللغة العربية ، وقد راعيت في تأليفه احدث الاصول والمبادىء اذا قيس بغيره من كتب القراءة في اللغة العربية ، بل اجيز لنفسي ان اقول في اللغات الغربية كان اقربها الى الفن واجمعها لشروطه » .

وحقيقة ان السكاكيني لم يكن اول من أعطى وقته لوضع المناهج المدرسية ، فقد سبقه كثيرون ، ولكنه بزهم وسما عليهم ، اذ ان مؤلفاتهم كانت قصيرة الاجل ، تخلو من عنصر الحياة والتطور ، واعتقد جازما ان المحاولات التي سبقت السكاكيني في هذا المجال قد افادته افادة عظيمة ، ووضحت له الطريق ، ومن اولئك النفر ، المعلم نخلة زريق وعيد سالم وكتابهما « مجموعة اشعار للطلاب المتأدبين » وكذلك خليل بيدس صاحب مجلة « النفائس العصرية » المقدسية الذي علم في المدارس الروسية في حمص وسوق الغرب ، وبسكنتا وحيفا ثم في المدارس اليونانية والانجليزية في القدس ومن تصانيفه المدرسية ، « العقد الثمين في تربية البنين » سنة ١٨٩٨ « والكسور الدارجة والكسور العشرية » سنة ١٨٨٩ ، و « درجات الحساب » جزءان سنة ١٩١٣ و « درجات القراءة » في ستة اجزاء سنة ١٩١٩ – ١٩٢١ ، ومن اولئك الطلائع والرواد في دنيا التربية اسعاف النشاشيبي ، اديب العروبة والاسلام ، مازني الشام وعقاده فقد الف كتابين اثناء عمله في التفتيش هما « مجموعة النشاشيبي » سنة ١٩٢٣ و « البستان » سنة ١٩٢٤ والكتاب من عيون المنظوم والمنثور جعله في سبعة اجزاء تتلائم ومستوى تلاميذ المدارس الابتدائية .

بعد تلك المحاولات جاءت تجربة السكاكيني مكتملة ناضجة ، فيها الحياة والاستمرار والتطور ، لم توجد في كتاب سواء وضع قبله ام بعده ، فمنذ طبع « الجديد » باجزائه الاربعة ، لم ينافسه كتاب في دنيا المناهج المدرسية ، وان كانت هناك محاولات تحاول ان تسدل الستار على « الجديد » ، لكن سرعان ما تنكشف الحقيقة في عدم جدواها فيعودون اليه .

ولقد اشتهر «الجديد» الاول باسم آخر هو كتاب «راس روس » ويتعلم فيه الطلاب في اول سنة دراسية وقد تحرى خليل في وضعه امرين اولهما : ان يبنيه على احدث الاساليب بما وسعه الجهد ، واعان عليه الاختيار من اتقان ، وثانيهما : استدراك الحروف والحركات ، وكل ما يتعلق بالقراءة والاملاء ، ما فات الكثيرين من مؤلفي المناهج وواضعيها ، والسكاكيني عندما وضع « الجديد » الاول وضع له الدليل الاول شارحا فيه طريقته في وضع الكتاب ، وانجع الطرق لنجاح العملية التربوية وهو اشبه بديالوج لفهم « الجديد » الاول . وقد اعتمد السكاكيني في وضع « الجديد » الاول على مراجع كثيرة ، لكن ابرزها « دروس فى اصول التدريس » و « طريقة تعليم الالفباء » وكلاهما للاستاذ ساطع الحصري ، ثم كتاب « المباني الاساسية » لروفائيل طرزي . ويشيد بهذين الاستاذين الحصري والطرزي ، فيقول في مقدمة «الدليل» الاول « وهنا يجدر بي ان اجهر بالثناء على هذين الاستاذين فقد استفدت من بحوثهما وآرائهما كثيرا » . ولا مجال للشك ان خليلا لم يضع المنهاج خبط عشواء ، ولكن نتيجة فهم ووعي وصبر فقد استغرق الجزء الاول من «الجديد» سنتين ، اتبع فيه اسلوب الكلمة تكتب على السبورة فيقراها المعلم مرتين او ثلاث مرات ويكررها التلاميذ الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان يستظهروها ، ثم يحللها المدرس الى حروفها فيعرفهم على كل حرف باسمه او بصوته ، اي ان طريقته تسير من الكلمة الى الحرف ، وبعد التحليل يركب التلاميذ من الحروف التي عرفوها كلمات جديدة ثم تركب جملا ثم قصصا . اذن فالاسلوب الذي اتبعه السكاكيني في هذا الجزء هو الاسلوب التحليلي ، اذ جمع في كتابه هذا اسلوب الكلمة واسلوب الجملة واسلوب القصة وهي تجربة جديدة جيدة ، نرجو ان يوفق غيره الى تحسينها. ثم اتبع « الجديد الاول » بجزئين آخرين هما ، « الجديد الثاني » و « الجديد الثالث » ، وفيهما يكثر خليل من القصص الهادفة والارشادات النافعة وقارىء الكتابين يلمح من خلال قراءته بوضوح وجلاء روح السكاكيني المرحة ومذهبه في الحياة وهو مذهب القوة ، ومن شاء فليرجع الى الجديد باجزائه الاربعة ، يؤكد ذلك ما ذكره الدكتور نقولا زيادة حين قال « في الجديد ايمان آمن السكاكيني بمبادىء ومثل عليا ، جعلته في طليعة الرجال، فقد كان يؤمن بالمساواة الحقة بين بنى البشر ، وكان يؤمن بالسلام في اطار من العزة القومية وكان يؤمن بأمور اخرى كثيرة قد يكون تعدادها مستحيلا وهذه المبادىء متمثلة في « الجديد » ، فليس فيه قصة او قطعة تهدر كرامة الانسان او تنقص من مساواة ، وليس في الكتاب قصة حقد او كره ، او انتقام تجري الدماء له انهارا ، ولكن الكتاب فيه الكثير مما يربي الرجولة ويهيء نفوس هؤلاء الصغار لان يكونون كبارا حتى في الصغر » .

اما « الجديد الرابع » ، فكثيرون من ظلموا السكاكيني بوضعه ، ونادوا بالغائه ، باعتبار انه جاف خال من الفائدة ، ولكن من فهم هذا الكتاب ، يقدر السكاكيني ويعظمه ويعظم الكتاب ، فالكتاب ، كتاب قراءة ، وكتاب انشاء ، وكتاب قواعد عربية ولغة وتاريخ وصحة وحكم واستمتاع ، اللهم الا في بعض الصفحات التي تبدو جافة لا ضرورة لها ، لذا فاني اهيب بواضعي المناهج ان تنظر الى هذا الكتاب بتمعن ويقظة ، واصداره بما يتلائم والحاجات والاغراض المرجوة ، والحاق صفحات لشرح الغامض فيه امام المدرسين ، فالسكاكيني انسان ، يصيب ويخطىء والكمال لله وحده .

ويطيب لي ان اثبت في بحثي هذا بكلمة لمؤلفي كتاب « ادبنا في مختلف العصور » تقول « ... فكان من اقدر المربين واقربهم الى فهم اساليب التربية والتعليم الحديثة ، وتطبيقها ، فانشأ كتابه « الجديد فى القراءة العربية » ، الذي طبق فيه نظريته في التعليم الحديث وجعله في اربعة اجزاء ، نجح منها الاجزاء الثلاثة نجاحا يندر ان يفوز بمثله كتاب آخر ، فقد تكررت طباعته عشرات المرات وانتشر استعمالها في سائر الاقطار العربية تقريبا ، ولا تزال تتمتع بشهرة غير قليلة ، على الرغم مما الف للاطفال من كتب لمثل غايتها في العالم العربي »

وحقيقة ان « الجديد » منذ بزوغ فجره في سماء المدارس العربية وهي تزداد قيمة وتألقا ، فقد مضى على اخراجه نحو اربعين سنة تقريبا لا يزال شابا قويا يؤدي دوره على اكمل وجه .

والسكاكيني لم يضع المنهاج فحسب ، بل كان واسع الافق مصيب الفكرة ، صائب الراي ، طويل النفس حينما اخرج كتاب « الدليل الاول » الذي سبق الحديث عنه ، وشرح فيه طريقته كما طبقها في « الجديد الاول » ليسير على هداه المدرس ، وعمله هذا يبين مدى اصابة تفكيره لفهمه خطورة المرحلة الاولى للتلميذ فالرحمة عليك يا صاحب « راس روس ودار دور » .

ثم تلا « الدليل » بكتاب اخر ، هو « الدليل الثاني »، وهو زبدة تجاربه واستنتاجاته ودراساته في حقل التربية والتعليم شرح فيه الاساليب التربوية الناجعة في تدريس مواد اللغة العربية ، كالقراءة والكتابة ، والانشاء ، والمحفوظات ، والقواعد العربية ، ووقف وقفة جريئة جديدة عند الاخيرة ، وتناول اساليب تدريسها التي سار عليها السلف والخلف ، فينقدها مبنيا العيوب والفوائد دراسة عالم فاهم ، ويذكرها بأنها اساليب ثلاثة ، هي الاندلسي ، الذي يجمع بين القواعد والشواهد ويسار فيه من القاعدة الى الشاهد او العكس ، ورأي خليل في هذا الاسلوب هو انه اذا كان فيه فائدة ففي شواهده لا في قواعده ، وثاني تلك الاساليب ، الاسلوب المغربي ، وهو الذي يقتصر على القواعد دون الشواهد ، كأن القواعد غاية في ذاتها ، ثم يستشهد السكاكيني برأي ابن خلدون في هذا الاسلوب « ان العلم بقواعد الاعراب ، انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ، ولذلك نجد من الجهابذة والمهرة في صناعة العربية والمحيطين بتلك القواعد اذا سئل في كتابة سطرين الى احد من ذوى مؤونة ، او شكوى ظلامة ، او قصد من قصوده ، اخطأ » ويؤكد السكاكيني رأي ابن خلدون بقوله « انهذا الاسلوب ـ المغربي ـ لا اثر له في احسان الملكة بل قد يفسدها » . وثالث هذه الاساليب هو الاسلوب الخلدوني ، وهو الاسلوب الذي نادى به خليل السكاكيني ، في المؤتمرات اللغوية وبمجمع اللغة العربية وباخراجه كتابا يسير على نفس الاسلوب بعنوان « عليه قس » وقد وضع هذا الكتاب لخدمة الطالب ليس الا وفيه يفرض اهم مواضيع القواعد التي تهم الطالب ، على الاسلوب الخلدوني الذي

المراجع : ١ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني جزءان . ٢ ـ ذكرى السكاكيني ـ جبرائيل كاتول ، انيس فريحه ، نقولا زيادة . ٣ ـ ادبنا في مختلف العصور : عيسى الناعوري وزميلاه . ٤ ـ الدليل الاول والدليل الثاني خليل السكاكيني . ٥ ـ اتجاهات ادبية حديثة للدكتور ناصرالدين الاسد . ٦ ـ كذا انا يا دنيا لخليل السكاكيني (جمعته كريمته هالة) . ٧ ـ دراسات في المناهج لوهيب سمعان . ٨ ـ مجلة الاديب . ٩ ـ مجلة فلسطين ـ محمد صالح يونس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاعب السيرك

من الديوان المعد للطبع « عبير من دمشق »

عدنان مردم بك

* * *

لج يستهدف المكاره عمدا ... بجنان امضى من الهول حدا
واتى بهرة السباق مدلا ... بشباب يثاقب النجم وقدا
يتحدى قوافل الذعر لما ... بسط الكف للردى واستعدا
لم يرعه الردى وقد نشر الرعب ... حبالا على الفضاء وحدا
رفعت كالصراط ما ثم شك ... حين ارخى من دونها الموت بندا
واستسر القضاء يكمن في الحبل ... لسوء كالنصل عانق غمدا
حسر الرعب دونها عن لثام ... وجمت اثرها الجوانح جهدا
وبدا الهول عاصفا كخضم ... يتلوى غيظا ويعصف حقدا

حمد الناس للفتى ما أتاه ... من ضروب الاغراء هزلا وجدا
خلب العين بالجليل فاغضت ... دونه العين للذي هو أبدى
يتلوى كالصل مدا وجزرا ... ضاربا في الفضاء جزرا ومدا
في قشيب من الشباب عجيب ... كانبلاج الصباح حين تبدى
وشباب كما أفاء بروض ... واكف للغمام أو هو أندى
او كقوس السحاب يسحب بردا ... من ضياء وينشر النور بردا
او كنفح الرياض في وضح الفجر ... ترامى عبيره وتندى
غمر الارض بالعبير فطابت ... بشذاه الاكام غورا ونجدا

واذا بالفتى يمد الى الموت ... ذراعا والموت يبسط زندا
حث خطوا كضارب في قفار ... مستشيبا يد المروءة رفدا
وجرى في الفضاء فوق حبال ... هي كانت من المقادير أعدى
والفراغ الرهيب يفغر شدقيه ... كضار في القفر آنس صيدا

اعجب به ورآه الاصلح .

وهكذا ، نرى السكاكيني وهب اكثر سني عمره ، وزهرة شبابه في التعليم ، معلما ومرشدا وموضحا للمعلمين والطلاب على السواء ، وراضيا كل الرضى ، باداء هذا الواجب المقدس رغم ان صناعة التعليم ليست بالامر السهل لذا يقول بأسلوب ساحر أخاذ « لو تعلمون صناعة التعليم لكان الخليق بكم ان تهنئوني اني لا ازال حيا ، فان عشر سنوات في صناعة التعليم كافية لان تهد الجبال ، فما قولكم بعشرات السنين ، ولا سيما في عصر اصبح الطلاب فيه اشبه بالعفاريت منهم ببني آدم » . ويقول في موضع آخر بنفس الاسلوب الساحر « بل ما احلفكم ان تهنئوني اني لم (اشنق) نفسي بيدي تخلصا من حل مشاكل الاولاد الصغار والقضاء بينهم وقد قيل (قاضي الاولاد شنق نفسه) ، على ان صناعة التعليم في الوقت نفسه ليس شيء من اعمال الناس وصناعاتهم اجمل منها »

وقد انصفه الدكتور انيس فريحة حين قال « عندما نعيد النظرة مرة اخرى في برامج العربية ، وعندما نعيد النظر في اساليب تدريسها ، وعندما نرغب حقا تيسير اللغة العربية فاننا سنرى انفسنا ـ مرة اخرى ـ تلاميذ السكاكيني » .

ولم يكن السكاكيني ، معلما للتلاميذ ومرشدا للمعلمين فقط ، بل كان معلما للمجتمع ، يهتبل اية فرصة ليلقي بدروسه وعبره وعظاته ليعلم الناس الجراة والقوة والصراحة .

الزرقاء ـ الاردن — حمودة زلوم

لجج للفراغ ما ثم شك ... وقف الموت دونها مستعدا
وترامت عواصف الرعب فيها ... تتهاوى كاللج جزرا ومدا
تذهل النفس دونها من خشوع ... وتغض الابصار رعبا وجهدا
وتخطى الفتى الحبال بحزم ... باسما للردى كمن يتحدى

هتف الناس كالئاب وهبوا ... يبتغون المزيد مثنى وفردا
ومضوا يلحفون دون انقطاع ... لتعاد المأساة فصلا وبندا
أيقظتهم غريزة الاسد الورد ... فراحوا كالاسد تزأر حقدا
لو هتكت النقاب لانكشف السر ... وعاد الحميم خصما ألدا
ولعفت الرجال عبدا وحرا ... وسئمت الرجال حرا وعبدا
أقلوب تلك التي حملوها ... أم تراها قدت من الصخر صلدا
والفتى يحدج الجموع بصمت ... ويطيل التحديق فيهم رويدا
لو جرى بالعتاب منه لسان ... لافاض اللسان بالناس نقدا

خفق الحبل مشفقا كرؤوم ... حين دف الفتى عليه مجدا
ليت شعري أللحبال قلوب ... هي كانت من مهجة الناس أندى
تجد الناس حيثما وجد الناس ... قطيعا يسعى لسوء ويجدى
نعمت بالاذى قلوب البرايا ... واستطابت ورد القطيعة وردا
أجد الصخر كان ألين قلبا ... من بني الناس والسوائم أهدى
رب صخر تفجر الماء منه ... فشفى لاعجا وأطفأ وجدا
ومرد الاحقاد والسوء قلب ... لم يكن دهره عن السوء يهدا
عالم الشر عالم ما تعدى ... هذه الارض او تجاوز حدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هلل القوم للفتى وتباروا ... ينظمون الثناء والحمد عقدا
والفتى واجم يشيح عن القوم ... بوجه والحزن يعصف وقدا
أفزعته حقيقة الناس لما ... خبر الناس معدنا وفرندا
ظاهر نير كما بسم الفجر ... يواري قلبا من الهول أعدى
لو جرى بالعتاب منه لسان ... لافاض اللسان بالناس نقدا

انها الحاجة الملحة اوحت ... ان يرود الفتى المنية وردا
لقمة مرة يغص بها الحلق ... وكانت على المرارة تفدى
ليس بدعا اذا الفتى ركب الهول ... اضطرارا لدرء ما هو أردى
يقتضي العسر ماجدا ان يؤدي ... من بياض الاحساب ما لا يؤدى
وعزيز على الكريم خنوع ... رب موت من المذلة أجدى
سائل الناس جاهل قحم الموت ... ليستمتح الموت رفدا
فاعذر الحر جاهدا وتلمس ... لكريم عذرا اذا ما ترده
وترفق ببائس نشد العرف ... فكف الاحسان في الخطب تسدى
لو سخا الناس بالقليل لاغضت ... عين باك لم تغمض الجفن سهدا

دمشق — عدنان مردم بك

امرأة وعجوز ابله

مهداة الى ابطال المقاومة العربية الذين يجمعون اشلاء الامل من صحاري اليأس

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

صحت من نومها تحس جفافا في حلقها .. انزلقت من فوق الفراش ، وعمدت الى قلة على حافة النافذة .. رفعت القلة الى فمها ، وافرغت منها جرعات كثيرة في جوفها ، ثم استدارت تنظر الى السرير وهي تمسح فمها بظهر كفها .. تبينت انها كانت تنام وحدها .. نفخت بغيظ وهي تتجه ناحية باب الغرفة .. متى تسلل العفريت من جوارها ؟ فتحت ضلفة الباب ونادت :

ـ ولد ..

لفحتها نسمة ساخنة ، آتية من الممشى المنتهي الى الحوش القريب .. كررت نداءها :

ـ ولد ..

لم يتردد صدى لندائها .. غيبهما السكون المطبق على البيت في جوفه .. تراجعت عن الباب وهي تدمدم حانقة :

ـ الملعون .. يخرج في هذا الحر ..

نزعت قميصها .. مسحت به وجهها وجيدها قبل ان تطوح به فوق السرير .. لبست فستانا غامقا .. مكثت لحظة امام المرآة المثبتة بالضلفة الوسطى للدولاب .. تمشط شعرها .. وتسوي فستانها ، ثم انفلتت خارجة ..

مدت بصرها .. الشارع خال .. تنسكب اشعة الشمس الملتهبة على ارضه ، فتنز سوادا لزجا .. انحرفت الى شارع آخر .. مارة قليلون يتدافعون فوق الرصيفين في تراخ وملل .. سيارة صغيرة تمرق بسرعة .. انسحبت الى شارع ثالث بخطى اسرع ، وعيناها تتلفتان بفزع ، وتتهافتان على كل ما تقعان عليه .. هل يمكن ان تجده وسط هذا الزحام ؟ .. المارة كثيرون .. يتصارعون بالمناكب والصدور على شريط الظل المترامي فوق الرصيف .. والعربات اكثر .. تتابع وسط الشارع بسرعة وهوس .. تلحس عجلاتها السواد اللزج ، وتمضي بكبريائها المغلق على من بداخلها .. فكيف تعثر عليه ؟ ..

سارت اسفل الرصيف ، لتتفادى صراع المناكب والصدور ، وتتحاشى البحث عن مسار لا ينحرف كثيرا عن شريط الظل ، ونظراتها تمسح ضفتي الشارع .. تحوم فوق رؤوس المارة .. تنزل بين اجسامهم ، وزفرت متوعدة :

ـ طيب يا ملعون ..

وانفرطت دمعة من عينها .. لم تأبه لها .. تركتها تنساب على خدها ، وتختلط بقطرات العرق التي تغطي وجهها .. وقرب تقاطع الشارع بآخر ، خطف بصرها دم يلطخ الاسفلت .. تسمرت قدماها بالارض دفعة واحدة .. الدم ما يزال لزجا ،



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستطرد وهو يواصل الكنس :

ـ لم يبق مكان يخلو من الحوادث ودمائها .

اوشكت ان تتكلم .. سبقها :

ـ ولا احد يهتم ..

امسكت بكتفه وهي تصرخ في وجهه :

ـ ومن الذي مات ؟ ..

تفحصها الكناس باستغراب ، ثم قال بتهكم وهو يخلص كتفه من قبضتها :

ـ يعني من الذي تظنيه قد مات ؟ .. واحد بني آدم ..

ورجع الكناس يستأنف الكنس بمكنسته الطويلة ، وبسمة غامضة تترقرق فوق شفتيه ..

وهي مكانها تتابع الكناس بنظرة شاردة ، لمحت عسكري المرور يقف تحت مظلته ، فاتجهت اليه وسألته وهي تشير ناحية الكناس :

ـ من الذي قتل هنا ؟ ..

اولاها العسكري نصف التفاتة واجاب بامتعاض :

ـ متى ؟ ..

ـ اقول من قتل هنا ؟ ..

قال بنرفزة وهو يرقب تقاطع الشارعين :

ـ اعرف .. في الصباح .. وقت الضحى .. امس .. اول امس .. في كل لحظة يقتل واحد ..

قالت ونبرات صوتها تخفت وتوشك ان تختنق :

ـ انا أسأل عن صبي صغير ..

قال بنفاد صبر وهو يلوح للسيارات القادمة من اليمين ان تواصل المسير :

ـ الصبية الذين يموتون او يصابون كثيرون فكيف اعرف صبيك ؟ ..

تخولت عنه .. خطوتان فوق الرصيف ، بعدهما جمدت مكانها .. تساقطت دموعها ، ودهمها دوار ، فتغبشت المرئيات حولها واهتزت .. من وراء دموعها المتشبثة بأهدابها : لحظته يشير اليها .. لم

تصدق .. مسحت عينيها وحملقت تجاهه .. تأكد لها انه يدعوهـا ، فتولتها دهشة وارتباك .. مـاذا يريد العجوز منها ؟ ..

استمرت واقفة ترقب العجـوز بحيرة .. والعجوز من مكانـه فوق الرصيف المقابل سادر في التلويـح لها ، وبسمة ترحيب فوق شفتيـه، تكاد تضيع بين شعر لحيتـه الغزيرة وشاربه الكثيف ..

تحركت بتثاقل .. عبرت الشارع ونظراتها تسبقها .. تتفحص العجوز .. بادرها العجوز وظل قامتهـا يقترب من قعدته :

ـ ماذا قال لك هذا العسكري ؟ .. لا تهتمي له .. انـه متعجـرف ويحاول ان يبدو كتوما ..

بهتت ، ولم تجد ما تقوله ، فأبقت فمها مغلقا ..

والعجوز يبادلها نظرات متأملة ، رفـع صوتـه كأنـه يقـرر حقيقـة بعيها تماما :

ـ ابنك ضاع ..

انفتح فمها عن صرخة مشروخة ، وهي تلقي بنفسها بين يدي العجوز .. وارتعشت شفتاها والكلمـات تتدافع من بينهما :

ـ كيف عرفت ؟ .. قل .. كيف عرفت ؟ .. وهل انت تعرفه ؟ ..

دس العجوز اصابعه المعروقة في شعره المغبر الاشعث ، وحك جلـدة راسه مرات ، ثم قال بتؤدة :

ـ كان معكثيرين .. لكن لا تجزعي فسوف يعود ..

وبعد لحظة صمت ، قـرب وجهه منها وراح يهمس :

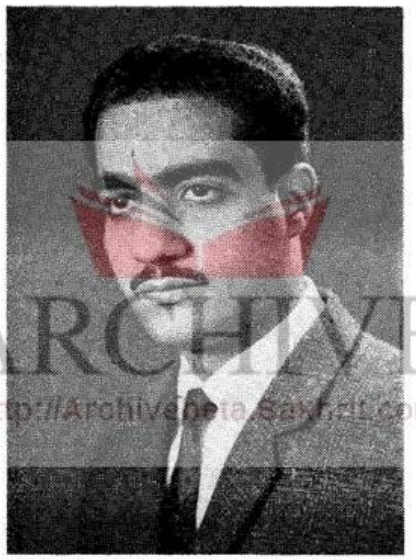
ـ سمعت ان احمس يعـد فـي الخفاء لحملة جديدة يغزو بهـا الصحراء .. ويستعيـد الابنـاء الضائعين .. وهذا العسـكري المتعجرف لا بد يعرف ذلـك لكنـه لا يفصح عن شيء ..

وانقلب يطوح راسه يمنة ويسرة ، ويضغط على مخارج حروفه :

ـ ليس عنده غير .. انا عسكري شرطة .. اذهب .. انا عسـكري شرطـة .

وابصر العجـوز الكناس يدنـو منهما ، وهو مستغرق فـي الكنس بمكنسته الطويلة ، فاسترسل بحنق:

ـ وهذا اللعين لا يختلف عنه .. اقول له لماذا لا تخرج ورفاقك الـى الصحراء .. فيقول نحن مكلفون فقط بتنظيف المدينة حتى لا يسـتاء الناس ويسخطون على رئيس المدينة .. اما الصحراء فقليل من يذهـب اليها .. فلم نتعب في تنظيفها ؟ .. الابله يتصور مسئوليته لا تتجـاوز داخل المدينة ..



اسماعيل علي اسماعيل

●

وانحنى عليها هامسا :

ـ لكن بينـي وبينـك .. رئيس المدينة ينوي جمعهم وارسالهم الـى هناك .. في اسبوع النظافة القادم.

بان الارتباك واضحا على محياها ، وافضحت نظراتها التائهة عن حـيرة وعدم فهم .. وتململت في قعدتها ، ثم همت تقوم ..

امسك العجوز بساعدها ، وتمتم والدموع تتجمع في عينيه الكليلتين :

ـ الى اين يا ابنتـي ؟ .. الـم تخرجي للبحث عن ابنك ؟ .. سأقوم لنبحث عنه معا ..

انجذبت ثانية الى قعدتها ، وعيناها على العجوز تتمليانه .. وصـبر العجوز ثوان صامتا ، ثم خاطبها :

ـ ما رأيك لو ذهبنا الى الصحراء ؟ .. الاولاد تستهويهم الاماكن البعيدة .. وولدك حتما ذهب الى هنـاك مع الاخرين ..

وهب واقفا ، وترنحت بسـمة واهنة فوق شفتيه ، وهو يشـدها من ساعدها لتنهض معه .. وتنازعها الامتناع والاذعان ، قبل ان تسأله بخفوت :

ـ الى اين سنذهب ؟ ..

احتضنها بنظرة متأنية ، واجـاب وبسمته تستقر فوق شفتيه :

ـ الى الصحراء .. هؤلاء الاولاد انا اعرفهم .. يفتنهم الخلاء البعيد .. ولا يملكون الا الذهاب اليه ..

وشرع يمشي واصابعه تقبض على ساعدها .. ومشت الى جانبه وهي تسترق النظر الى ثيابه الرثة المهترئة .. وشـعره المغبر الاشـعث .. ولحيته الخشنة القذرة .. وقامتـه المرسلة الى امام في انحناءة خفيفة .

وغابت عنه مع غياب وعيهـا ، وتشتت ذهنها .. لماذا يتطوع العجوز بمصاحبتها ؟ .. وكيف عـرف ان ابنها ذهب الى الصحراء ؟ .. ومـا سر خلطه في كلامه ؟ ..

وجاءها صوت العجوز هادئا :

ـ لو قـام ايزوريس مـن بـين الاموات لما تعرف علـى ايزيس .. التفتت اليه، فوجدته يمد بصره على امتداد الشارع ، ولا يبين عليه انـه يحادثهـا .. واحس بالتفاتهـا ، فاستدار اليها قائلا :

ـ لم يبق في المدينة امراة تلبس السواد ..

ومصمص شفتيه ثم اكمل ونبرة تهكم حزينة تشيع في صوته :

ـ يقولون الاسفلت اسـود فلم نضيف سوادا الى سواد ؟ ..

وسكت العجوز .. وواصلت المشي الى جواره في استكانة .. لكـن

الخوف يخدش قلبها .. والحيرة تنهش اعماقها .. فالعجوز عاد يثرثر بكلامه المضطرب .. وكلما مرا بأحد لاحت الدهشة في عينيه .. والشارع ينتهي ليسلمهما الى شارع آخر .. لا يلبث ان يزيحهما الى ثالث .. والرابع ينفتح عليهما بامتداده واتساعه .. وقدماها تؤلمانها .. والدوار يناوش رأسها .. والعجوز لا يتوقف عن المشي .. ولا يريد ان يخلع الصمت من بين شفتيه ..

واستفسرت بتردد :

ـ هل بقي كثير ؟ ..

وادار لها رأسه :

ـ لماذا انت متعجلة ؟ .. الا يهمك ان تجدي ابنك ؟ ..

وبسمة تتكور بين شفتيه :

ـ ما دمنا خرجنا معا فسوف نجده ..

ولاذت بالصمت ..

وعاد العجوز يتكلم وهو يرمقها بطرف عينه :

ـ قالت نفتيس لايزيس سوف اخرج معك لنجمع اشلاء ايزوريس واكد لها حورس الكبير انه ذاهب معهما هو الاخر .. ومع ذلك لم يذهبا معها .. بقيا في المدينة ينظمان مرثيتهما في ايزوريس .. ويؤكدان وهما يبكيان انه سوف يعود .. ولو كانا صحباها لتغير الحال ..

واوضح وابتسامته تتسع لتشمل كل قسمات وجهه :

ـ لا تحسبي اني اريد شكرك لمرافقتي لك .. فانت طيبة تستحقين كل خير ..

وفصل الصمت بينهما والشرود .. وبغتة ، هتف العجوز بفرح طفلي :

ـ لقد وصلنا ..

ردتها زعقة العجوز الى انتباهها .. فجعلت تتلفت حولها بفزع .. خلفا المدينة وراءهما .. وصارا على مشارف صحراء تغيب اطرافها في البعد .. والشمس تسترت خلف سحابة قاتمة ثم انسلت منحدرة الى المغيب .. وغبشة المساء تحاصر الافق .. تلملم اطراف الصحراء .. ودائرة الرؤية امام عينيها تشح وتضيق ..

وصرخت وهي تتراجع عن العجوز خطوات :

ـ لماذا جئت بي الى هنا ؟ ..

واقترب منها العجوز وهو يغمغم بصوت حنون يكاد لا يسمع :

ـ لتبحثي عن ولدك يا ابنتي ..

وتقاطرت الدموع من عيني العجوز .. وتضاءلت البسمة التي تتكور بين شفتيه .. وبصوت مخنوق عقب :

ـ هؤلاء الاولاد انا اعرفهم .. يعشقون الخلاء ليسمرون على هواهم ..

وجذبها من ذراعها .. وانحرف ناحية اكوام الزبالة والنفايات ثم قال :

ـ انظري .. اقول للكناس الابله ان اكوام النفايات سوف تزحم الصحراء .. ويوما ستهب رائحتها النتنة على المدينة فيضيق لسكان ويسخطون عليك وعلى رئيس مدينتك .. فيقول المهم نظافة الشوارع حتى لا يستاء الناس .. يتصور الناس لا يشمون الا القريب فقط ..

وانصت برهة ثم سألها :

ـ هل تسمعين شيئا ؟ .. يبدو انهم خلف هذا التل ..

واضاف وهو يمط بسمته فوق شفتيه :

ـ هؤلاء الاولاد العفاريت انا اعرفهم .. يحبون الانزلاق فوق التلال الرملية .. يا لهم من صغار اشقياء .. يتعبوننا معهم ..

وتحول يتسمع باهتمام في كل اتجاه ، ثم قال بصوت خفيض :

ـ يبدو انهم راجعون .. وحتى لا يروننا فيرتدون مخافة ان نضربهم لتأخرهم في العودة .. فتعالي نختفي هنا .. ادخلي واحدة من هذه الكومات .. هيا اسرعي .. انها نفاياتنا فمما تقرفين ؟ .. هيا .. هيا ..

ولم يتوان العجوز .. دفع بها داخل واحدة من الكومات .. واسرع يضيف الى الكومة مزيدا من الكومات الاخرى .. واوشكت النفايات ان تغطي كتفيها فصاحت :

ـ كفى .. سوف اختنق ..

لم يعبأ العجوز بصياحها، واستمر يحمل النفايات بساعديه من الكومات الاخرى ، ويلقي بها فوق الكومة التي دخلتها ، وهي تصرخ وتتوسل .. وضاق العجوز بصراخها ، فانفجر زاعقا بغضب :

ـ كان واجبك ان تفعلي ذلك بنفسك فاحمدي لي اني اعاونك ..

وارتفعت النفايات حولها حتى غطتها .. وطفق صراخها ينقلب الى حشرجة .. واستغاثاتها تتحول الى انين مكتوم .. وتوقف العجوز ، واخذ يدور حول الكومة ، والبسمة المتكورة تهتز بين شفتيه .. ثم انطلق راكضا تجاه المدينة ، وهو يهلل :

خرجت ايزيس وجمعت اشلاء ايزوريس .. فقام من بين الاموات .. وهو عائد اليكم بالخلاص .. اخرجوا لتلقوه .. واخرسوا هذا الصخب لتسمعوا صوته .. لتسمعوا منه كلمة العودة ..

ولم يزد الناس في الشوارع عن التطلع اليه باسمين ، وهو مستمر في جريه الملتاث ، وصراخه المتهدج، وقرب الرصيف الذي اعتاد ان يقتعده ، كان صوته قد بح ، والاعياء تمكن منه ، فانكفأ على الاسفلت ، اسفل الرصيف ، قرب كومة صغيرة من النفايات .

القاهرة **اسماعيل علي اسماعيل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امـرأة

★

هـي في المنـع والعطـاء سـواء كبريـاء تعلـو بهـا الكبريـاء
دائما فـي متانـة الشجر الصلـب ، وان زانهـا الشـذا والـرواء
واستظلت بهـا الفصـول ، وغنتهـا الروابي وعانقتهـا السماء
تحكم الـرأي في الصواب على الحق وتحيـا فـي رأيهـا الاراء
هي تـأبى ان يجنح الفكر في الظن وتأبـى ان تشتهي مـا تشـاء
هي مثل المرآة ترتشـف اللـون وتبقـى الـوانهـا السـمحاء
هي شيء من كل شـيء على نفسي ،كنفسـي ، أمـانـة ووفـاء
ودعـاء اذا تجلـى دعـائـي ونـداء اذا تعـالى النـداء
تقطع العمر في الشجاعة والحمد وربي : أنـت النـدى والسـخاء
يتعرى الايمـان في حلـل الصبر ، ويرضى الرضى ، ويحلـو الجفـاء
هـي كالافـق مشرف وبعيـد هي كالغـاب وحشـة وانـزواء
هيكل مـن هياكل الجبـل العالـي ، تهـادى منـه عليـه الضيـاء
نعمة من مواسـم الله في بيتـي وخـير مـن خـيره معطـاء
كان قلبي كصخرة القبر اشباحا عطاشـا تـنز منهـا الدمـاء
شـاردا في مفارق الليل والشك ، وداء يمـوت فيـه الـدواء
شـهوة اثر شـهوة وشـباب كاد يفنـى فـي بردتيـه الرداء
جائع فـي كؤوسه ظمـا الهـم ولاه تلهـو بـه الخيـلاء
تسحب الـدرب عمره في مدى الدنيـا وتمحو الوانـه الظلمـاء
يتخفـى فـي فقـره فتـرى الفقر عليـه كـانـه الاثـراء
همـه كـل همـه ان تـواري الليل فيـه علـى السرى الصهبـاء
كان، حينا كفرحةالدار فيالصحو وحينا تهـوي بهـا الاهـواء
وتهـادى فمـا رواه التهـادي وتوارى فمـا شـفاه الخفـاء
اخت : ايـن الاخصـاب في الورق اليبس ، واين المنى ، واين النماء
اخت: ضاعت منه منـاهل عينيه وضاع الصبى ، وضـاع العـزاء
ثـم مرت كمـا يمر بـه الحلم وعـادت كمـا يعـود الرجـاء
عطفت عطفة القـوي عـلى الود وحنت كمـا يحـن الحـداء
ثم قالـت لنـا الفضـاء وما في الارض الا جناحنـا والفضـاء

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

احسان النمر - جميل سعيد

شكري عرامي - نعمة الصباغ

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ احسان النمر

القول الذي آمن به « احسان » وجعله ديدنا وشعارا قول ابن خلدون : « والتاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في اخلاقهم ، والانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا ! » .

ولد « احسان » في نابلس بفلسطين عام ١٩٠٥ ونشأ في اسرة محافظة اشتهرت بالتدين والامانة ، ودخل المدرسة الابتدائية فالاعدادية، ومال بكليته الى دروس الاجتماعيات والحساب . وفي الحرب العالمية الاولى حمل البندقية ، واولع بالتمارين العسكرية ، واستوعب الشيء الكثير عن « المسالة الشرقية (١) » بعد تحرر الدولة العثمانية من قيود الامتيازات الاجنبية ، واخذت المعاهد العلمية تشرح للطلاب سوء ما تبيته الدول الاوروبية للدولة العثمانية بغية تصفيتها بوصفها دولة الخلافة الاسلامية .

وبعد ان هدأت نامة الحرب العالمية الاولى اصبحت فلسطين بلدا خاضعا للعدو المحتل ، وربطت بمصر بالقطار السريع ، واعتبرت كأنها مديرية من مديريات مصر ، واستؤنفت الدراسة على اساس البرامج المصرية ، واقبل الطلبة الفلسطينيون على الدراسة في الكتب التي يتداولها الطلبة المصريون ، وفي هذا العهد عكف « احسان » على الدراسات العربية وركز على أمهات التاريخ العربي والاسلامي ، ودخل « كلية النجاح الوطنية » بنابلس ومنها الى « الكلية الوطنية » بالشويفات ، واقبل على دراسة النهضة السلفية في نجد ، وجدد عقيدته على الاسس السلفية التي وقف عليها في كتب علماء نجد ولا سيما الشيخ سليمان بن سمحان النجدي، ومال نحو المقالات والمؤلفات التي صنفها بعض مفكري العرب والمسلمين كطبائع الاستبداد وام القرى للكواكبي والاسلام روح المدنية للفلاييني وخاطرات جمال الدين الافغاني ومؤلفات المنفلوطي وبعض فتاوي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية ، ودأب على دراسة القرآن الكريم تفهما ، وتطبيقا على النظريات العلمية وبذلك تسلح بثقافة اسلامية ودرس مقدمة ابن خلدون وكليلة ودمنة وتهذيب الاخلاق لابن مسكويه والادب الكبير لابن المقفع .

وبعد زوال الحكم التركي عن البلاد العربية وقعت فلسطين في الفخ الذي نصبه لها الاستعمار البريطاني وسعى المستعمر الى تهويدها ، فقرر « احسان »ان الجهاد واجب مقدس على كل عربي ومسلم ، وأخذ يشجع على هذه الفكرة بين رفاقه . وبتخرجه من « الكلية الوطنية » بالشويفات اشترك في المظاهرات والاضطرابات التي نشبت في فلسطين عام ١٩٢٩ وبد سنتين منها خرج بمظاهرة في نابلس ضد المستعمر فحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة مدة ثلاثة شهور .

واثر اكتشاف الهجرة اليهودية غير المشروعة لفلسطين تنادى شباب فلسطين الى تأسيس « منظمة حزب الشباب » فقام المترجم له مع بعض رفاقه بفضح الهجرة اليهودية غير المشروعة ، وقررت المنظمة حراسة الحدود فاصطدم شباب طولكرم بشباب اليهود في ناتانيا فهبت البلاد واضربت وقامت بمظاهرات دامية في عام ١٩٣٣ .

ودعا « احسان » الى تأسيس جمعية اطلق عليها « جمعية الهداية الاسلامية» ، فآمن الشبان المنتمون اليها بالثورة ، وطفقوا يتمرنون على السلاح والقاء المتفجرات على الدوائر الحكومية ابان الاضراب الفلسطيني الشامل ! .

وليشارك في الجهاد خرج الى الاردن ودعا الى دخول القائد فوزي القاوقجي وجيشه الى فلسطين ، ولحراجة الموقف انتقل الى دمشق وشجع على مساعدة الثورة الفلسطينية حتى انتهاء الاضراب الفلسطيني الشهير .

وقبل أعلان قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧) دعا الى تأسيس حزب سياسي اسماه « حزب التقدم العربي الفلسطيني » وبعد ان تأكد من ان قرار التقسيم سيوضع موضع التنفيذ اعتزل السياسة .

وبالرغم من عزوفه عن السياسة ظل يعمل لنصرة المغرب العربي في كفاحه ضد المستعمر ، واسس مع بعض رفاقه مدرسة وطنية لتعليم الطلاب الذين حرموا من التعليم في المدارس الاميرية ، ودأبوا على عملهم القومي هذا الى ان اسست الحكومة مدرسة لاولئك المحرومين.

من آثاره القلمية : نشر « احسان » عشرات من المقالات السياسية في صحف « الصراط المستقيم » و « الكرمل » و « اليرموك » و « الجامعة الاسلامية » و « الحياة » المقدسية و « الدفاع » . واقبل على نشر البحوث التوجيهية والمقالات التاريخية في مجلة « الفتح » و « مجلة الازهر » و « التمدن الاسلامي » الدمشقية و « مجلة الحج » المكية و « الحياة » البيروتية و « هدى الاسلام » الاردنية و « الصراط المستقيم » البغدادية . ومن الكتب التي صنفها :

١ ـ تاريخ جبل نابلس والبلقاء (في جزئين)
٢ ـ العربي الكامل (في خمسة اجزاء)
٣ ـ امراضنا ومشاكلنا
٤ ـ نوادر الاغاني
٥ ـ السياسة العربية الرشيدة
٦ ـ بطولات الجزائريين
٧ ـ تاريخ الحمدانيين
٨ ـ شخصية المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .

نموذج من شعره : نظم « احسان » مقطوعة شعرية صور فيها معنى لم يتناوله سواه من الشعراء هو السكر المعنوي :

اسائل هل صحا قلبي وثابا ... فكم انسى بسكرته الصوابا
وقد جربت انقاذي وصحوي ... فهام القلب لا يرجو ايابا
فيسكرني انين الصب شوقا ... واذهل ما شكا حبا وهابا
ويسحرني الجمال اذا تناهى ... وانفر ان أتى شيئا معابا
جمال الروح يسكر كل صب ... جميل الروح يستهوي الصحابا
لئن فتن تزيد على المزايا ... فتسحرنا فلا نبدي جوابا
اذا ابتسموا كان الشمس ضاءت ... وان نطقوا جلوا عني مصابا

ولا تبخس لحسن الصوت حقا ... اذا حن الجميل لها عتابا
على الم تطوقه جراح ... فاحرقنا من الشكوى وذابا
وصيرنا بمجلسه سكارى ... ولم نشرب من الحان الشرابا
ومن يخبل على طرب وشوق ... فقد وفى الى النفس الحسابا

وقد ظنوا بسكر الخمر لهوا ... تجرع للفتى سما مذابا
ولو ذاقوا لسكر الشوق طعما ... لصار الصاب في فمهم رضابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلست بشارب خمر الندامى ... ولست بذائق منها حبابا
ولكن نشوتي مثل تسامت ... الى العليا مفاخرنا حقابا
ولعت بها فلم أحفل بشيء ... يطير لذكره غير أهابا
ومن ينشد ذرا العليا فاني ... وجدت طريقها ملأى صعابا
فلم أر مثل نشوتها بنفسي ... ولو مزجوا بها شهدا وصابا
تراني صاحيا لا شيء أشكو ... وان حققت تعرفني مصابا
فذا سكر العلا من غير شك ... ومن يخبر على علم أصابا

٢ ـ جميل سعيد

منذ شب عن الطوق وعجم عود الحياة ، وبلا مكر الناس وخداعهم ، وجنوحهم الى الشر ، ظل يدعو الى الخير والمحبة ويردد مع سلامه موسى قوله :

« ان الرجل الطيب هو الذي يعطي الدنيا اكثر مما يأخذ منها ! » .

ولد « جميل » في بيت المقدس عام ١٩٠٦ وقام دستوره في الحياة على كسب الرزق بعرق الجبين وطلب العلم مهما كانت الظروف والموانع ، ونظرا للظروف القاسية التي حملتها الحرب العالمية الاولى في طياتها دخل المدرسة الالمانية في حي الدباغة بالقدس وبعد الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٨ انتقل الى مدرسة المطران وبعد تخرجه منها وجد ان ظروفه المادية لا تساعد على مواصلة تحصيله الجامعي فزاول التدريس ست سنوات ، ولقد أفاده عمله هذا خبرة بالناس ومعرفة بالحياة . وعكف على المطالعة في حقول الادب والاجتماع والتربية ، وبعد ان ادخر بعض المال قصد بيروت والتحق بالجامعة الاميركية وامضى فيها ست سنوات ممتعة وبعد تخرجه عام ١٩٣٢ بدرجة بكلوريوس آداب وشهادة التربية عاد الى فلسطين مدرسا في دائرة المعارف العامة وعين في ثانوية يافا ، وبعد خمس سنوات من عمله هذا نقل استاذا الى الكلية الرشيدية بالقدس وامضى فيها عشر سنوات .

وبعد ان دكت فلسطين بالنكبة الاولى (١٩٤٨) انتقل الى عمان ومنها الى بيروت، وقصد لندن كمدرس للغة العربية وكطالب لعام النفس في جامعة كمبريدج وحصل على شهادة M. L. I. H. وهي تعادل شهادة الماجستير الفرنسية ، وما لبث ان عاد الى بيروت وعين مدرسا في الجامعة الاميركية ثم عاد الى الضفة الغربية وعمل مدرسا في كلية دار المعلمات بنابلس ، التي أسستها هيئة الاغاثة الدولية بمساعدة منظمة اليونسكو ، وعاد الى بيروت ليعمل في قسم الترجمة والمعلومات في رئاسة وكالة الاغاثة (الاونروا) .

وفي عام ١٩٦٦ اعتزل العمل لمرض طارىء واعتكف في منزله ببيروت وعكف على المطالعة والكتابة .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ جميل عشرات من المقالات التربوية والتوجيهية في مختلف الصحف واذاع الاحاديث الادبية والاجتماعية . ومن الآثار القلمية التي وشتها ريشته المؤلفات التالية :

١ ـ اتجاهات الادب الانكليزي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
٢ ـ علم النفس في حياتنا اليومية (مترجم) ١٩٥٩
٣ ـ عقدة اوديب في الاسطورة وعلم النفس (مترجم) ١٩٦٢
٤ ـ مارك توين (مترجم) ١٩٦٥
٥ ـ كتاب تعلم الانكليزية عن طريق التلفزيون (جزآن)

نموذج من نثره : « في الادب العربي القديم قصة رجل لجأ الى بئر من خطر فيل هائج ، فتدلى فيها وعلق بغصنين كانا في سمائها ، فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر ، فاذا حيات أربع قد أخرجن رؤوسهن من جحورهن ، ثم نظر فاذا بقاع البئر تنين فاغر فاه ، ينتظره ليسقط فيأخذه ، فرفع بصره الى الغصنين ، فاذا في أصلهما جرذان اسود وابيض ، دئبا على قرض الغصنين ، وفيما هو في تأمله هذا ابصر كوارة بالقرب منه فيها عسل ، فذاقه وشغلته حلاوته ، والهته لذته عن التفكير في مصيره ، وتلمس الخلاص لنفسه . ولم يذكر ان قدميه على حيات اربع لا يدري متى يسقط عليهن ، ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ، ومتى انقطعا وقع على التنين .. فلم يزل لاهيا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك !

هذه القصة تمثل حياة البشر احسن تمثيل ، فالبئر هي الدنيا الطافحة بالافات والشرور ، والحياة الاربع هي الشهوات المتأججة في الجسد ، والغصنان هما الاجل او حياة الانسان على الارض التي لا بد من انقطاعها . اما الجرذان الاسود والابيض فهما الليل والنهار الدائبان في افناء الاجل ، واما التنين فهو المصير الذي لا بد منه ، أي الموت . وبين هذه الاخطار كلها يتلهى الانسان بالحلاوة العابرة التي ينالها من طعام وشراب وشم ولمس ، يتلهى بها ويتشاغل عن نفسه ، ويلهو عن الهدف الذي ولد في هذه الحياة من أجله ، وهو معرفة الحقيقة والسير بمقتضاها ! » .

٣ ـ شكري حرامي

ظل الشعار الذي آمن به شكري حرامي طيلة عمله المتواصل في حقل التربية والتعليم قول برتراند راسل :

« يجب على الناس ان يقلعوا عن استعمال القوة ، وان المرء يجب ان يتوغل في العلاقات البشرية الى صميم الشعور بالوحدة عند الناس ! » .

ولد « شكري » في بيت المقدس عام ١٨٩٨ واستهل دراسته في المدرسة الالمانية بحي الدباغه ومنها انتقل الى كلية الفرير ليلم بالفرنسية ومن هذه التحق بمدرسة المطران وبعد ان حصل على شهادتها الثانوية انضم الى مدرسة الفرندز برام الله معلما ، وما لبث ان دخل الجيش التركي عام ١٩١٦ برتبة ضابط ومركز عمله بعلبك وبعد فترة عاد الى القدس والتحق باحدى الفرق العسكرية التركية كترجمان ثم نقل الى دمشق ومنها الى بئر السبع ووقع اسيرا في يد الجيش البريطاني وصدف ان كان قائد الفرقة التي أسرته استاذا له في مدرسة المطران فبعث به هذا الى رئاسة الاركان ببافا وبقي فيها حتى احتل البريطانيون حلب عام ١٩١٨ فنقل الى بلدة اورفه كضابط ارتباط بين الجيش التركي والجيش البريطاني وظل في وظيفته هذه حتى نزوح الانكليز عن حلب .

وخلال وجوده في الشهباء عرض عليه الاستاذ لويس زياده العمل مع الجيش الفرنسي كشخص يحسن خمس لغات حية هي : العربية والتركية والانكليزية والالمانية والفرنسية ، لكنه رفض هذا العرض وعاد الى القاهرة عام ١٩٢٠ ومنها عاد الى القدس وعين موظفا في دائرة المالية ، وفي عام ١٩٢٢ ترك عمله والتحق بدائرة المعارف العامة وعمل استاذا في الكلية الرشيدية .

وعندما شرعت السلطات البريطانية بفلسطين في احصاء السكان رفض الاسهام في هذا المشروع فاستغنى المسؤولون عن خدماته وعين استاذا للتاريخ في مدرسة المطران وظل في عمله هذا حتى عام ١٩٢٦ .

وفي عام ١٩٢٧ قصد الولايات المتحدة والتحق بجامعة انديانا ، وحصل منها على درجة بكلوريوس آداب وكانت الاطروحة التي قدمها تدور حول العصور الوسطى ، وسرعان ما عاد الى فلسطين وعين استاذا للتاريخ في مدرسة المطران من عام ١٩٢٨ ـ ١٩٣٧ .

ونظرا لخلاف نشب بينه وبين المطران غراهام براون المسؤول الاول عن مدرسة المطران ترك هذا المعهد الاجنبي واسس في بيت المقدس مدرسة وطنية اسماها « مدرسة الامة » ، وكانت في الواقع « مصنعا للرجال » وظل يؤدي رسالته التربوية في صدق واخلاص من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٤٨ وفي عام النكبة الاولى (١٩٤٨) استولت اسرائيل على هذا المعهد القومي فرحل « شكري » الى بيت لحم ونقل « مدرسة الامة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى قصر جاسر الشهير . وفي عام ١٩٥٧ اختار قطعة ارض في بيت حنينا (احدى ضواحي القدس) وانشأ عليها « كلية الامة » وما زال يؤدي رسالته للامة التي تحدر منها في هذا « المصنع القومي » .

من آثاره القلمية ، نشر « شكري » مقالات تجمع بين التربية والتوجيه وكتب مقالات في جريدة « اللهب » لصاحبها الاديب المرحوم حنا سويدا في بيت المقدس عام ١٩٣٦ . ومن الاثار التي وقفنا عليها كتاب « المختصر في التاريخ » وقد نشره في عام ١٩٣٦ .

نموذج من نثره : « ليست الحياة الا كفاحا متواصلا وعلى المرء ان يعد له العدة ولا ينتظر جني ثمار النصر بسرعة .

والحياة في يقيني حرب متصلة الحلقات بين الامل بالنجاح والخوف من الفشل . وكلما كانت الظروف المحيطة بالانسان في كفاحه شاقة ومستعصية كان التغلب عليها اعظم .

وليعلم القارىء ان قطع المسافات الشاسعة في غضون ايام واسابيع لا تجعل من الانسان بطلا انما قطعها في دقائق معدودة تجعل منه ذلك البطل ! .

ومن صمد لخصم واحد كمن صمد لاخصام كثيرين ، ولو افضى هذا الى فشله في التغلب عليهم . ومن خطط لنفسه وعمل ثم فشل ولم يعد يخطط ويعمل فهذا لا يصنع المعجزات ولا يؤمن بما أعد لكفاحه منذ البداية .

وفي يقيني ان بلدا كفلسطين الجريح تألبت عليها قوى الشر والطغيان لا بد ان تنفض عنها غبار الاتكالية واللامبالاة والتغني بالماضي وبما صنعه الاوائل من اهلنا ، ولا بد ان يعود شعبها عن عبادة الاصنام الى حب الوطن ومن الخيال الى الحقيقة ، ولهذه الاهداف عملت وساظل أعمل ! » .

٤ ـ نعمه الصباغ

ولد في الناصرة بفلسطين عام ١٨٨٦ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة البروتستانت بمسقط رأسه ثم انتسب لمدرسة تابعة للجمعية الامبراطورية الروسية الفلسطينية وبعد ان اكمل دراسته فيها أنتقل الى « السمنار » (٢) ونال شهادته عام ١٩٠٤ . ولقد شجعه استاذ العربية فيها المرحوم جبران مخائيل فوتيه (من بيروت اصلا ومدير مدرسة «الثلاثة الاقمار» في بيروت) على درس العربية والتعمق فيها .

وابان وجود « نعمه » في « السمنار » قدم الناصرة طلاب من حمص ولبنان للانتساب الى هذا المعهد الروسي وفي عدادهم : نسيب عريضه ومخائيل اسكندر (حمص) ومخائيل نعيمه (بسكنتا) وقد أرسله الى الناصرة المعلم خليل بيدس ، مدير المدرسة الروسية في بسكنتا سابقا ، ليلتحق بـ « السمنار » وزوده برسالة لقريبه المترجم له وأوصاه خيرا بالصبي الغريب لضعف بنيته وبعده عن اهله .

وفي عام ١٩٠٤ عين « نعمه » مديرا للمدرسة الروسية الابتدائية في بلدة منياره (عكار) وامضى فيها مدة خمس سنوات ، وقد زود « السمنار » في الناصرة بفوج من طلابه المنياريين .

وفي عام ١٩٠٩ نقل مديرا للمدرسة الروسية الابتدائية في كسبا (الكورة) وخلال فترة عمله هذا قدم لبنان من بطرسبرج المفتش الاول في المدارس الروسية فسر بالنتائج الباهرة التي لمسها في طلاب مدرسة كسبا ، وتقديرا لجهود الصباغ نقله مديرا للمدرسة الروسية في اميون (الكوره) وفيها اقترن بفتاة اميونية وظل يزاول عمله الى عام ١٩١٤ وفي هذا العام الغيت الامتيازات الاجنبية من الدولة العثمانية .

وفي عام ١٩١٨ عاد « نعمة » الى الناصرة وعين مديرا للمدرسة الارثوذكسية بالناصرة . وفي عام ١٩٢١ التحق بمعارف حكومة فلسطين وعين مديرا للمدرسة الاميرية في شفاعمرو ونقل بعدها الى « الكلية الرشيدية » بالقدس ثم نقل مديرا للمدرسة الاميرية في بيت لحم فمديرا للمدرسة الاميرية بالناصرة . وظل على رأس عمله هذا الى ان أحيل على التقاعد في عام ١٩٤١ .

وفي عام ١٩٤٥ عين مديرا لمدرسة الكاثوليك الاسقفية ولكلية البنات لراهبات الناصره في حيفا وظل يعمل في هذين المعهدين حتى عام ١٩٤٨ . وبعد حلول النكبة الكبرى بارح فلسطين الى لبنان وتولى ادارة القسم العربي في ثانوية بشمزين (الكورة) وفي عام ١٩٥١ عين استاذا للادب العربي في كلية طرابلس الشام وظل يعمل فيها مدة ١٢ عاما الى ان نزح الى بيروت ! .

باكورة شعره : كان اول شعر نظمه شاعرنا « نعمه » مقطوعة هنا بها السيد سباسكي ، ناظر المدارس الروسية في طرابلس الشام ، ومطلعها :

صاد قلبي يا عذولي طرف « مي » فهمى الدمع دما من مقلتي
خلت ان الدمع يطفي نارها غير ان الدمع زاد النار شي

واول صحيفة خصها الصباغ بشعره عام ١٩٠٢ مجلة « كوردوبا » بالارجنتين لصاحبها المرحوم شبلي ناصر رزق فمجلة « الفنون » بنيويورك لصاحبها المرحوم نسيب عريضه فمجلة « النفائس » بالقاهرة لصاحبها المرحوم سليم قبعين فمجلة « المباحث » بطرابلس الشام لصاحبيها جرجي وصموئيل متى فمجلة « النفائس العصرية » ـ يوم كانت تصدر في حيفا اولا ـ لصاحبها المرحوم خليل بيدس فمجلة « الزهراء » بحيفا لصاحبها جميل البحري فمجلة « المعارف » ببيروت لصاحبها المرحوم وديع حنا فمجلة « الاخاء » بالقاهرة لصاحبها المرحوم سليم قبعين الى غيرها من الصحف الفلسطينية .

وفي عام ١٩٠٢ جرت مناظرة شعرية بين الصباغ وبين سليم ناصر رزق ، الشاعر الفلسطيني ، وكان موضوعها « الادب القديم والادب الجديد وأثرهما في المجتمع » وقد نشرت تلك المناظرات على صفحات مجلة « كوردوبا » الارجنتينية .

نماذج من شعره : خلع نعمه الصباغ على أدبنا المعاصر (صورا) شتى من منظومه ودونك (لوحة) وشاها الصباغ بتلاوينه واصباغه :

بين المغاني في السحر غنى الهزار
فشاقني عرس الشجر والقلب طار
وشارك السمع النظر فيما أثار
لو ان « معبدا » حضر لكان حار

وصفقت أيدي الغصون تحببا
وفتح الورد العيون لما صبا
وأرسل القطر الهتون تصببا
ففضح السر المصون ريح الصبا

هذا الى ذاك الحبيب طاب العناق
وليس من يخشى الرقيب من الرفاق
والصبح باللحن المذيب حتما أفاق
فنبه الغصن الرطيب قبل الفراق

يا وقفة بين الزهور مع الملاح
فالروض بالطير فخور يتلو الصداح
يا حسنه شدو الطيور والنور لاح
بادر الى نهب السرور عند الصباح !

---

(١) ـ مصطلح عام يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول الاوروبية وبين الامبراطورية العثمانية ، ابان القرنين ١٨ و ١٩ واوائل القرن العشرين . (٢) كلمة روسية معناها « دار المعلمين » .

ويبدو ان شاعرنا الصباغ هام في صباه ب «ليلى» ... و «ليلى» هي عروس احلام كل شاعر .. فراح يناغيها بشعر يفيض رقة وعذوبة :

« ليلى » الزهور تبسمت لما بدت منك ابتسامة
« ليلى » الغصون ترنحت لما هززت لهن قامه
« ليلى » الطيور ترنمت لولاك ما سجعت حمامه !
والبدر أغضى مذ تطلع انه أمسى قلامه !
« ليلى » النجوم تغامزت لما رات في الخد شامه
والورد يا « ليلى » انطوى خجلا ولم يبرح كمامه
والنرجس الولهان يا « ليلى » اثرت به هيامه
والياسمين روى الصبابة والهوى يبدي غرامه
« ليلى » البلاغة قصرت لما نشرت رؤى القسامه
فاخو الفصاحة ذاهل حيران لا يبدي كلامه

أنت الهوى لقنتني سيظل عندي للقيامه
« ليلى » ارحمي صبا بكى والدمع أزرى بالغمامه
« ليلى » السقام أذابه والوجد قد أورى سقامه
لولا الانين وحرقة لم يدره من كان رامه

وأمض شاعرنا تبرج فتاة القرن العشرين فراح يسائلها بحدة وانفعال :

لمن الشعور تصففين ؟ والحاجبين تزججين ؟
لمن الخدود توردين ؟ لمن الشفاه تحمرين ؟
لمن العيون تكحلين ؟ والظفر منك « تمنكرين » ؟
تلك الحياة زرية أواه مما تفعلين !

قصرت ثوبك لم ترا عي حشمة لو تعلمين !
تمشين في الاسواق لا تخشين الحاظ المئين
سكرى بلا خمر يميـ ـل بك الصبا تترنحين !
للزوج أنت وجدت لا لجماعة متعطشين !
ما هكذا كنا ... ولا كانت نساء المتقين
كان الحياء جمالنا يا حسنه في الغابرين
يا بنت حواء اتقي أحكام رب العالمين !
ما أنت الا زينة للبيت لا للمشتهين
فاذا اتشحت بعفة كنت الهداية للبنين !

وظل الصباغ يهاجم مباذل فتاة العصر ... وقد خرجت بزينتها على حد الحشمة والوقار :

ما لي اراها جاريه بين فتى وجاريه
ترنحت تهاديا في الحي نصف عاريه
تبرجت ناعمة في القلب نار واريه
كانها في خطوها الطاووس تعطو زاهيه
والزي قد صرفها عن الصفات العاليه
تريد منا أدبا ومنه راحت خاليه
وتقتضينا حشمة وتلك عنها نابيه
بالصدر شنت غارة على البدور السارية
تمشي بنا مرتجة مهتزة وغاويه
في شفتيها قرمز ينعي ذهاب العافيه
وحسنها مصطنع في وجهها بداليه
زينتها حذاؤها وحمرة وغاليه
لو عقلت لظهرت بخيرها مباهيه !

لكن فتاة القرن العشرين ندت عن الحياء .. وأسرفت في تبرجها ... وأوغلت في بهرجها ... فحمل الصباغ على استهتارها هذا :

قصرت سربالها يا ويحها فاذا مرت بنا « الظهر » ظهر
وتراها قطعت عن يدها كمها « فالابط » في مرمى النظر
ويح عصر بنت حواء به قد تعرت فأبانت ما استتر
فترى الشبان عافوا زيجة انهم قد فقدوا ذات الخضر !
لا تلوميهم اذا ما نفروا وارحمي نفسك من وقع الخطر

ولم ينس الصباغ أمه من شعره ... فلقد صور حنانها وطيبة قلبها ، وصفاء حبها ، وسهرها على وليدها والدموع تسح من عينيها بقوله :

بالام لا « بسعاد » طاب تغزلي وأنا الذي بهوى الامومة مبتلي
ان الحنان بقلبها لا صدر من طمعت بحب لاح حتى ينجلي
حب الامومة لا يزول الى المدى أما « سعاد » فحبها بترحل
فاذا الجمال ذوى ذوت بذبوله واذا الغنى ولى تنكر ذاك لي
والام مهما كان بي من عاهة فهيامها بي في المزيد الاكمل
واذا اضطربت أصابها قلق وما تحيا لتسعد بل لتسعد موئلي
ومقامها عندي بأعلى رتبة فكانها فوق السماك الاعزل
تقديسها فرض علي عرفته منذ الطفولة في الكلام المنزل
يا أم حبك راسخ بجوانحي وهواك حل بها بارفع منزل
فاذا كشفت عن الفؤاد وجدته مطبوعة آياته لم ترحل
ان أنس لا أنس التضرع والبكا في النائبات تساق للرب العلي
تقضين في السهر الممض حزينة ليلا أكون به بداء معضل
والدمع من عينيك سح بهداة كيما انام براحة وتهلل
وتضرعاتك لا تطيق نهاية وتاوهاتك من عميق توسل

يا أم أنت مثار كل فضيلة ولأنت في دنياك أكرم مفضل
أهواك ، هيهات السلو عن الهوى فكأنني بعبادة المتبتل
وعلي دين ان أقدم طاعة كيما أنال جزاء ربي الامثل
يوم الامومة قد أبنت لي الهدى فاتيت اسعى مشية المستعجل
لأصوغ حمدا للتي من قلبها غذت فؤادي والحنان مسربلي

« نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول »

وعاش شاعرنا الصباغ مؤملا فرج الله .. متطلعا الى ثروة تنفس عنه الكرب وتضاعف في سعادته ، وراجيا ان تغدق السماء عليه بخيراتها ... ليقضي بعض عمره في صفو وهناء وهدوء وطمانينة !

وصور ما اعتلج في صدره من أمان بخطاب شعري مفتوح وجهه للرحمن الرحيم :

أسعى وجهدي فاشل واراه زلزلني « الطفر »
ليلي يطول على الطوى وأبيت جياش الحذر
غيري مصيب عيشه والعيش عني قد نفر
ما للزمان معاندا أواه من ظلم القدر !
ربي ... امرت تصبروا فصبرت أرتقب الظفر
وطمعت في نيل الغنى فاذا الغنى أعمى البصر
فطفقت أشكو لوعة ظهري من البلوى انكسر
والصبر مثل مذاقه مر وتعذيبي أمر
هم وغم فيهما بالفقر طال المستقر
ما زفرة الخنساء في صخر سوى قلبي انفطر
ربي أنلني رحمة مثلي لفضلك من شكر
ربي ارحم العبد الذي يشوى على نار سقر
ويكاد قبل أوانه يقضي وتطويه الحفر
فالفقر أنشب ظفره والفقر اقسى من غدر
رباه لجت كربتي واريد تعجيل السفر
وتقول صبرا لينجلي عنك البلا ولو استعر
وصبرت حتى لم أجد في مشربي الا الكدر
ان كان بالصبر الغنى فانا الصبور أبا البشر
صبري تناقله الورى « أيوب » مثلي ما صبر !

عمان ـ الاردن

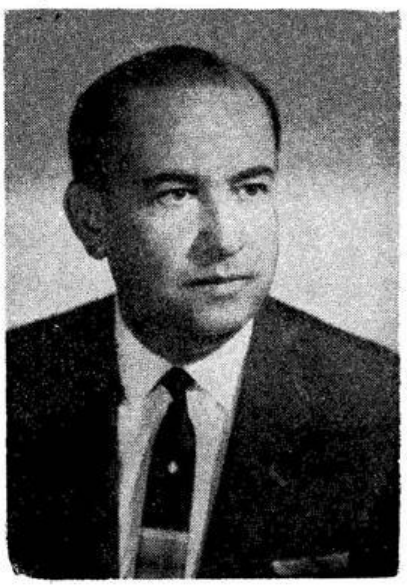
البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى طفل الامس

فؤاد الخشن

الشويفات ـ لبنان



أيها المنشد
يا من شعره الهموس
من صحو السماء
((الشويفات)) تناديك
فلا تبطىء عليها
انت وجه الخير ، قيثار الجمال
طيف آدونيس للارض يعود
وبكفيه عناقيد
وقمح وورود ...

عد مع الحب اليها
كل شيء ينعش النفس
ويغنيها
ستلقاه لديها
فهنا ، في الظل .. في الوحدة ..
في هذا الصفاء
ربما عاد الى نفسك
بعد اليأس ،
شيء من رجاء !

أيها الريفي
يا ابن الصحو
يا طفل الخيال
ظل عصفورا طروبا ....
او فراشه
ظل في احرفك الخضراء
للناس البشاشه
وبليل الهم للمهموم
ضوءا وانتعاشه ...

والمثال
ذلك الوهم الذي صغت
من التوق الى وجه الصفاء
لا تدعه ...
خله دفءا لباقي العمر
في برد الشتاء !
املا حلوا يثير الشوق ..
ايماءا بعيدا
وترا للنغم العذب
وقيثارا فريدا
وابق بالوهم
وما يبدعه الوهم ، سعيدا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة رجل موهوب

بقلم سامي الكيالي

قصة اليقظة العربية التي بدات على يد اعلام من الكتاب والمفكرين في القرن التاسع عشر ـ قصة كتب فيها المطولات فلا نعيد سيرتها .

فقد كانت الحياة الفكرية ، في الفترة الطويلة التي عاشتها في العهد العثماني ـ كانت موؤدة لا تجد لها اي متنفس .

وكان الناس يتخبطون في تيه الجهالات وقد ورثوا كل رسوبات عصور الانحطاط . وكانت اللغة التركية لغة الدولة ـ هي الطاغية ..

وقد اتاح الله للامة العربية صفوة من الشخصيات البارزة انصرفوا الى تراثنا القديم يبحثون ذخائره بجد واخلاص ، والى ثقافة الغرب ينهلون من معينها بشوق وصبر ، فزاوج بعضهم بين الثقافتين ، واهابوا جميعهم بأبناء الوطن العربي ، في شتى اقطاره ، ان يفيقوا ، وان يسيروا في الطريق السوي الذي سلكته الامم التي قطعت شوطا بعيدا في ميدان العلم والمعرفة .

والتاريخ الادبي يذكر العشرات . ولكل واحد طابعه المتميز .. في الادب والثقافة والنضال القومي والوعي الاجتماعي ، وقد اتخذوا الاصلاح ديدنهم ..

وكان الادب ، وكانت المدارس ، وكانت الصحافة سبيلهم لرفع الغشاوة عن العقول ، ووضع البذور الصالحة لحياة جديدة تحياها الامة العربية ، وتكون اداة قوية لبعث ماضيها وتكوين ذاتيتها .

ولا اعدد الاسماء فهم كثر : من مصر وسورية ولبنان وفلسطين والعراق ، جميعهم قد مهدوا الطريق لمن بعدهم ، وما هذه النهضة التي نقطف ثمراتها اليوم الا نتيجة تلك الاغراس التي زرعها اولئك الاعلام .

قدمت هذه التوطئة للحديث عن رجل اهملته الدراسات الادبية ، وكان ذا موهبة وانتاج غزير . وقد استطاع ان يترك طائفة من الكتب ذات اتجاهات مختلفة ، بين علمية وادبية ، فنية وتاريخية ..

جمع في ذاته شتى الصفات .. من الكهنوت ، الى التدريس ، الى الصحافة ، الى الخطابة ، الى الشعر ، الى العلم ، الى الفن ـ الى ما شئتم من ظواهر النبوغ .

لا اقول انه جمع المتناقضات بل اقول : ان مواهبه توزعت على جميع هذه الميادين فأعطى كل ظاهرة قدرا من ذكائه وحيويته والمعيته ..

من قرية في اقصى الجزيرة السورية الى اكبر عواصم الغرب يقف خطيبا ، يحدثهم بلغتهم ، فيسحرهم ويهز مشاعرهم ..

يعيش مع الملوك والامراء فيحظى بعطفهم وينال رفدهم .

يكتب لهم ، ويترجم عن لغاتهم فيقدرون مواهبه ويكبرون نبوغه ..

نشأ في « ديريك» التابعة لمحافظة الحسكة ، وقد اطلق على « ديريك » اسم « المالكية » بعد تخطيط الحدود بين سورية وتركيا سنة ١٩٢٨ .

من تلك القرية الى دير الشرفة في لبنان يدرس العربية والسريانية والايطالية ، ومن بيروت الى روما لدراسة الفلسفة المسيحية من منابعها ولا يكاد يظفر بلقب دكتور في الفلسفة حتى يعود الى قريته مزهوا بما ظفر به ...

ويضيق بجو القرية ويسام رئيسا لطائفة السريان في بيروت ، فلا يكاد يتسلم مهام عمله حتى يؤسس مدرسة وينشيء مطبعة لنشر الكتب في اللغات العربية والسريانية والتركية .. كان ذلك سنة ١٨٦٣ .

وتلقى مدرسته كل نجاح ويقصدها طلاب العلم من جميع الارجاء ..

ويسير في نهجه المدرسي والكهنوتي .. ثم يقتحم ميدان الصحافة للتعبير عن ميوله ونزعاته الحرة ، ولا يكاد يقترب من نار السياسة ووهج الطائفية فيصطدم ..

وتضيق نفسه ببيروت ايضا فيقوم برحلة كبرى حول العالم ..

لقد ركب البحر سنة ١٨٧١ واخذ ينتقل من قارة الى قارة حتى استكمل دورة الارض في سنتين وسبعة شهور.. وربما كان اول سوري بل اول شرقي قام بهذه المغامرة ..

بعد هذا السفر الطويل ، وبعد ان رأى العالم بشتى الوانه واجناسه ، ومختلف بدائياته وثقافاته : ابيضه واسوده ، واحمره واصفره عاد الى بيروت متعبا .. ولكن كان اكثر نشاطا واوسع معرفة واكثر تجارب ..

وفي بيروت عاوده الحنين الى الصحافة .. وهي الميدان الفسيح لنشر آرائه وما اختزنه في ذاكرته من مشاهد وآراء .. فلم يكد يصدر مجلته وينشر آراءه حتى يصطدم ايضا ..

« .. اتفق في غضون ذلك ظهور مسألة تاريخية تتعلق بأصل ايمان احدى الطوائف فقال بعكس ما ترتأيه . ونشر مقالات اثارت فتنة كاد يذهب فيها قتيلا » .

وترك بيروت الى ليفربول . ومنها الى نيويورك

وفيلادلفيا حيث مكث بضعة شهور اطلع خلالها على الكثير من المظاهر العلمية ، ثم عاد الى لندن ليعمل في الصحافة من جديد .

فأصدر سنة ١٨٧٧ مجلته باللغتين العربية والانكليزية .. وربما كان اول صحفي عربي اجترأ على هذه المحاولة ...

وبدأ يسطع نجمه ، ولا سيما بعد أن نشر سلسلة مقالات في محاربة الاستبداد في الدولة العثمانية – في مجلته وفي جريدة « مرآة الاحوال » لرزق الله حسون .

واستطاع عن طريق الصحافة ، ثم الخطب التي كان يلقيها في المنتديات العامة ان يحظى بمقابلة فكتوريا ملكة بريطانيا .. وفتحت له هذه المقابلة الاتصال بأكثر من ملك وامير ، شرقيين وغربيين . اختاره سلطان زنجبار ان يكون وكيلا له مدة ثماني سنين . وقابل قداسة البابا في رومه مرتين . .ووثق صداقته مع ناصر الدين شاه ايران ..

واختاره ولي عهد انكلترا الذي صار فيما بعد ملكا باسم ادوار السابع استاذا للغات الشرقية في دار الفنون التي انشاها الامير في لندن The Imperial Institute وتناول الطعام على مائدته مرتين . وكان على اتصال مع الميكادو امبراطور اليابان .. ومع ملك حيدر اباد ... وغيرهم وغيرهم .

ان قصته قصة العصاميين .. من قرية في اقصى الجزيرة الى اعظم عواصم الدنيا ، يعيش مع الملوك ، ومع الامراء يؤاكلهم ويشاربهم ، يحادثهم ويراسلهم ، وينال رفدهم واوسمتهم ، فان دل هذا على شيء فعلى النبوغ السوري الذي لا تكاد تتفتح مفاليق الدنيا امامه حتى يتبوأ اعلى المراكز .

ويتساءل القارىء الكريم من هذا الموهوب الذي انبتته ارض الجزيرة المخصاب ، ولن اضن بالجواب . وان كان في ظني ان الكثيرين من المتتبعين للحركات الفكرية قد عرفوه .. بل اوقن انهم عرفوا انني ارسم للعالم الاديب المؤرخ الدكتور لويس صابونجي صاحب مجلة « النحلة ».

وبعد ، فان قصته لم تنته ، وهي على جوانب شيقة من الحياة الفكرية ، وعلى جانب عظيم من الاهمية .

.. قيمة الانسان ، اي انسان ، فيما يتركه من اثر . سواء في ميدان الادب او الفن ، او العلم ، او كل ما يفيد البشر ويؤاخي بين الشعوب في تقدمها وتطورها الحضاري ..

وقد ترك الدكتور لويس صابونجي ، اكثر من اثر تدل على عمق ثقافته ، وامتداد افق تفكيره .. فقد انتج فيضا زاخرا من الكتب والرسائل في شتى ميادين المعرفة ، بلغته وبغير لغته .. وكان لمعرفته اللغات اثره في تبحره واطلاعه الواسع ..

ويذكر الذين عرفوه انه تعلق بدراسة عشر لغات احكم اصول سبع منها فقط وهي : العربية والسريانية والتركية والايطالية واللاتينية والفرنسية والانكليزية .

وحين نمر مرورا سريعا على بعض مؤلفاته وترجماته – في فترة كان الفكر ما يزال في الاقماط – نواجه موهبة ذات اشعاع مختلف الالوان .

فقد ترجم الى الايطالية اثني عشر كتابا من اشعار فرجيل ، وكتب كتاب « فلسفة ما بعد الطبيعة » واتبعه بكتاب عنوانه « تهذيب الاخلاق » وترجم عن التركية للوزيرين الشهيرين فؤاد باشا وجودت باشا كتاب «المراة السنية في القواعد العثمانية » كما اصدر كتاب « جمال الكائنات » وصف فيه الجمال في الحيوان والنبات والجماد ..

ومن كتبه « الرحلة النحلية » وهي رحلة حول العالم في اللغتين العربية والتركية وقد تضمنت اهم الشؤون العلمية والتاريخية المنوطة بالبلاد التي زارها مع سكانها ولغاتها وصناعتها وزراعتها وتجارتها وحيوانها واديان اهاليها وعاداتهم واخلاقهم ، وهو يصور كل هذه الظواهر اصدق تصوير .. ثمة قاموس انكليزي عربي الى الكثير من كتبه غير المطبوعة ، وهي من القيمة الاجتماعية والتاريخية بمكان عظيم واهمها: تاريخ فتنة حلب سنة ١٨٥٠، وتاريخ فتنة لبنان وسورية سنة ١٨٦٠ ، وتاريخ الثورة العرابية في الديار المصرية سنة ١٨٨٢ ، ومن هذه الرسائل والكتب غير المطبوعة كتابه « الاصول المنطقية » وهو بحث في الفلسفة العصرية والقديمة ، وكتاب « مرآة الاعيان في تسلسل الاديان» . كتاب « السكان في النجوم والاقمار» يحوي نحو الف وخمسمائة صفحة وقد قسمه الى ثلاثة اقسام : الاول وفيه ذكر العلماء والشعراء والفلاسفة والفلكيين واصحاب الاديان العظام الذين علموا من اعصار قديمة الى القرن العشرين وجود خلائق ناطقة على سطح النجوم والكواكب ، واورد في القسم الثاني احوال الشمس وسياراتها وسكانها العلوية . واتى في الثالث على وصف النجمة الارضية . وهو اول كتاب من نوعه في العربية ..

وقد تعددت رسائله وكتبه في مختلف اللغات اكتفينا بالالماع الى ابرزها .

بعد ان استفاضت شهرته في عواصم الغرب وفي امريكا ، يمم سنة ١٨٩٠ الاستانة ، عاصمة السلطنة العثمانية ، وسرعان ما احتضنه السلطان عبد الحميد فعينه في « المعية الشاهانية » وانعم عليه بدار فسيحة في احسن بقعة من ضواحي استانبول ، وخصص له خمسين ليرة عثمانية راتبا شهريا . واصدر ارادته بالمثول بين يديه مرتين في الاسبوع ، واختاره استاذا لانجاله في تدريس التاريخ ومترجما لجلالته من اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والايطالية الى التركية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد عينه عضوا في المجلس الكبير لنظارة المعارف ، ولبث على هذه الحال حتى اعلان الدستور فاعتزل العمل والتزم قصره في جزيرة الامراء وقد انقطع الى التاليف والمطالعه وجمع مقالاته في الصحف والمجلات .

وقد اضاف الى مؤلفاته كتاب « افكاري » جمع فيه كل ما جرى له من الحوادث مدة حياته ، وهو في مجلدات شتى يضم وثائق على جانب خطير من الاهمية .

كما جمع قصائده في ديوان شعر سماه « شعر النحلة في خلال الرحلة » وهو في نيف وخمسمائة صفحة . وشعره شعر فيلسوف روحاني امتلأ فؤاده بالوعظ والتوجيه ليس فيه طلاوة الشعر وان اصطبغ بالهواجس التي كانت تخطر بباله وتصور بعض شؤونه الذاتية وبعض ظواهر مجتمعه .

والواقع ان الدكتور صابونجي لم يكن اديبا ذا اسلوب . ولكنه كان عالما واسع المعرفة يعبر عن ارائه بلغة سهلة ، بعيدة عن التقعر ، وقد وصفه احد معاصريه بقوله:

« .. لقد تحرى في شعره ونثره الكلام البسيط الخالي من التعقيد والمحسنات اللغوية التي لا فائدة منها للعموم ولا تهذب اخلاقهم ولا تساعدهم على اكتساب معيشتهم فهو « كاتب شعبي وليس بمنشىء لغوي » كما قال عن نفسه » .

فمن شعره في خلود النفس بعد ان حاججه ذات يوم بعض الدهريين قوله :

الى الله تنحو النفس بعد انفصالها ... وتجزى الشر او بخير فعالها
دان قيل : بعد القبر ليس قيامة ... فقلنا : على الزنديق كان وبالها
وان قيل : ليس النفس تدري معادها ... فقلنا : ستدري حين يأتي ارتحالها
الى الله عود النفس بعد جهادها ... متى حل من قيد الحياة عقالها

وفي جدال اخر من فيلسوف من اتباع الفيلسوف اليهودي اسبينوزا الجاحد وجود الله قوله :

يسبح من في البر والبحر والعلا ... الها تجلى بالخلائق للملا
كيان بلا بدء وحد وجيز ... به البدء منذ البدء كان ممثلا
اله على عرش بلا حد مركز ... يسوس وحيدا لا شريك له ولا
رآه بعين العقل كل موحد ... وغاب عن الزنديق ما لكنه واعتلى

على ان اطرف اثاره لوحة زيتية كبيرة رسمها بريشته تمثل تسلسل جميع الاديان من عهد ادم الى يومنا هذا . وفيها ٦٦٠ شخصا من جملتها تصاوير جميع الذين انشأوا دينا او مذهبا مع طريقة عبادتهم ورموز عقائدهم وطقوسهم .. وكلها منقول عن اثار قديمة اكتشفها الاثريون في بلاد مختلفة . ويعتبرها الفنيون من اللوحات النادرة ، وقد عمل فيها قرابة اربعين سنة منذ كان في امريكا سنة ١٨٧٢ حتى اكملها سنة ١٩٠٩ ، وقد وضع رسالة بالانكليزية بمثابة دليل او مفتاح لها ، وما فيها من الرسوم مع ذكر تاريخ تلك الاديان وزمان اكتشاف الاثار الدالة عليها والاماكن التي كانت مطمورة فيها .

ثمة جوانب كثيرة في حياة هذا الانسان الموهوب الذي خلع ثياب الكهنوت ليعمل في شتى الميادين ، وقد وفق وبرز وترك عدة مؤلفات ورسائل ترمز الى جهوده الفكرية ونشاطه الادبي والعلمي .

هذه هي قصة هذا الموهوب السوري الذي انبتته ارض الجزيرة المخصاب ، فكان من الرواد الذين خاضوا جميع ميادين المعرفة بصبر وايمان . وقد تجاوز آفاق وطنه الى آفاق بعيدة فكان بحق من المرموقين ، ومن المبرزين ..

وقد ركن في اخريات ايامه الى الراحة بعد جهاده العلمي الطويل ليعيش مع كتبه ورسائله التي لا يزال اكثرها مخطوطة .

وحين شعر بدنو اجله وقد تجاوز العقد التاسع من عمره ، نظر ، وهو في عزلته ، نظرة فلسفية الى مصير الانسان فنظم ثلاثة ابيات لتنقش على قبره ، وهي تهزأ بغرور الانسان الذي يكد ويسعى ، يسعد او يشقى ، ثم تضمه حفرة صغيرة باردة . يقول :

قضى العمر في الاسفار طالب حكمة ... يروم فنونا لا تحد وتحصر
ومن كانت الدنيا الفسيحة كلها ... تضيق لديه في الحياة وتصغر
كفنه يعيد الموت اضيق حجرة ... لما اكتفيا بالمثل كسرى وقيصر

حلب — سامي الكيالي

السمفونية الخامسة

شربتها بمقلتي
علي دمي جرت ضياء
أوراق عظمي جنة
لم ترو في بال السماء
تلم ابعاد المصير
تذكار اطياف الازل
تطير بي ، بها أطير
أخطف من دهري أجل
أخلق من عزيمتي
زوابعا مجنونة
أضمها بمهجتي
من خصل حنونه
تغمرني ، فيض حياه
تمدني ، كبر الجباه
معرشا بموجها
في جبهة الشمس بطل

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صرخت الام في فزع وهي ترى ولدها سامي يهجم عليها محاولا اختطاف نصف الجنيه الذي تبقى معها من مصاريف الشهر ، وتقلصت اصابعها عليه ثم حاولت امساك سامي الا انه هرب صارخا مهددا ومتوعدا وهو يقسم انه سوف يهرب من هذا المنزل، انه لا يريد ان يعيش فيه بعد اليوم ، واصيبت الام بانزعاج شديد وسالت دموعها وقالت بصوتها الحزين :

ـ لماذا ستتركنا يا سامي ؟ ... منذ وفاة والدك وانت لا تستقر على حال تركت المدرسة والتحقت بصنعة ولم تصبر بل تركت الصنعة ثم شربت السجائر وانت طفل واصبحت مدمنا وانت شاب لم يعد لوجودك فائدة ، انت تخرب نفسك تدمرها .. وتريد ان تدمرنا معك ، لماذا تفكر بهذه الطريقة؟ اننا ندللك، لا نطلب منك ان تؤدي عملا ولكن نصبر لعل الله يهديك الى الصراط المستقيم والظاهر انه لا فائدة من وراء صبرنا .. كل يوم تزداد سوءا .. كل يوم تزداد انحدارا .. ورغم ذلك فقلب الام لا ينساك .. لماذا تنسانا يا بني ؟ لماذا تريد ان تتركنا ؟ لماذا تريد ان تهرب؟ ماذا ستفعل في بلاد الغربة ؟ .. لا مال ولا صنعة .. اني اخاف عليك من الطريق .. اخاف عليك من الشقاء ... لم تخلق له ... رغم وفاة والدك فأسرتك تكافح واخوتك الكبار يكافحون ، يقتطعون من مرتباتهم ما هم في حاجة اليه لكي لا تحتاج انت وبقية اخوتك الصغار لاي شيء ، انهم يضحون من اجلكم وحرام ان تكون النتيجة هذا الفشل وان تكون نتيجة كفاحهم هذا الضياع ... انت مسكين يا ولدي وانا اتعذب من اجلك ، لا اريد ان يبتلعك الضياع واذا كان المبلغ الصغير المتبقي معي هو ما تحتاجه فخذه ولا تهرب ، خذه ولا تخضع لشيطانك .

ولكن سامي كان قد استولت عليه فكرة الهرب من البيت ومن البلدة ... اراد ان يعيش كما يتمنى ان يعيش ، اعتقد ان في استطاعته ان يعمل وان يكسب وان يعود اليها رجلا ... وفكر في سرقة اي شيء يبيعه لكي يسافر بثمنه ثم ليكن ما يكون ، وهداه شيطانه الى سرقة راديو صغير واختفى من البلدة وبكت الام حتى كل بصرها وتأملت وتوسلت الى الله في صلاتها ان يهديه وان يطيع العاصي ، وكلما توسلت بالنسيان خذلها النسيان فالام ليس في استطاعتها ان تنسى فلذة كبدها .. كانت تتذكره فتبكي ويتألم بقية الاولاد ..

وفي احدى الليالي استيقظت فزعة .. رأت في المنام ولدها سامي

المشرد

بقلم السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد داسته سيارة ثم رأته ملفوفا في ثوب ابيض ثم رأتهم وهم يدفنونه واستيقظت ملتاعة استيقظت باكية ، واستيقظ الاولاد وروت لهم رؤياها وتألم الاطفال ولكنهم سرعان ما شغلتهم حياتهم فنسوا الموضوع ، اما هي فلم تستطع ان تنسى ولدها سامي ...

وتمر الايام وتحاول ان تنسى ولدها ولكنها لا تستطيع وتغرق في الصلاة والدعاء لعل وعسى .. في الوقت الذي كان فيه ابنها سامي قد استقر به المقام في السويس في مدينة الملاهي .. تنقل مع الفرق المتجولة ابتداء من طنطا ثم القاهرة ثم السويس .. رحلة طويلة تغير فيها تماما .. اصبح جلد على عظم وطال شعر رأسه واتسخ وبانت تجعدات سوداء تحت عينيه رغم طفولته ، وطالت اظافر يديه وتلوثت بالقاذورات ، اما ملابسه فقد اختفت تماما ، باعها ليأكل بثمنها وليشرب الكيف ، واعطاه معلمه بنطلونا قذرا ملوثا بالرقع والتمزقات وقميص ازرق ممزق لبسه على اللحم ، واندمج بزيه الجديد وسط جو الملاهي .. عاش فردا من افراد قاع المدينة ينام النهار ويسهر الليل، يشرب جميع انواع السجاير والمخدرات واذا لم يجد يتجرع اكواب الخمر الرديئة ... تعود على الشرب .. شرب كل شيء ونسي نفسه ونسي اسرته نسي انه انسان وانه ينتمي لأسرة محترمة وعاش في قاع المدينة ، عاش ممزقا ضائعا ، اصبح فردا من البؤساء الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء أصبح كثير السعال كثير البصق ، لم يعد يذوق الطعام الحقيقي ، أصبح زاده فتات قذر وبقايا فضلات المعلم .

وكان المعلم يعده لمهمة خطيرة أراد ان يجعل منه نشالا ولكنه فقد ثقته فيه عندما رآه وقد انهار واصبح لا شيء .. حتى مهنة الظلام لم يعد صالحا لها .. اصبح بالنسبة لقاع المدينة لا شيء فلم يعد يهمهم امره فتركوه وحيدا وسط المولد واصبح في حاجة لسيجارة وفتات الخبز .. لم يعد باستطاعته الحصول على أي شيء ، اصبح مريضا جائعا هزيلا ينتفض من شدة البرد .. جاع وعرف معنى الجوع ..

افاق لنفسه لحظات عندما غاب عنه الكيف .. تذكر نفسه وتذكر من هو وسالت دموعه لاول مرة .. دموع حقيقية لاول مرة .. يتألم ويحن لمنزله ، اشتاق لرؤية والدته .. أحس بحنانها وحبها ، تذكر اخوته الصغار والعابهم البريئة ..

تذكر اخاه الموظف الكبير واخوته وبكى .. وسالت دموعه ثم اصابته نوبة فاخذ يضرب راسه في الحائط ثم يمزق جلد راسه بأظافره ، انه في حاجة للكيف ، وتخلى عنه المعلم، فقد اراد ان يجعل منه لصا ولكنه لا يستطيع ، لم يتعود على السرقة ، باع كل ما يملكه حتى ملابسه لم يعد يمتلك أي شيء ، انه في حاجة الى سيجارة ، في حاجة الى كأس ، في حاجة لاي شيء .. ولكن كيف السبيل الى ذلك .. ؟ انه لا يستطيع العمل ، ان جسده مريض ، انه يتألم ، والتصق بجسده العاري في الارض وبكى ثم راح في سبات عميق .

وافاق من سباته على صوت عربة النجدة ورجال الشرطة ، ثم وهم يحملونه حملا ضمن الايراد ثم وهم يتركونه على ارضية التخشيبة البلاط ، ثم وهم يجرونه ويوقفونه امام الضابط النوبتجي ، واخذ كل جسده يرتعش ، انه خائف والضابط يتفرسه بعيون جبارة ، انه يغوص الى اعماقه ، وخيل لسامي ان الضابط يعرف كل شيء عنه ، يعرف من هو ، يعرف انه سرق الراديو وهرب ، وارتعش بدنه وعطف عليه الضابط بعد ان هزته رؤيته الحزينة ، وبعد ان صرف الضابط كل الايراد من امامه واستبقاه ثم ابتسم في وجهه وسأله بلطف ، فقد شده اليه شيء غامض :

ـ انت اسمك ايه ؟ ..

ـ سامي يا أفندم

ـ ايه اللي عمله في نفسك كده ؟

ـ معليش يا بيه .. عاوز أروح .

ـ انت لكم بيت .. ؟

ـ ايوه يا أفندم .. بيت كبير .

ـ حد عمل فيك حاجة ؟

ـ ابدا يا بيه .. انا هربت ..

ـ يعني لو رحلناك لبلدكم حتحرم تهرب .. ؟

ـ ايوه يا سعادة البيه .. نفسي أروح .. نفسي اشوف امي واشوف اخواتي .. انا تعبان أوي .. عاوز اروح .

واغمى على سامي ، اغمي عليه وذعر الضابط ، احس انه امام نوع غريب من الايراد نوع ليس معتادا على الاجرام ، نوع طفل لا يعرف انه يؤذي نفسه ويدمرها ويهلك روحه ويحطمها وشعر بالاسى لهذا الولد ، شعر انه في حاجة لاسرته وانه لا ينتمي لقاع المدينة حقا عاش وسطها ، ولكنه عاش كالمنبوذ لا يشترك في نشاطها ، احس انه ما زال بخير وانه في حاجة لاسرته واستقر رأيه على ترحيله الى بلده .

وبعد ان قام بعمل الاسعافات اللازمة لسامي ارسل في طلب الطعام وقدمه له ، ولكن سامي لم يذق شيئا وفهم الضابط فأخرج سيجارة ناولها له وهو متألم وانفرجت اسارير سامي ووضع السيجارة بسرعة في فمه واشعلها وجذب انفاسا متلاحقة وعميقة ، وهدأت نفسه ثم ابتدأ يتذوق الطعام ، ثم قام وانحنى على يد الضابط محاولا تقبيلها ، ولكن الضابط منعه وقد بلغ به التأثر مبلغه ثم ربت على كتفه وقال له :

ـ عندما رأيتك عرفت انك لا تنتمي للقاع .. شعرت بعطف نحوك .. تخيلتك ابنا لي .. ابن شارد .. وأردت حمايتك ، ما زال امامك فرصة ... ستذهب الى أهلك ولكن اياك والعودة الى هذا الطريق .. انه طريق مهلك .

ـ سأفعل كل ما تريده .. انا في حاجة للبيت .. عاوز اروح ..

وفي الصباح تم ترحيله والقيود في يديه الى بلدته وكانت رحلة شاقة وطويلة لم يذق اثناءها طعاما ولا كيفا وذابت شجاعته وتبخرت حرارته، بدا يحس انه حقير وانه عار وان اسرته ستتبرأ منه ، واحس بالخجل من نفسه فأغمض عينيه وظل يبكي ، وافاق عندما جذبه الجندي من يده ثم سار به في شوارع البلدة ، وتساءل الاهالي في دهشة وهم يرون سامي والقيود حول معصميه والبؤس الغارق فيه ، وانتشرت الاشاعات وملأت البلدة لقد قبض على سامي ابن المرحوم الحاج عيسى وبيقولوا انه سارق ..

وما ان اسدل الليل ستائره حتى كانت الاشاعات تملأ البلدة وفي كل بيت قصة عن سرقة او جناية ... وغرقت اسرته في العار . وتوالت الوفود على منزله واستقبلتها الام حزينة ساهمة والخجل يكاد يحطم روحها ، رغم ذلك كانت تريد ان تراه .. كانت في حاجة لرؤية فلذة كبدها لم يمنعها وصف الناس لمنظره من تطلعها لرؤيته حيا واخذت تعد الثواني وتبعث الرسل الى قسم الشرطة حتى تم اخراجه وتسلل به احد اقاربهم مستترا بظلمة الليل البهيم ، ثم طرق الباب وفتحت الام ، وصعقتها رؤياه الحزينة ، وارتمى سامي على اقدامها وبكى حتى تورمت عيونه واخذت الام في احضانها ثم اسرعت تعد له حماما وطعاما .. وهو خجل من نفسه خجل من اخوته ، خجل من وجوده، وبعد ان اخذ راحته وبدأ يستقر وينعم بأسرته جلست الام بجواره وسألت بحنان :

ـ ماذا فعلت بنفسك ؟ ..

واطرق سامي اطراقة طويلة ثم قال : انا غلطان ..

ثم غلبه السعال فأخذ يسعل ويبصق .. واسود وجه الام وسالت دموعها ، لقد انتهى ولدها ، انه ليس سامي ،انه رجل عجوز ، انه حطام ، وبكت الام وتقطعت نياط قلبها من شدة الحزن ثم تحاملت على نفسها وقامت لتعد فراشه لينام ، ثم عادت وقادته اليه واغلقت عليه الباب وذهبت الى فراشها ، ولم يغمض لها جفن طوال الليل .. ظلت مؤرقة ولدهشتها اصابتها اغفاءة بسيطة .. ورأت نفس الرؤيا .. رأته في كفن ابيض ثم رأت جماعة لا تعرفها تقوم بدفنه .. وقفزت من فراشها مذعورة ، واسرعت الى حجرته ثم اقتربت منه وتفرست في وجهه وتسمعت انفاسه ... ولكنها ذعرت واطلقت صرخة هائلة فقد كان سامي ميتا ..

القاهرة **السيد ابراهيم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صـورتـه

★

ان مـر يـوم لا اراه ارى الحيـاة بـلا حيـاه
وتـذوب بسـماتي وتحـرق اضلعـي آلاف آه
وأقبـل الرسـم الـذي بحقيبتـي تحمي سـناه
فلعـل نـار الشـوق تخبو حـين ترنو مقلتـاه
ولعـل قلبـي يستريـح ويستقـر اذا احتـواه
يا لمحـة ممـن احـب وليس فـي قلبـي سواه

يا صورة الغـالي اجيبي صرحـي أين الحبيـب
لكنهـا ترنـو الي مـع التعجـب لا تجيـب
ويضمها ويضمني غـيم مـن الصمت الرهيـب
النطـق خـان لسانهـا والشوق عني لا يغيـب
لو انهـا حجـر اصـم سـالتها ايـن الحبيـب
أيمـر يـوم لا اراه مـن بعيـد او قريـب
ردي علـى تلهفـي فالشـوق في قلبـي لهيـب

يا صـورة الحب الذي اهواه لا لسـت البديـل
بل انت يا رسـم الحبيب مع الوفـاء له الدليل
انـا كلمـا اشتاقت اليـه الروح تشفين الغليل
وكأننـي أحكي لـه حبـي العميق وكـم أطيـل
سـيان عندي تسمعين بلهفـة ماذا اقـول
او تعرضـين فلسـت الا ظلـه الحـاني الظليل
اني أحـب لقـاه او نجـواه ان عـز السبيـل
يا رسـم من أهـواه انك لمحـة الحـب الاصيل
فيـك رؤاه وانمـا لسـت البديـل بل المثيـل
لـو عـز لقيـاه علـى الايـام يرضيني القليـل

مصر الجديدة — روحية القليني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين شكيب ارسلان وسامي البارودي

بقلم فؤاد شاكر

* * *

كانت المراسلات في مطلع هذا القرن ، تؤلف فنا ادبيا له مكانته ، وله كتابه ، وقراؤه ، وعشاقه ، بشطريه ، من نثر وشعر . فأما النثر ، فقد كان يسير وفق اسلوب ادبي معين ، في اطار من الترسل ، او السجع الذي يكاد يشبه الوزن والقافية ، مع العناية بالتنميق والتنسيق ، بالاضافة الى العناية بالالفاظ ، والمحسنات البديعية الى حد ما . واما الشعر فقد كان ينهج النهج العربي القديم ، في اسلوب من البداوة والجزالة ، وفخامة الالفاظ ، وعروبة المعاني ، وكل النواحي التي ابتدعها الشعر في عهد المتقدمين سواء منه الجاهلي ، او ما تلا ذلك في عصور المخضرمين او في صدر الاسلام ابان ازدهار النهضة الادبية ، ومحاكاة لاسماء فطاحل الشعر وشعرائه اللامعين ، كأبي الطيب وابي تمام ، والبحتري وغيرهم حيث كان يتظاهر الشعراء المعاصرون في تقليدهم ، او معارضتهم ، او النظم على منوالهم ، مفتخرين بذلك كل الافتخار ، ويسجلونه في شعرهم علانية وجهارا .

ولقد حفل تاريخ النهضة الادبية المعاصرة ، منذ اوائل هذا القرن بنماذج رائعة من تلك الرسائل حيث كانت تؤلف سمتا بل مظهرا من مظاهر الحركة الادبية آنذاك ، وقد افردت لها كتب خاصة وفي مقدمتها كتاب « جواهر الادب » لمؤلفه الشيخ الهاشمي رحمه الله الذي عني بتسجيل عدد من تلك الرسائل ، باعتبارها جزء من الاساس الذي يقدم عليه الادب المعاصر في زمانه ، وقد تناولت شتى الموضوعات الادبية او الاجتماعية ، او الشخصية ، بل ان بعضها كتب بلغة « الأنشاد » لمجرد المحاكاة على انها مظهر من مظاهر المقدرة الادبية في الابتداع والابتكار .

اريد ان اخلص من هذه المقدمة ـ بصفة عامة ـ الى الحديث عن رسائل « شكيب ارسلان ومحمود سامي البارودي » لما كان لها من الشأن ، والاهمية في زمانها ، حيث كنا نقراها بشغف ونهم وتقدير ، لان ذينك الاسمين الكبيرين ، كان مما يلهج به المجتمع الادبي ، وخصوصا في الصحف اليومية ، او المجلات الادبية ، وما يتناوله عنهما الرواة في مجالس الادب ، وحلقات الدرس من الاشارة والاشادة ، وذلك ايضا الى جانب المكانة السياسية وأحداثها ، التي انعكس صداها آنذاك ، على الرجلين الكبيرين ، الامير شكيب ارسلان ، ومحمود سامي البارودي باشا .

ومما يزيد في اهمية تلك الرسائل ، انها جرت بين الرجلين على غير « معرفة » شخصية ، لبعد ما بينهما من الشقة المترامية ، فالامير شكيب كان يسكن سوريا ومصر ، والبارودي كان في منفاه بتلك الجزر النائية البعيدة ، وانما هناك « تعارف » ادبي عبر الصحف والمجلات، ثم كانت المراسلات التي احالت ذلك «التعارف» الى « معرفة » ثم الى « صداقة » وطيدة لها مكانتها في عالم الحب والوفاء . حتى لقد حرص شكيب ارسلان على قيدها ونشرها في مجلة « الزهور » التي كان يصدرها آنذاك انطون الجميل ، او خليل مطران ـ كما اذكر ـ (انطون الجميل وامين تقي الدين « الاديب ») ويقول شكيب ايضا انه عندما افتقد بعض تلك الرسائل ، ارسل الى صديقه خليل مطران ، يستعديه على مجلة «الزهور» ليبعث اليه منها ببعض تلك الرسائل .

وتبدأ قصة تلك الرسائل ، او القصائد قبيل مستهل القرن الميلادي الحالي ، اي قبل عام ١٩٠٠ بقليل ، حيث « استشهد شكيب ارسلان ، في بعض كتاباته ومقالاته ، بأبيات من شعر محمود سامي البارودي ـ على غير معرفة شخصية سابقة » كما قالت ذلك مجلة « الزهور » الصادرة آنذاك ، فكتب محمود سامي باشا ، الى الامير شكيب ، بأولى تلك الرسائل الشعرية ، يقول :

اشدت بذكرى بادئا ، ومعقبا	وامسكت ، لم اهمس ، ولم اتكلم
وما ذاك ضنا بالوداد ، على امرىء	حباني به ، لكن تهيبت مقدمي
فاما وقد حق الجزاء فلم اكن	لا نطق الا بالثناء ، المنعم
فكيف ازدر الفضل عن مستقره	وانكر ضوء الشمس ، بعد توسم
وانت الذي نوهت باسمي ورشتني	بقول ، سرى عني قناع التوهم
لك السبق دوني في الفضيلة فاشتمل	بحلتها ، فالفضل للمتقدم
ودونكها ، يا ابن الكرام جبرة	من النظم ، سداها بمدح العلا فمي

وكانت هذه الابيات ، مناجاة للامير شكيب ارسلان الذي فرح بها ، وبما ترتب عليها من صداقة مقبلة ، واتاحت له فرصة « الاتصال المباشر » متمثلا بقول ابي تمام :

ان نفترق نسبا يؤلف بيننا ... ادب اقمناه ، مقام الوالد

او بقول امرىء القيس : « ولكل غريب للغريب نسيب » ...

ولقد بادر الامير شكيب بأولى رسائله الى محمود سامي البارودي فارسل اليه قصيدة تتألف من اربعين بيتا ، يقول فيها :

لك الله من عان بشكر منعم	لتقدير حق من علاك ، محتم
وشهم أبي النفس اضحى يرى بدا	تذكر فضلا او جميلا لمنعم
رآني كرما مني ، تذكر قوله	فدل على اعلى خلالا ، واكرم
ولو كان يدري فاضل قدر نفسه	رأى ذكره ، فرضا على كل مسلم
أيعجب من تنويه مثلي ، بمثله	لعمر الذي قد شق في شعره ، فمي
اذ امطر الغيث الرياض بوابل	فاي يد ، للطائر المترنم ؟!
اذا ما تصبت ، بالعميد صباحة	بوجه ، فما فضل العميد المتيم ؟!

ويتطرق الامير بعد ذلك الى « صميم الموضوع » كما

سندرلا

سندرلا التي تراها
يضوع المسك منها وتشتهيها العيون
من بلاط الرشيد زهو خطاها
وغموض من بابل وفتون
تتهادى كأنها للقاء مترف
بانتظارها (هارون)
هي ولادة تـرى ؟
شـهرزاد ؟
عشتروت ؟
يا سحرها ! من تكون ؟
أنا كل اللاتي ذكرت ولكن
اخطأ الدار سائق مجنون
ورمتني يداه فوق صخور
دون ماء ما ظللتها غصون
لست اشكو
لكن سألت عن الساق المدمى
والساعد المجبور
وارتباكي وحيرتي حين القاك
وانساق في اصطناع السرور
تلـك داري :
خرائب زينتها لفتة الفن
وانتشت من عبيري

يمطر السقف فوق كتبي وأثوابي
وينهـل مـاؤه في سريري
أينما احتمي خرير ، وأنى أتوقى
فمهربي لخرير .
وتراني بشوشة ، أحمد الله ،
واختا لفي صفاء الضمير .
أمس ، في العاصف المفاجيء
أطرقـت ،
على أي حائط أستكين ؟
جمد الرعب بسمتي وحديثي
وزوتني كما تشاء الظنون
لم يكن خاطرا
سينهار شـيء
وكأني تحت الحطام الدفين .
لم يرق لي موت كهذا ،
ولكن المنايا لم تستشر ما تكون .
وكرعد هوى الجدار ، وأهويـت
وغامت دنيـا ، وزاغت لحون .
انا ان لم أمـت
فقد مات في نفسي كثير
يا رب موت يهون .

بغداد — لميعة عباس عمارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقولون ، فيسجل بمعانيه الفخمةالجزلة ، مكانة البارودي في الشـعر ، فيقـول :

ولو كان يرقى المـرء ما يستحقـه — اذا لبلغـت النيرات ، بسـلـم
وانت الذي يا ابن الكرام أعدتهـا — لافصح من عهد النواس ، ومسلم
وانشرت ميت الشعر بعد مصيره — لاعظم نثرا ، من رفات ، وأعظم !!
ولو شعراء الدهر تعرض جملـة — بمنجدهم ، من كل حـي ، ومتهم
لابصرتشخص (البحتري)منكبحترا — وخلق « ابي تمام » غـير متمـم
لك الابدات الانسات التـي نـات — وأنست عكاظ الشعر بل كل موسم

وتمضي القصيدة ، على هذا النسق من المعانـي والجزالة ، ويختتمها بمواساة الشاعر الكبير في منفـاه ، متمنيا له الخلاص والفكاك ، فيقول :

((أمحمودسامي)) ان بك الدهر خائنا — وطال عليك الزجر طائـر أشـأم
فما زالـت الايـام بؤسـا وانعما — وحظ الشقا ، بالمكث حظ التنعم
عسى تعتب الاقدار والهـم ينجلي — وينصاح صبح السعد في ذيل مظلم
وأهديـك في ذاك المقـام تهانئـا — حبيرة ((مسد)) ، ((ثناك ((وملحم))

ثم تواصلت الرسائل الادبية بالقصائد بين هذيـن القطبين الكبيرين فكتب محمود سامي البارودي بقصيدة الى الامير شكيب هذا مطلعها :

أدى الرسـالة عصفورة الـوادي — وباكري الحي ، من قولي بانشادي

فأجابه الامير شكيب بقصيدة مطولة هذا مطلعها :

هل تعلم العيس اذ يحدو بها الحادي — ان السرى ، فوق اضلاع واكبـاد

فرد عليه محمود سامي ، من جزيرة سيلان بقصيدة مطولة ايضا هذا مطلعها :

ردي التحيـة يا مهـاة الاجـرع — وصلي بحبلك ، حبل من لم يقطع!

فأجابه الامير شكيب بقصيدة يقول فيها :

أترى يحل هواك ، بين الاضلـع — ويحل لي ، بسواك ، ذرف الادمع

وهي قصيدة طويلة ايضا ، كانت ختام المراسـلات بينهما ، رحم الله الرجلين الكبيرين واجزل لهما الثواب والاجـر ..

جدة ـ السعودية — فؤاد شاكر



كمال رستم

اضواء على الرواية الجديدة

بقلم لوران لوساج

عرض وتلخيص : كمال رستم

* * *

الطبيعة الانسانية والشخصيات في الرواية الجديدة

تخلت الرواية الجديدة عن « الفكرة التقليدية للانسان » وهذه السمة هي أبرز سماتها .. ومعنى هذا .. التخلي عن فكرة الطبيعة الانسانية كشيء تام او نموذج وكجوهر مستقل عن او سابق على وجود الانسان ... وهذه هي نفس الفكرة التي يهاجمها سارتر على اسس ميتافيزيقية. وهذا المعنى نفسه هو الذي قصده رينيه مارسيل البيريس René Marcell Albéres حين قال : ان رفض الروائيين الجدد لعلم النفس هو رفض للاجيال الانسانية **اما كاميل** بورنيكويل Camille Bourniquel فيقرر « **أن** الفكرة المعينة عن الانسان ووضوح العالم المخلوق هما في كفتي الميزان هذه المرة .. » ويستطرد قائلا : كيف يسعنا ان نظل غرباء بالنسبة لحطة الانسانية هذه وبالنسبة لهذا الرفض للطبيعة الانسانية . ومعنى هذا بعبارة مبسطة أن المثل الاعلى الانساني لا وجود له في الروايات الجديدة وعلى ذلك فاننا لا ننتظر ان يقوم بيننا اليوم كاتب يصيح صيحة والتر بيزانت Walter Besant في انجلترا في الثمانينات : « من حسن الحظ انه يستحيل ان يوجد في هذا البلد شخص يدنس الانسانية او يجرحها ثم لا يزال يدعى فنانا » ومع ذلك فان هذه الصيحة لم تكن ليتردد لها صدى في فرنسا في ذلك الوقت نفسه وقت أميل زولا فيجب اذن الا نبالغ في الاحترام الذي نالته الطبيعة الانسانية في الماضي فلا العصور الوسطى المسيحية ولا العصور الحديثة التي انتشرت فيها نظريات المذهب الحسي عملت على تمجيد الطبيعة الانسانية مع هذا الفارق وهو ان انسان العصور الوسطى ان كان آثما تعسا الا انه كان مفطورا على الخير . اما انسان اليوم التعس كما تصوره الرواية الجديدة فليس وراءه شيء على الاطلاق .

ان الاعتراض على الفكرة التقليدية للانسان باعتبارها تؤدي مفهوم فكرة الشخصية الكاملة ، ليس من اضافات الرواية الجديدة بل هو في الحقيقة اعتراض قديم يوغل أحيانا في القدم . فالمفكرون البوذيون مثلا رفضوا ان يعتبروا النفس جوهرا ، ومنذ هيوم ومقالته المعروفة عن الطبيعة الانسانية والفكرة مدار المناقشة والبحث وفي القرن العشرين كان الدفاع عن الفكرة متعذرا بل مستحيلا على اثر نكسة المذهب الشخصي وقيام التحليل النفسي ثم ظهور كتاب تيار الشعور ـ مارسيل بروست وغيره .

ان تكنيك الروائيين الفرنسيين الاساسي كان ولا يزال يستهدف دراسة الشخصية بعمق ، فهو يقطع في الطبقات الخارجية ليعرض طبيعتها الحقيقية للضوء . الا ان النتائج لم تكن موفقة ابدا لسبب بسيط وهو انه لا توجد اساسا طبيعة حقيقية . وقد نقول ان التطلع التقليدي للرواية كان في الحقيقة اكثر تواضعا فهو لا يشرف الى اكثر من اظهار النقائض المترتبة على النظر للناس من الزاوية الاجتماعية وعندما نتجاوز هذه النظرة الى حقيقة امرهم او جوهر امرهم فمثلا في كشف النفاق وغيره نجح الروائيون فيما قصدوا اليه وان كنا نشك في ان التصور الثابت للسطح والعمق يتضمن كل ما ينشده الروائيون الجدد كذلك عرض شخوص الرواية « كنماذج » كضرورة جمالية اكثر منها قصدا سيكولوجيا يبرر البساطة وتجويد الاسلوب لاغراض فنية ، لان عرض النماذج والشخوص المحددة تحديدا تاما ينطوي على فكرة الشخصية الكاملة التي يرفضها بشدة الروائيون الجدد وعلى ذلك يرفض الروائيون الجدد التكنيك باعتباره مزيفا للحياة ومبالغا في تبسيطها .

تقول ناتالي ساروت ان الشخوص كما ادركتها الرواية القديمة « وكل الادوات القديمة المستخدمة لعرضها ـ لم تعد تنجح في الاحتواء على الحقيقة السيكولوجية ، فليس ثمة شخص طيب ولا شخص خبيث ولا شخص بخيل بل كل من هؤلاء ينطوي على الجميع في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقت معا . فالروائيون الجدد يضعون بدلا من النواة الجامدة للشخصية تيارا من العواطف والغرائز دائم التغير ، دائم الجريان ملك للانسانية جمعاء » وفي هذا المعنى نفسه يقول جان كيرول « اليوم لا يمكن ان يفكر انسان في رسم البخيل او الرجل الغيور او الرجل الخجول .. اننا كل هؤلاء في وقت واحد ، وكل ما نستطيع عمله هو وضع ايدينا على فرد في لحظة نفسية معينة » . وبذلك يحتل العنصر السيكولوجي او الظاهرة السيكولوجية مكان الفرد كوحدة يجب دراستها . وهكذا عن طريق تطور شبيه بتطور فن التصوير – ولو انه تطور اكثر ترددا وبطئا تتخلله وقفات طويلة وانتكاسات – يحرر العنصر السيكولوجي نفسه بطريقة غير محسوسة – شأنه في ذلك شأن العنصر التصويري – من الشيء الذي اعتاد ان يمتلكه .. انه يميل الى الاكتفاء بنفسه والى التقدم بأقصى مدى دون مساعدة وعلى هذا العنصر يركز الروائي كل بحثه وعليه يجب ان يركز القارىء كل اهتمامه .

ولكي يجتث الروائيون الجدد الفكرة الكاذبة عن الشخصية تجنبوا كل الحيل التي استخدمها الروائيون الاخرون فتخلوا تماما عن الاحصاءات والاوصاف الفرتوغرافية والتزموا ادنى حد من الفردية . وفي مقالها عصر الشك اشارت ناتالي ساروت الى التجهيل المتزايد للشخصيات في الرواية .. حتى الاسم تعتبره مصدر حيرة وارتباك للروائي وهكذا تحاشى « جيد » اسم العائلة لشخصيات رواياته لان الاسم يضعهم فورا في عالم شبيه جدا بعالم القارىء ويفضل « جيد » الاسماء الاولى الغير عادية . أما بطل « كافكا » فكل نصيبه من اسمه هو الحرف الاول فقط (من اسم كافكا نفسه) وجويس اعطى اسم بطل رواية فينجانوويك Finnegans Wake الحروف H. C. E. اما «فوكنر» فقد اعطى الاسمين الاولين لشخصيتين مختلفتين في رواية الصوت والغضب The Sound and the Fury والهدف من هذا التجهل هو القضاء على بلادة القارىء وعجلته ودفعه الى التعرف على الشخصيات – شأنه شأن المؤلف نفسه – من الداخل حتى يجعل رؤية المؤلف هي رؤيته « فالانا » في الرواية الجديدة غير محددة تماما وهي ليست « انا » « المؤلف » ولا تهتم بخلق عالم يشعر القارىء بألفته له . وشخصيات « ساروت » نفسها لا تمتلك حدودا فردية فالي ظهور روايتها القبة السماوية Le Planétarium لم يكن القارىء يستطيع التحقق تماما من الشخصيات التي تتكلم في رواياتها ، والشخصيات الثانوية لا وجود مستقل لها بل هي تجارب او احلام الانا .

ان الروايات الجديدة تتجنب كل الوسائل التقليدية المألوفة لتعريف الشخصية واذا تقبلنا بعضها – كما في حالة الديالوج فلكي تظهر فقط ان الرجل الاجتماعي المشخص ليس سوى اكذوبة او شبكة من الاراء المألوفة التي تعارفت عليها الجماعة التي ينتمي اليها ان السن والعمل ومحل الاقامة هي امور سطحية اما ان نتجاهلها تماما او ندعها تتآلف لتشكل الشخص غير الحقيقي الذي يتوق الروائيون الجدد لعرضه لذلك يجب الا نسمح للقارىء بأن يتوهم بأنه يرى الشخصية كفرد او انه لديه منظر كامل للشخصية .. وبسبب اصرارهم على ان الشخصية لا يجب ان تحدد او تحاط عارضوا بقوة التكنيك التحليلي ورأوا ان تكنيك وجهة النظر اكثر امانة والتصاقا بالحياة ، وهكذا يحل المونولوج الداخلي والمحادثة وتيار الشعور محل الفقرات الشارحة الطويلة المملة التي يشرح ويفسر فيها الكاتب الواقف بعيدا عن شخصياته والذي يعرف كل شيء عنهم حقيقة امرهم . فالكاتب والقارىء الان داخل الرواية لا خارجها وهما داخل الشخصية ذاتها حتى لا يمكنهما ابدا ان يحيطا بنظرة كاملة لها .

ان الروائيين الجدد بمساواتهم علم النفس بالتعريض Exposition او التحليل المباشر وقعوا في التناقض والاضطراب ذلك ان العقل الانساني لا يزال موضوع روايتهم ومن هنا علم النفس . ولو انهم قالوا ان معركتهم هي مع علم النفس التحليلي اذن لامكننا ان ندعو الكتابة الجديدة بعلم النفس الوصفي لنفرق بين الاثنين وقد تكون لفظة « ميتاسيكولوجي » Metapsychology مناسبة للكتابة الجديدة طالما ان الميتاسيكولوجي تدرس علم النفس عند المستوى الذي يختلط فيه علم النفس بفلسفة المعرفة الا اننا حينما نذكّر ان لفظة علم النفس تتضمن افتراضات علمية وميثودولجية كالفرض والبرهان والنتيجة الخ .. وهذه كلها غريبة على الرواية الجديدة فاننا لا يسعنا الا ان نصر على ان لفظة علم النفس على أي وجه من وجوهها ليست هي اللفظة الصحيحة . فالرواية الجديدة بقصرها نفسها على تسجيل رجوع الوعي دون اية افتراضات انطباعية تتبع تماما الطريقة الفلسفية التي يدافع عنها الفيلسوف الالماني ادموند هوسرل Edmund Husserl ويروج لها « سارتر » في فرنسا – تجعل لفظة دراسة الظواهر Phenomenology اللفظة الوحيدة المناسبة وهكذا فان القضية المعقدة لعلم النفس والرواية الجديدة تحل نفسها بقولنا ان علم الظواهر حل محل علم النفس .

ان رفض الروائيين الجدد للطريقة التحليلية في عرض الشخصيات مؤسس على نفس الرفض الفلسفي للمثالية التي دفعت « ادموند هوسرل » في مفتتح هذا القرن الى رفض الكانتية الجديدة فقد قال هوسرل قبل سارتر او اي كاتب من الكتاب الجدد بأن العالم موجود قبل ان يكون اي شيء ولكن العالم بوجوده هناك ليس

معناه انه مستقل بذاته تماما . . ان العالم هناك فقط لانه مدرك بواسطة الوعي الانساني الذي يعطيه مغزاه وحقيقته ، وبالعكس الوعي لا قيمة له بدون العالم طالما أن الوعي يعني الوعي بشيء وهكذا بالنظر الى العالم باعتباره موجودا خارج الوعي ويوضع الوعي في العالم ليس كشيء ولكن كنوع من توضيح الاشياء يعارض هوسرل الفكرة المثالية والعقلية « للانسان الداخلي » المجرد واللامتغير .

يقول ميرلو بونتي Merleau-Ponty عالم الظواهر الفرنسي « ان الحقيقة لا تسكن فقط في الانسان الداخلي او الاحرى انه ليس ثمة انسان داخلي ، انما الانسان في العالم وفي العالم يعرف نفسه » وسارتر في مقاله « فكرة اساسية عن هوسرل » يعلن ان فكرة هوسرل عن الوعي القصدي حررتنا من الداخلية وهذا بالنسبة للروائيين الجدد يعني تحطيم الطبيعة الانسانية المجردة المعينة وبالتالي تحطيم مثل هذه الشخصية وتفتيت الوعي في العالم « وعند روب جرييه الذي يردد صيحة سارتر » ان الداخلية قضى عليها تماما وان الاشياء وجدت قبل ان تكون شيئا ما ، يبدو انه لم يبق شيء سوى العين الانسانية تجول في العالم ، وربما ابدى روب جرييه بوضوح اكثر من غيره رفضه لنظرة الجوهري Essentialist الذاتية فهو لم يملأ فقط رواياته بأوصاف دقيقة للاشياء الخالية من القيم الانسانية الذاتية والصفات بل انه ايضا في مقالاته دأب على مهاجمة الذاتية .

ان كل الروائيين الجدد اتبعوا الطريقة والهدف الذي استهدفه « هوسرل » حينما طالب بالعودة الى الاشياء . . والطريقة محايدة تماما فلا تدعي ميتافيزيقا واقعية او مثالية . لا شيء كما يقول روب جرييه يمكن ان يشير الى الجوهرية Essentialism او نظام سبق اقامته . ان الطريقة تهدف الى مجرد وصف العالم كما يبدو للوعي التام السذاجة ففرض الكاتب هنا كفرض الفيلسوف « ان يصور العالم كما يضاء بالوعي وان يصور الوعي ذاته في عمله لادراك العالم واعطائه معنى » .

وهنا قد يقف المرء ليتساءل : الم يقع الكتاب الجدد هنا في خطأ اساسي جمالي وربما سيكولوجي ايضا في مساواتهم عملهم بعمل الفلاسفة الوجوديين . ان الاستخدام الدقيق لما يشعر به الروائي ويراه ينكر على القارىء الاعلام الاساسي الذي يمتلكه الراوي نفسه فبطل رواية كلود اوليه Claude Ollier حفظ النظام Maintien de L'ordre مثلا يعرف نفسه تماما ويعرف لماذا يطارد وهكذا . . فلماذا نجعل القارىء يخمن هذه الاشياء ؟

ان البطل التقليدي للرواية اصبح مجرد وعي مسجل وهويته غير محددة عمدا طالما انه كموضوع للبرهان الفلسفي يجب ان يمثل وعيا غير محدد ايضا لا وعيا معينا معرفا بالسن والجنس او الحالة . ان هذ التجهيل الذي نلاحظه هو ما يميزه عن بطل تيار الشعور « لفرجينيا وولف » او حتى « جويس » فمع هؤلاء الكتاب ما يعرض هو ذهن معين وما يرى العالم هو عينان معينتان .

ان الروائيين الجدد في محاولتهم تصوير ذهن كل انسان عليهم ان يبقوا مع حالات اساسية وعواطف عامة اذا كانوا يريدون ان يتجنبوا الاعتراض السابق الاشارة اليه بالنسبة لرواية « حفظ النظام » وان يتخيروا لبطلهم نموذجا يصور التجربة بطريقة مباشرة ، ويصدق بقدر الامكان ولما كان ثمة نوع من الاشخاص يمكن ان يقوم بتسجيل الوعي احسن من غيره فقد تطور في الرواية الجديدة نموذج البطل الذي يقبله القراء اكثر من غيره كمتحدث باسم الانسانية . والبطل الجديد ـ من الوجهة المثالية ـ شخص غريب تختلف عملياته عن عمليات الحيوان الاجتماعي الذي تحركه مدركات الجماعة ورجوعها « فروكنتان » Roquentin بطل الغثيان لسارتر « وميرسولت » Mersault بطل الغريب لكامي يمكن اعتبارهما نموذجين اصليين فهما شخصان وحيدان تجعلهما وحدتهما يخدمان بطريقة مثالية غرضهما ، ولما كانا قد تحررا من كل التزاماتهما بالنسبة للعالم ومن الامال والاوهام او من قوانين القيم المجردة فانهما يسعهما ان يقدما بطريقة مثالية مرآة للوعي وهو يعمل .

ان البطل الجديد يتجه نحو نموذج الشخص الوحيد المنبت الذي لن يبقى او لا يستطيع ان يبقى مع الجماعة وحين نفكر على سبيل المقارنة في ابطال وقصص الحب والمغامرات القديمة الذين هم مثال الكمال يبدو من المضحك ان نطلق نفس اللفظة على هؤلاء الغير متكيفين مع المجتمع.

ان ارمان Armand بطل جان كيرول افاق شرس وله نظراء عديدون في رواية اليوم وقد حدد بيير دي بواسديفر Pierre de Boisdeffre البطل المضاد الجديد Anti Hero بقوله « في رواية اليوم حل الصعلوك محل البطل وحل الاشخاص الغير متكيفين مع المجتمع والاقل امتيازا محل جماعة الشخصيات الغنية التي تبدأ من جوليان سوريل Julien Sorel الى ابطال تولستوي . ان بطل الرواية كان يدعى ـ اذا لم يكن من أجل القداسة والحب او الموهبة ففي القليل من أجل تذوق ثراء العالم ومسرات الفعل وافراح/التفكير ـ ليعيش في صحبة الاخرين وليشاركهم آلامهم وآمالهم اما بطل رواية يكلمونك On Vous Parle لجان كيرول فقد اصبح رمز النوع البشري المتداعي الذي يأكل خلسة وينام خلسة ويحتمل الحياة ولا يسيطر عليها شخص لا يومىء اليه شيء ولا يعرف كيف يضحك ولا يجرؤ على الحب ولا يعرف من الوجود الا جانبه السيء واهاناته . من بطل جان كيرول الذي يستدعي رحمة القلوب واشفاقها الى صعاليك بيكيت يزدحم الطريق حيث تزداد الحالة سوءا » .

ويمكن ان نضع ابطال « كافكا » كنماذج اصلية شأنها

شأن ابطال « سارتر » و « كامي » لان القلق الذي يعانونه يقتسمه معهم الكثير من ابطال روايات اليوم الذين تتزايد تعاستهم بالخوف والشعور بالذنب . ان الروائيين الجدد لكي يظهروا الخوف الفلسفي الذي يعتبره سارتر ملازما لحالة الجنس البشري وجدوا ان أفضل شخوصهم هم الاجنبي والمنبوذ والغير متكيف فكل من بطل رواية Martereau ورواية « صورة مجهول » لنتالي ساروت جبان رعديد قعيد غرفته من الخوف والتوجس من وحوش غير منظورة يبتعثها خياله . ان حساسيته العصابية توحي اليه بأن كل العالم يدمغه بأنه غير متكيف، ان التحقير الانساني يصل الى ادنى مستوياته في ابطال « بيكيت » فهم مشلولو الحركة عديمو الحول والطول حتى ليبدوا لنا انهم اموات وان نشيجهم عويل واشباح .

هذا هو نموذج البطل في الرواية الجديدة ، فالكتاب الجدد في طلبهم الوعي المسجل قبل كل شيء وجدوا في الغريب المجهول الشخصية الكاملة وقد يكون هذا الغريب أجنبيا كما في بعض روايات بيتور Butor الا ان وحدته تتضمن على وجه الخصوص نوعا من الحطة لانه يمثل عموما وبأكبر قدر من الصدق ما يدعوه فلاسفة اليوم بالحالة الانسانية The Human Condition (١) وقد اختار كل من روب جرييه وكلودسيمون في رواياتهما الاخيرة ان يصورا جنديا منبتا عن الجماعة بعد الانكسار والهزيمة، مخلوق مذهول مسلوب الكرامة من أثر الجوع والتعب . مخلوق مضحك في أسماله البالية المزيقة . فاذا لم يستطع ان يتكلم عن الحالة الانسانية التي ضمن عالميتها جان بول سارتر وهذه تعرف في كل مكان في الرواية الجديدة بالتعاسة والملهاوية ، ولا توجد الى جانب الوعي المسجل الذي هو الشخصية الرئيسية شخصيات ذات خطر في الرواية الجديدة المثالية . وقد يظهر اشخاص آخرون حينما ينظر اليهم البطل ووجودهم يعتمد تماما على وعيه . والكتاب الجدد لا يوافقون على وجود الشخصيات التقليدية الثانوية والخارجية Peripheral دون ان تكون

١ ـ بمعنى الوجود الانساني The Human Existance

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

عين الراوي عليهم .

وتندد ناتالي ساروت بالقدرة التي يعزوها الروائيون الى انفسهم على خلق شخصيات ثانوية مستقلة وتقول ان القراء يدركون تماما ان الروائيين يتوزعون انفسهم على هذه الشخصيات وخلصت الى قولها ان الروائيين يكونون اكثر امانة وصدقا اذا هم تخلوا عن هذا التفكير المتعدد الاجزاء . والقضية التي تثيرها ناتالي ساروت قضية معقدة تتناول الشخصية الرئيسية والثانوية معا . فالى أي حد يمكن او يجب على الكاتب ان يخترع شخصية ما ؟ فمن جهة ، من المسلم به ان الكاتب لا يستطيع ان يتخلص تماما من نفسه ومن جهة اخرى لا يمكنه ان يقصر نفسه على السيرة الذاتية ، والقضية تتناول روايات تيار الشعور كما تتناول غيرها من الروايات طالما ان جانب الاختراع فيها قد يتعاظم كما هو الشأن في الروايات الاخرى فنحن مثلا لا نستطيع ان نربط قاتلا ساديا او زوجا غيورا « بروب جرييه » ولا رجل اعمال في خريف العمر يخطط لهجر زوجته « بميشيل بيتور » ولا حتى شخصيات « ناتالي ساروت » بنفسها والادعاء بقدرتنا على دخول ذهن شخص آخر لا يقل عن الادعاء بقدرتنا على وصف شخص وتحليله خارجيا . . ان « بلزاك » يستطيع ان يصف اي عدد من الاشخاص دون ان ينال وصفه من تصديقنا ، ولكن تكنيك تيار الشعور يفرض تحديدات اكثر صرامة فعندما تتحرك « فيرجينيا وولف » بسرعة من ذهن لاخر مع تركيزها وجهات نظر مختلفة على موضوع معين فاننا نعلم جيدا انها تخترع .

ان الروائيين الجدد المنتمين للمدرسة الجديدة يتحركون ايضا وفي بعض الاحيان من شخصية لاخرى الا ان تحركاتهم لا تعني تأكيد الاختلافات بين الافراد بل انها غير مفروضة حتى لا يكاد القارىء يفطن اليها ، والقارىء عادة لا يكون واثقا تماما من الشخص الذي يفكر او يتكلم .

وتؤكد « ناتالي ساروت » ان الروائيين الجدد يعملون على عمق تنحل فيه كل الاختلافات الموجودة بين الافراد الا ان هذا قد يكون صحيحا فقط بالقياس الى الدوافع الاساسية والحوافز .. الخ .

ان عدم الفصل بين افكار شخص وافكار شخص اخر وتوزيع الشعور بين عدة اشخاص قد يبدو عملا غير امين كما في رواية « بيتور » ممر ميلانو Passage de Milan حيث يختلط الامر على القارىء لتنقل الكاتب بين عشرات الاذهان الا انه من حسن الحظ ان الروائيين الجدد مثلهم مثل «بيتور» في روايتيه اللتين اعقبتا « ممر ميلانو » يبقون مع وعي واحد ويتركون الشخصيات الاخرى مسطحة .

القاهرة — كمال رستم

اسطفـان الغلبـوني

بقلم شكر الله الجر

* * *

اسطفان الغلبوني نكتة الشعر ونكتة الصحافة العربية في البرازيل . شاعر المآتم والافراح . لم يأت على ذكره احد ممن تناولوا الادب المهجري والمعوا الى صحافته . لانهم قصروا بحوثهم على كبار الشعراء والكتاب والصحافيين .

اما اسطفان الغلبوني وشعره وجريدته « الميزان » ونوادره الطريفة فما حظيت من اقلامهم بنصيب . على كونه كان في الرعيل الاول من الادباء النازحين الى البرازيل عام ١٩٠٧ عاصر نعوم اللبكي وحرر في جريدته « المناظر » وفي جريدة « ابو الهول » يجيد من اللغات العربية والفرنسية والسريانية انسجاما مع بيئة ذلك العهد في مدرسة « عين ورقا » الشهيرة . وقد لبس فيها قمباز الشمامسة اعواما ثم نفضه عنه وراح يزاول مهنة التعليم في بعض قرى البترون قبل ازماعه الهجرة الى البرازيل حتى وبعد وصوله اليها كان اول من اسس مدرسة لتعليم العربية ابناء السوريين واللبنانيين في مدينة سان باولو . اما تاريخ هجرته من لبنان فلا يعرفه احد . انما يقال انه ذهب الى البرازيل بدعوة من احد انسبائه الاغنياء واستقر فيها يعمل في حقل التجارة ردحا من الزمن تعرض خلاله للخسارة فأقلع عنها ينفض غبارها عن نعليه ولم ينفض ديونها عن منكبيه فأعلن الدائنون افلاسه واستمر متواريا عن العيون اشهرا ..

ومن شعره في التجارة قوله :

اذا رمت التجارة كن كذوبا وثرثارا ومحتالا خسيسا ..
وحاذر ما استطعت الصدق فيها لكي تجني المكاسب والفلوسا ؟

ولعله اول شاعر عربي مغترب سن للتجارة دستورا بين ابناء قومه المغتربين فأفاد الكثيرين ؟؟

عرفت شاعرنا الغلبوني في بعض اسفاري الى مدينة سان باولو وهو يحبو الى الستين من اعوامه فطاب لي مجلسه واستهوتني نوادره اللطيفة ، وما يتناقله الادباء من اخباره ومن حوادث حياته الخاصة ، واهمها زواجه من امرأة سليطة فاجرة . وذلك انه لجأ في يوم من الايام الى بعض سماسرة الزواج ليدبروا امره وما لبثوا ان اقبلوا عليه يبشرونه بأنهم وجدوا له عروسا تقاربه سنا وتضارعه علما وفهما ، ولها من والديها ارث لا بأس به قد يعينه على اصلاح شأنه ووفاء دينه فهلل الرجل وراح يعلل نفسه بحياة افضل ويعلل دائنيه بوفاء ما عليه .

وبارك الكاهن اكليل العروسين وكلاهما في الخمسين من العمر وجلسا يتقبلان التهاني والهدايا من الاصحاب والاقرباء . وانبسط وجه الحياة بعد انقباضها لصاحبنا الشاعر فزقزق وغرد وفتح ابواب داره لزائريه وبينهم الاديب والصحفي والتاجر وكان يردد لهم على مسمع عروسه بيتين من الشعر نظمهما فيها وكتبهما على رسم العرس :

ما كنت احلم ان فيك سعادتي حتى رأيتك تخطرين بداري
انت الرفيقة والحبيبة والمنى وجمال أيامي وضوء نهاري

ولله ما تخبأ الاقدار في طياتها من مفاجئات فما كادت تنقضي اشهر ثلاثة على هذه الفرحة حتى جاءت القرحة .. فانقلبت الزوجة الناعمة الى صاعقة تزعزع اركان البيت وتحول حياة الشاعر الى جحيم لا تنطفىء ناره ...

وكان كلما التقى بسمسار زواجه ينتهره قائلا « بعد عندك كتير من العرائس الحلوين » ومما يرويه اصحابه من شعره في زوجته :

ولي زوجة لو كان ابليس زوجها لطلقها بعد الزواج بأيام
لها سحنة يستنكر القرد شكلها ويذعر منها ان تراءت باحلام
بضاعف قبح الوجه قبح طباعها وقبح لسان لاذع القول شتام
أقول لعزرائيل خذها ولا تخف فيهزأ عن شؤم بقولي وآلامي
ورحت الى المطران ارجو طلاقها فاعرض عني مستخفا باوهامي
فيا رب انقذني ويا رب نجني وان كان في الانقاذ موتي واعدامي

بيد ان الزوجة المحترمة لم تنتظر ان يطلقها المطران او يحملها الشيطان بل شمرت عن ثوبها واطلقت ساقيها للريح حاملة معها متاعها وما لها تاركة وراءها العم اسطفان يصفق من الفرح ويردد :

الحمد لله ثم الحمد لله لا ردها الله راحت دون اكراه

وعندما كان بعض الخبثاء من اصحابه ممن عرفوا قصة زواجه يسألونه ما رأيك بالزواج يا عم اسطفان لقد اعتزمنا ان نترك حياة الوحدة لنؤسس لنا عائلة كان يجيبهم بنزق : « مجانين اولاد مجانين — أيش بدكم بها الضربة السخنة .. »

ومما كان يضحك الناس منه هو صوته الرفيع وعنقه الطويل وقوامه المحدودب ونظاراته الفليظة وقبعته العريضة على تجاعيد في الوجه ، وضمور في الوجنتين ، وخطر له يوما ان يمتهن الصحافة فاصدر جريدة اسماها « الميزان » وما ان صدر العدد الاول منها حتى انبرى يجمع اشتراكاتها سلفا عن سنة كاملة ثم اوقفها فجأة .. وبعد مدة عاد فأصدرها ثانية ليقبض الاشتراك من جديد فكانوا يقولون له :

ما هذا يا اسطفان أتقبض الاشتراك مرتين . فكان يجيبهم : « عزرايل يقبض رواحكم خايفين لتنكسروا .. »

وهبط مرة عاصمة الاتحاد البرازيلي ليجمع

المغرور

وكأنك العملاق يمشي في غرور
وكأنك المعبود في الكون الكبير
وكأنك الرواغ من ليل القبور
لا يرتمي في رقدة يوم النشور
وكأنك الفرحان يملؤه السرور
وكأنك الريان في ظمأ الهجير
لا يحتمي في ظل انفاس العبير
وكأنك الايام في فلك تدور
لم تخش عاقبة ولا سوء المصير
يأيها المغرور يا أعمى الضمير
يا بقعة سوداء في الضوء المنير
يا قطعة شلاء في ركب المسير
يا مهبط الاثام يا وحي الشرور
يا جثة جوفاء الا من ثغور
يا غارقا في بحر اوهام يفور
يا صاحب القلب الرخامي الكفور
في عينك المرآة للوهم الضرير
في قلبك المشكاة للحقد الحقير
فالبث وحيداً لا صديق ولا نصير

القاهرة — احمد محمد عبدالغني

الاشتراكات لجريدته من تجار الجالية وكان الشاعر المشهور المرحوم عقل الجر من تجارها المعروفين يومذاك. فأرسل اليه اسطفان الابيات التالية وقبع ينتظر الجواب.

يا صاحب العقل الكبير الوافر — يا شاعرا ادرى بحاجة شاعر
ما جئت اطلب منك مالا انما — هو اشتراك جريدة كمناصر
أفهل تريد الوصل باسم الشاعر — أم هل تريد الوصل باسم التاجر

وما لبث ان جاء الجواب :

ان شئت ارسله الي كشاعر — او شئت ارسله الي كتاجر
ما ضائري في الحالتين وعملتي — في بندر الاداب عملة شاعر ؟

ولكن الصحافي اسطفان لم يقنط لهذا الجواب واذا به يدخل على عقل قائلا :

« لا تواخذني يا استاذ انا مستعد قدم الجريدة هدية . ولكن ما رايك في كم قطعة قماش من محلك اعملهم قمصان على المودة .. »

فضحك عقل وقال « هيك بتطلع علي اغلى يا استاذ ولكن لا بأس خذ ما تشاء على شرط ان تبقى تغسل قميصك ولو مرة واحدة كل شهر » .

ولما افلست جريدة الميزان واعرض عنها المشتركون عمد صاحبنا الى التكسب بأساليبه الخاصة فنظم ثلاث قصائد في الرثاء وفي المديح والتهنئة وما اكثر هذه المناسبات في جالية كبيرة كجاليتنا في سان باولو من افراح ومآتم وولادات فما كان صاحبنا اسطفان ليكلف نفسه بنظم قصائد جديدة بل يكتفي بأن يبدل الاسم فقط من بطرس الى جميل الى يوسف وتبقى القصيدة ذاتها ومن مورده منها يتراوح بين العشرين والثلاثين ليرة برازية وهي قيمة لا بأس بها في ذلك الوقت . واذا قال احدهم ا استاذ اسمعنا غير هذه القصيدة فقد سئمنا من استماعها في كل حفلة اجابهم : « ادفعوا احسن بعطيكم شي جديد » .

ومن نوادره الحلوة انه توفيت في بلدة (كامبيناس) سيدة غنية تاركة لانسبائها ارثا كبير فاضطر اسطفان ان ينظم في رثائها ابياتا جديدة جاء فيها :

بكيت عليها من صميم فشاشتي — على حين يبكيها سواي من الجفن
ولو اورثتني مثل غيري فلوسها — لزقت اثوابي عليها من الحزن ؟

فلم يتمالك السامعون من الضحك وراحوا يهمسون في اذنه « لا لا يا استاذ توصي ثيابك بعد عمر طويل بدنا نحفظها في المتحف » وذلك ان اسطفان منذ دخل البرازيل ظل يرتدي الطقم الاسود الذي اشتراه من بيروت يوم سفره حتى آخر عمره وكان يقول عن طقمه :

« طقمي جوج انكليزي ، وطبعوا طبع انكليزي ، كل ما شلحتو عني يرجع يلبسني ، وان كان ما بتصدقوا شيلو الانكليز من مصر وشوفوا كيف بيرجعوا تاني يوم » .

عاش الغلبوني ثلثي عمره عديم الاضراس الا سنا واحدا طويلا في مقدمة الفك الاعلى فكان اذا سألوه لماذا ابقيت على هذا السن يا عم اسطفان اجابهم « ابقيته خصيصا نكاية باطباء الاسنان » .

وسأله آخر ذات السؤال فقال « ابقيته لاعض به الاصابع البخيلة .. »

واتصل به مرة ان « متري الشويري » احد كبار الاغنياء في الجالية يعالج سكرات الموت من مرض ألم به فكان للخبر وقعه الطيب لدى الغلبوني .. ومضى (يدوزن) قصيدة الرثاء المعهودة مضيفا اليها اسم الشويري مؤملا ان يجني من ورائها ما لا يقل عن المائة ليرة نظرا لثروة الرجل ولكن سرعان ما خاب ظنه فقد بدا الرجل يتقدم الى العافية ولما بلغ الخبر شاعرنا اسطفان (خبط) الطاولة بيده وزمجر وقال : « غير فكرو الملعون .. »

والان . ايها القارىء الكريم صفحا عما اقدمه من حين الى آخر من نوادر شعراء المهجر وما رافق حياة بعضهم من شؤون وشجون وذلك اني عايشتهم اعواما طوالا وعرفت من أوضاعهم الخاصة ما لم يعرفه سواي ممن كتبوا عنهم او عن بعضهم واهملوا البعض الاخر .

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهجت مهندس معماري قدير . انه ضئيل الجسم ، ولكنه ذكي ، كبير الراس كأن راسه مستعار من رجل ضخم الجسم . وانفه طويل وشامخ . من ينظر اليهم يتوهم انه حشي كبرياء وعظمة . وبهجت على ضآلة جسمه يوحي الى محدثه بجمود كتفيه ، ولمعان عينيه ، وثبات وقفته ، وغليونه الهابط من بين شفتيه في اناقة ، وقبعته العريضة السميكة ـ بأنه رجل مهيب ممتلىء العقل بالمعارف والرزانة والبراعة . صوته هادىء ومنخفض لا لانه ضعيف بل لان ميزان نطقه دقيق . وحركاته خفيفة بطيئة لا لانه كسلان بل لانه مهذب رقيق الحساسية . ونظراته ثابتة لا لانه وقح بل لانه يثق بنفسه وبتأثيرها في نفس غيره . وهو يرتدي بنطلونا قصيرا من الكاكي لا لانه بخيل بل لانه نشيط يهوى العمل . ويضع على راسه قبعة ضخمة لا لانه يتشبه برجال الاعمال الكبار من الاجانب بل لانه يخشى ان يؤذي حر الشمس راسه . وهو يدخن الفليون لا لان منظره يكسب صاحبه وجاهة واحتراما بل لان السجائر تضيع اوقاته باخراجها من علبها واشعالها .

بهجت متكبر ، يتجنب الناس ، جاف الحديث ، جلف يجرح عواطف محدثيه بلا اهتمام ولا اكتراث . اجنبي الطباع ، يحتقر اصدقاءه ومعارفه .

(بهجت يثق بنفسه ، ولا يصادق من الناس الا اولئك الذين ينسجم معهم في الطباع والخصال . يقف من يعتدى عليه بلسانه عند حده مستخدما في ذلك قوة شخصيته . كثير الاحتراس من معارفه والتحفظ من اصدقائه ، ولكنه لا يسيء اليهم قبل ان يسيئوا اليه . قضى شطرا من حياته في تلقي العلوم في احدى الجامعات الاوروبية . وقد اكتسب ممن خالطهم من التلاميذ والاساتذة طباعا وخصالا رأى انها تهذب من نفسه وتغيره في تصرفاته في الحياة ، وانها لا تقضي على طباعه وخصاله العربية بل تزيدها ثروة واهمية) .

انه مقاول ناجح . يتعاقد معه اصحاب الدور والعمارات لانه مستقيم في معاملته لا يغش ولا يخدع ولا يكذب ، بعكس كثيرين من المقاولين . وهو وان كان غير راض عن اسعد البناء الذي استخدمه عنده ولا عن هاشم مساعده ولا عن العمال الاخرين الذي يعملون في ورشته ، الا انه لا يجد بدا من استخدامهم وقبولهم على علاتهم ، لان معظم البنائين والعمال يشبهونهم طباعا وخلقا .

ذهب ذات مرة الى مكان عمله فلم



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

يجد من العمال احدا مع انه مرارا أعلمهم ان العمل عنده ليبتدىء من الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين صباحا . غاظه ذلك منهم حتى لقد حدثته نفسه بطردهم واستبدال غيرهم بهم . غير ان سخطه لم يلبث ان فتر قليلا ، ورأى ان يلفت نظرهم الى تقصيرهم واهمالهم ، وان بنذرهم بالاستغناء عنهم ان هم استمروا على التأخر عن مباشرة العمل في الوقت المعين من صباح كل يوم .



راح يسرح نظره في الجدران التي بنوها من العمارة التي تعهد بتشييدها شغلا لنفسه عن اجترار افكاره الثائرة الساخطة . وقد اراد في الوقت نفسه ان يتأكد من ان بناءه قام بواجبه خير قيام ولم يهمل شيئا مما القي على عاتقه من واجبات ومسؤولية .

وانه لكذلك اذ قدم احد العمال حاملا صرة طعامه تحت ابطه . ولما اقترب من المهندس القى عليه تحية الصباح بصوت فاتر يفتقر الى حرارة القيام بالواجب وجراة النشاط والاخلاص . فرد بهجت التحية من أنفه ، وقد ثبت في عيني العامل نظرة ساخطة متألمة محاسبة . ولكن العامل تجاهل نظرة المهندس ، ومضى الى جانب من العمارة هربا من نظرته النارية .

وبعد قليل قدم ثلاثة من العمال . فألقى عليهم بهجت نظرة كتلك التي القاها على العامل الاول . ثم جاء الباقون من العمال وبينهم هاشم مساعد البناء . واخيرا ظهر وجه البناء وهو يمشي بسرعة ليوهم المهندس انه وان تأخر لا يرضى ان يضيع وقته سدى . جرى كل ذلك وبهجت واقف في مكانه ينظر ولا يتكلم . غير ان صمته وان طال قد أفهم العمال انه ساخط عليهم لتأخرهم عن ميعاد مباشرة العمل ، وانه لا بد ان يحاسبهم على اهمالهم فيما بعد . ولكن البناء اسعد تقدم الى المهندس ، وقد صمم ان يفاتحه بسبب تأخره ، فقد خطر في باله انه ان ظل ساكتا كان ذلك اعترافا منه بانه مقصر في القيام بواجبه ، ولم يدر ان عماله مثله جاءوا متأخرين عن ميعاد العمل .

قال اسعد للمهندس :

ـ آسف على تأخري عن القدوم في ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم ، فقد تركت ابني مريضا في المنزل . احضرت له دواء مؤقتا ليسكن المه . وبعد الظهر اذهب به

الى الطبيب لمعالجته .

(لقد تأخرت في النوم . كنت مستغرقا في النوم لاني قضيت الليلة الماضية ساهرا . فلا تؤاخذني) .

فهز المهندس رأسه هزة أفهمته انه كاذب فيما يقول ، وانه قد تعود التأخر كل يوم دون ان تكون هناك اسباب معقولة لتأخره . ثم أومأ براسه الى العمال ، وقال بصوت بدا ظاهره خاليا من الانفعال وباطنه مفعما بالسخط :

ـ وهؤلاء ؟ كل العمال تأخروا كما تأخرت .

(انك كاذب ، ما في ذلك شك) .

فرفع اسعد حاجبيه في استغراب ، واجال نظرة مخطوفة في وجوه العمال ، ثم قال للمهندس :

ـ كلهم ؟ كلهم تأخروا ؟

(انني اعرف ذلك ، ولكن ماذا أفعل ؟)

فهز المهندس راسه ، وبعد هنيهة أجاب في رزانة :

ـ نعم كلهم . لقد جئت الى هنا في الميعاد المعين فلم أجد منهم احدا (كلكم تستحقون الطرد) .

ثم رسم على وجهه ابتسامة بلا لون ولكن لها معنى ، وقال بنفحة تهكمية :

ـ هل كل هؤلاء تركوا ابناءهم مرضى في بيوتهم كما فعلت أم ؟ . .

(اجبني ايها الكذاب) .

فأجابه أسعد بنظرة زائغة هاربة ، ثم قال بنغمة رخوة :

ـ عجب ! انني لم اكن اتوقع منهم ذلك .

فقال بهجت بنغمة جازمة :

ـ لماذا تأخروا ؟ انظر اليهم . الا تراهم واقفين بلا عمل ؟ لقد جاءوا قبل وصولك بوقت قصير . كانوا في انتظارك ـ في انتظار توجيهاتك واوامرك . هل تعودوا التأخر كل يوم ؟ وهل تعودت التأخر معهم ؟ كان ينبغي لك ان تأتي قبل ان يأتوا لكي يقتدوا بك . فانت بناء وهم عمال . انت المسؤول ، ولكنني اراك لا تقدر المسؤولية ولا تريد ان تتحمل المسؤولية .

(انك لست جديرا بلقب معلم . انك تستحق الطرد) .

فقال اسعد بنغمة ضعيفة مهزومة :

ـ أؤكد انها المرة الاولى التي تأخرت فيها انا والعمال عن العمل .

(كل العمال يتأخرون . هكذا جرت العادة في البلاد كلها . فهل تريد ان تغير عاداتنا ؟)

قال المهندس مقاطعا :

يجب أن يكون الانسان صريحا . انني اكره كتمان الحقيقة .

فقال هاشم مساعد البناء بصوت غليظ قوي :



عبد الحميد الانشاصي

●

ـ الحق اننا نتأخر كثيرا يا سيدي . . واود ان اعلمك ان كل العمال يتأخرون عن مواعيد أعمالهم .

(افعل بنا ما تشاء . اننا لا نكترث لك) .

فرفع المهندس راسه في انفة وقال :

ـ ماذا تعني ؟

(ماذا تعني أيها الوقح ؟)

فصوب البناء وعماله نظراتهم الى هاشم ليروا ماذا يكون جوابه . انهم يعلمون انه جريء لا يخشى أحدا ، وانه خير من يمثل العمال في ثورتهم وتذمرهم . فقال هاشم بنطق واضح ثابت :

ـ اننا يا سيدي عمال . والعمال يقضون نهارهم في جهد وكد . اننا نرهق اجسامنا في سبيل لقمة العيش لنتناولها نحن واولادنا . ولا يعرف ما يعانيه العامل من تعب ومشقة سوى عامل مثله . واعتقد انه ليس بكثير علينا ان نتأخر في كل صباح نصف ساعة . اننا ارباب اسر مؤلفة من عدة افراد . وكلهم في حاجة الينا . ولا تدار الاشغال المنزلية الا بجهدنا واعمال فكرنا . وليس في امكان نسائنا ان يضطلعن بما نضطلع به منْ اعباء الاسرة . بعض اولادنا يقعون فرائس للمرض . واسرنا في بعض الاحيان تحتاج الى الطعام . وقد تنشأ مشاكل من احتكاك اولادنا او نسائنا بأولاد الجيران ونسائهم ، فلا نجد بدا من حل تلك المشاكل . وهذا يستغرق وقتا طويلا . اظن ان هذه الاسباب كافية لان تجعلك تعذرنا ان تأخرنا عن ميعاد عملنا .

ولم يكد مساعد البناء يفرغ من كلامه حتى رمقه العمال باعجاب واستحسان . ثم وجهوا نظراتهم الى المهندس ليروا ماذا يقول . فقال بهجت مقطبا بنغمة حازمة :

ـ ان للعمل وقتا كما ان للمنزل وقتا . كل شيء له وقت . ولا اريد ان تخلطوا هذا بذاك . انكم تعلمون انكم تتسلمون مني اجوركم لقاء اتعابكم في مدة معينة من الزمن ، وانني مرتبط بتعهدات لاصحاب الابنية . لذا يجب أن يتم كل شيء بنظام . يجب ان يسير عملنا كما يسير عقرب الثواني في الساعة . استعملوا قوة ارادتكم . بالارادة يتم كل شيء . ان النجاح والتقدم في الامم مبنيان على الارادة والنظام . وبغير هذين لا تبلغ من المدنية

والتقدم شيئا ، ونظل ضالين في هذه الحياة . انتم مالكم ولغيركم من العمال ؟ قوموا بواجبكم لكي يقتدي بكم غيركم . هذا ما اريده لكم : ان تكونوا قدوة لغيركم وفخرا لي ولأمتكم . لذا ارجو ان تباشروا العمل في الوقت المعين لئلا اضطر الى انذاركم بحسم شيء من اجوركم

فطأطأ العمال رؤوسهم اقتناعا وخجلا ، ومضوا لمزاولة اعمالهم .

★

وفي ذات يوم خرج بهجت الى ورشته فوجد بعض العمال يخلطون الحصباء بقليل جدا من الاسمنت على غير عادتهم ، ولم ينتبهوا الى انه لاحظ ما يفعلون . **فاستغرب عملهم ذاك ، وقال للبناء في سخط :**

ـ ماذا يفعل العمال ؟

(أنائم انت ؟)

ـ ماذا يفعلون يا سيدي ؟ لست ادري ما تعني .

ـ ألا ترى ؟ ان كمية الاسمنت التي يؤلفون بها الجبلة قليلة جدا . ولست ادري لذلك سببا .

(هذه جريمة يجب ان يحاكموا عليها) .

فقطب اسعد تقطيبا تمثيليا ، وقال كالمستغرب :

ـ كمية قليلة جدا من الاسمنت ! عجب ! لم يكن لي علم بذلك .

فقال المهندس وهو يهتز سخطا :

ـ **انني لا اسمح لاي عامل ان يفعل ذلك في ورشتي . ان في ذلك** تشويها لسمعتي . يجب ان اطرد العمال جميعا . انهم لا يستحقون ان يعملوا تحت ادارتي . تعال ! هيا نذهب اليهم .

(انهم لئام انزال . يجب ان يكون مأواهم السجن لا المنزل) .

ومضى المهندس والبناء الى العمال الذين يؤلفون الجبلة . ولما اقترب منهم صاح بهجت بهم :

ـ توقفوا ! ماذا تفعلون ؟

(هل انتم مجانين) .

فقال له احدهم :

ـ بم تأمر يا سيدي ؟

(لقد اطلع الخبيث على عملنا . وقعنا في الفخ) .

ـ ماذا تفعلون ؟ ان الجبلة التي تؤلفونها فاسدة ولا تصلح للبناء . أبهذه الكمية الضئيلة من الاسمنت تخلطون الحصباء ؟ ماذا جرى لكم ؟

(اصوات من الداخل : اخرجوا من هذه الورشة يا لئام ! ان هذه مؤامرة دبرتموها لتشوهوا سمعتي . انا فاهم . انكم تكرهونني لانني **احاسبكم على تأخركم عن ميعاد** القدوم لمباشرة العمل في الصباح . هذا هو السبب . تريدون ان تنتقموا مني أيها القذرون . ولكنني اعرف كيف انتقم منكم جميعا) .

(منظر في الداخل : يصفع البناء ومساعده ، ويركل العمال بقدمه وهو يلعن ويصيح . ثم يأتي صاحب العمارة ويطلع على الحقيقة ، فيقول له : الحق عليهم . يجب ان ترفع قضية ضدهم . واؤكد لك انك ستنجح في تلك القضية وتزج بهم في السجن) .

وبعد قليل تقدم اليه هاشم ، وتأبط ذراعه في جرأة ، ثم مضى به الى ناحية ، وقال له بصوت منخفض وهو يبتسم :

ـ الا تدري لماذا فعلنا ذلك بصاحب العمارة ؟ لقد ضن علينا بخروف يذبحه لنا بعد ان عقدنا بناءه كما يفعل كل انسان يتم عقد بنائه ، فانتهك بذلك العادة . وكما ضن علينا بالخروف ضننا عليه باخلاصنا ، فخلطنا الحصباء بقليل من الاسمنت .

فصاح بهجت ثائرا :

ـ ماذا تقول ؟ كيف تتصرفون كما تشاءون ؟ انا المسؤول عن كل شيء هنا . انني احاسبكم على هذا العمل . يجب ان تتوقفوا عن العمل في الحال . هذه خيانة . ان صاحب العمارة ليس ملزما بأن يذبح خروفا لكم . انه حر في تصرفاته . ليس الخروف شرطا من شروط الاتفاقية التي عقدت بيني وبينه .

فضغط هاشم ذراعه في قوة ، وقال بصوت **هادىء :**

ـ اسكت لئلا يسمعك الناس فتسقط من عيونهم وتبور . لقد انتقمنا من صاحب العمارة وقضي **الامر . وليس لك الان الا ان تكتم الامر عن الناس كما كتمناه والا هلكت** أفاهم انت ما اقوله لك ؟

★

وفي ذات يوم اخذ بهجت يتفقد العمال فوجدهم متجمعين حول احدهم . تقدم اليهم ليتعرف الخبر ، فانفضوا عن العامل . وقال بهجت :

ـ ما المسألة ؟

فلم يجبه احد بكلمة . فاستغرب المهندس ذلك منهم وقال للبناء :

ـ ما المسألة ؟

(ايها الوقحون !) .

هم اسعد بالاجابة ، غير انه لم يلبث ان لاذ بالصمت . فقال المهندس :

ـ ما بالك لا تجيب ؟ اقول لك : ما المسألة ؟

(اتجرىء على عدم اجابتي أيها الوقح ؟)

وبعد برهة اجاب اسعد بصوت ضعيف ينم على انه لا يرغب في الاجابة :

ـ سل هاشما .

ـ اسأل هاشما ! ما بال هاشم ؟

(قل ! انطق !)

ـ لقد وقع شقاق بينه وبين أحد العمال .

والقى المهندس نظرة فاحصة على العامل . دقق النظر في وجهه وهو يدنو منه فوجد انفه مهشوما والدم يسيل منه . فبدت على وجهه علامات العطف على ذلك العامل والسخط على الجاني . قال لهاشم :

ـ ماذا فعلت بذلك العامل ؟

(هذه وحشية منك . أمجنون انت ؟ لقد أتلفت انف الرجل) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث خاطف

صوت كأحلام المسا ء مرقرق الرعشات لاهف
حملته امواج الاثير سر الي عبر شريط هاتف
قد ضم في طياته شوقا الى النعماء عاصف
هل يطلب النعمى معي وحديثنا كالبرق خاطف

هذا الحديث المترف النغمات معطاء وآسر
من أين ؟ كيف اجتاز أسواري وما انصاعت لقادر
ان ضيعته مسامعي لكأنه اشراق خاطر
سيعيش في قلبي ندا ء فاغم النفحات عاطر

همس الى ايقاعه أصغيت في صمت العشايا
رجعت في اصدائه طيفا لهاتيك الحكايا
لملمته مترفقا خبأته بين الحنايا
سرا كأسرار السما ء وكابتهالات البرايا

دمشق — سلافة العامري

فأجابه هاشم في هدوء وبلامبالاة كأنه لم يأت شيئا غريبا يلام عليه :

ـ وما دخولك انت بيني وبينه ؟

(من تدخل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه) .

ـ هه ! انني انا المسؤول عنكم جميعا . فما هذا السؤال الوقح ؟

والقى على هاشم نظرة نارية متعالية . فقال هاشم بصوت قوي :

ـ اننا اخوان ، وسيجري الصلح بيننا وننسى كل شيء .

(هل جئت لتفسد بيني وبين صديقي . انه صديقي وان أسأت اليه) .

ولكن الصلح لا يصلح ما افسدته . لا بد من دفع تعويض لذلك العامل ـ تعويض عن انفه المهشوم . وان لم تفعل ذلك ظل حاقدا عليك .

(هذا ما يقتضيه العدل والانسانية يا وحش) .

فصوب هاشم الى المهندس نظرة شزراء وقال :

ـ انك لست قاضيا حتى تقرر ذلك .

فشعر بهجت بنخسة في قلبه تألما وقال :

ـ انني تاركك لشأنك ، وسترى ما يحدث لك .

(وحش ! منحط !)

ثم ترك المهندس هاشما في مكانه، ومضى في سبيله . فلحق به أسعد وقال له :

ـ انك لا تعرف هاشما . لقد كان خيرا لك لو انك لم تحاسبه على عمله .

ثم مضى اسعد الى هاشم ، فقال له هذا :

ـ ان هذا المهندس يعد نفسه فيلسوفا . انني اعرف كيف اعامله . امثال هذا الرجل المتعجرف المتكبر لا يحترمون الناس الا اذا ديسوا تحت الاقدام . لم يبق احد يعاكسني سوى هذا الرجل الاجنبي الذي يرتدي البنطلون الكاكي القصير، ويدخن غليونا كوجهاء الانجليز ، ويثور على عاداتنا العربية المقدسة التي درج عليها آباؤنا واجدادنا . ان رجلا كهذا لا يستحق ان يعيش بيننا . انه ليس مثلنا .

وبينما كان بهجت واقفا في أعلى العمارة وقفة متطرفة وهو يتفقد العقد اذ صعد اليه هاشم ، وقد اعتزم ان يأتي امرا فظيعا . اقترب من المهندس وقال له :

ـ انظر الى ذلك الجانب من العمارة . انه منحدر قليلا عن مستوى السطح .

فالقى بهجت نظرة على ذلك المكان الذي يشير اليه اصبع هاشم وقال :

ـ أين هو ؟

ـ هناك ، الا تراه ؟

(مت يا غبي !)

ثم دفع المهندس بيده القوية ، فهوى الى الارض حيث غدا جثة لا حراك بها .

وبعد ذلك هبط هاشم درج العمارة وقال لزملائه :

ـ لقد زلت قدم المهندس فهوى الى الارض .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عروبة لبنان .. تطورها في القديم والحديث

دراسة تحليلية ـ تأليف محمد جميل بيهم ـ ٢٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع دار الريحاني ببيروت ١٩٦٩ .

لم أمارس اللقاء ممارسة أيام بالعلامة شيخ الادباء بلبنان الاستاذ محمد جميل بيهم الا في مؤتمر الادباء ببلودان مصيف الشآم ، اذ كنت من الوفد السوري الذي أنس بأدباء العالم العربي وشعرائه ومفكريه في الاماسي الفواحة من ربيع بلودان الجبل ، الذي يسيل عذوبة ماء وهواء ويفيض بالروح والريحان ، فكان الاستاذ الجليل « محمد جميل بيهم » في جلسات متواليات رئيسا للمناقشات ومديرا للنقد والتعليق على المحاضرات فأدار ذلك بحكمة الشيوخ وعزيمة الشباب ، وكنت أعتز بلقائه في بيروت بمنزله ايام الحياة الخافقة بقرينته المثلى بنت الشآم ونابغة نسائها السيدة « نازك العابد » نضر الله عظامها ، فهو يعيش بعدها بين كتبه يناجي أفكارها ويستمع الى خواطرها ، والكتب كما يقول «فولتير» أناس تكلمنا وتحادثها في دعة وصمت ومودة .

ولقد أفاض علينا الاستاذ « بيهم » بكل كتبه التي ضمت روائع فكره وخطرات أدبه ودراساته الاجتماعية والسياسية والقومية التي بلغت عشرين ونيفا وتعاد طبعاتها منذ سنة ١٩٢١ حتى عامنا الماثل ، وقد رحت أتمثل امثاله من ادباء الفرنجة المعاصرين الذين بلغوا سن التكامل مثله في التأليف ، كيف يكرمهم اقوامهم فتمنيت ان يحظى وامثاله في لبنان والديار العربية بمثل ذلك التكريم ، فانا اتساءل متى يتاح لنا ان نتكلم في تكريم الرئيس الاستاذ العظيم الدكتور فؤاد افرام البستاني في يوم مشهود تجيء اليه وفود البلاد العربية والمستشرقون لمشاركة قومه الواعي بتكريمه وقد أعطى البلاد العربية ولبنان ثمرات فكره منذ شبابه حتى اليوم ، وكذلك متى يكون للاستاذ الجليل «محمد جميل بيهم » يوم تكريم كبير مشهود ، فان عناية الامة العربية بمفكريها المعاصرين زهيدة ويعوزهم حدبها عليهم ، فنسأل الله سبحانه ان تنجاب الغيوم الجاثمة لتفرغ لمثل هذا التكريم الذي اقترحه والح في اقتراحه ، ولعل صديقي القديم صاحب الاديب الاستاذ الكبير « البير اديب » أعزه المولى يحسب اني أنسى الدعوة المجددة الى تكريمه بيوبيله المنتظر ، فان له الاثر الكافي في تألق الادب الحديث على حوض الابيض المتوسط حيث يطل لبنان بجبله الاولمبي مزدهرا بالشعر والادب والفلسفة .

وما احسبني الى ذلك بعدت عن الكلام على هذا الكتاب النفيس الذي اخرجه للناس مؤلفه الكبير الاستاذ « بيهم » فجعله دراسة تحليلية تناول فيه تاريخ العروبة في لبنان الاشم قبل الاسلام وبعده ، ولبنان الحبيب عريق في دهر الوجود فقد وجدت في التوراة بأنشودة الاناشيد التي قمت بترجمتها الى الشعر العربي ووقفت دون نشرها تصويرا لمباهج ارز لبنان اذ كان النبي سليمان العاشق ، يطمع محبوبته بعمل سرير لها من أخشاب الارز المجلوبة من لبنان ، أما في عصور الاسلام فان صاحبي (١) أبا الطيب المتنبي قر بجبال لبنان وكان الثلج جاثما عليها فطرح للدهر الذي يروي شعره ببيتين في لبنان وثلجه حيث يقول :

وجبال لبنان وكيف يقطعها
وهو الشتاء وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها علي مسالكي
فكأنها ببياضها سوداء

وكان يخترقها ذهابا الى كبير الصوفيين ابي علي الاوراجي ، ولعله كان بسيف بيروت او بجهة اطرابلس ، ويذكرني شعره بتفاح لبنان ، فيقول في وصف خد حسناء شآمية تيمته حبا وقد تكون غيرت مجرى حياته :

شامية طالما كلفت بها تبصر في ناظري محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنان وثغري على حمياها

ولقد سلسل الاستاذ بيهم البحث في عروبة لبنان في الاسلام من العهد الراشدي حتى العصر الاموي وفي العصور العباسية آخذا بتلابيب السند والرواية والاستشهاد العلمي ، وقد كان أسلوبه الدائم في تواليفه هذه المنهج القويم والشرعة الواعية التي تؤديها ، فهو لا تأخذه تلاحين الادب فتلهى آثاره عن التحقيق العلمي وهو جاحظي النهج اذ كان الجاحظ بقيد ادبه بالعلم والتحقيق الفكري .

وحين مارس في بحثه الكلام على عروبة لبنان في زمن الفاطميين والحروب الصليبية وعهد المماليك أعطى قراءه نطاقا وسيعا تاريخيا في تعاقب الاحكام والازمان على لبنان . وجعل في كتابه فصله الثاني موقوفا على لبنان زمن العثمانيين ، ولئن كان لبنان فيما سبق من العصور حفيظا من عروبته لاصالتها فيه فان عهود العثمانيين كان من دأبها محو العروبية عن بلاد العرب ، وان كان يروى عن الخليفة سليمان القانوني او خليفته السلطان سليم انه كان يبغي تعريب الترك ، بينما كانت السياسة الاستعمارية للعثمانيين هي تتريك العرب ، وقد بطش السفاح التركي بشهداء العروبة بلبنان وسورية سنة ١٩١٦ اذ وجدهم سدا منيعا دون رغبته هذه الطائشة .

ووقف المؤلف الجليل فصله الثالث من كتابه ، على لبنان والشام بانهما صنوان في التاريخ وان عروبتهما وعروبة فلسطين كالجبال الرواسخ لا تزعزعها اعاصير الوجود .

ثم مضى المؤلف بوعي في الحكم وعدالة في الفكر يؤرخ عروبة لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الكبير ثم في زمن الامير الشهابي الكبير بشير .

وقد وفق المؤلف بأن ينقل قراءه الى قصر بيت الدين حيث كان يجثم على قنن لبنان امير ذو اللحية المفروشة على صدره ، الذي كانت عيناه تشعان بشعاع كأنه السحر من هاروت وماروت وليت الامير مصطفى الشهابي كان حيا فيقرأ هذا الوصف عندي لجده الجبار .

وجعل الاستاذ بيهم خاتمة كتابه عن وضع لبنان بمثوله الحاضر من التوقد الفكري والنزعة القومية العربية الرائعة والالفة التي لا تنفصم بين مواطنيه وكلهم سدنة لهيكل العروبة المقدس .

وقد تناول بحثه من وجهة السياسة البحتة والتطور الاجتماعي ، وكنت اوثر ان يفيض كالعهد به في ذكر عروبة لبنان التي قامت على لغة العرب الخالدة ، اذ كان أئمة اللغة والادب وطائفة من اكابر شعراء العروبة قد طلعوا من لبنان الاشم كمطالع الصنوبر فيه ، وانا اسمها المظلات السماوية ، فكان الادب اللبناني مظلة ذات ظلال وارفة في العالم العربي ، فان العروبة في كل بلد عربي لم تكن لترسخ الا برابطة الافكار العربية والاقلام اللغوية ، وعروبة لبنان في العصر الحديث قد بناها اليازجيان والشدياق والبستانيون والشرتونيون ومن الفوا المعجمات ودائرات المعارف . وبناها الاشياخ : عبد الرحمن سلام

والغلاييني والزين وسواهم .

ولولا ان يقال اني أطري المعاصرين من اصحابي واصدقائي لاستوفيت الكلام على الاحياء من اساتذة جامعيين وشعراء وصحفيين وكلهم بصم على لبنان طابع العروبة الابدي .

وقد دعم المؤلف العلامة كتابه بالمخطوطات النادرة والصور والمصادر العربية والفرنجية وبثبت علمي للاعلام .

فلصديقي الاستاذ الاجل « محمد جميل بيهم » هذه السانحة التي أكفر بها عن تقصيري في الكتابة عن تواليفه الخالدة التي تعد مكتبة حافلة للفكر والادب والاجتماع .

---

(١) للدكتور زكي المحاسني كتاب عن المتنبي طبع ثلاث مرات في دار المعارف بمصر وطبعته الثالثة ١٩٦٩ جاءت بخمسةآلاف نسخة (الاديب).

دمشق — زكي المحاسني

•

موسوعة العتبات المقدسة

في عدة مجلدات ـ باشراف جعفر الخليلي ـ مطابع بيروت

لئن وضعت جوائز تقديرية لما نشر خلال القرن الاخير من كتب قيمة فان « موسوعة العتبات المقدسة » ستكون جديرة بالحصول على نصيب حسن من هاتيك الجوائز ..

اما هذه الموسوعة فهي عشرات من المجلدات الباحثة في تاريخ العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وبغداد وسامراء وخراسان والقدس ومكة المكرمة ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المدن الاسلامية ..

وقد بدىء باعداد هذه العملية الضخمة في بغداد من قبل دار التعارف التي يديرها ويشرف عليها الاستاذ جعفر الخليلي ، وهو شخصية عرفت بطول الباع في ميادين حضارية وثقافية عديدة فلقد اشتهر بكتابة القصة ، وعمل في حقل الصحافة اليومية والاسبوعية اذ أصدر اكثر من صحيفة في بغداد والنجف ، ونشر من مؤلفاته جمهرة كبيرة دلت على حصافة وثقافة ، وقرض الشعر وكتب في ترجمة الاعلام الذين عايشهم ووقف على نمط سيرتهم في الحياة ..

ان كل ما كتبه الخليلي حري بالاعجاب المتواصل ، ولكن مشروعه الجبار الذي يحمل عنوان « موسوعة العتبات المقدسة » سيكون اكثر شيء اعجابا واكبارا لدى من يعنيهم هذا الامر ، ولدى من لا يعنيهم ايضا ..

ويبدو ان النية متجهة الى ان يكون الحديث عن كل واحدة من هذه العتبات مستغرقا عشرة اجزاء ان لم يكن مستغرقا اكثر من ذلك .. وهذا يدل على اجتراح أعجوبة في التاليف المعاصر تستحق أن تكون حديث المكتبات الذي لا ينقطع .. وقد صدر من هذه الموسوعة خلال ثلاث سنوات جزءان من قسم النجف وجزء واحد من قسم كربلاء والكاظميين وخراسان وسامراء وجزء واحد من قسم مكة المكرمة .. وكل هذه الاجزاء في حجوم متماثلة وان كان بعضها تقل صفحاته شيئا قليلا عن البعض الاخر ..

بين يدي الان شيء من هذه الموسوعة هو الجزء الاول من قسم مكة المكرمة في مجلد يتالف من نحو ٣٨٠ صفحة ـ ١٦/٥ × ٢٣/٥ سم ـ والجزء الثاني من قسم النجف وهو يقع في اكثر من ٣٢٠ صفحة والجزء الاول من قسم الكاظمين ويقع في ٣٢٠ صفحة .. والجزء الاول



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من قسم خراسان وهو في ٣١٢ صفحة .. والجزء الاول من كربلاء وعدد صفحاته ٣٩٦ والجزء الاول من سامراء وعدد صفحاته ٣٣٦ ..

وقد حفلت هذه الاجزاء بمعلومات نادرة باهرة بحيث يبيت القارىء وهو يستحث نفسه على قراءتها جميعا في مجلس واحد ..

وقد كان من محاسن موسوعة العتبات المقدسة انها جمعت شتات جمهرة عظيمة من المعلومات المتنوعة المتناثرة في صفحات الكتب والمراجع من مخطوط ومطبوع ، وانها امكنت للقارىء الحديث الوقوف على ما اودع السياح الاجانب في بطون رحلاتهم من آراء وملاحظات ومباحث خططية واجتماعية دونوها في فترات تاريخية موغلة في الغموض .. وبذلك لقحت المصادر العربية بمصادر غربية لم يلم بها الا النزر اليسير من متقني اللغات الاجنبية ..

كان اسلوب عرض المواضيع في الموسوعة قد استثار اعجابي فهو أسلوب قويم بعيد عن جمود الفقه وجفاف ما يسمى بعلم المنطق .. وكذلك القول في ذكر الخلافات الناشبة بين الرواة والتعليق على مغامز السياح الاجانب فانه كان اسلوبا بالغا من الرصانة والتثبت أقصى اطرافهما ..

ولم يكن القصد من وضع هذه الموسوعة ـ على ما يبدو ـ البحث التاريخي وحده ولا سرد السير الشخصية المسهبة بل انها جالت على نواحي ثقافية متعددة فباتت طرازا من التاليف النفيس الشهي الذي يجل عن الوصف ..

يتناول الجزء الاول من قسم مكة مباحث مسهبة في تاريخ مكة القديم منذ اول تمصيرها حتى قيام الاسلام بقلم الاستاذ جعفر الخليلي مؤسس الموسوعة والمشرف على اعدادها وقد استغرق ذلك صفحتين ومئة صفحة .. ويلي ذلك فصل في مكان مكة من كتب الرحلات العربية للدكتور صفاء خلوصي ومن فصول الجزء المهمة ما ورد في الشعر قديما وحديثا من ذكر مكة وبعض اسبابها جمعها البحاثة الواسع الافق الاستاذ فؤاد عباس .. وكان اوسع هذه الفصول ما قام بترجمته من المصادر الاجنبية الاستاذ جعفر خياط من أخبار مكة واحوالها الواردة في عدد من المراجع الاجنبية فقد استوعب ذلك مئة وسبعا وخمسين صفحة ..

وكان من نهج الموسوعة هنا وفي كل أجزائها اثبات أقوال من كتب من الغربيين عن احوال مكة واحداثها وشؤون حجاجها دون طرح ما كانوا قد تحيزوا فيه واغرضوا .. وقصد الموسوعة من ذلك اعطاء فكرة قريبة من الواقع عن الانطباع المرتسم في اذهان مؤرخي الغرب وساسته ورحاليه عن هذا البلد وقطانه ..

ويبيت القارىء كثير الدهشة حين يلم بالجزء الثاني من قسم النجف لما يرى من الاستيعاب الشامل لحضارة النجف العلمية وما استودع في خزائنها من كتل كتب وثروات لا تثمن بثمن وما كان قد أقيم على تربتها البلورية من مدارس ومنشآت فقهية ما تزال تموج بطلاب العلم واهله ..

ولا ادري شيئا عن محتويات الجزء الاول من هذا القسم .. فلعله تناول حديث ثورة العشرين وقادتها ممن كان يمت بعضهم الى هذه المدينة الكريمة ..

اما القسم الخاص بالكاظمين ـ وقد نشر منه جزء واحد ـ فانه حري ان يكون مرجعا حسنا في الوقت نفسه لبعض الجوانب من تاريخ بغداد اذ كانت الكاظمية وما تزال جزءا لا يتجزأ من بغداد ..

لا جرم ان عشرة اجزاء ضخمة تؤلف في تاريخ مكة وعشرة اخرى تكتب في تاريخ المدينة ومثلها عشرة في القدس وعشرة في النجف واخرى في الكاظمين وعشرات غير اولئك في بقية العتبات انما هو جهد اسطوري وصنيع فخم جبار .. وقد لاحظت من جولتي خلال تلك الاجزاء من الموسوعة ان هنالك غير واحد من المساهمين في تدوين فصولها منهم الدكتور اللغوي والمؤرخ البحاثة الاستاذ مصطفى جواد والدكتور المؤرخ حسين امين والدكتور الكاتب الاديب صفاء خلوصي ولكن الجائل الاول في هذه الحومة والآخذ بخطام الجواد السابق هو الاستاذ جعفر الخليلي أعانه الله على انجاز مشروعه هذا ومكنه من اخراجه في عهد قريب غير بعيد ..

بكين — جلال الحنفي

●

آداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة

لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي
٩٠٤ هـ ـ ٩٨٤ هـ

تحقيق الدكتور عمر موسى باشا ـ ١٠٤ صفحة ـ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

قبل سنوات ، التقيت مع الباحث الدمشقي الدكتور عمر موسى باشا في كتابه « ابن نباته » ، وهو بحث جامعي رصين ، وكان ذلك اللقاء بداية معرفتي به ، ثم تهيأ لي ان التقي معه اليوم في تحقيقه لكتاب « آداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة » من تاليف ابي البركات بدرالدين محمد الغزي ، وقبل البداءة في التعليق على الكتاب المذكور ، يجمل بي ان أشير الى هذه الجهود التي تبذلها المجامع اللغوية في العواصم العربية واحتفال المحققين الممتازين بالتراث العربي ، ومساعيهم المشكورة في ميادين التحقيق العلمي ، فاذا كنا نجل هؤلاء الناس الثقات فليس في وسعنا أن نصمت عن عمليات التجهيل والشعيذات التي تخرج للقراء باسم التحقيق والنشر العلمي ، يصدرها للاسواق انفار من المثقفين ، لا يحسنون كتابة المقالة الانشائية او اقامة وزن بيت من الشعر .. فهذا الترخص في النشر والتحقيق فيه اثم وصوب فضلا عما فيه من استخفاف باذهان القارئين ..

ثم أعود فاقول : « كتاب آداب العشرة » في الاصل رسالة الفها بدرالدين الغزي في القرن العاشر الهجري، في العصر المخضرم بين أواخر العصر المملوكي الثاني واوائل العصر التركي العثماني ، وقد شهد بدر الدين هذا فترة قلق في حياته خلال بعده وتشرده عن بلده ، ولم تمدنا المصادر ـ كما يقول المحقق ـ التي بين ايدينا بالعوامل الكامنة وراء هذا النفي ، وقد تبين انه كان للوزير العثماني أياس باشا اكبر الفضل في هذه الفترة من الاستقرار والاطمئنان النفسي ، مما اتاح لبدر الدين ان ينشىء رسائله ويسطر مؤلفاته الكثيرة ..

وقد اشار المؤلف نفسه في خطبة رسالته المخطوطة « الزبدة في شرح القصيدة المسماة باليردة » الى ان لعناية الوزير المذكور وحدبه عليه الاثر الكبير في انعاش نفسه وطيب عيشه .. ويبدو ان مصنف هذه الرسالة اراد بتصنيفها ان يمكن للقيم الاخلاقية في نفوس الناس ويرسخ الفرمات في وقت غلبت عليه التحولات وتأرجحت فيه عوامل الطمانينة والاستقرار ..

ولقد كان من فضل الثقافة العربية الاسلامية ان تواجد بعض الاخيار فعملوا على احياء التراث العربي بجهودهم التصنيفية الهادفة ، وكان بدر الدين واحدا من هؤلاء ، فاستقى اقواله مما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف واستشهد ببعض الحكم المنقولة عن المتصوفة والفلاسفة ، واورد بعض الشواهد الشعرية لشعراء مفمورين ومعروفين.

وقد فطن المحقق الفاضل الى أهمية هذا النوع من الرسائل ، فعمل على نشر رسالتين للمؤلف بدر الدين ، الاولى « آداب المؤاكلة » من منشورات مجمع اللغة العربية ثم « آداب العشرة » والملاحظ في

الرسالتين المذكورتين ان المؤلف سلك في كتابتهما نسقا علميا ذاتيا في البحث والتاليف بعيدا عن الاسجاع والمحسنات والاستطرادات الموسوعية كما هو غالب على التصانيف السابقة ، وهذه ولا شك ظاهرة ادبيـــة تستحق التنويه وتشير الى الطوابع التي سادت على طرق التفكير في تلك الحقبة من الزمن .. ورسالة « آداب العشرة » تؤلـف الكتـاب الثالث المختار من مجموع المخطوط الموجود في صورة المحقق وهو يضم عشرين رسالة مخطوطة ، وغاية المحقق من احياء هذه الرسائل المهملة ان يكشف عن جوانب مشرقة من حضارتنا السالفة كانت عرضة للاهمال والنسيان ، وفي الحق انها التفاتة بارعة قمين بالمحققين ان يترسموا خطاها ، ويزيحوا عن كنوزنا الدفينة غبار السنين المتراكم ..

ملاحظات منهـجية وفنـية :

يقع كتاب « آداب العشرة » بطبعته المحققة في (٨٠) صفحة ، اما الفهارس العامة فتبدأ من صفحة (٨٥) الى صفحة (١٠٢) وهـي خاتمة الكتاب . ثم تنقسم الرسالة الى الابواب التالية : آداب العشرة، آداب الصحبة ، آداب الجوارح ، آداب البواطن . وهذه بدورها تتوزع الى تفريعات بحسب الدلالات الاخلاقية والمقاصد الاجتماعية، وعلى الرغم من غلبة الحس التصنيفي للمؤلف ، فاننا لا نعدم أن نـرى هنا وهناك لمحـات من ذاتية المؤلف وخصوصية التجربة الشخصية ، وكلها تنهض دليلا على صدق النية والنزعة الاخلاقية وحسن التصنيف والاختيار .. ولنا هنا ، بخصوص التحقيق ، بعض الملاحظات الفنية نسوقها اتماما للفائدة، وهي بالطبع لا تغض من قيمة الجهد المبذول ونجملها فيما يلي :

١ ـ تميزت مقدمة المحقق بانها خلو من الاستقراء التاريخي لاصحاب السبق في كتابة الرسائل والمصنفات التي تتعلق بالصحبة والصداقة والعشرة ، ومن هؤلاء على سبيل التمثيـل ابن قتيبة صاحب « عيـون الاخبار » والتوحيدي الموصوف بالجاحظ الثاني وبخاصة كتابه الذائع الصيت « الصداقة والصديق » ونحسب ان ذكر هؤلاء الاعـلام ممـا تتطلبه المقدمات العلمية .

٢ ـ رتب المحقق فهرس الايات القرآنية بحسب ترتيب السـور المعروف في القرآن الكريم ، ورتب الاحاديث النبوية بحسب اوائـل حروفها ، والمحقق هنا يجري على الطريقة الشائعة ، بيـد ان هنـاك طريقة اخرى نرى فيها وجه الصحة وعموم الفائدة بالنسبة للباحـث الذي يبحث عن آية يجهل سورتها مع علمه ببعض الفاظها ، ونشـير هنا الى الطريقة التي اهتدى اليها بعـد تجربة طويلة شيـخ المحققين عبدالسلام محمد هارون ، وتقضي بترتيب الايات القرآنية في تطاق المواد اللغوية اعتمادا على بروز بعض كلمات الآية ، ومثل هذا يقـال في ترتيب الاحاديث النبوية التي ينبغي ان ترتب حسب المواد اللغويـة ايضا ينظر كتاب « تحقيق النصوص ونشرها » تـاليف عبـد السلام هارون ص (٨٩) وما بعدها » .

٣ ـ جاء ترتيب الشواهد الشعرية وفق الفهرسة التالية : صدر البيت ، القافية ، الشاعر ، عدد الابيات والصفحة ، واكمالا لهـذا الترتيب نرى من المستحسن ان يضاف الى صاحب الشعر ترتيب البحور الستة عشر .

٤ ـ كان الاجدر بالمحقق وهو يقدم النص ، ان لا يغفل امرا يكاد يكون سنة متبعة في التحقيقات ، فقد جرت العادة ان يعزز المحقـق النسخ الموصوفة بصور منقولة عن الاصل فيصور وجه التاب او بعض صفحاته وصفحته الاولى والاخيرة ، وهذا ما تفتقر اليه نشرة المحقق .

٥ ـ لا ادري لماذا ترك المحقق التعريف ببعض الاعلام في الهوامش في الوقت الذي عرف ببعضهم على الرغم من ذيوع شهرتم ، فاذا كـان قد ترجم للمدائني وسفيان الثوري والجنيد وغيرهم ، فان من بـاب اولى ان يترجم « لحمدون القصار » وهو غير معروف لغالبية القـراء وقد ورد ذكره في صفحة (١٤) .. وحمـدون القصار هذا (صوفـي نيسابوري على مذهب « الملامتية » وهو ابو صالح حمدون ابن احمد بن عمارة القصار ، صحب سلمان الباروسي وأبا تراب النخشبي ، مـات سنة احدى وسبعين ومائتين . ومن اقواله : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال . وقال : ان اسـتطعت ان لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل . « الرسالة القشيرية للامـام القشيري ص ١٠٢ » قطوف من الرسالة :

ومن المناسب في هذا المقام ان انقل الى القارىء المتطلع الى اقوال السلف هذه القطوف المختارة مما جاء في الرسالة :

ـ فمن قول النبي العربي في آداب العشرة وقد قيل له : ما خير ما أعطي المرء ؟ قال : حسن الخلق .

ـ ومن قول الامام علي بن ابي طالب في الحمد على الثناء : مـن لم يحمل اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصفة .

ـ وقول بعض الحكماء من السلف : عاشروا الناس ، فان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم .

ـ وقال ابن الانباري في الحنين والنزوع الى مشاهدة الاخوان : من كرم الرجل حنينه الى أوطانه وشوقه الى اخوانه .

ـ وقال ابو محمد الحريري في التخلق بمكارم الاخلاق : كمـال الرجل في ثلاثة : الغربة ، والصحبة ، والفطنة ، فالغربة لتذليـل النفس ، والصحبة للتخلق باخلاق الرجال ، والفطنة للتمكين .

وبعد : فليس في الوسع الافاضة في الاقتباس « من رسـالة آداب العشرة » وحسبنا في هذه العجالة ان ندل على النماذج الهادفة من الرسائل الداعية الى التمسك بالقيم الاخلاقية ، وان نشيد بجهـد المحقق الفاضل الدكتور عمر ، وان نجهر بالدعوة الى نشر امثال هـذه الرسائل الدفينة : فان في هذا النشر تصحيحا للموازين المختلـة ، وتفويتا على الاعداء من أن ينالوا من مكرماتنا أو يغمزوا مـن صـدق عزائمنا في ماضينا وحاضرنا معا .

البصرة ـ العراق — عبدالرحمن علي

•

ريـــاح كـانـون

رواية ـ تاليف فاضل السباعي ـ ٤٤٨ صفحـة ـ حجم كبـير ـ منشورات دار القصة العربية بحلب ـ طبع في بيروت

بعد مساجلات عنيفة ، على صفحات مجلة « الاديب » بيني وبين الاستاذ فاضل السباعي ، اخذت عندما حمل الي البريد : « ريـاح كانـون » مهداة من صاحبها ، وموقعا عليها بقلمه ..

والذي زادني عجبا ، انني حينما قرأت ما قاله الادباء في أدب الاستاذ فاضل السباعي ، وجدتني من بين الذين قالوا رأيهم فيه ، وان كان فيه الاتهام الذي دفعت اليه وقتذاك ، عندما احتدمت المعركـة ، واندلع لهيبها الذي اصاب طائفة من الادباء ، دخلت المعركة على غـير انتظار ، ورمت بنفسها دون ما دعوة أو طلب ادعاء ..

وليس شك في ان هذه المبادأة ، زادتني اصرارا على أن أقـول كلمتي مرة أخرى في عمل ادبي ضخم ، توافر عليه ، أديب كبـير ، حريص على المحافظة على السلفية الحبيبة .. ولا أكتم القارىء ، انني عشت اياما في هذه الصفحات التي نيفت على الاربعمائة بفصولها الاثني عشر ، واقسامها الثلاثة وخاتمتها في ساعاتها الاخيرة ، وهذا الثبت الذي حرص فيه الاستاذ السباعي على ان يدون فيه ما له وما عليـه باقلام كثرة من الادباء ، تجمعهم الرابطة ، وتفترق بهم الاوطان ..

والمتتبع لادب السباعي ، والمحصي لانتاجه ، يجده لا يتوقف عند بلد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعينه ،او يستقي من معين وطنه الذي ولد فيه ، وانما يجد : «الشوق واللقاء » و « حياة جديدة » و « مواطن امام القضاء » و « الليلة الاخيرة » و « نجوم لا تحصى » و « ثريا » و « ثم أزهر الحزن » و « الظما والينبوع » و « رياح كانون » قد ولدت في بيئات متعددة ، ومواطن متفرقة ، دليلا على ان المؤلف ، لا يتقيد بموطن ، او يتعصب لمكان ، فيخصه بقلمه ، او ينسج حوله الهالات ، اذ ليس بضار ، ان يحيك المؤلف رواية من مشهد رآه بالقاهرة ، أو يجمع خيوط قصة وقعت في درب من دروب سورية ، فالملهمات عنده كثيرة ، والملفتات أجل من أن يحصيها عد ، الا أن يكون قلم أديب ، أو شاعر مستلهم .

و « رياح كانون » سورية المنبع ، والمولد والمنشأ ، جرت حوادثها في أرض المؤلف وعلى مرمى بصره وبين يديه ، ان لم يكن قد لعب هو دورا بين شخوصها الذين كناهم ، ولم يفصح عن مسارهم ، أو تحديد معالم أدوارهم ، الا من خلال المساق الذي اكتنفه الجو السوري بكل اصطلاحاته ، وحواشيه ، واتجاهاته ، ومسمياته ..

يحدد الاستاذ فاضل السباعي روايته ، ويحصر كنهها في هذه السطور « ... وعب من رياح كانون العاتية . وفكر ، وهو يقرع الرصيف بقدميه : اني دفنت ، قبيل قليل ، املي تحت أنقاض اعتراف ما ! » .

وهذا الاعتراف الموغل في اللا محدود بعد أن حرض الفتى نفسه ، واتهمها بالغباء ، وامتلأ صدره مرارة ينحصر في :

ـ « كل ما بي ، اليوم ، يغري بالابداع : احساس بالضعة ، واحساس قبله بالاخفاق ، ثم احساس بالرفعة اخيرا » ..

وفصل الرواية الاول مليء بالحوار ، مشحون بهذه التساؤلات التي تفصح في أحايين كثيرة عن الاجابة على كل ما يدور من أسئلة ، أو يبرز من شكوك ، فدين الله لا يحرم الزواج باكثر من واحدة الا ان يكون عدم العدل ، و « أبو عقيل » لا يهمه من امر التعدد الا سلفة على راتبه ، ولا يهمه التثليث بزوجة ، والتربيع بحليلة ، وان كان في عصمته اثنتان ..

والمؤلف يعنيه من امر هذا المشهد ، الحرص على اثبات ما دار في قاعة المحاضرات التي كشف فيها عن مدى ما يصيب المجتمع من الزواج الثاني ، الا ان يكون الانسال أهم غايات هذا الزواج ..

على ان النقاش الذي اثبته المؤلف في هذا الفصل ، لما يسوغ ، لو أن الجديد فيه ، تقعيد قاعدة جديدة ، أو الاتيان بنظرية أهملها الفقه الاسلامي ، الذي نص على ان العقم ، من مبيحات التعدد ، بشرطي القدرة والعدل اللذين ارتبط بهما بناء الحياة الزوجية منذ ان كانت هذه الحياة ، مبنية على أسس سليمة ، مرتكزة على دعائم الاسلام ..

يقول الاستاذ السباعي في نظرية اخرى لهذا التعدد :

ـ « بقاء النوع متخذ منذ الازل طريقه ، ولن يعيقه عقم في امراة بين النساء . بل اننا لنرى اليوم سكان المعمور في خوف من تزايد النوع البشري » الا ان كان الدافع لهذا الزواج الثاني ، الحرص على ممارسة الابوة ! كما قال المؤلف دفاعا عن هذه النظرية التي لا تسوغ الا بهذه التعلات !!

وانتقال المؤلف من نظرية الى نظرية ، ومن حكم الى حكم ، امر مستحسن بالدارس ، يطلعه على كثير من هذه الاحكام .. « فلطالما رزحت المراة في الماضي ، تحت سيطرة الرجل ، فطغى واوسعها ظلما ومهانة ! ولقد آن لهذا السيف ، سيف ديموقليس ، ان ينحى عنها جانبا في هذا الزمن الذي نعيش فيه » ..

ثم يمضي الاستاذ السباعي في اصدار احكامه ، فيقول رأيه في القصة ، وان كنت أخالفه في هذا الحكم ، واقف واياه على طرفي نقيض ، ذلك ان الكاتب مطالب بأن يضع معانيه كلها على بساط البحث ، فلا يختزن شيئا في نفسه ، ولا يعمي على قارئه دقيقة من دقائقه ، حتى يكون القارىء مشاركا له في عمله ، مطلعا على مكنونات نفسه ، لا تغيب عنه شاردة من شوارده ، ان هو حاول المناقشة ، او تصدى له بالنقد ، لكن المؤلف يقصر هذا على القارىء الواعي الذي يعني بالكتابة ، لا هذا الذي يطالع للتثقيف ، او يقرأ للافادة :

ـ « ان قارىء القصة الواعي ، ولا سيما اذا كان واحدا ممن يعنون بكتابتها ، مطالب بأن يضع يده على معانيها الدانية ! ، فضلا عن مغازيها البعيدة ، تلك التي لا يستطيع ان ينفذ اليها عامة القراء » ..

ولقد اعجبني في الاستاذ السباعي عدة وقفات في روايته ، تتسم كلها بالدراسة الواعية ، والعرض الاخاذ ، وان كانت قد تناولها بعض الباحثين ، حتى اصبحت ان لم تعرض عرضا جديدا فقدت اهميتها بالنسبة للمطالعات الكثيرة ، التي غصت بالنظريات ، وامتلأت بهذه التوجيهات ..

يقول السباعي : « ان الاديب يكتسب ، من خلال مطالعاته ، خبرة في تخير الالفاظ ، وتبين اوجه استعمالها ... كما تتكشف له ، في اطلاعه على الروايات العالمية ، اسرار الفن الروائي : من ايجاز في التعبير حيث ينبغي الايجاز ، ، واسهاب في الوصف حيث يقتضي الامر ذلك ... وكل اديب يقرأ ، يحصل هذه المكتسبات ويلقيها في بحر لا شعوره ، لتظل هناك ، هاجعة الى يوم ياخذ في الكتابة ، في التاليف ، فاذا هي تستيقظ من تلقائها دون ما حاجة الى استدعاء ، لتقوم بتنظيم عملية الخلق الفني » ..

ويفرق المؤلف بين الواقع والواقعية فيقول :

« الواقع : هو تلك المادة الخام التي تشهدها اعيننا في البيت والحديقة والمدرسة ونراها مرمية على رصيف الشارع ! واما الواقعية ، فهي اخذ هذه المادة الغفل وتكييفها بالتعديل والتبديل حسب الضرورة الفنية ، هذه الضرورة التي تطغى احيانا على معالم المادة ، فاذا هي شيء اخر جديد ، من اهم مميزاته انه منطقي ومبرر وسائغ » ..

ويمضي الاستاذ فاضل السباعي في علاجات لمجتمعه ، بعضها مما يشترك معه فيه كثير من الاوطان وبعضها الاخر ، يقتصر على الوطن السوري ، لا فكاك له منه ، بحكم الوضع ، او بحكم القلم الذي تناول

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من الكتب السياسية والاقتصادية والعقائدية

وكمية ضخمة من القصص على

جميع انواعها وكذلك جميع الكتب المدرسية

هذه الادواء ، ووصف لها هذه العلاجات ..

بيد أن المؤلف يحس كلما اوغل في مسالك القصة ، انه يبعد عن المرمى البعيد الذي من أجله ، كتب هذه الصفحات الكثيرة ، فيرجع الى الانتظام في سلك المعاني العريضة التي يتشارك فيها كل الادباء ، ويتنازعها جل الباحثين ..

والواقع ان الوقوف كان أحلى بالمؤلف من المضي في هذه المحاورات ، وان عد هذا ملاحظة جانبية ، وعددتها أنا لفتة فكر ، أراد أن يدل بها المؤلف على علم واطلاع ..

يقول السباعي : « ... ان على الراغب في اقتحام ميدان القصة ، ان يكون ذا خبرة بالحياة ، فالقصة « شريحة » مقدودة من الحياة .. فأما الرواية فانها تحتاج الى « مستودع » زاخر بالخبرات والتجارب ، لان الرواية نهر حياة ، انها اشبه بنهر طويل يلم بالقمم والمنعطفات والسهول ، انها تتطلب معرفة واعية ومزيدا من الثقافة العملية ، فمند كل قمة ومنعطف ، وحتى في السهل المنبسط ، تطل مشكلة من المشكلات ، أو قضية من القضايا الانسانية ، تنشد حلا ، او تتوق الى معالجة ، ترهص بالحل ... »

ومهما يكن من أمر « رياح كانون » التي اراد لها مؤلفها الاستاذ فاضل السباعي ، ان تثير من الزوابع والاعاصير ، بحكم هذه القضايا التي حملتها ، الا انني أطمئنه من عدم هبوب هذه الرياح ، وزمجرة تلك الاعاصير ، واشد على يده في توفيقه ، وان كنت قد أحببت ان تخرج هذه القصة عن نطاق بلده في الشخوص والاجواء ، ولكن أنى له وقد خص سورية وحدها بجل هذه العلاجات ... !!

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

تطور الصحافة العربية في مصر

تأليف انور الجندي ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات « دار المعرفة » بمصر

نوافق الاستاذ انور الجندي في أنه « من الضروري ان يكتب الادب العربي من جديد على نحو موحد تدرس فيه الظواهر المختلفة التي مرت بالوطن العربي في ضوء : وحدة الفكر والضمير والشعور والذوق » لان الوحدة العربية في الفكر متأصلة منذ امد طويل ، وتتضح مظاهرها في أتجاهم الفكري على اختلاف أنواعه ، وكانت الصحافة هي المرآة التي ينعكس عليها هذا الانتاج الفكري للمفكرين العرب .. بل هي الوعاء الذي احتفظ بهذا الانتاج وسوف يحتفظ به في المستقبل البعيد . ومن ثم نبعت أهمية الصحافة في دراسة الواقع الاجتماعي العربي بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .. وغيرها .

ولهذا فقد اطلق الاستاذ « انور الجندي » على كتابه « تطور الصحافة العربية في مصر » عبارة مميزة وصادقة وهي انه « اطار للامح المجتمع وصورة العصر » ، ويعتبر هذا الكتاب تعبيرا عن الصحافة الاجتماعية في مصر . وهو التوأم الثاني لكتاب « الصحافة السياسية » الذي أصدره الاستاذ الجندي قبل ذلك . وهو أيضا حلقة من حلقات الدراسة الموسوعية التي يعدها الاستاذ الجندي عن تطور الصحافة العربية واثرها في الادب العربي المعاصر .

وفي « تصدير » الكتاب يتحدث الاستاذ الجندي عن موسوعته الكبيرة في دراسة الصحافة العربية فيبين ان الفكرة اساسا هي « القضاء على النظرة الاقليمية الضيقة » التي كانت سائدة في دراساتنا عن الادب العربي .. وواضح ان هذا العمل الادبي عمل ضخم وشاق آثر الاستاذ الجندي أن يقوم به في صمت وبعد عن الدعاية لانه من الذين يؤثرون الاعمال الجادة التي تعطي عطاءها باستمرار وهي الاعمال التي يكتب لها البقاء في دنيا الكلمة وعلى مر الاجيال .

يقول الاستاذ الجندي « وكان من الضروري ان يردد هذا العمل « كاتب » لا يتطلع الى الثمرة السريعة ولا الجزاء المادي ، فيكتب دراسة على مستوى الامة العربية في فترة تبلغ حوالي سبعين عاما ، وهي الفترة التي واجهت فيها الغزو الاستعماري والاحتلال » ويستمر الاستاذ الجندي في حديث عن النفس قائلا « ولست أذكر مدى الجهد الذي بذلته والذي اضطرني الى اتخاذ « نظارة » طبية ، وكيف امضيت أكثر من ثلاثة اعوام مقيما اقامة تامة في مكتبة القلعة بالقاهرة بين الاضابير القديمة من الصحف والدوريات ، ولكني اذكر انني لا أعد هذا العمل شيئا كبيرا او عظيما ، وانما ـ اعده مخلصا ـ عملا تمهيديا لعمل أكبر منه واكثر شمولا وتحقيقا ، ومع ذلك فان عملي بالنسبة لهذه الدراسة لم ينته بعد ، فقد تولدت عشرات الموضوعات والدراسات الفرعية التي تحتاج الى مزيد من العمل . ومع هذا الجهد الذي بذلت ، وقد طبع اغلب هذه الاجزاء على حسابي الخاص ومن رزق اولادي ، فان قليلين جدا هم اولئك الذين اولوا « الموسوعة » بالنظرة الفاحصة والنقد البناء او القوا الضوء على بعض اجزائها ، ولم يكن مطمعي من هذا تطلعا الى شيء ما ، سوى الرغبة في الانتفاع بآراء الباحثين ووجهات النظر الاخرى التي توسع أمامي آفاق البحث » .

وفي حديث النفس هذا عدة قضايا لا يمكن ان نمر عليها دون ان نشير اليها ونرصد القضايا الايجابية والاخرى السلبية .. فالكاتب قام بمجهود فردي يستحق ان نهنئه عليه لان العمل الذي قام به عمل ضخم ويحتاج الى مجهود جماعي .. واذا سلمنا بفشل الجهود الجماعية حتى الان ، فلا أقل من ان نشيد بجهد فردي مخلص كان همه الاول ان يجلو الصورة التي خفيت علينا في ميدان الفكر العربي منذ سبعين سنة وحتى الان . ان العمل الموسوعي يحتاج الى ايد مخلصة تضع الحقيقة في حساباتها باستمرار ، ويؤيد هذه الايدي تعاون مادي تبذله الهيئات والمؤسسات التي ترعى شئون الفكر والثقافة في وطننا العربي . أليس مؤلما ان يضطر كاتب لاقتطاع رزقه ورزق اولاده في سبيل اخراج انتاجه الفكري ؟ أليس من الافضل اخراج الكتب الجادة ومساعدة أصحابها بدلا من اخراج الكتب التافهة التي تملأ المخازن وتتكدس فيها ثم تباع في النهاية « دشتا » للتجار وبائعي الكتب ؟ انه مجرد تساؤل ينتظر عملا ايجابيا يحل هذه القضية ، ويشجع المفكرين والادباء على الانتاج الجاد الدءوب ، واعتقد ان هذا العمل الايجابي ممكن وليس بمعضلة المعضلات ! .

والكاتب الجاد ينتظر دائما اشادة بعمله او حتى مجرد الاشارة اليه، فنحن بشر تسرنا الكلمة الطيبة الصادقة ، وتدفعنا في دربنا الى نهايته ، وتجعل المرور فيه سهلا مهما كانت العقبات .. وايضا فان الصمت عن اعمالنا او تجاهلها يولد فينا نوعا من الحنق والحسرة قد يكون لهما أثر سيء في حياتنا العامة وحياة فكرنا الخاصة ! واننى لاتعجب حين يذهب بعضنا الى مسرح ما ويشاهد مسرحية ثم يجلس ليكتب عنها مقالا مطولا يستغرق مساحة كبيرة من كبريات صحفنا السيارة بينما لا يكلف نفسه عناء قراءة كتاب جيد ويكتب عنه دراسة تتميز بالصدق الفني والحكم الموضوعي ! وكذلك الحال لدى بعض نقادنا او قل اكثر نقادنا ـ لان هذه هي الحقيقة ـ حين يصرون على الكتابة عن كاتب معين دون غيره من الكتاب .. يكتبون عن كل ما يصدره هذا الكاتب دون اشارة الى الاخرين الذين يؤلفون وينتجون في صمت . ان هذه المواقف التي تعتمد على السطحية والشخصية لها اثرها السيء في حياتنا الادبية ويمكننا من غير شك ان نغير هذه المواقف بما يضيء حياتنا الادبية ويشيع فيها الخضرة والازدهار .

اعود بعد هذا الى « تطور الصحافة العربية في مصر » فاجد هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب ينقسم الى قسمين كبيرين القسم الاول عن تطور الصحافة العربية الى اوائل الحرب العالمية الاولى ، والقسم الثاني من الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية .. وفي القسم الاول خمسة أبواب .. الباب الاول بعنوان « صحف واقلام وصراع أفكار » ويستعرض فيه الصحافة قبل الاحتلال الانجليزي وبعده ويتحدث فيه عن الصحف ورجال الصحافة والمفكرين المشهورين خاصة جمال الدين الافغاني وصحافته . ويركز الكاتب على صحافة الرأي وتطورها . والباب الثاني « دخائل الصحافة » وفي الباب الثالث يتحدث عن معارك ومساجلات الصحف وفي الباب الرابع حديث عن الصحافة كاطار لصورة العصر والمجتمع من الاحتلال الى أوائل الحرب العالمية الاولى مع حديث عن محاكمات الصحافة والصحفيين واوضح محاكمة هنا هي محاكمة « عبدالعزيز جاويش » و « ذكرى دنشواي » اما الباب الخامس فيتناول طرائف الصحافة آنئذ كالامضاءات المستعارة والمواقف الحرجة في عالم الصحافة والصحفيين .

اما القسم الثاني فيشمل خمسة ابواب ايضا تبدأ من الباب السادس حتى الباب العاشر ، ويتناول فيه تطور الصحافة في الاسلوب والمضمون فيما بين الحربين العالميتين . ويبدأ الباب السادس بمدخل تاريخي للفترة فيه تحليل جيد وتفسير واع للاحداث والظروف ، ثم حديث عن الصحافة في ثورة ١٩١٩ وكنت اتمنى ان يطول هذا الفصل المعقود لثورة ١٩١٩ في صحافتنا .. فهي فترة هامة في تاريخنا حفلت بالاحداث والملابسات ، وكان يجب ان تنال قسطا كبيرا من اهتمام الكاتب كي تتضح الصورة أمام جيلنا المعاصر ، وان كنت أعتقد في الوقت نفسه ان هذا الموضوع يحتاج الى كتاب باكمله ليمكن رسم صورة واضحة الملامح والخطوط لثورة ١٩١٩ . ويتحدث كاتبنا في هذا الفصل ايضا عن رؤساء تحرير الصحف حينئذ امثال داود بركات . خليل ثابت . أمين الرافعي . عبد القادر حمزة . حسين هيكل ... الخ .

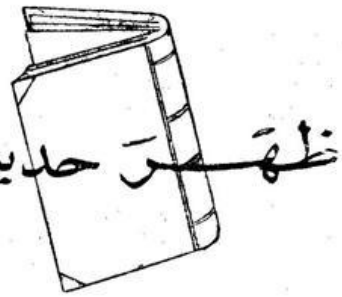
وفي الباب السابع يتحدث عن دخائل الصحافة في مرحلة ما بين الحربين ويوضح أثر الاحتلال في الادب والصحافة ثم حديث عن صناعة الاخبار وأثر اللبنانيين في الصحافة ومحاكمات الصحف .. والاخطاء المطبعية . اما الباب الثامن فيتحدث عن تطور الصحافة الاسبوعية بما فيها صحافة النقد السياسي الساخر كروز اليوسف والكشكول .. ويشير اشارة موجزة الى الكاريكاتور والصحف الهزلية ، مع حديث أكثر ايجازا عن صحافة الادب والثقافة .. وان كان المؤلف أحالنا الى كتابه « النثر العربي المعاصر » . والباب التاسع مقصور على الكتاب المصاحفين أي الذين يكتبون المقالات للصحف فقط ولا يتدخلون في صميم العمل الصحفي ، ويتضمن الباب العاشر قضايا وملامح شغلت المجتمع المصري آنئذ وميزته مثل قضية تحرير المرأة وانشاء بنك مصر .. والاغاني الشعبية والطرق الصوفية ... الخ .

ولقد تأثرت جدا بتلك الرسالة التي كتبها مصطفى كامل لمدام جولييت آدم وأورد المؤلف بعضا منها في الفصل المعقود للحديث عن تلك الكاتبة الفرنسية الممتازة ، وتمنيت لو عرض المؤلف رسائل من مصطفى كامل وجولييت آدم كاملة .. فهي تراث رائع يمثل مرحلة من مراحل الوطنية لقائدها في ذلك الزمن .. اعني مصطفى كامل .

ولي ملاحظة على الكتاب وهي ملاحظة شكلية تختص بالاخطاء المطبعية . فالكتاب مليء بالاخطاء المطبعية الكثيرة التي تدل على اهمال واضح . واعتقد ان عملا ضخما مثل هذه الموسوعة يجب ان يراعى الاهتمام بشكله الخارجي .

أخيرا .. أتمنى لاستاذنا أنور الجندي السير في هذا الدرب الجاد الى منتهاه حتى تصبح الصورة الادبية عن عصرنا الحديث أكثر جلاء ووضوحا .

دمنهور ـ مصر — حلمي محمد القاعود



- امارة بهدينان العباسية ـ تأليف محفوظ العباسي ـ تقديم الدكتور محمد صديق الجليلي وسعيد الديوه‌جي ويوسف يعقوب مسكوني ـ ٢٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجمهورية بالموصل .
- اجراس اليوم الثالث ـ مجموعة شعرية ـ اديب صعب ـ مصمم الغلاف وهيب بتديني ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة النجوي ببيروت .
- رندة ـ مجموعة شعرية ـ ميخائيل ابو عقدة ـ ١٨٤ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .
- الكعديات ـ ديوان شعر ـ للشاعر المهجري جورج كعدي ـ تقديم كعدي كعدي ـ الجزء الثاني ـ ٢٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة فاندوم ببيروت .
- بدءا من حزيران ـ مجموعةشعرية ـ خالد محيي‌الدين البرادعي ـ تقديم شاكر مصطفى ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية بالكويت .
- مي زيادة في حياتها وآثارها ـ تأليف وداد سكاكيني ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة .
- اغاني المزرعة ـ ديوان شعر ـ الدكتور سليمان داود عميد جامعة الادب العربي في اميركا الشمالية وكندا ـ تقديم شاكر الدبس ـ بسان باولو البرازيل ـ الجزء الاول ـ ٤٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الريحاني للطباعةوالنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)
- جمال المرأة عند العرب ـ تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد ـ طبعة ثانية موسعة ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ مطابع الامان بدرعون لبنان .
- المختار من المخطوطات العربية في الاستانة ـ نشرها وعلق عليها الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين ـ تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ مطابع الامان بدرعون لبنان .
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونغرس واشنطن ـ وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ مطابع منيمنة الحديثة ببيروت .
- بحوث فلسفية ـ تأليف ندره اليازجي ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .
- فخر الدين ـ مسرحية في خمسة فصول ـ تأليف صلاح مطر ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .
- صحراء الحب ـ رواية ـ تأليف فرنسوا مورياك ـ ترجمة ناديا شعبان ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .
- تاريخ الحضارات العام ـ الجزء السادس ـ القرن التاسع عشر ـ تأليف روبير شنيرب ـ ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر ـ ٧٢٠ صفحة ـ مع لوحات تاريخية ووثائق ـ حجم موسوعي ـ مجلد بقماش ـ منشوراتعويدات ببيروت ـ مطابع منشوراتعويدات ببيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـا ابنـتي

الياس خليل زخريا

★

« مهداة الى ابنتي الكبرى « كاتيا » التـي ظفرت امس في احـدى المباراة العامـة (الادبيـة ـ الجغرافيـة ـ التاريخية) بين طلاب لبنان الثانويين وطالباته بالاولية مع كأس فضية ، ومدالية ذهب ، وعقـد اخضر ، ورحلـة طائرة في بعض نواحي الارض علـى المقلب الثاني مـن افياء البيت » .

★ ★ ★

يورق الغصن فتخضر أرض الدار
يكبر الحلم فتتجسد البركة
ينمو العطاء فتغتبط مفاصل النفس
وهذه السادسة عشرة من سبحة الزمن فـي عمرك

النضر هي فرحة العين في فسحة التضرع .

وتسأل عينه اليمين عينه الشمال عن تلك الصغيرة التي كانت النحيلة ، الفارقة فـي النحـافة ، تحمـل بشفتيها ، وجبهتها ، وجدائـل شعرهـا الطويـل امـل البيت كلـه .

... كيف كانت امها تحنو عليها حنو انامل الضوء في الغدو على حبات الطيب ، وتطري طراوة الماء علـى عطش السبيل الدائم .

وكيف قسا عودها ، فعلا ، وسمق ، وتملى .

وكيف امتد وجهها فتفكر وتأمـل ، ثـم تعمقت مقلتها فتمحى عليها في الشجى طرف الليل اللين .

وتجدلت جدائلها فأطلت بمآقي الزهر علـى كتفهـا المشرقة الرضية .

ثم كيف تفتح كتابها فتعددت صفحاتها ، وتعاركت فيه النزوات ، وتشابكت القضايا ، وبرزت قصة النوتي الهارب من قاعات بيته في خلجان القرية البحرية الـى سرداب بعيد ضيق ، او قد يكون ضيقا ، مـن سراديب المجهول في طموح القادر .

حكاية الظمآن الـذي ملت نفسه تدفق النهـر الصاخب فانسابت على الوحشة الى ساقية من سواقيه في الاطراف البعيدة من زواياه النائية .

ثم كيف ثارت ابنته متمردة فيه على ظله .

★

... حتى كتبه ، كتبه الكثيرة العديدة ، التـي عاش حلقات عمره بين اوراقها البيضاء والصفـراء فقـد ثقلت كلها على نهاراتها ولياليها حتى صارت كتبا عتيقـة قديمة ، قرضتها قارضة الزمن ، فهي لا تروي فيها ظمأ ولا تطفىء خطا ولا تطوي فاصلة ولا تنبسط في خيال .

حتى اسمه ، اسمه نفسه الذي بناه على الحرمان، بحبات من الدم ، والعرق ، والماء المقدس وعزيمة الانفة ، وهمة الاندفاع .

فقد سقط في هوامشها المنسية على حافة البـاب ومسقط السرير وشبه شفقة في خجل البنوة .

كانت لا تخطو خطوة الا ويدها في يـده ... ولا تأكل اللقمة الا اذا سواها لها علـى الزاد والدلال فـي ساعة الرضى والحنان .

... ولا تقرأ الحرف الا اذا علمها كيف تفتح شفتها على شفتها الاخرى وكيف يمتد نفسها فـي امتـداد السطر ، وينقبض في انقباض الجمل علـى حرارة المعنى وبرودة الانسياق .

وكانت لا تنام الا اذا ربت كتفها وغمـر بالقبـل راسها الساهر من شدة النعاس والقلق .

★

وتكبر ولم يكبر معها .

وتتمرد على ذاتها ولا يتمرد فيه شيء على شيء من ذاتـه .

تخالها انطلقت وحدها من الغيب .

تخالها انبثقت مبهما من مبهم .

وتخالها كانها لم تعد ابنته ، ولم يعد ذلك الـذي كانت تلقي برأسها على فتحة صدره خوفا مـن الشبح النائم في طرف الهمس على تحـرك الكرسي او نبـأة النافذة .

عجبا كيف يكبر الصغير ويصغر الكبير ؟!

كيف تصبح السنديانة العاليـة غرسـة طريئـة جديدة تعصف في وجه الريح دونما وجل ، حتـى اذا سألتها الشجرة الباسقة ، امهـا ، عن الشتاء الـذي تتكسر اضلاعها على اضلاعه تململت فـي التذمر وغرقت في الصمت واستخفت بالاعمدة العالية .

ويا ابنتي

علمتني امس ، وانت عائدة مع كأس الغلبة الـى البيت في مدخل المساء كيف يكون الغصن اكبـر مـن الشجرة ، وحبة الماء اكبر من البحر ، والولد اكبر مـن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذكر الحسن

هالني أن اسمع الناس يرددون قول الشاعر العباسي أبي فراس الحمداني :
معللتي بالوصل ! والموت دونه اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
دون ان يعلموا الحالة النفسية التي كان فيها الشاعر عندما نظم رائيته الخالدة

اذا مت ظمآنا ، فلا انجبس القطر ولا مات انسان صدى، وامحى العمر
ولا جف نبت في البلاد جميعها ولا عم محل بين أنيابه الفقر
ولا عطشت وحش الفلا ، وظباؤها ولا تاق في روض الى طله زهر
فان كان ماء القلب ينقذ مدنفا منحت دمي كيما يشد به الازر
لأقضي نحبي بعد ذلك راضيا بتضحيتي ، والطرف يبسم والثغر
فبدء حياة المرء من بعد موته اذا طاب في الافواه من فعله الذكر
وقد يصرع الورد المضرج خده ويبقى لدى الانسام من روحه العطر
ولو لم يجد زهر الربيع على الورى بأنفاسه ، ما بث أطيابه النشر
ولو لم يصر جسم السحائب أدمعا ليحيي الانام البر ، ما نبت البر
ولو لم يذب أهل القريض عقولهم لما فتن الدنيا بابداعه الشعر
وحين يضحي أسد فتح بروحهم سيقبل مختالا على العرب النصر
فما هذه الدنيا سوى الجود عابقا يهيم به التاريخ ، والمجد ، والدهر

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابيه ، والابنة المسرعة اكبر من امها الكبيرة .

احست امس ان الدنيا التي لا تثمر الثمر الطيب هي الدنيا المقفرة ، وان الرمل المحرق على الشمس الضائعة في مجاهل الصحراء هو الرمل الذي يعطش فيموت وحده في لهيبه وعطشه .

وان الغمامة التي لا تمطر هي الغمامة التي تذوب مع العمى في مجاهل الفضاء .

ويا ابنتي

نمت امس كما ينام النسر .

عين على القمة ، وعين على ذروة الجوزاء وجناح يصفق فوق في نعمة الظفر .

ويوم تضرعت ، فتحت صدري على اربع قبلات :

... واحدة طبعت على جبهتي كما تطبع الشمس لونها على زرقة العقل وجزيرة المحبة .

... وواحدة غناها قلبي كما يغني الماء السقسقة في جانبي الجدول الحالم في الجبل الحالم .

... وواحدة سكبتها يد العطاء على عتبة بيتي كما سكبت يد الايمان في ساحة الحي قبة الجرس المتعالي في قبة الكنيسة .

... وواحدة ابتدعتها اصابع الرقة والاناقة على حدائي العذب كما يمتد الاذان في الصباح المبكر الى مسامع الكون المتلفت .

اربع اغان غنتها لنا الدنيا على قيثارة الامل .

ويا ابنتي

ونسري ، وبيتنا على الشرفة ، وصدرنا على الشمس ، وقدمنا على الظلمة .

تحركي ، تحركي بنا ايتها الحكاية القديمة .

في خشبات السقف عنقود من التفاح والعنب

في طاقة القبو صرة من الفضة والاساور

في بئر الدار دلو صافية باردة

في كتاب السواعي الكبير اعمار مكدسة على اعمار

ويا ابنتي

اعقدي على عنقك هذا العقد الهندي الاخضر .

لم تحب امك من اللون الا اللون الاخضر

لم يغن ابوك في الارض من الارض الا الشجر الاخضر الممتد على الشجر الاخضر .

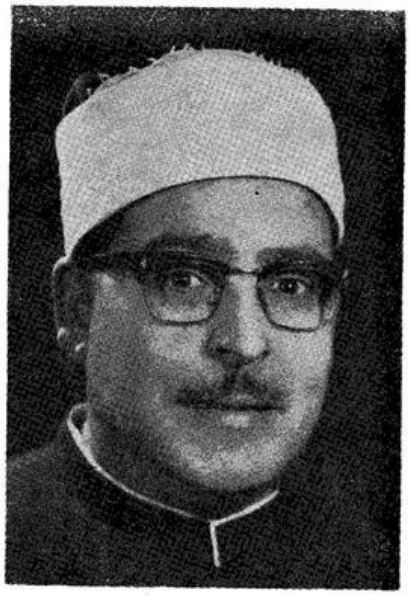
اسالي الربيع ،

فقد نسجتك امك بأناملها على صدري في ليلة من ليالي السخاء زنارا اخضر على خصرك القوي .

اشدك ولا اعيا

اضمك ولا اشبع

الياس خليل زخريا



الدكتور احمد الشرباصي

جولة مع ياقوت الحموي الاديب

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

على الرغم من المحامد التي نلحظها في شخصية ياقوت (*) ومع عرفانه حقوق سواه ، واقراره بفضل من سبقوه عليه فيما كتب والف ، نجد فيه نزعة الاعتزاز بالذات ، والافتخار بالاعمال ، فنحن مثلا نجده يفاخر بكتاب «معجم الادباء » ، وينوه بقيمه الكبيرة اوضح تنويه ، فيقول عنه : « ولو انصف اهل الادب لاستغنوا به عن المأكل والمشرب » . ثم يشير الى انه يخشى ضياع قيمة هذا الكتاب لسببين : اولهما انحراف الناس عن الحق وتوهمهم ان المملوك الرومي لا يستطيع الاتيان بشيء عبقري ، والسبب الاخر هو تقاصر همم الناس عن بلوغ مراتب الشرف التي تعرف صاحبها قيمة العمل الشريف ، وانكارهم الفضل على صاحبه . وكأن صاحبنا يريد ان يقول انه ليس هناك ما يمنع اتيانه بما لم يأت به ابناء جنسه من قبل . ولنستمع اليه و هو يقول عقب ما قدم مشيرا الى كتابه :

« ولكني اخاف ان يأتيه النقص من جهة زيادة فضله ، وان يقعد بقيام جده عظيم خطره ونبله ، واستشعر له امرين ، منبعهما من قلة الانصاف ، واجتناب الحق والانحراف ، احدهما ان يقال : هل هو الا تصنيف رومي مملوك ؟ وما عسى ان يأتي به ، وليس في ابناء جنسه له نظير ، وما كان في امته رجل خطير ؟ لاستيلاء التقليد ، على العالم والبليد ، فهم لاينظرون الى ما قيل ، انما يسألون عمن قال ، ونمم العون للعالم القئول ، حسن الاعتقاد والقبول .

والامر الاخر قصور الهمم ، الغالب على اكثرهم ، اذ كل همه تحصيل المأكول والملبوس ، ولا تسمو همته الى تشريف النفوس » .

ولقد كان ياقوت الحموي ذا صفات تقربه من حمى الادب ، وتصله بركب الادباء ، فهو رقيق العاطفة مرهف الحس ، يحمل نفسا زكية دراكة ، لا يدالس ولا يصانع ، يصدع بالحق ، ويصدق في الرواية ، ويقول ما يؤمن به ، رضي الناس ام كرهوا .

ولقد مرت به بعض التجارب العاطفية التي استجاب لجيشانها ، فصاغ فيها شعرا يدل على صدقه في تصوير ما مر عليه وشعر به ، فهو يحدثنا عن نفسه بأنه نزل في سنة ٦١٣ هـ مدينة نيسابور ــ ويقال لها الشاذياخ ــ فاستطابها ، وصادف بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته .

وهناك اشترى ياقوت جارية تركية جميلة ، بلغ من جمالها ان ظن ياقوت ان الله جل جلاله لم يخلق أجمل منها ، واحبها ياقوت واحبته . يقول : « ثم ابطرتني النعمة فاحتججت بضيق اليد فبعتها ، فامتنع علي القراد ، وجانبت المأكول والمشروب حتى اشرفت على البوار » .

واشار عليّه بعض الناصحين بأن يسترد الفتاة ممن اشتراها ، ويرد عليه ما دفعه ، وحاول ياقوت استرجاعها مجتهدا بكل ما يملك فلم يستطع ، لان الذي اشتراها كان ذا مال واسع ، وهو ايضا قد احب الجارية ، وصادفت من قلبه اكثر مما صادفت من قلب ياقوت ، ولكن الفتاة كانت تطوي قلبها على حب عنيف جارف لياقوت ، على الرغم مما فعل ، فطلبت ممن اشتراها ان يعيدها لياقوت ، والحت في طلبها حتى عاقبها .

وندم ياقوت لما فعل ، وتفجع لما حدث ، واستجاب لعاطفته وحنينه الى محبوبته ، فقال في ذلك شعرا لعله اجمل ما رأيناه لياقوت ، وهو شاعر مقل يتكلف النظم احيانا كما سبقت الاشارة الى ذلك . قال ياقوت :

ألا هل ليالي الشاذياخ تؤوب ؟ ... فاني اليها ما حييت طروب

بلاد بها تصبي الصبا ، ويشوقنا الـ ... شمال ، ويقتاد القلوب جنوب

لذاك فؤادي لا يزال مروعا ... ودمعي لفقدان الحبيب سكوب

ويوم فراق لم يرده ملالة ... محب ، ولم يجمع عليه حبيب

ولم يحد حاد بالرحيل ، ولم يزع ... عن الالف حزن ، او يحول كئيب

أئن ومن أهواه يسمع أنتي ... ويدعو غرامي وجده فيجيب

وابكي فيبكي مسعدا لي ، فليلتقي ... شهيق ، وانفاس له ، ونحيب

(*) انظر عدد مارس ١٩٦٩ من مجلة الاديب .

على أن دهري لم يزل مذ عرفته ... يشتت خلان الصفا ويريب
ألا يا حبيبا حال دون بهائه ... على القرب باب محكم ورقيب
فمن يصح من داء الخمار، فليس من ... خمار خمار للمحب طبيب
ينفسي أفدي من أحب وصاله ... ويهوى وصالي ميله ويثيب
ونبذل جهدينا لشمل يضمنا ... ويأبى زماني ، ان ذا لعجيب
وقد زعموا ان كل من جد واجد ... وما كل أقوال الرجال تصيب

وبعد ان يورد ياقوت القصة بعبارته في « معجم البلدان » يقول عقب شعره : « ثم لما ورد الغزالي خراسان ، وفعلوا بها الافاعيل في سنة ٥٤٨ هـ قدموا نيسابور فخربوها واحرقوها ، فتركوها تلالا ، فانتقل من بقي منهم الى الشاذياخ فعمروها ، فهي المدينة المعروفة بنيسابور في عصرنا هذا ، ثم خربها التتر لعنهم الله في سنة ٦١٧ هـ ، فلم يتركوا بها جدارا قائما ، فهي الان فيما بلغني تلول تبكي العيون الجامدة وتذكي في القلوب النيران الخامدة » .

وما دام حديث الشعر عند ياقوت قد جاء ، فلنتذكر انه كان مقلا للشعر ، وغلبت عليه الكتابة عن الادباء والعلماء والبلدان واللغة والتاريخ ، فاستبدت بأكبر جهده ، ولعله وجد في السجع نوعا من العوض عن الشعر ، ولذلك نراه يأتي بالسجع حتى في خلال حديثه التاريخي المحض ، ومن هنا لم يتفجر ينبوع الشعر القوي الاصيل عند ياقوت ، فهو يتكلف القطعة من الشعر هنا ، او يتعب فيها هناك ، وان اجاد احيانا فيه اجادة من يستعين بعقله وتفكيره اكثر من استعانته بلهب عاطفته واتقاد شعوره .

ومن شعره الابيات التالية التي يتغزل بها فيمن رمدت عينه ، فوضع عليها عصابة سوداء . قال ياقوت :

ومولد للترك تحسب وجهه ... بدرا يضيء سناه بالاشراق
أرخى على عينيه فضل وقاية ... ليرد فتنتها عن العشاق
تا الله لو ان السوابغ دونها ... نفذت ، فهل لوقاية من واق ؟

واسلوب ياقوت يمتاز بالمتانة مع الوضوح ، وان كان السجع يشيع فيه ، وكثير من هذا السجع حلو مستطاب لا يعاب ، وبعضه تبدو فيه الصنعة المتكلفة ، وهو في تراجمه يميل الى الاختصار والايجاز ، الا مع بعض الاشخاص الذين يرى لهم مكانة تستوجب البسط والتفصيل ، وهو ذو قدرة على تلوين هذه التراجم ، بذكر مراحل الحياة ، وتواريخ الولادة والوفاة ، وما يتعلق بالنسب والاسرة ، والتعليم والاساتذة ، والاشعار والاخبار ، والكتب والاثار . ولكننا نلاحظ افاضته وتطويله في طائفة من رسائله وكتاباته .

ولعل احسن نموذج يعرض امامنا اسلوب ياقوت وسجعه الطويل النفس هو تلك الرسالة التي وصف فيها احواله ومتاعب حياته ، ووجهها الى الوزير جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب حينئذ ، وتوسع توسعا شديدا فيما اورده من مدح فيها . وهذا هو صدر الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ادام الله على العلم واهليه ، والاسلام وبنيه ، ما سوغهم وحباهم ، ومنحهم واعطاهم ، من سبوغ ظل المولى الوزير اعز الله انصاره ، وضاعف مجده واقتداره ، ونصر الويته واعلامه ، واجرى باجراء الارزاق في الافاق اقلامه ، واطال بقاه ، ورفع الى عليين علاه ، في نعمة لا يبلى جديدها ، ولا يحصى عددها ولا عديدها ، ولا ينتهي الى غاية مديدها ، ولا يفل حدها ولا حديدها ، ولا يقل وادها ووديدها .

وادام دولته للدنيا والدين ، يلم شعثه ، ويهزم كرثه ، ويرفع مناره ، ويحسن بحسن اثره اثاره ، وينير نواره ، ويضاعف انواره ، واسبغ ظله للعلوم واهليها ، وللآداب ومنتحليها ، والفضائل وحامليها يشيد بمشيد فضله بنيانها ، ويرصع بناصع مجده تيجانها ، ويروض بيانع علائه زمانها ، ويعظم بعلومه الشريفة بين البرية شأنها ، ويمكن في اعلى درج الاستحقاق امكانها ومكانها .

ويرفع بنفاذ الامر قدره للدول الاسلامية ، والقواعد الدينية ، يسوس قواعدها ، ويعين مساعدها ، ويهين معاندها ، ويعضد بحسن الايالة معاضدها ، وينهج بجميل المقاصد مقاصدها ، حتى يعود حسن تدبيره غرة في جبهة الزمان ، وسنة يقتدى بها من طبع على العدل والاحسان ، يكون اجرها ما دام الملوان ، وكر الجديدان ، وما اشرقت من الشرق شمس ، وارتاحت الى مناجاة حضرته الباهرة نفس .

وبعد ، فالمملوك ينهى الى المقر العالي المولوي ، والمحل الاكرم العلي ، ادام الله سعادته مشرقة النور ، مبلغة السول ، واضحة الغرر ، بادية الحجول ، ما هو مكتف بالاريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحتها من صفاء الاراء عن امضاء قلمه لايضاحه وبيانه ، قد احسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين : (وان من امتي لكلمين) وهو شرح ما يعتقده من الولاء ، ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء .

وقد كفته تلك الالمعية عن الاظهار المشبه بالملق مما تجنه الطوية ، لان دلائل علو المملوك في دين ولائه في الافاق واضحة ، وطبيعة سكة اخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة ، وايمانه بشرائع الفضل الذي طبق الافاق حتى اصبح بناء المكارم متين (١) ، وتلاوته لاحاديث المجد القريبة الاسانيد بالمشاهد لديه مبين ، ودعاء اهل الافاق الى المغالاة في الايمان بامامة فضله الذي تلقاه باليمين ، وتصديقه بملة سؤدده ، الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده ، وضم مبدده بعرق الجبين ، حتى قد اصبح للفضل كعبة ، لم يفرض حجها على من

استطاع اليه السبيل ، ويقتصر بقصدها على ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل ، فان لكل منهم حظا يستمده ، ونصيبا يستعد به ويقيده ، فللعظماء الشرف الضخم من معينه ، وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه (٢) ، وللفقراء توقيع الامان من نوائب الدهر وعض جفونه ، وفرضوا من مناسكه للبهجة الشريفة السلام والتبجيل ، وللكف البسيطة (٣) الاستلام والتقبيل » .

وجاء في ختام الرسالة ما يلي :

« والمملوك الان بالموصل مقيم ، معالج لما حز به من هذا الامر المقيم ، يزجي وقته ، ويمارس حرفته وبخته ، وتكاد تقول له باللسان القويم : « تا الله اني لفي ضلالك القديم » .

يذيب نفسه في تحصيل اغراض ، هي لعمر الله اعراض ، من صحف يكتبها ، واوراق يستصحبها ، نصبه فيها طويل ، واستمتاعه بها قليل ، ثم الرحيل .

وقد عزم بعد قضاء نهمته ، وبلوغ بعض وطر قرونته (٤) ، ان يستمد التوفيق ، ويركب سنن الطريق ، عساه ان يبلغ امنيته من المثول بالحضرة ، واتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ، ويلقى عصا الترحال بفنائها الفسيح ، ويقيم تحت ظل كنفها ، الى ان يصادفه الاجل المريح ، وينظم نفسه في سلك مماليكها بحضرتها ، كما ينتمي اليها في غيبتها ، ان مدت السعادة بضبعه ، وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه .

فقد ضعفت قواه عن درك الامال ، وعجز عن معاركة الزمان والنزال ، اذ ضمت البسيطة اخوانه ، وحجب الجديدان اقرانه ، ونزل المشيب بعذاره ، وضعفت قوى اوتاره ، وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه ، وتبدلت محاسنه عند احبابه مساوىء وخصصة (٥) ، واكب نهار الحلم على ليل الجهل فوقصه ، واستعاض من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب :

وشباب بان مني ، وانقضي ... قبل ان اقضي منه أربي
ما أرجى بعده الا الفنا ... ضيق الشيب على مطلبي

ولقد ندب الملوك ايام الشباب بهذه الابيات ، وما اقل غناء الباكي على من عد في الرفات :

تنكر لي مذشبت دهري، فاصبحت ... معارفه عندي من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صبابة ... وجادت شئون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسن ما مضى ... ويوسعني من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كاس مشربي ... سوى جرع في قعره كدرات
وكل اناء صفوه في ابتدائه ... ويرسب في عقباه كل قذاة

والمملوك يتيقن انه لا يتفق لهذا القدر الذي مضى ، الا النظر اليه بعين الرضا ، ولرأي المولى الوزير الصاحب ـ كهف الورى في المشارق والمغارب ـ فيما يلاحظ بعادة مجده ، مزيد مناقب ومراقب ، والسلام (٦) . »

مع الرسالة

هذا جزء من رسالة ياقوت الحموي الى الوزير علي ابن يوسف القفطي ،وهي رسالة طويلة ممتدة ، وقدحرص ابن خلكان على نقلها بأكملها حين ترجم لياقوت في الجزء الثاني من كتاب « وفيات الاعيان » ، ثم قال بعد اتمامها : ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ، ولم يمكن قطعها . » اي ان ابن خلكان لم يشأ ان يسوق ترجمة ياقوت دون أن يسوق معهاهذهالرسالة بتمامها ، مع ان حجم الرسالة بالنسبة الى الترجمة التي اوردها لياقوت يزيد على الضعف .. ونستطيع ان نضيف في تسويغ اثباتها ان عصرها الادبي قد عرف الكثير من الرسائل ككتاب « صبح الاعشى » للقلقشندي فنجد نماذج لرسائل مطولة .

فنحن نستطيع ان نقول ان هذه الرسالة تعطينا ملامح عن كتابة الرسائل في عصرها من نواح كثيرة ، فالوقوف عليها ، مع دراستها ، يعاون على التعرف الى طائفة من هذه الملامح ، وهذا التعرف يسهم في وضوح الدراسة لهذا العصر .

وقد كتب ياقوت رسالته الى القفطي من مدينة « الموصل » بعد هروب ياقوت من هجمة التتار ـ وكان حينئذ في خوارزم ـ وهو يصف فيها حاله ، وما جرى له معهم ، وكان ذلك سنة ٦١٧ هـ .

ويظهر ان الوقت الذي كتب فيه ياقوت رسالته كان أشد مرحلة من حياته مرت عليه ، اذ تعرض فيها لاكبر محنة اصابته ، وهي ابتلاؤه بهجوم التتار ، وخروجه من خوارزم فزعا مجردا من كل شيء ، نادما ما كان فيه من عيش رغيد ، وما تعرض له الاسلام والوطن من احتلال وعدوان ، ولذلك ركز ياقوت تركيزا واضحا على وصف حالته الشديدة في هذه المدة في رسالته الى القفطي .

ولقد اشار ابن العماد الحنبلي صاحب « شذرات الذهب » حين ترجم لياقوت في الجزء الخامس من كتابه الى قسوة هذه الشدة ، فقال عنه : « ووصل الى خوارزم ، فصادف خروج التتار ، فانهزم بنفسه ، كبعثه يوم الحشر من رمسه ، وقاسى في طريقه من الضائقة والتعب ، ما يكل اللسان عن شرحه ، ووصل الى الموصل ، وقد تقطعت به الاسباب » .

ويخبرنا ياقوت انه بعد ان كتب هذه الرسالة سنة ٦١٧ هـ احجم عن اطلاع القفطي عليها : « اعظاما وتهيبا ، وفرارا من قصورها عن طوله (٧) وتجنبا » حتى اطلع

(١) التقدير : وايمانه متين بشرائع الفضل ... الخ . والعبارة فيها تعقيد . (٢) قطينه : موطنه . (٣) البسيطة : المبسوطة بالعطاء . (٤) قرونته : نفسه . (٥) خصصة : فقر وحاجة . (٦) تراجع الرسالة بأكملها في معجم الادباء ، ج١ ص ٢٤ ـ ٣٩ طبعة دار المأمون . (٧) الطول : ـ بفتح فسكون ـ الفضل والسعة . وتطول عليهم : أمتن . (٨) الحرفة : ـ بضم فسكون ـ الحرمان . والحرفة : ـ بكسر فسكون ـ الصنعة . والسدفة : الظلمة ، والطائفة من الليل .

عليها جماعة من منتحلي الادب . وتهافتوا على نقلها . فتسجعه ذلك على عرضها .

ولا يتضح امامنا سبب لهذا الاحجام الذي اعقبه الاقدام ، واطلاع هؤلاء على الرسالة لا ينهض دافعا مقبولا الى هذا الاقدام ، فلعل ياقوت « يلف ويدور » بذكر هذا.

ونحن نلحظ بيسر ان صاحبنا مفتون بمدح القفطي، موسع في الثناء عليه ، ملح في التقدير له ، فهو يترجم له ترجمه واسعة في نحو ثلاثين صفحة من معجمه ، ويدر تفاصيل بعضها غير مهم عن اسرته وابيه وامه وطفولته ، وهو يضفي على القفطي في رسالته اليه مجموعة من الالقاب الفخمة ، والعصر غير بعيد من هذه العاده ، فيذكر عنه هذه الالقاب : « الوزير ، القاضي ، الاكرم ، وزير صاحب حلب والعواصم ، المولى ، المقر العالي المولوي ، المحل الاكرم العلي ، الحضرة الشريفة ، الجناب الشريف ، مقر العز اللباب ، الفضل المنيف ، المولى الوزير الصاحب ، كهف الورى في المشارق والمغارب » .

وهو يكرر له الدعاء موقرا ، بمثل قوله : « ادام الله علوه » . وقوله : «اطال الله بقاءه » . وقوله : « ادام الله عزه » .

ويصف ياقوت اجتماعه بخدمة القفطي في حلب ، فيورد في ذلك عبارة تفيض ثناء جما ، يقول فيها : « اجتمعت بخدمته في حلب ، فوجدته جم الفضل ، كثير النبل ، عظيم القدر ، سمح الكف ، طلق الوجه ، حلو البشاشة ، وكنت الازم منزله ، ويحضر اهل الفضل وارباب العلم ، فما رايت احدا فاتحه في فن من فنون العلم ، كالنحو واللغة والفقه والحديث والقرآن ، والاصول والمنطق ، والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ، والجرح والتعديل ، وجميع فنون العلم على الاطلاق الا قام به احسن قيام ، وانتظم في وسط عقدهم احسن انتظام » .

ومن مظاهر اعزاز ياقوت للقفطي واجلاله لمكانته انه اهدى اليه كتابه « معجم البلدان » ، فأطال في عبارة الاهداء ، واثنى كثيرا وواسعا عليه ، ويظهر ان القفطي كان صاحب فضل كبير على ياقوت ، حيث انقذه من متاعبه ، وآواه الى جناحه ، واحسن اليه واكرمه ، وافاء عليه الغامر الباهر من معروفه وبره ، وها هو ذا ياقوت يقول :

« ثم اهديت هذه النسخة بخطي الى خزانة مولانا الصاحب الكبير ، العالم الجليل الخطير ، ذي الفضل البارع ، والافضال الشائع ، والمحتد الاصيل ، والمجد الاثيل ، والعزة القعساء ، والرتبة الشماء ، الفائز من المكارم بالقدح المعلى ، المتقلد من المكارم بالصارم المحلى ، امام الفضلاء وسيد الوزراء ، السيد الاجل الاعظم ، القاضي جمال الدين الاكرم ، ابي الحسن علي بن يوسف ابن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم التيمي ، حرس الله مجده ، واسبغ ظله ، واهلك نده ، ونصر جنده ، وهزم ضده ، اذ كنت منذ وجدت في حل وترحال ، ومبارزة للزمان ونزال ، اسأل منه سلما ، ولا يزيدني الا هضما :

فلم اقضت نفسي من السير ما قضت على ما بلت من شدة وليان

بعد طول مكابدة حرفة الحرفة (٨) ، وانتظار تبلج ظلام الحظ يوما من سدفة :

علقت بحبل من حبال ابن يوسف امنت به من طارق الحدثان

فرد عني صرف الدهر والمحن ، ورفه خاطري عن معاندة الزمن ، لما :

تغطيت عن دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري ، وليس يراني

فأصبحت من كنفه في حرز حريز ، ومن احسانه وتكرمه في موطن عزيز :

فلو تسأل الايام عني لما درت وأين مكاني ؟ ما عرفن مكاني

اذ كان ــ ادام الله علوه ــ علم العلم في زماننا ، وعين اعيان اهل عصرنا واواننا ، واعدت اليه ما استفدت منه ، وروى عني ما رويت عنه ، فأحسن الله عنا جزاءه ، وادام عزه وعلاءه ، بمحمد وآله الكرام » .

وعندي ان ياقوت الحموي قد اسرف في المدح ، وتوسع في الثناء على القفطي ، وليس معنى ذلك ان القفطي غير جدير بالثناء ، ولكن ياقوت خاط من الثناء الكثير حللا فضفاضة ، لا يفهم القارىء المنصف منها ارادة التقدير من ياقوت للقفطي ، وانما يفهم منها تلمس اسباب الزلفى الى الوزير المتمكن من جاهه ، وان كان هذا امرا ربما يستساغ من طالب قوت او مستجدي عطاء ، فانه لا يليق بياقوت المعجب بنفسه المدل بمكانته بين الناس .

ولعل لنا عودة الى بقية حديث عن ياقوت .

القاهرة — احمد الشرباصي

جفاف

ملاوات ضاعت بها ذكرياتي
كان ليس لي قط من ذكريات
كان ليس يعمر قلبي هوى
وليست تهز شعوري الحياة
أجف جفاف السواقي بواد
يخد بارض عراء موات
طوى الظمأ المستجيش ثراه
فغرغر في أعيني ثم مات

احمد ابو سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وراء السراب

من ديوان « أفواف الزهر »

*

وكنت .. وكنت .. وكان الهوى — على غفوة من رصيد القدر
وكنت أنا عنك في غفلة — اخالك من بعض هذا البشر
ولم أك بعد سوى غرة — وان كنت جاوزت حد الصغر
وأحسست في خافقي هزة — تلاشى كياني بها وانحسر
وألفيتني غير تلك التي .. ! — وأنكرت امسي كأن قد غبر
وتهت أنا في ضباب السنين — وغامت رؤى .. وتجلت صور
وأنكرتني وانا لم أزل — على الدرب أبحث لي عن أثر
ودربي علي سبيل سوي — سوي به الصعب والمنحدر

وقلت لعيني ثم انثنيت — تكاتمني بعض ما قد ظهر ..
وقلت لعينيك ثم انطويت — على السر ادفنه في حذر ..
ومست يداك يدي للوداع — ومرت ليال وجاءت أخر
وعز علينا اللقا فانثنيت — ولا أمل ثم او مصطبر ..
وخب بنا الركب .. ركب الزمان — يباعد ثم يعفي الاثر
وما زال يسعى بنا سعيه — أما آن ان يرعوي او يقر

وكنت .. وكنت .. وكان اللقاء — على غفلة من رقيب القدر
وقلت لقلبي .. فكان الجواب — تتمتمه خلجات النظر
ومست يداك يدي للبقاء — على العهد ما امتد فينا العمر
واقسم قلبي يمين الولاء — وآلى على نفسه ان يبر

وكنت .. وكنت .. وكان الفداء — لقلبك قلبي .. وضاع العمر
وعشت على الوهم دنيا هراء — وخلب برق وطيفا يمر
أقول عسى ولعل الرجاء — يطالعني عبر هذي الصور
وما زلت .. ألهث أقفو السراب — ولما يلح نبعي المنتظر

جامعة بغداد — عاتكة الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

قلادة من شوك

بقلم رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



التقت الجريدة الصباحية من يدها بسرعة .. وبدأت تهيء نفسها لمغادرة مكتبها ..

وفي الطريق .. ازدحمت الافكار في ذهنها .. وزحفت عليها مشاعر مختلفة من القلق والحيرة .. والاستياء ..

واستقلت (تاكسي) .. وانطلق بها ..

في رحاب الجامعة .. وامام مبنى كلية الآداب.. وقفت «كريمة» تلتهم في عصبية الكشوف المعلقة التي تحمل اسماء الناجحين والناجحات في (الليسانس) .. وما كادت تطالع اسمها في قائمة الناجحين حتى خارت قواها ..

ولما افاقت .. طافت بنظراتها فيما حولها .. فوجدت نفسها في غرفة مشرفة الكلية ..

وانفض الجمع المحتشد الذي كان يلتف حولها داخل الغرفة للاستفسار عن صحتها .. وبعد ان احتست « كريمة» بعض الماء من الكوب الذي قدمته اليها المشرفة.. قالت بصوت رقيق :

ـ شكرا لك يا اختاه .. ماذا حدث بربك خبريني ؟

فلاحت على شفتي المشرفة بسمة مشرقة اعطت لسمرتها جمالا هادئا واجابتها :

ـ لقد اغمي عليك .. ووقعت على الارض ونقلت الى هنا .. وانا أسألك بدوري عما اذا كان لهذه الحالة سبب تعلمينه .. ام هي ازمة تلح عليك من وقت لآخر ؟

فقالت لها « كريمة » والدموع تملأ عينيها :

ـ الحقيقة ان هذه الازمة الاولى التي اتعرض لها .. ولعل مفاجأة النجاح كانت السبب المباشر لذلك .. اما وراء هذا النجاح فله قصة .. هل لديك متسع من الوقت لاقص عليك طرفا منها ؟

ـ ساكون سعيدة اذا ما سمعت قصتك .. حتى اشاركك فصولها.

واعتدلت « كريمة » في جلستها وبدأت تروي فصول قصتها في ايجاز :

ـ كنت زوجة سعيدة كل السعادة .. يرفرف الحب علينا بجناحيه.. وكل يوم يمر بنا كنا نعتبره يوما جديدا من « شهر العسل ».. وكان زوجي يعمل محاميا في شركة .. يعمل من الصباح الى المساء وعندما يعود متعبا من كثرة العمل .. ومن زحمة المواصلات .. كنت اخفف عنه الكثير واعوض تعبه بكل ما في وسعي ..

وقد فاتحني زوجي بعد الشهور الاولى من حياتنا الزوجية في ان التحق بأحدى المدارس الليلية لمواصلة تعليمي الثانوي الذي توقف بسبب الزواج واعتكافي بالمنزل لمباشرة الواجبات التي تفرضها ظروف البيت الذي انا ربته .. وحينما افهمته انني ربما لا أوفق في الجمع بين البيت والاستذكار.. اصر على موقفه وقال لي :

ـ لا بد لك من مواصلة التعليم وازجاء وقت الفراغ فيما يعود عليك بالخير الذي احبه لك .. واعتقد ان مهارتك ستجعلك موفقة بين المدرسة والبيت ..

ولذلك .. قبلته شاكرة صنعه..

وبدأت حياتي الدراسية من جديد..

وكان زوجي يقوم دائما بمساعدتي في استذكار دروسي وتقويتي في اللغات الاجنبية التي كان يجيدها أجادة تامة .. اذا ما سمحت له الظروف بذلك ..

وكنا قد اتفقنا معا خلال حياتنا الزوجية على عدم الانجاب لفترة زمنية معينة حتى تتهيأ لنا الظروف التي تسمح لنا بالانجاب ..

مرت ثلاث سنوات .. وفي الشهور الاخيرة من السنة الدراسية الثالثة .. شعرت بتغير غريب طرأ فجأة على تصرفات زوجي .. السهر حتى منتصف الليل .. عدم مساعدتي في استذكار دروسي .. متعللا بأوهى الاسباب .. ولم يقتصر الامر على ذلك بل بدأ يتخلف عن مشاركة غدائنا ظهرا كما تعودنا ..

ثم اهتمامه بمظهره الخارجي بصورة تبعث في الشك .. ومما اثار ظنوني خاصة وقد اهملني من كل حق من حقوقي الزوجية .. واضحى البيت امام عيني مقبرة .. والعيش جحيما لا يطاق .. اذ احسست بالفراغ الهائل يجثم على صدري ويطوق جيدي بقلادة من شوك ..

ولشدة حبي له كنت أخشى ان أسأله عن سبب تغيره .. خشية ان يغضب مني او يثور في وجهي .. وحتى آخر لحظة من حياتنا .. كنت واثقة منه كل الثقة .. الى ان جاء ذلك اليوم .. وآه من ذلك اليوم لقد غير كل شيء فقد أحال حياتي الى نار موقدة وصيرها رمادا تعبث به رياح اليأس واعاصير الظنون ..

آه من ذلك اليوم الذي سألت فيه عنه .. في كل مكان أعرف انه يلجأ اليه ويطمئن لديه .. ثم الشركة التي كان يعمل فيها .. فلم اجده وعلمت بأنه منذ ثلاثة اشهر قد الغى كل ما يتصل بعمله المسائي ..

وبدأت الغيرة تحوم حول ذهني وتلهبني بسوط من العذاب .. وشبح الثانوية العامة يطرق باب احساسي ومشاعري .. والوساوس تطاردني من هنا وهناك .. الامتحان يقترب .. يقترب.. وبدأت تخيفني اطياف الحرمان .. ولما فاض بي الكيل .. ولم يعد هناك محل للصبر .. ثرت .. صارحته بكل شيء ..

وعلمت وقتئذ سبب ذلك الجفاف العاطفي الذي دمر حياتنا المنزلية فلفني الذهول وانقبض قلبي عندما فاجأني قائلا .. بأنه خدعني عندما تزوجني .. فلقد كان زوجا لاخرى وقد انجب منها طفلة ولظروف خارجة عن ارادته طلقها وترك معها طفلته الرضيع .. وتزوجني واقسم انه رأى السعادة معي في خلال الاعوام الثلاثة ..

ثم التقى بها بعد كل هذه المدة الطويلة من الاعوام .. وفي الطريق ومعها الطفلة .. ابنته التي غدت حسناء .. عاد الحنين اليه من جديد .. ومن ثم فكر في الرجوع الى زوجته الاولى من اجل حياة أفضل لهذه الصغيرة ... وعاد بالفعل الى زوجته الاولى ..

وعندما قلت له : وانا ..

ـ انني اعرف ظروفك القاسية .. واقدرها ولكن ظروفي المالية لا تسمح بأن أعول اسرتين ..

ـ اذن افهم من ذلك انك تنوي طلاقي ..

ـ نعم كذلك .. بكل أسف ..

ـ لقد فكرت في نفسك فقط .. ولم تفكر في .. ماذا فعلت لك لادفع الثمن غاليا ولوحدي .. كيف اواجه الناس .. واين اعيش ؟ انك تعرف ان امي مريضة بمرض لم تشف منه الا لتعيش بقية عمرها في ظلامه العاتي .. وزوجها .. ينفق عليها كل قرش يدخل جيبه .. انني لا اسمح لنفسي ان اعيش معهما بهذه الصورة فيكفي زوج امي ما ينفقه عليها .. وغير المتاعب التي حلت به من أجلها ...

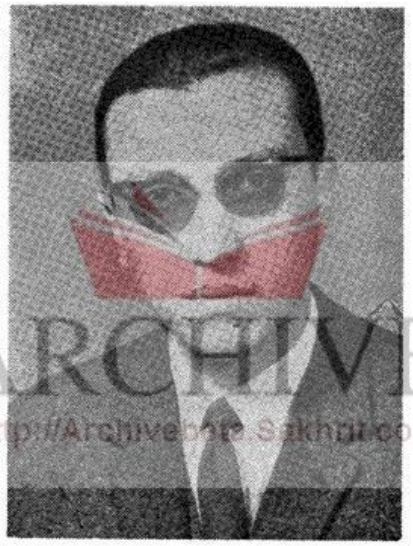
وبكل قسوة صرخت في وجهه قائلة :

ـ الى أين اذهب .. اين اذهب ؟

وقد رد زوجي في هدوء عميق وواجه ثورتي بابتسامة عريضة وقال :

ـ انني لن اطلقك الآن .. وانت على ابواب امتحانات .. ساقف بجانبك حتى تنجحي هذه السنة الدراسية وتؤهلك شهادتك لعمل مناسب ترتزقين منه .. ثم ..

وكتمت انفاسي بشهقات ..



رستم كيلاني

●

وغادر البيت ..

وعشت اسبوعا في حيرة .. وقلق المصير المجهول الذي ينتظرني.

ودست على كرامتي .. وظللت اذاكر .. كنت اذاكر في همة .. وعزيمة قوية .. وبدأت الامتحان.. وانتهى اليوم الاول.. ويليه اليوم الثاني .. ثم اليوم الثالث ..

حتى جاء اليوم الاخير ..

وقبل نزولي الى لجنة الامتحان .. قال لي بصوت عال :

ـ لقد تحملت الكثير من أجل مصاريف دراستك .. فكفى ذلك .. اليوم حاولي ان تتصرفي وان تذهبي الى والدتك ..

فقلت له :

ـ لقد وعدتني انك ستقف بجانبي حتى انجح هذا العام ..

ـ كنت مخطئا في اصدار قولي .. ان ابنتي في أمس الحاجة الي اكثر منك ..

وغلى الدم في عروقي.. وهبطت الدرج وكأنها مطارق تعمل في راسي ..

وفي اللحظات الاخيرة من الامتحان تسمر القلم في يدي .. وعجزت عن متابعة الاجابة على الاسئلة .. وتوقف ذهني .. فالقيت رأسي بين يدي ومرت امام عيني الاحداث كشريط سينمائي يعرض حياتي .. والطريق المظلم الذي ينتظرني .. ولفني الذهول لحظات ..

ثم بدأت دموعي ساخنة تنساب من عيني .. وتتساقط على كراسة الاجابة ولبثت على هذا الوضع لحظات حتى شعرت بيد رحيمة تربت على كتفي ...

فالتفت الى مصدرها.. فوجدت يد مراقب اللجنة .. كان رجلا ازهريا ملتحيا .. فيه هيبة .. وعليه وقار ..

وسألني عما بي ..

فوجدت في صوته الخافت الذي نفذ الى قلبي .. طمأنينة القلب وسكينة الروح .. وحنان الابوة التي حرمت منها سنوات حياتي ..

وحينما بدأت اقص عليه طرفا في كلمات سريعة من مأساتي هذه .. نظر الى ورقتي وقال لي :

ـ انك اجدت في الاجابة على ما مضى من الاسئلة واعتقد ان ما بقي منها تستطيعين الاجابة عليه بسهولة . فلديك قدرة واستعداد وبعد مغادرة اللجنة سأستمع الى قصتك.

وكان هذا الحديث المنساب في حنان بالغ قد أعاد الي الثقة بنفسي .. فطردت الاشباح الكئيبة التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارض الضنا

عرفتك فانكببت على جروحي
وبـدون رحمه
وبكل عنف ، كل نقمه
رحت اقتنصت طريدتي بيدي جريح
وبدون قلب دون روحي
شوهت ـ موجوع الحشا ـ وجه الذبيحة والذبيح
وبدون قبر او ضريح
تركت لتنهشها وحوش الطير في أرض الضنا
كانت أنـا

والتف حبك كالافاعي
فـوق التياعي
وامتص ماء العين مني والذراع
فصغرت حتى في ضياعي

وبكيت نفسي ، حاضري ، مستقبلي ، كل المضاع
ونشجت حتى لم يعد في ناظري ماء لساع

نظراتك الخضراء كانت لي بحيرة أمنيات
فهجرت حتى ذكرياتي
ومنحت برعمك الصغير هواي مزهو الهبات
وغرقت في عينيك، في شفتيك، في كل السمات
وفقدت امسي، حاضري، مستقبلي، معنى حياتي
فهجرت كالاعشاش في ليل الخريف
فمشى الشتاء لناظري ، الى يدي ، الى حروفي
فقصصت أجنحتي وعدت من الهوى بفم مدمى
لا املك الصبر الكبير ، ولا عن الآلام أعمى

بغداد — صفاء الحيدري

أحاطت بي .. وبدأت في استكمال الاجابة .. وبعـد الامتحـان .. لحقت بالشيخ فـي فناء المدرسة ورجوته في سماع قصتي .. ومـا ينصحني به ..

وبعد ما انتهيت من رواية قصتي .. او مأساتي .. مرت لحظة صمت .. ثم قال بصوته الرحيم :

ـ عليك بالصبر يـا ابنتي .. وخذي معك رقم تليفون منزلي .. وحاولي الاتصال بي غدا .. فربمـا يوفقنا الله عز وجل الى مـا فيه الخير ...

وبسرعة كتبت رقم التليفون .. على ورقة الاسئلـة .. وشعـرت براحة عميقة ..

وفي اليوم التالي تـم طلاقي .. وعدت الى بيت أمي مـن جديد .. وزوجها .. واتصلت في نفس اليوم بالشيخ ـ الاستاذ المراقب ـ الذي توسط لي فيما بعد فـي أن اعمل بالشركة التي انا فيها الآن وقد كنت موضع رعايته حتى الآن ..

وظللت فترة من الزمن في عذاب مرير .. وقلق دائـم .. وقمت أشارك في اعباء البيت المالية قـدر ما استطيع .. حتى لا احمـل زوج امي اكثر من طاقته ..

وقد تلاشى العذاب .. والقلـق .. شيئا فشيئا .. وذلك بعد اعلان نتيجة الامتحـان .. بنجاحي .. والتحقت بكلية الآداب ..

ومضت اربـع سنوات .. بـين الوظيفة.. واعمال التمريض لامي.. التي عانيت فيها اعمق الآلام .. بعد أن تركت لنا هذه الام الدنيا بمـا حملت ورحلت الى حيث الامان الى الرفيق الاعلى ..

لم يتسرب الي الملل .. او تهون من **عزيمتي مصيبة الموت** .. وبرودة الفراغ الذي يحيط بي .. فواصلت ما قطع من حبل المذاكرة ولم أفرط في دقيقة يمكن ان انفقها في تحصيل الدروس عـلى المستوى الـذي يرضيني ..

فتح كتاب .. واغلق كتاب .. وكانت عناية الله معي .. ونجحت **هذا العام بدرجة الامتياز** ..

وسكنت « كريمة » ثم استطردت قائلـة :

ـ انني لا أنسى فضل ذلـك الشيخ الذي بعث في الحياة بعد ان كاد تذوي .. كما انني لـن انسى بالرغم مما لقيت من مشقة وعـذاب فضل مطلقي الذي جعل مني انسانة متعلمة ..

فقاطعتها المشرفة قائلـة فـي استغراب ..

ـ اتقولين فضل مطلقك بعد ذلك العذاب الذي سببه لك ..

فسكتت « كريمة » برهة ولمعت الدموع في عينيها :

ـ نعم .. لن أنسى ان صاحب ذلك العذاب هو الذي شجعني فـي بادىء الامر على مواصلة تعليمي .. كما كان طلاقه لي حافزا قويا دفعني الى مواصلة تعليمي ايضا .. رغـم تلك الظروف النفسية التي احاطتني .. فلقد كان قلادة من شوك تطوق عنقي ، ولكنها في النهاية اهدت الي زهرة النجاح ..

القاهرة — **رستم كيلاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سليم عازار

بقلم شكر الله الجر

* * *

من طبيعة هذا الجبل المتمرد لبنان ، انه مصاب بمرض الطموح ، فكلما خفق في اوكاره جناح اطلقه للرياح ! وكأني به ، اخذ على نفسه عهدا ، بأن يفرس في كل زاوية من زوايا المعمور زهرة من زهور تربته ، او غصنا من اغصان ارزته .. حتى لكأنه « مشتلة » فتيان يوزعهم على جهات الدنيا الاربع ، ليكثروا وينموا ويتركوا في ارحام الشعوب قطرات من دمهم فتتبلور انسال وتزكو عبقريات ..

وليس ذلك بالحدث الجديد في تاريخنا نحن اللبنانيين . بل هذا دأبنا منذ عهد الملاح الاول ، الذي خرج بسفينته من على هذا الشاطىء الفينيقي يرود بها بحار العالم حتى يومنا الحاضر .

قوافل وقوافل من شبان هذا الوطن جرفتهم يد الاقدار الى المزبد الهدار ، فراح ينثرهم في كل رقعة من شمالي الارض وجنوبها . منهم من اسعده الحظ فعاد الى اهله وبلدته ، ومنهم من قسا عليه الدهر فأغمض عينيه في ارض هجرته .

ومن الذين ، ضاعت بهم عين الزمن على وسعها ، فحطمت سفينتهم على صخرة الاغتراب ، كان الشاعر البائس سليم عازار ، وليد القرنة الخضراء وهزارها الصداح في عهده .

ما قدر لي ان اعرف الشاعر وجها لوجه ، اذ بين غروب شمسه عن الدنيا واطلالتي على فجر الحياة مسافة من الزمن ، بيد اني لا اراني غريبا عنه ، وقد شدتني اليه آصرتان قويتان ، آصرة الشاعرية ، وآصرة الاغتراب ، وما يعانيه المغترب من غصص الحنين الى قومه وبلاده ، وما تجتره السنون من قلبه واعصابه ، وكفى بتينك الاصرتين شافعا يقيم له في نفسي ضجة من لواعج لاجدد من ذكره وانشر مناكب الجمال خصلا من شعره .

واني لاتمثله في خاطري وهو يتقلب على فراش الضنى في مدينة « حلوان » منزويا كئيبا يصارع الامه ويودع احلامه ، باكيا حظه من الحياة ، وفي قلبه حسرة وعلى لسانه هذه الندبة .

فواحربا على حظ كجنح الليل ـ واحربا ... ووأسفا على أدب يزيد تعاسة الادبا
بعصر ذلل الادباء حتى ذلل الادبا
فليتي لم انل ادبا وليتي لم أر الكتبا
وهذا بعض ما اشكو فعش رجبا تر عجبا

اجل هذا ما شكاه سليم من دهره وزمانه ، وهو كل ما شكاه ويشكوه ادباء هذا الشرق في امسهم الغابر ويومهم العابر ..

كان اول ما علق في خاطري من شعر العازار وانا في عهد طفولتي الادبية هذه الابيات التي اوحت الي في حينها بأن وراءها شاعرية فذة وشاعر مبدع .

جار الزمان فصرت يا نفسي تتقلبين تقلب الطقس
آنا على امل واونة في اليأس او اشقى من اليأس
عودي الى الماضي فقد عبست لما عبست معاهد الانس
اولا فكوني كيف شئت وما شئت افعليه فليس من يأس
لا خير في من ليس ذا ثقة من نفسه افهمت يا نفسي

واستمرت هذه الابيات على صورتها الشفافة البائسة تراود ذهني على مرور الايام ، لا اعرف لصاحبها شعرا سواها ، الى يوم عودتي من غربة جاوزت الثلاثين عاما ، واذا بي اقع على نتف من شعره موزعة على شفاه ادباء القرنة الخضراء ، وكأنها نتف الغمام على الاغصان ، فأقبلت بشغف عليها ، لما فيها من براءة وجمال قطفها الشاعر من ربيع قلبه ، ولعلها اصدق واصفى ما نبع من شاعريته في فجر شبابه .

وكم كان امتناني عظيما الى بعض الادباء من انسباء الشاعر ، اذ بسطوا لدي مجموعة صغيرة من شعره لاختار منها باقات ملونة، اضعها بدوري على مائدة الادب الكبرى، لينشق منها شباب اليوم عبير آلرومنسية المنعش ، لعلها تعود بنا الى عصرها الزاهر قبل ان يقضي جفاف الرمزية على العاطفة الاثيرية في النفس اللبنانية ؟

اجل لقد جاءتني قصائد الشاعر من يد كريمة امينة كما ذكرت ، وهي تقفز في حقول الزمن ، بعد غفوة طويلة في الضباب فمسحت عن وجهها غبار الليالي وتركتها تتكلم .

فكنت وانا مصغ الى بثها ونجواها ، احس كأن خيال صاحبها يلازمني ، ويدور من حولي ويتفرس في وجهي ، فرحت اربت على كتفه ، واداعب خصل شعره المذرور على جبينه ، وهو يبتسم ويقول « ليتني عشت الى ايامكم والتقينا » . قلت : « لو صح ما تشتهي وعشت الى ايامنا يا صاحبي لتمنيت الموت باكرا هربا من بربرية الانسان بأخيه الانسان ... » . قال : « ربما كان لي ما اقول واكثر من القول في عصركم العجيب الغريب » .

قلت : « نم هانئا في سمائك .. ان ما قلته لكثير بالنسبة الى خطواتك القصيرة على وجه الارض ، وهذا القليل الذي تركته من اشعة روحك في السطور لن

(*) سليم عازر ولد في « غزوز » من منطقة « بلاد جبيل » في لبنان عام ١٨٨٥ وتوفي في مدينة حلوان من اعمال مصر عام ١٩٠٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يزول ، وما ارخيته من ظلالك على جبين الادب لن يمحى .

ثلاث وعشرون سنة في عمر الزمان هي لا شيء . انها ومضة برق عابر ــ انها باقة زهر عاطر ، انفرطت من يمين الشاعر على ضفة نهر الموت ؟؟ ولكنها عنده هي كل محصوله من الدنيا . انها لاطول من الزمن وابعد .

« ولم ار بين الناس طرا كشاعر يعيش باعمارالنجوم ولا يدري »(١)

لقد جاء في اناشيد طاغور شاعر الهند الاكبر « ان الشاعرية بذرة سقطت من السماء على الارض فنمت بنموها الزمان واخصب المكان » .

ومن نعم الاقدار انه يوم تقسيم الفنون الجميلة ، على ابناء هذا الجبل الملهم لبنان ، شاءت ان تخص القرنة الخضراء من منطقة بلاد جبيل ببذرة من تلك البذور المباركة ، فاطلعت لنا نجوما في سماء القوافي قد ينكسف نور الشمس ولا ينكسف نورها وتنكفىء ينابيع الارض عن جريها ولا ينكفىء عن مسمع الدهر خريرها .

ومن شعراء القرنة هذه ، من اطلق جناحيه وطار ، فنزل ديارا غير هذه الديار ، ومنهم من لزم داره يدوزن اوتاره وينفخ مزماره ، ويغزل قوافيه من نياط قلبه وسواد عينيه .

وبينما كان فريق من ابناء « جبيل » ينقب في بطن الارض عن مخابىء الذهب ، كان فريق آخر من سكان مشارفها العالية ينقب في بطون الكتب ، عن معدن هو اسمى بكثير من الذهب واعني به الادب وهو تراث الامم المجيد وطريقها الى الخلود .. فقد تنقرض شعوب ، وتدول دويلات ، وتنزلق في دهاليز التاريخ اباطرة واكاسرة فلا يبقى سوى الادب خالدا .

« ليس من خالد وقد تذهب الدولات ــ غير البيان وابن البيان » (٢)

كان لشاعرنا في اوائل شبابه نزوات حرى ومطامع كبرى تضيق عنها بلاده الصغرى . فعصفت بصدره عاصفة الاغتراب كسواه من فتيان هذا الجبل وهو الاديب المثقف المتوثب حماسا ، المتطلع الى افاق جديدة وعوالم جديدة يكون فيها للحضارة البشرية لمعاتها وللمواهب العقلية وثباتها فيمم الولايات المتحدة الاميركية التي كانت وما برحت كعبة القصاد وقبلة رواد العلم في العالم ، وغايته الاولى ان يكمل في جامعاتها دراسة الطب التي بداها في جامعة بيروت الاميركية وهناك في ولاية « نيو جرسي » حل ضيفا عزيزا على اخيه الذي سبقه اليها بسنوات فكان لاطلاله على الجوالي العربية في تلك الاصقاع هزة من الطرب ، لا سيما ابناء لبنان ممن انفقوا ايامهم في تلك المهاجر النائية ، وما برحوا يحنون حنينهم الى وطنهم القديم ويحملون في قلوبهم وخيالهم صورا جميلة عن ايامهم فيه . فهللوا للزائر الاديب يحدثهم عن لبنان ويبهرج الحديث ، فاحبوه وانزلوه من احداقهم ونفوسهم منزلة التقدير ، لا سيما بعد ان قرأوا له في الجرائد العربية هناك بعضا من نفثاته الشعرية مثل جريدة « الهدى » و « مرآة الغرب » وسواها من الصحف . ونظرا لميوله الادبية الفلابة تحول عن طلب الطب الى الصحافة فأصدر جريدة « الزهرة » التي ما لبثت ان احتجبت عن العيان بعد جهاد ضنك وحرمان .. وكأني بالشاعر العربي الذي قال :

« وعند صفو الليالي يحدث الكدر » ما كان ليعني نفسه فحسب ، بل كان يعني الكثيرين سواه من رجال القلم والالم ، وفي جملتهم شاعرنا . اذ بينما كان يرتع مطمئنا الى اوساط اميركية مثقفة يجيد لغتها ، والى جالية لبنانية ينعم بتقديرها وعطفها ، تقطب له فجأة جبين الدهر وسدد اليه سهامه منتزعا اخاه من يديه ، فاغتم غمه وحزن حزنه عليه وان هي الا فترة حتى ظهرت على شاعرنا اعراض داء خبيث ، راح ينهش قواه ويقوض صباه ، فاستهول الاطباء امره ، فأشاروا عليه بالعودة للاستشفاء في مدينة حلوان من اعمال مصر ، وهي المشهورة بجودة مناخها ، يلجأ اليها المصابون بداء الصدر ، فلم ير المسكين بدا من الاذعان ، فترك الولايات المتحدة محطم النفس والجسد ، يرسل مع الغمائم السائرة في الفضاء تنهداته ويبث نجوم الليل حسراته وعيناه متجهتان الى حيث غيب احلامه ودفن مع اخيه في تراب الغربة اماله . ومن قوله :

ودع العالم الجديد كئيبا ... بدلا من وداعه بابتسامه
تاركا فيه لليالي حبيبا ... غيب الموت في ثراه عظامه

ما افجع احكام الاقدار واقساها . أمن غربة موجعة الى غربة اوجع ! من لبنان الى اميركا ، ومن اميركا الى حلوان ومن حلوان الى ظلمة القبر .

ما لهذا الغريب لا ينكفىء عن البكاء ، ما لهذا الشاعر البائس اينما مشى وكيفما اتجه يتعقبه شبح الموت يذرع في طريقه ضريحا بعد ضريح .. لقد غيب في تراب لبنان حبيبة كانت البسمة على شفتيه .. ثم غيب في تراب الغربة اخا كان ومضة الامل في مقلتيه ثم عاد يراوده عن نفسه قائلا له : لن يطول فراقك عن الحبيبين ؟ ها هو يتقلب على فراش السقم والسأم يئن انينه ويحن حنينه الى مشارف القرنة الخضراء ، الى ملاعب الطفولة والصبا مستعيدا ذكريات ايامه الزاهرة ، وليالية الساهرة في بيوتها العامرة بين فتيات هن كالملائكة طهرا وجمالا . وفتيان هم حرس العفاف حولهن .

هذه هي « غرزوز » العزيزة وما حولها من مزارع وقرى جميلة تهدر في خياله وتتمايل بين سمعه وبصره عرائس مجلوة في مواكب عزها ، ومهرجانات شعانينها ، ومباهج اعيادها وزغاريد افراحها . وكأني بها تهتف في

(١) من قصيدة لشكر الله الجر .
(٢) من قصيدة لشكر الله الجر .

روعه وتناديه ليعود اليها ـ الى ساح لهوه فيها ولكن هيهات .. لقد حالت الايام بينه وبينها وبين مجالس الشعر في لياليها فنسمعه يقول :

انفقت صفوي ولم اذخر لآخرتي ... الا التسلي بيا ايامنا عودى
وقد تعودت ان القى اسى باسى ... كالسيل يضرب جلمودا بجلمود

هذا شعر ايها القارىء الكريم منذ سبعين سنة خلت يوم لم يكن لشاعر من شعراء الشرق العربي حتى ولا شعراء لبنان مثل هذه الطلاوة والحلاوة في الشعر . وله ايضا من قصيدة تحس في كل بيت من ابياتها بوحشة الاغتراب:

رقد العالمون وانتصف الليل ... ومالت نحو المغيب الثريا
وانا جالس اداعب اوراقي ... ولم يطرف الكرى مقلتيا
والسكون الرهيب خيم حولي ... ودوي الوجود في اذنيا
وبنفسي في العظائم ما عنه ... عوادي الايام غلت يديا ؟
اينام المحب يفعل فيه ... الوجد والاذكار فعل الحميا
امن العدل ان تنام عيوني ... وعيون الزمان ترنو اليا

وكم في قوله « عيون الزمان ترنو الي .. » من الجمال والخيال وعذوبة التعبير . الى ان يقول :

امن العدل ان انام وغيري ... لم يزل ساهرا يفكر فيا
وله في افتكاره زفرات ... تقطع الازرق الخضم اليا

لا اعلم وايم الله من هي تلك العيون الساهرة التي كانت تفكر فيه أعيون امه وابيه ام عيون صحبه ومحبيه . والذي اعلمه انني امام قطعة من الشعر الرومنسي الخالد، شعر الحنين المنبجس من قرارة القلب ، فلا حزلقة بيانية، ولاالفاظ لفوية ، والشعر كما اعرفه اذا لم ينطلق انطلاق النسيم من جوانب الافق ، ويتحدر تحدر الجدول من شقوق الجبل ، وينساب انسياب المياه في الاقنية ، فعبثا يسميه الناس شعرا ويسخرون له المقرظين والمصفقين .

واذا شئتم ان تقرأوا او تلمسوا صورة دقيقة عن نفسية المرأة ـ اطفلة كانت هذه المرأة ام غادة غيداء فاليكم بهذه اللوحة الفنية يقدمها لنا الشاعر عن طفلة لم تزل في السنة الثالثة من عمرها قال . تحت عنوان (مداموزيل ايجني في الثالثة ..)

عدوت الشباب وجزت الكبر ... وبنت ثلاث ارتني العبر
جمال النساء وما في النساء ... من المستحب عليها استقر
يذكرني وجهها وجه من ... احب فأمعن فيه النظر
فتنفر مني نفور الغزال ... ويبدو عليها حياء الصغر
الاعبها تارة بالكعاب ... وطورا ادحرج معها البكر
وكل قليل اقبل فاها ... من الاثنتين الى اثني عشر
ولا ينتهي الدور حتى أعود ... الى الابتداء كما ينتظر
فلا انثني بين ضم وشم ... الى ان يلوح عليها الضجر
اقول لها الحب لكن تحاول ... حبا فأعطي لها ما حضر
وما زلت أجني القبلات منها ... وتجني الذي في جيوبي استتر
الى ان رأت انها افرغتها ... ولم يبق للحلو فيها أثر
فقامت تسير بدون وداع ... كان ما لها بوجودي خبر

الى آخر ما في القصيدة من عمق وجدة ووصف دقيق لطبيعة الانثى مما لم يسبقه اليه شاعر من شعراء زمانه . ومن المضحك ان صغيرته تلك بعد ان اغترفت ما في جيبه من قطع الحلوى اعرضت عنه كان لا علم لها بوجوده ـ وهذا شأن الكثيرات من نساء هذا العصر وفتياته ؟

ثم يعود الشاعر ليتفقد طفلته تلك وما آلت اليه حالها بعد حفنة من السنين فاذا بها وقد شارفت الرابعة عشرة من العمر تضج حيوية الصبا في حركاتها ولفتاتها وكأنها الوردة تتفتح اكمامها لفجر جديد ، فعاد ليصفها لنا في زهوة جمالها ويحدثنا عن خلجات قلبه لدى مرآها ، وقد تبدلت نظرتها اليه ونظرته اليها ، وكيف كان يخشى لقاءها ، وعندما يقترب منها يحس دبيب الغرام يسري في عروقه وينثر الجمر في طريقه . وكيف لهذا الشاعر الحساس ان يقوى طويلا على الصمت وبين يديه تلك الدمية المفناج يطفر شعاع الحب من كل ثنية من ثناياها ، فراح يبثها هواه ، ويسكب على قلبها وفي سمعها نجواه ، وقد وجد لديها اصغاء على حذر ، وتجاوبا على خفر ، فكان لنا من جراء ذلك الموقف الرائع قصيدة جاءت طرفة الشعر في ايامها .. قال :

بي من فارقتها ولدا ... تحمل الابواق والزردا أبدا
مر عهد وأتى عهد ... وكسا وجنتها ورد
وقليلا برز النهد ... واستوى واعتدل القد وندى
حقق الدهر بها ظني ... وغدت كالبدر في السن
بقوام فاضح الغصن ... يكتسي من زاهر الحسن بردا
كنت قبلا حين القاها ... لا اني انشق رياها
فلماذا صرت اخشاها ... والاقي عند مرآها كمدا
ان بدت فارقني حسي ... او مضت اسلمت للياس
او دنت أذهلت عن نفسي ... ودمي حالا الى رأسي صعدا
اكذا مبتدأ الحب ؟ ... ان تراني ضائع اللب
هائما في البعد والقرب ... وكان الجمر في قلبي وقدا
كان ان رافقتها حينا ... نجمع الصبح الرياحينا
فتذكرنا لياليا ... وزمانا ذكره فينا خلدا
وجلسنا في حمى الطهر ... ساعة من نعم الدهر
واذا فاح شذا العطر ... نسج الريح على النهر زردا
قلت والاشجان تعبث بي ... انا آه اهواك يا أربي
أخذت كفي ولم تجب ... فكاني عدت من طربي ولدا
لاصقتني فتشجعت ... معصما كالعاج قبلت ويدا
ثم وثقتنا عرى الود ... ودخلنا خيمة العهد
وتفارقنا على وعد ... وعلينا برعم الورد شهدا

واقف هنا لاشير الى ما تحدث به الناس يومذاك عن ان يدا قاسية فرقت بين الحبيبين فاعتلت الفتاة من غمها فأطلقت حمامة الحياة من صدرها وعادت الى ربها .. وهنا يقول الشاعر :

بينما في غفلة الامل ... بين سكرات الهوى الاول
فوجئت بالسقم والعلل ... وعليها وافد الاجل وفدا
اين مني راحة الفكر ... اين القى عصمة الصبر
ما هي الغاية من عمري ... وحبيب القلب في القبر رقدا

وبعد اذا لم يكن لشاعرنا الفتى سوى هاتين القصيدتين في ديوانه الصغير لكفى بهما طرفتان تخلدان ذكره وتطبعان على مبسم الايام شعره .

ان انشودة واحدة تحمل في تضاعيفها ما تفجر من طاقات النفس وهمسات الروح في غيبوبة الرؤى شفافة البوح ناعمة الجرس لآثر عند الخلود من الف قصيدة لا طعم فيها ولا دسم .

وهذا ابن زريق البغدادي لم يترك لنا من شعره سوى قصيدة واحدة تسللت الينا من وراء العصور ذهبية الجدائل عطرية اللهاث مضمخة بعبير الموت .. وجه بها من الاندلس الى نجية احلامه في بغداد .. ما برح المغنون يغنونها على ضفاف دجلة الاوتار وتتمايل على نغماتها قدود العذارى الابكار .

وهذا « يوسف البعيني » الاديب المغترب لم يترك لنا سوى باقة واحدة من الشعر تنطوي على ذكريات طفولته وصباه في لبنان ضمنها كل شجوه وحنينه الى غابة الوزال والكرم والعرزال في قريته « الهدينة » .

وهناك الكثيرون من شعراء الانسانية ممن اختصروا طريق الحياة ، ولكنهم تركوا على جانبيها بعض الزهرات، قال « امبرتو دي كامبوس » سيد الكلمة الانيقة في الادب اللاتيني ، وواحد من الاربعين خالدا في المجمع العلمي البرازيلي : « لا فرق لدي عشت العشرات من السنين ام قضيت غدا في الاربعين ، طالما ان لي كتابا واحدا يحدث الاجيال عني وينطق بلساني .. »

وهذا ما اقوله عن الشاعر سليم عازار وانداده من الشعراء ممن قصرت اعمارهم وعاشت اثارهم ـ امثال كيتس الانكليزي وده موسه الفرنسي وكاستـرو الفيس البرازيلي ـ وابي قاسم الشابي التونسي ـ وابي فراس الحمداني السوري ـ وفوزي معلوف اللبناني .

ولو قدر لابن عازار وامتد به حبل الاغتراب الى يوم تأسست الرابطة القلمية في نيو يورك وهي الكوة المنورة التي تفتحت على العالم العربي في عهدها ، لكان من ابرز شعرائها تفني له شاعرية سخية ، وطلاوة بيانية ، اضف الى هذا ثقافة اميركية تنهمر انهمار الديمة على روحه من اجواء تلك البلاد الفنية بموارد الادب وخطب تربته . ولكان لنا منه الى جانب جبران ونعيمه واحدا من حملة مشاعل الحكمة في عهده يؤكد لنا ذلك ما قرأناه في مجموعة شعره يوم لم يتجاوز العشرين ربيعا بعد . فهو يناشد الحكمة ويتوسل اليها بشغف ولذة لتضع في راسه ذلك المصباح الذي حمله من قبله سقراط وافلاطون وديوجنس وامثالهم من فلاسفة الاغريق قال مخاطبا اياها متغنيا بجمالها :

نحن نفني الزمان بغية ... تقربك منا وانت لا تقربينا
ونعاف اللذاذات واللهو ظنا ... ان هذا يرقي سناك الينا
ثم لا نهتدي لنورك الا ... بعد ان نرتقي ذرى السبعينا
وتخط السنون في الراس شيبا ... والمشقات في الجبين غضونا
ولماذا ما كنت أيتها الحكمة ... مع يوم خلقتنا تخلقينا
ولماذا لا تجعلينا رجالا ... حكماء الا اذا ما انحنينا
جئت سقراط قبلنا وسواه ... فاناروا عصورهم والقرونا
وهم لو حجبت عنهم لكانوا ... مثلنا في ضلالهم يعمهونا

الى الذين احبهم

لا تمسحوا القضبان بالالوان
وتزيفوا تقطيبة السجان
صدأ الحديد،على الفؤاد سواده
وجراحه محمومة الاشجان
سيان ، مزقني الحنين، ولفني
في الصمت، ليل عارم الاحزان
يا أيها الناس ، الذين أحبهم :
لا تقتلوا الانسان ، في الانسان

اللاذقية — **نبيهة حداد**

انت يا معدن الرشاد ويا من ... تعلمين الاشياء علما يقينا
ها انا في ربيع عمري اناجيك ... وما كدت ابلغ العشرينا
سنوات افنيتها باحثا عنك ... ففي اي موضع توجدينا

وكم هو جميل ان نرى شاعرا في مستهل عمره ومنابت زهره يتنفس بمثل هذه الروائع ، مناشدا الحكمة ان تمده بأسرارها ، وتضيء ليله بأنوارها ، وهو بعد طري العود ناعم الاملود ، ما اخضر عذاره ولا نضجت ثماره .. ولعل للبيئة التي ولد في احضانها وسرح جناحيه على اغصانها فضلها العميق في تكوين شخصيته الحكيمة العاقلة . اجل تلك البيئة الجبلية الملفعة بالعفاف المتشحة بعباءة القناعة والكفاف ، وما تحلى به شيوخها من وقار في المشيب ، وتجارب في الخطوب هي ما انعكس ظلها على فتيان عصرها بما فيهم شاعرنا الحبيب .

والان يا سليم كما كنت تناجي في أمسك الغابر ، الحكمة من بعيد ، اسمح لي ان اناجيك يا دفين (الكنانة) بعد مد طويل من الزمان فأقول :

ـلم تدر مصر يوم وارتك ... الثرى غضنا رطيبا
أي الازاهر غيبت ... في تربها فنزا طيوبا
لم ترثك الاطيار يوم ... قضيت طيرا عندليبا
يبقى الغريب ولو قضى ... في غير موطنه غريبا
حتى الربيع يكاد لا ... يلقي على مثواه طيبا ..
لهفي على ذاك الشباب ... الغض يلتحف المغيبا
أتضم ارض النيل من ... اقمارنا قمرا حبيبا ؟.
ويظل ما بقي الزمان ... هناك منفردا كئيبا
لا دمعة يلقي عليه ... الارز او ظلا قشيبا
يا فلذة من شمسنا ... لبست بحلوان الغروبا
سيظل نورك من وراء ... الفجر يجتذب القلوبا
وعلى روابي القرنة ... الخضراء منتشرا طيوبا

جبيل ـ لبنان — **شكر الله الجر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مذبح الحب

في (باريس) عرفت الجمرة
وعرفت اللوعة والحسره
وكرهت الراء الملثوغة في وحشيه
تخفيها نظرة جنيه
تبديها همسة ماجوره
من بين شفاه مسعوره
فانا شاعر
لا يكفيه رواء الصورة
لا يرويه ضباب الجنس الاحمر
يهوى في الانسانية روح الشرق الاخضر
حس بلاد ترضع من انوار الشمس
حس جمال الحب الانسي
ويرى في غمزات الانثى
في (مقهى) أو من (سيارة)
او طرقات معتمة الاضواء سجينة
أفعى تلدغ انسانية كل الجنس !

في (باريس) جرعت الغصه
فكاني طفل محروم من أبويه
وتراءيت كلاب الصيد تهرول نحوي
تلعق من أقدام الطرق
لا تعرف معنى للفسق
تجري لاهثة لتعيش كلاب الصيد
من خفقات غريب أسمر
يستوحي (الكونكورد) قصيده
ويعيش خيالا ومثالا
يعشق فكره
ويرتل أشواق عقيده
وتراءيت جدار العزلة كالاسوار
يحجب عن عيني وميض النار
فكاني قنديل مطفا
في حجرة أعشى أعزل سكير
نسيته قافلة النور !

في (باريس) شعرت بغربة روح ثكلى
أحست بمصرع احلامي
فبناتك (باريس) سكارى عن آنغامي
في لحظات الحب العجلى
في أحضان قراصنة من سود بيض
وجنود قد جاؤوا ظمآنين لنهر (السين)
جاؤوا من غمرات نضال أزرق
فرغوا من ساح الاعدام الكبرى
فرغوا من مجزرة الحمقى
لليال صاخبة الكأس
لنساء مشعلة الحس
لا تعرف سر المأساة
ببلاد الليل العربيده
في نظرتهم ضحكة هزء ، بسمة سخر
بحنين العاطفة الولهى
بدموع الشرق المفتون !

وأسير بشارعك الابيض اغسل يأسي
في شلالات ضوئية
و ((الفسقيات)) الاربع ترمقني
كعرائس بحر ذهبيه
في صفرتها لهفة أجوائي الشفقيه
أمسح من حبات المطر
عن نظارة طِرف مسهد
أوذا ما يملكه الشاعر
في أفيائك يا (باريس) ؟
أهديتك لروحي العطشى لقمة جوع ؟
جرعة آل ؟!
يـا اسطورة
يـا اغنيـة
رددها حرمان بلادي
أشبعها الشعراء تهاويلا وغراما
يا سحرا يقتل ازهار سنيني
واعود كظل مسكين
وحـدي
أتلمس دربا لـ (المترو)
أحشر نفسي ما بين فئات بشرية
وأعود لغندقي الادرد
وحـدي
مثل الطيف المجهد !

الرياض — حسن عبد الله القرشي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انها زوجتي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كان يسير ساهم الوجه ، اشعث الرأس ، زائغ العينين ، يضرب كفا بكف ثم يرفع اصبعه الى فمه يكاد يقضمها في اسف ، وانا اعرفه انسانا رقيق الطبع ، جياش العاطفة ، دمث الحديث ، فهالني ان المح مظاهر ازمة حادة تأخذ بخناقه ، واعترضت طريقه لاسلم عليه تاركا يده في يدي دون ان اتيح له فرصة الافلات ، فصاح في غيظ نادم انها زوجتي انها زوجتي ! وانحدرت دمعتان ساخنتان على خده ، فلم اشأ ان اتركه وحده بل صحبته الى اقرب مقهى ، وجلست لاستمع وكان من عادة صاحبي ان يتحدث عن ادق خوالجه حديثا ان فقد الكياسة فقد صحب البراءة وقد اشعل لفافته ليطلقها انفاسا سريعة مضطربة ، في عصبية لا تدل على انه يستمرىء تبغا يشتهيه. ثم قال في أسف : انها زوجتي نقلتها صحيحة سليمة الى المستشفى . واستسلمت طائعة دون معارضة فأخطأ الطبيب موضع الجرح الذي لم يكن في حاجة الى علاج ، واصبحت المسكينة نهبا لالام مبرحة تستفيث صارخة من اثرها العنيف ! لقد كان الالم بمنأى عنها فصنعته بيدي .

قلت : يأخي ـ معاذ الله ان تقصد السوء بأحب الناس اليك فأنا اعرفك قوي الاخلاص ، تحب صاحبتك حبا قويا ، فناشدتك الله ان تشرب اللفافة في هدوء ، وان تحدثني عن صاحبتك هذه ، ولا تنس انها الان بمستشفى محترم وتحت عناية طبيب حاذق وان رحمة الله قريب قريب ! انس يا اخي مرضها المفاجىء لحظات وتحدث عن تاريخها معك حديث المحب العاشق ، فقد تذهلك الذكريات الماضية برهة ما عن الما الحاضر ، وهو خطب لا تملك دفعه الا بالصبر ! وانت تعلم ان الغيوم تتلبد في الافق ساعة او بعض ساعة ثم ينقشع الركام ويفيض الضياء ! تحدث يا اخي عن الماضي وسينتهي بك الحديث لا محالة الى الحاضر ، واذ ذاك استطيع ان افسر سلوكك الاخير حين صحبتها سليمة صحيحة الى مبضع الجراح ، فما اخال هذه الصحبة الاليمة حدثا طارئا ولكنها ثمرة لجذور تمتد في اعماق ماضيك ! وانا على شوق الى اكتشاف هذه الجذور الضاربة في الاعماق، لا سيما وانت تنقل عن خاطرك الصادق دون لبس او تزييف . فما عهدتك تصطنع مواربة ما لموقف خاطىء او تمويها مغرضا لزلل وقعت فيه ! تحدث يا اخي فأنت بانكشاف اعماقك الغائبة ستقف امام رؤية واضحة تضمن الرأي المصيب .

وكأني بهذا الاستطلاع الكاشف صادفت رغبة قوية لدى صاحبي في البث والتنفيس ، فرمى اللفافة من يده ودنا بكرسيه قليلا الي ، وطفق يقول :

لقد رأيتها لاول مرة في ثوبها المدرسي صغيرة انيقة كبرعم يهم ان يتفتح ، فسألتها عن اخيها ، فأجابت في ابتسام بريء ، نفذ شعاعه الى قلبي ، وكان طريقها الى المدرسة يوافق طريقي ، فكنت استصبح ببراءتها الوادعة وانظر اليها في ميل هادىء لم افطن الى حقيقته بادىء ذي بدء ، حتى وجدتني اكاد استوحش الطريق اذا لم اطالعها في الصباح ، وشهدت طيفها الرقيق يعاودني في خلوتي فينعش وحدتي كأن شذى يهب به النسيم فجأة ، ولم اكن من اقليمها ، بل بين موطني وموطنها مئات من الكيلومترات ، ولكن الوظيفة ساقتني الى بلدها لتحتل قلبي فما تترك فيه منفذا لغيرها ، ولم اشأ ان اخاطب والدي في امرها ، فقد يكون بعد المكان مما يشيح به عن التأييد ، لذلك تقدمت الى والدها الكريم فصادفت قبولا مرضيا ، وعلمت ان الفتاة الرشيقة الصغيرة بعد حين ستنقل الى منزلي لتصبح سيدة البيت ، فليس الامر بعسير .

زفت الي في مفتتح صباها الانيق ، فآنسني ان اصادف لديها بساطة لا تميل الى التكلف ، وصراحة لا تلجأ الى المراءاة بل كان لسانها مرآة ساطعة بخوالج احاسيسها ، وكنت قد انتزعتها من فصول الدراسة انتزاعا غير رحيم فرأيت ان اعوض ما فاتها من الدراسة الادبية . واخذت اشتري القصص الهادفة لنقراها معا كخطوة اولى ، وقد اغتبطت حين وجدت الفن الروائي يستولي على اهتمامها ، فهي تقرأ وتقرأ في شغف ، وتحرص على ان تلخص لي ما تعيه في يسر سلس ، ثم لا تخلي حديثها من نقد لبعض المشاهد ، واحيانا تضع خطوطا رفيعة تحت سطور تهتم بها ، ولم تمض سنوات حتى استطاعت القصص الادبية ان تكسبها اسلوبا جميلا ، وان تمنحها بعض الافكار الثاقبة ! حتى خيل الي ان الادب الروائي المختار يصلح وحده ان يكون معلم النشء ، وقد كدت اعتقد ذلك امام هذه التجربة الملموسة ، ولكن من استجاب الى رأيي في تقديم هذه القصص لعزيزة لديه قد باء لديها بالفشل ! فأدركت ان مواهب زوجتي قد ساعدت على ارتقائها الفني ! وان القصة الممتازة لا تثمر الا عند قارىء ممتاز !

واذا كانت شجرة الفن ذات اغصان متعددة ، فان الغناء كان اقرب هذه الغصون الى صاحبتي ، اذ رزقها

الله صوتا غردا يرسل ارق الالحان في ابداع . فما تكاد تصغي الى اغنية في الاذاعة حتى تؤديها اداء قريبا من الاصل في براعة نادرة ، والعجيب انها تقلد اكثر المطربات على تباين مشاربهن ، تقلد ذات الصوت الجهير الذائع وذات النغم الخافت الضارع ، وتنقل عن صاحبة الحماسة المجلجلة كما تنقل عن ذات الانين الهامس ! وقد تسمع الاغنية مرة واحدة فتحفظها كلاما ولحنا حتى ما تفوتها همسة خافية او نبرة مستترة ! كما ان نبوغها الفني يتضح كثيرا في تقليد الاصوات الشامية من سورية ولبنانية فما تكاد تسمعها حتى تظن انها وليدة هذه البقاع التي لم ترها فاذا انتقلت الى ام كلثوم مثلا حافظت على اداء سيدة الغناء .

ثم هي ذات وجه نبيل ، تقابل اقاربي واصدقائي ببشاشة ، وتصدر لاضيافي عن كرم سابغ ، فقد يطرقني الضيوف اياما متعاقبة ، وهي في كل يوم لا تتخلى عن مجهودها المكتمل ، وكان مما يفيظني منها انها لا تكتفي باليسير المعقول مما اعتاده الناس ، وحين اخالفها في ذلك ترسل من يشتري كماليات الطعام والشراب مؤكدة ان اللوم يقع عليها ، وان الاضياف يعذرون الرجل ويتجهون الى السيدات بالملام وقد حاولت ان اقنعها ان طعام المنزل مما يليق بالضيف مهما عز ، واننا لو حتمنا لكل طارق نمطا غاليا من الطعام لصعب علينا ان نقابل الناس في كل آن ، ولكنها تتمسك برايها في المغالاة وتعدها مما يكشف عن معدن الزوجة وبيئتها ، وقد نزلت على ارادتها فيما تشاء ، حيث لا فائدة عندها في هذه المسألة لاي نقاش وكثيرا ما كانت تحرجني اذ تطلب بعض النقود لما اعتقد ضروريا في ملبسها ثم افاجأ انها ذهبت لتشتري حلة جميلة راتها مما يليق بملبسي فأصرت على ان اكون المفضل عنها في الشراء ، فاذا عجبت وانكرت اظهرت ان ملابسها كثيرة وانها لا تحتاج الى جديد ! وهي كذلك مع اطفالها تؤثرهم بما يخصص لها وحدها مع انهم مكتفون ! ولا اذكر ان شجارا نشأ بيني وبينها الا فيما يتعلق بالخدم فانا انسان اشفق من قتل البرغوث وسحق الصرصور ، ويسوءني ان اجد خادما يتألم في بيتي ، وبعض هؤلاء لا تستقيم امورهم الا بالشدة فاذا انسوا الى شيء من التساهل كان الاهمال المفرط ، والاحتيال الماكر وربة المنزل تعرف ذلك فتأخذ بأسباب الحزم ، وقد رايت بعد التجربة ان ادعها تتصرف كما تريد فان ابا تمام يرى من الحزم ان يقسو الانسان احيانا على من يرحم .

وانا كما تدري فتى اهفو الى القراءة والكتابة ، فما اكاد اتخفف من اعبائي الضرورية حتى امد يدي الى مكتبتي الحافلة بالقديم والحديث ، فأختار الدسم والسهل معا اقرأ في الدسم ما نشطت واستريح الى السهل ما عييت ، وما يكاد الكتاب والقلم يتركان يدي في المنزل ، وفي ذلك مضرة بأنسها كزوجة وبأولادها كأبناء ، وكنت اتوقع في مبدأ الامر شجارا ونقاشا ، ولكنها لم تظهر ما يشي بالاعتراض الصامت ، فضلا عن الناطق ، فقد الفت ان تتركني وشأني ، وظللت غافلا عن تضحيتها الصامتة لا اقدرها قدرها حتى رزقت الاطفال ، فاذا هم الثائرون واذا بهم يصيحون بابا بابا !! في كل دقيقة قلم وكتاب !

وكثيرا ما تقع المفارقة اذ يعرض التليفزيون بعض الروايات الفنية مما قرأنا بعضه من قبل ، فتخف قبل الموعد متهللة باشة تقول اننا سنسعد برواية عطيل او تاجر البندقية مثلا ، واكون غريقا في قراءة كتاب علمي لا احب ان افارقه فأعتذر عن المشاهدة اعتذارا ارى اثره العاتب في وجهها ، وكأنها تقول اذا كنت قد حببت الي قراءة الفن الادبي حتى الفته ، فمالك تعرض عنه الى حيث لا ادري من المجلدات ، ثم تنقضي السهرة فتدلف الى مكتبي لتحدثني عن موضوع المسرحية ان كنت غير ملم به ، وقد تتعرض الى نقد ما لا يروقها من المشاهد او حركات التمثيل فأصغي اليها مشجعا ملاطفا ، ولا زلت اذكر يوم عرضت مسرحية شهيرة عقب ضجة صحفية للدعاية لها ، فجاءت زوجتي الناقدة تشرحها تشريحا ناسفا ، وكنت متأثرا بما تقدمها من الضجة المفتعلة للاغراء فلم ابد تأييدا لما تعلن ، ثم طلعت الاهرام في الصباح بنقد دقيق يتضمن بعض ما سمعت من ملاحظاتها لناقد فني معروف! فلم يسعني غير الاعتراف بالواقع ، فحملت اليها الاهرام لاعلن ان كاتب النقد كان يتسمع لها من وراء ستار ، وكانت فكاهة مرحة قابلتها بطرب تألق بشره في عينها الوامضة فشف عن سحر بديع .

وجاء الاطفال واحدا فواحدا على تناسل الايام ، فشاهدتها في حملها السادس تنوء بعبء ثقيل ، اذ ان قلبها الضعيف لا ينهض بميلاد متكرر ، وقد حذرني الاطباء ان اواصل الكرة ، وعدوا نجاتها في المرة السادسة اعجوبة نادرة ، وشهد الله كم هز نفسي ان اسمع عن خفقان قلبها ما يسيء ! وكان من عادتها ان تبدأ الحمل بعد شهور الرضاع ، فاتفقت معها على ان نهيىء الحوافظ المانعة قبل ميعاد الحمل ، وكأن الاقدار كانت تضحك منا فقد شاءت للمرة الاولى ان تحمل بعد الاربعين مباشرة ، وزادت الاقدار في سخريتها حين اخفت عنا حقيقة الحمل حتى مضت ثلاثة اشهر !

رباه اتتكرر التجربة الهائلة فأنتظر حتى ارى عزيزتي الحسناء في الشهرين الاخيرين تتعرض الى اعصار مخيف ؟ من الذي يضمن لي سلامة قلبها الواهن هذه المرة وقد جاءتنا النذر ، وصرح الطبيب ؟ ايجوز ان ارى زهرتها الناكرة تتعرض وشيكا للذبول ! لن انسى كيف كست شمس الغروب وجهها في ازمتها الماضية ، فاصطبغ بصفرة تقطع لها مني النياط ! لن انسى كيف فقدت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التنفس الطبيعي لحظات مرت على احساسي الهائج كانها بضع سنوات ! اني لاطرق الاطباء من جديد ، فأسمع عن طبيب يقوم بما يزيل الحمل في خفة سريعة ؟ فأدلف معها اليه مبينا دوافع العمل في ارهاق فؤادها وضعف قوتها ! وقد كشف الطبيب عن قلبها وفحص حالتها فأثبت ان النتيجة سارة ، والعملية مضمونة لا تستغرق بضع لحظات ! واصدق القول فأنقل زوجتي على قدميها صحيحة سليمة ليقوم الرجل بعمله ، ولكنه يخطىء الموضع ، فيحدث اخطر الالام وانظر فأجد الزوجة الحبيبة محمولة الى طبيب آخر ، هاله سوء الامر فانحنى علي بالملام ، وقد وقعت الكارثة على راسي فأظلم الافق في عيني وتركت المسكينة على سرير المرض بالمستشفى الخاص ومعها عقلي فهاأنذا اسير شارد اللب زائغ العينين اضرب كفا بكف وارفع اصبعي الى فمي فأعضها عضا ! واصرخ في اعماقي : رباه رباه ضللت الطريق .

قال هذا ثم ارسل زفرة طويلة نفس بها عن صدر يضطرم بالاشجان ، ولما كنت اعهده شاعري المبالغة عاطفي النظرة ، فقد رايت ان استوثق بنفسي عن حقيقة المرض المفاجىء فاستأذنت لحظات لازور المستشفى ، واشهد المريضة على الطبيعة ، وحادثت الطبيب فعرفت ان النتيجة مطمئنة ولكن العلاج سيطول ، فلا تسل عن فرحتي الفامرة ، اذ طفقت اعدو اليه عدوا فهتفت به ، لا عليك يا صاح فالمسالة لا تحتاج لغير اسبوع ، فرفع وجهه الي ولم يدعني انتقد افراطه في الجزع واستسلامه للشجى بل عجل يقول : اسبوع يا اخي وتعده قليلا ! ان الاسبوع سبعة ايام واليوم اربع وعشرون ساعة والساعة ستون دقيقة وفي كل دقيقة آهة او انة او دمعة ! ولم لا تستعظم جرمي الكبير وقد حبستها سجينة على سرير المرض ، يأتي الصباح فلا تنهض الى الشرفة متأملة اشراقه بل تتذكر اطفالها في المنزل صغارا لا يجدون النظرة الحانية واليد المسعفة بالمأكل والمشرب والملبس والزينة ، وانا من انا ؟

شبح انظر ولا اتكلم ! ثم التفت الى المنزل فأجد مقبرة خاوية بعثرت ادواته وفرق اثاثه واهملت الخادمة شأنه بعد ان غابت المديرة الحازمة ، فاذا كان الفداء تبلغت الاسرة بالجاف المعبأ ، واخذت المريضة تتذكر ذلك فتزداد الما على الم ، وتظل طريحة فراشها ، لا تهب كعادتها عند الاصيل تلبس اجمل ثيابها ، لتستقبل زائرة ، او تترك البيت الى متجر او منتزه او منزل قريب ! فاذا كان الليل انكفأ الاطفال الى مضاجعهم ، ولا من حديث عائلي او سهرة تلفزيونية ! وانا من انا ؟ شبح يترك البيت الى المستشفى ويترك المستشفى الى المنزل وليس يصنع شيئا غير التفكير الحزين ! اتدري يا سيدي اني اشتاقها كما لو لم تكن زوجتي التي سعدت بها هذه الاعوام . بل كأمل بعيد اسعى الى الدنو منه ؟

اتدري ان اخطاءها انقلبت في عيني محامد ذات حسنات ؟ كنت آخذ عليها غيرتها المفرطة وجنوحها الى بعض الظنون فأحببت ان يسرع شفاؤها حتى تخف الى منزلها لتفار كما تشاء ولتسرف في بعض الظنون كما تريد ؟ انني لاتصورها في مجلسي هذا ضاحكة باسمة ، او عابسة لائمة ، فأجد الصورتين المتباينتين حبيبتين الى قلبي ، جميلتين في عيني بل لعمري انني لاشتهي الان عبوسها اللائم واعده غنما ظافرا اشكر عليه الايام ان سامحت به دون ابطاء ؟ فمتى يمر الاسبوع الطويل بأيامه وساعاته ودقائقه بل كيف ينقضي بآهاته واناته ومدامعه؟ يمينا انها لا تتأوه ولا تئن ولا تدمع في وضوح كما اتأوه وأئن وادمع في صمت واحتباس واين من يبكي فيعذر ممن يبكي فيلام ؟

اني لاخشى ان اسرع الى زيارتها الان فأسمعها تصيح ، وكم ذهبت الى المستشفى اقتلع رجلي من الارض اقتلاعا حتى اذا وقفت امام الباب ادركتني رهبة حزينة من التقدم كيلا افاجأ بما لا اسر به ، أأعذب نفسي برؤية وجهها المتألم تنطق كل خلجة من خلجاته بما تكابد من العذاب ، أأبخع نفسي بمشهدها القلق على الوساد تقلبها الالام المبرحة جنبا الى جنب ، ولا من مغيث ، لشد ما تنهار معاقل الرجولة في الانسان حين يرى نفسه عاجزا عن ان يسدي النفع العاجل لمن ينشد له الارتياح ؟ وحين يرى نفسه خاضعا لتحديد اوقات المرض والشفاء ! انها زوجتي انها زوجتي وقد صنعت لها المأساة !!

قلت في حيرة ستظل يا اخي تلوك هذا الحديث النادم اسبوعا غير قصير ، وسأحرص على لقائك بعد انقضائه لاستمع الى حديث جديد ، ثم نظرت اليه متسمعا فوجدته ينشد في الم قول القائل :

كان القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية او يراح
قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

الفيوم — ج٠ ع٠ م

محمد رجب البيومي

الوعد الذى مات

وعدتك بالشموع وبالتحايا
هدايا ، ما أحيلاها هدايا
ولكن مستواك — أظن — أعلى
فلن تجدي هدايا مستوايا
ويكفي انني اوقدت حبا
بقلبك ليس يدري ما الخطايا

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظافر القاسمي

من التاريخ المنسي

بقلم ظافر القاسمي
استاذ اللغة العربية في الجامعة اللبنانية

* * *

ما زال حي « باب » الجابية من دمشق القديمة الحي الاثير عندي ، الذي يضن قلبي الواهن بالذكريات الحلوة العديدة المزدحمة فيه . وما زالت هذه الذكريات غضة طرية في نفسي ، لم يضع من معالمها شيء ، ولا فقدت شيئا من ظلالها والوانها ، ولا غاب عني شيء من صورها ، ولا حنت نفسي الا الى موسيقاه التي ما زالت اصداؤها تصدح بين جوانحي حتى اليوم . فلقد قضيت في هذا الحي شطر عمري ، سبعا وعشرين سنة متعاقبات ، يكر فيها الصباح والمساء على مشاهد من الاخلاق والمروءة والدين والخوف من الله .

وكان في هذا الحي امرأة مسنة معتوهة تدعى « ام جميل الراهطة » وكانت المرأة الوحيدة السافرة في الحي ، وكانت لها عصا تتقدمها ، وكأن الشاعر قد عناها حين قال :

تقوس بعد طول العمر ظهري ... وداستني الليالي اي دوس
فامشي والعصا تمشي امامي ... كأن قوامها وتر لقوسي

كانت ام جميل رحمها الله تخرج مع الفجر الى جامع السنانية فتصلي في سدة النساء صلاة الصبح مع الجماعة ، وما كان في خروجها وحدها في الليل قبل خمسين سنة ما يدعوها للخوف ، كما ان احدا لم يكن ليخاف منها . حتى اذا قضت ام جميل صلاتها ووردها عادت الى بيتها القريب ، وعصاها دوما امامها ، وهي تقرأ او تعوذ او تسمي ، وتعود الى النوم ، فاذا ما ارتفعت الشمس ، ووقع الضحى ، خرجت ام جميل من دارها ثانية ، والطريق مزدحمة بالمارة والباعة ، فتدعو لهذا ، وتمسح على رأس ذلك ، ولا تؤذي احدا ، فاذا بدا لبعض الصبية ان يعبثوا بها او ان يؤذوها شتمتهم ، ولحقتهم على حال من العجز بعصاها ، فلا تسمع حينئذ اصوات اصحاب الدكاكين وهم ينهون الصبية عن المرأة الصالحة ، ويطلبون اليهم الكف عن اذاها .

وتمضي ام جميل في طريقها الى الدرويشية ، فسوق الحميدية ، حتى اذا وصلت الى فرن يقع في اواسطه وقفت لترى زوجها ، فقد كان عاملا فيه ، فيبدأ الحديث بالعتاب ، وينتهي بالشتائم ، ثم تواصل المرأة الصالحة طريقها الى الجامع الاموي فتصلي فيه الظهر والعصر ، ثم تعود الى بيتها قبيل الغروب .

وخرجت ام جميل على عادتها في يوم من اواخر تموز ١٩٢٠ من بيتها في الضحى ، فوجدت شيئا غير عادي ولا مألوف ، فقد تجمع الناس ، واخذوا يتحدثون عن شيء اسمه « الفرنساوي » قد احتلت جيوشه المدينة ، كما يتحدثون عن فيصل الحسين الاول انه قد غادرها ، فلا تكاد تفهم شيئا مما يقال ، ولا مما يجري ومن اين لها ان تفهم هذا كله ، وهي المرأة التي سلبت نعمة العقل ، فلا تبالي بحديث القوم ، ولا تأبه لهذا التجمع ، وانما تشق طريقها بين الناس ، فيفسح لها بعضهم ، ويضيق بها بعضهم الاخر ، فما كان لهذه المرأة في هذا اليوم مكان بين الرجال ، وخير لها ان تقبع في زاوية بيتها .

الا ان ام جميل لا ترى ان هناك ما يدعوها لتغيير برنامجها اليومي ، فتسير على بركة الله الى الجامع الاموي ، وهي تعجب او لا تعجب من تغير شكل الطريق الذي الفته في كل يوم .

وبعد يومين اثنين تفرض فرنسا على مدينة دمشق غرامة حربية قدرها مئتا الف ليرة ذهبية فقط ، وعشرة الاف بندقية ، وتأييدا لجباية هذه الغرامة تبعث بالجنود السنغال الى الاحياء ، فتزرع بعضهم على الابواب ، فرضا لهيبتها من جهة ، وضمانا لجباية الغرامة من جهة ثانية . وهؤلاء الجنود يمنعون اصحاب البيوت من الخروج منها ومن دخول احد اليها ، ما لم تتم جباية الغرامة كلها . وتخرج ام جميل وترى الجنود السنغال مزروعة امام بعض البيوت ، فتقف اولا لتتأمل منظرهم الغريب ، وهم شاكو السلاح ، بألوانهم السوداء ، ثم تنصرف وهي تحسبهم دمى جاء بها الناس للهو والتسلية . فاذا ما وصلت الى الجامع الاموي رأت الناس قد سارعوا اليه قبل وقت الصلاة ، واخذوا يتحدثون ، فتسمع ام جميل كلمة من هنا ، وكلمة من هناك ، وصياحا من جانب ، وزمجرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من جانب ، فتفهم عندئذ ان دولة بني عثمان ، قد دالت ، وان دولة الشريف فيصل قد زالت ، وان اجنبيا لا من العرب ولا من المسلمين اسمه « الفرنساوي » قد جاء ليحكم البلد ، وان هؤلاء الجنود السود هم اعوانه على الحكم ، فقبعت ام جميل في سدة الجامع تتمتم بكلام غير مفهوم ، ليس وردا ، ولا قرآنا ، ولا شيئا مما يسبق الصلاة ، والناس في شغل شاغل عن ام جميل ، لا يعيرونها ائتباها ولا التفاتا .

وتؤدي ام جميل على عادتها صلاة الظهر وصلاة العصر ، ثم تخرج من الجامع ، وقد اصبح في اهابها انسان آخر . لم يستقم ظهرها الذي تقوس ، ولم تستطع الاستغناء عن عصاها ، ولكنها كانت قوية الجنان واللسان ، فاذا هي تدعو على « الفرنساوي » من باب الجامع الاموي في المسكية حتى تصل الى باب بيتها ، مجتازة سوق الحميدية فالدرويشية فباب الجبابية فالقماحين .

وتخرج ام جميل من بيتها في اليوم التالي ، فاذا هي ايضا تدعو على « الفرنساوي » من القماحين الى الجامع الاموي واستمرت على ذلك اياما قليلة لا اعرف عددها بالضبط والتحديد . ومن عجب ان الناس كانوا يؤمنون على دعائها وان الذي كان لا يبالي بها اصبح يترقب مرورها ، وان الصبية الذين كانوا يعبثون بها اصبحوا يتبعونها ليقولوا « آمين » كلما دعت على « الفرنساوي » فلا يؤذيها احد منهم ، ولا يضطرونها للدعاء عليهم او لان تلحقهم بعصاها ، والعجز قد هدها .

كانت هذه الايام قليلة ، رأى الناس بعدها ام جميل تخرج في الضحى لتقول بصوتها الجهوري :

(يا ربي ! مثل ما قلت لك بالجامع الاموي) .

ويعجب الناس لهذا التغير المفاجىء في سلوك ام جميل . فما الذي دهاها حتى اقلعت عن الدعاء على « الفرنساوي » ؟ وماذا قلت لربها في الجامع الاموي ؟ وما لها قد ازدادت عجزا على عجزها ؟ واخذ الناس يسأل بعضهم بعضا عن السر . ولم يطل احتجاب السر عن الناس ، حتى قال لهم قائل :

ـ مسكينة ام جميل ! لقد وصلت امس الى اول سوق الحميدية فاقتادها الزبانية الى دوائر الشرطة وهناك اذاقوها انواع العذاب والنكال ، ونالوا من جسدها الواهي ونهوها عن الدعاء على « الفرنساوي » ، ولولا أن فرنسيا عاقلا ادركها ، لقضت نحبها ، وكان هذا الفرنسي من النبلاء الاحرار ، فلما رأى المرأة العاجزة تضرب وتعذب ، غضب وامر باكرامها والافراج عنها . فلما استردت حريتها انطلقت فورا الى الجامع الاموي ، ووقفت في صحنه وفي حرمه ، وحول قبور الانبياء فيه ، وامام محرابه ، واخذت تدعو على « الفرنساوي » وهي تبكي ، وتضرع الى الله بلفتها ان ينتقم لها ، وفي ان يبعد هذا الاجنبي الغاصب المحتل عن البلاد .

ثم عادت ام جميل الى بيتها ، وهي تخاف اذى الزبانية ولكنها جعلت بينها وبين ربها سرا في جامع بني امية ، اخذت ترددد على نحو رتيب لا يتغير :

(يا ربي ! مثل ما قلت لك بالجامع الاموي) .

لقد عاشت ام جميل دهرا بعد هذا السر الذي انكشف ، وهي تمضي من بيتها في باب الجابية الى الجامع الاموي ، وهي تردد لنداء الحزين ، والناس جميعا يعرفون معنى هذا النداء ، فيقولون « آمين » .

مسكينة ام جميل الراهطة ، لقد ماتت قبل الجلاء .

ظافر القاسمي

ظمأ

أنا ما لغيرك أظمأ
يا من حنانك مرفأ
آوى اليه اذا استبد
د بي الهجير ، فأهدأ
أيكي وبستاني ، ودو
حتي التي أتفيأ
كني الذي وقت الشتا
ء بنوره أستدفىء

قالوا : وداؤك حبها
يا ليتني ، لا أبرأ
جرحي ، وبرئي أنت في
ك المنتهى والمبدأ
منك العذاب يشوقني
فيك الاسى يتبرأ
فالهم ينبئنا بأنا
ذات يوم نهنأ

يا أجمل الفتيات ما
لي ، غير صدرك مهدأ
أنا ان صددت الباب في
وجهي الى من ألجأ

امارة الفجيرة **عبد المنعم عواد يوسف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى الناعوري

دور الاديب العربي في المعركة

بقلم عيسى الناعوري

* * *

معركة الامة العربية ضد الاستعمار وضد الصهيونية كانت وما تزال متعددة الجوانب ، طويلة المدى ، بعيدة الاهداف، انها معركة كل فرد في الامة ، ومعركة الامة كلها في سبيل الحرية والاستقلال ، والسيادة والكرامة . وليس ميدانها الارض العربية وحدها : كل ارض في الدنيا هي ارض لمعركتنا ، وكل انسان في العالم هو شريك في معركتنا : معنا او علينا ، ومن اهداف معركتنا ان نكسبه معنا ، لا ان نتركه لاعدائنا .

ونحن حين نترك معركتنا للزعيم السياسي وللجندي المحارب وحدهما ،ونقف من بعيد نتفرج عليهما ، ثم نمضي في انتقادهما فحسب ـ كما فعلنا حتى اليوم ـ انما نكتب بذلك هزيمتنا المؤكدة ، وكلنا عندئذ ملومون بمقياس واحد ـ كالزعيم السياسي ، وكالجندي الذي يفر من المعركة ـ المتفرج على المعركة من بعيد لكي ينتقد ويعدد الاخطاء هو جندي جبان هارب من شرف المعركة .

واذا كان في الامة من يتحملون قسطا اكبر من سواهم من الواجب والمسؤولية ، تماما كالجندي المحارب وكالزعيم القائد ، فهؤلاء هم الادباء والمفكرون . انهم في المرتبة الاولى من المسؤولية ، لان المفروض انهم اكثر فئات الامة تحسسا بالواجب ، وادراكا للمسؤولية ، ووعيا لكرامة الامة ولحق الوطن .

فهل كان الاديب العربي ، حتى اليوم ، بهذه المكانة القيادية ؟ هل ادى دوره في المعركة بوعي وادراك ومسؤولية ؟

لو عدنا الى الاعوام الخمسة والعشرين الماضية فقط من تاريخنا المعاصر ، السياسي والادبي معا ، لرأينا ان كل اقطارنا العربية عاشت هذه الفترة في غليان مستمر ، وفي نضال متصل الحلقات . في هذه الفترة تحررت اقطارنا العربية من الاستعمار المباشر ، ومن الجيوش المحتلة التي كانت تقيم كابوسا خانقا على الارض العربية : تحررت مصر ، وسوريا ، والاردن ، ولبنان ، وليبيا ، والسودان ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والكويت ، وعدن .

في كل حركات التحرر هذه كتبت اطنان هائلة من قصائد الشعراء ، ومن مقالات الادباء ، ومن قصص القصاصين والروائيين .

وفي هذه الفترة عينها سقطت فلسطين فريسة بين اشداق الصهيونية بفضل جريمة الاستعمار البريطاني ، اولا ـ ثم بفضل التأييد والدعم من اميركا ومن غرب اوروبا وشرقها على السواء . وفي هذه المأساة ـ التي لا مثيل لها في الدنيا ـ كتبت ايضا اطنان من القصائد والمقالات والقصص والروايات . وازدادت الكتابات ـ المرة والعنترية على السواء بعد عار حزيران وحتى اليوم .

غير ان كل ما حملته الصحف والمجلات والكتب من شعر ونثر خلال هذه الفترة الطويلة ، وفي هذا النضال الدموي المستمر ، كان خلف المعركة ومن وراء غبارها : لم يكن قط في مستوى الانتصارات ، ولا كان في مستوى الهزائم . ولهذا مات الكثير الكثير منه ، والكثير ايضا ولد ميتا قبل ان تخطه اقلام اصحابه . القليل جدا هو الذي استحق الحياة ، وما يزال يذكره الناس لاصالته الابداعية ،و لانه لم يكن صراخا وزعيقا .

الادب الذي يثمر ويحفر اثره حفرا عميقا في النفوس ، ويعيش في الاذهان رغم تمادي الزمن ، هو الادب الهادىء ، الواعي ، المؤمن ، الادب الذي يعرف ان الهمس اعمق اثرا من الصراخ ، ويؤمن بأن الكلمة الواعية المؤمنة ليست في حاجة الى الزعيق لكي تدخل الى النفوس ، ولكي تستقر في القلوب .

الادب لا يمكن ان يكون عنترية وصراخا . والكلمة المناضلة هي رصاصة لا يسمع صوتها عند خروجها من فوهة البندقية ، بل بعد بلوغها الهدف ، اما الرصاصة التي تزمجر قبل ان تصل الى فم البندقية فهي الرصاصة التي تقتل صاحبها بعد ان تدمر بندقيته ، لانها تكون قد

(●) القيت في مؤتمر الادباء العرب التاسع في بغداد .

انفجرت في داخلها .

ان كل ما يبنى على التهريج والهياج العاطفي فاشل، هو ادب تخريبي حين يشارك في المعركة . وما اكثر هذا دون ريب . والادب التهريجي القائم على الهياج العاطفي اللون من الادب الذي رافق معارك الامة العربية كلها حتى اليوم ! كان الكثير منه تهريجا وعنتريات وهياجا عاطفيا يتمجد به على حساب المعركة اناس ليسوا منها ، في كثير من الاحيان .

لكي تنجح المعركة ، لا بد لها من تخطيط واع ، ومن تحديد للادوار والمسؤوليات ، لا بد لها من عمل صامت حثيث : ان للجندي مكانه من المعركة ، وللسياسي مكانه ، وللاديب مكانه منها كذلك . انه لا يأخذ مكان الجندي ، ولا هو مكلف بمهمة السياسي ، ولكنه جندي وقائد في ميدان القلم والكلمة الواعية الفاعلة . الاديب هو ابن الشعب ، وهو الصق الناس بالشعب ، وبحياة الشعب ، وبتفكير الشعب ، ومكانه هناك بين صفوف الشعب .

ولكن هناك ناحية اخرى هي ايضا من مجال عمل الاديب ومن ميدان رسالته : كل ادبائنا ، وشعرائنا ، وقصاصينا ، وروائيينا ، كتبوا ـ وكتبوا دون حدود ـ في قضايا امتنا النضالية. كلهم كتبوا في قضية فلسطين. ولكنهم كلهم كتبوا ـ وما يزالون يكتبون ـ للقارىء العربي وحده ، وكأن القارىء العربي هو كل شيء في الاعداد للمعركة . ان القارىء العربي يعرف واقعه ويعيشه مثلما يعرفه الادباء العرب ويعيشونه ، ولكن الادباء ـ ومثلهم وسائل الاعلام العربي ـ يركزون كل اهتمامهم على الجماهير العربية وحدها ، داخل الوطن العربي ـ ولا يحاولون ان يتجاوزوا هذا الحد . استهلاك الاعلام العربي، واستهلاك الادباء العرب ، كله في الداخل : انطواء على النفس ، وعزلة عن العالم الواسع .

الاديب العربي ـ ومثله الاعلام العربي ـ يجب ان يلتفت الى الخارج ، وان ينقل القضايا القومية الى اسماع الاخرين ، لكي يعرف الاخرون لماذا يناضل، وبأي حق يطالب ، والى اي هدف يرمي .

صحيح ان مكان المعركة الاصيل هو ارضنا العربية وحدها ، وان وقودها جماهيرنا العربية وحدها ، وصحيح ان من واجب الادب ان يقود امته الى خوض المعركة بوعي وحماسة وتصميم ، وصحيح ان نصرا واحدا في معركة اهم من سائر وسائل الاعلام . ولكن من الصحيح كذلك ان كل معركة تحتاج الى انصار يدعمونها، ويدافعون عنها ، ويؤمنون بأنها حق ، وانها تهدف الى احقاق الحق والعدالة .

لقد كان من اهم عوامل خسارتنا حرب حزيران وما قبلها ان اليهود استطاعوا ان يعبئوا العالم كله ضدنا ، وحين بادرونا بالعدوان الصاعق هلل العالم كله لنصرهم السريع ، وشمت بنا العالم كله ، واصبحنا موضع ازدراء واحتقار في كل مكان ، حتى الشفقة بخلوا بها علينا . السبب في ذلك ان العالم لا يعرفنا ، واننا ـ على كل صعيد ـ كنا عنه في عزلة ، فما يسمع عنا غير التهديدات والشتائم الصاخبة تنطلق من حناجر ادبائنا ، وشعرائنا ، وصحفنا . وكان من جراء ذلك ان كرهنا العالم ، وكذلك كان من جراء استغلال اليهود لكل ذلك على اوسع نطاق في العالم بأسره ان شمت العالم كله بهزيمتنا ، واحتقرنا كل الاحتقار .

انني مؤمن ايمانا لا حد له بأنه لا سبيل لنا الى استرداد احترام العالم وثقته بغير النصر ، لا شيء سوى النصر يجعلنا نعود الى مرتبة البشر في اعين العالم . ولكنني مؤمن كذلك ايمانا لا حد له بأن من الاسلحة المهمة التي علينا ان نتسلح بها للنصر ان نسعى لكسب الانصار والمؤيدين لقضايانا ، الى جانب سعينا الى توعية الامة بأسرها لكي تصب كل جهودها الداخلية ، في الوطن العربي بأسره ، لاجل كسب النصر بكل ثمن . في هذين الميدانين معا تقع مسؤولية الاديب : في الميدان الداخلي للتوعية والحشد ، وفي الميدان الخارجي لكسب الرأي العالمي ، وتوطيد الصلة بمختلف الشعوب لتعرف قضيتنا وحقنا وسبب نضالنا .

صداقة الشعوب ضرورية لنصرة كل قضية من قضايانا ، ويجب ان نوليها كل عنايتنا بكل وسيلة : بوسائل الاعلام المختلفة ، وبأقلام ادبائنا ، وبالاتصالات الفردية والجماعية .

منذ بضع سنوات زارت الاردن شاعرة ايطالية ، وشاءت ان تتعرف ببعض ادباء الاردن وتطلع على اتجاهاتهم الادبية . وفي منزلي جمعت لها عددا منهم . وعرفت منهم ان كل اديب اردني وعربي قد كتب في القضية الفلسطينية . فتعجبت الشاعرة وسألت : « وهل كان كل ما كتبتم باللغة العربية وحدها ؟ » فقال الجميع : « نعم ، انها لغتنا ، وبها نكتب لقرائنا » .

ولم تستطع الشاعرة ان تكتم ثورتها ، فقالت : «وانا، من منكم كتب لي شيئا اعرف منه قضيته ؟ والناس الاخرون ، الا تفكرون بأن معرفتهم لقضيتكم تفيدكم في كسب العدالة فيها ، انكم تكتبون لشعبكم فقط ، وشعبكم يعيش المأساة التي تعيشون ، ويعرفها كما تعرفونها انتم ، فهو ليس في حاجة الى ان تظلوا ترددونها على اسماعه بالشعر تارة ، وبالنثر تارة اخرى . الا ترون انكم تضيعون جهودكم عبثا بينما تظل قضاياكم بعيدة عن اسماع العالم وعن وعي شعوبه ؟ » .

لقد كانت الشاعرة على حق : نحن نكتب ونكتب ونكتب ، ولكن لانفسنا ولكي نطرب على اصواتنا .. لسنا نكتب لندافع عن حقنا في محكمة الضمير الانساني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakarit.com

من عطايات حبنا

أو انسى لقاءنا في العشية
وحكايات حبنا العاطفيه
حين كانت تروي عيوني الاحا
ديث لعين المليحة القزحيه
تمتمات كأنها أغنيات
وعتاب .. وضحكة لؤلؤيه
كلما بحت بالهوى تتثنى
ثم تغضي الانظار وهي حييه
وعليها من الحياء رداء
لم يدنس.. وامتعتي الروحيه
هكذا صبوة المحب المعنى
بفتاة أطوارها علويه
نظرات تميت قلبي وتحيي
عذرها كان انها عذريه

زحلة ـ لبنان **رياض معلوف**

عالمنا العربي يظل في عزلة عن الدنيا بأسرها ، اللهم الا ما ننفقه بسخاء في مواخيره على ملذاتنا ، لنكسب به مزيدا من احتقاره لامتنا . اما قضايانا ، ومآسينا ، وصراعنا الدامي الطويل في سبيل العدالة ، فلا يحس بها احد ، لاننا لم نعرف بعد السبيل الى تعريف العالم بها .

ان هذا ليس واجب الاعلام العربي وحده ، ليس واجب الدول والسياسيين فحسب : انه واجب كل اديب يجيد لغة اجنبية . علينا ان نكتب للشعوب الاخرى بلغاتها ، وان نصل الى قلوبها عن طريق السنتها ، لان لساننا وحده لا يصل الى غير اسماعنا وحدنا . يجب ان ندخل المعركة بكل اسلحتها : ولغات الشعوب الاخرى من الاسلحة المهمة لنصرة كل معركة في سبيل الحق والعدالة.

ليس من الضروري ان يكون كل ما نكتبه بلغات الاخرين سياسة وعرضا للقضايا القومية : كل قصيدة جميلة يقراها شعب اخر بلغته هي خيط يربطه بنا ، وكل اقصوصة جميلة نكتبها له بلسانه تكسبنا صداقته ، وكل رواية ناجحة نقدمها له بلغته هي صلة بيننا وبين فكره واحساسه . المهم هو ان نعقد الصلة بيننا وبين الاخرين عن طريق السنتهم ، وعن طريق الفكر المشترك بيننا وبينهم . ان هذا يربط بين فكرنا وفكرهم ، ويشركهم في احساسنا واتجاهاتنا الانسانية .

حين يجيء الغربيون الى بلادنا للسياحة ، مثلا ، يجيئون وهم يجهلوننا ، ثم يعودون وقد صارت لديهم فكرة وشعور انتقلا اليهم ولو عن طريق الدليل وحده . انها صلة اللسان والفكر التي تربط بين البشر على اختلاف اوطانهم وحضاراتهم . فكيف اذا وصلنا نحن اليهم ، وقدمنا اليهم انفسنا وفكرنا وادبنا وهم في بيوتهم ، عن طريق صحفهم ، ودور النشر عندهم ، وبواسطة السنتهم؟

الجزائريون ، الى جانب حربهم الباسلة العنيدة ، غزوا المجتمع الفرنسي ، الذي كانوا يحاربونه ، بأدبهم المكتوب بالفرنسية ، فكان لهم من الفرنسيين انصار ضد فرنسا نفسها ، دعموهم وايدوهم في نضالهم حتى النصر.

هذه حقيقة ارجو ان تنال الاهتمام الكافي من هذا المؤتمر ، وان تكون بين البارز المهم من مقرراته ، ان يتجه الادباء الذين يجيدون لغات اجنبية الى الكتابة بتلك اللغات ، وفي مواطن تلك اللغات .

غير ان هناك جانبا آخر لا بد من النص عليه كذلك : فحين يوصي المؤتمر بتوجيه الاديب العربي نحو هذا الميدان الواسع المهم ، لا بد من توصية اخرى للحكومات العربية ، وللجامعة العربية كذلك : ان الاديب الذي يريد ان يكتب بلغة اجنبية قد لا يجد المجال مفتوحا امامه في صحف الغرب وفي دور نشره . وهنا لا بد من جهود تقوم بها الحكومات العربية ، والجامعة العربية ، لكي تتعاون مع الاديب في هذا الميدان ، بأن تعمل على نشر انتاجه وتوزيعه متى كان جديرا بالنشر .

ان وجود صحف ودور نشر عربية باللغات الاجنبية امر على جانب كبير من الاهمية لخدمة قضايانا القومية . وليس تحقيق هذا بالامر العسير اذا صدقت النية وصحت العزيمة . ان اتصال الفكر العربي بالعالم الواسع ، واتصال العالم به ، جزء مهم من الاسلحة التي لا بد منها للمعركة ، ولكسب النصر فيها .

على انه لا بد من الاشارة الى ان ادب الصراخ والعنترية ، اذا كان يجد له سوقا واسعة في بلادنا العربية ، فليس له اي سوق لدى الاخرين : الكلمة الهامسة الناعمة ، والفكرة الصادقة الصافية ، والنقاش الهادىء المقنع ، والعبارة المهذبة الجميلة ، هي وحدها التي تجد اوسع الاسواق ، بينما لا يعود علينا ادب الصراخ والتهويش بغير المزيد من الخيبة وقلة الاحترام .

ايها السادة ، خلاصة هذه الكلمة هي ان للاديب العربي ميدانين يناضل فيهما في معركتنا ضد الاستعمار والصهيونية :

الاول : الميدان الداخلي ـ للتوعية والحشد .

الثاني : الميدان العالمي ـ لكسب الرأي العام العالمي، او قسم كبير منه ، الى جانب حقنا ، عن طريق كسب ثقته بنا ، وبمساهمتنا في حضارة الانسان المعاصرة .

وفي هذين الميدانين يجد الاديب العربي المجال واسعا جدا ليؤدي دوره العظيم في المعركة ، لاجل النصر .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساكن الريح والغبار

•

الدكتور علي شلق

•

أكتب للرياح في عوائها القديم
أسطورة المغارة العتيقة
محبرتي الغبار ، والشرار
يحملها الرماد للشواطىء القصية
تضيع لا ضوء ، ولا أمنية
يا بحرها ، حشرجة وزور
ينهشه حذائي الغرير

أكتب للشتاء واللهب
في كهفي المخنوق بالضباب
أكتب للرمال في حماقة الهجير
وكل ما حولي صور
تبصق في السأم
لزاجة العدم

أكتب للجمر الذي يسافر
وقيده الظلام والشتاء
شراعه جدائل الخناجر
شباكه موحولة العيون والشواطىء
فتعقد الدموع والدماء
لكفه لآلىء

أجوس في غيابتي البعيده
مواكبي ليل بلا رفيق
عكازي احتمال
جرابي السؤال
أبحث عن مدينة جديده
ليست لها شمس ولا طريق

وعندما هز الغرام قدمي
سحقت كالنمل على الدروب
حماقة الطغاة والشعوب

امد آهاتي لهب
أجتر احقادي غضب
امرغ الزمان في المكان
ادوسه بارجل السأم
ادفعه في هوة العدم
لان لي وجودا
لان لي قلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخل « عوني » مكتب صديقه بلندن واقفل وراءه الباب قائلا اريد ان اقول لك اني طلقت زوجتي ام كريم وتزوجت امراة انجليزية هي الآن في الغرفة المجاورة سأدعوها لاعرفك عليها. وجاءت الزوجة الجديدة فتاة انجليزية جميلة لا يزيد عمرها كثيرا على عمر ابنة « عوني » الكبرى فحياها الصديق بأدب وتبادل معها عبارا تالمجاملة المعتادة في مثل هذه المناسبات .

وعرف الصديق ان عوني وهو موظف كبير في احدى السفارات العربية بلندن قد تعرف على الزوجة الجديدة عندما كان مريضا في احد المستشفيات وكانت هي تقوم بمهمة تمريضه . ولم يتعرف الزوج على اي شخص من اهلها لانهم حسب قولها قد هاجروا منذ زمن طويل الى كندا .

وكان الصديق يعرف ايضا الزوجة العربية الاولى وذلك بحكم صداقته للعائلة ولم تكن على جانب كبير من الجمال كالزوجة الثانية ولكنها انجبت له اربعة اولاد اصحاء اذكياء وقضت شطرا كبيرا من عمرها في خدمته وخدمة اولاده . ومع ذلك فقد شغل باله اكثر من حزنه على مصير ام كريم ما يقرؤه دائما ويسمعه في الاذاعات من خطط التجسس الماهرة واتباع ادهى الطرق لاستخلاص المعلومات فأخذ يقول لنفسه : لو اراد اعداؤنا ان يزرعوا جاسوسة في سفارتنا بلندن فهذه هي الطريقة المثلى لذلك اي ان يزوجوا موظفا كبيرا احدى عميلاتهم .

ثم رد على نفسه فقال : ولكن ما هي الاسرار المهمة التي لدينا هنا وتستحق اعمالا جاسوسية ماهرة انهم يستطيعون الحصول على اية معلومات من المصادر المحلية بلندن عن شراء المعدات او عن الدورات العسكرية وما الى ذلك .

ولكنه تذكر قصة ذلك الجاسوس الذي انتحل اسما عاديا وصادق عربيا في المهجر ثم عاد المهاجر الى منصب كبير في سوريا فعين ذلك الصديق في منصب هام فكان بلاء عظيما لولا ان عناية الله قيضت من تعرف عليه في دائرة الاستخبارات فكان مصيره الشنق علنا في دمشق .

ثم قال لنفسه اليس من المحتمل ان ينتقل « عوني » الى الوطن ويشغل فيه وظيفة مهمة ويأخذ معه زوجته الجديدة فاذا كانت جاسوسة أعادت تلك القصة التي جرت مع المهاجر السوري من قبل ومن يدري ماذا تكون العواقب والمآسي .

ومضى اسبوع والصديق يقلب النظر في امر صديقه « عوني » ،

الزوجة الثانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مذكرات عربي في لندن

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

الى أن قر رأيه على التحدث معه في هذا الخصوص . فذهب لزيارته وأخذ بكل حذر يدخل في صلب الموضوع . فقال : « لنا سفارة في كندا فلماذا لا يذهب احد من هناك للتعرف على أهل زوجتك » . واستغرب عوني هذه الملاحظة ثم اكمل الصديق كلامه فقال : « قد لا يكون في ما سأقوله لك أي اثر من الصحة ولكن يؤرقني أمر واحد وهو ان الامكانية موجودة وواجبي كعربي وكصديق يحتم علي ان الفت نظرك اليها . وبعد ذلك فأنت حر في التصرف كما ترى مناسبا » .

وهنا سرد له مخاوفه مكررا بين الحين والآخر ان هذه نظرية فقط يمكن ان تكون صحيحة وخاطئة وليس هناك أي اثبات لها انما الامر الخطير هو أنه لا يوجد ما يثبت بطلانها حتى الآن . وتقبل عوني كلام صديقه بصدر رحب ووعده بأن يزوره في الاسبوع التالي بعد ان يعير الموضوع اهتمامه الخاص .

وفعلا بعد اسبوع دخل « عوني » مكتب صديقه وعلائم الهم ظاهرة عليه وقال : « يظهر ان في نظريتك شيئا من الصحة ذلك لاني ارسلت برقية الى سفارتنا في كندا وطلبت منهم الاتصال بعنوان اهلها. وجاءني اليوم رد يقول انه لا يوجد في ذلك العنوان احد له اية علاقة بها . اذن هي تكذب وان كانت تكذب فلماذا » .

وقال الصديق : « وهل جابهتها بهذا الاكتشاف » فأجاب عوني « لا، لاني اريد ان تكون لي خطة مضادة فاذا ثبت لنا انها حقا جاسوسة وهي لا تعرف اننا نعرف فعندئذ قد نستعملها لفائدتنا أي لارسال معلومات خاطئة ولكن يجب أن أتأكد أولا ... هذا أهم شيء وسأتصل بك حالما تحدث تطورات جديدة » .

ورد عليه الصديق قائلا : هذه يا أخي لعبة خطيرة جدا وارجو أن تسمح لي بان أشير عليك ما أشاره علي بن ابي طالب على رسول الله بعد حادثة الافك اذ قال « طلقها يا رسول الله ان في النساء عوض » فقال عوني « لا أستطيع ذلك لانها ان كانت بريئة كنت ظالما لها وان كانت غير بريئة كنت هاربا من مضاعفات الموقف » .

ومرت بضعة أيام جاء بعدها عوني الى صديقه واسارير وجهه مكفهرة عابسة وقال « أكاد أجزم بانها غير



بريئة فقد ذكرت انها تريد ان تشتري ثيابا فتبعتها دون ان تراني فسارت الى الحي الفقير من لندن ودخلت قهوة صغيرة منعزلة وبقيت اراقب حركاتها من بعيد فرأيت رجلا يجلس معها ثم رأيتها تعطيه اوراقا وبعد ذلك عادت الى البيت وقالت انها لم تشتر الملابس لانها لم تجد شيئا صالحا ، وهي تكذب حتما ، فمن هو الذي قابلته وما الذي سلمته اياه » .

فرد عليه صديقه : « يا اخي بالله عليك لا تذهب الى ابعد من هذا الحد جابهها بما رايت واذا لم تعجبك اجابتها فسرحها باحسان لاني أخشى تطورات الموقف الحالي ان سمحنا لها ان تسير سيرها الحالي » .

ولكن عوني واصل كلامه دون ان يعير تلك النصيحة اي اهتمام او كأنه لم يستمع اليها فقال : « انها تنوي مرة اخرى شراء ملابس في الاسبوع القادم ولهذا سأتبعها وآخذ صورا هذه المرة لها ولمن تقابله عسانا نتعرف على هويته » . وحاول الصديق عبثا أن يثنيه عن عزمه فرد عليه : « انت الذي فتحت عيني وتريدني الآن أن لا أرى » ، وخرج وهو في دوامة من الهواجس والافكار .

ومرت بعد ذلك عدة اسابيع لم يأت اثناءها عوني لزيارة صديقه ولكنه اتصل به عدة مرات ليعلمه بأنه منهمك في جمع المعلومات المهمة وانه أخذ عدة صور لشخصيات عديدة كانت تقابلهم زوجته في اماكن مختلفة وانه سيذهب في تلك الامسية الى عملية تصوير مهمة جدا وسيأخذ جميع الصور الى سكوتلاند يارد لمعرفة هوية اولئك الناس الذين تتصل بهم زوجته سرا .

وعلم الصديق بعد ذلك أن عوني اصيب بحادث سيارة بينما كان يقوم بالتصوير في أحد الشوارع المزدحمة بحركة السير وكانت الحادثة قاضية على حياته . واحس الصديق وكأن يدا تعصر قلبه عصرا فهو الى حد كبير مسؤول عما جرى وان كان في الوقت نفسه لا يجد في أي تصرف من تصرفاته خطأ ظاهرا يؤنب نفسه عليه . وبعد مدة راض الصديق نفسه على قبول الحادث بأنه قضاء وقدر فلا حول ولا قوة الا بالله وعلى كل حال فقد انقطع بذلك حبل الزوجة الثانية ورأى ان أمرها قد انتهى مهما كان نوع أمرها في الاصل .

ومرت بضعة شهور اصبح « عوني » بالنسبة لصديقه ذكرى حزينة تبقيها حية صورته المعلقة على الحائط يطل منها وجهه الجميل الذي اعتاد الصديق أن يتأمله مليا ويتفرس فيه وكانت ملامح الصورة تظهر للصديق وكأن معالمها تقول له: « وما هي حقيقة زوجتي الثانية انت الذي يجب عليك اكمال العمل الذي ابتدأت به اذ لا يعرفه أحد غيرك اريد أن أعرف حتى من وراء الغيب » .

وظل الصديق ينفض عن نفسه هذه الافكار ويحاول اقصاءها عنه ولكنها بقيت تقوى وتشتد يوما بعد يوم ، وهو لا يعرف ماذا يفعل الى ان وصلت رسالة من الزوجة الثانية الى الصديق تطلب منه بكل أدب أن يأتي لزيارتها على عنوان معين ، لانها تريد ان تبحث معه في أمر خصوصي يتعلق بزوجها المرحوم .

ووجد الصديق في ذلك الامر فرصته السانحة فرد في الحال يقول انه سيأتي في الموعد المضروب. وذهب الى العنوان فاذا به في بيت فقير في حي متواضع وبعد عبارات المجاملة قالت له :

« وصلتني رسالة من السفارة بخصوص نصيبي من ارث عوني وقد كتبت لهم ولكن اريد منك ان تؤكد عليهم ما قلته في الرسالة وهو اني لا أريد شيئا من أمواله وانا اتنازل عن حقي في أي شيء لزوجته العربية واولاده الاربعة فالحالة هناك صعبة واولاده احوج الى أمواله مني » .

ثم ابتسمت بمرارة وقالت : « مسكين عوني لقد مات وهو لا يعرف اني كنت اكذب عليه فقد قلت له ان أهلي في كندا والحقيقة أن أهلي هنا في هذا البيت وسأعرفك عليهم بعد قليل لكنهم من الكاثوليك البسطاء المتمسكين بدينهم تمسكا شديدا . وابي مصاب بمرض القلب فلو قلت له اني تزوجت مطلقا وليس من الكاثوليك لكانت الصدمة أكثر مما يتحمله قلبه . ولهذا فقد اخترعت عنوانا في كندا كنت اعرف صديقة تسكن هناك منذ أمد طويل وقلت لاهلي اني اشتغل خارج لندن وآتي لزيارتهم او رؤية امي او ابي بين الحين والآخر واساعدهم في بعض ما لدي من مال قليل » .

فقال الصديق : « ولكن لماذا لم تقولي ذلك الى عوني » فقالت : « لاننا قوم فقراء خشيت ان يظن انني تزوجته من أجل منصبه وماله والحق اني استحيت ان اعرفه على أهلي » .

ثم اضافت : «ولكن ترك لي عوني كل ما أريد وهو طفل له في أحشائي سأسميه على اسمه. وهذا امر آخر دعوتك اليوم لاجله وهو انني سأحتاج الى معونتك في المستقبل لتكون حلقة الوصل بينه وبين أهل أبيه فأريده أن ينشأ على دين أبيه ويتعلم العربية ويتعرف على أهله في بلاده » .

ووعدها الرجل خيرا وخرج وهو يتمنى لو ان سيارة من سيارات النقل الثقيلة تصدمه وتهرسه هرسا تحت عجلاتها .

لندن — فؤاد جبور حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطرس البستاني

مؤاساة مهداة للصديق الرئيس الدكتور فؤاد افرام البستاني

★

ان يكن غاب بطرس البستاني ... فهو حي الآداب في لبنان
أنا درست كتبه للتلاميذ ... وعمري قد كان في العنفوان
وتراخى الزمان بعدا وقربا ... وهو يطفو بكتبه للعيان
أرخ الفكر والشعور عصور ... العرب مجدا من أقدم الازمان
لكأني أراه ملء القراطيس ... التي عاشها بهاد وباني
أرق العين بالتواليف حتى ... ملأ الارض ذكره بالبيان
هو كالبطرس القديم تعالى ... في حجاه فكان كالبنيان
مشعل في دنى العباقر يجري ... من يد في يد كيوم الرهان

يعجب الدهر كيف من «آل بستان» ... تشع الانوار بالعرفان
هل « لدير الاقمار » سر نبوغ ... يتجلى في منبت الريحان
حين يممت ديرهم وتنشقت ... هواه انكرت اني فاني
غمروني من نبعه الثر علي ... أرتوي في وجودي الظمآن
ودعوني في ظل دوحة فن ... اتفيأ في زهرها الفينان
قل لرهبانه : من القمر البدر ... بلغتم سكناه قبل الاوان
حاولت نيله دهاقنة العلم ... بدولاتها وطول افتتان
وغزاة الفضاء في ارض لبنان ... يعيشون في سحاب داني
رفعوا في حماة ألوية العرب ... فكانوا للضاد والايمان

ايه يا «بطرس» الاديب التقينا ... يوم قد صفت معجم الفرسان
عند « نخول » ذي يراع وسيف ... و « فؤاد الحبيش » كالميزان
ولشيخ اللغى « العلالي » سمت ... خلته الاصمعي في سحبان
وبدا « بطرس » خيالا كشمس ... خلف غيم في صورة الانسان

دمشق

زكي المحاسني

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد علي الصالح

بقلم البدوي الملثم

* * *

في « طولكرم » المدينة النائحة على بنيها ، وقد فرقتهم حراب الاستعمار وسلبتهم سهول المثلث الخصيب ، ولد « محمد علي الصالح التائه » عام ١٩١٢ في اسرة محافظة تميز أفرادها بالاريحية والتقوى ، ودرس في « المدرسة الفاضلية » ومن لداته فيها الشاعر الفلسطيني المعروف عبد الكريم الكريم « ابو سلمى » وقد ربطتهما صداقة قوية ، وفي اوقات الفراغ كانا يحتضنان الطبيعة في السهل الساحر ، يطالعان قصصا شعبية وعلى الخصوص قصة بني هلال ، ويتناشدان الشعر ويتباريان في نظمه . وفي هذه الفترة بدت ارهاصات الشعر على كليهما تبشر بمولد شاعرين ! .

وبعد أن أكمل محمد علي الدراسة الابتدائية في مسقط رأسه دخل « الكلية الاسلامية » في بيت المقدس التي اسسها المجلس الاسلامي الاعلى هناك واختار لها نخبة من رجال التعليم والفكر امثال الشيخ أمين الحافظ ورفيق التميمي وعجاج نويهض وعادل جبر ودروش المقدادي ، وامضى فيها خمس سنوات واصاب خلالها ألوانا من المعرفة واخذ يقرض الشعر وينشر نفثاته في الصحف الفلسطينية بتوقيع « بدوي الوادي » وقد شجعه على النشر الاديب الناقد احمد شاكر الكرمي صاحب جريدة « الميزان » الدمشقية .

وفي صيف عام ١٩٢٤ زار طولكرم شاعر الاقطار العربية خليل مطران فرحب به محمد علي بقصيدة نالت استحسانه وتنبأ له بمستقبل زاهر في دنيا عبقر .

والتماسا للمزيد من اللغة الانكليزية عاد الى القدس وانتسب الى « الكلية الانكليزية » لكنه لم يطل الاقامة فيها اكثر من ستة شهور اذ لم يلائمه جوها الاجنبي فعاد الى طولكرم وارسل طلبا الى مديرية المعارف الاردنية فاستجابت لطلبه وعينته معلما في مدرسة كفرنجه (من اعمال جبل عجلون) وسرعان ما قدم عمان وقابل فيها المناضل المرحوم سعيد العاص واطلعه على أمر تعيينه في سلك التعليم ، لكن العاص شجعه على العمل في المجال الصحفي واصطحبه الى صديقه المرحوم المحامي صالح الصمادي صاحب جريدة « صدى العرب » فرحب به الصمادي ووافق على ان يتولى تحرير جريدته ، فاستقال الصالح من جهاز التعليم وزاول عمله الجديد وادخل على الجريدة ابوابا جديدة لم يعهدها القراء من قبل . وفي هذه الفترة كان الاردن على ابواب تأسيس مجلس تشريعي وبعد ان تمت الانتخابات كان اول عمل نظر فيه المعاهدة الاردنية ـ البريطانية التي قابلها الرأي العام الاردني والصحافة الحرة بالنقد والتجريح ، وتناولها رجال المعارضة في الاردن بمقالات حملت تواقيع مستعارة ، ومن الطبيعي ان تكون «صدى العرب» منبرا لتلك الحملة واستحدث الصالح بابا في الصحيفة بعنوان «المجلس التشريعي في المنام » ونشر مقالا شديد اللهجة اثار حفيظة حسن خالد ابو الهدى الصيادي رئيس الحكومة الاردنية وقتئذ فاستصدر ارادة من الامير عبدالله باغلاق « صدى العرب » والقاء القبض على محمد علي الذي اختبأ في بيت صديق له وبعد ثلاثة ايام استسلم لرجال الامن فاحيل على المدعي العام في عمان وقرر توقيفه لكن تاجرا اردنيا أريحيا قدم كفالة مالية الى حين انتهاء المحاكمة وبذلك حيل بينه وبين السجن.

وبعد جهد بذله رجال المعارضة لدى الامير عبد الله عدلت السلطات في الاردن عن محاكمة محمد علي وبادر رجال الامن الى ابعاده الى فلسطين ، فبلغت بيت المقدس وشن في الصحف العربية حملة عنيفة على الاوضاع التي كانت تسود الاردن ونشر مقالات في بعض الصحف كانت سببا في منعها من دخول الاردن .

ونتيجة للحملة الصحفية التي قادها محمد علي وصور النفوذ البريطاني في تلك البقعة العربية عاد الى طولكرم فاستقبله مواطنوه بالترحيب وأثنوا على مواقفه الجريئة وتلقى عروضا من مؤسسات قومية للعمل فيها فاستجاب الى عرض تسلمه من الشيخ كامل القصاب وعين معلما في « المدرسة الاسلامية » بحيفا التي كان القصاب يتولى ادارتها ، واتخذ من هذا الثغر دارا لاقامته الدائمة وسلخ فيها زهرة شبابه .

وانطلاقا الى عمل أكثر حرية استقال من عمله واسس مدرسة خاصة اسماها « مدرسة الاستقلال » وقامت بينه وبين الكثيرين من زعماء حيفا واحرارها صداقة قوية وأسهم في تحرير جريدة «اليرموك» مع الصحفي العربي اللبناني هاني أبي مصلح .

وفي حيفا فاضت قريحته بالشعر وتسنى له ان يكون على اتصال وثيق بالحركات الثورية العربية التي كانت تعتلج في صدر حيفا المدينة الجبارة مثل حركة الشهيد عزالدين القسام وغيرها من الانتفاضات القومية .

وفي حيفا اختارته جريدة « الجامعة الاسلامية » اليافية معتمدا لها ومحررا فيها فاخذ ينشر حديثا يوميا يحتل الصفحة الاولى تحت عنوان « حديث الى الشباب » ، وقد نجح هذا الحديث الصباحي واقبل الشبان على قراءته ، لكن هذا الحديث كان مصدر ازعاج للسلطات المحتلة فطفق رجال المباحث يراقبون حركات محمد علي ، ويعدون التقارير السرية عن كل خطوة يخطوها ، ويصورون للمسؤولين ان محمد علي الصالح يقوم على رأس منظمة ثورية سرية .

وفي عام ١٩٣٦ كانت الحالة السياسية في فلسطين تغذ مسيرها نحو التأزم ، فقويت شوكة الحركة الوطنية وهب المخلصون الى المناداة بضرورة تغيير اساليب النضال واللجوء الى القوة واعلن الاضراب العام في فلسطين وقامت التظاهرات الصاخبة واستعمل المتظاهرون السلاح واوشك زمام الامور ان يفلت من يد السلطات البريطانية .

وفي نهاية نيسان ١٩٣٦ قامت في حيفا مظاهرة عنيفة لم تشهد لها المدينة مثيلا ، وقد اشتركت فيها عناصر الشباب والمسلحون واخترقت شارع الملوك ، وهو خليط من العرب واليهود ، فلم تتمكن الحكومة من قمعها او السيطرة عليها . وتلاحم الطرفان فسقط من اليهود عدد من القتلى .

وبعد ان سيطر رجال الامن والجيش على الموقف آمنوا بأن الصالح هو صمام هذه المظاهرة وقائدها فاعتقلوه وقدموه للمحاكمة وعاملوه معاملة قاسية ثم وجهت اليه النيابة العامة تهمة قيادة تلك المظاهرة والتسبب في القتل وعدم الاذعان لاوامر رجال الامن بالتفرق . وبعد محاكمة استمرت عدة شهور ، لكثرة ما حشدت لها النيابة والدفاع من شهود ، قضى قرار القاضي البريطاني المنفرد بسجن محمد علي مدة ٢٤ شهرا .

وبناء على طلب الدفاع اوصت المحكمة بمعاملته معاملة خاصة ، فادخل سجن عكا الكبير ونقل الى سجن الاجانب الملحق بهذا السجن ، غير ان السجناء العرب ظنوا ان السلطات البريطانية تعامل هذا الوطني المناضل معاملة سيئة فاضربوا عن الطعام حتى سمح لهم بمقابلته والاطمئنان على انه يلقى معاملة حسنة . واثناء محاكمته شنت الصحف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليهودية حملة عنيفة عليه ووصفته بالمحرض الاكبر على قتل اليهود .

وبعد انتهاء مدة الحكم عليه نقل الى معتقل المزرعة في عكا بموجب قانون منع الجرائم ومكث فيه ١٩ شهرا . وعند اعلان الحرب العالمية الثانية اخذت السلطات البريطانية باطلاق سراح المعتقلين على دفعات لتتفرغ الى ما هو اهم واخلت سبيل محمد علي مع آخر قافلة من قوافل المعتقلين ، فعاد الى حيفا ليستانف عمله في « مدرسة الاستقلال » التي اسسها هناك ، لكن السلطة لم تطمئن الى وجوده في حيفا فاخذت تضايقه وفرضت عليه اثبات الوجود مرتين في اليوم الواحد ثم عادت فاعتقلته وقررت ابعاده مخفورا الى طولكرم وفرضت عليه اثبات الوجود مرة في اليوم .

وفي طولكرم اسس محمد علي فرعا لجمعية العمال العرب في حيفا ، واختاره اخوانه سكرتيرا لهذا الفرع فوهب الحركة العمالية كل ما يملك من جهد وطاقة وخاض مع زملائه اثناء سر الجمعية معارك عمالية نضالية حتى ازدهرت الجمعية وقويت شوكتها وبرزت شخصيتها في الوجود الفلسطيني كعامل فعال له اثره في التوجيه والتوعية ، لكن اغتيال سامي طه الامين العام للجمعية في حيفا قلص نفوذها كما ساعدت الاحداث السياسية التي ألمت بفلسطين على الحد من نشاطها .

وليؤدي محمد علي واجبه نحو مجتمعه اقبل على المجال البلدي ورشح نفسه للانتخابات البلدية في طولكرم وخاض اعنف معركة عرفتها هذه المدينة . وبدعم من العمال والشباب فاز بالانتخابات وشارك زملاءه في خدمة مسقط رأسه . وفي عام ١٩٤٧ استانفت « الهيئة العربية العليا » نشاطها في القدس واختارته للعمل في جهازها ووكلت اليه امر تشكيل اللجان القومية والاشراف على التعليم الاهلي . وبحكم عمله هذا انتقل الى بيت المقدس وشرع يعمل مع العاملين من اعضاء « الهيئة العربية العليا » وامضى اكثر وقته متجولا في مختلف المدن الفلسطينية لدراسة الاوضاع الى ان صدر قرار التقسيم المشؤوم فتدهورت الامور ونشب القتال بين العرب واليهود واخذت المدن الفلسطينية تسقط الواحدة تلو الاخرى بفعل المخطط الانكلو ـ اميركي واحتل اليهود اغلب الاحياء العربية . وهنا عاد محمد علي الى طولكرم ليعمل مع لجنتها القومية ويشارك في الجهاد العربي . ولما دخل جيش الانقاذ طولكرم تعاون مع المسؤولين ووضعوا امكانات المدينة وقضاء بني صعب تحت تصرف هذا الجيش والجيوش العربية الاخرى التي أمت فلسطين دفاعا عن حياضها، لكن فلسطين طارت .. وتهودت .. رغم أنف المنقذين المرتجلين ! .

وبعد ان اجتاحت النكبة الاولى فلسطين سلب العدو الماكر سهول طولكرم وبلغ حدود بلديتها ولم يبق للاهلين الا بعض المساكن ، وتسلم موارد رزقهم من غير قتال وفقد محمد علي ، مع من فقد من الاهالي ، ارضا يملكها في ذلك السهل الاخضر وكانت آخر مورد رزق له ، وتفشت المجاعة بين العرب واخذوا يهاجرون الى الاقطار العربية وتهيأ لشاعرنا ان يهاجر الى السعودية ويعمل في الرياض لكن اموره تعثرت فقرر العودة الى الاردن ، وظل بلا عمل الى ان سهل له الاريحي الاستاذ محمد اديب العامري ، رئيس ديوان الموظفين وقتئذ ، العمل في ملاك وزارة التربية والتعليم الاردنية وعين مديرا لمدرسة اعدادية في طولكرم.

نماذج من شعره : هجر المناضل الشاب فريد يعيش ، خريج الجامعة الاميركية في بيروت ، التدريس في ثانويات نابلس والتحق بالثورة وخاض معاركها ، لكن السلطات البريطانية القت القبض عليه اثر حركة تطويق واسعة وزجت به في غياهب السجون ، ثم ما لبثت ان افرجت عنه بسبب مرضه فغادر فلسطين الى العراق ليعمل في هذا القطر الشقيق مفتشا في وزارة التربية والتعليم ، لكن المرض الذي لم يشفق على شبابه عاوده وشدد عليه قبضته فعاد الى نابلس ليموت بين اهله وذويه ، وما هي الا شهور قلائل حتى لحق بربه .

ويوم كان فريد يقود احدى كتائب الجهاد في معارك جبل النار حيا محمد علي هذا المناضل الثائر بقوله :

طاطيء لـه الهامـا ... واضفـر عليـه الغـار



البـدوي الملثـم

●

لـه قـد قـامـا ... وللمعـالي ثـار
لبـى على الفـور ... نـدا فلسـطينـا
وانقـض كـالنسـر ... علـى المغيرينـا
أحيـا على الدهـر ... « بدرا » و « حطينـا »
ورايـة النصـر ... خفاقـة حينـا
أن نكسـت عامـا ... فمـا بهـذا عـار
العـار ان نـامـا ... شعب علـى استعمار

فتى ثبت الجنـان ... فـي الموقـف الحائر
يـدور بالاقـران ... كالفلـك الـدائـر
تـراه مـن ميـدان ... لآخـر طـائـر
الـى الدمـا ظمئـان ... حسـامـه البـاتـر
بالحـرب قـد هـامـا ... منـذ انتشـى وصـار
فشـب مقـدامـا ... لا يصطلـى بنـار

سل عنـه فـي الجلاد ... جيش العـدا المجتـاح
هـل اخلـف الميعـاد ... يومـا او اسـتراح ؟
كـم اشترى بالـزاد ... مـا احتاج مـن سلاح
أبعـد ذا جهـاد ؟ ... أبعـد ذا كفـاح ؟ !
مـا عـاب او لامـا ... ولا اشتكى أو حـار
بـل خـف مقدامـا ... للهـول والاخطـار

مطلبـه اسـتقلال ... والثمـن الدمـاء
مـا هـزه الـزلـزال ... يثنيـه للـوراء
يهـب للقتـال ... كالسهم في الفضـاء
آمـن بالافعـال ... لا الخطب الجوفـاء
فتـح أكمـامـا ... للمجـد والفخـار
وتـوج الهـامـا ... وخلـد الآثـار

خـاض الوغى جهـرا ... للقـاهـر الفـلاب
ولـم يثر طـرا ... للجـاه والالقـاب
حسـب الفتى فخـرا ... ان كـان ليـث الغـاب
من روحـه أثـرى ... لا مـن جنى الاسلاب
حـاشـاه احجامـا ... قبـل نـوال الثـار
فـانـه رامـا ... موتـا او انتصـار

أنذره « المندوب » بالسجن والشنق
فاشتد في الوثوب وازداد في السبق
في غضب مشبوب وثورة صدق
والنصر يا «واكهوب» (١) لكل ذي حق
الظلم ان داما يفيض بالاوزار
والجو ان غاما ينذر بالامطار

يا جبل النار اعل على الجبال
في كل مضمار تهزأ بالاهوال
رئبالك الضاري عدا على الرئبال
في كنف الباري عشت مدى الاجيال
هدمت أصناما وان بها أغمار
بنيانها التاما على شفير هار

وربطت بين محمد علي الصالح وابراهيم طوقان شاعر فلسطين الاكبر صداقة عميقة الجذور ، وكان من اعجاب محمد علي ان تأثر بأسلوبه خاصة في القصيدة التالية التي ألقاها في مؤتمر الطلبة العرب الاول المنعقد في يافا عام ١٩٢٩ :

حي العلا حي الشبابا حي الرواسي والهضابا
من كل مفتول السوا عد ، ما رمى الا أصابا
أمضى من البيض الرقا ق ، ومن ليوث الغاب نابا

حي الشباب لموطن أضحى من الفوضى بابا
أضحى على مضض يسا س ولا يرى في الحيف عابا !
سلبوه كل صفاته لما حبوه الانتدابا

يا موطني هاك الشبا ب اذا اردت به انقلابا
هاك النشاط مجسما هاك الاسنة والحرابا
من كل حر ان دعا داع تحفز واستجابا
ندب اذا شهد الوغى ما خلته الا عقابا !

لم يثنه صرف الزما ن ولا أضل له صوابا
دفع الاذى مترفعا ومن النجيع سقى الترابا
ومن ارتضى حمل الاذى فقد ارتضى سما وصابا

وطني آزف لك الشبا ب فدع بحرمتك العتابا
قد ضج مما نشتكي فاتاك معتذرا وتابا
والله يقبل عبده ان كان اخلص او أنابا
حي الشباب مشمرا ما استل سيفا او كتابا
ما ثار لاستقلاله ما زال يستجلي اللبابا
ما ظل في أخلاقه مثلا رفيعا او شهابا

هاك الشباب لفاصب حتى يناقشه الحسابا
حتى يذيق أخا الحماية عن جنايته العذابا
حتى يزلزل عرشه ويدكه بابا فبابا
والحق يؤخذ عنوة ويكون عذبا مستطابا !

وفي عام ١٩٣٥ فجعت فلسطين باستشهاد البطل الشيخ عزالدين القسام فذرف العرب في كافة اقطارهم دموع الاسى والزفير على هذا الشهيد الكبير ونظم محمد علي في ذكراه مطولة منها :

افتتح بالفداء والآلام منهج الحق يا دم « القسام »

(١) واكهوب : هو السير آرثر واكهوب المندوب السامي البريطاني آنذاك في فلسطين .

ومر الناس ان يكفوا عن القول فلم ننتفع بصوغ الكلام
انما نحن في بلاء عظيم ليس يجدي به سوى الصمصام

من رسولي اليك ألقي اليه كيف زلزلت دولة الاوهام
كيف أبطلت في انصبابك للحق زكيا عبادة الاصنام
يا دما لم يرق على سرر الذل ، ولكن أهريق في الآجام
قد طريت القرون حتى شهدنا بك عهد النبي والاسلام
فترة في الحياة ان تك يوما انما نيفت على ألف عام !

قم الى غاب « يعبد » غير وان قم الى ذلك المكان الحرام
وسل الغاب عن عصابة صدق حينما اقبل النهار الدامي
موضع لو يجيب أصدقك القول وخير الحديث عند حزام
احدق الجد بالكماة وكانوا قاب قوسين من رصاص الرامي
وهم يسلون من كل حدب ويدبون تحت جنح الظلام
وأتى الفجر مؤذنا بقراع عبقري لله والارحام
لس من اجل مصب متداع موشك ان يداس بالاقدام
ورأى الغاب بعد ذاك نزالا شاب منه الرضيع قبل الفطام
أقدم الثائرون فيه على الموت جريئين أيما اقدام !

يتلقون بالصدور رصاص الجند طورا وتارة بالهام
ولهم كرة تهز الرواسي ومضاء يفل حد الحسام
برزوا يتبعون شيخا جليلا من قدامى المشائخ الاعلام
ما رأت منه حادثات الليالي غير ندب مجرب مقدام
فرموه من نارهم بشواظ فتردى على الثرى بوسام
وقفة لم يدانها في علاها غير ايام « خالد » في الشام !

ومن شعره التأملي ابيات عذبة يخاطب بها نفسه مشيرا الى مر الزمان ، وتخلف الاخوان :

الهي اذا ما ثار بي أفتر عن سن ضحوك
أفتر حتى لا يرى وغد دموعي او شكوكي
فالهم لي ، ما لي به في الناس من أحد شريك

يا نفس قد ضاع اليقين فهل ترى القاه فيك ؟
هل ان لجأت اليك يوما ، تحدبين على أخيك ؟
يا لغزي الباقي ويا أغلى من الذهب السبيك
قد حار فيك اولو العقول برغم ما قد حللوك
زعموك جامحة وطورا بالرضية لقبوك
زعموك مرهفة الشعور وحاولوا ان يجرحوك
زعموك « دكتاتورة » وسعوا اليك ليحكموك
ولقد تجنى الزاعمون لانهم لم يفهموك
يا نفس قد غدر الصديق وما استقام على سلوك
والدهر خان وجاء معتذرا بمنطقة الركيك
والحظ ما في الحظ يا نفسي سوى حسك وشوك
والناس ان لم يظلموك ، فانهم لم ينصفوك

يا نفس صبرا ان ربك للعلاء سيجتبيك

وفي حالة من حالات يأسه ارسل محمد علي الصالح زفرة من زفراته الحرى وهي ظاهرة تنم على تشاؤمه ، وتنتاب كل شاعر رهيف الحس كشاعرنا الصالح :

أملي تساقط زهره من بعد ما دنت القطوف
كتساقط الاوراق داهمها بموسمه الخريف

أحيا وما في جعبتي ... الا الرزايا والحتوف
في مهمه مالي بها ... خل على البلوى عطوف
وتطوف بي أشباحها ... وتلم بي منها الطيوف
وأخف من آلامها ... ما أنضجت مني السيوف

كم ذا ابتسمت وكم ضحكت ... وفي فؤادي ما يخيف
وبنيت من حلو المنى ... قصرا فهدته الصروف
كم قلت ليس سوى الظروف وما تغيرت الظروف
ودجى سيمحوها الصباح ... فكان في شمسي كسوف
وذا انتهيت من التليد ... يزورني هم طريف

ما لي اذا ناديت عزمي ... بان من عزمي عزوف
أتراه يغدر بي وما ... في طبعه غدر وحيف
ما لي أحس به خبا ... فكأنه نور ضعيف
وكأن عصف رياحه ... لينا يطاوله الحفيف
قد كان لا يثنيه عن ... غرض مئات او الوف
كم ذللت وثباته ... صعبا ، وكم رغمت أنوف
ولكم مضى وكأنه ... قدر على الدنيا يطوف

والان قلم ظفره ... فاذا به لدن أنوف
يرضى بأبسط عيشة ... ويفوق حاجته الرغيف

ورغم اليأس الذي استحوذت أشباحه على نفس شاعرنا كان للنسيب نصيب من شعره ، واسمعه يخاطب « ليلى » الممعنة في صدها ، المخلفة في وعدها ، لكنها صدقت هذه المرة وتم اللقاء :

لقد صفا لي مرة دهري ... وحل بعد الهم ايناسي
في روضة ريانة بالندى ... كأن حصباءها من الماس
خلوت في ظلها الى رشاء ... مثل قوام الرمح ميال
كم قد سعيت للقاء به ... أحبس للشوق حر انفاسي
واخفض الخطو الى موعد ... كيلا ترائي عين حراسي
فلا اراه ولا ارى أثرا ... منه فيطفىء عاسي وسواسي
ديدنه ان يمضني الما ... حتى يشيع الغرام في الناس
لكنه مرة تعاهدني ... من فيض احساسه لاحساسي
وقال لي : اقسم ان نلتقي ... بعد العشا في روضة الآس
فقلت : هل يخلف بعد الذي ... كان من الايمان ذا القاسي
وهل ترى ينسى وعهدي به ... لم يك قبل اليوم بالناسي
فقمت والعيون قد هجعت ... بعد اذان وقرع اجراس
والبدر في اضطراب مشيته ... ينم عن لهفتي وايجاسي
وجاء مختالا خفيف الخطى ... والنجم مشدود بأمراس
يقوده الحب كما قادني ... الى مكان وارف كاس
الى شجيرات كعش القطا ... ملتفة فيه واغراس
الماء جار خافت صوته ... والطير نامت بعد أعراس
هناك لاقاني ولاقيته ... لقيا الغنى من بعد افلاس
عانقته والعيون التقت ... ورأسه مالت الى راسي
فقلت : هل تمنحني قبلة ؟ ... قال : وهل في ذاك من بأس ؟

ويوم كان شاعرنا نزيل سجن عكا الرهيب تذكر « ليلاه » فبعث اليها هذه الابيات :

نأى عني فارقني ... وان لم ينأ عن فكري
أطوف به وأساله ... كما طفت بذي سر
حديثا عبقري الحب ... مطويا على الطهر
أخف من الصبا حملا ... وأطيب من شذا الزهر
نقشت حروفه حرفا ... على حرف على صدري
ولا انسى معانيه ... ومغناطيسه عمري

احبك يا منى النفس ... وان لوحت بالهجر
احبك خالصا للحب ... في سري وفي جهري
وأرضى بالذي ترضا ... ه من خير ومن شر
لك الامر فلا تعصى ... ولي الاذعان للامر
وانت برغم معتبتي ... بلا اثم ولا وزر

أتذكر يا شقيق الروح ... كم لي فيك من شعر ؟
وكم ارهفت مستمعا ... وانثيت على درري
أتذكر أم ترى تنسى ... وانت أحق بالذكر
عهودا قد عقدناها ... على منعطف النهر ؟
لئن ناقشتني قولا ... بقول ان لي عذري
فقد أصبحت معتوبا ... ومغلوبا على امري
ولست مغاليا ان قلت ... ان السجن كالقبر

فدى وطن شغفت به ... على البأساء والخير
ولم أنهل على ظمأي ... سوى من حوضه المر

حبيبي ما الذي تخشاه ... من عذالك الكثر ؟
أجهرا بعد كتمان ... فيا شوقي الى الجهر !
فقلبانا قد ائتلفا ... على شرع الهوى العذري !

وكانت « ليلى » في طولكرم محبة للشاعر ، عاشقة له ، وكان وردها عذبا صافيا من الكدر لكنها ذات مرة اغلقت بابها دونه فأرسل اليها معاتبا :

لقد بدرت يا « ليل » منك بوادر ... بأي تفاسير المحبة تشرح ؟
يقولون قد اغلقت بابك دونه ... فحتى متى يا «ليل» بابك يفتح ؟
لقد برحت بي في غرامك نشوة ... أخاف اذا طالت تنم وتفضح
أخاف اذا شرقت قالوا الم يكن ... له عن هوى «ليلى» مراح ومندح
وأخشى اذا ما همت يوما لوجهة ... يقولون في «ليلى » يهيم ويسرح

هو الحب يا «ليلى» التويت بناره ... وداهمني منه البلاء المبرح
وأصبح قلبي رازحا تحت عبئه ... فهل قلب «ليلى» مثل قلبي يرزح؟

وسمع شاعرنا ذات مساء « ليلى » تغني وترسل صوتا عذبا جميلا ، وكانت من قبل تنكر عليه هذه الهبة الربانية ، فأرسل اليها معاتبا شاكيا :

اني سمعت الصوت ما أعذبه ... مفرحة انغامه مطربه
يدب في النفس دبيب الشفا ... ويبعث العزم بذي المتربه
ما رنة الكروان الا صدى ... ترجيعة من بعض ما طربه

كتمته عامين عن مسمعي ... وبخت فيه دون ان أطلبه
ارسلت في جنح الدجى لحنه ... فشق من جنح الدجى غيهبه
ومدت الانجم اعناقها ... تصغي له كوكبة كوكبه
يا عجبا .. الليل اولى به ... مني ؟ لحال لك ما أغربه !
أم ثم سر يا فتاتي وهل ... في الحب بعدالعهد من ذنبذبه ؟

أشكوك هل أشكوك ؟ اني اذا ... اشكوك للحب ومن جربه !
ولست ابغي ان أزيد الجوى ... نارا .. وما الشكوى سوى معتبه!

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

برمـــانا

للشاعر الانكليزي « جيمس الروي فلكر » الذي عاش زمنا في « برمانا » بلبنان

اواه ! ألن يتاح لي الرجوع ، يوما ، الى وطني
لك الله ، يا مروج انكلترا المتلألئة بعد الامطار
مدي بساطك الاقحواني الرحيب
طوقي روابيك الخضراء بورود البرارى وبراعم النوار
ويا صباح العمر البعيد
والجداول الصافية تنساب على الحصباء
يا ملاعب لهوي ومراتع صباي
ادخري لي حبك . واترعي لي كؤوس الصفاء
ويا غابات الصنوبر العطرية اللقاء
أجناد الشاطيء الجنوبي القاتم
رفاق الود الفتي الحالم
احتفظي لي بشمالة الاماني وصبابة الاغاني التي
كنت تنشدينها لي يوم كنت صبيا ، أجلس
وحيدا تحت شجرتي الاثيرة . القي اليك
السمع ، ساهما ساجيا وعيناي سارحتان على
صفحـة المـاء !
ويحك ! أيتها الصنوبرات الماكرة الهوجاء
لشد ما أرتني الحياة بطلان ما كنت تنشدين
لقد نفخت الدنيا حولي من كل صوب
بأبواقها الدهرية العتيقة .
وارتجت الارض بزماجر غاباتها الوحشية السحيقة
وأزجت مهاوي العباب أشباحا تعلو متون الانوا ء
بينما تنتهي الى سمعي من قيثارة الزمن ،
وتهاويل طيوف تمتطي صهوات العواصف الهوجاء
نقرات مبهمة بعيدة وبحات نغمات مقطعة شريدة
لكم سمعتك تهينمين أيتها الاشجار
تهمسين في أذني . محدثة عن بحار
غارقة في غمار القدم .
عن شواطيء شاسعة قصية
تتلاطم الامواج على سواحلها الرملية
وتتهادى الحلزات مختالة بأبراجها اللؤلؤية
حيث الصخور الشاهقة منحوتة الجبهات
بازرة النتوءات
حيث السهول تموج بالازهار ، كأنها شعل من نار

ههنا دوني في الوادي الظليل
تتمايل بواسق النخيل
وهناك على الشاطيء تتكسر الامواج
وهنالك ، في حضن الضباب والنور والسكون .
ترقد مدائن لبنان في اكناف حلم عميق
حيث كان ملوك صور
وملوك صور سادوا في قديم العصور
سلالات متتالية مهيمنة دون انقطاع
وهنا .. هنا من حولي
تسبح قنات الجبال الثلجية الشماء
في عنان الفضاء كأنها حمائم هائلة بيضاء
عائمة على غدير السماء
اني لاذرع الغابة ، على هذه التلال الوفراء
حيث تشمخ أخوات لك يا صنوبرات بلادي
النائية سامقة الى العلاء
وحين يرخي الشفق الازغب جنحه الناعم الوثير
فلا يلوح لناظري البحر ولا الغدير
وتخفي عني الجبال ومهابط الرمال
يقف قلبي واجفا مرهف الاصغاء .
ألا ، فان للصنوبر ، أينما كان ، وشوشات
ووسوسات وآهات وغنات
أصداء عصور وهمهمات دهور
ما أروع جمال السماء من خلال الغصون
موشحة بغلائلها الذهبية الداكنة
أو الزرقاء القاتمة
وما أهنأ الاستلقاء على هذا البساط الرخي
الممدود من اوراق الصنوبر الابرية السمراء
تتخايل حيالي عظاية مزهوة خضراء
وأنفاس القيصوم . وعبير الخزام .
لعلي أنسى وحشتي وآلامي
لعلي أسترد ما أضعت من أيامي
وتعود بي الى وطني أضغاث أحلامي .

بيت مري ـ لبنان

عبد الله النجار



كمال رستم

اضواء على الرواية الجديدة

بقلم لوران لـوساج

عرض وتلخيص : كمال رستم

* * *

بنية الروايـة الجديدة

أيا كان هدف الكاتب او وجه الحياة الذي يعالجه ، تظل الحكاية قلب الرواية ـ اعني ما تفعله الشخصيات ومـا يحدث لهم وسواء كان ما يحدث لهم جُثمانيا كما فـي « الفرسان الثلاثة » او نفسيا كما في « اميرة كليف » او اجتماعيا كما في « جيرمينال » تظل الرواية نوعا مـن المغامرة . والرواية الجديدة وقد اوقفت نفسها علـى غايات ابستيمولوجية تسجل مغامرة ميتافيزيقية اذا لـم تسجل المغامرة الميتافيزيقية ذاتها . وغني عن البيان ان غرض الكاتب ومزاجه سواء كـان نفسيا او اجتماعيا او غير ذلك يسلم المغامرة الى نسب معينة وشكل معين .

فنموذج « ديماس » للرواية يتقدم عن طريق الكشف عن الشخصية والمواقف التي تخلقها الشخصية ونمـوذج « زولا » عن طريق اظهار العلة والمعلول في عالم الظواهـر الاجتماعية . وينطوي كل نموذج اساسا على احتياجاته من الطول والعرض ، بداية مناسبة ، مدة من الزمـن والنهاية . والرواية الجديدة شانها شان الروايات الاخرى نمت شكل سرد خاص ليواجه الاحتياجات التي فرضتهـا الاهداف والاهتمامات الجديدة .

ففي رواية كرواية « سأعيش حب الاخرين » مـن الواضح ان « جان كبرول » يروي من وراء مغامرة ارمان الملحة العظيمة لكل الانسانية . فهذا البطل الذي ظهـر مبتدئا بأحساسات جسدية يـدرك الاشياء والكائنـات تدريجيا . فنحن نقرأ في الصفحة الاولى البيضاء من الجزء الثالث هذه الكلمات : « بينما كان ارمان فـي الجزئين الاولين ينمو في عالم من الاشياء نظمت بطريقة عدائيـة او سلمية فانه الان يتنبه فجأة الى كل ما يصنع الانسـان ويحطمه ويمجده . فالوحوش تصعد عيونها الدهشة الى هذا .. الطفل الوضيع » والكائنات تحييه وامرأة تهيىء له فرصة ان يعيش حبه .. ان ارمان هنا ليس الا رجلا فقط بيننا لانه لا توجد مسافة مقطوعة بين الكائنات . ان تطور الانسان يمكن ان يقاس بطريقة حبه، ونظرا لقضائه مدة طويلة في مرحلة الطفولة حيث لا تعرف بوضوح « الانا » و « اللاانا » احب حبا جزافيا عالة على الغير . اما الان فبفضل ادراكه الحاد اصبح في مستطاعه ان يعـرف عذابات الغيرة ولا يحتمل احدا بينه وبين « لوسيت » .

وتتحرك روايات « صمويل بيكيت » غير الدرامية في اتجاه مضاد . انها تصور لا صعود الانسان وانمـا هبوطه وتظهره عائدا الى مستوى من الوعي اكثر انحطاطا حتى عن المستوى الذي ابتدأ عنده « جان كـبرول » . فالحكاية التي لا يفتأ يرويها « بيكيت » فـي « مولوى » و « مالون » الخ .. هي الانفصام النهائـي والانهيـار للملكات العقلية ، وروايات الكتاب الجدد الاخرين اقـل ملحمية في المجال ولكنها تعكس او تفسر اوجها للمغامرة الانسانية ، بحث الانسان عن المعرفة والفهم . من هـذه الروايات رواية « تمضية الوقت » « لميشيل بيتـور » وفيها يكافح « جاك ريفيل » ليصل الى الحقيقة الكامنـة خلف كل الدلائل التي تربكه والعلامات التي تواجهه اثنـاء سيره في شوارع المدينة الانجليزية ، انها ايضا « حدوته» « المساحات » لالان روب جربيه التي يحاول فيها «ولاس» بيأس ان يحل لغز المدينة الواقعة على الميناء اثناء سيره في طرقاتها ، هذا التجوال بلا هدف .. المشـي فـي الشوارع الخالية هما النموذجان الاثيران لتصوير اقامـة الانسان على الارض ويبدو الكتاب الفرنسيون هنا مدينين لجيمس جويس لان ابطال الرواية الجديدة اساسا هـم جوابـو آفاق .

والدافع قد يكون غير محدد تماما فأبطال فيـرول يبدو انهم يتجولون بلا هدف ناظرين فقط ، واخـرون بالرغم من انهم يبقون في المقام الاول اوعية مسجلة الا انهم يلاحقون شيئا .. بحارا عنـد « مارجريت دبراس » او

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجمة عند « كاتب ياسين » وآخرون يبحثون عن حل لسر معين وهنا يتحد نموذج الاوديسة مع الرواية البوليسية ليؤسس العقدة فروايات « المساحات » و « تمضية الوقت » و « الميزانسين » تدين بشيء لكونان دويل » ومن جاءوا بعده فالرواية الاخيرة « لكلود اوليه » المؤلف المهندس الذي يبحث عن كوبري عبر الصحراء الافريقية يحاول ان يعيد بناء الظروف الغامضة التي مات فيها سابقه والتي طعنت فيها فتاة من المنطقة . ولكن هذه الروايات ـ خلافا للروايات البوليسية ـ تفشل في تقرير انه كانت هناك اية جريمة قتل ، والجو الغريب الذي يتحسس فيه المهندس ـ مثل « جاك ريفيل » و «ولاس» ـ طريقه بحثا عن الحقيقة اكثر ايحاء بعالم الهلوسات عند « فرانز كافكا » منه بعالم كل يوم المألوف الذي يستخدم كخلية لاغلب روايات الجريمة والغموض الحديثة . وعلاوة على ذلك فان روايات البحث هذه ـ خلافا للرواية البوليسية ـ ليست روايات مخططة او مرسومة تستهدف منع القارىء من تخمين النهاية بقدر الامكان لان الروائي الجديد لا يعرف هو نفسه ماذا ستكون النهاية فعليه ان يخترع اثناء تقدمه لانه اذ كانت شخصياته صادقة طبقا لفلسفته فيجب ان يمتنع عن اية فكرة مسبقة عما سيحدث لهم .

عرف « بيتور » الرواية بأنها بحث ، وقال «سارتر» ان الرواية الحقيقية الوحيدة هي رواية الامتداد الزمني وقد التقت بنية البحث بطريقة تدعو للاعجاب بهذين التعريفين الا ان التقدم بدون الارتجال يزيف المغامرة الانسانية التي تهدف الرواية الجديدة لتصويرها كما انه يقصر عن اظهار شخصية الانسان . فاذا نظرنا عن قرب لاحدى روايات « بيتور » ولتكن هي رواية « السواد » لرأينا كيف تتطور الاحداث عرضا . ففي حدود البداية والنهاية اللتين يعتسفهما « كيرول » لرواياته تخترع مغامرات البطلة كلما تقدمت الحدوتة « وبالمثل تعطي روايات « كلود سيمون » الشبيهة بروايات « فوكنر » انطباعا قويا بأنها مخترعة وهي تتقدم . وتقول «مارجريت دبراس » عن رواياتها « انني اتقدم فقط على غير ثقة » . ومن الممكن ان يكون «يو نسكو » قد اخذ على عاتقه ان يتكلم نيابة عن الروائيين الجدد حين قال عن نفسه «عندي ان كل مسرحية هي عبارة عن مغامرة ، مطاردة ، اكتشاف الكون الذي يكشف عن نفسه لي وفي حضوره اكون اول المندهشين » ؟ والشخصيات في الروايات الفرنسية الجديدة ما ان يخلقها المؤلف حتى يدعها وشأنها لتعتمد على نفسها ولتواجه مصيرها بحرية شأنها شأن الناس كما يقول « سارتر » .

وتتحدث «مارجريت دبراس» عن روايات البحث التي تكتبها باعتبارها روايات عن معجزة تتوقع ولكنها لا تقع ، ففي رواية « الحياة الهادئة » تنهار الامال المعقودة على نجاح المزرعة ففي رواية « قنطرة تواجه الباسيفيك » لا ينحسر المحيط وفي رواية « جياد تاركينيا الصفار » ، القائمون بالاجازة لم يروا ابدا الافريز ، ومختلفة مرة اخرى عن الروايات البوليسية ينتهي البحث الذي تقوم عليه الرواية الجديدة بالفشل ، فلا « جاك ريفيل » ولا « بيير ايليه » بطلا « ميشيل بيتور » ولا « جيل » بطل « جان لاجروليه » استطاع ان يوحد تجربته للعالم . فالاب في رواية « روبير بينجيه » لم يحصل ابدا على الرسالة التي كتبت لابنه تماما كما فشل مؤرخ « سارتر » في تأليف كتابه ، ونحن نترك في الظلام بالنسبة لمصير ابطال « روب جرييه » فلا ندري ما اذا كان القاتل في « المتلصص » لقي جزاءه وما اذا كان الموقف قل حل اخيرا في « الغيرة » ولا يحتوي الطرد الذي يحمله الجندي في رواية « في المتاهة » على اي شيء مهم .

ان روائيي الحوادث ينهون بطريقة تقليدية روايتهم خينما تنتهي الحوادث ويتوقف روائيو الازمات النفسية حينما تنتهي الازمة . واستعار الروائيون الاجتماعيون نهايات رواياتهم من مؤلفي النوعين السابقين ولكن الكتاب الجدد الفرنسيين لتحاشي نوع الحل الذي تنطوي عليه العقدة على انه يجب ان يعتمدوا على حيل متعسفة تماما شأنهم في ذلك شأن الروائيين الانجليز لتيار الشعور من قبلهم . « المساحات » تقع احداثها خلال اربع وعشرين ساعة و « تمضية الوقت » تقع احداثها في عالم كامل . هذه الروايات وامثالها تنتهي عند لحظة الانتهاء وكان بامكانها ان تستمر الى غير نهاية ولكن دون محاولة لربط الخيوط معا او تقديم نهاية مألوفة . فاذا كان الزمن الخارجي ـ زمن الساعة يستخدم لاقامة حدود الرواية الجديدة فان الزمن الذاتي ـ امتداد الزمن هو الذي يعمل خلال الرواية ويشكل عاملا في بنائها الداخلي . ان العقل يطيل او يقصر الحادثة ويمزج الماضي بالحاضر بالمستقبل، وطالما ان هدف هذه الرواية هو تسجيل الوعي فان مجراها الداخلي يشبه مجرى العقل . وهذا يفسر لنا تكرار المشاهد في روايات مثل « المتلصص » و «الغيرة». المؤلف يعيد المشهد كلما تردد في وعي الراوي ، كما يفسر لنا سياق المشاهد في غير تتابعها الزمني الذي نلاحظه في كل مكان في الرواية الجديدة فبينما يسجل العقل ما تراه العين تلعب الذاكرة دورها وربما الخيال ايضا وكما يقول « كلود سيمون » : التجربة الكاملة يجب ان تحفظ .

ان نبذ التسلسل الزمني لصالح طرق الوعي له بالطبع سببه في الفلسفة . وموضوع الزمن لا يزال احد « سمات » علم الظواهر الاثيرة وقد جعل « هيدجر » الزمن كما يمارسه الفرد الفرع الاساسي للوجود وعنده

ان الحياة الانسانية تعاش قريبة جدا من الزمن لان الانسان وحده من بين سائر المخلوقات هو الذي يتوقع موته ويدرك التغييرات الدائمة التي تتعاوره جثمانيا وعقليا خلال مجرى وجوده ، وبنظر « سارتر » الى الرواية ـ وهي دائما امتداد زمني ـ كوسيلة لاظهار الانسان كمخلوق يستغرقه الزمن وتدركه الفلسفة كذلك ، ومعلنا ان الرواية الوحيدة الحقيقية هي امتداد زمني وضع الرواية مباشرة في خدمة الفلسفة وارسى الاساس للتقدم السردي الذي يفضله الروائيون الجدد .

وواضح جدا ان « بيتور » و « سيمون » فيلسوفان من فلاسفة الزمن ، وتترجم رواياتهما تماما ما يسمى بالانعكاس الفينومينولوجي اي محاولة اعادة بناء تجربه تحتفظ بها الذاكرة والوصول الى معناها بوصفها وصفا تاما بقدر الامكان ، ولكن « روب جربيه » بتكراره المناظر يتبع المبدا الفينومينولوجي الذي يقول بأنه بتكرار الظاهرة يمكن للمرء ان يستحضر معناها . وغير هؤلاء من الروائيين الجدد بينما يظهرون بوضوح اقل انهم يقدمون دروسا فلسفية الا انهم يستهدون في سردهم بالزمن الذاتي اكثر منه بالتسلسل الزمني . وفي تعريفنا لترتيب ما لمشهد وحادثة يتجاهل التصنيفات المعقولة نميل الى تشبيهه بترتيب الاحلام ، ففي الاحلام يمكننا ان نرى بوضوح اكثر العمليات الذهنية تعمل دون محاباة ذهنية وتدخل وبسبب خاصتها الحلمية (نسبة للحلم) .

يمكننا ان ندعو الرواية الجديدة بالرواية السيريالية الافضل ، فانطباعنا بأننا نعيش في حلم اثناء قراءتنا يتكشف بوجهة النظر المتفق عليها وهي حيلة سردية يعتبرها الروائيون الجدد اساسية في فنهم ونحن نبقى محصورين في وعي الراوي ولا يسمح لنا ابدا بأن نناقش المؤلف او نبتعد لحظة واحدة لنتملي نظرة من الخارج للحالة فليس هناك من يقول لنا ما الذي حدث فعلا او ما الذي سيحدث. والبطل ليس متأكدا ابدا ما اذا كان كلام ما قد قيل فعلا وما اذا كان احساسه يكذب او تفسيره خاطئا . وكل ما يمكنه عمله من وجهة نظره المحددة هو ان يخمن ، فنرى جملة تفمرها الفاظ « كريما » و «محتمل» ليظهر للقارىء انه نفسه لا يعرف الحقيقة وبينما نقتفي اثار خطواته القلقة نشعر بأننا نفقد الارض الصلبة التي نقف عليها في الحقيقة واننا في الحلم او اننا ضحايا هلوسة . والعالم الذي يشيده البطل يضاء من خلال التجربة الشخصية او الكلام العادي يمكن ان يكون فقط تجريبيا . ونحن نخشى ان ينهار امام اعيننا شأنه شأن هذه العوالم الوهمية في الاسطورة اليابانية فمثلا « في المتاهة » « لروب جربيه » يظهر الجندي المريض الذي يعالج سكرات الموت كالكابوس . وهنا مرة اخرى نجد « سارتر » وفلسفته وراء التكنيك فهو يرى ان « الرواية الحقيقية لا مكان لها للملاحظ مميز » فطالما ان الحقيقة المطلقة لا يمكن معرفتها فان تقليد المؤلف العليم غير سليم من الوجهة الفلسفية .

ومهما كان الانطباع الذي تحدثه الرواية الجديدة للحلم او لتيار الذهن الخالص قويا ، فاننا نعلم اننا نتعامل مع فن لا مع كتابة آلية او نسخة طبق الاصل من التجربة النفسية . والرواية الجديدة لكي تشبه عمليات الوعي ولكي تحصل كذلك على الوحدة الجمالية استعارت كثيرا من الفنون الاخرى . فمثلا الموسيقيون قد يرون نوعا من الترتيب اللحني اي اضافة الالحان بعضها الى بعض في الطريقة التي تتجاور فيها الحوادث او المشاهد لتنتمي الى فترات من الزمن متباعدة تماما . انهم قد يرون المشاهد المكررة كثيمات متغايرة او دوافع . وفي تحليله الدقيق لرواية « الغيرة » « لروب جربيه » قال «ا لبروفيسور بوريس موريست » (اثناء « زمن » الرواية يلاحظ البطل ويعيش ويعاني ويتذكر احداث العقدة ويجعل منها من خلال خياله النشط « التجربة » التي هي الرواية ذاتها والنتيجة هي حرية عظيمة جدا (تعدد المناظر ـ تكرار الثيمات ـ تطوير الحوادث ـ تحويل العناصر الخارجية والاشياء الخ) تحمل في ثناياها مشابهة للبناء الموسيقي . ان التساوق الموسيقي لروايات « روب جربيه » الاخرى يمكن ان نخرج من دراسته بفائدة كبيرة وبالنسبة لكل الروايات الجديدة يوضع التحليل البنائي ـ في نطاق الموسيقى الامر للغاية) .

ومثل هذا القول يصدق كذلك على لوحات « كلود سيمون » التي يعرضها في تصميم موسيقي شائق للغاية و « كلود سيمون » نفسه يشير الى التصوير اكثر منه الى الموسيقى في شرحه لرواياته ولا يستغرب هذا منه اذا علمنا انه كان رساما قبل ان يصبح كاتبا وهو يميز شخصيات رواياته وثيماتها باستخدام احبار ملونة لكل منها كما يفعل الرسام . ويدعونا اهتمام « سيمون » بالتصوير الى الاعتقاد بأن هناك كتابا اخرين .. من بين الروائيين الجدد ينظرون الى اعمالهم باعتبارها من فن التصوير بكل متطلباته من ترتيب التصميم واللون وفقا لمبدأ تنظيم القماش . ومن هؤلاء الكتاب « بيكيت » الذي يستخدم اقلاما ملونة او ريشات ايضا و « بيتور » الذي يجعل اهتمامه بالفنون الجميلة نصه يقرأ احيانا ككتالوج متحف و « روب جربيه » الذي يبني روايته حول صورة « في المتاهة » وهناك استعارات لا شك فيها من السينما مثل (لقطة قريبة) (واختفاء) (ومونتاج) تصف جيدا تكنيكات التأليف في اي عمل من اعمال « روب جربيه » او « ميشيل بيتور » اعتبر اللقطات التي يفتتح بها « روب جربيه » رواياته : منظر المقهى في « المساحات » ودخول قارب المعدية في « المتلصص » العرض التدريجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمنظر والشخصيات في « الغيرة » واسلوب الرواية الاخيرة بجمله المسطحة المهتزة . ففي الزمن الحاضر يذكرنا بقوة السيناريو ، وباستخدام اللقطات واللقطات القريبة ، والتتبع اثناء تحرك الشخصية ، والاختفاء والقطع يكون « روب جربيه » مناظره كما لو كان حقيقة يستعين بالكاميرا . واذا عاد ذهن الشخصية الى مناظر في الماضي فانه يستعين « بالفلاش باك » ليقدم الشخصية لنا . والحيل الموحية بالمونتاج تستحضر معا عناصر السرد المختلفة كما في « المساحات » ورواية « ممر ميلانو » « لبيتور » أقيمت على نموذج مألوف جدا في السينما ، هو المشاهد المتزامنة . ان الاهتمام بالسينما وتكنيكاتها قوي جدا بين الروائيين الجدد الشبان ولا يدهشنا ان نراهم يتحولون كما فعل كل من « روب جربيه » و « مرجريت دبراس » لكتابة السيناريو . ولكن يجب ان نذكر انه بالرغم من ان الروائيين الجدد يستخدمون في رواياتهم حيلا بنائية مستلهمة من الافلام الا انهم يفعلون ذلك لان هذه الحيل تخدم اهدافهم الادبية ، فلا يجب ان يفهم ان التأليف الموسيقي او التأليف المشابه للسيناريو او اية استعارة من الفنون الاخرى هي هدف في ذاته فالروائيون الجدد لا يحاولون ان يحيلوا الرواية الى سينما او تصوير او مقطوعة موسيقية . فقط بعد ان رفضوا العقدة والحدث ، كان عليهم ان يلتمسوا في النماذج الشكلية الوسائل التي تعطي اعمالهم قوة دافعة ووحدة ، وقد وصف « روبرت همفري » النماذج الشكلية التي فرضتها كتابة تيار الشعور على النحو التالي :

١) الوحدات (الزمان والمكان والحدث) .
٢) الليتموتينات .
٣) نماذج ادبية سبق اقامتها .
٤) بناءات رمزية .
٥) ترتيبات منظرية شكلية .
٦) افكار دورية طبيعية (الفصول ـ المد والجزر الخ)
٧) افكار دورية نظرية (بناءات موسيقة ـ دورات التاريخ الخ) .

وقد اسس « بروفيسور همفري » بحثه على « جويس » و « ولف » واخرين ممن يكتبون بالانجليزية وان كان من الواضح ان الكتاب الفرنسيين الجدد انتفعوا بنفس النماذج . لاحظوا الوحدات بشدة ليمدوا اعمالهم بهندسة اساسية متينة . وقد لاحظنا وحدة الزمان ، وفي مثل صرامتها وحدة المكان ـ مدينة ـ جزيرة ـ شاطىء ـ مبنى ـ شرفة .

الا انه كما هي الحال مع وحدة الزمان فان وحدة المكان غير محصورة تماما بسبب العقل على ان يحرر نفسه من المكان الحاضر ومن اللحظة الحاضرة . ووحدة الشخصية يحتفظ بها ليس فقط بواسطة الشخصيات القليلة العدد نسبيا (وصل كل « مارجريت دبراس » و « بيكيت الى النهاية الصغرى) ولكن ايضا بالالتصاق الشديد بوجهة النظر الوحيدة وما يمكن اعتباره حدثا محصورا جدا ـ رحلة ـ اقامة ـ بعثة الخ .

الا ان الكتاب الفرنسيين الجدد يختلفون عن كتاب تيار الشعور الانجليز بأن لهم هدفا فلسفيا والنماذج التي استعاروها من هؤلاء الكتاب تستهدف اكثر من اعطاء اعمالهم مغزى جماليا او حتى تصوير عمليات النفس والمغامرة الانسانية على الارض . انهم باستخدامهم هذه النماذج ليعرضوا الحياة في الرواية يبتغون هدفا عزيزا عليهم ـ هدف القضاء على فكرة السياق الزمني وسائر دعائم الكون العاقل .

القاهرة **كمال رستم**

خيول الريح

لان منازل الاحباب يجهدها النشيج المر
لان مواسم الافراح لم تورق
لان الصمت لم ينطق
وقفت على جراح الخيمة السوداء
وفي عيني قد حطت قناديل الدماء السمر
وفي قلبي تموت البسمة العذراء
فتلسعني عيون القهر اهتف
عمري المقتول وجهك يا فلسطيني
ساركبها خيول الريح تحملني
وبين توهج الالام تنثرني
اشم رماد قلبي في جفونك يا فلسطيني
ارى كفني على عود ينادي ثوبك العريان
فتصلبني جذوع الراية الحمراء
واصرخ رغم اذلالي
وغصب الموت والنيران ، لن ارحل
ساشرب صمت من قتلوا
ساشرب وجه من غابوا
ومن خطوا على التربه
كتاب الثار والعوده !

حلب **عصام ترشحاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلة في المولد

بقلم حسني سيد لبيب



في مولد السلطان ابي العلاء، يختلط الحابل بالنابل. ان قطعة الخلاء التي تمتد خلف المسجد العتيق المطل على النيل ، تنقلب كل عام فجأة الى مهرجان ضخم حافل بألوان شتى من الصخب والضجيج. جماعات من الشبان تلهو وتتصارع، نساء يلتففن بالملاءات السود ينعمن النظر في حياء ودلال الى ما يرونه من اللعب والتهريج دون ان يشاركن فيه ، الصبية يتناثرون في كل مكان ويندسون بين الرجال والنساء ويتطلعون الى كل شيء يصادفهم .

بائع السبح لا يصمت ابدا ، يظل يردد نداءاته المكرورة :

ـ عندي سبحة بقرشين وبخمسة وبعشرة ...

الساحر الهندي يقف على ترابيزة خشبية ويعرض بعضا من العابه . انه ذو هيئة منسجمة تمام الانسجام مع مهنته ، فوجهه أسمر في لون البن المحروق ، وعلى الراس طاقية حمراء زاهية لفت حولها عمامة بيضاء ، ويرتدي جلبابا أزرق ويتأبط وسطه رباط أخضر . تقف بجانبه فتاة رشيقة يستخدمها وقتما تدعو الحاجة الى ذلك ، واحيانا لا يكون لها دور في العابه هذه ، وربما كان وقوفها من باب الدعاية والترويج .

تأمل وحيد الساحر وهو يعرض العابه . دقق النظر جيدا في حركات يديه الخفيفة ، وحاول ان يترصد له خطأ ما ، او يكشف الاعيبه ، لكنه لم يقدر ، الا انه لم يقتنع بأنه ساحر فعلا ، برغم ما رآه من العاب سحرية عجز عن كشفها .

تملى النظر في الفتاة الرشيقة الواقفة بجانبه . عجب لامرها ، فهي تبتسم دائما وتشير بيديها الى الساحر الهندي ، واحيانا الى باب المسرح الخشبي الصغير . البنطلون الاصفر والبلوزة البيضاء لا يكشفان مفاتنها . كان من الممكن ان تكون اكثر فتنة لو انها راعت اختيار ما يناسبها . وجهها المعروق ما تزال مسحة الجمال بادية عليه . تحاول الفتاة من وقت لآخر ان تمسح العرق بمنديل في يدها ، وكأن ذلك لعبة من اللعب المعروضة .

اصطدمت به امراة بدنية ترتدي ثوبا أسود . نظرت اليه في غضب، لكنه لم يعرها انتباها ، واستحث الخطى على المسير . شق طريقه وسط الزحام . الفى مسرحا يمتاز عن باقي المسارح بأنه لا يقوم بدعاية ولا يحدث ضوضاء ، والعجيب ان الناس يتوافدون على المسرح . توقف هنيهة واخذ يقرأ اللافتة العريضة .. « المسرح الحديث .. غناء . رقص . منولوجات . استعراضات . تمثيليات » .

وسرعان ما انجذب الى فتاة ممتلئة تبيع التذاكر ، ترتدي فستان سهرة عاري الاكتاف .. دونما انتباه من صاحبته التي تنهمك في بيع التذاكر . غمزه رجل بجانبه ..

ـ انها الراقصة .. بنت تعجبك.

ومصمص شفتيه عن رغبة واشتياق .

استثارته الراقصة ، وتذكر آمال خطيبته ، لا شك هناك فارق كبير . لقد جلس مع آمال ابنة عمه وهي بجلباب البيت .

لماذا يقارن بين الراقصة وابنة عمه ؟.. نفر من هذه المقارنة ، وارجع ذلك الى فساد مزاجه ، واخذ يستحث خطاه .

دوى انفجار في أذنه ، انزعج ، التفت الى اليمين حيث مصدر الصوت ، ففوجيء بصوت امراة تحمل طفلا يزعق بشدة :

ـ فرقعت بالونة ابني ، الا تأخذ بالك ؟.

ـ انا ؟..

مصمصت المراة شفتيها ، بينا اخذ الطفل يبكي بصوت حاد ، لكنه اختلط بصخب الاصوات الاخرى ، وضاع فيها ..

ـ اشتري لابنك واحدة اخرى..

ـ لا اقبل العوض يا افندي ..

أشاحت وجهها عنه ، واخذت تهدىء من انفعال طفلها .

صوت مطرب يتناهى الى اذنيه من مسرح قريب ، صوته جهوري وكأنه يلقي نفثات ضيق ، علاوة على ذلك الحشرجة التي يبرزها مكبر الصوت بوضوح ، الا انه يحاول تنغيم صوته، وذلك امر يدعو الى العجب!. استمع الى بضع كلمات فتضايق لسذاجتها ، وتمنى لو يستطيع انزاله من على خشبة المسرح ومنعه من الغناء .

تذكر الخطابات الثلاثة التي وصلته من آمال ، ولم يرد على واحد منها حتى الآن . لا يدري السبب.. ربما كانت نوبة الكسل والخمول هي السبب . حاول ذات مرة ان يكتب لها ، فكتب رسالة صغيرة ، لكنه نسيها في درج مكتبه ، وبعد أسبوع من تاريخ كتابتها اضطر الى تمزيقها ، لكنه لم يستطع ان يكتب رسالة غيرها . ومنذ ذلك الحين لم يكتب لها ، وهي في رسائلها الاخيرة تلومه وتعتب عليه عتابا الرقيق ، لكنه يحس في قرارة نفسه انها بعيدة عنه ، فهي لا تعرف شيئا عن ظروف معيشته في غرفة صغيرة لا تدخلها الشمس ابدا ، اما الهواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا يزور غرفته الا اذا رق صاحب الشقة المجاورة وفتح بـاب شقته قليلا ولو مواربا .

ـ عندي سبحة بقرشين وبخمسة وبعشرة ...

ـ كشري ...

ـ البالونة بقـرش .. الزمـارة بقرش ..

ـ قرب وشوف ألعاب الساحـر الهندي الكبير .. قرب وشوف ..

اختلطت الاصـوات ببعضهـا ، والزحام يشتـد . أحس بصداع هائل . ثلاث سنوات وهو يعاني من وحدته ، والصداع يلازمه . ثـلاث سنوات مريرة قضاها فـي القاهرة وحده لا يعرف غير غرفته الضيقة ، وادارة المعاشات التي يعمل فيها ، واصدقاء معدودين يمـلأون رأسـه بحكايات لا تنتهي عـن مغامراتهم العاطفية . كان ينصت لمـا يقولون ويكتفي بالانصات ، ولم يشأ احـد اصدقائه ان يدعوه الى ليلة من تلك الليالي التي يحكون له عنها .

تراقصت الاضواء فـي عينيه . كل شيء حوله مضيء ، ولا فكاك من الضوء .. لا يستطيـع الهـروب . اين يجد مكانا معتما يركن اليه بعض الوقت ؟. الصداع في رأسه يؤلمـه ويسبب له نوعا من الضيق ، وعيناه اتعبتهما الاضواء .

اين يهرب من الضوء ؟.

أيرجع الى البيت ؟.. اذن فقـد خاب سعيـه ، وضاعت السهـرة الرائعة التي كان يمني نفسه بها . نظر الـى ساعته فوجدها العاشرة ، لا بد ان يسهر ، أن يواصل السهر . ولكن يجب ان يفعل شيئا ، شيئا ذا بال .. والى الآن لـم يجد هـذا الشيء الذي يجتذبه ، لعل تواجده وسط هـذا الزحام شيء مريح ، حيث ينتشله من صحراء الوحـدة التي اضنته وافنت أيـام عمره . انجذب الـى صوت رجـل ضخم الجثة ، يثرثـر بسرعـة بأنفاس متلاحقة ، يلوح بذراعه اليمنى ، اما اليسرى فيريحها علـى كتف فتاة شقراء لا تنبس بكلمة او يفتر ثغرها عن ابتسامة ما ، وانما تنتصب امام المتفرجين كتمثال من الشمع بلباس البحر الذي يكشف عـن جسـد ممشوق ، أنصت الى مـا يقولـه الرجل الضخم الجثة :

ـ هنا تحدث المعجزة كل ليلة .. هذه الفتاة ، ترقد فـي صندوق خشبي ، تتمدد داخله ، أمامك .. ثم ينشر هـذا الرجـل الصندوق بالمنشار عند وسط جسمها ، ينقسم الصندوق الى نصفين ، يصير جسم الجميلة نصفين.. رأسها في ناحية، ورجلاها في ناحية .. لكن المعجزة تحدث امـام عينيك ، فالساحـر العجيب سيعيد النصفين كما كانا ، وترجع الفتـاة سليمة .. قـرب وشوف المعجزة .. المعجزة التـي تحدث كل ليلة .. هـذه الفتاة ، ترقد في صندوق ...

واخذ يكرر ما قاله ، بينا وحيـد منصت اليه ، يراقب حركات يـده اليمنى التي لا تستقر على وضـع ما .. فحينا يشير باصبعه الـى الفتاة الشقراء ، وحينا يشير الـى شباك التذاكر ، وحينا آخر يشيـر الى المتفرجين .. وايضا يضع يده اليمنى على كتف الفتـاة فتحتويها ذراعاه ، وكأنما يؤكـد للمتفرجين حقا أنها سترجع كمـا كانت بفضل المعجزة التي تحدث في مسرحه كل ليلة كما يقول .

تمنى لو يهرب، ولكن الى اين ؟.. الناس يحاصرونـه بأجسادهـم وبعيونهم ، لكنهم بعيدون عنه . مـا يزال يشعر بأنه فـي سجن كبير . انه اسير تلـك النفس الحائـرة القلقة، وآمال تعيش في «المنصورة» وسط أسرته واسرة عمه ، في بيت واحد ، وهو هنا في القاهرة يتلظى بنار الغربة والوحدة . حتى جيرانه يقاطعونه ويخشونه لانـه أعزب .. واصدقاؤه يلتقون به لقاءات عابرة ، ويحكون له مغامراتهم التي تحـدث بعيدا عنه ، حتى بات غيـر مصدق لما يقولون ، فهو لم يوفق ذات مـرة الى مثل هذه المغامرات .

كان يمني نفسه بالزواج القريب، لكن العقبات تناوئه، فما يزال يبحث عن شقة خالية حتى اعياه الجهـد وخاب سعيه . كما ان عمه لم ينته بعد من اعداد أثاث بيت الزوجية .

دخل صوانا يخلو مـن الزحام . هرب من الزحام الخانق الى داخـل الصوان حيـث اصطفت كراسـي قليلة . اقتعد كرسيا وطلب قدحـا من الشاي . اشعل سيجارة وحاول ان يجد في عزلته هذه راحة ممـا يعانيه مـن ضيق . بجانبه رجـل يتجلبب بجلباب ناصـع البياض . حاول الرجل أن يتبادل معه اطراف الحديث ، لكن وحيدا اجابه بكلمات متقطعة وكأنها تعبير عـن تمـزق داخلي ثـم عـاد ثانية الى وحدته ينفث الدخان ويراقب افراد الفرقة الموسيقية التي بدأت تمرن آلاتها على العزف . نهضت امراة زنجية وبدأت تمرن جسمها الممتلىء على الرقص. كانت ترتدي فستانا ضيقا.. حينما تحاول ان تثنـي قدميها ، تبـدو ركبتاها المكتنزتان .. نفـر وحيد من منظرهما . بدتـا امامه كشيء كريه ، لا سيما ان العزف بدأ يأخذ نمطا اكثر حـدة ، واصبح شبيها بقرقعة الاوانـي النحاسية . بـدأ يتململ في جلسته . بعدمـا انتهت الرقصة ، اقبلت الزنجية ناحيتـه مبتسمة . ناولها شلنا ، ثـم اعطى الجرسون حسابه وخرج الـى حيث الضوء والضوضاء .. الضوء يؤلـم عينيه ، والضوضاء تجلـب لـه الصداع ، واذا ما رجع الـى غرفته فسيكون هذا تأكيدا لفشله فـي قضاء السهرة كما ينبغي . كما انه كره الوحدة ، وكره الغرفة .

مرة اخرى يصادفه ذلك المسرح الهادىء . تذكـر الفتاة الجذابـة الجالسة في شباك التذاكر . اندفع نحو المسرح واشترى تذكرة ، كـان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرمق الفتاة بعينيه الظامئتين . رنت في اذنيه العبارة التي سمعها من رجل :

ـ انها الراقصة .. بنت تعجبك.

فوجيء بالزحام داخل المسرح . جموع غفيرة من اناس ذوي انماط مختلفة ، فمنهم من يرتدي الجلباب، ومنهم من يرتدي الملابس الافرنجية. كما ان العنصر النسائي لفت انتباهه ، فمنهن من يلتففن بالملاءات السود ، ومنهن من يلبسن فساتين سهرة متواضعة . وثمة جمهور آخر يملأ الصفوف الخلفية ، انهم الاطفال ، صفير حاد انطلق من كل مكان ، حتى خيل اليه ان الصالة كلها تصفر . لم يبدأ البرنامج بعد . بعض الناس يتسلون بالحديث ، اما هو فقد آثر كعادته ان يكون وحيدا مع سيجارته ينفث دخانها ، وحين تضايق ، سأل جاره الشاب عن البرنامج ونجومه ، فأجابه الشاب بكلام كثير فهم منه وحيد ان الشاب من رواد المسرح الدائمين ، وبعد ان انهى الشاب حديثه ، توارى وحيد خلف غلالة الصمت ولم يحاول ان يواصل الحديث . وعاد من جديد ينتزع هذا المنظر الصاخب من خياله وينتقل به الى « المنصورة » حيث اسرته وابنة عمه . اذا كانت ابنة عمه معه هنا ، فستكون الليلة اجمل واروع ، وسيشعر بالراحة حتى لو قضيا الليلة في الغرفة ساهرين . ان وجهها بريء ، وابتسامتها مشرقة .. ويكفيه ان يحس بالبراءة ويتمتع بالاشراق ليكون مرتاحا منبسطا .

بدأت الموسيقى الصاخبة تتعب اذنيه . الناس تتجاوب مع انغامها. بعضهم يصفق . تذكر الراقصة الجميلة ، انها شيء مثير حقا ، شيء لا يجده في آمال.. سأل جاره الشاب :

ـ ما النمرة التالية ؟.

ـ الرقص .. الراقصة سوسو ، بنت تجنن ..

تشوق للراقصة المثيرة . انها حتما شيء جديد سيجعل الليلة اكثر متعة وجمالا . انتهت الموسيقى الصاخبة ، وبدأت همهمات جمهور المشاهدين ، والجرسون في حركته الدائبة يلبي طلباتهم ، منتهزا فرصة الاستراحة القصيرة قبلما ينشغل الناس عنه .

اخيرا ، أعلن مذيع الحفل :

ـ والآن مع الرقص الشرقي ، مع الراقصة سوسن فتحي ..

تعالى الصفير والصياح . وما ان ظهرت سوسو حتى زاد الصفير وزاد الصياح . وفوجيء وحيد بالجالسين يحيون الراقصة بالصفير والصياح، ومنهم من يحييها بطريقته الخاصة فيلقي عليها طاقيته او عمامته .

بدأت سوسو الرقص . كانت تتراقص مع انغام الموسيقى التي بدأت هادئة ثم تصاعدت حدتها شيئا فشيئا . لكنها سرعان ما خرجت عن رقصها واخذت تؤدي حركات اثارة جعلت الصالة كلها تصيح وتهتاج كحيوانات جائعة ، فأحس وحيد بأنه شاذ وسط هذا المجتمع الغريب . أحس باختناق ، وخيل اليه ان صوته محبوس ، ولن يقدر على الكلام . نهض عن كرسيه وغادر القاعة في خطى متحفزة نحو باب المسرح ، وتجنب الالتفات وراءه ظنا منه ان العيون كلها تنظر اليه في تساؤل وتعجب . وفي الحقيقة، لم يحس احد بخروجه ، جاره الشاب لم يحس ايضا بخروجه .

رفع راسه نحو اللافتة العريضة وعاد يقرأ من جديد « المسرح الحديث .. غناء . رقص . منولوجات . استعراضات . تمثيليات » . فسخر من نفسه . الم يكن واحدا من هؤلاء الفيلان الذين دخلوا من اجل سوسو ، الراقصة المثيرة ؟. الم يكن واحدا منهم ؟. لقد اندفع في حمق نحو شباك التذاكر وليس في ذاكرته شيء عن البرنامج سوى جسد سوسو الممتع ، هذا الجسد القابع في شباك التذاكر يجتذب الناس كمغنطيس نحو المسرح .. أليس واحدا منهم ؟. لماذا اذن يهرب منهم ويتنكر لهم ؟.

أسئلة طنت في رأسه ، لكنه لم يعبأ بها ، واستحث خطاه يخترق الزحام الذي بدأ يخف نوعا ، فالليل يقارب من الانتصاف . ابتعد قليلا عن المولد ، وتنسم نسيم الليل البارد وأحس بأنه يستنشق الهواء النقي . اندفع نحو البيت وفي خاطره تموج صورة آمال بدافع قوي لرؤيتها . انها الشيء الجميل الذي يعلق مستقبل حياته عليه ، وهو الذي يمنيه بأن أيامه المقبلة ستكون اكثر اشراقا عن تلك التي يعيشها .

ود لو يستقل قطارا على الفور الى « المنصورة » ، ويلتقي بها ، لكن ادارة المعاشات تنتظر قدومه في الثامنة صباحا ، دون تأخير . وفي مكتبه ينتظره مقعد رابع بارد ، لكن لا بد من أن يحضر ويجلس عليه، خوفا من التفتيش المفاجيء علاوة على امضائه التي يمهر بها الشريط الزمني عند البوابة الخارجية . وضحك عندما تذكر الاعيب زميل له حيث يضع جاكتته على مسند الكرسي ، ويخرج بعد ان يستأذن منه ممهرا امضاءه على الشريط الزمني. ضحك لهذه اللعبة الطريفة، لكنه لم يشأ ان يلعبها لانه لا يدري كيف يستغل الوقت الذي يهرب فيه من العمل الحكومي ، انه حقيقة يشعر بالفراغ فكيف يزيد العبء النفسي ؟.

انه يعيش وحيدا بلا زوجة وبلا اولاد . ان مسؤولياته محدودة ، لا تتعدى مواعيد سطحية للقاء بعض الزملاء والاصحاب ، وتدبر أمر وجبات الطعام ، وارسال جزء من راتبه كل شهر الى اسرته ، والسؤال عن آمال .. وهنا تذكر تقصيره في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنـان

يا من يلوم علـى حب نمـا بدمي ... اكرم بلبنان محبوبا فـلا تلـم
أقمت في مهجتي شعبـا شمائله ... أنقى من الطهر شعب للعطاء نمي
حييت باسم الوفا من كان فتيته ... ينجو الغريق بهم مـن لجة الندم
حييت لبنان حصن الضاد من قدم ... حييت من عاش للاخلاق والشمم
فتيانك الهمـة العليـاء تعرفهم ... في كـل معترك للحسن محتـدم
نهضت في مشرق حر به نهضت ... ابناؤه منك اعلاما عـلى علـم
ما زلت للعرب نـورا انت ناشره ... على السفوح على الوديان والقمم
واليوم «للبرح» من دنيا العلى همم ... جادت لتكبر فيـه عالي الهمم
صرح مآثـره للعين ظاهـرة ... شمس عن الشمس فلت حالك الظلم

ماذا أقول وانـا للعطـاء هنـا ... نجود بالنفس عن حب وعن كـرم
انتـرك الساحل المعطاء منعـزلا ... عن الحضارة عن دنيا مـن النعم
هذي حدائقنا الغناء مـا برحت ... يسلسل الطير فيها اعذب النغـم
كان فيها من الاوراق عهـد هوى ... للظل للطـل للاطيـار للنسم
تجلببت بـرداء مـن مفاتنها ... ما البستها الليالي حلـة الهـرم

عذرت نفسا علـى لبنان حائمـة ... واي نفس على لبنان لـم تحـم
لم ينقسم شعب لبنان كما زعموا ... فشعب لبنان شعب غير منقسم

ابراهيم حرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرد على رسائلها ، وعتابها الرقيق ، فأحس بتناقض في سلوكه .. كيف يضيع وقته في مسرح صاخب ثم يدعي بينه وبين نفسه أن الفرصة لا تواتيه للكتابة اليها ؟. اي شيطان أهوج يملي عليه هذه التصرفات ؟. انه ملتزم أمام آمال كخطيب ، ولا بد أن يفي بالالتزام ، لا بد أن يكتب اليها ، فانها ولا شك تعذبها الوساوس ويقلقها هذا الانتظار الطويل . لا بد ان يكتب اليها هذا المساء .. سيقول لها أشياء كثيرة .. سيكتب لها عن واقع الحياة التي يعيشها ، ولن يخفي شيئا . يجب ان تعرف عنه كل شيء ، ويجب ان تعايشه فيما يعانيه في القاهرة.

جلس الى مكتبه وتناول ورقة ثم بدأ يكتب :

« عزيزتي آمال ... » .

ثم توقف برهة حاول خلالها ان يسلسل الموضوعات التي سيكتب عنها ، ويفكر في الطريقة المثلى التي يصوغ بها أحاسيسه . لكنه تثاءب ، وجمد القلم بين أصابعه . عجز عن ان يخط كلمة واحدة . نظر الى ساعته فوجدها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . لم يبق من الليل سوى ست ساعات فقط . حان موعد النوم ، لكن لا بأس من أن يختلس ساعة واحدة من وقت نومه ، ويكتب الرسالة . عاد من جديد يفكر ، ثم كتب :

« احييك تحية رقيقة كانسام الربيع ، وابعث اليك بأشواقي القلبية ، واني يا آمال ... » .

ثم توقف القلم ثانية . لماذا يجمد القلم ؟.. لا يجب عليه أن يبدأ بهذه الطريقة الحالمة . انها شيء لا يعبر تماما عن واقعه هنا في القاهرة . لماذا يكتب عن أنسام الربيع ونحن في برد الشتاء القارس ؟. لا .. يجب ان تكون الرسالة أقرب الى الواقع . مزق الورقة ، وعاد يكتب من جديد :

« عزيزتي آمال ... » .

وجمد القلم مرة أخرى بين أصابعه . حاول أن يكتب ، لكنه تثاءب وأحس بالتعب . نظر الى ساعته فوجدها الساعة الواحدة والنصف ، فأطفأ النور ونام ...

القاهرة حسني سيد لبيب



يـــا مـــال الشـــام

تاليف سهـام ترجمـان ـ ٣٣٥ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع بدمشق ١٩٦٩

كانت دمشق ولا تزال موضوعـا فكريـا للباحثيـن والكتـاب مترامـي الاطراف والابعاد ، خصب الدراسة والتراث ، متصل الهوى بقلـوب اهلها وعارفيها ، وكان ابن عساكر في القديم يعد كل من سكن دمشق او مر بها ولو ليلة واحدة من ذويها فالزم هذا المؤرخ الكبير نفسه بان يذكر المقيمين والنازحين في كتابه الضخم المتعدد الاجزاء « تاريخ ابن عسـاكر » .

وفي ادبنا الحديث كتب الشعـراء والكتاب عـن دمشق اروع القصائد والصفحات عن موطنهم الذي يرويه بردي وتضمخه بالزهـر والعطر نسمات الغوطة الخضراء وقد رف عليها حنان قاسيون وهـو ممتد السفوح من الصالحية حتى المهاجرين، وكانت قصيدة شوقي ابلغ ما كتب في وصف دمشق وابقاها على السنة الكبار والصغار في المجالس والمدارس وفي السوانح والذكريات .

فمن اشهر الذين خلدوا صور دمشق في آثارهم كان علامة الشام محمد كرد علي وشاعراها الكبيران خليل مردم بك وشفيق جبري واديبها الوفي الموهوب صلاح الدين المنجد .

ولم تكن المرأة الدمشقية واعية ومثقفة بنافلة في وطنها من محاسن ومزايا ومن خصائص وشيم ، تمثلت في سجايا السكان والمواطنين ممن انبتتهم دمشق وطبعتهم بطوابعها ، ولم يفتني شرف التعبير عن ودادي لهذه المدينة في قصصي ومؤلفاتي حتى رأيت صديقنا الكاتب الكبير الدكتور كاظم الداغستاني منطلقا من صمته والعكوف على كتبه واوراقه الى المطبعة التي اخرجت للقارىء كتابه القيم « عاشها كلها » وقـد احتوى هذا الكتاب (١) روائع الصور الدمشقية في حياة اهلها الذين عرفهم المؤلف الاديب وعاش بينهم طفلا ورجلا ، طالبا وكاتبا ، فجاء بمـا تفقدناه في محصولنا الفكري الحديث وردنا الى ادب حي رفيع صادق التعبير والشعور ، وما كدت اطوي الصفحات الاخيرة من هذا الكتـاب الشائق حتى وجدت بين يـدي كتـاب الانسة المثقة سهام ترجمـان « يا مال الشام » ففتحت الصفحات الاولى عن ادب ومعرفة وصفحـات الكتاب كلها فياضة بمحبة دمشق والاعجاب باصالتها وخلود مجـدها ، فمضيت في القراءة والتأمل وخيالي يتعمق في تمثل الصور الدمشقية التي نقلتها المؤلفة الاديبة بقلمها الصافي وطبعها الذي تابى على التكلف فكان في تصويرها لحياة دمشق وتقاليدها فن الموهوبة الدمشقية التي اوتيت الكثير من سحر وطنها وبيانها .

كيف استطاعت الانسة سهام ترجمان المتمرسة بالعمل الصحافي في صمت ودأب ان تجمع في كتابها « يا مال الشام » هذه الصور الصادقة المتلاحقة التي لا يقدر على جمعها وتنسيقها الا المتفرغون للدراسـة والتتبع في البحث العلمي والمنهجي ؟ لقـد اثبتت قدرة الموهبة والمحبة في اعداد مؤلفها بلباقة ودقة جمعت فيهما كل ما يتوق اليـه القارىء العربي والاجنبي من الاطلاع والوقوف على حياة دمشق في عاداتها وتقاليدها ، في روعـة نضالهـا وطموحهـا وامثالهـا ، فاحسنـت المؤلفـة فـي تخليـد هـذه الصور التـي ازدحمـت تلقـاءهـا ضجـة التجديد منـذ تجاذبـت اهلهـا تيارات مـن الشـرق والغرب .

ما اروع الوصف والتصوير لهذه الحوادث والملامح التي ملأت سهام ترجمان صفحاتها ، فدل صنعها هذا على ذاكرة حية قوية ودأب طويل في اختزان الحقائق والصور الخافقة باللحم والدم العالقة بالمنابـت والارض على ترادف الايام والاحداث .

واذا تتبعنا الهام الاسماء وما اختص لله به اصحابها منذ ولـدوا وجدنا سهاما ترجمان الشام في هذا الكتاب الممتع النافع ، وما كانت سهام قلمها سلاحا ، وانما كانت نفحات ورياحين من حب الوطـن والتعلق باصالته وحقيقته ، وفن التعبير عن الصور والذكريات لا يؤتاه اي كاتب مهما يتكلف السرد والاسلوب ، لان صاحبه مطبوع ملهم يرفده المراس وصدق البيان ، فالشام بآفاقهـا وابسواقها بتعاطف بيوتهـا وطموحها وتلاقي تاريخها وتراثها وتجاوب اهلها في الآمال والآلام ، تموج في هذا الكتاب وتتدفق بالكلمة والنغمة في ادب دمشقية بعيدة عـن الادعاء والفضوضاء .

على اني وقد استمتعت بكتاب سهام ترجمان فاني لا اخليـه من مآخذ في الصفحات التي استغرقت في التعبير باللهجة العامية المحببة التي يفهمها ويتذوقها اهل الشام ، لكن القارىء غيرهم قد تفوته المعاني ولا يدرك ما بين الفاظها فما يشفيه الا فصيح الكلام .

وحسب المؤلفة فضلا وادبا هذا الصدق في شعورها وتصويرهـا ونحن نتفقده في اكثر آثارنا الحديثة ، وقد زينت كتابها بالواح فنيـة ملونة لكبار المصورين والرسامين السوريين في مشاهد شامية اصليـة اضفت على بيانها روعة وجمالا .

(١) سأقدم « للاديب » دراسة خاصة بهذا الكتاب

دمشق — وداد سكاكيني

•

الجـــاحـــظ

مسرحية في خمسـة فصـول ـ تاليف الدكتور احمد مكـي ـ ١٠٦ صفحات ـ بمنشورات دار النعمان بيروت سنة ١٩٦٩ .

لقد مرت بحياة ابي عثمان عمرو بن بحرين محبوب الجاحظ حوادث هزته هزا عنيفا وملأت نفسه بذكراها ، فان صناعة القلم الاعلى التي كـان يتقنها ببيانه وعقله وعلمه لم تكن هينة الخطب عليه ، أفمذاكر يـوم جيء به مصفودا بالاغلال يثقل ساقيه الحديد . ولما وسطوه فـي بهرة المجلس الذي كان في صدره عدو الجاحظ قاضي القضاة « احمد بن ابي دؤاد » ولم يكن قد جاء به لمحاكمته ، وانما لاطلاق سراحه والمن عليه بالحرية ، فجيء بحداد ليكسر قيد الحديد عنه فغمزه القاضي ليعذبه قليلا قبل ان يفك اصفاده ، فآلمه الواقع على ساقه فعلا بيده ، وصفع

بها الحداد وقال له :

ـ اعمل عمل سنة بشهر وعمل شهر بيوم وعمل يوم بساعة ، ليست ساقي خشبة ، ولا « ساجة » .

فضحك القاضي واهل المجلس ضحكا مغربا ، ونهض الجاحظ من قيوده الى الحمام ثم خرج منه بالخلع التي البسه اياها ابن ابي دؤاد واستقبله بترحاب كبير واجلسه الى جانبه ، وقال له :

ـ هات من حديثك يا ابا عثمان .

ان اول صورة في عصرنا ظهرت للجاحظ بفن التصوير هي التي اثبتها الاستاذ حسن السندوبي في كتابه عن الجاحظ ، وكان كتابه من اوائل ما الف في عصرنا هذا ، ومن سوابقه ، لقد ابرزه المصور جاحظ العينين بدينا قصيرا ، فرحت اسائل نفسي :

ـ ليت شعري ، كيف سيكون شكل «ابي عثمان » على المسرح حين تقوم جوقة فنية قادرة على فن التمثيل فتظهر ابا عثمان الجاحظ رائحا وغاديا وجالسا ومسترقا للنظر والسمع ، ضاحيا امام النظارة في القرن العشرين ، كما ابرزه الدكتور « مكي » ولو ان محدثا سخى الخيال دلف الى الجاحظ في حياته وقال له :

ـ يا ابا عثمان هل سيأتي يوم يقف بك الرواة واهل الفن والابداعيون فيحلوك بالتمثيل في شخص تقمصك ويلبس في الفن والحياة لبوسك ؟ .. لاجاب :

ـ ايكون هذا التمثيل كالذي ذكره سوفوكل الرومي ؟

ومن يدري سير الارواح فان « رجعة ابي العلاء » التي الفها الكاتب العظيم عباس محمود العقاد كنت قد قلت له فيها :

ـ ترى لو عاد حقا ابو العلاء فهل يكون شعوره هو ذاك الذي صورته بحسك وببيانك .

فكان العقاد يعجب لقولتي ، ويشد عجبه صديقه وملازمه الرواية « كامل الكيلاني » وكان اذا مشى الى جانبه اخذت بيني وبين نفسي اقول :

ـ ساتشو ودون كيشوت .

لقد اقتدر الكاتب الروائي الكبير صديقنا عميد الادب الدكتور احمد مكي على احياء الزمن الفائت ورد الشخوص الغابرة الى دنيا الحاضر وهو منذ ثلاثين عاما حين لف حوارية « ليلة القدر » (1) بدا في اهاب مؤلف مسرحي منقطع النظير .

ليس من شأني توفير القراءة على القارىء بالتلخيص والتحليل المسهب للاثار التي اكتب عنها، فانني اجد في ذلك حيفا لا اجيز الحاقه بها فكانت شريعتي العرض الوجيز واختيار بقعة في الاثر اتبحبح فيها بالكلام عليها . اصب ادب الدكتور المكي بانه لا يكون الا جديدا وفي عجب من الطرافة عجاب ، فهو يتأتى في موارد آثاره ليحط بها على القمة . ومسرحية «الجاحظ »تبدأ في بيت من بيوت البصرة يدور فيه الحوار بين عمرو وامه حول انغماسه في الدرس والبحث ، فهي لا ترى جدوى فيما يضع من كتابة وما يسلخ به وقته من درس ، حتى لتكاد تخرجه عن سكونه الى ثورة ، وهي التي قال لها يوما :

ـ يا ام ، انني جائع .

فأتته بطبق عليه الكتب والكراريس ، وقالت له متهكمة :

ـ كل هذا .

وقد استطاع المؤلف المسرحي بهذا المشهد الاول ان يدلف الى قرائه بصورة تمثل انكباب الجاحظ على العلم والمعرفة ، بعد ان كان من قبل يبيع الخبز والسمك على ضفاف نهر .

ثم ينقل المؤلف المشهد الى المسجد الجامع بالبصرة وكانت المساجد الجامعة في تلك العهود كالمدارس في زماننا بل كالجامعات ،

(1) كتب الدكتور المحاسني عن هذه الحوارية الرائعة مقالا تحليليا ضافيا في زميلتنا مجلة « الرحمة » منذ اربعة اعوام (الاديب).



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتدارس في صحونها وافنيتها الطلاب دروس اساتذتهم في الادب والفقه والاحبار .

ثم يتدرج المؤلف في المشاهد فيدلف بالقارىء الى منزل احد السراة وهو مويس بن عمران ، حيث يدور الحوار فيه بين ائمة الفكر والادب بعصر الجاحظ ، من ابي اسحق بن سيار النظام استاذه الى مؤدبيه وفيهم الاصمعي وابو عبيده معمر بن المثنى ويدور التحاور هنا اديبا حول اللغة والبيان وبعض النوادر والاخبار وفي النقد والتحليل .

وتترادف المشاهد حتى تضم الجاحظ الى صديقه الاوفى محمد بن عبد الملك الزيات الذي نكبه قاضي القضاة وشواه في التنور الذي كان يشوي فيه المصادرين . وتتعاقب المشاهد في وجود ابن الزيات وقاضي القضاة ابن ابي دؤاد . وفي اواخر المشاهد يدخل المؤلف افكارا اعتزالية ويفاجيء قراءه بالعنصر النسائي في شخص المفكرة الفيلسوفة «مجرانة» التي تأخذ بالحوار في مذاهب المعتزلة في الفكر والكلام وفي كل ذلك يكون الجاحظ حاضرا ومحاورا ومناظرا ، ثم يتيح المؤلف لقرائه ان يشاهدوا شخصية المبرد عالم الاخبار وناقد الاشعار وصاحب كتاب « الكامل » .

ويسدل المؤلف النابغ الستار على هذه المسرحية في مشهد مختصر كان الخاتمة لحياة ابي عثمان وهو سقوط مكتبته الثقيلة عليه وموته تحتها .

كذلك دارت خمس فصول في هذه المسرحية قراءة لا تمثيلا ، وكنت كاني اشاهدها على المسرح ، فاتخيل شخوصها فيه ، وكم اتمنى ان اشاهدها عيانا ممثلة يقوم بتمثيل ادوارها ممثلون ادباء وموهوبون يبرز بينهم ابو عثمان في شخص يتقمصه ، ويكون مثله جاحظ العينين قصيرا بدينا بعض البدانة .

لقد كتب مقدمة هذه المسرحية الصديق عميد التربية الاستاذ الدكتور جبور عبد النور فوفاها حقها من الاعتبار والاكبار والتحليل الادبي المكين ، وجعل استهلالة كلامه دهشته في ان يرى الجاحظ مجسما مكثفا ضاحيا ، بعد ان كان خيالا في ضباب الذهن اوهام الذاكرة . وقد ابان ان اللغة التي اجرى بها المؤلف مسرحيته لغة جامعة بين الجاحظية والتعبير المشابه لها . وكنت اوثر لولا اعنات التاليف ان تجيء عبارات الجاحظ بذواتها وترادفها وتتابعها الفني المأثور عنه ، لكن الصديق المؤلف الموفق لم يرد ـ كما احسب ـ ان يخلع على المسرحية مدرسية جافة ، وانما آثر التطوير للتعبير الجاحظي كما كنت اتمنى ان اجد مشهدا فيها (للبخلاء) عند الجاحظ ، اذ كان يحب النوادر والطرف الشعبية .

اما الحوار الذي برع في ايراده وترداده الدكتور مكي ، فاني كتبت في ضحى صدور « اهل الكهف » ما ادفع به عن الادب العربي معرة التقصير في فن الحوار ، فان استاذي ثم صديقي الدكتور طه حسين ـ مد الله بعمره بالصحة ـ كتب مقدمة « اهل الكهف » للقاص الكبير توفيق الحكيم ، وزعم انه اول من ادخل فن الحوار في ادب العرب فرحت اقيم لاستاذي البرهان على ان الحوار موجود في القرآن لا يخلو في سورة من سوره من فن الحوار ، ثم ان الجاحظ كان امام الكتاب المتحاورين وكتبه ملأى بفن الحوار ، ثم كان الشاعر الكاتب الفذ ولي الدين يكن اكتب اهل العصر حوارا واسدهم توفيقا فيه واليوم نقرأ هذه المسرحية الجديدة كل الجدة ، الموفقة في حوارها كل التوفيق ، ونعلل العيون بمشاهدتها ممثلة ، ونقول ان صديقنا الكاتب الكبير الدكتور احمد مكي عميد الادب اعطى العروبة مسرحية « الجاحظ » في ابان الحفاوة بذكراه في لبنان ومصر والشام وسائر الديار العربية ، فيالله هذا الكاتب العربي الاعظم الخالد على ترادف العصور .

دمشق — زكي المحاسني

مفكرون وادبـــاء

تاليف انور الجندي ـ ٢٩٣ صفحة ـ دار الارشاد ، بيروت

الاستاذ انور الجندي من العاملين النشيطين في مجال تاريخ الفكر المعاصر ، وتشهد مؤلفاته الكثيرة بالجهد الكبير الذي يبذله ، وتحدد الصفة الموسوعية للكاتب ، خاصة ما اسماه ـ او سماه اذا شئت ـ « موسوعة معالم الادب العربي المعاصر » وقد صدر منها نحو من عشرين مجلدا ، وترجمته لعدد من اعلام الفكر المعاصر في كتب مفردة ككتابه عن « شيخ العروبة » و « فريد وجدي » و « زكي مبارك » عطر ذكرهم، وبعد ذلك مقالاته في الصحف والمجلات العربية المختلفة .

والاستاذ الجندي رجل لا يفتر عن التاليف ، ويجب ان نضع هذه الحقيقة نصب اعيننا حينما نقف على حوار او نقص او نعثر على رأي له في كتاب ينقض رأيا له في كتاب آخر ، وقديما عيب ابن الجوزي بكثرة اخطائه وتناقضه فقال : « انا مرتب ولست بمصنف » (١) ، واخال الاستاذ الجندي معتذرا بعذر ابي الفرج طيب الله ثراه .

والاستاذ الجندي في تاريخه الفكر المعاصر يبحث في تيهاء لم تطرق ، ومفازة لا صوى فيها ، لو سلكها عنبري لضل ! كصحراء ابي الطيب :

يتلون الخريت من خوف التوى ... فيها ، كما تتلون الحرباء

ذلك ان فكرنا المعاصر لم يخدم كما خدم الفكر القديم ـ على قلة ما خدم به (٢) ـ فالباحث فيه لا بد ان يتصفح مجموعات هائلة من الصحف والمجلات والدوريات والوثائق والكتب المطبوعة والمخطوطة ، الى جانب اتصالاته بمعادن مختلفة من الناس ، و « الناس معادن » كما في الحديث (٣) ، ففيهم معادن ذهب وفضة وفيهم ـ حماك الله ـ معادن زفت وقطران ! وهو ـ اعني هذا الباحث ـ معرض بعد ذلك كله للنقد بحق وبغير حق :

ـ عنتا باطلا وظلما ـ

اما لنقص الوثائق واما من جانب بعض الادباء قياما بحق انفسهم ، شنشنة المعاصرين ، وهذا ما نلاحظه فيمن تصدى لترجمة معاصريه قديما وحديثا ، وَمن ذلك ما يروى عن الامام الذهبي ومعاصره ابن بصخان (٤) ، وما كان بين السيوطي والسخاوي من تهاج عجيب (٥) .

ولا ريب في انه يجب قبل السعي في أي بحث علمي واسع ـ كتاريخ الفكر المعاصر ـ ان يسبق بعملية تجميع للوثائق من مظانها التي اشرنا اليها آنفا ، وتجميع الوثائق ونقدها ـ الهورسطيقا عند الافرنج ـ عمل جليل لا شك في قيمته ، اذ على نتائجه يبني الباحثون نظرياتهم ، لكننا نلاحظ ان بعض القائمين على هذا العمل لا يقتصرون عليه بل يجمعون اليه بعض الاحكام النقدية والتاريخية الجازمة التي تحتاج الى بصر دقيق واحاطة واسعة بموضوعها ، ومثل هذه الاحكام كنا نرغب ان يخلو منها كتاب الاستاذ الجندي ، فالكتاب امتداد لموسوعة،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج١ص ٤١٤ ط مصر ١٣٧٢ (٢) من اجمل صور الاخلاص في اظهار هذه الحقيقة ما قاله المستشرق الطيب الذكر ياول كراوس في مجلة الثقافة (ع ١٥ من جمادي الاخرة ١٣٦٣) : « لعمري اني اغار من هؤلاء الافرنج غيرة على ان تكلفوا ـ واي كلفة ـ اخراج آثار جميع ادبائهم ومفكريهم في مجموعات كاملة تشمل كل ورقة مما خرج من تحت ايديهم ، في نشرات منقحة مصفاة لا غبار عليها ...الخ » . وانظر اذا شئت ـ ما كتبه المستشرق الاستاذ فرانز روزنتال في كتابه عن « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » ص ١١ ـ ١٢ من الترجمة العربية . (٣) اخرجه الشيخان (٤) الاعلان بالتوبيخ ص١٠٢ ـ ١٠٥ و ١٣٥ ـ ١٣٦ ط بغداد ١٣٨٢ . (٥) البدر الع ج١ص ٣٢٩ ـ ٣٣٤ ط مصر ١٣٤٨ .

وعمل الموسوعات الاول الجمع والتنظيم والتهذيب ـ كما اشار اليه المؤلف في مقدمة كتابه ـ وليس اصدار الاحكام ولما تكتمل وثائقها وأدوات بحثها. وقبل ان نضرب امثلة من هذه الاحكام نشير بكلمة موجزة الى موضوع الكتاب .

فالكتاب يترجم لبضعة وثلاثين اديبا ومفكرا من ابناء هذا القرن وممن لمعت اسماؤهم بعد الحرب الكونية الثانية في مصر والعراق والشام والمغرب ، فيذكر موجزا من سيرة كل كاتب ويعدد بعض ما ساهم فيه في بناء الفكر ، ويعرض بعض آرائه بشيء من التفصيل .

نعود بعد هذا التعريف الى ذكر بعض ما راينا فيه خروجا على الطابع الموسوعي وما أدى اليه هذا الخروج من آراء جانبت الصواب وركب فيها المؤلف متن الشطط ، وخلت من الحيطة العلمية .

١ ـ واول ما يصادفنا من ذلك قول المؤلف في المقدمة (ص ٥) : « ومنذ اواخر الحرب العالمية الثانية الى اليوم لا تزال صورة الادب العربي كله لم تكتب ... » ، وهذا التعميم واضح البطلان ، ذلك ان الكتب المؤلفة عن الادب بعد هذه الحرب كثيرة لا تخفى على القارىء المطلع لقرب العهد بها ، ولو قال المؤلف : « صورة الادب العربي كلها » لكان اقرب الى الدقة .

٢ ـ ومن ذلك ايضا قول المؤلف (ص ١٩) ان الاستاذ ابراهيم الابياري : « اول من شق طريق التحقيق العلمي للمخطوط العربي » ، وهو زعم خطير باطل من غير وجه . فالمستشرقون قبل الاستاذ الابياري باجيال قد شقوا طريق التحقيق العلمي للمخطوطات العربية ، ومهما يكن القول في المستشرقين وفضلهم (٦) فالفضل الذي لا مرية فيه لهم انما هو في التحقيق العلمي ، وبعد المستشرقين سلك طريق التحقيق العلمي عدد من الشرقيين كشيخ العروبة والاستاذ عبد العزيز اليمني قبل ان يلج الاستاذ الابياري ميدان التحقيق . هذ من جانب ، والجانب الآخر : اننا لا نرتضي منهج الاستاذ الابياري في نشره بعض المخطوطات كما فعل في نشرة « نهاية الارب » للقلقشندي (٧) (لا النوري) ، وشرح ديوان المتنبي المنسوب للعكبري (٨) خطأ ومما يؤسف له ان ينشر ديوان شاعر كالمتنبي في مثل هذه الصورة المزرية فلسنا نسلم له فيها بالتحقيق العلمي أصلا ، بله ان يكون شافا لطريق تحقيق المخطوط العربي .

٣ ـ ومن ذلك قول المؤلف (ص ٤٣) ان كتاب الاستاذ احمد الشرباصي « في عالم المكفوفين » كان الاول من نوعه في الدراسات العربية ! وهو زعم لا أصل له ، ويكفي ان يقارن من شاء بين كتاب الاستاذ الشرباصي ـ مع احترامنا لما قام به من جهد ـ وكتاب الصلاح الصفدي (٦٩٦ ـ ٧٦٤) : « نكت الهميان في نكت العميان » (٩) لينتهي الى ان الاستاذ الشرباصي مسبوق ، ومن عجب ان تكثر مثل هذه الاحكام الجازمة : « هذا اول كتاب من نوعه ... » و « هذا ميدان جديد ... » وهذا وهذا ... كان مخطوطات المكتبة العربية قد طبعت جميعا ، ونظم ما طبع في فهارس دقيقة مكتملة فلا تفيب شاردة ولا واردة على من اراد ، وهيهات أيهات ! وتأمل ، فالاستاذ محمد عبد الغني حسن ـ وهو المعروف باطلاعه الواسع على مصادر الادب العربي وتاريخه يقول في كتاب له (١٠) ان ديوان « آنات حائرة » للشاعر الاستاذ عزيز اباظة اول ديوان افرده شاعر في رثاء زوجته في الادب العربي كله ! مع ان ابن جبير (٥٣٩ ـ ٦١٤) الرحالة المشهور قد سبقه بقرون فجمع في ديوانه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » قصائده التي رثى بها زوجته أم المجد . وحسبك هذان باعثين على الحذر والحيطة قبل اصدار مثل هذه الاحكام .

٤ ـ ومن تلك الاحكام التي جاءت جازمة مؤكدة ما جاء في (ص ٦٢) فقد قال المؤلف ان كتاب الدكتور احمد شلبي في « تاريخ التربية الاسلامية » كتاب في موضوع مبتكر لم يسبق فيه بمؤلفات او دراسات، متابعا ذلك الدكتور شلبي نفسه في مقدمة كتابه ، وكأني به لم يعلم بكتاب الاستاذ خليل طوطح « التربية عند العرب » (ط بيت المقدس ١٩٣٥م) ، وكتاب الدكتور احمد فؤاد الاهواني : « التربية في الاسلام» (ط مصر ١٩٤٥م) ، وكتاب المرحومة السيدة اسماء فهمي : « مبادىء التربية الاسلامية » (ط مصر ١٩٤٧م) ومقالات المرحوم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف المتصلة في المجلدين السابع والخمسين والثامن والخمسين من مجلة المقتطف (مصر ١٣٣٨ و ١٣٣٩) ... الخ .

وقد اخترنا هذه الاحكام التي جانبت الصواب نموذجات من اول الكتاب ، وليس المجال بمتسع للاستقصاء .

ولم يخل الكتاب في مجاله الاصيل ـ المجال الموسوعي ـ من هنات مردها في الغالب الى التعجيل وعدم التحقيق، وقبل ان نعرض نموذجات منها ، نلاحظ ان المؤلف قصر كثيرا في ايراد سير من اراد الترجمة لهم فجاءت مقتضبة ، كما اغفل الاشارة الى بعض المهم من مؤلفاتهم التي تقوم شهرة كثير منهم عليها ، وهاتان ثغرتان لا يصح ان يوجدا في كتاب موسوعي .

١ ـ ٢ فمن هذه الهنات ما جاء في (ص ١١) من « ثقة القارىء المثقف التي لا حد لها » بأمانة التحقيق العلمي في ما ينشره الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم من مخطوطات ، ومع اعترافنا بفضل ابي الفضل لا نتفق مع المؤلف في ثقة القارىء التي لا حد لها ، ويكفي ان يطالع هذا القارىء مقدمة « الزهر » (ط دار احياء الكتب العربية بمصر) الذي اشترك الاستاذ ابو الفضل في تحقيقه ليرى مقدار التحقيق العلمي. ومن هذه الهنات قول المؤلف في حق الاستاذ ابي الفضل ايضا انه « تجرد لهذا العمل (يعني احياء التراث) وتوفر عليه وجعله كل مشغلته خلال ليله ونهاره » ، مع انه يقول في موضع آخر : « ان له عددا من الدراسات التي اضاف بها جديدا بلغت مجلداتها اربعة عشر مجلدا » .

٣ ـ ٥ ومن ذلك ما جاء في (ص ٢١) ان الاستاذ ابراهيم الابياري قام بتحقيق طبعة دار الكتب المصرية من الاغاني ومسالك الابصار ، وهذا وهم فطبعة الدار من الاغاني ـ وقد صدر منها ستة عشر مجلدا ـ اشترك في تحقيقها المرحوم الاستاذ احمد زكي العدوي ثم الاستاذان احمد زكي صفوة وعبد السلام هارون (١١) ومسالك الابصار لم يطبع منه سوى مجلد واحد بتحقيق شيخ العروبة المرحوم الاستاذ احمد زكي باشا (سنة ١٩١٤م) .

وجاء في الصفحة ذاتها ان الاستاذ الابياري حقق « التبيان للعكبري في شرح ديوان أبي تمام (كذا) » والتبيان ـ المنسوب خطأ للعكبري وليس له كما أشرنا اليه آنفا ـ في شرح ديوان المتنبي كما يعلمه العالمون ، ولم ينفرد الاستاذ الابياري في تحققيه بل شاركه في ذلك الاستاذ عبد الحفيظ شلبي والمرحوم الاستاذ مصطفى السقا .

وفي الصفحة ذاتها ان الاستاذ الابياري اشترك في تحقيق « الحيوان » مع الاستاذ عبد السلام هارون ، والحق ان الاستاذ هارون انفرد بتحقيقه في طبعتيه (ط الحلبي) عام ١٣٥٦ ثم عام ١٣٨٥ .

٦ ـ ومن ذلك تعجبه مما ليس بعجيب في ترجمة الدكتور احمد محمد الحدفي ص ٢٧ و ٢٨ .

---

(٦) عقد الاستاذ نجيب العقيقي (المستشرقون ص ١١٢٢ ـ ١١٦٦ ط مصر ١٩٦٥م) فصلا أطنب فيه في فضل المستشرقين ، ولسنا نسلم له كل ما فيه . (٧) ط الشركة العربية ١٩٥٩م بمصر . (٨) ط الحلبي بمصر ١٣٥٦ والطبعة الثانية ١٣٧٨ . (٩) تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ط مصر ١٣٢٩ .

(١٠) « معرض من الادب والتاريخ الاسلامي » ط الاعتماد بمصر ص ٤٧ ـ ١٥٤ . (١١) في الطبعة التي اصدرتها اخيرا وزارة الثقافة بمصر ـ عن طريق التصوير ـ اشترك الاستاذ الابياري في تحقيق ترجمة واحدة اضيفت للمجلد السابع ، وكانت مما ضمه المجلد الحادي والعشرون في الطبعات السابقة .

٧ ـ ومن ذلك (ص ٤١) تاريخه وفاة امير البيان شكيب أرسلان ـ نضرت عظامه ـ بعام ١٩٤٨م والحق انه توفي في سنة ١٩٤٦م ، واذا كان من المعقول الاختلاف في تاريخ وفاة الاسلاف الذين تقادم بهم العهد، فليس من المعقول ولا المقبول ان يختلف في حوادث لم يمض عليها غير سنيهات قليلة . وفي كتاب موسوعي .

٨ ـ ومن ذلك (ص ٧٢) نسبته تأليف « المثل السائر » للدكتور بدوي طبانة ، وهو من تأليف الضياء ابن الاثير وتحقيق الدكتور طبانة.

٩ ـ ومن ذلك (ص ٩١) قوله ان تاريخ المغرب وعلمائه وحضارته كان مجهولا وضعيفا عندنا ـ وفي المشرق ـ حتى عام ١٩٥٤م حينما قام الاستاذ خير الدين الزركلي بزيارة المغرب والكتابة عن اعيانه ، ونتـرك للقارىء الحصيف ادراك مبلغ ما تورط فيه المؤلف سعيا الى الثناء على جهد الاستاذ الزركلي ، ونحن نعلم ان الاستاذ الزركلي لا يطربه ان يثني عليه بما ليس فيه ، وانه ليعلم ان كتاباته في اعلام المغرب لا تعد شيئا كبير الشان الى الحد الذي ذكره المؤلف اذا ما قيست بما كتبه سواه قبل هذا التاريخ وبعده .

١٠ ـ ومن ذلك ما جاء في (ص ٩١) ان همنغواي نال جائزة نوبل على قصته « لمن تقرع الاجراس » ، والحق انه نالها في سنة ١٩٥٤ م على قصته « الشيخ والبحر » التي نقلها الى العربية الاستاذ منير البعلبكي بلغة مشرقة ، لكنه اغرب فجمعها مع قصة همنغوي « تلـوح كلمنجار » في مجلد واحد ، فاعجب له يجمع الضدين في اهاب واحد ! ولعله اخذ بقول ابي الطيب :

وبضدها تتبين الاشياء .!

١١ ـ وفي الصفحة ذاتها يقول: التعريب اصطلاح افضل وادق من الترجمة ، وهو في رأينا ليس بافضل ولا ادق ، ومع انه لا مشاحة في الاصطلاح ، فقد استقر الاصطلاح منذ دهر عند فقهاء العربية ان التعريب يعني استعمال الكلمات الاعجمية حسب لفظها الاصلي بتغيير كبير او قليل يلحقه ، نحو فهرس معرب فهرست وفالـوذج معرب بالودة ، والترجمة تعني نقل التعبيرات والالفاظ بمـا يقابلها فـي العربية . فاصطلاح الترجمة افضل وادق واوفى بالمقصود .

١٢ ـ وفي ص ١٥٨ يقول ان الدكتور عمر فروخ ألف دراسة عن « ابن ماجد » صاحب السنن ، والحق انه كتب دراسة عن « ابن ماجد» الفيلسوف المعروف عند العرب والافرنج .

١٣ ـ وفي ص ١٥٩ يقول ان الدكتور عمر فروخ يـرى ان بذور التمثيل عند العرب تظهر في احاديث ابن خلدون (كـذا) والمقامـات ورسالة الغفران وقصة عنترة والف ليلة . وهو يقصد احاديث ابن دريد كما يعلمه العالمون (١٢) . على ان هذا غير مسلم تماما للفرق البعيد بين ما ذكره المؤلف ـ نقلا عن الدكتور فروخ ـ وبين مفهوم التمثيل ، وقـد عثر العاجز ـ كاتب هذه السطور ـ على نص يكشف بما لا يدع مجـالا للشك عن بعض بذور التمثيل عند العرب ، فقد نقل ابن عبد ربه (١٣) بسنده ان صوفيا فـي زمـن المهدي كـان يجمع اليـه بعض الصبية ، ويتمثلون موقف الحشر ثم يمثل كل صبي دور احد خلفاء المسلمين فيثني عليه الصوفي ـ متقمصا شخصية المحاسب ـ بما هو أهله او ينتقده ، فيبدأ من ابي بكر حتى ختام دولة بني أمية ، وهو يمتدح او ينتقـد ، حتى اذا أتى الى دولة بني العباس ، وقيل : هذا ابو العباس السفاح، قال : بلغ امرنا الى بني هاشم ! ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا !

١٤ ـ ومن ذلك (ص ١٩٤) تاريخه لمجلة المنار فذكر انها استمرت من عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩٣٧م ، والحق ان اول اعدادها صدر في ٢٢ من شوال ١٣١٥ (١٧ من مارس ١٨٩٨ م) ، وصدر العدد الاخير (ج٥ من م ٣٥) في سلخ ربيع الآخر ١٣٥٤ (يوليو ١٩٣٥م) قبل انتقال الشيخ رشيد رضا محررها الى الرفيق الاعلى بنحو من شهر .

١٥ ـ وفي (ص ٢٠٥) نسب تأليف « ايمان العرب في الجاهلية » الى الاستاذ محب الدين الخطيب ، وهو لابي اسحاق النجيرمي مـن رجال المائة الرابعة، وقد طبعه الاستاذ محب الدين في مطبعته السلفية العامرة في عام ١٣٤٣ . ومن الكتاب نسخة خطية فـي مكتبة شيـخ الاسلام أحمد عارف حكمة الله بالمدينة المنورة (١٤) ولولا ضيق المجـال لذهبنا الى الاستقصاء وحسبنا هذه النموذجات .

اما عن اخطاء اللغة والنحو والصرف والتحريف والتصحيف ومخالفة الارجح واتباع المرجوح واستعمال اللغات الشاذة والضعيفة وترك اللغة الفصيحة العالية فحدث ولا حرج ، فذلك مما لا تكاد تخلو منـه صفحة واحدة من صحف الكتاب ، شنشنة نعرفها من أخزم ، فهـي ظاهـرة واضحة في كل كتب المؤلف خاصة كتابه « اللغـة العربية بـين حماتها وخصومها » الذي دافع به عن العربية دفاعا حارًا !! وفي الكتاب الذي نعلق عليه في مقالتنا هذه احصينا مئات ـ اي وحقك مئات ! ـ لـولا امتداد المقالة وضيق المجال لاتينا منها بطرف تطرب القارئين ، وتزعـج روح سيبويه وشيخه وتلاميذه وحزبه اجمعين ! والحق انه لولا طرافـة الكتاب وما فيه من علم نافع طريف لكان في مثل تلـك الاخطاء مانعا اي مانع من الاستمرار في قراءة الكتاب . هذا مع اننا مـن اشد الناس تحرجا في تخطئة الكاتبين ، ذلك اننا نؤمن بقول الامام الشافعي « لسان العرب اوسع الالسنة مذهبا واكثرها الفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميـع علمه انسان ... » (١٥)» وكنا ممن دعا (١٦) الى التساهل فيما لا ينقض اصلا من اصول العربية ، ولا يخالف قاعدة من قواعدها القائمة علـى اساس من الاستقراء لا قياس النجاة والمناطقة .

ومما لاحظناه في كتاب الاستاذ الجندي ان رغبة المؤلف في ايفـاء من ترجم لهم حقهم من النقد جعلته يندفع في اطراء لذيذ وكلام خطابي، مهما يكن حظه من الصحة فليس مجاله كتابا موسوعيا .

وبعد كل هذه الملاحظات التي رأينا اشراك القراء فيها ولعلها تكون معينا للمؤلف على تنقيح الكتاب في طبعته الثانية ، نقول بعد هـذه الملاحظات تظهر قيمة الكتاب فيما حواه من آراء وتراجم عدد من افاضل المفكرين نقرأ لهم ونعجب بما نقرأ ولا نعرف شيئا عن حياتهم . وبهـذا الكتاب اضاف المؤلف ـ شأنه في سائر كتبه ـ لبنة في تاريخ الفكـر المعاصر وسد ثغرة في مكتبة هذا الفكر ، واتاح المجال للباحثين ليبنـوا على ما جمعه وهذبه نظرياتهم وبحوثهم .

الرياض — عبد العزيز حمد العويشق

---

(١٢) زهر الآداب ص ٢٦١ ط مصر ١٣٧٢ وانظر النثـر الفني ج١ ص ٢٢٧ ـ ٢٣٣ ط مصر ١٣٧٦، معجم الادباء ج١٨ ص ١٣١ ط الرفاعي، امالي القالي في غير موضع كما فـي ج١ ص ١٦ و ص ٣ ٢و ص ١٠٣ ... الخ .

(١٣) العقد ج٦ ص ١٥٢ ـ ١٥٤ ط لجنة التأليف ، ويصف ابـن عبد ربه هذا الصوفي بأنه عاقل ورع عالم فتحمق ليجد السبيل الـى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١٤) تاريخ الادب العربي ، بركلمن ، ج٢ ص ٢٧٦ مـن الترجمة العربية . ونطمئن القارىء على ان الكتاب لا يزال موجودا في هذه المكتبة على ما حدثني به احد فضلاء المدنيين ، فنجا من مصير كثير مـن كتب هذه المكتبة النفيسة ، تلك الكتب التي عبثت بها يـد الاهمال فضاعت وتفرقت شذر مذر .

(١٥) الرسالة ص ٤٢ ط شاكر ١٣٥٨ . (١٦) في مقال لنا بجريدة الجزيرة (في الرياض) ج٢٨ من المحرم ١٣٨٩ في نقدنـا كاتبا تحجـر واسعا وخطأ كثيرا من الالفاظ والتعبيرات وهـي صحيحة صحيحة صحيحة .

وراء الســـراب

شعر : وصفي قرنفلي ـ ٢٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بسورية ـ مطابـــع الوزارة نفسها

لا ريب ان وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بسورية تقوم بقسط وافر في مجال نشر التراث القديم وتحقيقه والتعريف به ، وتفتح صدرها في الوقت نفسه ، واسعا رحبا امام ابداعات الادباء المحدثين وتشجع مواهب الشباب منهم بشكـل خاص مما يـدل على تفهم عميق متفتح ، وادراك واع مخطط لمسؤولية الكلمة ودورها وفاعليتها فـي هذه الفترة الحرجة القلقة من حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية التـي تتسم بالتغير والتطور السريعين ، والسير قدما نحـو الافضل من أجل كينونة ووجود تسودهما العدالة والسعادة .

ولا ريب أيضا ان مدينة حمص بالذات ، وهي ما هي فـي النمو والازدهار الثقافي تحظى باهتمام بالغ في ميدان نشر انتاج ادبائها منمات منهم ، ومن لا يزال على قيد الحياة، فقد نشرت مديرية التاليف والترجمة في وزارة الثقافة عندنا « آثار عبد الباسط الصوفي الشعرية والنثرية» الذي توفي في « كناكري » بغينيا ، وهو في الثلاثين من عمره ، وديوان الشاعر الحمصي المرهف الفقيد عبد السلام عيون السود « مع الريح » وكتاب « نظير زيتون الانسان » وهو مجموعة الخطب والكلمات والقصائد التي القيت في مهرجان اربعينه هذا بالنسبة للاموات ، اما الاحياء فقد نشرت الوزارة للقصاص مراد السباعي مجموعتين قصصيتين « الشرارة الاولى » و « الحكاية ذاتها » وللاستاذ الاديب عبد المعين الملوحي مجموعة من الكتب المحققة والمترجمة والموضوعة منهـا « مختارات مـن الشعـر الصيني » و « اللاميتان ، لامية العرب ، ولامية العجم » وديوان « عروة ابن الورد » شرح وتحقيق و « المنصفات » وغيرها كما صدر حديثا عـن هذه الوزارة مجموعة الشاعر الحمصي وصفي قرنفلي « وراء السراب » موضوع كلمتنا هذه .

كانت الحركة الشعرية في حمص بعد الثلاثينات ناشطة ملونـة ، لدواع عديدة ، منها تيار البعث والاحياء الشعري عـلـى أيدي رفيـق فاخوري ورضا صافي ومحيي الدين الدرويش ، ومنهـا مناواة الشعراء للاحتلال الفرنسي كطليعة للشعب ، مما فتح أمامهم مواضيع خصبة للنظم والتحميس ، ومنها تحرك المجتمع نحو بناء حضاري جديـد ، ومنهـا مأساة فلسطين بعد النكبة الاولى وما تركته في القلوب من جروح وفـي النفوس من أسى وثورة .

وكان للشعر في حمص يومئذ مدرستان ، تقليدية وتجديدية بينهما صراع ومنافسة ، وكان من زعماء الثانية بل من غلاتها ، وصفي قرنفلي .

كان وصفي رومانتيكيا بطبعه واحساسه وغربته الروحية الدائمة ، وكانت حياته في بداءتها ضربا مـن البوهيمية اللأمسؤولة فاشتركت النزعة الرومانتيكية مع النزعة البوهيمية في خلق شاعر تصدى منذ راح ينظم الشعر عام ١٩٢٧ لمحاربة الشعر التقليـدي واستطاع بعـد جهاد متواصل ومعارك ادبية عنيفة شهدتها الصحافة السورية في الخمسينات شعرا ونثرا ان يرسي ما يشبه الاسس لاتجاه المدرسة الكلاسيكية الحديثة « نيوكلاسيك » وما يتفرع عنها من تيارات واتجاهات تتراوح بين الواقعية والبرناسية والرمزية ، لا في الشعـر الحمصي فحسب ـ ان جازت التسمية ـ بل اكاد اقول في الشعر في القطر العربي السوري عامـة ، تلك المدرسة التي تخلص الى حد ما من اللهجة الخطابية التـي ساءت سابقا ، واتكأت على معطيات الرومانتيكية شكلا ومضمونا وأصبحت تغني آلام الذات الشاعرة ، وتصبر باخلاص عن التجربة المعاشة وتعتمد فـي صياغتها على النغم الشعري الهامس ، وتتانق في اختيار الفاظها الناعمة الهفهافة ذوات الجرس المهمس والظلال ، وتصب في القصيدة جمـاع عواطفها المحترقة ، ولا تقيم للمقاييس الفنيـة الصلبة او العقليـة الجامدة كبير اهتمام .

والواقع ان وصفي يملك موهبة ممتازة فـي التعبير عـن خلجات النفس الانسانية والعواطف المتلهفة والاحاسيس الطاغية ، لذا فالكلمة عنده شحنة من الشعور المتدفق والصدى الرمزي المسموع فـي الموضوع واللفظة والصورة . غير أنه لا بد لنا ان نتساءل من أين أتت وصفـي هذه الايحاءات الرمزية وكيف تسنى له أن يطعم بهـا شعرنا المعاصر ، وهو الذي يعد ذا اطلاع محدود على افق الشعر الفرنسي الرمزي واعلامه الكبار كبودلير ومالارميه ورامبو وفيرلين وفاليـري وغيرهم ، وجوابنا على ذلك أن وصفي تابع قراءة مؤسس الرمزية الاول في لبنان الشاعـر المقل ، « أديب مظهر » بعد ان استطاب عطاءه فاخذ يقتفي خطاه ويصوغ شعره على شاكلته ، مستعينا بابداعاته الخاصة حتـى تفرد بشخصيته الشعرية اثر قبسه أول ملامح الرمزية من « أديب مظهر » في مثل قوله:

وهناك فـي الوادي غدير تائـه متلفت بـين الجبـال نفـور
يهفـو الصباح فيستحم بمائـه وينـام عنـد ضفافـه الديجـور

والخلاصة ان وصفي خلق مدرسة شعرية لهـا تلاميذ يستعيرون ريشته والوانه وخياله ويقلدونه في معجمه اللفظي الشفاف وفـي بعض اغراضه الشعرية واستغراقاته الوجدانية ، وقـراء ومعجبون ينتظرون انتاجها ، ويدافعون عن خطى التجديد والجراة عند شعرائها .

واذا تعمقنا في قراءة وصفي ودراسته مـن خلال ديوانه « وراء السراب » خرجنا بالملاحظات التالية :

الاولى : فالصورة في شعره وليدة الكلمة وضلع من حروفها فهـي احيانا مثقلة بالضباب مضمخة بالغموض ، واحيانا اخرى صافية كجبهة الطفل مشرقة كالصباح الجميل . وهو في هذين النوعين مـن الصورة مخلص للصورة نفسها في بيتها الواحد بـل شطره ، أبعادها وجوهـا وجدتها ولا يهمه ان يرسم لوحة يؤطرها بالخطوط الزغبية ، ويظهر هـذا الاخلاص للصورة المفردة في قصيدته الوصفية الرائعة « صلاة » حيـث يهمي فيها على صباح الربيع شوق العطـور ونشوة الارض ، وحيث تتجلى حاسة النظر عند الشاعر ودقة التقاطها للصورة الفنية وشفافيـة رؤيتها في تداخل الالوان وصفائها : لـون الصبح الازرق والبراعـم الخضراء والندى الابيض ، كانها قوس قزح :

هزني صاحبي وقـال : افق فالصبح نديـان ناعـم يتفتـح
قم أخا لشعر ، فالقوافي عذارى عاريات كالصبح فـي المرج تصدح
فتثاءبت والكرى فـي جفونـي وتناهضـت نحـوه أتارجـح
فاذا الصبح فـي غلالته الزرقـاء سـاج ينهـل طيبـا ويلمـح
رف وانسل مـن براعمـه الخضر طربا ، مهفهف الخطو :فيـح

وتتمتع صورة وصفي بالحركية الجسدية والمعنوية تعبيرا عن حالة عضوية او نفسية معينة . وادخال الحركـة الطبيعية فـي التصويـر الشعري ، فن صعب ، اذ يحتاج الى الالتقاء بين الالفاظ فـي تتابعها وزخمها كالطعن المتلاحق ، وما يقابلها من معنى حركي لتكتمل الاندفاعـة ويتضح المجهود :

ومن الشاعر المدل بما يندى جبين الاحرار مـن بهتانه ؟
انه .. انه ، واغمدت سكيني وراء الوريد مـن شريانه

أو :

فتن تقول : ـ هنـا ، وتومىء فتنـة ، وتهم أخرى

والثانية تتعلق بشخصية الشاعر ذات الابعاد الحضارية والنفسية والاجتماعية والسياسية ومواقفه من الحياة والاحياء ، فوصفي انسان متمرد رافض ، غاضب ، جموح : متمرد على معطيات العلم التـي جعلت من المخلوق البشري آلة صمـاء ، رافض للموروثات الشرقيـة التي كبلت تقدمنا الاجتماعي غاضب على الزعانف التي تفكر بعقلية العصر الحجري ، جموح في التأمل والهدف . وهذه الخصائص النفسيـة والسمات الشخصية والاعتقادات الذاتية ، تنعكس كلها في قصيدتـه الخالدة « سراب » . ومـن يقرأ هذه القصيدة الطويلة يقف امامهـا مدهوشا فهي ملحمة النفس الانسانية في صراعها الراعف ، واذا كان

تكل شاعر قصيدة كما يقول الفرنسيون فان قصيدة وصفي قرنفلي هي « سراب » . وسراب تعبير شعري شاهق عن مأساة « الفراغ والعدمية » بمعناها العميق ، ووصف تراجيدي لتهافت الانسان في عالم المادة الرخيص والدنس الوجودي ، وعرض مجسم لارتخاء الذات امام المعضلات :

ونفضت المنى فاهوين انقاضا : « الى النار يا سياط العذاب »
ان شرح الجراح جرحك يا يأس بل الموت دون هذا العذاب
يا لرجس العلوم انقى واسمى من جميع العلوم طهر الغاب
يا لفقري حرمت حتى من الدمع ومن رعشة الاسى في اهابي

لكن هذه المواقف التمردية الرافضة لا تعني سلبية وهروبا في نظرة الشاعر للانسان ، فهو عطوف عليه رفيق به ، محب لبني وطنه وقوميته العربية ، مدافع عن كيانها ، ومن هنا كثر الشعر السياسي في ديوانه عندما حاول ان يجعل قصائده هادفة تخدم قضايا السياسة والمعترك النضالي مما احالها في بعض الاحيان معنى وصياغة اشبه بافتتاحيات صحف شعرية تخلت عن الفن واشاح عنها الابداع وماجت فيها النثرية وقد لمح هو نفسه هذا التدني في الشكل والمضمون فكف عن الشعر السياسي والمنظومات النازعة قبل ان يتوقف نهائيا عن النظم ، الا ان هذا لا يلغي قيمة بعض قصائده السياسية ، ففي عدد محدود منها يرتفع فنيا الى الذروة ، ويبرهن على اصالة وجودة وشعور جماهيري :

عرب نحن والعروبة انسان شريف يستنكر العدوانا
كل تاريخنا انطلاقة احرار وشعر يستصغر العبدانا
كلما هم فاتح او غزانا ، ضاع في السفح واستطالت ذرانا
نحن معنى الربيع نورا ودفئا وازهارا ، فمن رآه رآنا
نحن معنى من الطليعة في الشعب اذا الشعب هزنا او نخانا

والثالثة تتجه نحو محاولات التجديد الجذرية في شعره فقد استطاع ان يوحد فكرة القصيدة ، ان يجعلها كلها تدور حول منطلق واحد ، لا ان يستقل كل بيت بفكرة ثم لا يربط بين الابيات وافكارها رابط او نظام كلي ، واجود مثال على هذه التجربة قصيدته «كآبة» :

عقدت هدبها على حلم ميت ولفت آلامها بابتسامة
ولوت جيدها كما لوت العنق على مرهف الشفار حمامة
ووراء الضلوع تنتحب الروح انكسارا ، ذبيحة مستضامة
ماتت الذكريات الا ظلالا ، حضنت قلبها ولمت حطامه
يبس الدمع في الجفون وغض النظر الميت لا يرى ما امامه

واستطاع ايضا ان يميز غزله بالبوح الحواري وكثرة الالتفات والمخاطبة ، ثم السؤال وانتظار الجواب ، بين جمل معترضة متكررة بجمال وحيوية ، وهذه الحوارية الشعرية ، ان صح التعبير ، تكاد تكون ميزة عرف بها وصفي ، من دون شعرائنا جميعا ، ولذا يصعب تقليدها :

على شفتيك متكأ المعاني وفي الهدبين قافية وبحر
فاما قلت برعم كل حرف وماج فهل سقيت اللفظ عطر ؟

عاش وصفي حياته مرتحلا « موكلا بقضاء الله يذرعه » من قرية الى اخرى ، ومن بادية الى بادية ، ومن مشروع الى مشروع بحكم وظيفته في المساحة والري ، فولد فيه هذا الترحل الدائم صفة القلق وعدم الاستقرار حتى بالنسبة للافكار التي يعتنقها ، الا ان هذا السفر الطويل المستمر ـ من زاوية ثانية ـ اعطى تجربته الشعرية فيضا من التنوع والحرارة وكان ان الهبت طبيعة المناطق التي يتنقل فيما بينها ، من جفاف وبوسة وبوار الى جنان خضراء ثرة المياه ، مخيلته الطليقة ، فاختزنت صورا ابدع الشاعر في استغلالها بالوصف على نوعية الخارجي ـ الطبيعة ومعطياتها ـ والداخلي ـ النفس وانفعالاتها ـ ومع ان عمله انهك صحته وجسده وابعده عن اصدقائه واهله ودنيا الحضارة الآلية التي يعيشها الناس وما فيها من ترف ورفاه ، فانه يعتز به اعتزازا اصيلا ، لانه مثل عمل الكثرة الكاثرة من هذا الشعب الذي يسعى وراء اللقمة بالدم المكدود والعرق المتساقط ، وهو ابن الشعب ، عايش الصميمي المعذب من طبقاته :

انا للشعب ما حييت وللدرب يمينا لا تعرف التأويلا
انا للكادحين منهم وفيهم سل جبالا ذرعتها وسهولا
بي من البؤس ما بهم ومكاني بينهم حيثما تولوا سبيلا

الا ان وصفي عاش حياته عريضة عميقة طويلة ، بكل دقيقة تمر ، وصباح يشرق ، ومساء يهوم ، ونرجيلة تقرقر ، امرأة ، ومنظر سحري ندي له على كتف « الميماس » ، وحلقة من الاصدقاء الاوفياء حول منضدة يدور فيما بينها حوار في الشعر ، والسياسة ، وصبوات النفس ، وآمال المستقبل ، ولكن اجمل حديث ، والصقه بالشاعر كان حديث الحب والصبابة ، فهو يميل الى المرأة ، ويرى فيها عالمه الاسمى الذي يخلصه من ادران عالمه اليومي وارهاق الغبار ووهج الشمس ، ولغة الارقام والحسابات الهندسية بعد نهار بل قل نهارات مديدة ، وينقله الى سحر العطور ، وغلالات الحرير ، وهمس النشوة :

في السفح قافية ، ادغدغها ، ودون الركن عشرا
وعلى الشفاه تقطر (الكرز) اللذيذ ورف عطرا
انا شاعر القبلات بيضا ، ما لهن صدى وحمرا

وبعد .. هذه نبذ في خصائص وصفي قرنفلي الجمالية والموضوعية استخلصتها من قراءتي لديوانه ، وهي تدل ، لا شك ، على شاعر متميز ، كبير ، كان زعيم مدرسة ترى في الثورة على كل المخلفات البالية ، منهجا في حياتها وارهاصا بعطاءاتها ، وقد استطاعت ان تفرد ظلها على الشعر اكثر من ثلاثين سنة وادت دورها كمرحلة تجاوزها الشعراء الجدد الذين اصبحت لهم هموم متغايرة ، وتطلعات عصرية ، في الشكل والمضمون والسلوك الاجتماعي والدور القيادي .

حمص — ممدوح السكاف

●

انســـان

مسرحية شعرية ـ تاليف سليمان العيسى ـ ١١١ صفحة ـ منشورات دار دمشق

من مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي « انسان » وهي مسرحية شعرية في اربع لمحات ، استمد سليمان العيسى مادتها الرئيسية من التاريخ العربي ، ومن بطون كتب الادب بالذات كما استمد مادة مسرحيته الشعرية الاخرى « جبلة بن الايهم » .

قرأ في كتاب الاغاني فصادفته قصة من قصص الكرم العربي اثارت اهتمامه واسرت لبه وكان السبب في ذلك ان بطلها انسان من عامة الشعب ، لم يتقلد منصبا ولم يحتل في دنيا الرتب مكانة ذات شأن ، رجل فقير لا يملك قوت يومه يعمل شرطيا في حرس الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور ، وما كان كتاب الاغاني ليذكر قصة رجل كهذا لولا ارتباطها المباشر بالامير المعروف معن بن زائدة الشيباني ، الذي غضب عليه بنو العباس فطاردوه واهدروا دمه .

ضرب المثل بكرم معن فاحتل الصدارة في ميدان الجود ولكن احدا لم ينتبه الى من هو اكرم منه كما انتبه الاستاذ سليمان العيسى شاعر الحرية الانسانية ، فمعن ـ على جوده ـ لم يقدم ماله كله لطالبي معروفه ، كلا ولا جزءا كبيرا منه ، انما كانت اعطيات قليلة من ثروة كبيرة ، اما هذا العبد الاسود ، بطل مسرحية « انسان » فقد قدم ماله كله للامير معن ، وبالاضافة الى ذلك اطلق سراحه ، وهو

طلبة امين المؤمنين !

ملخص القصة ان بني العباس زمن المنصور جدوا في طلب معن ابن زائدة لسبب من الاسباب ففر هذا متخفيا وظل مختبئا في بيت احد اصدقائه الى ان احاط جند الخليفة بالبيت ، عندها تنكر مرة اخرى واتجه نحو الصحراء . وقبل ان يتمكن من الابتعاد ادركه عبد اسود عرف انه طلبة امير المؤمنين : وحاول معن النجاة فلم يفلح ، فقدم للعبد عقدا نفيسا عله يخلي سبيله ، وهنا يسأله العبد سؤالا محرجا ، يريد ان يعرف هل قدم ماله كله في يوم من الايام لاحد العافين . فيجيب معن بالنفي ، ويستمر العبد متدرجا في سؤاله الى ان يتيقن ان هذا الامير الذي تغنى بكرمه الشعراء لم يسبق له ان قدم عشر ماله لاحد ، هنا اعاد العقد لمعن وخلى سبيله قائلا :

بيديك عقدك والنجاة ..

هيا انطلق لمح البصر

في الناس اجود منك . لا يشمخ على الطين القمر !

واذا عدنا الى حكاية الزنجي هذا نلاحظ ان شاعرنا حاول التقيد بالتاريخ تماما فقد ابقى جوهر القصة ـ كما وردت في الاغاني ـ ولم يضف اليها من خياله الا ما كان من تصويره لجانب من حياة اسرة الزنجي ـ فقد عرض علينا الاسود بين اهله يلاعب اطفاله ويضاحكهم ، كما صور لنا كيف تتحمل المرأة دائما عبء تدبير شؤون البيت واعداد الطعام وتتأذى من صخب الاطفال ! لقد كانت « ياسمين » اصغر بنات الزنجي تبعث المرح والسرور في نفس الاب اما الام التي عانت من ضجيج الاطفال طول النهار فان تلك الاصوات كانت تؤذيها .

وحين نعيش مع الزنجي في بيته نتذكر شاعرنا « سليمان » وابنته « بادية » .. نتذكر كيف كان يمضي ساعات من المرح وهو يلاعبها ويستمع الى غنائها . وكيف كانت الام تتضايق من الاب وابنته .. ان حياة الزنجي في بيته تحكي حياة سليمان العيسى كما رواها هو في قصيدته « بادية » .

وحين نصغي جيدا الى حديث بطل المسرحية لا نسمع حديث ابن الشعب ولا فلسفة ابن الشعب ، ويبدو لنا اننا نسمع حديث فيلسوف بعيد التفكير ، فهو ليس الانسان البسيط الذي تفرضه احداث المسرحية . وانا لا اعني انني اضن على هذا الاسود بالقيم الانسانية الرفيعة فهي فطرة الانسان السليم ولكن الذي يبدو لي مخالفا للواقع هو هذه الفلسفة الفكرية تصدره عن شرطي يعمل في مطاردة الناس :

انه القدر ... وصد رغم الحجب الكثيفة البشر
وصدهم في رحلة المجهول ، في السفر
يبكون يضحكون ، يشقون يسعدون
نفوسنا الاخر اخوتنا البشر

ان ما ورد في هذه الابيات عن الوحدة الانسانية والمساواة في ظروف القدر الرهيبة بين الناس ناتج عن تفكير شاعرنا الطويل واستنتاجاته ، وليس من السهل علينا ان نتقبله كلاما عفويا يصدر عن انسان من عامة الشعب يمضي يومه في الكفاح من اجل الحصول على لقمة العيش .. ان الفرصة التي اتيحت لاستاذنا سليمان لكي يفكر في هذه الاشياء لا يمكن ان تتاح لرجل عامل يصل الى بيته مكدودا ، وكل همه ان يحصل على قسط من الراحة وساعات قليلة من النوم الهانيء .

والحقيقة ان فكرة المسرحية نبيلة جدا لان الشاعر يريد ان يفهمنا ان الفضائل مقومة بين الناس جميعا ولم يخص الله بها طبقة دون طبقة بل ربما كانت اكثر انتشارا بين الناس البسطاء لانهم اقرب الى الفطرة الانسانية السليمة من سواهم .. وشيء آخر هو اننا ما دمنا في عصر المساواة فلماذا تهمنا الشخصية المعروفة ! اوليس جديرا بنا ان نبحث عن الانسان المثالي مهملين اسمه ولقبه ، وحري بنا ونحن رواد المساواة ان يهمنا جوهر الانسان . وتبعا لهذه الفكرة فالاستاذ سليمان لا يطلق على الزنجي اسما معينا ويسمي المسرحية باسم صاحبها العام « انسان » !!

واذا كنا نبحث عن التسمية لكي نقرب ما نكتب من الواقع فشاعرنا يهمل التسمية قربا من الواقع الذي يريده : الواقع الانساني العام .

ان قصة الكرم العربي ليست جديدة سواء اكان هذا الكرم بين السوقة ام بين السادة .ويبقى اجمل ما في المسرحية هذا الشعر الغنائي الرائع الذين يشدنا اليه شدا . فنحن نقبل على « انسان » لا رغبة في حبكة قوية او شخصيات واقعية استطاعت ان تبعث امامنا الماضي حيا ، ولكن الذي يشدنا هو شعر سليمان الوجداني الرائع اننا هنا مثلا لسنا امام زنجي يحدث زوجته عن امير عربي كريم انما نحن نصغي الى شاعر غنائي يمجد الكرم والبطولة :

ودلت لو اني كنت خيط عنانه امد اساطير الخيال له جسرا
واعرفه يا عبد ، تعرفه الدنى فقد ملأ الصحراء من بأسه شعرا
يقولون : لم تند القفار براحة كراحته مذ وشوش الكرم الفقرا

ان الزنجي ـ كما رأينا في الابيات ـ يريد ان يوسع قصة كرم معن فيجعلها اسطورة خيالية يتحدث بها العالم وليست في الحقيقة الا جسرا عريضا يعبره معن في خيال « سليمان » وربما وقفنا قليلا عند الابيات التي تصور وضاعة الانسان الذي يغني سرورا في مآسي الآخرين والتي تشير الى شاعر بني العباس سريف الذي قال قصيدة من الشعر فوق جثث الضحايا من بني امية :

ما ابشع الانسان يملأ ، من نجيع اخيه كوبه
ويقول شعرا بعد ذاك ... كانما غنى حبيبه

والحقيقة اننا نخرج من المسرحية معجبين لا لانها نالت الشروط الفنية ، كما يريد نقاد المسرح ، فحازت على رضانا بل لان « انسان » سليمان العيسى الشاعر انسانا الواقع الفني للمسرح وجعلنا نعيش معه في اجواء وجدانية تبصر في الانسان جوهره فقط وتتمرد على القشور الزائفة .

دمشق

سكينة الشهابي

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

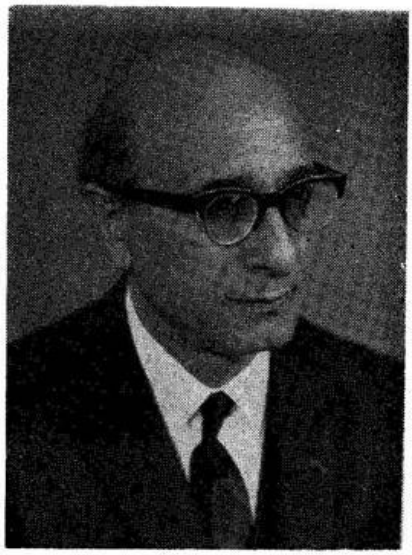
•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من الكتب السياسية والاقتصادية والعقائدية

وكمية ضخمة من القصص على

جميع انواعها وكذلك جميع الكتب المدرسية



محمد اديب العامري

من سبل الرقي في الحياة والمجتمع

بقلم محمد اديب العامري

* * *

تنتقل الحياة العضوية ، متمثلة في الاجسام الحية ، وتتدرج في معارج الرقي بتغيرات طبيعية تدريجية . ويكون تطور الحياة بذلك بطيئا كل البطء ، ويحتاج الى حقب وأماد طويلة . اما الذي يؤثر في نقل الحياة من طور الى آخر ، بشيء اكثر من السرعة ، فهو التغير المفاجيء Mutation الذي ينقل الجسم العضوي من صورة الى اخرى نقلة عاجلة ، فيغير شكل الجسم في عضو من اعضائه او مظهر من مظاهره . ويكون هذا التغيير في كثير من الاحيان الى ما هو افضل واكمل . مثال ذلك التغير المفاجيء الذي يؤدي الى طول انسب في انسان او شعر اجمل في حيوان .

وهذا التغير المفاجيء الذي يقع بين آونة واخرى يورث ، وينتقل من السلف الى الخلف ومن الاب الى الابن . والذي يحدث التغيير المفاجيء في الطبيعة عوامل مختلفة لم يتوصل العلماء بعد الى معرفتها كاملة .

ومن المعلوم ان للاجسام العضوية وظائف عملية تؤدي الى تغيير في الانتاج أو تعديل في السلوك . وان اكثر ما يهمنا في هذا الباب هو التغيير الذي له اثر في حياتنا الاجتماعية ورفع سويتها الى الحد الذي يليق بالانسان . ولذلك كانت العوامل المؤدية الى التغيير العضوي او التطوير الاجتماعي وسائل هامة بين ايدي البشر في سبيل رفعة حياتهم ونقلها الى اوضاع افضل من السعادة والرفاه .

لذا قد نعمد في الطبيعة الى احداث التغيير المفاجيء بالاشعة ، اذ تسلط هذه (اشعة اكس) على الجسم الحي فتؤثر على المولدات الاساسية فيه وتحدث التغيير المفاجيء بسرعة اكبر مما يحدث عادة في الطبيعة، سرعة تصل الى مائة ضعف او اكثر . ويبدو ان انواعا اخرى من الاشعة (جاما مثلا) تحدث التأثير نفسه . وبما ان انواع هذا الاشعاع موجودة في الصخور الارضية ، فلعل اثرها في الكائنات الحية التي تعيش على الارض هو الذي يحدث التغيرات العضوية المفاجئة التي نتحدث عنها .

واثر هذا التسليط الاشعاعي معروف في العلاج الطبي . فللصدمة الكهربائية او الصدمة الآلية التي يتعرض لها الجسم البشري ، أو جزء منه ، من الاثر في تنبيه اعضائه وعضلاته ما ليس للمس الرفيق او المعالجة السطحية ، او الطويلة . والضغط على العصب بحدة او شدة او سرعة يحمله على رد الفعل السريع العميق ويحفزه الى التوفر والاندفاع واليقظة .

والحياة الاجتماعية للبشر فيما يبدو تشبه حياتهم العضوية الى حد غير قليل . فهي تنفعل بالضغط والخطف وتستجيب للمران الحاد والتكييف العاجل الى حد يصبح معه الانسان الذي يخضع لمؤثرات حادة ويعتاد ظروفا قاسية اقدر على الحياة من غيره . وهذا واضح عندما يكون الامر سباقا بين عدو خشن متدرب وانسان مترف خلي البال لم يتعرض للشدة ولم يعتد العراك والتكيف والنفاذ . ان الرياضة البدنية الهينة للجسم لا تحدث فيه التغيرات العضوية المطلوبة لتجديد نشاط الجسم والعقل وتقويتهما . ولعل في عنف الرياضة الهندية المعروفة باسم (يوجا) القصد المطلوب من قاعدتنا العضوية التربوية التطورية .

ومن المؤكد ان نتائج هذه الفكرة يجب ان تطبق بصورتها العامة على اجيالنا الصاعدة ، في التربية والتعليم والاستعداد والتدريب . فالجسم البشري (والدماغ جزء منه) يجب ان يخضع للزخم المعقول في تربيته وتنميته وتعويده اللازم للحياة كما هي ، حتى يصبح هذا النمط اليقظ النشيط اسلوبا يطبع حياتنا الشرقية ، المسترسلة مع الهوادة والليّن والهدوء والتفريط ، استرسالا يخرجنا من حلبة السباق مع العدو ويوهن قوانا واذهاننا عند المقابلة الصارمة والمصابرة العنيدة .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري

(*) هذه اولى مشاركات الاستاذ العامري في العمل الفكري في « الاديب » بعد ان استقال مؤخرا من العمل الوزاري في الاردن ، وبعد ان انقطع فترة عن الكتابة . والذي نامله ان يداوم الاستاذ انتاجه في أي حال كما عهدناه من قبل . « الاديب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود الحسنية

الكتابة وتطور الخط العربي

بقلم محمود الحسنية

* * *

الخط من وضع الانسان المبدع ، لم يستكمل الغاية ويصل الى ما هو عليه ، الا بعد ان تعدى دور مدلول صور الماديات ، ودور الصوري المعنوي ، ودور الصوري الحرفي .

وقبل هذه الادوار ، قضى ذلك الانسان قرونا طويلة دون ان يفكر فيه ، او في طريقة استنباطه ، لانه لا يفقه له من معنى مع حياته الآمنة الهادئة البسيطة التي لا يحتاج معها الى تدوين وتسجيل الوقائع والاحداث .

ولما تخطى هذه الحياة البدائية ، واخذ يفكر بتحسينها ، اضطر الى الخروج من بيئته والتنقل بين احضان الطبيعة فتعرض لمخاطر السفر والانتقال ، وبقدرة قادر حلت عقدة لسانه ، فتخلى عن همهمته وعجمته فكان له النطق ، وكانت الكلمة المقدسة ، واصبحت الحياة بحاجة الى من يدون الوقائع ، ويضبط الاشياء التي تحيط به . فدخل عندئذ الى دور مدلول الصور ، فاذا اراد ان يقول انسانا ، وشجرة ، وحقلا مثلا ، صور الانسان ، والشجرة ، والحقل . وجاء اكتشافه للكتابة البدائية اثر حاجته اليها ، تماما كما اكتشف النار ، اثر موجة قاسية من الصقيع .

والكتابة جليلة القدر ، فقد رفع الله شأنها عندما قال : « واقرأ « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . وقيل اول من خط بالقلم آدم . وقيل ان اخنوخ سمي ادريس ، لانه اول من درس الخط وخط بالقلم ، واول من كتب بالعربية هود .

واصل الكتابة المعروفة الان في العالم المتمدن نشأت في وادي النيل بشكل الصور الهيروغليفية ، ثم حولها الفينيقيون الى الحروف الهجائية وعلموها لليونان في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وللاشوريين حيث عرفت بالحرف الارامي ، ومن الحروف اليونانية القديمة تولدت جميع الخطوط والحروف المعروفة في العالم الغربي .

ومن الحروف الارامية تولدت الحروف المعروفة في الشرق ، ومنها الخط السرياني والعربي (مجلة الهلال) .

وقال حفني بك ناصف في تاريخ الادب او حياة اللغة : « الخطوط كثيرة ، ولكنها ترجع في الاصول الى اربعة :

١ ـ الخط المصري ، اقدم الكتابات الشرقية ، وهو ثلاثة انواع :

الهيروغليفي : خاص بالكهنة ، وخدمة الدين .

والهيروغليفي لفظ يوناني مركب من كلمتين : هيرو ، معناه مقدس ، وغليف ، معناه حفر .

الهيراطيقي : خاص بعمال الدواوين وكتاب الدولة.

والهيراطيقي خط ابسط تركيبا من الهيروغليفي واقرب الى الحروف منها الى الرسوم .

الديموطيقي : خاص بعموم الكتبة من الشعب ، وهو ابسط الانواع الثلاثة .

٢ ـ الخط المسماري ، الذي كان مستعملا في بابل ، واشور ، وما حولهما وقد انقرض الان .

٣ ـ الخط الحثي ، الذي كان مستعملا قديما في بلاد الشام ، والحثيون هم نسل حث بن كنعان ، وقد انقرض هذا الخط ايضا .

٤ ـ الخط الصيني ، وهو مستعمل الان ، من فروعه الياباني والمغولي .

والخط الفينيقي تولدت منه اربعة خطوط :

١ ـ اليوناني القديم ومنه تولدت الخطوط الاوروبية والخط القبطي .

٢ ـ العبري القديم ومنه الخط السامري نسبة الى سامرة نابلس .

٣ ـ المسند الحميري ومنه تولد الخط الحبشي .

٤ ـ الارامي ومنه تولدت الخطوط الاتية : الهندي، الفارسي القديم ، العبري المربع ، التدمري ، الانباري ، النبطي ، الحميري ، السرياني ، الحجازي والكوفي .

وكانت اللغة العربية محصورة قبل الاسلام في شبه جزيرة العرب ولم يتسع نطاقها الا منذ ظهوره ولما انتشر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسلام انتشرت معه لانها لغة القرآن الشريف ، ولغة الرسول الكريم ، واصحابه ، ولان القرآن كان ولا يزال مرجعها وحرمها ، ودستورها الالهي .

وهكذا نشأ الخط العربي في الحجاز ولكنه كان محصورا في الصحابة وبعض أهل الذمة . وكان اشهره الخط المسند الذي كانت تكتب به اللغة الحميرية . وانتشر في مصر الخط القبطي المشتق من الخط اليوناني ، وورثت اللغة العربية فيها القبطية وذلك في عهد عبد الله بن عبد الملك امير مصر سنة ٨٧ هـ. حيث جعلت الكتابة في جميع دواوينها باللغة العربية ، ونقل الديوان من القبطية الى العربية . وحلت اللغة العربية في شمالي افريقيا محل اللهجات البربرية . وانتشرت في فارس ، وورثت اللغة الفهلوية ، وانتشرت في كل من سوريا والعراق وحلت محل الرومانية واليونانية والسريانية والسامرية .

وقد وصل الخط من اليمن الى الحيرة والانبار بواسطة كندة ، واجمع المؤرخون بان اول من ادخل الكتابة الى مكة المكرمة ، حرب بين امية بن عبد شمس وكان قد تعلمها في اسفاره . واشتهر الاوس والخزرج بالكتابة ويقال ان الكتابة دخلت المدينة قبل مكة ومنها اهتم المسلمون بتعليمها ونشرها . فانه لما كانت غزوة بدر الكبرى اسر المسلمون جماعة من قريش وكانوا اكثر من سبعين رجلا فارادوا فداء انفسهم بالمال ، فقبلت الفدية من الاميين ، وجعلت فدية الكاتب منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة وهذا اعظم دليل على تعظيم شأن القراءة والكتابة . وكان الكتاب يتنافسون في جودة الخط ،حتى بلغ غاية في الاتقان .

وفي الخط قال النبي الكريم :قيدوا العلم بالكتابة . وقال لكاتبه معاوية « الق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفر السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم » .

وروى الديملي في مسند الفردوس ، عن الرسول قوله : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا . وروى ابن الاثير : ان الرسول اقام مسجد المدينة قبل اي شيء ، وجعله للتعليم ، وكلف عبد الله بن سعد بن العاص وعبادة بن الصامت بتعليم الكتابة ، ولقد اوفد الرسول معاذ بن جبل لتعليم الكتابة والخط ، فاخذ يتنقل في عمالة كل عامل .

وقال الامام علي : عليكم بحسن الخط فانه مفتاح الرزق .

وقيل الخط ملكة تنضبط بها حركة الانامل بالقلم على قواعد مختلفة . وقال القلقشندي : الخط ما تنعرف منه صور الحروف المفردة واوضاعها ، وكيفية تركيبها واشتهر العرب بالخط الجميل المنمق والمنوع . وتم ظهور الخط النسخي على يد الوزير ابي علي محمد بن مقلة ٢٧٣ – ٣٢٨ هـ واخيه محمد وضرب المثل بحسن خطهما . واخذ الخط العربي اشكالا فنية والتصق بالفن الزخرفي . واول الخطوط التزيينية كان الخط الكوفي الذي انبثق منه المضلع الهندسي ، والمشجر ، والمضفر ، وظهرت الخطوط الزخرفية الاخرى كالطغرائي والديواني والفارسي .

وقال غوستاف لوبون في حضارة العرب : كان للغة العرب مثل ما للدين من حظ ، فقد ظلت اللغة العربية في بلاد فارس ، لغة اهل الادب والعلم ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ، وكتبوا ما عرفته بلاد فارس من علم الكلام ، والعلوم الاخرى بلغة العرب . وللغة العربية شأن في هذا الجزء من آسيا كالذي كان للغة اللاتينية في القرون الوسطى .

وقال المستشرق الالماني ارنست كونيل المولود سنة ١٨٨٢ « اعتبر الخط العربي كفن من اشرف الفنون». وارتفعت مكانة الخطاطين ، واحتل عدد منهم منصب الوزارة . واهتم الخلفاء والامراء بالخط العربي في نسخ القرآن . وكان الحكام يفاخرون بانتمائهم لاساتذةالخط ، ومن هؤلاء عضد الدولة البويهي ، والشاه طهماسب .

واحتفى الاسبان بالخط العربي ، احتفاء الايرانيين وقال المستشرق الفرنسي دوزي ١٨٢٠ – ١٨٨٣ في كتابه « تاريخ المسلمين في اسبانيا : بأن الاسبان هجروا لغتهم كي يتعلموا العربية لغة وكتابة ، حتى لم يعد يوجد من يقرا الكتب المقدسة باللاتينية ،بل ترجمت الى العربية كي يقراها نصارى الاندلس .

ويقول المستشرق بالانسيا لما سقطت طليطلة في عام ١٠٨٥ على يد الفونس السادس ١٠٦٥ – ١١٠٩ م بقيت اللغة العربية يعول عليها القوم للكتابة ويستعملونها في القضاء والتجارة زهاء قرنين بعد رجوع النصرانية . ولقد اهتم سائر الناس باقتناء المخطوطات العربية ، ذات الخط الجميل . وروى المقري في نفح الطيب قصة عن حضرمي ، قال . « اقمت بقرطبة ، ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، الى ان وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ، ففرحت به اشد الفرح ، فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة علي ، الى ان بلغ فوق حده فقلت له يا هذا ارني من يزيد في هذا الكتاب حتى ابلغه الى ما لا يساوي . قال فأراني شخصا عليه لباس رئاسة ، فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه .. ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدها . فقال : لست بفقيه ولا ادري ما فيه ، ولكن اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رايته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما ازيد فيه ».

وهكذا انتشرت المخطوطات العربية في كل مكان ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدى كبرياء

•

وأحلم أنك لي يا حبيبي ... وانـي سألقاك كل مساء
تمد جناحيك كي تحتويني ... فيورق بين ضلوعي الرجاء
وأحلم أنك تطرق بابي ... وتبحر بي عبر سكب الضياء
على زورق لم يعان الضياع ... ندي نقي كماء السماء
وليس هناك رياح تثور ... ولكن نسيم يهب رخاء

★ ★ ★

الى م ساحلم يا ملهمي ... وعمري يولي أسى وادعاء
غدا يا حبيبي سيمضي الربيع ... ويجتاح صيف ويأتي الشتاء
ويقفر دربي من العابرين ... وأجتر وحدي صدى كبرياء

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا تزال الكؤوس والاواني ، والمزاهر واللوحات الاثرية ذات الخط العربي البديع المزخرف تحتل مكان الصدارة في المتاحف الشرقية والغربية كأشياء نادرة الوجود .

وزين هنري الثاني دي ترانستامار الكنيسة التي اضيفت الى المسجد الاموي في قرطبة بالنقوش العربية والكتابات البديعة ، كما ان زخارف كنيسة الترانسيتو في طليطلة عربية النقش والخط ، وكذلك سقف كنيسة البالاتين في باليرمو التي انشئت عام ١١٤٠ م تزينه وتحليه الخطوط العربية .

وقد انتشر الخط العربي في صقلية على يد الاغالبة والفاطميين من عام ٨٢٧ حتى عام ١٠٩١ م ثم استمر بعد حكمهم ، وقال الرحالة العربي ابن جبير : « لقد كان الملك روجر الثاني يقرأ ويكتب اللغة العربية بطلاقة » . وبقي الخط العربي يزخرفه سائدا في صقلية حتى ولاية وليم الثاني الذي مات عام ١٦٨٩ م .

وقال ابن خلدون ٧٣٢ – ٨٠٨ هـ. في مقدمته : « الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية » ، ولقد كان الخط العربي بالغا ما بلغه من الاحكام ، والاتقان ، والجودة ، في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة ، والترفة ، وهو المسمى بالخط الحميري . وانتقل منها الى الحيرة ، لما كان بها من دولة آل منذر ، نسباء التبابعة في العصبية ، والمجددين لملك العرب بارض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة » .

واخذ الخط العربي قسطا كبيرا من التحسين حين انتقلت الخلافة الى الدولة العثمانية ، فاعتنى العثمانيون بتحسينه وتهذيبه اعتناء تاما ، حتى ان نظارة المعارف في الاستانة ، خلال سنة ١٣٢٦ هـ فتحت مدرسة خاصة ، لتعليم الخط والنقش ، والتذهيب ، فكانت اول مدرسة انشئت للخطوط .

وساد الخط العربي الكوفي ، والثلثي ، والنسخي ، والرقعي ، والديواني ، والفارسي ، والمغربي ولاسيما الهمايوني الذي اهتم العثمانيون به كثيرا واعتمدوه في اكثر كتاباتهم الشاهانية .

محمود الحسنية



ابراهيم المصري

ابو مندور لمحمد زكي عبد القادر

بقلم ابراهيم المصري

* * *

اذا كان فن القصة الرفيع يتمثل في قدرة القصصي على استعادة ما تخلف في نفسه من مؤثرات ماضية ، وما انطبع في خياله من مشاهد الدنيا ، وما عاناه في حياته من تجارب ، وما ادخره في ذهنه من ثقافات ، فهذه القدرة تبدو واضحة جلية في قصص الاستاذ محمد زكي عبد القادر .

ففنه ليس فن الخيال الملفق ، والعواطف الزائفة ، والحوادث المصطنعة ، بل فن البصر النافذ ، والملاحظة الدقيقة ، والتصوير الامين ، يسبح في جو شعري فاتن، ويستمد نبضه واختلاجه من واقع حي .

فاحتضان هذا الواقع ، والقدرة على تصويره ، والكشف عن منابعه في اعماق النفس ، والوصول الى جذوره المتغلغلة في العلاقات البشرية ، بحيث يجمع الكاتب بين الواقعية والتحليل ومثالية العواطف في وحدة متكاملة ، تلك هي السمات البارزة التي خلبتني وملكت علي مشاعري وانا اطالع للمرة الثانية قصة الاستاذ محمد زكي عبد القادر « ابو مندور » .

ولهذا الكاتب اسلوبه الخاص في التأدية والتعبير . اسلوب تلتقي فيه الجزالة بالدقة ، ويكاد لشدة التحامه بالمعنى ان يكون هو والمعنى شيئا واحدا لا يتأتى انفصاله بحال . واما طريقته في معالجة موضوعه ففيها من صدق التجاوب وحرارة الاخلاص ونفاذ الفكر ما يبعث على طول التأمل ، فيكسب القارىء ثراء معنويا يجدد به عقله ووجدانه ونظرته الى الحياة .

واما قصة « ابو مندور » فلا تصور فقط وعلى نحو فني فريد ، حقبة هامة من حياة الريف المصري الذي كانت معظم أسره الكادحة تعيش في الماضي عيش الكفاف والجهل والعبودية ، بل تصور فوق هذا عاطفة حب نشأت بين فردين من عالمين متباعدين بل متنافرين ، احدهما عالم القرية بكل ما فيه من بساطة الطبيعة وصفاء القلب الى جانب الفقر والعبودية ، وعالم المدينة بكل ما فيه من صخب الحياة وزيف المشاعر الى جانب العز والجاه واسباب الرفاهية .

والحق ان معرفة الاستاذ محمد زكي عبد القادر بالريف واخلاق اهله وعاداتهم وتقاليدهم ، لا تكاد تدانيها في عمقها واتساعها وشفافيتها معرفة كثير من كتابنا سواء منهم من نشأوا في هذا الريف او من اتصلوا به اتصال جوار او عمل .

فالاستاذ المؤلف يقدم لنا من طبائع اهل الريف المصري صورا ناطقة يحفرها في الذهن حفرا ، ويستعين على ابرازها بشيء من اللغة الدارجة التي لو عدل عنها في بعض المواقف الى الفصحى ، لبهتت الصور تماما ، وزايلها اشعاعها المعبر والقها الجذاب .

وتدور حوادث القصة في قرية من قرى مديرية الشرقية قبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حيث كانت تعيش اسرة « ابو مندور » عيش الكفاف على زراعة فدان او فدانين استأجرتهما من التفتيش الذي يملك القرية او يكاد .

وكانت « صبحة » وهي بنت من بنات الاسرة قد ضاقت ذرعا بحياة الريف وصبت نفسها الى حياة المدن. وكان قد تعلق بها « رفعت بك » ابن سعادة المفتش . فغافلت الفتاة اسرتها وانتقلت من القرية الى العمل في المدينة في منزل رفعت بك .

وثار ثائر اسرة ابو مندور ، وتخبط افرادها في البحث عن صبحة ، واستفاضت الاشاعات بان ابن المفتش قد اختطفها بعد ان عين شقيقها محمود خوليا في التفتيش .

وتلتهب الشكوك في نفس محمود ، ولا يستطيع ان يتصور عرضه وقد استباحه انسان . فتشتد ثورته وتستحيل في صدره الى مرجل يغلي . وفجأة وفي ذات صباح ، يستدعيه سعادة المفتش ويخبره انه سيرى صبحة . . ويلتقي الأخ باخته في منزل رفعت بك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيصر محمود على ان تعود الفتاة معه الى القرية . ولكنها ترفض ، وتنتقل من منزل رفعت الى منزل البيه الكبير . فيطمئن محمود ويتأكد بما لا يدع في نفسه مجالا للشك ان أخته قد استمسكت بعفتها ، وانها لا يمكن الا ان تظل طاهرة الذيل ، نقية العرض ، حريصة على نفسها وعلى شرف اسرتها .

وكانت عفة الفتاة الاصيلة مقرونة ببراءتها الساحرة وقد احدثت ابلغ الاثر في نفس رفعت الماجن المستهتر العربيد . فاقلع الشاب تحت تأثيرها عن الخمر والميسر والنساء ، وسمت روحه الى جو الصفاء الرائع المنبعث من نفس صبحة .

ولكن هل فكر رفعت في الزواج من صبحة . لقد اقدم حقا على فسخ خطبته من سميرة بنت حسين باشا . غير انه رغم ذلك لم يجازف في اختيار صبحة زوجة له ، بل لم يفكر في هذا الامر ابدا . وانى له ان يفكر فيه وهو الشاب الوجيه الثري وهي الفتاة القروية الخاملة الفقيرة .

لقد كان يتصورها في مبدأ الامر متاعا رخيصا . فلما استعصت عليه وتأثر هو بعفتها وطهرها ، وتأثرت هي ايضا بانجذابه اليها ، واوشكت بدورها ان تنجذب اليه ، حار الشاب واضطرب في فهم نفسه ، وفي اكتناه سر عواطفه ، وفي استنكاره الزواج من الفتاة بينما هو يشعر نحوها بتلك الجاذبية الغريبة التي بدلته واحالته من عربيد الى انسان .

وقوة القصة وروعتها تكمن هنا . في هذا الخليط المتضارب من الانفعالات المنطلقة فترة والمحتجزة اخرى ، الواضحة حينا والمستخفية احيانا . فهل كان حبا ذلك الذي جمع بين صبحة وابن المفتش . وهل هي قد احبته ام لم تحبه . وهل احبها هو ام لم يحبها . اغلب الظن انها لم تحبه ، واغلب الظن ايضا انه لم يحبها . بيد ان نوعا من الشعور عجيبا قد اتصل بينهما . فابن المدينة هفت نفسه الى صفاء الريف ، وبنت القرية صبت نفسها الى سحر المدينة . فكان هذا الخليط من الانفعالات التي تضطرب حينا حتى توشك ان تكون حبا ، وتضطرب حينا حتى توشك ان تكون بغضا ... فكل من الشاب والفتاة كان ، على حد تعبير المؤلف ، في الظل بين المدينة والقرية .. صبحة تشدها القرية وتفتنها المدينة ، ورفعت تشده المدينة وتخلبه القرية . ولم يستطع احدهما ان يتخطى الظل الى وهج الشمس فكانت مأساتهما .

على ان مأساة صبحة كانت اعمق وابلغ . فقد عادت الفتاة الى القرية ، ولكنها رفضت الزواج بمن ارادها . فهل كان ذلك منها عن حب لرفعت ام عن كراهية للزواج بقروي لا شيء فيه من ذلك السحر الحضري الذي اجتذبها في رفعت ؟ ...

لولاي

أتركت لي في القلب جذوه
لاعيش تياها بنشوه
وأهيم يحدوني الحنين
الى الرضى ، من بعد قسوه
أحسبت قلبي في يديك
محطما يحنى لشهوه
خسئت ظنونك ، فالهوى
وأنا ونبل الخلق أسوه
لولاي ما كان الحلا
يخطو الى خديك خطوه
من ريشتي فاض الجمال
وريشتي سوتك حلوه

فوزي عطوي

هذا الغموض في حركات النفس ، وهذا التوزع في عواطف القلب ، بل هذا التحير بين الانجذاب والحب ، هو موطن الفن في هذه القصة الشائقة التي تنتهي بموت صبحة بعد سنوات ، ودفنها في القرية التي ارادت ان تفر منها ، فابت اقدار غاشمة الا ان ترتد اليها ، وتلفظ فيها النفس الاخير .

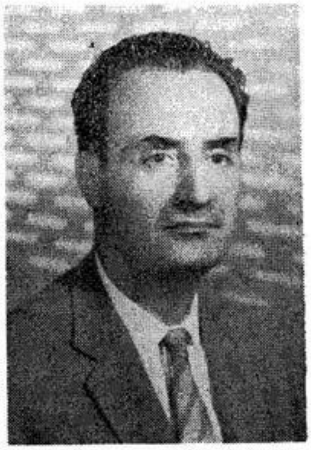
هذه خلاصة لا تكاد تصور من القصة الا اقل القليل من اطارها الظاهري . اذ الروعة والجمال فيها يستندان أصلا الى توافر عوامل تلك القدرة الفنية التي اشرنا اليها ، مقترنة بقدرة الكاتب على ان يرتفع بالحدث العارض الى مستوى المأساة .

فالقصة هي قصة العواطف المهيضة ، تبدأ سيرها من صبحة اي من اكثر القلوب بساطة وصفاء ، الى رفعت اشد النفوس تعقيدا وزيغا ، مارة في نموها وتشابكها بكل ما يتهدد العواطف الخالصة من فوارق الطبقات ، تلك الفوارق التي تصنع المأساة الطافحة بالمرارة ، العاجزة عن تجاوز منطقة الظل الى حيث وهج الشمس ونور الحياة .

وصفوة القول ان الاستاذ محمد زكي عبد القادر ، وهو الكاتب الاجتماعي الكبير والناقد الاخلاقي المتفوق ، قد اثبت في هذه القصة انه روائي ايضا ، روائي مبدع ومصور فنان ، في وسعه ان يدمج الخيال في الواقع ، وان يضفي على الواقع اليومي تلك الحلة الشعرية الانسانية التي تمتاز بها الاعمال الفنية العظيمة الجديرة بالبقاء .

مصر الجديدة **ابراهيم المصري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يـوم حطـين

من الديوان المعـد للطبـع « عبيـر مـن دمشـق »

عدنـان مردم بـك

* * *

يوم أغـر علـى الزمان جليل ... في مسمع الدنيا لـه ترتيـل
صفحاته شـرف الجهـاد تألقت ... ومداده فـي طهـره التنزيـل
يوم كأن رجال (بـدر) دونـه ... تسعى لنصـرة دينهـا وتصول
لبت دعـاء الحـق لمـا جلجلـت ... أصداؤه كالطود حـين يميـل
وتدفقت كالسيل يعصف عاتيـا ... والليـل يصخب دونـه ويسيل
ما أحجمت فـي جامح وتراجعت ... جزعا وفي الكفين ثـم صقيـل
درع الكماة مـن الحديد ودرعهم ... صبر على الخطب المهول جميـل
ان لم يكن في الصدر قلب صارم ... لم يغن في اليـد صارم مسلـول

عصفت بمنهمـر العذاب زلازل ... شالت لهـا الاكباد حيث تشيل
مخرت مصفقة وجـاش عبابهـا ... بفواجع فيهـا المنـون فصول
دارت وللنيران حمـر دوائـر ... دون السهـول وللرياح عويـل
وترى النصال على النصال تساقطت ... وكأنها عبـر الهضاب سيـول
لجـج تمور مـن الحديد وترتمي ... صخابة فـي شاسـع وتسيـل
تنداح عاصفـة ويعصف مثلهـا ... للحقد يـم زاخـر وطويـل
فـي كـل صدر جمرة لهواجس ... وبكل عـين للشجـون مسيـل
مـا كان في الحسبان أن لواعجا ... يوما تحول الـى لظـى وتؤول

أوليس في (حطين) ثم شواهد ... كالطود لا تبلـى وليس تـزول
سطعت على الدنيا بطـل عظيمة ... غراء ليس لهـا الزمان أفـول
يومان لـم يأت الـزمان بثالث ... لهما وعـز علـى الزمان مثيل
يوم (ببدر) لـم يطاول شأوه ... مـا كـرت الاعوام يومـا جيل
غنـى بذكراه الزمـان ورددت ... ذكراه يـم جـداول وسهول
تبلى العصور ومجـده متجدد ... لا ينطوي يومـا وليس يحـول
في يوم (بدر) للمكارم والعلـى ... سفر تفض لـه العيون جليـل
والمجد في (حطين) أينع غرسه ... وتألقت غـرر لـه وحجـول

قتـم تقاطر غمـره متدافعـا ... في عاصف فيـه البروق خيول
سدت طلائعـه الفضاء واطبقت ... كالليل يعصف ضاربـا ويصول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل ركن راية لعجاجة ... جنح الدجى بجناحها موصول
طرفت بها عين السماء فاطبقت ... جفنا بمنهمر الدموع يسيل
والوعر يلهث بالتراب لزاخر ... أمواجه سيف يروع صقيل
والخيل في زرد الحديد تدافعت ... دون البطاح وللحديد صليل
كرت باجنحة النسور وفوقها ... شبه النسور أشاوس وفحول
يتعطشون الى المنون كأنهم ... ظمىء وأحواض المنون شمول

والغرب يزحف بالحديد وبالقنا ... عبر الهضاب وللرياح عويل
والليل ران على البطاح بكلكل ... وجناحه فوق الربى مسدول
زحفوا ككسف دجى ينير سبيلهم ... ألق السلاح اذا ادلهم سبيل
ضاقت بجيشهم الفجاج وقد جرت ... ملء الفجاج جحافل وقبيل
ووراءهم للهول يزحف زاخر ... فيه المنون مقاطع وفصول
راياتهم منشورة وكأنها ... قطع السحاب مع الرياح تميل
وسيوفهم شعل تضيىء بثاقب ... من دونه شبح المنون يهول
وبنو (الشآم) كأنهم أسد الشرى ... وكأن (جلق) بالبنين الغيل

هم فتية لا يمترى بسخائهم ... ان ضن حرصا باليدين بخيل
جادوا على الاوطان في مهجاتهم ... واستصغروا المبذول وهو جليل
هيهات ما بعد الحياة لباذل ... بذل يرجى سيبه المأمول
قلبوا وجوه الرأي وهي عديدة ... ضلت حلوم دونها وعقول
فرأوا على قدر المشقة يقتنى ... حسن الثناء وينبل المبذول
نصروا صلاح الدين نصرة مؤمن ... بالله لا دخل بها وذيول
شحذوا العزائم للعظائم وانبروا ... كالجن لا وكل بهم وخمول
وتعاهدوا ان لا يقر بغمده ... نصل ودون (القدس) ثم دخيل

قاد السرايا محرب وكأنه ... من نفسه دون القبيل قبيل
ذاكم (صلاح الدين) في قتم الوغى ... كالليث من دون العرين يصول
لما أطل مع الغروب ركابه ... سطعت شموس واستجد أصيل
وازينت ارض الجدود ولم يزل ... (للقدس) من برح الجوى تهليل
سقيت به الاعداء سما ناقعا ... وبه ارتوى للاصدقاء غليل
في سيفك فصل الخطاب لمن بغى ... سنن الصواب وحجة ودليل
وبغربه جثم القضاء بكلكل ... واطل من حديه عزرائيل

وبديهة سطعت كمؤتلق الضحى ... ان غام أفق وادلهم سبيل
وشجاعة بلغت به قاب السهى ... وتكاد أجواز السماء تطول
وأعاد (بدرا) في النفوس كأنما ... (حطين) من قبس الرسول دليل
أوليس في حطين سفر خالد ... لعظائم لا تمحى وتزول
سطعت بكل عظيمة صفحاتها ... حتى كأن سطورها التنزيل



نسيم نصر

الحرقة وصفية بنت ثعلبة الشيبانية

بقلم نسيم نصر

* * *

الحرقة هي هند بنت النعمان بن المنذر ، طلبها كسرى من ابيها للزواج لما كانت عليه من رائع الجمال . وانف النعمان ان يزوج ابنته من اعجمي . فعز على كسرى ان يرفض ابو هند طلبه ويأبى ان يصاهره . فجند لحرب النعمان جيشا كبيرا . وأسفرت الحرب عن مقتل النعمان . فهربت ابنته هند مستخفية ، ولجأت الى بوادي العرب ، هائمة من بادية الى اخرى ، عارفة ما ينتظرها من سوء المصير . ونزلت في بني سنان ، ولكنه لم يطل بها المقام حتى ارسل كسرى من ينادي في بلاد العرب قائلا : برئت الذمة ممن يحمي أو يؤوي الحرقة . وخافت الحرقة على نفسها ، فأخذت تلهب روح الجوار بمثل قولها :

لم يبق في كل القبائل مطمع ... لي في الجوار فقتل نفسي أعود
ما كنت أحسب والحوادث جمة ... اني أموت ولم يعدني العود
حتى رأيت على جراية مولدي ... ملكا يزول وشمله يتبدد
فدهيت بالنعمان أعظم دهية ... ورجعت من بعد السميذع اطرد

الى ان قالت :

جمعت عيون الناس من عبراتها ... وقلوبهم صم صلاد جلد
لا يرحمون يتيمة محزونة ... مقتولة الآباء نضوا تطرد
تبغي الجوار فلا تجار وقبل ذا ... كان المنادي للجوار يسود

فهبت الشاعرة صفية الشيبانية، الملقبة بالحجيجة، تدعوها الى جوارها ، وتلهب حماس قومها بشعر نخي المعاني ، يحفل بآيات المروءة والشجاعة والبذل ، من مثل قولها :

أحيوا الجوار فقد أماتته معا ... كل الاعارب يا بني شيبان
ما العذر ؟ قد لفت ثيابي حرة ... مفروسة في الدر والمرجان
بنت الملوك ذوي الممالك والعلى ... ذات الحجال وصفوة النعمان
شيبان قومي ، هل قبيل مثلهم ؟ ... عند الكفاح وكرة الفرسان
قوم يجيرون اللهيف من العدى ... ويحاط عمري من صروف زماني
اني حجيجة وائل ، وبوائل ... ينجو الطريد بشطبة وحصان

فقام بنو شيبان بجوار الحرقة ، وحاربوا جنود العجم وكسروهم كسرة هائلة ، وغنموا من هزيمة جنود كسرى غنائم كثيرة عظيمة .

فأخذت صفية الشيبانية نشوة النصر والمروءة ، فقالت قصيدة منها :

ساقت فوارس شيبان لمعشرها ... خير الصناع فيها طفرة العجم
يا آل شيبان، بعد اليوم لا صدر ... عن الكفاح وضرب متلف القمم
هذا مقالي وقومي قائلون معي ... كما أقول : لسان صادق بفم
انا الحجيجة من قوم ذوي شرف ... أولي الحفاظ واهل العز والكرم
قولوا لكسرى اجرنا جارة فثوت ... في شامخ العز، يا كسرى، على الرغم
نحن الذين اذا قمنا لداهية ... لم نبتدع عندها شيئا من الندم
نحوط جارتنا من كل نائبة ... ونرفد الجار ما يرضى من النعم

ثم ان قواد كسرى ارسلوا رسولين الى بني شيبان يطلبان اليهم ان تنزل الحرقة على طاعة منصور ، احد قواد كسرى العرب ، وكسرى يعد بان يبرىء ذمة الشيبانيين من دم من قتلوا من الفرس . وجاء الرسولان الحجيجة ، فأبت ان تجيب طلبهما وقالت :

قولا لمنصور لا درت خلائفه ... ما صاح فيهم غراب البين او نعقا
من زوج الفرس ، يا مثبول قبلكم ... من الاعارب، يا مخذول، او سبقا؟

الى ان تقول لمنصور :

فمت بغيظك، يا منصور،واحي على ... بفضاك قومي وشمر كل يوم لقا

وحاربهم المنصور فكسروه . ثم رجع الى كسرى فأمده بجند من العرب يعدون عشرين الفا في مال كثير وعتاد وفير ومؤن لا تفنى . وكان للحجيجة في هذه الكرة المنصورية قصيدة مطلعها :

ماذا احاذر من عشرين يقدمهم ... منصور في حي غسان على نجب ؟

وآخرها :

لا تكشفوني بهذا اليوم وارتقبوا ... يومي ليوم اجتماع العجم والعرب

فالتفت أقوام كثيرة على صيحة صفية الشيبانية ، وانجلت المعركة بين الجوار العربي والعدوان الفارسي عن هزيمة نكراء مني بها المنصور قائد جنود كسرى .

وعز على كسرى أن يهزمه العرب ، فجدد الحملة بقيادة عربي آخر هو الطميح . ولكن هذا القائد العربي الاصل كان يضن بدماء قومه ان يهدرها كسرى ، فارسل سرا يعلم بني شيبان ويحذرهم من كثرة جيوش العجم . فراق صفية هذا الحنين الى الدم العربي ، فارسلت اليه قصيدة عامرة الحماس والاعتداد بقومها ، ختمتها بقولها:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبلغ طميحا ، يا رسول ، وقل له: بسيوف تغلب تغلب الاقران
لا تجزعن على ربيعة انهم أهل النصيحة ، يا فتى ، شيبان

ثم قامت الى قومها تستنفر جوارهم قائلة :

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت كبر الذوائب والاخرى على الاثر؟
أتصبرون لشعواء ململمة فيها الاعاجم بالنشاب والوتر ؟
أم لستم أهل صبر في لوازمها عند الحفائظ والجارات والخفر ؟
ايها أجيبوا، بني بكر، حجيجتكم ما عندكم، ويحكم، من غاية الخبر
يا ايها الشم انتم حافظو ذممي وانتم، فلعمري، العز من عمري
اما صبرتم للأدعو لغيركم وان جزعتم انادي كل ذي حضر
بكل سام الى الهيجاء ذي شرف واري الزناد كريم الجد من مضر
ذي مرة لا يخاف الجند ان كثروا في سادة قادة معروفة صبر

ومثل هذا الشعر تقوله شاعرة جديرة بأن يلهب حماس قومها . ولكنها لم تكتف به ، بل مضت تنشدهم، قبيلة قبيلة ، وعشيرة عشيرة ، من هذا الشعر الناري العاطفة . فخصت بني حنيفة ، وبني لجيم ، وبني عجل، وبني ذهل ، كلا منهم بقصيدة اثارت فيها نخوة الحفاظ على الشرف وكرم صون الجوار . ثم عادت الى اهلها الشيبانيين تقودهم صفوفا الى المعركة ، وهي تنشدهم شعرا كأنه نشيد عسكري حديث ، هذا بعضه :

ايها بني شيبان صفا بعد صف من يرد العلياء لا يخشى التلف
اليوم يوم العز موصوف الشرف أن حافظت قومي فما بي من أسف
انا ابنة العز وعرضي اليوم عف بكل نصل كالشهاب المختطف
نخطف قوما قد عفونا بسرف

والتقى كسرى هذه الجموع العربية ، وهو على راس جيشه الجرار ، فكانت وقعة ذي قار . وتكاثرت جنود العجم على العرب حتى كادوا ينهزمون . عندئذ عمدت الشاعرة الفارسة الشيبانية الى قطع أحزمة الجمال التي تعتليها النساء ، فوقعن الى الارض ، وراى الرجال ذلك فكروا الى المعركة يحمون نساءهم كرة يأس من الحياة ، او يعودوا ظافرين بنسائهم . وصاحت صفية منادية اخاها البطل ، عمرا ، قائلة :

يا عمرو، يا عمرو الفتى بن غطيه حام على جاراتك المستقربه
وزاحم العجمان عند العقبه

وفيما كانت المعركة في أشد ضراوتها ، والكثرة العجمية تلتف على القلة العربية ، ووجه النصر اخذ يميل نحو كسرى وجنوده ، في تلك اللحظات الحاسمة ، اقبل اليشكريون ، وعلى رأسهم ظليم بن الحارث ، مددا لقومهم العرب في حرب كسرى ، فانقلب وجه المعركة ، وايقنت صفية عند ذاك بالنصر فانشدت :

هذا ظليم جاءكم في يشكر بالقب والمران والسنور
كليث غاب ضارب بالابتر يا فارسا تحت العجاج الاكدر
هذا ظليم من كرام معشر احمل هديت حملة المنتصر

وهجم اليشكريون وكسروا الطوق عن بني شيبان واحلافهم ثم افترق الجمعان . وفي اليوم الثاني انقلب الطميح ، بعد ان اسمعته صفية ما أعاد اليه ولاءه العربي يقدمه على الولاء للاعاجم . وبعد ان حملت الحرقة بنت النعمان ان تسفر أمام عمرو الشيباني ، أخي صفية ، أوقد جمال الحرقة حماس الابطال ونخوة الشباب في صدره ورأسه . واذا المعركة الفاصلة تنتهي بهزيمة نكراء مني بها الفرس ، وقتل فيها اولاد الملك كسرى ، وغنم العرب غنائم كثيرة من مال وعتاد . وكتبوا بذلك سطورا من العزة وكرم الجوار . وقد عبرت الحرقة عن هذا الحدث الاسطوري في شعر جاء اعترافا يشهد لذلك النصر الاغر المبين .

وبقيت هند الملقبة بالحرقة في بني شيبان نزيلة كريمة ، فأعطوها الف ناقة . وقد تزوجت بعد حين احد ابناء الملوك ، المنذر بن الريان ،و قد اسلم زوجها وقتل مجاهدا في وقعة أحد . وجاءت ، بعد مقتل زوجها ، تشكو بؤس حالها لسعد بن ابي وقاص بطل القادسية ، فاكرمها سعد وحفظ لها مقامها وعاملها معاملة العظماء .

ولما خرجت من عنده سألها بعضهم : ما صنع بك الامير ؟ فقالت :

صان لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم

نسيم نصر

الى بغداد

•

بغداد صدرك أينما وسدته
عبقت بكل طيوبها بغدادي
لو كنت في لبنان ما سرح السنا
في مقلتي ، وتشتتت أبعادي
ولما بدت بيروت رغم فتونها
مغلولة الكفين عن اسعادي
ما ذاك بالقمر الذي خلفته
فوق النخيل بزهوه المعتاد
هو في ربى لبنان يبدو متعبا
متسلقا ، متعثرا في الوادي
غطته لألأة المصايف وانطوت
امجاده في زحمة الامجاد
ذلت خدود الضوء وارتسمت على
حر الجبين مناسم الرواد

لميعة عباس عمارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الحميد ياسين

ارادة الحياة

بقلم عبد الحميد ياسين

* * *

الارادة وانواعها : الانسان فكر وشعور وارادة . وهذه العناصر الثلاثة مترابطة متفاعلة فيما بينها . والارادة تتمثل بالعمل الذي تنتجه ، وان كان بعض العمل آليا . لكن ما يعنينا في هذه المعالجة العابرة هو العمل الارادي ، الذي هو من خصائص الانسان بل الانسان الكامل الانسانية .

وقد درج على استعمال كلمة « الارادة » اسما لدافع او حافز او وجهة او مبدأ او مذهب ، او كتاب يتناول ذلك بالبحث والتحليل والترويج . مثال ذلك « ارادة الحياة » و « ارادة القوة » و « ارادة التقدم » وغيرها .

والانسان ، فردا او مجتمعا ، لولا اتخاذه هدفا معينا وتعبئته الجهد لبلوغه ، يكون كريشة في مهب الريح ، مقصرا عن بلوغ اية غاية ، بل غير خليق بأن يسمى (انسانا) .

واتضاح الرؤية للهدف ، وشحذ الهمة وتركيز الجهد لبلوغه ، عاملان تختلف قوتهما في الافراد والمجتمعات ، بل تختلف هذه القوة حسب الظروف الثابتة او الطارئة في حياة الفرد او المجتمع .

فمن الناس من تقسو عليهم البيئة الطبيعية ، فيقابلون ذلك بالتحدي والتصميم على النجاة ، بل بالعزم على استغلال مواردها وتحويل عدوانها الى قوة بانية . بينما منهم من يفر من تلك القسوة او يستسلم لها بارادة مشلولة مهزومة .

وكذلك في وجه التحديات الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، قد يقف الفرد او المجتمع صامدا مقاوما حسب خطة مدروسة ترمي لهدف معين وقد يستكين ويستسلم او يفر مرتبكا لا يدري الى اين .

ويعني هذا ان الانسان يواجه تحديات الطبيعة والبشر بارادة قد ينسجها من مدى فهمه لواقعه وواقع بيئته ، ومن لحمة شعوره بحب الحياة ، فاصبحت له هدفا وطريقا في آن واحد .

ارادة الحياة : ولعل « ارادة الحياة » لدى الانسان — وهي عزمه وتصميمه على حفظ بقائه وصون وجوده — اقوى انواع الارادة لديه واثبتها في طبيعته ، بل لعلها هي الاساس والمبعث لارادته جميعا. ذلك ان من طبيعة الحياة وجوهرها وسننها انها تتطور وتتقدم ، ولا تفتأ تسير نحو الكمال .

واذا كان بقاء الاصلح في الحيوانات الدنيا يتحقق بتنازع البقاء فيما بينها ، ويتفوق اقدرها على التكيف للطبيعة واتقاء اخطارها واستغلال مواردها — كل هذا بحكم الغريزة التي جبلت عليها او ركبت في طبيعتها — فان تفوق انسان على آخر ، او جماعة منه على اخرى ، انما ينتج من عزمه وتصميمه وعمله الارادي الواعي على كبح جماح الطبيعة — ومنها غرائزه هو نفسه — بل تسخيرها ايضا تسخيرا ايجابيا بانيا لصالحه ، بفعل عقله الذي يهديه الى ارادة تعين له الهدف وتهديه السبيل لبلوغه .

فارادة الحياة لدى الانسان لا تقف عند حد عزمه على حفظ بقائه ، بل تتخطى ذلك الى التصميم على ان يبذ اقرانه في النشاط الذي يمارسه ، بل على ان يتفوق اليوم على نفسه بالامس . ومن هنا يأتي التقدم البشري الارادي — فرديا وجماعيا — في قوة الجسم وسلامته وجماله ، وفي امور المعيشة المادية وفي شؤون الفكر والفن والروح . ومن ثم تصبح انجازات التقدم شيئا مشاعا ، وتغدو حافزا لتحقيق المزيد منه بطريقة ارادية واعية ايضا ، لا على نحو آلي او عفوي او غريزي خالص.

ثم انه لعل لارادة الحياة لدى الانسان تزايدا وتناقصا في مختلف مراحل عمره واختلاف احواله : فالطفل مثلا شديد التمسك بالحياة بالغ الحرص على تجنب الاذى ما دام يدركه ، وكذلك الشيخ ومثله المريض وذو العاهة ، بينما يكون الشاب في اوج قوته وصحته وسلامته مقداما مغامرا ، بل مبذرا مبددا لحياته ، على الرغم من ان قيمتها وانتاجها له ولغيره اكثر منهما في حالة الطفل والشيخ والمريض وذي العاهة . غير ان حياة هؤلاء عضوية ، وقد لا تكون اكثر من مجرد الوجود ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينما حياة الشاب تشوبها وتلونها المعنويات : من دوافع عاطفية ومفاهيم مثالية تتجمع وتنصهر معا في ارادة التقدم والتفوق واداء الواجب .

ومن هنا يأتي شعار « اطلبوا الموت توهب لكم الحياة » حيث يؤكد الاقدام الذي يحقق النصر ، حتى اذا ادى الى الموت ، كان هذا مجرد موت عضوي يرتضيه المقدام ما دام يدخل باسمه او روحه او ارادته في سجل الخلود . ومن هنا ايضا ينبثق شعار الشعب الذي يريد الحياة حقا ، ولو عزت مطلبا وغلت مهرا وكان لها ضحايا وشهداء كثيرون .

فالحياة هنا تعني النوع او الكيف ولا تعني الكم او مجرد الوجود والبقاء ، لان النوع او الكيف بمعنى الاصطباغ بصبغة الحرية والعزة والكرامة ، او بمعنى الاندفاع نحو التقدم والتفوق والازدهار ماديا او معنويا هو الذي يستقطب بتلك الدوافع وتلك الصبغة حاجات الانسان المادية والاجتماعية ، ويحفزه الى التخطيط للوفاء بها ببصيرته وروحانيته . ويمكن بالمزاوجة بين الحاجات واشباعها خلق ما يستحق اسم « ارادة الحياة » .

وقد تنمو هذه الارادة في الافذاذ هنا وهناك ، بتفاعل ظروفهم البيئية وقدراتهم الموروثة وخبراتهم في العيش ، فيكونون مشاعل لمجتمعهم وللبشرية على طريق الحياة الحرة الكاملة المزدهرة . لكن تنمية « ارادة الحياة » على مقياس شعبي ـ وما احوجنا اليها ـ ليست بالامر اليسير . انها تتطلب تخطيطا تربويا يتناول المناهج والاساليب واعداد المعلمين ، وتستغرق حقبا من السنين ملؤها العمل الهادف الدائب . وهي تتطلب كذلك قادة ملهمين ـ وما اندرهم ـ يذكون في نفوس الاتباع روح الكرامة والثقة والشجاعة والبذل ، ويسنون لهم قدوة الترفع عن الصغار والاثرة والتعالي على الرياء والتدليس.

ارادة اللاارادة : ثمة فئتان من البشر : فئة من لهم ارادة وفئة من ليس لهم ارادة ، ولعله يمكن ان تضم اليهما فئة ثالثة من الذين ارادتهم ان لا تكون لهم ارادة . هؤلاء لا هدف لهم ولا طريق لبلوغه ، بل لا يؤمنون بوجوب وجود هدف لهم او طريق . فكأنهم اصحاب ارادة وعزم وتصميم على الفناء . ولعله يجوز تسميتهم باصحاب « ارادة اللاارادة » .

ومن هذه الفئة الاخيرة افراد متخلفون عقليا ، ومجتمعات متخلفة في استبانة اهدافها وتعيين سبل بلوغها ، وفي التفاعل السليم مع قادتها ، الى حد انها تتخبط عشوائيا وتسير في بطء وتثاقل وعلى غير هدى، فيطغى صالح فرد او فئة فيها على صالح المجتمع ، حتى اذا ضل المجموع او خاب سعيه فشلت مع هذا ريح كل فرد فيه .

ونحن من الخليج الى المحيط اجدر شعوب الارض بأن تكون لنا ارادة واحدة رافداها قيادة فكرية تبين لنا هدف الوحدة في الافق غير البعيد ، وشعور بحب الحياة التي يجلوها لنا ماض مجيد وحاضر ذو امكانات فذة تضم مؤهلات الوحدة والثراء والموقع ، ومن ثم قيادة في ميدان العمل تستقطب القدرات جميعا وتعمل دائبة مخلصة .

وما لم يكن لنا ذلك ، كنا كريشة في مهب الريح ، شعوبا مشلولة الارادة ، او ذات ارادة اللاارادة ، او اصبحنا قوما غابرين .

عمان ـ الاردن

عبد الحميد ياسين

الجمال

في مقلتيه سنا الطفوله
وعلى الجبين شقا الرجوله
وثيابه مزق وتحكي
قصة الالم الطويله
الدمع والحرمان والبؤس الذي
يجتاح ليله
ما ذنبه حمل الشقاء
من اليفاع وذاق ويله

يا طفلنا يا صورة للبؤس
يكملها خدينه
غرا صغيرا ما درى
هذا شماله .. ام يمينه
يا وصمة في موطني
واجله عما يشينه
اني ليجرح مقلتي
مرأى نضال انت دونه
واراك تحني يا صغيري
تحت حملك في نضالك
فتروح تحنى جبهتي
خجلا وارثي سوء حالك
واراك في حث الخطى
نحو المزالق والمهالك
فاروح اسال .. اينا
المجنى عليه من مآلك

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القمـر

مهداة الى ابني يوم كان يمد يده اللينة من شرفة البيت ليقتطف القمر باطراف اصابعهالنحيلة

نحن ابتدعناه من نديا سخي ... يسري كما يسري الحنين الشجي
قلنا لذاك الفكر : در حوله ... فدار لا يسأل أين المضي
وللغمام المنتشي زرقة ... ويحك جرحت سناه النقي
أرق من دفء الرؤى دفؤه ... ونفس الهمس ونجوى النجي
كأن حبات الندى جمعت ... وذوبت على الطري الطري
كان اذا شئت رسول الهوى ... وكان ان شئت السمير الخلي
مسافر في الليل مستوحش ... له على الليل وشاح رخي
مهدل كأن تلك العرى ... فتقها على يديه العشي
وصارت الارض بلألائه ... سبحة من سبحات العلي
تسمو سمو النفس في عمقها ... وتتجلى في الصفاء الجلي
علقت أهدابي باهدابه ... ونمت في ظل الزمان الرضي
أمد كفي مرة حوله ... ومرة حول المطاف البهي
أمشي عليه رفة رفة ... واتوارى في البعيد القصي
في شرفة البيت له كوة ... وكوة خلف السياج العصي
يغفى على قرميدنا ساهما ... وينزل الدار ويغوي الغوى
خبات لي في خده قبلة ... وفي مآقيه الحديث الخفي
يسألني عن وجهه وجهها ... وعن محياه المحيا السني
جماله أنا سكبنا على ... جماله هذا الجمال الشهي
والورد لولا اصبع المشتهي ... لكان كالشوك بغيضا اذي
وأمس راح العقل في صخبه ... يدوي على الافلاك ذاك الدوي
ظن بأن الارض ضاقت به ... وملء الدوح وقام النعي
داس عليه خطوة خطوة ... وضاق في الروع طواف القوي
قال : لقد دنست اقداسه ... قال : لقد عكرت فيه الصفي
اسطورة كانت على سرها ... ففضح السر وهان العتي
أين هو الحسن وأين الرؤى ... ومستحيل صار : جني الجني
وكبرياء لو تراها لما ... ظننتها الا الخيال الدعي
فقلت للعقل ، فدتك المنى ... وغصة القلب ، ووشي الوشي
وقمر ما مسه عابر ... ولا زرى منه عليه الزري
محصن كانه المنتهى ... وروعة الروع وهدي الهدي
حكى حكايات الهوى والنوى ... وليلة الفجر وتلك الحنى
مر عليه من ضباب الثرى ... ضبابة ذات جناح غبي
فحركت غباره وانتشت ... كما انتشى من الغبار المطي
يعود من صحرائه متعبا ... وتسلم البيد ويبقى البقي
يا قمري البكر ويا جبهتي ... انت على العمر الرفيق الهني
تعيش عندي في حباب المنى ... وتتهادى في رنين الروي

الياس خليل زخريا

أوقف سيارته بسرعة ، وهرع الى الطفل الصغير الذي صدمه ، فاذا هو ملقى على الارض لا يبدي ولا يعيد ...

نظر يمينا ويسارا فلم يشاهد احدا ، كان في نهج لا يطرق كثيرا ولهذا لم يتخذ حذره ، وكان مسرعا بعض الشيء في سيره ، فخرج الصغير فجأة وعلى غير انتظار قاطعا الطريق امامه ، ولم يستطع ان يوقف السيارة في الابان ليتحاشى الصدمة .

الطفل في خير .. القلب يدق ، واعضاؤه سليمة .. كانت الصدمة خفيفة والحمد لله ولم تصبه بأذى ، ولكنها افقدته وعيه ... اخذ السيد سليم يضرب وجنات الطفل ضربات خفيفة ، ويحرك ذراعيه ، ولم يدم ذلك الا بضع ثوان ، فتح الطفل عينيه بعدها واخذ يحدق في الشخص المنحني عليه ..

هدأ السيد سليم روع الطفل وحمله على ذراعيه ، ووضعه في السيارة ليحمله الى منزله ، وسأله **اذا كان يشكو الما في اي موضع من** جسمه فأجابه الصغير بأنه لا يشعر بأي الم كان .. خرج ليشتري قلما من لدن « العطار » ، وكان عائدا الى المنزل حين صدمته السيارة ..

وصلا امام المنزل بعد ثوان . دق سليم الباب فخرج اليه رجل حسن الهيئة . سأله بلهفة عما حدث حين رأى الولد معفرا بالتراب ، فاخبره سليم بما حدث وطلب من الاب ان يقبل ويرافقه الى المستشفى ليقوما بفحص الطفل ويتأكدا من سلامته ، واعتذر له عما جرى شاكرا الله على ان الطفل لم يصب بأذى حسبما يبدو .

خرجت الام بعد هنيهة ، وضمت الطفل بلهفة الى صدرها ، واخذت تقبله ، وتنظر الى سليم نظرات مفعمة بالغضب . لو حدث لابنها اي اذى ، فالله وحده يعلم ماذا كانت تصنع ...

انه ابنها الوحيد وهو اغلى عندها من حياتها ...

طلب الاب من السيد سليم ان يتفضل ويتناول لديه فنجان قهوة ، بعد ان عادا من اجراء الفحص الذي اظهر بأن الطفل لم يصب بأي سوء .. وقبل السيد سليم العرض عن طيب خاطر ، وقالت الام انها ستتصدق بعشرة ارغفة من الخبز لان الله حفظ لها ابنها ..

بعد مضي يومين رجع السيد سليم الى ذلك المنزل ومعه دراجة نارية ، قدمها الى منذر الصغير كهدية . واخذ يتردد منذ ذلك الوقت عليه ، وفي كل مرة يحمل الى الطفل هدية مختلفة عربونا على المحبة التي اخذ يكنها له بعد تلك الحادثة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى انه لم يتذوق طعم الابوة ..

تزوج منذ ست سنوات ، ولم

الحرمان

بقلم ناجية ثامر

يرزقه الله بولد يبهج قلبه ، وكانت زوجته جميلة رقيقة تحب الاطفال حبا جما ، بدأت تعالج نفسها بعد مضي ثلاث سنوات من الانتظار ، واظهر ان العقم كامن في زوجها وليس فيها هي ، فقطعت كل امل ورجاء ، وانكمشت على نفسها وهي تحس بحرمان مريع ، وكلما رأت طفلا صغيرا يلعب تغرورق عيناها بالدموع ، واخذ السيد سليم بدوره يشعر بمثل ذلك الحرمان ، ولكنه لا يملك من الامر شيئا ..

اخبر ابوي الطفل بأنه محروم من نعمة الولد ، فقال له الاب لم لا يتبنى **صغيرا ويقوم بتربيته** ، وخاصة بعد ان تأكد من العقم اثر سقوطه عن ظهر الجواد كما اخبره ..

اعلن السيد سليم بأنه لن يحب ابدا الطفل الذي يتبناه كابنه ، فابتسم الاب وقال : **أأنت متأكد** يا سيد سليم ؟ انك في خير عظيم والحمد لله ، وانك لتصنع ثوابا حين تتبنى طفلا او طفلة ، وتجعله يتمتع بالخير الذي تملكه . اما عن المحبة فماذا لو قلت لك بأن منذرا ليس ابني الحقيقي وانما هو طفل تبنيته غب ولادته ... هذا السر لا يعرفه الا انا وزوجتي . منذر ابننا في نظر الجميع . كنا متغيبين وعدنا به ، وقد اخبرت زوجتي الكل بأنها حملته اثناء تغيبها عن بلدتها .

اكنت تعرف ذلك من نفسك لو لم اخبرك ؟ اهناك دلائل على ان الطفل لم تحمله زوجتي حقيقة ؟ صدقني ان للتربية مفعولا كبيرا ، ومنذر يعز علينا فوق ما تتصور . سأل السيد سليم : هل غبتما طويلا عن البلدة ؟

ـ ثلاث سنوات ، عشناها في « منزل جميل » ، كان ذلك منذ **ثماني سنوات ، وهو عمر منذر الآن.**

همس السيد سليم : « منزل جميل » ؟ **اذ** كنت انا هناك ايضا ، ولم أعد الى هنا الا بعد وفاة المرحوم ابي . لنا مزرعة كبيرة هناك هي الآن في عهدة اخي الاصغر ، اما انا فقد اخترت حياة العاصمة .

قال الاب : انها لقصة مؤلمة لو دريت ...

منذ انجبته فتاة ريفية في السادسة عشرة من عمرها كانت تعمل مع ابويها في مزرعة كبيرة . احبها ابن صاحب المزرعة وغرر بها ، وكان في العشرين من عمره ، فلما **حملت منه ، انكر فعلته ازاء ضغط** امه ، ولم يكن من الفتاة المسكينة الا ان ابتعدت باثمها لدى خالة لها ووضعت حملها عندها . ثم رمت **نفسها في النهر على اثر الوضع** لتدفن عارها الى الابد ، وحتى لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعلم الاب المسكين بحقيقة ما حدث لابنته من عار .. فالموت اهون لدى المتمسكين بالشرف من الهون والشنار ... خالة الفتاة هي التي اخبرتنا بذلك . كانت زوجتي قد اوصتها على طفل لتقوم بتربيته ، فجاءتها بالرضيع الذي لم يبلغ من العمر الا بضع ساعات ، والدموع تنسكب على خديها ، واعلمتها بما جرى لابنة اختها . وبعد اسبوع وجدت جثة الام طافية في مياه النهر ، وشاع الخبر ان قدمها انزلقت وسقطت ...

اصفر وجه السيد سليم اصفرارا مريعا وقال :

وهل عرفت اسم الام ؟

ـ اسمها زهرة ، اجل زهرة !..

احس السيد سليم بدوار مريع في راسه ... ها هو الماضي يعود رغما عنه ... زهرة ؟ انها تلك البريئة الصغيرة التي غرر بها ، ثم انكرها لان والدته وقفت اذ ذاك معارضة بشدة ، واعلنت له ان اباه سيطرده من المنزل ويحرمه من الارث ان هو تزوجها ... تلك الفتاة النكرة الفقيرة ، كيف ترضاها زوجة له ؟.. ثم ، لم يعد يراها بعد ذلك ... ولم يعد يجرؤ على سؤال امها عنها ، بعد ان جاءته وتوسلت اليه ان يستر عار ابنتها فقال لها وهو يحاول اسكات صوت ضميره بأنه ليس هو الفاعل ... قال ذلك وهو يحس بوخزة شديدة في نفسه ، ورنات صوت امه القوية تجلجل في اذنيه : سليم ، اذا عصيتني وتزوجت زهرة ، فلن تعود ابننا ابدا ، سينكرك ابوك الى الابد .. كيف تتجرأ على ادخال مثل هذه الفتاة في عائلتنا ؟ ستجد بعد قليل رجلا من وسطها يتزوجها لجمالها وقوة ساعديها ... اجل ، لم يعد يرى زهرة ، بعد ان خرجت امها من غرفته وهي محنية الظهر والدموع تنسال من مآقيها ... لقد حكم على زهرة اذ ذاك بالاعدام ، وعلى عائلتها بالشقاء وهو لا يشعر بمدى فظاعة فعلته ...

واصبح يرى الام فقط وهي تقوم بعملها اليومي ، وحين تطرق نظراته عينيها ، يلمح فيهما الذل والانكسار ويهم ان يسألها ، ولكنه يمسك نفسه ويقول : لا بد انها تزوجت ورحلت الى بعيد .. لقد رحلت الى بعيد فعلا .. الى العالم الثاني ، والان فقط يعلم بالخبر الذي كتمه عنه الجميع بدون شك ، وخاصة امه .. بعد عام فقط من ذلك الحادث ، سقط عن ظهر الجواد ، وبقي شهرين في المستشفى ، وبعد خروجه تقررت خطبته على ابنة خاله ، وهي فتاة جميلة مثقفة وابنة ملاك كبير ...

تزوج ابنة خاله ، ومع مرور الايام نسي زهرة ، فأين زوجته ناعمةالانامل المثقفة، جميلة الحديث، من تلك الامية الجاهلة التي لا تملك الا وجها رائعا وابتسامة حلوة وحديثا مرتبكا ، واصابع خشنها العمل المستمر ؟. احبها يوما رغم جهلها وتعثرها ، وعشق فيها ذلك الجمال الملفوف بأثواب خشنة ، وتعلل بأنه يستطيع ان يعلمها جميع الاصول بعد زواجه منها ، لانها كانت لدنة طيعة كالعجين . ولكن حبه عجز عن ان يصمد امام معارضة امه وشدة ابيه ...

وها هو قد تلقى عقاب الله ... انه محروم من الولد ، وها هو ولده يحمل اسما غير اسمه ؟!.

ضغط على جبينه بأصابع يديه محاولا تخفيف وجع راسه المؤلم .. كان ابو منذر يتحدث ويتحدث ، وسليم لا يكاد يسمع منه شيئا .. كان يعيش في ماضيه القريب البعيد ..

اخيرا ، وجد صوته وقال : يا لغرائب الصدف ! اتعلم يا صاحبي من هو ابو منذر ؟ انه .. انا .. اجل ، انا هو ذلك المجرم الذي ارتكب ذلك الاثم الكبير، وانكر جرمه خشية من والديه ...

نظر اليه ابو منذر مستغربا .. يا الله احقا ذلك ؟

ـ اجل .. انا هو .. انا هو .. تعلم يا صاحبي اني في خير كبير .. انني سأدفع لك كل ما تريد ، انا مستعد ان امنحك نصف ما املك ، رد لي ابني .. ارجوك ، اتوسل اليك ..

ـ ماذا تقول يا سيد سليم ؟ هذا عيب .. اي والله عيب ..

ـ منذر ابني .. اجل انه ابني ، وانا سآتيك بالدليل ...

ام زهرة لا تزال حية تعمل مع زوجها في المزرعة كالسابق. والخالة التي حملت اليك الولد ملمة بكل شيء .. اذهب اليهما واسألهما .. منذر ابني يا سيد محمود .. ارجوك اعده الي .

ـ انا لن اتخلى عن منذر ولو منحتني كل ما تملك .. زوجتي ترضى ان تتخلى عن حياتها ولن تتخلى عنه ، اولا تدري ذلك ؟ انصحك ان تذهب وتعزم على تبني اي ولد ...

يتبنى اي ولد ، وهذا ابنه قد تجاوز الثامنة من عمره ؟ انه مهذب مجتهد في دروسه ، وهو يشبهه ، اجل يشبهه .. له نفس الجبين والعينين .. وعلى خده الايسر تلك الشامة السوداء التي كان يعشقها في وجنة زهرة امه ..

هتف مرة اخرى : ارجوك يا سيد محمود .. ارجوك .. كيف يطاوعك قلبك على ان لا ترد لي ابني ؟

ـ عد الى عقلك يا سيد سليم .. احقا جد عليك ما ذكرته لك ؟ منذر ابني الحقيقي .. لقد لفقت القصة تلفيقا لاقنعك بتبني احد الولدان ، لتخفيف الم الحرمان الذي تحسه.. انت وزوجتك ..

ـ لا ، لا ، انت لم تلفق ذلك .. انك تتنصل من ذكر الحقيقة لكي لا ترد لي ابني ؟.

ـ من فضلك يا سيد سليم سأخبر زوجتي وابني بأنك مسافر غدا الى بلد بعيد .. في وسعك ان تودعنا من اليوم .. وشكرا لك !..

تونس ناجية ثامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصداء

اديل الخشن

•

أعود اليك من كهوف الضجر
ويضيعني لقاؤك ،
شباك عينيك تحاورني
وفي عيني شوق الى اغلالك !

القاك ، تحملني اليك امواج الشوق
اسكن معك الصباح الضاحك
وأغرق في دفء يديك .
لك اللهب المتقد في العينين ،
لك العبق المنداح ،
ولك الحنان المترقرق كغمام الربيع ...

تنتهي الاغاني في حناجر العصافير
ونشيدي لا ينتهي ،
انا الارض ، والفصول الحانك
وعبر الضباب المنسدل
يتمدد ندائي اليك !!

•

الغمام النائه يتهادى صامتا
بغزل وشاحا رماديا ، حول رأسي ،
اشرعة حالمة تبحر متثاقلة
تنساب بحنان
تلامس الغيب وتفتح شرفاته .

الجسد مهدور !...
وعلى سيقان الورود الطالعة تزحف اجفاني ...
لي وحدي هذه المتعة
عندما ترتمي الشمس بلهفة
بين ذراعين ملساوين قصيدة صامتة ،
تنشدها مغاور مهجورة
تخفق اصداؤها في الاعماق !

•

واعود ... كأنك لم تغتصب فرحي
لم تزرعني بين الصخور
وتغرقني في ذبول المساء !
أعود لاضمك واغيب
تدوس عيني المغمضتين
كتيبة من الجند
تزرع في جلد البحر
قطعانا بيضاء
يدفعها ارتطام الشمس الغاربة
بجبهة الغيم
فتحمل الى الشاطيء
حنين الافق ،
وتلهف الاعماق ...

الشويفات ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

الناسك الهندي نقولا يوسف

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كنت ادخل مكتب صديقي الاستاذ الكبير نقولا يوسف ناظر المدرسة الثانوية فلا يخدعني مظهره الانيق ، ودبلوماسيته الحاذقة ، وابتسامته الشفافة عن حقيقة ما أعرفه عنه فهو فقير هندي ترك كوخه على شاطىء الكنج ليقيم خطأ بشارع سليمان محمود بالاسكندرية في قمة بيت هندسي أقيم على النمط الروماني ، وانفرجت شرفاته الواسعة لتستقبل نسائم البحر الابيض محملة بعبير الورد المزدهر في حدائق المنازل المجاورة ! وليرى الناظر منها رؤوس الاشجار تتمايل في الصباح وثريات الكهرباء تتألق في المساء محاولة ان تمتد بشعاعها الى الاوج حيث يجلس صديقي مجلسه الهادىء ليسامر النجوم !

فاذا تركت المنزل لرؤية صديقي في كازينو كليوباتره على شاطىء البحر حيث اعتاد ان يجلس أصيلا في بهوه المنبسط على صفحات الماء يتسمع من جدرانه البللورية حديث الموج الثائر ، ويتلقى الرشاش المتناثر على الزجاج ، مرسلا بصره الى الافق الازرق حين يتواضع فيهبط الى الماء في عناق مؤثر خفاق ! اذا رأيت صديقي في مجلسه الفنان يدخن لفافته او يكتب صحيفته فان جلسته الشاعرة لا تخدعني عن حقيقة هذا الناسك الهندي الذي يأخذ مظهر « الجنتلمان » الحديث !

ان الاحساس بتناسق الوجود هو الذي يجعل ناسك الهند يعشق الطير والهواء والنبات والصخر حتى ليخال الوجود بأجزائه المختلفة لحنا موسيقيا مؤتلف النغمات، وحتى ليتخيل البحر والصخر والطير والحيوان اناسي تتآلف وتتعارف !

قال صديقي الاستاذ عبد العزيز جادو الباحث النفسي المعروف كيف تجعل الاستاذ نقولا يوسف ناسكا هنديا ، وهو الذي ارهق نفسه بالبحث العلمي فدرس نظرية التطور وبنى على اساسها مذهبه الاصلاحي كما رسمه في كتابه « الحياة الجديدة » حين اخذ يبحث عن مدينة المستقبل كما يتصورها بخياله المتأمل ويغوص في حقائق علم النفس ليوضح انماط السلوك الانساني ثم يحلم بمدينة فاضلة كتلك التي حلم بها أفلاطون والفارابي وولز ! ولم ينس ان يجوب الدنيا ليتحدث عن حركات الاصلاح في تركيا وعن مساوىء ازدحام السكان ! أفيكون الناسك الهندي هو صاحب العقل المتفتح لحقائق العلوم، الهاضم لشتى الفلسفات المعاصرة ، المبشر بمستقبل متفائل للانسانية ! أم هو الشيخ الانعزالي الذي يخدر شعوره ليكون اشعاعة في ضوء او قطرة في نهر او شذى في زهرة او هباءة في فضاء !؟

قلت يا صديقي لقد خدعك القشر عن اللباب ، فان مباحث الحياة الجديدة تتوهج بأضواء التنسك في كل سطر يخطه المؤلف، ولئن بدا ما يشبه التناقض بين جدية القائل بنظرية التطور ، والهائم في فضاء الله مع انسامه وذراته فان المحلل النفسي يزيح الاغطية الكثيفة عن الحقيقة الخالدة التي تجعل من نقولا طيرا يرفرف بأحاسيسه النابضة بحب الكون الهاتفة بالتسامح والاغضاء ، الراحمة ذوي الطبائع الغلف من قساة البشرية ، الباذلة همساتها الحانية لكل عابر سبيل مهما لقيت من الايذاء الغادر وعانت من جنف الصاحب ولؤم العشير !

لقد اخذ الناسك على عاتقه ان يؤلف بين من يعرف من الادباء ، فيجمعهم على فترات متعاقبة في صومعته الناهضة في اعلى المنزل كما ينهض الوكر في اعالي الشجر، ملتمسا شتى المناسبات ليسقيهم الود ويناقشهم الرأي وليمد يد المعونة الادبية والعلمية لمن يحتاج ! ولكن الثعابين الرقش تتسلل الى الوكر الهادىء لتثير الذعر في العش الوادع فتحوك الاراجيف وتثير الاقاويل ! وصاحب العش يبتسم في اشفاق ويقول قولة الهندي الناسك هكذا الدنيا ! يجب ان نستقبل فيها الشر كما نستقبل الخير فلا حذر ولا ملام !

ويفد الى الثغر كبير من ادباء القاهرة ينزل من

نقولا منزلة الصديق فيرى الناسك من واجبه الادبي ان يعقد أواصر المودة بينه وبين معارفه فيبذل الجهد في تأثيل الود وتقوية الوشائج، وبدل ان يجد الشكر الخالص من بعض النكرات التي جعلها معارف في محفله ! فانه يفاجأ بأقسى ضروب النكران ! اذ هو المسؤول الاول عن المصير الادبي لهذه الامعات فعليه ان يهيء لها سبيل الظهور لدى عارفيه من كبار الادباء ، ولا عليه اذا كان هذا الامعة المتطفل فارغ القلب والعقل ! فذلك شيء وارضاء النزوات شيء آخر يجب ان يحسب له الف حساب ! ويشهد الناسك الحالم سحب الجفاء تتراكم مظلمة امامه فيقول في ابتسامة هكذا الدنيا ! ماذا كنت انتظر !!

ويهبط عليه في مجلسه الوادع دعي من ادعياء الفن ليسمعه قصة طويلة مملة جاد بها يراعه الكليل ، فيتصبر الناسك ويتجلد وهو يسمع عشرات الصفحات الفارغة تنهال على سمعه دون ان يقطعها تثاؤبه اللا ارادي مستعينا على الصبر بشتى ضروب الاحتمال من قهوة ودخان حتى اذا انقضت الحقبة المريرة اضطر الناسك الى كلمات التشجيع مندفعا فيحنو عاطف الى تلمس المحاسن ومتحاشيا ان يمس كرامة الفنان الجديد ببعض ما يجب من النقد ، ثم تنتهي الجلسة ويذهب الناسك الى وكره الهادىء فيسمع طرقات خفيفة على الباب ، فما ينهض للقاء الطارق حتى يجد الفنان الدعي يخبره ان المحفظة قد سقطت منه وانه مضطر الى اقتراض بعض المال ، فيمد الناسك يده الى جيبه ليقدم اكثر ما به ، فاذا قلت له هذا احتيال مفضوح اجابك في ابتسام وديع : هكذا الدنيا ماذا كنت انتظر !

وتنتشر مقالات الناسك في شتى الصحف والمجلات العربية ، فيخف اليه من يرجون وساطته لدى رؤساء التحرير فيسارع ببطاقته الرقيقة ليخط عليها ما يرضي الطالب الملحاح ، ثم يتأخر النشر لبعض الاسباب ، فاذا الثورة المكبوتة تتحول الى قطيعة ثم الى همس راجف بتقصير الشفيع ! اذ لو اخلص النية لجعل البطاقة الموجزة رسالة مبسوطة وتأتي الانباء اليه فيبتسم ويقول هكذا الدنيا ماذا اصنع !

ثم يغرق نفسه في مراسلة الاوفياء من الاصدقاء ليجد في صمت الغريب عزاء عن لغو القريب ، فيجمع الظروف والاوراق ليكتب رسائل تتجاوز اصابع اليدين عدا في مجلس واحد ! وقد اجتمع لديه مما كتب وتلقى مئات من الوثائق الادبية النادرة بادر الى نشر بعضها بمجلة « الادب » المصرية ! ولا زال اكثرها يملأ ثلاثة ادراج من مكتبه ، وان احاسيس الوفاء لترتسم في ملامحه الناطقة حين يتصفح هذه الرسائل بين الفينة والفينة ليشم منها عبير الشوق ، وليتسمع نبضات الوفاء في دقات فؤاده تسمعا يعرفه الاوفياء ! وانهم لقليلون !

على ان هذا الوفاء يلقي عليه من الاعباء ما تنوء به الكواهل الشداد ! فاذا علم أن استاذه « عبد الرحمن شكري » مثلا يشكو الشلل في مرضه الاخير بادر الى الترفيه عنه فسعى الى اصدار عدد خاص من مجلة « العالم العربي » يتحدث عن الشاعر الكبير وملأ اكثر الصفحات بما يعن له من الخواطر والآراء فاذا بلغ الكتاب اجله وانتقل الشاعر الى رحمة الله رأى الناسك الوفي ان يعمل على نشر ديوانه ، فبذل الجهد في جمع المخطوطات وتهيئة الديوان الضخم للنشر وما يزال يبحث حتى يجد بعض الاثرياء من تلاميذ الشاعر يتطوعون بنفقات الطبع ، فتزغرد الفرحة في قلبه ويسعى الى تهيئة الديوان طبعا ونشرا وتصحيحا حتى يخرج الى الوجود فتتلقفه وزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي ويكسب الثري من ثمنه ضعف ما قدم دون ان يذكر المحقق الجامع والمصحح الساهر بشيء وتأتي الانباء الى الناسك فيبتسم ويقول هكذا الدنيا ! ماذا كنت أصنع !؟

ويموت « صديق شيبوب » فيرى نقولا نفسه مكلفا من تلقاء ضميره بجمع مقالاته التي كتبها بالبصير في مدة تبلغ الاربعين من الاعوام ، فيسعى الى منزل الراحل ويشير على الاخت الكبيرة ان تحرص على ما لديها من الآثار ، لينسق منها مجموعات ادبية ! ثم تأتيه الانباء بأن « خليل شيبوب » شقيق الشاعر قد ترك ديوانا شعريا تقدم به صديق الى مجلس الفنون فيواصل المسعى ليحيي آثار الشاعر كما نهض لاحياء آثار الكاتب ، ثم يعلم ان بعض الناشرين تسلل الى مكتبة صديق وتسلم مخطوطاته لينشرها ! فينتظر الايام لينعم باحياء ذكرى تراث صديقه ولكنه لا يجد ما يقنع وتسأله عن ذلك فيقول بذلت جهدي فلم أوفق فماذا أصنع ؟

ويختفي صديقه « محمد امين حسونة » فجأة ، فيضرب الناسك في حيرة دامسة ويتساءل عنه في كل مكان ينتظر منه الجواب ، وما يزال يسأل حتى يعلم ان طائرة سيئة الحظ قد احترقت بركابها ومن بينهم صديقه الاديب ، فيسكب عليه عبرات الوفاء ويكتب عنه في « العالم العربي » و « الاديب » ثم يخف الى زيارة أهله في ميت غمر متسائلا عن تراثه ، ومشيرا بطبعه ، فاذا خلا الى نفسه طالعته الذكريات بأشجانها المريرة فيقول في آهة حزينة هكذا الدنيا ! ماذا كنت أصنع !

واذا كان كل ناسك هندي يؤمن بخلود الروح فان كاتب « المجلة الجديدة » و « السياسة الاسبوعية » ، ومترجم ولز ومحلل آرائه يشعر في أعماقه ان هناك حاجزا يفصل بين عقله وقلبه فهو اذ يتحدث عن منجزات اوربا وحضارتها العلمية وآفاقها المدنية ، واذ يرسم الطريق لمستقبل العالم في ضوء الحقائق المشفوعة بالارقام انما يترك لعقله المجال موصد الباب أمام هبات

الروح ، ونسمات الوجدان ، ولا أدري لماذا أحس ان نقولا غريب عن عالمه وهو يخب ويضع في طريق الثورة الايجابية ، ولكني أشعر أنه يمثل نفسه أصدق تمثيل حين يتحدث في مرات كثيرة عن العالمية الانسانية فيراها المبدأ الاول للتعارف البشري ويتصور الكوكب الارضي يتفاهم بلغة عالمية مشتركة وقد زالت عن العيون غشاوة التعصب الجنسي واللغوي ثم يهجم على ابطال الحروب من امثال تيمورلنك ونابليون فيحكم بأنهم سفاحون مجرمون وان تسجيل تواريخهم مما يعوق التقدم الانساني واولى بهم في مجال الذكر أبطال الانسانية من امثال لنكولن وغاندي وتولستوي ودعاة السلام ، وان الروح الهندية لتتجلى في مثل قوله : « لنحب الانسانية كمظهر للحقيقة الخالدة ، ولنعلم ان كل بشري لا يخلو من فضيلة او فكرة او جمال ولنعرف ان هذا الكون كله لا يساوي فضيلة بشرية او فكرة انسانية ، ان البشرية طفلة جميلة ساذجة تميل الى المشاكسة وتنزع الى الشر ولكن من ذا الذي ينقم على طفلة جميلة مهما بلغ شرها . انها مقيدة بقيود الانظمة واغلال الجهل والالم وليست هي المذنبة لانها طيبة في جوهرها ! »

واذا كان الناسك الهندي قد ذهب في حياته الجديدة الى خلود الروح ، فانه لا يتنكر لدراسته المنهجية في شيء بعد ان تبلورت في اشعاعه النفس الى قيم جديدة تمده بالامن الهادىء والرجاء البعيد .

ولقد آمن «هـ. ج ويلز » المادي بالوحدة العالمية كما آمن « رابندرانات طاغور » الهندي ، فتحدث نقولا يوسف عن المفكرين الكبيرين حديثا واضحا لا ينقصه النبض ، ولكنه في حديثه عن الشاعر الهندي كان يحس بالانسجام الداخلي على نحو لم يتهيأ له في حديثه عن المفكر الانجليزي وان ما كتبه نقولا عن « طاغور » و « كالیداسا » و « بوذا » و « زينة النساء » ليشعرك برنين مؤثر لا تكاد تسمعه فيما كتبه عن غير هؤلاء من امثال « ملتون » و « هوراس » و « شللي » و « اسكار وايلد » و « جولد سميث » لان الادب الهندي المثالي كما قال ـ نقولا يوسف ـ من اكثر الآداب روحانية ومن اعمقها غورا واشدها رهبة والهنود كما وصفهم تاجور تتجلى فيهم الشاعرية والفلسفة بطبيعة نشأتهم ومذاهبهم .

لذلك كان نقولا يوسف الناسك الهندي يعيش في جوه دون ان يدري وهو يخط خواطره عن ذوي معشره فيما وراء الهملايا من ربوع حالمة تهيم بالوجود المطلق وتعتقد الخلود اعتقادا يخففعنها ما تصطدم به في الحياة من عقبات لا تلبث ان تزول حين تتخلص الروح من قفصها الضيق الى حيث تنطلق !

لذلك لا ادهش حين أرى الابتسامة الراضية تضيء على وجه المفكر الحالم في احلك ساعات الغضب ، انه يسمع ان زملاءه في الدراسة والوظيفة قد بلغوا وكالة الوزارة ودرجات مديري العموم في وثب سريع فيبادر بالتهنئة راضيا سعيدا، ثم تجيئه الانباء ان تلاميذ تلاميذه يحتلون الصحف الاولى من جرائد اليوم مثلما كان يحتل الصحيفة الاولى من « الاهرام » وهو في سن العشرين ، كما تهيء لهم المصادفات من يطبع هراءهم التافه في كتب ، ويذيع تمثيلياتهم الصبيانية في مسرح واذاعة وتليفزيون فيبادر بالتهنئة الصادقة ، فاذا قلت للكاتب الاصيل أين أنت بعد جهاد خمسين عاما او تزيد قال لك مالي وللاضواء ؟ أنا اكتب مقالي الاسبوعي منذ عشرين عاما في جريدة « دمياط » الاقليمية التي لا يقراها غير ابناء بلد واحد ! وما حدثت نفسي بالانقطاع على حين أعلم تمام العلم اني أغني لنفسي ، ثم أنا اواصل النشر منذ أعوام طويلة في صحيفة « الطالبة » حسبة لوجه الله لاني استحي ان اتخلف عن عادة من عاداتي الثقافية ...

ويبتسم الناسك الهندي وهو يقول ما الفرق بين صحيفة طائرة الصيت ومجلة اقليمية محدودة النطاق ان الحروف ترص ، والعجل يدور ، والاوراق توزع ، ثم تمتهن بعد ذلك في الاغلفة وحفظ الملابس والاوعية ، ولو كان للورق روح كما للانسان لقلت انه يحلم بالخلود ! ولكن هنيئا له فقد عرف في النهاية أنه سيكون هباء يتحول الى مادة مغايرة ! فلا قصص اذن ولا مقالات !!

ولعل قارىء نقولا في مجموعاته القصصية « هم وهن » « ودنيا الناس » « ومواكب الناس » يرى الحياة الزاخرة بطوفانها الثائر يرسمها الكاتب الناسك في هدوء متسامح عطوف ، لان شعور الرحمة لدى الهندي الزاهد لا يسمح له بالقسوة على الاشرار بل ربما تلمس لهم العذر في ايضاح البواعث واكتناه الدوافع ، وهو مما لا حيلة فيه في طبيعة الكاتب الرحيم ! وكثيرا ما تجد بعض الابطال يبتدىء شريرا ثم يسعه عفو الكاتب فيسايره في رفق متعطف حتى ينقذه في النهاية مما كان يتوقع قارىء مثلي له من نكبات ، وأنا في هذا العرض الطائر لا احلل ادبا او افسر اتجاها فأؤيد المؤلف او اعارضه ولكني اسجل بعض انطباعاتي عما قرأت لصاحبي في ميدان الاقصوصة تاركا البحث المنهجي لساعة أخرى قد تحين .

أما بعد فقد فاجأني عدد يوليو سنة ١٩٦٩ من مجلة « الاديب » بكلمة مشجعة تحدث بها عني استاذي الجليل فلم استغرب ما قرأت اذ انني اعرف أن الناسك الهندي مولع بالحديث عن المغمورين من الناس فهو يؤدي رسالته في مضمار التعاطف الانساني وقد تلطف بالثناء وتعطف بالتشجيع ! ولكن الاحساس بالجميل يتطلب متنفسا لمشاعري الشاكرة فيضطرني الى تسطير هذا المقال ! واني لافكر في صديقي الكبير مشوقا متطلعا وبين الفيوم والاسكندرية من الاميال ما يؤجج الحنين اللاهف ويشعل الظمأ المتحرق للري ولكن متى واين !؟

فهيهات هيهات العقيق ومن به وهيهات خل بالعقيق نواصله !

الفيوم ـ ج. ع. م **محمد رجب البيومي**

الى ملهمة

•

فؤاد الخشن

•

الشويفات ـ لبنان



ايا من تسبل الاجفان
صمتا خلف مكتبها
وتبحر في متاه الحرف
هدبا ذاهلا يرحل
على جمل فواصلها
ارائك في المدى يرتاح
فوق غمامها المشعل
جناح الطائر البحري ، في سفر
الى شط ، سرير الحلم ،
يفرش رمله الفضي
اكداسا من المخمل !
ايـا شعرا
يرش اناملي السكرى
اذا ما غلغلت للتيه
في غاباته ، عطرا
ويا انملها البيضاء
يا شمعا ... ويا زنبق
بعطر نياسم النيروز
في شيراز ، في جناتها ، يعبق

ويـا زندا بلون العـاج يغريني
بهذا الفنج واللين ...
ويا عينا سماويه
يحار تساؤلي فيها
اخضراء ربيعيه ؟
ازيتيـه
ام العين التي تذرو
نجوم السهد والاشواق بنيه !

ويـا قلمـا ...
يهز فيمطر النغما
سالتك ان ترش الوعد
في اهدابنا حلما
تريق الخصب ، تنثره
على صحرائنا ديما
وتزرع هذه الاوراق
تنبت فوق اسطرها الرمادية
بذور حروفك الخضراء
جنـات دمشقيه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وديـع فلسطين

الادب والاحـذيـة

بقلـم وديـع فلسطين

* * *

اعتلى صديقنا نزار قباني منائر عاصمة الرشيد في مهرجان الشعر الاخير ، والقى قصيدة بركانية من قصائده التي بدأ سلسلتها المزلزلة « بالهوامش » ، قال فيها :

واذا اصبح المفكر بوقا يستوي الفكر عندها والحذاء !

واذا كان نزار قد التمس مناسبة تجمع « الفكر » و « الحذاء » في هذه المفارقة الصارخة ، ففي الادب مرويات كثيرة عن الاحذية والنعال ، يجري بعضها مجرى الحكمة ، ويجري بعضها الآخر مجرى الفكاهة ، ويجري بعضها على سنن القصص ، وكلها طرائف نحاول في هذه الكلمة ان نحشد طائفة منها ، وبعضها مستمد من معين الذاكرة ، وبعضها منقول عن مراجعه ، والبعض الآخر تبرع به الاصدقاء جورج صيدح وروكس بن زائد العزيزي والبدوي الملثم يعقوب العودات عندما دروا انني منشغل بالاحذية القديمة والجديدة على حد سواء !

فمما يروى عن الاديب الفكه الراحل كامل الشناوي ان اديبا مرموقا جاءه ذات يوم يشكو اليه ما حل به من تجارب الحياة ، وكيف ان الابواب قد انسدت امامه ولم ينفتح في وجهه الا باب العمل في مؤسسة « باتا » للاحذية . واستنجد بالشناوي ان يزيل عنه لعنة « الاحذية » .

فما كان من الشناوي ، وهو المعروف بخلطه الجد بالهزل ، الا ان قال له : وما الذي احنقك يا صديقي من رفقة « باتا » ؟ أفلا تعلم ان استاذك الذي تعجب به وتهيم بقراءة آثاره « مكسيم جوركي » قد بدأ اسكافيا وانتهى اديبا ؟ وها انت قد عكست الآية ، فبدأت اديبا وانتهيت في حانوت الاسكاف !

والمخضرمون من اصدقائنا الادباء ما زالوا يذكرون تلك الايام التي كانوا يترددون فيها على محل « سليم وسمعان صيدناوي » لشراء احذيتهم ، فكان يهرع الى خدمتهم موظف نشط ، هو اديب معروف بمشاغبته لشيوخ الادب الحديث !! وقد ترك هذا الاديب تجارة الاحذية الى تجارة الخردة ، ثم ترك الخردة ليتفرغ للمشاغبات الادبية .

ويجرنا حديث الاحذية « اللذيذ » الى ما كان بين الشاعرين حافظ وشوقي من مناقرات ومناوشات ومناورات تنكشف اذا تناءيا ، وتختفي اذا التأم شملهما مراعاة للمجاملات ، او ان شئت ، فقل الرياء الاجتماعي. وحدث ذات يوم ان كان الشاعران الكبيران يسيران معا في شارع من شوارع العاصمة ، واراد حافظ ان يقول قولة لاذعة في حق شوقي ، يدثرها بألف دثار من الالفاظ البريئة المظهر ، فقال مستفسرا متسائلا في خبث :

يقولون ان الشوق نار ولهفة فما بال شوقي اصبح اليوم باردا؟

وما كان شوقي ليسكت عن وصفه « بالبرود » ، حتى وان جاء هذا المعنى مرادفا منطقيا للشوق الذي هو نار ولهفة . وشتان بين صفة الشوق ، وبين شاعر كبير هو احمد شوقي ينادى « بصاحب السعادة » ويخاطب « بالباشا » ، وهو المولود « بباب اسماعيل » الموصوف « بشاعر الحضرة الخديوية الفخيمة » !

فلما انتهى بالشاعرين المطاف في منزل صديق لهما، لمح شوقي طفلا ينتعل حذاء جديدا ، ويمرح في المنزل مرح الطفولة البريئة . فناداه شوقي ، وربت على كتفه ، وسأله عن اسمه ، ثم نصحه بصوت ينبض براءة : تمهل يا بني . حافظ على « جزمتك » !

وهنا ادرك حافظ انه استوفى جزاءه الكامل الناجز عن غمزه ولمزه .

واراد الشاعر الياس فرحات ان يهجو لئيما من سفهاء القوم فقال في وصفه :

ماشيته يوما فدست خياله عرضا ، فاثر لؤمه بحذائي !

ومما يروى ان الشاعر نعمة قازان المقيم في ريو دي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جانيرو اهدى زوج احذية من انتاج مصنعه الخاص الذي يملكه الى صديقه الاديب الراحل توفيق ضعون ، وقال في تسجيل هذه المناسبة :

لقد اهديت توفيقا حذاء ... فقال الحاسدون : وما عليه ؟
أما قال الفتى العربي يوما ... شبيه الشيء منجذب اليه ؟

فرد ضعون التحية بأحسن منها وخاطب قارئا قائلا :

لو كان يهدى الى الانسان قيمته ... لكنت استاهل الدنيا وما فيها
لكن تقبلت هذا النعل معتقدا ... ان الهدايا على مقدار مهديها

ومن اجمل ما قيل في الشعر العربي في الشكران والعرفان قول الشاعر :

ساشكر عمروا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وللشاعر نزار بسابقة اهتمام « بترصيع » شعره بالاحذية والنعال ، فقد قال في قصيدة « الهوامش » المأثورة واصفا القوم النيام بأنهم « كالاحذية القديمة » وبأنهم « منخورون كالنعال » !

وعندما أصدر الشاعر كامل امين ديوانه الاول ، قدمه بعبارة شعرية غريبة فيها منتهى الاعتداد بالنفس فقال « الى الذين حذائي فوق اروُسهم » ! ثم ثنى بقوله ان قدمه تعلو على كثير من الرؤوس !

ومن قصص الاحذية في الادب ان حاكما اراد ان يتحدى الشعراء في يومه ، فوضع مقاييسات ومواصفات لقصيدة تبلغ حد الاعجاز ، وقال ان من يستوفيها في قصيدة من نظمه لن يمشي بعد اليوم الا على الذهب . وخرج له من بطن الارض شاعر قبل التحدي ، ونظم قصيدة لا تستقدم ولا تستاخر في شيء عما رسمه الحاكم من مواصفات ومقاييسات ، وطالب بأن ينال الجزاء الذي وعد به الحاكم ، وهو الا يمشي الا على الذهب !

وهنا استشكل الامر على الحاكم ، فمن اين له بالذهب الذي يفرشه في كل طريق تطأه قدما هذا الشاعر ؟ وكيف ينجز وعده الملزم الذي لا رجوع فيه ، حرصا على هيبة الحكم وقداسة وعوده . فاستشار كبار رجال حاشيته الذين سرعان ما هدتهم بديهتهم الى منح الشاعر حذاء تكون في نعليه قطعتان من الذهب ، فان مشى ، فقد مشى على الذهب ، وصدق الامير ! والفضل في انقاذ سمعته وهيبته وكلمته للحذاء !

وليخائيل نعيمة قولة مأثورة هي « لست اقل شأنا من الاسكاف ، فهو يعيش من مخرزه ، ومن حقي ان اعيش من قلمي » !

وللمرء ان يسأل : ترى كم من ادباء اليوم يعيشون من قلمهم ؟ واين هو « الحق » الذي اراد ميخائيل نعيمة ان يؤكده بالمفارقة التي عقدها بين القلم والمخرز ؟

وللشاعر العراقي حافظ جميل قصيدة جميلة كان « الحذاء » وحيا لها ومادة لمعانيها ، قال فيها :

تعلم كيف تنحدر النفوس ... وتلثم موطيء القدم الرؤوس
وصانع لا يفتك رخيص قدر ... تجاملته ولا رذل خسيس
وحاول ان تساير كل عهد ... فلا يندى محياك اليبيس
جلال القدر انك حين تمشي ... يلوذ بنعلك الشرف الدنوس !

وقال شاعر غيره :

واشطب عليهم ... بنعل كلهم غلط !

وللشاعر جورج صيدح قصيدة غير منشورة ترجع الى عام ١٩١٢ عندما كان يقيم في مصر وقد وجهها الى رفيق صباه « الاستاذ بركات » المعتزل في يحشوش .

وبعدما تحدث عن غواني الليل وعن سوء معاملتهن ، قال :

لا غرو ان لطشته فهي عادته ... ان لا يغادر دارا غير ملطوش
«تشمع الخيط» ان هبت ملوحة ... براس مكنسة او «كعب برطوش»!

ومعروف ان « البرطوش » هو الحذاء بالعامية المصرية .

وكان الشاعر الاردني مصطفى وهبي التل المعروف « بعرار » قد تناهى اليه ان الصهيونيين وضعوا ايديهم على بلدته « غور الكبد » ، فاستحوذ اليأس عليه ، ونظم قصيدة قال فيها :

« بصرماية » بعه ، فما هو موطني ... ولا اهله اهلي ولا انا اردني
«بصرماية» بعه ، وبعني وبعهمو ... لاشياع«فورو»(١) اولاتباع«وزمني(٢)

وكان صديقنا الراحل الدكتور زكي مبارك معروفا بشطحاته ، سواء في كلامه او في تصرفاته ، حتى ليستفيض باب القول المقذع في حياته ، على الرغم من سعة علمه وقوة عارضته في الادب . وقد كتب مرة مقالا اعترف فيه ، ضمن شطحاته الغريبة ، بأنه لا يضرب زوجته الا « بالقبقاب » ، وهو النعل الخشبي الذي ينتعل لدى دخول الحمام .

وفي الشآم اسرة معروفة هي اسرة « القباقيبي » . وقد عن لهذه الاسرة ان تدعو الشيخ البيروتي محمد الكستي للنزول في ضيافتها في دمشق . وفي صباح اليوم التالي ، اراد احد شبان القباقيبي ممازحة الكستي ، فسرق بابوجه (اي خفه) . ولما راح الكستي يفتش عن بابوجه لم يعثر عليه ، فضرب كفا بكف وهو في سريره ،

---

١ ــ هو الجنرال غورو غازي سوريا عام ١٩٢٠ ، ٢ ــ الزعيم الصهيوني ويزمان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبيس الضلوع

مـل الضلـوع ، فثـار واضطربا ... اتـرى قسـوت عليـه فالتهبـا
ايمـل جانحتيك وهـو بهـا ... وهج المنـى ، عجبا له .. عجبا
لا تعتبيـه اذا شكـا رهقـا ... مـا ملهـا ، لكنـه تعبـا
مضني ، ولو كانـت اقامتـه ... فـي غيـر صـدرك آثر الهربـا
حمل المذيب مـن الهوى ، فهوى ... ولوى به ريح الصبـا ، فصبـا
وحنـى يهدهد كـل حـالمة ... من عـاطفاتـك خافقا وجبـا
هل كان يخشى ان ينـوء بهـا ... لا تعتبيه ، فـانـه غلبـا
يهنيـه ، مـا انـدى مشـاعره ... ان ظن في حـب ، وان وهبـا
مـا زال يؤمن بالهوى شعـلا ... وحرائقـا ، حتـى غـدا لهبا
وانصـب ملتـاعا ، ومـال على ... احساسه ، حتى شكـا وصبا
فسلي القلوب ، وكان اصدقهـا ... هل ضـاق في حب ، وهل كذبا
وسلي الجوانح ، من سقى علـلا ... فيها الهوى الغالي ، ومـن شربا
لا تعتبيـه اذا غـدا دفقـا ... عصبية الاحساس او شحبـا
بلـغ النجوم ، فكـان سامرهـا ... وقد استطال ، فغازل الشهبـا
الليل والنجـوى قـد اتفقـا ... ان يضنياه اسـى مذ اصطحبـا
والليل والنجوى ـ وقـد عذبا ... لولاه ، مـا طابـا ولا عـذبـا
متآمـران علـى هـواجسـه ... اذ كـان فـي همسيهما صخبـا

يـا ليل لا تخنـق علـى كبـد ... محمومة فيها الهـوى لعبـا
وارحـم فؤادا جـن فيك هـوى ... ان لم يذب ، قـد كاد او كربـا
كنـت الامين علـى سـرائـره ... فرمى بـك الاستـار والحجبـا
هـذا المعذب لم يكـن حجـرا ... في النـازلات ولم يكن خشبـا
بـل كـان مـن لحم وهى ودم ... سفحا من الاحساس وانسكبـا

طرطوس ـ سورية — احمد علي حسن

وهنا دخل عليه الشاب سارق البابوج فأنشده توا :

لا غرو ان ضاع بابوجي بداركم ... ان البوابيج اخـوان القباقيب !

ويقولون في اللغة : حذوك النعل بالنعل ، اذا كانت هناك مشابهة ومطابقة ، كما يقولون سر بحذاء الجـدار ، ويقصدون جواره .

وبعد ، لم يفرني على الاهتمام بالحذاء الا تلك المقابلة الصارخة التي اجراها نزار قباني بينه وبين الفكر ، والا ذلك التشجيع الغريب من اخوان الصفا الذين اسعفوني بما لم تسعفني به ذاكرة عيية ومراجع بينـي وبينهـا حجاب .

طرابلس ـ ليبيا — وديع فلسطين

ذات ليلة : جمعتهما محطة الاتوبيس الواقعة في اول شارع البواكي ... ولم يكن احدهما يقترب في وقفته من الاخر .. كان الشرطي يقف في الطرف الايمن من المحطة ..والشاب يقف عند طرفها الايسر .. وعلى امتداد المسافة الفاصلة بينهما ، كان يقف آخرون : امرأتان ، وفتاة ، واربعة رجال .

وجاء اتوبيس .. حمل الفتاة ورجلين ، ثم اعقبه آخر .. اندس فيه الرجلان والمرأتان ، ولم يبق على المحطة سواهما .. الشرطي مكانه في الطرف الايمن منها ... والشاب كما هو في الطرف ايسر .

واقفر الشارع من المارة ، وبانغلاق ما تبقى من دكاكينه ، بدأ يتناقص رصيده من اضواء ، ويترامى على جانبيه السكون ..ونظر الشاب الى ساعته .. وجدها تشير الى الواحدة .. قطب جبينيه ، واطرق برأسه برهة ، ثم رفع الى شفتيه ابتسامة صغيرة ، مسح بها ضيقه وتبرمه ، وتحول يواجه بها الشرطي .

تبين الشاب من فوره ان الشرطي يرقبه .. ربما منذ فترة .. ويتفحصه بنظرات حادة .. وبقي الشاب محملقا تجاه الشرطي ، وبسمته تتأرجح فوق شفتيه ، عله يبادله الابتسام فيقترب منه ، ولكن الشرطي لم يفعل .. استمرت نظراته الفاحصة مثبتة على الشاب.

اسرع الشاب فاسقط بسمته ورجع ينظر متضايقا الى الاتجاه الآخر .. وبعد لحظات ، احس الشاب براحة تستقر فوق كتفه .. التفت مسرعا ، ليجد الشرطي مائلا امامه ، ونظراته الفاحصة الحادة ، ما تزال تتدافع من عينيه ..

بدا واضحا من بسمة الشاب التي قفزت الى شفتيه ، والنظرة التي انبثقت في عينيه ، أن ارتباكا اصابه .. واستمر الشاب على صمته برهة ، وحين هم بالكلام ، سبقه الشرطي :

ـ تعال معي ..

استقرت بسمة الشاب فوق شفتيه ، وانطفأت في عينيه نظرة ارتباك ، وقال بهدوء :

ـ نركب تاكسي .. يبدو ان لا مفر من ذلك ..

عقب الشرطي بلهجة حاسمة :

ـ سوف نمشي ..

قال الشاب مستغربا ..

ـ نمشي !.. ان مشواري بعيد

قال الشرطي ببرود :

ـ سوف تشرفنا الليلة ..

والدهشة تجول في عيني الشاب غمغم :

ـ اشرفكم .. الف شكر .. لم اعتد النوم في غير بيتي ..

ارسل الشرطي ضحكة خشنة وقال :

ـ بيتك ! .. انت ستشرفنا في القسم ..

محطة .. ومحطة

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

تساءل الشاب بفزع :

ـ القسم ؟ .. ولم ؟ ...

سأله الشرطي :

ـ ما الذي اوقفك هنا ؟...

ـ انتظر الاتوبيس .

ـ انت تقف منذ ساعة ..

ـ الاتوبيس لم يصل ..

ـ كانت المحطة مزدحمة لحظة وصولك ولم يبق غيرك ..



ـ لم يصل الاتوبيس الذي اريده.

ـ ولماذا اتوبيسك انت الذي لم يصل ؟ ..

فغر الشاب عينيه .. وابقى فمه مغلقا ..

قال الشرطي آمرا :

ـ هيا ..

نطق الشاب بذل :

ـ لكني لم افعل شيئا كي ..

ازعق الشرطي :

ـ قلت لك هيا معي والا ..

ـ ماذا فعلت حتى ..

قال الشرطي متهكما :

ـ لا تعرف .. كنت طيلة وقوفك تتفرس النسوة الواقفات على المحطة ...

ـ الكل يفعل ذلك ..

ـ انت لم تستخدم عينيك فقط ... كنت تحوم حولهن .. لم تستقر مكانك لحظة ..

ـ كنت اريح ساقي من طول الوقوف ..

ـ بعد ان فرغت المحطة انتحيت ركنا وبدأت تهمهم بصوت غير مسموع .

ـ هكذا اكون حين افكر ..

ـ اذن فانت تضمر شرا ..وربما تخطط لشيء تنوي فعله .. انا اعرف ما يفعله الصنف الذي يفكر في صمت ..

ـ اقسم لك اني منعزل ولا اعرف احدا .. فلمن اضمر شرا ..

ـ آ .. انت سلبي ..

ـ بقدر انعزالي عن الناس ..

ضحك الشرطي وقال موضحا :

ـ وهذه جريمة اخرى .. السلبية صارت تستوجب العقاب .. هيا .. هيا ..

قال الشاب بتوسل :

ـ ارجوك .. هناك من ينتظرني في البيت ..

بنشوة ظاهرة علق الشرطي :

ـ ولك شركاء ايضا .. وقعت .

عجل الشاب قائلا بلهجة خوف :

ـ انا اقصد امي واختي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ومن ايضا ؟

ـ لا احد غيرهما .. فما زلت اعـزبـا ..

ـ لكنك تجـاوزت الثلاثين كما يبـدو ..

ـ نعـم ..

ـ ولم تتزوج ..

ـ **نعـم ..**

رفع الشرطي يده ، وهوى بهـا فوق صدغ الشاب وهو يدمدم :

ـ يا عربيد .. فهمت الان لمـاذا اطلت الوقوف حتى هذه الساعة .. **ولماذا كنت تحملق في النسـوة** الواقفات على المحطة ..

والشاب يضع راحته فوق خده ، ودموعه تطل من وراء ذهوله ، انساب صوتـه :

ـ والله لست كما تظن .. انا مجرد موظف بسيط .. **سبعة عشر** جنيها تكفي ثلاثة .. و ...

ـ و .. وماذا ؟ جوزه طبعا .. و .. يـا ..

وارتفعت يد الشرطي ثانيـة ، وهي توشك أن تسقط فوق وجـه الشاب ، تراجع الى الوراء ليتفادى لطمتها ..

تفجر غضب الشرطي ، وانتفض قابضا على ساعد الشاب ، وهـو يصـرخ :

ـ تريد الهرب يا كلب .. هيا ..

رمق الشاب الشرطي باستعطاف .. ولمح الغيظ والوعيد في عينيه ، فمشى الى جواره خطوات ، وهـو يمني نفسه بعدوله عن اصطحابه ، واطلاق سراحه .. واذا رآه ممعنا فـي اختراق الشوارع المظلمـة ، واصابعه الفليظة ما انفكت تنغرز في سـاعده ، اذعن له ، واستغرق في الصمت .

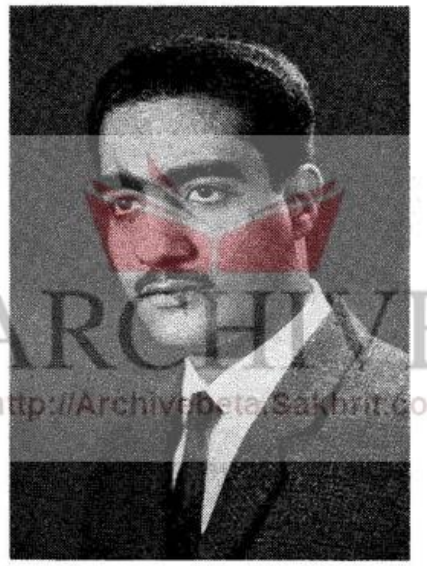
★

ذات يوم : تجمعوا عند دكان عبد الحفيظ .. ابراهيم ، ومـوسى ، وعوض ، والعرايشي .. في عيونهم تمرد مشلول .. وفي كلامهم خوف مكتوم ..

ـ سوف تتلف المحاصيل وتموت البهائم اذا بقينا على هذه الحـال .. نفر من الحقول قبل العصر ..

هكذا بدأ العرايشي الحـديث محتدا .. وممزقا خيـوط الصمت التي تعنكب حول افواههم .. وتحولت اليه العيون تحاصره بنظرات حائرة مستفسرة .. **وواصـل العرايشي** حديثه الذي بداه محتدا :

ـ ايام كانت المغارة وكرا لرجال المجرم زعفان لم نكن نخافها .. ولم نكن نهاب البقاء في الحقول حتـى الغروب .. وكنا نعلق بهائمنا فـي



اسماعيل علي اسماعيل

●

السواقي طول الليل .. لا نخـاف رصاصهم الغادر ..

وضحك بسخرية حزينة ثـم استطرد :

ـ الان نهرع الى بيوتنا لمجرد سماع عواء ولو كان ذلك عند الظهـر ..

ـ وهل تريد ان ننتظر حتـى يفترسونا .. الا يكفي ما حدث ؟

ارسل موسى تساؤله من بيـن شفتيه المرتجفتين ، ثم سكت ، لكنه بعد هنيهة ، راح يتمتـم بصـوت خفيض كأنه يحادث نفسه :

ـ ابن الخيساوي كادوا يلتهمونه .. وخروف أم حسين لولا ستر الله لما افلت منهم .. و ..

وشارك عوض في الحديث :

ـ الخفراء انفسهـم مـا عادوا يمرون بالحـواري ولا الشوارع .. يمضون الليل كله في دوار العمدة لا يبرحونـه ..

رفع ابراهيم صوته معلقا :

ـ عطية يقول ان العمدة هـو الذي يستبقيهم لحمايته وليحرسوا بهائمه ..

هتف العرايشي

ـ اذا بقينـا ساكتين فسوف يتزايدون ..

عقب موسى بتهكم :

ـ يتزايدون ؟ .. لقد تزايـدوا وانتهى الامر .. علـى العمـدة ان يستنجد بعساكر من النقطة او بعض الهجانة من المركز .

راقت الفكرة للقاعدين امام الدكان فاسرعوا يحملونها الى العمدة ... وسمعها العمدة وهو متكيء فـوق الكنبة ، ثم اعتدل قائلا بانشراح :

ـ صحيح .. كيف غاب عنـا ذلـك ؟! ..

وبعد دقائق ، كانت الفكـرة قد تحولت الى اشارة عاجلة ، عكف عامل التليفون في غرفة السلاح ، علـى ابلاغها الى النقطة عبر اسلاك التليفون الحكومي القديم ..

وانتظر اهل البلدة .. وقبيـل غروب اليوم التالي .. تدافع الصغار في الحواري متجهين ناحيـة دوار العمدة وهم يهللون :

ـ جاء العساكر .. جاء العساكر .

وما لبث ان ازدحم الدوار بـاهل البلدة .. وبدأ العمدة يشرح الموضوع لعساكر النقطة .. وعلـت اصوات المتحلقين داخل الدوار ، تعقب وتعلق .. وتشابكت الاصوات ، فـاذا هي بعد قليل ، لغط وضجيج ..

وفجأة ، انتفض احد العساكـر صـارخا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اخي الفدائي

لاني ههنا احيا برغم العار والذل
بعيدا عنك
عن مأساة احبابي
وعن أهلي
عن الارض التي ما زال فيها
خالدا ظلي
أخبيء وجهي المبلول بالآلام والوحل
وراء جرائد الصبح
وأمضغ نشرة الليل
« فدائيان قد جرحا
وأورق موسم الحقل
وطفل صار قنبلة
وبركانا من الهول
وفاطمة يحطم كفها السجان بالغل
ويدفن بعضهم حيا ..... »
واحيا دونما خجل
كتمثال بلا روح
كأجيال من الصمت
بلا حرية احيا

بلا شفة بلا صوت
يلوك الموت ايامي
وتحيا أنت بالموت
ذليل ههنا احيا عقيم الفكر والعقل
كقشر محارة منسية في شاطىء رملي

جريح كرامة خذني
اليك فثورتي تغلي
الى الارض التي ما زال فيها
خالدا ظلي
الى بيتي
اليك هناك حيث تموت من اجلي
وان نمضي ستبقى الارض
يبقى بعدنا طفلي
فان من الجراح مواسم الافراح
قد تأتي

الكويت — احمد سليمان جبعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كفى يا بهائم .. خلية نحل .. للكلام اصول ..

اخرست كل الاصوات، حتى صوت العمدة .. واستمر الصمت لا يقطعه صوت ولا حركة ، حتى تطوع الشاويش قائلا بتؤدة :

ـ اطمئنوا ..

وشاعت بعض همهمات في اركان الدوار ، فعجل الشاويش قائلا بلهجة آمرة :

ـ انصرفوا انتم .. لا شأن لكم بشيء ..

وبعد لحظة اردف ملاطفا :

ـ ناموا في بيوتكم واشبعوا نوما .. سوف نتولى حمايتكم ..

انسحب اهل البلدة صامتين ، وشعور بالاطمئنان يداعب قلوبهم .. وبعد صلاة العشاء بقليل ، انطلقت قرب مشارف البلدة رصاصة هتكت السكون المطبق ، وافزعت الصغار الذين لم يكن غلبهم النوم .. وتوالت الطلقات .. ووقع دويها على آذان اهل البلدة الساهرين داخل دورهم وقع الزغاريد .. وسرعان ما تأكد شعور الاطمئنان لديهم .. ولبثوا يتابعون مبهورين دوي الطلقات .. وهم يودون لو لحقوا بالعساكر ليشهدوهم عن كثب ، وهم يفتكون بالذئاب ، وليعانقوهم بعدما يفرغوا من مهمتهم ..

وتوقفت الطلقات .. وبدأ الدوي يتلاشى رويدا في جوف السكون ، ويضيع طنينه من الآذان التي كانت تتابعه من داخل الدور المغلقة عليها .

ونام اهل البلدة لاول مرة .. لا يؤرقهم انشغال ولا خوف .. وفي الهزيع الاخير من الليل ، تردد في الفضاء عواء مخيف ، ايقظ الكثيرين من اهل البلدة ، ثم تكرر العواء ، فروع الباقين، وتحولت الاذان داخل الدور تلتصق بالنوافذ المغلقة .. وتزايد العواء .. وبدا واضحا ان الذئاب اغلقت منافذ البلدة .. ولم تدوي في الفضاء طلقة واحدة .

وانفتحت الصدور من جديد ، للخوف والدهشة .. ولم يغمض جفن بقية الليلة .. وحين اشرقت الشمس ، هرول اهل البلدة الى دوار العمدة .. وهناك في غرفة السلاح .. رأوا العساكر يتمددون فوق الكنب .. يعانق كل منهم بندقيته .. والخفراء يتكومون في الاركان .. رؤوسهم مدفونة بين ركبهم .. والنوم يستغرقهم ..وفي وسط الغرفة ..مجمرة تمتلأبالرماد .. والى جوارها ، جوزة مالت على جنبها ، فسال الماء من جوفها ،وبلل الارض العارية حولها .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

اسحق موسى الحسيني - عزالدين الشوا نصري الجوزي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور اسحق موسى الحسيني

الحكمة التي آمن بها الدكتور اسحق واتخذها نهجا وشعارا قول الانسان المفكر سلامة موسى :

« أفكارنا كلمات ، والكاتب العظيم هو الذي يعطينا الكلمة العظيمة التي ترسخ في اذهاننا ، وتتوالد وتبعث على الاعمال العظيمة ! »

ولد « اسحق » في بيت المقدس وتلقى دروسه في « المدرسة الصلاحية » التي أسسها القائد التركي احمد جمال باشا في بيت المقدس . وبعد زوال الحكم التركي من البسيط العربي دخل كلية الفرير بالقدس (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) والتحق عام ١٩٢٣ بكلية الشباب (الكلية الانكليزية فيما بعد) وتلقى العربية على استاذ الجيل المعلم نخله زريق ، واول مقال نشره في جريدة « الاقصى » المقدسية لمؤسسها المرحوم صالح عبد اللطيف الحسيني كان موضوعه « اعراضنا الاجتماعية » وفي عام ١٩٢٣ نشر سلسلة من المقالات في جريدة « فلسطين » اليافية بعنوان « بعثاثنا العلمية » .

وفي خريف عام ١٩٢٣ شد الرحال الى القاهرة طلبا للعلم ودخل الجامعة الاميركية في عهد رئيسها السيد واطسون وامضى فيها ثلاث سنوات (١٩٢٣ ـ ١٩٢٦) ثم عاد الى القدس وعين استاذا للعلوم في الكلية الرشيدية ، وفي عام ١٩٢٧ دخل جامعة القاهرة في عهد رئيسها احمد لطفي السيد وسلخ أربع سنوات في كلية الآداب في عهد عميدها الدكتور طه حسين ونال ليسانس في الآداب عام ١٩٣٠ وعاد الى فلسطين ثم بارحها الى لندن ودخل جامعتها ودرس الآداب واللغات السامية على استاذه المستشرق الانكليزي هاملتون الكسندر روسكين جيب وفي عام ١٩٣٤ عاد الى القدس يحمل شهادة الدكتوراه من جامعة لندن وعين استاذا للادب العربي في الكلية العربية وفي عام ١٩٤٦ عين مفتشا للغة العربية حتى عام ١٩٤٨ .

وفي سنة ١٩٤٥ تعاون الدكتور اسحق وبعض اخوانه الواعين لتاليف لجنة اسموها « لجنة الثقافة العربية في فلسطين » فنجحوا في دعوتهم وكان من بواكير اعمالهم تنظيم سلسلة من المحاضرات دعا فيها المحاضرون الى خدمة الثقافة العربية والتعاون مع المؤسسات الثقافية في الاقطار العربية .

وفي تشرين الاول ١٩٤٦ أقامت هذه اللجنة المعرض الاول للكتاب العربي الفلسطيني في « نادي الاتحاد الارثوذكسي العربي » بالقدس واصدرت كراسا سجلت فيه اسماء الكتب والمؤلفين الفلسطينيين والاردنيين وسنوات طباعتها .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) قصد مدينة حلب ، مخلفا في بيته ببيت المقدس مكتبة غنية بامهات المراجع الادبية والتاريخية ، وفي عام ١٩٤٩ نزح الى بيروت وعمل استاذا للادب العربي في الجامعة الاميركية ، وفي عام ١٩٥٢ ذهب الى جامعة مكجيل في كندا استاذا معارا للادب العربي من الجامعة الاميركية في بيروت والقى محاضرات في الاتجاهات الاسلامية المعاصرة .

وفي عام ١٩٥٥ هبط القاهرة وتولى تدريس الادب العربي في الجامعة الاميركية وفي معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٥ وعضوا في لجنة البحوث الاسلامية بالازهر الشريف عام ١٩٦٦ وعضوا في المجمع العلمي ببغداد عام ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٦٧ أحيل على التقاعد من الجامعة الاميركية في القاهرة ولا زال استاذا في معهد الدراسات العربية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور الحسيني عشرات من المقالات في مجلات « الثقافة » و « الرسالة » و « الابحاث » التي تصدر في الجامعة الاميركية ببيروت و « الاديب » و « الآداب » ، وزود الخزانة العربية بطائفة من المؤلفات وقد عرفنا منها :

١ ـ رأي في تدريس اللغة العربية ـ (١٩٣٧) .
٢ ـ علماء المشرقيات في انكلترا ـ (١٩٤٠) .
٣ ـ مذكرات دجاجة ـ (١٩٤٣) .
(نشر هذا الكتاب في سلسلة (اقرأ) ونال جائزة دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهرة بمناسبة الاستفتاء الذي أجرته هذه الدار عن أحسن كتاب صدر في سلسلة « اقرأ » الشهرية) .
٤ ـ العروض السهل (جزءان) بالاشتراك مع الاستاذ فائز الغول ـ (١٩٤٥) .
٥ ـ فن انشاء الشعر العربي (مترجم عن الفرنسية) بالاشتراك مع الاب اسطفان سالم ـ (١٩٤٥) .
٦ ـ عودة السفينة ـ (١٩٤٥) .
٧ ـ اساليب تدريس اللغة العربية ـ (١٩٤٧) .
٨ ـ ابن قتيبة (باللغة الانكليزية) ـ (١٩٥٠) .
٩ ـ الاخوان المسلمون ـ (١٩٥٢) .
١٠ ـ الاسلام في نظر الغرب (مترجم عن الانكليزية) ـ (١٩٥٣).
١١ ـ ازمة الفكر العربي ـ (١٩٥٤) .
١٢ ـ الادب العربي المعاصر ـ (١٩٦٣) .
١٣ ـ أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم ـ (١٩٦٦) .
١٤ ـ النقد الادبي المعاصر ـ (١٩٦٧) .
١٥ ـ الادب والقومية العربية ـ (١٩٦٧) .
١٦ ـ عروبة بيت المقدس ـ (١٩٦٧) .

نموذج من نثره : « قمت هذا الاسبوع بتجربة دونها تجارب باستور واديسون وماركوني ومن لف لفهم ... وكيف كان ذلك ؟ اسمع يا عزيزي واضحك او اعبس !

شاهدت شيئا يسمونه « الصلف » في نفر من خلق الله ، فنفرت منه اشد نفور ، وكرهت هذا الخلق ، وتولدت في حاسة اخذت تقوى وتشتد حتى كدت اكره نفسي والزم بيتي ، لا ارى أحدا ، ولا أحب ان اسمع شيئا من احد . تلك حاسة ادراك « الصلف » مهما قل ودق !

وفي الوقت نفسه ظهر في ميل شديد الى التواضع الى ابعد حد يمكن ان نتصوره . ولولا عيون الناس لخلعت البستي ووضعت على ظهري بردعة الحمال او اطمار الدرويش ، وضربت في الريف على غير هدى ، حتى ينساني الناس وأنسى أنا نفسي !

وفي هذه الحالة النفسية ، والكآبة تتغلغل في كل عرق من عروقي ، مر ببالي خاطر كلمح البرق ، فأغفلت شأنه ولم آبه له ، واذا به يعود ثانية ويلبث مدة اطول ، فلم يسعني الا ان اعيره التفاتا ،

ولكني عبست وطردته من بالي ، ولم يلبث ان عاد ذاك الخاطر ثالثة ، فلم أعبس هذه المرة ، بل ضحكت ، وأخذ الخاطر ينبسط وينمو بسرعة ، ويتشكل بصور مختلفة ، واخيرا أضحى فكرة ناضجة صالحة للتنفيذ !

وكنت في تلك الفترة أجلس في غرفة يشاركني فيها اثنان ، كل منهما منصرف الى عمله ، لا يدري ما يدور في هذا الرأس الصغير المجاور له .

وفي لحظة دب في جسمي شعور عجيب أشبه بالحمى التي تنتاب الجسم من أعلى الرأس الى أخمص القدمين ، وشعرت فعلا بارتفاع خفيف في حرارة جسمي ، ونهضت قليلا عن مقعدي وسويت جلستي، وانتصب ظهري ، وتوترت عروق عنقي ، وارتفع رأسي ، وشعرت بثقل يتجمع في أعلى الدماغ ويؤثر في حركته ، وأدرت رأسي نحو من يجلس الى يميني فاذا بي أراه صغيرا قليل الشان ، وما هو كذلك ، فاستعذت بالله ، وادرته يسارا فاذا بي ارى من يجلس الى يساري صغيرا وضيعا كصاحبه ، وما هو كذلك ، فأعدت رأسي ونظرت امامي ورحت افكر فيما اصابني ، لقد بدا لي صاحباي على هذه الحال لان ارتفاع رأسي عن مستواه العادي غير الزاوية التي أنظر منها ، فبدا المنظور مخالفا لما اعتدت ان اراه ، والمرتبات تختلف اشكالها باختلاف الناحية التي يصوب منها النظر اليها . ولكني قلت : « ولم اختلفت طبيعة المرئي ؟ لم هذا الصغار الذي أجده في هذين الرجلين وهما بريئان منه ؟ » .

وادركت ، يا عزيزي ، فورا اني مصاب بالصلف ، وان الفكرة التي جالت بخاطري قد تحققت بالتآمر بين عقلي الباطن وشعوري الباطن ، ورفعت يدي الى موضع الشاربين أريد ان افتلهما وارفع طرفيهما الى أعلى ... ليشبها شاربي عنترة ابن شداد ، كما تصوره الصور الشعبية ، ولكن يدي وقفت على مثل الشوك القصير ، وندمت لاني لم اطلق شاربي ، ولم أشذ بهما ولم اعالجهما بالزيوت ، وانطلقت يدي الى أعلى ، الى حاجبي فنفشتهما وحاولت ان اجعل لهما طرفين دقيقين يشابهان طرفي الشاربين ليسدا مسدهما ، كما يفعل بعض الناس الذين يحلقون الشاربين ، ويستعيضون عنهما بشاربين علويين، ولكني لم أفلح لان شعر حاجبي لم يبلغ الطول الذي يعين على تحقيق ما اريد ، ومع ذلك فقد صنعت بهما كل ما يمكن ان يصنع ، فنفرت الشعرات كلها ، وصارت أشبه برموش العينين !

وفيما انا اعالج الشاربين العلويين دخل الغرفة زائر وحياني ، فحاولت ان انهض لارد تحيته ، ولكني شعرت كان حبالا اوثقت ربطي بالمقعد ، فلم استطع حراكا فحنيت ظهري قليلا الى الامام ، واشرت الى الزائر ان يجلس على الكرسي الذي بجانبي . وبدا الرجل حديثه، والتفت اليه فاذا عيناي ترياقه كما رأتا مجاوري ، واذا به يبدو صغيرا قليل الشان . وقطبت حاجبي حتى اتصل طرفاهما الفليظان واصبحا كالشاربين ، ولم استطع ان اجاري الزائر في الحديث على النحو الذي الفته في سابق عهدي ، والفيت نفسي اتحدث اكثر مما اصغي ، ويخرج كلامي في جمل قصيرة ونبرات قاطعة كحد السكين ، وادرك الزائر انه امام شخص قد غلبه « الصلف » وتملك عليه حركاته وسكناته وحديثه ، فراح يكرر كلمات : « نعم ، صحيح ، عظيم ، مدهش ، احسنت ! » وانا لا ادري علام يعقب ؟ ولكني لا اشك في ان حديثي لم يكن مما يستحق الاستحسان والدهشة والتعظيم . وتعجل الزائر الانصراف وغادر الغرفة وهو ينحني ويبتسم ويحييني بغاية الادب والتذلل الى ان غاب عن ناظري !

وحان وقت الانصراف ، فنهضت متثاقلا ، وحملت أوراقي وسرت بخطى وئيدة ورأسي ما يزال مثقلا بالحمل الذي تركز فوقه ، ولم احيي احدا ، وحياني كل من رآني ، وسلكت سبيلي الى البيت ، ورأيت في طريقي كل من مر بي وضيعا قليل الخطر ، ولم تتجاوز تحيتي الاشارة باصبعي حينا ، وفتح فمي بكلمات قليلة حينا آخر .

وشعرت اني محاط بجلال لم اعهده في سابق ايامي ، وراقني هذا الوضع ، وحين بلغت بيتي دخلت الى مكتبتي واستلقيت على المقعد الطويل الوثير وغصت في لجة الفكر . اهذا هو « الصلف » حقا ؟ أهذا ما كرهت من الناس المصابين به ؟ استغفر الله ، بل المتحلين به ؟ ما اسخف تفكيري ! أمثل تلك الصفة العالية زهدت في ذلك النفر من كرام الخلق ، وفكرت في بردعة الحمال واطمار الدرويش ؟ لقد كنت مخبولا ، والان عاد الي اتزاني ورشدي !

ولبثت ، ايها العزيز ، على هذا الحال اسبوعا ، وتجلت لي الدنيا بصورة غانية فاتنة ، كل ما فيها ساحر وجميل . ولم يحدث ما يعكر مزاجي ، وصرت اقضي اعمالي بسرعة ، لا اجد مستعصيا ، ولا اصادف عقبة ، وكان الحياة سهلة ممهدة السبل،ناعمة الموطىء وغدوت من اولئك النفر الكريم المبجل المحاط بجميع مظاهر التكريم والتعظيم ، المقضي الحاجات بأيسر سبيل . وندمت على ايامي السابقة ، كيف ازجيتها بحمقي وغفلتي على ذلك الوجه البشع ، وودت لو استرددت تلك الايام وعشتها ثانية وهي تطفح بالبشر والغبطة والرغد !

وذات يوم دخل علي زائر كبير المقام ، جليل القدر ، فاومات اليه ان يجلس بجانبي ، كما دأبت في ايام ذلك الاسبوع ، ولم انهض له ، ولم احفل به ، ولم أعره التفاتا . وجلس الزائر متجهم الوجه ، وقال بصوت مرتفع : « اية حماقة ؟ » قلت : « حماقة » ونزلت الكلمة على رأسي كالصخر ، وأزالت الثقل من مكانه في اعلى رأسي ، وخرج « الصلف » من جسمي بحركة تشبه الرعدة التي تصيب المحموم ، وتبعه نضح عرق خفيف . والتفت الى الزائر فاذا به يبدو لي بجلاله وهيبته المعهودين ، فوقفت وانحنيت قليلا وقلت « اهلا وسهلا ! فقال : « لا اهلا ولا سهلا ! أقف ببابك انتظر الاذن بالدخول كاني ساع في باب وزير ، ثم تستقبلني هذا الاستقبال البارد ، وعهدي بك تعرف مقامي وتحتفل بي ؟ فهل بلغك اني فقدت كرامتي وجاهي حتى انزل منزلة الوضيعين ؟ أم ان حالك انت قد تغيرت ، وانسلخت عن شمائلك الحلوة ، وتواضعك الجميل ، وايناسك وبشرك التي قربتك الى القلوب ؟ » ولم أحر جوابا ، ولكن يدي اليمنى ارتفعت الى حاجبي فسويت شعرهما وضغطت طرفيهما الدقيقين مرارا ، وانفرجت الفسحة بين طرفيهما الفليظين ، وبان جبيني منبسطا كجلد الصلعة ، واخذ الرجل يتدفق في كلام على غرار ما ذكرت ، وانا اصغي اصغاء الطالب الى استاذه الجليل ، وهم الرجل بالانصراف ، فقمت اليه وتعلقت باذياله وقلت له : « عفوا اني لحزين لما حدث فاجلس وحدثني في الموضوع الذي قصدتني من اجله ، وستجد مني ما الفت من الانتباه والعناية !» ففلب على الرجل طيب قلبه ، وتبسط في الحديث ، واوليته كامل عنايتي ، فسري عنه ، وقضيت حاجته ، وانصرف وانا اشيعه الى الباب وهو يعتذر ويقول : « استغفر الله ! استغفر الله ! استغفر الله ! لقد غمرتني بكرمك ، بعد ان اسأت اليك .. سامحني !» وعدت الى مقعدي وارتميت عليه ، ونظرت الى من على يميني فاذا هو في مقامه الكريم ، ونظرت الى من على يساري فاذا هو كذلك على ما عهدت من الرفعة ، وضربت بيدي على جبيني ، ونظر الرجلان وقالا : « مالك ؟ » قلت : لعن الله الشيطان ، لقد انساني شيئا حرصت عليه ! » فضحكا وقالا : « اجله الى غد ... »

وأجلت « الصلف » لا الى غد ، بل الى نهاية العمر، لقد اودى ذلك الزائر الكريم بمولود رافقني اسبوعا ، وحرمني حلاوة سرت الى جميع اطرافي ، وها أنذا اعود انسانا كسائر الناس يغلبه التواضع فينحني حتى يكاد يبلغ رأسه صدر محدثه . وتمر بخاطري البردعة والاطمار في اغلب الاحيان ، واكاد اكره الناس جميعا .

انها تجربة ، يا عزيزي ، فاضحك او اعبس . تجربة دامت اسبوعا ، آه اسبوعا كنت فيه سعيدا ... لا شقيا .. لا سعيدا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ عز الدين الشوا

درج علىرحاب والده الحاج سعيد الشوا في غزة هاشم وعاش انوفا عيوفا ، وظلت الحكمة التي اتخذها شعارا كلمة مواطنه الغزي الامام الشافعي ، بارك الله روحه ، وقدس سره ، لابنه :

« لو علمت ان الماء البارد يثلم مروّتي ... ما شربته الا حارا حتى أفارق الحياة ! »

ولد عز الدين في غزة هاشم بفلسطين عام ١٩٠٢ وانهى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه ودراسته الاعدادية والثانوية بين « المدرسة الدستورية » لمؤسسها المربي المرحوم خليل السكاكيني في بيت المقدس وبين « الكولونية الاميركية » في زهرة المدائن !

وفي عام ١٩١٧ بارح فلسطين الى لبنان ودخل الجامعة الاميركية في بيروت ، وامضى فيها ثلاث سنوات ، وفي عام ١٩٢١ قصد لندن ودخل احد معاهدها العلمية ليتاح له دخول احدى المدارس الزراعية ، وكان لا بد من دخولها ، قبل ان ينضم الى كلية الزراعة في جامعة كمبردج .

وفي عام ١٩٢٨ أنهى هذه الكلية الشهيرة ، وعاد الى فلسطين يحمل شهادتي بكالوريوس وماجستير في الزراعة واقبل على اراضي والده الثري في غزة هاشم يستغلها على احدث الاساليب ، واستورد الآلات الزراعية لشقها ولتحسين الوضع الزراعي المتخلف في فلسطين ، وتزويد الفلاح « البدائي » بدروس في تطوير الزراعة وتقدمها !

وعلى الرغم من انصراف « عز الدين » الى المشاريع الزراعية ، وتطبيق اساليبها الحديثة قولا وعملا ، فقد امضه الظلم الذي يلاقيه عرب فلسطين ، على يد المستعمر البريطاني ، وباشتعال نار الثورة الفلسطينية عام ١٩٢٩ دخل في مشاكسات مع الحاكم البريطاني بغزة ، وشجب سياسة الحديد والنار التي يحكم بها مواطنوه الابرياء ، فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثين يوما .

وليؤدي رسالته القومية الى الشعب المعذب في الارض الملتهبة .... رضي في عام ١٩٣٠ ان يكون مديرا لمدرسة معلمي القرى التابعة لمدرسة خضوري الزراعية بطولكرم ، وسرعان ما نقل الى حيفا بوظيفة قائم مقام ومنها الى جنين ، وهنا جمع الى العمل الحكومي الذي زاوله اعمالا زراعية تحمل في طياتها التوعية والحض على الاتحاد والاقلاع عن العادات السيئة كقطع الاشجار المثمرة وغير ذلك .

وظل عز الدين يعمل في حقل الادارة وتوعية الفلاح العربي ، وحضه على كره المستعمر ، الى ان اطل فوزي القاوقجي عام ١٩٣٦ على فلسطين ، على رأس مناضلين من العرب ، فانضم اليهم عمليا في الخفاء .

وليتمكن من تأدية دوره النضالي الفعال ، ظل يزاول عمله الحكومي الى ان وقع الاضراب الفلسطيني ، وقد دام ١٨٠ يوما ، فانبرى يخطط للثوار المرتبطين به ، ويزودهم بالعتاد ، ويحذرهم من مخططات المستعمر الغشوم !

وفي عام ١٩٣٧ احس المسؤولون البريطانيون بالدور الفعال الذي يضطلع به عز الدين فقرروا نقله من « جنين » ـ مقر الثورة الفلسطينية ـ الى حيفا ، فبادر الى الهرب بجواز سفر مزور ، وبلغ مصر وقبع فيها ثلاثة ايام ، وخشية ان يقع في يد السلطات البريطانية ، وكان الانكليز عهد ذاك سادة الموقف في الشرق الاوسط « شمع الخيط » الى الاسكندرية ومنها الى بيروت بحرا ، وظل يزاول فيها عمله الفدائي ، ويتعاون مع العاملين في الحقل الوطني . ونتيجة للضغط البريطاني اضطر الفرنسيون الى اخراج عز الدين الى دمشق ، وحظروا عليه النشاط السياسي ، وبعد ان اقام في دمشق سبعة شهور نفوه الى بغداد ، وصدف ان كان المرحوم رشيد عالي الكيلاني رئيسا للديوان الملكي ، فوجد منه ومن بعض رجالات العراق الذين يعطفون على النضال الفلسطيني تعاونا ودعما .

وليثمر العمل الثوري في الارض الملتهبة اخذ يتردد على دمشق وبيروت وبعض مدن فلسطين بشتى الملامح والازياء وبجوازات مزورة .. وأقام صلات متينة من المودة والاخاء مع بعض قادة الجيش العراقي امثال : صلاح الدين الصباغ وفهمي السعيد وكامل الشبيب ومحمود سليمان ويونس السبعاوي ، وكان يجتمع بهم في جو يسوده الكتمان والحذر ، واخذ منهم كميات من الاسلحة ، وراح ينقلها الى فلسطين عن طريق الفرات ـ حلب ـ دير الزور ـ بيروت ، بالاضافة الى العشرات من الثوار الفلسطينيين الذين كانوا ينضمون اليه من معسكرات شارع الرشيد .

وبعد ان تطامن لهب الثورة الفلسطينية شرع الفرنسيون ينكلون بالفلسطينيين المقيمين في سوريا ولبنان ، ويضغطون على سماحة الحاج محمد امين الحسيني المقيم في ذوق مكايل بلبنان ويطوقون دارته ، فاستنجد سماحته بعز الدين فانجده .. وهرب به الى بغداد بطريقة هي الى الخيال اقرب منها الى الواقع !

وفي بغداد انخرط عز الدين في الجيش العراقي وجاءت قرعته مع القائد فوزي القاوقجي ، وكان مسؤولا عن مهاجمة الجيش البريطاني وقطع الذخائر والمؤن عنه .

وبعد ان فشل الجيش العراقي ومني بالاندحار في حربه مع الانكليز قصد الحاج محمد امين الحسيني طهران عن طريق الموصل بسيارة اسعاف ، وحاول عز الدين اللحاق به .. لكن تعذر عليه ذلك، فعاد الى بغداد ووقع اسيرا في قبضة الانكليز في شمال اربيل ، ولاقى منهم ضروبا من العسف والاضطهاد ، وارسلوه مكبلا الى كركوك ، وبقي في سجنها اربعة شهور ، ولقد حاول خلالها مقابلة متصرف المدينة لكن هذا ابى مقابلته ، وارسلته السلطات بالقطار الى بغداد ودخل السجن باسم « حميد سليمان » .

واخيرا صمم على الهرب الى ايران لكن المسؤولين على الحدود العراقية ـ الايرانية حالوا دون دخوله طهران فعاد الى بغداد سيرا على قدميه متخفيا . ولاذ بالسفارة السعودية ـ وكان اسعد الفقيه قائما بالاعمال ـ فسهل له هذا الهرب الى البصرة ، وغادرها الى السعودية بهوية مزورة.. وعلى الحدود قابل الامير صالح عبد الواحد، امير حفر الباطن ، ومن هناك طير البرقية التالية الى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود :

« نحمد الله الذي من علينا بالوصول الى داركم حيث نشعر بكامل الاطمئنان ، بعد ان لاقينا على أيدي اعداء الدين والوطن شتى صنوف الاضطهاد ! احببنا اعلام جلالتكم بما حصل ، ونحن اذا امرتم متجهون للسلام عليكم ، الامر لله ثم لكم » .

ولم تمض سوى بضع ساعات حتى تلقى الجواب بالايجاب ،فبلغ الرياض واذا بسيارة حمراء اللون بانتظاره وفيها بعض رجال الحرس الملكي ، فقصد القصر ودخل على « طويل العمر » بثياب رثة ..فرحب به العاهل العربي وامر بارساله الى قصر الضيافة ، وخلع عليه كسوة عربية ، وظل يتردد على مجلسه ، وبعد ايام كلفه السفر الى منطقة الخرج للاشراف على الشؤون الزراعية ، فخف الى تلك المنطقة البكر واستخدم الآلات الفنية لتحسين الزراعة واستقدم الفنيين من عرب فلسطين ، فشرعوا في زرع الخضار ، ففاضت بها الاسواق واغنوا السعودية عن استيرادها .

وبعد ان ايقن العاهل السعودي بكفاءات عز الدين ومواهبه اختاره عام ١٩٤٤ ليمثل السعودية في « مؤتمر الزراعة والتغذية للشرق الادنى » المنعقد في القاهرة ، لكن السفير البريطاني في القاهرة رفض قبوله ، وهو الخصم اللدود للمستعمر البريطاني ،لكن العاهل السعودي وقف من هذا الرفض موقف الصلابة والعناد ، حتى

حمل السفير البريطاني على الاذعان لرغبته !

وبعد ان شبت نار الثورة في فلسطين عام ١٩٤٨ استأذن عزالدين الملك عبد العزيز بالاشتراك مع المناضلين العرب ، فبارك الملك العظيم مطلبه ، وودعه بكلمات تنضح بالغيرة على فلسطين وبالعطف على شعبها المناضل .

ودع عز الدين البلاد المقدسة ليؤدي دوره في الحرب المقدسة ، لكنه رأى المتناقضات والخيانات والمفارقات .. التي ادت الى الكارثة المفزعة ، وافضت الى تشريد مليون لاجيء عربي ، يعيشون في العراء تحت كل بقعة من بقاع الارض !

ولاذ عز الدين بصمته .. وطوى جناحي النسر الجريح .. وظل ينشد نفسه قول « الرصافي » :

قد علمتني الليالي في تقلبها ... ان الموفق فيها السيف لا القلم
وان أصدق برق انت شائمه ... برق تبسم عنه الصارم الخذم
واخصب الارض ارض لا تسح بها ... الا من النقع في يوم الوغى ديم
من كان يكذبني ان الحياة منى ... فليس يكذبني ان الحياة دم

وصباح يوم الثلاثاء الواقع في ٢٤ ـ ٦ ـ ١٩٦٩ فاضت روح هذا المجاهد المثالي في بيروت اثر مرض عضال ونقل جثمانه الى غزة هاشم مسقط رأسه ودفن في المقبرة الكبرى .

٣ ـ نصري الجوزي

في بيت المقدس ولد عام ١٩٠٨ وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في « مدرسة المطران » الانكليزية واحرز دبلوم الصحافة من لندن واقبل على التدريس عام ١٩٣٢ في طائفة من مدارس القدس ، واسهم في تأسيس عدد من النوادي والجمعيات الادبية واشتهر بتأسيس الفرق التمثيلية وتنشيطها ووضع التمثيليات الوطنية والاجتماعية واذاعتها من محطة القدس .

ومنذ حداثة سنه أقبل على مطالعة الكتب المفيدة من عربية وانكليزية وافرنسية وعشق الادب الكلاسيكي ونشر عشرات المقالات في الصحف الفلسطينية والمصرية .

وفي عام ١٩٤٨ ، عام النكبة المروعة ، لجا الى دمشق ودرس في بعض مدارسها الاميرية حتى عام ١٩٥٤ ، وفي خريف هذا العام عين في مكتب الاعلام الاميركي بدمشق مراقبا للمكتبة . وفي عام ١٩٥٦ اسندت اليه وظيفة « مراقب مطبوعات » في مكتب الاعلام المذكور واصبح رئيسا لقسم الترجمة وانتقاء الكتب الاميركية الشهيرة وترجمتها الى اللغة العربية . وخلال عمله هذا اشرف على ترجمة ومراجعة اكثر من مئة كتاب ادبي وعلمي وتاريخي وسياسي .

من آثاره القلمية : وابرز نتاج هذا الاديب الاصيل التمثيليات ذات المغزى البعيد ، ومن اشهر ما صنف والف التمثيليات التالية :

(١) صور من الماضي . (٢) الطرف الثلاث (٣) عيد الام . (٤) ذكاء القاضي . (٥) العدل اساس الملك او تراث الآباء . (٦) عيد الجلاء . (٧) الشموع المحترقة . (٨) الحق يعلو . (٩) اشباح الاحرار . وبالاضافة الى هذا عشرات من الفصول التمثيلية التي اذيعت من اشهر دور الاذاعة في الشرق والغرب وأهمها :

(١) على الباغي تدور الدوائر . (٢) معجون الحب . (٣) امة تطلب الحياة . (٤) باسم الحداد مع الخليفة هرون الرشيد . (٥) حفلة عشاء . (٦) بين الحب والواجب . (٧) حلم يتحقق . (٨) الجريمة المروعة . (٩) عشاق التماثيل . (١٠) حياة تحطمت . (١١) فؤاد وليلى . (١٢) يقظة الضمير .

نموذج من نثره : « جلست في عيادة الدكتور سامي ـ ثلاث نسوة يتجاذبن اطراف الحديث ويعلقن على مهارة بعض الاطباء وغباوة البعض الاخر ، وجشع فئة ثالثة من خدام الانسانية الذين رموا كل اعتبار عرض الحائط الا اعتبار المال !

وفتح باب غرفة الانتظار فجاة ودخلت سيدة في العقد الرابع من عمرها ، مستديرة الوجه ساحرة العينين ، متوسطة القامة وبعد ان القت التحية سألت :

ـ « اين الدكتور ؟ »

فتحولت اليها الانظار وحدجتها العيون واجابتها احداهن :

ـ « الدكتور يعالج مريضا » .

وما استقر الجلوس بندى حتى قالت بلهجة رقيقة :

ـ « هل تسمحن لي برؤية الطبيب قبلكن » ؟

ـ « ما بك ،؟ ما مرضك ؟ »

ـ « ضغط الدم ! »

واستولت الحيرة على الحاضرات . شابة في ربيع العمر يصبها ضغط الدم !

ـ « ولكن كيف ذلك . وما سببه ؟

ـ « من مصائب الدهر ونوبه . من الحياة الشاقة التي نعيشها في هذه الايام » .

وعندما فتح الطبيب باب عيادته لوداع مريضه ، انسلت ندى الى الداخل وهي تحدث الطبيب عن ارتفاع ضغطها وأرقها في الليالي ، وشعورها كان مطرقة حديدية تهوى على رأسها .

وقاس الطبيب الضغط فوجده عاليا جدا فاشار عليها بالحمية والابتعاد عن الاطعمة الدسمة وتناول كذا وكذا من الفواكه والخضروات ثم اردف قائلا :

ـ « ايتها السيدة . صدقيني ان العلاج الوحيد لضغط الدم هو الهدوء والراحة والابتعاد عن الافكار المزعجة ! »

وغادرت السيدة العيادة وهي تردد كلمات الطبيب الاخيرة : « الزمي الهدوء والراحة وابتعدي عن الافكار السوداء ! ».

وفي طريق عودتها الى البيت تذكرت حين كان زوجها صاحب متجر كبير في العاصمة ، يسهر على راحتها وراحة اولادها الخمسة ، ويوفر لهم اسباب الهناءة والسعادة ، ويعنى بتثقيفهم وتعليمهم . حتى كان ذلك اليوم المشؤوم عندما كان زوجها عائدا من متجره ، اذ بسيارة يقودها سائق اهوج تدهمه فالقت به ارضا ثم حمل الى المستشفى ، وظل يعاني هناك سكرات الموت حتى فارق الحياة . وتذكرت كيف انفض الاهل من حولها بل حاول احد اخوته وشريكه في المخزن ان يقف من اخيه موقفا مخزيا .

وبعدها رأت العالم كله تآلب عليها . فالاموال قد نفدت ،والاخوة والاصدقاء قد تفرقوا من حولها ، والكبار من اولادها حرموا دراستهم الثانوية ليجاهدوا ويناضلوا في سبيل العيش !

باتت تعتقد ان قوة المرأة من قوة زوجها ومكانتها مستمدة من المكانة التي يستمتع بها في الهياة الاجتماعية .

وما كادت تصل الى البيت حتى عاد ولدها رمزي من عمله ، فاستقبلته استقبالا حارا ورحبت بمقدمه ، وضمته الى صدرها . انه بكرها وسند العائلة . والراتب القليل الذي يتناوله من الشركة يسد الجزء الاكبر من نفقات العائلة . وحانت منها التفاتة الى وجهه الغض فرأته عابسا مربدا وسألته :

ـ « ما بك يا بني ؟

ـ « لقد نسقوني من العمل » .

ـ « نسقوك ... ولم ؟

ـ « عينوا احد اقرباء المدير » .

ـ « محسوبية ؟ لا بأس عليك ولا ضير يا بني . العبد يغلق بابا والله يفتح ابوابا » .

وما كاد يتوارى ابنها عن بصرها حتى هوت على مقعد قريب منها تندب حظها العاثر وفساد الناس .

وفيما هي كذلك وقفت سيارة فخمة امام الباب ونزل منها صديق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في منتصف الليل

ارحل ..
الصوت تدفق ، في الصمت
ودنا ودنا ..
فيض الحب
وتفجر ، في نبض القلب

في الغرفة ، ذات الجدران السود
كان النوتي الاسمر ..
يتنفس رائحة الغاب
شفتاه تختلج
بالحرف ، وتنفرج
وعلى القضبان ، أصابعه
تتشنج ، في عنف

ارحـل ..
والصوت ، يهز الاعماقا
ارحـل ..
واكشف ، بيديك ، الآفاقا

في أعماق الحس
في همس
تتناثر أزهار الليلك ..

في الشاطيء ، زورقه ، يطفو
حلم الاحلام ، بجفنيه ، يغفو

في منتصف الليل
هبط النوتي الى البحر
وتنهد في رفق
وأدار الدفة في مهل
نحو الشرق

النوتي الأسمر ..
الليلة ، قد أبحر ...

اللاذقية ـ سورية — نبيهة حداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زوجها سابقا المثري ابراهيم بك ، فانقبضت نفسها لرؤيته واكتأبت وتمنت ان لا تراه . انها تمقت هذا الثري بل تمقت مواقفه المشينة ومعاملاته الدنيئة . كان يراودها على نفسها عندما كان زوجها فويسا ثريا ، ولما نزلت بها هذه المصيبة صار هذا الرجل اتبع لها من ظلها ، يذكرها بجمالها الفتان ، وبعينيها الساحرتين . ويردد على مسامعها انه من العبث ان يذبل عودها وتذوى حقيقتها وتقضي بقية حياتها على تلك الوتيرة ! هـو يعرض عليها الاموال الطائلة ، والسيارات الفخمة والمفروشات الثمينة والمجوهرات الغالية ، وكل ما تطلبه المرأة فهل تحقق طلبه ؟ يا له من ذئب في ثوب حمل ولص يريد ان ينهش اعراض الناس .

الباب يقرع بشدة . ما بال السيدة ندى لا تفتحه ؟ انها تريد ان تفر من وجهه ... من وجه هذا المنافق الذي يود ان يستغل ضعفها الانساني . وخرج ابنها فؤاد ليفتح الباب وفرت هي الى المطبخ لتتحاشى رؤية ذلك الشيطان في اثواب القديس وهي تتمتم :

ـ « ولا تدخلنا في تجربة ... !؟

دقت الساعة الواحدة صباحا وندى لا يغمض لها جفن ولا يستقر لها قرار . انها تفكر في الحياة بل في الناس الذين عكروا صفو هذه الحياة .عينها تكاد تفط . هي بين النائمة والمستيقظة . الباب يدق دقات متواصلة . تهب من فراشها مذعورة وتتوجه لتوها الى الباب .

ـ « من . من هناك » ؟

ـ انا نديم . يا عمتي .

ـ « نديم ابن اخيها يقرع الباب في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ـ « ما الخبر . ماذا جرى ؟ »

ـ « والدي مريض » .

وتفرست في وجه نديم فرأت الدموع تسيل على خده مدرارا .

ـ « هل مات اخي ؟ »

فهز لها رأسه !

ـ مات اخي ؟ مانع الذئاب الكاسرة عني ... من كان يعطيني اكثر من ربع راتبه شهريا حتى نأمن شر الفاقة والجوع والسؤال . وهرولت الى غرفتها وتناولت معطفها فلبسته واخذت تركض نحو بيت اخيها . انها تلهث من التعب ، عيناها محمرتان ، دموعها منهمرة على خديها وهي تصيح : « اخي .. اخي .. ! »

ولما رأت اخاها مسجى على سريره والنسوة يبكين ويندبن ، ارتمت على تلك الجثة واخذت تقبلها وتصيح : اخي ، حبيبي . لقد فقدتك ! فقدتك !

وارتفع ضغط دم السيدة ندى ارتفاعا ينذر بالخطر فأشار عليها بكرها ان تزور الطبيب الذي قال لها :

« اخلدي الى الراحة والهدوء وابتعدي عن كل ما يزعجك » هكذا يقول الطبيب ولكن هل يقول ذلك واقع الحياة ؟ .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



كمال رستم

اضواء على الرواية الجديدة

بقلم لوران لوساج

عرض وتلخيص : كمال رستم

* * *

الاسلوب وتركيب الكلام والحوار في الرواية الجديدة

يجب ان ننظر الى الاسلوب وتركيب الكلام في ضوء الرفض الفلسفي للروائيين الجدد فلكي يتخلى الكتاب الجدد عن اللغة التي تهدف الى خلق الابهام بالحقيقة والخطاب العادي ببنائه الكئيب ونتائجه الخالصة . بحث كل كاتب منهم عن تعبير مناسب لهدفه وأمين لرؤياه للاشياء . ولفظة « رؤية » هي اللفظة المناسبة طالما ان الوصف يظهر جليا في الرواية الجديدة . وقد قرر اميل هينريو ان المتضلعين في الرواية الوصفية يشكلون « مدرسة النظرة » ومع كتاب مثل بيتور وروب جرييه واوليه يتضح ان الاسلوب هو بالدرجة الاولى مسألة وصف .

وسبب هذا التأكيد على الوصف واضح جدا ذلك ان فكرة الروائي عن نفسه باعتباره اساسا وعيا مسجلا تجعله اشبه بعين ناظرة هائمة على سطح الاشياء او هو اشبه بالكاميرا لانه كما ان نظام الرواية الجديدة يذكرنا بالافلام كذلك فان معظم الوصف ـ معروضا عرضا موضوعيا ـ اعني في تابلوهات حيث لا يسمح للمعرفة المدركة ان تغير الحقائق التي تفرضها العين . يشبه الوصف ما يراه الانسان في السينما ومن هنا تكون الاوصاف جزئية ومنتقية بنسب تمليها تحديدات الكاميرا او العين او ما ينشغل به الوعي وراء العين .

ولقد اثارت الاوصاف العرضية لروب جرييه الكثير من التعليقات فموريس نادو يرى ان المؤلف كيما يضخم رواية نحيلة يدور حولها بالمسطرة . بينما يرى آخرون العكس من ذلك على طول الخط فيقولون ان العقل هو الذي يكون عرضة لان يدور حول الرواية بالمسطرة وان اي تسجيل حرفي للوعي يظهر الاهتمام الواعي بالاشياء واستشفاف الجزئيات الصغيرة التي يحتفل بها روب جرييه .

والنتيجة هي اوصاف غريبة مثل زوايا الكاميرا على المستويات او اللقطات القريبة لشق ثمرة الطماطم في « المساحات » والتي يمكن ان تستخدم كشرح لدرس في علم النبات . وميشل بيتور يتبع شرود الوعي عندما يركز نظرته على الكتابة المدونة على نافذة القطار ويسجل التحذير المخطوط بثلاث لغات من التطلع من النافذة اثناء سير القطار . هذا الاهتمام بالجزئيات الصغيرة قد يجعل القراءة متعبة جدا ولكن من جهة اخرى يمكن ان ينجم عنه رسم او تصوير فوتوغرافي محبب للاشياء الساكنة. وفي كلتا الحالتين فانها سمة لا ندحة عنها لفن يهدف الى عرض صادق بقدر الامكان للعالم كما يظهر لعين الراوي ، ومع كل مؤلف يسلم نفسه لهذا الهدف فأن الاختلافات الفردية في الوصف سوف تكون مسألة تكنيك اكثر منها مسألة مزاج .

ويمكن للمرء ان يقابل بين اهتمام روب جرييه بالمستويات والسطوح وبين اهتمام بيتور بالرسوم الدقيقة المعقدة المنقوشة سواء كانت لحشرة ملتصقة بالصمغ او نقش في كاتدرائية . وروايات بيتور تشبه المتاحف الاوروبية ومعارض التصوير التي يغرم بزيارتها مع قرائه فهي مليئة بالالفاظ التصويرية الدقيقة حتى كأن ليس هناك ما يمكن ان يتركه . واوصافه عادة لها خاصية وجدانية او حتى ملحمية يفتقدها روب جرييه . فرواية « مرور الوقت » تحتوي على انبعاثات شاعرية للمدينة ـ المشاهد الليلية ـ ومشاهد الشفق التي يبتدع بيتور تصويرها من خلال المطر بفرشاة تكاد ان تكون شرقية اما اوصاف روب جرييه الرياضية فتكاد تكون كلها مرئية ومحدودة بالشكل والخط ومثله كلود اوليه والمقارنة الدقيقة بين الصور الذهنية لكل من الكاتبين تحتاج الى استقصاء عميق ولكن الصور الذهنية لبيتور تعطي الانطباع بأنها اغنى واكثر تنوعا من كل من روب جرييه وتلميذه كلود اوليه الا انها ليست اغنى ولا اكثر تنوعا من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصور الذهنية لكلود سيمون الذي من المؤكد ان اوصافه اغزر من اية اوصاف نجدها في اية رواية من الروايات الجديدة .

وعلى النقيض من روب جرييه وبيتور اللذين يقصران نفسيهما اساسا كسارتر وكيرول على المدن . يغرم كلود سيمون بمناظر الريف التي يستطيع فيها ان يؤطر شخصياته مع الطبيعة . فالاشجار والحشائش والزهور تنمو بغزارة في رواياته معطية ثروة من الجاذبية الحسية . ومن هذه الناحية فهو اكثر الكتاب الفرنسيين الجدد شبها بفوكنر . والسارترية من جهة اخرى تمثلها الصور الذهنية لناتالي ساروت التي نجدها في «الغثيان» وروايات سارتر الاخرى . وناتالي ساروت بمعالجتها الطبقات الدنيا من الحياة النفسية تعرض شخصياتها بطرق تربطها بمخلوقات من ذوات الخلية الواحدة او الدودية . والانطباع هو استعارة معاناة خلال كل رواياتها والاستجابات الانسانية تتحول دائما الى « انتقاءات » وهي العنوان الذي اختارته لاول كتاب لها.

وايا كان الامر فان الكلام عن الاستعارة بالقياس الى الكتابة الجديدة كلام خطر الى حد ما فناتالي ساروت مثلا لا تعتبر كتابتها كتابة استعارية وتشك في التضمين الذي تنطوي عليه لفظة استعارة. ولا جدال في رشاقةالاسلوب الواعي للكتاب الجدد, كما ان احدهم لا يشارك بروست والكتاب الرمزيين اعتقادهم بأن الاستعارة تكون العنصر الاساسي في الفن الادبي .

وعلاوة على ذلك فأن تكنيكالتابلوهات الذي يشترك في استخدامه الكتاب الجدد في وصفهم هو تكنيك مباشر جدا وفوتوغرافي جدا الى درجة تمتنع معه اللغة الايحائية . والكاتب الجديد الوحيد الذي يبدو انه يهتم كثيرا بالاسلوب المجازي هو كلود سيمون الذي يكثر في كتابته الحسية التشبيه والايحاء . ويستخدم ميشيل بيتور وكلود اوليه المجاز بندرة وتمييز كبير وقد رفض جرييه الاستعارة صراحة . وفي مقالته « القيم القديمة والرواية الجديدة » اعلن ان الاستعارة ليست « بريئة » ابدا ويعني بذلك ان الادعاء بأن الاستعارة تعكس او توحي بمشبهات جوهرية في الطبيعة تميل الى ان تلزم الانسان خطأه الاثير اليه في اعتباره الكون يمتلك وحده داخلية ونفسا تشترك معها النفس الانسانية بوجه ما .

فعند روب جرييه سطح الاشياء يكفي . وهو يتحاشى ان يضيف اليها القيم او الصفات خصوصا تلك التي توحي بصلتها الانسانية التي لا تقابل العين . يقول روب جرييه « ان القول بأن الزمن « قلب » او الجبل « عظيم » والتحدث عن قلب الغابة والشمس « التي لا ترحم » والقرية « الرابضة » في جوف الوادي .. فما الذي ستكابده القرية من الخسارة اذا كانت في جوف الوادي ؟ » وقد استوحى روب جرييه هذه الفكرة من سارتر الذي قال في مقالته عن رواية الغريب لكامي : الكاتب الطبيعي في القرن التاسع عشر يمكن ان يكتب « الكوبري عبر النهر » اما مسيو كامي فلا يقول شيئا من هذا التأنيس « اضفاء الانسانية » انه يقول « كان فوق النهر كوبري » .

وتختلف نماذج تركيب الكلام في الرواية الجديدة اختلافا هائلا ليس فقط بين كاتب وآخر بل بين طرق السرد المختلفة التي يتبعها مؤلف ما . ففي الوصف المباشر قلما نجد ما يشذ عن العادي فكتابة روب جرييه لا يميزها غرابة التركيب لان الجزء الاكبر منها بالدرجة الاولى وصفي في طبيعته . وسواء كان المنظر منظورا او متذكرا فانه يعرض في نماذج جملية مباشرة ومبتذلة كتقرير . وحتى جمل بيتور المتكررة هي جمل فذة فقط من ناحية طولها . وحيث نجد تركيبا لغويا غير عادي فانما يكون ذلك في كتابته التي تستهدف تقليد تيار الشعور او المونولوج الداخلي .

وكتابة كلود سيمون تشبه في تحركها التدفق غير الكامل للصورة والفكرة التي تكون مجرى الذهن . فقد يستمر لصفحة او اكثر قبل ان يوقف تدفق الكلام نقطة وقف . والنقطة هي سكتة وليست نتيجة منطقية والعبارات التي تكون الجملة (اذا امكن اعتبارها كذلك) هي كتل فضفاضة دون علاقات نسبية . وكاتب ياسين ايضا يفضل هذا النوع من الجمل في سروده المدغمة وابتعاثاته المتزامنة التي تشبه تيار الذهن . ومونولوجات بيتور الداخلية تتكون من جمل متناهية تتكاثر عباراتها الثانوية لدرجة انها تتحرر تماما من عباراتها الرئيسية . ويتعين على القارىء ان يعيد قراءة الجملة من جديد ليربط اجزاءها .

ومن بين الكتاب الجدد يعطي كل من سيمون وبيتور اقوى انطباع عن الكثافة اللفظية والتعقيد اكثر حتى من بيكيت وبينجيه اللذين يصيفان اسلوبهما ايضا مباشرة على الشعور . وايا كان الامر فان بيكيت يعين الحد الاقصى الذي يمكن ان يصل اليه المونولوج الداخلي في تحلله من النثر المنطقي العادي يصاحبه في مثال واحد بينجيه الذي يعبر بطله عن نفسه في النهاية بالرطانة .

ان الديالوج يكون تقليديا حيلة من اهم حيل الروائي لانه بالتبادل مع التعريض والسرد والوصف يعرض خلق الشخصيات ويحرك الرواية وايا كان الامر فعندما يعرض الروائيون مباشرة ما في اذهان شخصياتهم يميلون الى الاعتماد بدرجة اقل على الديالوج ليصلوا الى اهدافهم وبدلا من ذلك فانهم ينمون تكنيكاتهم تسجيل تيار الشعور والمونولوج الداخلي .

وهكذا في روايات روب جرييه وبيتور وجان بول سارتر من قبلهما ينطوي ابطال هذه الروايات على انفسهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعايشون افكارهم . ومع ذلك فان الروائيين الجدد يدركون الامكانيات الموجودة في الديالوج لخدمتهم ومن بينهم طائفة استغلت الديالوج استغلالا تاما. ففي روايات كتاب كسيمون ولارجوليه وكيرول استخدمت الافكار والانفعالات استخداما خارجيا في المحادثة ، ومن الصعب في رواية « طريق فلاندر » مثلا التمييز بين المونولوج الداخلي والديالوج لان سيمون يتحول فجأة من هذا التكنيك لذاك فالمؤلف يروي الرواية وتتحدث الشخصيات مع بعضها وتتذكر وتعيش الاحداث وتقص الروايات لبعضها بصوت عال او نصف عال او في داخل ادمغتها .

ومن النادر ان نجد محاورة واضحة تبرز من كتلة القصة الخالية من علامات الترقيم فابطال لاجروليه يظهرون وهم يتحدثون مع افكارهم الداخلية ولا وجود اطلاقا للتحفظ او الموانع التي تحكم الديالوج في الحياة . والروائيون الجدد لا يهتمون بخلق الوهم بالحقيقة الخارجية وبالعكس فانهم يتعمدون منع تكوين هذا الوهم . ويذهب كلود سيمون الى ابعد من هذا .. الى التساؤل عما اذا كان كلام ما ـ بعد تسجيله قد نطق به ـ وهل نطق به الان او في وقت آخر الخ. وتكاد هيلين بيسيت تستخدم الديالوج باستمرار ولكنه ليس ابدا النوع الذي الفنا سماعه . ويعترف جان كيرول بأن ديالوجاته ليست حقيقية ويقول : انني احاول دائما ان اصل الى الجوهر وهذا هو السبب الذي من اجله تبدو ديالوجاتي في الواقع ديالوجات غير حقيقية .

وايا كان الامر فانه توجد في الرواية الجديدة ديالوجات تستهدف ان تحاكي الديالوجات الحقيقية . ولقد نحا سارتر على ادعاءات الروائيين الفرنسيين مثل موریاك الذين استهدفوا ان يمنحوا ديالوجاتهم التصديق الواقعي الا انهم جعلوا شخصياتهم اكثر تميزا من نظائرهم في الحياة ، وظاهروا كلامهم بالمغزى . ويفضل سارتر على الديالوج المبتسر الشبيه بديالوج المسرح الذي يتبع التقليد الفرنسي يفضل سارتر الكلام المتلعثم والفج الذي نجده في روايات دستويفسكي وكونراد وفوكنر حيث تخلق الشخصيات في كفاحها للتعبير عن انفسها آلافا من سؤ التفاهم كما تمدنا بكشوف غير ارادية .

ولقد اضحت ناتالي ساروت التي تعرف سارتر والروائيين الاجانب معرفة جيدة النموذج الاكبر للديالوج الروائي كما يراه سارتر ولكنها ليست اكثر من غيرها اهتماما بخلق الايهام الواقعي . فما تبحث عنه ساروت هو ان تظهر بصورة درامية الفارق بين العواطف التي تمارسها الشخصية وبين كلامها غير الحقيقي الذي يظهر على السطح . وروايتها الاولى « انتحاءات » كما لاحظ سارتر اسلمت نفسها بقدر كبير الى الثرثرة . فشخوصها يتكلمون ويستمرون في كلامهم مكررين الاشياء نفسها صارفينها الى معان اخرى ، ثم الى معان اخرى مرة ثانية ، على وجه ثم على وجه آخر عاجنينها ثم عاجنينها ومديرين بين اصابعهم باستمرار وبدون توقف هذا الشيء الجامد التعس الذي اقتلعوه من حياتهم ،(ما يسمونه حياة مجالهم) عاجنينه ،باسطينه حتى يغدو لا شيء بين اصابعهم ، كتلة رمادية صغيرة .

وتحت التبادل الطقسي (نسبة الى الطقوس) للاشياء العادية توجد محادثة اخرى مستمرة مصنوعة من التقدمات والتراجعات والمخاوف والنفور والآمال المطنعة والرغبات وهذه يسميها سارتر « المحادثة التحتية » . فهم يجب ان يتكلموا ويتكلموا مثل شخوص بيكيت حتى ولو لم يكن هناك ما يقولونه وكان الافضل ان يلزموا الصمت . ومثل شخصيات مارجريت دبراس ايضا الذين « يرغبون » باستمرار دون ان يقولوا شيئا ومع ذلك يكشفون انفسهم ويتصلون بنوع من الانكسار تحت ثرثرتهم . وحوار روب جرييه العرضي يتألف كلية من التبادل السديد المحكم للاشياء العادية الاجتماعية فالمتجر في المساحات يضيع النهار مع الناس الذين يقابلهم والبائع في « المتلصص » يعمل مثل ذلك .

ولكن بالرغم من الطبيعة العادية لمثل هذه المحادثات فانها لا تنتج الوهم بحقيقة كل يوم . انها تبدو بالاكثر كقطع من المحادثة التي تظهر في الاحلام بارزة من عالم الملائكة الغريب لروب جرييه وبتكرارها في سياق زمني غريب تحصل على تأثير خلطي (هلوسي) حقيقي . انها عادة توحي بأكثر مما تقوله ولكن في « الغيرة » يقترب روب جرييه من ساروت في ابدالها بين المحادثة والمحادثة التحتية . وهنا تأخذ الملاحظات المبتذلة والاشارات الروتينية عن رحلة الاستبضاع او شراء كتاب جديد خاصية العلامات الملغزة والنذرة . ويعرض بيتور وبينجيه واوليه ديالوجهم ايضا كتبادلات عادية مختصرة الا انهم ايضا ينتجون خاصية غير حقيقية مخيفة شبيهة بالاشياء المألوفة في منظر سيريالي موحي بالمعاني الغامضة وباشياء كثيرة لم تقال . وناقشت ناتالي ساروت مشكلة الديالوج في مقالها « المحادثة » والمحادثة التحتية .

وبعد ان عرضت لراي هنري جرين القائل بالاهمية المتزايدة للديالوج في الرواية الانجليزية اوضحت انه بالرغم من ابتذاله فان خطاب الشخوص هو التعبير الخارجي لشيء جار من الداخل ويمكن ان يصبح ذا غناء كبير للروائي وعندها ان ايفي كوبتون برنيت ورواياته كلها عبارة عن محادثات توضح قوة الديالوج والمحادثة هنا ليست ابدا محادثة كلامية الا انها ايضا ليست ابدا كاذبة او بلا مسوغ فالديالوج هنا يمثل امتزاج الكلام السطحي والمواصلة غير الواضحة التي تجعل الشخصية في هيئة لا تبارى .

وبالاختصار فان الديالوج له مكان هام في الرواية

الحصاد

أجدبت أرضي وأودت جنتي فهي يباب
وذوى غصني وألقى زهره فوق التراب
تولول الريح ان مرت بواديها
على تذكرها اطياف ماضيها

مرت السحب وفي احشائها الري جنينا
وترابي لهب يهفو الى الماء حنينا
سقته حتى نسي ان كان عطشانا
واهتز بالخصب بعد المحل مزدانا

موسمي الحافل بالنعمى وبالخيرات عاد
بعد عام عقمت ارضي به حان الحصاد
من بعد ان طال شوق الطين للماء
لنطفة من بنات الغيم عذراء

يبسم الرمان في روضي ويختال الكرز
والعناقيد على الكرم نشيد ورجز
تبلور النور في حباتها عنبا
يميل للريح ان مرت به طربا

بيدري ملآن قمحا وجراري مترعات
وغصوني مثقلات بالثمار اليانعات
نجوس في ذلك البستان ما شينا
جانين من ثمر غض أفانينا

من يد الفيض نوافي نعم ما أكثرا
ما اكتسبناها ولكن حظنا ان نشكرا
نسيت ما كان من جدبي وامحالي
لما تنقلت من حال الى حال

تنمحي العتمة في النور وتنهار السدود
عندما ترعشني اللمحة من سر الخلود
اذ ذاك اسمو على المحدود والفاني
ويدرك المطلق الابدي وجداني

الجزائر — جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجديدة ولكنه ليس النوع الذي الفناه في الروايات التقليدية . فالكتاب الجدد لا يحضرون شخوصهم بطريقة دورية ليقدموا الحكاية ويخلقوا جوا شبيها بجو الحياة يجعلهم يتحادثون . المحادثة تحدث كشيء طاف على سطح الوعي واذا كانت تبدو تافهة الا انها تدل على نشاط خفي في الاسفل .

وفي رسالة لصديقته مدام ستراوس قرر مارسيل بروست أن على كل الفنانين ان يخترعوا لانفسهم لغة جديدة ولا شك ان الروائيين الجدد بنظرتهم الفلسفية والجمالية خلقوا ثورة في التعبير ولكن ما اراد ان يقوله مارسيل بروست هو ان على كل فنان ان يعتبر ان واجبه الاول ان يجد طريقة لترجمة رؤيته الداخلية الخاصة .

ويرى بعض النقاد ان خلق لغة جديدة توائم المبادىء المصادق عليها قد تخاطر باهمال الرؤية الداخلية ، وكل ما تعمله هي ان تستبدل تقليدا بتقليد . الا ان هذا لم يحدث فجان بول سارتر مثلا بالرغم من انه مصدر نظرية الرواية الجديدة يكتب بالنثر التقليدي وروب جرييه يعلن صراحة انه لا يكتب بنفس الطريقة التي يدعو اليها ، ومارجريت ديراس تتأرجح بين الكتابة الجديدة والرواية القديمة . واكثر من ذلك فان الكتاب الجدد يحتفظون بحق التجريب فبالرغم من ان هدف منهج الظواهر هو مزج الماضي والمستقبل في الحاضر ، فان الزمن الحاضر ، لم يستعمله كل الروائيين الجدد . وروب جرييه نفسه اذا كان يستخدم الزمن الحاضر في رواية من رواياته فانه يفضل ان يستعمل الزمن الماضي في الرواية التالية.

وايا كان الامر فان الرواية الجديدة تحاشت انيكون لها شكل جامد واذا كانت الرواية الجديدة قد اكتسبت في موطنها وفي الخارج جمهورا كبيرا من جهة ومن جهة اخرى لاقت اعتراضا كبيرا فقد يكون في هذا الراي لكاتب جديد هو مارك سابورتا فصل الخطاب :

« ان رواية المستقبل لن تكون شيئا اخر غير مركب من الاشكال التقليدية والتكنيكات الجديدة » .

القاهرة — كمال رستم

امتدت المدينة في الوادي وعلى سفحي جبلين عريضين شامخين ، فبدت كأشياء سقطت من أيدي اصحابها في بئر ولم يستطيعوا استردادها . المدينة تعج بالسكان والحركة والنشاط . ولكن السكان يبدون بين الجبلين كأنهم منقطعون عن العالم . في المدينة ابنية فخمة وتجار مياسير وموظفون اذكياء نشاط ، ولكن الزائر الغريب يلاحظ ان في المدينة نقصا وهو خلو اعالي الجبلين من العمران ، ويرى ان اصحاب منازل المدينة وعماراتها كان ينبغي لهم ان يشيدوا ابنيتهم في اعالي الجبلين بدلا من ان يقيموها في الوادي وعلى سفحيهما . في الوادي هواء فاسد محصور وتجوال مضغوط ، وفي قمتي الجبلين حرية وهواء طلق نقي . واذا صارح الزائر احد اهالي المدينة **المثقفين بذلك** اجابه هذا بأن اهالي البلدة القديمة من المدينة بنوا دورهم على مقربة من العيون والمياه المتفجرة في الوادي وعلى سفحي الجبلين ، وان جميع المدن القديمة كانت قريبة من ينابيع المياه . ومع ذلك فقد كان كثيرون من السكان يتذمرون مما يعانونه من ضغط وحرمان سببهما وضع المدينة ، وتمنوا لو ان في قمة احد الجبلين مصيفا يصعدون اليه لقضاء ساعة فيه يتمتعون في خلالها بالمناظر الطبيعية الساحرة التي تحدق به وباستنشاق هواء لطيف ينعش نفوسهم واجسامهم .

وكان لاحد وجهاء المدينة، واسمه عمر ، قطعة واسعة من الاض تقع في أعلى احد الجبلين ، وهي تشرف على بساتين مؤلفة من اشجار مثمرة مختلفة كأشجار التين والتوت والبرقوق والدوالي . وكان بعض اصدقائه يقترحون عليه ان ينشىء في تلك القطعة من الارض مصطافا يقصده اهالي المدينة في ايام الصيف القائظة . ولكنه كان يقابل اقتراحهم في فتور لانه من الاثرياء المعروفين ، وتجارته تدر عليه اموالا جزيلة لا يحتاج معها الى دخل يعود عليه من مصيف يتكلف بناؤه الشيء الكثير من ماله ، وقد يجر عليه خسارة جسيمة . وهو الآن كهل تميل نفسه الى الراحة والسكون بعد تلك السنين العديدة التي مرت من شبابه وهو يكدح ويغامر ويتألم في جمع ثروته الطائلة . كل ما يهمه اليوم ان يشرف على اعماله اشرافا مخطوفا ، وان يجلس بعد العصر في قهوة الكرداني كعادته معتمرا بكوعه على الطاولة ، وامامه النارجيلة يقهقه باطنها في الماء ويحترق رأسها تحت جمرات صفار تبعث من حين الى آخر دخانا هائما ، ومن حوله بعض أصدقائه المتملقين المسايرين

من اول صدمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

يمازحونه ويسلونه تارة ويلاعبونه الورق اخرى . ولكن اقتراح تشييد المصطاف كان يعاود أذنيه من حين الى آخر . وقد ازدادت حماسة المقترحين نشاطا وشدة ، فوجه الى ذلك الاقتراح شيئا من تفكيره ولا سيما بعد ان قال له احد المقترحين: « أنت لها يا ابا عدنان . انك الرجل الوحيد الذي في امكانه ان يقوم بهذا المشروع الحيوي الذي يحتاج اليه كل شخص من سكان المدينة » .

وجد عمر نفسه منساقا في طريق



تنفيذ ذلك المشروع ـ تشييد مصطاف في ارضه الواقعة في أعلى الجبل . اتفق مع البلدية على مشاركتها اياه في انشاء طريق معبد بالاسفلت تمتد من المدينة الى اعلى الجبل ليتمكن اهالي المدينة من الذهاب الى المصيف بعد اقامته . ثم جلب حجارة بعضها بيض وبعضها حمر ، وشرع في البناء . وبعد مضي بضعة اشهر تم بناء ضخم مؤلف من عدة غرف واسعة . وقد احيطت به ساحة غرست فيها الوان من الاشجار الدائمة الخضرة . وشيدت في منتصف الساحة بركة انيقة ينبعث منها الماء في قوة بشكل عمود ثم يتساقط مطرا في داخل البركة. واقيمت على اطراف الساحة اخصاص تحتضنها نبتات متسلقة . وكانت محتويات البناء جديدة : الكراسي والطاولات والكنبات . الكؤوس بلورية تلمع كالماس وتزيد الماء التي تمتلىء به عذوبة وصفاء . وفناجين القهوة تزيد زخارفها القهوة لذة وحلاوة . وهناك خادمان يرتديان ملابس سودا انيقة نظيفة كأنهما شابان محترمان مدعوان الى حفلة لرجل ثري .

وكان الاقبال على المصطاف مدهشا . تدفق الشبان من كل صوب من المدينة على السيارات للذهاب الى ذلك المصطاف الجميل ليروا شكله وليتمتعوا بساعة هانئة في جنباته . فانشرح صدر عمر ، وتفتحت نفسه ، واشتعل قلبه حماسة ، وراح يقول للمصطافين : « ان اقبال الجمهور على مصيفي يشجعني على ان أبني فندقا كبيرا يقيم فيه المصطافون الغرباء الذين يؤمون مصيفي من بلاد بعيدة . واني على استعداد لفتح مطعم فيه لتقديم اشهى الوان الاطعمة اليهم » .

ولكن بعد مضي بضعة اشهر بدأ الاقبال على المصطاف يفتر . ولم يدر عمر لذلك سببا . كان شبان المدينة من قبل يقول بعضهم لبعض :

ـ « هل رأيت مصيف ابي عدنان الفاخوري ؟ » ـ « كلا . انني لم اذهب اليه بعد » . ـ « اذهب اليه في الحال . لا تضع عليك الفرصة . انه مصيف جميل لا مثيل له » . اما اليوم فان بعضهم يقول لبعض : ـ « هل ذهبت الى مصطاف عمر الفاخوري ؟ » ـ « اجل ، لقد ذهبت اليه ثلاث مرات . لقد مللت الجلوس فيه » .

وهكذا احبط ذلك المشروع الحيوي الهام، ولم يقصد المصيف سوى عدد قليل من الشيوخ الكسالى الذين لا عمل ولا أمل لهم . راحوا يقضون بضع ساعات في ذلك المصطاف ساردين حوادث شبابهم ومغامراتهم الماضية في تحسر وتلهف تارة وناقدين بعض رجال المدينة نقدا تهكميا يثير الضحك ويجلب التسلية تارة اخرى . وكان عمر يسخط ويثور كلما سمع تلك الزمرة من الشيوخ وهم يطلقون ضحكاتهم في ارجاء المصطاف ، اذ كان يتوهم انهم يسخرون منه ومن مشروعه الكاسد. ولم يدر في خلده ان الناس من طباعهم ان يشجعوا كل مشروع جديد في اول الامر ، ثم لا يلبثون ان يخذلوه فيما بعد اذ يشعرون بالملل من ملازمة الشيء الجديد الذي لا يتطور ولا يولد شيئا آخر جديدا.

واخذ عمر يلعن المصطاف والمصطافين والساعة التي فكر في خلالها في اقامة ذلك البناء الضخم لقوم لا يقيمون لجهوده وزنا .

اصوات من الداخل : انتم الذين ورطتموني في ذلك المشروع الغريب. كان ينبغي لي الا أصغي اليكم وانفذ اقتراحاتكم . لقد الحقتم بي خسارة فادحة أيها الاغبياء . تريدون مصطافا جميلا في اعلى الجبل . وهل يليق بكم مصطاف كمصطافي ؟ انكم لستم أهلا له) .

« اصوات من الخارج : ـ ان الناس في هذه الايام منصرفون الى ما فيه فائدة لهم ولاولادهم لا الى انفاق اموالهم على مصطاف أجوف كمصطافك . صدق الذي قال : « مصاري المجانين تجري في مجاري الحمامين » .

(اصوات من الداخل : لقد انفقت جانبا من اموالي على تعبيد الطريق وعلى بناء مصطاف لم اقدر ما يعود علي منه من نفع . ان مالي وللاصطياف والمصطافين ؟ ان اهل مدينتي لم يتعودوا القيام بمشروع كهذا . لقد كانت مغامرة مني ـ مغامرة في مدينة يعطون فيها القرش قيمة اكثر مما يستحق منها) .

« اصوات من الخارج : ـ انظر ! انظر الى عمر الفاخوري . ما اصغر



عبد الحميد الانشاصي

●

عقله ! لقد انفق نقوده على بناء مصطاف في اعلى الجبل . هل رأيت رجلا اسخف عقلا منه ؟ »

(اصوات من الداخل : ان أهل مدينتي تعودوا الالتصاق بالاشياء القديمة ، وهم يقاومون كل مشروع جديد . تعودوا الجلوس في المقاهي. انها هي مصطافهم وناديهم ومكان راحتهم وانسهم . ولو اني انفقت نقودي على بناء دار في المدينة بدلا من انفاقها على تشييد ذلك المصطاف اللعين لكان دخلي من الدار ثلاثة اضعاف دخلي من المصطاف . انهم لا يستحقون مصطافا كهذا) .

« اصوات من الخارج : ـ ان وجه عمر الفاخوري ليس وجه صاحب مصطاف . لم يتعود قط ادارة أي مصطاف في حياته. هذا المشروع جديد عليه ، لذلك فشل فيه . كان ينبغي له ان يستشير ذوي الخبرة » .

(اصوات من الداخل : يا ابا عدنان ابن مصطافا لنا. يا ابا عدنان انت لها . ها قد بنيت لكم مصطافا. فأين تشجيعكم ؟ لقد بذلت الوفا من الدنانير في سبيل هذا المشروع الذي الححتم علي في تنفيذه . وانتم الآن تضنون علي ببضعة قروش تنفق على شرب كأس من الشاي او فنجان من القهوة) .

« اصوات من الخارج : ـ لماذا تصغي الى كلام الناس ؟ انهم لا ينفعونك وقت الضيق . كلهم ينفضون عنك . أنت لست ولدا صغيرا . كان ينبغي لك ان تعمل فكرك قبل القيام بذلك المشروع الضخم » .

واخيرا لم يجد عمر بدا من تحويل المصطاف الى دار للايجار . ان له عدة دور مستأجرة في المدينة ، فلم لا يكون مصطافه دارا كغيرها من الدور ؟ اما اثاث المصطاف فقد باعه بثمن بخس . وقد خيم جو مخيف من الهدوء والسكون على الدار التي كانت من قبل مصطافا ، وخلت الطريق المؤدية اليها من السيارات فبدت سوداء كشريط جداد على كم رجل فجع بموت ابنه .

★

تخرج عصام في الجامعة منذ بضعة اسابيع . والفرع الذي تخصص به هو علم الاجتماع . عرضت عليه وزارة التربية والتعليم وظيفة من الدرجة السابعة فرفضها. ان وظيفة كهذه لا ترضي طموحه . انه رجل ذكي ، وقد نال شهادته

بتفوق . فكيف يرضى بالدرجة السابعة ؟ انتهى اليه نبأ المصطاف الذي انشأه عمر الفاخوري فهز رأسه في ابتسام وقال لمحدثه : « الحق على عمر . انه لم يعمل فكره ويجدد مشروعه . حل به اليأس في اول الطريق. لم يعرف كيف يجتذب اليه المصطافين » .

منذ تلك الساعة وعصام يفكر في امر المصطاف . لماذا فشل مشروع عمر الفاخوري ؟ وكيف ينجح ذلك المشروع اذا قام هو به ؟ اخذ يفكر في ذلك نهارا وليلا حتى اتخذ في نفسه قرارا باعادة القيام بذلك المشروع الهام . رأى ان المدينة في حاجة شديدة الى مصطاف ، ولكن ذلك المصطاف يجب ان يشتمل على الوان شتى من التسلية . يجب ان يجدد من حين الى آخر . هذا ما خطر في بال عصام . انه لم يستشر احدا ، ولم يستعن برأي انسان . اعمل فكره بضع ساعات . وهذه هي ثمرة تفكيره . انه مثقف واسع الاطلاع ويثق بنفسه . لذلك فكر تفكيرا مستقلا . وقد شعر بدافع يحدوه على تنفيذ خطته .

ذهب الى المصطاف الذي شيده عمر الفاخوري واضحى الآن دارا عادية ، وشاهده وسرح بصره في غرفه وفي الساحة التي تحدق به والبركة التي بنيت في وسطها ، فانبثقت في قريحته افكار وفي مخيلته صور .

(اصوات من الداخل : مسكين ذلك الرجل ! ان بركة صغيرة كهذه البركة مألوفة ، وامثالها كثيرة في المدينة . لم لم يخطر في باله ان يبني بركة واسعة للسباحة ؟ اليس ذلك افضل ؟ لو فعل ذلك لاجتذب اليه عددا كبيرا من الزبائن . ان المدينة في حاجة شديدة الى بركة للسباحة . وكثيرون من الشبان يتوقون الى تعلم السباحة . يمكنهم ان يتعلموا فيها . انها فكرة بديعة).

(منظر في الداخل : يستأجر عصام البناء الذي اقامه عمر بعد ان بنيت له بركة واسعة للسباحة . تهافت الشبان على البركة ، واخذ بعضهم في السباحة ، وبعضهم في تعلم السباحة . ووقف عصام بجانب البركة ينظر ويبتسم في تفاؤل وابتهاج) .

ـ ابا عدنان .

ـ ماذا تريد ؟

ـ لقد علمت انك شيدت مصطافا في أعلى الجبل ولكنك لم توفق في عملك .

(استعجلت . لو انك فكرت مليا لاهتديت الى طريق النجاح) .

فهز عمر رأسه في أسى ، ثم قال بصوت منخفض :

ـ نعم . وما قصدك من ذلك ؟

(لقد ذكرتني بشيء نسيته ولا اود ان اذكره) .

فابتسم عصام ابتسامة هادئة طويلة العمر ، فكاد عمر ينفجر غيظا منه اذ ظن ان عصاما ابتسم تهكما به ، وكاد يسمعه كلاما قارصا لولا ان ذاك سبقه الى الكلام بقوله :

ـ اريد ان استأجر منك البناء الذي شيدته في أعلى الجبل .

فزوى عمر ما بين عينيه مفكرا ، ثم قال بعد برهة :

ـ لماذا ؟ ان البناء مشغول الآن ، فقد استأجره شخص ، وهو الان يقيم فيه هو واسرته .

ـ بكم استأجر الرجل بناءك ؟

ـ بمئتي دينار .

ـ انني على استعداد لان ادفع لك ثلاثمائة دينار ايجارا اذا اخرجت المستأجر من بنائك ولو لقاء مبلغ تدفعه له لاخلاء الدار .

ففكر عمر ثانية تفكيرا حائرا ثم قال :

ـ هل تريد ان تسكن فيها ؟

ـ أسكن فيها ؟ كلا .

(اريد ان اعيد بناءك مصطافا كما كان ، فقد أسأت استعماله ولم تعرف كيف تدبر امره) .

ـ لاي غرض تريده اذن ؟

لقد حيرتني . انك رجل غريب الاطوار . لماذا لا تصارحني بما في نفسك ؟)

فابتسم عصام في أمل وثقة واجاب :

ـ اريد ان اعيد بناءك مصطافا كما كان .

(وساعتئذ تندم على تحويل بنائك الى دار عادية) .

فضحك عمر ضحكة موجزة ثم قال :

ـ هل تريد ان تمنى بمثل الخسارة التي منيت انا بها ؟ انصحك الا تفكر في مشروع كهذا .

(هل انت مجنون ؟ اقدم لك نصيحة بلا ثمن ، ولكنك ان نبذت نصيحتي كلفك المشروع ثمنا باهظا) .

فهز عصام رأسه ثم قال :

ـ سأجرب . دعني أغامر . انني على يقين بأنني سوف انجح .

ـ تنجح ؟ هه ! انت مسكين . الا تزال مصرا على رأيك ؟

ـ كل الاصرار .

ـ حسن ! افعل ما يحلو لك . يمكنك ان تستأجر البناء .

(المفلون في الدنيا كثيرون) .

استأجر عصام البناء بعد ان بنيت بركة سباحة واسعة في ساحته . وكان الاقبال عليها شديدا من التلاميذ والشبان لتعلم السباحة . وكان كثيرون منهم يذهبون الى المصطاف بدون ان يتناولوا غداءهم في دورهم . فلم يجد عصام بدا من ان يفتح في المصطاف حانوتا صغيرا يبيع فيه الوانا من الساندويش. وقد أدر عليه الحانوت ربحا غزيرا .

ونجاحه في مشروع البركة شجعه على التفكير في مشروع آخر ـ مشروع يجتذب به الرجال . اتفق مع زمرة من هواة الغناء والعزف على آلات الطرب على ان يقيموا حفلات ساهرة في المصطاف . وقد حقق بذلك رغائب كثيرين من الرجال الذين يعشقون الالحان والطرب . وكانت ساحة المصطاف تغص بهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانسان والقمر

★

اينما كنت في الوجود غريبا ... في بلادي وفي بلاد سواها
فارفع الطرف للسماء طويلا ... هائما في رحابها ، ومداها
وارع سمعا ففي السماء حديث ... هز نفسي فاستيقظت من كراها
وأصغ فالنجوم ترقص جذلى ... حالمات وللنجوم هواها
قانتات مؤرقات جفون ... قلقات ترى الضياء الالاها
ضاحكات منا ومن كل غر ... عندما راح قاحما اجواها
عجبا لابن آدم وهو في الار ... ض ، غريب ، عن نفسه ومناها
يقتل الخير في النفوس ويجني ... ناهبا من حليها احلاها
قدس الشر فهو عبد هواه ... ناحرا من حقوقه اسماها
هاتكا حرمة الكواكب مختالا ... فخورا يضج في ارجاها
وارى الناس في جحيم مقيم ... عضها الجوع واستباح حماها
وعلى الارض الف داء دوي ... اصلحوا الارض تصلحوا عقباها
قبل ان تطلقوا الصواريخ جوا ... حرروا النفس من كثيف دجاها
حرروا الفكر فهو اعظم ((زخما)) ... من صواريخ تبعث الانتباها
حاربوا الجهل والخصاصة في المرء ... وخلوا السماء في رؤياها

اطلق الفكر من قيود تراب ... انا بالفكر قد عرفت الله
وتنقل بمركب من خيال ... في سماء من الضياء ذراها

لا باز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

ليلا . اما في النهار فقد كانت بركة السباحة تغص بالتلاميذ السابحين.

وقد انتهى نبأ ذلك المصطاف الجديد الى اسماع الناس الذين يقيمون في خارج المدينة ، فصار كثيرون منهم يقدمون من بلادهم وقراهم للسباحة في البركة او للاستماع الى اغاني فرقة الشبان. ومنهم من كانوا يقضون ليلتهم هناك في غرف أعدت فندقا لهم . وكان في ذلك ربح جديد اضيف الى الربح القديم . واصبح اسم ذلك المصطاف يتردد في كل مكان ، وتردد معه اسم عمر الفاخوري واسم عصام البكري . سخر الناس من عمر الفاخوري وتهكموا به ، واعجبوا بعصام البكري ، واثنوا على براعته في ادارة المصطاف واجتذاب الزبائن اليه .

وفي ذا ت يوم قصد عمر الى المصطاف ليتفقده وليروح نفسه . وحينما دخله لم يجد عصاما جالسا وراء طاولته كما كان هو يفعل ، بل وجده يتنقل من مكا نالى آخر في خفة ونشاط ليطلع على ما يجري في المصطاف . فذهب اليه عمر . ولما واجهه قال له مبتسما ابتسامة خفيفة متألمة :

ـ لقد نجحت .

(ما أسوأ حظي !)

ـ أرأيت ؟ الم اقل لك انني سوف انجح ؟

(ينبغي للانسان ان يعمل فكره).

ـ انك محظوظ .

(ولست منحوسا مثلي) .

ـ لقد اجهدت نفسي حتى اصبحت محظوظا . ان الانسان هو الذي يجلب اليه الحظ .

ان الظروف هي التي تجلب الحظ الى الانسان .

ـ ولكن الرجل الذي يسعى للنجاح ينبغي له ان يخلق الظروف المواتية له لكي يتغلب على الظروف المقاومة له .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



المسرح في مفترق الطرق

تأليف جون جاسنر ـ ترجمة سامي خشبة ـ ٥٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات دار الكاتب العربي بالقاهرة

موقف المتفرج المصري من المسرح العالمي ومتابعته مثل موقف القارىء المصري من الادب العالمي وتطوره سواء بسواء . فهو بعيد بل متأخر عنه بسنوات طويلة ، رغم المظاهر البراقة الخاوية التي تحاول بها الاصابع البهلوانية ان توهمنا بانها آخر صيحة حقيقية في أدب ومسرح ما وراء بحارنا ! ولا شك ان عطاء المسرح خارج بلادنا في الاعوام الاخيرة كان قويا وحيا مهما تختلف الآراء حوله وحول أصالة ما قدمه من الاساليب الجديدة . ان مسرح منتصف القرن وبمعنى آخر المسرح بعد الحرب العالمية الثانية في المرحلة الواقعة بين ١٩٤٥ ـ ١٩٦٠ الذي يسميه البعض مسرح مفترق الطرق ، يمكن ان يعيد أخطر مراحله في القرن الاخير جميعا . حفل بتيارات كثيرة . رفع البعض مثلا شعار نهاية الكلاسيكية ، وحدث تصادم بين المذاهب الطليعية ، ونفى البعض ما يسمى بوجود المذاهب الطليعية أصلا واكد عدم جدتها لان اكثرها يبلغ من العمر خمسين عاما وانها ليست الا صورة اخرى لمسرحيات ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر في اعمال سترندبرج والفريد جاري مثلا ! وقد عكس هذا كله الحاجة الملحة الى وسائل جديدة تعبر عن الانسان الحديث الذي لا يكاد يجد نفسه فيما يقدم اليه اليوم على المسرح .

لقد بدأت ازمة المسرح الامريكي مثلا عندما فقد الاتصال بقاعدته عن طريق تعبيره عن الافكار الحديثة الغريبة بأسلوب اخراجي متقدم . وفشلت محاولات الكثيرين من المسرحيين المحترفين في انقاذه ، بينما نجحت محاولات أخرى كان أصحابها من غير المحترفين في الاقاليم والمدارس والجامعات . وبينما كان هذا يحدث في الولايات المتحدة كانت بلدان أخرى لا تقاسي مثلها هذه الازمة ، فالمدن الالمانية مثلا كانت تسير على تقاليدها فتقدم اعاناتها المالية للمسارح ، وروسيا تدعم فرقها المسرحية ايمانا برعاية الفن الملتزم . ان دراسة تناقضات مسرح القرن العشرين تبدأ من موقفه ازاء الواقعية . فبينما كان مسرح القرن التاسع عشر لا يؤكد الواقعية تأكيدا متزايدا الا لكي يحطم قيودها في التطبيق العملي ، فان مسرح القرن العشرين كما يقول جون جاسنر لم يجحد الواقعية ويتنصل منها الا لكي يحتفظ بها بالقرب منه بصورة جوهرية والا لكي يقويها بالاساليب الفنية المعادية للنزعة الطبيعية . ولقد تبلور اتجاهان ازاء الواقعية ، الاول ما سمي بالمسرح المستقل الذي يقود الفن الدرامي تجاه الواقعية متخذا جانب الحياة اليومية وجانب النثر منتهجا مبدأ الايهام المسرحي بالتماثل مع الحقيقة . والاخر « حركة مسرح الفن » الذي أبعد الواقعية عن الفن من خلال الخيال والتجارب الغريبة وشعر الدراما . والاختلاف الجوهري بينهما ان الاتجاه الاول يهتم بالحقيقة ، والاتجاه الثاني يهتم بالجمال منتهجا الصنعة المسرحية وبلفظ آخر الايحاء بان ما يراه الجمهور على المنصة ليس حقيقة واقعة وانما هو تمثيل ..

وعندما ظهرت الرومانسية على المسرح لم تغير تغييرا يذكر في طابع مسرح القرن العشرين الواقعي ، لانه من الصعوبة محاولة التفرقة في النسيج الواحد بين الخيط الواقعي والرومانسي . فالواقعية كما يقول الاستاذ تشارلس هـ. جراند لا تتبع الرومانسية كما تقول المراجع ، وانما تتواجدان جنبا الى جنب . وفي بعض الاحيان تبرز احداهما على السطح وتختفي الاخرى ولكنهما موجودتان طوال الوقت . وعندما جاءت الرمزية بين اعوام ١٨٩٠ ـ ١٩١٠ لخلق نوع من الشعر الموحى المتدرج النغمات وبذر فكرة العالية واللانهائية في المسرح عن طريق الايحاء والتبسيط ، لم تستطع هي الاخرى ان تنسف الواقعية او تضعفها لان الواقعية نفسها استعانت بأسلوب الايحاء والتبسيط في ابعاد كل ما هو منبت الصلة بالعمل المسرحي بها . وكذلك فعلت الواقعية بالنسبة الى التعبيرية !

وفي حقبة منتصف القرن العشرين كان المؤلف المسرحي هو الآخر في مفترق الطرق ، وان اختلف عن كتاب الفنون الاخرى في انه كان اكثر تعبيرا عن بلبلته وتشتيته ، لاستشعاره الدائم بانه يخاطب جمهورا كبيرا يستجيب له تحت تأثير روح اللحظة القائمة وكذلك مسؤوليته فيما يتكلفه تجسيد النص المسرحي من تكاليف . ان المؤلف المسرحي يجد نفسه غالبا أمام طريقين لا ثالث لهما .. ان يستسلم لفكرة المتوسط والاعتدال استجابة لاهتمامات العامة الشائعة ، او ان يستجيب هو لتيار التطور العريض لفنه . وغالبا ـ بالنسبة الى الكاتب العادي ـ ما يختار الطريق الاول السهل الواقعي ! وهذا الموقف الخاطىء او ما يطلق عليه الاستسلام للدراما التقريرية او للمسرحية « الاستنسيل » ، ما يدعو الى الوقوع في خطأ آخر هو عدم التفرقة بين الواقعية السابقة والواقعية الدرامية ! وأدى هذا الخلط ببعض الكتاب الجدد الى عداء الواقعية والبحث عن أي منهج آخر يجدون فيه عوضا عنها ، زاعمين بأن أي شيء آخر يتناقض مع الواقعية فانما هو فن في حد ذاته . وهكذا فانهم يعتقدون ان الغموض هو العمق وان النزعة الحسية هي القدرة الخلاقة ! يقول جاسنر ... « يحتاج كتاب المسرح الى احساس بالارتباط بين الاشياء والتلاحم بينها . لا بد لهم ان يشعروا بانهم لا يخلقون في الفراغ ، وانهم لا يخلقون من عقل خال وروح خاوية ، حتى ولا للمسرح ذاته اذا ما نظر اليه باعتباره مؤسسة ذاتية هي في جوهرها نوع من الفراغ » فالفن عند كتاب المسرح الكبار على اختلافهم مثل بريخت وابسن وبرناردشو واونيل ، ليس هدفا في حد ذاته ولكنه وسيلة الى مخاطبة البشرية . وهكذا كانت الدراما الحديثة واقعية نقدية .. واذا كانت هذه الواقعية قد توهجت بالامس بالتفاؤل فقد توهجت اليوم باكتشاف الحقيقة وزوال الوهم كما تعكسها مسرحيات بيكيت ويونيسكو ودورينمات . ولا يعني عدم الايمان بالفن للفن اهدارا للقيم الجمالية بقضاياها وافكارها ، فتناسقها له ايجابيته وانسانيته ايضا وهما عنصران ضروريان في العمل الفني . ولكن لماذا تبدو واقعية اليوم عادية وتافهة والنزعة الجمالية خاوية وزائفة ؟.. ليس من شك في ان الوضع السياسي والاجتماعي المعاصر قد اوهن من التاليف المسرحي واضعف من قدرته محولا اياه الى شيء مستانس زئبقي مراوغ ، او الى شيء وديع لطيف سطحي . هذا بالاضافة الى استفحال الضعف الذي يدخل في تركيب كل من الاسلوبين .

ويثار تساؤل اصبح تقليديا وهو ، هل من الممكن ان تكتب التراجيديا في العصر الحديث ؟! الكثيرون ينفون ذلك ، فليس للفن

الذي يتناول مصير الافراد المتوحدين ان يعالج عصر الانسان العادي . ولكن مؤلفنا يجيب بأن عالمنا وان تميز بتشابه او تماثل يبعث على الضيق والضجر ، الا انه عالم مقسم مجزأ بشكل متناقض . فالاساطير او التعاليم التي تؤكد استمرار القيم ، والدين الذي يربط بين الفرد والكون ، والبناء الطبقي الثابت ، هي الاشياء التي تستطيع ان تكون لنا العمل الدرامي ذا الدلالة . لقد امتدت آفاق الفن التراجيدي عن طريق تبني انواع متعددة من الوسائل التكنيكية التي ابرزت الصراع الداخلي ومن خلال الصور الطبيعية التمثيلية التي وضعت حلقة مغلقة من الحتمية حول الفعل الدرامي للفرد المعين . ان التراجيديا لا تكفي فلا بد من الذهاب الى ما وراء التراجيديا ايضا .. لانها ليست الا مرحلة واحدة فحسب في عملية تربيتنا لانفسنا . ولفظة التراجيديا قبل كل شيء لا يجب ان تكون مصطلحا شرفيا ساميا ، تقاس به المسرحيات رداءة وجودة كما يذهب الكثيرون ، فبهذا تتحول التراجيديا الى قيمة اكثر من كونها نوعا من انواع الكتابة الادبية .

والعلاقات الاجتماعية هي التي اعتمد عليها المسرح الحديث منذ ابسن حتى اليوم . وهكذا اشتهر بريخت وميللر واوزبورن وجان جيرودو . ولكن هذه الاهتمامات الاجتماعية في المسرح اخذت تحتضر بعد الحرب بعد ان عاشت اكثر من قرن.. وأخذ الكتاب الجدد ينظرون الى اصحاب مسرح المجتمع كعاطفيين مضطربي التفكير ! ساعد على ذلك ان المسرحية الاجتماعية تحولت من مسرحية مكتشفة باحثة الى مسرحية تربوية تعليمية ، اي انتقلت من الابداع الى الاثارة . وقد حدث هذا في كثير من الاماكن ولم يختلف الامر سواء في روسيا او أمريكا او فرنسا ، فخضوع التاليف المسرحي لاهداف ايديولوجية حاكمة ما ، وتحول المعالجة الدرامية الى نوع من التقرير الصحفي ، ادى الى ظهور مسرحية المشكلة حيث تعرض المشكلة في صورة عادية لا جدة فيها ثم تحل المشكلة بصورة تعليمية تربوية .

والناقد أيضا كان في مفترق الطرق سواء كان من أصحاب النزعة الحيادية او الايدولوجيين ، وهما اظهر جماعات النقاد . ومن الدعوات النقدية التي ظهرت ايضا في ذلك الحين ، دعوة تنادي بأن النقد يجب ان يشير قبل كل شيء الى نفسه لا الى الانتاج او الى حقيقة المسرحية .. اننا نحتاج الى قدر كبير من المرونة المصاحبة للمقاومة الصلبة من اجل ممارسة النقد ، واستقلال الحكم لا يمنع الناقد من ان يمنح العمل الجدير قدرا كبيرا من الحماسة ومن الممكن ان يكون الناقد الخبير معلما ومرشدا في مدحه كما هو في قدحه . الناقد الحق سواء كان بناء او مدمرا ، لينهمك في اكثر عنصرين من عناصر المسرح جوهرية ، حساسيته وفكره . وهكذا يصبح الخيط الفاصل بين النقد والابداع بالغ الرقة والضآلة .

ويعرض القسم الاول من كتاب جون جاسنر ايضا لثلاثة من الكتاب المسرحيين هم ، يوجين اونيل ، تنيسي ويليامز ، جان جيرودو .. وفي رأي ناقدنا ان مؤلفات اونيل تكشف عن الاهتمامات الشاملة والكشوف الشاسعة للتجربة الانسانية ، وان صاحبها يبلور بصدق كل ما هو جوهري في المسرح الامريكي الحديث ، كما يعكس ايضا كل ما أصبح اتجاها حديثا في المسرح الاوربي بتجاربه التي لا تعرف الاستقرار ، ونبهه الى غرس الافكار الجديدة ، وبفرديته الثابتة وقلقه العظيم . لقد تمرد اونيل على الطبقة المتوسطة ومجموع العقلية الانتهازية المرتزقة كلها . وكان لهذا الفضل في وضعه في مقدمة اولئك الذين بدأوا في اعطاء مضمون الدراما الامريكية طابعا حديثا بقدر لا يقل عما أعطوه لشكل هذه الدراما . كان اونيل مؤمنا بشعور تراجيدي للحياة وباحساس مرهف بفشل الانسانية . ان اونيل في رأي نقاد كثيرين هو احد القلائل ممن عبروا عن شخصية فاوست في الادب الحديث والآخرون هم دستويفسكي وسترنيدبرج وكافكا ـ هؤلاء الذين كانت الادانة في نظرهم حقيقة سيكولوجية اكثر منها قصة دينية



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقليدية . واختلاط المشاعر والاحاسيس عند أونيل يفسر أشياء كثيرة منها ، ان موضوع الانفصام كان قائما على الدوام في خياله المسرحي . لقد تصور العالم اولا من خلال مزاجه وحالته النفسية ، فاصبح الانفصام القائم في ذاته انفصاما يتوزع بقية العالم . ولم يهتم أونيل بالقالب الادبي والنزعة الطبيعية ، بل كان مثار اهتمامه التجربة العميقة والاطار الواسع من المعاني والاصول .

اما تنيسي ويليامز فقد انصب اهتمامه على الافراد بدلا من الظروف الاجتماعية ، نبع هذا من طبيعته الخاصة وشخصيته المتفردة. كان يلجأ الى الهرب وقت يشعر بالكبت الشديد ، ولم يكن هربه من شيء ما بقدر ما كان هربا نحو شيء ما .. نحو الخلق ، الهرب الوحيد الذي هو أيضا طريق الى اكتشاف الذات . وبواكير مسرحيات ويليامز ذات الفصل الواحد تعرض اهتمامه الشفوق بالمهزومين والفاشلين في الحياة ، وتخطى الحقيقة الفجة والتسامي فوقها بشخصياتها المتهدمة التي تحاول ان تستعيد نفسها وكرامتها .. وتكتشف ان ايهام الانسان لنفسه هو الملجأ الاخير لهؤلاء المقهورين المضيعي الآمال . وهذه المسرحيات ذات الفصل الواحد قد شكلت ويليامز باعتباره .. مصورا لقطاعات الواقع الامريكي وكاتبا دراميا للرغبة والاحباط وشاعرا لنزوع الانسان نحو التعويض الميكانيكي . ولقد برع ويليامز في مزج الميلودراما بابداع الشخصيات ومسرحيات الرعب الباريسية بالاحساس بالشعر في اكثر اعماله ، نجد ذلك في (معركة الملائكة) اولى مسرحياته الكاملة الطول الى (طائر الشباب الحلو) ، وهذه هي صنعة ويليامز المسرحية المحرقة .

واذا انتقلنا الى جان جيرودو وجدنا مسرحيا يتمتع بطريقة جذابة في عرض وجهة نظره . الانطباع الاول الذي تتركه اعماله ، انها نوع من الجيل الذكية الناهاة لصاحب نزعة كوميدية ، تكون منه كاتبا متوسطا اكثر منه رائدا يجب اتباعه كما يتصور الكثيرون .

يقع (المسرح في مفترق الطرق) في قسمين ، الاول .. الاسئلة والاجوبة المقنعة . حاول فيه المؤلف ان يجيب على علامات استفهام تتناول قضايا هامة حول المسرح وكتابه ونقاده في منتصف القرن العشرين . والقسم الثاني .. السجل التاريخي لنيويورك ١٩٥٠ - ١٩٦٠ وهو عرض نقدي لاهم الاعمال المسرحية التي قدمها المسرح الامريكي . ولا يعد هذه القسم تطبيقا لنظريات الجزء الاول بقدر ما يعد توسيعا لرقعة تناول ، تتابع خلالها اكثر من ستين مسرحية تجاوزت شهرة بعضها خارج بلادها . وهذه المسرحيات او هذا السجل ليس مسحا شاملا للمسرح الامريكي او التيارات المسرحية العالمية ، وانما هو علامات طريق للاعمال المسرحية الامريكية بقلم ناقد يؤمن بمقياس مزدوج لاستعراض المسرحية ، رغم ان هذه ليست هي الطريقة التي يمارسها بعض عارضي المسرحيات « إنهم لا يرحمون حينما يخطيء مجهود متميز هدفه بيارة واحدة ، ولكنهم يعجبون ويستحسنون حينما تخطيء عملية تسلية لا عقل فيها هدفها بميل كامل . انني ميال لان احيي الفشل المتميز ، ولان أكون متسامحا رحيما ازاء مجهود نبيل اذا هو حقق نصف النجاح فحسب . ولكننا يجب ان نلاحظ النواقص والاخطاء بوصفها هذا اذا ما كان للقيم ان تحترم واذا ما كان للنقد ان يرتفع فوق حالة التصايح والتهليل ...

المنصورة - ج. ع. م — **علاء الدين وحيد**

●

من اغاني المطر

ديوان شعر - منذر لطفي - ١٧٣ صفحة - مطبعة دار الثقافة - بدمشق

ان مجموعة القصائد في ديوان « من أغاني المطر » تعطينا صورة لنفسية كثير من شعرائنا الشباب وتمثل التيارات التي تتجاذب تفكيرهم ، وهم يعيشون هذا الانقلاب الاجتماعي السريع في وطننا العربي ، وتهز أعصابهم النكبات المتلاحقة والاحداث المؤلمة .

فمنذ فترة وجيزة كنا نشاهد الشاعر العربي الملتزم الذي أهمل ذاته ووهب نفسه للوطن .. والآخر الذي ظل مقوقعا على ذاته يفسر آلامه وأحلامه ، واذا اصغى لصوت الوطن فلا يكون لذلك الاصغاء من المد ما يشمل ساحة الشعور ويغطي الاحساس ، وغالبا ما تكون استجابته لاحداث الامة اثرا من آثار خطب جليل يجتاح الوطن حتى اذا ما تلاشى تأثير ذلك الخطب القوي عاد الشاعر الى نفسه يغني تجاربه الفردية ويعطينا صورة الواقع من خلال تلك التجارب .

ولكن نكبة الخامس من حزيران كانت نقطة تحول في تفكير الكثير من الشعراء فولوا وجههم شطر الامة ، يعيشون رؤاهم الشعرية من أجلها .. ومن أجلها فقط .

وهذا ما سنلاحظه بقوة في ديوان شاعرنا منذر لطفي « من أغاني المطر » .

اذا نظرنا الى أفكار الشاعر في ديوانه هذا نراه ثائرا على العادات القديمة ثورة ليست محدودة ، وثورته ليست من أجل بناء مجتمع يطير بجناحين ويتغلب على الاباطيل الموروثة من عصور الظلم ولكن ليعيش قصة حب كاملة وليرى سر الوجود في عيني من يهوى .

فهو في قصيدته « دنيا جديدة » يضيق ذرعا بكل المفاهيم القديمة لانها اباطيل فيكسرها ويبحث عن دنياه كما يريدها .. فهناك الحقيقة في رأيه :

يا صديقة
انني اكسر هذا اليوم آلاف القيود
انني ابحث في عينيك عن سر الوجود
انني اختزل الماضي وتاريخا مرير
انني ابحث عن دنياي .. عن دنيا الحقيقة

والمرأة في نظره ، صورة تعجبه ودنيا يلهو بها ، وصورتها في خياله واحدة تقريبا : فهي شقراء الشعر بيضاء اللون تعرف كيف تسلك الطريق الى قلب الرجل ، وهو لا يرى فيها شيئا سوى المتعة ، واذا تذكرنا ان الشاعر حموي الاصل عرفنا مدى الجرأة في هذه الاشعار التي تلجأ الى العبادة المكشوفة دون تستراو مواربة وذلك لما عرف عن اهل حماة من تستر شديد في هذه الناحية .

فالعواطف الرخيصة والحب المبتذل شيء يؤمن به الشاعر في قصائده لانه لا يرى في المرأة الا دمية للزينة والهية للعبث !!

والحقيقة ان الشاعر يعرض علينا نماذج جريئة من تجاربه الكثيرة وقد يلم به الطيف في الحلم فلا يتورع عن سرد الاحلام وتصوير ملابساتها والالم الذي راوده حين فتح عينيه فلم ير امامه سوى جدران الغرفة، ويأسف اذ لم يستطع ان يحتفظ بشيء مما مر معه في الحلم:

ليتني كنت نسيما — في فراديس الجنان
كنت قد خبأت ذكرى — ليلة كالارجوان
كنت قد خبأت ذاك — السحر في أقصى مكان

ان فلسفة الشاعر الذاتية تدعوه الى هذا النوع من السلوك فالحياة قصيرة وما دامت كذلك فلماذا نشقى ولماذا لا نلقي انفسنا في جنان الحب فنجد الراحة والهدوء :

انني ارثي لشخص يعرف المر سراب
ثم يحياه جحيما وعذاب
بدع الحب ويمضي نحو غابات الظلام
ليعيش العمر لا يرف أبعاد السلام

وبدون الحب لا يستطيع الانسان ان يحقق انسانيته كاملة ، اما اذا وصل الى متعته بدون وهم او نفاق فانه سيكون سيد عالم ورجل خير وسلام :

وهكذا تسيطر ظلال المأساة على قلبه منذ معركة الخامس من حزيران فيلتزم قضايا الامة ! يرثي الشهداء ، ويتذكر النكسة فيروعه ان الايام تمر بسلام ونحن وادعون ، بعد ان حل بنا ما حل . وهنا لا يستطيع الامن ان يورق في قلبه ولا تتمكن الاحلام الجميلة من مداعبة خياله ، فحب الوطن فوق كل حب ، ومن ذا الذي يستطيع نسيان الاهوال والمآسي :

زرعت هواك يا وطني
زرعت هواك في قلبي وفي الاجفان
زرعت هواك .. دنيا في عيون الصبح قدسية
فكان الرعب والتشريد والطوفان
وكان الليل تابوتا بلا أكفان
مضى شهران يا عمري مضى شهران
وقلبي دائم الخفقان والتحنان

نعم .. مضى شهران على معركة الخامس من حزيران والشعب واجم والشاعر واجم حائر ، يأكل القلق صدره المتعب . وكما قلت يترفع هنا شاعرنا عن تصوره المادي للمرأة فتأخذ مكانها الانساني في دنيا الوجود ، وفي رسالة شعرية على لسان فتاة من الضفة الغربية الى اختها في الضفة الشرقية يبدو لنا التحول الخطير في تفكير الشاعر ، فالفتاة العربية تنشر حقائق عن وحشية اليهود الجبناء وعن الذي صنعوه في القدس مدينة السلام ، وتندد بمجلس الامن ثم ترى ان سحب خير تطل من بعيد في طلائع الفدائيين :

أما رأيت راية الفتح على البطاح
لبت نداء الارض والتاريخ والجراح
هبت يدا واحدة تغسل ليل العار

نعم ان صبح الشاعر يلوح في كتائب فتح شانه في ذلك شان غيره من الشعراء .

لقد غدا شاعرنا ملتزما شده جرح الوطن العميق الى قلب الاحداث فلم يعد انسانا مولها يتسقط مواطن الغيث ، لقد غدا شاعرا آخر حتى في الحلم واذا كان حلمه السابق ابن الواقع فهو كذلك الآن ابن الواقع ، انه ما عاد الآن يحلم بفتاته الجميلة بل يحلم بالقنيطرة :

حلمت يا قنيطرة
حلمت ذات ليلة بوجهك الجميل
بالتين .. بالزيتون .. بالهديل
بالقمح .. بالاطفال .. بالنخيل

وما أبعد حلم اليوم عن الامس ! لقد تمنى مرة ان يحتفظ بشيء من حلمه الجميل أما الآن فهو لا يريد الاحتفاظ بالحلم لان الحلم ولى مع الرياح . ولكنه يحكي لنا اثر ذلك الحلم في نفسه ، انه من تاريخ الحلم انسان آخر .. ثائر متمرد لا يعرف القرار حتى تعود الديار الى أصحابها :

ولم أزل من يومها أبحث عن سفينة
ملاحها لا يعرف الهدوء والسكينة
لا يعرف الهوان
ملاحها يهزأ بالاهوال والطوفان

وتغزو المرأة خيال الشاعر ولكن من هي الآن ؟ انها امرأة سامية ، مناضلة ، تعمل مع الفدائيين لتحرير الارض المغتصبة :

فدائيـة
مضت للحرب اغنية بطولية
مضت والليل اشعر عن هدير « الفتح » والاحرار
مضت .. كالريح .. كالاعصار

ولا ندري لماذا استعار شاعرنا صورة فدائيته من شاعر فلسطين المحتلة « محمود درويش » لقد عمد الى تلك الصورة كما أبدعها الدرويش في ديوانه « عاشق من فلسطين » فجعلها :

فدائية
فلسطينية الاحزان والحقد
فلسطينية الابوين والجد
فلسطينية الآمال والآلام
نمت بين الخيام السود .. بين البؤس والاطلال
نمت بين الجياع .. وبين نبع الياس والضجر

وحبذا لو لم يجعلها فلسطينية اذا كانت عربية فالمأساة لا تعتصر قلب الفلسطينية فقط بل قلب كل عربي وعربية ، ولكن الصورة التي رسمها الدرويش استولت على خياله فلم يستطع الافلات منها !

ان الاستاذ منذر لطفي في ديوانه « من أغاني المطر » لم يول وجهه شطر الامة الا يوم الخامس من حزيران ، فقد كان قبل هذه الفترة منصرفا الى ذاته والى ما يراود خياله من الاماني . وربما نستطيع ان نقول : ان هذه المعركة كانت الموجه الحقيقي لتيار الالتزام ، فمنذ ذلك التاريخ ما عدنا نرى شاعرا لم يعالج مشكلة الوطن من وجهة نظره الخاصة وينغمس حتى اذنيه في مآسيها التي لا تنتهي .

ولولا هذا التحول في شعر منذر لطفي لقلنا ان شعره الغزلي شعر مادي رخيص يحط من قيمة المرأة ويضعف قيمة الحب الذي يؤمن به الاستاذ منذر ذاته محركا للوجود ومبدعا لكل الخير والجمال .

دمشق — سكينة الشهابي

•

ليبيا بين الماضي والحاضر

تأليف حسن سليمان محمود ـ ٤٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الالف كتاب ـ مطبعة مؤسسة العرب بالقاهرة

يحاول مؤلفنا في هذا الكتاب تقديم صورة دقيقة لهذا القطر الشقيق من خلال ماضيه وحاضره معا ، ايمانا بان الجذور هي الاصل والاساس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للساق والورق والتمر وهكذا جاءت دراسة الباحث للعهود الليبية القديمة والاسلامية والحديثة تناولا للامح الصورة في امسها واليوم . وبدءا من العصر الحجري ننطلق في تتبع التاريخ الليبي ، فسكان البلاد الزنوج يعبدون الحيوان في عصر استخدام المعادن اسوة بجيرانهم المصريين الذين حاربوهم لقد حكمت اسرة ليبية مصر ابان عهد الاسرتين ٢٢ ، ٢٣ ق. م الى ان دخل الفرس مصر ثم الاغريق الذين اندفعوا منها الى ليبيا واصبحوا من الكثرة بحيث انشأوا مدنا وحكموا البلاد. وفي عهد بطليموس الاول سيطروا على حكم برقة ايضا وازدهرت المدن الليبية التي بقيت آثارها الى اليوم تحمل انعكاسا لما كانت عليه من ازدهار .

وفي القرن التاسع قبل الميلاد امتد نشاط الفينيقيين التجاري في صقلية فاتخذوا لانفسهم في ليبيا مراكز ومدنا تجارية كثيرة بمثابة محطات للسفن واسواقا تجارية . وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد سيطر الرومان على العالم بعد الاغريق واحتلت روما ليبيا نتيجة ثورات داخلية ، وقاومت ليبيا الاحتلال لكن الغلبة كانت لروما ثم دخل الوندال فازالوا النفوذ الروماني واستمر حكمهم قرابة قرن ساءت فيه احوال البلاد فعم الخراب المزارع والطرق والمدن وعطلت التجارة وعاش الغزاة في مجون والليبيون في ضنك . ثم دخل البيزنطيون ليبيا بعد محاربة الوندال وقاومهم الاهالي بلا فائدة .. وفي عهد البيزنطيين نظمت شؤون البلاد الداخلية وازدهرت العمارة والآداب ودخلتها المسيحية من مصر .

مع بزوغ الاسلام وعهد الفتوحات الاسلامية اندفعت جحافل المسلمين بقيادة عمر بن العاص الى برقة وتقدم لغزو بلاد المغرب وتتابعت الحملات وقاوم البربر المسلمين مقاومة شديدة انتهت بمقتل زعيمهم الكاهنة عام ٨٤هـ فخلد البربر للطاعة وللاسلام واساء الامويون والعباسيون الى البربر مما دفعهم للميل لمذهب الخوارج وظهرت الفتن والقلاقل في افريقية واستقل بعض الزعماء عن الخلافة العباسية . وحكم ليبيا دولة الاغالبة ومن اهم اعمالهم مصاهرة العرب للبربر وامتزاج دمائهم والقضاء على الثارات القديمة وادخلوا حضارتي الشام والعراق وظهرت في عهدهم نهضة علمية كبيرة .. ثم حكم البلاد الدولة العبيدية والصنهاجية والحفصية .

واصيب شمال افريقيا بالاضطراب لافتقاد الوحدة السياسية القوية . وكذلك كانت طرابلس اقوى مدن هذا الشمال مما شجع الاسبان لاحتلالها في ربيع الآخر ٩١٦هـ لموقعها الاستراتيجي الهام ، وهلل العالم المسيحي لذلك النصر . وتدهورت تجارتها لاحتكار الاسبان اياها ثم تنازل ملك اسبانيا عنها لصقلية عام ٩١٩ هـ ثم دخلها فرسان القديس يوحنا عام ١٥٣٥ ميلادية واثاروا الفوضى والرعب في البلاد حتى طردهم الاسطول العثماني في ستة شعبان سنة ٩٥٨هـ بعد انقضاء واحد وعشرين عاما .. وبخضوع طرابلس للدولة العثمانية اعيد اصلاح ما فسد من عمائر وحصون . وفي القرنين ١٦ ، ١٧ عمت الفوضى والاضطرابات البلاد حتى تولى امرها احمد القرمانلي فاعاد اليها الهدوء والرخاء وبلغت شهرة البحرية الليبية مداها في عهد آخر الولاة من آل القرمانلي وفرضت الرسوم على السفن العابرة حتى حاربتها امريكا اربع سنوات ثم تم الصلح بينهما. وزادت اهمية ليبيا ومركزها الدولي عندما استولى نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م . ونتيجة الحروب المتكررة وتكاثر الاعداء ورغبة الدول الاوربية في القضاء على البحرية الليبية واحتلال فرنسا للجزائر وتغلغل النفوذ الاستعماري في افريقيا وكذلك الفتن الداخلية وتوزيع المملكة بين ابناء الوالي ، اصدر مؤتمر فينا سنة ١٨١٢م قرارا بالقضاء على خطر البحرية في البحر المتوسط ومنع تجارة الرقيق والتجارة الاخيرة ركن هام في قوافل التجارة الليبية.. كل هذه الاجراءات عجلت بالقضاء على حكم آل القرمانلي .. وعادت ليبيا الى سيطرة السلاطين العثمانيين مباشرة وتغيرت سياسة الولاة من اصلاح ونهضة ورفاهية الى كساد واهمال .

وعندما طمعت الدول الاوربية في تقسيم املاك الرجل المريض ، اخذت ايطاليا تمهد لاحتلال ليبيا من فتح المدارس الايطالية بها بكثرة وتشجيع الايطاليين للهجرة الى ليبيا والاستطانة وايفاد بعثات علمية للدراسة وتنشيط بنك روما .. انبثاقا من الرغبة في الاستعمار والقضاء على زيادة السكان وغسل عار هزيمة الحبشة والاتفاق مع انجلترا وفرنسا لمنع المنافسة الاستعمارية . وبعد ان اتت كل هذه الاجراءات اكلها وفي اللحظة المناسبة وجهت ايطاليا انذارا للدولة العثمانية ومدته اربعة وعشرون ساعة ثم احتلت ليبيا في ٢٩ - ٩ - ١٩١١ ، وبدأت المقاومة الشعبية رغم تفاوت القوتين ، وساعدت الدولة العثمانية الليبيين ولما لم يكن في امكانها الاستمرار في تقديم المساعدات فقد عقدت صلحا مع ايطاليا ومنحت البلاد استقلالا داخليا في شخص ادريس السنوسي وتركت البلاد . فعقد السنوسي مع ايطاليا اتفاقية عام ١٩١٩ واتفاقية الرجمة عام ١٩٢٠ وماطل الايطاليون في تنفيذهما فزاد اشتعال المقاومة الشعبية التي لم تهدأ الا بعد مقتل الشهيد عمر المختار الذي ظل يقاوم احد عشر عاما ... وعاشت ليبيا في ارهاب وضغط واذلال وتشتت الزعماء السنوسيين .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ بلغ عدد الليبيين المهاجرين الى مصر خمسة عشر الفا وعندما اعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء في يونيو سنة ١٩٤٠ امكن تدريب الليبيين في مصر عسكريا باشراف الجيش الانجليزي وتعاون الطرفان وتقدما لمحاربة دول المحور الشمال افريقيا ، ودارت معارك مريرة انتهت بقهر دول المحور واصبحت برقة وطرابلس من نصيب الادارة الانجليزية ، وفزان من نصيب الادارة الفرنسية وسيطرت الادارة العسكرية على مرافق البلاد سيطرة كاملة . ومضت سنوات ولم تنفذ بريطانيا وعدها باستقلال البلاد فنشطت وتعددت الحركات الوطنية بظهور احزاب وجرائد وطنية وقامت المظاهرات في فبراير سنة ١٩٤٦ وزار البلاد لجنة دولية لتقرير مصيرها ودارت مفاوضات سرية بين بريطانيا وايطاليا لفرض الوصاية البريطانية الايطالية الفرنسية على البلاد ورفض الشعب الليبي

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها تشكيلة ضخمة

من الكتب السياسية والاقتصادية والعقائدية

وكمية ضخمة من القصص على

جميع انواعها وكذلك جميع الكتب المدرسية

المشروع عن طريق ممثله في الجمعية العمومية للامم المتحدة .. فصدر قرار الجمعية العمومية باستقلال البلاد في موعد اقصاه اول يناير سنة ١٩٥٢ وسارت الامور في مسارها الطبيعي واعلن الاستقلال في ١٩٥٢ باسم المملكة الليبية المتحدة يحكمها الملك ادريس السنوسي . وتعرف الآن بالمملكة الليبية . ونظام حكمها يعرف بالاتحاد المركزي ونص الدستور الليبي على ان يكون نظام الحكم هو النظام التمثيلي والملك يمارس صلاحياته بوساطة وزرائه ورئيس الوزراء يعين من قبل الملك والبرلمان يتالف من مجلس الشيوخ والنواب وولاياتها برقة وطرابلس وفزان وكل ولاية تقسم لمقاطعة وكل مقاطعة الى متصرفيات وكل متصرفية الى مديرية وكل مديرية تضم قرى عديدة وقد شملت النهضة مختلف مرافق البلاد من تجارة وصناعة وتعليم ونشاط اعلامي وثقافي وصحافي، ما عدا الزراعة وتحاول الحكومة الليبية ان تستفيد من الخبرات العربية في جميع المجالات كما تعمل الحكومة على اجتذاب السياح لزيارة مناطقها السياحية بكافة الطرق من عقد اتفاقات مع الدول العربية والاجنبية . ويبلغ عدد السكان مليون ومائة وخمسون الف نسمة اغلبهم مسلمون باستثناء ستين الفا مختلفين . وقد كان سكان ليبيا قبل دخول العرب من البربر ثم تعربوا .. ومن اهم صفات الشعب الليبي الطاعة وسيادة الاكبر على الاصغر والتدين والبساطة وحب الهجرة والتجارة .

المنصورة ــ ج٠ ع٠ م **بهاء الدين علوان**

•

دراسات كويتية

تاليف فاضل خلف ــ ١٥٦ صفحة ــ مطبعة مقهوي في الكويت

لم اكن اعرف الا القليل عن الادب والادباء في الكويت، ولذا فقد تلقيت بمزيد الشكر كتاب الاستاذ فاضل خلف « دراسات كويتية » الذي تفضل باهدائه لي ، واقبلت على قراءته بشغف ورغبة زائدين ، لاكشف قناعا عن تلك الزاوية الصغيرة في مساحتها الكبيرة في مكانتها من الوطن العربي .

واذا اقترن اسم الكويت بالازدهار الاقتصادي ، والغني والترف والتقدم في مختلف الميادين ، فيجب الا يكون نصيب الادب اقل اضاءة في سمائها ، ولا أضأل نشاطا في رحابها . ولقد عز علي ان اقرأ في الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب ما قاله المؤلف في حديثه مع الاستاذ عبد الهادي الجواهري : (فماذا يقول الاستاذ عبد الهادي الجواهري اذا زار الكويت في هذه الايام من عام ١٩٦١ حيث الادب يعاني ازمة شديدة ما عرفها منذ وقت طويل ، وحيث اختفت اسماء ادباء الكويت بعد ان احتجبت مجلات الادب عن الصدور ؟!) . وان صدى هذه العبارة ليحز في النفس ويجعل العبء كبيرا على رجال الادب هناك ليتلافوا هذه الظاهرة قبل ان تستفحل وتطغى ، فتتغلب المادة على الفن ، ويضعف فن القول والبيان في أرض عربية ما عرفت هذا الضعف قط ، ولا سيما ازدهارها العام .

ولاعد الى اول الكتاب لاجده مهدى الى الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وهو من هو في مجالات العلم والمعرفة والتضحية والبذل في كل سبيل يؤدي الى التعلم والتقدم . ثم انتقل بعدئذ الى مقدمة المؤلف لكتابه فاراه يعرف بالكتاب ويذكر انه مجموعة من الاحاديث الاذاعية القيت في محطة اذاعة الكويت بين عامي ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ . وان المؤلف لم تتح له فرصة تشذيبه وتغيير صيغه المناسبة للاذاعة لينقله الى شكل وصيغ تناسب الادب المقروء . فاضطر الى ان يطبعه كما هو دون تحوير .

والكتاب ينوف على المئة والخمسين صفحة من القياس العادي . ولم يقسم الى فصول وابواب وانما هو مقالات اذاعية بسيطة تحت عناوين متفرقة لا تزيد المقالة على بضع صفحات ، يتناول فيها كاتبها موضوعا معينا كالتعريف بكتاب من الكتب التي الفت حول تاريخ الكويت او اوضاعها المختلفة . او يتناول تعريفا باحد الشعراء الاحياء ، او ممن اختطفتهم يد المنون ، وربما يورد اشعارا لهم ، او اشعارا في مدح الاحياء منهم او رثاء المتوفين . او ربما يتناول في مقال ما احدى المناسبات الهامة التي مرت بها الكويت ، كالعيد الوطني الذي استقل فيه هذا البلد العربي مثلا . واحيانا يتخذ من الحديث عن بعض العادات والتقاليد الكويتية موضوعا لمقاله ، كما في حديثه عن عادات الكويتيين في العيد تحت عنوان (العيد بين الامس واليوم) . او قد يحدثنا عن مكان ما عرف في هذا البلد بميزات خاصة مثل كاظمة والجزيرة الصغيرة .

ولقد كان المؤلف موضوعيا في كتابته ، لا يبدي تعصبه لاناس دون اناس ، وانما غايته التعريف بالادباء والنواحي الادبية المختلفة في بلده . وتظهر موضوعيته كذلك في انه لم يقصر حديثه على الكويتيين فحسب ، وانما تناول اناسا آخرين من خارج هذا القطر عملوا فيه لفترة ما وكان لهم نصيب في تعليم أبنائه وتثقيفهم ودفعهم في ركاب التقدم والحضارة . فهو مثلا لم ينس فيصل العظمة السوري الاصل، ولا احمد الشرباصي المصري الاصل ، وانما حاول ان يشمل في مقالاته أكثر هؤلاء الرؤوس الذين يعتبر ان لهم اياد بيضاء على بلده في ميادين المعرفة والاطلاع .

وقد طبع الكتاب طباعة جيدة في مطبعة (مقهوي) في الكويت ، فقلت او ندرت فيه الاخطاء المطبعية . ولقد شعر المؤلف بضرورة تنسيقه على غير ما نسق عليه فاعتذر في مقدمته له عن هذا النقص ، وكيف انه لم تتح له فرصة تحوير شيء من صيغة احاديثه الاذاعية .

وللكتاب حسنات بارزة لا بد من ذكرها قبل كل شيء وهي : اولا: اطلاعنا على مجالات نجهلها عن الوضع الادبي في الكويت . ثانيا : امتاعنا بايراد كثير من الاشعار المختلفة في موضوعاتها ومناسباتها مما احسن الكاتب انتقاءه في قسم كبير منه . ثالثا : خلق حافز لدينا الى مزيد من القراءة والاطلاع بتعريفنا على اسماء مؤلفين وكتب مختلفة لهم ، كنا نجهل الكثير منهم ومنها لولا هذا الكتاب . رابعا : ان اسلوب الكاتب قوي ومتين وجذاب ، فلا يشعر قارؤه بملل ولا سأم حين يقرأ له ، وبذلك يصل الى الغايات التي ارادها له المؤلف .

ومع ذلك فان امورا عديدة نتمنى لو تحققت او تتحقق في طبعة اخرى للكتاب ان شاء الله . اولها : شيء من التوسع الحديث عن الادباء الذين اراد الكاتب التعريف بهم ، حيث بقيت صورهم شاحبة في اذهاننا لم نستطع تخيلها على النحو الاكمل . ثانيا : السعي الى اثبات سني الميلاد ، وسني الوفاة للمتوفين من هؤلاء الادباء ، وذلك لان تمديد الاطار الزمني بدقة له اثره على القارىء . وقد عمد الكاتب الى شيء من هذا التمديد في بعض ما كتب ولكنه لم يستوفه بالنسبة للكثيرين . ثالثا : ضبط بعض اسماء الامكنة واسماء الاعلام بالشكل ، لان بعد المكان يجعل في قراءتها شيئا من الغرابة ولو ضبطت لامن اللبس .

ولقد وعدنا الكاتب بصدور الجزء الاول من ديوانه على الصفحة الاخيرة من الكتاب . فعسى ان نلتقي به قريبا ونستمتع بقراءته . وعسى ان يتصل نشاط ادبنا في خدمة الادب الكويتي خاصة والادب العربي عامة .

دمشق **لطفية الشهابي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● صخرة الطيور ـ قصة ـ تأليف جورج صاندو عضو الاكاديمية الفرنسية ـ عربها بتصرف حنا الحداد استاذ اللغة العربية في مدرسة الحكمة ببيروت ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● دراسات كويتية ـ تأليف فاضل خلف ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة مقهوي بالكويت .

● لبنان بين مشرق ومغرب ١٩٦٩/١٩٢٠ ـ تأليف محمد جميل بيهم ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة).

● التراث الاسلامي في بيت المقدس وفضائله الدينية ـ جمع واعداد وتحقيق الشيخ طه الولي ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● الجاحظ ـ مسرحية في خمسة فصول ـ تأليف الدكتور احمد مكي ـ تقديم الدكتور جبور عبد النور ـ ١٠٨ صفحات ـ منشورات دار النعمان ، لبنان ـ مطبعة دار الفجر ببيروت .

● الاسماء والتواقيع المستعارة في الادب العربي ـ تأليف الدكتور محسن جمال الدين ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة دار قريش بمكة المكرمة .

● الامس الضائع ـ مجموعة شعرية ـ حسن عبد الله القرشي ـ تقديم الدكتور طه حسين ـ مع رسالة من محمد علي الحوماني ـ طبعة ثانية ـ ١٦٨ صفحة ـمنشورات دار المعارف بمصر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طبقات سلاطين الاسلام ـ تأليف ستانلي لين بول ـ ترجمه للفارسية عباس اقبال ـ ترجمه عن الفارسية مكي طاهر الكعبي ـ حققه وقابله علي البصري ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ دار منشورات البصري ببغداد ـ مطبعة البصري ببغداد .

● غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ـ تأليف الشيخ ياسين خير الله العمري الخطيب الموصلي ـ تقديم سامي عبد الله باشعالم العمري ـ ٤٠٨ صفحة حجم كبير ـ دار منشورات البصري ببغداد ـ مطبعة البصري ببغداد .

● اجنحة بلا ريش ـ مجموعة شعرية ـ حسين سرحان ـ تقديم حمد الجاسر ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ (الشاعر السعودي) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● وراء السراب ـ مجموعة شعرية ـ وصفي قرنفلي ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق ـ مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق .

● اغاني المزرعة ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور سليمان داود ـ الجزء الثاني ـ ٣٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● حفر على الايام ـ وجدانيات ـ تأليف مي الريحاني ـ تقديم جوزف نجيم ـ ١١٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● انين الصواري ـ مجموعة شعرية ـ علي عبد الله خليفة ـ ٢٢٤ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ القسم الثاني ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة تاريخ المدن الفراتية القديمة في سورية ـ طبع في دير الزور بسورية .

● وعود ـ مجموعة شعرية ـ جوري رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● انت انا ـ مجموعة شعرية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مبهمات ـ مجموعة شعرية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حالم ـ مجموعة شعرية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ٨٨ صفحة منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ثائر ـ مجموعة شعورية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مشتاق ـ مجموعة شعرية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● غيوب ـ مجموعة شعرية ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الطبعة الثانية ـ ٩٦ صفحة ـ طبع في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كلهن ـ وجدانيات ـ جورج رجي ـ الغلاف بريشة برهان ـ الخطوط لماجد ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الراصد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التعليم في المملكة العربية السعودية ـ تأليف عبد الوهاب احمد عبد الواسع وكيل وزارة المعارف ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شاعرية ابي المحاسن ـ دراسة ادبية ـ تأليف خضر عباس الصالحي ـ ١٤٠ صفحة ـ مطبعة الاداب بالنجف الاشرف العراق .

● تحرير فلسطين ـ تأليف خضر عباس الصالحي ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات جمعية التوجيه الديني في النجف الاشرف ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف بالعراق .

● حكايات عن السلاطين ـ تأليف ادمون صبري ـ ٥٢ صفحة ـ مطبعة دار الجاحظ ببغداد .

● الرجل الذي يكره النساء ـ مجموعة قصص ـ تأليف حازم مراد ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● من الزوايا ـ مجموعة مقالات وخطب ـ تأليف فؤاد الخوري نقيب المحامين في لبنان ووزير العدل سابقا ـ تقديم المحامي انطون قازان ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في سبيل الحق : هيكل سليمان او الوطن القومي اليهودي ـ تأليف يوسف الحاج ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ صدرت الطبعة الاولى في بيروت عام ١٩٣٤ ـ وهذه الطبعة الجديدة صدرت في البرازيل دون الاشارة الى ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com